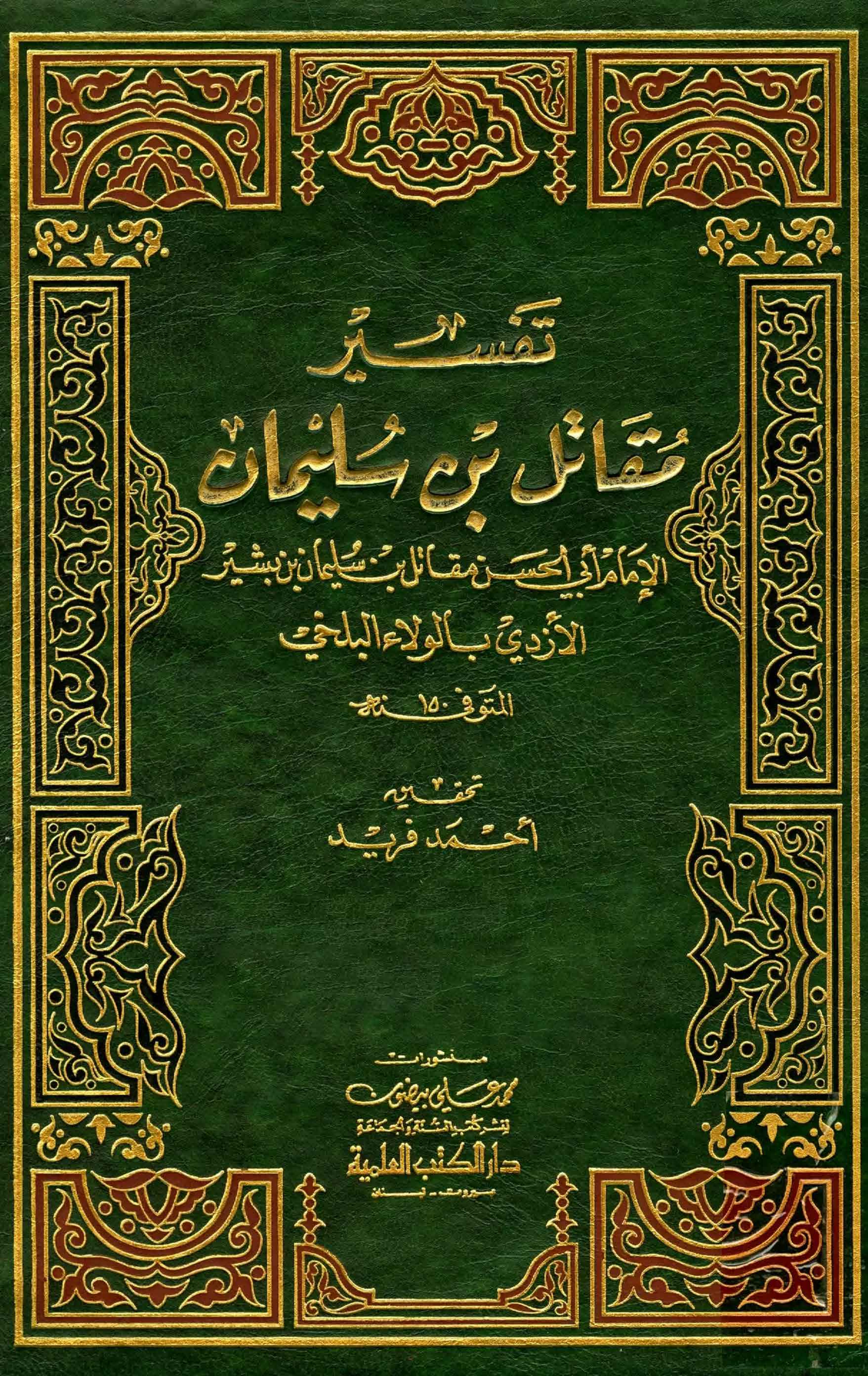

تفسير
مقاتل بن سليمان
الإمام أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير
الأزدي بالولاء البلخي
المتوفى ١٥٠ هـ
تحقيق
أحمد فريد
منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مقدمة المصنف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

أخبرنا القاضى أبو بكر محمد بن عقيل بن زيد الشهرزورى، رضى الله عنه، قال: حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن على بن زادلج، قال: حدثنا عبد الخالق بن الحسن، قال عبيد الله بن ثابت بن يعقوب الثورى المقرئ، قال: حدثنا أبى، قال: حدثنا الهذيل ابن حبيب أبو صالح الزيدانى، عن مقاتل بن سليمان، عن ثلاثين رجلاً، منهم اثنى عشر رجلاً من التابعين، منهم من زاد على صاحبه الحرف، ومنهم من وافق صاحبه فى التفسير، فمن الاثنى عشر: عطاء بن أبى رباح، والضحاك بن مزاحم، ونافع مولى ابن عمر، والزبير، وابن شهاب الزهرى، ومحمد بن سيرين، وابن أبى مليكة، وشهر بن حوشب، وعكرمة، وعطية الكوفى، وأبو إسحاق الشعبى، ومحمد بن على بن الحسين ابن على، ومن بعد هؤلاء قتادة ونظراؤه، حتى ألفت هذا الكتاب.

قال عبد الخالق بن الحسن: وجدت على ظهر كتاب عبيد الله بن ثابت، عن أبيه تمام الثلاثين الذين روى عنهم مقاتل. قال: حدثنا الهذيل، قال: رجال مقاتل الذين أخذ التفسير عنهم سوى من سمينا: قتادة بن دعامة، وسليمان بن مهران الأعمش، وحماد بن أبى سليمان، وإسماعيل بن أبى خالد، وابن طاوس اليمانى، وعبد الكريم وعبد القدوس صاحبى الحسن، وأبو روق، وابن أبى نجيح، وليث بن سليم، وأيوب، وعمرو بن دينار، وداود بن أبى هند، والقاسم بن محمد، وعمرو بن شعيب، والحكم بن عتبة، وهشام بن حسان، وسفيان الثورى. ثم قال أبو محمد: قال أبى: فقلت لأبى صالح: لم كتب عن سفيان وهو أكبر منه؟ فقال: إن مقاتل عُمِّر، فكتب عن الصغار والكبار.

قال أبو محمد: قال أبى: قال أبو صالح: بذلك أخبرنى مقاتل. قال: حدثنا عبد الله، قال: وحدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، قال: أنزل القرآن على خمسة أوجه: أمره، ونهيه، ووعده، ووعيده، وخبر الأولين. قال: حدثنا عبيد الله، قال: وحدثنى أبى، قال: حدثنى الهذيل، عن المسيب، عن الأعمش، عن ابن جبير، عن ابن عباس، رضى الله عنه، قال: تعلموا التأويل قبل أن يجىء أقوام يتأولونه على غير تأويله.

قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن أبى قلابة، عن ابن عباس، قال: ما أنزل الله عز وجل كتابًا، إلا أحب أن يعلم تأويله. قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن إسماعيل بن عياش الحمصى، قال: أخبرنى معاذ ابن رفاعة، عن إبراهيم العذرى، قال: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن سفيان الواسطى، قال: إن مثل من قرأ القرآن ولم يعلم تفسيره، كمثل رجل جاءه كتاب أعز الناس عليه، ففرح به، فطلب من يقرؤه له، فلم يجده وهو أمى، فهكذا من قرأ القرآن ولم يدر ما فيه.

قال: حدثنا عبيد الله، قال: وحدثنى أبى، عن الهذيل، عن على بن عاصم، عن عطاء ابن السائب، عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن ابن مسعود، قال: كنا إذا علمنا رسول الله ﷺ العشر آيات من القرآن، لم نجاوزهن إلى غيرهن حتى نعلم ما فيهن. قال: حدثنا عبيد الله، قال: وحدثنى أبى، قال: حدثنى الهذيل، عن ابن المسيب، عن الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس، قال: القرآن على أربعة أوجه: تفسير يعلمه العلماء، وعربية تعرفها العرب، وحلال وحرام لا يسع الناس جهله، وتأويل لا يعلمه إلا الله عز وجل، قلت: وما التأويل؟ قال: ما هو كائن.

قال: حدثنا عبيد الله، قال: وحدثنا أبى، عن الهذيل، عن مقاتل، أنه قال: فى القرآن خاص وعام، خاص للمسلمين، وخاص فى المشركين، وعام لجميع الناس، ومتشابه، ومحكم، ومفسر، ومبهم، وإضمار، وتمام، وصلات فى الكلام مع ناسخ ومنسوخ، وتقديم وتأخير، وأشباه مع وجوه كثيرة، وجواب فى سورة أخرى، وأمثال ضربها الله عز وجل لنفسه، وأمثال ضربها للكافر والصنم، وأمثال ضربها للدنيا، والبعث، والآخرة، وخبر الأولين، وخبر ما فى الجنة والنار، وخاص لمشرك واحد، وفرائض، وأحكام، وحدود، وخبر ما فى قلوب المؤمنين، وخبر ما فى قلوب الكافرين، وخصومة مشركى العرب، وتفسير، وللتفسير تفسير.

قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا أبى، عن الهذيل بن حبيب، عن مقاتل، قال: من قرأ القرآن فلم يعلم تأويله، فهو فيه أمى. قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن مقاتل، عن عبد الكريم الجزرى، قال: ما أجد أعظم أجرًا يوم القيامة ممن علم القرآن وعلمه.

وذكر مقاتل حساب الجمل، فقال: يبدأ بحروف أبى جاد، فألحقها بها ألف واحد، ب اثنين، ج ثلاثة، د أربعة، هـ خمسة، و ستة، ز سبعة، ح ثمانية، ط تسعة، ى عشرة، ك عشرون، ل ثلاثون، م أربعون، ن خمسون، ص ستون، ع سبعون، ف ثمانون، س تسعون، ق مائة، ر مائتين، ش ثلاثمائة، ت أربعمائة، باقى المعجم: ث خمسمائة، خ ستمائة، ذ سبعمائة، ض ثمانمائة، ظ تسعمائة، غ ألف.

قال: وحدثنا عبيد الله، قال: وحدثنى أبى، عن الهذيل، عن مقاتل، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله عز وجل فى القرآن سورة مثل فاتحة الكتاب، ولا نزل فى كتب الأنبياء مثلها»، قال: وقال النبى ﷺ: «أعطيت بالتوراة السبع الطوال وهن القرآن، وأعطيت بالإنجيل المثانى وهن هدى القرآن، وأعطيت بالزبور المئين وهن ريحان القرآن، وفضلنى بالمفصل».

قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى الهذيل، عن المسيب بن شريك، عن أبى روق، عن الضحاك، فى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿الٓمٓ﴾، قال: أنا الله أعلم. قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن أبى جعفر الرازى، عن أبى العالية فى قوله سبحانه: ﴿الٓمٓ﴾، قال: هذه من الثمانية وعشرين حرفًا التى دارت الألسن كلها بها، وليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسماء الله عز وجل، وليس منها اسم إلا وهو فى الآية وبلا آية، وليس منها حرف إلا وهو فى مدة قوم وآجالهم، فالألف مفتاح اسم الله جل جلاله، واللام مفتاح اسمه لطيف، والميم مفتاح اسمه مجيد. الألف آلاؤه، واللام لطفه، والميم مجده.

قال: حدثنا عبيد الله، قال: وحدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن أبى بكر الهذلى، عن عكرمة فى قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾، يعنى التوراة والإنجيل، قال أبو روق: فى قوله سبحانه: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾، لا شك فيه، و﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، قال: كرامة لهم هداهم إليه، وأما قوله سبحانه: و﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، يعنى بالغيب لا إله إلا الله، وبما جاء به محمد ﷺ، ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يعنى الصلاة المكتوبة، ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [المائدة: ٥٥]، يعنى المفروضة، ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، قال روق: هذه للعرب خاصة. قال: وقال أبو صالح، قال الكلبى: قالت اليهود: جُدَىٌّ وحُيَىٌّ ومن معهما نحن المتقون الذين يؤمنون بالغيب آمنا بمحمد قبل أن يبعث. قال الكلبى: هاتان الآيتان نزلتا فى اليهود.

* * *

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال: حدثنا عبيد الله، قال: وحدثنى أبى، عن الهذيل، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: قال: فاتحة الكتاب مدنية.

قال: حدثنا عبيد الله، قال: وحدثنى أبى، عن الهذيل، عن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس، عن النبى ﷺ، قال: «فاتحة الكتاب مدنية».

سورة فاتحة الكتاب سبع آيات كوفية، وهى مدنية، ويقال: مكية[1].

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ [آية: ١]

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[2]، يعنى الشكر لله، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ٢]، يعنى الجن والإنس، مثل قوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [آية: ٣]، اسمان رفيقان، أحدهما أرق من الآخر ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾، يعنى المترحم، ﴿الرَّحِيمِ﴾، يعنى المتعطف بالرحمة، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [آية: ٤]، يعنى يوم الحساب، كقوله سبحانه: ﴿أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣]، يعنى لمحاسبون، وذلك أن ملوك الدنيا يملكون فى الدنيا، فأخبر سبحانه أنه لا يملك يوم القيامة أحد غيره، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

---

(١) كل ما ورد فى مكية بعض السور أومدنيتها من أقوال الصحابة والتابعين، انظر أسباب النزول للواحدى (١١).

(٢) انظر القراءة فى: (معانى القرآن للفراء ٣/١، إعراب القرآن للنحاس ١٢٠/١، إعراب القرآن للعكبرى ٣/١، الكشاف للزمخشرى ٨/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٣٦/١، مجمع البيان للطبرسى ٢١/١، شرح التصريح للشيخ خالد الأزهرى ٣٥٥/٢ الخصائص ١٤٧/٢).

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾، يعني نوحد، كقوله سبحانه في المفصل: ﴿ عَٰبِدَٰتٍ ﴾ [التحريم: ٥]، يعني موحدات، ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ (١) [آية: ٥] على عبادتك، ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ (٢) [آية: ٦]، يعني دين الإسلام؛ لأن غير دين الإسلام ليس بمستقيم، وفي قراءة ابن مسعود: ارشدنا، ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (٣)، يعني دلنا على طريق الذين أنعمت عليهم،

---

(١) وهي قراءة علي أيضا. انظر القراءة في: (البحر المحيط ٢٣/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٦/١، إعراب القرآن للنحاس ١٢٢/١، إعراب القرآن للعكبري، تفسير الآلوسي ٨٦/١).

(٢) قراءة الحسن رضي الله عنه: «اهْدِنا صراطا مستقيما» وهي أيضًا قراءة: زيد بن علي، والضحاك، ونصر بن علي أيضا. انظر: (إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٢٣، البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٦/١).

(٣) ذكر ابن جني عن أبو بكر أحمد بن موسى: أن فيها سبعَ قراءَات: عليهُمُو، وهي قراءة أبي عمرو، وابن كثير، وأبي جعفر، وابن أبي إسحاق، وقالون، وعيسى الثقفي، وابن محيصن، والأعرج، والخفاف، ومسلم بن جندب. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١٢٤/١، إعراب القرآن للعكبري ٦/١، البحر المحيط ٢٦/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٨/١، مجمع البيان للطبرسي ٢٨/١، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٢٤، التبيان في تفسير القرآن ٤٣/١، والتيسير للداني ١٩).

«وعليهُمْ»: وهي قراءة حمزة، وأبي الحسن الأخفش، ويعقوب، والمطوعي، والشنبوذي. انظر: (إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ١٢٤/١، الجامع لأحكام القرآن ١٤٨/١، إعراب القرآن للعكبري ٥/١، البحر المحيط لأبي حيان ٢٦/١ إتحاف فضلاء البشر ١٢٣، التبيان في تفسر القرآن للطوسي ٤٣١/١، الحجة المنسوب لابن خالويه ٦٣، الحجة لأبي زرعة ٨٠، السبعة في القراءات لابن مجاهد ١٠٨، غيث النفع للصفاقسي ٦٣، مجمع البيان للطبرسي ٢٨/١).

وعليهُمْ بسكون الميم مع ضمة الهاء، وهي قراءة حمزة، وأبي الحسن الأخفش، ويعقوب، والمطوعي، والشنبوذي. انظر: (إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ١٢٤/١، الجامع لأحكام القرآن ١٤٨/١، إعراب القرآن للعكبري ٥/١، البحر المحيط لأبي حيان ٢٦/١ إتحاف فضلاء البشر ١٢٣، التبيان فيَ تفسر القرآن للطوسي ٤٣١/١، الحجة المنسوب لابن خالويه ٦٣، الحجة لأبي زرعة ٨٠، السبعة في القراءات لابن مجاهد ١٠٨، غيث النفع للصفاقسي ٦٣، مجمع البيان للطبرسي ٢٨/١).

وعليهِمي وعليهِمْ بكسر الهاء وسكون الميم، وهيقراءة الحسن البصري، وعمرو بن فائد. انظر:=

يعنى النبيين الذين أنعم الله عليهم بالنبوة، كقوله سبحانه: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾ [مريم: ٥٨]، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، يعنى دلنا على دين غير اليهود الذين غضب الله عليهم، فجعل منهم القردة والخنازير، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [آية: ٧]، يقول: ولا دين المشركين، يعنى النصارى.

قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن مقاتل، عن مرثد، عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: قسمت هذه السورة بينى وبين عبدى نصفين، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يقول الله عز وجل: شكرنى عبدى، فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يقول الله: مدحنى عبدى، فإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، يقول الله: أثنى علىَّ عبدى، ولعبدى بقية السورة، وإذا قال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، يقول الله: هذه لعبدى إياى يستعين، وإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، يقول الله: فهذه لعبدى، وإذا قال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، يقول الله: فهذه لعبدى، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فهذه لعبدى» (١).

قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، قال: إذا قرأ أحدكم هذه السورة فبلغ خاتمتها، فقال: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فليقل: آمين، فإن الملائكة تؤمن، فإن وافق تأمين الناس، غفر للقوم ما تقدم من ذنوبهم.

=(إعراب القرآن للنحاس ١/١٢٤، البحر المحيط لأبى حيان ١/٢٦، إعراب القرآن للعكبرى ١/٥١، مجمع البيان للطبرسى ١/٢٨).

وعليهمُو بكسر الهاء وواو بعد الميم قراءة ابن كثير، والأعرج، وقالون. انظر: (السبعة فى القراءات لابن مجاهد ١٠٨، غيث النفع للصفاقسى ٦٣، البحر المحيط ١/٢٦، الحجة لأبى زرعة ٨٠، شرح الكافية للرضى ٢/١٢).

وعليهِمُ مكسورة الهاء مضمومة الميم من غير واو وهى قراءة الأعرج. انظر: (مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرسى ١/٢٨، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦١، البحر المحيط لأبى حيان ١/٢٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/١٤٩)..

(١) أورده السيوطى فى الدر المنثور (١/٦) وعزاه لمالك فى الموطأ، وسفيان بن عيينة فى تفسيره، وأبو عبيد فى فضائله، وابن أبى شيبة، وأحمد فى مسنده، والبخارى فى جزء القراءة، ومسلم فى صحيحه وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة وابن جرير وابن الأنبارى فى المصاحف وابن حبان والدارقطنى والبيهقى فى السنن عن أبى هريرة.

قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى هذيل، عن وكيع، عن منصور، عن مجاهد، قال: لما نزلت فاتحة الكتاب رنَّ إبليس.

قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن صالح، عن وكيع، عن سفيان الثورى، عن السدى، عن عبد خير، عن على، رضى الله عنه، فى قوله عز وجل: ﴿**سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي**﴾ [الحجر: ٨٧]، قال: هى فاتحة الكتاب.

* * *

سُورَةُ البَقَرَةِ

سورة البقرة مدنية، وهى مائتان وثمانون آية وعشر وست آيات كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾

﴿الٓمٓ﴾ (١) [آية: ١] ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، وذلك أن كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، لما دعاهما النبى ﷺ إلى الإسلام، قالا: ما أنزل الله كتابًا من بعد موسى، تكذيبًا به، فأنزل الله عز وجل فى قولهما: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، بمعنى هذا الكتاب الذى كفرت به اليهود، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، يعنى لا شك فيه أنه من الله جاء، وهو أنزله على محمد ﷺ، ثم قال: هذا القرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٢] من الشرك.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، يعنى يؤمنون بالقرآن أنه من الله تعالى جاء، وهو أنزله على محمد ﷺ، فيحلون حلاله ويحرمون حرامه، ويعملون بما فيه، ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبة الخمس، يعنى يقيمون ركوعها وسجودها فى مواقيتها، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الأموال ﴿يُنفِقُونَ﴾ [آية: ٣]، يعنى الزكاة المفروضة نظيرها فى لقمان، فهاتان الآيتان نزلتا فى مؤمنى أصحاب النبى ﷺ والمهاجرين.

---

(١) أورد السيوطى فى الدر المنثور فى تفسير هذه الأحرف آثار منها: ما أخرج وكيع وعبد بن حميد عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه كان يعد ﴿الم﴾ آية ﴿وحم﴾ آية.

وأخرج البخارى فى تاريخه والترمذى وصححه وابن الضريس ومحمد بن نصر وابن الأنبارى فى المصاحف والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو ذر الهروى فى فضائله والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشرة أمثالها. لا أقول ﴿ألم﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».

ثم ذكر مؤمنى أهل التوراة، عبد الله بن سلام وأصحابه، منهم: أسيد بن زيد، وأسد بن كعب، وسلام بن قيس، وثعلبة بن عمر، وابن يامين، واسمه سلام، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾، يعنى يصدقون ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يا محمد من القرآن أنه من الله نزل، ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ على الأنبياء، يعنى التوراة والإنجيل والزبور، ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٤]، يعنى يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال بأنه كائن، ثم جمعهم جميعًا، فقال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٥].

فلما سمع أبو ياسر بن أخطب اليهودى بهؤلاء الآيات، قال لأخيه جدى بن أخطب: لقد سمعت من محمد كلمات أنزلهن الله على موسى بن عمران، فقال جدى لأخيه: لا تعجل حتى تتثبت فى أمره، فعمد أبو ياسر وجدى ابنا أخطب، وكعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، ومالك بن الضيف، وحيى بن أخطب، وسعيد بن عمرو الشاعر، وأبو لبابة بن عمرو، ورؤساء اليهود، فأتوا النبى ﷺ، فقال جدى للنبى ﷺ: يا أبا القاسم، أخبرنى أبو ياسر بكلمات تقولهن آنفًا، فقرأهن النبى ﷺ، فقال جدى: صدقتم، أما ﴿الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾، فنحن هم، وأما ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ فهو كتابك، ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، فهو كتابنا، ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾، فأنتم هم قد آمنتم بما أنزل إليكم وإلينا، وآمنتم بالجنة والنار، فآيتان فينا وآيتان فيكم.

ثم قالوا للنبى ﷺ: ننشدك بالله أنها نزلت عليك من السماء، فقال النبى ﷺ: «أشهد بالله أنها نزلت علىَّ من السماء»، فذلك قوله سبحانه فى يونس: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي﴾ [يونس: ٥٣]، يعنى ويستخبرونك أحق هو؟ قل: ﴿إِي وَرَبِّي﴾، ويعنى بلى وربى إنه لحق. فقال جدى: لئن كنت صادقًا، فإنكم تملكون إحدى وسبعين سنة، ولقد بعث الله عز وجل فى بنى إسرائيل ألف نبى كلهم يخبرون عن أمتك ولم يخبرونا كم تملكون حتى أخبرتنا أنت الأن، ثم قال جدى لليهود: كيف ندخل فى دين رجل منتهى ملك أمته إحدى وسبعون سنة، فقال عمر بن الخطاب، رضوان الله عليه: وما يدريك أنها إحدى وسبعون سنة؟ فقال جدى: أما ألف

فى الحساب فواحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون سنة، فضحك رسول الله ﷺ، فقال جدى: هل غير هذا؟ فقال النبى ﷺ: «نعم، ﴿المص كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ » [الأعراف: ١، ٢].

فقال جدى: هذه أكبر من الأولى، ولئن كنت صادقًا، فإنكم تملكون مائتى سنة واثنتين وثلاثين سنة، ثم قال: هل غير هذا؟ فقال النبى ﷺ: «﴿الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ » [هود: ١]، فقال جدى: هذه أكبر من الأولى والثانية، وقد حكم وفصل، ولئن كنت صادقًا، فإنكم تملكون أربعمائة سنة وثلاثًا وستين سنة، فاتق الله ولا تقولن إلا حقًا، فهل غير هذا؟ فقال النبى ﷺ: «﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ » [الرعد: ١]، فقال جدى: لئن كنت صادقًا، فإنكم تملكون سبعمائة سنة وأربعًا وثلاثين سنة، ثم إن جدى قال: الأن لا نؤمن بما تقول، ولقد خلطت علينا، فما ندرى بأى قولك نأخذ، وأيما أنزل عليك نتبع، ولقد لبست علينا حتى شككنا فى قولك الأول، ولولا ذلك لاتبعناك.

قال أبو ياسر: أما أنا فأشهد أن ما أنزل على أنبيائنا حق، وأنهم قد بينوا لنا ملك هذه الأمة، فإن كان محمد صادقًا فيما يقول، ليجمعن له هذه السنون كلها، ثم نهضوا من عنده، فقالوا: كفرنا بقليله وكثيره، فقال جدى لعبد الله بن سلام وأصحابه: أما تعرفون الباطل فيما خلط عليكم؟ فقالوا: بلى نعرف الحق فيما يقول، فأنزل الله عز وجل فى كفار اليهود بالقرآن: ﴿الم اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ﴾ الذى لا يموت، ﴿الْقَيُّومُ﴾، يعنى القائم على كل شىء، ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ لم ينزل باطلاً، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، يقول سبحانه: قرآن محمد يصدق الكتب التى كانت قبله، ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾، يعنى لبنى إسرائيل من الضلالة، ثم قال عز وجل: ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ١ - ٤]، يعنى قرآن محمد بعد التوراة والإنجيل، يعنى بالفرقان المخرج من الشبهات والضلالة، نظيرها فى الأنبياء، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، يعنى المخرج. وفى البقرة: ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ﴾، اليهود كفروا بالقرآن، يعنى هؤلاء النفر المسلمين وأصحابهم، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ﴾ فى ملكه وسلطانه، ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤] من أهل معصيته.

وأنزلت أيضًا فى اليهود فى هؤلاء النفر وما يحسبون من المتشابه، ﴿هُوَ الَّذِىَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

فأما المحكمات، فالآيات الثلاث اللاتى فى الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، إلى قوله سبحانه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣]، فهن محكمات و لم ينسخهن شيء من الكتاب، وإنما سمين أم الكتاب؛ لأن تحريم هؤلاء الآيات فى كل كتاب أنزله الله عز وجل.

﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾، يعنى: ﴿آلم﴾، ﴿آلمص﴾، ﴿الر﴾، ﴿المر﴾، شبهوا على هؤلاء النفر من اليهود كم تملك هذه الأمة من السنين، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، يعنى ميل عن الهدى، وهم هؤلاء اليهود، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ﴾، يعنى الكفر، ﴿وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ﴾، يعنى منتهى كم يملكون. يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ﴾، يعنى كم تملك هذه الأمة من السنين، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ﴾، يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، يعنى بالقرآن كله، ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] يعنى من كان له لب أو عقل.

ثم قال ابن صلام وأصحابه: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ كما أزغت قلوب اليهود ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ إلى الإسلام، ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

فآيتان من أول هذه السورة نزلتا فى أصحاب النبى ﷺ المهاجرين والأنصار، والآيتان اللتان تليانهما نزلتا فى مشركى العرب، وثلاث عشرة آية فى المنافقين من أهل التوراة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [1] [آية: ٦]،

---

(١) قرئ «أنذرتهم»، بهمزة واحدة من غير مدّ، وهى قراءة ابن كثير، والزهرى، وابن محيصن. انظر: (الكشاف ١/٢٦، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، تفسير الفخر الرازى ١/١٧٨، الحجة لأبى زرعة ٨٦، الأشباه والنظائر ١/٤١، حاشية الخضرى ٢/٦٣).

يعنى لا يصدقون، ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، يعنى طبع الله على قلوبهم، فهم لا يعقلون الهدى، ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، يعنى آذانهم، فلا يسمعون الهدى، ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾، يعنى غطاء فلا يبصرون الهدى، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٧]، يعنى وافر لا انقطاع له.

نزلت هاتان الآيتان فى مشركى العرب، منهم: شيبة وعتبة ابنا ربيعة، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، اسمه عمرو، وعبد الله بن أبى أمية، وأمية بن خلف، وعمرو بن وهب، والعاص بن وائل، والحارث بن عمرو، والنضر بن الحارث، وعدى بن مطعم بن عدى، وعامر بن خالد، أبو البحترى بن هشام.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

ثم رجع إلى المنافقين، فقال عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، يعنى صدقنا بالله بأنه واحد لا شريك له، وصدقنا بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال بأنه كائن، فكذبهم الله عز وجل، فقال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٨]، يعنى بمصدقين بالتوحيد ولا بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾(١) حين أظهروا الإيمان بمحمد، وأسروا التكذيب، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية: ٩]، نزلت فى منافقى أهل الكتاب اليهود، منهم: عبد الله بن أبى بن سلول، وجد بن قيس، والحارث بن عمرو، ومغيث بن قشير، وعمرو بن زيد، فخدهم الله فى الآخرة حين يقول فى سورة الحديث: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]، فقال لهم استهزاء بهم كما استهزؤوا فى الدنيا بالمؤمنين حين قالوا: آمنا وليسوا بمؤمنين، وذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، أيضًا على الصراط حين يقال لهم: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾.

---

(١) قراءة أبى طالوت عبد السلام بن شدّاد، والجارُود بن أبى سَبْرة «وما يُخْدَعُونَ إلا أنْفُسَهُمْ»، بضم الياءِ وفتح الدال، انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١/١٠، البحر المحيط لأبى حيان ١/٥٧، الكشاف للزمخشرى ١/٣٢، الإنصاف (بحاشية الكشاف) لابن المنير الإسكندرى ١/٣٢، الجامع لأحكام القرآن ١/١٩٦، تفسير الفخر الرازى ١/١٩٢).

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾(١)، يعنى الشك بالله وبمحمد، نظيرها فى سورة محمد: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [محمد: ٢٩] يعنى الشك. ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ﴾، يعنى شكًا فى قلوبهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾، يعنى وجيع فى الآخرة، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [آية: ١٠] لقولهم: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، وذلك أن عبد الله بن أبى المنافق قال لأصحابه: انظروا إلىَّ وإلى ما أصنع، فتعلموا منى وانظروا دفعى فى هؤلاء القوم كيف أدفعهم عن نفسى وعنكم، فقال أصحابه: أنت سيدنا ومعلمنا، ولولا أنت لم نستطع أن نجتمع مع هؤلاء، فقال عبد الله بن أبيٍّ لأبى بكر الصديق وأخذ بيده: مرحبًا بسيد بنى تميم بن مرة، ثانى اثنين، وصاحبه فى الغار، وصفيه من أمته، الباذل نفسه وماله.

ثم أخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال: مرحبًا بسيد بنى عدى بن كعب، القوى فى أمر الله، الباذل نفسه وماله، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب، فقال: مرحبًا بسيد بنى هاشم، غير رجل واحد اختصه الله بالنبوة لما علم من صدق نيته ويقينه، فقال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه: ويحك يا ابن أبى، اتق الله ولا تنافق، وأصلح ولا تفسد، فإن المنافق شر خليقة الله، وأخبثهم خبثًا، وأكثرهم غشًا، فقال عبد الله بن أبى بن سلول: يا عمر مهلاً، فوالله لقد آمنت كإيمانكم، وشهدت كشهادتكم، فافترقوا على ذلك.

فانطلق أبو بكر وعمر وعلى، رحمة الله عليهم، إلى رسول الله ﷺ، فأخبروه بالذى قاله عبد الله، فأنزل الله عز وجل على نبيه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، يعنى لا تعملوا فى الأرض بالمعاصى، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [آية: ١١]، يعنى مطيعين.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

---

(١) قال ابن دريد عن أبى حاتم، عن الأصمعى، عن أبى عمرو: «فى قُلوبهم مَرْض» ساكنة. انظر: (الكشاف للزمخشرى ٣٢/١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٩٧/١، البحر المحيط لأبى حيان ٥٨/١، اللسان مادة «مرض»، جمهرة اللغة لابن دريد مادة «رضم»).

يقول الله سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ ، يعنى العاصين، ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [آية: ١٢] بأنهم مفسدون، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ نزلت فى منذر بن معاذ، وأبى لبابة، ومعاذ بن جبل، وأسيد، قالوا لليهود: صدقوا بمحمد إنه نبى، كما صدق به عبد الله بن سلام وأصحابه، فقالت اليهود: ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ﴾ ، يعنى نصدق، ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ ، يعنى الجهال، يعنون عبد الله بن سلام وأصحابه، يقول الله عز وجل ردًا عليهم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٣] بأنهم السفهاء.

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ، يعنى صدقوا من أصحاب النبى ﷺ، ﴿قَالُوٓا۟﴾ هم: ﴿ءَامَنَّا﴾ صدقنا بمحمد، ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ ، يعنى رؤساء اليهود: كعب بن الأشرف وأصحابه، ﴿قَالُوٓا۟﴾ لهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ على دينكم، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ١٤] بمحمد وأصحابه، فقال الله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ فى الآخرة إذا ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب على الصراط، فيبقون فى الظلمة حتى يقال لهم: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]، فهذا من الاستهزاء بهم، ثم قال سبحانه: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ ويلجهم ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [آية: ١٥]، يعنى فى ضلالتهم يترددون.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾(١)، وذلك أن اليهود وجدوا نعت محمد النبى ﷺ فى التوراة قبل أن يُبعث، فآمنوا به وظنوا أنه من ولد إسحاق، عليه السلام، فلما بُعث محمد ﷺ من العرب من ولد إسماعيل، عليه

---

(١) قراءَة يحيى بن يَعْمَر وابن أبى إسحاق، وأبى السَّمال: «اشتروا الضَّلالة». انظر: (الخصائص لابن جنى ٢/٣٣٧، ٣/١٣٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/٢١٠، مجمع البيان للطبرسى ١/٥٢، معانى القرآن للأخفش ١/٤٥ التبيان فى تفسير القرآن للطوسى ١/٨٢، إعراب القرآن للنحاس ١/١٤٢، البحر المحيط لأبى حيان ١/٧١، إعراب القرآن للعكبرى ١/١٢، الأشباه والنظائر للسيوطى ١/١٧٠، جمع الجوامع للسيوطى ١/١٨٢).

السلام، كفروا به حسدًا، واشتروا الضلالة بالهدى، يقول: باعوا الهدى الذى كانوا فيه من الإيمان بمحمد ﷺ قبل أن يُبعث، بالضلالة التى دخلوا فيها بعدما بُعث من تكذيبهم بمحمد ﷺ، فبئس التجارة، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [آية: ١٦] من الضلالة.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾

ثم ضرب الله للمنافقين مثلاً، فقال عز وجل: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ طفئت ناره، يقول الله عز وجل: مثل المنافق إذا تكلم بالإيمان كان له نور بمنزلة المستوقد نارًا يمشى بضوئها ما دامت ناره تتقد، فإذا ترك الإيمان كان فى ظلمة كظلمة من طفئت ناره، فقام لا يهتدى ولا يبصر، فذلك قوله سبحانه: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾، يعنى بإيمانهم، نظيرها فى سورة النور: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، يعنى به الإيمان، وقال سبحانه فى الأنعام: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، يعنى يهتدى به الذين تكلموا به، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾، يعنى الشرك، ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [آية: ١٧] الهدى.

﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿صُمٌّۢ﴾ لا يسمعون، يعنى لا يعقلون، ﴿بُكْمٌ﴾ خرس لا يتكلمون بالهدى، ﴿عُمْىٌ﴾ فهم لا يبصرون الهدى حين ذهب الله بنورهم، يعنى بإيمانهم، ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ١٨] عن الضلالة إلى الهدى، ثم ضرب للمنافقين مثلاً، فقال سبحانه: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، يعنى المطر، ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ مثل المطر مثل القرآن، كما أن المطر حياة الناس، فكذلك القرآن حياة لمن آمن به، ومثل الظلمات، يعنى الكافر بالقرآن، يعنى الضلالة التى هم فيها، ومثل الرعد ما خوفوا به من الوعيد فى القرآن، ومثل البرق الذى فى المطر مثل الإيمان، وهو النور الذى فى القرآن، ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾، يقول: مثل المنافق إذا سمع القرآن، فصهم أذنيه كراهية للقرآن، كمثل الذى جعل أصبعيه فى أذنيه من شدة الصواعق، ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾، يعنى مخافة الموت، يقول: كما كره الموت من الصاعقة، فكذلك

يكره الكافر القرآن، فالموت خير له من الكفر بالله عز وجل والقرآن، ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ١٩]، يعنى أحاطه علمه بالكافرين.

﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ﴾ الذى فى المطر ﴿يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ﴾[1]، يعنى يذهب بأبصارهم من شدة نوره، يقول سبحانه: مثل الإيمان إذا تكلم به المنافق مثل نور البرق الذى يكاد أن يذهب بأبصارهم، ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾ البرق ﴿مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾، يقول: كلما تكلموا بالإيمان مضوا فيه، يقول: ويضىء لهم نورًا يهتدون به، ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ﴾ البرق، أى ذهب ضوءه، ﴿قَامُواْۚ﴾ فى ظلمة لا يبصرون الهدى، ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ﴾ فلا يسمعون ﴿وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ﴾ فلا يرون أبدًا عقوبة لهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آية: ٢٠] من ذلك وغيره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾، يعنى المنافقين واليهود وحدوا ربكم، ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ ولم تكونوا شيئًا، ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ من الأمم الخالية ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾، يعنى لكى ﴿تَتَّقُونَ﴾ [آية: ٢١] الشرك وتوحدوا الله عز وجل إذا تفكرتم فى خلقكم وخلق الذين من قبلكم، ثم دل على نفسه بصنعه ليوحدوه وذكرهم النعم، فقال سبحانه: اعبدوا ربكم ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾، يعنى بساطًا، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾، يعنى سقفًا، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾، يعنى المطر، ﴿فَأَخۡرَجَ بِهِۦ﴾، يقول: فأخرج بالمطر من الأرض أنواعًا ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾، يقول: لا تجعلوا مع الله شركاء، ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٢٢] أن هذا الذى ذكر كله من صنعه، فكيف تعبدون غيره؟.

---

(١) عن ابن مجاهد قرئ «يَخَطِّف» بنصب الياءِ والخاءِ والتشديد، وهى قراءة الحسن البصرى، وأبى رجاء، ويونس، ومجاهد. انظر: (معانى القرآن للأخفش ١/٥٠، إعراب القرآن للعكبرى ١/١٣، البحر المحيط لأبى حيان ١/٩٠، إعراب القرآن للنحاس ١/١٤٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/٢٢٣، الكشاف للزمخشرى ١/٤٢، لسان العرب مادة «خطف» ٩/٧٥).

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)﴾

قالت اليهود، منهم: رفاعة بن زيد، وزيد بن عمرو: ما يشبه هذا الكلام الوحى، وإنا لفى شك منه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، يعنى فى شك، ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ من القرآن ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾، يعنى محمدًا ﷺ، ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن﴾ الله ﴿مِّثْلِهِ﴾، يعنى مثل هذا القرآن، ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾، يقول: واستعينوا بالآلهة التى تعبدون ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آية: ٢٣] بأن محمدًا ﷺ يقول من تلقاء نفسه.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)﴾

ثم يقول سبحانه: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾، يعنى تجيئوا به، فيها تقديمها، ولن تفعلوا ذلك، فإن تفعلوا فأتوا بسورة من مثل هذا القرآن، فلم يجيبوه وسكتوا، يقول الله سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1]، وتلك الحجارة تحت الأرض الثانية مثل الكبريت تجعل فى أعناقهم إذا اشتعلت فيها النار احترقت عامة اليوم، فكان وهجها على وجوههم، وذلك قوله سبحانه: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾، يعنى شدة العذاب ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٢٤].

ثم قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آية: ٢٤] بالتوحيد يخوفهم الله عز وجل، فلم يخافوا، فقالوا من تكذيبهم: هذه النار وقودها الناس، فما بال الحجارة، فرق المؤمنون عند التخويف.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)﴾

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، يعنى البساتين، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ﴾ كلما أطعموا منها

---

(١) انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/٥٠، البحر المحيط ١/١٠٧، إعراب القرآن للنحاس ١/١٥١، إعراب القرآن ١/١٥، الجامع لأحكام القرآن ١/٢٣٦، تفسير الفخر الرازى ١/٢٢٩).

من الجنة مـن ثمـرة، ﴿رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾، وذلـك أن لهـم فـى الجنـة رزقهم فيها بكرة وعشيًا، فإذا أتوا بالفاكهة فى صحاف الدر والياقوت فى مقدار بكـرة الدنيا وأتوا بالفاكهة غيرها على مقدار عشاء الدنيـا، فـإذا نظـروا إليـه متشـابه الألـوان، قالوا: هذا الذى رزقنا من قبل، يعنى أطعمنا بكرة، فإذا أكلوا وجدوا طعمـه غـير الـذى أتوا به بكرة، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾، يعنى يشبه بعضـه بعضًـا فـى الألوان، مختلفًا فى الطعم، ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ خلقن فـى الجنـة مع شـجرها وحللها، مطهرة من الحيض والغائط والبول والأقـذار كلـها، ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٢٥] لا يموتون.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾، وذلك أن الله عز وجل ذكر العنكبـوت والذباب فى القرآن، فضحكت اليهود، وقالت: ما يشبه هذا من الأمثال، فقال سبحانه: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾، يعنـى أن الله عـز وجـل لا يمنعـه الحيـاء أن يصـف للخلـق مثـلاً، ﴿مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[1]، يعنـى يصدقـون بـالقرآن، ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾، أى هـذا المثـل هـو ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بـالقرآن، يعنـى اليـهود، ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ الـذى ذكـر ﴿مَثَلًا﴾، إنما يقوله محمد من تلقاء نفسه وليس من الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾، أى يضـل الله بـهذا المثـل ﴿كَثِيرًا﴾ مـن النـاس، يعنى اليـهود، ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ﴾، أى بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ من الناس، يعنى المؤمنـين، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ﴾، أى

(١) قراءة رُؤبة: «مَثَلا ما بَعُوضَةٌ»، بالرفع. وهى قراءة الضحاك، وإبراهيـم بـن أبـى عبلـة، وقطـرب، ومالك بن دينار، وابن السماك. انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبـى ٢٤٣/١، البحـر المحيط لأبى حيان ١٢٣/١، إعراب القرآن للنحاس ١٥٣/١، إعراب القـرآن للعكـبرى ١٦/١، تفسـير الفخر الرازى ٢٣٨/١، شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك للأشمونى ١٦٨/١ حاشية الخضـرى ٨٠/١).

بهذا المثل ﴿إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [آية: ٢٦]، يعنى اليهود.

ثم أخبر فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾، فنقضوا العهد الأول، ونقضوا ما أخذ عليهم فى التوراة أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأن يؤمنوا بالنبى ﷺ، وكفروا بعيسى وبمحمد، عليهما السلام، وآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يعنى ويعملون فيها بالمعاصى، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ٢٧] فى العقوبة، يعنى اليهود، ونظيرها فى الرعد: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من إيمان بمحمد ﷺ، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ بأنه واحد لا شريك له، ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾، يعنى نطفًا ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾، يعنى فخلقكم، وذلك قوله سبحانه: ﴿يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ﴾ [الروم: ١٩]، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند إحيائكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ من بعد الموت يوم القيامة، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٢٨]، فيجزيكم بأعمالكم، فأما اليهود، فعرفوا وسكتوا، وأما المشركون، فقالوا: أئذا كنا ترابًا، من يقدر أن يبعثنا من بعد الموت؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من شىء ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ فبدأ بخلقهن، وخلق الأرض ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾، يعنى فخلقهن ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾، فهذا أعظم من خلق الإنسان، وذلك قوله سبحانه: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من الخلق ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٢٩] بالبعث وغيره.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَإِذْ﴾، يعنى وقد ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وذلك

أن الله عز وجل خلق الملائكة والجن قبل خلق الشياطين والإنس، وهو آدم، عليه السلام، فجعلهم سكان الأرض، وجعل الملائكة سكان السماوات، فوقع فى الجن الفتن والحسد، فاقتتلوا، فبعث الله جندًا من أهل سماء الدنيا، يقال لهم: الجن، إبليس عدو الله منهم، خلقوا جميعًا من نار، وهم خزان الجنة رأسهم إبليس، فهبطوا إلى الأرض، فلم يكلفوا من العبادة فى الأرض ما كلفوا فى السماء، فأحبوا القيام فى الأرض، فأوحى الله عز وجل إليهم: إنى جاعل فى الأرض خليفة سواكم ورافعكم إلىَّ، فكرهوا ذلك؛ لأنهم كانوا أهون الملائكة أعمالاً، ﴿ **قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا** ﴾، يقول: أتجعل فى الأرض ﴿ **مَن يُفۡسِدُ فِيهَا** ﴾، يعنى من يعمل فيها بالمعاصى ﴿ **وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ** ﴾ بغير حق كفعل الجن، ﴿ **وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** ﴾، يقول: نحن نذكرك بأمرك، كقوله سبحانه: ﴿ **وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ** ﴾ [الرعد: ١٣]، يعنى يذكره بأمره، ونقدس لك ونصلى لك ونعظم أمرك.

﴿ **قَالَ** ﴾ الله سبحانه: ﴿ **إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ** ﴾ [آية: ٣٠] إن فى علمى أنكم سكان السماء، ويكون آدم وذريته سكان الأرض، ويكون منهم من يسبح بحمدى ويعبدنى، فخلق آدم، عليه السلام، من طين أحمر وأبيض من السبخة والعذبة، فمن ثم نسله أبيض وأحمر وأسود مؤمن وكافر، فحسد إبليس تلك الصورة، فقال للملائكة الذين هم معه: أرأيتم هذا الذى لم تروا شيئًا من الخلق على خلقته، إن فضل علىَّ ماذا تصنعون؟ قالوا: نسمع ونطيع لأمر الله، وأسر عدو الله إبليس فى نفسه، لئن فضل آدم عليه لا يطيعه وليستزنه، فترك آدم طينًا أربعين سنة مصورًا، فجعل إبليس يدخل من دبره ويخرج من فيه، ويقول: أنا نار وهذا طين أجوف، والنار تغلب الطين ولأغلبنه، فذلك قوله عز وجل: ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [سبأ: ٢٠]، يعنى قوله يومئذ: لأغلبنه، وقوله: لأحتنكن، يعنى لأحتوين على ذريته إلا قليلاً، فقال للروح: ادخلى هذا الجسد، فقالت: أى رب، أين تدخلنى هذا الجسد المظلم؟ فقال الله تبارك وتعالى: ادخليه كرهًا، فدخلته كرهًا، وهى لا تخرج منه إلا كرهًا، ثم نفخ فيه الروح من قبل رأسه، فترددت الروح فيه حتى بلغت نصف جسده موضع السرة، فجعل للقعود، فذلك قوله تعالى: ﴿ **وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً** ﴾ [الإسراء: ١١]، فجعلت الروح تتردد فيه حتى بلغت أصابع الرجلين، فأرادت أن تخرج منها، فلم تجد منفذًا، فرجعت إلى الرأس، فخرجت من المنخرين، فعطس عند ذلك

لخروجها من منخريه، فقال: الحمد لله، فكان أول كلامه، فرد ربه عـز وجـل: يرحمـك الله، لهذا خلقتك، تسبح بحمدى وتقدس لى، فسبقت رحمته لآدم عليه السلام.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾(١)، ثـم إن الله تبـارك وتعـالى حشـر الطـير والـدواب وهوام الأرض كلها، فعلم آدم، عليه السلام، أسماءها، فقال: يا آدم، هـذا فـرس، وهـذا بغل، وهذا حمار، حتى سمى له كل دابة وكل طير باسمه، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾، ثم عرض أهل تلك الأسماء على الملائكة الذين هم فى الأرض، ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى﴾، يعنى أخـبرونى ﴿بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾، يعنـى دواب الأرض كلـها ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [آيـة: ٣١] بأنى جاعل فى الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قَالُوا۟﴾ قـــالت الملائكـــة: ﴿سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٣٢].

قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: قـال مقـاتل: قـال الله عز وجل لهم: كيف تدعون العلم فيما لم يخلق بعـد ولم تـروه وأنتـم لا تعلمـون مـن ترون.

﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قَالَ﴾ الله عـز وجـل لآدم: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ﴾(٢)، يقـول: أخـبر الملائكـة

---

(١) قراءَة يزيد البربرى: «وعُلِّمَ آدمُ الأسماءَ كلُّها» ، وقراءة الحسن البصرى، واليمانى. انظر: (البحـر المحيط لأبى حيان ١/١٤٥، الكشاف للزمخشرى ١/٦٢، إعراب القرآن للعكبرى، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٣٢).

(٢) قراءَة الحسـن رحمـه الله: «أنْبِـهِمْ» ، وقـراءة ابـن كثـير، والأعـرج، والقـواس. انظـر: (الكشـاف للزمخشرى ١/٦٢، البحر المحيط لأبى حيان ١/١٤٩، إعراب القرآن للعكبرى ١/١٨).

وروى عنه: «أنبيهُمُ» ، قراءة حمزة، والحسن. انظر: (غيث النفع للصفاقسى ١٠٦، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٣٣).

=

بأسماء دواب الأرض والطير كلها، ففعل، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ﴾ ما يكون فى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾، يعنى ما أظهرت الملائكة لإبليس من السمع والطاعة للرب ﴿وَ﴾ أعلم ﴿مَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى إبليس وحده ما كان أسر إبليس فى نفسه من المعصية لله عز وجل فى السجود لآدم.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

ثم قال: ﴿وَإِذۡ﴾، يعنى وقد ﴿قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين خلقوا من مارج من نار السموم ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ وحده، فاستثنى لم يسجد ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾، يعنى وتكبر عن السجود لآدم، وإنما أمره الله عز وجل بالسجود لآدم لما علم الله منه، فأحب أن يظهر ذلك للملائكة ما كان أسر فى نفسه، قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿وَكَانَ﴾ إبليس ﴿مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٣٤] الذين أوجب الله عز وجل لهم الشقاء فى علمه، فمن ثم لم يسجد.

﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾، يعنى حواء خلقا يوم الجمعة، ﴿وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ﴾، يعنى ما ﴿شِئۡتُمَا﴾، وإذا شئتما من حيث شئتما، ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، يعنى السنبلة، وهى الحنطة، ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٣٥] لأنفسكما.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾، يقول سبحانه: فاستزلهما الشيطان عنها، يعنى عن الطاعة، وهو إبليس، ﴿فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾ من الخير فى الجنة، ﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ﴾ منها، يعنى آدم وحواء وإبليس بوحى منه، فهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس

= وعن ابن عامر «أنبئْهِم» بهمز وكسر الهاء. انظر: (مجمع البيان للطبرسى ١/٧٨، السبعة فى القراءات لابن مجاهد ١٥٣، البحر المحيط لأبى حيان ١/١٤٩).

=

بالبصرة، وهى الأيلة، وهبط آدم فى واد اسمه نوذ فى شعب يقال له: سرنديب، فاجتمع آدم وحواء بالمزدلفة، فمن ثم جمع لاجتماعهما بها، ثم قال: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، فإبليس لهما عدو، وهما إبليس عدو، ثم قال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [آية: ٣٦]، يعنى بلاغًا إلى منتهى آجالكم الموت.

﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨)﴾

وهبط إبليس قبل آدم، ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ بعدما هبط إلى الأرض يوم الجمعة، يعنى بالكلمات أن قال: رب، أكان هذا شىء كنت قدرته علىَّ قبل أن تخلقنى، فسبق لى به الكتاب أنى عامله، وسبقت لى منك الرحمة حين خلقتنى؟ قال: نعم يا آدم، قال: يا رب، خلقتنى بيدك، فسويتنى ونفخت من روحك، فعطست فحمدتك، فدعوت لى برحمتك، فسبقت رحمتك إلىَّ غضبك؟ قال: نعم يا آدم، قال: أخرجتنى من الجنة، وأنزلتنى إلى الأرض يا رب، إن تبت وأصلحت ترجعنى إلى الجنة؟ قال الله عز وجل له: نعم يا آدم، فتاب آدم وحواء يوم الجمعة، فعند ذلك قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿فَتَابَ﴾ الله عز وجل ﴿عَلَيْهِ﴾ يوم الجمعة، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [آية: ٣٧] لخلقه، ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾، يعنى من الجنة جميعًا، آدم، وحواء، وإبليس، فأوحى الله إليهم بعدما هبطوا، ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾، يعنى ذرية آدم، فإن يأتيكم يا ذرية آدم ﴿مِّنِّي هُدًى﴾، يعنى رسولاً وكتابًا فيه البيان، ثم أخبر بمستقر من اتبع الهدى فى الآخرة، قال سبحانه: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾، يعنى رسولى وكتابى، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آية: ٣٨] من الموت.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)﴾

ثم أخبر بمستقر من ترك الهدى، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ برسلى ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آية: ٣٩] لا يموتون.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠)﴾

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [(١)]، يعنى أجدادهم، فكانت النعمة حين أنجاهم من آل فرعون، وأهلك عدوهم، وحين فرق البحر لهم، وحين أنزل عليهم المن والسلوى، وحين ظلل عليهم الغمام بالنهار من حر الشمس، وجعل لهم عمودًا من نور يضىء لهم بالليل إذا لم يكن ضوء القمر، وفجر لهم اثنى عشر عينًا من الحجر، وأعطاهم التوراة فيها بيان كل شىء، فدلهم على صنعه ليوحدوه عز وجل.

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾، يعنى اليهود، وذلك أن الله عز وجل عهد إليهم فى التوراة أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وأن يؤمنوا بمحمد ﷺ وبالنبيين والكتاب، فأخبر الله عز وجل عنهم فى المائدة، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾، يعنى ونصرتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المائدة: ١٢]، فهذا الذى قال الله: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ الذى عهدت إليكم فى التوراة، فإذا فعلتم ذلك ﴿أُوفِ﴾ لكم ﴿بِعَهۡدِكُمۡ﴾، يعنى المغفرة والجنة، فعاهدهم إن أوفوا له بما قال المغفرة والجنة، فكفروا بمحمد ﷺ، وبعيسى، عليه السلام، فذلك قوله سبحانه: ﴿لأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [المائدة: ١٢]، فهذا وفاء الرب عز وجل لهم، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [آية: ٤٠]، يعنى وإياى فخافون فى محمد ﷺ، فمن كذب به فله النار.

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾

ثم قال: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا﴾ نزلت فى كعب بن الأشرف وأصحابه رءوس اليهود، يقول: صدقوا بما أنزلت من القرآن على محمد مصدقًا ﴿لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ يقول: محمد تصديقه معكم أنه نبى رسول، ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ﴾، يعنى محمدًا، فتتابع اليهود كلها على كفر به، فلما كفروا تتابعت اليهود كلها، أهل خيبر، وأهل فدك، وأهل قريظة وغيرهم على الكفر بمحمد ﷺ، ثم قال لرءوس اليهود: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾، وذلك أن رءوس اليهود كتموا أمر محمد ﷺ فى التوراة، وكتموا

---

(١) قراءة الحسن والزهرى وابن أبى إسحاق، وعيسى الثقفى والأعمش «إسْرايِيل» بلا همز. وقراءة حمزة، والأزرق، وأبى جعفر، والمطوعى عيسى بن عمر. انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ١/١٧١، الجامع لأحكام القرآن ١/٣٣١، إتحاف فضلاء البشر ١٣٥).

أمره عن سفلة اليهود، وكانت للرؤساء منهم مأكلة فى كل عام من زرعهم وثمارهم، ولو تابعوا محمدًا ﷺ لحبست تلك المأكلة عنهم، فقال الله لهم: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، يعنى بكتمان بعث محمد ﷺ عرضًا قليلاً من الدنيا مما تصيبون من سفلة اليهود، ثم خوفهم ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [آية: ٤١] فى محمد، فمن كذب به فله النار.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾

ثم قال لليهود: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾، وذلك أن اليهود يقرون ببعض أمر محمد ويكتمون بعضًا ليصدقوا فى ذلك، فقال الله عز وجل: ولا تخلطوا الحق بالباطل، نظيرها فى آل عمران والأنعام: ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ [الأنعام: ٨٢]، يعنى ولم يخلطوا بشرك ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾، أى ولا تكتموا أمر محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤٢] أن محمدًا نبى ونعته فى التوراة.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

وقال لليهود: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فى مواقيتها ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، يعنى وأعطوا الزكاة من أموالكم، ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آية: ٤٣]، يعنى اليهود صلوا مع المصلين، يعنى مع المؤمنين من أصحاب النبى محمد ﷺ.

﴿۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾، وذلك أن اليهود قالوا لبعض أصحاب النبى ﷺ: إن محمدًا حق فاتبعوه ترشدوا، فقال الله عز وجل لليهود: ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾، يعنى أصحاب محمد، ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾، يقول: وتتركون أنفسكم فلا تتبعوه، ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾، يعنى التوراة فيها بيان أمر محمد ونعته، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٤٤] أنتم فتتبعونه.

ثم قال: ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ على طلب الآخرة ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على الفرائض، ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ الخمس حافظوا عليها فى مواقيتها، ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾، يعنى حين صرفت القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، فكبر ذلك على اليهود منهم: جدىّ بن أخطب،

وسعيد بن عمرو الشاعر وغيرهم، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [آية: ٤٥]، يعنى إلا على المتواضعين من المؤمنين، لم يكبر عليهم تحويل القبلة، ثم نعت الخاشعين، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ ، يعنى يعلمون يقينًا ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ ، يعنى فى الآخرة، ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [آية: ٤٦] فيجزيهم بأعمالهم.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٧)﴾

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ، يعنى اليهود بالمدينة، ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ ، يعنى أجدادكم، والنعمة عليهم حين أنجاهم من آل فرعون، فأهلك عدوهم، والخير الذى أنزل عليهم فى أرض التيه، وأعطاهم التوراة، ثم قال: ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٤٧]، يعنى عالمى ذلك الزمان، يعنى أجدادهم من غير بنى إسرائيل.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨)﴾

ثم خوفهم، فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ﴾ ، يقول: لا تغنى نفس كافرة ﴿عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ من المنفعة فى الآخرة، ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ ، يعنى من هذه النفس الكافرة، ﴿شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ ، يعنى فداء، كفعل أهل الدنيا بعضهم من بعض، ثم قال: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [آية: ٤٨]، يقول: ولا هم يمنعون من العذاب.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)﴾

ثم ذكرهم النعم ليوحدوه، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ ، يعنى أنقذناكم ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ ، يعنى أهل مصر، ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ ، يعنى يعذبونكم شدة العذاب، يعنى ذبح الأبناء واستحياء النساء؛ لأن فرعون أمر بذبح البنين فى حجور أمهاتهم، ثم بين العذاب، فقال: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ فى حجور أمهاتهم، ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ ، يعنى قتل البنين وترك البنات، قتل منهم فرعون ثمانية عشر طفلاً مخافة أن يكون فيهم مولود يكون هلاكه فى سببه، يقول الله عز وجل: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ ، يعنى فيما يخبركم من قتل الأبناء وترك البنات ﴿بَلَآءٌ﴾ ، يعنى نقمة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٤٩] فاذكروا فضله عليكم حين أنجاكم من آل فرعون.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ وذلك أنه فرق البحر يمينًا وشمالاً كالجبلين المتقابلين كل واحد منهما على الآخر، وبينهما كوى من طريق إلى طريق، ينظر كل سبط إلى الآخر ليكون آنس لهم، ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾، يعنى أهل مصر، يعنى القبط ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آية: ٥٠] أجدادهم يعلمون أن ذلك حق، وكان ذلك من النعم.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ﴾، يعنى الميعاد ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، يعنى ثلاثين من ذى القعدة وعشر ليال من ذى الحجة، فكان الميعاد الجبل؛ ليعطى التوراة، وكان موسى، عليه السلام، أخبر بنى إسرائيل بمصر، فقال لهم: إذا خرجنا منها أتيناكم من الله عز وجل بكتاب يبين لكم فيه ما تأتون وما تتقون، فلما فارقهم موسى مع السبعين، واستخلف هارون أخاه عليهم، اتخذوا العجل، فذلك قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾، يقول: من بعد انطلاق موسى إلى الجبل ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آية: ٥١]، وذلك أن موسى قطع البحر يوم العاشر من المحرم، فقال بنو إسرائيل: وعدتنا يا موسى أن تأتينا بكتاب من ربنا إلى شهر، فأتنا بما وعدتنا، فانطلق موسى وأخبرهم أنه يرجع إلى أربعين يومًا عن أمر ربه عز وجل، فلما سار موسى فدنا من الجبل، أمر السبعين أن يقيموا فى أصل الجبل، وصعد موسى الجبل، فكلم ربه تبارك اسمه، وأخذ الألواح فيها التوراة، فلما مضى عشرون يومًا، قالوا: أخلفنا موسى العهد، فعدوا عشرين يومًا وعشرين ليلة، فقالوا: هذا أربعون يومًا، فاتخذوا العجل، فأخبر الله عز وجل موسى بذلك على الجبل، فقال موسى لربه: من صنع لهم العجل؟ قال: السامرى صنعه لهم، قال موسى لربه: فمن نفخ فيه الروح؟ قال الرب عز وجل: أنا، فقال موسى: يا رب، السامرى سنع لهم العجل فأضلهم، وصنعت فيه الخوار، فأنت فتنت قومى، فمن ثم قال الله عز وجل: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥]، يعنى الذين خلفهم مع هارون سوى السبعين حين أمرهم بعبادة العجل.

فلما نزل موسى من الجبل إلى السبعين، أخبرهم بما كان، و لم يخبرهم بأمر العجل،

فقال السبعون لموسى: نحن أصحابك جئنا معك و لم نخالفك فى أمر، ولنا عليك حق، فأرنا الله جهرة، يعنى معاينة، كما رأيته، فقال موسى: والله ما رأيته، ولقد أردته على ذلك فأبى، وتجلى للجبل فجعله دكًا، يعنى فصار دكًا، وكان أشد منى وأقوى، فقالوا: إنا لا نؤمن بك ولا نقبل ما جئت به حتى نريناه معاينة، فلما قالوا ذلك أخذتهم الصاعقة، يعنى الموت عقوبة، فذلك قوله سبحانه: ﴿**فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ**﴾ [البقرة: ٥٥]، يعنى الموت، نظيرها: ﴿**وَخَرَّ موسَى صَعِقًا**﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يعنى ميتًا، وكقوله عز وجل: ﴿**فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ**﴾ [الزمر: ٦٨]، يعنى فمات ﴿**وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ**﴾، يعنى السبعين.

ثم أنعم الله عليهم فبعثهم، وذلك أنهم لما صعقوا قام موسى يبكى، وظن أنهم إنما صعقوا بخطيئة العجل، فقال عز وجل فى سورة الأعراف: ﴿**رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا**﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وقال: يا رب، ما أقول لبنى إسرائيل إذا رجعت إليهم وقد أهلكت أحبارهم، فبعثهم الله عز وجل لما وجد موسى من أمرهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿**ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [آية: ٥٢]، يقول: لكى تشكروا ربكم فى هذه النعمة، فبعثوا يوم ماتوا، ثم انصرفوا مع موسى راجعين، فلما دنوا من العسكر على ساحل البحر، سمعوا اللغط حول العجل، فقالوا: هذا قتال فى المحلة، فقال موسى، عليه السلام: ليس بقتال، ولكنه صوت الفتنة، فلما دخلوا المعسكر رأى موسى ماذا يصنعون حول العجل، فغضب وألقى الألواح، فانكسر منها لوحان، فارتفع من اللوح بعض كلام الله عز وجل، فأمر بالسامرى فأخرج من محلة بنى إسرائيل، ثم عمد إلى العجل فبرده بالمبرد وأحرقه بالنار، ثم ذراه فى البحر، فذلك قوله: ﴿**لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا**﴾ [طه: ٩٧].

فقال موسى: إنكم ظلمتم، أى ضررتم، أنفسكم باتخاذكم العجل إلهًا من دون الله سبحانه وتعالى، فتوبوا إلى بارئكم، يعنى خالقكم، وندم القوم على صنيعهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿**وَلَمَّا سُقِطَ فَى أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ**﴾، يعنى أشركوا بالله عز وجل، ﴿**قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الأعراف: ١٤٩]، فقالوا: كيف لنا بالتوبة يا موسى، قال: اقتلوا أنفسكم، يعنى يقتل بعضكم بعضًا، كقوله سبحانه فى النساء: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ**﴾، يقول: لا يقتل بعضكم بعضًا، ﴿**إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾ [النساء: ٢٩]، يعنى ذلك القتل والتوبة خير لكم عند بارئكم، يعنى عند خالقكم.

قالوا: قد فعلنا، فلما أصبحوا أمر موسى، عليه السلام، البقية الاثنى عشر ألفًا الذين لم يعبدوا العجل أن يقتلوهم بالسيف والخناجر، فخرج من كل بنى أب على حدة من منازلهم، فقعدوا بأفنية بيوتهم، فقال بعضهم لبعض: هؤلاء إخوانكم أتوكم شاهرين السيوف، فاتقوا الله واصبروا، فلعنة الله على رجل حل حبوبه، أو قام من مجلسه، أو اتقى بيد أو رجل، أو حار إليهم طرفة عين، قالوا: آمين، فقتلوهم من لدن طلوع الشمس إلى انتصاف النهار يوم الجمعة، وأرسل الله عز وجل عليهم الظلمة حتى لا يعرف بعضهم بعضًا، فبلغت القتلى سبعين ألفًا، ثم أنزل الله عز وجل الرحمة، فلم يحد فيهم السلاح، فأخبر الله عز وجل موسى، عليه السلام، أنه قد نزلت الرحمة، فقال لهم: قد نزلت الرحمة، ثم أمر موسى المنادى فنادى: أن ارفعوا سيوفكم عن إخوانكم، فجعل الله عز وجل القتلى شهداء، وتاب الله على الأحياء، وعفى عن الذين صبروا للقتل، فلم يقتلوا، فمن مات قبل أن يأتيهم موسى، عليه السلام، على عبادة العجل دخل النار، ومن هرب من القتل لعنهم الله، فضربت عليهم الذلة والمسكنة، فذلك قوله: ﴿**سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [الأعراف: ١٥٢]، وذلك قوله سبحانه: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ**﴾ [الأعراف: ١٦٧].

فكان الرجل يأتى نادى قومه وهم جلوس، فيقتل من العشرة ثلاثة ويدع البقية، ويقتل الخمسة من العشرين، ومن كتب عليهم الشهادة ويبقى الذين لم يقض لهم أن يقتلوا، فذلك قوله عز وجل: ﴿**ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم**﴾، فلم نهلككم جميعًا ﴿**مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ**﴾، يعنى بعد العجل ﴿**لَعَلَّكُمْ**﴾، يعنى لكى ﴿**تَشْكُرُونَ**﴾ [البقرة: ٥٢] ربكم فى هذه النعم، يعنى العفو، فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم، وذلك قوله سبحانه فى الأعراف: ﴿**وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا**﴾، يعنى من بعد عبادة العجل ﴿**وَآمَنُوا**﴾، يعنى وصدقوا بأن الله واحد لا شريك له، ﴿**إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الأعراف: ١٥٣] لذو تجاوز عنهم رحيم بهم عند التوبة.

﴿**وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾**﴾

﴿**وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ**﴾، يعنى التوراة، ﴿**وَٱلْفُرْقَانَ**﴾، يعنى النصر حين فرق بين الحق والباطل، ونصر موسى وأهلك فرعون، نظيرها فى الأنفال قوله سبحانه:

﴿وَمَا أنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾، يعنى يوم النصر، ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، فنصر الله عز وجل المؤمنين وهزم المشركين، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آية: ٥٣] من الضلالة بالتوراة، يعنى بالنور.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٥٤]، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آية: ٥٥]، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٥٦].

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾، وذلك أن موسى، عليه السلام، قالت له بنو إسرائيل وهم فى التيه: كيف لنا بالأبنية، وقد نزلنا فى القفر، وخرجنا من العمران، من حر الشمس، فظلل الله عز وجل عليهم الغمام الأبيض يقيهم حر الشمس، ثم إنهم سألوا موسى، عليه السلام، الطعام، فأنزل الله عليهم طعام الجنة، وهو ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾، أما المن، فهو الترنجبين، فكان ينزل بالليل على شجرهم أبيض كالثلج، حلو مثل العسل، فيغدون عليه كل إنسان صاع لكل ليلة، فيغدون عليه فيأخذون ما يكفيهم ليومهم، ذلك لكل رجل صاع، ولا يرفعون منه فى غد، ويأخذون يوم الجمعة ليومين؛ لأن السبت كان عندهم لا يشخصون فيه ولا يعملون، كان هذا لهم فى التيه، وتنبت ثيابهم مع أولادهم، فأما الرجال، فكانت ثيابهم عليهم لا تبلى ولا تنخرق ولا تدنس.

وأما السلوى، فهو الطير، وذلك أن بنى إسرائيل سألوا موسى اللحم وهم فى التيه، فسأل موسى ربه عز وجل، فقال الله: لأطعمنهم أقل الطير لحمًا، فبعث الله سبحانه السماء، فأمطرت لهم السلوى وهى السمانا، وجمعتهم ريح الجنوب، وهى طير حمر تكون فى طريق مصر، فأمطرت قدر ميل فى عرض الأرض، وقدر رمح فى السماء

بعضه على بعض، فقال الله عز وجل لهم: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ﴾، يعنى من حلال، كقوله: ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦]، يعنى حلالاً طيبًا فى غير مأثم، وإذا وجدوا الماء فهو حرام، فمن ثم قال: ﴿طَيِّبًا﴾، يعنى حلالاً من ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من السلوى، ولا تطغوا فيه، يعنى تعصوا الله فى الرزق فيما رزقكم، ولا ترفعوا منه لغد، فرفعوا وقددوا مخافة أن ينفد، ولو لم يفعلوا لدام لهم ذلك، فقددوا منه ورفعوا فدود وتغير ما قددوا منه وما رفعوا فعصوا ربهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾، يعنى وما ضرونا، يعنى ما نقصونا من ملكنا بمعصيتهم شيئًا حين رفعوا وقددوا منه فى غد، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آية: ٥٧]، يعنى أنفسهم يضرون، نظيرها فى الأعراف قوله سبحانه: ﴿مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٠] إلى آخر الآية.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، يعنى إيلياء وهم يومئذ من وراء البحر، ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾، يعنى ما شئتم، وإذ شئتم، وحيث شئتم، ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾، يعنى باب إيلياء سجدًا، فدخلوا متحرفين على شق وجوههم، ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾، وذلك أن بنى إسرائيل خرجوا مع يوشع بن نون بن اليشامع بن عميهوذ بن غيران بن شوناخ بن إفراييم بن يوسف، عليه السلام، من أرض التيه إلى العمران حيال أريحا، وكانوا أصابوا خطيئة، فأراد الله عز وجل أن يغفر لهم، وكانت الخطيئة أن موسى، عليه السلام، كان أمرهم أن يدخلوا أرض أريحا التى فيها الجبارون، فلهذا قال لهم: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾، يعنى بحطة حط عنا خطايانا.

ثم قال: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٥٨] الذين لم يصيبوا خطيئة، فزادهم الله إحسانًا إلى إحسانهم، فلما دخلوا إلى الباب، فعل المحسنون ما أمروا به، وقال الآخرون: هطا سقماثا يعنون حنطة حمراء، قالوا: ذلك استهزاء وتبديلاً، لما أمروا به، فدخلوا مستقلين، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا﴾، يعنى عذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، كقوله

فى سورة الأعراف: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ [الأعراف: ٧١]، يعنى عذابًا، ويقال: الطاعون، ويقال: الظلمة شبه النار، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [آية: ٥٩]، وأهلك منهم سبعون ألفًا فى يوم واحد عقوبة لقولهم: هطا سقماثا، فهذا القول ظلمهم.

﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾، وهم فى التيه، قالوا: من أين لنا شراب نشرب؟ فدعا موسى، عليه السلام، ربه أن يسقيهم، فأوحى الله عز وجل إلى موسى، عليه السلام: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾، وكان الحجر خفيفًا مربعًا، فضربه، ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ﴾ من الحجر ﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾، فرووا بإذن الله عز وجل، وكانوا اثنى عشر سبطًا، لكل سبط من بنى إسرائيل عين تجرى على حدة، لا يخالطهم غيرهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾، يعنى كل سبط مشربهم، يقول الله عز وجل: ﴿كُلُوا۟﴾ من المن والسلوى، ﴿وَٱشْرَبُوا۟﴾ من العيون، وهو ﴿مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ حلالاً طيبًا، فذلك قوله سبحانه: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يقول: لا تعلوا ولا تسعوا فى الأرض ﴿مُفْسِدِينَ﴾ [آية: ٦٠]، يقول: لا تعملوا فى الأرض بالمعاصى، فرفعوا من المن والسلوى لغد، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ﴾ [طه: ٨١]، يقول: لا ترفعوا منه لغد، وكان موسى ﷺ إذا ظعن حمل الحجر معه، وتنصب العيون منه.

ثم إنهم قالوا: يا موسى، فأين اللباس؟ فجعلت الثياب تطول مع أولادهم، وتبقى على كبارهم، ولا تمزق ولا تبلى ولا تدنس، وكان لهم عمود من نور يضىء لهم بالليل إذا ارتحلوا وغاب القمر، فلما طال عليهم المن والسلوى، سألوا موسى نبات الأرض،

فذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ﴾ فى التيه ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ ، يعنى المن والسلوى، ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ (١)، يعنى الثوم(٢)، ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ ، فغضب موسى، عليه السلام، ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ ، يقول: الذى هو دون المن والسلوى من نبات الأرض ﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ ، يعنى المن والسلوى، فقال موسى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾ من الأمصار، ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ من نبات الأرض، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ ، يعنى على اليهود الذلة، وهى الجزية، ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ ، يعنى الفقر، ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ، يعنى استوجبوا غضب الله عز وجل، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذل والمسكنة الذى نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ، يعنى القرآن، ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [آية: ٦١] فى أديانهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ ، يعنى اليهود، ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ ، وهم قوم يصلون للقبلة، يقرءون الزبور ويعبدون الملائكة، وذلك أن سلمان الفارسى كان من جند سابور، فأتى النبى ﷺ، فأسلم، وذكر سلمان أمر الراهب وأصحابه، وأنهم مجتهدون فى دينهم يصلون ويصومون، فقال النبى ﷺ: «هم فى النار»، فأنزل الله عز وجل فيمن صدق منهم بمحمد ﷺ وبما جاء به: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ، يعنى صدقوا، يعنى أقروا وليسوا بمنافقين، ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ ، يقول: من صدق منهم بالله عز وجل، بأنه واحد لا

---

(١) قراءة يحيى بن وثاب والأشهب: «وقُثّائها»، وقراءة طلحة بن مصرف. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١/١٨١، إعراب القرآن للعكبرى ١/٢٣، الكشاف للزمخشرى ١/٧٢، البحر المحيط لأبى حيان ١/٢٣٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/٤٢٤).

(٢) قراءة ابن مسعود وابن عباس: «وثُومِها»، بالثاءِ. وقال أبو الفتح: يقال: الثُّومُ والفُومُ بمعنى واحد؛ كقولهم: جدث وجدف، وقام زيد ثم عمرو، ويقال أيضا فمَّ عمرو. فالفاءُ بدل فيهما جميعا، ألا ترى إلى سعة تصرف الثاءِ فى جدث؛ لقولهم أجداث ولم يقولوا أجداف، وإلى كثرة ثُمَّ وقلة فُمَّ؟ ويقال: الفومُ: الحنطة انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤١، الكشاف للزمخشرى ١/٧٢، جامع البيان للطبرى ٢/١٢٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١/٤٢٥، البحر المحيط لأبى حيان ١/٢٣٣، تفسير الفخر الرازى ١/٣٦٦، اللسان مادة «فوم»).

شريك له، وصدق بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، بأنه كائن، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من نزول العذاب، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آية: ٦٢] عند الموت، يقول: إن الذين آمنوا، يعنى صدقوا بتوحيد الله تعالى، ومن آمن من الذين هادووا ومن النصارى ومن الصابئين، من آمن منهم بالله واليوم الآخر فيما تقدم إلى آخر الآية.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ فى التوراة، وأن تعملوا بما فيها، فلما قرأوا التوراة وفيها الحدود والأحكام، كرهوا أن يقروا بما فيها، رفع الله عز وجل عليهم الجبل ليرضخ به رءوسهم، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾، يعنى الجبل، فلما رأوا ذلك أقروا بما فيها، فذلك قوله: ﴿وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧١]، ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾، يقول: ما أعطيناكم من التوراة بالجد والمواظبة عليه، ﴿وَاذْكُرُوا﴾ يقول: احفظوا ﴿مَا فِيهِ﴾ من أمره ونهيه ولا تضيعوه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [آية: ٦٣]، يقول: لكى تتقوا المعاصى.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ يقول: أعرضتم ﴿مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ عن الحق من بعد الجبل، ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾، يعنى نعمته لعاقبكم، و﴿لَكُنتُم﴾ فى الآخرة ﴿مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آية: ٦٤] فى العقوبة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾، يعنى اليهود ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾، فصادوا فيه السمك، وكان محرمًا عليهم صيد السمك يوم السبت، فأمهلهم الله سبحانه بعد صيد السمك سنين، ثم مسخهم الله قردة، فذلك قوله: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ﴾ بوحى ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [آية: ٦٥]، يعنى صاغرين.

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ لبنى إسرائيل ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾، يقول: أخذناهم بمعاصيهم قبل صيد الحيتان، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ ما استنوا من سنة سيئة، فاقتدى بها من بعدهم، فالنكال هى العقوبة، ثم مسخهم الله عز وجل فى زمان داود، عليه السلام، قردة ثم حذر هذه الأمة، فقال سبحانه: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٦٦]، يعنى تعظهم يا محمد أن يركبوا ما ركبت بنو إسرائيل من المعاصى، فيستحلوا محرمًا أو صيدًا فى حرم الله، أو تستحلوا أنتم حرامًا لا ينبغى فينزل بكم من العقوبة مثل ما نزل بالذين استحلوا صيد السمك يوم السبت.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ يا بنى إسرائيل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ بأرض مصر قبل الغرق، وذلك أن أخوين كانا فى بنى إسرائيل، فقتلا ابن عم لهما ليلاً بمصر ليرثاه، ثم حملاه فألقياه بين القريتين. قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن أبى مليكة، عن ابن عباس، رضى الله عنه، أنه قال: قاسوا ما بين القريتين، فكانتا سواء، فلما أصبحوا أخذوا أهل القرية، فقالوا: والله ما قتلناه ولا علمنا له قاتلاً، قالوا: يا موسى، ادع لنا ربك يطلع على القاتل إن كنت نبيًا كما تزعم، فدعا موسى ربه عز وجل، فأتاه جبريل، عليه السلام، فأمره بذبح بقرة، فقال لهم موسى: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، فتضربوه ببعضها فيحيا، فيخبركم بقاتله، واسم المقتول عاميل، فظنوا أنه يستهزئ بهم، فقالوا: نسألك عن القاتل لتخبرنا به، فتأمرنا بذبح بقرة استهزاء بنا، فذلك قولهم لموسى: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [آية: ٦٧]، يعنى من المستهزئين، فعلموا أن عنده علم ذلك.

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

﴿قَالُواْ﴾ يا موسى، ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾، أى سل لنا ربك ﴿يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ﴾، إن ربكم يقول: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾، يعنى ليست بكبيرة ولا بكر، أى شابة، ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَۖ﴾، يعنى بالعوان بين الكبيرة والشابة، ﴿فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [آية: ٦٨]، فانطلقوا ثم رجعوا إلى موسى، ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾، أى سل ربك ﴿يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾، يعنى صافية اللون نقية ﴿تَسُرُّ﴾، يعنى تعجب ﴿ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [آية: ٦٩]، يعنى من رآها، فشددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، قال النبى ﷺ: «إنما أمروا ببقرة، ولو عمدوا إلى أدنى بقرة لأجزأت عنهم، والذى نفس محمد بيده، لو لم يستثنوا ما بينت لهم آخر الأبد».

فانطلقوا ثم رجعوا ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ تشكل ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [آية: ٧٠]، لو لم يستثنوا لم يهتدوا لها أبدًا، فعند ذلك هموا أن يفعلوا ما أمروا، ولو أنهم عمدوا إلى الصفة الأولى فذبحوها لأجزأت عنهم.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ﴾، أى قال موسى: إن الله يقول: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾، يقول: ليست بالذلول التى يعمل عليها فى الحرث، ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾، يقول: ليست بالذلول التى يسقى عليها بالسواقى الماء للحرث، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾، يعنى صحيحة ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾، يقول: لا وضح فيها، يقول: ليس فيها سواد ولا بياض ولا حمرة، ﴿قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ﴾ يا موسى ﴿جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ﴾، يقول: الأن بينت لنا الحق، فانطلقوا حتى وجدوها عند امرأة اسمها نوريا بنت رام، فاستاموا بها، فقالوا لموسى: إنها لا تباع إلا بملء مسكها ذهبًا، قال موسى: لا تظلموا، انطلقوا اشتروها بما عز وهان، فاشتروها بملء مسكها ذهبًا، ﴿فَذَبَحُوهَا﴾، فقالوا لموسى: قد ذبحناها، قال: خذوا منها عضوًا فاضربوا به القتيل، فضربوا القتيل بفخذ البقرة اليمنى، فقام القتيل وأوداجه تشخب دمًا، فقال: قتلنى فلان وفلان، يعنى ابنى عمه، ثم وقع ميتًا، فأخذا فقتلا، فذلك قوله سبحانه ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٧١].

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ

ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾، فاختلفتم في قتلها، فقال أهل هذه القرية الأخرى: أنتم قتلتموه، وقال الآخرون: أنتم قتلتموه، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [آية: ٧٢]، يعني كتمان قتل المقتول، ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ﴾، يقول: هكذا ﴿يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾، فكان ذلك من آياته وعجائبه، ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ يقول: لكي ﴿تَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ٧٣]، فتعتبروا في البعث، وإنما فعل الله ذلك بهم؛ لأنه كان في بني إسرائيل من يشك في البعث، فأراد الله عز وجل أن يعلمهم أنه قادر على أن يبعث الموتى، وذلك قوله سبحانه، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ فتعتبروا في البعث.

فقالوا: نحن لم نقتله، ولكن كذب علينا، فلما كذبوا المقتول، ضرب الله لهم مثلاً، وذلك قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم﴾ في الشدة، فلم تطمئن، يعني تلين، حتى كذبتم المقتول، ثم قال: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾، يعني من بعد حياة المقتول، ﴿فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ﴾ فشبه قلوبهم حين لم تلن بالحجارة في الشدة، ثم عذر الحجارة وعاب قلوبهم، فقال: فهي كالحجارة في القسوة، ﴿أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾، ثم قال: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ﴾ ما هي ألين من قلوبهم، فمنها ﴿لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا﴾، يعني ما ﴿يَشَّقَّقُ﴾، يعني يتصدع، ﴿فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ﴾، يقول: من بعض الحجارة الذي يهبط من أعلاه، فهؤلاء جميعًا ﴿مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ﴾ يفعلون ذلك، وبنو إسرائيل لا يخشون الله، ولا ترق قلوبهم كفعل الحجارة، ولا يقبلون إلى طاعة ربهم، ثم وعدهم، فقال عز وجل: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٧٤] من المعاصي.

﴿۞أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿۞أَفَتَطۡمَعُونَ﴾ أي النبي ﷺ وحده، ﴿أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ﴾، أن يصدقوا قولك يا محمد، يعني يهود المدينة، ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ﴾ على عهد موسى، عليه السلام، ﴿يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، وذلك أن السبعين الذين اختارهم موسى حين قالوا: ﴿أَرِنَا

اللّهِ جَهْرَةً﴾ ، فعاقبهم الله عز وجل وأماتهم عقوبة، وبقى موسى وحده يبكى، فلما أحياهم الله سبحانه، قالوا: قد علمنا الأن أنك لم تر ربك، ولكن سمعت صوته، فأسمعنا صوته، قالو موسى: أما هذا فعسى، قال موسى: يا رب، إن عبادك هؤلاء بنى إسرائيل يحبون أن يسمعوا كلامك، فقال: من أحب منهم أن يسمع كلامى فليعتزل النساء ثلاثة أيام، وليغتسل يوم الثالث، وليلبس ثيابًا جددًا، ثم ليأتى الجبل فأسمعه كلامى.

ففعلوا ذلك، ثم انطلقوا مع موسى إلى الجبل، فقال لهم موسى: إذا رأيتم السحابة قد غشيت، ورأيتم فيها نورًا، وسمعتم فيها صوتًا، فاسجدوا لربكم، وانظروا ما يأمركم به فافعلوا، قالوا: نعم، فصعد موسى، عليه السلام، الجبل، فجاءت الغمامة، فحالت بينهم وبين موسى، ورأوا النور، وسمعوا صوتًا كصوت الصور، وهو البوق، فسجدوا، وسمعوه وهو يقول: إنى أنا ربكم، لا إله إلا أنا الحى القيوم، وأنا الذى أخرجتكم من أرض مصر بيد رقيقة وذراع شديد، فلا تعبدوا إلهًا غيرى، ولا تشركوا بى شيئًا، ولا تجعلوا لى شبهًا، فإنكم لن ترونى، ولكن تسمعون كلامى، فلما أن سمعوا الكلام، ذهبت أرواحهم من هول ما سمعوا، ثم أفاقوا وهم سجود، فقالوا لموسى، عليه السلام: إنا لا نطيق أن نسمع كلام ربنا، فكن بيننا وبين ربنا، فليقل لك وقل أنت لنا، قال موسى: يا رب، إن بنى إسرائيل لم يطيقوا أن يسمعوا كلامك، فقل لى وأقل لهم، قال الله عز وجل: نعم ما رأوا.

فجعل الله عز وجل يأمر موسى، ثم يخبرهم موسى، ويقولون: سمعنا ربنا وأطعنا، فلما فرغ من أمره ونهيه، ارتفعت السحابة، وذهب الصوت، فرفع القوم رءوسهم، ورجعوا إلى قومهم، قيل لهم: ماذا أمركم به ربكم ونهاكم عنه؟ فقال بعضهم: أمرنا بكذا وكذا، ونهانا عن كذا وكذا، وقال آخرون: واتبع فى آخر قوله: إن لم تستطيعوا ترك ما نهاكم عنه، فافعلوا ما تستطيعون، فذلك قوله سبحانه: ﴿**۞أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ**﴾ ، يعنى طائفة من بنى إسرائيل، ﴿**يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ**﴾ ﴿**ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ**﴾ وفهموه، ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آية: ٧٥] أنهم حرفوا الكلام.

﴿**وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٧٦**﴾

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾، يعنى صدقنا بمحمد، عليه السلام، بأنه نبى، وذلك أن الرجل المسلم كان يلقى من اليهود حليفه أو أخاه من الرضاعة، فيسأله: أتجدون محمدًا فى كتابكم، فيقولون: نعم، إن نبوة صاحبكم حق، وإنا نعرفه، فسمع كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، ومالك بن الضيف، وجدى بن أخطب، فقالوا لليهود فى السر: أتحدثون أصحاب محمد ﷺ بما فتح الله لكم، يعنى بما بين لكم فى التوراة من أمر محمد ﷺ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم﴾، يعنى ليخاصموكم ﴿بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ باعترافكم أن محمدًا، عليه السلام، نبى ثم لا تتابعوه، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٧٦]، يعنى أفلا ترون أن هذه حجة لهم عليكم.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾

فقال الله عز وجل: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ فى الخلا ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [آية: ٧٧] فى الملاء، فيقول بعضهم لبعض: أتحدثونهم بأمر محمد ﷺ، أولا يعلمون حين قالوا: إنا نجد محمدًا فى كتابنا وإنا لنعرفه، ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾، يقول: من اليهود من لا يقرأ التوراة إلا أن يحدثهم عنها رءوس اليهود، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [آية: ٧٨] فى غير يقين ما يستيقنون به، فإن كذبوا رءوس اليهود أو صدقوا تابعوهم باعترافهم، فليس لهم بالتوراة علم إلا ما حدثوا عنها.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾، سوى نعت محمد، عليه السلام، وذلك أن رءوس اليهود بالمدينة محوا نعت محمد ﷺ من التوراة، وكتبوا سوى نعته، وقالوا لليهود سوى نعت محمد، ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا﴾ النعت ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، يعنى عرضًا يسيرًا مما يعطيهم سفلة اليهود كل سنة من زروعهم وثمارهم، يقول: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، يعنى فى التوراة من تغيير نعت محمد ﷺ، ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [آية: ٧٩] من تلك المآكل على التكذيب بمحمد ﷺ، ولو تابعوا محمدًا، عليه السلام، إذًا لحبست عنهم تلك المآكل.

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَقَالُوا۟﴾، يعنى اليهود ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾؛ لأنا أبناء الله وأحباؤه، يعنى ولد أنبياء الله، إلا أربعين يومًا التى عبد آباؤنا فيها العجل، ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾، فعلمتم بما عهد إليكم فى التوراة، فإن كنتم فعلتم ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ﴾، يعنى بل تقولون ﴿عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٨٠]، فإنه ليس بمعذبكم إلا تلك الأيام، فإذا مضت تلك الأيام مقدار كل يوم ألف سنة، قالت الخزنة: يا أعداء الله، ذهب الأجل وبقى الأبد، وأيقنوا بالخلود.

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

فلما قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة، أكذبهم الله عز وجل، فقال: ﴿بَلَىٰ﴾ يخلد فيها ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾، يعنى الشرك، ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ حتى مات على الشرك، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٨١]، يعنى لا يموتون، ثم بين مستقر المؤمنين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٨٢] لا يموتون.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَإِذْ﴾، يعنى ولقد ﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، يعنى برًا بهما ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾، يعنى ذوى القرابة صلته، ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ واليتيم أن تصدق عليه وابن السبيل، يعنى الضيف أن تحسن إليه، ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، يعنى حقًا، نظيرها فى طه قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ [طه: ٨٦] يعنى حقًا، وقوله: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، يعنى ﴿لِلنَّاسِ﴾ أجمعين صدقًا فى محمد وعن الإيمان.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يعنى أتموا الصلاة لمواقيتها، ﴿وَءَاتُواْ﴾ وأعطوا ﴿ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾، يعنى أعرضتم عن الإيمان، فلم تقروا ببعث محمد ﷺ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آية: ٨٣]، يعنى ابن سلام، وسلام بن قيس، وثعلبة بن سلام، وقيس ابن أخت عبد الله بن سلام، وأسيد وأسد ابنى كعب، ويامين، وابن يامين، وهم مؤمنو أهل التوراة. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ فى التوراة، يعنى ولقد أخذنا ميثاقكم فى التوراة ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾، يقول: لا يقتل بعضكم بعضًا، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾، يعنى لا يخرج بعضكم بعضًا ﴿مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ بهذا ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [آية: ٨٤] أن هذا فى التوراة.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ معشر اليهود بالمدينة ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾، يعنى يقتل بعضكم بعضًا، ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا﴾، يعنى طائفة ﴿مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ﴾، يعنى تعاونون ﴿عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ﴾، يعنى بالمعصية ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾، يعنى بالظلم، ومكتوب عليهم فى التوراة أن يفدوا أسراهم فيشتروهم إذا أسرهم أهل الروم فى القتال إن كان عبدًا أو أمة، يقول الله عز وجل: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، يقول: تصدقون ببعض ما فى التوراة لمن يقتل، والإخراج من الديار، فهو محرم عليكم إخراجهم، ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ﴾، يعنى الهوان ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، فكان خزى أهل قريظة القتل والسبى، وخزى أهل النضير الجلاء والنفى من منازلهم وجناتهم التى بالمدينة إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام، فكان هذا خزيًا لهم وهوانًا لهم، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾، يعنى رءوس اليهود، يقول: هم أشد عذابًا، يعنى رءوس اليهود من أهل ملتهم؛ لأنهم أول من كفر بمحمد ﷺ من اليهود، ثم أوعدهم، فقال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٨٥].

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا﴾، يعنى اختاروا ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾، يقول: باعوا الآخرة بالدنيا مما يصيبون من سفلة اليهود من المآكل، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ فى الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [آية: ٨٦]، يعنى ولا هم يمنعون من العذاب.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، يقول: أعطينا موسى التوراة، ﴿وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ﴾، يقول: وأتبعنا من بعد موسى ﴿بِالرُّسُلِ﴾ إلى قومهم، ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾، يقول: وأعطينا عيسى ابن مريم العجائب التى كان يصنعها من خلق الطير، وإبراء الأكمه والأبرص، وأحياء الموتى بإذن الله، ثم قال سبحانه: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، يقول: وقوينا عيسى بجبريل، عليهما السلام، فقالت اليهود عند ذلك: فجئنا يا محمد بمثل ما جاء به موسى من الآيات كما تزعم، يقول الله عز وجل: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ﴾، يعنى اليهود، ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾، يعنى تكبرتم عن الإيمان برسولى، يعنى محمدًا ﷺ، ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾، يعنى طائفة من الأنبياء كذبتم بهم، منهم عيسى ومحمد ﷺ، ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [آية: ٨٧]، يعنى وطائفة قتلتموهم، منهم زكريا، ويحيى، والأنبياء أيضًا، فعرفوا أن الذى قال لهم النبى ﷺ حق فسكتوا.

﴿وَقَالُوا﴾ للنبى ﷺ: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، يعنى فى غطاء، ويعنون فى أكنة عليها الغطاء، فلا تفهم ولا تفقه ما تقول يا محمد، كراهية لما سمعوا من النبى ﷺ من قوله: «إنكم كذبتم فريقًا من الأنبياء وفريقًا قتلتم»، فإن كنت صادقًا فأفهمنا ما تقول، يقول الله عز وجل: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ فطبع على قلوبهم، ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٨٨]، يعنى بالقليل بأنهم لا يصدقون بأنه من الله، وكفروا بما سواه مما جاء به

محمد ﷺ، فذلك قوله عز وجل فى النساء: ﴿فَلاَ يُؤْمِنُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٥٥]، وإنما سمى اليهود من قبل يهوذا بن يعقوب.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، يعنى قرآن محمد ﷺ، ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ فى التوراة بتصديق محمد ﷺ وقرآنه فى التوراة، نزلت فى اليهود، منهم: أبو رافع، وابن أبى الحقيق، وأبو نافع، وغرار، ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ أن يبعث محمد ﷺ رسولاً ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، نظيرها فى الأنفال: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾ [الأنفال: ١٩]، يعنى إن تستنصروا بخروج محمد ﷺ على مشركى العرب: جهينة، ومزينة، وبنى عذرة، وأسد، وغطفان، ومن يليهم، كانت اليهود إذا قاتلوهم قالوا: اللهم إنا نسألك باسم النبى الذى نجده فى كتابنا تبعثه فى آخر الزمان أن تنصرنا، فينصرون عليهم، فلما بعث الله عز وجل محمدًا ﷺ من غير بنى إسرائيل كفروا به وهم يعرفونه، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ محمد ﴿مَّا عَرَفُواْ﴾ أى بما عرفوا من أمره فى التوراة، ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٨٩]، يعنى اليهود.

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾، يقول: بئسما باعوا أنفسهم بعرض يسير من الدنيا مما كانوا يصيبون من سفلة اليهود من المأكل فى كل عام، ثم قال: ﴿أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن على محمد ﷺ، ﴿بَغْيًا﴾، يعنى حسدًا لمحمد، إذ كان من العرب، يقول الله عز وجل: ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ من النبوة والكتاب، ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، يعنى محمدًا ﷺ، ثم قال سبحانه: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾، يقول: استوجبوا بغضب من الله حين كفروا بعيسى ﷺ على غضب بكفرهم بمحمد ﷺ وبما جاء به، ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ من اليهود ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آية: ٩٠]، يعنى الهوان.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾

ثم قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾، يعنى اليهود، منهم: أبو ياسر، والنعمان بن أوفى، ﴿ءَامِنُوا۟﴾، يعنى صدقوا ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن على محمد، ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، يعنى التوراة، ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾، يعنى بما بعد التوراة الإنجيل والفرقان، ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾، يعنى قرآن محمد ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾، يقول تصديقًا لمحمد بما أنزل الله عليه من القرآن مكتوبًا عندهم فى التوراة، ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾، وذلك أن النبى ﷺ دعا اليهود إلى الإيمان، فقالوا للنبى ﷺ: آتنا بالآيات والقربان كما كانت الأنبياء تجىء بها إلى قومهم، يقول الله سبحانه: فقد كانت الأنبياء تجىء إلى آبائهم، فكانوا يقتلونهم، فقال الله عز وجل: قل يا محمد فلم تقتلون أنبياء الله من قبل، يقول: فلم قتلتم أنبياء الله ﴿مِن قَبْلُ﴾، يعنى آباءهم، وقد جاءوا بالآيات والقربان، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٩١]، يعنى إن كنتم صادقين بأن الله عهد إليكم فى التوراة ألا تؤمنوا بالرسول حتى يأتيكم بقربان تأكله النار، فقد جاءوا بالقربان، فلم قتلتموهم، يعنى أباءهم.

﴿۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾

ثم قال لمحمد ﷺ: قل لليهود: ﴿۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، يعنى بالآيات التسع، ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾، يعنى من بعد انطلاق موسى إلى الجبل، ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آية: ٩٢] لأنفسكم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾، يعنى وقد أخذنا ميثاقكم فى التوراة، يعنى اليهود، يعنى على أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تؤمنوا بالكتاب والنبيين، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾، حين لم يقبلوا التوراة، قال موسى: يا رب، إن عبادك لم يقبلوا

كتابك، وعصوا أمرك، فأمر الله عز وجل الملائكة وجبريل، فرفعوا من الأرض المقدسة جبلاً فوق رءوسهم، فحال الجبل بينهم وبين السماء، فقال موسى، عليه السلام، لبنى إسرائيل: إن لم تقبلوا التوراة طرح هذا الجبل، فيرضخ به رءوسكم، وكان الجبل منهم قدر ميل، فلما رأوا ذلك قبلوها، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧١]، ﴿خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾، يعنى ما آتيناكم من التوراة بالجد والمواظبة عليه، فرجع الجبل إلى مكانه، فقال موسى لبنى إسرائيل: ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾، يقول: اسمعوا ما فى التوراة من الحدود، والأحكام، والشدة، ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ بذلك الذى تخوفنا به من أمر الجبل، ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك، فلا نتبع ما جئتنا به من الشدة فى التوراة، والعجل كان أرفق بنا، وأهون علينا مما جئتنا به من الشدة، يقول الله عز وجل: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾، قال لهم موسى: أن تحبوا شيئًا دونه يعدل حبه فى قلوبكم، كحب الله خالقكم، ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٩٣]، كما تزعمون.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾

ثم أخبر أنه حين رفع الجبل عليهم والبحر من ورائهم، خافوا الهلكة، فقبلوا التوراة، ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾، يعنى الجنة، وذلك أن اليهود قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، وأن الله لن يعذبنا، فقال الله عز وجل للنبى ﷺ: قل لهم ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾ ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٩٤]، يقول: فأحبوا الموت إن كنتم أولياء الله وأحباؤه، وأنكم فى الجنة، قال الله عز وجل للنبى ﷺ: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى السَّبْتِ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، ألم أمسخهم قردة بمعصيتهم.

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

ثم أخبر عنهم بمعصيتهم، فقال: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾، يعنى ولن يحبوه أبدًا، يعنى

الموت، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من ذنوبهم وتكذيبهم بالله ورسوله، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [آية: ٩٥]، يعنى اليهود، فأبوا أن يتمنوه، فقال النبى ﷺ: «لو تمنوا الموت ما قام منهم رجل من مجلسه حتى يغصه الله عز وجل بريقه فيموت»، ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، أى وأحرص الناس على الحياة من الذين أشركوا، أى مشركى العرب، ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾، يعنى اليهود، ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾ فى الدنيا ﴿أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ فيها ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٩٦]، فأبوا أن يتمنوه، فقال النبى ﷺ: «لو تمنوا الموت ما قام منهم رجل من مجلسه حتى يغصه الله عز وجل بريقه فيموت».

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨)﴾

فقالت اليهود: إن جبريل لنا عدو، أمر أن يجعل النبوة فينا، فجعلها فى غيرنا من عداوته إيانًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾، يعنى اليهود، ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، يقول جبريل، عليه السلام: تلاه عليك ليثبت به فؤادك، يعنى قلبك، نظيرها فى الشعراء قوله سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، ثم قال: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، يعنى قرآن محمد ﷺ يصدق الكتب التى كانت قبله، ﴿وَهُدًى﴾، أى وهذا القرآن هدى من الضلالة، ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ لمن آمن به من المؤمنين، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٩٧].

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾، يعنى بالملائكة جبريل، ورسله يعنى محمدًا وعيسى ﷺ، كفرت اليهود بهم وبجبريل وبميكائيل، يقول الله عز وجل: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آية: ٩٨]، يعنى اليهود.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩) أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠)﴾

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، يعنى القرآن، ثم قال: ﴿بَيِّنَاتٍ﴾، يعنى ما فيه من الحلال والحرام، ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا﴾، يعنى بالآيات، ﴿إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [آية: ٩٩]، يعنى اليهود.

ثم قال سبحانه: ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا﴾ بينهم وبين النبى ﷺ ﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ من اليهود، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٠٠]، يعنى لا يصدقون بالقرآن أنه من الله جاء.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ﴾، يعنى اليهود، ﴿رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، يعنى محمدًا ﷺ، ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾، يعنى يصدق محمدًا أنه نبى رسول معهم فى التوراة، ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، يعنى جعل طائفة من اليهود ﴿كِتَـٰبَ ٱللَّهِ﴾، يعنى ما فى التوراة من أمر محمد، ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾، فلم يتبعوه ولم يبينوه للناس، ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٠١] بأن محمدًا رسول نبى؛ لأن تصديقه معهم، نزلت فى كعب ابن الأشرف، وكعب بن أسيد، وأبى ياسر بن أخطب، وسعيد بن عمرو الشاعر، ومالك بن الضيف، وحيى بن أخطب، وأبى لبابة بن عمرو.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾، يعنى اليهود، ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾، يعنى ما تلت الشياطين على عهد سليمان وفى سلطانه، وذلك أن طائفة من الشياطين كتبوا كتابًا فيه سحر، فدفنوه فى مصلى سليمان حين خرج من ملكه، ووضعوه تحت كرسيه، فلما توفى سليمان، استخرجوا الكتاب، فقالوا: إن سليمان تملككم بهذا الكتاب به كانت تجىء الريح، وبه سخرت الشياطين، فعلموه الناس، فأبرأ الله عز وجل منه سليمان، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾، فتركت اليهود كتاب الأنبياء واتبعوا ما قالت من السحر، ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ

﴿هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ (١)، أى واتبعوا ما أنزل على الملكين، يعنى هاروت وماروت، وكانا من الملائكة مكانهما فى السماء واحد، ثم قال: ببابل، أى وهما ببابل، وإنما سميت بابل؛ لأن الألسن تبلبلت بها حين ألقى إبراهيم ﷺ فى النار.

ثم قال: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وذلك أن هاروت وماروت يصنعان من السحر الفرقة، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ بعد قولهما: ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ إذا وصفا فيتعلمون منهما ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ (٢)، والفرقة أن يؤخذ الرجل عن امرأته، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ﴾، يعنى السحرة، ﴿بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ﴾، يعنى بالسحر من أحد، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فى ضره، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا

---

(١) قراءَة الحسن وابن عباس، والضحاك بن مزاحم، وعبد الرحمن بن أبزَى: «وما أُنزلَ عَلَى المِلِكين»، بكسر اللام، وقراءة وأبى الأسود الدؤلى، والحسن البصرى.
قيل: أراد «بالمِلِكين» داود وسليمان عليهما السلام.
قال أبو الفتح: إن قيل: كيف أطلق الله سبحانه على داود وسليمان اسم المِلك، وإنما هما عبدان له تعالى كسائر عبيده من الأَنبياءِ وغيرهم؟.
قيل: جاز ذلك؛ لأنه أطلق عليهما اللفظ الذى يُعتاد حينئذ فيهما، ويطلقه الناس عليهما، فخوطب الإنسان على ذلك باللفظ الذى يعتاده أهل الوقت إذ ذاك، ونظيره قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أنتَ العزيزُ الكَرِيم﴾ وإنما هو فى النار الذليل المهان، لكنه خوطب بما كان يخاطب به فى الدنيا، وفيه مع هذا ضرب من التبكيت له، والإذكار بسوءِ أفعاله، وقد مضى نحو هذا.
انظر: (الكشاف للزمخشرى ٨٥/١، مجمع البيان للطبرسى ١٧٠/١، معانى القرآن للفراء ٦٤/١، إعراب القرآن للعكبرى ٣٢/١، البحر المحيط لأبى حيان ٣٢٩/١، التبيان للطوسى ٣٧٠/١، ٣٧٣، جامع البيان للطبرى ٤٣٥/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٥٢/٢).
(٢) قراءَة الحسن وقَتَادة: «بَينَ المَرِ وَزَوجِهِ»، بفتح الميم وكسر الراءِ خفيفة من غير همز. قال أبو الفتح: أما قراءَة الحسن وقتادة: «بينَ المَرِ»، بفتح الميم وخفة الراءِ من غير همز فواضح الطريق؛ وذلك أنه على التخفيف القياسى، كقولك فى الخبءِ: هذا الخَبُ، ورأيت الخَبَ ومررت بالخَبِ، تحذف الهمزة وتلقى حركتها على الباءِ قبلها. وتقول فى الجُزءِ: هذا الجُزُ، ورأيتَ الجُزَ، ومررت بالجُزِ. وعليه القراءَة: «الَّذِى يُخْرِجُ الخَبَ فى السمواتِ والأَرض». وقراءة الزهرى.
انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ٣٣٢/١).
وقراءَة الزهرى «المَرِّ» بفتح الميم وتشديد الراءِ. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٣٣/١، البحر المحيط لأبى حيان ٣٣٢/١، الكشاف للزمخشرى ٨٦/١).
وقراءَة ابن أبى إسحاق: «المُرْء» بضم الميم وسكون الراء والهمز. انظر: (الكشاف للزمخشرى ٨٦/١، البحر المحيط لأبى حيان ٣٣٢/١).

﴿يَضُرُّهُمْ﴾، فيتعلمون السحر من الشياطين، والفرقة من هاروت وماروت، ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾.

ثم قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾، يقول: لقد علمت اليهود في التوراة لمن اختار السحر ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾، يقول: ما له في الآخرة من نصيب، نظيرها في براءة قوله سبحانه: ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٩]، وكقوله: ﴿أُوْلَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]، يعني نصيب، ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ﴾، يقول: باعوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ من السحر ﴿لَوْ﴾، يعني إن ﴿كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٠٢]، ولكنهم لا يعلمون.

كان أبو صالح يروي عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾، قال: وكان هاروت وماروت مطيعين لله عز وجل، هبطا بالسحر ابتلاء من الله لخلقه، وعهد إليهما عهدًا أن لا يعلما أحدًا سحرًا حتى يقولا له مقدمة: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾، يعني محنة وبلوى، ﴿فَلاَ تَكْفُرْ﴾، فإذا أبى عليهما إلا تعليم السحر، قالا له: اذهب إلى موضع كذا وكذا، فإنك إذا أتيته وفعلت كذا وكذا، كنت ساحرًا.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾

ثم قال لليهود: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾، يعني صدقوا بمحمد ﷺ، ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ الشرك، ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، يقول: لكان ثوابهم عند الله ﴿خَيْرٌ﴾ من السحر والكفر ﴿لَّوْ﴾، يعني إن ﴿كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٠٣]، نظيرها في المائدة: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ﴾ [المائدة: ٦٠]، يعني ثوابًا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾، وذلك أن المؤمنين قالوا للنبي ﷺ: راعنا سمك، كقولهم في الجاهلية بعضهم لبعض، وراعنا في كلام اليهود الشتم، فلما سمعت ذلك اليهود من المشركين أعجبهم، فقالوا مثل ذلك للنبي ﷺ، فقال رجل من الأنصار، وهو سعد بن عبادة الأنصاري لليهود: لئن قالها رجل منكم للنبي ﷺ لأضربن عنقه، فوعظ الله عز وجل المؤمنين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ﴾ للنبي ﷺ: ﴿رَٰعِنَا﴾ ﴿وَ﴾ لكن ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾، قولوا للنبي ﷺ اسمع منا، ثم قال:

﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ ما تؤمرون به، ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾، يعنى اليهود، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ١٠٤]، يعنى وجيعًا.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، منهم: قيس بن عمرو، وعازار بن ينحوم، وذلك أن الأنصار دعوا خلفاءهم من اليهود إلى الإسلام، فقالوا للمسلمين: ما تدعون إلى خير مما نحن عليه، ووددنا أنكم على هدى، وأنه كما تقولون، فكذبهم الله سبحانه، فقال: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ﴿وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾، يعنى دينه الإسلام، ﴿مَن يَشَآءُ﴾، نظيرها فى هل أتى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِى رَحْمَتِهِ﴾ [الإنسان: ٣١]، يعنى فى دينه الإسلام، فاختص المؤمنين، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ١٠٥]، فاختصهم لدينه.

﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾، يعنى نبدل من آية فنحولها فيها تقديم، يقول: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾، يقول: نأت من الوحى مكانها أفضل منها لكم وأنفع لكم، ثم قال: ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾، يقول: أو نأت بمثل ما نسخنا أو ننسها، يقول: أو نتركها كما هى، فلا ننسخها، وذلك أن كفار مكة قالوا للنبى ﷺ: إنما تقولت أنت يا محمد هذا القرآن من تلقاء نفسك، قلت كذا وكذا، ثم غيرت فقلت كذا وكذا، فأنزل الله عز وجل يعظم نفسه تبارك اسمه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ١٠٦]، من الناسخ والمنسوخ قدير.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا

تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، يحكم فيهما ما يشاء، ويأمر بأمر، ثم يأمر بغيره، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾، يعنى قريب ينفعكم، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [آية: ١٠٧]، يعنى ولا مانع يمنعكم من الله لقولهم: إن القرآن ليس من الله، وإنما تقوله محمد ﷺ من تلقاء نفسه، نظيرها فى براءة قوله سبحانه: ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى الأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤]، وقال عز وجل فى النحل: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١] أنك لن تقول إلا ما قيل لك.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ﴾، يعنى يقول: تريدون أن تسألوا محمدًا أن يريكم ربكم جهرة، ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ محمد، يعنى كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿أرِنَا اللَّهِ جَهْرَةً﴾، ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ﴾، يعنى من يشتر ﴿ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، يعنى اليهود، ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [آية: ١٠٨]، يعنى قد أخطأ قصد طريق الهدى، كقوله سبحانه فى القصص: ﴿عَسَى رَبِّى أَن يَهْدِيَنِى سَوَاء السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]، يعنى قصد الطريق.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وذلك أن نفرًا من اليهود، منهم: فنحاص، وزيد بن قيس، بعد قتال أُحُد، دعوا حذيفة، وعمارًا إلى دينهم، وقالوا لهما: إنكما لن تصيبا خيرًا للذى أصابهم يوم أُحُد من البلاء، وقالوا لهما: ديننا أفضل من دينكم، ونحن أهدى منكم سبيلاً، قال لهم عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد، قال عمار: فإنى عهدت ربى أن لا أكفر بمحمد أبدًا، ولا أتبع دينًا غير دينه، فقالت اليهود: أما عمار، فقد ضل وصبأ عن الهدى بعد إذ بصره الله، فكيف أنت يا حذيفة؟ ألا تبايعنا؟ قال حذيفة: الله ربى، ومحمد نبيي، والقرآن إمامى، أطيع ربى، وأقتدى برسولى، وأعمل بكتاب الله ربى حتى يأتينى اليقين على الإسلام، والله السلام ومنه السلام، فقالوا: وإله موسى، لقد أشربت قلوبكم حب محمد، فقال عمار: ربى أحمده، وربى أكرم محمدًا، ومنه اشتق الجلالة، إن محمدًا أحمد هو محمد.

ثم أتيا النبي ﷺ فأخبراه، فقال: «ما رددتما عليهما؟»، فقالا: قلنا: الله ربنا، ومحمد رسولنا، والقرآن إمامنا، الله نطيع، وبمحمد نقتدى، وبكتاب الله نعمل، فقال النبي ﷺ: «أصبتما أخا الخير، وأفلحتما»، فأنزل الله عز وجل يحذر المؤمنين: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ فى التوراة أن محمدًا نبى، ودينه الإسلام، ثم قال سبحانه: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾، يقول: اتركوهم واصفحوا، يقول: وأعرضوا عن اليهود، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾، فأتى الله عز وجل بأمره فى أهل قريظة القتل والسبى، وفى أهل النضير الجلاء والنفى من منازلهم وجناتهم التى بالمدينة إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ١٠٩]، من القتل والجلاء قدير.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١)﴾

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، يقول: وأتموها لمواقيتها، ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، يقول: آتوا زكاة أموالكم، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ فى الصدقة، ثم قال: ﴿تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية: ١١٠]، ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ﴾ على ديننا، ﴿هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾، يقول الله سبحانه: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾، يقول: تمنوا على الله، فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾، يعنى حجتكم من التوراة والإنجيل ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آية: ١١١] بما تقولون.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣)﴾

فأكذبهم الله عز وجل، فقال: ﴿بَلَىٰ﴾ لكن يدخلها ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾، يعنى أخلص دينه لله، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فى عمله، ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آية: ١١٢] عند الموت، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾، يعنى ابن صوريا وأصحابه، ﴿لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من الدين، فمالك يا محمد والنصارى اتبع ديننا، ﴿وَقَالَتِ

﴿ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ من الدين، فمالك يا محمد واليهود، اتبع ديننا، يقول الله عز وجل: ﴿وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَـٰبَۗ﴾، يقول: وهم يقرءون التوراة والإنجيل، يعني يهود المدينة ونصارى نجران، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعني هكذا، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ بتوحيد ربهم، يعني مشركي العرب أن محمدًا وأصحابه ليسوا على شيء من الدين، يقول الله: ﴿مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ﴾، يعني مثل ما قالت اليهود والنصارى بعضهم لبعض، فذلك قوله سبحانه في المائدة: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤]، يقول: ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ﴾، يعني بين مشركي العرب وبين أهل الكتاب، ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ﴾ من الدين ﴿يَخۡتَلِفُونَ﴾ [آية: ١١٣].

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١٤﴾

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾، نزلت في الطياخوس بن ببليس الرومي ومن معه من أهل الروم، يقول: فلا أحد أظلم ﴿مِمَّن مَّنَعَ﴾، يعني نصارى الروم ﴿مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾، يعني بيت المقدس أن يصلى فيه، ﴿أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾، يعني التوحيد، ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ﴾، وذلك أن الروم ظهروا على اليهود، فقتلوهم وسبوهم وخربوا بيت المقدس، وألقوا فيه الجيف، وذبحوا فيه الخنازير، ثم كان على عهد الروم الثانية ططسر بن سناباتوس، ويقال: اصطفانوس، فقتلهم وخرب بيت المقدس، فلم يعمر حتى بناه المسلمون في زمان عمر بن الخطاب، رضوان الله عليه، يقول الله عز وجل: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾، يعني أهل الروم ﴿مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ﴾، يعني الأرض المقدسة إذ بعث محمد ﷺ ﴿إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾، فلا يدخل بيت المقدس اليوم الرومي إلا خائفًا متنكرًا، فمن قدر عليه منهم، فإنه يعاقب، ثم أخبر عن أهل الروم، فقال: ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾، يعني الهوان إن لم تقتل مقاتلتهم وتسب ذراريهم بأيدي المسلمين في ثلاث مدائن: قسطنطينية، والرومية، ومدينة أخرى وهي عمورية، فهذا خزيهم في الدنيا، ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آية: ١١٤] من النار.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ١١٥ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَـٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ١١٦

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾، وذلك أن ناسًا من المؤمنين كانا فى سفر، فحضرت الصلاة فى يوم غيم، فمنهم من صلى قبل المشرق، ومنهم من صلى قبل المغرب، وذلك قبل أن تحول القبلة إلى الكعبة، فلما طلعت الشمس عرفوا أنهم قد صلوا لغير القبلة، فقدموا المدينة، فأخبروا النبى ﷺ بذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾ تحولوا وجوهكم فى الصلاة، ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ فثم الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾، لتوسيعه عليهم فى ترك القبلة حين جهلوها، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ١١٥] بما نووا، وأنزل الله عز وجل: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧] إلى آخر الآية.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ﴾، إنما نزلت فى نصارى نجران السيد والعاقب ومن معهما من الوفد قدموا على النبى ﷺ بالمدينة، فقالوا: عيسى ابن الله، فأكذبهم الله سبحانه وعظم نفسه، تعالى عما يقولون، فقال: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [آية: ١١٦]، يعنى لله، يعنى من فيهما، يعنى عيسى ﷺ وغيره عبيده، وفى ملكه، ثم قال: قانتون، يعنى مقرون بالعبودية، ثم عظم نفسه، فقال: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ابتدعهما ولم يكونا شيئًا، ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ فى علمه أنه كائن، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آية: ١١٧]، لا يثنى قوله كفعل المخلوقين، وذلك أن الله عز وجل، قضى أن يكون عيسى ﷺ فى بطن أمه من غير أب، فقال له: كن، فكان.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بتوحيد ربهم، يعنى مشركى العرب للنبى ﷺ، ﴿لَوْلَا﴾ يعنون هلا ﴿يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ يخبرنا بأنك رسوله، ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ كما كانت الأنبياء تأتيهم الآيات تجىء إلى قومهم، يقول الله: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾، يقول: هكذا قالت بنو إسرائيل من قبل مشركى العرب، فقالوا

فى سورة البقرة، والنساء لموسى: ﴿أرنا الله جهرة﴾ [النساء: ١٥٣]، وأتوا بالآيات وسمعوا الكلام فحرفوه، فهل هؤلاء إلا مثل أولئك؟ فذلك قوله سبحانه: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، ثم قال: وإن كذب مشركو العرب بمحمد، ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ﴾، أى فقد بينا الآيات، فذلك قوله سبحانه فى العنكبوت: ﴿بَلْ هُوَ آياتٌ﴾، يعنى بيان أمر محمد آيات ﴿بَيِّنَاتٌ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، يعنى واضحات فى التوراة أنه أمى لا يقرأ الكتاب ولا يخط بيمينه، ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [آية: ١١٨]، يعنى مؤمنى أهل التوراة.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾، يقول: لم نرسلك عبثًا لغير شىء، ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾، بشيرًا بالجنة ونذيرًا من النار، ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ١١٩]، فإن الله قد أحصاها عليهم، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ﴾ من أهل المدينة، ﴿وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ من أهل نجران، ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، وذلك أنهم دعوا النبى ﷺ إلى دينهم وزعموا أنهم على الهدى، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾، يعنى الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾، ثم حذر نبيه ﷺ، فقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾، يعنى أهل الكتاب على دينهم ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، وعلم البيان، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾، يعنى قريب فينفعك ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [آية: ١٢٠]، يعنى ولا مانع.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾

ثم ذكر مؤمنى أهل التوراة، عبد الله بن سلام وأصحابه، فقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾، يعنى أعطيناهم التوراة، ﴿يَتْلُونَهُۥ﴾، يعنى نعت محمد ﷺ فى التوراة، ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ فى التوراة ولا يحرفون نعته، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، يقول: أولئك يصدقون بمحمد، يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه، ثم قال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾، يعنى بمحمد من أهل التوراة، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ١٢١] فى العقوبة.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية:

١٢٢]، يعنى عالمى ذلك الزمان، يعنى عالمى أجدادهم، يعنى بالمن والسلوى والحجر والغمام.

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا ﴾، يعنى اخشوا يومًا يوم القيامة ﴿ لَّا تَجْزِى نَفْسٌ ﴾ كافرة ﴿ عَن نَّفْسٍ ﴾ كافرة ﴿ شَيْـًٔا ﴾ من المنفعة، ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾، يعنى فداء، ﴿ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ ﴾، يعنى شفاعة نبى ولا شهيد ولا صديق، ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [آية: ١٢٣]، يعنى يمتنعون من العذاب.

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾، يعنى بذلك كل مسألة فى القرآن مما سأل إبراهيم من قوله: ﴿ **رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَدًا آمنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ منَ الثَّمرَاتِ** ﴾ [البقرة: ١٢٦]، ومن قوله: ﴿ **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلمَيْنِ لَكَ وَمن ذُرِّيَّتنَا أُمَّةً مُّسْلمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وحين قال: ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فيهمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتكَ** ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وحين قال لقومه حين حاجوه: ﴿ **إنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾ [الأنعام: ٧٨].

وحين قال: ﴿ **إنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ للَّذى فَطَرَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ حَنيفًا** ﴾ [الأنعام: ٧٩]، وحين ألقى فى النار، وحين أراد ذبح ابنه، وحين قال: ﴿ **رَبِّ هَبْ لى منَ الصَّالحينَ** ﴾ [الصافات: ١٠٠]، وحين سأل الولد، وحين قال: ﴿ **وَاجْنُبْنى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ** ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وحين قال: ﴿ **فَاجْعَلْ أَفْئدَةً مِّنَ النَّاس تَهْوِى إلَيْهِمْ** ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وحين قال: ﴿ **رَبَّنَا تَقَبَّلْ منَّا إنَّكَ أَنتَ السَّميعُ الْعَليمُ** ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وما كان نحو هذا فى القرآن، وما سأل إبراهيم فاستجاب له، ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾، ثم زاده الله مما لم يكن فى مسألته، ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ فى الدين يقتدى بسنتك، ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم: يا رب، ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ فاجعلهم أئمة، ﴿ قَالَ ﴾ الله: إن فى ذريتك الظلمة، يعنى اليهود والنصارى، ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آية: ١٢٤]، يعنى المشركين من ذريتك، قال: لا ينال طاعتى الظلمة من ذريتك، ولا أجعلهم أئمة، أنحلها أوليائى وأجنبها أعدائى.

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ

﴿إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ يقولون: يثوبون إليه فى كل عام ليقضوا منه وطرا، ثم قال: ﴿وَأَمْنًا﴾ لمن دخله وعاذ به فى الجاهلية، ومن أصاب اليوم حدًا ثم لجأ إليه أمن فيه حتى يخرج من الحرم، ثم يقام عليه ما أحل بنفسه، ثم قال: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾، يعنى صلاة، و لم يؤمروا بمسحه ولا تقبيله، وذلك أنه كان ثلاثمائة وستون صنمًا فى الكعبة، فكسرها النبى ﷺ، ثم قال: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ من الأوثان، فلا تذرا حوله صنمًا ولا وثنًا، يعنى حول البيت ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ بالبيت من غير أهل مكة، ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾، يعنى أهل مكة مقيمين بها، ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [آية: ١٢٥] فى الصلوات.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾، يعنى مكة، فقال الله عز وجل: نعم، فحرمه من الخوف، ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ﴾ من المقيمين بمكة، ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ﴾، يعنى من صدق منهم بالله ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ وصدق بالله أنه واحد لا شريك له، وصدق بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، فأما مكة، فجعلها الله أمنًا، وأما الرزق، فإن إبراهيم اختص بمسائلته الرزق للمؤمنين، ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾، أى قال الله عز وجل: والذين كفروا أرزقهم أيضًا مع الذين آمنوا، ولكنها لهم متعة من الدنيا، ﴿قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ (١) ألجئه إن مات على كفره ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ١٢٦].

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ

---

(١) قراءة ابن محيصن: ثم «أطَّرُّه» يدغم الضاد فى الطاءِ. قال أبو الفتح: هذه لغة مرذولة، أعنى: إدغام الضاد فى الطاءِ؛ وذلك لما فيها من الامتداد والفُشُوّ، فإنها من الحروف الخمسة التى يدغم فيها ما يجاورها، ولا تدغم هى فيما يجاورها. انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/٩٣، إعراب القرآن للنحاس ١/٢١٢، مجمع البيان للطبرسى ١/٢٠٥، البحر المحيط ١/٣٨٤، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٤٨).

عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾، يعنى أساس البيت الحرام الذى كان رفع ليالى الطوفان على عهد نوح، فبناه إبراهيم وإسماعيل على ذلك الأصل، وأعانهم الله عز وجل بسبعة أملاك على البناء ملك إبراهيم، وملك إسماعيل، وملك هاجر، والملك الموكل بالبيت، وملك الشمس، وملك القمر، وملك آخر، فلما فرغا من بناء البيت، قالا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾، يعنى بناء هذا البيت الحرام، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ١٢٧] لدعائهما: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾.

ثم قالا: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾، يعنى مخلصين لك، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾، يعنى علمنا مناسكنا، نظيرها: ﴿بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥]، يعنى بما علمك الله، ونظيرها: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، يعنى يرى الله، ونظيرها أيضًا: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [سبأ: ٦]، يعنى ويعلم، ونظيرها: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾، يعنى وليرين الله، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]، يعنى ويرى.

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ فنصلى لك، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾، يعنى إبراهيم وإسماعيل أنفسهما، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٢٨]، ففعل الله عز وجل ذلك به، فنزل جبريل، عليه السلام، فانطلق بإبراهيم ﷺ إلى عرفات وإلى المشاعر ليريه ويعلمه كيف يسأل ربه، فلما أراه الله المناسك والمشاعر، علم أن الله عز وجل سيجعل فى ذريتهما أمة مسلمة، كما سألا ربهما، فقالا عند ذلك: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾، يعنى فى ذريتنا ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾، يعنى محمد ﷺ، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾، يعنى يقرأ عليهم آيات القرآن، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يقول: يعلمهم ما يتلى عليهم من القرآن، ثم قال: ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾، يعنى الموعظة التى فى القرآن من الحلال والحرام، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾، يعنى ويطهرهم من الشرك والكفر، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ١٢٩]، فاستجاب الله له فى سورة الجمعة، فقال: ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ [الجمعة: ٢] إلى آخر الآية.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ

فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ﴾، وذلك أن عبد الله بن سلام دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجرًا إلى الإسلام، فقال لهما: ألستما تعلمان أن الله عز وجل قال لموسى: إنى باعث نبيًا من ذرية إسماعيل يقال له: أحمد، يحيد أمته عن النار، وأنه ملعون من كذب بأحمد النبى، وملعون من لم يتبع دينه؟ فأسلم سلمة، وأبى مهاجر، ورغب عن الإسلام، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ﴾، يعنى الإسلام، ثم استثنى، ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾، يعنى إلا من خسر نفسه من أهل الكتاب، ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ﴾، يعنى إبراهيم، يعنى اخترناه بالنبوة والرسالة فى الدنيا، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ١٣٠].

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾، يقول: أخلص، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾، يعنى أخلصت ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٣١]، ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾، يعنى بالإخلاص ﴿إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ﴾ الأربعة: إسماعيل، وإسحاق، ومدين، ومداين، ثم وصى بها يعقوب بنيه يوسف وإخواته اثنى عشر ذكرًا بنيه، ﴿وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ﴾، أى فقال يعقوب لبنيه الاثنى عشر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ عز وجل ﴿ٱصْطَفَىٰ﴾، يعنى اختار ﴿لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾، يعنى دين الإسلام، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آية: ١٣٢]، يعنى مخلصون بالتوحيد، ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾، وذلك أن اليهود قالوا للنبى ﷺ: يا محمد، ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه بدين اليهودية، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾، قال الله عز وجل: إن اليهود لم يشهدوا وصية يعقوب لبنيه، ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ يوسف وإخوته: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾، أى بعد موتى، ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ (١) ﴿إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾

---

(١) قراءة ابن عباس والحسن ويحيى بن يعمر وعاصم الجحدرى وأبى رجاء بخلاف: «وإله أبيك» بالتوحيد. انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٨٢، جامع البيان للطبرى ٣/٩٩، الكشاف=

[آية: ١٣٣]، يعنى مخلصون له بالتوحيد.

يقول: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾، يعنى عصبة، ﴿قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾، من العمل، يعنى الدين، يعنى إبراهيم وبنيه، ويعقوب وبنيه، ثم قال لليهود، ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ من الدين، ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٣٤] أولئك.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨) قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١)﴾

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾، وذلك أن رءوس اليهود كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، وأبا ياسر بن أخطب، ومالك بن الضيف، وعازارا، وإشماويل، وخميشا، ونصارى نجران السيد، والعاقب ومن معهما، قالوا للمؤمنين: كونوا على ديننا، فإنه ليس دين إلا ديننا، فكذبهم الله تعالى، فقال: ﴿قُلْ بَلْ﴾ الدين ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾، يعنى الإسلام، ثم قال: ﴿حَنِيفًا﴾، يعنى مخلصًا، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ١٣٥]، يعنى من اليهود والنصارى.

ثم أمر الله عز وجل المؤمنين، فقال: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ بأنه واحد لا شريك له، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾، يعنى قرآن محمد ﷺ، ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

=للزمخشرى ٩٦/١، إعراب القرآن للعكبرى ٣٨/١، إعراب القرآن للنحاس ٢١٦/١، الجامع لأحكام القرآن ١٣٨/٢، إتحاف فضلاء البشر ١٤٨ البحر المحيط لأبى حيان ٤٠٢/١، لسان العرب مادة «أبى» ٦/١٤).

﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾، وهم بنو يعقوب يوسف وإخوته، فنزل على هؤلاء صحف إبراهيم، قال: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾، يعنى التوراة، ﴿وَ﴾ ما أوتى ﴿وَعِيسَىٰ﴾، يعنى الإنجيل، يقول: ما أنزل على موسى وعيسى وصدقنا، ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾، وأوتى داود وسليمان الزبور، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾، فنؤمن ببعض النبيين ونكفر ببعض، كفعل أهل الكتاب، ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [آية: ١٣٦]، يعنى مخلصون، نظيرها فى آل عمران.

يقول الله سبحانه: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾، يقول: فإن صدق أهل الكتاب بالذى صدقتم به يا معشر المسلمين من الإيمان بجميع الأنبياء والكتب، ﴿فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ من الضلالة، ﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ﴾، أى وإن كفروا بالنبيين وجميع الكتب، ﴿فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾، يعنى فى ضلال واختلاف، نظيرها: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، يعنى لفى ضلال واختلاف؛ لأن اليهود كفروا بعيسى ومحمد، صلى الله عليهما وسلم، وبما جاءا به، وكفرت النصارى بمحمد ﷺ وبما جاء به، فلما نزلت هذه الآية قرأها النبى ﷺ على اليهود والنصارى، فقال: «إن الله عز وجل أمرنى أن أوصى بهذه الآية، فإن أنتم آمنتم، يعنى صدقتم بالنبى ﷺ والكتاب، فقد اهتديتم، وإن توليتم وأبيتم عن الإيمان، فإنما أنتم فى شقاق».

فلما سمعت اليهود ذكر عيسى ﷺ، قالوا: لا نؤمن بعيسى، وقالت النصارى: وعيسى بمنزلتهم مع الأنبياء، ولكنه ولد الله، يقول: إن أبوا أن يؤمنوا بمثل ما آمنتم به، ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ يا محمد، يعنى أهل الكتاب، ففعل الله عز وجل ذلك، فقتل أهل قريظة، وأجلى بنى النضير من المدينة إلى الشام، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [آية: ١٣٧]، لقولهم للمؤمنين: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾، ثم قال: ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بما قالوا: قل لهم: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ﴾ التى صبغ الناس عليها، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ﴾، يعنى الإسلام؛ لقولهم للمؤمنين: اتبعوا ديننا، فإنه ليس دين إلا ديننا، يقول الله عز وجل: دين الله، ومن أحسن من الله دينًا؟! يعنى الإسلام، ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [آية: ١٣٨]، يعنى موحدون.

﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾، يقول: أتخاصموننا فى الله، ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ﴾، فقال لهم: ﴿وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ﴾ [آية: ١٣٩]، يقول: لنا ديننا

ولكم دينكم، يعنى أن يهود أهل المدينة ونصارى أهل نجران قالوا للمؤمنين: إن أنبياء الله كانوا منا من بنى إسرائيل، فكانوا على ديننا، فأنزل الله عز وجل يكذبهم: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ﴾ ، وإنما سموا الأسباط؛ لأنه ولد لكل واحد منهم أمة من الناس، ﴿كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ﴾ بدينهم ﴿أَمِ ٱللَّهُ ۗ﴾ ، ثم قال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ ، يقول: فلا أحد أظلم ﴿مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٤٠]، فكتموا تلك الشهادة التى عندهم، وذلك أن الله عز وجل بين أمر محمد فى التوراة والإنجيل، وكتموا تلك الشهادة التى عندهم، وذلك قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، يعنى أمر محمد ﷺ.

فلما قالوا: إن إبراهيم وبنيه، ويعقوب وبنيه كانوا على ديننا، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ ، يعنى عصبة، يعنى إبراهيم وبنيه ويعقوب وبنيه، ﴿قَدْ خَلَتْ ۖ﴾ ، يعنى قد مضت، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ ، يعنى من العمل، يعنى من الدين، ﴿وَلَكُم﴾ معشر اليهود والنصارى، ﴿مَّا كَسَبْتُمْ ۖ﴾ من العمل، يعنى من الدين، ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٤١] أولئك.

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ ، وذلك أن النبى ﷺ وأصحابه كانوا بمكة يصلون ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى، فلما عرج بالنبى ﷺ إلى السماء ليلاً، أمر بالصلوات الخمس، فصارت الركعتان للمسافر، وللمقيم أربع ركعات، فلما هاجر إلى المدينة لليلتين خلتا من ربيع الأول، أمر أن يصلى نحو بيت المقدس؛ لئلا يكذب به أهل الكتاب إذا صلى إلى غير قبلتهم مع ما يجدون من نعته فى التوراة، فصلى النبى ﷺ وأصحابه قبل بيت المقدس من أول مقدمه المدينة سبعة عشر شهرًا، وصلت الأنصار قبل بيت المقدس سنتين قبل هجرة النبى ﷺ، وكانت الكعبة أحب القبلتين إلى النبى ﷺ، فقال

لجبريل، عليه السلام: «وددت أن ربى صرفنى عن قبلة اليهود إلى غيرها»، فقال جبريل، عليه السلام: إنما أنا عبد مثلك لا أملك شيئًا، فاسأل ربك ذلك، وصعد جبريل إلى السماء، وجعل النبى ﷺ يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل، عليه السلام، بما سأل.

فأنزل الله عز وجل فى رجب عند صلاة الأولى قبل قتال بدر بشهرين: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، ولما صرفت القبلة إلى الكعبة، قال مشركو مكة: قد تردد على أمره واشتاق إلى مولد آبائه، وقد توجه إليكم وهو راجع إلى دينكم، فكان قولهم هذا سفهًا منهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، يعنى مشركى مكة، ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾، يقول: ما صرفهم ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ الأولى ﴿ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ١٤٢]، يعنى دين الإسلام، يهدى الله نبيه والمؤمنين لدينه.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، وذلك أن اليهود منهم مرحب، ورافع، وربيعة، قالوا لمعاذ: ما ترك محمد قبلتنا إلا حسدًا، وإن قبلتنا قبلة الأنبياء، ولقد علم محمد أنا عدل بين الناس، فقال معاذ: إنا على حق وعدل، فأنزل الله عز وجل فى قول معاذ: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، يعنى وهكذا، ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، يعنى عدلاً، نظيرها فى ن والقلم، قوله سبحانه: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨]، يعنى أعدلهم، وقوله سبحانه: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، يعنى أعدل، فقول الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، يعنى أمة محمد تشهد بالعدل فى الآخرة بين الأنبياء وبين أممهم، ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، يعنى على الرسل هل بلغت الرسالة عن ربها إلى أممهم، ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾، يعنى محمد ﷺ ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾، يعنى على أمته أنه بلغهم الرسالة.

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾، يعنى بيت المقدس، ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾، إلا لنرى ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾، يعنى محمدًا ﷺ على دينه فى القبلة ومن يخالفه من اليهود، ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ﴾، يقول: ومن يرجع إلى دينه الأول، ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾، يعنى القبلة حين صرفها عن بيت المقدس إلى الكعبة، فعظمت على اليهود، ثم استثنى،

فقال: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ فإنه لا يكبر عليهم ذلك، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾، وذلك أن حيى بن أخطب اليهودى وأصحابه قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس، أكانت هدى أم ضلالة، فوالله لئن كانت هدى لقد تحولتم عنه، ولئن كانت ضلالة لقد دنتم الله بها فتقربتم إليه بها، وإن من مات منكم عليها مات على الضلالة.

فقال المسلمون: إنما الهدى ما أمر الله عز وجل به، والضلالة ما نهى الله عنه، قالوا: فما شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا؟ وكان قد مات قبل أن تحول القبلة إلى الكعبة: أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار بن مالك ابن الخزرج، من بنى النجار، ومات البراء بن معرور بن صخر بن سنان بن عبيد بن عدى بن سلمة بن سعد بن على بن شاردة بن زيد بن جشم بن الخزرج، من بنى سلمة، وكانا من النقباء، ومات رجال، فانطلقت عشائرهم، فقالوا للنبى ﷺ: توفى إخواننا وهم يصلون إلى القبلة الأولى، وقد صرفك الله عز وجل إلى قبلة إبراهيم، عليه السلام، فكيف بإخواننا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾، يعنى إيمان صلاتكم نحو بيت المقدس، يقول: لقد تقبلت منهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ﴾، يعنى يرق لهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٤٣] حين قبلها منهم قبل تحويل القبلة.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، يعنى نرى أنك تديم نظرك إلى السماء، ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾، يعنى لنحولنك إلى ﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾؛ لأن الكعبة كانت أحب إلى النبى ﷺ من بيت المقدس، ﴿فَوَلِّ﴾، يعنى فحول ﴿وَجْهَكَ شَطْرَ﴾، يعنى تلقاء ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ من الأرض ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾، يعنى فحولوا وجوهكم فى الصلاة تلقاءه، وقد كان النبى ﷺ يصلى فى مسجد بنى سلمة، فصلى ركعة، ثم حولت القبلة إلى الكعبة، وفرض الله صيام رمضان، وتحويل القبلة، والصلاة إلى الكعبة قبل بدر بشهرين، وحرم الخمر قبل الخندق.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، يعنى أهل التوراة، وهم اليهود، منهم الحميس بن عمرو، قال: يا محمد، ما أمرت بهذا الأمر، وما هذا إلا شىء ابتدعته، يعنى فى أمر القبلة، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، يعنى أهل التوراة، ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾، بأن القبلة هى الكعبة، فأوعدهم الله، فقال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٤٤]، يعنى عما يعملون من كفرهم بالقبلة، ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، يعنى اليهود، ينحوم بن سكين، ورافع بن سكين، ورافع ابن حريملة، ومن النصارى أهل نجران السيد والعاقب، فقالوا للنبى ﷺ: ائتنا بآية نعرفها كما كانت الأنبياء تأتى بها، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ﴾، يقول: ولئن جئت يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ ﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾، يعنى الكعبة، ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾، يعنى بيت المقدس، ثم قال: ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾، يقول: إن اليهود يصلون قبل المغرب لبيت المقدس، والنصارى قبل المشرق، فأنزل الله عز وجل يحذر نبيه ﷺ ويخوفه: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾، فصليت إلى قبلتهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، يعنى البيان، ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٤٥].

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾، يعنى اليهود منهم: أبو ياسر بن أخطب، وكعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، وسلام بن صوريا، وكنانة بن أبى الحقيق، ووهب بن يهوذا، وأبو نافع، فقالوا للنبى ﷺ: لم تطوفون بالكعبة، وإنما هى حجارة مبنية، فقال النبى ﷺ: «إنكم لتعلمون أن الطواف بالبيت حق، فإنه هو القبلة مكتوب فى التوراة والإنجيل، ولكنكم تكتمون ما فى كتاب الله من الحق وتجحدونه، فقال ابن صوريا: ما كتمنا شيئًا مما فى كتابنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، يقول: أعطيناهم التوراة، ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾، أى يعرفون البيت الحرام أنه القبلة،

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ﴾، يعنى طائفة من هؤلاء الرءوس ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾، يعنى أمر القبلة ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٤٦] أن البيت هو القبلة.

ثم قال سبحانه: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ يا محمد إن القبلة التى وليناكها هى القبلة، ﴿فَلَا﴾، يعنى لئلا ﴿تَكُونَنَّ﴾ يا محمد ﴿مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آية: ١٤٧]، يعنى من الشاكين أن البيت الحرام هو القبلة، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾، يقول: لكل أهل ملة قبلة هم مستقبلوها، يريدون بها الله عز وجل، ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾، يقول: سارعوا فى الصالحات من الأعمال، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ﴾ من الأرض أنتم وأهل الكتاب، ﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يوم القيامة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ١٤٨] من البعث وغيره قدير.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾، يقول: ومن أين توجهت من الأرض، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، يقول: فحول وجهك فى الصلاة تلقاء المسجد الحرام، ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٤٩]، ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، يعنى الحرم كله، فإنه مسجد كله، ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ من الأرض، ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾، يعنى فحولوا وجوهكم تلقاءه، ثم قال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾، يعنى اليهود فى أن الكعبة هى القبلة ولا حجة لهم عليكم فى انصرافكم إليها، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾، يعنى من الناس، يعنى مشركى العرب، وذلك أن مشركى مكة قالوا: إن الكعبة هى القبلة، فما بال محمد تركها وكانت لهم فى ذلك حجة، يقول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ أن يكون لهم عليكم حجة فى شىء غيرها، ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾ فى ترك أمرى فى أمر القبلة، ثم قال عز وجل: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ فى انصرافكم إلى الكعبة وهى القبلة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾ ولكى ﴿تَهْتَدُونَ﴾ [آية: ١٥٠] من الضلالة، فإن الصلاة قبل بيت المقدس بعد ما نسخت الصلاة إليه ضلالة.

قال: حدثنا عبيد الله بن ثابت، قال: حدثنا أبى، قال الهذيل، عن ليث بن سعد، عن يزيد بن أبى حبيب، عن أبى الجهم مرثد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: إنكم ستفتحون قسطنطينية والرومية وحمقلة. قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن ابن لهيعة، عن أبى قبيل، عن عبد الله بن عمرو، قال: إنكم ستفتحون

رومية، فإذا دخلتموها فادخلوا كنيستها الشرقية، فعدوا سبع بلاطات واقلعوا الثامنة، وهى بلاطة حمراء، فإن تحتها عصا موسى، وإنجيل عيسى، وحُلى إيلياء، يعنى بيت المقدس، هذا خزيهم فى الدنيا، ولهم فى الآخرة عذاب النار.

قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل بن حبيب، عن مقاتل، قال: كل من ملك القبط يسمى قيطوس، وكل من ملك الروم يسمى قيصر، وكل من ملك الفرس يسمى كسرى[1].

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾، يعنى محمدًا ﷺ، ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾، يعنى ويطهركم من الشرك والكفر، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى القرآن، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾، يعنى الحلال والحرام، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٥١]، إذا فعلت ذلك بكم، ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾، يقول: فاذكرونى بالطاعة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بخير، ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [آية: ١٥٢]، يقول: اشكروا الله عز وجل فى هذه النعم لا تكفروا بها لقوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ إلى آخر الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾، يقول: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض والصلوات الخمس فى مواقيتها نحو الكعبة، حين عيرتهم اليهود بترك قبلتهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آية: ١٥٣] على الفرائض والصلاة، ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾، نزلت فى قتلى بدر من المسلمين، وهم أربعة عشر

(١) هذان الأثران من الإسرائيليات.

رجلاً من المسلمين، ثمانية من الأنصار، وستة من المهاجرين، فمن المهاجرين: عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وعمير بن نضلة، وعقيل بن بكير، ومهجع ابن عبد الله مولى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، وصفوان بن بيضاء، فهؤلاء ستة من المهاجرين، ومن الأنصار: سعد بن خيثمة بن الحارث بن النخاط بن كعب بن غنم بن أسلم بن مالك بن الأوس، ومبشر بن عبد المنذر، ويزيد بن الحارث، وعمر بن الحمام، ورافع بن المعلى، وحارثة بن سراقة، ومعوذ بن عفراء، وعوف بن عفراء، وعما ابنا الحارث بن مالك بن سوار، فهؤلاء ثمانية من الأنصار.

وذلك أن الرجل كان يقتل فى سبيل الله، فيقولون: مات فلان، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولُوا﴾ معشر المؤمنين ﴿لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ مرزوقون فى الجنة عند الله، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [آية: ١٥٤] بأنهم أحياء مرزوقون، ومساكن أرواح الشهداء سدرة المنتهى فى جنة المأوى، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾، يعنى القحط، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾، يعنى قحط المطر، ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آية: ١٥٥] على هذه البلية بالجنة.

ثم نعت أهل المصيبة، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾، يعنى فيما ذكر من هذه الآية، ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [آية: ١٥٦]، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾، يعنى مغفرة، كقوله سبحانه: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، يعنى استغفر لهم، ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ﴾، يعنى استغفارك ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] من ربهم، ﴿وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [آية: ١٥٧] للاسترجاع[1].

﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾، وذلك أن الحُمس، وهم: قريش، وكنانة، وخزاعة، وعامر بن صعصعة، قالوا: ليست الصفا والمروة من شعائر الله، وكان على الصفا صنم يقال له: نائلة، وعلى المروة صنم يقال له: يساف فى الجاهلية، قالوا: إنه

(١) قال عبد الله بن ثابت: سمعت أبى يقول: سمعت هذا الكتاب من أوله إلى آخره من هذيل أبى صالح، عن مقاتل بن سليمان ببغداد فى درب السدرة فى المدينة سنة تسعين ومائة، وسمعته من أوله إلى آخره قراءة عليه فى سنة أربعين ومائتين، ومات وهو ابن خمس وثمانين. قال أبو عمرو: وسمعت هذا الكتاب من عبد الله بن ثابت سنة أربع وثمانين ومائتين.

حرج علينا فى الطواف بينهما، فكانوا لا يطوفون بينهما، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾، يقول: هما من أمر المناسك التى أمر الله بها، ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[1]، يقول: لا حرج عليه أن يطوف بينهما لقولهم: إن علينا حرجًا فى الطواف بينهما، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بعد الفريضة، فزاد فى الطواف، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ١٥٨] لأعمالكم عليم بها، وقد طاف إبراهيم الخليل ﷺ بين الصفا والمروة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾، وذلك أن معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وحارثة بن زيد، سألوا اليهود عن أمر محمد ﷺ وعن الرجم وغيره فكتموهم، يعنى اليهود، منهم: كعب ابن الأشرف، وابن صوريا، ﴿مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، يعنى ما بين الله عز وجل فى التوراة، يعنى الرجم والحلال والحرام، ﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾، يعنى أمر محمد ﷺ فى التوراة، فكتموه الناس، يقول الله سبحانه: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾، يعنى أمر محمد ﷺ، ﴿لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعنى لبنى إسرائيل فى التوراة، وذلك قوله سبحانه فى العنكبوت: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾، أى بمحمد ﷺ ﴿إِلاَّ الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، يعنى المكذبون بالتوراة، وهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [آية: ١٥٩]، وذلك أن الكافر يضرب فى قبره فيصيح ويسمع صوته الخليقة كلهم، غير الجن والإنس، فيقولون: إنما كان يحبس عنا الرزق بذنب هذا، فتلعنهم الخليقة، فهم اللاعنون.

ثم استثنى مؤمنى أهل التوراة، فقال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ من الكفر

---

(١) قراءة علىّ وابن عباس كرم الله وجوههما بخلاف وسعيد بن جُبير، وأنس ابن مالك ومحمد بن سِيرين وأُبىّ بن كعب وابن مسعود وميمون بن مهران: «ألاّ يَطَّوف بهما» وقراءة شهر، وعطاء. انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٩٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢/١٨٢ الكشاف للزمخشرى ١/١٠٤، البحر المحيط لأبى حيان ١/٤٥٦، تفسير الفخر الزارى ٢/٤٥).

﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ العمل ﴿وَبَيَّنُواْ﴾ أمر محمد ﷺ للناس، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾، يعني أتجاوز عنهم، ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٦٠]، ثم ذكر من مات من اليهود على الكفر، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَ﴾ لعنة ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَ﴾ لعنة ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ١٦١]، يعني المؤمنين جميعًا، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، يعني في اللعنة، واللعنة النار، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آية: ١٦٢]، لا يناظر بهم حتى يعذبوا.

ثم قال لأهل الكتاب: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، يقول: ربكم رب واحد، فوحد نفسه تبارك اسمه، ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٦٣].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وذلك أن كفار مكة قالوا لرسول الله ﷺ: ائتنا بآية، اجعل لنا الصفا ذهبًا، فقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي﴾، يعني السفن التي ﴿فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ في معايشهم، ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ﴾، يعني بالماء ﴿ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها، ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾، يعني وبسط، ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ في العذاب والرحمة، ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١٦٤]، فيما ذكر من صنعه فيوحدوه.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾، يعني مشركي العرب، ﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾، يعني شركاء، وهي الآلهة، ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، يقول: يحبون آلهتهم كما يحب الذين

آمنوا ربهم، ثم قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ منهم لآلهتهم، ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿وَلَوۡ يَرَى﴾ محمد يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾، يعني مشركي العرب ستراهم يا محمد في الآخرة ﴿إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ﴾ فيعلمون حينئذ ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [آية: ١٦٥]، ثم أخبر سبحانه عنهم، فقال: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾، يعني القادة، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾، يعني الأتباع، ﴿وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾، يعني القادة والأتباع، ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ [آية: ١٦٦]، يعني المنازل والأرحام التي كانوا يجتمعون عليها من معاصي الله، ويتحابون عليها في غير عبادة الله، انقطع عنهم ذلك وندموا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾، أي الأتباع: ﴿لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ﴾، يعني رجعة إلى الدنيا، ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ﴾ من القادة، ﴿كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ﴾ في الآخرة، وذلك قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ﴾، يعني يتبرأ ﴿بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يقول: هكذا ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾، يعني القادة والأتباع ﴿حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ﴾، يعني ندامة، ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ١٦٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾، يعني مما حرموا من الحرث والأنعام، نزلت في ثقيف، وفي بني عامر بن صعصعة، وخزاعة، وبني مدلج، وعامر والحارث ابني عبد مناة، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾، يعني تزيين الشيطان في تحريم الحرث والأنعام، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٦٨]، يعني بين، ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾، يعني بالإثم، ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾، يعني وبالمعاصي؛ لأنه لكم عدو مبين، ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بأنه حرم عليكم ﴿مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ١٦٩] أنتم أنه حرمه.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن في تحليل ما

حرموه، ﴿قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من أمر الدين، فإن آباءنا أمرونا أن نعبد ما كانوا يعبدون، قل يا محمد: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ من الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [آية: ١٧٠] به أفتتبعونهم، ثم ضرب لهم مثلاً، فقال سبحانه: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾، يعنى الشاة والحمار، ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾، يعنى مثل الكافر كمثل البهيمة إن أمرت أن تأكل أو تشرب سمعت صوتًا ولا تعقل ما يقال لها، فكذلك الكافر الذين يسمع الهدى والموعظة إذا دعى إليها، فلا يعقل ولا يفهم بمنزلة البهيمة، يقول: ﴿صُمٌّۢ﴾، فلا يسمعون الهدى، ﴿بُكْمٌ﴾، فلا يتكلمون بالهدى، ﴿عُمْىٌ﴾، فلا يبصرون الهدى، ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١٧١] الهدى.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ من تحليل الحرث والأنعام، يعنى بالطيب الحلال، ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [آية: ١٧٢]، ولا تحرموا ما أحل الله لكم من الحرث والأنعام، ثم بين ما حرم، فقال: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾، يقول: وما ذبح للأوثان، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى شىء مما حرم الله ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ استحلاله، ﴿وَلَا عَادٍ﴾، يعنى ولا معتديًا لم يضطر إليه، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فى أكله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما أكل من الحرام فى الاضطرار، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٧٣]، إذ رخص لهم فى الاضطرار، مثلها فى الأنعام، والمضطر يأكل على قدر قوته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾، يعنى التوراة أنزلت فى رءوس اليهود، منهم: كعب بن الأشرف، وابن صوريا، كتموا أمر محمد ﷺ فى التوراة،

﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ، يعنى عرضًا من الدنيا، ويختارون على الكفر بمحمد ثمنًا قليلاً، يعنى عرضًا من الدنيا يسيرًا مما يصيبون من سفلة اليهود من المآكل كل عام، ولو تابعوا محمدًا لحبست عنهم تلك المآكل، فقال الله تعالى ذكره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ، يقول: ولا يزكى لهم أعمالهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ١٧٤]، يعنى وجيع.

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ ، يعنى باعوا الهدى الذى كانوا فيه من إيمان بمحمد ﷺ قبل أن يبعث بالضلالة التى دخلوا فيها بعدما بعث محمد، ثم قال: ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ ، أى اختاروا العذاب على المغفرة، ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [آية: ١٧٥]، يقول: أى شيء جرأهم على عمل يدخلهم النار، فما أصبرهم عليها إلا أعمالهم الخبيثة، ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الذى نزل بهم فى الآخرة ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ، يعنى القرآن، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ، يقول: لم ينزل باطلاً لغير شيء، فلم يؤمنوا به، ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ ، يعنى فى القرآن، ﴿لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [آية: ١٧٦]، يعنى لفى ضلال بعيد، يعنى طويل.

﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾

﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾ ، يعنى ليس التقوى أن تحولوا وجوهكم فى الصلاة ﴿قِبَلَ﴾ ، يعنى تلقاء ﴿ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ ، فلا تفعلوا ذلك، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ ، يعنى صدق بالله بأنه واحد لا شريك له، ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ ، يعنى وصدق بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال بأنه كائن ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ، أى وصدق بالملائكة، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾ ، يعنى وأعطى المال ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ له أعطى ﴿ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ ، يعنى والضيف نازل عليك ﴿وَ﴾ أعطى ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ ، فهذا تطوع، ثم قال سبحانه: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبة ﴿وَءَاتَى﴾ وأعطى ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ﴾ فيما

بينهم وبين الناس، ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾، يعنى الفقر، والضراء يعنى البلاء، ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾، يعنى وعند القتال هم صابرون، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ فى إيمانهم، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [آية: ١٧٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ إذا كان عمدًا، وذلك أن حيين من العرب اقتتلوا فى الجاهلية قبل الإسلام بقليل، وكانت بينهم قتلى وجرحى، حتى قتل العبيد والنساء، فلم يأخذ بعضهم من بعض الأموال حتى أسلموا، وكان أحد الحيين له طول على الآخر فى العدد والأموال، فحلفوا ألا نرضى حتى يقتل بالعبد منا الحر منهم، وبالمرأة منا الرجل منهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾، فسوى بينهم فى الدماء، وأمرهم بالعدل فرضوا، فصارت منسوخة نسختها الآية التى فى المائدة قوله سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا﴾ فيما قضينا ﴿عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]، يعنى النفس المسلم الحر بالنفس، المسلم الحر، والمسلمة الحرة بالمسلمة الحرة، ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾.

ثم رجع إلى أول الآية فى قوله سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ إذا كان عمدًا إذا عفى ولى المقتول عن أخيه القاتل ورضى بالدية، ﴿فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، يعنى الطالب ليطلب ذلك فى رفق، ثم قال للمطلوب: ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾، يقول: ليؤدى الدية إلى الطالب عفوًا فى غير مشقة ولا أذى، ﴿ذَٰلِكَ﴾ العفو والدية ﴿تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إذ جعل فى قتل العمد العفو والدية، ثم قال: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾، يعنى وتراحموا، وكان الله عز وجل حكم على أهل التوراة أن يقتل القاتل، ولا يعفى عنه، ولا يقبل منه الدية، وحكم على أهل الإنجيل العفو، ولا يقتل القاتل بالقصاص، ولا يأخذ ولى المقتول الدية.

ثم جعل الله عز وجل التخفيف لأمة محمد ﷺ إن شاء ولى المقتول قتل القاتل، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ منه الدية، فكان لأهل التوراة أن يقتل قاتل الخطأ والعمد،

فرخص الله عز وجل لأمة محمد ﷺ، فذلك قوله سبحانه فى الأعراف: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] من التشديدات، وهم أن يقتل قاتل العمد ولا يعفى عنه، ولا يؤخذ منه الدية، ثم قال: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ١٧٨]، يعنى وجيع، فإنه يقتل، ولا يؤخذ منه دية، قال النبى ﷺ: «لا عفو عمن قتل القاتل بعد أخذ الدية، وقد جعل الله له عذابًا أليمًا».

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾، يعنى بقاء يحجز بعضكم عن بعض ﴿يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، يعنى من كان له لب أو عقل، فذكر القصاص، فيحجزه الخوف عن القتل، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾، يعنى لكى ﴿تَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٧٩] الدماء مخافة القصاص.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾، يعنى فرض عليكم، نظيرها: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦]، يعنى فرض، نظيرها أيضًا: ﴿مَا كَتَبْنَاهَا﴾، يعنى ما فرضناها ﴿عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]، يعنى الرهبانية، ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ﴾ بعد موته ﴿خَيْرًا﴾، يعنى المال، ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، يعنى تفضيل الوالدين على الأقربين فى الوصية، وليوص للأقربين بالمعروف.

والذين لا يرثون يقول الله عز وجل تلك الوصية ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ١٨٠]، فمن لم يوص لقرابته عند موته، فقد ختم عمله بالمعصية، ثم نزلت آية الميراث بعد هذه الآية، فنسخت للوالدين[١]، وبقيت الوصية للأقربين الذين لا يرثون، ما بينه وبين ثلث ماله، ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾، يقول: من بدل وصية الميت، يعنى الوصى والولى بعدما سمعه من الميت، فلم يمض وصيته، ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾، يعنى الوصى والولى وبرىء منه الميت، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لوصية الميت، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ١٨١] بها.

ثم قال: ﴿فَمَنْ خَافَ﴾، يعنى الوصى ﴿مِن مُّوصٍ﴾، يعنى الميت ﴿جَنَفًا﴾ ميلاً

---

(١) هذا فيه نظر لأن آية المواريث لا تعارض الوصية بل تؤكدها من حيث أنها تدل على تقديم الوصية مطلقًا.

عن الحق خطأ، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ تعمدًا للجنف، أى إن جار الميت فى وصيته عمدًا أو خطأ، فلم يعدل، فخاف الوصى أو الولى من جور وصيته، ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الورثة بالحق والعدل، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ حين خالف جور الميت، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمصلح ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٨٢] به إذا رخص فى مخالفة جور الميت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، وذلك أن لبيد الأنصارى من بنى عبد الأشهل كبر فعجز عن الصوم، فقال للنبى ﷺ: ما على من عجز عن الصوم، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، يعنى فرض عليكم، نظيرها: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ﴾، يعنى فرض عليكم القتال، ﴿كَمَا كُتِبَ﴾، يعنى كما فرض ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، يعنى أهل الإنجيل، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٨٣]، يعنى لكى تتقون الطعام والشراب والجماع، فمن صلى العشاء الآخرة أو نام قبل أن يصلى العشاء الآخرة، حرم عليه ما يحرم على الصائم.

وكان ذلك على الذين من قبلنا ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾، وهى دون الأربعين، فإذا كانت فوق الأربعين فلا يقال لهم: ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾، أى ومن كان يطيق الصوم، وليس بمريض ولا مسافر، فإن شاء صام، وإن شاء أفطر، وعليه فدية ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، لكل مسكين نصف صاع حنطة، ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، فزاد على مسكين فأطعم مسكينين أو ثلاثة مكان كل يوم، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ من أن يطعم مسكينًا واحدًا، ثم قال: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ﴾، يعنى ولأن تصوموا خير ﴿لَّكُمْ﴾ من الطعام ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٨٤]، وكان المؤمنون قبل رمضان يصومون عاشوراء ولا يصومون غيره، ثم أنزل الله عز وجل صوم رمضان بعد، فنسخ الطعام، وثبت الصوم، إلا على من لا يطيق الصوم، فليفطر وليطعم مكان كل يوم مسكينًا نصف صاع حنطة.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ

وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

ثم بين لهم أى شهر يصومون، فقال عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، من اللوح المحفوظ فى عشرين شهرًا، وأنزل به جبريل، عليه السلام، عشرين سنة، ثم قال سبحانه: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ﴾، يعنى فى الدين من الشبهة والضلالة، نظيرها فى آل عمران [الآية: ٤]: ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾، يعنى المخرج من الشبهات، ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ﴾، فواجب عليه الصيام، ولا يطعم، ﴿وَمَن كَانَ﴾ منكم ﴿مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾، فلم يصم، فإذا برئ المريض من مرضه، ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فليصم عدة ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ﴾، إن شاء صام متتابعًا، وإن شاء متقطعًا، وهكذا المسافر، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾، يعنى الرفق فى أمر دينكم حين رخص للمريض والمسافر فى الفطر، ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾، يعنى الضيق فى الدين، فلو لم يرخص للمريض والمسافر، كان عسرًا، ثم قال عز وجل: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾، يعنى تمام الأيام المعدودات، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟﴾، يعنى لكى تعظموا ﴿ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ من أمر دينه، ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾، يعنى لكى، ﴿تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ١٨٥] ربكم فى هذه النعم إذ هداكم لأمر دينه.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾، وذلك أنه كان فى الصوم الأول أن الرجل إذا صلى العشاء الآخرة، أو نام قبل أن يصليها، حرم عليه الطعام والشراب والجماع، كما يحرم بالنهار على الصائم، ثم إن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، صلى العشاء الآخرة، ثم جامع امرأته(١)، فلما فرغ ندم وبكا، فلما أصبح أتى النبى ﷺ فأخبره، فقال: يا نبى الله، إنى أعتذر إلى الله عز وجل، ثم إليك من نفسى هذه الخاطئة واقعت أهلى بعد الصلاة، فهل تجد لى رخصة، فقال له النبى ﷺ: «لم تك جديرًا بذلك يا عمر»، فرجع حزينًا، ورأى النبى ﷺ صرمة بن أنس بن صرمة بن مالك، من بنى

(١) انظر: أسباب النزول للواحدى (ص ٢٧، ٢٨)، وأسباب النزول للسيوطى (ص ٢٥)، وتفسير ابن كثير (١/٢٢١).

عدى بن النجار عند العشاء، فقال النبى ﷺ: «يا أبا قيس، ما لك طليحًا؟»، فقال: يا رسول الله، ظللت أمس فى حديقتى، فلما أمسيت أتيت أهلى، وأرادت المرأة أن تطعمنى شيئًا سخنًا، فأبطأت علىَّ بالطعام، فرقدت فأيقظتنى وقد حرم علىَّ الطعام، فأمسيت وقد أجهدنى الصوم.

واعترف رجال من المسلمين عند ذلك بما كانوا يصنعون بعد العشاء، فقالوا: ما توبتنا ومخرجنا مما علمنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾، أى فأعلمهم أنى قريب منهم فى الاستجابة، ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى﴾ بالطاعة، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِى﴾، يعنى وليصدقوا بى، فإنى قريب سريع الإجابة أجيبهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [آية: ١٨٦]، يعنى لكى يهتدون.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِى الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)﴾

ثم قال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ رخصة للمؤمنين بعد صنيع عمر، رضى الله عنه، ﴿الرَّفَثُ﴾، يعنى الجماع، ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾، يقول: هن سكن لكم، وأنتم سكن لهن، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾، يعنى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فى جماع امرأته، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾، يعنى فتجاوز عنكم، ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾.

قوله سبحانه: ﴿تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ بالمعصية، نظيرها: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠]، فخالفتاهما، يعنى بالمعصية، وكقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، يعنى على معصية، ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾، يقول: تركم فلم يعاقبكم، ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾، يعنى جامعوهن من حيث أحللت لكم الجماع الليل كله، ﴿وَابْتَغُوا﴾ من نسائكم ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ من الولد، يعنى واطلبوا ما قضى لكم وأنزل فى صرمة بن أنس، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ

﴿ٱلْأَسْوَدِ﴾، حتى يتبين لكم وجه الصبح، يعنى بياض النهار من سواد الليل، ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾، والخيط الأبيض يعنى أول بياض الصبح، الضوء المعترض قبل المشرق، والخيط الأسود أول سواد الليل، ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ﴾، نزلت فى على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وعمار بن ياسر، وأبى عبيدة بن الجراح، كان أحدهم يعتكف، فإذا أراد الغائط من السحر رجع إلى أهله بالليل، فيباشر ويجامع امرأته ويغتسل ويرجع إلى المسجد، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ﴾ ﴿وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾، يقول: لا تجامعوا النساء ليلاً ولا نهارًا مادمتم معتكفين، ثم قال عز وجل: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ المباشرة تلك معصية الله، ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾، يعنى أمره ﴿لِلنَّاسِ﴾ وأمر الاعتكاف، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾، يعنى لكى ﴿يَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٨٧] المعاصى فى الاعتكاف.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ﴾، يعنى ظلمًا، وذلك أن امرأ القيس بن عابس، وعبدان بن أشوع الحضرمى اختصما فى أرض، فكان امرؤ القيس المطلوب، وعبدان الطالب، فلم يكن لعبدان بينة، وأراد امرؤ القيس أن يحلف، فقرأ النبى ﷺ: «﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾» [آل عمران: ٧٧]، يعنى عرضًا يسيرًا من الدنيا، إلى آخر الآية، فلما سمعها امرؤ القيس كره أن يحلف، ولم يخاصمه فى أرضه، وحكمه فيها، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ ﴿وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾، يقول: لا يدلين أحدكم بخصومة فى استحلال مال أخيه، وهو يعلم أنه مبطل، فذلك قوله سبحانه: ﴿لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا﴾، يعنى طائفة، ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٨٨] أنكم تدعون الباطل، فقال النبى ﷺ: «إنما أنا بشر مثلكم، فلعلى بعضكم أعلم بحجته، فأقضى له وهو مبطل»، ثم قال عليه السلام: «أيما رجل قضيت له بمال امرئ مسلم، فإنما هى قطعة من نار جهنم أقطعها، فلا تأكلوها».

﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾، نزلت فى معاذ بن جبل، وثعلبة بن غنمة، وهما من الأنصار، فقال معاذ: يا رسول الله، ما بال الهلال يبدو مثل الخيط، ثم يزيد حتى يمتلئ فيستوى، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ فى أجل دينهم، وصومهم، وفطرهم، وعدة نسائهم، والشروط التى بينهم إلى أجل، ثم قال عز وجل: ﴿وَٱلْحَجِّ﴾، يقول: وقت حجهم والأهلة مواقيت لهم، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾، وذلك أن الأنصار فى الجاهلية وفى الإسلام كانوا إذا أحرم أحدهم بالحج أو بالعمرة، وهو من أهل المدن، وهو مقيم فى أهله لم يدخل منزله من باب الدار، ولكن يوضع له سلم إلى ظهر البيت فيصعد فيه، وينحدر منه، أو يتسور من الجدار، وينقب بعض بيوته، فيدخل منه ويخرج منه، فلا يزال كذلك حتى يتوجه إلى مكة محرمًا، وإذا كان من أهل الوبر دخل وخرج من وراء بيته.

وأن النبى ﷺ دخل يومًا نخلاً لبنى النجار، ودخل معه قطبة بن عامر بن حديدة الأنصارى من بنى سلمة بن جشم من قبل الجدار، وهو محرم، فلما خرج النبى ﷺ من الباب وهو محرم، خرج قطبة من الباب، فقال رجل: هذا قطبة خرج من الباب وهو محرم، فقال النبى ﷺ: «ما حملك أن تخرج من الباب وأنت محرم؟»، قال: يا نبى، رأيتك خرجت من الباب وأنت محرم، فخرجت معك، ودينى دينك، فقال النبى ﷺ: «خرجت لأنى من أحمس»، فقال قطبة للنبى ﷺ: إن كنت أحمسيًا فإنى أحمسى، وقد رضيت بهديك ودينك، فاستننت بسنتك، فأنزل الله فى قول قطبة بن عامر للنبى ﷺ: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾، يعنى التقوى، ﴿بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الله واتبع أمره، ثم قال عز وجل: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ولا تعصوه يحذركم ﴿لَعَلَّكُمْ﴾، يقول: لكى ﴿تُفْلِحُونَ﴾ [آية: ١٨٩]، والحمس قريش، وكنانة، وخزاعة، وعامر بن صعصعة، الذين لا يسلون السمن ولا يأكلون الأقط ولا يبنون الشعر والوبر.

﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ

ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾، وذلك أن الله عز وجل نهى النبى ﷺ والمؤمنين عن الشهر الحرام أن يقاتلوا فى الحرم إلا أن يبدأهم المشركون بالقتال، وأن النبى ﷺ بينا هو وأصحابه معتمرون إلى مكة فى ذى القعدة، وهم محرمون عام الحديبية، والمسلمون يومئذ ألف وأربعمائة رجل، فصدهم مشركو مكة عن المسجد الحرام وبدأوهم بالقتال، فرخص الله فى القتال، فقال سبحانه: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ فتبدأوا بقتالهم فى الشهر الحرام وفى الحرم، فإنه عدوان، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [آية: ١٩٠]، ثم قال سبحانه: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾، يعنى أين أدركتموهم فى الحل والحرم، ﴿وَأَخْرِجُوهُم﴾ من مكة ﴿مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾، يعنى من مكة، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾، يعنى الشرك أعظم عند الله عز وجل جرمًا من القتل، نظيرها: ﴿أَلاَ فِى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: ٤٩]، يعنى فى الكفر وقعوا، فلما نزلت: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾، أنزل الله عز وجل بعد: ﴿وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، يعنى أرض الحرم كله، فنسخت هذه الآية، ثم رخص لهم، ﴿حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾، يعنى حتى يبدءوا بقتالكم فى الحرم، ﴿فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ﴾ فيه، ﴿فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آية: ١٩١] إن بدأوا بالقتال فى الحرم أن يقاتلوا فيه.

ثم قال سبحانه: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن قتالكم ووحدوا ربهم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لشركهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٩٢] بهم فى الإسلام، نظيرها فى الأنفال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] إلى آخر الآية، ثم قال: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ﴾ أبدًا ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، يقول: حتى لا يكون فيهم شرك فيوحدوا ربهم ولا يعبدوا غيره، يعنى مشركى العرب خاصة، ﴿وَيَكُونَ﴾، يعنى ويقوم ﴿ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾، فيوحدوه ولا يعبدوا غيره، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن الشرك ووحدوا ربهم، ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ﴾، يعنى فلا سبيل ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٩٣] الذين لا يوحدون ربهم، نظيرها فى القصص: ﴿فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ [القصص: ٢٨]، يعنى فلا سبيل علىَّ.

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾

﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾، وذلك أن النبى ﷺ والمسلمين ساروا إلى مكة محرمين بعمرة، ومن كان معه عام الحديبية، لست سنين من هجرته إلى المدينة، فصدهم مشركو مكة، وأهدى أربعين بدنة، ويقال: مائة بدنة، فردوه وحبسوه شهرين لا يصل إلى البيت، وكانت بيعة الرضوان عامئذ، فصالحهم النبى ﷺ على أن ينحر الهدى مكانه فى أرض الحرم ويرجع فى يدخل مكة، فإذا كان العام المقبل خرجت قريش من مكة، وأخلوا له مكة ثلاثة أيام، ليس مع المسلمين سلاح إلا فى غمده، فرجع النبى ﷺ، ثم توجه من فوره ذلك إلى خيبر، فافتتحها فى المحرم، ثم رجع إلى المدينة، فلما كان العام المقبل، وأحرم النبى ﷺ وأصحابه بعمرة فى ذى القعدة وأهدوا.

ثم أقبلوا من المدينة، فأخلى لهم المشركون مكة ثلاثة أيام، وأدخلهم الله عز وجل مكة، فقضوا عمرتهم ونحروا البدن، فأنزل الله عز وجل: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ﴾ الذى دخلتم فيه مكة هذا العام ﴿بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾، يعنى الذى صدوكم فيه العام الأول، ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞ﴾، يعنى اقتصصت لك منهم فى الشهر الحرام، يعنى فى ذى القعدة كما صدوكم فى الشهر الحرام، وذلك أنهم فرحوا وافتخروا حين صدوا النبى ﷺ عن المسجد الحرام، فأدخله الله عز وجل من قابل، ثم قال سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾، وذلك أن أصحاب النبى ﷺ أهلوا إلى مكة محرمين بعمرة، فخافوا ألا يفى لهم المشركون بدخول المسجد الحرام، وأن يقاتلوهم عنده، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ فقاتلكم فى الحرم، ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾، يقول: فقاتلوهم فيه، ﴿بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ فيه، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، يعنى المؤمنين، ولا تبدءوهم بالقتال فى الحرم، فإن بدأ المشركون فقاتلوهم، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ فى النصر ﴿مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آية: ١٩٤]، الشرك، فخبرهم أنه ناصرهم.

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾

قوله سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وذلك أن النبى ﷺ والمسلمين ساروا من المدينة إلى مكة محرمين بعمرة فى العام الذى أدخله الله عز وجل مكة، فقال ناس من العرب منازلهم حول المدينة: والله ما لنا زاد، وما يطعمنا أحد، فأمر الله عز وجل بالصدقة عليهم، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾، أى ولا تكفوا أيديكم

عن الصدقة فتهلكوا. وقال رجل من الفقراء: يا رسول الله، ما نجد ما نأكل، فبأى شىء نتصدق، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، فإن أمسكتم عنها فهى التهلكة، ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟﴾ النفقة فى سبيل الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ١٩٥]، يعنى من أحسن فى أمر النفقة فى طاعة الله.

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ من المواقيت، ولا تستحلوا فيهما ما لا ينبغى لكم، فريضتان واجبتان، ويقال: العمرة هى الحج الأصغر، وتمام الحج والعمرة المواقيت والإحرام خالصًا لا يخالطه شىء من أمر الدنيا، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يشركون فى إحرامهم، فأمر الله عز وجل النبى ﷺ والمسلمين أن يتموهما لله، فقال: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، وهو ألا يخلطوهما بشىء، ثم خوفهم أن يستحلوا منهما ما لا ينبغى، فقال سبحانه فى آخر الآية: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾، يقول: فإن حبستم كقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ أُحصِرُوا فِى سَبِيلِ اللهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، يعنى حبسوا، نظيرها أيضًا: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨]، يعنى محبسًا.

يقول: إن حبسكم فى إحرامكم بحج أو بعمرة كسر أو مرض أو عدو عن المسجد الحرام، ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾، يعنى فليقم محرمًا مكانه ويبعث ما استيسر من الهدى أو بثمن الهدى، فيشترى له الهدى، فإذا نحر الهدى عنه، فإنه يحل من إحرامه مكانه، ثم قال: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ﴾ فى الإحرام، ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾، يعنى حتى يدخل الهدى مكة، فإذا نحر الهدى حل من إحرامه، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾، وذلك أن كعب بن عجرة الأنصارى كان محرمًا بعمرة عام الحديبية، فرأى النبى ﷺ على مقدم رأسه

قملاً كثيرًا، فقال النبى ﷺ: «يا كعب، أيؤذيك هوام رأسك؟»، قال: نعم يا نبى الله، فأمره رسول الله ﷺ أن يحلق، فأنزل الله عز وجل فى كعب: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾، فحلق رأسه، ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾، فعليه فدية صيام ثلاثة أيام إن شاء متتابعًا، وإن شاء متقطعًا، ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من حنطة، ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾، يعنى شاة أو بقرة أو بعيرًا ينحره، ثم يطعمه المساكين بمكة، ولا يأكل منه، وهو بالخيار، إن شاء ذبح شاة أو بقرة أو بعيرًا، فأما كعب، فذبح بقرة.

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ من الحبس من العدو عن البيت الحرام، ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾، يقول: وهو يريد الحج، فإن دخل مكة وهو محرم بعمرة فى غرة شوال، أو ذى القعدة، أو فى عشر من ذى الحجة، ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾، يعنى شاة فما فوقها يذبحها فيأكل منها ويطعم، فقال أبو هريرة، وسلمان، وأبو العرباض للنبى ﷺ: إنا لا نجد الهدى، فلنصم ثلاثة أيام، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدى فليصم، ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾ فى عشر الأضحى فى أول يوم من العشر إلى يوم عرفة، فإن كان يوم عرفة يوم الثالث، تم صومه، ثم قال: ﴿وَسَبْعَةٍ﴾، يعنى ولتصوموا سبعة أيام ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ من منى إلى أهليكم، ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾، فمن شاء صام فى الطريق، ومن شاء صام فى أهله، إن شاء متتابعًا، وإن شاء متقطعًا، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ التمتع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية: ١٩٦]، يعنى من لم يكن منزله فى أرض الحرم كله، فمن كان أهله فى أرض الحرم، فلا متعة عليه ولا صوم.

ثم قال عز وجل: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾، يقول: من أحرم بالحج، فليحرم فى شوال، أو فى ذى القعدة، أو فى عشر ذى الحجة، فمن أحرم فى سوى هذه الأشهر، فقد أخطأ السنة، وليجعلها عمرة، ثم قال: ﴿فَمَن فَرَضَ﴾، يقول: فمن أحرم ﴿فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾، أى الحج، ﴿فَلَا رَفَثَ﴾، يعنى فلا جماع، كقوله سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾، يعنى الجماع ﴿إِلَى نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾، يعنى ولا سباب، ﴿وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾، يعنى ولا مراء، كقوله سبحانه: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ [غافر: ٤]، يعنى ما يمارى حتى يغضب وهو محرم، أو يغضب صاحبه وهو محرم، فمن فعل ذلك فليطعم مسكينًا، وذلك أن النبى ﷺ أمر فى حجة

الوداع، فقال: «من لم يكن معه هدى فليحل من إحرامه، وليجعلها عمرة»، فقالوا للنبى ﷺ: إنا أهللنا بالحج، فذلك جداهم للنبى ﷺ.

ثم قال عز وجل: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾، يعنى مما نهى من ترك الرفث والفسوق والجدال، ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾، فيجزيكم به، ثم قال عز وجل: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، وذلك أن ناسًا من أهل اليمن وغيرهم كانوا يحجون بغير زاد، وكانوا يصيبون من أهل الطريق ظلمًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ من الطعام ما تكفون به وجوهكم عن الناس وطلبهم، وخير الزاد التقوى، يقول الله تبارك اسمه: التقوى خير زاد من غيره، ولا تظلمون من تمرون عليه، ﴿وَٱتَّقُونِ﴾ ولا تعصون ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آية: ١٩٧]، يعنى يا أهل اللب والعقل، فلما نزلت هذه الآية قال النبى ﷺ: «تزودوا ما تكفون به وجوهكم عن الناس، وخير ما تزودتم التقوى».

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يحجون منهم الحاج والتاجر، فلما أسلموا قالوا للنبى ﷺ: إن سوق عكاظ وسوق منى وذى المجاز فى الجاهلية كانت تقوم قبل الحج وبعد الحج، فهل يصلح لنا البيع والشراء فى أيام حجنا قبل الحج وبعد الحج، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾، فى مواسم الحج، يعنى التجارة، فرخص الله سبحانه فى التجارة، ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ بعد غروب، ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ تلك الليلة ﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾، فإذا أصبحتم، يعنى بالمشعر حيث يبيت الناس بالمزدلفة، فاذكروا الله، ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ لأمر دينه، ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ من قبل أن يهديكم لدينه ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [آية: ١٩٨]، يعنى عن الهدى.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي

ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾، وذلك الحمس، قريش، وكنانة، وخزاعة، وعامر بن صعصعة، كانوا يبيتون بالمشعر الحرام، ولا يخرجون من الحرم خشية أن يقتلوا، وكانوا لا يقفون بعرفات، فأنزل الله عز وجل فيهم يأمرهم بالوقوف بعرفات، فقال لهم: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾[1]، يعنى ربيعة، واليمن كانوا يفيضون من عرفات قبل غروب الشمس، ويفيضون من جمع إذا طلعت الشمس، فخالف النبى ﷺ فى الإفاضة، ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ لذنوبكم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب المؤمنين، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٩٩] بهم.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ بعد أيام التشريق، ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾، وذلك أنهم كانوا إذا فرغوا من المناسك وقفوا بين مسجد منى وبين الجبل يذكر كل واحد منهم أباه ومحاسنه، ويذكر صنائعه فى الجاهليو أنه كان من أمره كذا وكذا، ويدعو له بالخير، فقال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾، كذكر الأبناء الآباء، فإنى أنا فعلت ذلك الخير إلى آبائكم الذين تتنون عليهم، ثم قال سبحانه: ﴿أَوْ أَشَدَّ﴾، يعنى أكثر ﴿ذِكْرًا﴾ لله منكم لآبائكم، وكانوا إذا قضوا مناسكهم قالوا: اللهم أكثر أموالنا، وأبناءنا، ومواشينا، وأطل بقاءنا، وأنزل علينا الغيث، وأنبت لنا المرعى، وأصحبنا فى سفرنا، وأعطنا الظفر على عدونا، ولا يسألون ربهم عن أمر آخرتهم شيئًا، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾، يعنى أعطنا ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾، يعنى هذا الذى ذكر، فقال سبحانه: ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [آية: ٢٠٠]، يعنى من نصيب، نظيرها فى براءة: ﴿فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلاقِهِمْ﴾ [التوبة: ٦٩]، يعنى بنصيبهم، فهؤلاء مشركو العرب. فلما أسلموا وحجوا دعوا ربهم، فقال سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٢٠١]، أى دعوا ربهم أن يؤتيهم ﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، يعنى الرزق الواسع، وأن يؤتيهم ﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ

---

(١) انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٤٢٨/٢، إعراب القرآن للعكبرى ٥١/١، البحر المحيط ١٠٠/٢، ١٠١، تفسير الفخر الرازى ١٧٩/٢).

﴿حَسَنَةً﴾، فيجعل ثوابهم الجنة، وأن يقيهم ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾، يقول: حظ من أعمالهم الحسنة، ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آية: ٢٠٢]، يقول: كأنه قد كان، فهؤلاء المؤمنون.

﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ إذا رميتم الجمار، يعنى أيام التشريق، والأيام المعلومات يعنى يوم النحر ويومين من أيام التشريق بعد النحر، فكان عمر، رضى الله عنه، يكبر فى قبته بمنى، فيرفع صوته، فيسمع أهل مسجد منى فيكبرون كلهم حتى يرتج منى تكبيرًا، ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، يعنى بعد يوم النحر بيومين، يقول: من تعجل فنفر قبل غروب الشمس، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، يقول: فلا ذنب عليه، يقول: ذنوبه مغفورة، فمن لم ينفر حتى تغرب الشمس فليقم إلى الغد يوم الثالث، فيرمى الجمار، ثم ينفر مع الناس، قال: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ إلى يوم الثالث حتى ينفر الناس، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[1]، يقول: لا ذنب عليه، يقول: ذنوبه مغفورة، ثم قال: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ قتل الصيد، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، ولا تستحلوا قتل الصيد فى الإحرام، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ يخوفهم ﴿أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آية: ٢٠٣] فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم، نظيرها فى المائدة: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِىَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٦] فيجزيكم بأعمالكم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، نزلت فى الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن أبى سلمة الثقفى، وأمه اسمها ريطة بنت عبد الله بن أبى قيس القرشى، من بنى عامر بن لؤى، وكان عديد بنى زهرة، وكان يأتى النبى ﷺ فيخبره أنه يحبه ويحلف بالله على ذلك، ويخبره أنه يتابعه على دينه، فكان النبى ﷺ يعجبه ذلك

(١) انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٤/٣، البحر المحيط لأبى حيان ١١١/٢).

ويدنيه في المجلس، وفي قلبه غير ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ﴾ ما يقول، يعني يمينه التي حلف بالله، و﴿مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾ أن الذي يقول حق ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [آية: ٢٠٤]، يقول: جدلاً بالباطل، كقوله سبحانه: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾ [مريم: ٩٧]، يعني جدلاء خصماء.

ثم أخبر نبيه ﷺ، فقال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾، يعني إذا توارى وكان رجلاً مانعًا جريئًا على القتل، ﴿سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالمعاصي؛ ﴿لِيُفۡسِدَ فِيهَا﴾، يعني في الأرض، ﴿وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ﴾[1]، يعني كل دابة، وذلك أنه عمد إلى كديس بالطائف إلى رجل مسلم، فأحرقه وعقر دابته، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [آية: ٢٠٥]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ﴾، يعني الحمية، نظيرها في ص آية: ٢ قوله سبحانه: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، يعني حمية بالإثم، ﴿فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ﴾ شدة عذاب، ﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [آية: ٢٠٦]، وكان الأخنس يسمى أبي بن شريق، من بني زهرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وإنما سمي الأخنس؛ لأنه يوم بدر رد ثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال النبي ﷺ، وقال لهم: إن محمدًا ابن أختكم، وأنتم أحق من كف عنه، فإن كان نبيًا لم نقتله، وإن كان كاذبًا كنتم أحق من كف عنه، فخنس بهم، فمن ثم سمي الأخنس.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ﴾، وذلك أن كفار مكة أخذوا عمارًا، وبلالاً، وخبابًا، وصهيبًا، فعذبوهم لإسلامهم حتى يشتموا النبي ﷺ، فأما صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان القرشي، وكان شخصًا ضعيفًا، فقال لأهل مكة: لا تعذبوني، هل لكم إلى خير؟ قالوا: وما هو؟ قال: أنا شيخ كبير، لا

(١) انظر: (معاني القرآن للفراء ١/١٢٤، الكشاف للزمخشري ١/١٢٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/١٧، جامع البيان للطبري ٤/٢٤٣، إعراب القرآن للعكبري ١/٥٢، البحر المحيط لأبي حيان ٢/١١٦، تفسير الفخر الرازي ٢/١٩٠، لسان العرب مادة «هلك» ١٠/٥٠٣).

يضركم إن كنت معكم أو مع غيركم، لئن كنت معكم لا أنفعكم، ولئن كنت مع غيركم لا أضركم، وإن لى عليكم لحقًا لخدمتى وجوارى إياكم، فقد علمت أنكم إنما تريدون مالى، وما تريدون نفسى، فخذوا مالى واتركونى ودينى غير راحلة، فإن أردت أن ألحق بالمدينة فلا تمنعونى، فقال بعضهم لبعض: صدق، خذوا ماله فتعاونوا به على عدوكم، ففعلوا ذلك، فاشترى نفسه بماله كله غير راحلة، واشترط ألا يمنع عن صلاة، ولا هجرة.

فأقام بين أظهرهم ما شاء، ثم ركب راحلته نهارًا حتى أتى المدينة مهاجرًا، فلقيه أبو بكر، رضى الله عنه، فقال: ربح البيع يا صهيب، فقال: وبيعك لا يخسر، فقال أبو بكر، رضى الله عنه: قد أنزل الله فيك: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ﴾ ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آية: ٢٠٧]، يعنى للفعل فعل الرومى صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان بن عمرو بن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى.

قال عبد الله بن ثابت: سمعت أبى يقول: سمعت هذا الكتاب من أوله إلى آخره من الهذيل أبى صالح، عن مقاتل بن سليمان ببغداد درب السدرة سنة تسعين ومائة، قال: وسمعته من أوله إلى آخره قراءة عليه فى المدينة فى سنة أربع ومائتين، وهو ابن خمس وثمانين سنة، رحمنا الله وإياهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾، وذلك أن عبد الله بن سلام، وسلام بن قيس، وأسيد وأسد ابنا كعب، ويامين بن يامين، وهم مؤمنوا أهل التوراة، استأذنوا النبى ﷺ فى قراءة التوراة فى الصلاة، وفى أمر السبت، وأن يعملوا ببعض ما فى التوراة، فقال الله عز وجل: خذوا سنة محمد ﷺ وشرائعه، فإن قرآن محمد ينسخ كل كتاب كان قبله، فقال: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾، يعنى فى شرائع الإسلام كلها، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾، يعنى تزيين الشيطان، فإن السُنة الأولى بعدما بعث محمد ﷺ ضلالة من خطوات الشيطان، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ٢٠٨]، يعنى بين.

﴿فَإِن زَلَلۡتُم﴾، يعنى ضللتم عن الهدى وفعلتم هذا ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾، يعنى شرائع محمد ﷺ وأمره، ثم حذرهم عقوبته، فقال: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ

عَزِيزٌ﴾ فى نقمته، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٢٠٩] حكم عليهم العذاب، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾، يعنى ما ينظرون، ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾[1]، يعنى كهيئة الضبابة أبيض، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فى غير ظلل فى سبعين حجابًا من نور عرشه والملائكة يسبحون، فذلك قوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥]، يعنى وليس بسحاب، ثم قال سبحانه: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾، يعنى وقع العذاب، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آية: ٢١٠]، يقول: يصير أمر الخلائق إليه فى الآخرة.

﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾﴾

﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، يعنى يهود المدينة، ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾، يعنى كم أعطيناهم من آية بينة، يعنى حين فرق بهم البحر، وأهلك عدوهم، وأنزل عليهم المن والسلوى والغمام والحجر، فكفروا برب هذه النعم حين كفروا بمحمد ﷺ، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾، فخوفهم عقوبته بقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية: ٢١١] إذا عاقب.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾، وما بسط لهم فيها من الخير، نزلت فى المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فى أمر المعيشة بأنهم فقراء، نزلت فى عبد الله بن ياسر المخزومى، وصهيب بن سنان، من بنى تيم بن مرة، وبلال بن رباح مولى أبى بكر، رضى الله عنه، وخباب بن الأرت مولى ابن أم بهار الثقفى حليف بنى زهرة، وسالم مولى أبى حذيفة، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، وعبد الله بن مسعود، وأبى هريرة الدوسى، وفى نحوهم من الفقراء، يقول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشرك، يعنى هؤلاء النفر، ﴿فَوْقَهُمْ﴾، يعنى

---

(١) انظر: (جامع البيان للطبرى ٢٦١/٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢٥/٣، الكشاف للزمخشرى ١٢٧/١، البحر المحيط لأبى حيان ١٢٥/٢، إعراب القرآن للنحاس ٢٥١/١، إعراب القرآن للعكبرى ٥٣/١، تفسير الفخر الرازى ١٩٩/٢).

فوق المنافقين والكافرين ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آية: ٢١٢]، حين يبسط للكافرين الرزق، ويقدر على المؤمنين يقول: ليس فوقي ملك يحاسبني، أنا الملك أعطي من شئت بغير حساب حين أبسط للكافرين في الرزق وأقتر على المؤمنين.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣)﴾

﴿كَانَ النَّاسُ﴾، يعني أهل السفينة، ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، يعني على ملة الإسلام وحدها، وذلك أن عبد الله بن سلام خاصم اليهود في أمر محمد ﷺ، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ولوط بن حران بن آزر، فبعثهم الله ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنة، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من النار، ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، يعني صحف إبراهيم؛ ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾؛ ليقضي الكتاب ﴿فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من الدين، فدعا بها إبراهيم وإسحاق قومهما، ودعا بها إسماعيل جرهم، فآمنوا به، ودعا بها يعقوب أهل مصر، ودعا بها لوط سدوم وعامورا وصابورا ودمامورا، فلم يسلم منهم غير ابنتيه ريتا وزعوتا، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾، يعني أعطوا الكتاب، ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، يعني البيان، ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾، يقول: تفرقوا بغيًا وحسدًا بينهم، ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، يقول: حين اختلفوا في القرآن، ﴿مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾، يعني التوحيد، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٢١٣]، يعني دين الإسلام؛ لأن غير دين الإسلام باطل.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)﴾

ثم بين للمؤمنين أن لابد لهم من البلاء والمشقة في ذات الله، فقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾، نظيرها في آل عمران قوله سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وفي العنكبوت: ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١، ٢]، وذلك أن

المنافقين قالوا للمؤمنين فى قتال أُحُد: لم تقتلون أنفسكم وتهلكون أموالكم، فإنه لو كان محمد بيننا لم يسلط عليكم القتل، فرد المؤمنون عليهم، فقالوا: قال الله: من قتل منا دخل الجنة، فقال المنافقون: لم تمنون أنفسكم بالباطل؟ فأنزل الله عز وجل يوم أُحُد: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾، نزلت فى عثمان بن عفان وأصحابه، رحمهم الله.

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ﴾، يعنى سنة، ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾ من البلاء، يعنى مؤمنى الأمم الخالية، ثم أخبر عنهم ليعظ أصحاب النبى ﷺ، فقال سبحانه: ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾، يعنى أصابتهم ﴿ٱلْبَأْسَآءُ﴾، يعنى الشدة، وهى البلاء، ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾، يعنى البلاء، ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾، يعنى وخوفوا ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ وهو اليسع ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾، وهو حزقيا الملك حين حضر القتال ومن معه من المؤمنين، ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾، فقال الله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [آية: ٢١٤]، يعنى سريع، وإن ميشا بن حزقيا قتل اليسع، واسمه اشعيا.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ من أموالهم، وذلك أن الله أمر بالصدقة، فقال عمرو بن الجموح الأنصارى من بنى سلمة بن جشم بن الخزرج، قُتل يوم أُحُد، رضى الله عنه، قال: يا رسول الله، كم ننفق؟ وعلى من ننفق؟ فأنزل الله عز وجل فى قول عمرو: كم ننفق؟ وعلى من ننفق؟: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ من الصدقة، ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ من مال، كقوله سبحانه: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]، يعنى مالاً، ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، فهؤلاء موضع نفقة أموالكم، ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ من أموالكم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٢١٥]، يعنى بما أنفقتم عليم.

وأنزل فى قول عمرو: يا رسول الله، كم ننفق من أموالنا؟ وعلى من ننفق؟ قول الله عز وجل: ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾، يعنى فضل قوتك، فإن كان الرجل من أصحاب الذهب والفضة أمسك الثلث وتصدق بسائره، وإن كان من أصحاب الزرع والنخل أمسك ما يكفيه فى سنته وتصدق بسائره، وإن كان ممن يعمل بيده أمسك ما يكفيه يومه ذلك وتصدق بسائره، فبين الله عز وجل ما ينفقون فى هذه الآية، فقال: ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾،

يعنى فضل القوت، ﴿كَذَلِكَ﴾ يعظكم هكذا ﴿يُبيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾، يعنى أمر الصدقات، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتفكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، يقول لكى تتفكروا فى أمر الدنيا، فتقولون: هى دار بلاء، وهى دار فناء، ثم تتفكروا فى الآخرة فتعرفون فضلها، فتقولون: هى دار خير، ودار بقاء، فتعملون لها فى أيام حياتكم، فهذا التفكر فيهما، فشق على الناس حين أمرهم أن يتصدقوا بالفضل، حتى نزلت آية الصدقات فى براءة، فكان لهم الفضل وإن كثر إذا أدوا الزكاة.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾، يعنى فرض عليكم، كقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، يعنى فرض، ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾، يعنى مشقة لكم، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، فيجعل الله عاقبته فتحًا وغنيمة وشهادة، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا﴾، يعنى القعود عن الجهاد، ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾، فيجعل الله عاقبته شر، فلا تصيبون ظفرًا ولا غنيمة، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٢١٦]، أى والله يعلم من ذلك ما لا تعلمون.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾، وذلك أن النبى ﷺ بعث عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب على سرية فى جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين، على رأس ستة عشر شهرًا، بعد قدوم النبى ﷺ المدينة، فلما ودع رسول الله ﷺ، فاضت عيناه، ووجد من فراق النبى ﷺ بعد أن عقد له اللواء، فلما رأى النبى ﷺ وجده، بعث مكانه عبد الله ابن جحش الأسدى من بنى غنم بن دودان، وأمه عمة النبى ﷺ أميمة بنت عبد المطلب، وهو حليف لبنى عبد شمس، وكتب له كتابًا، وأمره أن يتوجه قبل مكة، ولا يقرأ الكتاب حتى يسير ليلتين، فلما سار عبد الله ليلتين، قرأ الكتاب، فإذا فيه: سر باسم الله

إلى بطن نخلة، على اسم الله وبركته، ولا تكرهن أحد من أصحابك على السير، وامض لأمرى ومن اتبعك منهم، فترصد بها عير قريش، فلما قرأ الكتاب استرجع عبد الله، واتبع استرجاعه بسمع وطاعة الله عز وجل ولرسوله ﷺ.

ثم قال عبد الله لأصحابه: من أحب منكم أن يسير معى فليسر، ومن أحب أن يرجع فليرجع، وهم ثمانية رهط من المهاجرين: عبد الله بن جحش الأسدى، وسعد بن أبى وقاص الزهرى، وعتبة بن غزوان المزنى حليف لقريش، وأبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وسهل بن بيضاء القرشى، ويقال: سهل من بنى الحارث بن فهد، وعامر بن ربيعة القرشى من بنى عدى بن كعب، وواقد بن عبد الله التميمى، فرجع من القوم سعد ابن أبى وقاص، وعتبة بن غزوان، وسار عبد الله ومعه خمسة نفر وهو سادسهم، فلما قدموا لبطن نخلة بين مكة والطائف، حملوا على أهل العير، فقتلوا عمر بن الحضرمى القرشى، قتله واقد بن عبد الله التميمى، رماه بسهم، فكان أول قتيل فى الإسلام من المشركين، وأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة المخزومى، فغديا بعد ذلك فى المدينة، وأفلتهم نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى على فرس له جواد أنثى، فقدم مكة من الغد، وأخبر الخبر مشركى مكة، وكرهوا الطلب؛ لأنه أول يوم من رجب، وسار المسلمون بالأسارى والغنيمة حتى قدموا المدينة، فقالوا: يا نبى الله، أصبنا القوم نهارًا، فلما أمسينا رأينا هلال رجب، فما ندرى أصبناهم فى رجب أو فى آخر يوم من جمادى الآخرة.

وأقبل مشركو مكة على مسلميهم، فقالوا: يا معشر الصباة، ألا ترون أن إخوانكم استحلوا القتال فى الشهر الحرام، وأخذوا أسارانا وأموالنا، وأنتم تزعمون أنكم على دين الله، أفوجدتم هذا فى دين الله حيث أمن الخائف، وربطت الخيل، ووضعت الأسنة، وبدأ الناس لمعاشهم، فقال المسلمون: الله ورسوله أعلم، وكتب مسلمو مكة إلى عبد الله بن جحش أن المشركين عابونا فى القتال، وأخذ الأسرى والأموال فى الشهر الحرام، فاسأل رسول الله ﷺ: ألنا فى ذلك متكلم، أو أنزل الله بذلك قرآنًا، فدفع عبد الله بن جحش الأسدى الكتاب إلى النبى ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ ﴿قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾، ولم يرخص فيه القتال.

ثم قال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى دين الإسلام، ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾، أى وكفر

بالله، ﴿وَ﴾ صد عن ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ من عند المسجد الحرام، فذلك صدهم، وذلك أنهم أخرجوا النبى ﷺ وأصحابه من مكة، ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾، فهذا أكبر عند الله من القتل والأسر وأخذ الأموال، ثم قال سبحانه: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾، يعنى الإشراك الذى أنتم فيه ﴿أَكْبَرُ﴾ عند الله ﴿مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾، ثم أخبر عز وجل عن رأى مشركى العرب فى المسلمين، فقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾، يعنى مشركى مكة ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿عَن دِينِكُمْ﴾ الإسلام، ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾، ثم خوفهم، فقال: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ الإسلام، يقول: ومن ينقلب كافرًا بعد إيمانه، ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾، يعنى بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الخبيثة، فلا ثواب لهم ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَ﴾ لا فى ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٢١٧]، يعنى لا يموتون.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾

فكتب عبد الله بن جحش إلى مسلمى أهل مكة بهذه الآية، وكتب إليهم إن عيروكم، فعيروهم بما صنعوا، وقال عبد الله بن جحش وأصحابه: أصبنا القوم فى رجب، فنرجو أن يكون لنا أجر المجاهدين فى سبيل الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٢١٨]. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾، إلى المدينة، ﴿وَجَٰهَدُوا۟﴾ المشركين ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾، يعنى جنة الله، نظيرها فى آل عمران قوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ اللّٰهِ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، يعنى ففى جنة الله؛ لقولهم للنبى ﷺ: هل لنا أجر المجاهدين فى سبيل الله.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ لاستحلالهم القتل والأسر والأموال فى الشهر الحرام، فكانت هذه أول سرية، وأول غنيمة، وأول خمس، وأول قتيل، وأول أسر كان فى الإسلام، فأما نوفل بن عبد الله الذى أفلت يومئذ، فإنه يوم الخندق ضرب بطن فرسه ليدخل الخندق على المسلمين فى غزوة الأحزاب، فوقع فى الخندق، فتحطم هو وفرسه، فقتله الله تعالى، وطلب المشركون جيفته بثمن، فقال ﷺ: «خذوه، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدية».

﴿۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾

﴿۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ﴾، يعنى القمار، نزلت فى عبد الرحمن بن عوف، وعمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، ونفر من الأنصار، رضى الله عنهم، وذلك أن الرجل كان يقول فى الجاهلية: أين أصحاب الجزور، فيقوم نفر، فيشترون الجزور، فيجعلون لكل رجل منهم سهم، ثم يقرعون، فمن خرج سهمه يبرأ من الثمن، حتى يبقى آخرهم رجلاً، فيكون ثمن الجزور كله عليه وحده، ولا حق له فى الجزور، ويقتسم الجزور بقيتهم بينهم، فذلك الميسر، قال سبحانه: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، فى ركوبهما؛ لأن فيهما ترك الصلاة، وترك ذكر الله عز وجل، وركوب المحارم، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، يعنى بالمنافع اللذة والتجارة فى ركوبهما قبل التحريم، فلما حرمهما الله عز وجل، قال: ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ بعد التحريم، ﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾، قبل التحريم، وأنزل الله عز وجل تحريمهما بعد هذه الآية بسنة، والمنفعة فى الميسر أن بعضهم ينتفع به، وبعضهم يخسر، يعنى المقامر، وإنما سمى الميسر؛ لأنهم قالوا: يسروا لنا ثمن الجزور، يقول الرجل: افعل كذا وكذا.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢١٩]، ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ﴾، وذلك أن الله عز وجل أنزل فى أموال اليتامى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، فلما نزلت هذه الآية، أشفق المسلمون من خلطة اليتامى، فعزلوا بيت اليتيم وطعامه وخدامه على حدة مخافة العذر، فشق ذلك على المسلمين، وعلى اليتامى اعتزالهم، فقال ثابت بن رفاعة للنبى ﷺ: قد سمعنا ما أنزل الله عز وجل فى اليتامى فعزلناهم، والذى لهم، وعزلنا الذى لنا، فشق ذلك علينا وعليهم، وليس كلنا يجد سعة فى عزل اليتيم وطعامه وخادمه، فهل يصلح لنا خلطتهم، فيكون البيت والطعام واحد والخدمة وركوب الدابة، ولا نرزأهم شيئًا، إلا أن نعود عليهم بأفضل منه، فأنزل الله عز وجل فى قول ثابت بن رفاعة الأنصارى:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾(١)، يقول: ما كان لليتيم فيه صلاح، فهو خير أن تفعلوه.

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ فى المسكن والطعام والخدمة وركوب الدابة، ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾، فهم إخوانكم، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ﴾ لمال اليتيم، ﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ لماله، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾، يقول: لآثمكم فى دينكم، نظيرها فى براءة قوله سبحانه: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، يقول: ما أثمتم، فحرم عليكم خلطتهم فى الذى لهم، كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، فلم تنتفعوا بشىء منه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ فى ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٢٢٠]، يعنى ما حكم فى أموال اليتامى.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ﴾، نزلت فى أبى مرثد الغنوى، واسمه أيمن، وفى عناق القرشية، وذلك أن أبا مرثد كان رجلاً صالحًا، وكان المشركون أسروا أناسًا بمكة، وكان أبو مرثد ينطلق إلى مكة مستخفيًا، فإذا كان الليل أخذ الطريق، وإذا كان النهار تعسف الجبال؛ لئلا يراه أحد، حتى يقدم مكة، فيرصد المسلمين ليلاً، فإذا أخرجهم المشركون للبراز، تركوهم عند البراز والغائط، فينطلق أبو مرثد، فيجعل الرجل منهم على عنقه حتى إذا أخرجه من مكة كسر قيده بفهر ويلحقه بالمدينة، كان ذلك دأبه، فانطلق يومًا حتى انتهى إلى مكة، فلقيته عناق، وكان يصيب منها فى الجاهلية، فقالت: أبا مرثد، ما لك فى حاجة، فقال: إن الله عز وجل قد حرم الزنا.

فلما أيست منه أنذرت به كفار مكة، فخرجوا يطلبونه، فاستتر منهم بالشجر، فلم يقدروا عليه، فلما رجعوا احتمل بعض المسلمين حتى أخرجه من مكة، فكسر قيده، ورجع إلى المدينة، فأتى النبى ﷺ فأخبره بالخبر، فقال: والذى بعثك بالحق، لو شئت أن آخذهم وأنا مستتر بالشجرة لفعلت، فقال له النبى ﷺ: اشكر ربك أبا مرثد، إن الله عز وجل حجزهم عنك، فقال أبو مرثد: يا رسول الله، إن عناق أحبها، وكان بينى وبينها

---

(١) انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ٢/١٦١، الكشاف للزمخشرى ١/١٣٣).

فى الجاهلية، أفتأذن لى فى تزويجها، فإنها لتعجبنى، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾، يصدقن بتوحيد الله، ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾، يعنى مصدقة بتوحيد الله، ﴿خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾؛ لقوله: إنها لتعجبنى، ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢٢١].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾، يعنى قذر، نزلت فى عمرو بن الدحداح الأنصارى، من قضاعة، فلما نزلت هذه الآية لم يؤاكلوهن فى إناء واحد، وأخرجوهن من البيوت والفرش كفعل العجم، فقال ناس من العرب للنبى ﷺ: قد شق علينا اعتزال الحائض، والبرد شديد، فإن آثرناهم بالثياب هلك سائر البيت، وإن آثرنا أهل البيت هلكت النساء بردًا، فقال النبى ﷺ: «إنكم لم تؤمروا أن تعزلوهن من البيوت، إنما أمرتم باعتزال الفرج إذا حضن، ويؤتين إذا طهرن»، وقرأ عليهم: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾، يعنى يغتسلن، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾، يعنى اغتسلن من المحيض، ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾، أى يؤتين غير حيض فى فروجهن التى نهى عنها فى الحيض، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ من الذنوب، ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [آية: ٢٢٢] من الأحداث والجنابة والحيض.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾، وذلك أن حيى بن أخطب ونفرًا من اليهود قالوا للمسلمين: إنه لا يحل لكم جماع النساء إلا مستلقيات، وإنا نجد فى كتاب الله عز وجل أن جماع المرأة غير مستلقية ذنبًا عند الله عز وجل، فقال المسلمون لرسول الله ﷺ: إنا كنا فى الجاهلية وفى الإسلام نأتى النساء على كل حال، فزعمت اليهود أنه ذنب عند الله عز وجل إلا مستلقيات، فأنزل الله عز وجل: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾، يعنى مزرعة للولد، ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ فى الفروج، ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ من الولد، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾

يعظكم، فلا تقربوهن حيضًا، ثم حذرهم، فقال سبحانه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ﴾، فيجزيكم بأعمالكم، ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٢٢٣]، يعنى المصدقين بأمر الله ونهيه بالجنة.

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٢٥﴾﴾

﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾، نزلت فى أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، وفى ابنه عبد الرحمن، حلف أبو بكر، رضى الله عنه، ألا يصله حتى يسلم، وذلك أن الرجل كان إذا حلف، قال: لا يحل إلا إبرار القسم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾، يقول: لا يحلف على ما هو فى معصية ألا يصل قرابته، وذلك أن الرجل يحلف أن لا يدخل على جاره، ولا يكلمه، ولا يصلح بين إخوانه، والرجل يريد الصلح بين الرجلين، فيغضبه أحدهما أو يتهمه، فيحلف المصلح أن لا يتكلم بينهما، قال الله عز وجل: لا تحلفوا ألا تصلوا القرابة: ﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ﴾ الله ﴿وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾، فهو خير لكم من وفاء باليمين فى معصية الله، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لليمين؛ لقولهم: حلفنا عليها، ﴿عَلِيمٞ﴾ [آية: ٢٢٤]، يقول: عالم بها، كان هذا قبل أن تنزل الكفارة فى المائدة.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾، وهو الرجل يحلف على أمر يرى أنه فيه صادق وهو مخطئ، فلا يؤاخذه الله بها، ولا كفارة عليه فيها، فذلك العفو، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ﴾، يعنى بما عقدت قلوبكم من المأثم، يعنى اليمين الكاذبة التى حلف عليها، وهو يعلم أنه فيها كاذب، فهذه فيها كفارة، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾، يعنى ذا تجاوز عن اليمين التى حلف عليها، ﴿حَلِيمٞ﴾ [آية: ٢٢٥]، حين لا يوجب فيها الكفارة.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٧﴾﴾

ثم نزلت الكفارة فى سورة المائدة، فبين فيها ﴿لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ﴾، يعنى يقسمون ﴿مِن نِّسَآئِهِمۡ﴾، فهو الرجل يحلف أن لا يقرب امرأته، ﴿تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو﴾، يعنى

فإن رجع فى يمينه فجامعها قبل أربعة أشهر، فهى امرأته، وعليه أن يكفر عن يمينه، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهذه اليمين، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٢٢٦] به، إذ جعل الله عز وجل الكفارة فيها؛ لأنه لم يكن أنزل الكفارة فى المائدة، ثم نزلت بعد ذلك الكفارة فى المائدة.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾، يعنى فإن حققوا ﴿ٱلطَّلَٰقَ﴾، يعنى أنفذوا فى السراح، فلم يجامعها أربعة أشهر بانت منه بتطليقة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ ليمينه، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٢٢٧]، يعنى عالم بها.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾، يعنى ثلاث حيض إذا كانت ممن تحيض، ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الولد، ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ﴾، يعنى يصدقن بالله بأنه واحد لا شريك له، ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، يصدقن بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال بأنه كائن، ثم قال عز وجل: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾، يقول: الزوج أحق برجعتها وهى حبلى، نزلت فى إسماعيل الغفارى وفى امرأته لم تشعر بحبلها، ثم قال سبحانه: ﴿إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾، يعنى بالمراجعة فيما بينهما، فعمد إسماعيل فراجعها وهى حبلى، فولدت منه، ثم ماتت ومات ولدها، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، يقول: لهن من الحق على أزواجهن مثل ما لأزواجهن عليهن، ثم قال سبحانه: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، يقول: لأزواجهن عليهن فضيلة فى الحق وبما ساق إليها من الحق، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فى ملكه، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٢٢٨]، يعنى حكم الرحمة عليها فى الحبل.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا

طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ﴾

ثم نسختها الآية التى بعدها، فأنزل الله بعد ذلك بأيام يسيرة، فبين للرجل كيف يطلق المرأة، وكيف تعتد، فقال: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾، يعنى بإحسان، ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍۗ﴾، يعنى التطليقة الثالثة فى غير ضرار، كما أمر الله سبحانه فى وفاء المهر، ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ إذا أردتم طلاقها ﴿أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾، وذلك أن الرجل كان إذا طلق امرأته، أخرجها من بيته، فلا يعطيها شيئًا من المهر، ثم استثنى ورخص، فقال سبحانه: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ﴾، يعنى أمر الله عز وجل فيما أمرهما، وذلك أن تخاف المرأة الفتنة على نفسها، فتعصى الله فيما أمرها زوجها، أو يخاف الزوج أن لم تطعه امرأته أن يعتدى عليها، يقول سبحانه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾، يعنى علمتم، ﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾، يعنى الحاكم، ﴿حُدُودَ ٱللَّهِ﴾، يعنى أمر الله فى أنفسهما إن نشزت عليه، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾، يعنى الزوج والزوجة، ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ﴾ من شىء، يقول: لا حرج عليهما إذا رضيا أن تفتدى منه ويقبل منها الفدية ثم يفترقا، وكانت نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى من بنى الحارث بن الخزرج، وفى امرأته أم حبيبة بنت عبد الله بن أبى رأس المنافقين، وكان أمهرها حديقة فردتها عليه، واختلعت منه، فهى أول خلعة كانت فى الإسلام، ثم قال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾، يعنى أمر الله فيهما، ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾، يقول: ومن يخالف أمر الله إلى غيره، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٢٢٩] لأنفسهم.

ثم رجع إلى الآية الأولى فى قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ بعد التطليقتين تطليقة أخرى، سواء أكان بها حبل أم لا، ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ﴾ فيجامعها، فنخست هذه الآية الآية التى قبلها فى قوله عز وجل ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾، ونزلت ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ﴾ فى تميمة بنت وهب بن عتيك النقرى، وفى زوجها رفاعة بن عبد الرحمن بن الزبير، وتزوجها عبد الرحمن بن

الزبير القرظى، يقول: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزوج الأخير عبد الرحمن، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾، يعنى الزوج الأول رفاعة، ولا على المرأة تميمة، ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ بمهر جديد ونكاح جديد، ﴿إِن ظَنَّآ﴾، يعنى إن حسبا، ﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أمر الله فيما أمرهما، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾، يعنى أمر الله فى الطلاق، يعنى ما ذكر من أحكام الزوج والمرأة فى الطلاق وفى المراجعة، ﴿يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٢٣٠].

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ واحدة، ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، يعنى انقضاء عدتهن من قبل أن تغتسل من قرئها الثالث، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾، يعنى بإحسان من غير ذرار، فيوفيها المهر والمتعة، نزلت فى ثابت بن ياسر الأنصارى فى الطعام والكسوة وغير ذلك، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾، وذلك أنه طلق امرأته، فلما أرادت أن تبين منه راجعها، فما زال يضارها بالطلاق ويراجعها، يريد بذلك أن يمنعها من الزواج لتفتدى منه، فذلك قوله سبحانه: ﴿لِّتَعْتَدُوا۟﴾، وكان ذلك عدوانًا، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾، يعنى استهزاء فيما أمر الله عز وجل فى كتابه من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، ولا تتخذوها لعبًا، ﴿وَٱذْكُرُوا۟﴾، يعنى واحفظوا ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام، ﴿وَ﴾ احفظوا ﴿وَمَآ أَنزَلَ﴾ الله ﴿عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعنى القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ والموعظة التى فى القرآن من أمره ونهيه، يقول: ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾، يعنى بالقرآن، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، يعظكم فلا تعصوه فيهن، ثم حذرهم، فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٢٣١]، فيجزيكم بها.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ تطليقة واحدة، ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، يقول: انقضت عدتهن، نزلت فى أبى البداح بن عاصم بن عدى الأنصارى، من بنى العجلان الأنصارى، وهو حى من قضاعة، وفى امرأته جمل بنت يسار المزنى، بانت منه بتطليقة، فأراد مراجعتها، فمنعها أخوها، وقال: لئن فعلت لا أكلمك أبدًا، أنكحتك وأكرمتك وآثرتك على قومى فطلقتها، وأجحفت بها، والله لا أزوجكها أبدًا، فقال الله عز وجل، يعنى معقل: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾، يعنى فلا تمنعوهن أن يراجعهن أزواجهن، ﴿إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، يعنى بمهر جديد ونكاح جديد، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من النهى ألا يمنعها من الزوج ذلك، ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، يعنى يصدق بالله بأنه واحد لا شريك له، ويصدق بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، فليفعل ما

أمره الله عز وجل من المراجعة، ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾، يعني خير لكم من الفرقة، ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لقلوبكم من الريبة، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ حب كل واحد منهما لصاحبه، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٢٣٢] ذلك منهما.

فلما نزلت هذه الآية، قال ﷺ: «يا معقل، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، فلا تمنع أختك فلانًا»، يعني أبا البداح، قال: فإني أنا أؤمن بالله واليوم الآخر، وأشهدك أني قد أنكحته.

﴿۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)﴾

﴿۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾، يعني إذا طلقن، ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾، يعني يكمل الرضاعة، وليس الحولان بالفريضة، فمن شاء أرضع فوق الحولين، ومن شاء قصر عنهما، ثم قال: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ إذا طلق امرأته وله ولد رضيع ترضعه أمه، فعلى الأب رزق الأم والكسوة، ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾، يعني إلا ما أطاقت من النفقة والكسوة، ثم قال سبحانه: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾(١)، يقول: لا يجعل بالرجل إذا طلق امرأته أن يضارها، فينزع منها ولدها وهي لا تريد ذلك، فيقطعه عن أمه، فيضارها بذلك بعد أن ترضى بعطية الأب من النفقة والكسوة.

ثم ذكر الأم، فقال: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾، يعني لا يجمل بالمرأة أن تضار زوجها وتلقي إليه ولدها، ثم قال في التقديم: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾، يقول: وعلى من يرث اليتيم إذا مات الأب مثل ما على الأب من النفقة والكسوة لو كان حيًا، فلا يضار الوارث الأم، وهي بمنزلة الأب إذا لم يكن لليتيم ماله، ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا

---

(١) انظر: (الكشاف للزمخشري ١٤١/١، البحر المحيط لأبي حيان ٢١٥/٢، التبيان للطوسي ٢٥٥/٢، مجمع البيان للطبرسي، إعراب القرآن للعكبري ٥٧/١، النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٢٧/٢، ٢٢٨، إتحاف فضلاء البشر للبنا ١٥٨).

﴿وَتَشَاوُرٍ﴾، يقول: واتفقا، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾، يعنى لا حرج ما لم يضار أحدهما صاحبه أن يفصلا الولد قبل الحولين، والأم أحق بولدها من المرضع إذا رضيت من النفقة والكسوة بما يرضى به غيرها، فإن لم ترض الأم بما يرضى به غيرها من النفقة، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾، يقول عز وجل: فلا جناح على الوالد أن يسترضع لولده، ويسلم للظئر أجرها، ولا كسوة لها، ولا رزق، وإنما هو أجرها، قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم﴾ لأمر الله فى المراضع، ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، يقول: ما أعطيتم الظئر من فضل على أجرها، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ولا تعصوه فيما حذركم الله فى هذه الآية من أمر المضارة والكسوة والنفقة للأم وأجر الظئر، ثم حذرهم، فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية: ٢٣٣].

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[1] من يوم يموت زوجها، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾، يعنى إذا مضى الأجل مما ذكر فى هذه الآية، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فى قراءة ابن مسعود: «لا حرج عليهن»، ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، يعنى لا حرج على المرأة إذا انقضت عدتها أن تتشوف وتتزين وتلتمس الأزواج، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آية: ٢٣٤] من أمر العدة.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾، يعنى لا حرج على الرجل أن يقول للمرأة قبل أن تنقضى عدتها: إنك لتعجبيننى، وما أجاوزك إلى غيرك، فهذا التعريض، ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾، فلا جناح عليكم أن تسروا فى قلوبكم

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/٥٨، مجمع البيان للطبرسى ٢/٣٣٦، الكشاف للزمخشرى ١/١٤٣، البحر المحيط لأبى حيان ٢/٢٢٠).

تزويجهن فى العدة، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾، يعنى الجماع فى العدة، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ عدة حسنة، نظيرها فى النساء: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨]، يعنى عدة حسنة، فتقول: وهى فى العدة، إنه حبيب إلى أن أكرمك وأن آتى ما أحببت ولا أجاوزك إلى غيرك، ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾، يعنى ولا تحققوا عقدة النكاح، يعنى لا تواعدوهن فى العدة، ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾، يعنى حتى تنقضى عدتها، ثم خوفهم، فقال سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾، يعنى ما فى قلوبكم من أمورهن، ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾، أى فاحذروا أن ترتكبوا فى العدة ما لا يحل، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾، يعنى ذا تجاوز لكم، ﴿حَلِيمٌ﴾ [آية: ٢٣٥] لا يعجل بالعقوبة.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾، يقول: وإن لم تسموا لهن المهر، فلا حرج فى الطلاق فى هذه الأحوال كلها، وهو الرجل يطلق امرأته قبل أن يجامعها ولم يسم لها مهرًا، فلا مهر لها، ولا عدة عليها، ولا المتعة بالمعروف ويجبر الزوج على متعة هذه المرأة التى طلقها قبل أن يسمى لها مهرًا، وليس بمؤقت، نزلت فى رجل من الأنصار تزوج امرأة من بنى حنيفة، ولم يسم لها مهرًا، ثم طلقها قبل أن يمسها، فقال النبى ﷺ: «هل متعتها بشىء؟»، قال: لا، قال النبى ﷺ: «متعها بقلنسوتك، أما إنها لا تساوى شيئًا، ولكن أحببت أن أحيى سنة»، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾ فى المال، ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ فى المال، ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ وليس بمؤقت، وهو واجب، ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٢٣٦].

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾

ثم إن النبى ﷺ كساه ثوبين بعد ذلك، فتزوج امرأة فأمهرها أحد ثوبيه، ثم قال سبحانه: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾، يعنى من قبل الجماع، ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ﴾ من المهر ﴿فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ عليكم من المهر، ثم استثنى،

فقال: ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾ [(١)]، يعنى إلا أن يتركن، يعنى المرأة تترك نصف مهرها، فتقول المرأة: أما إنه لم يدخل بى ولم ينظر لى إلى عورة، فتعفو عن نصف مهرها وتتركه لزوجها، وهى بالخيار، ثم قال: ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾، يعنى الزوج، فيوفيها المهر كله، فيقول: كانت فى حبالى ومنعتها من الأزواج، فيعطيها المهر كله، وهو بالخيار، ثم قال: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ﴾، يعنى ولأن تعفوا، ﴿أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾، يعنى المرأة والزوج كلاهما أمرهما أن يأخذا بالفضل فى الترك، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ﴾، يعنى المرأة والزوج، يقول: لا تتركوا ﴿ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ [(٢)] فى الخير حين أمرها أن تترك نصف المهر للزوج، وأمر الزوج أن يوفيها المهر كله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية: ٢٣٧]، يعنى بصيرًا أن ترك أو وفاها.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ الخمس فى مواقيتها، ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾، يعنى صلاة العصر، ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [آية: ٢٣٨] فى صلاتكم، يعنى مطيعين، نظيرها: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]، يعنى من المطيعين، وكقوله سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [النحل: ١٢٠]، يعنى مطيعًا، وكقوله سبحانه: ﴿قَانِتَاتٌ﴾ [النساء: ٣٤]، يعنى مطيعات، وذلك أن أهل الأوثان يقومون فى صلاتهم عاصين، قال الله: قوموا أنتم مطيعين، ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ﴾ العدو فصلوا، ﴿فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ﴾، يقول: على أرجلكم أو على دوابكم، فصلوا ركعتين حيث كان وجهه إذا كان الخوف شديدًا، فإن لم يستطع السجود، فليومىء برأسه إيماء، وليجعل السجود أخفض من الركوع، ولا يجعل جبهته على شىء، ثم قال سبحانه: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾ العدو، ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾، يقول: فصلوا لله، ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٢٣٩].

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٢/٢٣٦، ٢٣٧، مجمع البيان للطبرسى ٢/٣٤١، الكشاف للزمخشرى ١/١٤٦، الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٠٨، شرح التصريح ٢/١٥).

(٢) انظر: (مجمع البيان ٢/٣٤١، الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٠٨، البحر المحيط ٢/٢٣٨، إعراب القرآن للعكبرى ١/٥٩).

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾، يعنى بالمتاع أن ينفق عليها فى الطعام والكسوة سنة ما لم تتزوج، قال: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾، يقول: لا تخرج من بيت زوجها سنة وهى كارهة، ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ إلى أهلهن طائعة قبل الحلول، فلا نفقة لها، فعدتها ثلاثة قروء، يقول: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فى قراءة ابن مسعود: «فلا جناح عليهن»، ﴿فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾، يعنى بالمعروف، يعنى أن تتشوف وتتزين وتلتمس الأزواج، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ٢٤٠]، عزيز فى ملكه، حكيم فيما حكم من النفقة حولاً، نزلت فى حكيم بن الأشرف، قدم الطائف ومات بالمدينة وله أبوان وأولاد، فأعطى النبى ﷺ الميراث الوالدين، وأعطى الأولاد بالمعروف، ولم يعط امرأته شيئًا.

غير أن النبى ﷺ أمر بالنفقة عليها فى الطعام والكسوة حولاً، فإن كانت المرأة من أهل المدر، التمست السكنى فيما بينها وبين الحول، وإن كانت من أهل الوبر نسجت ما تسكن فيه إلى الحول، فكان هذا قبل أن تنزل آية المواريث، ثم نزل: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ نسخت هذه الحول، ثم أنزل الله عز وجل آية المواريث، فجعل لهن الربع والثمن، فنسخت نصيبها من الميراث نفقة سنة، ثم قال: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ﴾ اللاتى دخل بهن ﴿مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، يعنى على قدر مال الزوج، ولا يجبر الزوج على المتعة؛ لأن لها المهر كامل، ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٢٤١] أن يمتع الرجل امرأته، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، يقول: هكذا يبين الله لكم أمره فى المتعة، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾، يعنى لكى ﴿تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٢٤٢].

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن

ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ**﴾ من بنى إسرائيل ﴿**أُلُوفٌ**﴾ ثمانية آلاف، ﴿**حَذَرَ ٱلْمَوْتِ**﴾، يعنى حذر القتل، وذلك أن نبيهم حزقيل بن دوم، وهو ذو الكفل بن دوم، ندبهم إلى قتال عدوهم، فأبوا عليه جبنًا عن عدوهم واعتلوا، فقالوا: إن الأرض التى نبعث إليها لنقاتل عدونا، هى أرض يكون فيها الطاعون، فأرسل الله عز وجل عليهم الموت، فلما رأوا أن الموت كثر فيهم، خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت، فلما رأى ذلك حزقيل، قال: اللهم رب يعقوب وإله موسى، قد ترى معصية عبادك، فأرهم آية فى أنفسهم حتى يعلموا أنهم لن يستطيعوا فرارًا منك، فأمهلهم الله عز وجل حتى خرجوا من ديارهم، وهى قرية تسمى دامردان.

فلما خرجوا قال الله عز وجل لهم: ﴿**فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟**﴾ عبرة لهم، فماتوا جميعًا وماتت دوابهم كموت رجل واحد ثمانية أيام، فخرج إليهم الناس، فعجزوا عن دفنهم حتى حظروا عليهم وأروحت أجسادهم، ﴿**ثُمَّ**﴾ إن الله عز وجل ﴿**أَحْيَٰهُمْ**﴾ بعد ثمانية أيام وبهن نتن شديد، ثم إن حزقيل بكى إلى ربه عز وجل، فقال: اللهم رب إبراهيم وإله موسى، لا تكن على عبادك الظلمة كأنفسهم، واذكر فيهم ميثاق الأولين، فسمع الله عز وجل، فأمره أن يدعوهم بكلمة واحدة، فقاموا كقيام رجل واحد كان وسنانًا فاستيقظ، فذلك قوله عز وجل: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾ [آية: ٢٤٣] رب هذه النعمة حين أحياهم بعدما أراهم عقوبته، ثم أمرهم عز وجل أن يرجعوا إلى عدوهم فيجاهدوا، فذلك قوله: ﴿**مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ**﴾ أنه أحياهم بعدما أماتهم، ﴿**وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾.

وقوله سبحانه: ﴿**وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ**﴾؛ لقولهم: إن الأرض التى نبعث إليها فيها الطاعون، ﴿**عَلِيمٌ**﴾ [آية: ٢٤٤] بذلك، حتى إنه ليوجد فى ذلك السبط من اليهود ريح كريح الموتى، وكانوا ثمانية آلاف ﴿**مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**﴾ طيبة بها نفسه محتسبًا، ﴿**فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ**﴾ بها ﴿**أَضْعَافًا كَثِيرَةً**﴾، نزلت فى أبى الدحداح، واسمه عمر بن الدحداح الأنصارى، وذلك أن النبى ﷺ قال:

«من تصدق بصدقة، فله مثلها فى الجنة»، قال أبو الدحداح: إن تصدقت بحديقتى فلى مثلها فى الجنة؟ قال: «نعم»، قال: وأم الدحداح معى؟ قال: «نعم»، قال: والصبية؟ قال: «نعم».

وكان له حديقتان، فتصدق بأفضلهما واسمها الجنينة، فضاعف الله عز وجل صدقته ألفى ألف ضعف، فذلك قوله عز وجل: ﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾، يعنى يقتر ويوسع، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٢٤٥] فيجزيكم بأعمالكم، فرجع أبو الدحداح إلى حديقته، فوجد أم الدحداح والصبية فى الحديقة التى جعلها صدقة، فقام على باب الحديقة، وتحرج أن يدخلها، وقال: يا أم الدحداح، قالت له: لبيك يا أبا الدحداح، قال: إنى قد جعلت حديقتى هذه صدقة، واشترطت مثلها فى الجنة، وأم الدحداح معى، والصبية معى، قالت: بارك الله لك فيما اشتريت، فخرجوا منها، وسلم الحديقة إلى النبى ﷺ، فقال: كم من نخلة مدلا عذوقها لأبى الدحداح فى الجنة لو اجتمع على عذق منها أهل منى أن يقلوه ما أقلوه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦)﴾

قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾، وذلك أن كفار بنى إسرائيل قهروا مؤمنيهم، فقتلوهم وسبوهم وأخرجوهم من ديارهم وأبنائهم، فمكثوا زمانًا ليس لهم ملك يقاتل عدوهم، والعدو بين فلسطين ومصر، ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ﴾، فقالوا لنبى لهم، عليه السلام، اسمه اشماويل، وهو بالعربية إسماعيل بن هلقابا، واسم أمه حنة، وهو من نسل هارون بن عمران أخو موسى: ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ﴾ عدونا ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ﴾ لهم نبيهم ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ﴾ بعث الله لكم ملكًا و﴿كُتِبَ﴾، يعنى وفرض ﴿عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ﴾ أى فلما فرض، كقوله سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، يعنى فرض عليكم، ﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾، يعنى على بنى إسرائيل، ﴿تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾، يعنى كره القتال العصابة الذين وقفوا

فى النهر، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٢٤٦]، يعينهم لقولهم: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾، وكان القليل أصحاب الفرقة ثلاثمائة وثلاثة عشر عدد أصحاب بدر.

﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ (٢٤٧)﴾

وقال النبى ﷺ يوم بدر: «إنكم على عدد أصحاب طالوت»، ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ﴾ إسماعيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ عز وجل ﴿قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾، يعنى من أين يكون له الملك ﴿عَلَيۡنَا﴾، وليس طالوت من سبط النبوة ولا من سبط الملوك، وكان طالوت فيهم حقير الشأن دون، ﴿وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ﴾، منا الأنبياء والملوك، وكانت النبوة فى سبط لاوى بن يعقوب والملوك فى سبط يهوذا بن يعقوب، ﴿وَلَمۡ يُؤۡتَ﴾ طالوت ﴿سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ﴾ أن ينفق علينا، ﴿قَالَ﴾ لهم نبيهم إسماعيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ عز وجل ﴿ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ﴾، يعنى اختاره، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾، يعنى اختاره، ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾، وكان أعلم بنى إسرائيل، وكان طالوت من سبط بنيامين، وكان جسيمًا عالمًا، وكان اسمه شارل بن كيس، وبالعربية طالوت بن قيس، وسمى طالوت لطوله، ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ بعطية الملك ﴿عَلِيمٞ﴾ [آية: ٢٤٧] بمن يعطيه الملك.

﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ (٢٤٨)﴾

فلما أنكروا أن يكون طالوت عليهم ملكًا، ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ﴾ أنه من الله ﴿أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ (١) الذى أخذ منكم، ﴿فِيهِ

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٢/٢٦١، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٧٨، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦١، تفسير الفخر الرازى ٢/٢٩٥).

سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، ورأس كرأس الهرة، ولها جناحان، فإذا صوتت عرفوا أن النصر لهم، فكانوا يقدمونها أمام الصف، ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾، يعنى بالبقية رضراضا من الألواح وقفير من فى طست من ذهب وعصا موسى، عليه السلام، وعمامته، وكان التابوت يكون مع الأنبياء إذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم، فلما تفرقت بنو إسرائيل وعصوا الأنبياء، سلط الله عز وجل عليهم عدوهم، فقتلوهم وغلبوهم على التابوت، فدفنوه فى مخرأة لهم، فابتلاهم الله عز وجل بالبواسير، فكان الرجل إذا تبرز عند التابوت أخذه الباسور، ففشى ذلك فيهم فهجروه، فقالوا: ما ابتلينا بهذه إلا بفعلنا بالتابوت، فاستخرجوه، ثم وجهوه إلى بنى إسرائيل على بقرة ذات لبن، وبعث الله عز وجل الملائكة، فساقوا العجلة، فإذا التابوت بين أظهرهم، فذلك قوله سبحانه، ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، يعنى تسوقه الملائكة، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾، يعنى فى رد التابوت، ﴿لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٢٤٨]، يعنى مصدقين بأن طالوت ملكه من الله عز وجل.

وكان التابوت من عود الشمشار التى تتخذ منه الأمشاط الصفر مموه بالذهب، فلما رأوا التابوت أيقنوا بأن ملك طالوت من الله عز وجل، فسمعوا له وأطاعوا، وكان موسى عليه السلام، ترك التابوت فى التيه قبل موته عند يوشع بن نون، ثم إن طالوت تجهز لقتال جالوت، وقال النبى إسماعيل لطالوت: إن الله عز وجل سيبعث رجلاً من أصحابك فيقتل جالوت، وأعطاه النبى ﷺ درعًا، فقال لطالوت: من صلحت هذه الدرع عليه، لم تقصر عليه، ولم تطل، فإنه قاتل جالوت، فاجعل لقاتله نصف ملكك ونصف مالك.

فبلغ ذلك داود النبى ﷺ وهو يرعى الغنم فى الجبل، فاستودع غنمه ربه جل وعز، فقال: آتى الناس وأطالع أخوتى، وهم سبعة من طالوت، وانظر ما هذا الخبر، فمر داود، عليه السلام، على حجر، فقال: يا داود خذنى، فأنا حجر هارون الذى قتل به كذا وكذا، فارم بى جالوت الجبار، فأقع فى بطنه، فأنفذ من جانبه الآخر، فأخذه فألقاه فى مخلاته، ثم مر بحجر آخر، فقال له: يا داود خذنى، فأنا حجر موسى الذى قتل بى كذا وكذا، فارم بى جالوت، فأقع فى قلبه فأنفذ من الجانب الآخر، فألقاه فى مخلاته، ثم مر بحجر آخر، فقال: يا داود خذنى، فأنا الذى أقتل جالوت الجبار، فأستعين بالريح فتلقى البيضة فأقع فى دماغه فأقتله، فأخذه فألقاه فى مخلاته.

ثم انطلق حتى دخل على طالوت، فقال: أنا قاتل جالوت بإذن الله، وكان داود، عليه السلام، رث المنظر، هبير، دوير، فأنكر طالوت أن يقتله داود، عليه السلام، فقال داود: تجعل لى نصف ملكك ونصف مالك إن قتلت جالوت الجبار؟ قال طالوت: لك ذلك عندى، وأزوجك ابنتى، ولن يخفى علىَّ إن كنت أنت صاحبه، قد أتانى قومى كلهم يزعم أنه يقتله، وقد أخبرنى إسماعيل أن الله يبعث له رجلاً من أصحابى فيقتله، فالبس هذا الدرع، فلبسها داود، عليه السلام، فطالت عليه، فانتفض فيها، فتقلص منها وجعل داود يدعو الله عز وجل، ثم انتفض فيها، فتقلص منها، ثم انتفض فيها الثالثة فاستوت عليه، فعلم طالوت أنه يقتل جالوت.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾، وهم مائة ألف إنسان، فسار فى حر شديد، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ﴾ عز وجل ﴿مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ بين الأردن وفلسطين، ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾، يقول: ليس معى على عدوى، كقول إبراهيم، عليه السلام: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى﴾ [إبراهيم: ٣٦]، يعنى معى، ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾، فإنه معى على عدوى، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾، الغرفة يشرب منها الرجل وخدمه ودابته ويملأ قربته، ووصلوا إلى النهر من مفازة، وأصابهم العطش، فلما رأى الناس الماء ابتدروا فوقعوا فيه، ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾، والقليل ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، عدة أصحاب النبى ﷺ يوم بدر.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾، أى جاوز النهر ﴿هُوَ﴾، يعنى طالوت، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾، وكلهم مؤمنون، فقال العصاة الذين وقعوا فى النهر: ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾، فرد عليهم أصحاب الغرفة، ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾، يعنى الذين يعلمون، كقوله سبحانه: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٨]، يعنى وعلم،

وكقوله عز وجل: ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]، وكقوله عز وجل: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ﴾ [المطففين: ٤]، أى ألا يعلم ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُوا اللَّهِ﴾؛ لأنهم قد طابت أنفسهم بالموت، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾، يعنى جند ﴿قَلِيلَةٍ﴾ عددهم، ﴿غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ عددهم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [آية: ٢٤٩]، يعنى بنى إسرائيل فى النصر على عدوهم، فرد طالوت العصاة وسار بأصحاب الغرفة حتى عاينوا العدو.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾ لقتال ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾، قال أصحاب الغرفة: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾، يعنى ألق، أصبب علينا صبرًا، كقوله سبحانه: ﴿أُفْرِغْ﴾، يعنى أصبب، ﴿عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]، ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ عند القتال حتى لا تزول، ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آية: ٢٥٠]، يعنى جالوت وجنوده، وكانوا يعبدون الأوثان، فاستجاب الله لهم، وكانوا مؤمنين، أصحاب الغرفة فى العصاة.

فلما التقى الجمعان وطالوت فى قلة وجالوت فى كثرة، عمد داود، عليه السلام، فقام بحيال جالوت، لا يقوم ذلك المكان إلا من يريد قتال جالوت، فجعل الناس يسخرون من داود حين قام بحيال جالوت، وكان جالوت من قوم عاد عليه بيضة فيها ثلاثمائة رطل، فقال جالوت: من أين هذا الفتى؟ ارجع ويحك، فإنى أراك ضعيفًا، ولا أرى لك قوة، ولا أرى معك سلاحًا، ارجع فإنى أرحمك، فقال داود، عليه السلام: أنا أقتلك بإذن الله عز وجل، فقال جالوت: بأى شيء تقتلنى؟ وقد قمت مقام الأشقياء، ولا أرى معك سلاحًا إلا عصاك هذه، هلم فاضربنى بها ما شئت، وهى عصاه التى كان يرد بها غنمه، قال داود: أقتلك بإذن الله بما شاء الله.

فتقدم جالوت ليأخذه بيده مقتدرًا عليه فى نفسه، وقد صارت الحجارة الثلاثة حجرًا واحدًا، فلما دنا جالوت من داود، أخرج الحجر من مخلاته، وألقت الريح البيضة عن رأسه، فرماه فوقع الحجر فى دماغه حتى خرج من أسفله، وانهزم الكفار، وطالوت ومن معه وقوف ينظرون، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ بحذافة فيها حجر واحد، وقتل معه ثلاثون ألفًا، وطلب داود نصف مال طالوت ونصف ملكه، فحسده طالوت على صنيعه وأخرجه، فذهب داود حتى نزل قرية من قرى بنى إسرائيل وندم طالوت على صنيعه، فقال فى نفسه: عمدت إلى خير أهل الأرض بعثه الله عز وجل لقتل جالوت فطردته، ولم أف له، وكان دواد، عليه السلام، أحب إلى بنى إسرائيل من طالوت.

فانطلق فى طلب داود، فطرق امرأة ليلاً من قدماء بنى إسرائيل تعلم اسم الله الأعظم، وهى تبكى على داود، فضرب بابها، فقالت: من هذا؟ قال: أنا طالوت، فقالت: أنت أشقى الناس وأشرهم، هل تعلم ما صنعت؟ طردت داود النبى ﷺ، وكان أمره من الله عز وجل، وكانت لك آية فيه من أمر الدرع وصفة أشماويل وظهوره على جالوت، وقتل الله عز وجل به أهل الأوثان فانهزموا، ثم غدرت بداود وطردته، هلكت يا شقى، فقال لها: إنما أتيتك لأسألك ما توبتى؟ قالت: توبتك أن تأتى مدينة بلقاء، فتقاتل أهلها وحدك، فإن افتتحتها، فهى توبتك، فانطلق طالوت، فقاتل أهل بلقاء وحده، فقتل وعمدت بنو إسرائيل إلى داود، عليه السلام، فردوه وملكوه، ولم يجتمع بنو إسرائيل لملك قط غير داود، عليه السلام، فكانوا اثنى عشر سبطًا، لكل سبط ملك بينهم[(١)]، فذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾.

﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾، يعنى ملكه اثنا عشر سبطًا، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، يعنى الزبور، ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾، علمه صنعة الدروع، وكلام الدواب والطير، وتسبيح الجبال، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾، يقول الله سبحانه: لولا دفع الله المشركين بالمسلمين، لغلب المشركون على الأرض، فقتلوا المسلمين، وخرجوا المساجد والبيع والكنائس والصوامع، فذلك قوله سبحانه: ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾، يقول: لهلكت الأرض نظيرها: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل: ٣٤]، يعنى أهلكوها، ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ٢٥١]

(١) هذه الرواية من الإسرائيليات، وقد أخذ ذلك على المصنف ولم يرد عن الرسول ﷺ مثل ذلك.

فى الدفع عنهم. ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾، يعنى القرآن، ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ٢٥٢].

﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾

﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾، وهو موسى ﷺ، ومنهم من اتخذه خليلاً، وهو إبراهيم ﷺ، ومنهم من أعطى الزبور، وتسبيح الجبال والطير، وهو داود ﷺ، ومنهم من سخرت له الريح والشياطين، وعلم منطق الطير، وهو سليمان ﷺ، ومنهم من يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين طيرًا، وهو عيسى ﷺ، فهذه الدرجات، يعنى الفضائل، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ على بعض، ﴿وَءَاتَيْنَا﴾، يقول: وأعطينا ﴿عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، يعنى ما كان يصنع من العجائب، وما كان يحيى من الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين.

ثم قال: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾، يقول سبحانه: وقويناه بجبريل، عليه السلام، ثم قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾، يعنى من بعد عيسى وموسى، وبينهما ألف نبى، أولهم وآخرهم عيسى، ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾، يعنى العجائب التى كان يصنعها الأنبياء، ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾، فصاروا فريقين فى الدين، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾، يعنى صدق بتوحيد الله عز وجل، ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ بتوحيد الله، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [آية: ٢٥٣]، يعنى أراد ذلك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ من الأموال فى طاعة الله ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ﴾ يقول: لا فداء فيه، ﴿فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ فيه ليعطيه بخلة ما بينهما، ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ للكفار فيه كفعل أهل الدنيا بعضهم فى بعض فليس فى الآخرة شىء من ذلك ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٢٥٤].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ﴾ الذى لا يموت، ﴿ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ القائم على كل نفس، ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ﴾، يعنى ريح من قبل الرأس، فيغشى العينين، وهو وسنان بين النائم واليقظان، ثم قال جل ثناؤه: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ﴾ ﴿وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ من الخلق عبيده، وفى ملكه الملائكة، وعزيز، وعيسى ابن مريم، وغيره ممن يعبد، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ من الملائكة ﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾، يقول: إلا بأمره، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾، يقول: ما كان قبل خلق الملائكة، وما كان بعد خلقهم، ثم قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾، يعنى الملائكة، ﴿بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ الرب فيعلمهم، ثم أخبر عن عظمة الرب جل جلاله، فقال سبحانه: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ كلها كل قائمة، ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾، يقول: ولا يثقل عليه، ولا يجهده حملها.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾(١) [آية: ٢٥٥] الرفيع فوق كل خلقه العظيم، فلا أعظم منه شيء، يحمل الكرسى أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه، أقدامهم تحت الصخرة التى تحت الأرض السفلى، مسيرة خمس مائة عام، وما بين كل أرض مسيرة مائة عام، ملك وجهه على صورة الإنسان، وهو سيد الصور، وهو يسأل الرزق للآدميين، وملك وجهه على صورة سيد الأنعام يسأل الرزق للبهائم وهو الثور، لم يزل الملك الذى على صورة الثور على وجهه كالغضاضة منذ عبد العجل من دون الرحمن عز وجل، وملك وجهه على صورة سيد الطير، وهو يسأل الله عز وجل الرزق للطير وهو النسر، وملك على صورة سيد السباع، وهو يسأل الرزق للسباع وهو الأسد.

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ لأحد بعد إسلام العرب إذا أقروا بالجزية، وذلك أن النبى ﷺ

---

(١) انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ٢/ ٢٨٠، إعراب القرآن للعكبرى ١/ ٦٣).

كان لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، فلما أسلمت العرب طوعًا وكرهًا قبل الخراج، من غير أهل الكتاب، فكتب النبى ﷺ إلى المنذر بن ساوى، وأهل هجر، يدعوهم إلى الإسلام، فكتب: «من محمد رسول الله ﷺ إلى أهل هجر، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: إن من شهد شهادتنا، وأكل من ذبيحتنا، واستقبل قبلتنا، ودان بديننا، فذلك المسلم الذى له ذمة الله عز وجل، وذمة رسول الله ﷺ، فإن أسلمتم فلكم ما أسلمتم عليه، ولكم عشر التمر، ولكم نصف عشر الحب، فمن أبى الإسلام، فعليه الجزية».

فكتب المنذر إلى النبى ﷺ: إنى قرأت كتابك إلى أهل هجر، فمنهم من أسلم، ومنهم من أبى، فأما اليهود والمجوس، فأقروا بالجزية، وكرهوا الإسلام، فقبل النبى ﷺ منهم بالجزية. فقال منافقوا أهل المدينة: زعم محمد أنه لم يؤمر أن يأخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، فما باله قبل من مجوس أهل هجر، وقد أبى ذلك على آبائنا وإخواننا حتى قاتلهم عليه، فشق على المسلمين قولهم، فذكروه للنبى ﷺ فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ آخر الآية [المائدة: ١٠٥]، وأنزل الله عز وجل: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ بعد إسلام العرب.

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾، يقول: قد تبين الضلالة من الهدى، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ﴾، يعنى الشيطان، ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، بأنه واحد لا شريك له، ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾، يقول: أخذ الثقة، يعنى الإسلام، التى ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾، يقول: لا انقطاع له دون الجنة، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٢٦٥] به.

﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعنى ولى المؤمنين بالله عز وجل، ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، يعنى من الشرك إلى الإيمان، نظيرها فى إبراهيم: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ٥]؛ لأنه سبق لهم السعادة من الله تعالى فى علمه، فلما بعث النبى ﷺ، أخرجهم الله سبحانه من الشرك إلى الإيمان، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾، يعنى اليهود، ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ﴾[1]، يعنى كعب بن

---

(١) انظر: (البحر المحيط لأبى حيان ٢/٢٨٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣/٢٨٣، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٣).

الأشرف، ﴿يُخْرِجُونَهُم﴾، يعني يدعونهم ﴿مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، نظيرها في إبراهيم قوله سبحانه: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور﴾ [إبراهيم: ٥]، ثم قال: يدعونهم من النور الذي كانوا فيه من إيمان بمحمد ﷺ قبل أن يبعث إلى كفر به بعد أن بعث، وهي الظلمة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٢٥٧]، يعني لا يموتون.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾، وهو نمروذ بن كنعان بن ريب بن نمروذ ابن كوشى بن نوح، وهو أول من ملك الأرض كلها، وهو الذي بنى الصرح ببابل، ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾، يقول: أن أعطاه الله ﴿ٱلْمُلْكَ﴾، وذلك أن إبراهيم ﷺ حين كسر الأصنام سجنه نمروذ، ثم أخرجه ليحرقه بالنار، فقال لإبراهيم، عليه السلام: من ربك ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾، وإياه أعبد ومنه أسأل الخير، ﴿قَالَ﴾ نمروذ ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾، قال له إبراهيم: أرني بيان الذي تقول، فجاء برجلين فقتل أحدهما، واستحيا الآخر، وقال: كان هذا حيًا فأمته وأحييت هذا ولو شئت قتلته، ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ الجبار ﴿ٱلَّذِى كَفَرَ﴾[1] بتوحيد الله عز وجل، يقول: بهت نمروذ الجبار، فلم يدر ما يرد على إبراهيم.

ثم إن الله عز وجل سلط على نمروذ بعوضة، بعدما أنجا الله عز وجل إبراهيم من النار، فعضت شفته، فأهوى إليها، فطارت في منخره، فذهب ليأخذها فدخلت خياشيمه، فذهب يستخرجها، فدخلت دماغه، فعذبه الله عز وجل بها أربعين يومًا، ثم مات منها، وكان يضرب رأسه بالمطرقة، فإذا ضرب رأسه سكنت البعوضة، وإذا رفع عنها تحركت، فقال الله سبحانه: وعزتي وجلالي لا تقوم الساعة حتى آتي بها، يعني الشمس من قبل المغرب، فيعلم من يرى ذلك أني أنا الله قادر على أن أفعل ما شئت، ثم

---

(١) انظر: (البحر المحيط لأبي حيان ٢/٢٨٩، الكشاف للزمخشري ١/١٥٦، إعراب القرآن للعكبري ١/٦٣، الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٨٨، لسان العرب مادة «بهت» ٢/١٣).

قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٢٥٨] إلى الحجة، يعنى نمروذ، مثلها فى براءة: ﴿وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩] إلى الحجة.

﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾﴾

﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾، يعنى ساقطة على سقوفها، وذلك أن بخت نصر سبا أهل بابل، وفيهم عزير بن شرحيا، وكان من علماء بنى إسرائيل، وأنه ارتحل ذات يوم على حمار أقمر، فمر على قرية تدعى سابور على شاطئ دجلة بين واسط والمدائن، وكان هذا بعد ما رفع عيسى ابن مريم، فربط حماره فى ظل شجرة، ثم طاف فى القرية، فلم ير فيها ساكنًا، وعامة شجرها حامل، فأصاب من الفاكهة والعنب والتين.

ثم رجع إلى حماره، فجلس يأكل من الفاكهة، وعصر من العنب، فشرب منه، فجعل فضل الفاكهة فى سلة، وفضل العصير فى الزق، فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها، ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾، يعنى أهل هذه القرية، ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ﴾ بعد هلاكها، لم يشك فى البعث، ولكنه أحب أن يريه الله عز وجل كيف يبعث الموتى كما سأل إبراهيم، عليه السلام، ربه عز وجل: ﴿أرنى كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فلما تكلم بذلك عزير، أراد الله عز وجل أن يعلمه كيف يحييها بعد موتها، ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾ عز وجل وأمات حماره ﴿مِاْئَةَ عَامٖ﴾، فحيى والفاكهة والعصير موضوع عنده، ﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ﴾ الله عز وجل فى آخر النهار بعد مائة عام، لم يتغير طعامه وشرابه، فنودى فى السماء ﴿قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ﴾ يا عزير ميتًا، ﴿قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا﴾، فالتفت فرأى الشمس، فقال: ﴿أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ﴾ له ﴿بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ﴾ ميتًا، ثم أخبره ليعتبر، فقال سبحانه: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾، يعنى الفاكهة فى السلة،

﴿وَشَرَابِكَ﴾، يعنى العصير، ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾، يقول لم يتغير طعمه بعد مائة عام، نظيرها فى سورة محمد ﷺ: ﴿مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ [محمد: ١٥]، فقال: سبحان الله، كيف لم يتغير طعمه؟.

ونظر إلى حماره، وقد ابيضت عظامه، وبليت وتفرقت أوصاله، فنودى من السماء: أيتها العظام البالية اجتمعى، فإن الله عز وجل منزل عليك روحًا، فسعت العظام بعضها إلى بعض، الذراع إلى العضد، والعضد إلى المنكبين والكتف، وسعت الساق إلى الركبتين، والركبتان إلى الفخذين، والفخذان إلى الوركين، والتصق الوركان بالظهر، ثم وقع الرأس على الجسد، وعزير ينظر، ثم ألقى على العظام العروق والعصب، ثم رد عليه الشعر، ثم نفخ فى منخره الروح، فقام الحمار ينهق عند رأسه، فاعلم كيف يبعث أهل هذه القبور بعد هلاكهم وبعث حماره بعد مائة عام كما لم يتغير طعامه وشرابه، وبعث بعد طوال الدهر ليعتبر بذلك، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾، يعنى لم يتغير طعمه، كقوله فى سورة محمد ﷺ: ﴿مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ﴾.

﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾، يعنى عبرة؛ لأنه بعثه شابًا بعد مائة سنة، ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾، يعنى عظام الحمار، ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾، يعنى نحييها، نظيرها: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١]، يعنى يبعثون الموتى، ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾، يعنى لعزير كيف يحيى الله الموتى، خر لله ساجدًا، ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ٢٥٩]، يعنى من البعث وغيره، فرجع عزير إلى أهله، وقد هلكوا، وبيعت داره وبنيت فردت عليه، وانتسب عزير إلى أولاده، فعرفوه وعرفهم، وأعطى عزير العلم من بعد ما بعث بعد مائة عام.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾، وذلك أنه رأى جيفة حمار على شاطئ البحر تتوزعه دواب البر والبحر والطير، فنظر إليها ساعة، ثم قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ يا إبراهيم، يعنى قال: أو لم تصدق بأنى

أحيي الموتى يا إبراهيم ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ صدقت ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ ليسكن قلبي بأنك أريتني الذي أردت ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ قال: خذ ديكًا وبطة وغرابًا وحمامة فاذبحهن يقول: قطعهن، ثم خالف بين مفاصلهن وأجنحتهن ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾(١) بلغة النبط صرهن قطعهن، واخلط ريشهن ودماءهن، ثم خالف بين الأعضاء والأجنحة واجعل مقدم الطير مؤخر طير آخر، ثم فرقهن على أربعة أجبال ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ فيها تقدم فدعاهن فتواصلت الأعضاء والأجنحة، فأجابته جميعًا ليس معهن رءوسهن، ثم وضع على أجسادهن، ففقت البطة، وصوت الديك، ونعق الغراب، وقرقر الحمام يقول: خذهن فصرهن وادعهن يسعين على أرجلهن عند غروب الشمس.

﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ٢٦٠]، فقال: عند ذلك أعلم أن الله عزيز في ملكه حكيم، يعني حكم البعث يقول: كما بعث هذه الأطيار الأربعة من هذه الجبال الأربعة، فكذلك يبعث الله عز وجل الناس من أرباع الأرض كلها ونواحيها، وكان هذا بالشام، وكان أمر الطير قبل أن يكون له ولد، وقبل أن تنزل عليه الصحف، وهو ابن خمس وسبعين سنة.

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعني في طاعة الله عز وجل،

---

(١) انظر: (معاني القرآن للفراء ١/١٧٤. وإعراب القرآن للعكبري ١/٦٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/٣١١، جامع البيان للطبري ٥/٤٩٧، البحر المحيط لأبي حيان ٢/٣٠٠، التبيان للطوسي ٢/٣٢٦ السبعة في القراءات لابن مجاهد ١٩٠، غيث النفع للصفاقسي ١٦٩، التيسير للداني ٨٢، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٠١، الحجة لأبي زرعة ١٤٥، الكشف للقيسي ١/٣١٣، الكشاف ١/١٥٨، مجمع البيان للطبرسي ٢/٣٧١، تفسير الفخر الرازي ٢/٣٢٣، النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٢٣١، جمهرة اللغة لابن دريد مادة «رصو»، لسان العرب مادة «صور»، «صير»، «صرى»، تهذيب اللغة مادة «صرو» العنوان مخطوط ورقة ٥٤).

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ﴾، يقول: أخرجت ﴿سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لتلك الأضعاف ﴿عَلِيمٌ﴾[1] [آية: ٢٦١] بما تنفقون.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [آية: ٢٦٢] عند الموت نزلت فى عثمان بن عفان، رضى الله عنه، فى نفقته فى غزاة تبوك وفى شرائه رومة ركية بالمدينة، وتصدقه بها على المسلمين، وفى عبد الرحمن بن عوف الزهرى، رضى الله عنه، حين تصدق بأربعة آلاف درهم كل درهم مثقال وكان نصف ماله.

﴿۞ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣﴾

﴿۞ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ﴾، يعنى قول حسن، يعنى دعاء الرجل لأخيه المسلم إذا جاء وهو فقير يسأله فلا يعطيه شيئًا يدعو بالخير له، ﴿وَمَغۡفِرَةٌ﴾، يعنى وتجاوز عنه، ﴿خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ﴾ يعطيه إياها ﴿يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ﴾، يعنى المن، ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عما عندكم من الصدقة، ﴿حَلِيمٞ﴾ [آية: ٢٦٣] حين لا يعجل بالعقوبة على من يمن بالصدقة ويؤذى فيها المعطى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ يقول: يمن بها فإن ذلك أذى لصاحبها وكل صدقة يمن بها صاحبها على المعطى، فإن المن يبطلها، فضرب الله عز وجل، مثل لذلك: ﴿كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ يقول: ولا يصدق بأنه واحد لا شريك له.

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ يقول: ولا يصدق بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال أنه كائن، فمثله، يعنى مثل الذى يمن بصدقته، كمثل مشرك أنفق ماله فى غير إيمان، فأبطل شركه

(١) انظر: (مجمع البيان للطبرسى ٢/٣٧١، البحر المحيط لأبى حيان ٢/٣٠٠، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٥، الكشاف للزمخشرى ١/١٥٩).

الصدقة كما أبطل المن والأذى صدقة المؤمن، ثم أخبر عمن مَنَّ بها على صاحبه، فلم يعط عليها أجرًا ولا ثوابًا، ثم ضرب الله عز وجل لهما مثلاً فقال: فى مثله: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾[1]، يعنى الصفا، ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾، يعنى المطر الشديد، ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾، يقول: ترك المطر الصفا صلدًا نقيًا أجرد، ليس عليه تراب، فكذلك المشرك الذى ينفق فى غير إيمان، وينفق رئاء الناس، وكذلك صدقة المؤمن إذا من بها.

وذلك قوله سبحانه: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾، يقول: لا يقدرون على ثواب شىء مما أنفقوا يوم القيامة وذلك قوله عز وجل: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى﴾ ثواب ﴿شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] يوم القيامة، كما لم يبق على الصفا شىء من التراب حين أصابه المطر الشديد، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٢٦٤].

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾

ثم ذكر نفقة المؤمن الذى يريد بنفقته وجه الله عز وجل، ولا يمن بها، فقال سبحانه: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾، يعنى وتصديقًا من قلوبهم، فهذا مثل نفقة المؤمن التى يريد بها وجه الله عز وجل، ولا يمن بها ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ﴾، يعنى بستان فى مكان مرتفع مستو، تجرى من تحتها الأنهار ﴿أَصَابَهَا﴾، يعنى أصاب الجنة ﴿وَابِلٌ﴾، يعنى المطر الكثير الشديد، ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا﴾، يقول: أضعفت ثمرتها فى الحمل ﴿ضِعْفَيْنِ﴾، فكذلك الذى ينفق ماله لله عز وجل من غير أن يضاعف له نفقته إن كثرت أو قلت، كما أن المطر إذا اشتد، أو قل أضعف ثمرة الجنة حين أصابها وابل، ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾، أى أصابها عطش من المطر، وهو الرذاذ مثل الندى، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، يعنى بما تنفقون ﴿بَصِيرٌ﴾ [آية: ٢٦٥].

---

(١) انظر: (الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣/٣١٣، الكشاف للزمخشرى ١/١٦٠، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٨٧، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٦، البحر المحيط لأبى حيان ٢/٣٠٩).

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾، هذا مثل ضربه عز وجل لعمل الكافر، جنة ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾، يعنى عجزة لا حيلة لهم، ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾، يعنى ريح فيها نار، يعنى فيها سموم حارة، ﴿فَٱحْتَرَقَتْ﴾، يقول: مثل الكافر كمثل شيخ كبير له بستان فيه من كل الثمرات، وله ذرية أولاد صغار، يعنى عجزة لا حيلة لهم، فمعيشته ومعيشة ذريته من بستانه، فأرسل الله عز وجل على بستانه السموم الحارة، فأحرقت بستانه، فلم يكن له قوة من كبره أن يدفع عن جنته، ولم تستطع ذريته الصغار أن يدفعوا عن جنتهم التى كانت معيشتهم منها حين احترقت، ولم يكن للشيخ قوة أن يغرس مثل جنته، ولم يكن عند ذريته خير، فيعودون به على أبيهم عندما كان أحوج إلى خير يصيبه، ولا يجد خيرًا، ولا يدفع عن نفسه عذابًا، كما لم يدفع الشيخ الكبير، ولا ذريته عن جنتهم شيئًا حين احترقت، ولا يرد الكافر إلى الدنيا فيعتب، كما لا يرجع الشيخ الكبير شابًا، فيغرس جنة مثل جنته، ولم يقدم لنفسه خيرًا، فيعود عليه فى الآخرة، وهو أحوج ما يكون إليه كما لم يكن عند ولده شيئًا فيعودون به على أبيهم، ويحرم الخير فى الآخرة عند شدة حاجته إليه، كما حرم جنته عندما كان أحوج ما يكون إليها عند كبر سنه وضعف ذريته، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾، يعنى يبين الله أمره، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾، يقول: لكى ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢٦٦] فى أمثال الله عز وجل فتعتبروا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾، يقول: أنفقوا من الحلال مما رزقناكم من الأموال الفضة والذهب وغيره، ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾، وأنفقوا من طيبات الثمار والنبات، وذلك أن النبى ﷺ أمر الناس بالصدقة قبل أن تنزل آية

الصدقات، فجاء رجل بعزق من تمر عامته حشف، فوضعه فى المسجد مع التمر، فقال النبى ﷺ: «من جاء بهذا؟»، فقالوا: لا ندرى، فأمر النبى ﷺ أن يعلق العزق، فمن نظر إليه قال: بئس ما صنع صاحب هذا، فقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ﴾[1]، يقول: ولا تعمدوا إلى الحشف من التمر الردىء من طعامكم للصدقات، ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾، يعنى الردىء بسعر الطيب لأنفسكم، يقول: لو كان لبعضكم على بعض حق لم يأخذ دون حقه، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾[2]، يقول: إلا أن يهضم بعضكم على بعض حقه، فيأخذ دون حقه، وهو يعلم أنه ردىء، فيأخذه على علم، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عما عندكم من الأموال، ﴿حَمِيدٌ﴾ [آية: ٢٦٧] عند خلقه فى ملكه وسلطانه.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾، عند الصدقة، ويأمركم أن تمسكوا صدقتكم، فلا تنفقوا فلعلكم تفتقرون، ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾، يعنى المعاصى، يعنى بالإمساك عن الصدقة، ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ عند الصدقة ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم ويعدكم ﴿وَفَضْلًا﴾، يعنى الخلف من صدقتكم، فيجعل لكم الخلف بالصدقة فى الدنيا، ويغفر لكم الذنوب فى الآخرة، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لذلك الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٢٦٨] بما تنفقون، وذلك قوله سبحانه فى التغابن: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [التغابن: ١٧]، يعنى به الصدقة محتسبًا طيبة بها نفسه، يضاعفه لكم فى الدنيا، ويغفر لكم بالصدقة فى الآخرة.

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾

---

(١) انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/١٦٢، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٧، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٨٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣/٣٢٦).

(٢) انظر: (الكشاف للزمخشرى ١/١٦٢، وإعراب القرآن للنحاس ١/٢٨٩، البحر المحيط ٢/٣١٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣/٣٢٧).

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ (١)، يقول: ومن يعط الحكمة، وهى علم القرآن والفقه فيه، ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، يقول: فقد أعطى خيرًا كثيرًا، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ فيما يسمع، ﴿إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [آية: ٢٦٩]، يعنى أهل اللب والعقل، ثم قال: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ من خير من أموالكم فى الصدقة، ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ فى حق، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾، يقول: فإن الله يحصيه، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آية: ٢٧٠]، يعنى للمشركين من مانع من النار.

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾، يقول: إن تعلنوها، ﴿فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا﴾، يعنى تسروها، ﴿وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من العلانية، وأعظم أجرًا يضاعف سبعين ضعفًا، ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾ بصدقات السر والعلانية، ﴿مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ من ذنوبكم، يعنى ذنوبكم أجمع، ومن هاهنا صلة، وكل مقبول السر والعلانية، ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آية: ٢٧١].

﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾

﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾، نزلت فى المشركين؛ لأنه يأمر بالصدقة عليهم من غير زكاة، نزلت فى أسماء بنت أبى بكر، رضى الله عنه، سألت النبى ﷺ عن صلة جدها أبى قحافة، وعن صلة امرأته، وهما كافران، فكأنه شق عليه صلتهما، فنزلت: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾، يعنى أبا قحافة، ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ إلى دينه الإسلام، ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾، يعنى المال، ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾، يعنى

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٢/٣٢٠، التبيان ٢/٣٤٨، مجمع البيان ٢/٣٨٢، النشر ٢/٢٣٥، تفسير الفخر الرازى ٢/٣٤٨، الكشاف ١/١٦٣، الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٣١، إتحاف فضلاء البشر ٦/١٤٦).

المال، ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، يعنى توفر لكم أعمالكم، ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [آية: ٢٧٢] فيها.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣)﴾

ثم بين على من ينفق، فقال: النفقة ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يقول: حبسوا، نظيرها: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦]، يعنى حبستم، وأيضًا: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨]، يعنى محبسًا، ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا﴾ حبسوا أنفسهم بالمدينة فى طاعة الله عز وجل، فهم أصحاب الصفة.

قال: حدثنا عبيد الله، عن أبيه، عن هذيل بن حبيب، عن مقاتل بن سليمان، منهم ابن مسعود، وأبو هريرة، والموالى أربعمائة، رجل لا أموال لهم بالمدينة، فإذا كان الليل آووا إلى صفة المسجد، فأمر الله عز وجل بالنفقة عليهم، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾، يعنى سيرًا، كقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٠١]، يعنى إذا سرتم فى الأرض، يعنى التجارة، ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بأمرهم وشأنهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾، يعنى بسيما الفقر عليهم لتركهم المسألة، ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ فيلحفون فى المسألة، ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾، يعنى من مال، كقوله عز وجل: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]، يعنى مالاً للفقراء أصحاب الصفة، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٢٧٣]، يعنى بما أنفقتم عليم.

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤)﴾

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم﴾ فى الصدقة ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾، نزلت فى على بن أبى طالب، رضى الله عنه، لم يملك غير أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهارًا، وبدرهم سرًا، وبدرهم علانية، فقال له النبى ﷺ: «ما حملك على ذلك؟»، قال: حملنى أن أستوجب من الله الذى وعدنى، فقال النبى ﷺ: «الأن لك ذلك»، قال: فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا

وَعَلَانِيَةً﴾ ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آية: ٢٧٤] عند الموت.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ استحلالاً، ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ فى الدنيا، وذلك علامة أكل الربا، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى نزل بهم يوم القيامة، ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، فأكذبهم الله عز وجل، فقال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، فكان الرجل إذا حل ماله فطلبه، فيقول المطلوب: زدنى فى الأجل، وأزيدك على مالك، فيفعلان ذلك، فإذا قيل لهم: إن هذا ربا، قالوا: سواء زدت فى أول بيع أو فى آخره عند محل المال، فهما سواء، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾.

فقال الله عز وجل: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، يعنى البيان فى القراءة، ﴿فَٱنتَهَىٰ﴾ عن الربا، ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾، يقول: ما أكل من الربا قبل التحريم، ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بعد التحريم وبعد تركه، إن شاء عصمه من الربا، وإن شاء لم يعصمه، قال: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ فأكله استحلالاً لقولهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، يخوف أكلة الربا فى الدنيا أن يستحلوا أكله، فقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٢٧٥] لا يموتون.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾، فيضمحل وينقص، ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، يعنى ويضاعف الصدقات، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [آية: ٢٧٦] بربه عز وجل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المكتوبة فى مواقيتها،

﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، يعني وأعطوا الزكاة من أموالهم، ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [آية: ٢٧٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تعصوه، ﴿وَذَرُواْ﴾، يعني واتقوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٢٧٨] نزلت في أربعة إخوة من ثقيف: مسعود، وحبيب، وربيعة، وعبد ياليل، وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانوا يربون لثقيف، فلما أظهر الله عز وجل النبي ﷺ على الطائف، اشترطت ثقيف أن كل ربا لهم على الناس فهو لهم، وكل ربا للناس عليهم فهو موضوع عنهم، فطلبوا رباهم إلى بني المغيرة، فاختصموا إلى عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، كان النبي ﷺ استعمله على مكة، وقال له: «أستعملك على أهل الله».

وقالت بنو المغيرة: أجعلنا أشقى الناس بالربا وقد وضعه عن الناس؟ فقالت ثقيف: إنا صالحنا النبي ﷺ أن لنا ربانا، فكتب عتاب إلى النبي ﷺ في المدينة بقصة الفريقين، فأنزل الله تبارك وتعالى بالمدينة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعني ثقيفًا، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ الآية؛ لأنه لم يبق غير رباهم، ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، فأقروا بتحريمه، ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ وتقروا بتحريمه ﴿فَأۡذَنُواْ﴾، يعني فاستيقنوا ﴿بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾، يعني الكفر، ﴿وَإِن تُبۡتُمۡ﴾ من استحلال الربا وأقررتم بتحريمه، ﴿فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ التي أسلفتم لا تزدادوا، ﴿لَا تَظۡلِمُونَ﴾ أحدًا إذا لم تزدادوا على أموالكم، ﴿وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ [آية: ٢٧٩] فتنقصون من رءوس أموالكم.

فبعث النبي ﷺ بهذه الآية إلى عتاب بن أسيد بمكة، فأرسل عتاب إلى بني عمرو بن عمير، فقرأ عليهم الآية، فقالوا: بل نتوب إلى الله عز وجل، ونذر ما بقي من الربا، فإنه لا يدان لنا بحرب الله ورسوله، فطلبوا رءوس أموالهم إلى بني المغيرة، فاشتكوا العسرة،

فقال الله عز وجل: ﴿وَإِن كَانَ﴾ المطلوب ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ من القوم، يعنى بنى المغيرة، ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[(١)]، يقول: فأجله إلى غناه، كقوله سبحانه: ﴿أَنظِرْنِى إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤]، يقول: أجلنى، ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ به كله على بنى المغيرة وهم معسرون، فلا تأخذونه، فهو ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من أخذه، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٢٨٠]، ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا﴾ يخوفهم ﴿تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ﴾، يعنى توفى ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ بر وفاجر ثواب ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية: ٢٨١] فى أعمالهم، وهذه آخر آية نزلت من القرآن، ثم توفى النبى ﷺ بعدها بتسع ليال.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلَا تَسْأَمُواْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُواْ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُواْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾، يعنى اكتبوا الدين والأجل، ﴿وَلْيَكْتُب﴾ الكاتب بين البائع والمشترى، ﴿بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ يعدل بينهما فى كتابه، فلا يزداد على المطلوب، ولا ينقص من حق الطالب، ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ الكتابة، وذلك أن الكُتاب كانوا قليلاً على عهد رسول الله ﷺ، يقول: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ الكاتب، ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ على الكاتب ﴿الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾، يعنى المطلوب، ثم خوف المطلوب، فقال عز وجل: ﴿وَلْيَتَّقِ

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر ١٦٥، إعراب القرآن للعكبرى ١/٦٩، إعراب القرآن للنحاس ١/٢٦٥، الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٧٣، معانى القرآن للأخفش ١/١٨٨، البحر المحيط ٢/٢٤٠، تفسير الفخر الرازى ٢/٣٦٦).

ﭐللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ﴾، يعنى ولا ينقص المطلوب من الحق شيئًا، كقوله عز وجل: ﴿وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥].

﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا﴾، يعنى جاهلاً بالإملاء، ﴿أَوۡ ضَعِيفًا﴾، يعنى أو عاجزًا، أو به حمق، ﴿أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾، لا يعقل الإملاء لعيه، أو لخرسه، أو لسفهه، ثم رجع إلى الذى له الحق، فقال سبحانه: ﴿فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ﴾، يعنى ولى الحق، فليملل هو ﴿بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾، يعنى بالحق، ولا يزداد شيئًا ولا ينقص، كما قال للمطلوب قبل ذلك، وأمر كليهما بالعدل، ثم قال سبحانه: ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ﴾ على حقكم ﴿شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾، يقول: ولا يشهد الرجل على حقه إلا مرضيًا إن كان الشاهد رجلاً أو امرأة.

ثم قال: ﴿أَن تَضِلَّ﴾ المرأة، يعنى أن تنسى ﴿إِحۡدَىٰهُمَا﴾ الشهادة، ﴿فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ الشهادة ﴿ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾، يقول: تذكرها المرأة الأخرى التى حفظت شهادتهما، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ﴾، يقول: إذا ما دعى الرجل ليستشهد على أخيه، فلا يأب إن كان فارغًا، ثم قال: ﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ﴾، يقول: ولا تملوا، وكل شىء فى القرآن تسأموا، يعنى تملوا، ﴿أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا﴾، يعنى قليل الحق وكثيره، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ﴾؛ لأن الكتاب أحصى للأجل وأحفظ للمال، ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾، يعنى الكتاب، ﴿أَقۡسَطُ﴾، يعنى أعدل ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ﴾، يعنى أصوب ﴿لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾، يعنى وأجدر ألا تشكوا، نظيرها: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن يَأْتُواْ بِالشَّهَادَةِ﴾ [المائدة: ١٠٨]، أى أجدر، ونظيرها فى الأحزاب: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى﴾، يعنى أجدر ﴿أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١]، فى الحق والأجل والشهادة إذا كان مكتوبًا.

ثم رخص فى الاستثناء، فقال: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ﴾، وليس فيها أجل، ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾، يعنى حرج، ﴿أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ﴾، يعنى التجارة الحاضرة، إذا كانت يدًا بيد على كل حال، ﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ﴾ على حقكم ﴿إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ﴾، يقول: لا يعمد أحدكم إلى الكاتب والشاهد فيدعوهما إلى الكتابة والشهادة ولهما حاجة، فيقول: اكتب لى، فإن الله أمرك أن تكتب

لى، فيضاره بذلك، وهو يجد غيره، ويقول للشاهد وهو يجد غيره: اشهد لى على حقى، فإن الله قد أمرك أن تشهد على حقى، وهو يجد غيره من يشهد له على حقه، فيضاره بذلك، فأمر الله عز وجل أن يتركا لحاجتهما ويلتمس غيرهما، ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ﴾ ، يقول: وإن تضاروا الكاتب والشاهد وما نهيتم عنه، فإنه إثم بكم، ثم خوفهم، فقال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾ ولا تعصوه فيهما، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٢٨٢] من أعمالكم عليم.

﴿۞وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

ثم قال: ﴿۞وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌۖ﴾ ، يقول: إذا لم يكن الكاتب والصحيفة حاضرين، فليرتهن الذى عليه الحق من المطلوب، ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ فى السفر، فإن كان الذى عليه الحق أمينًا عند صاحب الحق، فلم يرتهن منه لثقته به وحسن ظنه، ﴿فَلْيُؤَدِّ﴾ ذلك ﴿ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ ، يقول: ليرد على صاحب الحق حقه حين ائتمنه ولم يرتهن منه، ثم خوفه الله عز وجل، فقال: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ﴾ ، يعنى الذى عليه الحق.

ثم رجع إلى الشهود، فقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ﴾ عند الحاكم، يقول: من أشهد على حق، فليشهد بها على وجهها كما كانت عند الحاكم، فلا تكتموا الشهادة، قال: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا﴾ ولا يشهد بها عند الحاكم، ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من كتمان الشهادة وإقامتها ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٢٨٣].

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾ من الخلق عبيده وفى ملكه، يقضى فيهم ما يريد، ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ ، يقول: إن تلنوا بألسنتكم ما فى قلوبكم من ولاية الكفار والنصيحة أو تسروه، ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ﴾(١) من العذاب والمغفرة ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٢٨٤].

فلما نزلت هذه الآية، قال المسلمون: يا رسول الله، إنا نحدث أنفسنا بالشرك والمعصية، أفيحاسبنا الله بها ولا نعملها؟ فأنزل الله عز وجل فى قولهم فى التقديم: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾، يقول: لا يكلفها من العمل إلا ما أطاقت، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ﴾ من الخير وما عملته وتكلمت به، ﴿وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾ من الإثم، فنسخت هذه الآية قوله سبحانه: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِى أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾، قال النبى ﷺ عند ذلك: «إن الله عز وجل تجاوز عن أمتى ما حدثوا به أنفسهم ما لم يعملوه أو يتكلموا به».

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾، يقول: صدق محمد بما أنزل إليه من ربه من القرآن، ثم قال: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، يقول: كل صدق بالله بأنه واحد لا شريك له، ﴿وَ﴾ صدق بـ ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾، يقول: لا يكفر بأحد من رسله، فكل هذه الرسل صدق بهم المؤمنون، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ كفعل أهل الكتاب، آمنوا ببعض الكتب وببعض الرسل، فذلك التفريق، فأما اليهود، فآمنوا بموسى وبالتوراة، وكفروا بالإنجيل والقرآن، وأما النصارى، فآمنوا بالتوراة والإنجيل وبعيسى ﷺ، وكفروا بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿وَقَالُواْ﴾، فقال المؤمنون بعد ذلك: ﴿سَمِعۡنَا﴾ قول ربنا فى القر آن، ﴿وَأَطَعۡنَاۖ﴾ أمره، ثم قال لهم بعدما أقروا بالنبى ﷺ والكتب: أن ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا﴾، يقول: قولوا: وأعطنا مغفرة منك يا ربنا، ﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آية: ٢٨٥]، يقول: المرجع إليك فى الآخرة.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٢/٣٦١، الكشاف ١/١٧١، إعراب القرآن للعكبرى ١/٧١، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٠٤).

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾

ثم قال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾، يقول: لا يكلفها من العمل إلا ما أطاقت، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ﴾ من الخير وما عملت أو تظلمت به، ﴿وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ من الإثم، ثم علم جبريل النبى ﷺ أن يقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾، يقول: إن جهلنا عن شىء أو أخطأنا، فتركنا أمرك، قال الله عز وجل: ذلك لك، ثم قال: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾، يعنى عهدًا، ﴿كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ ما كان حرم عليهم من لحوم الإبل، وشحوم الغنم، ولحوم كل ذى ظفر، يقول: لا تفعل ذلك بأمتى بذنوبها كما فعلته ببنى إسرائيل، فجعلتهم قردة وخنازير، قال الله تعالى: ذلك لك.

ثم قال: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا﴾، يقول: واعف عنا من ذلك، ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾، يقول: وتجاوز عنا، عن ذنوبنا من ذلك كله واغفر، ﴿وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾، يقول: أنت ولينا، ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٢٨٦]، يعنى كفار مكة وغيرها إلى يوم القيامة، قال الله تعالى: ذلك لك، فاستجاب الله عز وجل له، ذلك فيما سأل وشفعه فى أمته، وتجاوز لها عن الخطايا والنسيان وما استكرهوا عليه، فلما نزلت قرأهن النبى ﷺ على أمته، وأعطاه الله عز وجل هذه الخصال كلها فى الآخرة، ولم يعطها أحدًا من الأمم الخالية.

قال: حدثنا عبيد الله بن ثابت، قال: حدثنى الهذيل، عن مقاتل، قال: بلغنى أن الله عز وجل كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفى عام، فهو عنده على العرش، فأنزل منه لآيتين ختم بهما سورة البقرة: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ...﴾ إلى آخرها، فمن قرأها فى بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام ولياليهن.

قال: حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل أبى صالح، عن مقاتل بن سليمان فى قوله: ﴿مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قال: فقال أبو الدحداح: يا رسول الله، إن تصدقت بصدقة، أفلى مثلها فى الجنة؟ قال: «نعم»، قال: والصبية معى؟ قال: «نعم»، قال: وأم الدحداح معى؟ قال: «نعم»، قال: وكان له حديقتان، إحداهما تسمى الجنة، والأخرى الجنينة، وكانت الجنينة أفضل من

الجنة، قال: يا رسول الله، أشهد بأنى قد تصدقت بها على الفقراء، أو بعتها من الله ورسوله، فمن يقبضها؟ قال: وجاء إلى باب الحديقة، فتحرج أن يدخلها، إذ جعلها لله ورسوله، فصاح:

يا أم الدحداح هداك الهادى ... إلى سبيل القصد والرشاد
بينى من الحائط الذى بالوادى ... فقد مضى قرضًا إلى التناد
أقرضته الله على اعتماد ... طوعًا بلا من ولا ارتداد
إلا رجاء الضعف فى الميعاد ... فودعى الحائط وداع العاد
واستيقنى وفقت للرشاد ... فارتحلى بالفضل والأولاد
إن التقى والبر خير زاد ... قدمه المرء إلى المعاد

فأجابته: ربح بيعك، والله لولا شرطك ما كان لك منه إلا مالك، وأنشأت تقول:

مثلك أحيا ما لديه ونصح ... وأشهر الحق إذا الحق وضح
قد منح الله عيالى ما صلح ... بالعجوة السوداء والزهر البلح
والله أولى بالذى كان منح ... مع واجب الحق ومع ما قد سرح
والعبد يسعى وله ما قد كدح ... طول الليالى وعليه ما اجترح

قال: ثم خرجت وجعلت تنفض ما فى أكمام الصبيان، وتخرج ما فى أفواههم، ثم خرجوا وسلموا الحديقة إلى النبى ﷺ، فقال النبى ﷺ: «كم من نخلة لأبى الدحداح مدلا عذوقها فى الجنة، لو اجتمع على عذق منها أهل منى أن يقلوه ما أقلوه».

* * *

سورة آل عمران

مدنية كلها، وهى مائتا آية باتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣﴾

قال: حدثنا عبيد الله، حدثنى أبى، عن الهذيل، عن مقاتل، أنه اجتمعت نصارى نجران، فمنهم السيد والعاقب، فقالوا: نشهد أن عيسى هو الله، فأنزل الله عز وجل تكذيبًا لقولهم: ﴿الٓمٓ﴾ [آية: ١]، يخبره أنه ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾(١) [آية: ٢]، يعنى الحى الذى لا يموت، ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾، يعنى القائم على كل نفس بما كسبت، ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾، لم ينزله باطلاً، يعنى القرآن، ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ من الكتاب، يقول: محمد، عليه السلام، مصدق للكتب التى كانت قبله، ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ على موسى، ﴿وَٱلۡإِنجِيلَ﴾(٢) [آية: ٣] على عيسى.

﴿مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾

﴿مِن قَبۡلُ﴾ هذا القرآن، ثم قال: ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ هما ﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾، يعنى لبنى إسرائيل من الضلالة.

---

(١) قراءَة عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان رضى الله عنهما، وابن مسعود وإبراهيم النخعى، والأعمش، وأصحاب عبدالله وزيد بن على، وجعفر بن محمد وأبى رجاء بخلاف، ورُويت عن النبى ﷺ: «الحىُّ القيَّام» انظر: (الطبرى ٦/١٥٥، الجامع لأحكام القرآن ٤/١، معانى القرآن للفراء ١/١٩٠، مجمع البيان ٢/٤٠٥، التبيان ٢/٣٨٨، البحر المحيط ٢/٣٧٧، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٨، شرح المفصل ٦/١٢٧).

وقرأ علقمة: «الحىُّ القيِّم» . وخارجة، وعبدالله بن مسعود. انظر: (الطبرى ٦/١٥٥ والقرطبى ٤/١ والبحر المحيط ٢٣٧٧، النحاس ١/٣٠٨).

(٢) قراءَة الحسن: «الأَنجيل»(٢)، بفتح الهمزة، انظر: (الكشاف ١/١٧٣، القرطبى ٤،٦، البحر المحيط ٢/٣٧٨، مجمع البيان ٢/٤٠٥، إتحاف فضلاء البشر ١٧٠، اللسان «نجل»).

قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾، يعنى القرآن بعد التوراة والإنجيل، والفرقان يعنى به المخرج فى الدين من الشبهة والضلالة، فيه بيان كل شىء يكون إلى يوم القيامة، نظيرها فى الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، يعنى المخرج من الشبهات، وفى البقرة: ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، يعنى القرآن، وهم اليهود كفروا بالقرآن، منهم: حيى، وجدى، وأبو ياسر بنو أخطب، وكعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، وزيد بن التابوه وغيرهم، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ﴾ فى الآخرة ﴿شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [آية: ٤]، يعنى عزيز فى ملكه، منيع شديد الانتقام من أهل مكة، هذا وعيد لمن خالف أمره.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦)﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آية: ٥]، يعنى شىء من أهل السماء، ولا من أهل الأرض، كل ذلك عنده، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، نزلت فى عيسى ابن مريم ﷺ، خلقه من غير أب، ذكرًا وأنثى، سويًا وغير سوى، ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ فى ملكه، ﴿الْحَكِيمُ﴾ [آية: ٦] فى أمره، نزلت هذه الآية فى قولهم، وما قالوا من البهتان والزور لعيسى ﷺ.

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)﴾

ثم قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾، يعمل بهن، وهن الآيات التى فى الأنعام قوله سبحانه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إلى ثلاث آيات آخرهن: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣]، يقول: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، يعنى أصل الكتاب؛ لأنهن فى اللوح المحفوظ مكتوبات، وهن محرمات على الأمم كلها فى كتابهم، وإنما تسمين أم الكتاب؛ لأنهن مكتوبات فى جميع الكتب التى أنزلها الله تبارك وتعالى على جميع الأنبياء، وليس من أهل دين إلا وهو يوصى بهن.

ثم قال عز وجل: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾، ﴿الٓمٓ﴾ ﴿الٓمٓصٓ﴾ ﴿الٓمٓرٓ﴾ ﴿الٓر﴾، شبه على اليهود كم تملك هذه الأمة من السنين، والمتشابهات هؤلاء الكلمات الأربع، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، يعني ميل عن الهدى، وهو الشك، فهم اليهود، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾، يعني ابتغاء الكفر، ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾، يعني منتهى ما يكون وكم يكون، يريد بذلك الملك، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، كم يملكون من السنين، يعني أمة محمد، يملكون إلى يوم القيامة، إلا أيامًا يبتليهم الله عز وجل بالدجال.

ثم استأنف، فقال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾، يعني المتدارسون علم التوراة، فهم عبد الله بن سلام وأصحابه من مؤمنى أهل التوراة، ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، يعني قليله وكثيره من عند ربنا، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آية: ٧]، فما يسمع إلا أولو الألباب، يعني من كان له لب وعقل، يعني ابن سلام وأصحابه، فيعلمون أن كل شيء من هذا وغيره من عند الله.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾

قال ابن سلام وأصحابه: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (١)، لا تمل قلوبنا، يعنى لا تحول قلوبنا عن الهدى بعدما هديتنا كما أزغت اليهود عن الهدى، ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾، يعنى من عندك رحمة، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آية: ٨] للرحمة، ثم قال ابن سلام وأصحابه: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾، يعنى ليوم القيامة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آية: ٩] فى البعث بأنك تجمع الناس فى الآخرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝١٠﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يعنى اليهود خاصة، نزلت فى كعب بن الأشرف. ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾، يعنى لا ﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ١٠]، يعنى اليهود.

---

(١) قراءة أبى واقد الجرّاح: «ربَّنا لا تَزِغْ قلوبُنا» انظر: (الكشاف ١/١٧٦، القرطبى ٤/٢٠، إعراب القرآن للنحاس ١/٣١٢، العكبرى ١/٧٢).

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، يعنى كأشباه آل فرعون فى التكذيب، ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الخالية قبل آل فرعون والأمم الخالية قبل آل فرعون: قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وقوم شعيب، ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾، يعنى بأنهم كذبوا أيضًا بالعذاب فى الدنيا بأنه غير نازل بهم، ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾، يعنى فى الدنيا، فعاقبهم الله، ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية: ١١]، يعنى إذا عاقب.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾﴾

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة يوم بدر، ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ فى الآخرة، ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آية: ١٢]، يقول: بئسما مهدوا لأنفسهم، فقال النبى ﷺ للكفار يوم بدر: «إن الله غالبكم، وسوف يحشركم إلى جهنم»، فقال أبو جهل: يا ابن أبى كبشة، هل هذا إلا مثل ما كنت تحدثنا به، وقوله سبحانه: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ﴾، وذلك أن بنى قينقاع من اليهود أتوا النبى ﷺ بعد قتال بدر يوعدونه القتال كما قتل كفار مكة يوم بدر، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ معشر اليهود، يعنى عبرة ﴿فِى فِئَتَيْنِ﴾ ﴿ٱلْتَقَتَا﴾ فئة المشركين وفئة المؤمنين يوم بدر، التقتا ﴿فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وهو النبى ﷺ وأصحابه يوم بدر، ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾، أبو جهل والمشركين، ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾، رأت اليهود أن الكفار مثل المؤمنين فى الكثرة، ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾(١)، وكان الكفار يومئذ سبعمائة رجل، عليهم أبو جهل، وذلك أن النبى ﷺ وأصحابه كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، بين كل أربعة بعير، ومعهم فرسان، أحدهما مع أبى مرثد الغنوى، والآخر مع المقداد بن الأسود الكندى، ومعهم ستة أدراع، والمشركون ألف رجل، سبعمائة دراع، عليهم أبو جهل، وثلاثمائة حاسر، ثم حبس الأخنس بن شريق ثلاثمائة رجل من بنى زهرة عن قتال

(١) قراءة ابن عباس وطلحة: «يُرونهم مِثلَيهم»، بياءٍ مضمومة، وقراءة السلمى. انظر: (البحر المحيط ٣٩٤/٢، القرطبى ٢٧/٤، الكشاف ١٧٧/١، مجمع البيان ٤١٤/٢).

النبى ﷺ، فبقى المشركون فى سبعمائة رجل.

يقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ﴾، يعنى بنصره ﴿مَن يَشَآءُ﴾، فينصره الله عز وجل القليل على الكثير، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾، يعنى يقوى فى نصرهم، نصر المؤمنين وهم قليل، وهزيمة الكفار وهم كثير، ﴿لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آية: ١٣]، يعنى الناظرين فى أمر الله عز وجل وطاعته لعبرة وتفكرًا لأولى الأبصار، حين أظهر الله عز وجل القليل على الكثير.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾(١)، يعنى الكفار، ﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾، يعنى المال الكثير ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾، فأما الذهب، فهو ألف دينار ومائتا دينار، والفضة ألف ومائتا مثقال، ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾، يعنى السائمة، وهى الراعية، ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾، وهى الإبل والبقر والغنم، ﴿وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر فى هذه الآية، ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آية: ١٤]، يعنى حسن المرجع، وهى الجنة.

﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾

﴿۞ قُلْ﴾ للكفار: ﴿أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ﴾، يعنى ما ذكره فى هذه الآية ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، وذلك أن العيون تجرى من تحت البساتين، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون، ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض والغائط

---

(١) قراءة مجاهد: «زَيَّن للناس حُبَّ الشهوات»، بفتح الزاى والياء. وقراءة ابن محيصن، والضحاك. قال ابن جنى: فاعل هذا الفعل إبليس، ودل عليه ما يتردد فى القرآن من ذكره. فهذا نحو قول الله تعالى: ﴿يَعِدُهم ويُمَنِّيهم﴾، وما جرى هذا المجرى.

انظر: (الكشاف ١/١٧٨، القرطبى ٤/٢٨، البحر المحيط ٢/٣٩٦، إتحاف فضلاء البشر ١٧١، إعراب القرآن للعكبرى ١/٧٤، تفسير الفخر الرازى ٢/٤١٦).

والبول والبزاق والمخاط ومن القذر كله، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أكبر، يعني رضى الله عنهم، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آية: ١٥]، يعني بأعمالهم.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧)﴾

ثم أخبر سبحانه عن فعلهم، فقال: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آية: ١٦]، ثم نعت أعمالهم، فقال: الجنة هي لـ ﴿الصَّابِرِينَ﴾ على أمر الله وفرائضه، ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ بكتاب الله ورسله، ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾، يعني المطيعين لله، ﴿وَالْمُنفِقِينَ﴾ أموالهم في حق الله، ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آية: ١٧]، يقول: المصلين لله بالأسحار، يعني المصلين من آخر الليل.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾

قوله سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾، وذلك أن عبد الله بن سلام وأصحابه مؤمني أهل التوراة، قالوا لرءوس اليهود: إن محمدًا رسول الله ﷺ، ودينه الحق، فاتبعوه، فقالت اليهود: ديننا أفضل من دينكم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ ﴿أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ يشهدون بها، ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ بالتوراة ابن سلام وأصحابه يشهدون أنه لا إله إلا هو، ويشهدون أن الله عز وجل ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، يعني قائم على كل شيء بالعدل، ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آية: ١٨] في أمره.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)﴾

شهدوا ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾، يعني التوحيد ﴿عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، يعني اليهود والنصارى في هذا الدين، ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾، يعني بيان أمر محمد ﷺ؛ لأنهم كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ من قبل أن يبعث رسولاً، فلما بعث محمد ﷺ من ولد إسماعيل، تفرقوا ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، يعني القرآن، يعني اليهود، ثم خوفهم، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آية: ١٩]، كأنه قد جاء.

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾، يعنى اليهود خاصموك يا محمد فى الدين، ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾، يقول: أخلصت دينى لله، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ على دينى فقد أخلص، ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾، يعنى أهل التوراة والإنجيل، اليهود والنصارى، ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾، والإسلام اسم مشتق من اسم الله عز وجل، أمر الله تعالى النبى ﷺ أن يدعوهم إلى الإسلام، فقال: أسلمت، يعنى أخلصت، يقول: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا﴾، يعنى فإن أخلصوا له، يعنى لله عز وجل بالتوحيد، ﴿فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ من الضلالة، ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا﴾، يقول: فإن أبوا أن يسلموا، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾، يعنى بلاغ الرسالة، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آية: ٢٠] بأعمال العباد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، يعنى بالقرآن، وهم ملوك بنى إسرائيل من اليهود ممن لا يقرأ الكتاب، ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾، يعنى بالعدل بين الناس من مؤمنى بنى إسرائيل من بعد موسى، ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ يا محمد ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٢١]، يعنى وجيع، يعنى اليهود؛ لأن هؤلاء على دين أوائلهم الذين قتلوا الأنبياء والآمرين بالقسط.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ﴾ فعلوا ذلك ﴿حَبِطَتْ﴾، يعنى بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾، فلا ثواب لهم، ﴿فِي الدُّنْيَا وَ﴾ لا فى ﴿وَالْآخِرَةِ﴾؛ لأن أعمالهم كانت فى غير طاعة الله عز وجل، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [آية: ٢٢]، يعنى من مانعين يمنعونهم من النار، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾، يعنى أعطوا حظًا من التوراة، يعنى اليهود: كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، ومالك بن

الضيف، ويحيى بن عمرو، ونعمان بن أوفى، وأبو ياسر بن أخطب، وأبو نافع بن قيس، وذلك أن النبى ﷺ قال لهم: «أسلموا تهتدوا، ولا تكفروا»، فقالوا للنبى ﷺ: نحن أهدى وأحق بالهدى منكم، ما أرسل الله نبيًا بعد موسى، فقال النبى ﷺ: «لم تكذبون وأنتم تعلمون أن الذى أقول حق، فأخرجوا التوراة نتبع نحن وأنتم ما فيها، وهى بينكم، فإنى مكتوب فيها أنى نبى ورسول»، فأبوا ذلك، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، يعنى التوراة، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾، يعنى ليقضى بينهم، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾، يعنى يأبى ﴿فَرِيقٌ﴾، يعنى طائفة ﴿مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آية: ٢٣].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ بأن العذاب واجب عليهم، فيها تقديم لقولهم: ﴿إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾، يعنى الأربعين يومًا التى عبد آباؤهم فيها العجل؛ لأنهم قالوا: إنهم أبناء الله وأحباؤه، يقول: ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم﴾ عفو الله ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٢٤]، يعنى الذين كذبوا لقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، خوفهم الله، فقال: ﴿فَكَيْفَ﴾ بهم ﴿إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾، يعنى يوم القيامة لا شك فيه بأنه كائن، ﴿وَوُفِّيَتْ﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ بر وفاجر ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شر، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية: ٢٥] فى أعمالهم.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ﴾، وذلك أن النبى ﷺ سأل ربه عز وجل أن يجعل له ملك فارس والروم فى أمته، فنزلت: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ﴾ ﴿مَن تَشَآءُ﴾، يعنى محمدًا ﷺ وأمته، ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾، يعنى الروم وفارس، ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ محمدًا وأمته، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾، يعنى الروم وفارس،

﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الملك والعز والذل ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٢٦]، ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾، يعنى ما تنقص فى الليل داخل فى النهار، حتى يصير الليل تسع ساعات والنهار خمس عشرة ساعة، فذلك قوله سبحانه: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهار وَيُكَوِّرُ﴾، يعنى يسلط ﴿النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥]، وهما هكذا إلى أن تقوم الساعة.

قوله سبحانه: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾، فهو الناس والدواب والطير، خلقهم من نطفة وهى ميتة، وخلق الطير من البيضة وهى ميتة، ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾، يعنى يخرج الله عز وجل هذه النطفة من الحى، وهم الناس والدواب والطير، ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آية: ٢٧]، يقول سبحانه: ليس فوقى ملك يحاسبنى، أنا الملك أعطى من شئت بغير حساب، لا أخاف من أحد يحاسبنى.

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ (٢٨)﴾

قوله سبحانه: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة وغيره، كانوا يظهرون المودة لكفار مكة، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾، فيتخذونهم أولياء من غير قهر، ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾، ثم استثنى تعالى، فقال: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾، فيكون بين أظهرهم فيرضيهم بلسانه من المخافة، وفى قلبه غير ذلك، ثم خوفهم، فقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، يعنى عقوبته فى ولاية الكفار، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٢٨] فى الآخرة، فيجزيكم بأعمالكم.

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ (٣٠) قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١)﴾

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾، يعنى إن تسروا ما فى قلوبكم

من الولاية للكفار، ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾، يعنى أو تظهروا ولايتهم، يعنى حاطب وأصحابه، ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾، من المغفرة والعذاب ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٢٩]، نظيرها فى آخر البقرة، ثم خوفهم ورغبهم، فقال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾، يعجل لها كل خير عملته، ولا يغادر منه شىء، ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾، يعنى أجلاً بعيدًا بين المشرق والمغرب، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، يعنى عقوبته فى عمل السوء، ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آية: ٣٠]، يعنى بربهم، حين لا يعجل عليهم بالعقوبة، لما دعا النبى ﷺ كعبًا وأصحابه إلى الإسلام، قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ولنحن أشد حبًا لله مما تدعونا إليه، فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ على دينى، ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ما كان فى الشرك، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٣١] ذو تجاوز لما كان فى الشرك، رحيم بهم فى الإسلام.

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿قُلْ﴾ لليهود ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾، يعنى أعرضوا عن طاعتهما، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى اليهود.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾، يعنى اختار من الناس لرسالته آدم ونوحًا، ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾، يعنى إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، ثم قال: ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾، يعنى موسى، وهارون، ذرية آل عمران اختارهم للنبوة والرسالة ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى عالمى ذلك الزمان.

وهى ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ (١)، وكل هؤلاء من ذرية آدم، ثم من ذرية نوح، ثم من ذرية إبراهيم، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٣٤]، لقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، ونحن أشد حبًا لله، عليهم بما قالوا، يعنى اليهود.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ

---

(١) وقرأ زيد بن ثابت: «ذِرِّيَّة»(١) بكسر الذال، «وذَرِّيَّة» بفتح الذال. وقراءة المطوعى، والضحاك. انظر: (البحر المحيط ٢/٤٣٥، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٢٣، إتحاف فضلاء البشر ١٧٣).

﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٣٥﴾

﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾ بن ماثانا، اسمها حنة بنت فاقوز، وهى أم مريم، وهى حبلى، لئن نجانى الله عز وجل ووضعت ما فى بطنى، لأجعلنه محررًا، وبنو ماثان من ملوك بنى إسرائيل من نسل داود، عليه السلام، والمحرر الذى لا يعمل للدنيا ولا يتزوج، ويعمل للآخرة، ويلزم المحراب، فيعبد الله عز وجل فيه، ولم يكن يحرر فى ذلك الزمان إلا الغلمان، فقال زوجها: أرأيت إن كان الذى فى بطنك أنثى؟ والأنثى عورة، كيف تصنعين؟ فاهتمت لذلك، فقالت حنة: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [آية: ٣٥] لدعائهما، العليم بنذرهما، يعنى بالتقبل والاستجابة لدعائهما.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٣٦﴾

﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾، والأنثى عورة، فيها تقديم، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾، ثم قالت حنة: ﴿وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ﴾، وكذلك كان اسمها عند الله عز وجل، ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾، يعنى عيسى ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آية: ٣٦]، يعنى الملعون، فاستجاب الله لها، فلم يقربها ولا ذريتها شيطان، وخشيت حنة ألا تقبل الأنثى محررة، فلفتها فى خرق ووضعتها فى بيت المقدس عند المحراب، حيث يدرس القراء، فتساهم القوم عليها؛ لأنها بنت إمامهم وسيدهم، وهم الأحبار من ولد هارون أيهم يأخذها.

قال زكريا، وهو رئيس الأحبار: أنا آخذها، أنا أحقكم بها؛ لأن أختها أم يحيى عندى، فقال القراء: وإن كان فى القوم من هو أقرب إليها منك؟ فلو تركت لأحق الناس بها لتركت لأمها، ولكنها محررة، ولكن هلم نتساهم عليها، من خرج سهمه فهو أحق بها، فاقترعوا، فقال الله عز وجل لمحمد ﷺ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾، يعنى عندهم فتشهدهم، ﴿إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ﴾، حين اقترعوا ثلاث مرات بأقلامهم التى كانوا يكتبون بها الوحى أيهم يكفلها؟ أيهم يضمها؟ فقرعهم زكريا فقبضها، ثم قال الله عز وجل لمحمد ﷺ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤] فى مريم، فذلك قوله: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ (٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ (٣٨)﴾

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾، يقول: رباها تربية حسنة فى عبادة وطاعة لربها، فبنى لها زكريا محرابًا فى بيت المقدس، وجعل بابه وسطه، لا يصعد إليه أحد إلا بسلم، واستأجر لها ظئرًا ترضعها حتى تحركت، فكان يغلق عليها الباب ومعه المفتاح، لا يأمن عليها أحدًا، يأتيها بطعامها ومصالحها، وكانت إذا حاضت أخرجها إلى منزله، فتكون مع أختها أيليشفع بنت عمران، وهى مريم بنت عمران، أم يحيى، فإذا طهرت ردها إلى محراب بيت المقدس، وكان زكريا يرى عندها العنب فى الشتاء الشديد البرد، فيأتيها به جبريل، عليه السلام من السماء، ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ﴾ لها زكريا: ﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ﴾، يعنى من أين هذا فى غير حينه؟ ﴿قَالَتۡ﴾ هذا الرزق ﴿هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آية: ٣٧].

فطمع عند ذلك زكريا فى الولد، فقال: إن الذى يأتى مريم بهذه الفاكهة فى غير حينها لقادر أن يصلح لى زوجتى ويهب لى منها ولدًا، فذلك قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾، يعنى عند ذلك ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ﴾، يعنى من عندك، ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ﴾، تقيًا زكيًا، كقوله: ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦]، ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آية: ٣٨]، فاستجاب الله عز وجل، وكانا قد دخلا فى السن.

﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٣٩)﴾

﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ﴾، فبينما هو يصلى فى المحراب، حيث يذبح القربان، إذا برجل عليه بياض حياله، وهو جبريل، عليه السلام، فقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ﴾[1]، اشتق يحيى من أسماء الله عز وجل، ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يعنى

(١) قراءة مجاهد وحميد الأعرج: «أن الله يُبْشِرُكَ»(١)، بضم الياء، وسكون الباء، وكسر الشين خفيفة. وقراءة عبدالله بن مسعود. انظر: (البحر المحيط ٢/٤٤٧، الطبرى ٦/٣٦٩، القرطبى=

من الله عز وجل، وكان يحيى أول من صدق بعيسى، عليهما السلام، وهو ابن ثلاث سنين، قوله الأول وهو ابن ستة أشهر، فلما شهد يحيى أن عيسى من الله عز وجل، عجبت بنو إسرائيل لصغره، فلما سمع زكريا شهادته، قام إلى عيسى فضمه إليه، وهو فى خرقة، وكان يحيى أكبر من عيسى بثلاث سنين، يحيى وعيسى ابنا خالة، ثم قال الله سبحانه: ﴿وَسَيِّدًا﴾، يعنى حليمًا، ﴿وَحَصُورًا﴾ لا ماء له، ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ٣٩]، والحصور الذى لا حاجة له فى النساء.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾

فلما بشر زكريا بالولد، قال لجبريل، عليه السلام فى المخاطبة: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾، يعنى من أين ﴿يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾، يقول ذلك تعجبًا؛ لأنه كان قد يبس جلده على عظمه من الكبر، ﴿قَالَ﴾ جبريل، عليه السلام، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا قال ربك، إنه يكون لك ولد، ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آية: ٤٠]، أن يجعل ولدًا من الكبير والعاقر؛ لقوله: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾، يعنى علمًا للحبل، ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ إذا جامعتها على طهر فحبلت، فإنك تصبح لا تستنكر من نفسك خرسًا ولا سقمًا، ولكن تصبح لا تطيق الكلام، ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [(١)]، يعنى إلا إشارة يومىء بيده، أو برأسه من غير مرض، ولم يحبس لسانه عن ذكر الله عز وجل، ولا عن الصلاة، فكذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آية: ٤١]، يقول: صل بالغداة والعشى، فأتى امرأته على طهرها فحملت، وكان آية الحبل أنه وضع يده على صدرها، فحملت فاستقر الحمل فى رحمها، فحبلت بيحيى، فأصبح لا

=٤/٧٥، الكشاف ١/١٨٨، معانى القرآن للفراء ١/ ٢١٢، التبيان ٢/٤٥١، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٢٨، إعراب القرآن للعكبرى ١/٧٨، تفسير الفخر الرازى ٤/٤٢٧).

(١) قراءة الأعمش: «إلا رُمُزًا»، بضمتين. وقراءة يحيى بن وثاب، وعلقمة بن قيس. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١/٣٣٠، البحر المحيط ٢/٤٥٣، الجامع لأحكام القرآن ٤/٨١، الكشاف ١/١٨٩، تفسير الفخر الرازى ٢/٤٥١).

يستطيع الكلام، فعرف أن امرأته قد حبلت، فولدت يحيى، عليه السلام، فلم يعص الله قط.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، وهو جبريل، عليه السلام، وحده: ﴿يَٰمَرْيَمُ﴾، وهى فى المحراب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾، يعنى اختارك، ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من الفاحشة والألم، ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ﴾، يعنى واختارك، ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٤٢] بالولد من غير بشر، ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾، يعنى لربك، ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آية: ٤٣]، يعنى مع المصلين فى بيت المقدس.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ أن الذى ذكر فى هؤلاء الآيات، ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾، يعنى حديثًا من الغيب لم تشهده يا محمد، فذلك قوله: ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ فى القرعة، ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾، يعنى يضم مريم إلى نفسه، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ يا محمد، ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آية: ٤٤] فى مريم، يعنى القراء أيهم يكفلها.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾، وهو جبريل وحده، عليه السلام، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا﴾، يعنى مكينًا عند الله عز وجل، ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ فيها تقديم، ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آية: ٤٥] عند الله فى الآخرة، ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾، يعنى حجر أمه فى الخرق طفلاً، ﴿وَ﴾ يكلمهم ﴿وَكَهْلًا﴾، يعنى إذا اجتمع قبل أن يرفع إلى السماء، ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ٤٦].

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ﴾، يعنى من أين ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾، يعنى الزوج، ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، ويخلق من يشاء، فشاء أن يخلق ولدًا من غير بشر، لقولها: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾، ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ كان فى علمه أن يكون عيسى فى بطن مريم من غير بشر، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آية: ٤٧] لا يثنى، ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾، يعنى خط الكتاب بيده بعدما بلغ أشده، وهو ابن ثمانى عشرة سنة، والمرأة بعدما تبلغ الحيض، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾، يعنى الحلال والحرام والسُّنة، ﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [آية: ٤٨].

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

ويجعله ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، يعنى بعلامة، ثم بين الآية، ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم﴾، يعنى أجعل لكم ﴿مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا﴾، فخلق الخفاش ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ لأنه أشد الخلق، إنما هو لحم وشىء يطير بغير ريش فطار بإذن الله، ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ الذى ولدته أمه أعمى، الذى لم ير النور قط، فيرد الله بصره، ﴿وَ﴾ أبرئ ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾، فيبرأ بإذن الله، ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، فتعيش، ففعل ذلك وهم ينظرون، وكان صنيعه هذا آية من الله عز وجل بأنه نبى ورسول إلى بنى إسرائيل، فأحيا سام بن نوح بن لمك من الموت بإذن الله، فقالوا له: إن هذا سحر، فأرنا آية نعلم أنك صادق.

وقال عيسى ﷺ: أرأيتم إن أنا أخبرتكم ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ فى بيوتكم من الطعام، فيها تقديم ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾، يعنى وما ترفعون فى غد، تعلمون أنى صادق؟ قالوا: نعم، قال عيسى ﷺ: فلان أكلت كذا وكذا. وشربت كذا وكذا، وأنت يا فلان أكلت كذل وكذا، وأنت يا فلان، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، يقول

الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾، يعنى لعلامة، ﴿لَّكُمْ﴾ فيما أخبرتكم به ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٤٩]، يعنى مصدقين بعيسى بأنه رسول.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ من اللحوم، والشحوم، وكل ذى ظفر، والسمك، فهذا البعض الذى أحل لهم غير السبت، فإنهم يقومون عليه فوضع عنهم فى الإنجيل ذلك، ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بعلامة من ربكم، يعنى العجائب التى كان يصنعها الله، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، يعنى فوحدوا الله، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ٥٠] فيما آمركم به من النصيحة، فإنه لا شريك له.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾

وقال لهم عيسى ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾، يعنى فوحدوه، ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آية: ٥١]، يعنى هذا التوحيد دين مستقيم، وهو الإسلام، فكفروا، ﴿۞ فَلَمَّا أَحَسَّ﴾، يعنى فلما رأى ﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾، يعنى من بنى إسرائيل، كقوله عز وجل: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [مريم: ٩٨]، يعنى هل ترى منهم من؟ فمر عيسى ﷺ على الحواريين، يعنى على القصارين غسالى الثياب، ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، يعنى من يتبعنى مع الله، كقوله: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ [الشعراء: ١٣]، يعنى معى هارون، وكقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، يعنى مع أموالكم، ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾، يعنى بتوحيد الله، ﴿وَاشْهَدْ﴾ يا عيسى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى مخلصين بتوحيد الله عز وجل.

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

ثم قالوا: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ﴾، يعنى صدقنا بالإنجيل الذى أنزلت على عيسى، ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾، يعنى عيسى على دينه، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آية: ٥٣]، يقول: فاجعلنا مع الصادقين، نظيرها فى المائدة، هذا قول الحواريين.

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾، وذلك أن كفار بنى إسرائيل عمدوا إلى رجل، فجعلوه رقيبًا على عيسى ليقتلوه، فجعل الله شبه عيسى على الرقيب، فأخذوا الرقيب فقتلوه وصلبوه، وظنوا أنه عيسى، ورفع الله عز وجل عيسى إلى سماء الدنيا من بيت المقدس ليلة القدر فى رمضان، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَكَرُواْ﴾ بعيسى ليقتلوه، يعنى اليهود، ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ بهم حين قتل رقيبهم وصاحبهم، ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آية: ٥٤]، يعنى أفضل مكرًا منهم.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾، فيها تقديم، يقول: رافعك إلىَّ من الدنيا، ومتوفيك حين تنزل من السماء على عهد الدجال، يقول: إنى رافعك إلىَّ الآن ومتوفيك بعد قتل الدجال، يقول: رافعك إلى فى السماء، ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يعنى اليهود وغيرهم، ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ على دينك يا عيسى، وهو الإسلام، ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، يعنى اليهود وغيرهم، وأهل دين عيسى هم المسلمون فوق الأديان كلها ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ فى ألآخرة ﴿فَأَحْكُمُ﴾، يعنى فأقضى ﴿بَيْنَكُمْ﴾، يعنى بين المسلمين وأهل الأديان ﴿فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ﴾ من الدين ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ٥٥]، وهو الإسلام، فأسلمت طائفة وكفرت طائفة.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾

ثم أخبر الله عز وجل عن منزلة الفريقين فى الآخرة، فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يعنى كفار أهل الكتاب، ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾، يعنى القتل أو الجزية، ﴿وَ﴾ فى ﴿وَٱلْأَخِرَةِ﴾ عذاب النار، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آية: ٥٦]، يعنى من مانعين يمنعونهم من النار، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، يعنى أمة محمد ﷺ، ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾، يعنى فيوفوا أجورهم فى الآخرة، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٥٧].

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكره الله عز وجل فى هذه الآيات ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ ٱلْآيَـٰتِ﴾، يعنى من البيان ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آية: ٥٨]، يعنى المحكم من الباطل.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾، وذلك أن وفد نصارى نجران قدموا على النبى ﷺ بالمدينة، منهم السيد، والعاقب، والأسقف، والرأس، والحارث، وقيس، وابنيه، وخالد، وخليد، وعمرو، فقال السيد والعاقب، وهما سيدا أهل نجران: يا محمد، لم تشتم صاحبنا وتعيبه؟ فقال النبى ﷺ: «ما صاحبكم؟»، قالوا: عيسى ابن مريم العذراء البتول، قال أبو محمد بن ثابت، قال: العذراء البتول، المنقطعة إلى الله عز وجل، لقوله عز وجل: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [المزمل: ٨].

قالوا: فأرنا فيما خلق الله عبدًا مثله يحيى الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين طيرًا، ولم يقولوا: بإذن الله، وكل آدمى له أب، وعيسى لا أب له، فتابعنا فى أن عيسى ابن الله ونتابعك، فإما أن تجعل عيسى ولدًا وإما إلهًا، فقال النبى ﷺ: «معاذ الله أن يكون له ولد، أو يكون معه إله»، فقالا للنبى ﷺ: أنت أحمد؟ فقال النبى ﷺ: «أنا أحمد، وأنا محمد»، فقالا: فيم أحمد؟ قال: «أحمد الناس عن الشرك»، قالا: فإنا نسألك عن أشياء، قال النبى ﷺ: «لا أخبركم حتى تسلموا فتتبعونى»، قالا: أسلمنا قبلك، قال النبى ﷺ: «إنكما لم تسلما، حجزكما عن الإسلام ثلاثة: أكلكما الخنزير، وشربكما الخمر، وقولكما: إن لله عز وجل ولدًا».

فغضبا عند ذلك، فقالا: من أبو عيسى؟ ائتنا له بمثل، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آية: ٥٩]، هذا الذى قال الله فى عيسى هو ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آية: ٦٠] يا محمد، يعنى من الشاكين فى عيسى أنه مثله كمثل آدم، فقالوا للنبى ﷺ: ليس كما تقول، ما هذا له بمثل.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى

ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

فأنزل الله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾، يعنى فمن خاصمك فى عيسى ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، يعنى من البيان من أمر عيسى، يعنى ما ذكر فى هذه الآيات، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾، يعنى نخلص الدعاء إلى الله عز وجل، ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [آية: ٦١]، ﴿إِنَّ هَـٰذَا﴾ الذى ذكرته فى عيسى، ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾، والذى تقولون هو الباطل، ﴿وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٦٢] فى أمره، حكم عيسى فى بطن أمه. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾، يعنى فإن أبوا إلا أن يلاعنوا، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آية: ٦٣] فى الأرض بالمعاصى.

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قال الله عز وجل: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾، يعنى كلمة العدل، وهى الإخلاص، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ من خلقه، ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنهم اتخذوا عيسى ربًا، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾، يعنى فإن أبوا التوحيد، ﴿فَقُولُوا۟﴾ لهم أنتم: ﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آية: ٦٤]، يعنى مخلصين بالتوحيد، فقال العاقب: ما نصنع بملاعنته شيئًا، فوالله لئن كان كاذبًا ما ملاعنته بشىء، ولئن كان صادقًا لا يأتى علينا الحول حتى يهلك الله الكاذبين.

قالوا: يا محمد، نصالحك على ألا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا، على أن نؤدى إليك ألف حلة فى صفر، وألف حلة فى رجب، وعلى ثلاثين درعًا من حديد عادية، فصالحهم النبى ﷺ على ذلك، فقال: «والذى نفس محمد بيده، لولا عنونى ما حال الحول، ويحضرنى منهم أحد، ولأهلك الله الكاذبين»، قال عمر، رضى الله عنه: لو لاعنتهم بيد من كنت تأخذ، قال: «آخذ بيد على، وفاطمة، والحسن، والحسين، عليهم السلام، وحفصة، وعائشة، رحمهما الله.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ﴾، يعنى تخاصمون ﴿فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، وذلك أن رؤساء اليهود: كعب بن الأشرف، وأبا ياسر، وأبا الحقيق، وزيد بن التابوه، ونصارى نجران، يقولون: إبراهيم أولى بنا، والأنبياء منا كانوا على ديننا، وما تريد إلا أن نتخذك ربًا كما اتخذت النصارى عيسى ربًا، وقالت النصارى: ما تريد بأمرك إلا أن نتخذك ربًا كما اتخذت اليهود عزيرًا ربًا، قال النبى ﷺ: «معاذ الله من ذلك، ولكنى أدعوكم إلى أن تعبدوا الله جميعًا، ولا تشركوا به شيئًا»، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ﴾، يعنى تخاصمون ﴿فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، فتزعمون أنه كان على دينكم، ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾، أى بعد موت إبراهيم، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ٦٥].

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ﴾، يعنى خاصمتم ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ مما جاء فى التوراة والإنجيل، ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ﴾ بما ليس فى التوراة والإنجيل، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ أن إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا، ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٦٦] أنه ما كان يهوديًا ولا نصرانيًا، ثم أخبر الله عز وجل، فقال: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا﴾، يعنى حاجًا ﴿مُّسۡلِمٗا﴾، يعنى مخلصًا، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آية: ٦٧]، يعنى من اليهود ولا من النصارى.

﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

ثم قال: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ﴾ لقولهم: إنه كان على دينهم، ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ على دينه واقتدوا به، ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ﴾، يقول: من اتبع محمدًا ﷺ على دينه، ثم قال الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٦٨] الذين يتبعونهما على دينهما، ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ﴾، يعنى يستنزلونكم عن دينكم

الإسلام، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ﴾، يعنى وما يستنزلون ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية: ٦٩]، إنما يضلون أنفسهم، فنزلت فى عمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وذلك أن اليهود جادلوهما ودعوهما إلى دينهم، وقالوا: إن ديننا أفضل من دينكم، ونحن أهدى منكم سبيلاً، فنزلت: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ...﴾ إلى آخر الآية.

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

ونزلت: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾، يعنى القرآن ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [آية: ٧٠] أن محمدًا رسول الله، ونعته معكم فى التوراة، ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ﴾، يعنى لم تخلطون الحق ﴿بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾، وذلك أن اليهود أقروا ببعض أمر محمد ﷺ وكتموا بعضًا ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٧١] أن محمدًا نبى ورسول ﷺ.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾، كعب بن الأشرف، ومالك بن الضيف اليهوديان لسفلة اليهود ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعنى صدقوا بالقرآن، ﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ أول النهار، يعنى صلاة الغداة، وإذا كان العشى قولوا لهم: نظرنا فى التوراة، فإذا النعت الذى فى التوراة ليس بنعت محمد ﷺ، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾، يعنى صلاة العصر، فلبسوا عليهم دينهم لعلهم يشكون فى دينهم، فذلك قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ٧٢]، يعنى لكى يرجعوا عن دينهم إلى دينكم.

وقالا لسفلة اليهود: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، فإنه لن يؤتى أحد من الناس مثل ما أوتيتم من الفضل والتوراة والمن والسلوى والغمام والحجر، اثبتوا على دينكم، وقالوا لهم: لا تخبروهم بأمر محمد ﷺ فيحاجوكم، يعنى فيخاصموكم عند ربكم، قالوا ذلك حسدًا لمحمد ﷺ؛ لأن تكون النبوة فى غيرهم، فأمزل الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ

ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ﴾، يعنى الإسلام والنبوة ﴿بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لذلك ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٧٣] بمن يؤتيه الفضل، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾، يعنى بتوبته، ﴿مَن يَشَآءُ﴾، فاختص الله عز وجل به المؤمنين، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ﴾، يعنى الإسلام ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٧٤] على المؤمنين.

﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعنى أهل التوراة، ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾، يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾، يعنى كفار اليهود، يعنى كعب بن الأشرف وأصحابه، يقول: منهم من يؤدى الأمانة ولو كثرت، ومنهم من لا يؤديها ولو ائتمنته على دينار لا يؤده إليك، ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ عند رأسه مواظبًا عليه تطالبه بحقك، ﴿ذَٰلِكَ﴾ استحلالاً للأمانة، ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾، يعنى فى العرب ﴿سَبِيلٌ﴾، وذلك أن المسلمين باعوا اليهود فى الجاهلية، فلما تقاصهم المسلمون فى الإسلام، قالوا: لا حرج علينا فى حبس أموالهم؛ لأنهم ليسوا على ديننا يزعمون أن ذلك حلال لهم فى التوراة، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٧٥] أنهم كذبة، وأن فى التوراة تحريم الدماء والأموال إلا بحقها، ولكن أمرهم بالإسلام وأداء الأمانة وأخذ على ذلك ميثاقهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ الذى أخذه الله عليه فى التوراة وأدى الأمانة، ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ محارمه، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٧٦]، يقول: الذين يتقون استحلال المحارم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، يعنى عرضًا من الدنيا يسيرًا، يعنى رءوس اليهود، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، يعنى لا نصيب لهم فى الآخرة، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ بعد العرض والحساب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٧٧]، يعنى وجيع.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾، يعنى من اليهود ﴿لَفَرِيقًا﴾، يعنى طائفة، منهم: كعب بن الأشرف، ومالك بن الضيف، وأبو ياسر، وجدى بن أخطب، وشعبة بن عمرو، ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾، يعنى باللى التحريف بالألسن فى أمر محمد ﷺ، ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعنى التوراة، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ كتبوا يعنى فى من التوراة غير نعت محمد ﷺ ومحوا نعته، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ﴾ هذا النعت ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، ولكنهم كتبوه، ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٧٨] أنهم كذبة، وليس ذلك نعت محمد ﷺ.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾، يعنى عيسى ابن مريم ﷺ، ﴿أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ﴾، يعنى أن يعطيه الله ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى التوراة والإنجيل، ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾، يعنى الفهم، ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ﴾، يعنى بنى إسرائيل، ﴿كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن﴾، يقول لهم: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾، يعنى متعبدين لله عز وجل، ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى التوراة والإنجيل، ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(١) [آية: ٧٩]، يعنى تقرءون.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾، يعنى عيسى، وعزير، ولو أمركم بذلك لكان كفرًا، فذلك قوله: ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ﴾، يعنى بعبادة الملائكة والنبيين، ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آية: ٨٠]، يعنى مخلصين له بالتوحيد، فقال: الإصبغ بن زيد،

---

(١) انظر: (الجامع لأحكام القرآن ١٢٣/٤، تفسير الفخر الرازى ٤٨٨/٢، البحر المحيط ٥٠٦/٢).

وكردم بن قيس، أيامرنا بالكفر بعد الإيمان، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، على أن يعبدوا الله، ويبلغوا الرسالة إلى قومهم، ويدعوا الناس إلى دين الله عز وجل، فبعث الله موسى ومعه التوراة إلى بنى إسرائيل، فكان موسى أول رسول بعث إلى بنى إسرائيل، وفى التوراة بيان أمر محمد ﷺ، فأقروا به، ﴿لَمَآ﴾، يعنى للذى ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ [(١)]، يعنى بنى إسرائيل ﴿مِّن كِتَٰبٍ﴾، يعنى التوراة، ﴿وَحِكْمَةٍ﴾، يعنى ما فيها من الحلال والحرام، ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ﴾، يعنى بنى إسرائيل، ﴿رَسُولٌ﴾، يعنى محمدًا ﷺ، ﴿مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾، يعنى تصديق محمد ﷺ لما معكم فى التوراة، ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾، يعنى لتصدقن به إن بعث، ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾، إذا خرج، يقول عز وجل لهم: ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ بمحمد فى التوراة بتصديقه ونصره، ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾، يقول: وقبلتم على الإيمان بمحمد عهدى وميثاقى فى التوراة، ﴿قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا﴾، يقول الله: ﴿قَالَ فَٱشْهَدُواْ﴾ على أنفسكم بالإقرار، يقول الله عز وجل: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم﴾، أى إقراركم بمحمد ﷺ ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آية: ٨١].

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

ثم قال: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾، يعنى فمن أعرض عن الإيمان بمحمد ﷺ بعد إقراره فى التوراة، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٨٢]، يعنى العاصين، ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، يعنى الملائكة، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾، يعنى المؤمنين، ﴿طَوْعًا﴾، ثم قال سبحانه: ﴿وَكَرْهًا﴾، يعنى أهل الأديان، يقولون: الله هو ربهم، وهو خلقهم، فذلك إسلامهم، وهم فى ذلك مشركون، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٨٣].

---

(١) قراءة الأعرج فيما يُروى عنه: «لَمَّا آتيناكم»، بفتح اللام وتشديد الميم، آتيناكم بألف قبل الكاف. وقراءة نافع، وأبى جعفر. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٧٧، البحر المحيط ٥١٣/٢، التبيان ٥١٣/٢، تفسير الطبرى ٥٥٠/٦، الجامع لأحكام القرآن ١٢٦/٤، مجمع البيان ٤٦٧/٢، تفسير الفخر الرازى ٤٩١/٢، النشر ٢٤١/٢، الكشف ٣٥١/١، ٣٥٢، غيث النفع ١٧٩، السبعة ٢١٤، الحجة المنسوب لابن خالويه ١١١، الحجة لأبى زرعة ١٦٩، التيسير ٨٩، إعراب القرآن للعكبرى ٨٣/١، مغنى اللبيب ١٧٦/١، ١٧/٢، همع الهوامع ٢٠٢/٤، العنوان ٦١).

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٨٥)﴾

ثم أنزل الله عز وجل فى آل عمران: إن لم يؤمن أهل الكتاب بهذه الآية التى فى البقرة، وأمر المؤمنين أن يقرءوها، فنزل: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، يعنى صدقنا بتوحيد الله، ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، يعنى الإقرار بمحمد ﷺ، ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ﴾، يعنى وما أعطى موسى، ﴿وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾، يقول: لا نكفر ببعض ونؤمن ببعض، ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آية: ٨٤]، يعنى مخلصين، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آية: ٨٥]، نزلت فى طعمة بن أبيرق الأنصارى من الأوس من بنى صقر، ارتد عن الإسلام ولحق بكفار مكة.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٦) أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٨٩)﴾

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾، يعنى البيان، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى﴾ إلى دينه ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٨٦]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَ﴾ لعنة ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٨٧]، يعنى والعالمين كلهم، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ فى اللعنة، مقيمين فيها، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آية: ٨٨]، يعنى لا يناظر بهم العذاب، نزلت فى اثنى عشر رجلاً ارتدوا عن الإسلام، وخرجوا من المدينة كهيئة البداة، ثم انصرفوا إلى طريق مكة، فلحقوا بكفار مكة، منهم: طعمة بن أبيرق الأنصارى، ومقيس بن ضبابة الليثى، وعبد الله بن أنس بن خطل من بنى تيم بن مرة القرشى، ووجوج بن الأسلت الأنصارى، وأبو عامر بن النعمان الراهب، والحارث بن سويد بن الصامت الأنصارى من بنى عمرو بن عوف أخو الجلاس بن سويد بن الصامت.

ثم إن الحارث ندم فرجع تائبًا من ضرار، ثم أرسل إلى أخيه الجلاس: إنى قد رجعت تائبًا، فسل النبى ﷺ هلى لى من توبة وإلا لحقت بالشام؟ فانطلق الجلاس إلى النبى ﷺ، فأخبره فلم يرد عليه شيئًا، فأنزل الله عز وجل فى الحارث، فاستثنى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾، فلا يعذبون ﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾، يعنى من بعد الكفر، ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ فى العمل فيما بقى، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لكفره، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٨٩] به فيما بقى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾﴾

فبلغ أمر الحارث الأحد عشر الذين بمكة، فقالوا: نقيم بمكة ما أقمنا ونتربص بمحمد الموت، فإذا أردنا المدينة فسينزل فينا ما نزل فى الحارث ويقبل منا ما يقبل منه، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا﴾، قالوا: نقيم بمكة كفارًا، فإذا أردنا المدينة، فسينزل فينا كما نزل فى الحارث، ﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آية: ٩٠].

ثم أخبرهم عنهم وعن الكفار وما لهم فى الآخرة، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ﴾، فيود أحدهم أن يكون له ملء الأرض ذهبًا، يقدر على أن يفتدى به نفسه من العذاب لافتدى به، ﴿فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ ما قبل منه، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾، وله عذاب، وجميع نظيرها فى المائدة، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آية: ٩١]، يعنى من مانعين يمنعونهم من العذاب. قوله سبحانه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ﴾، يقول: لن تستكملوا التقوى حتى تنفقوا فى الصدقة ﴿مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ من الأموال، ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ﴾، يعنى من صدقة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [آية: ٩٢]، يعنى عالم به، يعنى بنياتكم.

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾، وذلك أن يعقوب بن إسحاق خرج ذات ليلة ليرسل الماء فى أرضه، فاستقبله ملك، فظن أنه لص يريد أن يقطع عليه الطريق، فعالجه فى المكان الذى كان يقرب فيه القربان يدعى شانير، فكان أول قربان قربه بأرض المقدس، فلما أراد الملك أن يفارقه، غمز فخذ يعقوب برجليه ليريه أنه لو شاء لصرعه، فهاج به عرق النساء، وصعد الملك إلى السماء، ويعقوب ينظر إليه، فلقى منها البلاء، حتى لم ينم الليل من وجعه، ولا يؤذيه بالنهار، فجعل يعقوب لله عز وجل تحريم لحم الإبل وألبانها، وكان من أحب الطعام والشراب إليه، لئن شفاه الله.

قالت اليهود: جاء هذا التحريم من الله عز وجل فى التوراة، قالوا: حرم الله على يعقوب وذريته لحوم الإبل وألبانها، قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لليهود ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ فاقرءوها ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٩٣] بأن تحريم لحوم الإبل فى التوراة، فلم يفعلوا، يقول الله عز وجل يعيبهم: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بأن الله حرمه فى التوراة، ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ البيان، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٩٤].

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾، وذلك حين قال الله سبحانه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا...﴾ [آل عمران: ٦٧] إلى آخر الآية، وقالت اليهود والنصارى: كان إبراهيم والأنبياء على ديننا، فقال النبى ﷺ: «فقد كان إبراهيم يحج البيت وأنتم تعلمون ذلك، فلم تكفرون بآيات الله»، يعنى بالحج، فذلك قوله سبحانه: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، يعنى حاجًا، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ٩٥]، يقول: لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾، يعنى أول مسجد، ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾، يعنى للمؤمنين، ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، وإنما سمى بكة؛ لأنه يبك الناس بعضهم بعضًا فى الطواف، ومباركًا فيه، البركة مغفرة للذنوب، ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٩٦]، يعنى المؤمنين من الضلالة لمن صلى فيه، وضلالة لمن صلى قبل بيت المقدس، وذلك أن المسلمين واليهود اختصموا فى

أمر القبلة، فقال المسلمون: القبلة الكعبة، وقالت اليهود: القبلة بيت المقدس، فأنزل الله عز وجل أن الكعبة أول مسجد كان فى الأرض، والبيت قبلة لأهل المسجد الحرام، والحرم كله قبلة الأرض.

ثم قال عز وجل: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ﴾، يعنى علامة واضحة أثر مقام إبراهيم ﷺ، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ﴾ فى الجاهلية ﴿كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ حتى يخرج منه، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، يعنى المؤمنين ﴿حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾، يعنى بالاستطاعة الزاد والراحلة، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ من أهل الأديان بالبيت ولم يحج واجبًا فقد كفر، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٩٧].

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، يعنى بالقرآن، ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٩٨]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، يعنى اليهود، ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أهل الإيمان، نزلت فى حذيفة، وعمار بن ياسر حين دعوهما إلى دينهم، فقالوا لهما: ديننا أفضل من دينكم، ونحن أهدى منكم سبيلاً، فقال عز وجل: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، عن دين الإسلام، ﴿مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾، يعنى بملة الإسلام زيغًا، ﴿وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ﴾ أن الدين هو الإسلام، وأن محمدًا رسول الله ونبى، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٩٩].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، يعنى طائفة من الذين أوتوا الكتاب، يعنى أعطوا التوراة، ﴿يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ﴾ [آية: ١٠٠]، ﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾، يعنى القرآن، ﴿وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ﴾، يعنى محمدًا ﷺ بين أظهرهم، ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ﴾، يعنى يحترز بالله فيجعله ثقته، ﴿فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آية: ١٠١]، يعنى إلى دين الإسلام.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى الأنصار، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾، وهو أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، نسختها: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وذلك أنه كان بين الأوس والخزرج عداوة فى الجاهلية فى دم شمير وحاطب، فقتل بعضهم بعضًا حينًا، فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة أصلح بينهم، فلما كان بعد ذلك، فاتخر منهم رجلان أحدهما ثعلبة بن غنيمة من الأوس، والآخر سعد بن زرارة من بنى الخزرج من بنى سلمة بن جشم، فجرى الحديث بينهما فغضبا، فقال الخزرجى: أما والله لو تأخر الإسلام عنا وقدوم رسول الله ﷺ علينا لقتلنا سادتكم، واستعبدنا أبناءكم، ونكحنا نساءكم بغير مهر، فقال الأوسى: قد كان الإسلام متأخرًا زمانًا طويلاً، فهلا فعلتم، فقد ضربناكم بالمرهفات حتى أدخلناكم الديار، وذكرا الأشعار والموتى، وافتخرا وانتسبا، حتى كان بينهما دفع وضرب بالأيدى والسعف والنعال، فغضبا فناديا، فجاءت الأوس إلى الأوس، والخزرج إلى الخزرج بالسلاح، وأسرع بعضهم إلى بعض بالرماح، فبلغ ذلك النبى ﷺ، فركب حمارًا وأتاهم، فلما أن عاينهم ناداهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آية: ١٠٢]، يعنى معتصمين بالتوحيد.

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى بدين الله، ﴿جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾، يعنى ولا تختلفوا فى الدين كما اختلف أهل الكتاب، ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ الإسلام، ﴿إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ فى الجاهلية يقتل بعضكم بعضًا، ﴿فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾، يعنى برحمته إخوانًا فى الإسلام، ﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾، يقول للمشركين: الميت منكم فى النار، والحى منكم على حرف النار، إن مات دخل النار، ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾، يعنى من الشرك إلى الإيمان، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾، يعنى علاماته فى هذه النعمة، أعداء فى الجاهلية، إخوانًا فى الإسلام، ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾، لكى ﴿تَهۡتَدُونَ﴾ [آية: ١٠٣]، فتعرفوا علاماته فى هذه النعمة.

فلما سمع القوم القرآن من النبى ﷺ تحاجزوا، ثم عانق بعضهم بعضًا، وتناول بخدود بعض بالتقبيل والالتزام، يقول جابر بن عبد الله، وهو فى القوم: لقد اطلع إلينا رسول الله ﷺ وما أحد هو أكره طلعة إلينا منه لما كنا هممنا به، فلما انتهى إليهم النبى ﷺ، قال: «اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم»، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾، يعنى عصبة، ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آية: ١٠٤].

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ (١٠٨)﴾

فوعظ الله المؤمنين لكى يتفرقوا ولا يختلفوا كفعل أهل الكتاب، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ فى الدين بعد موسى، فصاروا أديانًا ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، يعنى البيان، ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١٠٥]، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بمحمد ﷺ قبل أن يبعث، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آية: ١٠٦]، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ﴾، يعنى فى جنة ﴿اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آية: ١٠٧]، يعنى لا يموتون، ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آية: ١٠٨]، فيعذب على غير ذنب.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩) كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١١١) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢)﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [آية: ١٠٩]، يعنى تصير

أمور العباد إليه فى الآخرة، وافتخرت الأنصار، فقالت الأوس: منا خزيمة بن ثابت صاحب الشهادتين، ومنا حنظلة غسيل الملائكة، ومنا عاصم بن ثابت بن الأفلح الذى حمت رأسه الدبر، يعنى الزنابير، ومنا سعد بن معاذ الذى اهتز العرش لموته، ورضى الله عز وجل بحكمه، والملائكة فى أهل قريظة، وقالت الخزرج: منا أربعة أحكموا القرآن، أُبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، ومنا سعد بن عبادة صاحب راية الأنصار وخطيبهم الذى ناحت الجن عليه، فقالوا:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ... فرميناه بسهمين فلم تخط فؤاده

قوله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، يعنى خير الناس للناس، وذلك أن مالك بن الضيف، ووهب بن يهوذا قالا لعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبى حذيفة: إن ديننا خير مما تدعونا إليه، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فى زمانكم كما فضل بنى إسرائيل فى زمانهم، ﴿تَأْمُرُونَ﴾ الناس ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾، يعنى بالإيمان، ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ﴾ بتوحيد ﴿بِاللَّهِ﴾ وتنهوهم عن الظلم وأنتم خير الناس للناس، وغيركم من أهل الأديان لا يأمرون أنفسهم ولا غيرهم بالمعروف، ولا ينهونهم عن المنكر، ثم قال: ﴿وَلَوْ آمَنَ﴾، يعنى ولو صدق ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾، يعنى اليهود بمحمد ﷺ وما جاء به من الحق، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ من الكفر، ثم قال: ﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾، يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آية: ١١٠]، يعنى العاصين، يعنى اليهود.

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾، وذلك أن رؤساء اليهود: كعب بن مالك، وشعبة، وبحرى، ونعمان، وأبا ياسر، وأبا نافع، وكنانة بن أبى الحقيق، وابن صوريا، عمدوا إلى مؤمنيهم فآذوهم لإسلامهم، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ اليهود ﴿إِلَّا أَذًى﴾ باللسان، ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آية: ١١١].

ثم أخبر عن اليهود، فقال سبحانه: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾، يعنى المذلة، ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾، يعنى وجدوا، ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾، يقول: لا يأمنوا حيث ما توجهوا إلا بعهد من الله، وعهد من الناس، يعنى النبى ﷺ وحده، ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ

﴿ٱللَّهِ﴾، يعنى استوجبوا الغضب من الله، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ الذلة و﴿ٱلْمَسْكَنَةُ﴾، يعنى الذل والفقر، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ﴾ الذى أصابهم ﴿بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [آية: ١١٢] فى دينهم بما خبر عنهم.

﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾

فقال سبحانه: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وذلك أن اليهود قالوا لابن سلام وأصحابه: لقد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينًا غيره، وقد عاهدتم الله بعهد ألا تدينوا إلا بدينكم، فقال الله عز وجل: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾، يقول: ليس كفار اليهود والذين فى الضلالة بمنزلة ابن سلام وأصحابه الذين هم على دين الله، منهم ﴿أُمَّةٌ﴾ عصابة ﴿قَآئِمَةٌ﴾ بالحق على دين الله عادلة، ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، يعنى يقرءون كلام الله ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾، يعنى ساعات الليل، ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آية: ١١٣]، يعنى يصلون بالليل.

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾، يعنى يصدقون بتوحيد الله والبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، يعنى إيمانًا بمحمد ﷺ، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، يعنى عن تكذيب بمحمد ﷺ، ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾، يعنى شرائع الإسلام، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ١١٤]، ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾، فلن يضل عنهم، بل يشكر ذلك لهم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ١١٥]، يعنى ابن سلام وأصحابه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُو۟لَٰٓئِكَ

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ١١٦]، ثم ذكر نفقة سفلة اليهود من الطعام والثمار على رءوس اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه، يريدون بها الآخرة، فضرب الله عز وجل مثلاً لنفقاتهم، فقال: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وهم كفار، يعنى سفلة اليهود، ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾، يعنى بردًا شديدًا، ﴿أَصَابَتْ﴾ الريح الباردة، ﴿حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ﴾، فلم يبق منه شيئًا، كما أهلكت الريح الباردة حرث الظلمة، فلم ينفعهم حرثهم، فكذلك أهلك الله نفقات سفلة اليهود، ومنهم كفار مكة التى أرادوا بها الآخرة، فلم تنفعهم نفقاتهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ حين أهلك نفقاتهم، فلم تتقبل منهم، ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آية: ١١٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعنى المنافقين عبد الله بن أبى، ومالك بن دخشم الأنصارى وأصحابه، دعاهم اليهود إلى دينهم، منهم: إصبغ ورافع ابنى حرملة، وهما رءوس اليهود، فزينوا لهما ترك الإسلام، حتى أرادوا أن يظهروا الكفر، فأنزل الله عز وجل يحذرهما ولاية اليهود، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً﴾، يعنى اليهود، ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾، يعنى من دون المؤمنين، ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾، يعنى غيًا، ﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾، يعنى ما أثمتم لدينكم فى دينكم، ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ﴾، يعنى ظهرت البغضاء، ﴿مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾، يعنى قد ظهرت العداوة بألسنتهم، ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ﴾، ينى ما تسر قلوبهم من الغش، ﴿أَكْبَرُ ۚ﴾ مما بدت بألسنتهم، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾، يقول: ففى هذا بيان لكم منهم، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١١٨].

ثم قال سبحانه: ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ معشر المؤمنين ﴿أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ تحبون هؤلاء اليهود فى التقديم لما أظهروا من الإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به، ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾؛ لأنهم ليسوا على دينكم، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾، كتاب محمد ﷺ والكتب كلها التى

كانت قبله، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾، يعنى صدقنا بمحمد ﷺ وبما جاء به، وهم كذبة، يعنى اليهود، مثلها فى المائدة: ﴿وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوٓاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ...﴾ [المائدة: ٦١] إلى آخر الآية، ثم قال: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ﴾، يعنى أطراف الأصابع، ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ الذى فى قلوبهم، ودوا لو وجدوا ريحًا يركبونكم بالعداوة، ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾، يعنى اليهود، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ١١٩]، يعنى يعلم ما فى قلوبهم من العداوة والغش للمؤمنين.

ثم أخبر عن اليهود، فقال سبحانه: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾، يعنى الفتح والغنيمة يوم بدر، ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾، القتل والهزيمة يوم أُحُد، ﴿يَفْرَحُواْ بِهَا﴾، ثم قال للمؤمنين: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ على أمر الله، ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ معاصيه ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾، يعنى قولهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آية: ١٢٠]، أحاط علمه بأعمالهم.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ على راحلتك يا محمد يوم الأحزاب، ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، يعنى توطن هم، ﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ فى الخندق قبل أن يستبقوا إليه ويستعدوا للقتال، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ١٢١]، ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾، يعنى ترك المركز، منهم بنو حارثة بن الحارث، ومنهم أوس بن قيظى، وأبو عربة بن أوس بن يامين، وبنو سلمة بن جشم، وهما حيان من الأنصار، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ حين عصمها فلم يتركا المركز، وقالوا: ما يسرنا أنا لم نهم بالذى هممنا إذا كان الله ولينا، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٢٢]، يعنى فليثق المؤمنون به.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، وأنتم قليل، يذكرهم النعم، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تعصوه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ١٢٣] ربكم فى النعم، ﴿إِذْ تَقُولُ﴾ يا محمد

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يوم أحد: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آية: ١٢٤] عليكم من السماء، وذلك حين سألوا المدد، فقال سبحانه: ﴿بَلَىٰ﴾ يمددكم ربكم بالملائكة، ﴿إِن تَصْبِرُوا﴾ لعدوكم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ معاصيه، ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾، يعنى من وجههم هذا، ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾، فزادهم ألفين ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ [آية: ١٢٥]، يعنى معلمين بالصوف الأبيض فى نواصى الخيل، وأذنابها عليها البياض، معتمين بالبياض، وقد أرخوا أطراف العمائم بين أكتافهم.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾، يقول: وما جعل المدد من الملائكة ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ﴾، يعنى ولكى تسكن ﴿قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾، يقول: النصر ليس بقلة العدد ولا بكثرته، ولكن النصر من عند الله ﴿الْعَزِيزِ﴾، يعنى المنيع فى ملكه، ﴿الْحَكِيمِ﴾ [آية: ١٢٦] فى أمره حكم النصر للمؤمنين، نظيرها فى الأنفال، ﴿لِيَقْطَعَ﴾ لكى يقطع ﴿طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة، ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾، يعنى يخزيهم، ﴿فَيَنقَلِبُوا﴾ إلى مكة ﴿خَائِبِينَ﴾ [آية: ١٢٧]، لم يصيبوا ظفرًا ولا خيرًا، فلم يصبر المؤمنون وتركوا المركز وعصوا، فرفع عنهم المدد، وأصابتهم الهزيمة بمعصيتهم، فيها تقديم.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿لَيْسَ لَكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، وذلك أن سبعين رجلاً من أصحاب الصفة فقراء، كانوا إذا أصابوا طعامًا فشبعوا منه تصدقوا بفضله، ثم إنهم خرجوا إلى الغزو محتسبين إلى قتال قبيلتين من بنى سليم: عصبة وذكوان، فقاتلوهم فقتل السبعون جميعًا، فشق على النبى ﷺ وأصحابه قتلهم، فدعا عليهم النبى ﷺ أربعين يومًا فى صلاة الغداة، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، فيهديهم لدينه، ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ على كفرهم، ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آية: ١٢٨].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾

ثم عظم نفسه تعالى، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الخلق عبيده وفي ملكه، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٢٩] في تأخير العذاب عن هذين الحيين من بني سليم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾، وذلك أن الرجل كان إذا حل ماله طلبه من صاحبه، فيقول المطلوب: أخر عني وأزيدك على مالك، فيفعلون ذلك، فوعظهم الله تعالى، وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الربا ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آية: ١٣٠]، ثم خوفهم، فقال: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آية: ١٣١]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آية: ١٣٢]، يعني لكي ترحموا فلا تعذبوا.

﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾

ثم رغبهم، فقال سبحانه: ﴿۞ وَسَارِعُوا﴾ بالأعمال الصالحة ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ لذنوبكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، يقول: عرض الجنة كعرض سبع سماوات وسبع أرضين جميعًا لو ألصق بعضها إلى بعض، ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ١٣٣]، ثم نعتهم، فقال: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾، يعني في اليسر والعسر، وفي الرخاء والشدة، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، وهو الرجل يغضب في أمر، فإذا فعله وقع في معصية، فيكظم الغيظ ويغفر، فذلك قوله: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، ومن يفعل هذا فقد أحسن، فذلك قوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ١٣٤]، فقال النبي ﷺ: «إني أرى هؤلاء في أمتي قليلاً، وكانوا أكثر في الأمم الخالية».

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)﴾

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾، وذلك أن رجلاً خرج غازيًا وخلف رجلاً فى أهله وولده، فعرض له الشيطان فى أهله، فهوى المرأة، فكان منه ما ندم، فأتى أبا بكر الصديق، رضى الله عنه، فقال: هلكت، قال: وما هلاكك، قال: ما من شىء يناله الرجل من المرأة، إلا وقد نلته غير الجماع، فقال أبو بكر، رضى الله عنه: ويحك، أما علمت أن الله عز وجل يغار للغازى ما لا يغار للقاعد، ثم لقى عمر، رضى الله عنه، فأخبره، فقال له مثل مقالة أبى بكر، رضى الله عنه، ثم أتى النبى ﷺ، فقال له مثل مقالتهما، فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾، يعنى الزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ ما كان نال منها دون الزنا، ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾ يقيموا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٣٥] أنها معصية.

فمن استغفر فـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، يعنى مقيمين فى الجنان لا يموتون، ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آية: ١٣٦]، يعنى التائبين من الذنوب، فقال النبى ﷺ: «ظلمت نفسك، فاستغفر الله وتب إليه»، فاستغفر الرجل، واستغفر له النبى ﷺ، نزلت هذه الآية فى عمر بن قيس، ويكنى أبا مقبل، وذلك حين أقبل إلى النبى ﷺ وقد صدمه حائط، وإذا الدم يسيل على وجهه عقوبة لما فعل، فانتهى إلى النبى ﷺ، فأذن بلال بالصلاة، صلاة الأولى، فسأل أبو مقبل النبى ﷺ ما توبته، فلم يجبه، ودخل المسجد وصلى الأولى، ودخل أبو مقبل وصلى معه، فنزل جبريل، عليه السلام، بتوبته، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾، يعنى الصلوات الخمس ﴿يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، يعنى الذنوب التى لم تختم بالنار، وليس عليه حد فى الزنا وما بين الحدين فهو اللمم، والصلوات الخمس تكفر هذه الذنوب، وكان ذنب أبى مقبل من هذه الذنوب، فلما صلى النبى ﷺ، قال لأبى مقبل: «أما توضأت قبل أن تأتينا؟»، قال: بلى، قال: «أما شهدت معنا الصلاة؟»، قال: بلى، قال: «فإن الصلاة قد كفرت ذنبك»، وقرأ النبى ﷺ هذه الآية.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾، يعنى عذاب الأمم الخالية، فخوف هذه الأمم بعذاب الأمم ليعتبروا فيوحدوه، قوله سبحانه: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ١٣٧] للرسل بالعذاب، كان عاقبتهم الهلاك، ثم وعظهم، فقال سبحانه: ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ من العمى ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ من الجهل ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ١٣٨]، ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ ولا تضعفوا عن عدوكم ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما أصابكم من القتل والهزيمة يوم أُحُد ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾، يعنى العالين ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٣٩]، يعنى إن كنتم مصدقين.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

ثم عزاهم، فقال: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ﴾[(١)]، يعنى إن تصبكم جراحات يوم أُحُد فقد مس القوم، يعنى كفار قريش، قرح مثله، يقول: قد أصاب المشركين جراحات مثله يوم بدر، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ يوم لكم ببدر، ويوم عليكم بأُحُد، مرة للمؤمنين ومرة للكافرين، بديل للكافرين من المؤمنين، ويبتلى المؤمنين بالكافرين، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾، يعنى وليرى إيمان ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ منكم عند البلاء فيتبين إيمانهم أيشكوا فى دينهم أم لا، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آية: ١٤٠]، يعنى المنافقين.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالبلاء ليرى صبرهم، ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آية:

---

(١) قراءة محمد بن السَّمَيْفَع: «قَرَحٌ»، بفتح القاف والراء، وقراءة أبى السمال. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/٨٨، البحر المحيط ٣/٦٢، الجامع لأحكام القرآن ٤/٢١٧، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٦٦).

١٤١]، يعنى ويذهب دعوة الكافرين الشرك، يعنى المنافقين، فيبين نفاقهم وكفرهم، ثم بين للمؤمنين أنه نازل بهم الشدة والبلاء فى ذات الله عز وجل، فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾، يعنى أحسبتم، وذلك أن المنافقين قالوا للمؤمنين يوم أُحُد بعد الهزيمة: لم تقتلون أنفسكم، وتهلكون أموالكم، فإن محمدًا لو كان نبيًا لم يسلط عليه القتل؟ قال المؤمنون: بلى، من قُتل منا دخل الجنة، فقال المنافقون: لم تمنون أنفسكم الباطل؟ فأنزل الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ معشر المؤمنين ﴿أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾، يعنى ولما يرى الله ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ فى سبيل الله ﴿وَ﴾ لما ﴿وَيَعْلَمَ﴾، يعنى يرى ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آية: ١٤٢] عند البلاء، وليمحص، أى يقول: إذا جاهدوا وصبروا رأى ذلك منهم، وإذا لم يفعلوا لم ير ذلك منهم.

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾، وذلك حين أخبر الله عز وجل عن قتلى بدر، وما هم فيه من الخير، قالوا: يا نبى الله، أرنا يومًا كيوم بدر، فأراهم الله عز وجل يوم أُحُد، فانهزموا فعاتبهم الله عز وجل، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ ﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾[1]، يعنى القتال من قبل أن تلقوه، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آية: ١٤٣]، وقالوا يومئذ: إن محمدًا ﷺ قد قتل، فقال بشر بن النضر الأنصارى، وهو عم أنس بن مالك: إن كان محمدًا ﷺ قد قتل، فإن رب محمد حى، أفلا تقاتلون على ما قاتل عليه رسول الله ﷺ حتى تلقوا الله عز وجل.

ثم قال النضر: اللهم إنى أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، ثم شد عليهم بسيفه فقتل منهم من قتل، وقال المنافقون يومئذ: ارجعوا إلى إخوانكم فاستأمنوهم، فارجعوا إلى دينكم الأول، فقال النضر عند قول المنافقين تلك المقالة، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[2]، يقول: وهل محمد، عليه السلام، لو قتل إلا كمن قتل قبله من الأنبياء، ﴿أَفَإِي۟ن مَّاتَ﴾ محمد ﴿أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾، يعنى رجعتم إلى دينكم الأول الشرك، ثم قال: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، يقول: ومن يرجع إلى الشرك بعد الإيمان، ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بارتداده من الإيمان إلى الشرك، إنما يضر بذلك نفسه، ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٣/٦٧، إعراب القرآن للعكبرى ١/٧٨، الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٢٠).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٣/٦٨، الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٠، إعراب القرآن للعكبرى ١/٨٨، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٦٨).

[آية: ١٤٤]، يعنى الموحدين لله فى الآخرة.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ﴾، يعنى أن تقتل، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ حتى يأذن الله فى موته، ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ فى اللوح المحفوظ، ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾، يعنى الذين تركوا المركز يوم أُحُد وطلبوا الغنيمة، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾، الذين ثبتوا مع أميرهم عبد الله بن جبير الأنصارى من بنى عمرو حتى قتلوا، ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آية: ١٤٥]، يعنى الموحدين فى الآخرة.

ثم أخبر بما لقيت الأنبياء والمؤمنون قبلهم يعزيهم ليصبروا، فقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ﴾، وكم من نبى ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ﴾ قبل محمد ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[1]، يعنى الجمع الكثير، ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾، يعنى فما عجزوا لما نزل بهم من قبل أنبيائهم وأنفسهم، ﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟﴾، يعنى خضعوا لعدوهم، ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾، يعنى وما استسلموا، يعنى الخضوع لعدوهم بعد قتل نبيهم، فصبروا ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آية: ١٤٦].

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ عند قتل أنبيائهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾، يعنى الخطايا الكبار فى أعمالنا، ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ عند اللقاء حتى لا تزل، ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ١٤٧]، أفلا تقولون كما قالوا، وتقاتلون كما قاتلوا، فتدركون من الثواب فى الدنيا والآخرة مثل ما أدركوا، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾، يقول: أعطاهم النصر والغنيمة فى الدنيا، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ

---

(١) انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٨٠، إعراب القرآن للعكبرى ٨٩/١، إعراب القرآن للنحاس ٣٦٩/١، الكتاب ٢٢١/١، مغنى اللبيب ١٣٣/٢).

﴿ٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾ جنة الله ورضوانه، فمن فعل ذلك فقد أحسن، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ١٤٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾

وأنزل الله عز وجل فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة: ارجعوا إلى إخوانكم فادخلوا فى دينهم، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يعنى المنافقين فى الرجوع إلى أبى سفيان، ﴿يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾ كفارًا بعد الإيمان، ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [آية: ١٤٩] إلى دينكم الأول، ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾، يعنى يقول: فأطيعوا الله مولاكم، يعنى وليكم، ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آية: ١٥٠] من أبى سفيان وأصحابه ومن معه من كفار العرب يوم أُحُد.

﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾، فانهزموا إلى مكة من غير شىء، ﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾، يعنى ما لم ينزل به كتابًا فيه حجة لهم بالشرك، ﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٥١]، يعنى مأوى المشركين النار، ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ﴾، يعنى تقتلونهم بإذنه يوم أُحُد، ولكم النصر عليهم، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ﴾، يعنى ضعفتم عن ترك المركز، ﴿وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم﴾ كان تنازعهم أنه قال بعضهم: نطلق فنصيب الغنائم، وقال بعضهم: لا نبرح المركز كما أمرنا رسول الله ﷺ، ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ﴾ من النصر على عدوكم، فقتل أصحاب الألوية من المشركين، ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾ الذين طلبوا الغنيمة، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ

﴿ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ الذين ثبتوا فى المركز حتى قتلوا، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ﴾ من بعد أن أظفركم عليهم، ﴿لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾ بالقتل والهزيمة، ﴿وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ﴾ حيث لم تقتلوا جميعًا عقوبة بمعصيتكم، ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ﴾ فى عقوبته ﴿عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ١٥٢]، حيث لم يقتلوا جميعًا.

﴿۞إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

﴿۞إِذۡ تُصۡعِدُونَ﴾ من الوادى إلى أُحُد، ﴿وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ﴾، يعنى بأحد النبى ﷺ، ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾، يعنى يناديكم من ورائكم: يا معشر المؤمنين، أنا رسول الله، ثم قال: ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾، وذلك أنهم كانوا يذكرون فيما بينهم بعد الهزيمة ما فاتهم من الفتح والغنيمة، وما أصابهم بعد ذلك من المشركين، وقتل إخوانهم، فهذا الغم الأول، والغم الآخر إشراف خالد بن الوليد عليهم من الشعب فى الخيل، فلما أن عاينوه ذعرهم ذلك وأنساهم ما كانوا فيه من الغم الأول والحزن، فذلك قوله سبحانه: ﴿لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ من الفتح والغنيمة، ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ﴾ من القتل والهزيمة، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٥٣].

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا﴾، يعنى من بعد غم الهزيمة أمنة نعاسًا، وذلك أن الله عز وجل ألقى على بعضهم النعاس فذهب غمهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿يَغۡشَىٰ﴾ النعاس ﴿طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ نزلت فى سبعة نفر، فى: أبى بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، والحارث بن الصمة، وسهل بن ضيف،

ورجلين من الأنصار، رضى الله عنهم، ثم قال سبحانه: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾، يعنى الذين لم يلق عليهم النعاس، ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ كذبًا يقول المؤمنون: إن محمدًا ﷺ قد قتل، ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، يقول: كظن جهال المشركين أبو سفيان وأصحابه، وذلك أنهم قالوا: إن محمدًا قد قتل، ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾، هذا قول معتب بن قشير، يعنى بالأمر النصر، يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ﴾، يعنى النصر ﴿كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾.

ثم قال سبحانه: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾، يقول: يسرون فى قلوبهم ما لا يظهرون لك بألسنتهم، والذى أخفوا فى أنفسهم أنهم قالوا: لو كنا فى بيوتنا ما قتلنا هاهنا، قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُل﴾ لهم يا محمد: ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ﴾ كما تقولون لخرج من البيوت ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾، فمن كتب عليه القتل لا يموت أبدًا، ومن كتب عليه الموت لا يقتل أبدًا، ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ١٥٤]، يقول: الله عليم بما فى القلوب من الإيمان والنفاق، والذين أخفوا فى أنفسهم قولهم: إن محمدًا قد قتل، وقولهم: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا، يعنى هذا المكان، فهذا الذى قال الله سبحانه لهم: ﴿قُل﴾ لهم يا محمد: ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ كما تقولون ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ﴾، يعنى انهزموا عن عدوهم مدبرين منهزمين ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾، جمع المؤمنين وجمع المشركين يوم أُحُد، ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، يعنى استفزهم الشيطان ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ من الذنوب، يعنى بمعصيتهم النبى ﷺ وتركهم المركز، منهم: عثمان بن عفان، ورافع بن المعلى، وخارجة بن زيد، وحذيفة بن عبيد بن ربيعة، وعثمان بن عقبة، ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ حين لم يقتلوا جميعًا عقوبة بمعصيتهم النبى ﷺ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿حَلِيمٌ﴾ [آية: ١٥٥] عنهم فى هزيمتهم فلم يعاقبهم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾

ثم وعظ الله المؤمنين ألا يشكوا كشك المنافقين، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ ﴾ فى القول ﴿ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، يعنى المنافقين، ﴿ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾، يعنى عبد الله بن أبى، وذلك أنه قال يوم أُحُد لعبد الله بن رباب الأنصارى وأصحابه: ﴿ إِذَا ضَرَبُواْ ﴾، يعنى ساروا ﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ تجارًا ﴿ أَوْ كَانُواْ غُزًّى ﴾[(١)] جمع غاز، ﴿ لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ ﴾، يعنى التجار، ﴿ وَمَا قُتِلُواْ ﴾، يعنى الغزاة، قال عبد الله بن أبى ذلك حين انهزم المؤمنون وقتلوا، يقول الله عز وجل: ﴿ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ ﴾ القتل ﴿ حَسْرَةً ﴾، يعنى حزنًا ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ ﴾ الموتى ﴿ وَيُمِيتُ ﴾ الأحياء لا يملكهما غيره، وليس ذلك بأيديهم، ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آية: ١٥٦].

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ﴾ فى غير قتل ﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ لذنوبكم ﴿ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آية: ١٥٧] من الأموال، ثم حذرهم القيامة، فقال: ﴿ وَلَئِن مُّتُّمْ ﴾ فى غير قتل ﴿ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾ فى سبيله ﴿ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [آية: ١٥٨] فيجزيكم بأعمالكم، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾، فبرحمة الله كان إذ لنت لهم فى القول، ولم تسرع إليهم بما كان منهم يوم أُحُد، يعنى المنافقين، ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا ﴾ باللسان ﴿ غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ لتفرقوا عنك، يعنى المنافقين، ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ ﴾، يقول: اتركهم ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ لما كان منهم يوم أُحُد، ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[(٢)]، وذلك أن العرب فى الجاهلية كان إذا أراد سيدهم أن يقطع أمرًا دونهم ولم

---

(١) قراءَة الحسن والزُّهرى: «أو كانوا غُزًا»، خفيفة الزاى. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/٩٠، إعراب القرآن للنحاس ١/٣٧٣، الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٤٦، الكشاف ١/٢٢٥، البحر المحيط ٣/٩٣، إتحاف فضلاء البشر ١٨١).

(٢) قراءَة ابن عباس فيما رواه عنه عمرو: «وشاورْهُمْ فى بَعْض الأَمر» . انظر: (الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٥٠، الكشاف ١/٢٢٦، البحر المحيط ٣/٩٩، إعراب القرآن للعكبرى ١/٩١).

يشاورهم شق ذلك عليهم، فأمر الله عز وجل النبى ﷺ أن يشاورهم فى الأمر إذا أراد، فإن ذلك أعطف لقلوبهم عليه، وأذهب لضغائنهم، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ (١)، يقول: فإذا فرق الله لك الأمر بعد المشاورة فامض لأمرك، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، يقول: فثق بالله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آية: ١٥٩] عليه، يعنى الذين يثقون به.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١)﴾

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ﴾، يعنى يمنعكم، ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾، يعنى لا يهزمكم أحد، ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾، يعنى يمنعكم من بعد الله، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٦٠]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾، يعنى أن يخون فى الغنيمة يوم أُحُد ولا يجور فى قسمته فى الغنيمة، نزلت فى الذين طلبوا الغنيمة يوم أُحُد، وتركوا المركز، وقالوا: إنا نخشى أن يقول النبى ﷺ: من أخذ شيئًا فهو له، ونحن هاهنا وقوف، فلما رآهم النبى ﷺ قال: «ألم أعهد إليكم ألا تبرحوا من المركز حتى يأتيكم أمرى؟»، قالوا: تركنا بقية إخواننا وقوفًا، فقال النبى ﷺ: «ظننتم أنا نغل»، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾، ثم خوف الله عز وجل من يغل، فقال: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ بر وفاجر ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شر، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية: ١٦١] فى أعمالهم.

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)﴾

ثم قال سبحانه: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾، يعنى رضى ربه عز وجل ولم يغلل، ﴿كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، يعنى استوجب السخط من الله عز وجل فى الغلول،ليسوا سواء، ثم بين مستقرهما، فقال: ﴿وَمَأْوَاهُ﴾، يعنى ومأوى من غل ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آية: ١٦٢]، يعنى أهل الغلول.

(١) انظر: (الكشاف ٢٢٦/١، الجامع لأحكام القرآن ٢٥٢/٢ البحر المحيط ٩٩/٣، إعراب القرآن للنحاس ٣٧٥/١).

ثم ذكر سبحانه من لا يغل، فقال: ﴿هُمْ﴾، يعنى لهم ﴿دَرَجَٰتٌ﴾، يعنى لهم فضائل ﴿عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٦٣] من غل منكم ومن لم يغل فهو بصير بعمله، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، يعنى القرآن، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾، يعنى ويصلحهم، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾، يعنى المواعظ التى فى القرآن من الحلال والحرام والسُّنة، ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أن يبعث محمدًا ﷺ ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ١٦٤]، يعنى بين مثلها فى الجمعة.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾، وذلك أن سبعين رجلاً من المسلمين قتلوا يوم أُحُد يوم السبت فى شوال لإحدى عشرة ليلة خلت منه، وقتل من المشركين قبل ذلك بسنة فى سبع عشرة ليلة خلت من رمضان ببدر سبعين رجلاً، وأسروا سبعين رجلاً من المشركين، فذلك قوله سبحانه: ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ من المشركين يوم بدر بمعصيتكم النبى ﷺ وترككم المركز، ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ١٦٥] من النصرة والهزيمة قدير.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة بأُحد ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمع المؤمنين وجمع المشركين، ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أصابكم ذلك، ثم قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾، يقول: وليرى إيمانكم، يعنى ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٦٦] صبرهم، ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾، يعنى وليرى ﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ فى إيمان أهل الشك عند البلاء والشدة، يعنى عبد الله بن أبى بن ملك الأنصارى وأصحابه المنافقين، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾ المشركين عن دياركم وأولادكم، وذلك أن عبد الله بن رباب الأنصارى يوم أُحُد دعا عبد الله بن أبى ملك يوم أُحُد للقتال، فقال عبد الله بن أبى: ﴿قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا﴾، يقول: لو نعلم أن

يكون اليوم قتالاً ﴿لَّاتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾، يقول الله عز وجل: لو استيقنوا بالقتال ما تبعوكم، ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾ [آية: ١٦٧]، يعني من الكذب.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

فرجع يومئذ عبد الله بن أبى فى ثلاثمائة ولم يشهدوا القتال، فقال عبد الله بن رباب وأصحابه: أبعدكم الله، سيغنى الله عز وجل نبيه ﷺ والمؤمنين عن نصركم، فلما انهزم المؤمنون وقتلوا يومئذ، قال عبد الله بن أبى: لو أطاعونا ما قتلوا، يعنى عبد الله بن رباب وأصحابه، فأنزل الله عز وجل فى قول عبد الله بن أبى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ فى النسب والقرابة، وليسوا بإخوانهم فى الدين، ولا الولاية، كقوله سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا﴾ [هود: ٦١]، ليس بأخيهم فى الدين ولا فى الولاية، ولكن أخاهم فى النسب والقرابة، ﴿وَقَعَدُواْ﴾ عن القتال، ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾، فأوجب الله لهم الموت صفرة قمأة والإيجاب لمن كرهوا قتله من أقربائهم، فقال سبحانه: ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ١٦٨].

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى قتلى بدر من قتل من المسلمين يومئذ، وهم أربعة عشر رجلاً، ستة من المهاجرين: مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فقال النبى ﷺ يوم بدر: «سيد شهداء أمتى مهجع»، وهو أول قتيل قتل يوم بدر، رضى الله عنه، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشى، وعمير بن أبى وقاص بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وذو الشماليل عبد عمرو بن نضلة بن عمرو بن نضلة بن عبد عمرو القيسانى، وعقيل بن بكير، وصفوان ابن بيضاء، رضى الله عنهم، وثمانية من الأنصار: حارثة بن سراقة، ويزيد بن الحارث بن جشم، ومعوذ بن الحارث، وعوف بن الحارث بن رفاعة ابنا عفراء، الاسم اسم أمهما

عفراء، ورافع بن المعلى، وسعد بن حنتمة، وعمرو بن الحمام بن الجموح، ومبشر بن عبد المنذر.

فقال رجل: يا ليتنا نعلم ما لقى إخواننا الذين قتلوا ببدر، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى قتلى بدر، ﴿أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آية: ١٦٩] الثمار فى الجنة، وذلك أن الله تعالى جعل أرواح الشهداء طيرًا خضرًا ترعى فى الجنة، لها قناديل معلقة بالعرش تأوى إلى قناديلها، فاطلع الله عز وجل عليهم، فقال سبحانه: هل تستزيدونى شيئًا فأزيدكم؟ قالوا: أولسنا نسرح فى الجنة حيث نشاء؟ ثم اطلع عليهم أخرى، فقال سبحانه: هل تستزيدونى شيئًا فأزيدكم؟ ثم اطلع الثالثة، فقال سبحانه: هل تستزيدونى شيئًا فأزيدكم؟ قالوا: ربنا، نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا فنقاتل فى سبيلك مرة أخرى لما نرى من كرامتك إيانا، ثم قالوا فيما بينهم: ليت إخواننا الذين فى دار الدنيا يعلمون ما نحن فيه من الكرامة والخير والرزق، فإن شهدوا قتالاً سارعوا بأنفسهم إلى الشهادة، فسمع الله عز وجل كلامهم، فأوحى إليهم: أنى منزل على نبيكم ومخبر إخوانكم بما أنتم فيه، فاستبشروا بذلك، فأنزل الله عز وجل يحبب الشهادة إلى المؤمنين: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ من الثمار.

ثم قال سبحانه: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾، يعنى راضين بما أعطاهم الله ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾، يعنى الرزق، ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾، يعنى من بعدهم من إخوانهم فى الدنيا أنهم لو رأوا قتالاً لاستشهدوا ليلحقوا بهم، ثم قال سبحانه: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العذاب، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آية: ١٧٠] عند الموت، ﴿۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يعنى رحمة من الله ﴿وَفَضْلٍ﴾ ورزق، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٧١]، يعنى أجر المصدقين بتوحيد الله عز وجل.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، وذلك أن المشركين انصرفوا يوم أُحد ولهم الظفر، فقال النبى ﷺ: «إنى سائر فى أثر القوم»، وكان النبى ﷺ يوم أُحد على بغلة شهباء، فدب المنافقون إلى المؤمنين، فقالوا: أتوكم فى دياركم فوطئوكم قتلاً، وكان لكم النصر

يوم بدر، فكيف تطلبونهم وهم اليوم عليكم أجرأ وأنت اليوم أرعب؟ فوقع فى أنفس المؤمنين قول المنافقين، فاشتكوا ما بهم من الجراحات، فأنزل الله عز وجل: ﴿ **إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ...** ﴾ [آل عمران: ١٤٠] إلى آخر الآية.

وأنزل الله تعالى: ﴿ **إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ...** ﴾ [النساء: ١٠٤]، يعنى تتوجعون من الجراحات، إلى آخر الآية، فقال النبى ﷺ: «لأطلبنهم ولو بنفسى»، فانتدب مع النبى ﷺ سبعون رجلاً من المهاجرين والأنصار، حتى بلغوا سفراء بدر الصغرى، فبلغ أبا سفيان أن النبى ﷺ يطلبه، فأمعن عائدًا إلى مكة مرعوبًا، ولقى أبو سفيان نعيم بن مسعود الأشجعى وهو يريد المدينة، فقال: يا نعيم، بلغنا أن محمدًا فى الأثر، فأخبره أن أهل مكة قد جمعوا جمعًا كثيرًا من قبائل العرب لقتالكم، وأنهم لقوا أبا سفيان، فلاموه بكفه عنكم بعد الهزيمة حتى هموا به فردوه، فإن رددت عنا محمدًا فلك عشر ذود من الإبل إذا رجعت إلى مكة، فسار نعيم فلقى النبى ﷺ فى الصفراء، فقال: «ما وراءك يا نعيم؟»، فأخبره بقول أبى سفيان، ثم قال: أتاكم الناس، فقال النبى ﷺ: «﴿ **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** ﴾، نعم الملتجأ ونعم الحرز»، [آل عمران: ١٧٣].

فأنزل الله سبحانه: ﴿ **ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ** ﴾، يعنى الجراحات، ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ** ﴾ الفعل ﴿ **وَٱتَّقَوْاْ** ﴾ معاصيه ﴿ **أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آية: ١٧٢]، وهو الجنة.

﴿ **ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ (١٧٣)** ﴾

﴿ **ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ** ﴾، يعنى نعيم بن مسعود وحده، ﴿ **إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ** ﴾ الجموع لقتالكم، ﴿ **فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا** ﴾، يعنى تصديقًا، ﴿ **وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ** ﴾ [آية: ١٧٣]، يعنى النبى ﷺ وأصحابه، رضى الله عنهم، فأصابوا.

﴿ **فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥)** ﴾

﴿ **فَٱنقَلَبُواْ** ﴾، يعنى فرجعوا إلى المدينة ﴿ **بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ** ﴾، يعنى الرزق، وذلك

أنهم أصابوا سرية في الصفراء، وذلك في ذي القعدة، ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ من عدوهم في وجوههم، ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾، يعني رضى الله في الاستجابة لله عز وجل، وللرسول ﷺ في طلب المشركين، يقول الله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ١٧٤] على أهل طاعته.

قال: حدثنا عبيد الله بن ثابت، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا هذيل، قال مقاتل: فنزلت هذه الآيات في ذي القعدة بذي الحليفة حين انصرفوا عن طلب أبي سفيان وأصحابه بعد قتال أُحُد، ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾، وذلك أن النبي ﷺ ندب الناس يوم أُحُد في طلب المشركين، فقال المنافقون للمسلمين: قد رأيتم ما لقيتم لم ينقلب إلا شريد، وأنتم في دياركم تصحرون وأنتم أكلة رأس، والله لا ينقلب منكم أحد، فأوقع الشيطان قول المنافقين في قلوب المؤمنين، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ﴾، يعني يخوفهم بكثرة أوليائه من المشركين، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ في ترك أمري ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٧٥]، يعني إذ كنتم، يقول: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فلا تخافوهم.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾

ثم قال: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾، يعني المشركين يوم أُحُد، ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾، يقول: لن ينقصوا الله شيئًا من ملكه وسلطانه لمسارعتهم في الكفر، وإنما يضرون أنفسهم بذلك، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾، يعني نصيبًا في الجنة، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١٧٦]، ثم قال سبحانه يعنيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾، يعني باعوا الإيمان بالكفر، ﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ﴾، يعني لن ينقصوا الله من ملكه وسلطانه ﴿شَيْئًا﴾ حين باعوا الإيمان بالكفر، إنما ضروا أنفسهم بذلك، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ١٧٧]، يعني وجيع.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٧٩﴾

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أبا سفيان وأصحابه يوم أُحُد، ﴿أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ﴾ حين ظفروا ﴿خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ﴾ فى الكفر، ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [آية: ١٧٨]، يعنى الهوان، ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يا معشر الكفار ﴿عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ من الكفر، ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ فى علمه حتى يميز أهل الكفر من أهل الإيمان، نظيرها فى الأنفال، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾، وذلك أن الكفار قالوا: إن كان محمد صادقًا، فليخبرنا بمن يؤمن منا ومن يكفر، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾، يعنى ليطلعكم على غيب ذلك، إنما الوحى إلى الأنبياء بذلك، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي﴾ يستخلص ﴿مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾، فيجعله رسولاً فيوحى إليه ذلك، ليس الوحى إلا إلى الأنبياء، ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله تعالى وبرسالة محمد ﷺ، ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ﴾، يعنى تصدقوا بتوحيد الله تعالى، ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الشرك، ﴿فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [آية: ١٧٩].

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠﴾

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾، يعنى بما أعطاهم الله من فضله، يعنى من الرزق، وبخلوا بالزكاة، إن ذلك ﴿هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ﴾ البخل ﴿هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾، وذلك أن كنز أحدهم يتحول شجاعًا أقرع ذكر، ولفيه زبيبتان كأنهما جبلان، فيطوق به فى عنقه فينهشه، فيتقيه بذراعيه فيلتقمهما حتى يقضى بين الناس، فلا يزال معه حتى يساق إلى النار ويغل، وذلك قوله سبحانه: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، ثم قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾، يقول: إن بخلوا بالزكاة فالله يرثهم ويرث أهل السموات وأهل الأرضين، فيهلكون ويبقى، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [آية: ١٨٠]، يعنى فى ترك الصدقة، يعنى اليهود.

﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ

وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾، وذلك أن النبي ﷺ كتب مع أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، إلى يهود قينقاع يدعوهم إلى إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن يقرضوا الله قرضًا حسنًا، قال فنحاص اليهودى: إن الله فقير حين يسألنا القروض ونحن أغنياء، ويقول الله عز وجل: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾، فأمر الحفظة أن تكتب كل ما قالوا، ﴿وَ﴾ نكتب ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، أى تقول لهم خزنة جهنم فى الآخرة: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آية: ١٨١]، ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ من الكفر والتكذيب، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آية: ١٨٢] فيعذب على غير ذنب.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾

ثم أخبر عن اليهود حين دعوا إلى الإيمان، فقال تباركْ وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾، فقال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، يعنى التبيين بالآيات، ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ من أمر القربان، ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾، فلم قتلتم أنبياء الله من قبل محمد ﷺ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ١٨٣] بما تقولون، ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ يا محمد، يعزى نبيه ﷺ ليصبر على تكذيبهم، فلست بأول رسول كُذب، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، يعنى بالآيات، ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾، يعنى بحديث ما كان قبلهم والمواعظ، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آية: ١٨٤]، يعنى المضيء البين الذى فيه أمره ونهيه.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن

قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

ثم خوفهم، فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾، يعنى جزاء أعمالكم، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ﴾، يعنى صرف ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ﴾، يعنى فقد نجى، ثم وعظهم، فقال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آية: ١٨٥]، يعنى الفانى الذى ليس بشىء، ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾، نزلت فى النبى ﷺ، وأبى بكر الصديق، رضى الله عنه، يعنى بالبلاء والمصيبات، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ حين قالوا: إن الله فقير، ثم قال: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾، يعنى مشركى العرب، ﴿أَذًى كَثِيرًاۚ﴾ باللسان والفعل، ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ على ذلك الأذى، ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ معصيته، ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آية: ١٨٦]، يعنى ذلك الصبر والتقوى من خير الأمور التى أمر الله عز وجل بها.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى أعطوا التوراة، يعنى اليهود، ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾، يعنى أمر محمد ﷺ فى التوراة، ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾، أى أمره وأن تتبعوه، ﴿فَنَبَذُوهُ﴾، يعنى فجعلوه ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ﴾ بكتمان أمر محمد ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًاۖ﴾، وذلك أن سفلة اليهود كانوا يعطون رءوس اليهود من ثمارهم وطعامهم عند الحصاد، ولو تابعوا محمدًا ﷺ لذهب عنهم ذلك المأكل، يقول الله عز وجل: ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آية: ١٨٧].

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾، وذلك أن اليهود قالوا للنبى ﷺ حين دخلوا عليه: نعرفك نصدقك وليس ذلك فى قلوبهم، فلما خرجوا من عند النبى ﷺ قال لهم المسلمون: ما صنعتم؟ قالوا: عرفناه وصدقناه، فقال المسلمون: أحسنتم، بارك الله فيكم، وحمدهم المسلمون على ما أظهروا من الإيمان بالنبى ﷺ، فذلك قوله سبحانه:

﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ يا محمد، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ١٨٨]، يعنى وجيع.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾

ثم عظم الله نفسه، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما بينهما من الخلق عبيده وفى ملكه، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ١٨٩]، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلقين عظيمين، ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آية: ١٩٠]، يعنى أهل اللب والعقل، ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾، يقول: عبثًا لغير شيء، لقد خلقتهما لأمر قد كان، ﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آية: ١٩١].

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾، يعنى من خلدته فى النار فقد أهنته، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آية: ١٩٢]، يعنى وما للمشركين من مانع يمنعهم من النار، قالوا: ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾، فهو محمد ﷺ داعيًا يدعو إلى التصديق، ﴿أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾، يعنى صدقوا بتوحيد ربكم، ﴿فَآمَنَّا﴾، أى فأجابه المؤمنون، فقالوا: ربنا آمنا، يعنى صدقنا، ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾، يعنى امح عنا خطايانا، ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آية: ١٩٣]، يعنى

المطيعين، قالوا: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾، يعنى وأعطنا ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾، يقول: أعطنا من الجنة ما وعدتنا على ألسنة رسلك، ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾، يعنى ولا تعذبنا ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آية: ١٩٤].

فأخبر الله عز وجل بفعلهم وبما أجابهم، وأنجز الله عز وجل لهم موعوده، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾، فقال: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾ فى الخير، ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ إلى المدينة، ﴿وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾، وذلك أن كفار مكة أخرجوا مؤمنيهم من مكة، ثم قال سبحانه: ﴿وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى﴾، يعنى فى سبيل دين الإسلام، ﴿وَقَٰتَلُوا۟﴾ المشركين، ﴿وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ﴾، يعنى لأمحون عنهم ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾، يعنى خطاياهم، ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، يعنى بجنات البساتين، ذلك الذى ذكر كان ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آية: ١٩٥]، يعنى الجنة، نزلت فى أم سلمة أم المؤمنين، رضى الله عنها، ابنة أبى أمية المخزومى حين قالت: ما لنا معشر النساء عند الله خير، وما يذكرنا بشىء، ففيها نزلت: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] فى الأحزاب إلى آخر الآية، فأشرك الله عز وجل الرجال مع النساء فى الثواب كما شاركن الرجال فى الأعمال الصالحة فى الدنيا.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ يا محمد ﷺ ﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [آية: ١٩٦]، نزلت فى مشركى العرب، وذلك أن كفار مكة كانوا فى رخاء ولين عيش حسن، فقال بعض المؤمنين: أعداء الله فيما ترون من الخير وقد أهلكنا الجهد، فأخبر الله عز وجل بمنزلة الكفار فى الآخرة، وبمنزلة المؤمنين فى الآخرة، فقال سبحانه: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ يا محمد ﷺ ما فيه الكفار من الخير والسعة، فإنما هو ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ يمتعون بها إلى آجالهم، ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آية: ١٩٧]، فبين الله تعالى مصيرهم.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾

ثم بين منازل المؤمنين فى الآخرة، فقال سبحانه: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾ وحدوا ربهم، ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون، كان ذلك ﴿نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آية: ١٩٨]، يعنى المطيعين، ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، يعنى ابن سلام، ﴿لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾، يعنى يصدق بالله، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾، يعنى أمة محمد ﷺ من القرآن، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ من التوراة، ثم نعتهم، فقال: ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾، يعنى متواضعين لله، ﴿لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، يعنى بالقرآن ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًاۗ﴾، يعنى عرضًا يسيرًا من الدنيا كفعل اليهود بما أصابوا من سفلتهم من المأكل من الطعام والثمار عند الحصاد، ثم قال يعنى مؤمنى أهل التوراة ابن سلام وأصحابه، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾، يعنى جزاؤهم فى الآخرة ﴿عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾، وهى الجنة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آية: ١٩٩]، يقول: كأنه قد جاء.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ﴾ على أمر الله عز وجل وفرائضه، ﴿وَصَابِرُواْ﴾ مع النبى ﷺ فى المواطن، ﴿وَرَابِطُواْ﴾ العدو فى سبيل الله حتى يدعوا دينهم لدينكم، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تعصوا، ومن يفعل ذلك فقد أفلح، فذلك قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آية: ٢٠٠].

قال: حدثنا عبد الله بن ثابت، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى الهذيل، قال: سمعت أبا يوسف يحدث عن الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس، رضى الله عنه، قال: كتب رسول الله ﷺ لأهل نجران: «هذا ما كتب محمد لأهل نجران فى كل ثمرة، وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق، فأفضل عليهم وترك ذلك كله على ألفى حلة من حلل الألوان، فى كل صفر ألف حلة، كل حلة أوقية، وفى كل رجب ألف حلة، كل حلة أوقية، فما زاد من حلل الخراج على الأواق فبحسابه، وما قصر من درع، أو حلة، أو خيل، أو ركاب، أو عرض، أخذ منهم بحسابه، وعلى نجران مثوبة رسل رسول الله ﷺ عشرين ليلة، ولا تحبس رسولى فوق شهر، وعليهم عارية ثلاثين درعًا، وثلاثين فرسًا، وثلاثين بعيرًا إذا كان كيد باليمن ذو معذرة، ولنجران وحاشيتها جوار الله عز وجل، وذمة

محمد رسول الله ﷺ على أنفسهم، وماهم ، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم، وشاهدهم، وتابعهم، ولا يغير ما كانوا عليه، ولا يغير حق من حقوقهم، ولا ملة من مللهم، ولا يغير أسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، وعلى ما تحت أيديهم من قليل وكثير، وليس عليهم ربا ولا دم جاهلية، ولا يحسرون، ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم حاشر، ومن سأل فيهم حقًا أنصف، غير ظالمين ولا مظلومين، ومن أكل ربا من ذى قبل، فذمتى منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بطلب آخر، وكل ما كان فى هذه الصحيفة جوار الله عز وجل، وذمة محمد ﷺ حتى يأتى الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا فيما لهم وعليهم غير متغلبين بظلم».

شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف النضرى، والأقرع ابن حابس، والمغيرة، وكتب على بن أبى طالب، وزعم أن أبا بكر، رضى الله عنه، كتب لهم كتابًا من كتاب رسول الله ﷺ.

قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل: سمعت المسيب والضرير يحدثان عن الأعمش، عن سالم بن أبى الجعد، قال: لو كان عليًّا طاعنًا على عمر بن الخطاب، رضى الله عنهما، لطعن عليه حين جاء أهل نجران ومعهم قطعة أيدم فيه كتاب عليه خاتم النبى ﷺ، فقالوا لعلى، عليه السلام: ننشدك الله كتابك بيدك، وشفاعتك بلسانك، ألا ما رددتنا إلى نجران، فقال على، رضى الله عنه: دعونى، فإن عمر، رضى الله عنه، كان رشيد الأمر.

قال الأعمش: فسألت سالمًا: كيف كان إخراج عمر، رضى الله عنه، إياهم؟ قال: كثروا حتى صاروا أربعين ألف مقاتل، فخاف المسلمون أن يميلوا عليهم، فوقع بينهم شر، فجاءوا إلى عمر، رضى الله عنه، فقالوا: قد فسد الذى بيننا، فذهبوا، فاغتنمها عمر، رضى الله عنه، ثم جاءوا إليه، فقالوا: قد اصطلحنا فأقلنا، فقال: لا والله لا أقيلكم أبدًا، فأخرج فرقة إلى الشام، وفرقة إلى العراق، وفرقة إلى أرض أخرى.

قال: حدثنا عبيد الله بن ثابت، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل فى قوله عز وجل: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ [آل عمران: ١٨٦]، فيها تقديم، ولم أسمع مقاتل.

* * *

سُورَةُ النِّسَاءِ

مدنية

وهى مائة وستة وسبعون آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ يخوفهم، يقول: اخشوا ربكم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾، يعنى آدم، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، يعنى من نفس آدم من ضلعه حواء، وإنما سميت حواء لأنها خلقت من حى آدم، قال سبحانه: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾، يقول: وخلق من آدم وحواء رجالاً كثيرًا ونساء، هم ألف أمة، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾(١)، يقول: تسألون بالله بعضكم ببعض الحقوق والحوائج، واتقوا الأرحام أن تقطعوها وصلوها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [آية: ١]، يعنى حفيظًا لأعمالكم.

﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢)﴾

﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ﴾، يعنى الأوصياء، يعنى أعطوا اليتامى ﴿أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾، يقول: ولا تتبدلوا الحرام من أموال اليتامى بالحلال من أموالكم، ولا تذرو الحلال وتأكلوا الحرام، ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾، يعنى مع أموالكم، كقوله سبحانه: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ [الشعراء: ١٣]، يعنى معى هارون، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [آية: ٢]، يعنى إثمًا كبيرًا بلغة الحبش، وقد كان أهل الجاهلية يسمون الحوب الإثم، نزلت فى رجل من غطفان، يقال له: المنذر بن رفاعة، كان معه مال كبير ليتيم، وهو ابن أخيه، فلما بلغ طلب ماله فمنعه، فخاصمه إلى النبى ﷺ، فأمر أن يرد عليه ماله، وقرأ عليه الآية، فلما سمعها قال: أطعنا الله وأطعنا الرسول، ونعوذ بالله من الحوب

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٣/١٥٧، الجامع لأحكام القرآن ٥/٥، الكشاف ١/٢٤١، مجمع البيان ٢/١، إعراب القرآن للعكبرى ١/٩٦).

الكبير، فدفع إليه ماله، فقال النبى ﷺ: «هكذا من يطع ربه عز وجل، ويوق شح نفسه، فإنه يحل داره»، يعنى جنته، فلما قبض الفتى ماله، أنفقه فى سبيل الله، قال النبى ﷺ: «ثبت الأجر وبقى الوزر»، فقالوا للنبى ﷺ: قد عرفنا ثبت الأجر، فكيف بقى الوزر وهو ينفق فى سبيل الله؟ فقال الأجر للغلام، والوزر على والده.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾ [1]، نزلت فى حميصة بن الشمردل، وذلك أن الله عز وجل أنزل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾، يعنى بغير حق، ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، فخاف المؤمنون الحرج، فعزلوا كل شىء لليتيم من طعام، أو لبن، أو خادم، أو ركوب، فلم يخالطوهم فى شىء منه، فشق ذلك عليهم وعلى اليتامى، فرخص الله عز وجل من أموالهم فى الخلطة، فقال: ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، فنسخ من ذلك الخلطة، فسألوا النبى ﷺ عما ليس به بأس، وتركوا أن يسألوه عما هو أعظم منه، وذلك أنه كان يكون عند الرجل سبع نسوة، أو ثمان، أو عشر حرائر، لا يعدل بينهن، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى﴾، يقول: ألا تعدلوا فى أمر اليتامى، فخافوا الإثم فى أمر النساء، واعدلوا بينهن، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم﴾، يعنى ما يحل لكم ﴿مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [2]، ولم يطب فوق الأربع، ثم قال سبحانه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ الإثم ﴿أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ فى الاثنين والثلاث والأربع فى القسمة والنفقة، ﴿فَوَاحِدَةً﴾، يقول: فتزوج واحدة ولا تأثم، فإن خفت أن لا تحسن إلى تلك الواحدة، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الولائد، فاتخذ منهن ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [آية: ٣]، يقول: ذلك أجدر ألا تميلوا عن الحق فى الواحدة وفى إتيان الولائد بعضهم على بعض، ولما نزلت: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾، كان يومئذ تحت قيس بن الحارث ثمان نسوة، فقال النبى ﷺ: «خل سبيل أربعة منهن وأمسك أربعة»، فقال للتى يريد إمساكها: أقبلى،

---

(١) انظر: (البحر المحيط ١٦٢/٣، الجامع لأحكام القرآن ١٢/٥، الكشاف ٢٤٤/١، إعراب القرآن للعكبرى ٩٧/١).

(٢) انظر: (البحر المحيط ١٦٣/٣، الكشاف ٢٤٥/١، إعراب القرآن للعكبرى ٩٧/١، لسان العرب «ربع»).

وللتى لا يريد إمساكها: أدبرى، فأمسك أربعة وطلق أربعة.

﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٥﴾﴾

﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾، وذلك أن الرجل كان يتزوج بغير مهر، فيقول: أرثك وترثينى، وتقول المرأة: نعم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾، يعنى أعطوا الأزواج النساء ﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾، يعنى مهورهن ﴿نِحۡلَةٗۚ﴾، يعنى فريضة، ﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ﴾، يعنى أحللن لكم، يعنى الأزواج ﴿عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ﴾، يعنى المهر، ﴿نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ [آية: ٤]، يعنى حلالاً، مريئًا يعنى طيبًا.

﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ﴾، يعنى الجهال بموضع الحق فى الأموال، يعنى لا تعطوا نساءكم وأولادكم ﴿أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾(١)، يعنى قوامًا لمعاشكم، فإنهن سفهاء، يعنى جهالاً بالحق، نظيرها فى البقرة: ﴿سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ولا يدرى الصغير ما عليه من الحق فى ماله، ولكن ﴿وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا﴾، يقول: أعطوهم منها ﴿وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [آية: ٥]، يعنى العدة الحسنة أنى سأفعل، وكنت أنت القائم على مالك.

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾﴾

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾، يقول: اختبروا عقولهم، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾، يعنى الحلم، ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾ معشر الأولياء والأوصياء صلاحًا فى دينهم وحفظًا لأموالهم، ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ التى معكم ﴿وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا﴾، يعنى بغير حق، ﴿وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ﴾، يقول: يبادر أكلها خشية أن يبلغ اليتيم الحلم فيأخذ منه ماله، ثم رخص

---

(١) قراءة نافع، وابن عامر، وابن عباس. انظر: (البحر المحيط ١٧/٣، الطبرى ٥٦٩/٧، القرطبى ٣١/٥، معانى القرآن للفراء ٢٥٦/١، النشر ٢٤٧/٢، الكشف ٣٧٦/١،٣٧٧، الإتحاف ١٨٦، العكبرى ٩٧/١ التيسير ٩٤، الغيث ١٨٨، النحاس ٣٩٦/١، العنوان ٦٥، تهذيب اللغة «ق م و»، لسان العرب «قوم» الحجة المنسوب لابن خالويه ١٩ شرح التصريح ٣٧٨/٢).

للذى معه مال اليتيم، فقال سبحانه: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ عن أموالهم، ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾، يعنى بالقرض، فإن أيسر رد عليه، وإلا فلا إثم عليه، ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ﴾، يعنى الأولياء والأوصياء، ﴿إِلَيْهِمْ﴾، يعنى إلى اليتامى ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ إذا احتلموا، ﴿فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ بالدفع إليهم، ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [آية: ٦]، يعنى شهيدًا، فلا شاهد أفضل من الله بينكم وبينهم، نزلت فى ثابت بن رفاعة وعمه، وذلك أن رفاعة توفى وترك ابنه ثابت، فولى ميراثه، فنزلت فيه: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ﴾، يقول: واختبروا، يعنى به عم ثابت بن رفاعة ﴿الْيَتَامَىٰ﴾، يعنى ثابت بن رفاعة، الآية كلها، حتى قال سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧)﴾

وقوله سبحانه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾، نزلت فى أوس بن مالك الأنصارى، وذلك أن أوس بن مالك الأنصارى توفى وترك امرأته أم كحة الأنصارية، وترك ابنتين إحداهن صفية، وترك ابنى عمه عرفطة وسويد ابنى الحارث، فلم يعطياها ولا ولداها شيئًا من الميراث، وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الولدان الصغار شيئًا، ويجعلون الميراث لذوى الأسنان منهم، فانطلقت أم كحة وبناتها إلى النبى ﷺ، فقالت: إن أباهن توفى، وإن سويد بن الحارث وعرفطة منعاهن حقهن من الميراث، فأنزل الله عز وجل فى أم كحة وبناتها: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾، يعنى حظًا، ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾، يعنى حظًا ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾، يعنى من الميراث، ﴿أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [آية: ٧]، يعنى حظًا مفروضًا، يعنى معلومًا، فأخذت أم كحة الثمن وبناتها الثلثين، وبقيته لسويد وعرفطة.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٨)﴾

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾، يعنى قسمة المواريث، فيها تقديم، وإذا حضر ﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾، يعنى قرابة الميت، ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ﴾ قسمة المواريث، ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾، يعنى فأعطوهم من الميراث، وإن قل، وليس بموقت هذه قبل قسمة المواريث، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [آية: ٨]، يقول سبحانه: إن كانت الورثة صغارًا فليقل

أولياء الورثة لأهل هذه القسمة: إن بلغوا أمرناهم أن يدفعوا حقكم ويتبعوا وصية ربهم عز وجل، وإن ماتوا وورثناهم وأعطيناكم حقكم، فهذا القول المعروف، يعني العدة الحسنة.

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾

ثم قال عز وجل: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا﴾، فهو الرجل يحضر الميت، فيقول له: قدم لنفسك، أوص لفلان وفلان، حتى يوصى بعامة ماله، فيزيد على الثلث، فنهى الله عز وجل عن ذلك، فقال: وليخش الذين يأمرون الميت بالوصية بأكثر من الثلث، فليخش على ورثة الميت الفاقة والضيعة، كما يخشى على ذريته الضعيفة من بعده، فكذلك لا يأمر الميت بما يؤثمه، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا﴾، يعنى عجزة، لا حيلة لهم، نظيرها فى البقرة، ﴿خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ الضيعة، ﴿فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟﴾ إذا جلسوا إلى الميت ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [آية: ٩]، يعنى عدلاً، فليأمره بالعدل فى الوصية، فلا يحرفها، ولا يجر فيها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ بغير حق، ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [آية: ١٠]، وذلك أن خازن النار يأخذ شفتيه، وهما أطول من مشفرى البعير، وطول شفتيه أربعون ذراعًا، أحداهما بالغة على منخره، والأخرى على بطنه، فيلقمه جمر جهنم، ثم يقول: كل بأكلك أموال اليتامى ظلمًا، فنسخت هذه الآية: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، فرخص فى المخالطة ولم يرخص فى أكل أموال اليتامى ظلمًا.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ

﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١﴾

ثم بين قسمة المواريث بين الورثة، فقال عز وجل: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾، يعنى بنات أم كحة، ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ﴾ ابنة ﴿وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ﴾ الميت ﴿إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ﴾، وبقية المال للأب، ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾، وما بقى فللأب ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾، يعنى إلى الثلث أو دين عليه، فإنه يبدأ بالدين من ميراث الميت بعد الكفن، ثم الوصية بعد ذلك، ثم الميراث.

﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾، يعنى فى الآخرة، فيكون معه فى درجته، وذلك أن الرجل يكون عمله دون عمل ولده، أو يكون عمله دون عمل والده، فيرفعه الله عز وجل فى درجته لتقر أعينهم، ثم قال فى التقديم لهذه القسمة: ﴿فَرِيضَةٗ﴾ ثابتة ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [آية: ١١] فى الميراث، ﴿حَكِيمٗا﴾ حكم قسمته.

﴿۞وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ١٢﴾

﴿۞وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ﴾ إذا متن، ﴿إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ﴾ عليهم، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ﴾ بعد الموت من الميراث، ﴿إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ﴾ من المال، ﴿مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ﴾.

ثم قال عز وجل: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ (١) فيها تقديم، ﴿يُورَثُ كَلَالَةً﴾، والكلالة الميت يموت وليس له ولد ولا والد ولا جد، ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾، فهم الإخوة لأم، والذكر والأنثى فى الثلث سواء، ولا يوصى لوارث، ولا يقر بحق ليس عليه مضارة للورثة، فذلك قوله سبحانه: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يعنى هذه القسمة فريضة من الله، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالضرار، يعنى من يضار فى أمر الميراث، ﴿حَلِيمٌ﴾ [آية: ١٢] حين لا يعجل عليهم بالعقوبة.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾، يعنى هذه القسمة فريضة من الله، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فى قسمة المواريث، ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون، ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الثواب ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ١٣]، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فى قسمة المواريث، فلم يقسمها، ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾، يعنى يخالف أمره وقسمته إلى غيرها، ﴿يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آية: ١٤]، يعنى الهوان.

فلما فرض الله عز وجل لأم كحة وبناتها انطلق سويد وعرفطة وعيينة بن حصن إلى النبى ﷺ، فقالوا: إن المرأة لا تركب فرسًا ولا تجاهد، وليس عند الصبيان الصغار منفعة فى شىء، فأنزل الله عز وجل فى ذلك: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ﴾، يعنى ما بين فى قسمة المواريث فى أول السورة، ويفتيكم فى بنات أم كحة ﴿فِى يَتَامَى النِّسَاء اللاَّتِى لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ...﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧].

---

(١) وقراءة أيوب. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١/٩٩، البحر المحيط ٣/١٨٩، الطبرى ٨/٥٣، تفسير الفخر الرازى ٣/١٦٢، معانى القرآن للأخفش ١/٢٣٢، مجمع البيان ٢/١٦، البحر المحيط ٣/١٨٩، الجامع لأحكام القرآن ٥/٧٧، الكشاف ١/٢٥٤).

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾، يعنى المعصية، وهى الزنا، وهى المرأة الثيب تزنى ولها زوج، ﴿فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ عدولاً، ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ عليهن بالزنا ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ﴾، وإن كان لها زوج وقد زنت أخذ الزوج المهر منها من غير طلاق ولا حد ولا جماع، وتحبس فى السجن حتى تموت، ﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ [آية: ١٥]، يعنى مخرجًا من الحبس، وهو الرجم، يعنى الحد، فنسخ الحد فى سورة النور الحبس فى البيوت.

ثم ذكر البكرين اللذين لم يحصنا، فقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ﴾، يعنى الفاحشة، وهو الزنا، منكم ﴿فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾ باللسان، يعنى بالتعيير والكلام القبيح بما عملا، ولا حبس عليهما؛ لأنهما بكران، فيعيران ليندما ويتوبا، يقول الله عز وجل: ﴿فَإِن تَابَا﴾ من الفاحشة ﴿وَأَصۡلَحَا﴾ العمل فيما بقى، ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ﴾، يعنى فلا تسمعوهما الأذى بعد التوبة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا﴾ [آية: ١٦].

ثم أنزل الله عز وجل فى البكرين: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]، فنسخت هذه الآية التى فى النور: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾، فلما أمر الله عز وجل بالجلد، قال النبى ﷺ: «الله أكبر، جاء الله بالسبيل، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة، والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة»، فأخرجوا من البيوت، فجلدوا مائة وحدوا، فلم يحبسوا، فذلك قوله عز وجل ﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾، يعنى مخرجًا من الحبس بجلد البكر ورجم المحصن.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾، يعنى التجاوز على الله، ﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ

﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾، فكل ذنب يعمله المؤمن فهو جهل منه، ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾، يعنى قبل الموت، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ﴾، يعنى يتجاوز عنهم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [آية: ١٧]، ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، يعنى الشرك، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾، فلا توبة له عند الموت، ﴿وَلَا﴾ توبة ﴿ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ١٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ﴾، نزلت فى محصن بن أبى قيس بن الأسلت الأنصارى، من بنى الحارث بن الخزرج، وفى امرأته هند بنت صبرة، وفى الأسود بن خلف الخزاعى، وفى امرأته حبيبة بنت أبى طلحة، وفى منظور بن يسار الفزارى، وفى امرأته ملكة بنت خارجة بن يسار المرى، تزوجوا نساء آبائهم بعد الموت، وكان الرجل من الأنصار إذا مات له حميم، عمد الذى يرث الميت، وألقى على امرأة الميت ثوبًا، فيرث تزويجها، رضيت أو كرهت، على مثل مهر الميت، فإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل أن يلقى عليها ثوبًا، فهى أحق بنفسها، فأتين النبى ﷺ، فقلن: يا رسول الله، ما يدخل بنا ولا ينفق علينا لا نترك أن نتزوج، فأنزل الله عز وجل فى هؤلاء النفر: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ﴾، يعن وهن كارهات، ولكن تزوجوهن برضى منهن، وكان أحدهم يقول: أنا أرثك لأنى ولى زوجك، فأنا أحق بك، ثم انقطع الكلام.

ثم قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾، كان الرجل يفر بامرأته لتفتدى منه، ولا حاجة له فيها، يقول: لا تحبسوهن ﴿لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾، يقول: ببعض ما أعطيتموهن من المهر، ثم رخص واستثنى، ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ﴾، يعنى العصيان البين، وهو النشوز، فقد حلت الفدية إذا جاء العصيان من قبل المرأة، ثم قال تبارك وتعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾، يقول: صاحبوهن بإحسان، ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ وأردتم فراقهن، ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

كَثِيرًا﴾ [آية: ١٩]، يعنى فى الكره خيرًا كثيرًا، يقول: عسى الرجل يكره المرأة، فيمسكها على كراهية، فلعل الله عز وجل يرزقه منها ولدًا، ويعطفه عليها، وعسى أن يكرهها، فيطلقها فيتزوجها غيره، فيجعل الله للذى يتزوجها فيها خيرًا كثيرًا، فيرزقه منها لطفًا وولدًا.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾، يقول: وإن أراد الرجل طلاق امرأته ويتزوج أخرى غيرها، ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾، يقول: وآتيتم إحداهن من المهر قنطارًا من ذهب، والقنطار ألف ومائتا دينار، ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ إذا أردتم طلاقها، يقول: فليس له أن يضر بها حتى تفتدى منه، يقول: ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [آية: ٢٠]، يعنى بينًا، ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ تعظيمًا له، يعنى المهر، ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾، يعنى به الجماع، ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [آية: ٢١]، يعنى بالميثاق الغليظ ما أمروا به من قوله تبارك وتعالى فيهن: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١]، والغلظ يعنى الشديد، وكل غليظ فى القرآن يعنى به الشديد.

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، نزلت فى محصن بن أبى قيس بن الأسلت بن الأفلح الأنصارى، وفى امرأته كبشة بنت معن بن معبد بن عدى بن عاصم الأنصارى من الأوس من بنى خطمة بن الأوس، ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾؛ لأن العرب كانت تفعل ذلك قبل التحريم، وذلك أن محصن مات أبوه، فشد على امرأته فتزوجها، وهو محصن بن أبى قيس بن الأسلت الأنصارى، من بنى الحارث بن الخزرج، وكبشة بنت معن بن معبد، وفى شريك وفى امرأته كحة، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً﴾، يعنى معصية، ﴿وَمَقْتًا﴾، يعنى وبغضًا، ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [آية: ٢٢]، يعنى وبئس المسلك، وقال سبحانه: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾؛ لأن العرب كانوا ينكحون نساء الآباء،

ثم حرم النسب والصهر، ولم يقل: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾؛ لأن العرب كانت لا تنكح النسب والصهر، وقال عز وجل فى الأختين: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾؛ لأنهم كانوا يجمعون بينهما.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٣)﴾

ثم بين ما حرم، فقال تعالى ذكره: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾، فهذا النسب، ثم قال سبحانه: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾، يعنى جامعتم أمهاتهن، ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾، يقول: إن لم تكونوا جامعتم أمهاتهن، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، يقول: فلا حرج عليكم فى تزوج البنات، ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾، يقول: وحرم ما تزوج الابن الذى خرج من صلب الرجل ولم يتبناه، فهذا الصهر، ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾، فحرم جمعهما، إلا أن يكون إحداهما بملك، فزوجها غيره، فلا بأس، ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ قبل التحريم، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [آية: ٢٣] لما كان من جماع الأختين قبل التحريم.

﴿۞ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤)﴾

﴿۞ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾، يعنى وكل امرأة أيضًا فنكاحها حرام مع ما حرم من النسب والصهر، ثم استثنى من المحصنات، فقال سبحانه: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ

﴿أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من الحرائر مثنى وثلاث ورباع، ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾(١)، يعنى فريضة الله لكم بتحليل أربع، ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾، يعنى ما وراء الأربع، ﴿أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ﴾ لفروجهن ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ بالزنا علانية، ثم ذكر المتعة، فقال: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ إلى أجل مسمى، ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾، يعنى أعطوهن مهورهن، ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾، يقول: لا حرج عليكم فيما زدتم من المهر وازددتم فى الأجل بعد الأمر الأول، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ [آية: ٢٤] فى أمره، نسختها آية الطلاق وآية المواريث.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٥)﴾

ثم إن رسول الله ﷺ نهى عن المتعة بعد نزول هذه الآية مرارًا، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾، يقول: من لم يجد منكم سعة من المال، ﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، يعنى الحرائر، فليتزوج من الإماء، ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾، يعنى الولائد، فتزوجوا ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، يعنى الولائد، ثم قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ﴾ من غيره، فيكره للعبد المسلم أن يتزوج وليدة من أهل الكتاب؛ لأن ولده يصير عبدًا، فإن تزوجها وولدت له، فإنه يشترى من سيده رضى أو كره، ويسعى فى ثمنه، ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ يتزوج هذا وليدة هذا، وهذا وليدة هذا.

ثم قال سبحانه: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾، يقول: تزوجوا الولائد بإذن أربابهن، ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾، يقول: وأعطوهن مهورهن ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ﴾ عفائف لفروجهن، ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ غير معلنات بالزنا، ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾، يعنى

---

(١) انظر: (الجامع لأحكام القرآن ١٢٤/٥، الكشاف ٢٦٢/١، البحر المحيط ٣١٤/٣).

أحلاء فى السر، فيزنى بها سرًا، ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾ ، يعنى أسلمن، ﴿فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ﴾ ، يقول: فإن جئن بالزنا، ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾ ، يعنى خمسين جلدة، نصف ما على الحرة إذا زنت، ﴿ذَٰلِكَ﴾ التزويج للولائد، ﴿لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ﴾ ، يعنى الإثم فى دينه، وهو الزنا، ﴿وَأَن﴾ ، يعنى ولئن ﴿تَصۡبِرُواْ﴾ عن تزويج الأمة، ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ﴾ من تزويجهن، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لتزويجه الأمة، ﴿رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٢٥] به حين رخص له فى تزويجها إذا لم يجد طولاً، يعنى سعة فى تزويج الحرة.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾﴾

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ ، يعنى أن يبين لكم، ﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ ، يعنى شرائع هدى من كان قبلكم من المؤمنين من تحريم النسب والصهر، ﴿وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ﴾ ، يعنى ويتجاوز عنكم من نكاحكم، يعنى تزويجكم إياهن من قبل التحريم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [آية: ٢٦].

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ ، يعنى به الزنا، وذلك أن اليهود زعموا أن نكاح ابنة الأخت من الأب حلال، فذلك قوله سبحانه: ﴿أَن تَمِيلُواْ﴾ عن الحق ﴿مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ [آية: ٢٧] فى استحلال نكاح ابنة الأخت من الأب، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ﴾ إذ رخص فى تزويج الأمة لمن لم يجد طولاً لحرة، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [آية: ٢٨]، لا يصبر عن النكاح، ويضعف عن تركه، فلذلك أحل لهم تزويج الولائد لئلا يزنوا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ ، يقول: لا تأكلوها

إلا بحقها، وهو الرجل يجحد حق أخيه المسلم، أو يقتطعه بيمينه، ثم استثنى ما استفضل الرجل من مال أخيه من التجارة، فلا بأس، فقال سبحانه: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾، يقول: لا يقتل بعضكم بعضًا؛ لأنكم أهل دين واحد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [آية: ٢٩]، إذ نهى عن ذلك، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾، يعنى الدماء والأموال جميعًا، ﴿عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾، يعنى اعتداء بغير حق وظلمًا لأخيه، ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [آية: ٣٠]، يقول: كان عذابه على الله هينًا.

﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ من أول هذه السورة إلى هذه الآية، ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾، يعنى ذنوب ما بين الحدين، ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [آية: ٣١]، يعنى حسنًا، وهى الجنة لما نزلت: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، قالت النساء: لم هذا؟ نحن أحق أن يكون لنا سهمان ولهم سهم؛ لأنَّا ضعاف الكسب والرجال أقوى على التجارة والطلب والمعيشة منا، فإذا لم يفعل الله ذلك بنا، فإنَّا نرجو أن يكون الوزر على نحو ذلك علينا وعليهم، فأنزل الله فى قولهم: كنا نحن أحوج إلى سهمين، قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾، يقول: فضل الرجال على النساء فى الميراث، ونزل فى قولهن: نرجو أن يكون الوزر على نحو ذلك: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾، يعنى حظًا ﴿مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ﴾ من الإثم، ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ﴾، يعنى حظًا ﴿مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ من الإثم، ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾، يعنى الرجال والنساء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من قسمة الميراث ﴿عَلِيمًا﴾ [آية: ٣٢] به.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ﴾، يعنى العصبة بنى العم والقربى، ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ

﴿وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾، كان الرجل يرغب فى الرجل، فيحالفه ويعاقده على أن يكون معه وله من ميراثه كبعض ولده، فلما نزلت هذه الآية آية المواريث و لم يذكر أهل العقد، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ﴿فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ﴾، يقول: أعطوهم الذى سميتم لهم من الميراث، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من أعمالكم ﴿شَهِيدًا﴾ [آية: ٣٣] إن أعطيتم نصيبهم أو لم تعطوهم، فلم يأخذ هذا الرجل شيئًا حتى نزلت: ﴿وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ [الأحزاب: ٦]، فنسخت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾، نزلت فى سعد بن الربيع بن عمرو، من النقباء، وفى امرأته حبيبة بنت زيد بن أبى زهير، وهما من الأنصار من بنى الحارث بن الخزرج، وذلك أنه لطم امرأته، فأتت أهلها، فانطلق أبوها معها إلى النبى ﷺ، فقال: أنكحته وأفرشته كريمتى فلطمها، فقال النبى ﷺ: «لتقتص من زوجها»، فأتت مع زوجها لتقتص منه، ثم قال النبى ﷺ: «ارجعوا، هذا جبريل، عليه السلام، قد أتانى، وقد أنزل الله عز وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾»، يقول: مسلطون على النساء، ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾، وذلك أن الرجل له الفضل على امرأته فى الحق، ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾، يعنى وفضلوا بما ساق إليها من المهر، فهم مسلطون فى الأدب والأخذ على أيديهن، فليس بين الرجل وبين امرأته قصاص إلا فى النفس والجراحة، فقال النبى ﷺ عند ذلك: «أردنا أمرًا وأراد الله أمرًا، والذى أراد الله خيرًا».

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ فى الدين، ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾، يعنى مطيعات له ولأزواجهن، ﴿حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ﴾(١) لغيبة أزواجهن فى فروجهن

(١) قراءة طلحة: «فالصَّوالِحُ قوانِتُ حوافِظُ للغيب» وقراءة عبدالله بن مسعود، وطلحة بن مصرف. انظر: (الكشاف ١/٢٦٦، مجمع البيان ٢/٤٢، معانى القرآن للفراء ١/٢٦٥، تفسير الفخر الرازى ٣/٢١٤).

وأموالهم، ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ (١)، يعني بحفظ الله لهن، ثم قال: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾، يعني تعلمون عصيانهن من نسائكم، يعني سعدًا، يقول: تعلمون معصيتهن لأزواجهن، ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بالله، فإن لم يقبلن العظة، ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾، يقول: لا تقربها للجماع، فإن رجعت إلى طاعة زوجها بالعظة والهجران، وإلا ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ ضربًا غير مبرح، يعني غير شائن، ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾، يعني عللا، يقول: لا تكلفها في الحب لك ما لا تطيق، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا﴾، يعني رفيعًا فوق خلقه، ﴿كَبِيرًا﴾ [آية: ٣٤].

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾، يعني علمتم ﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾، يعني خلاف بينهما، بين سعد وامرأته، ولم يتفقا، ولم يدر من قبل من منهما النشوز من فبل الرجل أو من قبل المرأة؟ ﴿فَٱبْعَثُوا﴾، يعني الحاكم، يقول للحاكم: فابعثوا ﴿حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾، فينظرون في أمرهما في النصيحة لهما، إن كان من قبل النفقة أو إضرار وعظا الرجل، وإن كان من قبلها، وعظاها لعل الله أن يصلح على أيديهما، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَٰحًا﴾، يعني الحكمين، ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ للصلح، فإن لم يتفقا وظنا أن الفرقة خير لهما في دينهما، فرق الحكمان بينهما برضاهما، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بحكمهما ﴿خَبِيرًا﴾ [آية: ٣٥] بنصيحتهما في دينهما.

﴿۞ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾

---

(١) انظر: (معاني القرآن للفراء ١/٢٦٥ إعراب القرآن للنحاس ١/٤١٣، إعراب القرآن للعكبري ١/١٠٤، البحر المحيط ٣/٢٤٠، التبيان ٣/١٨٩، الطبري ٨/٢٩٦، مجمع البيان ٢/٤٢).

﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾، يعنى وحدوا الله، ﴿ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾؛ لأن أهل الكتاب يعبدون الله فى غير إخلاص، فلذلك قال الله: ﴿ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ من خلقه، ﴿ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾، يعنى برًا بهما، ﴿ وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ والإحسان إلى ذى القربى، يعنى صلته، ﴿ وَ ﴾ الإحسان إلى ﴿ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾ أن تتصدقوا عليهم، والإحسان إلى ﴿ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾، يعنى جارًا بينك وبينه قرابة، ﴿ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ ﴾، يعنى من قوم آخرين، ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ ﴾، يقول: الرفيق فى السفر والحضر، ﴿ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾، يعنى الضيف ينزل عليك أن تحسن إليه، ﴿ وَ ﴾ إلى ﴿ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ ﴾ من الخدم وغيره، وعن على وعبد الله، قالا: ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ ﴾ المرأة، فأمر الله عز وجل بالإحسان إلى هؤلاء، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا ﴾، يعنى بطرًا مرحًا ﴿ فَخُورًا ﴾ [آية: ٣٦] فى نعم الله، لا يأخذ ما أعطاه الله عز وجل فيشكر.

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ ﴾، يعنى رءوس اليهود، ﴿ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾، وذلك أن رءوس اليهود كعب بن الأشرف وغيره، كانوا يأمرون سفلة اليهود بكتمان أمر محمد ﷺ خشية أن يظهروه ويبينوه، ومحوه من التوراة، ﴿ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ﴾ عز وجل، يعنى ما أعطاهم ﴿ مِن فَضۡلِهِۦۗ ﴾ فى التوراة من أمر محمد ﷺ ونعته، ثم أخبر عما لهم فى الآخرة، فقال: ﴿ وَأَعۡتَدۡنَا ﴾ يا محمد ﴿ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾، يعنى لليهود، ﴿ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ [آية: ٣٧]، يعنى الهوان.

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾، يعنى اليهود، ﴿ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ﴾، يقول: لا يصدقون بالله أنه واحد لا شريك له، ولا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال بأنه كائن، ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا ﴾، يعنى صاحبًا، ﴿ فَسَآءَ قَرِينٗا ﴾ [آية: ٣٨]، يعنى فبئس الصاحب، ثم قال عز وجل: ﴿ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ ﴾، يعنى وما كان عليهم ﴿ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾، يعنى بالبعث، ﴿ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ ﴾ من الأموال فى الإيمان ومعرفته، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴾ [آية: ٣٩] أنهم لن يؤمنوا.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا

(٤١) ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢)﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، يعنى لا ينقص وزن أصغر من الذرة من أموالهم، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ واحدة ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ حسنات كثيرة، فلا أحد أشكر من الله عز وجل، ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [آية: ٤٠]، يقول: ويعطى من عنده فى الآخرة جزاء كثيرًا، وهى الجنة، ثم خوفهم، فقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ﴾ بهم ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾، يعنى نبيهم، وهو شاهد عليهم بتبليغ الرسالة إليهم من ربهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [آية: ٤١]، يعنى كفار أمة محمد ﷺ بتبليغ الرسالة.

ثم أخبر عن كفار أمة محمد ﷺ، فقال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾، وذلك بأنهم قالوا فى الآخرة: والله ربنا ما كنا مشركين، فشهدت عليهم الجوارح بما كتمت ألسنتهم من الشرك، فودوا عند ذلك أن الأرض انشقت فدخلوا فيها فاستوت عليهم، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [آية: ٤٢]، يعنى الجوارح حين شهدت عليهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾، لما نزلت هذه الآية قال النبى ﷺ: «قد قدم الله عز وجل تحريم الخمر إلينا»، وذلك أن عبد الرحمن بن عوف الزهرى صنع طعامًا، فدعا أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وسعد بن أبى وقاص، رحمهم الله جميعًا، فأكلوا وسقاهم خمرًا، فحضرت صلاة المغرب، فأمهم على بن أبى طالب، رضى الله عنه، فقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، فقال فى قراءته: نحن عابدون ما عبدتم، فأنزل الله عز وجل فى على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وأصحابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ فى صلاتكم، فتركوا شربها إلا من بعد صلاة الفجر إلى الضحى الأكبر،

فيصلون الأولى وهم أصحياء.

ثم إن رجلاً من الأنصار يسمى عتبان بن مالك دعا سعد بن أبى وقاص إلى رأس بعير مشوى، فأكلا ثم شربا فسكرا، فغضب الأنصارى، فرفع لحى البعير فكسر أنف سعد، فأنزل الله عز وجل تحريم الخمر فى المائدة بعد غزوة الأحزاب، ثم قال سبحانه: ﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ﴾ ، ثم استثنى المسافر الذى لا يجد الماء، فقال سبحانه: ﴿ إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ ﴾ ، ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ ، نزلت فى عبد الرحمن بن عوف، أصابته جنابة وهو جريح، فشق عليه الغسل، وخاف منه شرًا، أو يكون به قرح أو جدرى، فهو بهذه المنزلة، فذاك قوله سبحانه: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ ﴾ ، يعنى به جرحًا فوجدتم الماء، فعليكم التيمم.

وإن كنتم على سفر وأنتم أصحاء، نزلت فى عائشة أم المؤمنين، رضى الله عنها، ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾ ، يعنى الخلاء، ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ ، يعنى جامعتم، ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ ﴾ ، يقول: الصحيح الذى لا يجد الماء، والمريض الذى يجد الماء يتيمموا ﴿ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ ، يعنى حلالاً طيبًا، ﴿ فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ إلى الكرسوع، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا ﴾ عنكم ﴿ غَفُورًا ﴾ [آية: ٤٣] لما كان منكم قبل النهى عن السكر والصلاة والتيمم بغير وضوء، وقد نزلت آية التيمم فى أمر عائشة، رضى الله عنها، بين الصلاتين.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا ﴾ ، يعن حظًا، ألم تر إلى فعل الذين أعطوا نصيبًا، يعنى حظًا ﴿ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ، يعنى التوراة، ﴿ يَشْتَرُونَ ﴾ ، يعنى يختارون، وهم اليهود، منهم إصبغ ورافع ابنا حريملة، وهما من أحبار اليهود ﴿ يَشْتَرُونَ ﴾ ﴿ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾ ، يعنى باعوا إيمانًا بمحمد ﷺ قبل أن يبعث، بتكذيب بمحمد ﷺ بعد بعثته، ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [آية: ٤٤]، يعنى أن تخطئوا قصد طريق الهدى كما أخطأوا الهدى، نزلت فى عبد الله بن أبى، ومالك بن دخشم، حين دعوهما إلى دين اليهودية وعيروهما بالإسلام وزهدوهما فيه، وفيهما نزلت: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ﴾ ، يعنى بعداوتهم إياكم، يعنى

اليهود، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾، فلا ولى أفضل من الله عز وجل، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [آية: ٤٥]، فلا ناصر أفضل من الله جل ذكره.

وفيهما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ...﴾ [آل عمران: ١١٨]، نزلت فى عبد الله بن أبى، ومالك بن دخشم، وفى بنى حريملة.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾، يعنى اليهود، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، يعنى بالتحريف نعت محمد ﷺ، عن مواضعه، عن بيانه فى التوراة، ليًا بألسنتهم، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنبى ﷺ ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك، فلا نطيعك، ﴿وَٱسْمَعْ﴾ منا يا محمد نحدثك ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ منك قولك يا محمد، غير مقبول ما تقزل، ﴿وَرَٰعِنَا﴾، يعنى ارعنا سمعك، ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾، يعنى دين الإسلام، يقولون: إن دين محمد ليس بشىء، ولكن الذى نحن عليه هو الدين.

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمرك ﴿وَٱسْمَعْ﴾ منا ﴿وَٱنظُرْنَا﴾ حتى نحدثك يا محمد، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ من التحريف والطعن فى الدين ومن راعنا، ﴿وَأَقْوَمَ﴾، يعنى وأصوب من قولهم الذى قالوا، ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ٤٦]، والقليل الذى آمنوا به، إذ يعلمون أن الله ربهم، وهو خالقهم ورازقهم، ويكفرون بمحمد ﷺ وبما جاء به، نزلت فى رفاعة بن زيد بن السائب، ومالك بن الضيف، وكعب بن أسيد، كلهم يهود، مثلها فى آخر السورة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾

ثم خوفهم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى كعب بن الأشرف، يعنى الذين أعطوا التوراة، ﴿ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا﴾، يعنى بما أنزل الله من القرآن على محمد، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾، يقول: تصديق محمد معكم فى التوراة أنه نبى رسول، ﴿مِّن

﴿قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾، يقول: نحول الملة عن الهدى والبصيرة التى كانوا عليها من إيمان بمحمد ﷺ قبل أن يبعث، ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ بعد الهدى الذى كانوا عليه كفارًا ضلالاً، ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾، يعنى نعذبهم ﴿كَمَا لَعَنَّآ﴾، يعنى كما عذبنا ﴿أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾، يقول: فنمسخهم قردة كما فعلنا بأوائلهم، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [آية: ٤٧]، يقول: أمره كائن لابد، هذا وعيد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾، فيموت عليه، يعنى اليهود، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الشرك ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ لمن مات موحدًا، فمشيئته تبارك وتعالى لأهل التوحيد. قال: حدثنا عبيد الله بن ثابت، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن مقاتل بن سليمان، عن رجل، عن مجاهد، أن الاستثناء لأهل التوحيد، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ معه غيره، ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [آية: ٤٨]، يقول: فقد قال ذنبًا عظيمًا.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾، يعنى ألم تنظر ﴿إِلَى﴾، يعنى فعل ﴿ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾، يعنى اليهود، منهم بحرى بن عمرو، ومرحب بن زيد، دخلوا بأولادهم إلى النبى ﷺ، فقالوا: أهل لهؤلاء ذنوب؟ فقال النبى ﷺ: «لا»، فقالوا: والذى تحلف به ما نحن إلا كهيئتهم، نحن أبناء الله وأحباؤه، وما من ذنب نعمله بالنهار إلا غفر لنا بالليل، وما من ذنب نعمله بالليل إلا غفر لنا بالنهار، فزكوا أنفسهم، يقول الله عز وجل: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾، يعنى يصلح من يشاء من عباده، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾، يعنى ولا ينقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلًا﴾ [آية: ٤٩]، يعنى الأبيض الذى يكون فى شق النواة من الفتيل.

يقول الله عز وجل: يا محمد، ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾، لقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾، يعنى بما قالوا، ﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [آية: ٥٠]، يعنى بينًا، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وذلك أن كعب بن الأشرف

اليهودى، وكان عربيًا من طيئ، وحيى بن أخطب، انطلقا فى ثلاثين من اليهود إلى مكة بعد قتال أُحُد، فقال أبو سفيان بن حرب: إن أحب الناس إلينا من يعيننا على قتال هذا الرجل، حتى نفنى أو يفنوا، فنزل كعب على أبى سفيان، فأحسن مثواه، ونزلت اليهود فى دور قريش، فقال كعب لأبى سفيان: ليجيء منكم ثلاثون رجلاً، ومنا ثلاثون رجلاً، فنلصق أكبادنا بالكعبة، فنعاهد رب هذا البيت، لنجتهدن على قتال محمد، ففعلوا ذلك.

قال أبو سفيان لكعب بن الأشرف: أنت امرؤ من أهل الكتاب تقرأ الكتاب، فنحن أهدى أم ما عليه محمد؟ فقال: إلى ما يدعوكم محمد؟ قال: إلى أن نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، قال: فأخبرونى ما أمركم؟ وهو يعلم ما أمرهم، قالوا: ننحر الكوماء، ونقرى الضيف، ونفك العانى، يعنى الأسير، ونسقى الحجيج الماء، ونعمر بيت ربنا، ونصل أرحامنا، ونعبد إلهنا ونحن أهل الحرم، فقال كعب: أنت والله أهدى مما عليه محمد، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾، يقول: أعطوا حظًا من التوراة، ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ﴾، يعنى حيى بن أخطب القرظى، ﴿وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾، وكعب بن الأشرف، ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [آية: ٥١]، يعنى طريقًا.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

يقول الله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾، يعنى كعبًا وأصحابه، ﴿وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [آية: ٥٢]، فلما رجع كعب إلى المدينة، بعث النبى ﷺ إلى نفر من أصحابه بقتله، فقتله محمد بن مسلمة الأنصارى، من بنى حارثة بن الحارث تلك الليلة، فلما أصبح النبى ﷺ سار فى المسلمين، فحاصر أهل النضير حتى أجلاهم من المدينة إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام، ﴿أَمْ لَهُمْ﴾، تقول: ألهم، والميم هاهنا صلة، فلو كان لهم، يعنى اليهود، ﴿نَصِيبٌ﴾، يعنى حظًا ﴿مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [آية: ٥٣]، يعنى لا يعطون الناس من بخلهم وحسدهم وقلة خيرهم، نقيرًا يعنى بالنقير النقرة التى فى ظهر النواة التى ينبت منها النخلة.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾، يعنى النبى ﷺ وحده، ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَـٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾، يعنى ما أعطاهم من فضله، وذلك أن اليهود قالوا: انظروا إلى هذا الذى لا يشبع من الطعام، ما له هم إلا النساء، يعنون النبى ﷺ، فحسدوه على النبوة وعلى كثرة النساء، ولو كان نبيًا ما رغب فى النساء، يقول الله عز وجل: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ الْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ﴾، يعنى النبوة، ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [آية: ٥٤]، وكان يوسف منهم على مصر، وداود وسليمان منهم، وكان لداود تسعة وتسعون امرأة، وكان لسليمان ثلاثمائة امرأة حرة، وسبعمائة سرية، فكيف تذكرون محمدًا فى تسع نسوة، ولا تذكرون داود وسليمان، عليهما السلام، فكان هؤلاء أكثر نساء، وأكثر ملكًا من محمد ﷺ.

ومحمد أيضًا من آل إبراهيم، وكان إبراهيم، ولوطًا، وإسحاق، وإسماعيل، ويعقوب، عليهم السلام، يعملون بما فى صحف إبراهيم، ﴿فَمِنْهُم﴾، يعنى من آل إبراهيم ﴿مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾، يقول: صدق بالكتاب الذى جاء به، ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾، يعنى أعرض عن الإيمان بالكتاب و لم يصدق به، ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [آية: ٥٥]، يقول: وكفى بوقودها وعذابها وقودًا لمن كفر بكتاب إبراهيم، فلا وقود أحر من جهنم لأهل الكفر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

ثم أخبر بمستقر الكفار، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، يعنى اليهود، ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾، يعنى القرآن، ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾، يعنى احترقت ﴿جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، جددنا لهم جلودًا غيرها، وذلك أن النار إذا أكلت جلودهم بدلت كل يوم سبع مرات على مقدار كل يوم من أيام الدنيا، ﴿لِيَذُوقُوا۟ الْعَذَابَ﴾ عذاب النار جديدًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ فى نقمته، ﴿حَكِيمًا﴾ [آية: ٥٦]، حكم لهم النار.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

ثم أخبر بمستقر المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ﴾، يعنى البساتين، ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾، لا يموتون، ﴿لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ﴾، يعنى النساء، ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾، يعنى المطهرات من الحيض والغائط والبول

والقذر كله، ﴿وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا﴾، يعنى أكنان القصور، ﴿ظَلِيلًا﴾ [آية: ٥٧]، يعنى لا خلل فيها.

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾﴾

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾، نزلت فى عثمان بن طلحة بن عبد الله القرشى، صاحب الكعبة فى أمر مفاتيح الكعبة، وذلك أن العباس بن عبد المطلب، رضى الله عنه، قال للنبى ﷺ: اجعل فينا السقاية والحجابة لنسود بها الناس، وقد كان أخذ المفتاح من عثمان حين افتتح مكة، فقال عثمان بن طلحة للنبى ﷺ: إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فادفع إلىّ المفتاح، فدفع النبى ﷺ المفتاح، ثم أخذه ثلاث مرات، ثم إن النبى ﷺ طاف بالبيت، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾، فقال النبى ﷺ لعثمان: «خذه بأمانة الله»، حين دفع إليه المفتاح، فقال العباس، رضى الله عنه، للنبى ﷺ: جعلت السقاية فينا والحجابة لغيرنا، فقال النبى ﷺ: «أما ترضون أنى جعلت لكم ما تدرون، ونحيت عنكم ما لا تدرون، ولكم أجر ذلك؟»، قال العباس: بلى، قال: «بشرفهم بذلك، أى تفضلون على الناس، ولا يفضل الناس عليكم».

ثم قال عز وجل: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [آية: ٥٨]، فلا أحد أسمع منه، ﴿بَصِيرٗا﴾، فلا أحد أبصر منه، فكان من العدل أن دفع السقاية إلى العباس بن عبد المطلب، والحجابة إلى عثمان بن طلحة؛ لأنهما كانا أهلها فى الجاهلية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾، وذلك أن النبى ﷺ بعث خالد بن الوليد على سرية فيهم عمار بن ياسر، فساروا حتى دنوا من الماء، فعرسوا قريبًا، وبلغ العدو أمرهم فهربوا، وبقى منهم رجل، فجمع متاعه، وجاء ليلاً فلقى عمارًا، فقال: يا أبا اليقظان، إن القوم سمعوا بكم، فهربوا و لم يبق غيرى، وقد

أسلمت، وشهدت ألا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فهل الإسلام نافعى؟ فقال عمار: ينفعك، فأقم، فلما أصبح خالد غار بخيله، فلم يجد إلا هذا الرجل وماله، فقال عمار: خل عن هذا الرجل وماله، فقد أسلم وهو فى أمانى، قال خالد: فبم أنت تجير دونى وأنا أمير عليك، فاستبا، فلما رجعا إلى المدينة أجاز النبى ﷺ أمان عمار، ونهاه أن يجير الثانية على أمير، فقال خالد: يا نبى الله، يسبنى هذا العبد الأجدع، وشتم خالد عمارًا.

فقال النبى ﷺ لخالد: «لا تسب عمارًا، فمن سب عمارًا سب الله، ومن أبغض عمارًا أبغضه الله، ومن لعن عمارًا لعنه الله»، فغضب عمار، فقام فذهب، فقال النبى ﷺ لخالد: «قم فاعتذر إليه»، فأتاه خالد فأخذ بثوبه، فاعتذر إليه، فأعرض عنه، فأنزل الله عز وجل فى عمار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، يعنى خالد بن الوليد؛ لأن النبى ﷺ كان ولاه أمرهم، فأمر الله عز وجل بطاعة أمراء سرايا رسول الله ﷺ.

﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ﴾ من الحلال والحرام، يعنى خالدًا وعمارًا، ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾، يعنى إلى القرآن، ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾، يعنى سُنة النبى ﷺ، نظيرها فى النور، ثم قال: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، يعنى تصدقون بالله بأنه واحد لا شريك له، ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، يعنى باليوم الذى فيه جزاء الأعمال، فليفعل ما أمر الله، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الرد إليهما ﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [آية: ٥٩]، يعنى وأحسن عاقبة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾، يعنى صدقوا ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن ﴿وَ﴾ صدقوا بـ ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الكتب على الأنبياء، وذلك أن بشر المنافق خاصم يهوديًا، فدعاه اليهودى إلى النبى ﷺ، ودعاه المنافق إلى كعب، ثم إنهما اختصما إلى النبى ﷺ، فقضى لليهودى على المنافق، فقال المنافق لليهودى: انطلق أخاصمك إلى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فقال اليهودى لعمر، رضى الله عنه: إنى خاصمته إلى محمد ﷺ، فقضى لى، فلم يرض بقضائه، فزعم أنه مخاصمنى إليك، فقال عمر، رضى الله عنه، للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، أحببت أن أفترق عن حكمك، فقال عمر، رضى الله عنه: مكانك حتى أخرج إليكما، فدخل عمر، رضى الله عنه، فأخذ السيف، واشتمل عليه، ثم خرج إلى المنافق فضربه حتى برد، فقال عمر، رضى الله عنه: هكذا أقضى على من لم يرض بقضاء الله عز وجل وقضاء رسوله ﷺ.

وأتى جبريل، عليه السلام، إلى النبى ﷺ، فقال: يا محمد، قد قتل عمر الرجل، وفرق الله بين الحق والباطل، فسمى عمر، رضى الله عنه، الفاروق، فأنزل الله عز وجل فى بشر المنافق: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾، يعنى كعب بن الأشرف، وكان يتكهن، ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا أَن يَكْفُرُوا بِهِۦ﴾، يعنى أن يتبرأوا من الكهنة، ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ﴾ عند الهدى ﴿ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [آية: ٦٠]، يعنى طويلاً.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾ فى كتابه، ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾، يعنى بشرًا، ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [آية: ٦١]، يعنى يعرضون عنك يا محمد إعراضًا إلى غيرك، مخافة أن تحيف عليهم، ﴿فَكَيْفَ﴾ بهم، يعنى المنافقين، ﴿إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ فى أنفسهم بالقتل، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المعاصى فى التقديم، ثم انقطع الكلام، ثم ذكر الكلام، فقال عز ذكره: ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ نظيرها فى سورة براءة، ﴿إِنْ أَرَدْنَآ﴾ ببناء مسجد القرار، ﴿إِلَّآ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [آية: ٦٢]، يعنى إلا الخير والصواب، وفيهم نزلت: ﴿وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى﴾، يعنى إلا الخير، ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧] فى قولهم الذى حلفوا به.

﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلسانك، ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [آية: ٦٣]، نسختها آية السيف، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾، يعنى إلا لكى يطاع، ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، يقول: لا يطيعه أحد حتى يأذن الله عز وجل له فى طاعة رسوله ﷺ، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ بالذنوب، يعنى حين لم يرضوا بقضائك جاءوك، ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ من ذنوبهم، ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [آية: ٦٤].

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّأٓتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وذلك أن الزبير بن العوام، رضى الله عنه، وهو من بنى أسد بن عبد العزى، وحاطب بن أبى بلتعة العنسى من مذحج، وهو حليف لبنى أسد بن عبد العزى، اختصما إلى النبى ﷺ فى الماء، وكانت أرض الزبير فوق أرض حاطب، وجاء السيل، فقال النبى ﷺ للزبير: «اسق، ثم أرسل الماء إلى جارك»، فغضب حاطب وقال للنبى ﷺ: أما إنه ابن عمتك، فتغير وجه النبى ﷺ، ومر حاطب على المقداد بن الأسود الكندى، فقال: يا أبا لتعة، لمن كان القضاء، فقال: قضى لابن عمته، ولوى شدقه، فأنزل الله عز وجل، فأقسم: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، يعنى اختلفوا بينهم، يقول: لا يستحقون الإيمان حتى يرضوا بحكمك فيما اختلفوا فيه من شىء، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾، يقول: لا يجدون فى قلوبهم شكًا مما قضيت أنه الحق، ﴿وَيُسَلِّمُواْ﴾ لقضائك لهم وعليهم ﴿تَسْلِيمًا﴾ [آية: ٦٥].

فقالت اليهود: قاتل الله هؤلاء، ما أسفههم، يشهدون أن محمدًا رسول الله ويبذلون له دماءهم وأموالهم، ووطئوا عقبه، ثم يتهمونه فى القضاء، فوالله لقد أمرنا موسى، عليه السلام، فى ذنب واحد، أتيناه فقتل بعضنا بعضًا، فبلغت القتلى سبعين ألفًا حتى رضى الله عنا، وما كان يفعل ذلك غيرنا، فقال عند ذلك ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى:

فوالله، إن الله عز وجل ليعلم أنه لو أمرنا أن نقتل أنفسنا لقتلناها، فأنزل الله عز وجل فى قول ثابت: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا﴾، يقول: لو أنا فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾، فكان من ذلك القليل عمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وثابت بن قيس، فقال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه: والله لو فعل ربنا لفعلنا، فالحمد لله الذى لم يفعل بنا ذلك، فقال النبى ﷺ: «والذى نفسى بيده، للإيمان أثبت فى قلوب المؤمنين من الجبال الرواسى».

ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من القرآن، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ فى دينهم، ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [آية: ٦٦]، يعنى تصديقًا فى أمر الله عز وجل، ﴿وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ﴾، يعنى من عندنا، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [آية: ٦٧]، يعنى الجنة، ﴿وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [آية: ٦٨]، فلما نزلت: ﴿إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾، قال النبى ﷺ: «لعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وثابت بن الشماس من أولئك القليل».

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾، نزلت فى رجل من الأنصار يسمى: عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصارى، قال للنبى ﷺ، وهو الذى رأى الأذان فى المنام مع عمر بن الخطاب، رضى الله عنهما: إذا خرجنا من عندك إلى أهالينا اشتقنا إليك، فلم ينفعنا شىء حتى نرجع إليك، فذكرت درجاتك فى الجنة، فكيف لنا برؤيتك إن دخلنا الجنة؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بالنبوة، ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ بالتصديق، وهم أول من صدق بالأنبياء، عليهم السلام، حين عاينوهم، ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾، يعنى القتلى فى سبيل الله بالشهادة، ﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾، يعنى المؤمنين أهل الجنة، ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [آية: ٦٩]، ﴿ذَٰلِكَ﴾، يعنى هذا الثواب هو ﴿ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [آية: ٧٠]، فلما توفى النبى ﷺ أتاه ابنه وهو فى حديقة له، فأخبره بموت النبى ﷺ، فقال عند ذلك: اللهم اعمنى، فلا أرى شيئًا بعد حبيبى أبدًا، فعمى مكانه، وكان يحب النبى ﷺ حبًا شديدًا، فجعله الله عز وجل مع النبى ﷺ فى الجنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾، يعنى عدتكم من السلاح، ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾، عصبًا سرايا جماعة إلى عدوكم، ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ﴾ إليهم ﴿جَمِيعٗا﴾ [آية: ٧١] مع النبى ﷺ، إذا نفر، ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾، يعنى ليتخلفن النفر، نزلت فى عبد الله بن أبى بن ملك بن أبى عوف بن الخزرج رأس المنافقين، ﴿فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ﴾، يعنى بلاء من العدو أو شدة من العيش، ﴿قَالَ﴾ المنافق، ﴿قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا﴾ [آية: ٧٢]، يعنى شاهدًا فيصيبنى من البلاء ما أصابهم.

﴿وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ﴾، يعنى رزق، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ عز وجل، يعنى الغنيمة، ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ ندامة فى التخلف، ﴿كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ﴾ فى الدين والولاية، ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ [آية: ٧٣]، فألحق من الغنيمة نصيبًا وافرًا، ﴿۞ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ﴾، فيقتل فى سبيله أو يغلب عدوه، ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [آية: ٧٤] فى الجنة، لقولهم للنبى ﷺ: إن نقاتل فنقتل ولا نقتل؟ فنزلت هذه الآية، فأشركهم جميعًا فى الأجر، ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وتقاتلون عن، ﴿وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾، يعنى المقهورين ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ المقهورين بمكة حتى يتسع الأمر، ويأتى إلى الإسلام من أراد منهم.

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾، يعنى مكة، ﴿ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾، يعنى من عندك وليًا، ﴿وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [آية: ٧٥] على أهل مكة والمستضعفين من الرجال، يعنى المؤمنين، قال

ابن عباس، رحمه الله: كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾

ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾، يعنى طاعة الله، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾، يعنى فى طاعة الشيطان، ثم حرض الله عز وجل المؤمنين، فقال: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾، يعنى المشركين بمكة، ﴿إِنَّ كَيۡدَ﴾، يعنى إن مكر ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [آية: ٧٦]، يعنى واهنًا، كقوله سبحانه: ﴿مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨]، يعنى مضعف كيد الكافرين، فسار النبى ﷺ إلى مكة ففتحها، وجعل الله عز وجل للمستضعفين مخرجًا.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ عن القتال، نزلت فى عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، رضى الله عنهما، وهما من بنى زهرة، وقدامة بن مظعون الجمحى، والمقداد بن الأسود الكندى، رضى الله عنهم، وذلك أنهم استأذنوا فى قتال كفار مكة سرًا، مما كانوا يلقون منهم من الأذى، فقال النبى ﷺ: «مهلاً، كفوا أيديكم عن قتالهم، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، فإنى لم أومر بقتالهم»، فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة، أمر الله عز وجل بالقتال، فكره بعضهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ﴾، يعنى فرض القتال بالمدينة، ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ﴾، نزلت فى طلحة بن عبيد الله، رضى الله عنه، ﴿يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾، فلا يقاتلونهم، ﴿أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ﴾، وهو الذى قال: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ﴾، يعنى لم فرضت علينا القتال، ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ﴾ هلا تركتنا حتى نموت موتًا وعافيتنا من القتل، ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾، تتمتعون فيها يسيرًا، ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ﴾ من الدنيا، يعنى الجنة أفضل من الدنيا، ﴿لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ من أعمالكم الحسنة ﴿فَتِيلًا﴾ [آية: ٧٧]، يعنى الأبيض الذى يكون فى وسط النواة حتى يجازوا بها.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾

ثم أخبر عن كراهيتهم للقتال ذاكرًا لهم أن الموت فى أعناقكم، فقال سبحانه: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا﴾ من الأرض ﴿يُدْرِككُّمُ﴾، يعنى يأتيكم ﴿الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾، يعنى القصور الطوال المشيدة إلى السماء فى الحصانة حين لا يخلص إليه ابن آدم يخلص إليه الموت حين يفر منه، وقال عبد الله بن أبى، لما قتلت الأنصار يوم أُحُد، قال: لو أطاعونا ما قتلوا، فنزلت: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾، يعنى القصور.

ثم أخبر سبحانه عن المنافقين عبد الله بن أبى وأصحابه، فقال: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ ببدر، يعنى نعمة، وهى الفتح والغنيمة، يقول: هذه الحسنة من عند الله، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾، يعنى بلية، وهى القتل والهزيمة يوم أُحُد، ﴿يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ يا محمد، أنت حملتنا على هذا، وفى سببك كان هذا، فقال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ كُلٌّ﴾، يعنى الرخاء والشدة ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾، يعنى المنافقين ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [آية: ٧٨]، أن الشدة والرخاء والسيئة والحسنة من الله، ألا يسمعون ما يحذرهم ربهم فى القرآن؟ يعنى عبد الله بن أبى.

﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾

فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾، يعنى الفتح والغنيمة يوم بدر، ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ كان، ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾، يعنى البلاء من العدو، والشدة من العيش يوم أُحُد، ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾، يعنى فبذنبك، يعنى ترك المركز، وفى مصحف عبد الله بن مسعود، وأبى بن كعب: «فبذنبك، وأنا كتبتها عليك»، ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [آية: ٧٩]، يعنى فلا شاهد أفضل من الله بأنك رسوله.

﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾، وذلك أن النبى ﷺ قال فى المدينة: «من أحبنى فقد أحب الله، ومن أطاعنى فقد أطاع الله»، فقال المنافقون: ألا تسمعون إلى هذا الرجل وما يقول؟ لقد قارب الشرك، وهو ينهى ألا يعبد إلا الله، فما حمله على الذى قال إلا أن نتخذه حنانًا، يعنون ربًا، كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم حنانًا، فأنزل الله عز وجل تصديقًا لقول نبيه ﷺ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ عرض عن طاعتهما، ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ [آية: ٨٠]، يعنى رقيبًا.

ثم أخبر عن المنافقين، فقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾ للنبى ﷺ حين أمرهم بالجهاد، وذلك أنهم دخلوا على النبى ﷺ، فقالوا: مرنا بما شئت، فأمرك طاعة، فإذا خرجوا من عنده خالفوا، وقالوا غير الذى قال لهم النبى ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾ للنبى ﷺ، ﴿فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ﴾، يعنى خرجوا من عندك يا محمد، ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٞ﴾، يقول: ألفت طائفة، ﴿مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ﴾، يعنى الحفظة، فيكتبون ما يقولون من الكذب، ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾، يعنى الجلاس بن سويد، وعمرو بن زيد، فلا تعاتبهم، ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾، يعنى وثق بالله عز وجل، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [آية: ٨١]، يعنى وكفى به منيعًا، فلا أحد أمنع من الله عز وجل، ويقال: وكيلا، يعنى شهيدًا لما يكتمون.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾﴾

ثم وعظهم، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾، يعنى أفلا يسمعون ﴿ٱلۡقُرۡءَانَۚ﴾ فيعلمون أنه، ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [آية: ٨٢]، يعنى كذبًا كبيرًا؛ لأن الاختلاف فى قول الناس، وقول الله عز وجل لا اختلاف فيه، ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ﴾، يعنى المنافقين، ﴿أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ﴾، يعنى شيئًا من الأمر يسر المؤمنين من الفتح والخير، قصروا عما جاءهم من الخير.

ثم قال سبحانه: ﴿أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾، يعنى فإن جاءهم بلاء أو شدة نزلت بالمؤمنين، ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾، يعنى أفشوه، فإذا سمع ذلك المسلمون كاد أن يدخلهم الشك، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ حتى يخبر الرسول ﷺ بما كان من الأمر أو ردوه، ﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾، يقول: أمراء السرايا، فيكونون هم الذين يخبرون ويكتبون به، ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾، يعنى الذين يتبينونه منهم، يعنى الخير على وجهه، ويحبوا أن يعلموا ذلك فيعلمونه، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾، يعنى ونعمته فعصمكم من قول المنافقين، ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ٨٣]، نزلت فى أناس كانوا يحدثون أنفسهم بالشرك.

ثم قال عز وجل: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فأمره أن يقاتل بنفسه، ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾، يعنى ليس عليك ذنب غيرك، ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، يعنى وحرض على القتال، يعنى على قتال العدو، ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ﴾، يعنى قتال ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾، يعنى أخذًا، ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [آية: ٨٤]، يعنى نكالاً، يعنى عقوبة من الكفار، ولو لم يطع النبى ﷺ أحدًا من الكفار، لكفاه الله عز وجل.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾ لأخيه المسلم بخير، ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾، يعنى حظًا من الأجر من أجل شفاعته، ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾، وهو الرجل يذكر أخاه بسوء عند رجل فيصيبه عنت منه، فيأثم المبلغ، فذلك قوله سبحانه: ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾، يعنى إثمًا من شفاعته، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [آية: ٨٥] من الحيوان، عليه قوت كل دابة لمدة رزقها.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾، نزلت فى نفر بخلوا بالسلام، فحيوا بأحسن منها، ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾، يقول: فردوا عليه أحسن مما قال، قال: فيقول: وعليك

ورحمة الله وبركاته، أو يرد عليه مثل ما سلم عليه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ من أمر التحية، إن رددت عليها أحسنْ منها أو مثلها، ﴿حَسِيبًا﴾ [آية: ٨٦]، يعنى شهيدًا، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، نزلت فى قوم شكوا فى البعث، فأقسم الله عز وجل بنفسه ليبعثهم إلى يوم القيامة، ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِۗ﴾، يعنى لا شك فى البعث، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [آية: ٨٧]، يقول: فلا أحد أصدق من الله حديثًا إذا حدث، يعنى فى أمر البعث.

﴿۞ فَمَا لَكُمۡ﴾ صرتم ﴿فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ نزلت فى تسعة نفر، منهم: مخرمة بن زيد القرشى، هاجروا من مكة إلى المدينة، فقدموا وأرادوا الرجعة، فقال بعضهم: نخرج كهيئة البداة، فإذا غفل عنا مضينا إلى مكة، فجعلوا يتحولون منقلة منقلة، حتى تباعدوا من المدينة، ثم إنهم أدلجوا حتى أصبحوا قد قطعوا أرضًا بعيدة، فلحقوا بمكة، فكتبوا إلى النبى ﷺ: إنَّا على ما فرقناك عليه، ولكنا اشتقنا إلى بلادنا وإخوتنا بمكة، ثم إنهم خرجوا تجارًا إلى الشام، واستبضعهم أهل مكة بضائعهم، فقالوا لهم: أنتم على دين محمد ﷺ وأصحابه، فلا بأس عليكم، فساروا وبلغ المسلمين أمرهم، فقال بعضهم لبعض: اخرجوا إلى هؤلاء فنقاتلهم، ونأخذ ما معهم، فإنهم تركوا دار الهجرة وظاهروا عدونا.

وقال آخرون: ما حلت دماؤهم ولا أموالهم ولكنهم فتنوا، ولعلهم يرجعوا للتوبة، والنبى ﷺ ساكت، فأنزل الله عز وجل يخبر عن التسعة رهط ويعظ المؤمنين ليكون أمرهم جميعًا عليهم، فقال الله عز وجل: ﴿۞ فَمَا لَكُمۡ﴾ صرتم ﴿فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ ﴿فِئَتَيۡنِ﴾ تختصمون، ﴿وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم﴾، يعنى أضلهم فردهم إلى الكفر، ﴿بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن الهدى، ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ [آية: ٨٨].

﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ

﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا (٩١)﴾

ثم أخبر عن التسعة، فقال سبحانه: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ أنتم وهم على الكفر، ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعنى حتى يهاجروا إلى دار الهجرة بالمدينة، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾، فإن أبوا الهجرة، ﴿فَخُذُوهُمْ﴾، يعنى فأسروهم، ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ﴾، يعنى أين ﴿وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ من الأرض فى الحل والحرم، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [آية: ٨٩]، يعنى ولا ناصرًا.

ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾، يعنى التسعة المرتدين، ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾، يعنى عهد خزاعة وبنى خزيمة، وفيهم نزلت: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٤]، إن وصل هؤلاء التسعة إلى أهل عهدكم وهم خزاعة، منهم: هلال بن عويمر الأسلمى، وسراقة بن مالك بن جشم، وبنو مدلج، وبنو جذيمة، وهما حيان من كنانة، فلا تقتلوا التسعة؛ لأن النبى ﷺ صالح هؤلاء على أن من يأتيهم من المسلمين فهو آمن، يقول: إن وصل هؤلاء وغيرهم إلى أهل عهدكم، فإن لهم مثل الذى لحلفائهم.

ثم قال عز وجل: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ﴾، يعنى بنى جذيمة، ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾، يعنى ضيقة قلوبهم، ﴿أَن يُقَاتِلُوكُمْ﴾، يعنى ضاقت قلوبهم أن يقاتلوكم، ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ من التسعة، ثم قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾، يخوف المؤمنين، ثم قال: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾، يعنى الصلح، يعنى هلالاً وقومه خزاعة، ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [آية: ٩٠] فى قتالهم.

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾ منهم أسد غطفان، أتوا النبى ﷺ، فقال لهم النبى ﷺ: «أجئتم مهاجرين؟»، قالوا: بل جئنا مسلمين، فإذا رجعوا إلى قومهم، قالوا: آمنا بالعقرب والخنفساء إذ تعود، فقال: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾، يعنى يأمنوا فيكم معشر المؤمنين بأنهم مقرون بالتوحيد، ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ المشركين؛ لأنهم على دينهم، ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾، يعنى كلما دعوا إلى الشرك، ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾، يقول: عادوا فى الشرك، ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ فى القتال، ﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾، يعنى الصلح، ﴿وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾ عن قتالكم، ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ﴾، يعنى أأسروهم

واقتلوهم، ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾، يعنى أدركتموهم من الأرض فى الحل والحرم، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [آية: ٩١]، يعنى حجة بينة.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾

ثم صارت منسوخة، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾، يعنى عياش بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى، يقول: ما كان ينبغى لمؤمن ﴿أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾، يعنى الحارث بن يزيد بن أبى أنيسة من بنى عامر بن لؤى، ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾، وذلك أن الحارث أسلم فى موادعة أهل مكة، فقتله عياش خطأ، وكان عياش قد حلف على الحارث بن يزيد ليقتلنه، وكان الحارث يومئذ مشرك، فأسلم الحارث ولم يعلم به عياش فقتله بالمدينة، ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾، أى التى قد صلت لله ووحدت الله، ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾، أى المقتول، ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾، يقول: إلا أن يصدق أولياء المقتول بالدية على القاتل، فهو خير لهم، ﴿فَإِن كَانَ﴾ هذا المقتول ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ﴾ من أهل الحرب، ﴿وَهُوَ﴾، يعنى المقتول ﴿مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ نزلت فى مرداس بن عمر القيسى، ولا دية له، ﴿وَإِن كَانَ﴾ هذا المقتول وكان ورثته ﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾، يعنى عهد ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾، أى إلى أهل المقتول، يعنى إلى ورثته بمكة، وكان بين النبى ﷺ وبين أهل مكة يومئذ عهد، ﴿وَ﴾ عليه ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الدية ﴿فَـ﴾ عليه ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾، تلك الكفارة تجاوز من الله فى قتل الخطأ لهذه الأمة؛ لأن المؤمن كان يقتل بالخطأ فى التوراة على عهد موسى، عليه السلام، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [آية: ٩٢]، حكم الكفارة والرقبة.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾، نزلت فى مقيس بن ضبابة الكنانى، ثم الليثى،

قتل رجلاً من قريش، يقال له: عمرو مكان أخيه هشام بن ضبابة، وذلك أن مقيس بن ضبابة وجد أخاه قتيلاً فى الأنصار فى بنى النجار، فانطلق إلى النبى ﷺ، فأخبره بذلك، فأرسل النبى ﷺ إلى الأنصار رجلاً من بنى فهر مع مقيس، فقال: ادفعوا إلى مقيس قاتل أخيه، إن علمتم ذلك، وإلا فادفعوا إليه ديته، فلما جاءهم الرسول، قالوا: السمع والطاعة لله ولرسوله، والله ما نعلم له قاتلاً، ولكنا نؤدى ديته، ودفعوا إلى مقيس مائة من الإبل دية أخيه، فلما انصرف مقيس عمد إلى رسول رسول الله ﷺ، فقتله وفر وارتد عن الإسلام، ورحل من المدينة، وساق معه الدية، ورجع إلى مكة كافرًا، وهو يقول فى شعره:

قتلت به فهرًا وحملت عقله ... سراة بنى النجار أرباب فارع

وأدركت ثأرى واضطجعت موسدا ... وكنت إلى الأوثان أول راجع

فنزلت فيه بعدما قتل النفس وارتد عن الإسلام، وساق معه الدية إلى مكة، نزلت فيه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا﴾، يعنى الفهرى ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ لقتله ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [آية: ٩٣] وافر الانقطاع له بقتله النفس وبأخذه الدية.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤) ﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وذلك أن النبى ﷺ بعث سرية، وبعث عليها غالب بن عبد الله الليثى أخا ثميلة بن عبد الله، فلما أصبحوا رأوا رجلاً يسمى مرداس بن عمرو بن نهيك العنسى من بنى تيم بن مرة من أهل فدك، معه غنيمة له، فلما رأى الخيل ساق غنيمته حتى أحرزها فى الجبل، وكان قد أسلم من الليل وأخبر أهله بذلك، فلما دنوا منه كبروا، فسمع التكبير، فعرفهم، فنزل إليهم، فقال: سلام عليكم، إنى مؤمن، فحمل عليه أسامة بن زيد بن حارثة الكلبى من بنى عبد ود، فقال مرداس: إنى منكم أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله.

فطعنه أسامة برمحه فقتله وسلبه وساق غنمه، فلما قدم المدينة أخبر أسامة النبى ﷺ، فلامه النبى ملامة شديدة، فقال النبى ﷺ: «قتلته وهو يقول: لا إله إلا الله؟»، قال: إنما قال ذلك أراد أن يحرز نفسه وغنمه، فقال النبى ﷺ: «أفلا شققت عن قلبه، فتنظر صدق أم لا؟»، قال: يا رسول الله، كيف يتبين لى؟ وإنما قلبه بضعة من جسده، فقال: «فلا صدقته بلسانه، ولا أنت شققت عن قلبه فيبين لك»، فقال: استغفر لى يا رسول الله، قال: «فكيف لك بلا إله إلا الله»، يقول ذلك ثلاث مرات، فاستغفر له النبى ﷺ الرابعة.

قال أسامة فى نفسه: وددت أنى لم أسلم حتى كان يومئذ، فأمره النبى ﷺ أن يعتق رقبة. قال مقاتل، رحمه الله: فعاش أسامة زمن أبى بكر، وعمر، وعثمان، رضى الله عنهم، حتى أدرك على بن أبى طالب، رضى الله عنه، فدعاه على، رحمه الله، إلى القتال، فقال أسامة: ما أحد أعز علىَّ منك، ولكن لا أقاتل مسلمًا بعد قول النبى ﷺ: «كيف لك بلا إله إلا الله؟».

فإن أتيت بسيف إذا ضربت به مسلمًا، قال السيف: هذا مسلم، وإن ضربت به كافرًا، قال لى: هذا كافر، قاتلت معك، فقال له على: اذهب حيث شئت، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى سرتم غزاة فى سبيل الله، ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ من تقتلوا، ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾، يعنى مرداس، وذلك أنه قال لهم: السلام عليكم إنى مؤمن، ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يعنى غنم مرداس، ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ فى الآخرة والجنة، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا، ﴿كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ الهجرة بمنزلة مرداس تأمنون فى قومكم بالتوحيد من أصحاب النبى ﷺ إذا لقوكم، فلا تخيفون أحدًا بأمر كان فيكم تأمنون بمثله قبل هجرتكم، ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالهجرة فهاجرتم، ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ إذا خرجتم فلا تقتلوا مسلمًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [آية: ٩٤]، فقال أسامة: والله لا أقتل رجلاً بعد هذا يقول: لا إله إلا الله.

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ عن الغزو ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾، يعني عبد الله بن جحش الأسدي، وابن أم مكتوم من أهل العذر.

قال أبو محمد: هم ثلاثة منهم عبد الله بن جحش، عقد له النبي ﷺ وعبيد الله مات نصرانيًا، وعبد الله بن جحش هو الضرير الذي نزل فيه قوله عز وجل: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾.

يقول عز وجل: لا يستوي في الفضل القاعد الذي لا عذر له، والمجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، وهي غزوة تبوك، قال عز وجل: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ من أهل العذر، ﴿دَرَجَةً﴾، يعني فضيلة على القاعدين، ﴿وَكُلًّا﴾، يعني المجاهد والقاعد المعذور، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، يعني الجنة، ثم قال سبحانه: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ الذين لا عذر لهم ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [آية: ٩٥].

﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٠)﴾

﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾، يعني فضائل من الله في الجنة سبعين درجة بين كل درجتين مسيرة سبعين سنة، ﴿وَمَغْفِرَةً﴾ لذنوبهم، ﴿وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [آية: ٩٦]، يعني أبا لبابة، وأوس بن حزام، ووداعة بن ثعلب، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة من بني عمرو بن عوف، كلهم من الأنصار، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، يعني ملك الموت وحده، ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾، وذلك أنه كان نفر أسلموا بمكة مع النبي ﷺ، منهم الوليد بن الوليد بن المغيرة، وقيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والوليد بن عقبة بن ربيعة بن عبد شمس، وعمرو بن أمية بن سفيان بن أمية بن عبد شمس، والعلاء بن أمية بن خلف الجمحي.

ثم إنهم أقاموا عن الهجرة، وخرجوا مع المشركين إلى قتال بدر، فلما رأوا قلة المؤمنين شكوا فى النبى ﷺ، وقالوا: غر هؤلاء دينهم، وكان بعضهم نافق بمكة، فلما قتل هؤلاء ببدر، ﴿قَالُوا۟﴾، أى قالت الملائكة لهم، وهو ملك الموت وحده: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾؟ يقول: فى أى شىء كنتم، ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يعنى كنا مقهورين بأرض مكة لا نطيق أن نظهر الإيمان، ﴿قَالُوٓا۟﴾، أى قالت الملائكة لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ من الضيق، يعنى أرض الله المدينة، ﴿فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾، يعنى إليها، ثم انقطع الكلام، فقال عز وجل: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [آية: ٩٧]، يعنى وبئس المصير صاروا.

ثم استثنى أهل العذر، فقال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾، فليس مأواهم جهنم، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾، يقول: ليس لهم سعة للخروج إلى المدينة، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [آية: ٩٨]، يعنى ولا يعرفون طريقًا إلى المدينة، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾، والعسى من الله واجب، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا﴾ عنهم ﴿غَفُورًا﴾ [آية: ٩٩]، فلا يعاقبهم لإقامتهم عن الهجرة فى عذر.

فقال ابن عباس، رضى الله عنه: أنا يومئذ من الولدان، وأمى من النساء، فبعث النبى ﷺ بهذه الآية إلى مسلمى مكة، فقال جندب بن حمزة الليثى، ثم الجندعى لبنيه: احملونى فإنى لست من المستضعفين، وإنى لهاد بالطريق ولو مت لنزلت فى الآية، وكان شيخًا كبيرًا، فحمله بنوه على سريره متوجهًا إلى المدينة، فمات بالتنعيم، فبلغ أصحاب النبى ﷺ موته، فقالوا: لو لحق بنا لأتم الله أجره، فأراد الله عز وجل أن يعلمهم أنه لا يخيب من التمس رضاه، فأنزل الله عز وجل: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى فى طاعة الله إلى المدينة، ﴿يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا﴾، يعنى متحولاً عن الكفر، ﴿وَسَعَةً﴾ فى الرزق ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [آية: ١٠٠].

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾، يعنى سرتم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يعنى غزوة بنى أنمار ببطن مكة، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾،

يعنى أن يقتلكم، كقوله: ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣]، يعنى أن يقتلكم الذين كفروا من أهل مكة، فيصيبوا منكم طائفة، ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [آية: ١٠١].

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾، يعنى النبى ﷺ، ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾، وليأخذوا حذرهم من عدوهم، ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ﴾، يعنى تذرون ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ﴾، يعنى فيحملون ﴿عَلَيْكُم﴾ جميعًا ﴿مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾، يعنى حملة واحدة، يعنى كرجل واحد عند غفلتكم، ثم رخص لهم فى وضع السلاح عند المطر أو المرض، فقال: ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾، يعنى لا حرج ﴿عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ من عدوكم عند وضع السلاح، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [آية: ١٠٢]، يعنى الهوان.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

وكان تقصير الصلاة بعسفان، بين مكة والمدينة، والنبى ﷺ بإزاء الذين خافوه وهم غطفان، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يعنى صلاة الخوف، ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ باللسان، ﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، إذا أقمتم فى بلادكم فأقيموا الصلاة، يعنى فأتموا الصلاة كاملة ولا تقصروا، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [آية: ١٠٣]، يعنى فريضة معلومة، كقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦]، يعنى فرض عليكم القتال.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾، يقول: ولا تعجزوا، كقوله: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٤٦]، يعنى فما عجزوا فى طلب أبى سفيان وأصحابه يوم أُحُد بعد القتل بأيام، فاشتكوا إلى النبى ﷺ الجراحات، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ﴾، يعنى تتوجعون، ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾، يعنى يتوجعون كما تتوجعون، ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب والأجر، ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾، يعنى أبا سفيان وأصحابه، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ [آية: ١٠٤] فى أمره.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾، وذلك أن يهوديًا يسمى زيد بن السمين، كان استودع طعمة بن أبيرق الأنصارى من الأوس من بنى ظفر بن الحارث درعًا من حديد، ثم إن زيدًا اليهودى طلب درعه فجحده طعمة، فقال زيد لقومه: قد ذكر لى أن الدرع عنده، فانطلقوا حتى نلتمس داره، فاجتمعوا ليلاً فأتوا داره، فلما سمع جلبة القوم أحس قلبه أن القوم إنما جاءوا من أجل الدرع، فرمى به فى دار أبى مليك، فدخل القوم داره، فلم يجدوا الدرع، فاجتمع الناس.

ثم إن طعمة اطلع فى دار أبى مليك، فقال: هذا درع فى دار أبى مليك، فلا أدرى هى لكم أم لا؟ فأخذوا الدرع، ثم إن قوم طعمة، قتادة بن النعمان وأصحابه، قالوا: انطلقوا بنا إلى النبى ﷺ فلنبرىء صاحبنا، ونقول: إنهم أتونا ليلاً ففضحونا، ولم يكن معهم رسول من قبلك ونأمرهم أن يبرءوا صاحبنا لتنقطع ألسنة الناس عنا بما قذفونا به، ونخبره أنها وجدت فى دار أبى مليك، فأتوا النبى ﷺ، فأخبروه فصدق النبى ﷺ طعمة وأبرأه من ذلك، وهو يرى أنهم قد صدقوا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ لم ننزله باطلاً عبثًا لغير شىء، ﴿لِتَحْكُمَ﴾، يعنى لكى تحكم ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾، يعنى بما علمك الله فى كتابه، كقوله سبحانه: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [سبأ: ٦]، ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [آية: ١٠٥]، يعنى طعمة.

ثم قال: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ يا محمد عن جدالك عن طعمة حين كذبت عنه، فأبرأته من السرقة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [آية: ١٠٦]، فاستغفر النبى ﷺ عند ذلك، ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾، يعنى طعمة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [آية: ١٠٧] فى دينه أثيما بربه، ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾، يعنى يستترون بالخيانة ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، يعنى طعمة، ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾، ولا يشترون بالخيانة من الله، ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾، يعنى إذ يؤلفون ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾، لقولهم: إنا نأتى النبى ﷺ فنقول له كذا وكذا، فألقوا قولهم بينهم، يعنى قتادة وأصحابه ليدفعوا عن صاحبهم ما لا يرضى الله من القول، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [آية: ١٠٨]، يعنى أحاط علمه بأعمالهم، يعنى قوم الخائن قتادة بن النعمان وأصحابه.

ثم قال يعينهم: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ قوم الخائن ﴿جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ نبيكم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ عن طعمة، ﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [آية: ١٠٩]، يعنى به قومه، يقول: أم من يكون لطعمة مانعًا فى الآخرة، ثم عرض على طعمة التوبة، فقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾، يعنى إثمًا، ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾، يعنى قذف البرىء أبا مليك، ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [آية: ١١٠].

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾، يعنى طعمة، ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا

﴿حَكِيمًا﴾ [آية: ١١١] فى أمره، ﴿وَمَن يَكْسِبْ﴾ لنفسه ﴿خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا﴾، يعنى قذف البرىء، ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾، يعنى أنه رمى به فى دار أبى مليك الأنصارى، ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا﴾، يعنى قذفه البرىء بما لم يكن، ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [آية: ١١٢]، يعنى بينًا.

ثم قال لنبيه ﷺ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ﴾، يعنى ونعمته بالقرآن حين بين لك أمر طعمة، فحولك عن تصديق الخائنين بالقرآن، ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾، يقول: لكادت طائفة من قوم الخائنين أن يستنزلوك عن الحق، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ﴾، يعنى وما يستنزلون ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ﴾، يعنى وما ينقصونك من شىء ليس ذلك بأيديهم، إنما ينقصون أنفسهم، ثم قال: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، يعنى الحلال والحرام، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ من أمر الكتاب وأمر الدين، ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [آية: ١١٣]، يعنى النبوة والكتاب.

﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾، يعنى قوم طعمة قيس بن زيد، وكنانة بن أبى الحقيق، وأبو رافع، وكلهم يهود، حين تناجوا فى أمر طعمة، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾، يعنى القرض، ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ

ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ [آية: ١١٤]، يعنى جزاء عظيمًا، فأنزل الله عز وجل فى قولهم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾، يعنى يخالف ﴿ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ﴾، يعنى غير دين ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ من الآلهة، ﴿وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [آية: ١١٥]، يعنى وبئس المصير.

فلما قدم طعمة مكة، نزل على الحجاج بن علاط السلمى، فأحسن نزله، فبلغه أن فى بيته ذهبًا، فلما كان من الليل خرج فنقب حائط البيت، وأراد أن يأخذ الذهب وفى البيت مسوك يابسة مسوك الشاء قد أصابها حر الشمس ولم تدبغ، فلما دخل البيت من النقب وطىء المسوك، فسمعوا قعقعة المسوك فى صدره عند النقب، وأحاطوا بالبيت، ونادوه: اخرج فإنا قد أحطنا بالبيت، فلما خرج إذا هم بضيفهم طعمة، فأراد أهل مكة أن يرجموه فاستحيا الحجاج لضيفه، وكانوا يكرمون الضيف فأهزوه وشتموه، فخرج من مكة، فلحق بحرة بنى سليم يعبد صنمهم، ويصنع ما يصنعون حتى مات على الشرك، فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾، يعنى يعدل به، فيموت عليه، ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾، يعنى ما دون الشرك لمن يشاء، فمشيئته لأهل التوحيد، ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ﴾ عن الهدى، ﴿ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [آية: ١١٦].

ثم إن أبا مليك عاش حتى استخلف عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فحلف بالله لعمر، رضى الله عنه، لا يولى راجعًا، فلما كان يوم القادسية انهزم المشركون إلى الفرات وجاءت أساورة كسرى، فهزموا المسلمين إلى قريب من الجيش، فثبت أبو مليك حتى قتل، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فقال أبو مليك: صدق الله وعده: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾، يعنى أوثانًا، يعنى أمواتًا اللات والعزى، وهى الأوثان لا تحرك ولا تضر ولا تنفع، فهى ميتة، ﴿وَإِن يَدۡعُونَ﴾، يعنى وما يعبدون من دونه، ﴿إِلَّا شَيۡطَٰنًا﴾، يعنى إبليس، زين لهم إبليس طاعته فى عبادة الأوثان ﴿مَّرِيدًا﴾ [آية: ١١٧]، يعنى عاتيًا تمرد على ربه عز وجل فى المعصية، ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ﴾ حين كره السجود لآدم ﷺ، ﴿وَقَالَ﴾ إبليس لربه جل جلاله: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفۡرُوضًا﴾ [آية: ١١٨]، يعنى حظًا معلومًا من كل ألف إنسان واحد فى الجنة وسائرهم فى النار، فهذا النصيب المفروض.

﴿وَ﴾ قال إبليس: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الهدى، ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ بالباطل، ولأخبرنهم ألا بعث ولا جنة ولا نار، ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾، يعنى ليقطعن، ﴿ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾، وهى البحيرة للأوثان، ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾، يعنى ليبدلن دين الله، ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾، يعنى إبليس ﴿وَلِيًّا﴾، يعنى ربًا ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ عز وجل، ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [آية: ١١٩]، يقول: فقد ضل ضلالاً بينًا.

﴿يَعِدُهُمْ﴾ إبليس الغرور ألا بعث، ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ إبليس الباطل، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [آية: ١٢٠]، يعنى إلا باطلاً، الذى ليس بشىء، وقال: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا﴾ ﴿أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [آية: ١٢١]، يعنى مقرًا يلجئون إليه، يعنى القرار.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾

ثم أخبر بمستقر من لا يتولى الشيطان، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾، يعنى صدقًا أنه منجز لهم ما وعدهم، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [آية: ١٢٢]، فليس أحد أصدق قولاً منه عز وجل فى أمر الجنة والنار والبعث وغيره، ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، نزلت فى المؤمنين واليهود والنصارى، قالت اليهود: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، فنحن أهدى وأولى بالله منكم، وقالت النصارى: نبينا كلمة الله وروح الله وكلمته، وكان يحيى الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، وفى كتابنا العفو، وليس فيه قصاص، فنحن أولى بالله منكم معشر اليهود ومعشر المسلمين.

فقال المسلمون: كذبتم، كتابنا نسخ كل كتاب، ونبينا ﷺ خاتم الأنبياء، وآمنا بنبيكم وكتابكم، وكذبتم نبينا وكتابنا، وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم، ونعمل بكتابنا،

فنحن أهدى منكم وأولى بالله منكم، فأنزل عز وجل: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ معشر المؤمنين ﴿وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [آية: ١٢٣].

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [آية: ١٢٤]، ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، نزلت في المؤمنين مجازات الدنيا تصيبهم فى النكبة بحجر، والضربة واختلاج عرق أو خدش عود، أو عثرة قدم فيدميه أو غيره، فبذنب قدم وما يعفو الله عنه أكبر، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، ثم قال: ﴿وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾، يعنى قريبًا ينفعه، ﴿وَلاَ نَصِيرًا﴾ يعنى ولا مانعًا يمنعه من الله عز وجل.

فلما افتخرت اليهود على المؤمنين بالمدينة بين الله عز وجل، أمر المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بتوحيد الله عز وجل، ﴿فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾، يعنى ولا ينقصون من أعمالهم الحسنة نقيرًا حتى يجازوا بها، يعنى النقير الذى فى ظهر النواة التى تنبت منه النخلة.

ثم اختار من الأديان دين الإسلام، فقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾، يعنى أخلص دينه لله، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فى عمله، ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، يعنى مخلصًا، ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [آية: ١٢٥]، يعنى محبًا، وأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾، يعنى كفار أهل الكتاب، ﴿اخْتَصَمُوا﴾، يعنى ثلاثتهم: المسلمين واليهود والنصارى، ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾ أنهم أولياء الله، ثم أخبر بمستقر الكافر، فقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩]، يعنى جعلت لهم ثياب من نار، إلى آخر الآية، ثم أخبر سبحانه بمستقر المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ...﴾ إلى آخر الآية.

قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾، والخليل الحبيب؛ لأن الله أحبه فى كسره الأصنام، وجداله قومه، واتخذ الله إبراهيم خليلاً قبل ذبح ابنه، فلما رأته الملائكة حين أمر بذبح ابنه، أراد المضى على ذلك، قالت الملائكة: لو أن الله عز وجل اتخذ عبدًا خليلاً

لاتخذ هذا خليلاً محبًا، ولا يعلمون أن الله عز وجل اتخذه خليلاً، وذلك أن النبى ﷺ قال لأصحابه، رضى الله عنهم: «إن صاحبكم خليل الرحمن»، يعنى نفسه، فقال المنافقون لليهود: ألا تنظرون إلى محمد يزعم أنه خليل الله، لقد اجترأ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾، وإنما إبراهيم عبد من عباده مثل محمد، واتخذ إبراهيم خليلاً حين ألقى فى النار، فذهب حر النيران يومئذ من الأرض كلها.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ من الخلق عبيده، وفى ملكه، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [آية: ١٢٦]، يعنى أحاط علمه، ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ﴾ نزلت فى سويد وعرفطة ابنى الحارث، وعيينة بن حصن الفزارى، ذلك أنه لما فرض الله عز وجل لأم كحة وبناتها الميراث انطلق سويد وعرفطة وعيينة بن حصن الفزارى إلى النبى ﷺ، فقالوا للنبى ﷺ: إن المرأة لا تركب فرسًا ولا تجاهد، وليس عند الولدان الصغار منفعة فى شىء، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾، يعنى يسألونك عن النساء، يعنى سويدًا وصاحبيه، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعنى ما بين من القسمة فى أول هذه السورة، قال: ويفتيكم ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾، يعنى بنات أم كحة ﴿ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾، يعنى ما فرض لهن من أنصبائهن من الميراث فى أول السورة.

ثم قال عز وجل: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾، يعنى بنات أم كحة، وكان الرجل

يكون فى حجره اليتيمة ولها مال، ويكون فيها موق، فيرغب عن تزويجها، ويمنعها من الأزواج من أجل ما لها رجاء أن تموت فيرثها، فذلك قوله عز وجل: ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ لدمامتهن، ﴿ وَ ﴾ يفتيكم فى ﴿ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ ﴾ أن تعطوهم حقوقهم، وكانوا لا يورثونهم ﴿ وَ ﴾ يفتيكم ﴿ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ ﴾ فى الميراث ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾ ، يعنى بالعدل، ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾ مما أمرتم به من قسمة المواريث، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾ [آية: ١٢٧] فيجزيكم به.

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ ﴾ ، واسمها خويلة بنت محمد بن مسلمة ﴿ خَافَتْ ﴾ ، يعنى علمت ﴿ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾ ، يعنى زوجها، ﴿ أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ عنها لما بها من العلة إلى الأخرى، نزلت فى رافع بن خديج الأنصارى وفى امرأته خويلة بنت محمد بن مسلمة الأنصارى، وذلك أن رافعًا طلقها ثم راجعها وتزوج عليها أشب منها، وكان يأتى الشابة ما لا يأتى الكبيرة، يقول: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ ﴾ الزوج والمرأة الكبيرة ﴿ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾ أن ترضى المرأة الكبيرة بما له، على أن يأتى الشابة ما لا يأتى الكبيرة، يقول: فلا بأس بذلك فى القسمة، فذلك قوله عز وجل: ﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ من المفارقة، ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ ، يعنى الحرص على المال، يعنى الكبيرة يرضيها الزوج من بعض ماله، فتحرص على المال وتدع نصيبها من زوجها، ﴿ وَإِن تُحْسِنُوا۟ ﴾ الفعل فلا تفارقها، ﴿ وَتَتَّقُوا۟ ﴾ الميل والجور، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [آية: ١٢٨] فى أمرهن من الإحسان والجور.

ثم قال عز وجل: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ فى الحب أن يستوى حبهن فى قلوبكم، ﴿ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ ، فلا تقدرون على ذلك، ﴿ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ ﴾ إلى التى تحب، وهى الشابة، ﴿ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾ ، أى فتأتيها وتذر الأخرى، يعنى الكبيرة كالمعلقة، لا أيم ولا ذات بعل، ولكن اعدلوا فى القسمة، ﴿ وَإِن تُصْلِحُوا۟ ﴾ أمرهن ﴿ وَتَتَّقُوا۟ ﴾ الميل والجور، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا ﴾ حين ملت إلى الشابة برضى الكبيرة، ﴿ رَّحِيمًا ﴾ [آية: ١٢٩] بك حين رخص لك فى الصلح، فإن أبت الكبيرة الصلح إلا أن تسوى بينها وبين الشابة أو تطلقها كان ذلك لها.

ثم إنه طلقها، فنزلت: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا ﴾ ، يعنى رافع وخويلة المرأة الكبيرة، ﴿ يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا ﴾ ، يعنى الزوج والكبيرة، ﴿ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ ، يعنى من فضله الواسع، ﴿ وَكَانَ

﴿ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ لهما فى الرزق جميعًا، ﴿حَكِيمًا﴾ [آية: ١٣٠] حين حكم فرقتهما.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ من الخلق عبيده وفى ملكه، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن عباده وخلقه ﴿حَمِيدًا﴾ [آية: ١٣١] عند خلقه فى سلطانه.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [آية: ١٣٢]، يعنى شهيدًا، فلا شاهد أفضل من الله عز وجل أن من فيهما عباده وفى ملكه.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بالموت ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ﴾، يعنى بخلق غيركم أطوع منكم، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [آية: ١٣٣] أن يذهبكم ويأت بغيركم إذا عصيتموه.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ بعمله فليعمل لآخرته، ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا﴾، يعنى الرزق فى الدنيا وثواب ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ﴾، يعنى الجنة، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [آية: ١٣٤] بأعمالكم.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ﴾، يعنى قوالين ﴿بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾، يقول سبحانه: أقيموا الشهادة لله بالعدل، ﴿وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ﴾ على

﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ﴾ أحدهما ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ﴾ بالغنى والفقير من غيره، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ فى الشهادة والقرابة، واتقوا ﴿أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ﴾ عن الحق إلى الهوى، ثم قال: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾، يعنى التحريف بالشهادة، يلجلج بها لسانه فلا يقيمها ليبطل بها شهادته، ﴿أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ عنها فلا تشهدوا بها، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من كتمان الشهادة وإقامتها ﴿خَبِيرًا﴾ [آية: ١٣٥]، نزلت فى رجل كانت عنده شهادة على أبيه، فأمره الله عز وجل أن يقيمها لله عز وجل، ولا يقول: إنى إن شهدت عليه أجحفت بماله، وإن كان فقيرًا هلك وازداد فقره، ويقال: إنه أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، الشاهد على أبيه أبى قحافة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾، نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب، كان بينهم وبين اليهود كلام لما أسلموا، قالوا: نؤمن بكتاب محمد ﷺ ونكفر بما سواه، فقال تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ وصدقوا بتوحيد الله عز وجل، ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾، أى وصدقوا برسوله محمدًا ﷺ، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾، يعنى محمدًا ﷺ، ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ نزول كتاب محمد ﷺ، ثم ذكر كفار أهل الكتاب، فحذرهم الآخرة، يعنى البعث، فقال الله تعالى ذكره: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ﴾، يعنى بتوحيد الله، ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، يعنى البعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ عن الهدى، ﴿ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [آية: ١٣٦]، وبما أعد الله عز وجل من الثواب والعقاب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾

ثم ذكر أهل الكتاب، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالتوراة وبموسى، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ من بعد موسى، ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا۟﴾ بعيسى ﷺ وبالإنجيل، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ من بعده، ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بمحمد ﷺ وبالقرآن، ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ على ذلك، ﴿وَلَا

﴿لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [آية: ١٣٧] إلى الهدى، منهم: عمرو بن زيد، وأوس بن قيس، وقيس ابن زيد.

ولما نزلت المغفرة للنبى ﷺ وللمؤمنين فى سورة الفتح، قال عبد الله بن أبى ونفر معه: فما لنا؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾، يعنى عبد الله بن أبى، ومالك بن دخشم، وجد بن قيس، ﴿بِأَنَّ لَهُمْ﴾ فى الآخرة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ١٣٨]، يعنى وجيعًا، ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ من اليهود ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وذلك أن المنافقين قالوا: لا يتم أمر محمد، فتابعوا اليهود وتولوهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾، يعنى المنعة، وذلك أن اليهود أعانوا مشركى العرب على قتال النبى ﷺ ليتعززوا بذلك، فقال سبحانه: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾، يقول: أيبتغى المنافقون عند اليهود المنعة، ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [آية: ١٣٩]، يقول: جميع من يتعزز، فإنما هو بإذن الله.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾

وكان المنافقون يستهزءون بالقرآن، فأنزل الله عز وجل بالمدينة: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعنى فى سورة الأنعام بمكة، ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾، يقول: حتى يكون حديثهم، يعنى المنافقين فى غير ذكر الله عز وجل، فنهى الله عز وجل عن مجالسة كفار مكة ومنافقى المدينة عند الاستهزاء بالقرآن، ثم خوفهم: إن جالستموهم ورضيتم باستهزائهم، ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ فى الكفر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾، يعنى عبد الله بن أبى، ومالك بن دخشم، وجد بن قيس من أهل المدينة، ﴿وَٱلْكَٰفِرِينَ﴾ من أهل مكة ﴿فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [آية: ١٤٠].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾

ثم أخبر سبحانه عن المنافقين، فقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ الدوائر،

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ﴾ معشر المؤمنين ﴿فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يعنى النصر على العدو يوم بدر، ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ على عدوكم، فاعطونا من الغنيمة، فلستم أحق بها، فذلك قوله سبحانه فى العنكبوت: ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٠] على عدوكم.

﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾، يعنى دولة على المؤمنين يوم أُحُد، ﴿قَالُوٓاْ﴾ أى المنافقون للكفار: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾، يعنى ألم نحط بكم من ورائكم، ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ونجادل المؤمنين عنكم فنحبسهم عنكم ونخبرهم أنا معكم، قالوا ذلك جبنًا وفرقًا منهم، قال الله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [آية: ١٤١]، يعنى حجة أبدًا، نزلت فى عبد الله بن أبى وأصحابه .

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ حين أظهروا الإيمان وأسروا التكذيب، ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ على الصراط فى الآخرة حين يقال لهم: ﴿ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد: ١١٣]، فبقوا فى الظلمة، فهذه خدعة الله عز وجل لهم فى الآخرة، ثم أخبر عن المنافقين، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾، يعنى المنافقين متثاقلين لا يروا أنها حق عليهم، نظيرها فى براءة.

﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ بالقيام بالنهار، ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾، يعنى فى الصلاة، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ١٤٢]، يعنى بالقليل، الرياء ولا يصلون فى السر، ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾، يقول: إن المنافقين ليسوا مع اليهود فيظهرون ولايتهم، ولا مع المؤمنين فى الولاية، ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن الهدى، ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [آية: ١٤٣] إليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يرغبهم، نزلت فى المنافقين، منهم: عبد الله بن أبى، ومالك

بن دخشم، وذلك أن مواليهما من اليهود أصبغ ورافع عيروهما بالإسلام، وزينوا لهما ترك دينهما وتوليهما اليهود فصانعا اليهود، فقال الله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ من اليهود ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [آية: ١٤٤]، يعني حجة بينة يحتج بها عليكم حين توليتم اليهود ونصحتموهم.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، يعني الهاوية، ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [آية: ١٤٥]، يعني مانعًا من العذاب، ولما أخبر بمستقر المنافقين، قال ناس للنبي ﷺ: فقد كان فلان وفلان منافقين فتابوا منه، فكيف يفعل الله بهم؟ فأنزل الله جل ذكره: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ من المنافقين، ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ العمل ﴿وَٱعْتَصَمُوا۟﴾، يعني احترزوا ﴿بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ﴾ الإسلام ﴿لِلَّهِ﴾ عز وجل ولم يخلطوا بشرك، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في الولاية، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [آية: ١٤٦]، يعني جزاء وافرًا.

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾

﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمته، ﴿وَءَامَنتُمْ﴾، يعني صدقتم، فإنه لا يعذب شاكرًا ولا مؤمنًا، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [آية: ١٤٧] بهم.

﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾

﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ لأحد من الناس، ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾(١)،

---

(١) قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم وزيد بن أسلم، وعبد الأعلى بن عبدالله بن مسلم بن يسار وعطاء بن السائب وابن يسار: «إلاَّ مَنْ ظَلَمَ» بفتح الظاء واللام. وقراءة=

يعنى اعتدى عليه، فينتصر من القول مثل ما ظلم، ولا حرج عليه أن ينتصر بمثل مقالتـه، نزلت فى أبى بكر، رضى الله عنه، شتمه رجل والنبى ﷺ جالس، فسكت عنه مرارًا، ثم رد عليه أبو بكر، رضى الله عنه، فقام النبى ﷺ عند ذلك، فقال أبو بكر، رضى الله عنه: يا رسول الله، شتمنى وأنا ساكت، فلم تقل له شيئًا، حتى إذا رددت عليه قمت، قال: «إن ملكًا كان يجيب عنك، فلما أن رددت عليه، ذهب الملك وجاء الشيطان، فلم أكن لأجلس عند مجىء الشيطان»، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ بجهر السوء، ﴿عَلِيمًا﴾ [آية: ١٤٨] به.

ثم أخبر أن العفو والتجاوز خير عند الله من الانتصار، فقال سبحانه: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا﴾، يعنى تعلنوه، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾، يعنى تسروه، ﴿أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ﴾ فعل بك، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [آية: ١٤٩]، يقول: فإن الله أقدر على عفو ذنوبك منك على العفو عن صاحبك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾، يعنى اليهود، منهم: عامر بن مخلد، ويزيد بن زيد، كفروا بعيسى وبمحمد ﷺ، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ الرسل، يعنى موسى، ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ الرسل، يعنى عيسى ومحمدًا ﷺ، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [آية: ١٥٠]، يعنى دينًا، يعنى إيمانًا ببعض الرسل، وكفرًا ببعض الرسل، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ حين كفروا ببعض الرسل، لا ينفعهم إيمان ببعض، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ فى الآخرة، ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [آية: ١٥١]، يعنى الهوان.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾

ثم ذكر المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾، يعنى بين الرسل، وصدقوا بالرسل جميعًا، ﴿أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾، يعنى جزاء أعمالهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [آية: ١٥٢].

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ

=الحسن، وسعيد بن المسيب، وقتادة، وأبى رجاء، وابن عمر. انظر: (إتحاف فضلاء البشر ١٩٥، الطبرى ٣٤٣/٩، القرطبى ٣/٦، البحر المحيط ٣٨٢/٣).

مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾، نزلت فى اليهود، وذلك أن كعب بن الأشرف، وفنحاص اليهودى، قالوا للنبى ﷺ: إن كنت صادقًا بأنك رسول، فائتنا بكتاب غير هذا، مكتوب فى السماء جملة واحدة كما جاء به موسى، فذلك قوله: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ...﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، يعنى معاينة، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾، يعنى الموت، ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ لقولهم: أرنا الله جهرة معاينة، ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾، يعنى الآيات التسع، ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾، فلم نستأصلهم جميعًا عقوبة باتخاذهم العجل، ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [آية: ١٥٣]، يعنى حجة بينة، يعنى اليد والعصى.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾، يعنى الجبل فوق رءوسهم، رفعه جبريل، عليه السلام، وكانوا فى أصل الجبل، فرفع الطور فوق رءوسهم، ﴿بِمِيثَٰقِهِمْ﴾؛ لأن يقروا بما فى التوراة، ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾، يعنى باب حطة، ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾، أى لا تعدوا فى أخذ الحيتان يوم السبت، ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [آية: ١٥٤]، يعنى شديدًا، والميثاق إقرارهم بما عهد الله عز وجل فى التوراة.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾، يعنى فبنقضهم إقرارهم بما فى التوراة، ﴿وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، يعنى الإنجيل والقرآن، وهم اليهود، ﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا

﴿غُلْفٌۢ﴾، وذلك حين سمعوا من النبى ﷺ: ﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ عرفوا أن الذى قال لهم النبى ﷺ حق، وقالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾، يعنى فى أكنة عليها الغطاء، فلا تفقه ولا تفهم ما تقول يا محمد، كراهية ما سمعوا من النبى ﷺ من كفرهم بالإنجيل والفرقان، يقول الله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾، يعنى ختم على قلوبهم، ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ١٥٥]، يقول: ما أقل ما يؤمنون، فإنهم لا يؤمنون البتة.

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ [آية: ١٥٦]، وذلك أن اليهود قذفوا مريم، عليها السلام، بيوسف بن ماثان بالزنا، وكان ابن عمها، وكان قد خطبها، ومريم ابنة عمران بن ماثان، ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾، ولم يقولوا: رسول الله، ولكن الله عز وجل قال: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ بصاحبهم الذى قتلوه، وكان الله عز وجل قد جعله على صورة عيسى فقتلوه، وكان المقتول لطم عيسى، وقال لعيسى حين لطمه: أتكذب على الله حين تزعم أنك رسوله، فلما أخذه اليهود ليقتلوه، قال لليهود: لست بعيسى، أنا فلان، واسمه يهوذا، فكذبوه وقالوا له: أنت عيسى، وكانت اليهود جعلت المقتول رقيبًا على عيسى ﷺ، فألقى الله تعالى ذكره شبهه على الرقيب فقتلوه.

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾، يعنى فى عيسى، وهم النصارى، فقال بعضهم: قتله اليهود، وقال بعضهم: لم يقتل، ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ فى شك من قتله، ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [آية: ١٥٧]، يقول: وما قتلوا ظنهم يقينًا، يقول: لم يستيقنوا قتله، كقول الرجل: قتلته علمًا، فأكذب الله عز وجل اليهود فى قتل عيسى ﷺ، فقال عز وجل: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ إلى السماء حيًا فى شهر رمضان فى ليلة القدر، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، رفع إلى السماء من جبل بيت المقدس، فذلك قوله سبحانه: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [آية: ١٥٨]، يعنى عزيزًا منيعًا حين منع عيسى من القتل، حكيمًا حين حكم رفعه، قال: وترك عيسى ﷺ بعد رفعه خفين، ومدرعة، وحذافة يحذف بها الطير، وقالت عائشة، رضى الله عنها: وترك رسول الله ﷺ بعد موته إزارًا غليظًا، وكساء، ووسادة أدم حشوها ليف.

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ﴾، يعنى وما من أهل الكتاب، يعنى اليهود، إلا

ليؤمن ﴿بِهِۦ﴾، يعنى بعيسى ﷺ، ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ أنه نبى رسول قبل موت اليهودى، يعنى عند موته؛ لأن الملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم، وتقول: يا عدو الله، إن المسيح الذى كذبتم به، هو عبد الله ورسوله حقًا، فيؤمن به ولا ينفعه، ويؤمن به من كان منهم حيًا إذا نزل عيسى ﷺ، فينزل عيسى ﷺ على ثنية يقال لها: أفيق، دهين الرأس، عليه ممصرتان، ومعه حربة يقتل بها الدجال، فقيل لابن عباس، رحمه الله: فمن غرق من اليهود، أو أحرق بالنار، أو أكله السبع، قال: لا تخرج روحه حتى يؤمن بعيسى ﷺ، ثم قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [آية: ١٥٩] أنه قد بلغهم الرسالة.

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾، يعنى اليهود، ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾، يعنى فى الأنعام، يعنى اللحوم والشحوم وكل ذى ظفر لهم حلال، فحرمها الله عز وجل عليهم بعد موسى، ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [آية: ١٦٠]، فيها إضمار، يقول: ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾، يعنى دين الإسلام، وعن محمد ﷺ، ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ﴾، وهو محرم بغير حق، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ﴾، يعنى اليهود ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ١٦١]، يعنى وجيعًا، فهذا الظلم الذى ذكره فى هذه الآية.

ثم ذكر مؤمنى أهل التوراة، فقال سبحانه: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾، وذلك أن عبد الله بن سلام وأصحابه، قالوا للنبى ﷺ: إن اليهود لتعلم أن الذى جئت به حق، وأنك لمكتوب عندهم فى التوراة، فقالت اليهود: ليس كما تقولون، وإنهم لا يعلمون شيئًا، وإنهم ليغرونك ويحدثونك بالباطل، فقال الله عز وجل: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾، يعنى المتدارسين علم التوراة، يعنى ابن سلام وأصحابه، ﴿مِنْهُمْ﴾، يعنى من اليهود، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، يعنى أصحاب محمد ﷺ من غير أهل الكتاب، ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ

﴿إِلَيْكَ﴾ من القرآن، ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الكتب على الأنبياء: التوراة والإنجيل.

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾(١)، يعنى المعطون الزكاة، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أنه واحد لا شريك له، والبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا﴾، يعنى جزاء ﴿عَظِيمًا﴾ [آية: ١٦٢].

﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾

﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، وذلك أن عدى بن زيد وصاحبيه اليهود، قالوا للنبى ﷺ: والله ما أوحى الله إليك ولا إلى أحد من بعد موسى، فكذبهم الله عز وجل، فقال: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ ﴿كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾، يعنى من بعد نوح: هود وصالح، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾، يعنى بنى يعقوب: يوسف وإخواته، وأوحينا إليهم فى صحف إبراهيم، ثم قال: ﴿وَ﴾ أوحينا إلى ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [آية: ١٦٣]، ليس فيه حد، ولا حكم، ولا فريضة، ولا حلال، ولا حرام، خمسين ومائة سورة، فأخبره الله بهن ليعلموا أنه نبى.

فقالت اليهود: ذكر محمد النبيين ولم يبين لنا أمر موسى أكلمه الله أم لم يكلمه؟ فأنزل الله عز وجل فى قول اليهود: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾، هؤلاء بمكة فى الأنعام وفى غيرها؛ لأن هذه مدنية، ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [آية: ١٦٤]، يعنى مشافهة، وهو ابن أربعين سنة ليلة النار، ومرة أخرى حين أعطى التوراة، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ﴾ بالجنة، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من النار ﴿لِئَلَّا

---

(١) قراءة مالك بن دينار وعيسى الثقفى وعاصم الجحدرى: «والمقيمون»، بواو. وقراءة ابن مسعود، وأبى، وقراءة أبى عمرو (رواية هارون)، وعمرو بن عبيد، وسعيد بن جبير، والحسن، ويونس، والأعمش. انظر: (البحر المحيط ٣/٣٩٥، الطبرى ٩/٣٩٦، القرطبى ٦/١٢، الكشاف ١/٣١٣).

يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾، فيقولوا يوم القيامة: لم يأتنا لك رسول، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [آية: ١٦٥]، حكم إرسال الأنبياء إلى الناس.

فقال لهم النبى ﷺ: «إنكم لتعلمون حق ما أقول، وإنه لفى التوراة، فإن تتوبوا وترجعوا يغفر لكم ذنوبكم»، قالوا: لو كان ما تقول فى التوراة لاتبعناك، فقال النبى ﷺ: «والله إنكم لتشهدون بما أقول»، قالوا: ما عندنا بذلك شهادة، قال الله عز وجل: فإن لم يشهد لك أحد منهم، فإن الله وملائكته يشهدون بذلك، فذلك قوله عز وجل: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾ من القرآن، ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ ﴾ بذلك، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [آية: ١٦٦]، يقول: فلا شاهد أفضل من الله بأنه أنزل عليك القرآن.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾

ثم قال يعنيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، يعنى اليهود كفروا بمحمد والقرآن، ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾، يعنى عن دين الإسلام، ﴿قَدْ ضَلُّواْ ﴾ عن الهدى، ﴿ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [آية: ١٦٧]، يعنى طويلاً، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، يعنى اليهود كفروا بمحمد والقرآن، ﴿وَظَلَمُواْ ﴾، يعنى وأشركوا بالله، ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ [آية: ١٦٨] إلى الهدى، ثم استثنى: ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾، يعنى طريق الكفر، فهو يقود إلى جهنم خالدين فيها ﴿أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [آية: ١٦٩]، يعنى عذابهم على الله هينًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾، يعنى محمدًا ﴿بِٱلْحَقِّ ﴾، يعنى بالقرآن، ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ ﴾، يعنى صدقوا بالقرآن، فهو خير لكم من الكفر، ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ ﴾ من الخلق، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [آية: ١٧٠].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا

ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (١٧١)﴾

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعنى النصارى، ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾، يعنى الإسلام، فالغلو فى الدين أن تقولوا على الله غير الحق فى أمر عيسى ابن مريم ﷺ، ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾، وليس لله تبارك وتعالى ولدًا، ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾، يعنى بالكلمة، قال: كن فكان، ﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، يعنى بالروح أنه كان من غير بشر، نزلت فى نصارى نجران فى السيد والعاقب ومن معهما.

ثم قال سبحانه: ﴿فَـَٔامِنُوا۟﴾، يعنى صدقوا ﴿بِٱللَّهِ﴾ عز وجل بأنه واحد لا شريك له، ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾، يعنى محمدًا ﷺ بأنه نبى ورسول، ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ﴾، يعنى لا تقولوا: إن الله عز وجل ثالث ثلاثة، ﴿ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾، يعنى عيسى ﷺ، ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الخلق عبيده، وفى ملكه عيسى وغيره، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [آية: ١٧١]، يعنى شهيدًا بذلك.

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢)﴾

ثم قال عز وجل: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾، يعنى لن يأنف، ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا﴾ يستنكف ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أن يكونوا عبيدًا لله؛ ليعتبروا بكون الملائكة أقرب إلى الله عز وجل منزلة من عيسى ابن مريم وغيره، فإن عيسى عبد من عباده، ثم أوعد النصارى، فقال: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ﴾، يعنى ومن يأنف، ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ﴾، يعنى ومن يأنف عن عبادة الله، يعنى التوحيد ويستكبر، يعنى ويتكبر عن العبادة، ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [آية: ١٧٢]، فلم يستنكف ويستكبر غير إبليس.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧٣)﴾

وأخبر المؤمنين بمنزلتهم فى ألآخرة ومنزلة المستنكفين، فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ﴾، يعنى فيوفى لهم جزاءهم، ﴿وَيَزِيدُهُم﴾ على أعمالهم ﴿مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ الجنة، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ﴾، يعنى أنفوا ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن عبادة الله بالتوحيد، ﴿فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، يعنى وجيعًا، ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾، يعنى قريبًا ينفعهم، ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [آية: ١٧٣]، يعنى مانعًا يمنعهم من الله عز وجل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٍ مِّنۡهُ وَفَضۡلٍ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، يعنى بيان، وهو القرآن، ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورًا مُّبِينًا﴾ [آية: ١٧٤]، يعنى ضياء بينًا من العمى، وهو القرآن، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾، يعنى صدقوا بالله عز وجل بأنه واحد لا شريك له، ﴿وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ﴾، يعنى احترزوا به، يعنى بالله عز وجل، ﴿فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٍ مِّنۡهُ﴾، يعنى الجنة، ﴿وَفَضۡلٍ﴾، يعنى الرزق فى الجنة، ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا﴾ [آية: ١٧٥].

﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخۡتٌ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾، نزلت فى جابر بن عبد الله الأنصارى من بنى سلمة بن جشم بن سعد بن على بن شاردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج وفى أخواته، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾، يعنى به الميت الذى يموت وليس له ولد ولا والد، فهو الكلالة، وذلك أن جابر بن عبد الله الأنصارى، رحمه الله، مرض بالمدينة، فعاده رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنى كلالة لا أب لى ولا ولد، فكيف أصنع فى مالى، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾، يعنى مات، ﴿لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخۡتٌ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ﴾ الميت من الميراث، ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ﴾ إذا ماتت قبله، ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾، يعنى أختين، ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً

فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ﴾، يقول: لئلا تخطئوا قسمة المواريث، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من قسمة المواريث، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ١٧٦]، نظيرها في الأنفال.

* * *

سُورَةُ المَائِدَةِ

سورة المائدة مدنية، نهارية كلها، عشرون ومائة آية كوفية

إلا قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ الآية، فإنها نزلت بعرفة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾

قال مقاتل: قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾، يعنى بالعهود التى بينكم وبين المشركين، ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾، يعنى أحل لكم أكل لحوم الأنعام، الإبل، والبقر، والغنم، والصيد كله، ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، يعنى غير ما نهى الله عز وجل عن أكله مما حرم الله عز وجل، من الميتة، والدم، ولحم الخنزير، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، ثم قال: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾، يقول: من غير أن تستحلوا الصيد، ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ (١)، يقول: إذا كنت محرمًا بحج أو عمرة، فالصيد عليك حرام كله، غير صيد البحر، فإنه حلال لك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [آية: ١]، فحكم أن يجعل ما شاء من الحلال حرامًا، وجعل ما شاء مما حرم فى الإحرام من الصيد حلالاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾

قال تعالى ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾، يعنى مناسك الحج والعمرة، وذلك أن الحمس، قريشًا، وخزاعة، وكنانة، وعامر بن صعصعة، كانوا يستحلون أن يغير بعضهم على بعض فى الأشهر الحرم وغيرها، وكانوا لا يسعون بين الصفا والمروة، وكانوا لا يرون الوقوف بعرفات من شعائر الله، فلما أسلموا أخبرهم الله

(١) انظر: (القرطبى ٣٦/٦، مجمع البيان ١٥٠/٢، الإتحاف ١٩٧).

عز وجل بأنها من شعائر الله، فقال عز وجل: ﴿الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

وأمر سبحانه أن يسعى بينهما، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾، يقول: لا تستحلوا القتل فى الشهر الحرام، وذلك أن أبا ثمامة جنادة بن عوف بن أمية من بنى كنانة كان يقوم كل سنة فى سوق عكاظ، فيقول: ألا إنى قد أحللت المحرم، وحرمت صفرًا، وأحللت كذا، وحرمت كذا، ما شاء، وكانت العرب تأخذ به، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يعنى جنادة بن عوف، ﴿يُحِلِّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللّهُ﴾، يعنى خلافًا على الله جل اسمه وعلى ما حرم، ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللّهُ﴾ [التوبة: ٣٧] من الأشهر الحرم.

ثم رجع إلى الآية الأولى فى التقديم، فقال تعالى: ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾، كفعل أهل الجاهلية، وذلك أنهم كانوا يصيبون من الطريق، قال: وكان فى الجاهلية من أراد الحج من غير أهل الحرم، يقلد نفسه من الشعر والوبر، فيأمن به إلى مكة، وإن كان من أهل الحرم، قلد نفسه وبعيره من لحيا شجر الحرم، فيأمن به حيث يذهب، فهذا فى غير أشهر الحرم، فإذا كان أشهر الحرم، لم يقلدوا أنفسهم ولا أباعرهم وهم يأمنون حيث ما ذهبوا.

قال عز وجل: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾، يعنى متوجهين نحو البيت، نزلت فى الخطيم، يقول: لا تتعرضوا الحجاج بيت الله، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾، يعنى الرزق فى التجارة فى مواسم الحج، ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾، يعنى رضوان الله بحجهم، فلا يرضى الله عنهم حتى يسلموا، فنسخت آية السيف هذه الآية كلها.

قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام، ﴿فَٱصْطَادُواْ﴾[١]، يقول: إذا حللتم من إحرامكم فاصطادوا، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾[٢]، يقول: ولا يحملنكم عداوة المشركين من أهل مكة، ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، يعنى منعوكم من

(١) انظر: (الكشاف ٣٢١/١، البحر المحيط ٤٢١/٣، تفسير الفخر الرازى ٣٥٢/٣).

(٢) قراءة ابن مسعود: «وَلا يُجْرِمَنَّكُم» – بضم الياء – «شَنَآنُ قَوْمٍ إنْ يَصُدوكُمْ» – بكسر الألف. وقراءة الأعمش، ويحيى بن وثاب. انظر: (معانى القرآن للفراء ٢٢٩/١، القرطبى ٤٥/٦، الكشاف ٣٢١/١، الطبرى ٤٨٥/٥، الإتحاف ١٩٧.

دخول البيت الحرام أن تطوفوا به عام الحديبية، ﴿أَن تَعْتَدُواْ﴾، يعنى أن ترتكبوا معاصيه، فتستحلوا أخذ الهدى والقلائد والقتل فى الشهر الحرام من حجاج بكر بن وائل من أهل اليمامة، نزلت فى الخطيم، واسمه شريح بن ضبيعة بن شرحبيل بن عمر بن جرثوم البكرى، من بنى قيس بن ثعلبة، وفى حجاج المشركين، وذلك أن شريح بن ضبيعة جاء إلى النبى ﷺ، فقال: يا محمد، اعرض علىَّ دينك، فعرض عليه وأخبره بما له وبما عليه، فقال له شريح: إن فى دينك هذا غلظًا، فأرجع إلى قومى فأعرض عليهم ما قلت، فإن قبلوه كنت معهم، وإن لم يقبلوه كنت معهم.

فخرج من عند النبى ﷺ، فقال النبى ﷺ: «لقد دخل بقلب كافر، وخرج بوجه غادر، وما أرى الرجل بمسلم»، ثم مر على مسرح المدينة فاستاقها، فطلبوه فسبقهم إلى المدينة، وأنشأ يقول:

قد لفها الليل بسواق حطم ... ليس براعى إبل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم ... خدلج الساق ولا رعش القدم

قال أبو محمد عبد الله بن ثابت: سمعت أبى يقول: قال أبو صالح: قتله رجل من قومه على الكفر، وقدم الرجل الذى قتله مسلمًا، فلما سار رسول الله ﷺ معتمرًا عام الحديبية فى العام الذى صده المشركون، جاء شريح إلى مكة معتمرًا، معه تجارة عظيمة فى حجاج بكر بن وائل، فلما سمع أصحاب رسول الله ﷺ بقدوم شريح وأصحابه، وعرفوا بنبئهم، فأراد أهل السرح أن يغيروا عليه كما أغار عليهم من قبل شريح وأصحابه، فقالوا: نستأمر النبى ﷺ، فاستأمروه، فنزلت الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾، يعنى أمر المناسك.

ولا تستحلوا فى الشهر الحرام أخذ الهدى ولا القلائد، يقول: ولا تخيفوا من قلد بعيره، ولا تستحلوا القتل آمين البيت الحرام، يعنى متوجهين قبل البيت الحرام من حجاج المشركين، يعنى شريح بن ضبيعة وأصحابه يبتغون بتجاراتهم فضلاً من الله، يعنى الرزق والتجارة ورضوانه بحجهم، فنهى الله عز وجل نبيه ﷺ عن قتالهم، ثم لم يرض منهم حتى يسلموا، فنسخت هذه الآية آية السيف، فقال عز وجل: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، ثم قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية: ٢].

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾، يعنى أكل الميتة، ﴿وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾، يعنى الذى ذبح لأصنام المشركين ولغيرهم، هذا حرام البتة إن أدركت ذكاته أو لم تدرك ذكاته، فإنه حرام البتة؛ لأنهم جعلوه لغير الله عز وجل، ثم قال عز وجل: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾، يعنى وحرم المنخنقة، الشاة، والإبل، والبقر التى تنخنق أو غيره حتى تموت، ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾، يعنى التى تضرب بالخشب حتى تموت، ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾، يعنى التى تردى من الجبل، فتقع منه أو تقع فى بئر فتموت، ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾، يعنى الشاة تنطح صاحبتها فتموت، ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾(١) من الأنعام والصيد، يعنى فريسة السبع.

ثم استثنى، فقال سبحانه: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، يعنى إلا ما أدركتم ذكاته من المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، فما أدركتم ذكاته من المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع مما أدركتم ذكاته، يعنى بطرف، أو بعرق يضرب، أو بذنب بتحرك، ويذكى فهو حلال، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾، يعنى وحرم ما ذبح على النصب، وهى الحجارة التى كانوا ينصبونها فى الجاهلية فيعبدونها، فهو حرام البتة، وكان خزان الكعبة يذبحون لها، وإن شاءوا بدلوا تلك الحجارة بحجارة أخرى، وألقوا الأولى.

---

(١) قراءة ابن عباس: «وأكيلُ السَّبع» ذهب بالتذكير إلى الجنس والعموم، حتى كأنه قال: وما أكل السبع، ولو قال ذلك ما كان لفظ «ما» إلا إلى التذكير، والأكيل هنا إذًا يصلح للمذكر والمؤنَّث، وأما الأكيلة فكالنطيحة والذبيحة، اسم للمأكول والمنطوح، كالضحية والبليّة فى قوله:

مثل البليَّة قالصا أهدامُها

فتقول على هذا: مررت بشاة أكيل، أى قد أكلها السبع ونحوه، وتقول: ما لنا طعام إلا الأكيلة، أى الشاة أو الجزور المعدة لأن تؤكل، فإن كانت قد أكلت فهى أكيل بلا هاءٍ، وكذلك أكيل السبع هنا ما قد أكل السبع بعضه. انظر: (البحر المحيط ٣/٤٢٣، الكشاف ١/٣٢٢، مجمع البيان ٢/١٥٦، القرطبى ٦/٥٠).

ثم قال تعالى ذكره: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾، يعنى وأن تستقسموا الأمور بالأزلام، والأزلام قدحان فى بيت أصنامهم، فإذا أرادوا أن يركبوا أمرًا أتوا بيت أصنامهم، فضربوا بالقدحين، فما خرج من شىء عملوا به، وكان كتب على أحدهما: أمرنى ربى، وعلى الآخر: نهانى ربى، فإذا أرادوا سفرًا أتوا ذلك البيت، فغطوا عليه ثوبًا، ثم يضربون بالقدحين، فإن خرج السهم الذى فيه: أمرنى ربى، خرج فى سفره، وإن خرج السهم الذى فيه: نهانى ربى، لم يسافر، فهذه الأزلام.

﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾، يعنى معصية حرامًا، ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾، يعنى لا تخشوا الكفار، ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ فى ترك أمرى، ثم قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، يعنى يوم عرفة، لم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ولا حكم، ولا حد، ولا فريضة، غير آيتين من آخر سورة النساء: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ...﴾ [النساء: ١٧٦]، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، يعنى شرائع دينكم أمر الحلال والحرام، وذلك أن الله جل ذكره كان فرض على المؤمنين شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، والإيمان بالبعث، والجنة، والنار، والصلاة ركعتين غدوة وركعتين بالعشى شيئًا غير مؤقت، والكف عن القتال قبل أن يهاجر النبى ﷺ، وفرضت الصلوات الخمس ليلة المعراج، وهو بعد بمكة، والزكاة المفروضة بالمدينة، ورمضان، والغسل من الجنابة، وحج البيت، وكل فريضة.

فلما حج حجة الوداع، نزلت هذه الآية يوم عرفة، فبركت ناقة النبى ﷺ لنزول الوحى بجمع، وعاش النبى ﷺ بعدها إحدى وثمانين ليلة، ثم مات يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، وهى آخر آية نزلت فى الحلال والحرام، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، يعنى شرائع دينكم أمر حلالكم وحرامكم، ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾، يعنى الإسلام إذ حججتم وليس معكم مشرك، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، يعنى واخترت لكم الإسلام دينًا، فليس دين أرضى عند الله عز وجل من الإسلام.

قال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ثم قال عز وجل: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾، يعنى مجاعة وجهد شديد أصابه من الجوع، ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ غير متعمد لمعصية، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٣]، إذا رخص له فى أكل الميتة، ولحم الخنزير، حين

أصابه الجوع الشديد والجهد، وهو على غير المضطر حرام.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤) الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ من الصيد، وذلك أن زيد الخير، وهو من بنى المهلهل، وعدى بن حاتم الطائيان، سألا النبى ﷺ، فقالا: يا رسول الله، كلاب آل درع وآل حورية يصدن الظباء والبقر والحمر، فمنها ما تدرك ذكاته فيموت، وقد حرم الله عز وجل الميتة، فماذا يحل لنا؟ فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ من الصيد ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾، يعنى الحلال، وذبح ما أحل الله لهم من الصيد مما أدركت ذكاته.

ثم قال: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾[1]، يعنى الكلاب معلمين للصيد، ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾، يقول: تؤدبوهن كما أدبكم الله، فيعرفون الخير والشر، وكذا الكاتم أيضًا، فأدبوا كلابكم فى أمر الصيد، ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾، يقول: فكلوا مما أمسكن، يعنى حبسن عليكم الكلاب المعلمة، ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ إذا أرسلتم بعد أن أمسك عليكم، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، فلا تستحلوا أكل الصيد من الميتة، إلا ما ذكى من صيد الكلب المعلم، ثم خوفهم، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آية: ٤] لمن يستحل أكل الميتة من الصيد إلا من اضطر.

قوله: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾، يعنى الحلال، أى الذبائح من الصيد، ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾، يعنى بالطعام ذبائح الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى، ذبائحهم ونساؤهم حلال للمسلمين، ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾، يعنى ذبائح المسلمين وذبائح نسائهم حلال لليهود والنصارى، ثم قال عز وجل: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾، يعنى وأحل لكم تزويج العفائف من المؤمنات، ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

---

(١) قراءة أبى رزين: «مُكْلِبِين»، ساكنة الكاف. وقراءة الحسن، وابن مسعود. انظر: (الإتحاف ١٩٨، القرطبى ٦/٦٨، الكشاف ١/٣٢٣، مجمع البيان ٢/١٦٣).

﴿ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، يعنى وأحل تزويج العفائف من حرائر نساء اليهود والنصارى، نكاحهن حلال للمسلمين، ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾، يعنى إذا أعطيتموهن مهورهن، ﴿مُحْصِنِينَ﴾ لفروجهن من الزنا، ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾، يعنى غير معلنات بالزنا علانية، ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾، يعنى لا تتخذ الخليل فى السر فيأيتها، فلما أحل الله عز وجل نساء أهل الكتاب، قال المسلمون: كيف تتزوجوهن وهن على غير ديننا، وقالت نساء أهل الكتاب: ما أحل الله تزويجنا للمسلمين إلا وقد رضى أعمالنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، يعنى من نساء أهل الكتاب بتوحيد الله، ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آية: ٥]، يعنى من الكافرين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا﴾(١)، يعنى إن أصابتكم جنابة، ﴿فَٱطَّهَّرُوا۟﴾، يعنى فاغتسلوا، ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾، نزلت فى عبد الرحمن بن عوف، رضى الله عنه، أو أصابكم جراحة، أو جدرى، أو كان بكم قروح وأنتم مقيمون فى الأهل، فخشيتم الضرر والهلاك، فتيمموا الصعيد ضربة للوجه وضربة للكفين، ﴿أَوْ﴾ إن كنتم ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾، نزلت فى عائشة، رضى الله عنها، حين أسقطت قلادتها وهو مع النبى ﷺ فى غزاة بنى أنمار، وهم حى من قيس عيلان.

﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ فى السفر ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾، يعنى جامعتم النساء فى السفر، ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾، يعنى من الصعيد ضربتين، ضربة للوجه وضربة لليدين إلى الكرسوع، ولم

(١) انظر: (الإتحاف ١٩٨، القرطبى ٩١/٦، الكشاف ٣٢٦/١، البحر المحيط ٤٣٨/٣، تهذيب اللغة «ع ك ب»).

يؤمروا بمسح الرأس فى التيمم، ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾، يعنى ضيق فى أمر دينكم، إذ رخص لكم فى التيمم، ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ فى أمر دينكم من الأحداث والجنابة، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾، يعنى إذ رخص لكم فى التيمم فى السفر، والجراح فى الحضر، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٦] رب هذه النعم فتوحدونه، فلما نزلت الرخصة، قال أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، لعائشة، رضوان الله عليها: والله ما علمتك إلا مباركة.

قوله سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾، يعنى بالإسلام يوم أخذ ميثاقكم على المعرفة بالله عز وجل والربوبية، ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، ذلك أن الله عز وجل أخذ الميثاق الأول على العباد حين خلقهم من صلب آدم، عليه السلام، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢] على أنفسنا، فمن بلغ منهم العمل، وأقر لله عز وجل بالإيمان به، وبآياته، وكتبه، ورسله، والكتاب، والملائكة، والجنة، والنار، والحلال، والحرام، والأمر، والنهى أن يعمل بما أمر، وينتهى عما نهى، فإذا أوفى لله تعالى بهذا، أوفى الله له بالجنة..

فهذان ميثاقان، ميثاق بالإيمان بالله، وميثاق بالعمل، فذلك قوله سبحانه فى البقرة: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥]، سمعنا بالقرآن الذى جاء من عند الله، وأطعنا الله عز وجل فيه، وذلك قوله سبحانه فى التغابن: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: ١٦]، يقول: اسمعوا القرآن الذى جاء به محمد ﷺ من عند الله عز وجل، وأطيعوا الله فيما أمركم، فمن بلغ الحلم والعمل ولم يؤمن بالله عز وجل ولا بالرسول والكتاب، فقد نقض الميثاق الأول بالإيمان بالله عز وجل، وبما أخذ الله تعالى عليه حين خلقه وصار من الكافرين، ومن أخذ الله عز وجل عليه الميثاق الأول، ولم يبلغ الحلم، فإن الله عز وجل أعلم به.

قال: وسُئل عبد الله بن عباس عن أطفال المشركين، فقال: لقد أخذ الله عز وجل الميثاق الأول عليهم، فلم يدركوا أجلاً، ولم يأخذوا رزقًا، ولم يعملوا سيئة، ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء: ١٥]، وماتوا على الميثاق الأول، فالله أعلم بهم. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، ولا تنقضوا ذلك الميثاق، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٧]،

يعنى بما فى قلوبهم من الإيمان والشك.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾، يعنى قوالين بالعدل، شهداء لله، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾، يقول: لا تحملنكم عداوة المشركين، يعنى كفار مكة، ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ على حجاج ربيعة، وتستحلوا منهم محرمًا، ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فاعدلوا، فإن العدل أقرب للتقوى، يعنى لخوف الله عز وجل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٨]، يعظهم ويحذرهم.

ثم قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾، يعنى وأدوا الفرائض، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم، ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٩]، يعنى جزاء حسنًا، وهو الجنة، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة، ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾، يعنى القرآن، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ١٠]، يعنى ما عظم من النار.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ...﴾ الآية، نزلت هذه الآية؛ لأن رسول الله ﷺ كان قد بعث المنذر بن عمرو الأنصارى فى أناس من أصحابه إلى بئر معونة، وهو ماء بنى عامر، فساروا حتى أشرفوا على الأرض، فأدركهم الماء فنزلوا، فلما كان المساء، أضل أربعة منهم بعيرًا لهم، فاستأذنوا أن يقيموا، فأذن لهم المنذر، ثم سار المنذر بمن معه، وأصبح القوم وقد جمعوا لهم على الماء، وكانت بنو سليم هم الذين آذنوا بنى عامر بهم، فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فقتل المنذر بن عمرو ومن معه،

وأصاب الأربعة بعيرهم من الغد، فأقبلوا فى طلب أصحابهم، فلقيتهم وليدة لبنى عامر فى غنيمة ترعاها، فقالت لهم: أمن أصحاب محمد أنتم؟ قالوا: نعم، رجاء أن تسلم، فقالت: النجاء، فإن إخوانكم قد قتلوا حول الماء، قتلهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر.

فقال أحد الأربعة: ما ترون؟ قالوا: نرى أن نرحل إلى رسول الله ﷺ، فنخبره بالذى كان، قال: لكنى والله لا أرجع حتى أنتقم من أعداء أصحابى اليوم، فامضوا راشدين واقرأوا على رسول الله ﷺ منى السلام كثيرًا، فأشرف على الخيل، فنظر إلى أصحابه مقتلين عند الماء، فأخذ سيفه، فضرب به حتى قُتل، رحمه الله، ورجع الثلاثة إلى المدينة، فأتوها حين أمسوا، فلقوا رجلين من بنى سليم وهما خارجان من المدينة، فقالوا لهما: من أنتما؟ قالا: نحن من بنى عامر، فقالوا: أنتما ممن قتل إخواننا، فأقبلوا عليهما فقتلوهما.

ثم دخلوا إلى النبى ﷺ، فأخبروه الخبر، فوجدوا الخبر قد سبق إليه، فقالوا: يا رسول الله، غشينا المدينة ممسين، فوجدنا رجلين من بنى عامر، فقتلناهما وهذا سلبهما، فقال رسول الله ﷺ: «بئس ما صنعتما، فإنهما كانا من بنى سليم»، قال: وكان بين بنى سليم وبين النبى ﷺ موادعة وعهد، فنزلت: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾، يقول: لا تعجلوا بأمر ولا بفعل حتى يأمركم رسول الله ﷺ، ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾ ولا تخالفوا على نبيكم، ﴿**إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ**﴾ لما تقولون، ﴿**عَلِيمٌ**﴾ [الحجرات: ١] بما تفعلون.

وجاء أهل السليميين، فقالوا: يا محمد، إن صاحبينا أتياك فقتلا عندك، فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبيكما اعتزيا إلى عدونا حتى قتلا، ولكنا سنعقل صاحبيكم»، فانطلق رسول الله ﷺ فى أهل عهده، فبدأ ببنى النضير، فقال: «أنتم جيراننا وحلفاؤنا، والأيام دول، وقد رأيتم الذى أصابنا، فاتخذوا عندنا يدًا نجزكم بها غدًا إن شاء الله»، فقالوا: مرحبًا بك وأهلاً، إخواننا بنو قريظة لا نحب أن نسبقهم بأمر، ولكن ائتنا يوم كذا وكذا، وقد جمعنا لك الذى تريد أن نعطيك.

فرجع رسول الله ﷺ من عندهم، فأرسلوا إلى بنى قريظة: أن محمدًا مغرور، يأتينا فى الرجل والرجلين، فاجتمعوا له فاقتلوه، فأتاهم رسول الله ﷺ لميعادهم، ومعه ثلاثة نفر:

أبو بكر، وعمر، وعلى، رضى الله عنهم، وهو ﷺ رابعهم، فأجلسوه فى صفة لهم، ثم خرجوا يجمعون السلاح له، وكان كعب بن الأشرف عند ذلك بالمدينة، فهم ينتظرونه حتى يأتيهم، فأوحى الله عز وجل إلى نبيه، فأتاه جبريل، عليه السلام، فأخبره بما يراد به وبأصحابه، فقام نبى الله ﷺ، ولم يؤذن أصحابه مخافة أن يثوروا بهم، فأتى باب الدار، فقام به.

فلما أبطأ على أصحابه، خرج على لينظر ما فعل رسول الله ﷺ، فإذا هو على الباب، فقال: يا رسول الله، احتبست علينا، حتى خفنا عليك أن يكون قد اغتالك أحد، قال: «فإن أعداء الله قد أرادوا ذلك، فقم مكانك بالباب حتى يخرج إليه بعض أصحابك، فأقمه مكانك وأخبره بالذى أخبرتك، ثم الحقنى»، ومضى رسول الله ﷺ، وقام الآخر بالباب، حتى خرج إليه صاحبه، فقال: احتبست أنت ورسول الله، حتى خفنا عليكما، فأخبره الخبر، فمكث مكانه ولحق الآخر برسول الله ﷺ، فلما أبطأوا على صاحبهم خرج، فاتبعوا رسول الله ﷺ، فذلك قوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾، وهم اليهود، ﴿أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالسوء، ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١١].

﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾، يعنى شاهدًا على قومهم، من كل سبط رجلا ليأخذ هذا الرجل على سبطه الميثاق، وشهداء على قومهم، وكانوا اثنى عشر سبطًا، على كل سبط منهم رجلاً، فأطاع الله عز وجل منهم خمسة، فكان منهم طالوت، ممن أطاع الله عز وجل، وعصى

منهم سبعة، فنقبوا على أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ﴾ عز وجل للنقباء الاثنى عشر، ﴿إِنِّي مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾، يعنى الذين بعثتهم إليكم، وفيهم عيسى، ومحمد ﷺ، فكفروا بعيسى ومحمد، صلى الله عليهما وسلم.

قال الله تعالى: ولقد أخذ الله ميثاقكم على أن تعملوا بما فى التوراة، فكان الإيمان بالنبيين من عمل التوراة، ثم قال سبحانه: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾(١)، يعنى وأعنتموهم حتى يبلغوا الرسالة، ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، يعنى طيبة بها أنفسكم، وهو التطوع، ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾، يقول: أغفر لكم خطاياكم الذى كان منكم فيما بينكم وبينى، ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ﴾، يعنى البساتين، ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [آية: ١٢]، يعنى فقد أخطأ قصد الطريق، طريق الهدى، فنقضوا العهد والميثاق.

فذلك قوله سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾، فبنقضهم ميثاقهم لعناهم بالمسخ، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةًۖ﴾، يعنى قست قلوبهم عن الإيمان بمحمد ﷺ، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦۙ﴾، والكلم صفة محمد ﷺ، ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦۚ﴾، وذلك أن الله عز وجل أخذ ميثاق بنى إسرائيل فى التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، ويصدقوا به، وهو مكتوب عندهم فى التوراة، فلما بعثه الله عز وجل كفروا به وحسدوه، وقالوا: إن هذا ليس من ولد إسحاق، وهو من ولد إسماعيل، فقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾، وهو الغش للنبى ﷺ، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ﴾، والقليل مؤمنيهم عبد الله بن سلام وأصحابه.

يقول الله عز وجل: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ﴾، حتى يأتى الله بأمره فى أمر بنى قريظة والنضير، فكان أمر الله فيهم القتل والسبى والجلاء، يقول: فاعف عنهم حتى يأتي، يعنى يجيء ذلك الأمر، فبلغوه فسبوا وأجلوا، فصارت آية العفو والصفح منسوخة، نسختها آية السيف فى براءة، فلما جاء ذلك الأمر قتلهم الله تعالى وسباهم وأجلاهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ١٣].

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٣/٤، إعراب القرآن للعكبرى ١/١٢٢).

ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾

ثم ذكر أهل الإنجيل، فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾، إنما سموا نصارى؛ لأنهم كانوا من قرية يقال لها: ناصرة، كان نزلها عيسى ابن مريم ﷺ، ﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾، وذلك أن الله كان أخذ عليهم الميثاق فى الإنجيل بالإيمان بمحمد ﷺ، كما أخذ على أهل التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، ويتبعوه ويصدقوه، وهو مكتوب عندهم فى الإنجيل، يقول الله تعالى: ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾، يعنى فتركوا حظًا مما أمروا به من إيمان بمحمد ﷺ، والتصديق به، ولو آمنوا لكان خيرًا لهم، وكان لهم حظًا.

يقول الله عز وجل: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾، يعنى بين النصارى، ﴿ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ النسطورية والماريعقوبية، وعبادة الملك، فهم أعداء بعضهم لبعض إلى يوم القيامة، ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ﴾ فى الآخرة، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [آية: ١٤]، يعنى بما يقولون من الجحود والتكذيب، وذلك أن النسطورية، قالوا: إن عيسى ابن الله، وقالت الماريعقوبية: إن الله هو المسيح ابن مريم، وقالت عبادة الملك: إن الله عز وجل ثالث ثلاثة، هو إله، وعيسى إله، ومريم إله، افتراء على الله تبارك وتعالى، وإنما الله إله واحد، وعيسى عبد الله ونبيه ﷺ، كما وصف الله سبحانه نفسه: أحد، صمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﷺ، ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعنى التوراة، أخفوا أمر الرجم، وأمر محمد ﷺ، ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾، يعنى ويتجاوز عن كثير مما كتمتم، فلا يخبركم بكتمانه، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾، يعنى ضياء من الظلمة، ﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٥]، يعنى بين.

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ﴾، يعنى بكتاب محمد ﷺ، ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾، يعنى من اتبع دين محمد ﷺ ودين الإسلام، يهديه الله إلى طريق الجنة، ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، يعنى من الشرك إلى الإيمان، ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾، يعنى بعلمه، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ١٦].

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، نزلت فى نصارى نجران الماريعقوبيين، منهم السيد والعاقب وغيرهما، ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد، ﴿فَمَن يَمْلِكُ﴾، فمن يقدر أن يمتنع، ﴿مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ من شىء من عذابه، ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ بعذاب أو بموت، فمن الذى يحول بينه وبين ذلك؟! ثم عظم الرب جل جلاله نفسه عن قولهم حين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، يقول: إليه سلطان السموات والأرض، ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾، يعنى عيسى، شاء أن يخلقه من غير بشر، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ١٧] من خلق عيسى من غير بشر وغيره من الخلق قدير، مثلها فى آخر السورة.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ يهود المدينة، منهم: كعب بن الأشرف، ومالك بن الضيف، وكعب بن أسيد، وبحرى بن عمرو، وشماس بن عمرو، وغيرهم، ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ من نصارى نجران السيد والعاقب ومن معهما، قالوا جميعًا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾، وافتخروا على المسلمين، وقالوا: ما أحد من الناس أعظم عند الله منزلة منا، فقال الله عز وجل لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ للمسلمين يردوا عليهم، ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾، حين زعمتم وقلتم: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة، يعنى عدة ما عبدوا فيها العجل، إن كنتم

أبناء الله وأحباؤه، أفتطيب نفس رجل أن يعذب ولده بالنار؟ والله أرحم من جميع خلقه.

فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ قل لهم: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ من العباد، ولستم بأبناء الله وأحبائه، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾، يعنى يتجاوز عمن يشاء فيهديه لدينه، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ فيميته على الكفر، ثم عظم الرب نفسه عز وجل عن قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق يحكم فيهما ما يشاء هم عبيده وفى ملكه، ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ١٨] فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعنى اليهود، منهم: رافع بن أبى حريملة، ووهب بن يهوذا، ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﷺ، ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ الدين، ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ فيها تقديم، وكان بين محمد وعيسى، صلى الله عليهما وسلم، ستمائة سنة، ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾، يعنى لئلا تقولوا: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ﴾ بالجنة، ﴿وَلَا نَذِيرٍ﴾ من النار، يقول: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾، يعنى النبى ﷺ، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ١٩]، إذ بعث محمدًا رسولاً.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾، وهم بنو إسرائيل، ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾،

يعنى بالنعمة، ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ السبعين الذى جعلهم الله ﴿أَنبِيَآءَ﴾ بعد موسى وهارون، وبعدما أتاهم الله بالصاعقة، ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ ، يعنى أغنياء، بعضكم عن بعض، فلا يدخل عليه أحد إلا بإذنه بمنزلة الملوك فى الدنيا، ثم قال: ﴿وَءَاتَىٰكُم﴾ ، يعنى وأعطاكم، ﴿مَّا لَمْ يُؤْتِ﴾ ، يعنى ما لم يعط ﴿أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٢٠]، يعنى الخير والتوراة، وما أعطاكم الله عز وجل فى التيه من المن والسلوى، وما ظلل عليهم من الغمام وأشباه ذلك مما فضلوا به على غيرهم.

فقال موسى: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ بنى إسرائيل، ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ ، يعنى المطهرة ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ ، يعنى التى أمركم الله عز وجل أن تدخلوها وهى أريحا أرض الأردن وفلسطين، وهما من الأرض المقدسة، ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ ، يعنى ولا ترجعوا ورائكم بترككم الدخول، ﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [آية: ٢١]، يعنى فترجعوا خاسرين.

وذلك أن الله عز وجل قال لإبراهيم، عليه السلام، وهو بالأرض المقدسة: إن هذه الأرض التى أنت بها اليوم هى ميراث لولدك من بعدك، فلما أخرج الله عز وجل موسى، عليه السلام، من مصر مع بنى إسرائيل، وقطعوا البحر، وأعطوا التوراة، أمرهم موسى أن يدخلوا الأرض المقدسة، فساروا حتى نزلوا على نهر الأردن فى جبل أريحا، وكان فى أريحا ألف قرية، فى كل قرية ألف بستان، وجبنوا أن يدخلوها، فبعث موسى، عليه السلام، اثنى عشر رجلاً، من كل سبط رجلاً، يأتونه بخبر الجبارين، وأمرهم أن يأتوه منها بالثمرة.

فلما أتوها خرج إليهم عوج بن عناق بنت آدم، فاحتملهم ومتاعهم بيده حتى وضعهم بين يدى الملك بانوس بن سشرون، فنظر إليهم، فأمر بقتلهم، فقالت امرأته: أيها الملك، أنعم على هؤلاء المساكين، فدعهم فليرجعوا وليأخذوا طريقًا غير الذى جاءوا فيه، فأرسلهم لها، فأخوا عنقودًا من كرومهم، وحملوه على عمودين بين رجلين، وعجزوا عن حمله، وحملوا رمانتين على بعض دوابهم، فعجزت الدابة عن حملهما حتى أتوا به أصحابهم وهم بواد يقال له: جبلان، فسموا ذلك المنزل وادى العنقود.

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ وجدناها أرضًا مباركة تفيض لبنًا وعسلاً كما عهد الله عز وجل إليك، ولكن ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ ، يعنى قتالين أشداء يقتل الرجل منهم العصابة منا،

فإن كان الله عز وجل أراد أن يجعلها لنا منزلاً وسكنًا، فليسلطك عليهم فتقتلهم وإلا فليس لنا بهم قوة، وحصنهم منيع، فتتابع على ذلك منهم عشرة، فقالوا لموسى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾، طول كل رجل منهم سبعة أذرع ونصف من بقايا قوم عاد، وكان عوج بن عناق بنت آدم فيهم، ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾، وهى أريحا، ﴿فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [آية: ٢٢].

قال يوشع بن نون، وهو من سبط بنيامين، وكالب بن يوقنا، وهو من سبط يهوذا، ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾، وهما الرجلان من القوم، ﴿مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾[1] من العدو وقد ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالإسلام، قالا: ليس كما يقول العشرة، سيروا حتى تحيطوا بالمدينة وبأبوابها، فإن القوم إذا رأوا كثرتكم بالباب وكبرتم رعبوا منكم، فانكسرت قلوبهم وانقطعت ظهورهم، وذهبت قوتهم، فـ ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾، يقول: وبالله فلتتقوا، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٢٣] بقتلهم بأيديكم، وينفيهم من أرض هى ميراثهم.

﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ﴾ أتصدق رجلين وتكذب عشرة يا موسى، ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ ينصرك عليهم، ﴿فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [آية: ٢٤]، يعنى مكاننا، فإننا لا نستطيع قتال الجبابرة، فغضب موسى عليهم، و﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ﴾ من الطاعة ﴿إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ﴾ هارون، ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا﴾، يعنى فاقض بيننا ﴿وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [آية: ٢٥]، يعنى العاصين الذين عصوا أن يقاتلوا عدوهم، وهم كلهم مؤمنون.

فأوحى الله عز وجل إلى موسى، عليه السلام: أما إذا سميتهم فاسقين، فالحق أقول: لا يدخلونها أبدًا، وذلك قوله عز وجل: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ﴾ دخولها البتة أبدًا، ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ﴾ فيها تقديم، ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ﴾ فى البرية، فأعمى الله عز وجل عليهم السبيل، فحبسهم بالنهار، وسيرهم بالليل، يسهرون ليلهم، فيصبحون حيث أمسوا، فإذا بلغ أجلهم، وهو أربعون سنة، أرسلت عليهم الموت، فلا يدخلها إلا خلوفهم، إلا يوشع بن نون، وكالب بن يوقنا، فهما يسوقان بنى إسرائيل إلى تلك الأرض، فتاه القوم فى تسع فراسخ عرض وثلاثين فرسخًا طول، وقالوا أيضًا: ستة

(١) انظر: (الطبرى ١٠/١٧٩، القرطبى ٦/١٢٧، الكشاف ١/٣٣١، البحر المحيط ٣/٤٥٥).

فراسخ عرض فى اثنى عشر فرسخًا طول، فقال القوم لموسى، عليه السلام: ما صنعت بنا، دعوت علينا حتى بقينا فى التيه؟ وندم موسى، عليه السلام، على ما دعا عليهم، وشق عليه حين تاهوا، فأوحى الله عز وجل إليه: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [آية: ٢٦]، يعنى لا تحزن على قوم أنت سميتهم فاسقين أن تاهوا.

ثم مات هارون، عليه السلام، فى التيه، ومات موسى من بعده بستة أشهر، فماتا جميعًا فى التيه، ثم إن الله عز وجل أخرج ذرياتهم بعد أربعين سنة وقد هلكت الأمة العصاة كلها، وخرجوا مع يوشع بن نون ابن أخت موسى، وكالب بن يوقنا بعد وفاة موسى، عليه السلام، بشهرين، فأتوا أريحا، فقاتلوا أهلها ففتحوها، وقتلوا مقاتلهم، وسبوا ذراريهم، وقتلوا ثلاثة من الجبارين، وكان قاتلهم يوشع بن نون، فغابت الشمس، فدعا يوشع بن نون، فرد الله عز وجل عليه الشمس، فأطلعت ثانية، وغابت الشمس الثانية، ودار الفلك فاختلط على الحساب حسابهم منذ يومئذ فيما بلغنا، ومات فى التيه كل ابن عشرين سنة فصاعدًا، وموضع التيه بين فلسطين وإيلة ومصر، فتاه القوم بعضيانهم ربهم عز وجل، وخلافهم على نبيهم، مع دعاء بلعام بن باعور بن ماث عليهم فيما بين ستة فراسخ إلى اثنى عشر فرسخًا، لا يستطيعون الخروج منها أربعين سنة، ومات هارون حين أتم ثمانية وثمانين سنة، وتوفى موسى بعده بستة أشهر، وساتخلف عليهم يوشع بن نون، وحين ماتوا كلهم أخرج ذراريهم يوشع بن نون، وكالب بن يوقنا.

﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾، يقول: اتل يا محمد على أهل مكة نبأ ابنى آدم، ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ ليعرفوا نبوتك، يقول: اتل عليهم حديث ابنى آدم هابيل وقابيل، وذلك أن حواء ولدت فى بطن واحد غلامًا وجارية، قابيل وإقليما، ثم ولدت فى البطن الآخر غلامًا وجارية، هابيل وليوذا، وكانت أخت قابيل أحسن من أخت هابيل، فلما أدركا، قال آدم، عليه السلام، ليتزوج كل واحد منهما أخت الآخر، قال قابيل: لكن يتزوج كل واحد منهما أخته التى ولدت معه، قال آدم، عليه السلام: قربا قربانًا، فأيما تقبل قربانه كان أحق بهذه الجارية.

وخرج آدم، عليه السلام، إلى مكة، فعمد قابيل، وكان صاحب زرع، فقرب أخبث زرعه البر المأكول فيه الزوان، وكان هابيل صاحب ماشية، فعمد فقرب خير غنمه مع زبد ولبن، ثم وضعا القربان على الجبل، وقاما يدعوان الله عز وجل، فنزلت نار من السماء، فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل، فحسده قابيل، فقال لهابيل: لأقتلنك، قال هابيل: يا أخى، لا تلطخ يدك بدم برىء، فترتكب أمرًا عظيمًا، إنما طلبت رضا والدى ورضاك، فلا تفعل، فإنك إن فعلت أخزاك الله بقتلك إياى بغير ذنب ولا جرم، فتعيش فى الدنيا أيام حياتك فى شقوة ومخافة فى الأرض، حتى تكون من الخوف والحزن أدق من شعر رأسك، ويجعلك إلهى ملعونًا.

فلم يزل يحاوره حتى انتصف النهار، وكان فى آخر مقالة هابيل لقابيل: إن أنت قتلتنى كنت أول من كتب عليه الشقاء، وأول من يساق إلى النار من ذرية والدى، وكنت أنا أول شهيد يدخل الجنة، فغضب قابيل، فقال: لا عشت فى الدنيا، ويقال: قد تقبل قربانه ولم يتقبل قربانى، فقال له هابيل: فتشقى آخر الأبد، فغضب عند ذلك قابيل، فقتله بحجر دق رأسه، وذلك بأرض الهند عشية، وآدم، عليه السلام، بمكة، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٢٧].

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٢٨]، ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٢٩]، ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾[١]، يقول: قزينت له

---

(١) انظر: (الكشاف ١/٢٣٤، إعراب القرآن للنحاس ١/٤٩٣).

نفسه قتل أخيه، ﴿ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [آية: ٣٠].

قال: وكان هابيل قال لأخيه قابيل: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى.. ﴾ إلى قوله: ﴿ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ ﴾ ، يعنى أن ترجع بإثمى بقتلك إياى، وإثمك الذى عملته قبل قتلى، ﴿ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ، يعنى جزاء من قتل نفسًا بغير جرم، فلما قتله عشية من آخر النهار، لم يدر ما يصنع، وندم ولم يكن يومئذ على الأرض بناء ولا قبر، فحمله على عاتقه، فإذا أعيى وضعه بين يديه، ثم ينظر إليه ويبكى ساعة، ثم يحمله، ففعل ذلك ثلاثة أيام.

فلما كان فى الليلة الثالثة، بعث الله غرابين يقتتلان، فقتل أحدهما صاحبه وهو ينظر، ثم حفر بمنقاره فى الأرض، فلما فرغ منه، أخذ بمنقاره رجل الغراب الميت، حتى قذفه فى الحفيرة، ثم سوى الحفيرة بالأرض، وقابيل ينظر، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ ﴾ قابيل: ﴿ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ ﴾ ، يقول: أعجزت أن أعلم من العلم مثل ما علم هذا الغراب، ﴿ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ ﴾ ، يقول: فأغطى عورة أخى كما وارى الغربا صاحبه، ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴾ [آية: ٣١] بقتله أخاه.

فعمد عند ذلك قابيل، فحفر فى الأرض بيده، ثم قذف أخاه فى الحفيرة، فسوى عليه تراب الحفيرة كما فعل الغراب بصاحبه، فلما دفنه ألقى الله عز وجل عليه الخوف، يعنى على قابيل؛ لأنه أول من أخاف، فانطلق هاربًا، فنودى من السماء: يا قابيل، أين أخوك هابيل؟ قال: أو رقيبًا كنت عليه؟ ليذهب حيث شاء، قال المنادى: أما تدرى أين هو؟ قال: لا، قال المنادى: إن لسانك وقلبك ويديك ورجليك وجميع جسدك يشهدون عليك أنك قتلته ظلمًا، فلما أنكر شهدت عليه جوارحه، فقال المنادى: أين تنجو من ربك؟ إن إلهى يقول: إنك ملعون بكل أرض، وخائف ممن يستقبلك، ولا خير فيك، ولا فى ذريتك.

فانطلق جائعًا، حتى أتى ساحل البحر، فجعل يأخذ الطير، فيضرب بها الجبل، فيقتلها ويأكلها، فمن أجل ذلك حرم الله الموقوذة، وكانت الدواب، والطير، والسباع، لا يخاف بعضها من بعض، حتى قتل قابيل هابيل، فلحقت الطير بالسماء، والوحش بالبرية والجبال، ولحقت السباع بالغياض، وكانت قبل ذلك تستأنس إلى آدم، عليه

السلام، وتأتيه، وغضبت الأرض على الكفار من يومئذ، فمن ثم يضغط الكافر فى الأرض حتى تختلف أضلاعه، ويتسع على المؤمن قبره حتى ما يرى طرفاه، وتزوج شيث بن آدم ليوذا التى ولدت مع هابيل، وبعث الله عز وجل ملكًا إلى قابيل فعلق رجله، وجعل عليه ثلاث سرادقات من نار، كلما دار دارت السرادقات معه، فمكث بذلك حينًا، ثم حل عنه.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ (١)، يعنى من أجل بنى آدم، تعظيمًا للدم، ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فى التوراة ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ عمدًا، ﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾، أو عمل فيها بالشرك، وجبت له النار، ولا يعفى عنه حتى يقتل، ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، أى كما يجزى النار لقتله الناس جميعًا لو قتلهم، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، وذلك أنه مكتوب فى التوراة أنه من قتل رجلاً خطأ، فإنه يقاد به، إلا أن يشاء ولى المقتول أن يعفو عنه، فإن عفا عنه، وجبت له الجنة، كما تجب له الجنة لو عفا عن الناس جميعًا، فشدد الله عز وجل عليهم القتل؛ ليحجز بذلك بعضهم عن بعض، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾، يعنى بالبيان فى أمره ونهيه، ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ البيان ﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى إسرافا فى سفك الدماء واستحلال المعاصى.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٤)﴾

قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، يعنى بالمحاربة الشرك، نظيرها فى براءة، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله، وذلك أن تسعة نفر من عرينة وهم من بجيلة، أتوا النبى ﷺ بالمدينة فأسلموا، فأصابهم وجع شديد، ووقع الماء الأصفر فى بطونهم، فأمرهم النبى ﷺ أن يخرجوا إلى إبل الصدقة ليشربوا من ألبانها وأبوالها، ففعلوا ذلك، فلما صحوا عمدوا إلى الراعى، فقتلوه وأغاروا على الإبل، فاستاقوها وارتدوا عن

(١) انظر: (الإتحاف ٢٠٠، القرطبى ١٤٥/٦، ١٤٦، الكشاف ٣٣٥/١، البحر المحيط ٤٦٨/٣، النشر ٢٥٤/٢).

الإسلام، فبعث النبى ﷺ على بن أبى طالب، رضى الله عنه، فى نفر فأخذهم.

فلما أتوا بهم النبى ﷺ، أمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، يعنى الكفر بعد الإسلام، ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ القتل وأخذ الأموال، ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾، يعنى اليد اليمنى والرجل اليسرى، فالإمام فى ذلك بالخيار فى القتل والصلب، وقطع الأيدى والأرجل، ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، يقول: يخرجوا من الأرض، أرض المسلمين، فينفوا بالطرد، ﴿ذَٰلِكَ﴾ جزاءهم الخزى ﴿لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ قطع اليد والرجل والقتل والصلب فى الدنيا، ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى كثيرًا وافرًا لا انقطاع له.

ثم استثنى، فقال عز وجل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من الشرك ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ﴾، فتقيموا عليهم الحد، فلا سبيل لكم عليهم، يقول: من جاء منهم مسلمًا قبل أن يؤخذ، فإن الإسلام يهدم ما أصاب فى كفره من قتل أو أخذ مال، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لما كان منه فى كفره ﴿رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٣٤] به حين تاب ورجع إلى الإسلام، فأما من قتل وهو مسلم، فارتد عن الإسلام، ثم رجع مسلمًا، فإنه يؤخذ بالقصاص.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾، يعنى فى طاعته بالعمل الصالح، ﴿وَجَٰهِدُواْ﴾ العدو ﴿فِي سَبِيلِهِۦ﴾، يعنى فى طاعته، ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾، يعنى لكى ﴿تُفۡلِحُونَ﴾ [آية: ٣٥]، يعنى تسعدون، ويقال: تفوزون.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة، ﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ﴾، أى فقدروا أن يفتدوا به ﴿مِنۡ عَذَابِ﴾ جهنم

﴿يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، يقول: لو كان ذلك لهم وفعلوه، ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٣٦]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بالفداء، ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ﴾ أبدًا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [آية: ٣٧]، يعني دائم.

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾، يعني أيمانهما من الكرسوع، يقول: القطع ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾، يعني سرقا، ﴿نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يعني عقوبة من الله قطع اليد، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ٣٨]، ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾، يقول: من تاب من بعد سرقته، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل فيما بقى، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنبه، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٣٩] به، وأما المال، فلابد أن يرده إلى صاحبه.

وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يا محمد ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يحكم فيهما بما يشاء، ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ من أهل معصيته، ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾، يعني به المؤمنين، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من العذاب والمغفرة ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٤٠].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾

وقولـه سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ ، يعنى صدقنا بألسنتهم، ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ فى السر، نزلت فى أبى لبابة، اسمه: مروان بن عبد المنذر الأنصارى، من بنى عمرو بن عوزف، وذلك أنه أشار إلى أهل قريظة إلى حلقه أن محمدًا جاء يحكم فيكم بالموت، فلا تنزلوا على حكم سعد بن معاذ، وكان حليفًا لهم، ثم قال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ ، أى ولا يحزنك الذين هادوا، يعنى يهود المدينة، ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ ، يعنى قوالون للكذب، منهم: كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، وأبو لبابة، وسعيد بن مالك، وابن صوريا، وكنانة بن أبى الحقيق، وشاس بن قيس، وأبو رافع بن حريملة، ويوسف بن عازر بن أبى عازب، وسلول بن أبى سلول، والبخام بن عمرو، وهم ﴿سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ ، يعنى يهود خيبر، ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ يا محمد ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ ، يعنى أمر الرجم، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ عن بيانه فى التوراة.

وذلك أن رجلاً من اليهود يسمى يهوذا، وامرأة تسمى بسرة من أهل خيبر من أشراف اليهود، زنيا وكانا قد أحصنا، فكرهت اليهود رجمهما من أجل شرفهما وموضعهما، فقالت يهود خيبر: نبعث بهذين إلى محمد ﷺ، فإن فى دينه الضرب، وليس فى دينه الرجم، ونوليه الحكم فيهما، فإن أمركم فيهما بالضرب فخذوه، وإن أمركم فيهما بالرجم فاحذروه، فكتب يهود خيبر إلى يهود المدينة، إلى كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، ومالك بن الضيف، وأبى لبابة، وبعثوا نفرًا منهم، فقالوا: سلوا لنا محمدًا، عليه السلام، عن الزانيين إذا أحصنا ما عليهما؟ فإن أمركم بالجلد فخذوا به، والجلد الضرب بحبل من ليف مطلى بالقار، وتسود وجوههما ويحملان على حمار، وتجعل وجوههما مما يلى ذنب الحمار، فذلك التجبية.

﴿يَقُولُونَ﴾ ، أى اليهود، ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾ ، أى إن أمركم بالرجم فاحذروه على ما فى أيديكم أن يسلبكموه، قال: فجاء كعب بن الأشرف، ومالك بن الضيف، وكعب بن أسيد، وأبو لبابة، إلى النبى ﷺ، فقالوا: أخبرنا عن الزانيين إذا أحصنا ما عليهما، فأتاه جبريل، عليه السلام، فأخبره بالرجم، ثم قال جبريل، عليه السلام: اجعل بينك وبينهم ابن صوريا، وسلهم عنه، فمشى رسول الله ﷺ حتى أتى أحبارهم فى بيت المدارس، فقال: «يا معشر اليهود، أخرجوا إلىَّ علماءكم»، فأخرجوا إليه عبد الله بن صوريا، وأبا ياسر بن أخطب، ووهب بن يهوذا،

فقالوا: هؤلاء علماؤنا، ثم حصر أمرهم، إلى أن قالوا لعبد الله بن صوريا: هذا أعلم من بقى بالتوراة، فجاء به رسول الله ﷺ.

وكان ابن صوريا غلامًا شابًا، ومع رسول الله ﷺ عبد الله بن سلام، فقال رسول الله ﷺ: «أنشدك بالله الذى لا إله إلا هو إله بنى إسرائيل، الذى أخرجكم من مصر، وفلق لكم البحر، وأنجاكم وأغرق آل فرعون، وأنزل عليكم كتابه يبين لكم حلاله وحرامه، وظلل عليكم المن والسلوى، هل وجدتم فى كتابكم أن الرجم على من أحصن؟»، قال ابن صوريا: اللهم نعم، ولولا أنى خفت أن أحترق بالنار، أو أهلك بالعذاب، لكتمتك حين سألتنى، ولم أعترف لك، قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، فأنا أول من أحيا سُنة من سنن الله عز وجل»، ثم أمر بهما فرجما عند باب مسجده فى بنى غنم بن مالك بن النجار.

فقال عبد الله بن صوريا: والله يا محمد، إن اليهود لتعلم أنك نبى حق، ولكنهم يحسدونك، ثم كفر ابن صوريا بعد ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ**﴾، يعنى مما فى التوراة من أمر الرجم، ونعت محمد ﷺ، ثم قال: ﴿**وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾، فلا يخبر به، فقال النبى ﷺ لليهود: «إن شئتم أخبرتكم بالكثير»، قال ابن صوريا: أنشدك بالله أن تخبرنا بالكثير مما أمرت أن تعفو عنه.

ثم قال ابن صوريا للنبى ﷺ: أخبرنى عن ثلاث خصال لا يعلمهن إلا نبى، فقال رسول الله ﷺ: «هات، سل عما شئت»، قال: أخبرنى عن نومك؟ قال: «تنام عينى وقلبى يقظان»، قال ابن صوريا: صدقت، قال: فأخبرنى عن شبه الولد، من أين يشبه الأب أو الأم؟ قال: «أيهما سبقت الشهوة له كان الشبه له»، قال: صدقت، قال: أخبرنى ما للرجل وما للمرأة من الولد، ومن أيهما يكون ؟ قال النبى ﷺ: «اللحم والدم والظفر والشعر للمرأة، والعظم والعصب والعروق للرجل»، قال: صدقت، قال: فمن وزيرك من الملائكة، ومن يجيئك بالوحى؟ قال: «جبريل، عليه السلام»، قال: صدقت يا محمد، وأسلم عند ذلك.

قوله سبحانه: ﴿**إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ**﴾، يقول ذلك يهود خيبر ليهود المدينة، كعب بن الأشرف، ومالك بن الضيف، وكعب بن أسيد، وأبى لبابة: إن أمركم محمد

بالجلد فاقبلوه، وإن لم تؤتوه، يعنى الجلد، وإن أمركم بالرجم فاحذروا، فإنه نبى، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾، يعنى اليهود، ﴿لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ من الكفر حين كتموا أمر الرجم ونعت محمد ﷺ، ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾، يعنى به اليهود، وهم أهل قريظة، أما الخزى الذى نزل بهم، فهو القتل والسبى، وأما خزى أهل النضير، فهو الخروج من ديارهم وأموالهم وجناتهم، فأجلوا إلى الشام، إلى أذرعات وأريحا، ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آية: ٤١]، يعنى ما عظم من النار.

ثم قال: ﴿سَمَّٰعُونَ﴾، يعنى قوالون ﴿لِلۡكَذِبِ﴾ للزور، منهم: كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، ومالك بن الضيف، ووهب بن يهوذا، ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾، يعنى الرشوة فى الحكم، كانت اليهود قد جعلت لهم جعلاً فى كل سنة، على أن يقضوا لهم بالجور، يقول الله عز وجل: ﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾ يا محمد فى الرجم، ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾، يعنى بالعدل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [آية: ٤٢]، يعنى الذين يعدلون فى الحكم، ثم نسختها الآية التى جاءت بعد، وهى قوله: ﴿**وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ**﴾ إليك فى الكتاب أن الرجم على المحصن والمحصنة، ولا ترد الحكم، ﴿**وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ**﴾، يعنى كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، ومالك بن الضيف.

قال تعالى: ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾، يعنى الرجم على المحصن والمحصنة، والقصاص فى الدماء سواء، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾، يعنى يعرضون من بعد البيان فى التوراة، ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٤٣]، يعنى وما أولئك بمصدقين حين حرفوا ما فى التوراة.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن

تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾

ثم أخبر الله عن التوراة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾ وضياء من الظلمة، ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ من لدن موسى، عليه السلام، إلى عيسى ابن مريم ﷺ، ألف نبى، ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾، يعنى أنهم مسلمون، أو أسلموا وجوههم لله، ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾، يعنى اليهود يحكمون بما لهم وما عليهم، ﴿وَ﴾ يحكم بها ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾، وهم المتعبدون من أهل التوراة من ولد هارون، يحكمون بالتوراة، ﴿وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾، يعنى القراء والعلماء منهم، ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ عز وجل من الرجم، وبعث محمد ﷺ فى كتابهم، ثم قال يهود المدينة، كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، ومالك بن الضيف، وأصحابهم، ﴿وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾، يقول: لا تخشوا يهود خيبر أن تخبروهم بالرجم، ونعت محمد ﷺ، ﴿وَٱخۡشَوۡنِ﴾ إن كتمتموه، ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ﴾ عرضًا يسيرًا مما كانوا يصيبون من سفلة اليهود من الطعام والثمار، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فى التوراة بالرجم ونعت محمد ﷺ، ويشهد به، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٤٤].

ولما أرادوا القيام، قالت بنو قريظة، أبو لبابة، وشعبة بن عمرو، ورافع بن حريملة، وشاس بن عمرو، للنبى ﷺ: إخواننا بنى النضير، كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، ومالك بن الضيف، وغيرهم، أبونا واحد، وديننا واحد، إذا قتل أهل النضير منا قتيلاً، أعطونا سبعين وسقًا من تمر، وإن قتلنا منهم قتيلاً، أخذوا منا مائة وأربعين وسقًا من تمر، وجراحاتنا على أنصاف جراحاتهم، فاقض بيننا وبينهم يا محمد، فقال رسول الله ﷺ: «إن دم القرظى وفاء من دم النضيرى، وليس للنضيرى على القرظى فضل فى الدم ولا فى العقل»، قال كعب بن الأشرف، ومالك بن الضيف، وكعب بن أسيد، وأصحابهم: لا نرضى بقضائك، ولا نطيع أمرك، ولنأخذن بالأمر الأول، فإنك عدونا، وما تأول أن تضعنا وتضرنا.

وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾، يعنى حكمهم الأول، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾، يقول: فلا أحد أحسن من الله حكمًا، ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، وعد الله عز وجل ووعيده، ثم أخبر عن التوراة، فقال سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾، يعنى وفرضنا عليهم فى التوراة، نظيرها فى المجادلة: ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ [المجادلة: ٢١]، يعنى قضى، ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾، يقول: فمن تصدق بالقتل والجراحات، فهو كفارة لذنبه، يقول: إن عفى المجروح عن الجارح، فهو كفارة للجارح من الجرح، ليس عليه قود ولا دية، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فى التوراة من أمر الرجم والقتل والجراحات، ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٤٥].

ثم أخبر عن أهل الإنجيل، فقال: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾، يعنى وبعثنا من بعدهم، يعنى من بعد أهل التوراة، ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، يقول: عيسى يصدق بالتوراة، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾، يعنى أعطينا عيسى الإنجيل، ﴿فِيهِ هُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَنُورٌ﴾ من الظلمة، ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، يقول: الإنجيل يصدق التوراة، ﴿وَ﴾ الإنجيل ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ من الجهل، ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٤٦] الشرك.

ثم قال عز وجل: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ﴾ من الأحبار والرهبان، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾، يعنى فى الإنجيل من العفو عن القاتل أو الجارح والضارب، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فى الإنجيل من العفو واقتص من القاتل والجارح والضارب، ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٤٧]، يعنى العاصين لله عز وجل.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ

لَفَسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

قوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يا محمد ﷺ، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، يعنى القرآن بالحق، لم ننزله عبثًا ولا باطلاً لغير شىء، ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾، يقول: وشاهدًا عليه، وذلك أن قرآن محمد ﷺ شاهد بأن الكتب التى أنزلت قبله أنها من الله عز وجل، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إليك فى القرآن، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾، يعنى أهواء اليهود، ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾، وهو القرآن، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً﴾، يعنى من المسلمين وأهل الكتاب، ﴿شِرْعَةً﴾، يعنى سُنة، ﴿وَمِنْهَاجًا﴾، يعنى طريقًا وسبيلاً، فشريعة أهل التوراة فى قتل العمد القصاص ليس لهم عقل ولا دية، والرجم على المحصن والمحصنة إذا زنيا.

وشريعة الإنجيل فى القتل العمد العفو، ليس لهم قصاص ولا دية، وشريعتهم فى الزنا الجلد بلا رجم، وشريعة أمة محمد ﷺ فى قتل العمد القصاص والدية والعفو، وشريعتهم فى الزنا إذا لم يحصن الجلد، فإذا أحصن فالرجم، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ﴾ يا أمة محمد ﷺ وأهل الكتاب، ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على دين الإسلام وحدها، ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ﴾، يعنى يبتليكم ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾، يعنى فيما أعطاكم من الكتاب والسُنة من يطع الله عز وجل فيما أمر ونهى، ومن يعصه ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾، يقول: سارعوا فى الأعمال الصالحة يا أمة محمد، فيما ذكر من السبيل والسُنة، ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ فى الآخرة أنتم وأهل الكتاب، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ٤٨] فى الدين.

قوله سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إليك فى الكتاب، يعنى بين اليهود، وذلك أن قومًا من رءوس اليهود من أهل النصير اختلفوا، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه ونرده عما هو عليه، فإنما هو بشر إذن فيستمع، فأتوه فقالوا له: هل لك أن تحكم لنا على أصحابنا أهل قريظة فى أمر الدماء كما كنا عليه من قبل، فإن فعلت، فإنا نبايعك ونطيعك، وإنا إذا بايعناك تابعك أهل الكتاب كلهم؛ لأنا سادتهم وأحبارهم، فنحن نفتنهم ونزلهم عما هم عليه حتى يدخلوا فى دينك.

فأنزل الله عز وجل يحذر نبيه ﷺ، فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ فى أمر الدماء، ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾، يعنى أن يصدوك، ﴿عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ من أمر

الدماء بالسوية، ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ ، يقول: فإن أبوا حكمك، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم﴾ ، يعنى أن يعذبهم فى الدنيا بالقتل والجلاء من المدينة إلى الشام، ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ ، يعنى ببعض الدماء التى كانت بينهم من قبل أن يبعث محمد ﷺ، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ ، يعنى رءوس اليهود، ﴿لَفَاسِقُونَ﴾ [آية: ٤٩]، يعنى لعاصون حين كرهوا حكم النبى ﷺ فى أمر الدماء بالحق.

فقال كعب بن الأشرف، ومالك بن الضيف، وكعب بن أسيد، للنبى ﷺ: لا نرضى بحكمك، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[1]، الذى كانوا عليه من الجور من قبل أن يبعث محمد ﷺ، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ ، يقول: فلا أحد أحسن من الله حكمًا، ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٥٠] بالله عز وجل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ (٥٣)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ ، نزلت فى رجلين من المسلمين، ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ ، قال: لما كانت وقعة أُحُد، خاف ناس من المسلمين أن يدال الكفار عليهم، فقال رجل منهم: أنا آتى فلانًا اليهودى فأتهود، فإنى أخشى أن يدال الكفار علينا، قال الآخر: أما أنا، فإنى آتى الشام فأنتصر، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ ، يعنى من المؤمنين، ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ ، يعنى يلحق بهم ويكون معهم؛ لأن المؤمنين لا يتولون الكفار، ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آية: ٥١].

ثم ذكر أنه إنما يتولاهم المنافقون؛ لأنهم وافقوهم على ما يقولون، قال سبحانه: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[2]، وهو الشك، فهم المنافقون، ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ ،

---

(١) انظر: (القرطبى ٢١٥/٦، الكشاف ٣٤٣/١، البحر المحيط ٥٠٥/٣، الرازى ٤١١/٣ مغنى اللبيب ١٠٦/٢).

(٢) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ١٢٧/١، البحر المحيط ٥٠٨/٣).

يعنى فى ولاية اليهود بالمدينة، ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾، يعنى دولة اليهود على المسلمين، وذلك أن نفرًا من المنافقين، أربعة وثمانين رجلاً، منهم: عبد الله بن أبى، وأبو نافع، وأبو لبابة، قالوا: نتخذ عند اليهود عهدًا ونواليهم فيما بيننا وبينهم، فإنا لا ندرى ما يكون فى غد، ونخشى ألا ينصر محمد ﷺ، فينقطع الذى بيننا وبينهم، ولا نصيب منهم قرضًا ولا ميرة، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾، يعنى بنصر محمد ﷺ الذى يئسوا منه، ﴿أَوْ﴾ يأتى ﴿أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾، قتل قريظة، وجلاء النضير إلى أذرعات، فلما رأى المنافقون ما لقى أهل قريظة والنضير، ندموا على قولهم، قال: ﴿فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [آية: ٥٢].

فلما أخبر الله عز وجل نبيه ﷺ عن المنافقين، أنزل هذه الآية: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بعضهم لبعض: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾، يعنى المنافقين، ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾، إذ حلفوا بالله عز وجل، فهو جهد اليمين، ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ على دينكم، يعنى المنافقين، ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾، يعنى بطلت أعمالهم؛ لأنها كانت فى غير الله عز وجل، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [آية: ٥٣] فى الدنيا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾، وذلك حين هزموا يوم أُحُد، شك أناس من المسلمين، فقالوا ما قالوا، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، فارتد بعد وفاة رسول الله ﷺ بنو تميم، وبنو حنيفة، وبنو أسد، وغطفان، وأناس من كندة، منهم الأشعث بن قيس، فجاء الله عز وجل بخير من الذين ارتدوا، بوهب بطن من كندة، وبأحمس بجيلة، وحضرموت، وطائفة من حمير وهمذان، أبدلهم مكان الكافرين.

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالرحمة واللين، ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، يعنى عليهم بالغلظة والشدة، فسدد الله عز وجل بهم الدين، ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ العدو، يعنى فى طاعة الله، ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾، يقول: ولا يبالون غضب من غضب عليهم، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾، يعنى دين الإسلام، ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لذلك الفضل، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٥٤] لمن يؤتى الإسلام، وفيهم نزلت وفى الإبدال: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [آية: ٥٥]، وذلك أن عبد الله بن سلام وأصحابه قالوا للنبى ﷺ عند صلاة الأولى: إن اليهود أظهروا لنا العداوة من أجل الإسلام، ولا يكلموننا، ولا يخالطوننا فى شىء، ومنازلنا فيهم، ولا نجد متحدثًا دون هذا المسجد، فنزلت هذه الآية، فقرأها النبى ﷺ، فقالوا: قد رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين أولياء، وجعل الناس يصلون تطوعًا بعد المكتوبة، وذلك فى صلاة الأولى.

وخرج النبى ﷺ إلى باب المسجد، فإذا هو بمسكين قد خرج من المسجد، وهو يحمد الله عز وجل، فدعاه النبى ﷺ، فقال: «هل أعطاك أحد شيئًا؟»، قال: نعم يا نبى الله، قال: «من أعطاك؟»، قال: الرجل القائم أعطانى خاتمه، يعنى على بن أبى طالب، رضوان الله عليه، فقال النبى ﷺ: «على أى حال أعطاكه؟»، قال: أعطانى وهو راكع، فكبر النبى ﷺ، وقال: «الحمد لله الذى خص عليًا بهذه الكرامة»، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى على بن أبى طالب، رضى الله عنه، ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [آية: ٥٦]، يعنى شيعة الله ورسوله والذين آمنوا هم الغالبون، فبدأ بعلى بن أبى طالب، رضى الله عنه، قبل المسلمين، ثم جعل المسلمين وأهل الكتاب المؤمنين، فيهم عبد الله بن سلام وغيره هم الغالبون لليهود، حين قتلوهم وأجلوهم من المدينة إلى الشام وأذرعات وأريحا.

قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى المنافقين الذين أقروا باللسان وليس الإيمان فى قلوبهم، ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ﴾ الإسلام ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾، يعنى استهزاء وباطلاً، وذلك أن المنافقين كانوا يوالون اليهود فيتخذونهم أولياء، قال: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى اليهود، ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ لأنهم أعطوا التوراة قبل أمة محمد ﷺ،

يقول: لا تتخذوهم أولياء، ﴿وَ﴾ لا تتخذوا ﴿وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾، يعني كفار اليهود ومشركي العرب، ثم حذرهم، فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٥٧]، يعني إن كنتم مصدقين، فلا تتخذوهم أولياء، يعني كفار العرب، حين قال عبد الله بن أبي، وعبد الله بن نتيل، وأبو لبابة، وغيرهم من اليهود: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، حين كتبوا إليهم.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾

ثم أخبر عن اليهود، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾، يعني استهزاء وباطلاً، وذلك أن اليهود كانوا إذا سمعوا الأذان، ورأوا المسلمين قاموا إلى صلاتهم، يقولون: قد قاموا لا قاموا، وإذا رأوهم ركعوا، قالوا: لا ركعوا، وإذا رأوهم سجدوا ضحكوا، وقالوا: لا سجدوا، واستهزءوا، يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٥٨]، يقول: لو عقلوا ما قالوا هذه المقالة.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٥٩]، قال: أتى النبي ﷺ أبو ياسر، وحيي بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وعازر بن أبي عازر، وخالد وزيد ابنا عمرو، وأزر بن أبي أزر، وأشيع، فسألوه عن من يؤمن به من الرسل، فقال رسول الله ﷺ: «نؤمن ﴿بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾» [البقرة: ١٣٦]، فلما ذكر عيسى ابن مريم جحدوا نبوته ﷺ، وقالوا: لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا

﴿إلاَّ أنْ آمَنَّا باللّهِ﴾، يعنى صدقنا بالله بأنه واحد لا شريك له، **﴿وَ﴾** صدقنا بـ **﴿مَا أُنزِلَ إلَيْنَا﴾**، يعنى قرآن محمد ﷺ، **﴿وَ﴾** صدقنا بـ **﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾** قرآن محمد ﷺ، الكتب التى أنزلها الله عز وجل على الأنبياء، عليهم السلام، **﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾**، يعنى عصاة.

قالت اليهود للمؤمنين: ما نعلم أحدًا من أهل هذه الأديان أقل حظًا فى الدنيا والآخرة منكم، فأنزل الله عز وجل: **﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾**، يعنى المؤمنين، **﴿مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾**(١)، يعنى ثوابًا من عند الله، قالت اليهود: من هم يا محمد؟ فقال النبى ﷺ: **﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾**، وهم اليهود، **﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾**، فإن لم يقتل أقر بالخراج وغضب عليه، **﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾**، القردة فى شأن الحيتان، والخنازير فى شأن المائدة، **﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾**، فيها تقديم، **﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾**(٢)، يعنى ومن عبد الطاغوت، وهو الشيطان، **﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾** فى الدنيا، يعنى شر منزلة، **﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾** [آية: ٦٠]، يعنى وأخطأ عن قصد الطريق من المؤمنين.

فلما نزلت هذه الآية، عيرت اليهود، فقالوا لهم: يا إخوان القردة والخنازير، فنكسوا رءوسهم وفضحهم الله تعالى، وجاء أبو ياسر بن أخطب، وكعب بن الأشرف، وعزر بن أبى عازر، ونافع بن أبى نافع، ورافع بن أبى حريملة، وهم رؤساء اليهود، حتى دخلوا على رسول الله ﷺ، فقالوا: قد صدقنا بك يا محمد؛ لأنا نعرفك ونصدقك ونؤمن بك.

ثم خرجوا من عنده بالكفر، غير أنهم أظهروا الإيمان، فأنزل الله عز وجل فيهم: **﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾** اليهود، **﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾**، يعنى صدقنا بمحمد ﷺ؛ لأنهم دخلوا عليه وهم يسرون الكفر، وخرجوا من عنده بالكفر، فذلك قوله سبحانه: **﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾**، يعنى بالكفر مقيمين عليه، **﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾** [آية: ٦١]، يعنى بما يسرون فى قلوبهم من الكفر بمحمد ﷺ، نظيرها فى آل عمران.

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: **﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ﴾**، يعنى المعصية،

---

(١) انظر: (الإتحاف ٢٠١، الكشاف ٣٤٨/١، البحر المحيط ٥١٨/٣، مجمع البيان ٢١٤/٢).

(٢) انظر: (الإتحاف ٢٠١، البحر المحيط ٥١٩/٣، القرطبى ٢٣٥/٦، الطبرى ٢٣٩،١٠، السبعة ٢٤٦، غيث النفع ٢٠٤، الكشف ٤١٤، النشر ٢٥٥/٢، الرازى ٤٢٢/٣ التيسير ١٠٠، العنوان ٧١، التهذيب اللغة «ع د ب»، لسان العرب «عبد»).

﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾، يعنى الظلم، وهو الشرك، ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾، يعنى كعب بن الأشرف؛ لأنه كان يرشى فى الحكم ويقضى بالجور، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٦٢]، ثم عاتب الله عز وجل الربانيين والأحبار، فقال: ﴿لَوْلَا﴾، يعنى فهلا ﴿يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾، يعنى بالربانيين المتعبدين والأحبار، يعنى القراء الفقهاء أصحاب القربان من ولد هارون، عليه السلام، وكانوا رءوس اليهود، ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾، يعنى الشرك، ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾، يعنى الرشوة فى الحكم، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [آية: ٦٣]، حين لم ينهوهم، فعاب من أكل السحت: الرشوة فى الحكم، وعاب الربانيين الذين لم ينهوهم عن أكله.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾، يعنى ابن صوريا، وفنحاص اليهوديين، وعازر بن أبى عازر، ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، يعنى ممسكة، أمسك الله يده عنا، فلا تبسطها علينا بخير، وليس بجواد، وذلك أن الله عز وجل بسط عليهم فى الرزق، فلما عصوا واستحلوا ما حرم عليهم، أمسك عنهم الرزق، فقالوا عند ذلك: يد الله محبوسة عن البسط، يقول الله عز وجل: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، يعنى أمسكت أيديهم عن الخير، ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ بالخير، ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾، إن شاء وسع فى الرزق، وإن شاء قتر، هم خلقه وعبيده فى قبضته.

ثم قال: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾، يعنى اليهود من بنى النضير، ﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، يعنى أمر الرجم والدماء، ونعت محمد ﷺ، ﴿طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا﴾ بالقرآن، يعنى جحودًا به، ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾، يعنى اليهود والنصارى، شر ألقاه عز وجل بينهم، ﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾، يعنى يبغض بعضهم بعضًا، ويشتم بعضًا، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، فلا يحب اليهودى النصرانى ولا النصرانى اليهودى، ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾، يعنى كلما أجمعوا أمرهم على مكر بمحمد ﷺ فى أمر الحرب، فرقه الله عز وجل، وأطفأ نار مكرهم، فلا يظفرون بشىء أبدًا، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾،

يعنى يعملون فيها بالمعاصى، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آية: ٦٤]، يعنى العاملين بالمعاصى.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعنى اليهود والنصارى، ﴿ءَامَنُوا۟﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله، ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الشرك، ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾، يعنى لمحونا عنهم ذنوبهم، ﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [آية: ٦٥]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾، فعملوا بما فيهما من أمر الرجم والزنا وغيره، ولم يحرفوه عن مواضعه فى التوراة التى أنزلها الله عز وجل، فأما فى الإنجيل، فنعت محمد ﷺ، وأما فى التوراة، فنعت محمد ﷺ، والرجم والدماء وغيرها، ولم يحرفوها عن مواضعها، ﴿وَ﴾ أقاموا بـ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ فى التوراة والإنجيل من نعت محمد ﷺ، ومن إيمان بمحمد ﷺ، ولم يحرفوا نعته، ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ﴾، يعنى المطر، ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾، يعنى من الأرض: النبات، ثم قال عز وجل: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾، يعنى عصبة عادلة فى قولها من مؤمنى أهل التوراة والإنجيل، فأما أهل التوراة، فعبد الله بن سلام وأصحابه، وأما أهل الإنجيل، فالذين كانوا على دين عيسى ابن مريم ﷺ، وهم اثنان وثلاثون رجلاً، ثم قال سبحانه: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾، يعنى من أهل الكتاب، يعنى كفارهم، ﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٦٦]، يعنى بئس ما كانوا يعملون.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾، يعنى محمدًا ﷺ، ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، وذلك أن النبى ﷺ دعا اليهود إلى الإسلام، فأكثر الدعاء، فجعلوا يستهزئون ويقولون: أتريد يا محمد أن نتخذك حنانًا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم حنانًا؟

فلما رأى النبى ﷺ ذلك، سكت عنهم، فحرض الله، يعنى فحضض الله عز وجل النبى ﷺ على الدعاء إلى الله عز وجل، وألا يمنعه ذلك تكذيبهم إياه واستهزاؤهم، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، يعنى من اليهود، فلا تقتل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٦٧]، يعنى اليهود، فلما نزلت هذه الآية، أمن النبى ﷺ من القتل والخوف، فقال: «لا أبالى من خذلنى ومن نصرنى»، وذلك أنه كان يخشى أن تغتاله اليهود فتقتله.

ثم أخبره ماذا يبلغ، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعنى اليهود والنصارى، ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من أمر الدين، ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾، يقول: حتى تتلوهما حق تلاوتهما كما أنزلهما الله عز وجل، ﴿وَ﴾ تقيموا ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ من أمر محمد ﷺ، ولا تحرفوه عن مواضعه، فهذا الذى أمر الله عز وجل أن يبلغ أهل الكتاب، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، يعنى ما فى القرآن من أمر الرجم والدماء، ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾، يعنى وجحودًا بالقرآن، ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ﴾، يعنى فلا تحزن يا محمد ﷺ على القوم ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٦٨]، يعنى أهل الكتاب إذ كذبوك بما تقول.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعنى الذين صدقوا، ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾، يعنى

اليهود، ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾، هم قوم من النصارى صبأوا إلى دين نوح وفارقوا هذه الفرق الثلاث، وزعموا أنهم على دين نوح، عليه السلام، وأخطأوا؛ لأن دين نوح، عليه السلام، كان على دين الإسلام، ﴿وَالنَّصَارَىٰ﴾، إنما سموا نصارى؛ لأنهم ابتدعوا هذا الدين بقرية تسمى ناصرة، قال الله عز وجل: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ من هؤلاء ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، وأدى الفرائض من قبل أن يبعث محمد ﷺ، فله الجنة، ومن بقى منهم إلى أن يبعث محمد ﷺ، فلا إيمان له، إلا أن يصدق بمحمد ﷺ، فمن صدق بالله عز وجل أنه واحد لا شريك له، وبما جاء به محمد ﷺ، وبالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العذاب، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آية: ٦٩] من الموت.

قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فى التوراة على أن يعملوا بما فيها، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾، يعنى وأرسل الله تعالى إليهم رسلاً، ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ﴾، يعنى اليهود، ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾، يعنى اليهود، فريقا كذبوا عيسى ﷺ ومحمدًا ﷺ، ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [آية: ٧٠]، يعنى اليهود، كذبوا بطائفة من الرسل، وقتلوا طائفة من الرسل، يعنى زكريا، ويحيى فى بنى إسرائيل.

قوله عز وجل: ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، يعنى اليهود، حسبوا ألا يكون شرك ولا يبتلوا ولا يعاقبوا بتكذيبهم الرسل وبقتلهم الأنبياء، أن لا يبتلوا بالبلاء والشدة من قحط المطر، ﴿فَعَمُوا﴾ عن الحق، فلم يبصره، ﴿وَصَمُّوا﴾ عن الحق، فلم يسمعوه، ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، يقول: تجاوز عنهم، فرفع عنهم البلاء، فلم يتوبوا بعد رفع البلاء، ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾(١) [آية: ٧١] من قتلهم الأنبياء وتكذيبهم الرسل.

قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾، نزلت فى نصارى نجران الماريعقوبيين، منهم السيد والعاقب وغيرهما، قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، يعنى وحدوا الله ربى وربكم، ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾، فيقول: إن الله هو المسيح ابن مريم، فيموت على الشرك، ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾، يعنى وما

---

(١) انظر: (الكشاف ١/٢٥٥، الرازى ٣/٤٣٢، البحر المحيط ٣/٥٣٤).

للمشركين ﴿مِنۡ أَنصَارٍ﴾ [آية: ٧٢]، يعني من مانع يمنعهم من النار.

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ﴾، يعني الملكانيين، قالوا: الله والمسيح ومريم، يقول الله عز وجل تكذيبًا لقولهم: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الشرك ﴿لَيَمَسَّنَّ﴾، يعني ليصيبن ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٧٣]، يعني وجيع، والقتل بالسيف، والجزية على من بقى منهم عقوبة.

ثم قال سبحانه يعيبهم: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ﴾، يعني أفهلا يتوبون إلى الله، ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ﴾ من الشرك، فإن فعلوا غفر لهم، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لذنوبهم ﴿رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٧٤] بهم.

﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾

ثم أخبر عن عيسى ﷺ، فقال سبحانه: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾، يعني مؤمنة كقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦]، يعني مؤمنًا نبيًا، وذلك حين قال لها جبريل، عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٩]، وفي بطنك المسيح، فآمنت بجبريل، عليه السلام، وصدقت بالمسيح ابن مريم، عليه السلام، ثم سميت الصديقة، وهي يومئذ في محراب بيت المقدس، ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾، فلو كانا إلهين ما أكلا الطعام،

﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾، يعنى العلامات فى أمر عيسى ومريم أنهم كانا يأكلان الطعام والآلهة لا تأكل الطعام، ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [آية: ٧٥]، يعنى من أين يكذبون، فأعلمهم أنى واحد.

﴿قُلْ﴾ لنصارى نجران، ﴿أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يعنى عيسى، ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ فى الدنيا، ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ فى الآخرة، ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولهم: إن الله هو المسيح ابن مريم، وثالث ثلاثة، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٧٦] بمقالتهم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعنى نصارى نجران، ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ عن دين الإسلام فتقولوا ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ فى عيسى ابن مريم، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟﴾ عن الهدى، ﴿مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟﴾، عن الهدى ﴿كَثِيرًا﴾ من الناس، ﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [آية: ٧٧]، يعنى وأخطأوا عن قصد سبل الهدى نزلت فى برصيصا.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ اليهود ﴿مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، يعنى من سبط بنى إسرائيل، ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ ابن أنبشا، وذلك أنهم صادوا الحيتان يوم السبت، وكانوا قد نهوا عن صيد الحيتان يوم السبت، قال داود: اللهم إن عبادك قد خالفوا أمرك وتركوا أمرك، فاجعلهم آية ومثلاً لخلقك، فمسخهم الله عز وجل قردة، فهذه لعنة داود، عليه السلام، ﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾، وأما لعنة عيسى ﷺ، فإنهم أكلوا المائدة، ثم كفروا ورفعوا من المائدة، فقال عيسى: اللهم إنك وعدتنى أن من كفر منهم بعدما يأكل من المائدة أن تعذبه عذابًا لا تعذبه أحدًا من العالمين، اللهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت، فكانوا خمسة آلاف، فمسخهم الله عز وجل خنازير، ليس فيهم امرأة ولا صبى، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾ فى ترك أمره، ﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [آية: ٧٨] فى دينهم. ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٧٩] حين لم ينهوهم عن المنكر.

ثم قال عز وجل: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، يعنى من قريش، ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾؛ لأنهم ليسوا بأصحاب كتاب، ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٨٠]، ﴿وَلَوْ كَانُوا۟﴾، يعنى اليهود، ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، يعنى يصدقون بالله عز وجل بأنه واحد لا شريك له، ﴿وَ﴾

بـ﴿وَٱلنَّبِيِّ﴾ ﷺ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ﴾ من القرآن، ﴿مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾، يقول: ما تخذوا مشركى العرب أولياء، ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ من اليهود ﴿فَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٨١]، يعنى عاصين.

﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾

﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾، كان اليهود يعاونون مشركى العرب على قتال النبى ﷺ، ويأمرونهم بالمسير إلى النبى ﷺ، ﴿وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾، يعنى مشركى العرب أيضًا، كانوا شديدى العداوة للنبى ﷺ وأصحابه، رضى الله عنهم، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ﴾، وليس يعنى فى الحب، ولكن يعنى فى سرعة الإجابة للإيمان، ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾، وكانوا فى قرية تسمى ناصرة، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا﴾، يعنى متعبدين أصحاب الصوامع، ﴿وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [آية: ٨٢]، يعنى لا يتكبرون عن الإيمان.

نزلت فى أربعين رجلاً من مؤمنى أهل الإنجيل، منهم اثنان وثلاثون رجلاً قدموا من أرض الحبشة مع جعفر بن أبى طالب، رضى الله عنه، وثمانية نفر قدموا من الشام معهم بحيرى الراهب، وأبرهة، والأشرف، ودريس، وتمام، وقسيم، ودريد، وأيمن، والقسيسون الذين يحلقون أواسط رءوسهم، وذلك أنهم حين سمعوا القرآن من النبى ﷺ، قالوا: ما أشبه هذا بالذى كنا نتحدث به عن عيسى ابن مريم ﷺ، فبكوا وصدقوا بالله عز وجل ورسله، فنزلت فيهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ من القرآن، ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾، يعنى صدقنا بالقرآن أنه من الله

عز وجل، ﴿فَٱكْتُبْنَا﴾، يعنى فاجعلنا ﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آية: ٨٣]، يعنى مع المهاجرين، يعنى من أمة محمد ﷺ، نظيرها فى المجادلة: ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، يقول: جعل فى قلوبهم الإيمان، وهو التوحيد.

وقالوا: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾، وذلك أنهم لما أسلموا ورجعوا إلى أرضهم، لامهم كفار قومهم، فقالوا: أتركتم ملة عيسى ﷺ ودين آبائكم، قالوا: نعم، ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ ﴿وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ مع محمد ﷺ، ﴿وَنَطْمَعُ﴾، يعنى ونرجو ﴿أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا﴾ الجنة ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ٨٤]، وهم المهاجرين الأول، رضوان الله عليهم.

﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟﴾ من التصديق، ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون، ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الثواب ﴿جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٨٥]. ثم قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾، يعنى بالقرآن بأنه ليس من الله عز وجل، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ٨٦]، يعنى ما عظم من النار، يعنى كفار النصارى الذين لاموهم حين أسلموا وتابعوا النبى ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ (٨٨)﴾

قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ من اللباس والنساء، نزلت فى عشر نفر، منهم: على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وعمر، وابن مسعود، وعمار بن ياسر، وعثمان بن مظعون، والمقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفارى، وسلمان الفارسى، وحذيفة بن اليمان، وسالم مولى أبى حذيفة، ورجل آخر، اجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون، رضى الله عنهم، ثم قالوا: تعالوا حتى نحرم على أنفسنا الطعام واللباس والنساء، وأن يقطع بعضهم مذاكيره، ويلبس المسرح، ويبنوا الصوامع، فيترهبوا فيها، فتفرقوا وهذا رأيهم.

فجاء جبريل، عليه السلام، فأخبر النبى ﷺ بذلك، فأتى منزل عثمان بن مظعون، رضى الله عنه، فلم يجدهم، فقال النبى ﷺ لامرأة عثمان: «أحق ما بلغنى عن عثمان وأصحابه؟»، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فأخبرها النبى ﷺ الذى بلغه، فكرهت أن

تكذب النبى ﷺ، أو تفشى سر زوجها، فقالت: يا رسول الله، إن كان عثمان أخبرك بشىء، فقد صدقك، أو أخبرك الله عز وجل بشىء، فهو كما أخبرك ربك تعالى ذكره، فقال النبى ﷺ: «قولى لزوجك إذا جاء: إنه ليس منى من لم يستن بسنتى، ويهتد بهدينا، ويأكل من ذبائحنا، فإن من سنتنا اللباس، والطعام، والنساء، فأعلمى زوجك، وقولى له: من رغب عن سنتى فليس منى».

فلما رجع عثمان وأصحابه أخبرته امرأته بقول النبى ﷺ، فما أعجبه، فذروا الذى ذكره النبى ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾، فتحرموا حلاله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [آية: ٨٧] من يحرم حلاله، ويعتدى فى أمره عز وجل، ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ﴾، اللباس، والنساء، والطعام، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، ولا تحرموا ما أحل الله لكم، واتقوا الله، ﴿ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٨٨]، يقول: الذى أنتم به مصدقون.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٨٩﴾

قوله سبحانه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾، وهو الرجل يحلف على أمر وهو يرى أنه فيه صادق وهو كاذب، فلا إثم عليه ولا كفارة، ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ﴾، يقول: بما عقد عليه قلبك، فتحلف وتعلم أنك كاذب، ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾، يعنى كفارة هذا اليمين الذى عقد عليها قلبه وهو كاذب، ﴿إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾، لكل مسكين نصف صاع حنطة، ﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ﴾[1]، يعنى من أعدل ما تطعمون ﴿أَهۡلِيكُمۡ﴾ من الشبع، نظيرها فى البقرة: ﴿جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]، يعنى عدلاً، قال سبحانه فى ن: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾ [القلم: ٢٨]، يعنى أعدلهم، يقول: ليس بأدنى ما تأكلون ولا بأفضله.

ثم قال سبحانه: ﴿أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ﴾، يعنى كسوة عشرة مساكين، لكل مسكين عباءة أو ثوب، ﴿أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ﴾ ما، سواء أكان المحرر يهوديًا، أو نصرانيًا، أو

---

(١) انظر: (القرطبى ٢٧٩/٦، البحر المحيط ١٠/٤، مجمع البيان ٢٣٧/٢).

مجوسيًا، أو صابئيًا، فهو جائز، وهو بالخيار فى الرقبة، أو الطعام، أو الكسوة، ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ من هذه الخصال الثلاث شيئًا، ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾، وهى فى قراءة ابن مسعود متتابعات، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر الله عز وجل ﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾، فلا تتعمدوا اليمين الكاذبة، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٨٩] ربكم فى هذه النعم، إذ جعل لكم مخرجًا فى أيمانكم فيما ذكر فى الكفارة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (٩٢) لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ (٩٣)﴾

قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾، نزلت فى سعد بن أبى وقاص، رضى الله عنه، وفى رجل من الأنصار، يقال له: عتبان بن مالك الأنصارى، وذلك أن الأنصارى صنع طعامًا، وشوى رأس بعير، ودعا سعد بن أبى وقاص إلى الطعام، وهذا قبل التحريم، فأكلوا وشربوا حتى انتشوا، وقالوا الشعر، فقام الأنصارى إلى سعد، فأخذ إحدى لحيى البعير، فضرب به وجهه فشجه، فانطلق سعد مستعديًا إلى رسول الله ﷺ، فنزل تحريم الخمر.

فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾، يعنى به القمار كله، ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾، يعنى الحجارة التى كانوا ينصبونها ويذبحون لها، ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾، يعنى القدحين الذين كانوا يعملون بهما، ﴿رِجْسٌ﴾، يعنى إثم، ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾، يعنى من تزيين الشيطان، ومثله فى القصص: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [القصص: ١٥]، ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾، فهذا النهى للتحريم، كما قال سبحانه: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠]، فإنه حرام، كذلك فاجتنبوا الخمر، فإنها حرام، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٩٠] يعنى لكى.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ﴾، يعنى أن يغرى بينكم العداوة،

﴿وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ الذى كان بين سعد وبين الأنصارى حتى كسر أنف سعد، ﴿فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾، ورث ذلك العداوة والبغضاء، ﴿وَ﴾ يريد الشيطان أن ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، يقول: إذا سكرتم لم تذكروا الله عز وجل، ﴿وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، يقول: إذا سكرتم لم تصلوا، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [آية: ٩١]، فهذا وعيد بعد النهى والتحريم، قالوا: انتهينا يا ربنا، فقال النبى ﷺ: «يا أيها الذين آمنوا، إن الله حرم عليكم الخمر، فمن كان عنده منها شىء، فلا يشربها، ولا يبيعها، ولا يسقيها غيره».

قال: وقال أنس بن مالك: لقد نزل تحريم الخمر وما بالمدينة يومئذ خمر، إنما كانوا يشربون الفصيح، وأما الميسر، فهو القمار، وذلك أن الرجل فى الجاهلية كان يقول: أين أصحاب الجزور، فيقوم نفر، فيشترون بينهم جزورًا، فيجعلون لكل رجل منهم سهم، ثم يقرعون، فمن خرج سهمه برىء من الثمن، وله نصيب فى اللحم، حتى يبقى آخرهم، فيكون عليه الثمن كله، وليس له نصيب فى اللحم، وتقسم الجزور بين البقية بالسوية.

وأما الأزلام، فهى القداح التى كانوا يقتسمون الأمور بها، قدحين مكتوب على أحدهما: أمرنى ربى، وعلى الآخر: نهانى ربى، فإذا أرادوا أمرًا أتوا بيت الأصنام، فغطوا عليه ثوبًا، ثم ضربوا بالقداح، فإن خرج أمرنى ربى، مضى على وجهه الذى يريد، وإن خرج نهانى ربى، لم يخرج فى سفره، وكذلك كانوا يفعلون إذا شكوا فى نسبة رجل، وأما الأنصاب، فهى الحجارة التى كانو ينصبونها حول الكعبة، وكانوا يذبحون لها.

ثم قال عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فى تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، إلى آخر الآية، ﴿وَٱحْذَرُوا۟﴾ معاصيهما، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾، يعنى أعرضتم عن طاعتهما، ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾ محمد ﷺ، ﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ٩٢] فى تحريم ذلك، فلما نزلت هذه الآية فى تحريم الخمر، قال حيى بن أخطب، وأبو ياسر، وكعب بن الأشرف للمسلمين: فما حال من مات منكم، وهم يشربون الخمر؟ فذكروا ذلك للنبى ﷺ، وقالوا: إن إخواننا ماتوا وقتلوا، وقد كانوا يشربونها، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ﴾، يعنى حرج، ﴿فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾، يعنى شربوا من الخمر قبل التحريم، ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟﴾ المعاصى، ﴿وَّءَامَنُوا۟﴾ بالتوحيد،

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ، يعنى أقاموا الفرائض قبل التحريم، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ المعاصى، ﴿وَّءَامَنُوا۟﴾ بما يجىء من الناسخ والمنسوخ، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ المعاصى بعد تحريمها، ﴿وَّءَامَنُوا۟﴾ ، يعنى وصدقوا، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟﴾ الشرك ﴿وَّأَحْسَنُوا۟ۗ﴾ العمل بعد تحريمها، فمن فعل ذلك، فهو محسن، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٩٣]، فقال النبى ﷺ للذى سأله: «قيل لى إنك من المحسنين».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ ، يعنى ببعض الصيد، فخص صيد البر خاصة، ولم يعم الصيد كله؛ لأن للبحر صيدًا، ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ﴾ ، يقول: تأخذون صغار الصيد بأيديكم أخذًا بغير سلاح، ثم قال سبحانه: ﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ ، يعنى وسلاحكم النبل والرماح، بها يصيبون كبار الصيد، وهو عام حبس النبى ﷺ عن مكة عام الحديبية، وأقام بالتنعيم، فصالحهم على أن يرجع عامه ذلك، ولا يدخل مكة، فإذا كان العام المقبل، أخلوا له مكة فدخلها فى أصحابه، رضى الله عنهم، وأقام بها ثلاثًا، ورضى النبى ﷺ بذلك، فنحر البدن مائة بدنة، فجاءت السباع والطير تأكل منها، فنهى الله عز وجل عن قتل الصيد فى الحرم، ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ ، لكى يرى الله، ﴿مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ﴾ ، يقول: من يخاف الله عز وجل ولم يره، فلم يتناول الصيد، وهو محرم، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ ، يقول: فمن أخذ الصيد عمدًا بعد النهى، فقتل الصيد وهو محرم، ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٩٤]، يعنى ضربًا وجيعًا، ويسلب ثيابه، ويغرم الجزاء، وحكم ذلك إلى الإمام، فهذا العذاب الأليم.

قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ﴾ ، وذلك أن أبا بشر، واسمه: عمرو بن مالك الأنصارى، كان محرمًا فى عام الحديبية بعمرة، فقتل حمار

وحش، فنزلت فيه: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ لقتله ناسيًا لإحرامه، ﴿فَجَزَآءٌ﴾، يعنى جزاء الصيد، ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾، يعنى من الأزواج الثمانية إن كان قتل عمدًا أو خطأ، أو أشار إلى الصيد فأصيب، فعليه الجزاء، ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، يعنى يحكم بالكفارة رجلان من المسلمين عدلين فقيهين يحكمان فى قاتل الصيد جزاء مثل ما قتل من النعم، إن قتل حمار وحش، أو نعامة، ففيها بعيرًا بنحره بمكة، يطعم المساكين ولا يأكل هو ولا أحد من أصحابه، وإن كان من ذوات القرون الأيل والوعل ونحوهما، فجزاؤه أن يذبح بقرة للمساكين، وفى الطير ونحوها جزاؤه أن يذبح شاة مسنة، وفى الحمام شاة، وفى بيض الحمام إذا كان فيه فرخ درهم، وإن لم يكن فيه فرخ، فنصف درهم، وفى ولد الحمار الوحش ولد بعير مثله، وفى ولد النعامة ولد بعير مثله، وفى ولد الأيل والوعل ونحو ولد بقرة مثله، وفى فرخ الحمام ونحوه ولد شاة مثله، وفى ولد الظبى ولد شاة مثله.

﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾، يعنى ينحر بمكة، كقوله سبحانه فى الحج: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣]، تذبح بأرض الحرم، فتطعم مساكين مكة، ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾، لكل مسكين نصف صاع حنطة، ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾، يقول: إن لم يقدر على الهدى ولا على ثمنه، ولا على إطعام المساكين، فليصم مكان كل مسكين يومًا، ينظر ثمن الهدى فيجعله دراهم، ثم ينظر كم يبلغ الطعام بتلك الدراهم بسعر مكة، فيصوم مكان كل مسكين يومًا، وبكل مسكين نصف صاع حنطة، ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾، يعنى جزاء ذنبه، يعنى الكفارة عقوبة له بقتله الصيد، ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾، يقول: عفا الله عما كان منه قبل التحريم، يقول: تجاوز الله عما صنع فى قتله الصيد متعمدًا قبل نزول هذه الآية، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعد النهى إلى قتل الصيد، ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ بالضرب والفدية وينزع ثيابه، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾، يعنى منيع فى ملكه، ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آية: ٩٥] من أهل معصيته فيمن قتل الصيد، نزلت هذه الآية قبل الآية الأولى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ثم قال عز وجل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾، يعنى السمك الطرى، وشىء يفرخ فى الماء لا يفرخ فى غيره، فهو للمحرم حلال، ثم قال: ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾، يعنى مليح السمك، ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾، يعنى منافع لكم، يعنى للمقيم، ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾، يعنى للمسافر، ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾، يعنى مادمتم محرمين، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، ولا تستحلوا

الصيد فى الإحرام، ثم حذرهم قتل الصيد، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِىٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [آية: ٩٦] فى الآخرة، فيجزيكم بأعمالكم.

﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾، أنها سمت الكعبة؛ لأنها منفردة من البنيان، وكل منفرد من البنيان فهو فى كلام العرب الكعبة، قال أبو محمد: قال ثعلب: العرب تسمى كل بيت مربع الكعبة، ﴿قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾، يعنى أرض الحرم أمنًا لهم وحياة لهم فى الجاهلية. قال: كان أحدهم إذا أصاب ذنبًا أو أحدث حدثًا يخاف على نفسه، دخل الحرم فأمن فيه، ﴿وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾، قال: كان الرجل إذا أراد سفرًا فى أمره، فإن كان السفر الذى يريده يعلم أنه يذهب ويرجع قبل أن يمضى الشهر الحرام توجه آمنًا، ولم يقلد نفسه ولا راحلته، وإن كان يعلم أنه لا يقدر على الرجوع حتى يمضى الشهر الحرام، قلد نفسه وبعيره من لحا شجر الحرم فيأمن به حيث ما توجه من البلاد، فمن ثم قال سبحانه: ﴿وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ﴾ كل ذلك كان قوامًا لهم وأمنًا فى الجاهلية، نظيرها فى أول السورة، ﴿ذَٰلِكَ﴾، يقول: هذا ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، قبل أن يكونا، ويعلم أنه سيكون من أمركم الذى كان، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾ من أعمال العباد، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٩٧].

ثم خوفهم ألا يستحلوا الغارة فى حجاج اليمامة، يعنى شريحًا وأصحابه، فقال: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ إذا عاقب، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٩٨] لمن أطاعه بعد النهى، ثم قال عز وجل: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ﴾ محمد ﷺ، ﴿إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ فى أمر حجاج اليمامة، شريح بن ضبيعة وأصحابه، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾، يعنى ما تعلنون بألسنتكم، ﴿وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ [آية: ٩٩] من أمر حجاج اليمامة والغارة عليهم.

﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿قُل﴾ لهم يا محمد ﷺ، ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾، يعنى بالخبيث الحرام،

والطيب الحلال، نزلت فى حجاج اليمامة حين أراد المؤمنون الغارة عليهم، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾، يعنى الحرام، ثم حذرهم، فقال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا تستحلوا منهم محرمًا، ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، يعنى يا أهل اللب والعقل، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آية: ١٠٠].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢) مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤)﴾

قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾، نزلت فى عبد الله بن جحش بن رباب الأسدى، من بنى غنم ابن دودان، وفى عبد الله بن حذافة القرشى، ثم السهمى، وذلك أن رسول الله ﷺ قال: «يا أيها الناس، إن الله كتب عليكم الحج»، فقال عبد الله بن جحش: أفى كل عام؟ فسكت عنه ﷺ، ثم أعاد قوله، فسكت النبى ﷺ، ثم عاد، فغضب النبى ﷺ ونخسه بقضيب كان معه، ثم قال: «ويحك، لو قلت نعم لوجبت، فاتركونى ما تركتكم، فإذا أمرتكم بأمر فافعلوه، وإذا نهيتكم عن أمر فانتهوا عنه»، وقال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إنه قد رفعت لى الدنيا، فأنا أنظر إلى ما يكون فى أمتى من الأحداث إلى يوم القيامة، ورفعت لى أنساب العرب، فأنا أعرف أنسابهم رجلاً رجلاً».

فقام رجل، فقال: يا رسول الله، أين أنا؟ قال: «أنت فى الجنة»، ثم قام آخر، فقال: أين أنا؟ قال: «فى الجنة»، ثم قام الثالث، فقال: أين أنا؟ فقال: «أنت فى النار»، فرجع الرجل حزينًا، وقام عبد الله بن حذافة، وكان يطعن فيه، فقال: يا رسول الله، من أبى؟ قال: «أبوك حذافة»، وقام رجل من بنى عبد الدار، فقال: يا رسول الله، من أبى؟ قال: «أبوك سعد»، نسبه إلى غير أبيه، فقام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، استر علينا يستر الله عليك، إنا قوم قريبو عهد بالشرك، فقال له رسول الله ﷺ: «خيرًا»، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾، يعنى إن تبين لكم فلعلكم إن

تسألوا عما لم ينزل به قرآنًا فينزل به قرآنًا مغلظًا لا تطيقوه، قوله سبحانه: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾، يعنى عن الأشياء حين ينزل بها قرآنًا، ﴿تُبۡدَ لَكُمۡ﴾ تبين لكم، ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ﴾، يقول: عفا الله عن تلك الأشياء حين لم يوجبها عليكم، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [آية: ١٠١]، يعنى ذو تجاوز حين لا يعجل بالعقوبة.

ثم قال عز وجل: ﴿قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ﴾، يقول: قد سأل عن تلك الأشياء، ﴿مِّن قَبۡلِكُمۡ﴾، يعنى من بنى إسرائيل، فبينت لهم، ﴿ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ [آية: ١٠٢]، وذلك أن بنى إسرائيل سألوا المائدة قبل أن تنزل، فلما نزلت كفروا بها، فقالوا: ليست المائدة من الله، وكانوا يسألون أنبياءهم عن أشياء، فإذا أخبروهم بها تركوا قولهم، و لم يصدقوهم، فأصبحوا بتلك الأشياء كافرين.

قوله سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ حرامًا، ﴿مِنۢ بَحِيرَةٖ﴾ لقولهم: إن الله أمرنا بها، نزلت فى مشركى العرب، منهم: قريش، وكنانة، وعامر بن صعصعة، وبنو مدلج، والحارث وعامر ابنى عبد مناة، وخزاعة، وثقيف، أمرهم بذلك فى الجاهلية عمرو بن ربيعة بن لحى بن قمعة بن خندف الخزاعى، فقال النبى ﷺ: «رأيت عمرو بن ربيعة الخزاعى رجلاً قصيرًا، أشقر، له وفرة، يجر قصبه فى النار، يعنى أمعاءه، وهو أول من سيب السائبة، واتخذ الوصيلة، وحمى الحامى، ونصب الأوثان حول الكعبة، وغير دين الحنفية، فأشبه الناس به أكثم بن لجون الخزاعى»، فقال أكثم: أيضرنى شبهه يا رسول الله؟ قال: «لا، أنت مؤمن وهو كافر».

والبحيرة الناقة إذا ولدت خمسة أبطن، فإذا كان الخامس سقيا، وهو الذكر، ذبحوه للآلهة، فكان لحمه للرجال دون النساء، وإن كان الخامس ربعة، يعنى أنثى، شقوا أذنيها، فهى البحيرة، وكذلك من البقر، لا يجز لها وبر، ولا يذكر اسم الله عليها إن ركبت، أو حمل عليها، ولبنها للرجال دون النساء، وأما السائبة، فهى الأنثى من الأنعام كلها، كان الرجل يسيب للآلهة ما شاء من إبله وبقره وغنمه، ولا يسيب إلا الأنثى، وظهورها، وأولادها، وأصوافها، وأوبارها، وأشعارها، وألبانها للآلهة، ومنافعها للرجال دون النساء، وأما الوصيلة، فهى الشاة من الغنم إذا ولدت سبعة أبطن عمدوا إلى السابع، فإن كان جديًا ذبحوه للآلهة، وكان لحمه للرجال دون النساء، وإن كانت عتاقًا استحيوها، فكانت من عرض الغنم.

قال عبد الله بن ثابت: قال أبى: قال أبو صالح: قال مقاتل: وإن وضعته ميتًا، أشرك فى أكله الرجال والنساء، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء﴾ [الأنعام: ١٣٩]، بأن ولدت البطن السابع جديًا وعتاقًا، قالوا: إن الأخت قد وصلت أخاها، فرحمته علينا، فحرما جميعًا، فكانت المنفعة للرجال دون النساء، وأما الحام، فهو الفحل من الإبل إذا ركب أولاد أولاده، فبلغ ذلك عشرة أو أقل من ذلك، قالوا: قد حمى هذا ظهره، فأحرز نفسه، فيهل للآلهة ولا يحمل عليه، ولا يركب، ولا يمنع من مرعى، ولا ماء، ولا حمى، ولا ينحر أبدًا حتى يموت موتًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ﴾ حرامًا، ﴿مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ ﴿وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من قريش وخزاعة من مشركى العرب، ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾؛ لقولهم: إن الله أمرنا بتحريمه حين قالوا فى الأعراف: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]، يعنى بتحريمها، ثم قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١٠٣] أن الله عز وجل لم يحرمه.

قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾، يعنى مشركى العرب، ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فى كتابه من تحليل ما حرم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ محمد ﷺ، ﴿قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من أمر الدين، فإنا أمرنا أن نعبد ما عبدوا، يقول الله عز وجل: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾، يعنى فإن كان آباؤهم، ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ من الدين، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [آية: ١٠٤] له، أفتتبعوهم؟.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، وذلك أن النبى ﷺ كان لا قبل الجزية إلا من أهل الكتاب، فلما أسلم العرب طوعًا وكرهًا قبل الجزية من مجوس هجر، فطعن المنافقون فى ذلك، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، يقول: اقبلوا على أنفسكم، فانظروا ما ينفعكم فى أمر آخرتكم، فاعملوا به، ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ من أهل هجر، نزلت فى رجل من أصحاب النبى ﷺ، ﴿إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ عز وجل ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ فى الآخرة، ﴿جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٠٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ

تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾، نزلت فى بديل بن أبى مارية مولى العاص بن وائل السهمى، كان خرج مسافرًا فى البحر إلى أرض النجاشى ومعه رجلان نصرانيان، أحدهما يسمى تميم بن أوس الدارى، وكان من لخم، وعدى بن بندا، فمات بديل وهم فى البحر، فرمى به فى البحر، قال: ﴿ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ﴾، وذلك أنه كتب وصيته، ثم جعلها فى متاعه، ثم دفعه إلى تميم وصاحبه، وقال لهما: أبلغا هذا المتاع إلى أهلى، فجاءا ببعض المتاع وحبسا جامًا من فضة مموهًا بالذهب، فنزلت: ﴿ يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ ﴾، يقول: عند الوصية يشهدون وصيته.

﴿ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ من المسلمين فى دينهما، ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾، يعنى من غير أهل دينكم النصرانيين، تميم الدارى وعدى بن بندا، ﴿ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يا معشر المسلمين للتجارة، ﴿ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾، يعنى بديل بن أبى مارية حين انطلق تاجرًا فى البحر، وانطلق معه تميم وعدى صاحباه، فحضره الموت، فكتب وصيته، ثم جعلها فى المتاع، فقال: أبلغا هذا المتاع إلى أهلى، فلما مات بديل، قبضا المتاع، فأخذا منه ما أعجبهما، وكان فيما أخذا إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوش مموه بالذهب، فلما رجعا من تجارتهما دفعا بقية المال إلى ورثته، ففقدوا بعض متاعه، فنظروا إلى الوصية، فوجدوا المال فيه تامًا لم يبع منه، ولم يهب، فكلموا وتميمًا وصاحبه، فسألوهما: هل باع صاحبنا شيئًا أو اشترى شيئًا فخسر فيه، أو طال مرضه فأنفق على نفسه؟ فقال: لا، قالوا: فإنا قد فقدنا بعض ما أبدى به صاحبنا، فقالا: ما لنا بما أبدى، ولا بما كان فى وصيته علم، ولكنه دفع إلينا هذا المال، فبلغناكم إياه.

فرفعوا أمرهم إلى النبى ﷺ، فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ

﴿ٱلۡمَوۡتُ﴾، يعنى بديلب بن أبى مارية، ﴿ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾، يعنى من المسلمين، عبد الله بن عمرو بن العاص، والمطلب بن أبى وداعة السهميان، ﴿أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾ من غير أهل دينكم، يعنى النصرانيين، ﴿إِنۡ أَنتُمۡ﴾ معشر المسلمين ﴿ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ تجارًا ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ﴾، يعنى بديل بن أبى مارية مولى العاص بن وائل السهمى، ﴿تَحۡبِسُونَهُمَا﴾، يعنى النصرانيين تقيمونهما، ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ صلاة العصر، ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾، فيحلفان بالله، ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾، يعنى إن شككتم،نظيرها فى النساء القصرى، أن المال كان أكثر من هذا الذى أتيناكم به، ﴿لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا﴾، يقول: لا نشترى بأيماننا عرضًا من الدنيا، ﴿وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾، يقول: ولو كان الميت ذا قرابة منا، ﴿وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا﴾ إن كتمنا شيئًا من المال، ﴿لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾ [آية: ١٠٦] بالله عز وجل.

فحلفهما النبى ﷺ عند المنبر بعد صلاة العصر، فحلفا أنهما لم يخونا شيئًا من المال، فخلى سبيلهما، فلما كان بعد ذلك، وجدوا الإناء الذى فقدوه عند تميم الدارى، قالوا: هذا من آنية صاحبنا الذى كان أبدى بها، وقد زعمتما أنه لم يبع ولم يشتر ولم ينفق على نفسه، فقالا: قد كنا اشتريناه منه، فنسينا أن نخبركم به، فرفعوهما إلى النبى ﷺ الثانية، فقالوا: يا رسول الله، إنا وجدنا مع هذين إناء من فضة من متاع صاحبنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾، يقول: فإن اطلع على أنهما، يعنى النصرانيين كتما شيئًا من المال أو خانا، ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ من أولياء الميت، يعنى عبد الله بن عمرو بن العاص، والمطلب بن أبى وداعة السهميان، ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾، يعنى مقام النصرانيين، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ﴾ الإثم، ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾، يعنى فيحلفان بالله فى دبر صلاة العصر أن الذى فى وصية صاحبنا حق، وأن المال كان أكثر مما أتيتمانا به، وأن هذا الإناء لمن متاع صاحبنا الذى خرج به معه، وكتبه فى وصيته، وأنكما خنتما، فذلك قوله سبحانه: ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ﴾، يعنى عبد الله بن عمرو بن العاص، والمطلب، ﴿أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾، يعنى النصرانيين، ﴿وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ﴾ بشهادة المسلمين من أولياء الميت، ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٠٧].

﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ﴾، يعنى أجدر، نظيرها فى النساء، ﴿أَن يَأۡتُواْ﴾، يعنى النصرانيين، ﴿بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ﴾، كما كانت ولا يكتمان شيئًا، ﴿أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ﴾، يقول: أو يخافوا أن يطلع على خيانتهم فيرد شهادتهما بشهادة الرجلين

المسلمين من أولياء الميت، فحلف عبد الله والمطلب كلاهما أن الذى فى وصية الميت حق، وأن هذا الإناء من متاع صاحبنا، فأخذوا تميم بن أوس الدارى، وعدى بن بندا النصرانيين بتمام ما وجدوا فى وصية الميت حين اطلع الله عز وجل على خيانتهما فى الإناء، ثم وعظ الله عز وجل المؤمنين ألا يفعلوا مثل هذا، وألا يشهدوا بما لم يعاينوا ويروا، فقال سبحانه يحذرهم نقمته: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا﴾ مواعظه، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [آية: ١٠٨]، وأن تميم بن أوس الدارى اعترف بالخيانة، فقال له النبى ﷺ: «ويحك يا تميم، أسلم يتجاوز الله عنك ما كان فى شركك»، فأسلم تميم الدارى، وحسن إسلامه، ومات عدى بن بندا نصرانيًا.

﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾، يعنى ألأنبياء، عليهم السلام، ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ فى التوحيد، ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾، وذلك أول ما بعثوا عند زفرة جهنم؛ لأن الناس إذا خرجوا من قبورهم تاهت عقولهم، فجالوا فى الدنيا ثلاثين سنة، ويقال: أربعين سنة، ثم ينادى مناد عند صخرة بيت المقدس: يا أهل الدنيا، هاهنا موضع الحساب، فيسمع النداء جميع الناس، فيقبلون نحو الصوت، فإذا اجتمعوا ببيت المقدس، زفرت جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا ظن أنه لو جاء بعمل سبعين نبيًا ما نجا، فعند ذلك تاهت عقولهم، فيقول لهم عند ذلك، يعنى المرسلين: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ فى التوحيد، ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [آية: ١٠٩]، ثم رجعت عقولهم بعد ذلك إليهم، فشهدوا على قومهم أنهم قد بلغوا الرسالة عن ربهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَيَقُولُ الأَشْهَادُ﴾، يعنى الأنبياء، ﴿هَـٰؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨].

قوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ فى الآخرة، ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾، يعنى مريم، عليهما السلام، ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾، فالنعمة على عيسى حين أيده بروح القدس، يعنى جبريل، عليه السلام، ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ صبيًا ﴿وَ﴾ تكلمهم ﴿وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى خط الكتاب بيده، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾، يعنى الفهم والعلم، ﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾، يعنى علم التوراة والإنجيل، وجعله نبيًا ورسولاً إلى بنى إسرائيل، ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾، يعنى الخفاش، ﴿بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا﴾، يعنى فى الهيئة، ﴿فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾، يعنى الأعمى الذى يخرج من بطن أمه أعمى، ﴿وَ﴾ يبرئ ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾، يمسحها بيده فيبرئها ﴿بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ أحياء، ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾، أى عن قتلك، ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، وهى إحياء سام بن نوح بإذن الله.

فيقوم عيسى ﷺ يوم القيامة بهؤلاء الكلمات خطيبًا على رءوس الخلائق، ويخطب إبليس، لعنه الله، على أهل النار بهذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿بِمُصْرِخِكُمْ﴾، يعنى بمانعكم من العذاب، ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾، يعنى بمانعى من العذاب، ﴿إِنِّي كَفَرْتُ﴾، يعنى تبرأت ﴿بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، أى فى الدار الدنيا، وأما النعمة على مريم، عليها السلام، فهى أنه اصطفاها،

يعنى اختارها، وطهرها من الإثم، واختارها على نساء العالمين، وجعلها زوجة محمد ﷺ فى الجنة.

قوله سبحانه: ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾، يعنى تكلم بنى إسرائيل صبيًا فى المهد حين جاءت به أمه تحمله، ويكلمهم كهلاً حين اجتمع واستوت لحيته، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى خط الكتاب بيده، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾، يعنى الفهم والعلم، وإذ علمتك التوراة والإنجيل، ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾، يعنى الخفاش، ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾، يعنى فى الهيئة، ﴿فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾ الذى يخرج من بطن أمه أعمى، فكان عيسى، عليه السلام، يرد إليه بصره بإذن الله تعالى، فيمسح بيده عليه، فإذا هو صحيح بإذن الله، وأحيا سام بن نوح بإذن الله، حيث كلمه الناس، ثم مات فعاد كما كان، ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾، يعنى عن قتلك حين رفعه الله عز وجل إليه، وقتل شبيهه، وهو الرقيب الذى كان عليه، ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، يعنى بالعجائب التى كان يصنعها من إبراء الأكمه والأبرص والموتى والطير ونحوه.

﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾، يعنى من اليهود من بنى إسرائيل، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١١٠]، يعنى ما هذا الذى يصنع عيسى من الأعاجيب إلا سحر مبين، يعنى بين، نظيرها فى الصف، ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ﴾، وهم القصارون مبيضو الثياب، وكانوا اثنى عشر رجلاً، والوحى إليهم من الله عز وجل هو إلهام قذف فى قلوبهم التصديق بالله عز وجل، بأنه واحد لا شريك له، فذلك قوله عز وجل: ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى﴾ أن صدقوا بأنى واحد ليس معى شريك، ﴿وَبِرَسُولِى﴾، عيسى ابن مريم أنه نبى رسول، ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾، يعنى صدقنا بما جاء به من عند الله، ونشهد أن الله عز وجل واحد لا شريك له، وأنك رسوله، ﴿وَٱشْهَدْ﴾ يا عيسى ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [آية: ١١١]، يعنى مخلصون بالتوحيد.

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، يقول: هل يقدر على أن يعطيك ربك إن سألته ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، فلا تسألوه البلاء، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١١٢]، فإنها إن نزلت ثم كذبتم عوقبتم، ﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾، فقد جعنا، ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾، يعنى وتسكن قلوبنا إلى ما تدعونا إليه، ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ بأنك نبى رسول، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ

﴿ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ [آية: ١١٣]، يعنى على المائدة عند بنى إسرائيل إذا رجعنا إليهم، وكان القوم الذين خرجوا وسألوا المائدة خمسة آلاف بطريق، وهم الذين سألوا المائدة مع الحواريين.

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ ﷺ عند ذلك، ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾، يقول: تكون عيدًا لمن كان فى زماننا عند نزول المائدة، وتكون عيدًا لمن بعدنا، ﴿وَ﴾ تكون المائدة ﴿وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا﴾، يعنى المائدة، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [آية: ١١٤] من غيرك، يقول: فإنك خير من يرزق.

﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ عز وجل، ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾، يعنى المائدة، ﴿عَلَيْكُمْ﴾، فنزلها يوم الأحد، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ﴾ نزول المائدة، ﴿مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آية: ١١٥]، فنزلت من السماء عليها سمك طرى، وخبز رقاق، وتمر، وذكروا أن عيسى ﷺ قال لأصحابه وهم جلوس فى روضة: هل مع أحد منكم شيء؟ فجاء شمعون بسمكتين صغيرتين، وخمسة أرغفة، وجاء آخر بشيء من سويق، فعمد عيسى ﷺ فقطعهما صغارًا وكسر الخبز، فوضعها فلقًا فلقًا، ووضع السويق فتوضأ، ثم صلى ركعتين، ودعا ربه عز وجل، فألقى الله عز وجل على أصحابه شبه السبات، ففتح القوم أعينهم، فزاد الطعام حتى بلغ الركب، فقال عيسى ﷺ للقوم: كلوا وسموا الله عز وجل، ولا ترفعوا، وأمرهم أن يجلسوا حلقًا حلقًا، فأكلوا حتى شبعوا، وهم خمسة آلاف رجل، وهذا ليلة الأحد ويوم الأحد.

فنادى عيسى ﷺ، فقال: أكلتم؟ قالوا: نعم، قال: لا ترفعوا، قالوا: لا نرفع، فرفعوا، فبلغ ما رفعوا من الفضل أربعة وعشرين مكتلاً، فآمنوا عند ذلك بعيسى ﷺ، وصدقوا به، ثم رجعوا إلى قومهم اليهود من بنى إسرائيل، ومعهم فضل المائدة، فلم يزالوا بهم حتى ارتدوا عن الإسلام، فكفروا بالله، وجحدوا بنزول المائدة، فمسخهم الله عز وجل وهم نيام خنازير، وليس غيهم صبى ولا امرأة.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾، يعنى بنى إسرائيل فى الدنيا، ﴿ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ﴾ مريم ﴿إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ﴾، فنزه الرب عز وجل، أن يكون أمرهم بذلك، فقال: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾، يعنى ما ينبغى لى ﴿أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾، يعنى بعدل أن يعبدوا غيرك، ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ﴾ لهم ﴿فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي

﴿نَفۡسِي﴾، يعنى ما كان منى وما يكون، ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾، يقول: ولا أطلع على غيبك، وقال أيضًا: ولا أعلم ما فى علمك، ما كان منك وما يكون، ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [آية: ١١٦]، يعنى غيب ما كان وغيب ما يكون.

﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ﴾ وأنت تعلم، ﴿إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾ فى الدنيا، ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، يعنى وحدوا الله، ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾، قال لهم عيسى ﷺ ذلك فى هذه السورة، وفى كهيعص، وفى الزخرف، ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا﴾، يعنى على بنى إسرائيل بأن قد بلغتهم الرسالة، ﴿مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾، يقول: ما كنت بين أظهرهم، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾، يقول: فلما بلغ بى أجل الموت فمت، ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾، يعنى الحفيظ، ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [آية: ١١٧]، يعنى شاهدًا بما أمرتهم من التوحيد، وشهيد عليهم بما قالوا من البهتان، وإنما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾، ولم يقل: وإذ يقول: يا عيسى ابن مريم؛ لأنه قال سبحانه قبل ذكر عيسى يوم يجمع الله الرسل، فيقول: ماذا أجبتم؟ قالوا: يومئذ، وهو يوم القيامة، حين يفرغ من مخاصمة الرسل، فينادى: أين عيسى ابن مريم، فيقوم عيسى ﷺ شفق، فرق، يرعد رعدة حتى يقف بين يدى الله عز وجل، يا عيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾.

وكما قال سبحانه: ﴿ وَنُودُوا أن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، فلما دخلوا الجنة، قال: ﴿ وَنَادَى أصْحَابُ النَّار﴾ [الأعراف: ٥٠]، فنسق بالماضى على الماضى، والمعنى مستقبل، ولو لم يذكر الجنة قبل بدئهم بالكلام الأول لقال فى الكلام الأول: ﴿ وَنَادَى أصْحَابُ الْجَنَّةِ أصْحَابَ النَّار﴾ [الأعراف: ٤٤]، وكل شيء فى القرآن على هذا النحو.

ثم قال عيسى ﷺ لربه عز وجل فى الآخرة: يا رب، غبت عنهم وتركتهم على الحق الذى أمرتنى به، فلم أدر ما أحدثوا بعدى، فـ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ﴾ فتميتهم على ما قالوا من البهتان والكفر، ﴿فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾، وأنت خلقتهم، ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾، فتتوب عليهم وتهديهم إلى الإيمان والمغفرة بعد الهداية إلى الإيمان، ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آية: ١١٨] فى ملكك، الحكيم فى أمرك، وفى قراءة ابن مسعود: «فإنك أنت الغفور الرحيم»، نظيرها فى سورة إبراهيم، عليه السلام، فى مخاطبة إبراهيم: ﴿ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غفورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وهى كذلك أيضًا فى قراءة عبد الله بن مسعود.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾، يعنى النبيين بما قالوا فى الدنيا، فكان عيسى صادقًا فيما قال لربه فى الآخرة، ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إلاَّ مَا أَمَرْتَنِى بِهِ﴾، فصدقه الله بقوله فى الدنيا، وصدقه فى الآخرة حين خطب على الناس، ثم قال: ﴿لَهُمْ﴾، يعنى للصادقين، ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾، لا يموتون، ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بالطاعة، ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بالثواب، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الثواب ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ١١٩]، يعنى النجاء العظيم.

ثم عظم الرب جل جلاله نفسه عما قالت النصارى من البهتان والزور أنه ليس كما زعمت، وأنه واحد لا شريك له، فقال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ من الخلق، عيسى ابن مريم وغيره من الملائكة والخلق عباده وفى ملكه، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من خلق عيسى من غير أب وغيره، ﴿قَدِيرٌۢ﴾ [آية: ١٢٠].

* * *

سورة الأنعام

مكية كلها، إلا هذه الآيات، نزلت بالمدينة، ونزلت ليلاً

وهى خمس وستون ومائة آية كوفى

والآيات المدنية هى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴾ إلى قوله ﴿...لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآيات ١٥١ - ١٥٣]، وهى الآيات المحكمات.

وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾ [آية: ٩١] إلى آخر الآية.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ...﴾ [آية: ٩٣]، نزلت فى مسيلمة، ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ...﴾ [آية: ٩٣]، نزلت فى عهد عبد الله بن سعد بن أبى سرح.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ...﴾ [آية: ٩٣].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ...﴾ [آية: ١١٤]، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ [آية: ٢٠].

هذه الآيات مدنيات، وسائرها مكى، نزل بها جبريل، عليه السلام، ومعه سبعون ألف ملك، طبقوا ما بين السماء والأرض، لهم زجل بالتسبيح والتمجيد والتحميد، حتى كادت الأرض أن ترتج، فقال النبى ﷺ: «سبحان الله العظيم وبحمده»، وخر النبى ساجدًا، فيها خصومة مشركى العرب وأهل الكتاب، وذلك أن قريشًا قالوا للنبى ﷺ: من ربك؟ فقال: «ربى الأحد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد»، فقالوا: أنت كذاب، ما اختصك الله بشىء، وما أنت عليه بأكرم منا، فأنزل الله عز وجل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا

تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ ﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فحمد نفسه ودل بصنعه على توحيده، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، لم يخلقهما باطلاً، خلقهما لأمر هو كائن، ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾، يعنى الليل والنهار، ثم رجع إلى أهل مكة، فقال: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة، ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [آية: ١]، يعنى يشركون.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾، يعنى آدم، عليه السلام؛ لأنكم من ذريته، ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾، يعنى أجل ابن آدم من يوم ولد إلى أن يموت، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾، يعنى البرزخ منذ يوم ولد إلى يوم يموت، إلى يوم القيامة، ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [آية: ٢]، يعنى تشكون فى البعث، يعنى كفار مكة.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أنه واحد، ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾، يعنى سر أعمالكم وجهرها، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [آية: ٣]، يعنى ما تعملون من الخير والشر.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾، يعنى انشقاق القمر، ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [آية: ٤]، فلم يتفكرون فيها، فيعتبروا فى توحيد الله.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾، يعنى القرآن حين جاءهم به محمد ﷺ، استهزءوا بالقرآن بأنه ليس من الله، يعنى كفار مكة، منهم: أبو جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، والعاص بن وائل السهمى، وأبى بن خلف، وعقبة بن أبى معيط، وعبد الله بن أبى أمية، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو البحترى بن هشام بن أسد، والحارث بن عامر بن نوفل، ومخرمة بن نوفل، وهشام بن عمرو بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهل بن عمرو، وعمير بن وهب بن خلف، والحارث بن قيس، وعدى بن قيس، وعامر بن خالد الجمحى، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، ومطعم بن عدى، وقرط بن عبد عمرو بن نوفل، والأخنس بن شريق، وحويطب بن عبد العزى، وأمية بن خلف، كلهم من قريش، يقول الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟﴾، يعنى حديث، ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ﴾ بالعذاب ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ٥] بأنه غير نازل بهم، ونظيرها فى الشعراء، فنزل بهم العذاب ببدر.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا

ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾

ثم وعظهم ليخافوا، فقال: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم﴾، كفار مكة، ﴿مِّن قَرۡنٍ﴾ من أمة، ﴿مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ﴾، يقول: أعطيناهم من الخير والتمكين فى البلاد ما لم نعطكم يا أهل مكة، ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا﴾ بالمطر، يعنى متتابعًا، ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم﴾، يعنى فعذبناهم، ﴿بِذُنُوبِهِمۡ﴾، يعنى بتكذيبهم رسلهم، ﴿وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾ [آية: ٦]، يقول: وخلقنا من بعد هلاكهم قومًا آخرين.

﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾، ما صدقوا به، و﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ من أهل مكة، ﴿إِنۡ هَٰذَآ﴾، يقول: ما هذا القرآن، ﴿إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ٧]، يعنى بين.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ﴾، يعنى هلا، ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾، يعينه ويصدقه بما أرسل به، نظيرها فى الفرقان، نزلت فى النضر بن الحارث، وعبد الله بن أمية بن المغيرة، ونوفل بن خويلد، كلهم من قريش، يقول الله: ﴿وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا﴾ فعاينوه، ﴿لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾، يعنى لنزل العذاب بهم، ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [آية: ٨]، يعنى ثم لا يناظر بهم حتى يعذبوا؛ لأن الرسل إذا كُذبت جاءت الملائكة بالعذاب.

يقول الله: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ﴾، هذا الرسول، ﴿مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا﴾، يعنى فى صورة رجل حتى يطيقوا النظر إليه؛ لأن الناس لا يطيقون النظر إلى صورة الملائكة، ثم قال: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم﴾، يعنى ولشبهنا عليهم، ﴿مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [آية: ٩]، يعنى ما يشبهون على أنفسهم بأن يقولوا: ما هذا إلا بشر مثلكم.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، وذلك أن مكذبى الأمم الخالية، أخبرتهم رسلهم بالعذاب فكذبوهم، بأن العذاب ليس بنازل بهم، فلما كذب كفار مكة النبى ﷺ بالعذاب حين أوعدهم استهزءوا منه، فأنزل الله يعزى نبيه ﷺ ليصبر على تكذيبهم إياه بالعذاب، فقال: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يا محمد كما استهزئ بك فى أمر العذاب، ﴿فَحَاقَ﴾، يعنى فدار ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم﴾، يعنى من الرسل، ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ﴾، يعنى بالعذاب، ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ١٠] بأنه غير نازل بهم.

ثم وعظهم ليخافوا، فقال: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ١١] بالعذاب كان عاقبتهم الهلاك يحذر كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية، ﴿قُل﴾ لكفار مكة ﴿لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الخلق، فردوا عليه فى الرعد، قالوا: الله، فى قراءة أبى بن كعب، وابن مسعود فى تكذيبهم بالبعث، قالوا: الله ﴿قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ فى تأخير العذاب عنهم، فأنزل الله فى تكذيبهم بالبعث، ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أنتم والأمم الخالية، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، يعنى لا شك فيه، يعنى فى البعث بأنه كائن، ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾، يعنى غبنوا، ﴿أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٢]، يعنى لا يصدقون بالبعث بأنه كائن.

﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾

ثم عظم نفسه لكى يوحد، فقال: ﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ﴾، يعنى ما استقر، ﴿فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ من الدواب والطير فى البر والبحر، فمنها ما يستقر بالنهار وينتشر ليلاً، ومنها ما يستقر بالليل وينتشر نهارًا، ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما سألوا من العذاب، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ١٣] به.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾، وذلك أن كفار قريش قالوا: يا محمد، ما يحملك على ما أتيتنا به، ألا تنظر إلى ملة أبيك عبد الله وملة جدك عبد المطلب وإلى سادات قومك يعبدون

اللات والعزى ومناة، فتأخذ به، وتدع ما أنت عليه، وما يحملك على ذلك إلا الحاجة، فنحن نجمع لك من أموالنا، وأمره بترك عبادة الله، فأنزل الله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ ﴿أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فعظم نفسه ليعرف توحيده بصنعه، ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾، وهو يرزق ولا يرزق، لقولهم: نجمع لك من أموالنا ما يغنيك، ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾، يعنى أول من أخلص من أهل مكة بالتوحيد، ثم أوحى إلى النبى ﷺ، فقال: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ١٤]، لقولهم للنبى، عليه السلام: ارجع إلى ملة آبائك.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾، إن رجعت إلى ملة آبائى، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ١٥]، يعنى بالعظيم الشديد يوم القيامة، وقد نسخت: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ [الفتح: ١]، ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، يعنى الشديد يوم القيامة.

﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ الله ﴿عَنْهُ﴾ العذاب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة، ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ﴾ الصرف، يعنى صرف العذاب، ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ١٦]، يعنى النجاة العظيمة المبينة.

ثم خوف النبى ﷺ ليتمسك بدين الله تعالى، فقال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾، يعنى يصبك الله بضر، يعنى بلاء وشدة، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾، يقول: لا يقدر أحد من الآلهة ولا غيرهم كشف الضر إلا الله، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾، يعنى يصبك بفضل وعافية، ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ١٧] من ضر وخير.

وأنزل الله فى قولهم: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، يعنى يعبدون من دون الله من الآلهة، ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ فى ترك دين الله، ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾، إن اتبعت دينكم، ﴿وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾، يعنى من المرشدين، و﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾، يعنى على بيان من ربى، وأنزل الله فى ذلك: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِى رَبًّا...﴾ إلى آخر السورة، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ لخلقه، ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾، قد علاهم وقهرهم، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ فى أمره ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [آية: ١٨] بخلقه.

﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ

وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ قُل لَّآ أَشْهَدُۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾

﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةًۖ﴾، وذلك أن كفار قريش قالوا للنبى ﷺ: أما وجد الله رسولاً غيرك ما نرى أحدًا يصدقك بما تقول، وقد سألنا عنك أهل الكتاب، فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر، فمن يشهد لك أن الله هو الذى أرسلك؟ فقال الله للنبى ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةًۖ﴾، قالوا: الله أكبر شهادة من غيره، فقال الله: ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد ﴿ٱللَّهُۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْۚ﴾ بأنى رسول، ﴿وَ﴾ أنه ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ من عند الله، ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾، يعنى لكى أنذركم بالقرآن يا أهل مكة، ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ القرآن من الجن والإنس، فهو نذير هم، يعنى القرآن إلى يوم القيامة، ثم قال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ﴾؟ قالوا: نعم نشهد، قال الله للنبى ﷺ: ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّآ أَشْهَدُۚ﴾ بما شهدتم، ولكن أشهد ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، قل لهم: ﴿وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [آية: ١٩] به غيره.

وأنزل فى قولهم: لقد سألنا عنك أهل الكتاب، فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾، أى صفة محمد ﷺ فى كتبهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، قال: إن عبد الله بن سلام، قال: لأنا أعرف بمحمد، عليه السلام، منى بابنى؛ لأنى لا أعلم ما أحدثت فيه أمه، ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾، يعنى غبنوا أنفسهم، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٢٠]، يعنى لا يصدقون بمحمد ﷺ، بأنه رسول الله، وأنزل الله فى قولهم أيضًا: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾، يعنى القرآن، ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤]، يعنى من الشاكين بأن القرآن جاء من الله، نظيرها فى يونس: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، يقول: فلا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن معه شريكًا لقولهم: إن مع الله آلهة أخرى، ثم قال: ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾، يعنى بالقرآن أنه ليس من الله، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٢١]، يعنى

المشركين فى الآخرة يعيبهم، نظيرها فى يونس.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾، وذلك أن المشركين فى الآخرة لما رأوا كيف يتجاوز الله عن أهل التوحيد، فقال بعضهم لبعض: إذا سئلنا قولوا: كنا موحدين، فلما جمعهم الله وشركاءهم، قال لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [آية: ٢٢] فى الدنيا بأن مع الله شريكًا.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾، يعنى معذرتهم إلا الكذب حين سئلوا فتبرأوا من ذلك، فقالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [آية: ٢٣]، قال الله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم﴾ فى الآخرة، ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٢٤] من الشرك فى الدنيا، فختم على ألسنتهم، وشهدت الجوارح بالكذب عليهم والشرك.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَمِنْهُم﴾، يعنى كفار مكة، ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ وأنت تتلو القرآن، يعنى النضر بن الحارث، إلى آخر الآية، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾، يعنى الغطاء عن القلب؛ لئلا يفقهوا القرآن، ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، يعنى ثقلاً، فلا يسمعوا، يعنى النضر، ثم قال: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾، يعنى انشقاق القمر، والدخان، فلا يصدقوا بأنها من الله عز وجل، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾ فى القرآن بأنه ليس من الله، ﴿يَقُولُ﴾ الله: قال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، يعنى النضر: ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٢٥]، يعنى أحاديث الأولين، حديث رستم واسفندياز.

﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ﴾ ، وذلك أن النبى ﷺ كان عند أبى طالب بن عبد المطلب، يدعوه إلى الإسلام، فاجتمعت قريش إلى أبى طالب ليريدوا بالنبى، عليه السلام، سوءًا، فسألوا أبا طالب أن يدفعه إليهم فيقتلوه، فقال أبو طالب: ما لى عنه صبر، قالوا: ندفع إليك من سبايانا من شئت مكان ابن أخيك، فقال أبو طالب: حين تروح الإبل، فإن جاءت ناقة إلى غير فصيلها دفعت إليكم، وإن كانت الناقة لا تحن إلا إلى فصيلها، فأنا أحق من الناقة، فلما أبى عليهم، اجتمع منهم سبعة عشر رجلاً من أشرافهم ورؤسائهم، فكتبوا بينهم كتابًا ألا يبايعوا بنى عبد المطلب، ولا يناكحوهم، ولا يخالطوهم، ولا يؤاكلوهم، حتى يدفعوا إليهم محمدًا ﷺ فيقتلوه، فاجتمعوا فى دار شيبة بن عثمان صاحب الكعبة، وكان هو أشد الناس على النبى ﷺ، فقال أبو طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أغيب فى التراب دفينًا
فانفذ لأمرك ما عليك غضاضة ... أبشر وقر بذاك منك عونًا
ودعوتنى وزعمت أنك ناصحى ... فلقد صدقت وكنت قدمًا أمينًا
وعرضت دينًا قد علمت بأنه ... من خير أديان البرية دينًا
لولا الدمامة أو أحاذر سبة ... لوجدتنى سمحًا بذاك مبينًا

فأنزل الله فى أبى طالب، واسمه: عبد مناف بن شيبة، وهو عبد المطلب: ﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ﴾ ، كان ينهى قريش عن أذى النبى ﷺ، ويتباعد هو عن النبى ﷺ، ولا يتبعه على دينه، ﴿وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ٢٦]، يعنى أبا طالب.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ ، يعنى كفار قريش هؤلاء الرؤساء تمنوا، ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ ، يعنى القرآن بأنه من الله، ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٢٧]، يعنى المصدقين بالقرآن فى قولهم: ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ﴾ ، وذلك أنهم حين قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ ، أوحى الله إلى الجوارح، فشهدت عليهم بما كتموا من الشرك، فذلك قوله: ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم﴾ ، يعنى ظهر لهم من الجوارح ﴿مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ﴾ بألسنتهم من قبل أن تنطق الجوارح بالشرك، فتمنوا عند ذلك الرجعة إلى الدنيا، ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ...﴾ إلى آخر الآية، فأخبر الله عنهم، فقال: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ﴾ إلى الدنيا كما تمنوا

وعمروا فيها، ﴿لَعَادُواْ لِمَا﴾ ، يعنى لرجعوا لما ﴿نُهُواْ عَنْهُ﴾ من الشرك والتكذيب، ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ٢٨] فى قولهم حين قالوا: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، بالقرآن.

لما أخبر النبى ﷺ كفار مكة بالبعث كذبوه، ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [آية: ٢٩] بعد الموت، فأخبر الله بمنزلتهم فى الآخرة، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذْ وُقِفُواْ﴾ ، يعنى عرضوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ﴾ إنه الحق، ﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آية: ٣٠] بالعذاب بأنه غير كائن، نظيرها فى الأحقاف.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِىْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ﴾ ، يعنى بالبعث، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ ، يعنى يوم القيامة بغتة، يعنى فجأة، ﴿قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا﴾ ، يعنى كفار قريش، ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ ، يقولون: يا ندامتنا على ما ضيعنا فى الدنيا من ذكر الله، ثم قال: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [آية: ٣١]، وذلك أن الكافر إذا بعث فى الآخرة، أتاه عمله الخبيث فى صورة حبشى، أشوه، منتن الريح، كريه المنظر، فيقول له الكافر: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، قد كنت أحملك فى الدنيا بالشهوات واللذات، فاحملنى اليوم، فيقول: وكيف أطيق حملك؟ فيقول: كما حملتك، فيركب ظهره، فذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ ، يعنى ألا بئس ما يحملون.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ﴾ ، يعنى إلا باطل، ﴿وَلَهْوٌ ۖ﴾ يكون فى الدنيا،

﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾، يثنى على الجنة، يقول: ولدار الجنة أفضل من الدنيا، ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك، ﴿أَفَلَا﴾، يعنى فهلا ﴿تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٣٢] أن الدار الآخرة أفضل من الدنيا؛ لأنها بعد دار الدنيا، وإنما سميت الدنيا؛ لأنها أدنى إلينا من دار الآخرة.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾، نزلت فى الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصى، كان الحارث يكذب النبى ﷺ فى العلانية، فإذا خلا مع أهل ثقته، قال: ما محمد من أهل الكذب، وإنى لأحسبه صادقًا، وكان إذا لقى النبى ﷺ، قال: إنا لنعلم أن هذا الذى تقول حق، وإنه لا يمنعنا أن نتبع الهدى معك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس، يعنى العرب، من أرضنا إن خرجنا، فإنما نحن أكلة رأس، ولا طاقة لنا بهم، نظيرها فى القصص: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [القصص: ٥٧]، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ فى العلانية بأنك كذاب مفتر، ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ فى السر بما تقول بأنك نبى رسول، بل يعلمون أنك صادق، وقد جربوا منك الصدق فيما مضى، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى بالقرآن بعد المعرفة.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾، وذلك قبل كفار مكة؛ لأن كفار مكة، قالوا: يا محمد، ما يمنعك أن تأتينا بآية كما كانت الأنبياء تجىء بها إلى قومهم، فإن فعلت صدقناك، وإلا فأنت كاذب، فأنزل الله يعز نبيه ﷺ ليصبر على تكذيبهم إياه، وأن يقتدى بالرسل قبله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ ﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ فى هلاك قومهم، وأهل مكة بمنزلتهم، فذلك قوله: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾، يعنى لا تبديل لقول الله بأنه ناصر محمد ﷺ، ألا وقوله حق كما نصر الأنبياء قبله، ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى﴾، يعنى من حديث ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ٣٤] حين كذبوا وأوذوا ثم نصروا.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾، يعنى ثقل عليك ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الهدى، و لم تصبر على تكذيبهم إياك، ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يعنى سربًا، ﴿أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، أى فإن لم تستطع فأت بسلم ترقى فيه إلى السماء، ﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ فافعل إن استطعت، ثم عزى نبيه ﷺ ليصبر على تكذيبهم، فقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [آية: ٣٥]، فإن الله لو شاء لجعلهم مهتدين.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ۗ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

ثم ذكر إيمان المؤمنين، فقال: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ الهدى، يعنى القرآن، ثم قال: ﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾، يعنى كفار مكة يبعثهم الله فى الآخرة، ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آية: ٣٦]، يعنى يردون فيجزيهم. ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا ﴾، يعنى هلا ﴿ نُزِّلَ عَلَيْهِ ﴾ محمد كما أنزل على الأنبياء ﴿ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ للكفار، ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [آية: ٣٧] بأن الله قادر على أن ينزلها.

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ ﴾، ولا فى بر، ولا فى بحر، ﴿ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾، يعنى خلقًا أصنافًا مصنفة تعرف بأسمائهم، ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ ﴾، يعنى ما ضيعنا فى اللوح المحفوظ، ﴿ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [آية: ٣٨] فى الآخرة، ثم يصيرون من بعد ما يقتص بعضهم من بعض ترابًا، يقال لهم: كونوا ترابًا.

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾، يعنى القرآن، ﴿ صُمٌّ ﴾ لا يسمعون الهدى، ﴿ وَبُكْمٌ ﴾ لا يتكلمون به، ﴿ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾، يعنى الشرك، ﴿ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ ﴾ عن الهدى، نزلت فى بنى عبد الدار بن قصى، ﴿ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آية: ٣٩]، يعنى على دين الإسلام، منهم: على بن أبى طالب، والعباس، وحمزة، وجعفر.

ثم خوفهم، فقال للنبى ﷺ: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ﴾ فى الدنيا كما أتى الأمم الخالية، ﴿ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ ﴾، ثم رجع إلى عذاب الدنيا، فقال: ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ ﴾ من الآلهة ﴿ تَدْعُونَ ﴾ أن يكشف عنكم العذاب فى الدنيا، ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آية: ٤٠] بأنه معه آلهة.

ثم رجع إلى نفسه، فقال: ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ ﴾،

يعنى وتتركون ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٤١] بالله من الآلهة، فلا تدعونهم أن يكشفوا عنكم ولكنكم تدعون الله، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ﴾ الرسل ﴿إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، فكذب بهم قومهم كما كذب بك كفار مكة، ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ﴾ لكى ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾ [آية: ٤٢] إلى ربهم فيتوبون إليه.

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

يقول: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾، يعنى الشدة والبلاء، ﴿تَضَرَّعُوا۟﴾ إلى الله وتابوا إليه لكشف ما نزل بهم من البلاء، ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ﴾، يعنى جفت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾، فلم تلن، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٤٣] من الشرك والتكذيب، ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾، يعنى فلما تركوا ما أمروا به، يعنى وعظوا به، يعنى الأمم الخالية مما دعاهم الرسل فكذبوهم، فـ ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾، يعنى أرسلنا عليهم ﴿أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾، يعنى أنواع الخير من كل شىء بعد الضر الذى كان نزل بهم، نظيرها فى الأعراف، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾، يعنى بما أعطوا من أنواع الخير وأعجبهم ما هم فيه، ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾، يعنى أصبناهم بالعذاب بغتة، يعنى فجأة أعز ما كانوا، ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [آية: ٤٤]، يعنى فإذا هم مرتهنون آيسون من كل خير.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾، يعنى أصل القوم، ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾، يعنى أشركوا، فلم يبق منهم أحد، ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٤٥] فى هلاك أعدائه، يخوف كفار مكة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قُلْ﴾ لكفار مكة يا محمد: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾، فلم تسمعوا شيئًا، ﴿وَخَتَمَ﴾، يعنى وطبع ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾، فلم تعقلوا شيئًا، ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ

﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾، يعنى هل أحد يرده إليكم دون الله، ﴿انظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾، يعنى العلامات فى أمور شتى فيما ذكر من تخويفهم من أخذ السمع والأبصار والقلوب، وما صنع بالأمم الخالية، ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [آية: ٤٦]، يعنى يعرضون، فلا يعتبرون.

ثم قال يعنيهم: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً﴾، يعنى فجأة لا تشعرون حتى ينزل بكم، ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾، أو معاينة ترونه حين ينزل بكم القتل ببدر، ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ بذلك العذاب، ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [آية: ٤٧]، يعنى المشركون.

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنة، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من النار، ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾، يعنى فمن صدق، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آية: ٤٨]، نظيرها فى الأعراف.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، يعنى بالقرآن، يعنى كفار مكة، ﴿يَمَسُّهُمُ﴾، يعنى يصيبهم ﴿الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [آية: ٤٩]، يعنى يعصون، فلما خوفهم النبى ﷺ بالعذاب، سألوه العذاب استهزاء وتكذيبًا: إلى متى يكون هذا العذاب الذى تعدنا به إن كنت من الصادقين؟ فقال الله للنبى ﷺ: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾، يعنى مفاتيح الله بنزول العذاب، ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾، يعنى غيب نزول العذاب متى ينزل بكم، ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾؛ لقولهم فى حم السجدة: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [فصلت: ١٤] رسلاً فتؤمن بهم، فأما أنت يا محمد، فلا نصدقك فيما تقول، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾، يقول: ما أتبع، ﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ من القرآن، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ﴾ بالهدى فلا يبصره، وهو الكافر، ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ بالهدى، وهو المؤمن، ﴿أَفَلَا﴾، يعنى فهلا ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٥٠] فتعلمون أنهما لا يستويان.

ثم قال: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾، يعنى بالقرآن، ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾، يعنى يعلمون، ﴿أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، يعنى الموالى وفقراء العرب، ويعلمون أنه ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ﴾،

يعنى من دون الله ﴿وَلِيٌّ﴾، يعنى قريب ينفعهم، ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ فى ألآخرة يشفع لهم إن عصوا الله، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾، يعنى لكى ﴿يَتَّقُونَ﴾ [آية: ٥١] المعاصى، نزلت فى الموالى عمارة، وأبى ذر الغفارى، وسالم، ومهجع، والنمر بن قاسط، وعامر بن فهيرة، وابن مسعود، وأبى هريرة، ونحوهم، وذلك أن أبا جهل وأصحابه، قالوا: انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمدًا من موالينا وأعرابنا رذالة كل حى وسفلتهم، يعنون الموالى، ولو كان لا يقبل إلا سادات الحى وسراة الموالى تابعناه، وذكروا ذلك لأبى طالب، فقالوا: قل لابن أخيك أن يطرد هؤلاء الغرباء والسفلة، حتى يجيبه سادات قومه وأشرافهم.

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾

قال أبو طالب للنبى ﷺ: لو طردت هؤلاء عنك، لعل سراة قومك يتبعونك، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾، يعنى الصلاة له، ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ طرفى النهار، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾، يعنى يبتغون بصلاتهم وجه ربهم، ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٥٢]، قال: وكانت الصلاة يومئذ ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى، ثم فرضت الصلوات الخمس بعد ذلك.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾، يقول: هكذا ابتلينا فقراء المسلمين من العرب والموالى بالعرب من المشركين: أبى جهل، والوليد، وعتبة، وأمية، وسهل بن عمرو، ونحوهم، ﴿لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾، يعنى أنعم الله عليهم بالإسلام، ﴿مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾، يقول الله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آية: ٥٣]، يعنى بالموحدين منكم من غيره، وفيهم نزلت فى الفرقان: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً...﴾ [الفرقان: ٢٠]، إلى آخر الآية.

ثم قال يعنيهم: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعنى يصدقون بالقرآن أنه من الله، ﴿فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾، يقول: مغفرة الله عليكم، كان النبى ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام، وقال: «الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر معهم وأسلم عليهم»، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾، نزلت فى عمر بن الخطاب، تاب من بعد السوء، يعنى الشرك، ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ العمل، ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٥٤].

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾، يعنى نبين الآيات، يعنى هكذا نبين أمر الدين، ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ﴾، يعنى وليتبين لكم ﴿سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [آية: ٥٥]، يعنى طريق الكافرين من المؤمنين حتى يعرفهم، يعنى هؤلاء النفر أبا جهل وأصحابه.

﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ (٥٦) قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ (٥٧) قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ (٥٨)﴾

﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ من الآلهة، ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [آية: ٥٦] إن اتبعت أهواءكم، وذلك حين دعى إلى دين آبائه.

قوله: ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾، يعنى بيان من ربى بما أمرنى من عبادته وترك عبادة الأصنام، حين قالوا له: ائتنا بالعذاب إن كنت من الصادقين، ﴿وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ﴾، يعنى بالعذاب، فقال لهم، عليه السلام: ﴿مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ﴾ من العذاب، يعنى كفار مكة، ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾، يعنى ما القضاء إلا لله فى نزول العذاب بكم فى الدنيا، ﴿يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ﴾، يعنى يقول الحق، ومن قرأها: «يقضى الحق»، يعنى يأتى بالعذاب ولا يؤخره إذا جاء، ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ [آية: ٥٧] بينى وبينكم، يعنى خير الحاكمين فى نزول العذاب بهم.

﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّوۡ أَنَّ عِندِي﴾، يعنى بيدى، ﴿مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ﴾ من العذاب، ﴿لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾، يعنى أمر العذاب، ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ﴾، وليس ذلك بيدى، ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٥٨].

﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾، يعنى وعند الله خزائن العذاب، متى ينزله بكم، ﴿لَا يَعْلَمُهَآ﴾ أحد ﴿إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ من شجرة، ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ كلها، ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٥٩]، يقول: هو بين فى اللوح المحفوظ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾، يعنى يميتكم بالليل، ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾، يعنى ما كسبتم من خير أو شر بالنهار، ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾، يقول: يبعثكم من منامكم بالنهار، ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، يعنى منتهيًا إليه، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ فى الآخرة، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٦٠] فى الدنيا من خير أو شر، هذا وعيد.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ لخلقه، ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾، قد علاهم، ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ من الملائكة، يعنى الكرام الكاتبين يحفظون أعمال بنى آدم، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ عند منتهى الأجل، ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾، يعنى ملك الموت وحده، عليه السلام، ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [(١)] [آية: ٦١]، يعنى لا يضيعون ما أمروا به، يعنى ملك الموت وحده.

ثم قال: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ﴾، ثم ردوا من الموت إلى الله فى الآخرة، فيها تقديم، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾، يعنى القضاء، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [آية: ٦٢]،

(١) أفرط فى الأمر إذا زاد فيه، وفرّط فيه: إذا قصّر، فكما أن قراءة العامة: ﴿لا يُفَرِّطون﴾: لا يقصرون فيما يؤمرون به من تَوَفِّي من تحضر منيته - فكذلك أيضًا لا يزيدون، ولا يَتَوَفَّوْن إلا من أُمِرُوا بتَوَفِّيه. ونظيره قوله جل وعز: ﴿وكُلُّ شيءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَار﴾ انظر: (القرطبى ٧/٧ والكشاف ١٩/٢، البحر المحيط ١٤٨/٤).

يقول: هو أسرع حسابًا من غيره، وذلك قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، يعني الظلل والظلمة والموج، ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا﴾، يعني مستكينين، ﴿وَخُفْيَةً﴾، يعني في خفض وسكون، ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ الأهوال، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آية: ٦٣] لله في هذه النعم، فيوحدوه، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾، يعني من أهوال كل كرب، يعني من كل شدة، ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٦٤] في الرخاء.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، يعني الحصب بالحجارة كما فعل بقوم لوط، فلا يبقى منكم أحد، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، يعني الخسف كما فعل بقارون ومن معه، ثم قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾، يعني فرقًا أحزابًا أهواء مختلفة كفعله بالأمم الخالية، ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾، يقول: يقتل بعضكم بعضًا، فلا يبقى منكم أحد إلا قليل، فقال النبي ﷺ وهو يجر رداءه، وذلك بالليل، وهو يقول: «لئن أرسل الله على أمتي عذابًا من فوقهم ليهلكنهم، أو من تحت أرجلهم، فلا يبقى منهم أحد»، فقام ﷺ فصلى ودعا ربه أن يكشف ذلك عنهم، فأعطاه الله اثنتين الحصب والخسف، كشفهما عن أمته، ومنعه اثنتين الفرقة والقتل، فقال: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ بمعافاتك من غضبك، وأعوذ بك منك، جل وجهك، لا أبلغ مدحتك والثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

قال: فجاءه جبريل، عليه السلام، فقال: إن الله قد استجاب لك وكشف عن أمتك اثنتين ومنعوا اثنتين، ﴿ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾، يعني العلامات في أمور شتى من ألوان العذاب، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾، يقول: لكي، ﴿يَفْقَهُونَ﴾ [آية: ٦٥] عن

الله فيخافوه ويوحدوه، ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿قَوْمُكَ﴾ خاصة، ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ جاء من الله، ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [آية: ٦٦]، يقول بمسيطر، نسختها آية السيف، ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾، يقول: لكل حديث حقيقة ومنتهى، يعنى العذاب منه فى الدنيا، وهو القتل ببدر، ومنه فى الآخرة نار جهنم، وذلك قوله: ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٦٧]، أوعدهم العذاب، مثلها فى اقتربت.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾، يعنى سمعت يا محمد، ﴿ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾، يعنى يستهزءون بالقرآن، وقالوا ما لا يصح، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾، يعنى فقم عنهم لا تجالسهم حتى يكون حديثهم فى غير أمر الله وذكره، ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، يقول: فإن أنساك الشيطان فجالستهم بعد النهى، ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾، يقول: إذا ذكرت فلا تقعد، ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٦٨]، يعنى المشركين.

فقال المؤمنين عند ذلك: لو قمنا عنهم إذا خاضوا واستهزءوا، فإنا نخشى الإثم فى مجالستهم، يعنى حين لا نغير عليهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، يعنى يوحدون الرب، ﴿مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾، يعنى من مجازاة عقوبة خوضهم واستهزائهم من شىء، ثم قال: ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [آية: ٦٩] إذا قمتم عنهم منعهم من الخوض والاستهزاء الحياء منكم والرغبة فى مجالستكم، فيذكرون قيامكم عنهم، ويتركون الخوض والاستهزاء، ثم نسختها الآية التى فى النساء: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ...**﴾ [النساء: ١٤٠] ألآية.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ﴾ الإسلام ﴿لَعِبًا﴾، يعنى باطلاً، ﴿وَلَهْوًا﴾، يعنى هوًا عنه، ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾، عن دينهم الإسلام، ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾، يعنى وعظ بالقرآن، ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ﴾، يعنى لئلا تبسل نفس، ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾، يعنى بما عملت من الشرك والتكذيب، فترتهن بعملها فى النار، ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ﴾، يعنى قريبًا ينفعهم، ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ فى الآخرة يشفع لهم، ﴿وَإِن تَعْدِلْ﴾، يعنى فتفتدى هذه النفس المرتهنة بعملها، ﴿كُلَّ عَدْلٍ﴾، فتعطى كل فداء ملء الأرض ذهبًا، ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾، يعنى لا يقبل منها، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعنيهم، ﴿ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ﴾، يعنى حبسوا فى النار، ﴿بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾، يعنى النار التى قد انتهى حرها، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾، يعنى وجيع، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ [آية: ٧٠].

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٧١)﴾

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾، وذلك أن كفار مكة عذبوا نفرًا من المسلمين على الإسلام، وأرادوهم على الكفر، يقول الله لنبيه ﷺ: **﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ﴾** من آلهة، يعنى الأوثان، **﴿مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا﴾** [المائدة: ٧٦] فى الآخرة، ولا يملك لنا ضرًا فى الدنيا، ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾، يعنى ونرجع إلى الشرك، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلى دينه الإسلام، فهذا قول المسلمين للكفار حين قالوا لهم: اتركوا دين محمد ﷺ واتبعوا ديننا، يقول الله للمؤمنين: ردوا عليهم: فإن مثلنا إن اتبعناكم وتركنا ديننا، كان مثلنا ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ وأصحابه على الطريق يدعونه إلى الهدى: أن ائتنا، فإنا على الطريق، فأبى ذلك الرجل أن يأتيهم، فذلك مثلنا لإن تركنا دين محمد ﷺ، ونحن على طريق الإسلام، وأما الذى استهوته الشياطين، يعنى أضلته، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾، لا يدرى أين يتوجه، فإنه عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق، أضلته الشياطين عن الهدى، فهو حيران، ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ﴾ مهتدون، ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾، يعنى أبويه، قالا له: ﴿ٱئْتِنَا﴾، فإنا على الهدى، وفيه نزلت، والذى قال لوالديه: **﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾** [الأنبياء: ٦٧]، فذلك قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾، يعنى الإسلام هو الهدى، والضلال الذى تدعونا الشياطين إليه هو الذى أنتم عليه، قل لهم: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾، يعنى لنخلص، ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٧١]، فقد فعلنا.

﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

ثم أمرهم بالعمل، فقال لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لمواقيتها، يخبرهم أنه لا تنفعهم الصلاة إلى مع الإخلاص، ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾، يعنى وحدوه، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آية: ٧٢].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ۞وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾

ثم خوفهم، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾، يعنى بأنه لم يخلقهما باطلاً لغير شيء، ولكن خلقهما لأمر هو كائن، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ الله للبعث مرة واحدة: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، لا يثنى الرب القول مرتين، ﴿قَوْلُهُ﴾ فى البعث ﴿ٱلْحَقُّ﴾، يعنى الصدق، وأنه كائن، ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ﴾، أى ينفخ إسرافيل، ﴿فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾، يعلم غيب ما كان وما يكون، ثم قال: ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾، يعنى شاهد كل نجوى وكل شيء، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾، يعنى حكم البعث، ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [آية: ٧٣] بالبعث متى يبعثهم.

﴿۞وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾(١)، اسمه بكلام قومه: تارح: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا

---

(١) قراءة أُبيّ وابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك وابن يزيد المدنى ويعقوب، ورُويت عن=

﴿ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٧٤]، وولد إبراهيم بكوتى، وذلك أن الكهنة قالوا لنمروذ الجبار: إنه يولد فى هذه السنة غلام يفسد آلهة أهل الأرض، ويدعو إلى غير آلهتكم، ويكون هلاك ملكك وهلاك أهل بيتك بسببه، فقال نمروذ: إن دواء هذا لهين، نعزل الرجال عن النساء، ونعمد إلى كل غلام يولد فى هذه السنة فنقتله إلى أن تنقضى السنة، فقالوا: إن فعلت ذلك، وإلا كان الذى قلنا لك.

فعمد نمروذ، فجعل على كل عشرة رجال رجلاً، وقال لهم: إذا طهرت المرأة فحولوا بينها وبين زوجها إلى أن تحيض، ثم يرجع إلى امرأته إلى أن تطهر، ثم يحال بينهما، فرجع آزر إلى امرأته، فجامعها على طهر فحملت، قالت الكهنة: قد حمل به الليلة، قال نمروذ: انظروا إلى كل امرأة استبان حملها، فخلوا سبيلها، وانظروا بقيتهن، فلما دنا مخاض أم إبراهيم، عليه السلام، دنت إلى نهر يابس، فولدت فيه، ثم لفته فى خرقة، فوضعته فى حلفًا، ثم رجعت إلى بيتها، فأخبرت زوجها بمكانه، فعمد أبوه فحفر له سربًا فى الأرض، ثم جعله فيه وسد عليه بصخرة مخافة السباع، فكانت أمه تختلف إليه وترضعه حتى فطمته وعقل، وكان ينبت فى اليوم نبات شهر، وفى الشهر نبات سنة، وفى السنة نبات سنتين، فقال لأمه: من ربى؟ قالت: أنا، قال: من ربك؟ قالت: أبوك، قال: فمن رب أبى؟ فضربته، وقالت له: اسكت، فسكت الصبى.

ورجعت إلى زوجها، فقالت: أرأيت الغلام الذى كنا نخبر أنه يغير دين أهل الأرض؟ فهو ابنك، وأخبرته الخبر، فأتاه أبوه وهو فى السرب، فقال: يا أبت، من ربى؟ قال: أمك، قال: فمن رب أمى؟ قال: أنا، قال: فمن ربك؟ فضربه، وقال له: اسكت، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا، ﴿نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ﴾، يعنى خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وما بينهما من الآيات، ﴿وَلِيَكُونَ﴾ إبراهيم ﴿مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [آية: ٧٥] بالرب أنه واحد لا شريك له.

وذلك أن إبراهيم سأل ربه أن يريه ملكوت السموات والأرض، فأمر الله جبريل، عليه السلام، فرفعه إلى الملكوت ينظر إلى أعمال العباد، فرأى رجلاً على معصية، فقال: يا رب، ما أقبح ما يأتى هذا العبد، اللهم اخسف به، ورأى آخر فأعاد الكلام، قال: فأمر الله جبريل، عليه السلام، أن يرده إلى الأرض، فأوحى الله إليه: مهلاً يا إبراهيم، فلا

=سليمانَ التيمى: «لأبيه آزرُ» انظر: (الطبرى ٤٦٧/١١، الكشاف ٢٣/٢، القرطبى ٢٣/٧، البحر ١٦٤/٤، النشر ٢٥٩/٢، الإتحاف ٢١١).

تدع على عبادى، فإنى من عبادى على إحدى خصلتين: إما أن يتوب إلىَّ قبل موته فأتوب عليه، وإما أن يموت فيدع خلفًا صالحًا فيستغفر لأبيه فأغفر لهما بدعائه.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾، دنا من باب السرب، وذلك فى آخر الشهر، فرأى الزهرة أول الليل من خلال السرب ومن وراء الصخرة، والزهرة أحسن الكواكب، ﴿رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ﴾، يعنى غاب، ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [آية: ٧٦]، يعنى الغائبين الذاهبين، وربى لا يذهب ولا يغيب.

﴿فَلَمَّا﴾ كان آخر الليل، ﴿رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا﴾، يعنى طالعًا أعظم وأضوأ من الكواكب، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾، وهو ينظر إليه، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾، يعنى غاب، ﴿قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي﴾ لدينه ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [آية: ٧٧] عن الهدى.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ﴾، يعنى طالعة فى أول ما رآها ملأت كل شىء ضوءًا، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ﴾، يعنى أعظم من الزهرة والقمر، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ﴾، يعنى غابت، عرف أن الذى خلق هذه الأشياء دائم باق، ورفع الصخرة، ثم خرج فرأى قومه يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما تعبدون؟ قالوا: نعبد ما ترى، ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ﴾، عبادة رب واحد خير من عبادة أرباب كثيرة، و﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [آية: ٧٨] بالله من الآلهة، قالوا: فمن تعبد يا إبراهيم؟ قال: أعبد الله الذى خلق السموات والأرض حنيفًا، يعنى مخلصًا لعبادته، وما أنا من المشركين، وذلك قوله: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ﴾، يعنى دينى ﴿لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ﴾، يعنى مخلصًا، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آية: ٧٩].

ثم إن نمروذ بن كنعان الجبار خاصم إبراهيم، فقال: من ربك؟ قال إبراهيم: ربى الذى يحيى ويميت، وهو قوله: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾، فعمد نمروذ إلى إنسان فقتله، وجاء بآخر فتركه، فقال: أنا أحييت هذا وأمت ذلك، قال إبراهيم: فإن الله يأتى بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب، فبهت الذى كفر، يعنى نمروذ، قوله: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾، وذلك أنهم لما سمعوا إبراهيم، عليه السلام، عاب آلهتهم وبرىء منها، قالوا لإبراهيم: إن لم تؤمن بآلهتنا، فإنا نخاف أن تخبلك وتفسدك فتهلك، فذلك قوله: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾، يعنى وخاصمه قومه، ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ لدينه، ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ﴾، يعنى بالله من الآلهة، وهى لا تسمع ولا تبصر شيئًا، ولا تنفع ولا تضر،

وتنحتونها بأيديكم، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ﴾، فيضلني عن الهدى، فأخاف آلهتكم أن تصيبني بسوء، ﴿وَسِعَ﴾، يعني ملأ ﴿رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ﴾، فعلمه، ﴿أَفَلَا﴾، يعني فهلا ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٨٠] فتعتبرون.

ثم قال لهم: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ﴾ بالله من الآلهة، ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم بـ﴿أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ﴾ غيره، ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ﴾، يعني كتابًا فيه حجتكم بأن معه شريكًا، ثم قال لهم: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ﴾، أنا أو أنتم؟ ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٨١] من عبد إلهًا واحدًا أحق بالأمن أم من عبد أربابًا شتى، يعني آلهة صغارًا وكبارًا، ذكورًا وإناثًا، فكيف لا يخاف من الكبير إذا سوى بالصغير؟ وكيف لا يخاف من الذكر إذا سوى بالأنثى؟ أخبروني أى الفريقين أحق بالأمن من الشر إن كنتم تعلمون.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

فرد عليه قومه، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ برب واحد، ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾، يعني ولم خلطوا تصديقهم بشرك، فلم يعبدوا غيره، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [آية: ٨٢] من الضلالة، فأقروا بقول إبراهيم، وفلح عليهم، فذلك قوله: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في أمره ﴿عَلِيمٞ﴾ [آية: ٨٣] بخلقه.

ثم قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾، يعني إبراهيم، ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ﴾ للإيمان، ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾ إلى الإسلام ﴿مِن قَبْلُ ۖ﴾ إبراهيم، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾، يعني من ذرية نوح، ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ﴾، يعني هكذا، ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٨٤]، يعني هؤلاء الذين ذكرهم الله، ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ٨٥]، ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا﴾ بالنبوة من الجن والإنس ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٨٦].

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾، يعني واستخلصناهم بالنبوة، ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٨٧]، يعني الإسلام، ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، يعني ثمانية عشر نبيًا، ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ﴾، فيعطيه النبوة، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ بالله، ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٨٨].

ثم ذكر ما أعطى النبيين، فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعني أعطيناهم الكتاب، يعني كتاب إبراهيم، والتوراة، والزبور، والإنجيل، ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾، يعني العلم والفهم، ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من أهل مكة بما أعطى الله النبيين من الكتب، ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾، يعني بالكتب، ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٨٩]، يعني أهل المدينة من الأنصار.

ثم ذكر النبيين الثمانية عشر، فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ﴾ لدينه، ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾، يقول للنبي ﷺ: فبسنتهم اقتد، ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، يعني على الإيمان بالقرآن، ﴿أَجْرًا ۖ﴾، يعني جميلاً، ﴿إِنْ هُوَ﴾، يعني ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾، يعني تذكرة ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٩٠].

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ

ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾، يعنى ما عظموا الله حق عظمته، ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾، يقول: على رسول من كتاب، فما عظموه حين كذبوا بأنه لم ينزل كتابًا على الرسل، نزلت فى مالك بن الضيف اليهودى حين خاصمه عمر بن الخطاب فى النبى ﷺ أنه مكتوب فى التوراة، فغضب مالك، فقال: ما أنزل الله على أحد كتابًا ربانيًا فى اليهود، فعزلته اليهود عن الربانية، فقال النبى ﷺ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا﴾، يعنى ضياء من الظلمة، ﴿وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ من الضلالة، ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾، يعنى صحفًا ليس فيها شىء، ﴿تُبْدُونَهَا﴾ تعلنونها، ﴿وَتُخْفُونَ﴾، يعنى وتسرون، ﴿كَثِيرًا﴾، فكان مما أخفوا أمر محمد ﷺ، وأمر الرجم فى التوراة، ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ فى التوراة ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ﴾ ولم يعلمه ﴿ءَابَآؤُكُمْ﴾، ثم قال فى التقديم: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أنزل على موسى، عليه السلام، ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾، يعنى خل عنهم إن لم يصدقوك، ﴿فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [آية: ٩١]، فى باطلهم يلهون، يعنى اليهود، نزلت هذه الآية بالمدينة، ثم إن مالك بن الضيف تاب من قوله، فلم يقبلوا منه، وجعلوا مكانه رجلاً فى الربانية.

﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ على محمد ﷺ، ﴿مُبَارَكٌ﴾ لمن عمل به، وهو ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، يقول: يصدق لما قبله من الكتب التى أنزلها الله عز وجل على الأنبياء، ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾، يعنى لكى تنذر بالقرآن أصل القرى، يعنى مكة، وإنما سميت أم القرى؛ لأن الأرض كلها دحيت من تحت الكعبة، ﴿وَ﴾ تنذر بالقرآن ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، يعنى حول مكة، يعنى قرى الأرض كلها، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، يعنى يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، يعنى يصدقون بالقرآن أنه جاء من الله عز وجل، ثم نعتهم، فقال: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [آية: ٩٢] عليها فى مواقيتها لا يتركونها.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، هذه الآية مدنية، فلا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ

﴿أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾، نزلت فى مسيلمة بن حبيب الكذاب الحنفى، حيث زعم أن الله أوحى إليه النبوة، وكان مسيلمة أرسل إلى النبى ﷺ رسولين، فقال النبى ﷺ لهما: «أتشهدان أن مسيلمة نبى؟»، قال: نعم، فقال النبى ﷺ: «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما»، ثم قال: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾، فلا أحد أيضًا أظلم منه، نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى، من بنى عامر بن لؤى، وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة، كان يتكلم بالإسلام، وكتب للنبى ﷺ يومًا سورة النساء، فإذا أملى عليه النبى ﷺ: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، كتب: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، وإذا أملى عليه: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ كتب: ﴿سَمِيعًا عَلِيمًا﴾، فقال لقوم من المنافقين: كتبت غير الذى أملى علىَّ، وهو ينظر إليه فلم يغيره، فشك عبد الله بن سعد فى إيمانه، فلحق بمكة كافرًا، فقال لهم: لئن كان محمد صادقًا فيما يقول، لقد أنزل علىَّ كما أنزل عليه، ولئن كان كاذبًا، لقد قلت كما قال، وإنما شك لسكوت النبى ﷺ وهو ينظر إليه، فلم يغير ذلك، وذلك أن النبى ﷺ كان أميًا لا يكتب.

ثم قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾، يعنى مشركى مكة، ﴿فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾، يعنى فى سكرات الموت، إذ قتلوا ببدر، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ عند الموت تضرب الوجوه والأدبار، يعنى ملك الموت وحده، وهو يقول: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾، يعنى أرواحكم، منهم: أبو جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبى معيط، والنضر بن الحارث، وأبو قيس بن الفاكه، والوليد بن المغيرة، وقريبًا من سبعين قتيلاً، فلما بعثوا فى الآخرة، وصاروا فى النار، قالت لهم خزنة جهنم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾، يعنى الهوان بغير رأفة ولا رحمة، نظيرها فى الأنفال، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ﴾ فى الدنيا، ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بأن معه شريكًا، ﴿وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [آية: ٩٣]، يعنى وكنتم تتكبرون عن الإيمان بالقرآن.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ فى الآخرة، ﴿فُرَادَىٰ﴾، ليس معكم من الدنيا شىء، ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حين ولدوا وليس لهم شىء، ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ فى الدنيا ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾، يعنى ما أعطيناكم من الخير من بعدكم فى الدنيا، ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ من الملائكة، ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ فى الدنيا، ﴿أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾، يعنى أنهم لكم شفعاء عند الله، لقولهم فى يونس: ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]،

يعنى الملائكة، ثم قال: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ وبين شركاءكم، يعنى من الملائكة من المودة والتواصل، ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ فى الآخرة ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [آية: ٩٤] فى الدنيا بأن مع الله شريكًا.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾، يعنى خالق الحب، يعنى البر، والشعير، والذرة، والحبوب كلها، ثم قال: ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾، يعنى كل ثمرة لها نوى: الخوخ، والنبق، والمشمش، والعنب، والإجاص، وكل ما كان من الثمار له نوى، ثم قال: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾، يقول: أخرج الناس والدواب من النطف وهى ميتة، ويخرج الطير كلها من البيضة وهى ميتة، ثم قال: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾، يعنى النطف والبيض من الحى، يعنى الحيوانات كلها، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ الذى ذكر فى هذه الآية من صنعه وحده يدل على توحيده بصنعه، ثم قال: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [آية: ٩٥]، يقول: أنى يكذبون بأن الله وحده لا شريك له.

ثم ذكر أيضًا فى هذه من صنعه ليدل على توحيده بصنعه، فقال: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾، يعنى خالق النهار من حين يبدوا أوله، ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ لخلقه يسكنون فيه لراحة أجسادهم، ﴿وَ﴾ جعل ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾، يقول: جعلهما فى مسيرهما كالحسبان فى القلك، يقول: لتعلموا عدد السنين والحساب، وذلك أن الله قدر لهما منازلهما فى السماء الدنيا، فذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ فى ملكه يصنع ما أراد، ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ [آية: ٩٦] بما قدر من خلقه، نظيرها فى يونس.

ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾ نورًا، ﴿لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا﴾ بالكواكب ليلاً،

يقول: لتعرفوا الطريق إذا سرتم، ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٩٧] بأن الله واحد لا شريك له، ثم أخبر عن صنعه، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾، يعنى خلقكم من نفس واحدة، يعنى آدم وحده، ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ فى أرحام النساء، ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ فى أصلاب الرجال مما لم يخلقه وهو خالقه، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾، يعنى قد بينا الآيات، ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [آية: ٩٨] عن الله عز وجل.

ثم أخبر عن صنعه ليعرف توحيده، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، يعنى المطر، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾، يعنى بالمطر، ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾، يعنى الثمار والحبوب وألوان النبات، ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾، يعنى أول النبات، ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾، يعنى من الماء، ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾، يعنى السنبل قد ركب بعضه بعضًا، ﴿وَ﴾ أخرجنا بالماء ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا﴾، يعنى من ثمرها، ﴿قِنْوَانٌ﴾ (١)، يعنى قصار النخل، ﴿دَانِيَةٌ﴾، يعنى ملتصقة بالأرض تجنى باليد، ﴿وَ﴾ أخرجنا بالماء ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾، يعنى البساتين، ثم نعت البساتين، فقال: ﴿مِّنْ﴾ نخيل و ﴿أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا﴾، ورقها فى المنظر يشبه ورق الزيتون وورق الرمان، ثم قال: ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ﴾ فى اللون مختلف فى الطعم، ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ حين يبدو غضًا أوله صيصًا، ﴿وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ﴾، يعنى إن فى هذا الذى ذكر من صنعه وعجائبه لعبرة، ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٩٩]، يعنى يصدقون بالتوحيد.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٠٣) قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥)﴾

---

(١) قراءة الأعرج: «قَنْوَان»، بالفتح وقراءة أبى عمرو، وهارون. قال ابن جنى: ينبغى أن يكون قَنْوَان هذا اسما للجمع غير مكسر، بمنزلة رَكْب عند سيبويه والجامل والباقر؛ وذلك أن فَعْلان ليس من أمثلة الجمع. انظر: (القرطبى ٧/٤٨، الكشاف ١/٢٢٣، البحر المحيط ٤/١٨٩، العكبرى ١/١٤٨).

﴿وَجَعَلُواْ﴾ يعنى وصفوا ﴿لِلَّهِ﴾ الذى خلقهم فى التقديم ﴿شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ من الملائكة، وذلك أن جهينة، وبنى سلمة، وخزاعة وغيرهم، قالوا: إن حيًا من الملائكة يقال لهم: الجن بنات الرحمن، فقال الله: ﴿وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ﴾، يعنى وتخرصوا، يعنى يخلقوا لله ﴿بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (١) يعلمونه أن له بنين وبنات، وذلك أن اليهود، قالوا: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت العرب: الملائكة بنات الله، يقول الله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ نزه نفسه عما قالوا من البهتان، ثم عظم نفسه، فقال: ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾، يعنى وارتفع ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [آية: ١٠٠]، يعنى يقولون من الكذب.

فعظم نفسه وأخبر عن قدرته، فقال: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، لم يكونا فابتدع خلقهما، ثم قال: ﴿أَنَّىٰ﴾، يعنى من أين ﴿يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ (٢)، يعنى زوجة، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾، يعنى من الملائكة، وعزير، وعيسى، وغيرهم فهم خلقه وعباده وفى ملكه، ثم قال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [آية: ١٠١].

ثم دل على نفسه بصنعه ليوحدوه، فقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الذى ابتدع خلقهما وخلق كل شيء ولم يكن له صاحبة ولا ولد، ثم وحد نفسه إذ لم يوحده كفار مكة، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾، يعنى فوحدوه، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [آية: ١٠٢]، وهو رب كل شيء ذكر من بنين وبنات وغيرهم.

ثم عظم نفسه، فقال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، يقول: لا يراه الخلق فى الدنيا، ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، وهو يرى الخلق فى الدنيا، ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ لطف علمه وقدرته حين يراهم فى السموات والأرض، ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [آية: ١٠٣] بمكانهم.

﴿قَدْ جَآءَكُم﴾ يا أهل مكة، ﴿بَصَآئِرُ﴾، يعنى بيان ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾، يعنى القرآن، نظيرها فى الأعراف، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ إيمانًا بالقرآن، ﴿فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ﴾ عن إيمان بالقرآن، ﴿فَعَلَيْهَا﴾، يعنى فعلى نفسه، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [آية: ١٠٤]، يعنى برقيب، يعنى محمد ﷺ.

---

(١) انظر: (الطبرى ٧/١٢، القرطبى ٥٢/٧، الكشاف ٣١/٢، البحر المحيط ١٩٤/٤، والعكبرى ١٤٨/١، النحاس ٥٧٠/١).

(٢) انظر: (الكشاف ٣٢/٢، البحر المحيط ١٩٤/٤).

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، يعني وهكذا ﴿نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ في أمور شتى، يعني ما ذكر، ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾[1]، يعني قابلت ودرست، يعني تعلمت من غيرك يا محمد، فأنزل الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾؛ لئلا يقولوا: درست وقرأت من غيرك، ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾، يعني القرآن، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٠٥].

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، وذلك حين دُعي النبي ﷺ إلى ملة آبائه، فأنزل الله عز وجل: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ١٠٦]، يقول الله لنبيه ﷺ: أعرض عنهم إذا أشركوا.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ﴾، يقول: ولو شاء الله لمنعهم من الشرك، ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾، يعني رقيبًا إن لم يوحدوا، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [آية: ١٠٧]، يعني بمسيطر، فنسختها آية السيف.

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وذلك أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يذكرون أوثان أهل مكة بسوء، فقالوا: لينتهين محمد عن شتم آلهتنا أو لنسبن ربه، فنهى الله المؤمنين عن شتم آلهتهم فيسبوا ربهم؛ لأنهم جهلة بالله، وأنزل الله: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2]، يعني يعبدون من دون الله من الآلهة، ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعلمونه أنهم يسبون الله، يعني أهل مكة، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعني هكذا ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾، يعني ضلالتهم، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة،

---

(١) وقراءة زيد بن علي. انظر: (معاني القرآن للفراء ٣٤٩/١، الطبري ٢٦/١٢، القرطبي ٥٩/٧، البحر المحيط ١٩٧/٤، تهذيب اللغة، لسان العرب «درس»).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٢٠٠/٤، الكشاف ٣٣/٢، مجمع البيان ٣٤٧/٢، النشر ٢٦١/٢).

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٠٨].

فلما نزلت هذه الآية، قال النبى ﷺ لأصحابه: «لا تسبوا ربكم»، فأمسك المسلمون عند ذلك عن شتم آلهتهم، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، فمن حلف بالله فقد اجتهد فى اليمين، وذلك أن كفار مكة حلفوا للنبى ﷺ، ﴿لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ كما كانت الأنبياء تجيء بها إلى قومهم، ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ ليؤمنن بالآية، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾، إن شاء أرسلها وليست بيدى، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ وما يدريكم ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٠٩]، يعنى لا يصدقون، لما سبق فى علم الله من الشقاء.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾، يعنى قلوبهم، ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾ عن الإيمان، ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، يقول: كما لم يؤمن بها أوائلهم من الأمم الخالية بما سألوا من الآيات قبلها، فكذلك كفار أهل مكة لا يصدقون بها إن جاءتهم آية، ثم قال: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [آية: ١١٠]، يعنى فى ضلالتهم يترددون، لا نخرجهم منها أبدًا.

﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾

ثم أخبر عما علمه فيهم، فقال: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾، وأخبروهم أن محمدًا رسول كما سألوا، لقولهم فى الفرقان: ﴿**لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ**﴾ [الفرقان: ٢١]، يعنى المستهزئين من قريش، أبا جهل وأصحابه، ثم قال: ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ﴾، لقولهم: ابعث لنا رجلين أو ثلاثة من آبائنا، فنسألهم عما أمامهم مما تحدثنا أنه يكون بعد الموت أحق هو؟ ثم قال: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾، يعنى عيانًا، قال أبو محمد: ومن قرأه: «قَبلا»، أراد قبيلاً قبيلاً، رواه عن ثعلب، فعاينوه كله، فلو فعلت هذا كله، فأخبروهم بأن الذى يقول محمد حق، ﴿مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾، يعنى ليصدقوا، ﴿إِلَّا

أن يشاء الله ﴾ لهم الإيمان، ﴿ولكن أكثرهم ﴾ أكثر أهل مكة ﴿يجهلون ﴾ [آية: ١١١].

ثم قال: ﴿وكذلك ﴾، يعنى وهكذا، ﴿جعلنا لكل نبي عدوا ﴾ من قومه، يعنى أبا جهل عدوًا للنبى ﷺ، كقولهم فى الفرقان: ﴿ وقالوا مال هذا الرسول... ﴾ [الفرقان: ٧] إلى آخر الآية، قوله: ﴿شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض ﴾، وذلك أن إبليس وكل شياطين بالإنس يضلونهم، ووكل شياطين بالجن يضلونهم، فإذا التقى شيطان الإنس مع شيطان الجن، قال أحدهما لصاحبه: إنى أضللت صاحبى بكذا وكذا، فأضلل أنت صاحبك بكذا وكذا، فذلك قوله: ﴿يوحي بعضهم إلى بعض ﴾، يقول: يزين بعضهم ﴿زخرف القول غرورا ﴾، يقول: ذلك التزيين بالقول باطل، يغرون به الإنس والجن، ثم قال: ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه ﴾، يقول: لو شاء الله لمنعهم عن ذلك، ثم قال للنبى ﷺ: ﴿فذرهم ﴾، يعنى خل عنهم، يعنى كفار مكة، ﴿وما يفترون ﴾ [آية: ١١٢] من الكذب.

﴿ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾، يعنى ولتميل إلى ذلك الزخرف والغرور قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، يعنى الذين لا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿وليرضوه ﴾، يعنى وليحبوه، ﴿وليقترفوا ما هم مقترفون ﴾ [آية: ١١٣]، يعنى ليعملوا من المعاصى ما هم عاملون.

﴿أفغير الله أبتغي حكما ﴾، فليس أحد أحسن قضاء من الله فى نزول العذاب ببدر، ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا ﴾، يعنى القرآن حلاله وحرامه، وكل شىء مفصلاً، يعنى مبينًا فيه أمره ونهيه، ﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴾ [آية: ١١٤].

﴿وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم (١١٥) وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون (١١٦) إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١١٧) ﴾

﴿وتمت كلمت ربك ﴾ بأنه ناصر محمد ﷺ ببدر، ومعذب قومه ببدر، فحكمه عدل فى ذلك، فذلك قوله: ﴿صدقا ﴾ فيما وعد، ﴿وعدلا ﴾ فيما حكم، ﴿لا مبدل

﴿لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾، يعنى لا تبديل لقوله فى نصر محمد ﷺ، وأن قوله حق، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ بما سألوا من العذاب، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ١١٥] به حين سألوا، ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، يعنى جانبًا من السماء.

﴿وَإِن تُطِعْ﴾ يا محمد ﴿أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يعنى أهل مكة حين دعوه إلى ملة آبائه، ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى يستنزلوك عن دين الإسلام، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ﴾، يعنى وما هم ﴿إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [آية: ١١٦] الكذب، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1]، يعنى عن دينه الإسلام، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [آية: ١١٧].

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١١٨]، يعنى بالقرآن مصدقين، وذلك أن كفار مكة حين سمعوا أن الله حرم الميتة، قالوا للمسلمين: أتزعمون أنكم تتبعون مرضاة ربكم؟ ألا تحدثونا عما قتلتم أنتم بأيديكم أهو أفضل؟ أو ما قتل الله؟ فقال المسلمون: بل الله أفضل صنعًا، فقالوا لهم: فما لكم تأكلون مما ذبحتم بأيديكم، وما ذبح الله فلا تأكلونه، وهو عندكم ميتة؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾، يعنى وقد بين لكم ما حرم عليكم، يعنى الميتة، والدم، ولحم الخنزير، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ مما نهيتم عن أكله، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا﴾ من الناس، يعنى سادة قريش، ﴿لَّيُضِلُّونَ﴾ أهل مكة ﴿بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعلمونه فى أمر الذبائح، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [آية: ١١٩].

﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ﴾، يعنى واتركوا ظاهر الإثم، ﴿وَبَاطِنَهُۥٓ﴾، يعنى الزنا فى

---

(١) انظر: (الإتحاف ٢١٦، البحر المحيط ٢١٠/٤، والقرطبى ٧٢/٧، الكشاف ٣٦/٢).

السر والعلانية، وذلك أن قريشًا كانوا ينكرون الزنا فى العلانية، ولا يرون به بأسًا سرًا، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾، يعنى الشرك، ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ فى الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ [آية: ١٢٠]، يعنى يكسبون.

وأنزل الله فى قولهم: ما قتل الله فلا تأكلوه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾، يعنى إن أكل الميتة لمعصية، ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ من المشركين، ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ فى أمر الذبائح، ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ باستحلالكم الميتة، ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [آية: ١٢١] مثلهم، وفيهم نزلت: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِى الأَمْرِ﴾ [الحج: ٦٧]، يعنى أمر الذبائح.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٢٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣) وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ (١٢٤)﴾

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾، يعنى أو من كان ضالاً فهديناه، نزلت فى النبى ﷺ، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾، يعنى إيمانًا ﴿يَمْشِى بِهِۦ﴾، يعنى يهتدى به ﴿فِى ٱلنَّاسِ﴾، أهو ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، يعنى كشبه من هو فى الشرك، يعنى أبا جهل، ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾، يعنى من الشرك، يعنى ليس بمهتد، هو فيها متحير لا يجد منفذًا، ليسا بسواء، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا، ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾، يعنى للمشركين، ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٢٢]، يعنى أبا جهل، وذلك أنه قال: زحمتنا بنو عبد مناف فى الشرف، حتى إذا صرنا كفرسى رهان، قالوا: منا نبى يوحى إليه، فمن يدرك هذا والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدًا، أو يأتينا وحى كما يأتيه، فأنزل الله عز وجل: ﴿**وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِىَ رُسُلُ اللّهِ...**﴾ إلى آخر الآية.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، يعنى وهكذا ﴿جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ خلت، يعنى عصت، ﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾، يعنى جبابرتها وكبراءها، جعلنا بمكة المستهزئين من قريش، ﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾، يعنى فى القرية بالمعاصى حين أجلسوا فى كل طريق أربعة منهم، يقول الله:

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾، وما معصيتهم إلا على أنفسهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية: ١٢٣].

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾، يعنى انشقاق القمر، والدخان، ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾، يعنى النبى ﷺ وحده، يقول الله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾، الله أعلم حيث يختص بنبوته من يشاء، ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾، يعنى مذلة، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾ [آية: ١٢٤]، يعنى يقولون، لقولهم: لو كان هذا القرآن حقًا، لنزل على الوليد بن المغيرة، أو على أبى مسعود الثقفى، وذلك قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَـٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ لدينه، ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾، نزلت فى النبى ﷺ، يعنى يوسع قلبه، ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ عن دينه، ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ بالتوحيد، يعنى أبا جهل، حتى لا يجد التوحيد من الضيق مجازًا، ثم قال: ﴿حَرَجًا﴾ شكًا، ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، يقول: هو بمنزلة المتكلف الصعود إلى السماء لا يقدر عليه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا، ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾، يقول: الشر، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٢٥] بالتوحيد.

﴿وَهَـٰذَا﴾ التوحيد ﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾، يعنى دين ربك، ﴿مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾، يعنى قد بينا الآيات فى أمر القلوب فى الهدى والضلالة، يعنى الذى يشرح صدره للإسلام، والذى جعله ضيقًا حرجًا، ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [آية: ١٢٦] بتوحيد الله.

ثم ذكر ما أعد للموحدين، فقال: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ﴾، يعنى جنة الله، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فى الآخرة، ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾، يقول: الله وليهم فى الآخرة، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٢٧] له فى الدنيا، يعنى يوحدون ربهم.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾، يعنى كفار الإنس والشياطين والجن، يقول: ويوم نجمعهم، ﴿جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾، ثم يقول للشياطين: ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ﴾، يعنى من ضلال الإنس فيما أضللتم منهم، وذلك أن كفار الإنس كانوا تولوا الجن وأعاذوا بهم، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ﴾، يعنى أولياء الجن من كفار الإنس، ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾، كاستمتاع الإنس بالجن، وذلك أن الرجل كان إذا سافر فأدركه الليل بأرض القفر خاف، فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه، فيبيت فى جواره آمنًا، وكان استمتاع الجن بالإنس أن يقولوا: لقد سودتنا الإنس حين فزعوا إلينا، فيزدادوا بذلك شرفًا، ﴿وَ﴾ قالت: ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا﴾ الموت ﴿الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ فى الدنيا، فرد الله عليهم: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾، ومثوى الكافرين، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أبدًا، ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، واستثنى أهل التوحيد، أنهم لا يخلدون فيها، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾، يعنى حكم النار لمن عصاه، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ١٢٨]، يقول: عالم بمن لا يعصيه.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، يعنى وهكذا، ﴿نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾، فولى الله ظلمة الإنس ظلمة الجن، وولى ظلمة الجن ظلمة الإنس بأعمالهم الخبيثة، فذلك قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [آية: ١٢٩]، يعنى يعملون من الشرك.

ثم قال لهم عند ذلك: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾، يعنى كفار الجن وكفار الإنس، ولا يعنى به الشياطين؛ لأن الشياطين هم أغروا كفار الجن وكفار الإنس، وبعث الله رسولاً من الجن إلى الجن، ومن الإنس إلى الإنس يقصون، فذلك قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، يعنى من أنفسكم الجن إلى الجن، والإنس إلى الإنس، ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾، يعنى آيات القرآن، ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾، يعنى يوم القيامة،

﴿قَالُواْ﴾، يعنى قالت الإنس والجن: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ بذلك أنا كفرنا بما قالت الرسل فى الدنيا، قال الله للنبى ﷺ: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عن دينهم الإسلام، ويقول الله للنبى ﷺ: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فى الآخرة ﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [آية: ١٣٠] فى الدنيا، وذلك حين شهدت عليهم الجوارح بالشرك والكفر فى الدنيا، ثم قال الخازن، فى التقديم: فـ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾، يعنى مأواكم، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾، حكم عليهم حقًا بذلك الهلاك، كفعله بالأمم الخالية فى سورة أخرى.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾، يعنى معذب أهل القرى ﴿بِظُلْمٍ﴾ بغير ذنب فى الدنيا، ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [آية: ١٣١] عن العذاب حتى يبعث فى أمها رسولاً ينذرهم بالعذاب حجة عليهم.

﴿وَلِكُلٍّ﴾، يعنى كفار الجن والإنس، ﴿دَرَجَٰتٌ﴾، يعنى فضائل من العذاب فى الآخرة، ﴿مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ فى الدنيا، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٣٢]، هذا وعيد، نظيرها فى الأحقاف.

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن عبادة خلقه، ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾، يعنى النعمة، فلا تعجل عليهم بالعذاب، يعنى كفار مكة، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بهلاك، ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم﴾ خلقًا من غيركم بعد هلاككم ﴿مَّا يَشَآءُ﴾، إن شاء مثلكم، وإن شاء أمثل وأطوع لله منكم، ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم﴾، يعنى كما خلقكم ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [آية: ١٣٣]، يعنى ذرية أهل سفينة نوح، ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب فى الدنيا ﴿لَءَاتٍ﴾، يعنى لكائن، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [آية: ١٣٤]، يعنى بسابقى الله بأعمالكم الخبيثة حتى يجزيكم بها.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ

عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾

قوله: ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾، يعنى جديلتكم، يعنى كفار مكة، ﴿إِنِّي عَامِلٞۖ﴾، على جديلتى التى أمرنى بها ربى، ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾، يعنى الجنة، أنحن أم أنتم، ثم قال للنبى ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ﴾، يعنى لا يسعد ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ١٣٥] فى الآخرة، يعنى المشركين، نظيرها فى القصص.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾، يعنى وصفوا لله ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾، يعنى مما خلق، ﴿مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ﴾، يعنى النصيب لآلهتهم مثل ذلك، فما أخرج الله من بطون الأنعام وظهورها من الحرث، قالوا: هذا لله، فيتصدقون به على المساكين، وما أخرج الله من نصيب الآلهة أنفقوه عليها، فإن زكا نصيب الآلهة و لم يزك نصيب الله تركوه للآلهة، وقالوا: لو شاء الله لأزكى نصيبه، وإن زكا نصيب الله و لم يزك نصيب الآلهة، خدجت أنعامهم وأجدبت أرضهم، وقالوا: ليس لآلهتنا بد من نفقة، فأخذوا نصيب الله فقسموه بين المساكين والآلهة نصفين، فذلك قوله: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ﴾، يعنى لآلهتهم مما خرج من الحرث والأنعام، ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾، يعنى إلى المساكين، ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ﴾، يعنى آلهتهم، يقول الله: ﴿سَآءَ﴾، يعنى بئس ﴿مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [آية: ١٣٦]، يقول: لو كان معى شريك كما يقولون، ما عدلوا فى القسمة أن يأخذوا منى ولا يعطونى.

ثم انقطع الكلام، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، يعنى وهكذا، ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾(١)، كما زينوا لهم تحريم الحرث والأنعام، يعنى دفن البنات وهن أحياء، ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾، يعنى ليهلكوهم، ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ﴾، يعنى وليخلطوا عليهم، ﴿دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾، يقول: لو شاء الله لمنعهم من ذلك، ﴿فَذَرْهُمْ﴾، يعنى فخل عنهم، ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [آية: ١٣٧] من الكذب، لقولهم فى الأعراف: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨].

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾(٢)، يعنى حرام، ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾، يعنى الرجال دون النساء، وكانت مشيئتهم أنهم جعلوا اللحوم والألبان للرجال دون النساء، ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾، يعنى الحام، ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾، يعنى البحيرة أن نتجوها أو نحروها لم يذكروا اسم الله عليها، ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾، على الله، يعنى كذبًا على الله، ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آية: ١٣٨] حين زعموا أن الله أمرهم بتحريمه، حين قالوا فى الأعراف: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨].

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾(٣)، يعنى من الولد والألبان، ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾، يعنى البحيرة، والسائبة، والوصيلة، فكانوا إذا أنتجوه حيًا ذبحوه فأكله الرجال دون النساء، وكذلك الألبان، وإن وضعته ميتًا اشترك فى أكله الرجال والنساء، فذلك قوله: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله العذاب فى الآخرة، ﴿وَصْفَهُمْ﴾، ذلك بالتحليل والتحريم، أى جزاءه، ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ حكم عليهم العذاب، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ١٣٩] به.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ

---

(١) قراءة أبى عبدالرحمن السُّلمى: «وَكَذَلِكَ زُيِّـنَ لِكثيرٍ مِنَ الْمُشرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِم شركاؤهِمْ» وقراءة الحسن، وأبى عبدالملك. انظر: (البحر المحيط ٤/٢٢٩، ٢٣٠، السبعة ٢٧٠، الكشاف ٢/٤٢، مجمع البيان ٢/٣٧٠، معانى القرآن للفراء ١/٣٥٧، النشر ٢/٢٦٣، الإتحاف ٢١٧).

(٢) انظر: (الطبرى ١٢/١٤٢، القرطبى ٧/٩٤، الكشاف ٢/٤٣، البحر المحيط ٤/٢٣١).

(٣) انظر: (القرطبى ٧/٩٦، البحر المحيط ٤/٢٣١، معانى القرآن للفراء ١/٣٥٨).

مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾

ثم عابهم بقتل أولادهم وتحريم الحرث والأنعام، فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ﴾ في الآخرة، ﴿ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ﴾، يعنى دفن البنات أحياء، ﴿سَفَهًۢا﴾، يعنى جهلاً، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ من الحرث والأنعام، ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ الكذب حين زعموا أن الله أمرهم بهذا، يعنى بتحريمه، يقول الله: ﴿قَدْ ضَلُّوا۟﴾ عن الهدى، ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [آية: ١٤٠]، وكانت ربيعة ومضر يدفنون البنات وهن أحياء، غير بنى كنانة، كانوا لا يفعلون ذلك.

قوله: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾، يعنى الكروم وما يعرش، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾، يعنى قائمة على أصولها، ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾، يعنى طعمه، منه الجيد، ومنه الدون، ثم قال: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾، ورقها فى النظير يشبه ورق الزيتون ورق الرمان، ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ ثمرها وطعمها، وهما متشابهان فى اللون، مختلفان فى الطعم، يقول الله: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾، حين يكون غضًا، ثم قال: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [آية: ١٤١]، يقول: ولا تشركوا الآلهة فى تحريم الحرث والأنعام.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً﴾، يعنى الإبل والبقر، ﴿وَفَرْشًا﴾، والفرش الغنم الصغار مما لا يحمل عليها، ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الأنعام والحرث حلالاً طيبًا، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، يعنى تزيين الشيطان فتحرمونه، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٤٢]، كلم النبى ﷺ فى ذلك عوف بن مالك الجشمى، يكنى أبا الأحوص.

ثم قال: أنزل ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ قبل خلق آدم، عليه السلام، ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ (١)، يعنى ذكرًا وأنثى، ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾، ذكرًا وأنثى، ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى، ونسب ذلك إلى الله: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله عليكم؟ ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما؟ ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾؟ ذكرًا كان أو أنثى؟ ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ عن كيفية تحريم ذلك، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ١٤٣] فيه. المعنى من أين جاء التحريم، فإن كان من قبل الذكورة، فجميع الذكور حرام، أو الأنوثة، فجميع الإناث، أو اشتمال الرحم فالزوجان، فمن أين التخصيص؟ والاستفهام للاستنكار.

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى، ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى، ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، يعنى من أين تحريم الأنعام من قبل الذكرين أم قبل الأنثيين؟ ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، يقول: على ما اشتمل، ما يشتمل الرحمل إلا ذكرًا أو أنثى، فأين هذا الذى جاء التحريم من قبله، وما اشتمل الرحم إلا على مثلها.

يقول: ما تلد الغنم إلا الغنم، وما تلد الناقة إلا مثلها، يعنى أن الغنم لا تلد البقر، ولا البقر تلد الغنم، فإن قالوا: حرم الأنثيين، خصوا ولم يجز لهم أن يأكلوا الإناث من الأنعام، وإن قالوا: الذكرين، لم يجز لهم أن يأكلوا ذكور الأنعام، فسكتوا، يقول الله لنبيه ﷺ: قل لهم: ﴿نَبِّؤُونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ بأن الله حرم هذا، ثم قال: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ التحريم، فسكتوا فلم يجيبوه، إلا أنهم قالوا: حرمها آباؤنا، فقال لهم النبى ﷺ: «فمن أين حرمه آباؤكم؟»، قالوا: الله أمرهم بتحريمه، فأنزل الله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾، يقول: فلا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٤٤].

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ

---

(١) انظر: (القرطبى ٧/١٠٤، البحر المحيط ٤/٢٣٩، النحاس ١/٥٨٧، العكبرى ١/١٥٣).

ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

قالوا: يا محمد، فمن أين حرمه آباؤنا؟ فأوحى الله إلى نبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾، يعنى على آكل يأكله، ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾، يعنى يسيل، ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾، يعنى إثما، ﴿أَوْ فِسْقًا﴾، يعنى معصية، ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾، يعنى ذبح لغير الله، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى شيء مما حرمت عليه، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ ليستحله فى دينه، ﴿وَلَا عَادٍ﴾، يعنى ولا معتديًا لم يضطر إليه فأكله، ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ لأكله الحرام، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٤٥] به إذا رخص له فى الحرام فى الاضطرار.

ثم بين ما حرم على اليهود، فقال: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾، يعنى الإبل، والنعامة، والوز، والبط، وكل شيء له خف وظفر من الدواب والطير، فهو عليهم حرام، ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾، وحرم عليهم الشحوم من البقر والغنم، ثم استثنى ما أحل لهم من الشحوم، فقال: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾، يعنى ظهور البقر والغنم والأكتاف والإلية، ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾، يعنى المعى، ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ﴾ من الشحم ﴿بِعَظْمٍ﴾، فكل هذا حلال لهم، وحرم عليهم شحوم الكليتين والثروب، ﴿ذَٰلِكَ﴾ التحريم، ﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾، يعنى عقوبة بقتلهم الأنبياء وبصدهم عن سبيل الله، وبأكلهم الربا، واستحلالهم أموال الناس بالباطل، فهذا البغى، ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [آية: ١٤٦] بذلك، وهذا ما أوحى الله إلى نبيه ﷺ أنه محرم، منه على المسلمين، ومنه على اليهود.

فقال كفار العرب للنبى ﷺ: فإنك لم تصب، يقول الله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ بما تقول من التحريم، ﴿فَقُل﴾ لكفار مكة، ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ ملأت رحمته كل شيء، لا يعجل عليكم بالعقوبة، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾، يقول: عذابه إذا جاء الوقت على من كذب بما يقول، ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ١٤٧]، يعنى كفار العرب.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ

فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ مع الله آلهة، يعنى مشركى العرب، ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ﴾ أشرك ﴿ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾، يعنى الحرث، والأنعام، ولكن الله أمر بتحريمه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من الأمم الخالية رسلهم، كما كذب كفار مكة بمحمد ﷺ، ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾، يعنى عذابنا، ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ﴾، يعنى بيانًا من الله بتحريمه فتبينوه لنا، يقول الله: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [آية: ١٤٨] الكذب.

﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [آية: ١٤٩] لدينه، ﴿قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ﴾ الحرث والأنعام، ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ أن الله حرمه، ﴿فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ﴾ يأمر نبيه ﷺ أن لا يصدق قولهم، ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعنى القرآن الذى فيه تحليل ما حرموا، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾، يعنى لا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿وَ﴾ الذين ﴿وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [آية: ١٥٠]، يعنى يشركون.

﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾

﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ﴾، يقول: تعالوا حتى أقرأ ما حرم عليكم، ﴿أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ من خلقه، ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ﴾، يعنى برًا بهما، ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم﴾، يعنى دفن البنات وهن أحياء، ﴿مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾، يعنى

خشية الفقر، ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾، يعنى الزنا، ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا﴾، يعنى السفاح علانية، ﴿وَمَا بَطَنَۖ﴾، يعنى الزنا فى السر تتخذ الخليل، فيأتيها فى السر، ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾، يعنى بالقصاص والثيب الزانى بالرجم، والمرتد عن الإسلام، فهذا الحق، ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ﴾، يعنى لكى ﴿تَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ١٥١] أنه لم يحرم إلا ما ذكر فى هذه الآيات الثلاث، ولم يحرم البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، إلا ليثمر لليتيم ماله بالأرباح، ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ﴾، يعنى ثمانى عشرة سنة، ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾، يعنى بالعدل، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ﴾، يقول: لا نكلفها من العمل إلا طاقتها، ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ﴾، يعنى أولى قربى إذا تكلمتم فقولوا الحق، وإن كان ذو قرابتك فقل فيه الحق، ﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ﴾ فيما بينكم وبين الناس، ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ﴾، يعنى لكى ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ١٥٢] فى أمره ونهيه.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ (١٥٣) ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلًا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدًى وَرَحۡمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ (١٥٤) وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ (١٥٥)﴾

﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ الذى ذكر فى هذه الآيات من أمر الله ونهيه، ﴿صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا﴾، يعنى دينًا مستقيمًا، ﴿فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾، يعنى طرق الضلالة فيما حرموا، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾، يعنى فيضلكم عن دينه، ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ﴾، يعنى لكى، ﴿تَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٥٣]، فهذه الآيات المحكمات لم ينسخهن شىء من جميع الكتب، وهن محكمات على بنى آدم كلهم.

﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾، يعنى أعطينه التوراة، ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ﴾(١)،

---

(١) انظر: (الإتحاف ٢٢٠، الكشاف ٢/٤٩، معانى القرآن للفراء ١/٣٦٥، والطبرى ١٢/٢٣٦، القرطبى ٧/١٤٢، البحر المحيط ٤/٢٥٠، أمالى ابن الشجرى ٢/٢٣٥، همع الهوامع ١/٣١٢، شرح الكافية ١/٢٤٩، مغنى اللبيب ١/١٥٤).

يقول: تمت الكرامة على من أحسن منهم فى الدنيا والآخرة، فتمم الله لبنى إسرائيل ما وعدهم من قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا...﴾ [القصص: ٥، ٦] إلى آيتين، ثم قال: ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَ﴾ التوراة ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب، ﴿لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٥٤]، يعنى بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال.

﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾، فهو بركة لمن آمن به، ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾، فاقتدوا به، ﴿وَاتَّقُوا﴾ الله ﴿لَعَلَّكُمْ﴾، يعنى لكى ﴿تُرْحَمُونَ﴾ [آية: ١٥٥] فلا تعذبوا.

﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧)﴾

﴿أَن تَقُولُوا﴾، يعنى لئلا تقولوا: ﴿إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾، يعنى اليهود والنصارى، ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ [آية: ١٥٦]، وذلك أن كفار مكة قالوا: قاتل الله اليهود والنصارى، كيف كذبوا أنبياءهم، فوالله لو جاءنا نذير وكتاب لكنا أهدى منهم، فنزلت هذه الآية فيهم: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾، يعنى اليهود والنصارى، يقول الله لكفار مكة: ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، يعنى بيان من ربكم القرآن، ﴿وَ﴾ هو ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب لقوم يؤمنون، فكذبوا به، فنزلت: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، يعنى بالقرآن، ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾، يعنى وأعرض عن آيات القرآن، فلم يؤمن بها، ثم أوعدهم الله، فقال: ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا﴾، يعنى يعرضون عن إيمان بالقرآن، ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾، يعنى شدة العذاب، ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [آية: ١٥٧]، يعنى بما كانوا يعرضون عن إيمان بالقرآن.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨)﴾

ثم وعدهم، فقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾، يعنى ما ينتظر كفار مكة بالإيمان ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، يعنى ملك الموت وحده بالموت، ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ يوم القيامة فى ظلل من الغمام، ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾، يعنى طلوع الشمس من مغربها، ثم قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾، يعنى طلوع الشمس من المغرب، ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾(1)، يعنى نفسًا كافرة حين لم تؤمن قبل أن تجىء هذه الآية، ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾، يقول: لم تكن صدقت من قبل طلوع الشمس من مغربها، ﴿أَوْ﴾ لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾، يقول: لم تكن هذه النفس عملت قبل طلوع الشم من مغربها، و لم يقبل منها بعد طلوعها، ومن كان يقبل منه عمله قبل طلوع الشمس من مغربها، فإنه يتقبل منه بعد طلوعها، ثم أوعدهم العذاب، فقال الله لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟﴾ العذاب ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [آية: ١٥٨] بكم العذاب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ الإسلام الذى أمروا به، ودخلوا فى غيره، يعنى اليهود والنصارى قبل أن يبعث محمد ﷺ، ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾، يعنى أحزابًا يهود، ونصارى، وصابئين، وغيرهم، ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ﴾ يا محمد ﴿فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [آية: ١٥٩]، فنسختها آية براءة: ﴿قَاتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ...﴾ إلى قوله: ﴿صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿مَن جَآءَ﴾ فى الآخرة ﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾ بالتوحيد والعمل الصالح، ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فى الأضعاف، ﴿وَمَن جَآءَ﴾ فى الآخرة ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾، يعنى الشرك، ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ فى العظم، فجزاء الشرك أعظم الذنوب، والنار أعظم العقوبة، وذلك قوله: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦] وافق الجزاء العمل، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية: ١٦٠] كلا الفريقين جميعًا.

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾

---

(1) انظر: (القرطبى ١٤٨/٧، البحر المحيط ٢٦٠/٤، الكشاف ١٥٠/٢، مغنى اللبيب ١١٣/٢).

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، يعنى الإسلام، ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ مستقيمًا لا عوج فيه، ﴿مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾، يعنى مخلصًا، ﴿وَمَا كَانَ﴾ إبراهيم ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ١٦١] من اليهود والنصارى.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾ الخمس، ﴿وَنُسُكِي﴾، يعنى وذبحى، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ١٦٢]، ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾، يقول: ليس معه شريك، ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ١٦٣]، يعنى المخلصين من أهل مكة.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾، وذلك أن كفار قريش قالوا للنبى ﷺ: ارجع عن هذا الأمر، فنحن لك كفلاء بما أصابك من تبعة، فأنزل الله: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾، يعنى أتخذ ربًا، ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فى السموات والأرض، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾، يعنى إلا على نفسها، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، يعنى لا تحمل نفس خطيئة نفس أخرى؛ لقولهم للنبى ﷺ: نحن لك الكفلاء بما أصابك من تبعة، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم﴾ فى الآخرة ﴿مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ﴾ فى الدين أنتم وكل قبيلة فى الدين ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ١٦٤] أنتم وكفار مكة، نظيرها فى الروم.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾، يعنى من بعد هلاك الأمم الخالية، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾، يعنى بالدرجات الفضائل والرزق؛ لقولهم للنبى ﷺ: ما يحملك على الذى أتيتنا به إلا الحاجة، فنحن نجمع لك من أموالنا، فنزلت: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾، يعنى ليبتليكم فيما أعطاكم، يقول: يبتلى بعض المؤمنين الموسر بالغنى، ويبتلى بعض المؤمنين المعسر بالفاقة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه فى فاقة أو غنى، يخوفهم كأنه قد جاء ذلك اليوم، ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٦٥] بعد التوبة.

قوله: ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾، يعنى كبشًا ونعجة.

﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾، يعنى تيسًا وشاة.

﴿وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ﴾، يعنى جملاً وناقة.

﴿وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾، يعنى ثورًا وبقرة.

* * *

سورة الأعراف

مكية، إلا قوله تعالى: ﴿ واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر... ﴾ [آية: ١٦٣] إلى قوله: ﴿ ...وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾ [آية: ١٧٢]، هذه الآيات مدنيات، وهى مائتان وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المص ﴿١﴾ كتب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ﴿٢﴾ ﴾

﴿ المص ﴾ [آية: ١]. ﴿ كتب أنزل إليك ﴾، يعنى القرآن، ﴿ فلا يكن فى صدرك ﴾، يعنى النبى ﷺ، ﴿ حرج منه ﴾، يقول: فلا يكن فى قلبك شك من القرآن بأنه من الله، ﴿ لتنذر به ﴾، بما فى القرآن من الوعيد، ﴿ وذكرى للمؤمنين ﴾ [آية: ٢]، يعنى تذكرة للمصدقين بالقرآن بأنه من الله عز وجل.

﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ﴿٣﴾ وكم من قرية أهلكنها فجاءها بأسنا بيتا أو هم قائلون ﴿٤﴾ فما كان دعوىهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين ﴿٥﴾ فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين ﴿٦﴾ ﴾

ثم قال لأهل مكة: ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ﴾، يعنى القرآن، ﴿ ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾، يعنى أربابًا، ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿ قليلا ما تذكرون ﴾ [آية: ٣]، يعنى بالقليل أنهم لا يعقلون فيعتبرون.

ثم وعظهم، فقال: ﴿ وكم من قرية أهلكنها ﴾ بالعذاب، ﴿ فجاءها بأسنا بيتا ﴾، وهم نائمون، يعنى ليلاً، ﴿ أو ﴾ جاءهم العذاب، ﴿ هم قائلون ﴾ [آية: ٤]، يعنى بالنهار.

﴿ فما كان دعوىهم إذ جاءهم بأسنا ﴾، يقول: فما كان قولهم عند نزول العذاب بهم، ﴿ إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين ﴾ [آية: ٥]، لقولهم فى حم المؤمن: ﴿ آمنا بالله وحده ﴾ [غافر: ٨٤].

ثم قال: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾ فى الآخرة ﴿ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾، يعنى الأمم الخالية الذين أهلكوا فى الدنيا: ما أجابوا الرسل فى التوحيد؟ ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ٦] ماذا أجيبوا فى التوحيد؟

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ أعمالهم ﴿بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [آية: ٧] عن أعمالهم، يعنى عنهم فى الدنيا.

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾، يقول: وزن الأعمال يومئذ العدل فى الآخرة، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ من المؤمنين وزن ذرة على سيئاته، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٨].

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾، يعنى الكفار، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾، يعنى غبنوا أنفسهم، فصاروا إلى النار. ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [آية: ٩]، يعنى بالقرآن يجحدون بأنه ليس من الله.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يقول: ولقد أعطيناكم يا أهل مكة من الخير والتمكين فى الأرض، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ من الرزق لتشكروه فتوحدوه، فلم تفعلوا، فأخبر عنهم، فقال: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ١٠]، يعنى بالقليل أنهم لا يشكرون رب هذه النعم فيوحدونه.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾، يعنى آدم، عليه السلام، ﴿ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾، يعنى ذرية آدم، ذكرًا وأنثى، وأبيض وأسود، سويًا وغير سوى، ﴿ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين هم فى الأرض، ومنهم إبليس عدو الله: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾ له، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [آية: ١١] لآدم مع الملائكة.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [آية: ١٢]، والنار تغلب الطين.

﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾، قال: اخرج من صورة الملائكة إلى صورة الدمامة، فأخرج من الجنة يا إبليس، ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾، فما ينبغى لك أن تتعظم فيها، يعنى فى الجنة، ﴿فَٱخۡرُجۡ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [آية: ١٣]، يعنى من المذلين.

﴿قَالَ﴾ إبليس لربه: ﴿أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [آية: ١٤]، يعنى النفخة الآخرة، يوم يبعث آدم، عليه السلام، وذريته.

﴿قَالَ﴾ الله: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ [آية: ١٥]، فلا تموت إلى يوم الوقت المعلوم، يعنى أجلاً معلومًا، وهى النفخة الأولى، ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾، قال: أما إذ أضللتنى.

﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [آية: ١٦]، يعنى لأصدنهم عن دينك المستقيم، يعنى الإسلام.

﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾، من قبل الآخرة، فأزين لهم التكذيب بالبعث، وبالجنة، وبالنار، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾، يعنى من قبل الدنيا، فأزينها فى أعينهم، وأرغبهم فيها، ولا يعطون فيها حقًا، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾، يعن من قبل دينهم، فإن كانوا على هدى شبهته عليهم حتى يشكوا فيها، وإن كانوا على ضلالة زينتها لهم، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾، يعنى من قبل الشهوات واللذات من المعاصى وأشهيها إليهم، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [آية: ١٧] لنعمتك، فلا يوحدونك.

﴿قَالَ﴾ له: ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾، يعنى من الجنة، ﴿مَذۡءُومٗا﴾ منفيًا، ﴿مَّدۡحُورٗاۖ﴾ (١)، يعنى مطرودًا، ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ﴾ على دينك، ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [آية: ١٨]، يعنى إبليس وذريته وكفار ذرية آدم منهم جميعًا.

---

(١) انظر: (الإتحاف ٢٢٢، والقرطبى ١٧٦/٧، مجمع البيان ٤٠٤/٢، غيث النفع ٢٢١).

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾، فى التقديم، ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾(١)، وهى السنبلة الحنطة، وقالوا: هى الشجرة التى تحتك بها الملائكة للخلود، ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٩] لأنفسكم.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، يعنى إبليس وحده، ﴿لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا﴾، يعنى ما غطى عنهما ﴿مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾(٢)، يعنى ليظهر لهما عورتهما، ﴿وَقَالَ﴾ إبليس لهما: إنى خلقت قبلكما، وإنى أعلم منكما، فأطيعانى ترشدا، وقال لهما: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [آية: ٢٠]، يقول: إن لم تكونا ملكين، كنتما من الخالدين لا تموتان.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾، يعنى حلف بالله لهما، ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [آية: ٢١] إنها شجرة الخلد، من أكل منها لم يمت، فكان إبليس أول من يحلف بالله كاذبًا.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾، يعنى زين لهما الباطل، لقوله: ﴿تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾، وحلف على قوله، فغرهما بهذه اليمين، ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾، يعنى ظهرت لهما عوراتهما، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾(٣)، يقول: أخذا يغطيان عوراتهما ﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾، يعنى ورق التين الذى فى الجنة، ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾، يقول: وقال لهما ربهما يوحى إليهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٥٦، مجمع البيان ٢/٤٠٤، العكبرى ١/١٥٦).
(٢) انظر: (البحر المحيط ٤/٢٧٩، غيث النفع ٢٢١، الكشاف ٢/٥٧، مجمع البيان ٢/٤٥٤).
(٣) انظر: (القرطبى ٧/١٨١، الكشاف ٢/٥٨، البحر المحيط ٤/٢٨٠).

﴿لَّكُمَآ﴾، يعنى آدم وحواء: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾، يعنى إبليس ﴿لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ٢٢].

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا﴾ ذنوبنا ﴿وَتَرۡحَمۡنَا﴾ وتتجاوز عنا، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آية: ٢٣] فى العقوبة، فتاب آدم، عليه السلام، يوم عاشوراء يوم الجمعة، فتاب الله عليه.

وأوحى إليهما: ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ﴾ من الجنة، آدم، وحواء، وإبليس، والحية، ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾، يقول: إبليس لهما عدو، وهما إبليس عدو، ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [آية: ٢٤]، يعنى إلى منتهى آجالكم، وإبليس فى النفخة الأولى.

﴿قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ﴾، يعنى فى الأرض، ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ عند منتهى آجالكم، ﴿وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ﴾ [آية: ٢٥] يوم القيامة.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾، نزلت فى ثقيف، وبنى عامر بن صعصعة، وخزاعة، وبنى مدلج، وعامر والحارث ابنى عبد مناة، قالوا: لا نطوف بالبيت الحرام فى الثياب التى نقرف فيها الذنوب، ولا يضربون على أنفسهم خباء من وبر، ولا صوف، ولا شعر، ولا أدم، فكانوا يطوفون بالبيت عراة، ونساءهم يطفن بالليل، فأنزل الله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾، يقول: من أمرى كان اللباس فى الأرض، ﴿يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾، يعنى يغطى عوراتكم، ﴿وَرِيشٗاۖ﴾(١)، يعنى المال، ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾، يعنى من العمل

(١) انظر: (الإتحاف ٢٢٣، البحر المحيط ٢٨٢/٤، الطبرى٣٦٣/١٢، القرطبى ١٨٤/٧، معانى القرآن للفراء ٣٧٥/١، معانى القرآن للأخفش ٢٩٧/٢، الكشاف ٥٨/٢).

الصالح، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾، يقول: العمل الصالح خير من الثياب والمال، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الثياب والمال ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ومن صنعه، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾، يعنى لكى ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ [آية: ٢٦] فيعتبروا فى صنعه فيوحدوه.

ثم قال: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾، يعنيهم، ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فى دينكم أمر الثياب، فيدعها عنكم فتبدى عوراتكم، ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾، يعنى كما فعل بأبويكم آدم وحواء، فأخرجهما ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾، وبدت عورتهما، فذلك قوله: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾، يعنى ثيابهما، ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾، يعنى عوراتهما، ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾، يقول: يراكم إبليس وجنوده من الشياطين من حيث لا ترونهم، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٢٧]، يعنى لا يصدقون.

ثم قال: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾، يعنى معصية فيما حرموا من الحرث، والأنعام، والثياب، والألبان، فنهوا عن تحريم ذلك، ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾، يعنى بتحريم ذلك، ثم قال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾، يعنى بالمعاصى فيحرم ذلك، وقل لهم: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ربكم إنه حرم عليكم ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٢٨] إنه حرمه.

و ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾، يعنى بالعدل، ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾، يعنى وأمر ربى أن تقيموا وجوهكم، يعنى إلى القبلة، ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فى بيعة أو كنيسة أو غيرها، فصلوا قبل الكعبة، وأمرهم بالصلاة والتوحيد، فذلك قوله: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ﴾، يعنى موحدين، ﴿لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [آية: ٢٩]، يعنى كما خلقكم سعداء وأشقياء كذلك تعودون.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ لدينه، ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾، يعنى أربابا، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [آية: ٣٠]، أنهم على الهدى.

﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ

فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾

ثم قال يعنيهم: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فى كنيسة، أو بيعة، أو غيرها، ﴿وَكُلُوا۟﴾ من الحرث والأنعام، ﴿وَٱشْرَبُوا۟﴾ من الألبان، ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾، يقول: ولا تشركوا الآلهة فى تحريم الحرث، والأنعام، والثياب، والألبان، مما هو حل لكم، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [آية: ٣١]، يعنى المشركين.

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾، يعنى الثياب، ﴿ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، يعنى الحلال، ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾، يعنى الحرث، والأنعام، والألبان، ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، يقول: أشرك فى الطيبات فى الدنيا المؤمن والكافر، وهى خالصة للمؤمنين يوم القيامة، ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾، يقول: هكذا نبين ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾، يعنى أمور ما ذكر فى هذه الآية، ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٢] بتوحيد الله.

ثم أخبرهم بما حرم الله، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾، يعنى الزنا، ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، يعنى العلانية، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ فى السر وكانوا يتكرمون عن الزنا فى العلانية، ويفعلوه فى السر، وحرم شرب الخمر، ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ والمعاصى، ﴿وَٱلْبَغْىَ﴾، يعنى ظلم الناس، ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، إلا أن يقتص منه بحق، ﴿وَ﴾ حرم ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾، يعنى كتابًا فيه حجتكم بأن معه شريكًا، ﴿وَ﴾ حرم ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بأنه حرم الحرث، والأنعام، والألبان، والثياب، ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٣] أنه حرمه.

ثم خوفهم بالعذاب، فقال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ العذاب، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(١) [آية: ٣٤]، يقول: لا يتأخرون ولا يتقدمون حتى يعذبوا، وذلك حين سألوا النبى ﷺ عن العذاب.

ثم قال: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾، يعنى مشركى العرب، ﴿إِمَّا﴾ فإن ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ محمد ﷺ وحده، ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾، يعنى يتلون عليكم القرآن، ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشرك ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل وآمن بالله، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آية: ٣٥] من الموت.

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٦١، القرطبى ٧/٢٠٢، البحر المحيط ٤/٢٩٣).

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، يعنى بالقرآن أنه ليس من الله، ﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾، وتكبروا عن الإيمان بآيات القرآن، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آية: ٣٦].

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾، يعنى فلا أحد أظلم، ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن معه شريكًا وأنه أمر بتحريم الحرث، والأنعام، والألبان، والثياب، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾، يعنى بآيات القرآن، ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ﴾، يعنى حظهم، ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾، وذلك أن الله قال فى الكتب كلها: إنه من افترى على الله كذبًا، فإنه يسود وجهه، فهذا ينالهم فى الآخرة، نظيرها فى الزمر: ﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]، وقال: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾، يعنى ملك الموت وحده، ثم قالت لهم خزنة جهنم قبل دخول النار فى الآخرة: ﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾، يعنى تعبدون، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الآلهة، هل يمنعونكم من النار، ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾، يعنى ضلت الآلهة عنا، يقول الله: ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [آية: ٣٧]، وذلك حين قالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فشهدت عليهم الجوارح بما كتمت الألسن من الشرك والكفر، نظيرها فى الأنعام.

﴿قَالَ﴾، أى قالت الخزنة: ﴿ادْخُلُوا﴾ النار ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النار ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾، لعنت أهل ملتهم يلعن المشركون المشركين، ويلعن اليهود اليهود، ويلعن النصارى النصارى، ويلعن المجوس المجوس، ويلعن الصابئون الصابئين، ويلعن الأتباع القادة، يقولون: لعنكم الله أنتم ألقيتمونا فى هذا

الملقى حين أطعناكم، يقولون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا﴾[(١)]، يعنى حتى إذا اجتمعوا فى النار ﴿جَمِيعًا﴾ القادة، والأتباع، وقد دخلت القادة والأتباع، ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ﴾ دخولاً النار، وهم الأتباع ﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾ دخولاً النار، وهم القادة، ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ القادة ﴿أَضَلُّونَا﴾ عن الهدى، ﴿فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا﴾، يعنى أعطهم عذابًا مضاعفًا ﴿مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ ﴿قَالَ﴾ يقول الله: ﴿لِكُلّٖ﴾، يعنى الأتباع والقادة، ﴿ضِعۡفٞ﴾ يضاعف العذاب، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٣٨].

﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ﴾ دخولاً النار، وهم القادة، ﴿لِأُخۡرَىٰهُمۡ﴾ دخولاً النار، وهم الأتباع، ﴿فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾ فى شىء، فقد ضللتم كما ضللنا، ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ [آية: ٣٩]، يعنى تقولون من الشرك والتكذيب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعنى القرآن، ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا﴾، يعنى وتكبروا عن الإيمان بآيات القرآن، ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ﴾، يعنى لأرواحهم ولا لأعمالهم، ﴿أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾، كما تفتح أبواب السماء لأرواح المؤمنين ولأعمالهم إذا ماتوا، ثم قال: ﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾[(٢)]، يقول: حتى يدخل البعير فى خرق الإبرة،

(١) انظر: (القرطبى ٧/٢٠٤، البحر المحيط ٤/٢٩٦، الإتحاف ٢٢٤).

(٢) انظر: (الإتحاف ٢٢٤، البحر المحيط ٤/٢٩٧، الطبرى ١٢/٤٢٨، القرطبى ٧/٢٠٧، الكشاف ٢/٦٢).

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، يعنى وهكذا، ﴿نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ٤٠] لا يدخلون الجنة.

ثم ذكر ما أعد لهم فى النار، فقال: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾، يعنى فراش من نار، ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾، يعنى لحفًا، يعنى ظللاً من النار، وذلك قوله فى الزمر: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّار وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]، يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، يعنى وهكذا، ﴿نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٤١] جهنم، وما فيها من العذاب.

ثم ذكر المؤمنين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾، يقول: لا نكلفها من العمل إلا ما تطيق، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٤٢] لا يموتون.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾، يعنى ما كان فى الدنيا فى قلوبهم من غش، يعنى بعضهم لبعض، وذلك أن أهل الجنة إذا هم بشجرة ينبع من ساقها عينان، فيميلون إلى أحدهما فيشربون منها، فيخرج الله ما كان فى أجوافهم من غل أو أقذار، فيطهر الله أجوافهم، ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، ثم يميلون إلى العين الأخرى، فيغتسلون فيها، فيطيب الله أجسادهم من كل درن، وجرت عليهم النظرة، فلا تشعث رءوسهم، ولا تغبر وجوههم، ولا تشحب أجسادهم، ثم تتلقاهم خزنة الجنة قبل أن يدخلوا الجنة، فينادونهم، يعنى قالوا لهم: ﴿أن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أورِثْتُمُوهَا﴾، يقول: هاكم الجنة أورثتموها ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، فلما استقروا فى منازلهم، ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾، أى للإسلام ولهذا الخير، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ لدينه، ما كنا لنهتدى فى التقديم، ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾، بأن هذا اليوم حق فصدقناهم، ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٤٣].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ من الخير والثواب فى الدنيا، ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ فى الدنيا من العذاب، ﴿قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾، وهو مالك ينادى: ﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٤٤]، يعنى عذاب الله على المشركين.

ثم نعت أعمالهم الخبيثة، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى دين الإسلام، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، ويريدون بملة الإسلام زيفًا، ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ﴾، يعنى بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٤٥].

ثم قال: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾، يقول: بين الجنة والنار سور، ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ ﴾، يعني على السور رجال ﴿ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا ﴾ من الفريقين ﴿ بِسِيمَٰهُمْ ﴾، يعرفون أهل الجنة ببياض في الوجوه، وأهل النار بسواد الوجوه، ﴿ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾، يسلم أصحاب الأعراف على أهل الجنة، يقول الله: ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا ﴾، يعني أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة، ﴿ وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ [آية: ٤٦] في دخولها، وإنما طمعوا في دخول الجنة من أجل النور الذي بين أيديهم وعلى أقدامهم مثل السراج.

ثم قال: ﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ ﴾، يعني قلبت وجوههم، ﴿ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾، يقول: وإذا نظر أصحاب الأعراف قبل أهل النار، ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آية: ٤٧]، يعني مع المشركين في النار.

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا ﴾، هم في النار، ﴿ يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾، يعني بسواد الوجوه من القادة والكبراء، ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ ﴾ في الدنيا، ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [آية: ٤٨]، يعني وما أغنى عنكم ما كنتم تستكبرون عن الإيمان، فأقسم أهل النار أن أهل الأعراف سيدخلون النار معهم.

قالت الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف على الصراط: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾، يعني أصحاب الأعراف، ﴿ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ ﴾ يا أهل النار أنهم ﴿ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾، ثم قالت الملائكة: يا أصحاب الأعراف، ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ ﴾ (١) من العذاب، ﴿ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [آية: ٤٩] من الموت. فقال مقاتل: إن أصحاب الأعراف من أمة محمد ﷺ خاصة، وهم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم، فحسبوا على الصراط من أجل ذنوبهم، ثم دخلوا الجنة بعد ذلك بشفاعة محمد ﷺ.

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

---

(١) انظر: (القرطبي ٧/٢١٤، الكشاف ٢/٦٤، البحر المحيط ٤/٣٠٤).

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾، يقول: اسقونا من الماء نشرب، ﴿أَوۡ﴾ أطعمونا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ من الطعام نأكل، فإن فينا معارفكم وفيكم معارفنا، فرد عليهم أهل الجنة، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾، يعنى الطعام والشراب، ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٥٠]، وذلك أن الله عز وجل رفع أهل الجنة لأهل النار، فرأوا ما فيهما من الخير والرزق، فنادوا عند ذلك: ﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ من الشراب والطعام، قال لهم أهل الجنة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ﴾ الإسلام، ﴿لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾، يعنى لهوا عنه، ولعبًا يعنى باطلاً، ودخلوا فى غير دين الإسلام، ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ عن دينهم الإسلام، ﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ فى الآخرة، ﴿نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ﴾، يقول: فاليوم فى الآخرة نتركهم فى النار، كما تركوا الإيمان، ﴿لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾، يعنى بالبعث، ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعنى بالقرآن ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ [آية: ٥١] بأنه ليس من الله.

﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ﴾، يعنى بيناه، ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾، وهو القرآن، ﴿هُدٗى﴾ من الضلالة، ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ من العذاب، ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى يصدقون بالقرآن بأنه من الله.

ثم رجع فى التقديم إلى الذين جحدوا بالقرآن، فقال: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾، يخوفهم، ﴿إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾، يعنى العاقبة، ما وعد الله فى القرآن من الوعد والوعيد، والخير والشر، على ألسنة الرسل، ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ﴾، يعنى يقول فى الآخرة الذين تركوا الإيمان فى الدنيا بالبعث، فإذا ذكروه وعاينوا قول الرسل، قالوا: ﴿قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾، بأن هذا اليوم كائن، وهو حق، ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ من الملائكة والنبيين وغيرها، ﴿فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا، ﴿فَنَعۡمَلَ﴾ من الخير ﴿غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ من الشر، يعنى الشرك والتكذيب، يقول الله: ﴿قَدۡ خَسِرُوٓاْ

﴿أَنفُسَهُمْ﴾، يقول: قد غبنوا أنفسهم، فساروا إلى النار، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ في الآخرة ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٥٣] في الدنيا من التكذيب.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قبل ذلك، ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ (١)، يقول: يغشى ظلمة الليل ضوء النهار، ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾، يعنى سريعًا، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ لبنى آدم، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾، يعنى كل شىء خلق، ﴿وَالْأَمْرُ﴾، يعنى قضاءه فى الخلق الذى فى اللوح المحفوظ، فله المشيئة فى الخلق والأمر، ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ٥٤]، فيخبر بعظمته وقدرته.

ثم بين كيف يدعونه، فقال: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾، يعنى مستكينين، ﴿وَخُفْيَةً﴾، يعنى فى خفض وسكون، كقوله: ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]، يعنى تسر بها، فادعوه فى حاجتكم ولا تدعوه فيما لا يحل لكم على مؤمن أو مؤمنة، تقول: اللهم اخزه والعنه، اللهم أهلكه، أو افعل به كذا وكذا، فذلك عدوان، ﴿إِنَّهُ﴾ الله، ﴿لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [آية: ٥٥].

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، وذلك أن الله إذا بعث نبيًا إلى الناس فأطاعوه، صلحت الأرض وصلح أهلها، وأن المعاصى فساد المعيشة وهلاك أهلها، يقول: لا تعملوا فى الأرض بالمعاصى بعد الطاعة، ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عذابه، ﴿وَطَمَعًا﴾ فى رحمته، فمن فعل ذلك وهو محسن، فذلك قوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٥٦]، يعنى بالرحمة المطر، يقول: الرحمة لهم.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ

---

(١) انظر: (القرطبى ٢٢١/٧، الكشاف ٦٥/٢، الرازى ٢٢٧/٤، البحر المحيط ٣٠٩/٤).

﴿ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۝٥٨ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥٩ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٢ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٦٣ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ۝٦٤﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾[1]، يقول: الرياح نشرًا للسحاب، كقوله: ﴿يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الروم: ٤٨]، يسير السحاب قدام الرياح، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾، يعنى إذا حملت الريح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ من الماء، ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾، ليس فيه نبات، ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بالماء من الأرض، ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا، ﴿نُخْرِجُ﴾، يخرج الله ﴿ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من الأرض بالماء، كما أخرج النبات من الأرض بالماء، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾، يعنى لكى ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٥٧] فتعتبروا فى البعث أنه كائن، نظيرها فى الروم والملائكة.

ثم ضرب مثلاً للمؤمنين والكفار، فقال: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾، يعنى الأرض العذبة إذا مطرت، ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾، فينتفع به كما ينفع المطر البلد الطيب فينبت، ثم ذكر الكافر، فقال: ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ من البلد، يعنى من الأرض السبخة أصابها المطر، فلم ينبت، ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾، يعنى إلا عسرًا رقيقًا ييبس مكانه، فلم ينتفع به، فهكذا الكافر يسمع الإيمان ولا ينطق به ولا ينفعه، كما لا ينفع هذا النبات الذى يخرج رقيقًا فييبس مكانه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا ﴿نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ فى أمور شتى لما ذكره فى هاتين الآيتين، ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٥٨]، يعنى يوحدون ربهم.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾، يعنى وحدوا الله، ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، يقول: ليس لكم رب غيره، فإن لم تعبدوه، ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ فى الدنيا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ٥٩] لشدته.

(١) وقراءة عاصم. انظر: (الطبرى ١٢/٤٩١، القرطبى ٢٢٩، البحر المحيط ٤/٣١٦، معانى القرآن للفراء ١/٣٨١، الرازى ٤/٢٣٩).

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾، وهم القادة والكبراء لنوح: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٦٠].

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٦١] إليكم.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ فى نزول العذاب بكم فى الدنيا، ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ فيها وأحذركم من عذابه فى الدنيا، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ فى نزول العذاب بكم، ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٦٢] أنتم.

وذلك أن قوم نوح لم يسمعوا بقوم قط عذبوا، وقد سمعت الأمم بعدهم بنزول العذاب على قوم نوح، ألا ترى أن هودًا قال لقومه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩]، وقال صالح لقومه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ﴾ هلاك ﴿عَادٍ﴾ [الأعراف: ٧٤]، وحذر شعيب قومه، فقال: ﴿أَن يُصِيبَكُم﴾ من العذاب ﴿مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩]، فمن ثم قال نوح لقومه: أعلم ما لا تعلمون.

فقال بعضهم لبعض، الكبراء للضعفاء: ما هذا إلا بشر مثلكم، أفتتبعونه؟ فرد عليهم نوح: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، يعنى بيان من ربكم، ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾، يعنى نفسه، ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ العذاب فى الدنيا، ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾ الشرك وتوحدوا ربكم، ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾، يعنى لكى ﴿تُرْحَمُونَ﴾ [آية: ٦٣]، فلا تعذبوا.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فى العذاب أنه ليس بنازل بنا، يقول الله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾، يعنى نوحًا، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من المؤمنين، ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾، يعنى السفينة من الغرق برحمة منا، ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾، يعنى نزول العذاب، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ [آية: ٦٤]، عموا عن نزول العذاب بهم، وهو الغرق.

﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا

لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ﴾، ليس بأخيهم فى الدين، ولكن أخوهم فى النسب، ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، يعنى وحدوا الله، ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ﴾، يقول: ما لكم رب غيره، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [آية: ٦٥]، يعنى الشرك، أفلا توحدون ربكم.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾، وهم الكبراء لهود والقادة: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾، يعنى فى حمق، ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ﴾، يعنى لنحسبك ﴿مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [آية: ٦٦] فيما تقول فى نزول العذاب بنا.

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ﴾، يعنى حمق، ﴿وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آية: ٦٧] إليكم.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى﴾ فى نزول العذاب بكم فى الدنيا، ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ فيما أحذركم من عذابه، ﴿أَمِينٌ﴾ [آية: ٦٨] فيما بينى وينكم.

فقال الكبراء للضعفاء: ما هذا إلا بشر مثلكم، أفتتبعونه؟ فرد عليهم هود: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، يعنى بيان من ربكم، ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾، يعنى نفسه، ﴿لِيُنذِرَكُمْ ۚ﴾ العذاب فى الدنيا، ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ فى الأرض، ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ هلاك ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً ۖ﴾ على غيركم، كان طول كل رجل منهم اثنى عشر ذراعًا ونصفًا، ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾، يعنى نعم الله فوحدوه، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾، يعنى لكى ﴿تُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٦٩] ولا تعبدوا غيره.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ﴾ عبادة ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب، ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [آية: ٧٠] إن العذاب نازل بنا.

﴿قَالَ﴾ هود: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ﴾، يعنى إثم وعذاب، ﴿أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ إنها آلهة، ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن

﴿سُلۡطَٰنٍۚ﴾ ، يعنى من كتاب لكم فيه حجة بأن معه شريكًا، ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ [آية: ٧١] بكم العذاب.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ ، يعنى هودًا، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من المؤمنين، ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ ، يعنى بنعمة منا من العذاب، ﴿وَقَطَعۡنَا دَابِرَ﴾ ، يعنى أصل القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ﴾ ، يعنى بنزول العذاب، ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٧٢]، يعنى مصدقين بالعذاب أنه نازل بهم، وهى الريح.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (٧٣) وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ (٧٤) قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ (٧٥) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٧٩)﴾

ثم ذكر الله ثمود قوم صالح، فقال: ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ﴾ ، ليس بأخيهم فى الدين، ولكن أخوهم فى النسب، ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ ، يعنى وحدوا الله، ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ ، يقول: ليس لكم رب غيره، ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾ ، يعنى بالبينة الناقة، فقال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ﴾ ، لتعتبروا فتوحدوا ربكم، وكانت من غير نسل، وكان الفصيل من نسل، ﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ﴾ ، يقول: خلوا عنها فلتأكل حيث شاءت، ولا تكلفكم مؤونة، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ ، لا تصيبوها بعقر، ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ﴾ ، يعنى فيصيبكم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آية: ٧٣]، يعنى وجيع فى الدنيا.

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ﴾ هلاك ﴿عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾، يعنى تبنون فى الجبال من الحجارة بيوتًا، ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾، يعنى نعم الله فى القصور والبيوت فتوحدوه، ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [آية: ٧٤]، يعنى ولا تسعوا فيها بالمعاصى.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، يعنى الذين تكبروا عن الإيمان، وهم الكبراء، ﴿مِن قَوْمِهِ﴾، أى من قوم صالح، ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾، يعنى لمن صدق منهم بالتوحيد، ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٧٥].

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ﴾، يعنى صدقتم به من العذاب والتوحيد ﴿كَافِرُونَ﴾ [آية: ٧٦].

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ ليلة الأربعاء، ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾، يعنى التوحيد، ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ٧٧] الذادقين بأن العذاب نازل بنا.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾، يعنى فأصابهم العذاب بكرة السبت من صيحة جبريل، عليه السلام، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [آية: ٧٨]، يعنى فى منازلهم خامدين، أمواتًا.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾، يعنى فأعرض عنهم حين كذبوا بالعذاب، ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ فى نزول العذاب بكم فى الدنيا، ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فيما حذرتكم من عذابه، ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [آية: ٧٩]، يعنى نفسه.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤)﴾

﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾، يعنى المعصية، يعنى إتيان الرجال، وأنتم تبصرون أنها فاحشة. ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ٨٠] فيما مضى قبلكم.

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [آية: ٨١]، يعنى الذنب العظيم.

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ ﴾، أى قوم لوط حين نهاهم عن الفاحشة، ﴿ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم ﴾، آل لوط، ﴿ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [آية: ٨٢]، يعنى لوطًا وحده، يعنى يتنزهون عن إتيان الرجال.

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ ﴾ من العذاب، ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [آية: ٨٣]، يعنى من الباقين فى العذاب.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم ﴾ الحجارة من فوقهم ﴿ مَّطَرًا ﴾، ﴿ فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٣، النمل: ٥٨]، يعنى فبئس مطر الذين أنذروا العذاب، ﴿ فَٱنظُرْ ﴾ يا محمد، ﴿ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [آية: ٨٤]، يعنى قوم لوط، كان عاقبتهم الخسف والحصب بالحجارة.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

﴿ وَ ﴾ أرسلنا ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ ﴾ ابن إبراهيم لصلبه، وأرسلنا إلى مدين ﴿ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾، ليس بأخيهم فى الدين، ولكن أخوهم فى النسب، ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾، يعنى وحدوا الله، ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾، ليس لكم رب غيره، ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾، يعنى بيان من ربكم، ﴿ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾، يعنى لا تنقصوا الناس حقوقهم فى نقصان الكيل والميزان، ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾، بعد الطاعة فى نقصان الكيل والميزان، فإن المعاصى فساد المعيشة وهلاك أهلها، ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾، يعنى وفاء الكيل والميزان خير لكم من النقصان، ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آية: ٨٥]، يقول: إن كنتم آمنتم، كان فى الآخرة خير لكم من نقصان الكيل والميزان فى الدنيا، نظيرها فى هود.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾، يعنى ولا ترصدوا بكل طريق توعدون أهل الإيمان بالقتل، ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يعنى عن دين الإسلام، ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾، يعنى من صدق بالله وحده لا شريك له، ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، يعنى تريدون بملة الإسلام زيغًا، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾، عددكم بعد عذاب الأمم الخالية، ثم ذكرهم النعم، فقال: ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾، يعنى فكثر عددكم، ثم وعظهم وخوفهم بمثل هذاب الأمم الخالية، فقال: ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [آية: ٨٦] فى الأرض بالمعاصى بعد عذاب قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط فى الدنيا، نظيرها فى هود.

﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ من العذاب، ﴿وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾، يعنى لم يصدقوا بالعذاب، ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾، حتى يقضى الله ﴿بَيْنَنَا﴾ فى أمر العذاب، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [آية: ٨٧]، يعنى وهو خير الفاصلين، فكان قضاؤه نزول العذاب بهم.

﴿۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾، يعنى الذين تكبروا عن الإيمان، وهم الكبراء، ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، يعنون الشرك، أو لتدخلن فى ملتنا، ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [آية: ٨٨].

ثم قال لهم شعيب: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ الشرك، يعنى إن

دخلنا فى دينكم، ﴿بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ﴾، يقول: بعد إذ لم يجعلنا الله من أهل ملتكم الشرك، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾، وما ينبغى لنا أن ندخل فى ملتكم الشرك، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ﴾، فيدخلنا فى ملتكم، ﴿وَسِعَ﴾، يعنى ملأ ﴿رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾، فعلمه، ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ﴾، لقولهم لشعيب: لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا، ثم قال شعيب: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ﴾، يعنى اقض ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾، يعنى بالعدل فى نزول العذاب بهم، ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ [آية: ٨٩]، يعنى القاضين.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾، وهم الكبراء للضعفاء، ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا﴾ على دينه، ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ٩٠]، يعنى لعجزة، نظيرها فى يوسف: ﴿لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [يوسف: ١٤]، يعنى لعجزة ظالمون.

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾، يعنى العذاب، ﴿فَأَصۡبَحُواْ﴾ من صيحة جبريل، عليه السلام، ﴿فِي دَارِهِمۡ﴾، يعنى قريتهم، ﴿جَٰثِمِينَ﴾ [آية: ٩١]، يعنى أمواتًا خامدين.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ﴾، يعنى كأن لم يكونوا فيها قط، ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آية: ٩٢].

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾، يعنى فأعرض عنهم حين كذبوا بالعذاب، نظيرها فى هود، ﴿وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾، فى نزول العذاب بكم فى الدنيا، ﴿وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ﴾ فيما حذرتكم من عذابه، ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ﴾، يقول: فكيف أحزن بعد الصيحة، ﴿عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٩٣] إذا عذبوا.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ

مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فكذبوه، ﴿إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾، يعنى قحط المطر، فأصابهم البؤس، وهو الشدة، والضر يعنى البلاء، ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾، يعنى لكى، ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾ [آية: ٩٤] إلى ربهم فيوحدونه فيرحمهم.

﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ﴾، يقول: حولنا مكان الشدة الرخاء، ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾، يقول: حموا وسمنوا، فلم يشكروا ربهم، فقالوا من غيرتهم وجهلهم: ﴿وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا﴾، يعنى أصاب آباءنا، ﴿ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾، يعنى الشدة والرخاء مثل ما أصابنا، فلم يك شيئًا، يقول: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغۡتَةٗ﴾، فجأة، ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ٩٥] أعز ما كانوا حتى ينزل بهم، وقد أنذرتهم رسلهم العذاب من قبل أن ينزل بهم، فذلك قوله: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾، بالشرك، ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١].

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾ التى عذبت، ﴿ءَامَنُواْ﴾ بتوحيد الله، ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ الشرك ما قحط عليهم المطر، و ﴿لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، يعنى المطر، ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾، يعنى النبات، ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم﴾ بالعذاب، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [آية: ٩٦] من الشرك والتكذيب.

﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا﴾، يعنى عذابنا ليلاً، ﴿وَهُمۡ نَآئِمُونَ﴾ [آية: ٩٧].

﴿أَوَ أَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى﴾، يعنى عذابنا نهارًا، ﴿وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [آية: ٩٨]، يعنى لاهون عنه، نظيرها فى طه: ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩]، يعنى نهارًا.

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ﴾، يعنى عذاب الله، ﴿إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ٩٩].

﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ﴾، يعنى ورثوا الأرض، ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾ هلاك ﴿أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم﴾ بعذاب، ﴿بِذُنُوبِهِمۡۚ﴾ يخوف كفار مكة، ﴿وَنَطۡبَعُ

﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر، ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [آية: ١٠٠] بالإيمان.

ثم رجع إلى القرى الخالية التى عذبت، فقال: ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا﴾، يعنى حديثها، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾، يعنى بيان العذاب، فإنه نازل بهم فى الدنيا، وذلك أن النبى ﷺ أخبر كفار مكة أن العذاب نازل بهم، فكذبوه بالعذاب، فأنزل الله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾، يقول: فما كان كفار مكة ليؤمنوا، يعنى ليصدقوا أن العذاب نازل بهم فى الدنيا بما كذبت به أوائلهم من الأمم الخالية من قبل كفار مكة حين أنذرتهم رسلهم العذاب، يقول الله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾، يعنى هكذا يختم الله بالكفر ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [آية: ١٠١].

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾، وذلك أن الله أخذ ميثاق ذرية آدم على المعرفة، فأقروا بذلك، فلما بلغوا العمل نقضوا العهد، ﴿وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [آية: ١٠٢].

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨) قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦)﴾

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم﴾، يعنى من بعد الرسل، ﴿مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾، يعنى اليد والعصا، ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾، يعنى فجحدوا بالآيات، وقالوا: ليست من الله فإنها سحر، ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [آية: ١٠٣] فى الأرض بالمعاصى، فكان عاقبتهم الغرق.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٠٤].

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾، فإنه بعثني رسولاً، ﴿قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، يعني اليد والعصا بأني رسول الله، ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آية: ١٠٥] إلى فلسطين.

﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آية: ١٠٦]، بأنك رسول رب العالمين، وفي يد موسى عصا، فزعم ابن عباس أن ملكًا من الملائكة دفعها إليه حين توجه إلى مدين، فقال موسى لفرعون: ما هذه بيدى؟ قال فرعون: عصا.

﴿فَأَلۡقَىٰ﴾ موسى ﴿عَصَاهُ﴾ من يده، ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ١٠٧]، يعنى حية بينة، فقال فرعون: فهل من آية غيرها؟ قال: نعم، فأخرج يده، وقال لفرعون: ما هذه؟ قال: هذه يدك، فأدخل موسى يده فى جيبه وعليه مدرعة من صوف مضرية، ثم أخرجها.

فذلك قوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾، يعنى أخرج يده من جيبه، ﴿فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [آية: ١٠٨]، لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر من شدة بياضها.

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ﴾، وهم الكبراء، ﴿مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا﴾، يعنى موسى، ﴿لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ﴾ [آية: ١٠٩]، يعنى عالم بالسحر، وذلك أن فرعون بدأ بهذه المقالة فصدقه قومه، نظيرها فى الشعراء.

ثم قال لهم فرعون: ﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ﴾، وهى مصر، ﴿فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾ [آية: ١١٠]، يعنى تشيرون.

فرد عليه كبراء قومه: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾، يقول: أرجىء أمرهم، يقول: أوقف أمرهم حتى ننظر فى أمرهما، ﴿وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [آية: ١١١].

﴿يَأۡتُوكَ﴾، يحشرون عليك، ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾ [آية: ١١٢]، يعنون عالم بالسحر.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾، يعنى جعلاً، ﴿إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ [آية: ١١٣] لموسى.

﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آية: ١١٤]، فى المنزلة سوى العظمة، كان هذا يوم السبت فى الحرم، والسحرة اثنان وسبعون رجلاً.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى﴾، فقالت السحرة لموسى: ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ ما فى يدك، يعنى عصاه، ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ [آية: ١١٥] ما فى أيدينا من الحبال والعصى.

﴿قَالَ﴾ لهم موسى: ﴿أَلْقُوا﴾ ما أنتم ملقون، ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ الحبال والعصى، ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾، يعنى وخوفوهم، ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ١١٦].

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾، فصارت حية، ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾، يعنى تلقم، ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ [آية: ١١٧]، يعنى ما جاءوا به من الكذب.

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾، يعنى فظهر الحق بأنه ليس بسحر، ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١١٨]، يعنى بطل ما كانوا يعملون من السحر.

﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ﴾، يعنى عند ذلك، ﴿وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [آية: ١١٩]، يعنى فرجعوا إلى منازلهم مذلين.

﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ [آية: ١٢٠] لله.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٢١]، قال السحرة: آمنا بـ ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [آية: ١٢٢]، فبهت فرعون لردهم عليه.

و ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ للسحرة، ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾، يعنى صدقتم بموسى، ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾، يقول: إن هذا الإيمان لقول قلتموه فى المدينة، يعنى فى أهل مصر فى متابعتكم إياه، وذلك أن موسى قال للساحر الأكبر، واسمه شمعون: أتؤمن لى إن غلبتك؟ قال: لآتين بسحر لا يغلبه سحرك، ولئن غلبتنى لأؤمن لك، وفرعون ينظر، فمن ثم قال فرعون: ﴿لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾، من أرض مصر، يعنى موسى، وهارون، وشمعون رئيس السحرة، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٢٣] فأوعدهم.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾، يعنى اليد اليمنى والرجل اليسرى، أو الرجل اليمنى واليد اليسرى، ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ١٢٤].

فرد السحرة على فرعون، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [آية: ١٢٥]، يعنى راجعين.

﴿وَمَا تَنقِمُ﴾، يعنى وما نقمت ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾، يعنى صدقنا باليد والعصا آيتان من ربنا، ﴿لَمَّا جَآءَتْنَا﴾، ثم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾، يعنى ألقى علينا ﴿صَبْرًا﴾ عند القطع والصلب، ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [آية: ١٢٦]، يعنى مخلصين لله حتى لا يردنا البلاء عن ديننا، فصلبهم فرعون من يومه، فكانوا أول النهار سحرة كفارًا، وآخر النهار شهداء مسلمين لما آمنت السحرة لموسى.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾، يعنى الأشراف ﴿مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ﴾، بنى إسرائيل قد آمنوا بموسى، ﴿لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، يعنى مصر، يعنى بالفساد أن يقتل أبناءكم، ويستحيى نساءكم، يعنى ويترك بناتكم كما فعلتم بقومه يفعله بكم، نظيرها فى حم المؤمن، ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾[(١)]، يعنى ويترك عبادتك، ﴿قَالَ﴾ فرعون عند ذلك: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾، يعنى بناتهم، ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [آية: ١٢٧].

(١) انظر: (الطبرى ٣٨/١٣، الكشاف ٨٣/٢، القرطبى ٢٦٢/٧، الإتحاف ٢٢٩، البحر المحيط ٣٦٧/٤).

ثم أمرهم أن يقتلوا أبناء الذين معه، ويستحيوا نساءهم، فمنعهم الله من قتل الأبناء حين أغرقهم فى البحر، وكان فرعون قد كلفهم من العمل ما لم يطيقوا، فمر بهم موسى، عليه السلام، فـ ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ فى التقديم: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ على فرعون وقومه، ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ على البلاء، ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ﴾، أرض مصر، ﴿لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾، يعنى الجنة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ١٢٨]، يعنى للموحدين.

فـ ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا﴾ فى سببك ﴿مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ الرسالة، يعنون الأذى قتل الأبناء وترك البنات، ﴿وَ﴾ أوذينا ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ بالرسالة، يعنون حين كلفهم فرعون من العمل ما لم يطيقوا مضارة باتباعهم موسى، عليه السلام، قال موسى: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾، يعنى فرعون وقومه، ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ﴾ من بعد هلاكهم، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يعنى أرض مصر، ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٢٩]، فإنما قال لهم موسى، عليه السلام، ذلك من قول الله تعالى فى القصص: ﴿وَنُرِيدُ أن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الأَرْضِ...﴾ [القصص: ٥، ٦] إلى آيتين، ففعل الله ذلك بهم، فأهلك عدوهم واستخلفهم فى الأرض، فاتخذوا العجل.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾، يعنى أهل مصر، ﴿بِٱلسِّنِينَ﴾، يعنى قحط المطر، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، فأصابهم الجوع، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [آية: ١٣٠]، يعنى لعلهم يتذكرون.

﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ﴾، يعنى الخير والخصب، ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾، يعنون نحن أحق بهذا، ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾، يعنى الجوع، والبلاء، وقحط المطر، وهلاك الثمار والمواشى، ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ على دينه، تسألوا أصابنا هذا الشر من سحر موسى، يقول الله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾، يقول: إن الذى أصابهم هو من الله، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾، يعنى أهل مصر، ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ١٣١] أنه من الله الذى أصابهم.

﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا﴾، يعنى الآيات التسع، ﴿فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ١٣٢]، يعنى بمصدقين، يعنى بأنك رسول رب العالمين.

﴿فَأَرۡسَلۡنَا﴾، فلما قالوا ذلك أرسل الله ﴿عَلَيۡهِمُ﴾ السنين، ونقص من الثمرات، والنبات، و ﴿ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾ (١)، يعنى باينات بعضها من بعض بين كل آيتين ثلاثين يومًا، ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾، يعنى فتكبروا عن الإيمان، ﴿وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ [آية: ١٣٣].

فأما الطوفان، فهو الماء طغى فوق حروثهم وزروعهم مطردًا ثمانية أيام فى ظلمة شديدة لا يرون فيها شمسًا ولا قمرًا، ولا يخرج منهم أحد إلى صنعته، فخافوا الغرق، فصرخوا إلى فرعون، فأرسل إلى موسى، فقال: يا أيها الساحر، ادع لنا ربك أن يكشف عنا هذا المطر، فإن يكشفه لنؤمنن لك، ولنرسلن معك بنى إسرائيل، فقال: لا أفعل ما زعمتم أنى ساحر، فقالوا: يا موسى، ادع لنا ربك، فدعا ربه، فكشف عنهم المطر، فنبت من الزرع والعشب ما لم ير مثله قط، فقالوا: لقد جزعنا من أمر كان خيرًا لنا، فنكثوا العهد، فأرسل الله عليهم الجراد ثمانية أيام، وملئت الأرض حتى كانوا لا يرون الأرض من كثرته، قدر ذراع، فأكل النبات، حتى خافوا ألا يبقى لهم شىء.

فقال فرعون: يا موسى، ادع لنا ربك أن يكشف عنا فنؤمن لك، فدعا موسى ربه، فبعث الله ريحًا، فاحتملت الجراد فألقته فى البحر، قالوا: قد بقى لنا ما نتبلغ به حتى يدركنا الغيث، فنكثوا، فأرسل الله عليهم القمل، وهو الدبى، فغشى كل شىء منهم، فلم يبق عودًا أخضر من الزرع والنبات إلا أكله، قال فرعون لموسى: ادع لنا ربك أن يكشفه عنا ونؤمن لك، فدعا ربه، فأمات القمل، وبقى لهم ما يتبلغون، فنكثوا، قالوا:

---

(١) انظر: (الإتحاف ٢٢٩، القرطبى ٧/٢٧٠، الكشاف ٢/٨٦، مجمع البيان ٢/٤٦٧).

يا موسى، هل يستطيع ربك أن يفعل بنا أشد من هذا؟ فأرسل الله عليهم الضفادع، فدبت فى بيوتهم، وعلى ظهورهم، فكان يستيقظ الرجل من نومه وعليه منهم كثرة، فقال فرعون لموسى: ادع لنا ربك فيهلكه، فإنه لم يعذب أحد قط بالضفادع، فدعا موسى ربه، فأمات الضفادع، فأرسل الله مطرًا جوادًا، فجرى بهم الماء حتى قذفهم فى البحر.

فقالوا: إنما كان هذا الضفادع من المطر الذى كان أصابنا، فلن يعود إلينا أبدًا، فنكثوا، فأرسل الله عليهم الدم، حتى صارت أنهارهم وركاباهم دمًا، وأنهار بنى إسرائيل ماء عذبًا، فإذا دخل القبطى ليستقى من ماء بنى إسرائيل، صار دمًا ما بين يديه وما خلفه صاف، إذا تحول ليأخذ من الصافى، صار دمًا وخلفه صاف، فمكثوا ثلاثة أيام لا يذوقون ماء صافيًا، فقالوا لفرعون: هلكنا وهلكت مواشينا وذرارينا من العطش، فقال لموسى: ادع لنا ربك ليكشف عنا، ونعطيك ميثاقًا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل، فدعا موسى ربه، فكشفه عنهم، ولما شربوا الماء نكثوا العهد.

فذلك قوله: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾، يعنى العذاب الذى كان نزل بهم، ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾، يعنى هذا العذاب كله، ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آية: ١٣٤] إلى فلسطين.

يقول الله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾، يعنى الغرق، ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [آية: ١٣٥] العهد الذى عاهدوا عليه موسى، عليه السلام، لقولهم: لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل إلى فلسطين.

يقول الله: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ بلسان العبرانية، يعنى به البحر، وهو نهر بمصر، ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعنى الآيات التسع، قالوا: يا أيها الساحر، أنت الذى تعمل هذه الآيات، وإنها سحر، وليست من الله، ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [آية: ١٣٦]، يعنى معرضين، فلم يتفكروا فيها فيعتبرون.

قال فرعون لموسى فى حم الزخرف: ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]، فقال: لا أدعو وأنتم تزعمون أنى ساحر، فقال فى الأعراف: ﴿يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، يعنى سل لنا ربك.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى

بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

ثم قال: ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾ الأرض ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾، يعني بني إسرائيل، يعني بالاستضعاف قتل الأبناء، واستحياء النساء بأرض مصر، وورثهم ﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ﴾ المقدسة، ﴿وَمَغَـٰرِبَهَا﴾، وهي الأردن وفلسطين، ﴿ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾، يعني بالبركة الماء، والثمار الكثيرة، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وهي النعمة، ﴿عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾، حين كلفوا بأرض مصر ما لا يطيقون من استعبادهم إياهم، يعني بالكلمة التي في القصص من قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ [القصص: ٥، ٦] إلى آيتين، وأهلك الله عدوهم، ومكن لهم في الأرض، فهي الكلمة، وهي النعمة التي تمت على بني إسرائيل.

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾، يعني وأهلكنا عمل فرعون وقومه القبط في مصر، ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [آية: ١٣٧]، يعني يبنون من البيوت والمنازل.

﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾، يعني النيل، نهر مصر، ﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾، يعني فمروا على العمالقة يقيمون ﴿عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ يعبدونها، فقالت بنو إسرائيل: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ نعبده، ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ يعبدونها، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [آية: ١٣٨].

﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ﴾، يعني مدمر، ﴿مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٣٩].

﴿قَالَ﴾ لهم موسى: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا﴾، يعني ربًا، ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٤٠]، يعني عالمي أهل مصر حين أنجاكم وأهلكهم.

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، يعنى بنى إسرائيل، ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، يعنى يعذبونكم أشد العذاب، ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، يعنى قتل الأبناء وترك البنات، ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١٤١]، يعنى بالعظم شدة ما نزل بهم من البلاء.

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ من ذى القعدة، واعدناه الجبل، ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ من ذى الحجة، ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾، يعنى ربه، ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، وكان موسى ومن معه قد قطعاو البحر فى عشر من المحرم يوم عاشوراء، ثم أعطى التوراة يوم النحر بينهما أحد عشر نهرًا، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾، بنى إسرائيل بخير حين خرج إلى الجبل، ﴿وَأَصْلِحْ﴾، يعنى وأرفق بهم، نظيرها فى القصص: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧]، يعنى الرافقين بك، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آية: ١٤٢] منهم.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ﴾ الجبل ﴿لِمِيقَٰتِنَا﴾، يعنى لميعادنا لتمام الأربعين يومًا، ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾، فلما سمع كلام ربه، استحلاه واشتاق إلى رؤية ربه، ﴿قَالَ﴾: يا ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ له ربه: إنك ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ﴾، اجعل بينى وبينك علمًا هو أقوى

منـك، يعنـى الجبــل، ﴿ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾، وإن لم يستقر الجبل مكانه، فإنك لـن تطيـق رؤيتـى، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾، يعنى قطعًا، فصار الجبل دكًا، يعنى قطعًا على ستة فرق، فوق ثلاثة بـأجبل مكـة: بثـير، وغار ثور، وحزن، ووقع بالمدينة: رضوى، وورقان، وجبل أُحُد، فذلك قوله: ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾، يعنـى ميتـًا، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾، يعنـى رد عليـه نفسـه، ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ من قولى: ﴿رَبِّ أَرِنِـى أَنظُرۡ إِلَيۡـكَ﴾ ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ١٤٣]، يعنى أول المصدقين بأنك لن تُرى فى الدنيا.

﴿قَالَ﴾ لـه ربـه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾، يقــول: اخترتك من بنى إسرائيل بالرسالة وبالكلام من غير وحـى، ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ بقـوة، يقول: ما أعطيتك مـن التـوراة بـالجد، والمواظبة عليـه، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آيـة: ١٤٤] لله فى هذه النعم، يعنى الرسالة، والكلام من غير وحى.

﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ نقرًا كنقش الخـاتم، وهـى تسعة ألـواح، ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾، فقال: ﴿مَّوۡعِظَةٗ﴾ من الجهل، ﴿وَتَفۡصِيلٗا﴾، يعنى بيانـًا ﴿لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ مـن الأمر، والنهى، والحد، وكتبه الله عز وجل بيده، فكتب فيها: إنى أنا الله الذى لا إلـه إلا أنا الرحمـن الرحيـم، لا تشـركوا بـى شيئًا، ولا تقتلـوا النفـس، ولا تزنـوا، ولا تقطعـوا السبيل، ولا تسبوا الوالدين، ووعظهم فى ذلك، والألواح مـن زمـرد ويـاقوت، يقـول: ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾، يعنى التوراة بالجد والمواظبـة عليـه، ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ﴾ بنـى إسـرائيل، ﴿يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾، يعنى بأحسن ما فيها، ثم قال قبل ذلك لبنـى إسـرائيل: ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [آية: ١٤٥] سـنة أهـل مصر، فزعـم ابـن عبـاس، أن الله حـين أغـرق فرعون وقومه، أوحى إلى البحر أن يقذف أجسادهم على الساحل، ففعل البحـر ذلـك، فنظر إليهم بنو إسرائيل، فأراهم سنة الفاسقين.

ثم قال: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾، يعنـى يعملـون فيها بالمعاصى الكبرياء والعظمة، يعنى أهل مصر، يقول: سأصرف عن التفكير فى خلـق السموات والأرض وما بينـهما مـن الآيات الشـمس، والقمـر، والنجـوم، والسـحاب، والرياح، والجبال، والفلك، والبحـور، والشجر، والثمـار، والنبـات، عـام بعـام، يعنـى المتكبرين، فلا يتفكرون فتكون لهم عبرة، تعنى لأهل مصر، ثم قال يعنيهم: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ

﴿كُلَّ ءَايَةٍ﴾، يعنى يروا مرة اليد ومرة العصا، ثم يرون الطوفان، ثم الجراد، ثم القمل، ثم الضفادع، ثم الدم، ثم السنين، ثم الطمس.

فرأوا كل آية على حدة، فلم يؤمنوا، ﴿لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾، يعنى لا يصدقون بأنها من الله، ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾، يعنى طريق الهدى، ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾، يعنى لا يتخذوه دينًا فيتبعونه، ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ﴾، يعنى طريق الضلالة، ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾، يقول: اتخذه دينًا فيتبعونه، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعنى بالآيات التسع، ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [آية: ١٤٦]، يعنى معرضين، ولم يتفكروا فيها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعنى القرآن، ﴿وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ﴾، وكذبوا بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ التى أرادوا بها وجه الله؛ لأنها كانت فى غير إيمان، ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٤٧].

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (١٥١)﴾

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾، بنى إسرائيل، ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾، حين انطلقوا إلى الطور، ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾، يعنى صورة عجل جسد، يقول: ليس فيه روح، ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾، يعنى له صوت البهائم، ثم لم يصوت غير مرة واحدة، ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾، يعنى بنى إسرائيل، ﴿أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾، يعنى لا يقدر على أن يكلمهم، ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾، يعنى طريقًا إلى الهدى، يعنى العجل، ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ العجل إلهًا، ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٤٨]، يعنى مشركين.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾، ندامة وندموا، ﴿وَرَأَوْاْ﴾ وعلموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ﴾ عن الهدى، ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾، يعنى ويتجاوز عنا، ﴿لَنَكُونَنَّ

﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آية: ١٤٩] فى العقوبة، فلم يقبل الله توبتهم إلا بالقتل.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ من الجبل، ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾، يعنى حزينًا فى صنع قومه فى عبادة العجل، وكان أخبره الله على الطور بأمر العجل، ثم قال: ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ﴾، يقول: استعجلتم ميقات ربكم أربعين يومًا، ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ من عاتقه، فذهب منها خمس وبقيت أربعة، ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ هارون ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ﴾، يعنى إلى نفسه، ﴿قَالَ﴾ هارون لموسى: ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١) [آية: ١٥٠].

﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾، يعنى تجاوز عنى، ﴿وَلِأَخِى﴾ هارون، ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [آية: ١٥١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهًا، ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾، يعنى عذاب، ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾، يعنى مذلة، ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾، فصاروا مقهورين إلى يوم القيامة، ثم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، يعنى وهكذا ﴿نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [آية: ١٥٢]، يعنى الذين افتروا فزعموا أن هذا إلهكم، يعنى العجل، وإله موسى.

وكان السامرى جمع الحلى بعد خمسة وثلاثين يومًا من يوم فارقهم موسى، عليه السلام، وكان السامرى صائغًا، فصاغ لهم العجل فى ثلاثة أيام، وقد علم السامرى أنهم يعبدونه؛ لقولهم لموسى، عليه السلام، قبل ذلك: ﴿**ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ**

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣٢١، القرطبى٧/٢٩١، مجمع البيان ٢/٤٨١، البحر المحيط ٤/٣٩٦، تهذيب اللغة «شمت»).

﴿آلِهَةٌ﴾ ، فعبدوا العجل لتمام تسعة وثلاثين يومًا، ثم أتاهم موسى من الغد لتمام الأربعين يومًا.

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ ، يعني الشرك الذين عبدوا العجل، ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا﴾ ، أي بعد الشرك، ﴿وَآمَنُوا﴾ ، يعني صدقوا بالله أنه واحد لا شريك له، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ ، يعني من بعد الشرك، ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آية: ١٥٣] بهم.

قوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ ، يعني سكن، ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ بعدما ألقاها، ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ فيما بقي منها، ﴿هُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب، ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [آية: ١٥٤]، يعني يخافون الله، وأعطى موسى التوراة يوم النحر يوم الجمعة، فلم يطق حملها، فسجد لله، وجعل يدعو ربه ويتضرع، حتى خففت عليه، فحملها على عاتقه.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ ، من اثنى عشر سبطًا، ستة ستة، فصاروا اثنين وسبعين رجلاً، قال موسى: إنما أمرني ربي بسبعين رجلاً، فمن قعد عني فلم يجيء فله الجنة، فقعد يوشع بن نون، وكالب بن يوقنا، ﴿لِمِيقَاتِنَا﴾ ، يعني لميعادنا، يعني الأربعين يومًا، فانطلق بهم، فتركهم في أصل الجبل، فلما نزل موسى إليهم، قالوا: ﴿أرنا اللهِ جهْرَةً﴾ ، فأخذتهم الرجفة، يعني الموت عقوبة لما قالوا، وبقي موسى وحده يبكي، ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ﴾ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقد أهلكت خيارهم، رب ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ﴾ ، يعني أمتهم، ﴿مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ معهم من قبل أن يصحبوني، ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ عقوبة ﴿بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ ، وظن موسى، عليه السلام، أنما عوقبوا باتخاذ بني إسرائيل العجل، فهم السفهاء، فقال موسى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ، يعني ما هي إلا بلاؤك، ﴿تُضِلُّ بِهَا﴾ بالفتنة ﴿مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي﴾ من الفتنة ﴿مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [آية: ١٥٥]، قال: فلم يعبد العجل منهم إلا اثنا عشر ألفًا.

﴿۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ

﴿ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، يعنى المغفرة، ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ حسنة، يعنى الجنة، ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، يعنى تبنا إليك، ﴿قَالَ﴾ الله: ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾(١)، يعنى ملأت كل شىء، قال إبليس: فأنا من كل شىء، قال الله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾، يعنى الرحمة، ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، فعزل إبليس، يعنى للذين يوحدون ربهم، ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، يعنى أمة محمد ﷺ، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٥٦]، يعنى بالقرآن يصدقون أنه من الله، قالت اليهود: فنحن نتقى الله، ونؤتى الزكاة، فعزل إبليس واليهود.

ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ على دينه، يعنى محمدًا ﷺ، يعنى بالأمى الذى لا يقرأ الكتب، ولا يخطها بيمينه، ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، يعنى بالإيمان، ﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، يعنى الشرك، ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾، يعنى ما حرم الله من اللحوم والشحوم، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ﴾ محمد ﷺ ﴿ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾، يعنى الميتة، والدم، ولحم الخنزير، ﴿وَيَضَعُ﴾ محمد ﷺ ﴿عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾، يعنى مما عهد الله إليهم من تحريم اللحوم، والشحوم، ولحم كل ذى ظفر، ﴿وَ﴾ يضع محمد ﷺ ﴿وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ واجبة من التغليظ والتشديد، الذى منه أن يقتل قاتل العمد البتة، ولا يعفى عنه، ولا يؤخذ منه الدية، ويقتل قاتل الخطأ، إلا أن يشاء ولى المقتول فيعفو عنه ونحوه، ولو صدقوا النبى ﷺ لوضع ذلك كله عنهم، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ﴾، يعنى صدقوا النبى ﷺ، ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾(٢)، يعنى أعانوه على أمره، ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ﴾، يعنى القرآن، ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾، فمن فعل هذا فـ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آية: ١٥٧]، فقال موسى عند ذلك: اللهم اجعلنى من أمة محمد ﷺ.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ

(١) انظر: (الإتحاف ٢٣١، الكشاف ٢/٩٧، البحر المحيط ٤/٤٠٢، مجمع البيان ٢/٤٨٥).

(٢) انظر: (القرطبى ٧/٣٠١، الكشاف ٢/٩٧، البحر المحيط ٤/٤٠٤).

بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ﴾ الأموات، ﴿وَيُمِيتُۖ﴾ الأحياء، ﴿فَـَٔامِنُواْ﴾، يعني فصدقوا ﴿بِٱللَّهِ﴾ أنه واحد لا شريك له، ﴿وَرَسُولِهِ﴾، عليه السلام، ﴿ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾، يعني الذي يصدق بالله بأنه واحد لا شريك له، وبآياته، يعني القرآن، ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾، يعني محمدًا، عليه السلام، ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾، يعني لكي، ﴿تَهۡتَدُونَ﴾ [آية: ١٥٨] من الضلالة.

﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ﴾، يعني بني إسرائيل، ﴿أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ﴾، يعني عصابة يدعون إلى الحق، ﴿وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [آية: ١٥٩]، يعني الذين من وراء الصين اليوم، القوم الذين أسرى بهم تحت الأرض، وأخرج لهم نهرًا من الأردن من رمل يسمى أردق من وراء الصين يجري كمجرى الماء، أسرى الله بهم تحت الأرض سنة ونصفًا، فإذا نزل عيسى بن مريم كان معه يوشع بن نون، وهم من آمن من أهل الكتاب.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾، يعنى فرقناهم، ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾، يعنى فرقًا، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ فى التيه، ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾، ففعل وكان من الطور، ﴿فَانبَجَسَتْ﴾، يعنى فانفجرت من الحجر، ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ ماء باردًا فراتًا رواء بإذن الله، وكان الحجر خفيفًا، كل سبط من بنى إسرائيل لهم عين تجرى لا يخالطهم غيرهم فيها، فذلك قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾، يعنى كل سبط مشربهم، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ بالنهار، يعنى سحابة بيضاء ليس فيها ماء تقيهم من حر الشمس وهم فى التيه، ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ﴾، يعنى النرنجبين، ﴿وَالسَّلْوَىٰ﴾ طير أحمر يشبه السمان، ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ﴾، يعنى من حلال، ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ من المن والسلوى، ولا تطغوا فيه، يعنى لا ترفعوا منه لغد، فرفعوا وقددوا فدود عليهم، يقول الله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾، يعنى وما ضرونا، يعنى وما نقصونا حين رفعوا وقددوا ودود عليهم، ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آية: ١٦٠]، يعنى يضرون وينقصون.

﴿وَ﴾ اذكر ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾، بيت المقدس، ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا﴾ أمرنا ﴿حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾، أى باب القرية، ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء، ﴿نَّغْفِرْ﴾ بالنون والتاء مبنيًا للمفعول، ﴿لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ١٦١] بالطاعة ثوابًا.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾، فقالوا: حبة فى شعرة، ودخلوا يزحفون على استاهم، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عذابًا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [آية: ١٦٢].

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾، اسمها أيلة، على مسيرة يومين من البحر بين المدينة والشام، مسخوا على عهد داود، عليه السلام، قردة، يعنى اليهود، وإنما أمر الله النبى ﷺ أن يسألهم: أمسخ الله منكم قردة وخنازير؟ لأنهم قالوا: إنا أبناء الله وأحباؤه، وإن الله لا يعذبنا فى الدنيا ولا فى الآخرة؛ لأنا من سبط خليله إبراهيم، ومن سبط إسرائيل، وهو بكر نبيه، ومن سبط كليم الله موسى، ومن سبط ولده عزير، فنحن من أولادهم، فقال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾، إنما عذبهم الله بذنوبهم.

ثم أخبر عن ذنوبهم، فقال: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾، يعني يعتدون، ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾، يعني السمك، ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾، يعني شارعة من غمرة الماء إلى قريب من الحذاء، يعني الشط أمنت أن يصدن، ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾، يعني حين لا يكون يوم السبت، ﴿لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ﴾، يعني هكذا، ﴿نَبْلُوهُم﴾، يعني نبتليهم بتحريم السمك في السبت، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [آية: ١٦٣]، جزاء منا، يعني بما كانوا يعصون.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾، يعني عصابة منهم، وهي الظلمة للواعظة، ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، وذلك أن الواعظة نهوهم عن الحيتان، وخوفوهم فلم ينتبهوا، فردت عليهم الواعظة، ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ﴾، يعني ولكي ينتهوا فيؤخروا أو يعذبوا فينجوا، ﴿وَلَعَلَّهُمْ﴾، يعني ولكي ﴿يَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٦٤] المعاصي.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾، يعني فلما تركوا ما وعظوا به من أمر الحيتان، ﴿أَنجَيْنَا﴾ من العذاب ﴿الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾، يعني المعاصي، ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعني وأصبنا الذين ظلموا، ﴿بِعَذَابٍ﴾، يعني المسخ، ﴿بَئِيسٍ﴾(١)، يعني شديد، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [آية: ١٦٥]، يعني يعصون.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾، يعني عصوا، ﴿عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الحيتان، ﴿قُلْنَا لَهُمْ﴾ ليلاً: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [آية: ١٦٦]، يعني صاغرين بعدما أصابوا الحيتان سنين، ثم مسخوا قردة، فعاشوا سبعة أيام، ثم ماتوا يوم الثامن.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا

---

(١) انظر: (الإتحاف ٢٣٢، تهذيب اللغة «بئس»، مجمع البيان ٢/٤٩٢، النشر ٢/٢٧٢، الكشف ١/٤٨١، السبعة ٢٩٦، الطبري ١٣/٢٠٠، ٢٠١، القرطبي ٧/٣٠٨، البحر المحيط ٤/٤١٢، ٤١٣، التيسير ١١٤، غيث النفع ٢٣٠، العكبري ١/١٦٦، النحاس ١/٦٤٧، التبيان ٥/١٧).

ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾، يعنى قال ربـك: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾، يعنى بنى إسرائيل من يسومهم سوء العذاب، فبعث الله المسلمين عليهم، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ مادامت الدنيا، ﴿مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾، يعنى يعذبهم شدة العذاب، يعنى القتل، والجزيـة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٦٧].

﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ﴾، يعنى وفرقناهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ﴾، يعنى فرقـًا، يعنـى بنـى إسرائيل، ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾، يعنى المؤمنين، ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾، يعنى دون الصالحين، فهم الكفار، ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، يقـول: ابتليناهـم بـالخصب والشدة، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾، يعنى لكى ﴿يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ١٦٨] إلى التوبة.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾، يعنى من بعد بنى إسرائيل، ﴿خَلْفٌ﴾ السوء وهـم اليـهود، ﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، يعنـى ورثـوا التـوراة عـن أوائلهـم وآبائــهم، ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾، وهى الدنيا؛ لأنها أدنى من الآخرة، يعنى الرشوة فى الحكـم، ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾، فكانوا يرشون بالنهار، ويقولون: يغفر لنا بالليل، ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ﴾، يعنـى رشوة مثله ليلاً، ﴿يَأْخُذُوهُ ۚ﴾، ويقولـون: يغفـر لنـا بالنـهار، يقـول الله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾، يعنى بغير مـا يقولـون، لقـد أخـذ عليـهم فـى التـوراة أن لا يسـتحلوا محرمًـا، و﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ فـى التـوراة، ﴿وَدَرَسُوا۟﴾(١)، يعنـى وقـرأوا ﴿مَا فِيهِ ۗ﴾، ما فى التوراة، ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾، يعنـى الجنـة، ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ﴾، استحلال المحارم، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١٦٩].

ثم ذكر مؤمنيهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ﴾، يعنى يتمسكون بالتوراة ولا

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/١٠٢، القرطبى ٧/٣١٢، مجمع البيان ٢/٤٩٥).

يحرفونه عن مواضعه، ولا يستحلون محرمًا، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [آية: ١٧٠]، نزلت في ابن شلام وأصحابه.

﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾، يعنى وإذ رفعنا الجبل ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾، وذلك أن موسى، عليه السلام، حين أتاهم بالتوراة، وجدوا فيها القتل، والرجم، والحدود، والتغليظ، أبوا أن يقبلوا التوراة، فأمر الله الجبل عند بيت المقدس، فانقطع من مكانه، فقام فوق رءوسهم، فأوحى الله إلى موسى أن قل لهم: إن لم يقروا بالتوراة، طرحت عليهم الجبل، وأرضخ به رءوسهم، فلما رأوا ذلك أقروا بالتوراة، ورجع الجبل إلى مكانه، فذلك قوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾، يعنى وأيقنوا أن الجبل واقع بهم، يعنى عليهم، ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾، ما أعطيناكم من التوراة بالجد والمواظبة، ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾، يقول: واحفظوا ما فيه من أمره ونهيه، ﴿لَعَلَّكُمْ﴾، يعنى لكى ﴿تَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٧١] المعاصى.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾، يقول: وقد أخذ ربك من بنى آدم بنعمان عند عرفات من ظهورهم، ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بإقرارهم، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أنت ربنا، وذلك أن الله عز وجل مسح صفحة ظهر آدم اليمنى، فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى، فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر، وهم ألف أمة، قال: يا آدم، هؤلاء ذريتك أخذنا ميثاقهم على أن يعبدونى ولا يشركوا بنى شيئًا وعلىَّ رزقهم، قال آدم: نعم يا رب، فلما أخرجهم، قال الله: ألست بركم؟ قالوا: بلى ﴿شَهِدْنَآ﴾ انك ربنا، قال الله للملائكة: اشهدوا عليهم بالإقرار، قالت الملائكة: قد شهدنا، يقول الله فى الدنيا لكفار العرب من هذه الأمة: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ الميثاق الذى أخذ علينا ﴿غَٰفِلِينَ﴾ [آية: ١٧٢]، وأشهدهم على أنفسهم.

﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ﴾ لئلا تقولوا: ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا﴾ ونقضوا الميثاق، ﴿مِن قَبْلُ﴾ شركنا، ولئلا تقولوا: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾، فاقتدينا بهم وبهداهم، لئلا تقولوا: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [آية: ١٧٣]، يعنى أفتعذبنا بما فعل المبطلون، يعنى المكذبين بالتوحيد، يعنون آباءهم، كقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

ثم أفاضهم إفاضة القدح، فقال للبيض: هؤلاء فى الجنة برحمتى، فهم أصحاب اليمين، وأصحاب الميمنة، وقال للسود: هؤلاء للنار، ولا أبالى، فهم أصحاب الشمال، وأصحاب المشأمة، ثم أعادهم جميعًا فى صلب آدم، عليه السلام، فأهل القبور محبسون حتى يخرج الله أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء، ثم تقوم الساعة، فذلك قوله: ﴿**لَقَدْ أَحْصَاهُمْ**﴾ يوم القيامة ﴿**وَعَدَّهُمْ عَدًّا**﴾ [مريم: ٩٤]، فمن مات منهم صغيرًا، فله الجنة بمعرفته بربه، ومن بلغ منهم العقل أخذ أيضًا ميثاقه بمعرفته لربه، والطاعة له، فمن لم يؤمن إذا بلغ العقل لم يغن عنه الميثاق الأول شيئًا، وكان العهد والميثاق الأول حجة عليهم، وقال فيمن نقض العهد الأول: ﴿**وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ**﴾، يعنى من وفاء، يعنى أكثر ولد آدم، عليه السلام، ﴿**وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ**﴾ [الأعراف: ١٠٢]، يعنى لعاصين، ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ**﴾، يعنى هكذا نبين الآيات فى أمر الميثاق، ﴿**وَلَعَلَّهُمْ**﴾، يعنى لكى ﴿**يَرْجِعُونَ**﴾ [آية: ١٧٤] إلى التوبة.

﴿**وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾**﴾

﴿**وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ**﴾، يعنى أهل مكة ﴿**نَبَأَ**﴾، يعنى حديث ﴿**ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا**﴾، يعنى أعطيناه الاسم الأعظم، يعنى بلعام بن باعورا بن ماث بن حراز بن آزر، من أهل عمان، وهى البلقاء التى كان فيها الجبارون بالشام، فإنما سميت البلقاء من أجل أن ملكها رجل اسمه بالق، وذلك أن الملك، واسمه بانوس بن ستشروث، قال لبلعام: ادع على موسى، فقال بلعام: إنه من أهل دين لا ينبغى أن يدعى عليه، فأمر الملك أن تنحت خشبة ليصلبه عليها، فلما رأى ذلك، خرج على أتان له، ليدعو على موسى، عليه السلام، فلما عاين عسكره، قامت به الأتان فضربها، فقالت الأتان: لم تضربنى وهذه نار تتوقد قد منعتنى أن أمشى، فارجع، فرجع، فأخبر الملك، فقال له الملك: إما أن تدعو، وإما أن أصلبك، فدعا على موسى، عليه السلام، باسم الله الأعظم ألا يدخل المدينة، فاستجاب الله له، فبلغ موسى، عليه السلام، فدعا الله أن ينزع ذلك الاسم منه،

فنزع منه الاسم الأعظم، فذلك قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾، فنزعها الله منه، يعنى الآيات، ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [آية: ١٧٥]، يعنى من الضالين.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ﴾ فى الآخرة ﴿بِهَا﴾ بما علمناه من آياتنا، يعنى الاسم الأعظم فى الدنيا، ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، يعنى رضى الدنيا، وركن إليها، ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾، أى هوى الملك مع هواه، ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ﴾ بنفسك ودابتك تطرده، ﴿يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ﴾، فلا تحمل عليه شىء ﴿يَلۡهَثۚ﴾ إذا أصابه الحر، فهذا مثل الكافر إن وعظته، فهو ضال، وإن تركته فهو ضال، مثل بلعام والكفار، يعنى كفار مكة، ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ﴾، يعنى القرآن، ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ﴾، يعنى القرآن عليهم ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾، يعنى لكى ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ١٧٦] فى أمثال الله فيعتبروا فيؤمنوا.

ثم قال: ﴿سَآءَ﴾، يعنى بئس ﴿مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعنى القرآن، يعنى كفارة مكة، ﴿وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾ [آية: ١٧٧]، يعنى أنفسهم ضروا بتكذيبهم القرآن.

﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ﴾ لدينه، ﴿فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ﴾ عن دينه، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ١٧٨]، يعنيهم.

ثم قال: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ﴾، لقول الله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ

سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]، فلم تفقه قلوبهم، ولم تبصر أعينهم، ولم تسمع آذانهم الإيمان، ثم ضرب مثلاً، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ يأكلون ويشربون ولا يلتفتون إلى الآخرة، كما تأكل الأنعام، ليس للأنعام همة غير الأكل والشرب والسفاد، فهي لا تسمع، ولا تعقل، كذلك الكفار، ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ﴾، يعنى كفار مكة ﴿أَضَلُّ﴾، يعنى أضل سبيلاً، يعنى الطريق من الأنعام، ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [آية: ١٧٩]، لأن الأنعام تعرف ربها وتذكره، وهم لا يعرفون ربهم ولا يوحدونه.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وذلك أن رجلاً دعا الله فى الصلاة، ودعا الرحمن، فقال رجل من مشركى مكة، وهو أبو جهل: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربًا واحدًا، فما بال هذا يدعو ربين اثنين، فأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، يعنى الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، ونحوها، يقول: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، فدعا النبى ﷺ الرجل، فقال: «ادع الله، وادع الرحمن، ورغمًا لأنف المشركين، فإنك ما دعوت من هذه الأسماء، فله الأسماء الحسنى»، قال: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾، يعنى يميلون فى أسمائه عن الحق، فيسمون الآلهة: اللات، والعزى، وهبل، ونحوها، وأساف، ونائلة، فمنعهم الله أن يسموا شيئًا من آلهتهم باسم الله، ثم قال: ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ العذاب فى الآخرة ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٨٠].

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾، يعنى عصبة يدعون إلى الحق، ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [آية: ١٨١]، فقال النبى ﷺ: هذه لكم، وقد أعطى الله موسى، عليه السلام، مثلها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعنى بالقرآن، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٨٢]، يعنى سنأخذهم بالعذاب من حيث يجهلون، نزلت فى المستهزئين من قريش.

﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾، يعنى لا أعجل عليهم بالعذاب، ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [آية: ١٨٣]، يعنى إن أخذى شديد، قتلهم الله فى ليلة واحدة.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾، يعنى النبى ﷺ، يعنى من جنون، وذلك أن

النبى ﷺ صعد الصفا ليلاً، فدعا قريشًا إلى عبادة الله عز وجل، قال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٨٤]، يعنى ما محمد إلا رسول بين.

ثم وعظهم ليعتبروا فى صنيعه فيوحدوه، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَ﴾ إلى ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ من الآيات التى فيها، فيعتبروا أن الذى خلق ما ترون لرب واحد لا شريك له، ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾، يعنى يكون قد دنا هلاكهم ببدر، ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾، أى بعد هذا القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٨٥]، يعنى يصدقون.

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن الهدى، ﴿فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [آية: ١٨٦]، يعنى فى ضلالتهم يترددون.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾، وذلك أن كفار قريش سألوا النبى ﷺ عن الساعة، ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾، يعنى متى حينها، ﴿قُلْ﴾ هم: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾، وما لى بها من علم، ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾، يعنى لا يكشفها، ﴿إِلَّا هُوَ﴾ إذا جاءت، ثم أخبر عن شأنها، فقال: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، يقول: ثقل على من فيهما علمها، ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾، يعنى فجأة، ثم قال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ عنها فى التقديم، ﴿كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾، يقول: كأنك قد استحفيت عناه السؤال حتى علمتها، ﴿قُلْ﴾: وما لى بها من علم، ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٨٧]، يعنى أكثر أهل مكة لا يعلمون أنها كائنة.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾، يقول: «لا أقدر على أن أسوق إليها خيرًا، ولا أدفع عنها ضرًا، يعنى سوءًا، حين ينزل بى، فكيف أملك علم

الساعة؟!»، ثم قال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ، فيصيبني ذلك، ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ ، يعنى أعلم غيب الضر والنفع إذا جاء، ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ ، يعنى من النفع، ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ ، يعنى ما أصابنى الضر، ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ من النار، ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنة، ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٨٨]، يعنى يصدقون.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ ، يعنى من نفس آدم، عليه السلام، وحده، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ، يعنى خلق من ضلع آدم زوجه حواء، يوم الجمعة وهو نائم، فاستيقظ آدم وهى عند رأسه، فقال لها: من أنت؟ فقالت بالسريانية: أنا امرأة، فقال آدم: فلم خلقت؟ قالت: لتسكن إلىّ، وكان وحده فى الجنة، قالت الملائكة: يا آدم، ما اسمها؟ قال: حواء؛ لأنها خلقت من حى، وسمى آدم؛ لأنه خلق من أديم الأرض كلها، من العذبة، والسبخة من الطينة السوداء، والبيضاء، والحمراء، كذلك نسله طيب وخبيث، وأبيض، وأسود، وأحمر، فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ ، يعنى جامعها آدم، ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ ، هان عليها الحمل، ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ ، يعنى استمرت به بالولد، يقول: تقوم، وتقعد، وتلعب، ولا تكترث.

فأتاها إبليس وغير صورته، واسمه الحارث، فقال: يا حواء، لعل الذى فى بطنك بهيمة؟ فقالت: ما أدرى، ثم انصرف عنها، ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ ، يقول: فلما أثقل الولد فى بطنها، رجع إبليس إليها الثانية، فقال: كيف نجدك يا حواء؟ وهى لا تعرفه، قالت: إنى أخاف أن يكون فى جوفى الذى خوفتنى به، ما أستطيع القيام إذا قعدت، قال: أفرأيت إن دعوت الله، فجعله إنسانًا مثلك ومثل آدم، أتسمينه بى؟ قالت: نعم، ثم انصرف عنها، فقالت لآدم، عليه السلام: لقد أتانى آت، فزعم أن الذى فى بطنى بهيمة، وإنى لأجد له ثقلاً، وقد خفت أن يكون مثل ما قال، فلم يكن لآدم وحواء هم غير الذى فى بطنها، فجعلا يدعوان الله، ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ ، يقولان: لئن أعطيتنا هذا الولد سويًا صالح الخلق، ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آية: ١٨٩] فى هذه النعمة، فولدت سويًا صالحًا.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾

فجاءها إبليس، وهى لا تعرفه، فقال: لم لا تسميه بى كما وعدتنى، قالت: عبد الحرث فكذبها، فسمته عبد الحارث، فرضى به آدم، فمات الولد، فذلك قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾، يعنى أعطاهما الولد صالح الخلق، ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾، يعنى إبليس شريكًا فى الاسم، سمته عبد الحارث، فكان الشرك فى الطاعة من غير عبادة، ولم يكن شركًا فى عبادة ربهم، ثم انقطع الكلام، فذكر كفار، فرجع إلى أول الآية، فقال الله: ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ١٩٠]، يقول: ارتفع عظمة الله عما يشرك مشركو مكة.

ثم قال: ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ الآلهة مع الله، يعنى: اللات، والعزى، ومناة، والآلهة، ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾ ذبابًا ولا غيره، ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [آية: ١٩١]، يعنى الآلهة، يعنى يصنعونها بأيديهم وينحتونها، فهى لا تخلق شيئًا.

ثم قال: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾، يقول: لا تقدر الآلهة منع السوء إذا نزل بمن يعبدها من كفار مكة، ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [آية: ١٩٢]، يقول: ولا تمنع الآلهة من أراد بها سوءًا، فكيف تعبدون من هذه منزلته وتتركون عبادة ربكم؟.

ثم قال للنبى ﷺ: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾، يعنى النبى ﷺ وحده، ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ إلى الهدى، ﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [آية: ١٩٣]، يعنى ساكتون، يعنى النبى ﷺ؛ لأنهم لا يتبعوكم.

ثم أخبر عن الآلهة، فقال: قل لكفار مكة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾، يعنى تعبدون

﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الآلهة، إنهم ﴿ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ ﴾ (١)، وليسوا بآلهة، ﴿ فَٱدۡعُوهُمۡ ﴾، يعنى فاسألوهم، ﴿ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ ﴾ بأنهم آلهة، ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [آية: ١٩٤] بأنها آلهة.

ثم أخبر عن الآلهة، فقال ﴿ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ ﴾ ، ثم قال لكفار مكة: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ﴾، يعنى الآلهة، ﴿ ثُمَّ كِيدُونِ ﴾ أنتم الآلهة جميعًا بشر، ﴿ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [آية: ١٩٥].

﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ ﴾ ، يعنى القرآن، ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آية: ١٩٦].

ثم قال لكفار مكة: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ ﴾ ، يعنى يعبدون ﴿ مِن دُونِهِۦ ﴾ من الآلهة، ﴿ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ ﴾ ، يقدر الآلهة منع السوء إذا نزل بكم، ﴿ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾ [آية: ١٩٧]، يقول: ولا تمنع الآلهة من أرادها بسوء.

﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ (١٩٨) خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ (١٩٩) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) ﴾

ثم قال للنبى ﷺ: ﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾ ، يعنى كفار مكة: ﴿ لَا يَسۡمَعُواْۖ ﴾ الهدى ﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ [آية: ١٩٨] الهدى.

قوله: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾ ، يقول للنبى ﷺ: خذ ما أعطوك من الصدقة، ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾ ، يعنى بالمعروف، ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [آية: ١٩٩]، يعنى أبا جهل حين جهل على النبى ﷺ، فنسخت العفو الآية التى فى براءة، آية الصدقات، ونسخ الإعراض آية السيف.

قوله: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ ﴾ ، يعنى وإما يفتننك من الشيطان فتنة فى أمر أبى جهل، ﴿ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ ﴾ بالاستعاذة ﴿ عَلِيمٌ ﴾ [آية: ٢٠٠] بها، نظيرها فى حم السجدة.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ (٢٠١) وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ (٢٠٢) وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٢٠٣) ﴾

ثم وعظ النبى ﷺ فى أمر أبى جهل، فأخبر عن مصير المؤمنين والكفار، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ ﴾ الشرك، ﴿ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [آية: ٢٠١]، يقول: إن المتقين إذا أصابهم نزغ من الشيطان، تذكروا وعرفوا أنها معصية، ففزعوا منها من مخافة الله.

ثم ذكر الكافر، فقال: ﴿ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ ﴾ ، يعنى وأصحابهم، يعنى إخوان كفار مكة هم الشياطين فى التقديم،

---

(١) انظر: (القرطبى ٧/٣٤٢، الكشاف ٢/١١٠، شرح الأشمونى ١/٢٥٥، ومغنى اللبيب ١/٢٢، شرح التصريح ١/٢٠١، همع الهوامع ٢/١١٦، البحر المحيط ٤/٤٤).

﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾[1]، يعني يلجوهم، ﴿ فِي ٱلْغَيِّ ﴾ ، يعني الشرك والضلالة والمعاصي، ﴿ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [آية: ٢٠٢] عنها ولا يبصرونها كما قصر المتقون عنها حين أبصروها.

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ ﴾، يعني بحديث من القرآن، وذلك حين أبطأ التنزيل بمكة، ﴿ قَالُوا۟ ﴾، قال كفار مكة: ﴿ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ﴾ ، يعني هلا ابتدعتها من تلقاء نفسك يا محمد؛ لقولهم: ائت بقرآن غير هذا أو بدله من تلقاء نفسك، ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ﴾ إذا أمرت بأمر اتبعته، ﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ ، يعني برهان، يعني هذا القرآن بيان من ربكم، ﴿وَ﴾ القرآن ﴿ وَهُدًى ﴾ من الضلالة ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ من العذاب ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [آية: ٢٠٣]، يعني يصدقون بأن القرآن من الله.

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦) ﴾

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ ﴾ ، يعني بالذكر القراءة في الصلاة، ﴿ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا ﴾ مستكينًا، ﴿ وَخِيفَةً ﴾، يعني وخوفًا من عذابه، ﴿ وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ ، يعني دون العلانية،﴿ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴾ [2]، يعني بالغداة والعشي، ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [آية: ٢٠٥] عن القراءة في الصلاة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ من الملائكة، وذلك حين قال كفار مكة: ﴿ **وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا**﴾ [الفرقان: ٦٠]، واستكبروا عن السجود، فأخبر الله أن الملائكة﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾، يعني لا يتكبرون﴿ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾ كفعل كفار مكة، وأخبر عن الملائكة، فقال: ﴿ وَيُسَبِّحُونَهُۥ ﴾، يعني يذكرون ربهم،﴿ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ [آية: ٢٠٦]، يقول: يصلون.

* * *

تم بحمد الله الجزء الأول، ويليه بإذن الله الجزء الثاني وأوله سورة الأنفال

* * *

---

(١) انظر: (القرطبي ٧/ ٣٥٢، البحر المحيط ٤/ ٤٠١، الكشاف ٢/١١١، مجمع البيان ٢/ ٥١٣).

(٢) انظر: (القرطبي ٧/٣٥٥، الكشاف ٢/ ١١١، البحر المحيط ٤/ ٤٥٣، العكبرى ١/ ١٦٨، النحاس ١/ ٦٦٢).

فهرس المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنفال

مدنية كلها، غير آية واحدة:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ [آية: ٣٠] الآية

وهى خمس وسبعون آية كوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾(١)، وذلك أن رسول الله ﷺ، قال يوم بدر: «إن الله وعدنى النصر أو الغنيمة، فمن قتل قتيلاً، أو أسر أسيرًا، فله من عسكرهم كذا وكذا، إن شاء الله، ومن جاء برأس، فله غرة»، فلما تواقعوا انهزم المشركون وأتباعهم سرعان الناس، فجاءوا بسبعين أسيرًا، وقتلوا سبعين رجلاً، فقال أبو اليسر الأنصارى: أعطنا ما وعدتنا من الغنيمة، وكان قتل رجلين، وأسر رجلين: العباس بن عبد المطلب، وأبا عزة ابن عمير بن هشام بن عبد الدار، وكان معه لواء المشركين يوم بدر، قال سعد بن عبادة الأنصارى، من بنى ساعدة، للنبى ﷺ: ما منعنا أن نطلب المشركين كما طلب هؤلاء

---

(١) قرأ ابنُ مسعود وسعد بنُ أبى وقاص وعليٌّ بن الحسين وأبو جعفر محمد ابن على وزيد بن على وجعفر بن محمد وطلحة بن مصرف: «يسألونك الأنفال» ، وقراءة عكرمة، وعطاء، والضحاك.
قال ابن جنى: هذه القراءَة بالنصب مؤدية عن السبب للقراءة الأُخرى التى هى: «عن الأنفال»، وذلك أنهم إنما سألوه عنها تعرضًا لطلبها، واستعلامًا لحالها: هل يَسُوغ طلبها؟.
انظر: (الكشاف ٢/١١٢، الطبرى ١٣/٣٧٧، التبيان ٥/٨٦، البحر المحيط ٤/٤٥٦، النحاس١/٦٤٤، معانى القرآن للفراء ١/٤٠٣، تفسير القرطبى ٧/٣٦١، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٠٦، تفسير ابن كثير ٢/٢٨٢).

زهادة فى الآخرة، ولا جبنًا عن العدو، ولكن خفنا أن نعرى صفك، فتعطف عليك خيل المشركين، أو رجالنهم، فتصاب بمصيبة، فإن تعط هؤلاء ما ذكرت لهم، لم يبق لسائر أصحابك كبير شيء، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾، يعنى النافلة التى وعدتهم، يعنى أبا اليسر، اسمه كعب بن عمرو الأنصارى، من بنى سلمة بن جشم ابن مالك، ومالك بن دخشم الأنصارى، من بنى عوف بن الخزرج.

فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد: ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، يقول: ليرد بعضكم على بعض الغنيمة، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فى أمر الصلح، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١]، يعنى مصدقين بالتوحيد، فأصلحوا.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

ثم نعتهم، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ فى أمر الصلح، ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، يعنى تصديقًا مع إيمانهم مع تصديقهم بما أنزل الله عليهم قبل ذلك من القرآن، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [آية: ٢]، يعنى وبه يثقون.

ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يعنى يتمون الصلاة، ركوعها، وسجودها فى مواقيتها، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الأموال ﴿يُنفِقُونَ﴾ [آية: ٣] فى طاعة ربهم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، لا شك فى إيمانهم كشك المنافقين، ﴿لَّهُمْ﴾ بذلك ﴿دَرَجَٰتٌ﴾، يعنى فضائل ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فى الآخرة فى الجنة، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [آية: ٤]، يعنى حسن فى الجنة، فلما نزلت هؤلاء الآيات، قالوا: سمعنا وأطعنا لرسول الله ﷺ، فلم تقسم الغنيمة حتى رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، فقسم بينهم بالسوية، ورفع الخمس منه.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ

يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾

قوله: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [1]، وذلك أن عير كفار قريش جاءت من الشام تريد مكة فيها أبو سفيان بن حرب، وعمرو بن العاص، وعمرو بن هشام، ومخرمة بن نوفل الزهرى، فى العير، فبلغهم أن رسول الله ﷺ يريدهم، فبعثوا عمرو بن ضمضم الغفارى إلى مكة مستغيثًا، فخرجت قريش، وبعث النبى ﷺ عدى بن أبى الزغفاء عينًا على العير؛ ليعلم أمرهم، ونزل جبريل، عليه السلام، فأخبر النبى ﷺ بعير أهل مكة، فقال النبى ﷺ لأصحابه: «إن الله يعدكم إحدى الطائفتين، إما العير، وإما النصر والغنيمة، فما ترون؟»، فأشاروا عليه، بل نسير إلى العير، وكرهوا القتال، وقالوا: إنا لم نأخذ أهبة القتال، وإنما نفرنا إلى العير، ثم أعاد النبى ﷺ المشورة، فأشاروا عليه بالعير.

فقال سعد بن عبادة الأنصارى: يا رسول الله، انظر أمرك فامض له، فوالله لو سرت بنا إلى عدن ما تخلف عنك رجل من الأنصار، ففرح النبى ﷺ، حتى عرف السرور فى وجهه، فقال المقداد بن الأسود الكندى: إنا معك، فضحك النبى ﷺ، وقال لهم معروفًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ ﴿ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ [آية: ٥] للقتال، فلذلك ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّـهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ** ﴾ فى أمر الغنيمة، فيها تقديم.

ثم قال: ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ ﴾ لهم أنك لا تصنع إلا ما أمرك الله، ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾ [آية: ٦].

﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ ﴾ [2] العير أو هزيمة المشركين وعسكرهم، ﴿ أَنَّهَا

---

(١) معانى القرآن للفراء (٤٠٣/١، تفسير الطبرى ١٢١/٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٢١/٣، تفسير القرطبى ٣٦٧/٧، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٠٧).

(٢) قراءَة ابن محيصن: «وإذْ يعِدُكم اللهُ احدى الطائفتين» يصل ضمة الهاء بالحاء ويسقط الهمزة. انظر: (تفسير الطبرى ١٣٢/٩، تفسير الماوردى ٨٣/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٢٢/٣، تفسير ابن كثير ٢٨٧/٢،البحر المحيط ٤/ ٤٦٤، الإتحاف ٢٣٥).

لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ ﴾[1]، يعنى العير، ﴿تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾، يقول: يحقق الإسلام بما أنزل إليك، ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٧]، يعنى أصل الكافرين ببدر.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾، يعنى الإسلام، ﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾، يعنى الشرك، يعنى عبادة الشيطان، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [آية: ٨]، يعنى كفار مكة.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، وذلك أن النبى ﷺ لما رأى المشركين يوم بدر، وعلم أنه لا قوة له بهم إلا بالله، دعا ربه، فقال: «اللهم إنك أمرتنى بالقتال، ووعدتنى بالنصر، وإنك لا تخلف الميعاد»، فاستجاب له ربه، فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾[2] فى النصر، ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ يوم بدر، ﴿مُرْدِفِينَ﴾[3] [آية: ٩]، يعنى متتابعين، كقوله فى المؤمنين: ﴿رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، وقوله: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣]، وقوله: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [هود: ٥٢]، يعنى متتابع قطرها.

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٧٧، تفسير الماوردى ٢/٨٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٢٤، تفسير القرطبى ٧/٣٦٩).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٠٤، السبعة لابن مجاهد ٣٠٤، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٤٨٩، تفسير الماوردى ٢/٨٥، النشر فى القراءات العشر ٢/٢٧٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٢٦).

(٣) انظر: (البحر المحيط ٤/٤٦٥، الطبرى ١٣/٤١٥، القرطبى ٧/٧٠، إعراب القرآن للنحاس ١/٦٦٧، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٣).

فنزل جبريل، عليه السلام، فى ألف من الملائكة، فقام جبريل، عليه السلام، فى خمسمائة ملك عن ميمنة الناس، معهم أبو بكر، ونزل ميكائيل، عليه السلام، فى خمسمائة على ميسرة الناس، معهم عمر فى صور الرجال، عليهم البياض، وعمائم البيض، قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم، فقاتلت الملائكة يوم بدر، ولم يقاتلوا يوم الأحزاب، ولا يوم خيبر.

ثم قال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾، يعنى مدد الملائكة، ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾، يعنى لتسكن إليه قلوبكم، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ﴾، وليس النصر، ﴿إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، وليس النصر بقلة العدد ولا بكثرته، ولكن النصر من عند الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ١٠]، ﴿عَزِيزٌ﴾، يعنى منيع، ﴿حَكِيمٌ﴾ فى أمره، حكم النصر.

وقوله: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾، وذلك أن كفار مكة سبقوا النبى ﷺ إلى ماء بدر، فخلفوا الماء وراء ظهورهم، ونزل المسلمون حيالهم على غير ماء، وبينهم وبين عدوهم بطن واد فيه رمل، فمكث المسلمون يومًا وليلة يصلون محدثين مجنبين، فأتاهم إبليس، لعنه الله، فقال لهم: أليس قد زعمتم أنكم أولياء الله على دينه، وقد غلبتم على الماء تصلون على غير طهور، وما يمنع القوم من قتالكم إلا ما أنتم فيه من العطش والبلاء، حتى إذا انقطعت رقابكم من العطش، قاموا إليكم فلا يبصر بعضكم بعضًا، فيقرنونكم بالحبال، فيقتلون منكم من شاءوا، ثم ينطلقون بكم إلى مكة.

فحزن المسلمون وخافوا، وامتنع منهم النوم، فعلم الله ما فى قلوب المؤمنين من الحزن، فألقى الله عليهم النعاس أمنة من الله ليذهب همهم، وأرسل السماء عليهم ليلاً، فأمطرت مطرًا جوادًا حتى سالت الأودية، وملؤوا الأسقية، وسقوا الإبل، واتخذوا الحياض، واشتدت الرملة، وكانت تأخذ إلى كعبى الرجال، وكانت باعة المؤمنين رجال لم يكن معهم إلا فارسان: المقداد بن الأسود، وأبو مرثد الغنوى، وكان معهم ستة أدرع، فأنزل الله ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾[1] من الأحداث، والجنابة، ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[2]، يعنى

---

(١) وقرأ الشعبى: «مَا لِيُطَهِّركم بـه». انظر: (الكشاف ٢/ ١١٧، البحر المحيط ٤/ ٤٦٨، مجمع البيان ٢/٥٢٣).

(٢) قراءة أبى العالية «رِجْسَ الشيطان»، بالسين. قال ابن جنى: كل شىء يُستقذَر عندهم فهو رجس، كالخنزير ونحوه.

=

الوسوسة التى ألقاها فى قلوبكم والحزن، ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإيمان من تخويف الشيطان، ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾، يعنى بالمطر، ﴿ٱلْأَقْدَامَ﴾ [آية: ١١].

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ﴾، ولما وصف القوم، أوحى الله عز وجل، ﴿إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟﴾، فبشروا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالنصر، فكان الملك فى صورة بشر فى الصف الأول، فيقول: أبشروا، فإنكم كثير، وعددهم قليل، فالله ناصركم، فيرى الناس أنه منهم، ثم قال: ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ بتوحيد الله عز وجل يوم بدر، ثم علمهم كيف يصنعون، فقال: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾(١)، يعنى الرقاب، تقول العرب: لأضربن فوق رأسك، يعنى الرقاب، ﴿وَٱضْرِبُوا۟﴾ بالسيف ﴿مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [آية: ١٢]، يعنى الأطراف.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، يعنى عادوا الله ورسوله، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ﴾، يعنى ومن يعاد الله ﴿وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية: ١٣] إذا عاقب.

=وفيما قرئ على أبى العباس أحمد بن يحيى قال: الرجس فى القرآن: العذاب، كالرجز. ورجسُ الشيطان: وسوستُه وهَمْزُه ونحو ذلك من أمره. والرجز: عبادة الأوثان، ويقال: هو إثم الشرك كله.

وقرىء: «والرِّجْزَ والرُّجْزَ»، جميعًا «فاهْجُرْ». قال: وقال بعضهم: أراد به الصنم. قال: وكل عذاب أُنزل على قوم فهو رجز، ووسواس الشيطان رجز. وقد ترى إلى تزاحم السين والزاى فى هذا الموضع، فقراءَة الجماعة: ﴿رجْزَ الشيطان﴾ معناه كمعنى رجس الشيطان. وقد نبهنا فى كتابنا المعروف بالخصائص من هذه الطريق فى تزاحم الحروف المتقاربة ما فى بعضه كل مَقْنَع بمشيئة الله.

وقراءة الضم هى قراءة الجمهور، والكسر قراءة ابن مسعود. قال الخليل فى العين (٦: ٦٦): وقرئ «والرجز فاهجُر» بكسر الراء وفيها بضمها وهما واحد، وقال فى الدر المنثور: أخرج الطبرانى والحاكم وصححه (المستدرك ١٢٠/٢٩٩١)، وابن مردوية عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قرأ على رسول الله ﷺ: «والرجز فاهجر» بالكسر. انظر: (الدر المنثور ٤٥٢/٦، الزجاج معانى القرآن ٢٤٥/٥). (تفسير الماوردى ٨٧/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٢٨/٣، تفسير القرطبى ٣٧٢/٧، الكشاف ٢/ ١١٧، البحر المحيط ٤٦٩/٤).

(١) انظر: معانى القرآن للفراء ٤٠٥/١، تفسير الطبرى ١٣٢/٩، تفسير الماوردى ٨٨/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٣٠/٣، تفسير القرطبى ٣٧٨/٧، تفسير ابن كثير ٢٩٣/٢).

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ القتل، ﴿فَذُوقُوهُ﴾ يوم بدر فى الدنيا، ثم قال: ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بتوحيد الله عز وجل مع القتل، وضرب الملائكة الوجوه، والأدبار أيضًا، لهم فى الآخرة ﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ١٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله عز وجل يوم بدر، ﴿زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [آية: ١٥].

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾، يعنى مستطردًا يريد الكرة للقتال، ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾، يقول: أو ينحاز إلى صف النبى ﷺ، ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يقول: فقد استوجب من الله الغضب، ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾، يعنى ومصيره جهنم، ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ١٦].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾، يعنى ما قتلتوهم، وذلك أن الرجل من المؤمنين كان يقول: فعلت وقتلت، فنزلت: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ (١)، وذلك أن النبى ﷺ حين صاف المشركين، دعا بثلاث قبضات من حصى الوادى ورمله، فناوله على بن أبى طالب، فرمى بها فى وجوه العدو، وقال: «اللهم ارعب قلوبهم، وزلزل أقدامهم»، فملأ الله وجوههم وأبصارهم من الرمية، فانهزموا عند الرمية الثالثة، وتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم، فذلك قوله: ﴿وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾، يعنى القتل والأسر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعاء النبى ﷺ، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ١٧] به.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ النصر، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾، يعنى مضعف، ﴿كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ١٨].

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٠٦، معانى القرآن للزجاج ٤٤٩/٢، تفسير الطبرى ١٣٥/٩، تفسير الماوردى ٩١/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٣٢/٣، تفسير القرطبى ٣٨٤/٧، تفسير ابن كثير ٣٩٥/٢، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٠٧).

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ (١)، وذلك أن عاتكة بنت عبد المطلب رأت فى المنام، كأن فارسًا دخل المسجد الحرام، فنادى: يا آل فهر من قريش، انفروا فى ليلة أو ليلتين، ثم صعد فوق الكعبة، فنادى مثلها، ثم صعد أبا قبيس، فنادى مثلها، ثم نقض صخرة من الجبل فرفعها المنادى، فضرب بها الجبل فانفلقت، فلم يبق بيت بمكة إلا دخلت قطعة منه فيه، فلما أصبحت أخبرت أخاها العباس وجلاً، وعنده أبو جهل ابن هشام، فقال أبو جهل: يا آل قريش، ألا تعذرونا من بنى عبد المطلب، إنهم لا يرضون أن تنبأ رجالهم حتى تنبأت نساؤهم، ثم قال أبو جهل للعباس: تنبأت رجالكم وتنبأت نساؤكم، والله لتنتهن، وأوعدهم، فقال العباس: إن شئتم ناجزناكم الساعة.

فلما قدم ضمضم بن عمرو الغفارى، قال: أدركوا العير أو لا تدركوا، فعمد أبو جهل وأصحابه، فأخذوا بأستار الكعبة، ثم قال أبو جهل: اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم القبيلتين، ثم خرجوا على كل صعب وذلول ليعينوا أبا سفيان، فترك أبو سفيان الطريق وأغز على ساحل البحر، فقدم مكة وسبق أبو جهل النبى ﷺ ومن معه من المشركين إلى ماء بدر، فلما التقوا، قال أبو جهل: اللهم اقض بيننا وبين محمد، اللهم أينا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره، ففعل الله عز وجل ذلك، وهزم المشركين وقتلهم، ونصر المؤمنين.

فأنزل الله فى قول أبى جهل: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾، يقول: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، فقد نصرت من قلتم، ﴿وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من القتال، ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ لقتالهم، ﴿نَعُدْ﴾ عليكم بالقتل والهزيمة بما فعلنا ببدر، ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا﴾، يعنى جماعتكم شيئًا، ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ فئتكم، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٩] فى النصر لهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٠٦، تفسير الطبرى ٩/١٣٧، تفسير الماوردى ٢/٩٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٣٤، تفسير القرطبى ٧/٣٨٦، تفسير ابن كثير ٢/٩٦، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٠٨، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/١٧٥).

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله عز وجل، ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فى أمر الغنيمة، ﴿وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾، يعنى ولا تعرضوا عنه، يعنى أمر الرسول ﷺ، ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [آية: ٢٠] المواعظ.

ثم وعظ المؤمنين، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ الإيمان ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [آية: ٢١]، يعنى المنافقين.

ثم قال: ﴿۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾ عن الإيمان، ﴿ٱلْبُكْمُ﴾، يعنى الخرس لا يتكلمون بالإيمان ولا يعقلون، ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٢٢]، يعنى ابن عبد الدار بن قصى، وأبو الحارث بن علقمة، وطلحة بن عثمان، وعثمان، وشافع، وأبو الجلاس، وأبو سعد، والحارث، والقاسط بن شريح، وأرطاة بن شرحبيل.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾، يعنى لأعطاهم الإيمان، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾، يقول: ولو أعطاهم الإيمان، ﴿لَتَوَلَّوا۟﴾، يقول: لأعرضوا عنه، ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آية: ٢٣]، لما سبق لهم فى علم الله من الشقاء، وفيهم نزلت: ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً...﴾ إلى آخر الآية [الأنفال: ٣٥].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ فى الطاعة فى أمر القتال، ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (١)، يعنى الحرب التى وعدكم الله، يقول: أحياكم بعد الذل، وقواكم

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٠٧، معانى القرآن للزجاج ٢/٤٥٢، تفسير الطبرى ٩/١٤٢، تفسير الماوردى ٢/٩٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٩٣٩، تفسير القرطبى ٧/٣٩٠، تفسير ابن كثير ٢/٢٩٧).

بعد الضعف، فكان ذلك لكم حياء، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [١]، يقول: يحول بين قلب المؤمن وبين الكفر، وبين قلب الكافر وبين الإيمان، ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [آية: ٢٤] فى الآخرة، فيجزيكم بأعمالكم.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً﴾ تكون من بعدكم، يحذركم الله، تكون مع على بن أبى طالب، ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ [٢]، فقد أصابتهم يوم الجمل، منهم: طلحة، والزبير، ثم حذرهم، فقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [آية: ٢٥] إذا عاقب.

ثم ذكرهم النعم، فقال: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٌ﴾ [٣]، يعنى المهاجرين خاصة، ﴿مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، يعنى أهل مكة، ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾، يعنى كفار مكة، نزلت هذه الآية بعد قتال بدر، يقول: ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾ إلى المدينة والأنصار، ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ﴾، يعنى وقواكم بنصره يوم بدر، ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، يعنى الحلال من الرزق وغنيمة بدر، ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾، يعنى لكى، ﴿تَشۡكُرُونَ﴾ [آية: ٢٦] تشكرون ربكم فى هذه النعم التى ذكرها فى هذه الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ

(١) قراءة الحسن والزهرى «بين المَرِّ وقلبِه». انظر: (الكشاف ٢/١٢١، البحر المحيط ٤/٤٨٢).

(٢) وقراءة على وزيد بن ثابت وأبى جعفر محمدِ بن على والربيع بن أنس وأبى العالية وابن جمّاز: «لَتصيبَنّ». وقراءة عبدالله بن مسعود، والزبير بن العوام، وأبى. انظر: (تفسير الطبرى ٩/١٤٤، تفسير الماوردى ٢/٩٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٤٢، الكشاف ٢/١٢١، القرطبى ٧/٣٩٢، مجمع البيان ٢/٣٢، البحر المحيط ٤/٤٨٦، شرح المفصل ٨/١١٧، مغنى اللبيب ١/٢٠٣).

(٣) انظر: (تفسير الماوردى ٢/٩٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٤٨، تفسير القرطبى ٧/٣٩٤).

مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [1]، يعنى أبا لبابة، وفيه نزلت هذه الآية، نظيرها فى المتحرم ﴿وَتَخُونُوا﴾ [التحريم: ١٠]، يعنى فخالفتاهما فى الدين، ولم يكن فى الفرج، واسمه مروان بن عبد المنذر الأنصارى، من بنى عمرو بن عوف، وذلك أن النبى ﷺ حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا الصلح على مثل صلح أهل النصير، على أن يسيروا إلى إخواتهم إلى أذرعات وأريحا فى أرض الشام، وأبى النبى ﷺ أن ينزلوا إلا على الحكم، فأبوا، وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة، وكان مناصحهم، وهو حليف لهم، فبعثه النبى ﷺ إليهم، فلما أتاهم، قالوا: يا أبا لبابة، أتنزل على حكم محمد ﷺ؟ فأشار أبا لبابة بيده إلى حلقه إنه الذبح، فلا تنزلوا على الحكم، فأطاعوه، وكان أبو لبابة وولده مهم، فغش المسلمين وخان، فنزلت فى أبى لبابة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٢٧] أنها الخيانة.

ثم حذرهم، فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، يعنى بلاء؛ لأنه ما نصحهم إلا من أجل ماله وولده؛ لأنه كان فى أيديهم، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ﴾، يعنى جزاء ﴿عَظِيمٌ﴾ [آية: ٢٨]، يعنى الجنة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ﴾، فلا تعصوه، ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾، يعنى مخرجًا من الشبهات، ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، يعنى ويمحو عنكم خطاياكم، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، يقول: ويتجاوز عنكم، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آية: ٢٩].

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وذلك أن نفرًا من قريش، منهم: أبو جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وهشام بن عمرو، وأبو البحترى بن هشام، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبى معيط، وعيينة بن حصن الفزارى، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وأبى بن خلف، اجتمعوا فى دار الندوة بمكة يوم، وهو يوم السبت ليمكروا بالنبى ﷺ، فأتاهم

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٤٩/٦، تفسير الماوردى ٩٦/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٤٣/٣، تفسير القرطبى ٣٩٤/٧، تفسير ابن كثير ٣٠٠/٢، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٠٨، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ١٧٨/٣).

إبليس في صورة رجل شيخ كبير، فجلس معهم، فقالوا: ما أدخلك في جماعتنا بغير إذننا، قال: إنما أنا رجل من أهل نجد، ولست من أهل تهامة، قدمت مكة فرأيتكم حسنة وجوهكم، طيبة ريحكم، نقية ثيابكم، فأحببت أن أسمع من حديثكم، وأستر عليكم، فإن كرهتم مجلسي خرجت من عندكم، فقالوا: هذا رجل من أهل نجد، وليس من أهل تهامة، فلا بأس عليكم منه، فتعملوا بالمكر بمحمد.

فقال أبو البحترى بن هشام، من بنى أسد بن عبد العزى: أما أنا فرأيى أن تأخذوا محمدًا، فتجعلوه فى بيت، وتسدوا بابه، وتدعوا له كوة، يدخل منها طعامه وشرابه حتى يموت، قال إبليس: بئس والله الرأى رأيتم، تعمدون إلى رجل له فيكم صغو قد سمع به من حولكم، فتحبسونه فتطعمونه وتسقونه فيوشك الصغو الذى له فيكم أن يقاتلكم عليه، فيفسد جماعتكم ويسفك دماءكم، فقالوا: صدق والله الشيخ.

فقال هشام بن عمرو، من بنى عامر بن لؤى: أما أنا، فرأيى أن تحملوا محمدًا على بعير، فيخرج من أرضكم، فيذهب حيث شاء، ويليه غيركم، قال إبليس: بئس والله الرأى رأيتم، تعمدون إلى رجل قد شتت وأفسد جماعتكم، واتبعه منكم طائفة، فتخرجوه إلى غيركم، فيفسدهم كما أفسدكم، فيوشك والله أن يقبل بهم عليكم ويتولى الصغو الذى له فيكم، قالوا: صدق والله الشيخ.

فقال أبو جهل بن هشام المخزومى: أما أنا، فرأيى أن تعمدوا إلى كل بطن من قريش، فتأخذوا من كل بطن رجلاً، ثم تعطوا كل رجل منهم سيفًا، فيضربونه جميعًا بأسيافهم، فلا يدرى قومه من يأخذون به، وتؤدى قريش ديته، قال إبليس: صدق والله الشاب، إن الأمر لكما قال، فتفرقوا على قول أبى جهل.

فنزل جبريل، عليه اليلام، فأخبره بما ائتمر به القوم، وأمره بالخروج، فخرج النبى ﷺ من ليلته إلى الغار، وأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[1] من قريش ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾، يعنى ليحبسوك فى بيت، يعنى أبا البحترى بن هشام، ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾، يعنى أبا جهل، ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة، يعنى به هشام بن عمرو، ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ بالنبى ﷺ الشر، ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ بهم حين أخرجهم من مكة فقتلهم ببدر، فذلك قوله:

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٠٨/١، تفسير الطبرى ١٤٨/٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٤٦/٣، تفسير القرطبى ٣٩٧/٧، تفسير ابن كثير ٣٠٢/٢، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٠٩).

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آية: ٣٠]، أفضل مكرًا منهم، أنزل الله: ﴿**أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا**﴾، يقول: أم أجمعوا على أمر، ﴿**فَإِنَّا مُبْرِمُونَ**﴾، يقول: لنخرجنهم إلى بدر فنقلتهم، أو نعجل أرواحهم إلى النار [الزخرف: ٧٩].

قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾، يعنى القرآن، ﴿قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ القرآن، قال ذلك النضر بن الحارث بن علقمة، من بنى عبد الدار بن قصى، ثم قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾[1] الذى يقول محمد من القرآن ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٣١]، يعنى أحاديث الأولين، يعنى محمدًا ﷺ يحدث عن الأمم الخالية، وأنا أحدثكم عن رستم وأسفندباز، كما يحدث محمد، فقال عثمان بن مظعون الجمحى: اتق الله يا نضر، فإن محمدًا يقول الحق، قال: وأنا أقول الحق، قال عثمان: فإن محمدًا يقول: لا إله إلا الله، قال: وأنا أقول: لا إله إلا الله، ولكن الملائكة بنات الرحمن.

فأنزل الله عز وجل فى حم الزخرف، فقال: ﴿**قُلْ**﴾ يا محمد: ﴿**إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**﴾ [الزخرف: ٨١]، أول الموحدين من أهل مكة، فقال عند ذلك: ألا ترون قد صدقنى: ﴿**إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ**﴾، قال الوليد بن المغيرة: لا والله ما صدقك، ولكنه قال: ما كان للرحمن ولد، ففطن لها النضر، فقال: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ ما يقول محمد ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾، يعنى القرآن، ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى وجيع.

فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾[2]، يعنى أن يعذبهم ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ بين أظهرهم حتى يخرجك عنهم كما أخرجت الأنبياء عن قومهم، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى يصلون لله، كقوله: ﴿**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الذاريات: ١٨]، يعنى يصلون، وذلك أن نفرًا من بنى عبد الدار، قالوا: إنا نصلى عند البيت، فلم يكن الله ليعذبنا ونحن نصلى له.

---

(١) انظر: (تفسير الماوردى ٩٧/٢، تفسير الطبرى ١٥٢/٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٤٨/٣، تفسير القرطبى ٣٩٧/٧، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١٠، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ١٨٠/٣).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١٥٣/٩، تفسير الماوردى ٩٩/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٥٠/٣، تفسير القرطبى ٣٩٩/٧، تفسير ابن كثير ٣٠٥/٢، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١).

ثم قال: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [(١)] إذ لم يكن نبى ولا مؤمن بعد ما خرج النبى ﷺ إلى المدينة من أهل مكة، ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ المؤمنين، ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾، يعنى أولياء الله، ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ﴾، يعنى ما أولياء الله ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الشرك، يعنى المؤمنين أصحاب النبى ﷺ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٤]، يقول: أكثر أهل مكة لا يعلمون توحيد الله عز وجل.

وأنزل الله عز وجل فى قول النضر أيضًا حين قال: ﴿**اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾، يعنى وجيع، أنزل: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ...**﴾ [المعارج: ١] إلى آيات منها.

ثم أخبر عن صلاتهم عند البيت، فقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾، يعنى عند الكعبة الحرام، ﴿إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [(٢)]، يعنى بالتصدية الصفير والتصفية، وذلك أن النبى ﷺ كان إذا صلى فى المسجد الحرام، قام رجلان من بنى عبد الدار بن قصى من المشركين عن يمين النبى ﷺ، فيصفران كما يصفر المكاء، يعنى به طيرًا اسمه المكاء، ورجلان عن يسار النبى ﷺ فيصفقان بأيديهما ليخلطا على النبى ﷺ صلاته وقراءته، فقتلهم الله ببدر هؤلاء الأربعة، ولهم يقول الله ولبقية بنى عبد الدار: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾، يعنى القتل ببدر، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آية: ٣٥] بتوحيد الله عز وجل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [(٣)]، وذلك أن رءوس كفار قريش استأجروا

---

(١) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٥١، تفسير القرطبى ٧/٣٩٩، تفسير ابن كثير ٢/٣٠٥).

(٢) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٧٩، تفسير الطبرى ٩/١٥٧، تفسير الماوردى ٢/٩٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٥٢، تفسير القرطبى ٧/٤٠٠).

(٣) انظر: (تفسير الماوردى ٢/١٠١، تفسير ابن كثير ٢/٣٠٧، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١١).

رجالاً من قبائل العرب أعوانًا لهم على قتال النبى ﷺ، فأطعموا أصحابهم كل يوم عشر جزائر ويومًا تسعة، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ ﴿لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى عن دين الله، ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾، يعنى ندامة، ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾، يقول: تكون عليهم أموالهم التى أنفقوها ندامة على إنفاقهم، ثم يهزمون، ثم أخبر بمنزلتهم فى الآخرة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بتوحيد الله، ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ فى ألآخرة ﴿يُحْشَرُونَ﴾ [آية: ٣٦].

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ (١)، يعنى يميز الكافر من المؤمن، ثم قال: ﴿وَيَجْعَلَ﴾ فى ألآخرة ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ أنفسهم ﴿بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ٣٧]، يعنى المطعمين فى غزوة بدر: أبا جهل والحارث ابنا هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، وأبا البحترى بن هشام، والنضر بن الحارث، والحكم بن حزام، وأبى بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر بن نوفل، كلهم من قريش.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ (٣٨) وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ (٤٠)﴾

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بالتوحيد، ﴿إِن يَنتَهُوا۟﴾ عن الشرك ويتوبوا، ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ من شركهم قبل الإسلام، ﴿وَإِن يَعُودُوا۟﴾ لقتال النبى ﷺ ولم يتوبوا، ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٣٨]، يعنى القتل ببدر، فحذرهم العقوبة لئلا يعودوا فيصيبهم مثل ما أصابهم ببدر.

ثم قال للمؤمنين: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، يعنى شركًا ويوحدوا ربهم، ﴿وَيَكُونَ﴾، يعنى ويقوم ﴿ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، ولا يعبد غيره، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن الشرك فوحدوا ربهم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية: ٣٩].

﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾، يقول: وإن أبوا أن يتوبوا من الشرك، ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾ يا معشر المؤمنين،

---

(١) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٥٦، تفسير القرطبى ٧/٤٠١، تفسير ابن كثير ٢/٣٠٧).

﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾، يعنى وليكم، ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ حين نصركم، ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [آية: ٤٠]، يعنى ونعم النصير لكم كما نصركم ببدر، وكانت وقعة بدر ليلة الجمعة فى سبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وكانت وقعة أُحُد فى عشر ليال خلت من شوال يوم السبت بينهما سنة.

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ يخبر المؤمنين ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ يوم بدر، ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (١)، يعنى قرابة النبى ﷺ، ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، يعنى الضعيف نازل عليك، ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾، يعنى صدقتم بتوحيد الله وصدقتم بـ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ من القرآن ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾، يعنى يوم النصر فرق بين الحق والباطل، فنصر النبى ﷺ وهزم المشركين ببدر ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ﴾، يعنى جمع النبى ﷺ ببدر، وجمع المشركين، فأقروا الحكم لله فى أمر الغنيمة والخمس، وأصلحوا ذات بينكم، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ٤١]، يعنى قادر فيما حكم من الغنيمة والخمس.

ثم أخبر المؤمنين عن حالهم التى كانوا عليها، فقال: أرأيتم معشر المؤمنين: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يعنى من دون الوادى على شاطىء مما يلى المدينة، ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ (٢) من الجانب الآخر مما يلى مكة، يعنى مشركى مكة، فقال: ﴿وَٱلرَّكْبُ

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/٣، تفسير الماوردى ١٠٣/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٥٩/٣، تفسير القرطبى ١٠/٨، تفسير ابن كثير ٣٠١/٢).

(٢) قراءَة الناس ﴿بالعُدْوَةِ﴾ و«العِدْوَةِ»، بالضم والكسر. وقرأ «بالعَدْوَةِ» قَتادة والحسن وعمرو،=

﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾، يعنى على ساحل البحر أصحاب العير أربعين راكبًا أقبلوا من الشام إلى مكة، فيهم: أبو سفيان، وعمرو بن العاص، ومخرمة بن نوفل، وعمرو بن هشام، ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أنتم والمشركون، ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن﴾ الله جمع بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد، أنتم ومشركو مكة، ﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا﴾ فى علمه، ﴿كَانَ مَفْعُولًا﴾، يقول: أمرًا لابد كائنًا؛ ليعز الإسلام وأهله، ويذل الشرك وأهله، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ﴾ بالإيمان ﴿مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٤٢].

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ﴾[١] يا محمد فى التقديم ﴿فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾[٢]، وذلك أن النبى ﷺ رأى فى المنام أن العدو قليل قبل أن يلتقوا، فأخبر النبى ﷺ أصحابه بما رأى، فقالوا: رؤيا النبى ﷺ حق والقوم قليل، فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين فى أعين الناس، لتصديق رؤيا النبى ﷺ، ثم قال: ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا﴾ حين عاينتموهم ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾، يعنى لجبنتم وتركتم الصف، ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ﴾، يعنى واختلفتم، ﴿فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾، يقول: أتم المسلمون أمرهم على عدوهم، فهزموهم ببدر، ﴿إِنَّهُ﴾ الله ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آية: ٤٣]، عليم بما فى قلوب المؤمنين من أمر عدوهم.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ﴾ يا معشر المسلمين ﴿فِي أَعْيُنِهِمْ﴾، يعنى فى أعين المشركين، وذلك حين التقوا ببدر، قلل الله العدو فى أعين المؤمنين، وقلل المؤمنين فى أعين المشركين ليجترئ بعضهم على بعض فى القتال،

=واختلف عنهم. كسر العين قراءة ابن كثير، وأبى عمرو بن العلاء، ويعقوب، وابن محيصن، والحسن، واليزيدى، وضمها قراءة باقى السبعة. انظر: (الإتحاف ٢٣٧، الطبرى ١٣/٥٦٥، القرطبى ٨/٢١، السبعة ٣٠٦، الكشاف ٢/١٢٧، معانى القرآن للأخفش ٢/٣٢٣، الرازى ٤/٣٦٩، النشر ٢/٢٧٦، التبيان ٥/١٤٧، التيسير ١١٦، البحر المحيط ٤/٤٩٩، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٤، العنوان ٨٨، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٧٠، ١٧١، الحجة لأبى زرعة ٣١١، غيث النفع ٢٣٤، الكشف ١/٤٩١، مجمع البيان ٢/٥٤٨).

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/١٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٦٤، تفسير القرطبى ٨/٢٢، تفسير ابن كثير ٢/٣١٥، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/١٨٩).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/٩، تفسير الماوردى ٢/١٠٦، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٦٣، تفسير القرطبى ٨/٢٢، تفسير ابن كثير ٢/٣١٥).

﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا﴾ فى علمه ﴿كَانَ مَفْعُولًا﴾، ليقضى الله أمرًا لابد كائنًا ليعز الإسلام بالنصر ويذل أهل الشرك بالقتل والهزيمة، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آية: ٤٤]، يقول: مصير الخلائق إلى الله عز وجل، فلما رأى عدو الله أبو جهل وقتله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله عز وجل، ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾، يعنى كفار مكة ببدر، ﴿فَٱثْبُتُواْ﴾ لهم، ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ﴾، يعنى لكى ﴿تُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٤٥].

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما أمركم به فى أمر القتال، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾، يقول: ولا تختلفوا عند القتال، ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾، يعنى فتجبنوا، ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، يعنى الصبا؛ لأن النبى ﷺ قال: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور»، ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ لقتال عدوكم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آية: ٤٦]، يعنى فى النصر للمؤمنين على الكافرين بذنوبهم وبعملهم.

ثم وعظ المؤمنين، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ (١)، ليذكروا بمسيرهم، يعنى ابن أمية، وابن المغيرة المخزومى، وذلك أنهم كانوا رءوس المشركين فى غزوهم بدر، فقال أبو جهل حين نجت العير وسارت إلى مكة، فأشاروا عليه بالرجعة، قال: لا نرجع حتى ننزل على بدر فننحر الجزر، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، فتسمع العرب بمسيرنا، فذلك قوله: ﴿**بطرًا ورئاء النّاس**﴾،

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/١٢، تفسير الماوردى ٢/١٠٧، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٦٦، تفسير القرطبى ٨/٢٥، تفسير ابن كثير ٢/٣١٧).

ليذكروا بمسيرهم ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يقول: ويمنعون أهل مكة عن دين الإسلام، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آية: ٤٧] أحاط علمه بأعمالهم.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، وذلك أنه بلغهم أن العير قد نجت، فأرادوا الرجوع إلى مكة، فأتاهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك بن جشعم الكنانى، من بنى مدلج بن الحارث، فقال: لا ترجعوا حتى تستأصلوهم، فإنكم كثير وعدوكم قليل، فتأمن عيركم، ويسير ضعيفكم، ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ (١) على بنى كنانة، أنكم لا تمرون بحى منهم إلا أمدكم بالخيل والسلاح والرجال، فأطاعوه ومضوا إلى بدر لما أراد الله من هلاكهم، فلما التقوا نزلت ملائكة ببدر مددًا للمؤمنين، عليهم جبريل، عليه السلام، ولما رأى إبليس ذلك، نكص على عقبيه، يقول: استأخر وراءه.

فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ فئة المشركين، ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، يقول: استأخر وراءه، وعلم أنه لا طاقة له بالملائكة، فأخذ الحارث بن هشام بيده، فقال: يا سراقة، على هذا الحال تخذلنا؟ ﴿وَقَالَ﴾ إبليس: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾، فقال الحارث: والله ما نرى إلا خفافيش يثرب، فقال إبليس: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية: ٤٨]، وكذب عدوا الله ما كان به الخوف، ولكن خذلهم عند الشدة، فقال الحارث لإبليس وهو فى صورة سراقة: فهلا كان هذا أمس، فدفع إبليس فى صدر الحارث، فوقع الحارث، وذهب إبليس هاربًا، فلما انهزم المشركون، قالوا: انهزم بالناس سراقة، وهو بعض الصف، فلما بلغ سراقة سار إلى مكة، فقال: بلغنى أنكم تزعمون بأنى انهزمت بالناس، فوالذى يحلف به ما شعرت بمسيركم حتى بلغنى هزيمتكم، قالوا له: ما أتيتنا يوم كذا وكذا، فحلف بالله لهم أنه لم يفعل، فلما أسلموا علموا أنما ذلك الشيطان.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، يعنى الكفر، نزلت فى قيس بن الفاكه، ولم يتجمع جمع قط منذ يوم كانت الهزيمة أكثر من يوم بدر، وذلك أن إبليس جاء بنفسه، وجاء كل شيطان موكل بالدنيا، إلا شيطان موكل بآدمى، وكفار الجن

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤١٣/١، تفسير الطبرى ١٤/١٠، تفسير الماوردى ١٠٧/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٦٦/٣، تفسير القرطبى ٢٦/٨، تفسير ابن كثير ٣١٧/٢، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣١٨/٣).

كلهم، وسبعمائة من المشركين عليهم أبو جهل بن هشام، وكان قبل ذلك في ألف رجل، فرد منهم أبي بن شريق ثلاثمائة من بني زهرة، وذلك أن أبي بن شريق خلا بأبي جهل، فقال: يا أبا الحكم، أكذاب محمد ﷺ؟ فقال: والله ما يكذب محمد ﷺ على الناس، فكيف يكذب على الله، وكان يسمى قبل النبوة الأمين؛ لأنه لم يكذب قط.

فقال أبو جهل: ولكن إذا كانت السقاية في بني عبد مناف، والحجابة والمشورة والولاية، حتى النبوة أيضًا، فلما سمع أبي بن شريق قول أبي جهل: إن محمدًا لم يكذب، رد أصحابه عن قتال محمد، عليه السلام، فخنس، فسمي الأخنس بن شريق؛ لأنه خنس بثلاثمائة رجل من بني زهرة يوم بدر عن قتال محمد، عليه السلام، وبقي سبعمائة عليهم أبو جهل بن هشام، والنبي ﷺ يومئذ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وسبعين من مؤمني الجن، وألف من الملائكة عليه جبريل، عليه السلام، فكان جبريل على خمسمائة على ميمنة الناس، وميكائيل على خمسمائة في ميسرة الناس، ولم تقاتل الملائكة قتالاً قط إلا يوم بدر، وكانوا يومئذ على صور الرجال، وعلى قوة الرجال على خيول بلق، وكان جبريل، عليه السلام، يسير أمام صف المسلمين، ويقول: أبشروا، فإن النصر لكم، وما يرى المسلمون إلا أنه رجل منهم.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [1]، يعني الكفر، نزلت في قيس بن الفاكه بن المغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وقيس بن الوليد بن المغيرة، والوليد بن عتبة بن ربيعة، والعلاء بن أمية بن خلف الجمحي، وعمرو بن أمية بن سفيان بن أمية، كان هؤلاء المسلمون بمكة، ثم أقاموا بمكة مع المشركين، فلم يهاجروا إلى المدينة، فلما خرج كفار مكة إلى قتال بدر، خرج هؤلاء النفر معهم، فلما عاينوا قلة المؤمنين شكوا في دينهم وارتابوا، فقالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾، يعنون أصحاب محمد ﷺ، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾، يعني المؤمنين، يعني يثق به في النصر، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾، يعني منيع في ملكه، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٤٩] في أمره حكم النصر.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: (تفسير الماوردي ١٠٨/٢، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣٦٧/٣، تفسير القرطبي ٢٧/٨).

بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

فلما قتل هؤلاء النفر من المشركين، ضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد، ﴿إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتوحيد الله ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، يعنى ملك الموت وحده، ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ فى الدنيا، ثم انقطع الكلام، فلما كان يوم القيامة دخلوا النار، تقول لهم خزنة جهنم: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آية: ٥٠].

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ من الكفر والتكذيب، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آية: ٥١]، يقول: ليس يعذبهم على غير ذنب.

ثم نعتهم، فقال: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ (١)، يقول: كأشباه آل فرعون فى التكذيب والجحود، ﴿وَ﴾ كأشباه ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، أى من قبل فرعون وقومه من الأمم الخالية، قوم نوح، وعاد، وثمود، وإبراهيم، وقوم شعيب، ﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، يعنى بعذاب الله بأنه ليس بنازل بهم فى الدنيا، ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾، يعنى فأهلكهم الله، ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾، يعنى بالكفر والتكذيب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ فى أمره حين عذبهم، ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية: ٥٢] إذا عاقب.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ على أهل مكة، أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، ثم بعث فيهم محمدًا رسوله ﷺ، فهذه النعمة التى غيروها، فلم يعرفوا ربها، فغير الله ما بهم من النعم، فذلك قوله: ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٥٣].

ثم قال: ﴿كَدَأْبِ﴾، يعنى كأشباه ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وقومه فى الهلاك ببدر، ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، يعنى الذين قبل آل فرعون من الأمم الخالية، ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾، يعنى بعذاب ربهم فى الدنيا بأنه غير نازل بهم، ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾،

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤١٣٢/١، معانى القرآن للزجاج ٤٦٥/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٧٠/٣).

يقول: فعذبناهم بذنوبهم فى الدنيا وبكفرهم وبتكذيبهم، ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ﴾، يعنى آل فرعون والأمم الخالية الذين كذبوا فى الدنيا، ﴿كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٥٤]، يعنى مشركين.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يعنى بتوحيد الله، ﴿فَهُمْ﴾، يعنى بأنهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٥٥]، وهم يهود قريظة، فمنهم حيى بن أخطب اليهودى وإخوته، ومالك بن الضيف.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ (١) يا محمد، ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾، وذلك أن اليهود نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين النبى ﷺ، وأعانوا مشركى مكة بالسلاح على قتال النبى ﷺ وأصحابه، ثم يقولون: نسينا وأخطأنا، ثم يعاهدهم الثانية، فينقضون العهد، فذلك قوله: ﴿**ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ**﴾، يعنى فى كل عام مرة، ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [آية: ٥٦] نقض العهد.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ﴾ (٢)، يقول: فإن أدركتهم فى الحرب، يعنى القتال، فأسرتهم، ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ (٣)، يقول: نكل بهم لمن بعدهم من العدو وأهل عهدك، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [آية: ٥٧]، يقول: لكى يذكروا النكال، فلا ينقضون العهد.

ثم قال: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾، يقول: وإن تخافن ﴿مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾، يعنى بالخيانة

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/١٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٧٢، تفسير القرطبى ٨/٣١).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤١٤، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٠، تفسير الطبرى ١٠/١٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٧٢، تفسير القرطبى ٨/٣١).

(٣) يروى عن الأعمش أنه قرأ: «فَشَرِّذ بِهِم منْ خَلْفَهم»، بالذال معجمة. انظر: (الإتحاف ٢٣٨، الكشاف ٢/١٣٢، البحر المحيط ٤/٥٠٩).

نقض العهد، ﴿فَانۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾[1]، يقول: على أمر بين، فارم إليهم بعهدهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [آية: ٥٨]، يعنى اليهود.

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله، يعنى كفار العرب، ﴿سَبَقُوٓاْۚ﴾[2] سابقى الله بأعمالهم الخبيثة، ﴿إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾ [آية: ٥٩]، يقول: إنهم لن يفوقوا الله بأعمالهم الخبيثة حتى يعاقبهم الله بما يقولون.

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾

ثم قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾، يعنى السلاح، وهو الرمى، ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾[3]، يعنى كفار العرب، ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ﴾، يقول: لا تعرفهم يا محمد، يقول: ترهبون فيما استعددتم به آحرين من دون كفار العرب، يعنى اليهود، لا تعرفهم يا محمد، ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾، يقول: الله يعرفهم، يعنى اليهود، ثم قال: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ﴾ من أمر السلاح والخيل، ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾، يقول: يوفر لكم ثواب النفقة، ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [آية: ٦٠]، يقول: وأنتم لا تنقصون يوم القيامة.

ثم ذكر يهود قريظة، فقال: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾[4]، يقول: إن أرادوا

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٠، تفسير الطبرى ١٩/١٠، تفسير الماوردى ١١٠/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٧٣/٣، تفسير القرطبى ٣١/٨).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ٢٠/١٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٧٤/٣، تفسير ابن كثير ٣٢١/٢).

(٣) انظر: (تفسير الماوردى ١١١/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٧٥/٣، تفسير القرطبى ٣٨/٨، تفسير ابن كثير ٣٢١/٢).

(٤) قراءة الأشهب العقيلىّ: «فاجْنُحْ» (٤)، لها بضم النون. قال ابن الجوزى: وهذا منسوخ بآية السيف. انظر: (تفسير القرطبى ٣٩/٨، الكشاف ١٣٢/٢، البحر المحيط ٥١٤/٤، تفسير=

الصلح فأرده، ثم نسختها الآية التى فى سورة محمد ﷺ: ﴿فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥]، ثم قال للنبى ﷺ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾، يقول: وثق بالله، فإنه معك فى النصر إن نقضوا الصلح، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما أرادوا من الصلح، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٦١] به.

ثم قال: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ﴾ يا محمد بالصلح لتكف عنهم، حتى إذا جاء مشركو العرب، أعانوهم عليك، يعنى يهود قريظة، ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ﴾، يعنى هو الذى قواك ﴿بِنَصْرِهِۦ﴾، يعنى جبريل، عليه السلام، وبمن معه، ﴿وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٦٢] من الأنصار يوم بدر، وهو فاعل ذلك أيضًا، وأيدك على يهود قريظة.

ثم ذكر الأنصار، فقال: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ﴾ بعد العداوة التى كانت بينهم فى أمر شمير وحاطب، فقال: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ﴾ يا محمد على أن تؤلف بين قلوبهم ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ﴾ بعد العداوة فى دم شمير وحاطب بالإسلام، ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾، يعنى منيع فى ملكه، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٦٣] فى أمره، حكم الألفة بين الأنصار بعد العداوة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَ﴾ حسب ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١) [آية: ٦٤]

=الطبرى ٢٤/١٠، تفسير الماوردى ١١١/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٧٦/٣، تفسير ابن كثير ٣٢٢/٢).

(١) انظر: (تفسير الماوردى ١١١/١، معانى القرآن للفراء ٤١٧/١، معانى القرآن للزجاج ٤٦٨/٢).

بالله عز وجل، نزلت بالبيداء فى غزاة بدر قبل القتال، وفيها تقديم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾، يعنى حضض المؤمنين على القتال ببدر، ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟﴾، يعنى يقاتلوا، ﴿مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا۟﴾، يعنى يقاتلوا، ﴿أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالتوحيد، كفار مكة ببدر، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [آية: ٦٥] الخير، فجعل الرجل من المؤمنين، يقاتل عشرة من المشركين، فلم يكن فرضه الله لابد منه، ولكن تحريض من الله ليقاتل الواحد عشرة.

فلم يطق المؤمنون ذلك، فخفف الله عنهم بعد قتال بدر، فأنزل الله: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾[(١)]، يعنى بعد قتال بدر، ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم﴾ عدة ﴿مِّائَةٌ﴾ رجل ﴿صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ﴾، يعنى يقاتلوا مائتين، ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ﴾ رجل ﴿يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آية: ٦٦] فى النصر لهم على عدوهم، فأمر الله أن يقاتل الرجل المسلم وحده رجلين من المشركين، فمن أشره المشركون بعد التخفيف، فإنه لا يفادى من بيت المال إذا كان المشركون مثل المؤمنين، وإن كان المشركون أكثر من الضعف، فإنه يفادى من بيت المال، فينبغى للمسلمين أن يقاتلوا الضعف من المشركين إلى أن تقوم الساعة، وكانت المنزلة قبل التخفيف لا يفتدى الأسير إلا على نحو ذلك.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ من قبلك يا محمد ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ﴾[(٢)] عدوه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ويظهر عليهم، ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾، يعنى المال، وهو الفداء من المشركين، نزلت بعد قتال بدر، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿ٱلْـَٔاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾[(٣)]، يعنى منيع فى ملكه، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٦٧] فى أمره، وذلك أن الغنائم لم تحل لأحد من

---

(١) انظر: (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٢٥٩، تفسير الطبرى ١٠/٢٧، تفسير الماوردى ٢/١١٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٧٨، تفسير القرطبى ٨/٤٤، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١٣، بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادى ١/٢٢٤).

(٢) انظر: (معانى القرآن للزجاج ٢/٤٧٠، تفسير الطبرى ١٠/٣٠، تفسير الماوردى ٢/١١٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٧٩، تفسير القرطبى ٨/٤٥، تفسير ابن كثير ٢/٣٢٥، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١٤).

(٣) انظر: (الكشاف ٢/١٣٤، البحر المحيط ٤/٥١٨).

الأنبياء ولا المؤمنين قبل محمد ﷺ.

وأخبر الله الأمم: إنى أحللت الغنائم للمجاهدين من أمة محمد ﷺ، وكان المؤمنون إذا أصابوا الغنائم جمعوها ثم أحرقوها بالنيران، وقتلوا الناس والأسارى والدواب، وهذا فى الأمم الخالية، فذلك قوله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [1] فى تحليل الغنائم لأمة محمد ﷺ فى علمه فى اللوح المحفوظ، ثم خالفتم المؤمنين من قبلكم، ﴿لَمَسَّكُمْ﴾، يعنى لأصابكم ﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ من الغنيمة ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٦٨].

ثم طيبها لهم وأحلها، فقال: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ ببدر، ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تعصوه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ ذو تجاوز لما أخذتم من الغنيمة قبل حلها، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٦٩] بكم إذ أحلها لكم، وكان النبى ﷺ جعل عمر بن الخطاب، وخباب بن الأرت، أولياء القبض يوم بدر، وقسمها النبى ﷺ بالمدينة، وانطلق بالأسارى فيهم العباس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وذلك أن العباس بن عبد المطلب يوم أسر أخذ منه عشرين أوقية من ذهب، فلم تحسب له من الفداء، وكان فداء كل أسير من المشركين أربعين أوقية من ذهب، وكان أول من فدى نفسه أبو وديعة ضمرة بن صبيرة السهمى، وسهيل بن عمرو، من عامر بن لؤى، القرشيان.

فقال النبى ﷺ: «أضعفوا الفداء على العباس»، وكلف أن يفتدى ابنى أخيه، فأدى عنهما ثمانية أوقية من ذهب، وكان فداء العباس بثمانين أوقية، وأخذ منه عشرون أوقية، فأخذ منه يومئذ مائة أوقية وثمانون أوقية، فقال العباس للنبى ﷺ: لقد تركتنى ما حييت أسأل قريشًا بكفى، وقال له ﷺ: «أين الذهب الذى تركته عند امرأتك أم الفضل؟»، فقال العباس: أى الذهب؟ فقال له رسول الله ﷺ: «إنك قلت لها: إنى لا أدرى ما يصيبنى فى وجهى هذا، فإن حدث بى ما حدث، فهو لك ولودك»، فقال: يا ابن أخى، من أخبرك؟ قال: «الله أخبرنى»، فقال العباس: أشهد أنك صادق، وما علمت أنك رسول قط قبل اليوم، قد علمت أنه لم يطلعك عليه إلا عالم السرائر، وأشهد ألا إله إلا الله، وأنك عبده ورسوله، وكفرت بما سواه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٠، تفسير الطبرى ٣٢/١٠، تفسير الماوردى ١١٢/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٨١/٣، تفسير القرطبى ٥٠/٨، تفسير ابن كثير ٣٨٦/٢).

خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

وأمر ابنى أخيه فأسلما، ففيهما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾، يعنى العباس وابنى أخيه: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ [(1)]، يعنى إيمانًا، كقوله: ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ [هود: ٣١]، يعنى إيمانًا، وهذا فى هود، ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء، فوعدهم الله أن يخلف لهم أفضل ما أخذ منهم، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لما كان منهم من الشرك من ذنوبهم، ذو تجاوز، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٧٠] بهم فى الإسلام.

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾، يعنى الكفر بعد إسلامهم واستحيائك إياهم، ﴿فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾، يقول: فقد كفروا بالله من قبل هذا الذى نزل بهم ببدر، ﴿فَأَمْكَنَ﴾ الله ﴿مِنْهُمْ﴾ النبى، عليه السلام، يقول: إن خانوا أمكنتك منهم فقتلتهم وأسرتهم كما فعلت بهم ببدر، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٧١] فى أمره، حكم أن يمكنه منهم.

فقال العباس بعد ذلك: لقد أعطانى الله خصلتين، ما من شىء هو أفضل منهما، أما أحدهما: فالذهب الذى أخذ منى، فآتانى الله خيرًا منه عشرين عبدًا، وأما الثانية: فتنجيز موعود الله الصادق، وهو المغفرة، فليس أحد أفضل من هذا. ومن كان من أسارى بدر وليس له فدى، فإنه يدفع إليه عشرة غلمان يعلمهم الكتاب، فإذا حذقوا برئ الأسير من الفداء، وكان أهل مكة يكتبون، وأهل المدينة لا يكتبون، وكان النبى ﷺ قد استشار أصحابه فى أسارى بدر، فقال عمر بن الخطاب للنبى ﷺ: اقتلهم، فإنهم رءوس الكفر وأئمة الضلال، وقال أبو بكر: لا تقتلهم، فقد شفى الله الصدور وقتل المشركين وهزمهم، فآدهم أنفسهم، وليكن ما نأخذ منهم فى قوة المسلمين وعونًا على حرب المشركين، وعسى الله أن يجعلهم أعوانًا لأهل الإسلام فيسلموا.

فأعجب النبى ﷺ بقول أبى بكر الصديق، وكان النبى ﷺ رحيمًا، وأبو بكر أيضًا رحيمًا، وكان عمر ماضيًا، فأخذ النبى ﷺ بقول أبى بكر، ففاداهم، فأنزل الله عز وجل

---

(١) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٨٣/٣، تفسير القرطبى ٥٣/٨، تفسير ابن كثير ٣٢٦/٢، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١٤).

توفيقًا لقول عمر: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾، فقال النبي ﷺ لعمر: «أحمد الله إن ربك واتاك على قولك»، فقال عمر: الحمد لله الذى واتانى على قولى فى أسارى بدر، وقال النبى ﷺ: «لو نزل عذاب من السماء، ما نجا منا أحد إلا عمر بن الخطاب، إنه نهانى فأبيت».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله، ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ إلى المدينة، ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ العدو ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فهؤلاء المهاجرون، ثم ذكر الأنصار، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ﴾ [(١)] النبى ﷺ، ﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾ النبى ﷺ، ثم جمع المهاجرين والأنصار، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ فى الميراث؛ ليرغبهم بذلك فى الهجرة، فقال الزبير بن العوام ونفر معه: كيف يرثنا غير أوليائنا، وأولياؤنا على ديننا، فمن أجل أنهم لم يهاجروا لا ميراث بيننا، فقال الله بعد ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله، ﴿وَلَمْ يُهَاجِرُواْ﴾ إلى المدينة، ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ فى الميراث ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾ إلى المدينة، ثم قال: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ يا معشر المهاجرين إخوانكم الذين لم يهاجروا إليكم، فأتاهم عدوهم من المشركين، فقاتلوهم ليردوهم عن الإسلام، ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ فانصروهم، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ﴾، يقول: إن استنصر الذين لم يهاجروا إلى المدينة على أهل عهدكم، فلا تنصروهم، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية: ٧٢].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ فى الميراث والنصرة، ﴿إِلَّا

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/٣٧، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١٥، بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادى ١/٢٢٤).

﴿تَفۡعَلُوهُ﴾، أى إن لم تنصروهم على غير أهل عهدكم من المشركين فى الدين، ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ﴾، يعنى كفر، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَ﴾ يكن ﴿وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [آية: ٧٣] فى الأرض.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله، ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة، ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ العدو ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى فى طاعة الله، فهؤلاء المهاجرون، وإنما سموا المهاجرين؛ لأنهم هجروا قومهم من المشركين، وفارقوهم إذ لم يكونوا على دينهم، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ﴾، يعنى ضموا النبى ﷺ إلى أنفسهم بالمدينة، ﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾ النبى ﷺ، فهؤلاء الأنصار، ثم جمع المهاجرين والأنصار، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، يعنى المصدقين ﴿حَقّٗاۚ لَّهُم﴾ بذلك ﴿مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [آية: ٧٤]، يعنى رزقًا حسنًا فى الآخرة، وهى الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾

ثم قال بعد ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ﴾ هؤلاء المهاجرين والأنصار، ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ من ديارهم إلى المدينة، ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ العدو ﴿مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ﴾ فى الميراث، ثم نسخ هؤلاء الآيات بعد هذه الآية، ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ فى الميراث، فورث المسلمون بعضهم بعضًا، من هاجر ومن لم يهاجر فى الرحم والقرابة، ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [آية: ٧٥] فى أمر المواريث حين حرمهم الميراث، وحين أشركهم بعد ذلك.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن أبى يوسف، عن الكلبى، عن أبى صالح، قال: إن الخمس كان يقسم على عهد النبى ﷺ خمسة أسهم: لله ولرسوله سهم، ولذى القربى سهم، ولليتامى سهم، وللمساكين سهم، ولابن السبيل سهم، قال: وقسمه عمر، وأبو بكر، وعثمان، وعلى، على ثلاثة أسهم، أسقطوا سهم ذى القربى، وقسم على ثلاثة أسهم، وإنما يوضع من أولئك فى أهل الحاجة والمسكنة، ليس يعطى الأغنياء شيئًا، فهذا على موضع الصدقة.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن محمد بن عبد الحق، عن أبى جعفر محمد بن على، عليه السلام، قال: قلت له: ما كان رأى على، عليه السلام،

فى الخمس؟ قال: رأى أهل بيته، قال: قلت: فكيف لم يمضه على ذلك حين ولى؟ قال: كره أن يخالف أبا بكر وعمر.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، قال: كان النبى ﷺ يأخذ من الغنيمة قبل أن تقسم صفيًا لنفسه، ويأخذ مع ذوى القربى، ويأخذ سهم الله تعالى ورسوله، ثم يأخذ مع المقاتلة، فكان يأخذ من أربعة وجوه ﷺ.

* * *

سورة التوبة

سورة براءة، مدنية كلها، غير آيتين، هما:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ...﴾ [آية: ١٢٨، ١٢٩] إلى آخر السورة، فإنهما مكيتان، وهى مائة وسبع وعشرون آية كوفية

لما نزلت براءة، بعث النبى ﷺ أبا بكر الصديق على حج الناس، وبعث معه ببراءة، من أول السورة إلى تسع آيات، فنزل جبريل، فقال: يا محمد، إنه لا يؤدى عنك إلا رجل منك، ثم اتبعه على بن أبى طالب، فأدركه بذى الحليفة على ناقة رسول الله ﷺ، فأخذها منه، ثم رجع أبو بكر إلى النبى ﷺ، فقال له: بأبى أنت وأمى، هل أنزل الله فىّ من شىء؟ قال: «لا، ولكن لا يبلغ عنى إلا رجل منى، أما ترى يا أبا بكر أنك صاحبى فى الغار، وأنك أخى فى الإسلام، وأنك ترد علىّ الحوض يوم القيامة؟»، قال: بلى يا رسول الله، فمضى أبو بكر على الناس، ومضى على ببراءة من أول السورة إلى تسع آيات، فقام على يوم النحر بمنى، فقرأها على الناس.

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢)﴾

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [(١)] من العهد غير أربعة أشهر، ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ١]، نزلت فى ثلاثة أحياء من العرب، منهم خزاعة، ومنهم هلال بن عويمر، وفى مدلج، منهم سراقة بن مالك بن خثعم الكنانى، وفى بنى خزيمة بن عامر، وهما حيان من كنانة، كان النبى ﷺ عاهدهم بالحديبية سنتين، صالح عليهم المخش بن خويلد بن عمارة بن المخش، فجعل الله عز وجل للذين كانوا فى العهد أجلهم أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشر من ربيع الآخر.

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٦/٢، الكشاف للزمخشرى ١٧٢/٢، البحر المحيط ٥، ٦، إعراب القرآن للنحاس ٤/٢، تفسير الآلوسى ٤٢/١٠).

فقال: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[(١)]، يقول: سيروا فى الأرض، ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ آمنين حيث شئتم، ثم خوفهم، فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٢]، فلم يعاهد النبى ﷺ بعد هذه الآية أحدًا من الناس.

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ (٤) فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥)﴾

ثم ذكر مشركى مكة الذين لا عهد لهم، فقال: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾[(٢)]، يعنى يوم النحر، وإنما سمى الحج الأكبر؛ لأن العمرة هى الحج الأصغر، وقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ من العهد، ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ يا معشر المشركين من الشرك، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الشرك، ﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾، يقول: إن أبيتم التوبة فلم تتوبوا، ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾، خوفهم كما خوف أهل العهد أنكم أيضًا غير سابقى الله بأعمالكم الخبيثة حتى يجزيكم بها، ثم قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٣]، يعنى وجيع.

ثم جعل من لا عهد له أجله خمسين يومًا من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم، ثم رجع إلى خزاعة، وبنى مدلج، وبنى خزيمة، فى التقديم، فاستثنى، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[(٣)]، فلم يبين الله ورسوله من عهدهم فى الأشهر الأربعة، ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾[(٤)] فى الأشهر الأربعة، ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾، يعنى و لم يعينوا

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٢٠، تفسير الماوردى ٢/١١٧، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٩٤، تفسير القرطبى ٨/٦٤، تفسير ابن كثير ٢/٣٣١).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/٤٩، تفسير الماوردى ٢/١١٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٩٦، تفسير القرطبى ٨/٦٩، تفسير ابن كثير ٣/٣٣٢).

(٣) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٩٧، تفسير القرطبى ٨/٧١).

(٤) قراءة عِكرمة: «ثُم لم يَنقضوكم شيئًا»، بالضاد معجمة. قال: أى لم ينقضوا أُموركم، وهو=

على قتالكم أحدًا من المشركين، يقول الله: إن لم يفعلوا ذلك، ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ﴾، يعنى الأشهر الأربعة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٤] الذين يتقون نقض العهد.

ثم ذكر من لم يكن له عهد غير خمسين يومًا، فقال: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾ (١)، يعنى عشرين من ذى الحجة وثلاثين يومًا من المحرم، ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾، يعنى هؤلاء الذين لا عهد لهم إلا خمسين يومًا أين أدركتموهم فى الحل والحرم، ﴿وَخُذُوهُمۡ﴾، يعنى وأسروهم، ﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾، يعنى والتمسوهم، ﴿وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ﴾، يقول: وأرصدوهم بكل طريق وهم كفار، ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ من الشرك، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾، يقول: فاتركوا طريقهم، فلا تظلموهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ للذنوب ما كان فى الشرك، ﴿رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٥] بهم فى الإسلام.

﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ (٦) كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ (٧) كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ (٨) ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٩) لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ (١٠) فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ (١١) وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ (١٢)﴾

=كناية حسنة عن النقص؛ لأنه إذا نقصه شيئًا من خاصّه فقد نقضه عما كان، فهذه طريقة. انظر: (الكشاف ١٧٤/٢، الجامع لأحكام القرآن ٧١/٨، التبيان للطوس ١٧٢/٥، البحر المحيط ٨/٥، إعراب القرآن للعكبرى ٦/٢، مجمع البيان ٤/٥، تفسير الرازى ٢٤٤/١٥، تفسير الآلوسى ٤٩/١٠).

(١) انظر: (معانى القرآن للأخفش ٣٢٦/٢، معانى القرآن للزجاج ٤٧٦/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٩٨/٣).

ثم قال، يعنى هؤلاء الكفار من أهل مكة: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [1]، يقول: فإن استأمنك أحد من المشركين بعد خمسين يومًا فأمنه من القتل، ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، يعنى القرآن، فإن كره أن يقبل ما فى القرآن، ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾، يقول: رده من حيث أتاك، فإن قاتلك بعد ذلك فقدرت عليه فاقتله، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٦] بتوحيد الله.

ثم ذكرهم أيضًا مشركى مكة، فقال: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ [2]، ثم استثنى خزاعة، وبنى مدلج، وبنى خزيمة، الذين أجلهم أربعة أشهر، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ بالحديبية، فلهم العهد، ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ﴾ بالوفاء إلى مدتهم، يعنى تمام هذه أربعة الأشهر من يوم النحر، ﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ بالوفاء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٧].

ثم حرض المؤمنين على قتال كفار مكة الذين لا عهد لهم؛ لأنهم نقضوا العهد، فقال: ﴿كَيْفَ﴾ لا تقاتلونهم، ﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [3]، يقول: لا يحفظوا فيكم قرابة ولا عهدًا، ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، يعنى بألسنتهم، ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾، وكانوا يحسنون القول للمؤمنين، فيرضونهم وفى قلوبهم غير ذلك، فأخبر عن قولهم، فذلك قوله: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، يعنى بألسنتهم، ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٨].

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، يعنى باعوا إيمانًا بالقرآن بعرض من الدنيا يسيرًا، وذلك أن أبا سفيان كان يعطى الناقة والطعام والشىء ليصد بذلك الناس عن متابعة النبى ﷺ، فذلك قوله: ﴿فَصَدُّوا۟﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾، أى عن سبيل الله، يعنى عن دين الله، وهو الإسلام، ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ﴾، يعنى بئس ﴿مَا كَانُوا۟

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ٥٧/١٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٩٩/٣، تفسير القرطبى ٧٧/٨، تفسير ابن كثير ٣٣٧/٢، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢١٣/٣).

(٢) انظر: (معانى القرآن للزجاج ٤٧٨/٢، تفسير الطبرى ٥٩/١٠، تفسير الماوردى ١٢١/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٠١/٣، تفسير القرطبى ٧٩/٨، تفسير ابن كثير ٣٨/٢).

(٣) قراءة عِكرمة: «إِيْلاً ولا ذِمَّةً»، بياءٍ بعد الكسرة خفيفة اللام. وقراءة طلحة بن مصرف. انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٢، إعراب القرآن للعكبرى ٧/٢، الكشاف ١٧٦/٢ مجمع البيان ٨/٥، البحر المحيط ١٣/٥).

﴿يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٩]، يعنى بئس ما عملوا بصدهم عن الإسلام.

ثم أخبر أيضًا عنهم، فقال: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾، يعنى لا يحفظون فى مؤمن قرابة ولا عهدًا، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾ [آية: ١٠].

يقول: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ من الشرك، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، أى أقروا بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ﴾ ونبين ﴿ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١١] بتوحيد الله.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾، يعنى نقضوا عهدهم، وذلك أن النبى ﷺ واعد كفار مكة سنتين، وأنهم عمدوا فأعانوا كنانة بالسلاح على قتال خزاعة، وخزاعة صلح النبى ﷺ، فكان فى ذلك نكث للعهد، فاستحل النبى ﷺ قتالهم، فذلك قوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم﴾ ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ﴾، فقالوا: ليس دين محمد بشىء، ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾، يعنى قادة الكفر كفار قريش: أبا سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبى جهل، وغيرهم، ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾؛ لأنهم نقضوا العهد الذى كان بالحديبية، يقول: ﴿لَعَلَّهُمْ﴾، يعنى لكى ﴿يَنتَهُونَ﴾ [آية: ١٢] عن نقض العهد ولا ينقضون.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخْشَوْنَهُمْۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةًۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِي ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

ثم حرض المؤمنين على قتالهم، فقال: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾، يعنى نقضوا عهدهم حين أعانوا كنانة بالسلاح على خزاعة، وهم صلح النبى ﷺ، ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾، يعنى النبى ﷺ من مكة حين هموا فى دار الندوة بقتل النبى ﷺ، أو بوثاقه أو بإخراجه، ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بالقتال حين

ساروا إلى قتالكم ببدر، ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ فلا تقاتلونهم، ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ فى ترك أمره، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٣] به، يعنى إن كنتم مصدقين بتوحيد الله عز وجل.

ثم وعدهم النصر، فقال: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ بالقتل، ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٤]، وذلك أن بنى كعب قاتلوا خزاعة، فهزموهم وقتلوا منهم، وخزاعة صلح النبى ﷺ، وأعانوهم كفار مكة بالسلاح على خزاعة، فاستحل النبى ﷺ قتال كفار مكة بذلك، وقد ركب عمرو بن عبد مناة الخزاعى إلى النبى ﷺ بالمدينة مستيعنًا به، فقال له:

اللهم إنى ناشد محمدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا
كان لنا أبا وكنا ولدا ... نحن ولدناكم فكنتم ولدا
ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا ... فانصر رسول الله نصرا أيدا
وادع عباد الله يأتوا مددا ... فيهم رسول الله قد تجردا
فى فليق كالبحر يجرى مزيدا ... إن قريشًا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكد ... ونصبوا لى فى الطريق مرصدا
وبيتونا بالوتين هجدا ... وقتلونا ركعًا وسجدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا ... وهم أذل وأقل عددا

قال: فدمعت عينا النبى ﷺ ونظر إلى سحابة قد بعثها الله عز وجل، فقال: «والذى نفسى بيده، إن هذه السحابة لتستهل بنصر خزاعة على بنى ليث بن بكر»، ثم خرج النبى ﷺ من المدينة، فعسكر وكتب حاطب إلى أهل مكة بالعسكر، وسار النبى ﷺ إلى مكة فافتتحها، وقال لأصحابه: «كفوا السلاح، إلا عن بنى بكر إلى صلاة العصر»، وقال لخزاعة أيضًا: «كفوا، إلا عن بنى بكر»، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ**﴾، يعنى قلوب قوم مؤمنين، يعنى خزاعة، ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾، وشفى الله قلوب خزاعة من بنى ليث بن بكر، وأذهب غيظ قلوبهم، ثم قال: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾(١)، فيهديهم لدينه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ١٥] فى أمره.

---

(١) قراءة الأعرج وابن أبى إسحاق وعيسى الثقفى وعمرو بن عُبَيْد: «ويتوبَ اللهُ»، بالنصب. وقراءة الحسن، وزيد بن على، وعمرو بن فائد، ورويس، ويعقوب، ومقاتل. انظر: (الكشاف ٢/١٧٨، مجمع البيان ٥/١١، مختصر شواذ القراءات ٥١، إعراب القرآن للنحاس ٢/٨، البحر المحيط ٥/١٧، الجامع لأحكام القرآن ٨/٨٧ النشر فى القراءات العشر ٢/٢٧٨، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٠، تفسير الآلوسى ١٠/٦٣).

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ﴾ على الإيمان ولا تبتلوا بالقتل، ﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ﴾، يعنى ولما يرى الله ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾ العدو ﴿مِنكُمۡ﴾ فى سبيله، يقول: لا يرى جهادكم حتى تجاهدوا، ﴿وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا﴾ من دون ﴿رَسُولِهِۦ وَلَا﴾ من دون ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ﴾ [1] يتولجها، يعنى البطانة من الولاية للمشركين، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٦].

﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾، يعنى مشركى مكة، ﴿أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾، يعنى المسجد الحرام، ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾ [2]، نزلت فى العباس بن عبد المطلب، وفى بنى أبى طلحة، منهم: شيبة بن عثمان صاحب الكعبة، وذلك أن العباس، وشيبة، وغيرهم، أسروا يوم بدر، فأقبل عليهم نفر من المهاجرين، فيهم على بن أبى طالب والأنصار وغيرهم، فسبوهم وعيروهم بالشرك، وجعل على بن أبى طالب يوبخ العباس بقتال النبى ﷺ، وبقطيعته الرحم، وأغلظ له القول، فقال له العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا، قالوا: وهل لكم محاسن؟ قال: نعم، لنحن أفضل منكم أجرًا، إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقى الحجيج، ونفك العانى، يعنى الأسير، فافتخروا على المسلمين بذلك، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾، يعنى ما ذكروا من محاسنهم، يعنى بطلت أعمالهم فى الدنيا والآخرة، يقول: ليس لهم ثواب فى الدنيا ولا فى الآخرة؛ لأنها كانت فى غير إيمان، ولو آمنوا لأصابوا الثواب فى الدنيا والآخرة، كما قال نوح، وهود، لقومه: ﴿اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم﴾ بالمطر ﴿مِّدْرَارًا﴾ [هود: ٥٢]، يعنى متتابعًا، ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٢]، فهذا فى الدنيا لو آمنوا، ثم قال: ﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ١٧] لا يموتون.

﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٣، تفسير الطبرى ١٠/٦٥، تفسير الماوردى ٢/١٢٣، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٠٧، تفسير القرطبى ٨/٨٨).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/٦٦، تفسير الماوردى ٢/١٢٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٠٨، تفسير القرطبى ٨/٨٩، تفسير ابن كثير ٢/٣٤٠).

ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، يعنى صدق بالله، ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، يعنى من صدق بتوحيد الله والبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لوقتها، أتم ركوعها وسجودها، ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾، يعنى وأعطى زكاة ماله، ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، يعنى و لم يعبد إلا الله، ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [آية: ١٨] من الضلالة.

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

ثم قال يعنيهم: ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾[1]، يعنى العباس، ﴿وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[2]، يعنى شيبة، ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، يعنى صدق بتوحيد الله واليوم الآخر، وصدق بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، يعنى عليًّا ومن معه، ﴿وَجَٰهَدَ﴾ العدو ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فى الفضل هؤلاء أفضل، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٩]، يعنى المشركين إلى الحجة فما لهم حجة.

ثم نعت المهاجرين عليًّا وأصحابه، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله، ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ إلى المدينة، ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ العدو ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى طاعة الله، ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ أولئك ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾، يعنى فضيلة، ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الذين افتخروا فى عمران البيت وسقاية الحاج وهم كفار، ثم أخبر عن ثواب المهاجرين، فقال:

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٢/٩، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٧ تحبير التيسير ١١٧، مختصر شواذ القراءات ٥٢، الجامع لأحكام القرآن ٨/٩١، البحر المحيط ٥/٢٠، تفسير الفخر الرازى ١٦/١٢، النشر فى القراءات العشر ٢/٢٧٨، الكشاف ٢/١٨٠، إتحاف فضلاء البشر ٢٤١، تفسير الآلوسى ١٠/٦٧).

(٢) انظر: (الكشاف ٢/١٨٠، مجمع البيان ٥/١٤، إتحاف فضلاء البشر ٢٤١، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٩، البحر المحيط ٥/٢٠، تفسير الفخر الرازى ١٦/١٢، النشر ٢/٢٧٨، تفسير الآلوسى ١٠/٦٧).

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [آية: ٢٠]، يعنى الناجون من النار يوم القيامة.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ وهى الجنة، ﴿وَرِضْوَٰنٍ﴾، يعنى ورضى الرب عنهم، ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [آية: ٢١]، يعنى لا يزول.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ لا يموتون، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ﴾، يعنى عند الله ﴿أَجْرٌ﴾، يعنى جزاء، ﴿عَظِيمٌ﴾ [آية: ٢٢]، وهى الجنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾، يعنى اختاروا الكفر على الإيمان، يعنى التوحيد، نزلت فى السبعة الذين ارتدوا عن الإسلام، فلحقوا بمكة من المدينة، فنهى الله عن ولايتهم، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ يا معشر المؤمنين، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٢٣]، وهو منهم.

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾[1]، يعنى كسبتموها، ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾، يعنى ومنازل ترضونها، يعنى تفرحون بها، ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ فى فتح مكة، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [آية: ٢٤].

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

---

(١) انظر: (تفسير الماوردى ٢/١٢٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤١٣، تفسير القرطبى ٨/٩٦).

﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ﴾، يعني يوم بدر، ويوم قريظة، ويوم النضير، ويوم خيبر، ويوم الحديبية، ويوم فتح مكة، ثم قال: ﴿وَ﴾ نصركم ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ﴾ (١)، وهو واد بين الطائف ومكة، ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾، يعني برحبها وسعتها، ﴿ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [آية: ٢٥] لا تلوون على شيء، وذلك أن المسلمين كانوا يومئذ أحد عشر ألفًا وخمسمائة، والمشركون أربعة آلاف، وهوازن، وثقيف، ومالك بن عوف النضرى على هوازن، وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفى، فلما التقوا قال رجل من المسلمين: لن نغلب اليوم من كثرتنا على عدونا، ولم يستثن فى قوله، فكره النبى ﷺ قوله؛ لأنه كان قال ولم يستثن فى قوله.

فاقتتلوا قتالاً شديدًا، وانهزم المشركون وجلوا عن الذرارى، ثم نادى المشركون تجاه النساء: اذكروا الفضائح، فتراجعوا وانكشف المسلمون، فنادى العباس بن عبد المطلب، وكان رجلاً صبيًا ثباتًا: يا أنصار الله وأنصار رسوله الذين آووا ونصروا، يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة، هذا رسول الله ﷺ، فمن كان له فيه حاجة فليأته، فتراجع المسلمون، ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق، فوقفوا ولم يقاتلوا، فانهزم المشركون، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾، يعنى الملائكة، ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ بالقتل والهزيمة، ﴿وَذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٢٦].

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾، يعنى بعد القتل والهزيمة، فيهديه لدينه، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لما كان فى الشرك، ﴿رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٢٧] بهم فى الإسلام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٢٨) قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ (٢٩)﴾

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٣١، تفسير الطبرى ١٠/٧٤، تفسير الماوردى ٢/١٢٧، ٣/٤١٧، تفسير القرطبى ٨/١٠٦، تفسير ابن كثير ٢/٣٤٦).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾، يعنى مشركى العرب، والنجس الذى ليس بطاهر، الأنجاس الأخباث، ﴿ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾، يعنى أرض مكة، ﴿ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾، يعنى بعد عام كان أبو بكر على الموسم. قال ابن ثابت: قال أبى: فى السنة التاسعة من هجرة النبى ﷺ، ثم قال: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾[1]، وذلك أن الله عز وجل أنزل بعد غزاة تبوك: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ...﴾ إلى قوله: ﴿ ...كُلَّ مَرْصَدٍ﴾، فوسوس الشيطان إلى أهل مكة، فقال: من أين تجدون ما تأكلون، وقد أمر أنه من لم يكن مسلمًا أن يقتل ويؤخذ الغنم، ويقتل من فيها، فقال الله تعالى: امضوا لأمرى وأمر رسولى، ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾، ففرحوا بذلك، فكفاهم الله ما كانوا يتخوفون، فأسلم أهل نجد، وجرش، وأهل صنعاء، فحملوا الطعام إلى مكة على الظهر، فذلك قوله: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾، يعنى الفقر، ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ٢٨].

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، يعنى الذين لا يصدقون بتوحيد الله، ولا بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾، يعنى الخمر، ولحم الخنزير، وقد بين أمرهما فى القرآن، ﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ الإسلام؛ لأن غير دين الإسلام باطل، ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى اليهود والنصارى، ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾[2]، يعنى عن أنفسهم، ﴿ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [آية: ٢٩]، يعنى مذلون إن أعطوا عفوًا لم يؤجروا، وإن أخذوا منهم كرهًا لم يثابوا.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

---

(١) وقراءة علقمة. انظر: (الكشاف ١٤٢/٢، مجمع البيان ٢٠/٥، البحر المحيط ٢٨/٥).

(٢) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٤، معانى القرآن للزجاج ٤٨٩/٢، تفسير الطبرى ٧٧/١٠، تفسير الماوردى ١٢٨/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٢٠/٣، تفسير القرطبى ١١٥/٨).

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، وذلك أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى، فرفع الله عنهم التوراة، ومحاها من قلوبهم، فخرج عزير يسيح فى الأرض، فأتاه جبريل، عليه السلام، فقال له: أين تذهب؟ قال: لطلب العلم، فعلمه جبريل التوراة كلها، فجاء عزير بالتوراة غضًا إلى بنى إسرائيل فعلمهم، فقالوا: لم يعلم عزير هذا العلم إلا لأنه ابن الله، فذلك قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، ثم قال: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، يعنون عيسى ابن مريم، ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ (١)، يقول: هم يقولون بألسنتهم من غير علم يعلمونه، ﴿يُضَـٰهِـُٔونَ﴾ (٢)، يعنى يشبهون ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، يعنى قول اليهود ﴿مِن قَبْلُ﴾ قول النصارى لعيسى إنه ابن الله، كما قالت اليهود عزير ابن الله، فضاهأت، يعنى أشبه قول النصارى فى عيسى قول اليهود فى عزير، ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾، يعنى لعنهم الله ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [آية: ٣٠]، يعنى النصارى من أين يكذبون بتوحيد الله.

ثم أخبر عن النصارى، فقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ﴾، يعنى علماءهم، ﴿وَرُهْبَـٰنَهُمْ﴾، يعنى المجتهدين فى دينهم أصحاب الصوامع، ﴿أَرْبَابًا﴾ (٣)، يعنى أطاعوهم ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَ﴾ اتخذوا ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ ربًا، يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾، يعنى وما أمرهم عيسى، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾، وذلك أن عيسى قال لبنى إسرائيل فى سورة مريم، وفى حم الزخرف: ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾ [الزخرف: ٦٤]، فهذا قول عيسى لبنى إسرائيل، ثم قال: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٣١]، نزه نفسه عما قالوا من البهتان.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، يعنى دين الإسلام بألسنتهم بالكتمان، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾، يعنى يظهر دينه الإسلام، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [آية: ٣٢] أهل الكتاب بالتوحيد.

---

(١) انظر: (معانى القرآن للزجاج ٢/ ٤٩٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/ ٤٢٤، تفسير القرطبى ٨/ ١١٨).

(٢) انظر: (السبعة لابن مجاهد ٤/ ٣، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/ ٤٢٤، تفسير القرطبى ٨/ ١١٨).

(٣) انظر: (تفسير الماوردى ٢/ ١٣١، معانى القرآن للفراء ١/ ٤٣٣، تفسير الطبرى ١٠/ ٣٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/ ٤٢٦، تفسير القرطبى ٨/ ١٢٠).

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ (٣٣) ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ (٣٤) يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ (٣٥)﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾، يعنى محمدًا ﷺ ﴿بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾، يعنى دين الإسلام؛ لأن غير دين الإسلام باطل، ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، يقول: ليعلو بدين الإسلام على كل دين، ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى مشركى العرب.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ﴾، يعنى اليهود، ﴿وَٱلرُّهۡبَانِ﴾، يعنى مجتهدى النصارى، ﴿لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾[1]، يعنى أهل ملتهم، وذلك أنهم كانت لهم مأكلة كل عام من سفلتهم من الطعام والثمار على تكذيبهم بمحمد ﷺ، ولو أنهم آمنوا بمحمد ﷺ لذهبت تلك المأكلة، ثم قال: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾، يقول: يمنعون أهل دينهم عن دين الإسلام، ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾، يعنى بالكنز منع الزكاة، ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾، يعنى الكنوز ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى فى طاعة الله، ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [آية: ٣٤]، يعنى وجيع فى الآخرة.

ثم قال: ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [آية: ٣٥].

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ (٣٦) إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ

---

(١) انظر: (تفسير الماوردى ١٣٢/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٤٨/٣، تفسير القرطبى ١٢٢/٨).

﴿لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ﴾، وذلك أن المؤمنين ساروا من المدينة إلى مكة قبل أن يفتح الله على النبي ﷺ، فقالوا: إنا نخاف أن يقاتلنا كفار مكة فى الشهر الحرام، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، يعنى اللوح المحفوظ، ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾، المحرم، ورجب، وذو القعدة، وذو الحجة، ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾، يعنى الحساب، ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾، يعنى فى الأشهر الحرام، يعنى بالظلم ألا تقتلوا فيهن أحدًا من مشركى العرب، إلا أن يبدءوا بالقتل، ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾، يعنى بالدين الحساب المستقيم، ثم قال: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿كَآفَّةً﴾، يعنى جميعًا، ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾، يقول: إن قاتلوكم فى الشهر الحرام، فاقتلوهم جميعًا، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ فى النصر ﴿مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٣٦] الشرك.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ﴾ (١)، يعنى به فى المحرم زيادة ﴿فِى ٱلْكُفْرِ﴾، وذلك أن أبا ثمامة الكنانى، اسمه جبارة بن عوف بن أمية بن فقيم بن الحارث، وهو أول من ذبح لغير الله الصفرة فى رجب، كان يقف بالموسم، ثم ينادى: إن آلهتكم قد حرمت صفر العام، فيحرمون فيه الدماء والأموال، ويستحلون ذلك فى المحرم، فإذا كان من قابل نادى: إن آلهتكم قد حرمت المحرم العام، فيحرمون فيه الدماء والأموال، فيأخذ به هوازن، وغطفان، وسليم، وثقيف، وكنانة، فذلك قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ (٢)، يعنى ترك المحرم ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾، يقول: يستحلون المحرم عامًا، فيصيبون فيه الدماء والأموال، ويحرمونه عامًا، فلا يصيبون فيه الدماء والأموال، ولا يستحلونها فيه، ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟﴾ فى المحرم ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ فيه من الدماء والأموال، ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٣٧].

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٣٦/١، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٦، تفسير الطبرى ٩٢/١٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٣٥/٣، تفسير القرطبى ١٣٦/٨، تفسير ابن كثير ٣٥٦/٢، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢٣٦/٣).

(٢) انظر: (السبعة ٣١٤؛ إعراب القرآن للعكبرى ٨/٢، إعراب القرآن للنحاس ١٦/٢ الكشاف ١٨٩/٢، مجمع البيان ٢٨/٥).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، نزلت في المؤمنين، وذلك أن النبي ﷺ أمر الناس بالسير إلى غزوة تبوك في حر شديد، ﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، فتثاقلوا عنها، ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [آية: ٣٨]، يعني إلا ساعة من ساعات الدنيا.

ثم خوفهم: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾ في غزاة تبوك إلى عدوكم، ﴿يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، يعني وجيعًا، ﴿وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ أمثل منكم، وأطوع لله منكم، ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ﴾، يعني ولا تنقصوا من ملكه شيئًا بمعصيتكم إياه، إنما تنقصون أنفسكم، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ أراده ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٣٩]، إن شاء عذبكم واستبدل بكم قومًا غيركم.

ثم قال للمؤمنين: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾[1]، يعني النبي ﷺ، ﴿فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾، هذه أول آية نزلت من براءة، وكانت تسمى الفاضحة، لما ذكر الله فيها من عيوب

---

(١) انظر: (تفسير الماوردي ٢/١٢٨، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣/٤٣٩، تفسير القرطبي ٨/١٤٣).

المنافقين، ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله من مكة، ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾[1]، فهو النبى ﷺ وأبو بكر، ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾، وذلك أن النبى ﷺ قال لأبى بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فى الدفع عنا، وذلك حين خاف القافة حول الغار، فقال أبو بكر: أتينا يا نبى الله، وحزن أبو بكر، فقال: إنما أنا رجل واحد، وإن قتلت أنت تهلك هذه الأمة، فقال النبى ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾.

ثم قال النبى ﷺ: «اللهم اعم أبصارهم عنا»، ففعل الله ذلك بهم، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾، يعنى النبى ﷺ، ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾، يعنى الملائكة يوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم خيبر، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يعنى دعوة الشرك، ﴿ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾، يعنى دعوة الإخلاص، ﴿هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾، يعنى العالية، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فى ملكه، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٤٠]، حكم إطفاء دعوة المشركين، وإظهار التوحيد.

﴿ٱنفِرُواْ﴾ إلى غزاة تبوك ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[2]، يعنى نشاطًا وغير نشاط، ﴿وَجَٰهِدُواْ﴾ العدو ﴿بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى الجهاد، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من القعود، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤١].

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾[3]، يعنى غنيمة قريبة، ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾، يعنى هينًا، ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ فى غزاتك، ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾[4]، يعنى لو وجدنا سعة فى المال، ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ فى غزاتكم، ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ٤٢] بأن لهم سعة فى الخروج، ولكنهم لم يريدوا الخروج، منهم: جد بن قيس، ومعتب بن قشير، وهما من الأنصار.

(١) انظر: (البحر المحيط ٤٣/٥، الجامع لأحكام القرآن ١٤٤/٨، الكشاف ١٩٠/٢، إعراب القرآن للعكبرى ٩/٢، تفسير الآلوسى ٩٦/١٠).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٣٩/١، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٧، تفسير الطبرى ٩٧/١٠، تفسير الماوردى ١٣٩/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٤٢/٢، تفسير القرطبى ١٥٠/٨).

(٣) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٧، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٤٣/٣، تفسير القرطبى ١٥٤/٨).

(٤) انظر: (إعراب القرآن ٩/٢، البحر المحيط ٤٦/٥، الكشاف ١٩/٢، مجمع البيان ٣٢/٥).

ثم قال للنبي ﷺ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾[1] في القعود، يعني في التخلف، ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في قولهم، يعني أهل العذر، منهم: المقداد ابن الأسود الكندي، وكان سمينًا، ﴿وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [آية: ٤٣] في قولهم، يعني من لا قدر لهم.

﴿ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ﴾ في القعود ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، يعني الذين يصدقون بتوحيد الله، وبالبعث الذي فيه جزاء الأعمال أنه كائن، ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ﴾ العدو من غير عذر، ﴿بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ﴾ كراهية الجهاد، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٤٤] الشرك.

ثم ذكر المنافقين، فقال: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ﴾ في الجهاد وبعد الشقة، ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، لا يصدقون بالله، ولا باليوم الآخر، يعني لا يصدقون بالله، ولا بتوحيده، ولا بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال، ﴿وَٱرۡتَابَتۡ﴾، يعني شكت ﴿قُلُوبُهُمۡ﴾ في الدين، ﴿فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ﴾، يعني في شكهم، ﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾ [آية: ٤٥]، وهم تسعة وثلاثون رجلاً.

---

(١) انظر: (تفسير الطبري ٩٩/١٠، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤٤٤/٣، تفسير القرطبي ١٥٤/٨، لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ١١٧).

ثم أخبر عن المنافقين، فقال: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ﴾ إلى العدو، ﴿لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾[1]، يعنى به النية، ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾، يعنى خروجهم، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ عن غزاة تبوك، ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ﴾، وحيًا إلى قلوبهم، ﴿مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [آية: ٤٦] ألهموا ذلك، يعنى مع المتخلفين.

﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم﴾، يعنى معكم إلى العدو، ﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾[2]، يعنى عيًا، ﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾[3]، يتخلل الراكب الرجلين حتى يدخل بينهما، فيقول ما لا ينبغى، ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾، يعنى الكفر، ﴿وَفِيكُمْ﴾ معشر المؤمنين، ﴿سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ من غير المنافقين، اتخذهم المنافقون عيونًا لهم يحدثونهم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٤٧]، منهم: عبد الله بن أبى، وعبد الله بن نبيل، وجد بن قيس، ورفاعة بن التابوت، وأوليس بن قيظى.

ثم أخبر عن المنافقين، فقال: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾، يعنى الكفر فى غزوة تبوك، ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ ظهرًا لبطن كيف يصنعون، ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾، يعنى الإسلام، ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، يعنى دين الإسلام، ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [آية: ٤٨] للإسلام.

﴿وَمِنْهُم﴾، يعنى من المنافقين، ﴿مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾، وذلك أن النبى ﷺ أمر الناس بالجهاد إلى غزاة تبوك، وذكر بنات الأصفر لقوم، وقال: «لعلكم تصيبون منهن»، قال ذلك ليرغبهم فى الغزو، وكان الأصفر رجلاً من الحبش، فقضى الله له أن ملك الروم، فاتخذ من نسائهم لنفسه، وولدن له نساء كن مثلاً فى الحسن، فقال جد بن قيس الأنمارى، من بنى سلمة بن جشم: يا رسول الله، قد علمت الأنصار حرصى على النساء وإعجابى بهن، وإنى أخاف أن أفتتن بهن، فأذن لى ولا تفتنى ببنات الأصفر، وإنما اعتل بذلك كراهية الغزو، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُم﴾، يعنى من المنافقين، ﴿مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾[4]، يقول الله: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٥/٤٨، الكشاف ٢/١٩٣، تفسير الآلوسى ١٠/١١١).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٤٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٤٧، تفسير القرطبى ٨/١٥٧).

(٣) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٣، الكشاف ٢/١٩٤، تفسير الآلوسى ١٠/١٩٢).

(٤) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٤٤، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٩، تفسير الطبرى=

سَقَطُواْ﴾، يقول: ألا فى الكفر وقعوا، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٤٩].

ثم أخبر عنهم وعن المتخلفين بغير عذر، فقال: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ﴾[1]، يعنى الغنيمة فى غزاتك يوم بدر تسوءهم، ﴿وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ﴾ بلاء من العدو يوم أُحُد، وهزيمة وشدة، ﴿يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا﴾ فى القعود ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أن تصبك مصيبة، ﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ﴾ [آية: ٥٠] لما أصابك من شدة.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

يقول الله لنبيه ﷺ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[2] من شدة أو رخاء، ﴿هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ﴾، يعنى ولينا، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٥١]،

= ١٢٦/١٠، تفسير الماوردى ١٤٨/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٦٠/٣، تفسير القرطبى ١٩٢/٨).

(١) انظر: (معانى القرآن للزجاج ٥٠٠/٢، تفسير الطبرى ١٠٥/١٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٤٩/٣، تفسير القرطبى ١٥٩/٨).

(٢) انظر: (الكشاف ١٩٥/٢، البحر المحيط ١/٥، إعراب القرآن للنحاس ٢٣/٢، الجامع لأحكام القرآن ١٦٠/٨).

يعنى وبالله فليثق الواثقون.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾، إما الفتح والغنيمة فى الدنيا، وإما شهادة فيها الجنة فى الآخرة والرزق، ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ العذاب والقتل، ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ﴾ عذاب ﴿بِأَيْدِينَا﴾ فنقتلكم، ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾ بنا الشر، ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [آية: ٥٢] بكم العذاب.

﴿قُلْ﴾ يا محمد للمنافقين: ﴿أَنفِقُواْ طَوْعًا﴾ من قبل أنفسكم، ﴿أَوْ كَرْهًا﴾ مخافة القتل، ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ النفقة، ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [آية: ٥٣]، يعنى عصاة.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ بالتوحيد ﴿وَ﴾ كفروا ﴿وَبِرَسُولِهِۦ﴾ بمحمد ﷺ أنه ليس برسول، ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾، يعنى متثاقلين ولا يرونها واجبة عليهم، ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾، يعنى المنافقين الأموال، ﴿إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [آية: ٥٤] غير محتسبين.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ﴾ يا محمد ﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾، يعنى المنافقين، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بما يلقون فى جمعها من المشقة، وفيها من المصائب، ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾، يعنى ويريد أن تذهب أنفسهم على الكفر فيميتهم كفارًا، فذلك قوله: ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٥٥] بتوحيد الله ومصيرهم إلى النار.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ يعنيهم، ﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ معشر المؤمنين على دينكم، يقول الله: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ على دينكم، ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [آية: ٥٦] القتل، فيظهرون الإيمان.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾(١)، يعنى حرزًا يلجأون إليه، ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾(٢)، يعنى الغيران فى الجبال، ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾، يعنى سربًا فى الأرض، ﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ﴾ وتركوك يا محمد، ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾(٣) [آية: ٥٧]، يعنى يستبقون إلى الحرز.

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٨، معانى القرآن للزجاج ٥٠٢/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٥٣، تفسير القرطبى ١٦٦/٨٥).

(٢) انظر: (معانى القرآن للأخفش ٣٣٢/٢، الكشاف ١٩٦/٢، البحر المحيط ٥٥/٥).

(٣) انظر: (الكشاف ١٩٦/٢، تحبير التيسير ١١٨، البحر المحيط ٥٥/٥، مجمع البيان ٣٩/٥، تفسير الفخر الرازى ٩٦/١٦).

﴿وَمِنْهُم﴾، يعنى المنافقين، ﴿مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [1]، يعنى يطعن عليك، نظيرها: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، وذلك أن النبى ﷺ قسم الصدقة، وأعطى بعض المنافقين، ومنع بعضًا، وتعرض له أبو الخواص، فلم يعطه شيئًا، فقال أبو الخواص: ألا ترون إلى صاحبكم، إنما يقسم صدقاتكم فى رعاء الغنم، وهو يزعم أنه يعدل، فقال النبى ﷺ: «لا أبا لك، أما كان موسى راعيًا، أما كان داود راعيًا»، فذهب أبو الخواص، فقال النبى ﷺ: «احذروا هذا وأصحابه، فإنهم منافقون»، فأنزل الله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقَاتِ﴾، يعنى يطعن عليك بأنك لم تعدل فى القسمة، ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [آية: ٥٨].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ﴾ [2]، يعنى ما أعطاهم، ﴿ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ﴾، يعنى سيغنينا الله، ﴿مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾، فيها تقديم، ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [آية: ٥٩].

﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

ثم أخبر عن أبى الخواص، أن غير أبى الخواص أحق منه بالصدقة، وبين أهلها، فقال:

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/١٠٨، تفسير الماوردى ٢/١٤٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٥٤، تفسير القرطبى ٨/١٦٦).

(٢) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٥٥، تفسير القرطبى ٨/١٦٧).

﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ [1] الذين لا يسألون الناس، ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ الذين يسألون الناس، ﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾ يعطون مما جبوا من الصدقات على قدر ما جبوا من الصدقات، وعلى قدر ما شغلوا به أنفسهم عن حاجتهم، ﴿وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾ يتألفهم بالصدقة، يعطيهم منها، منهم: أبو سفيان، وعيينة بن حصن، وسهل بن عمرو، وقد انقطع حتى المؤلفة اليوم، إلا أن ينزل قوم منزلة أولئك، فإن أسلموا أعطوا من الصدقات، تتألفهم بذلك ليكونوا دعاة إلى الدين، ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾، يعنى وفى فك الرقاب، يعنى أعطوا المكاتبين، ﴿وَٱلۡغَٰرِمِينَ﴾، وهو الرجل يصيبه غرم فى ماله من غير فساد ولا معصية، ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى فى الجهاد، يعطى على قدر ما يبلغه فى غزاته، ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾، يعنى المسافر المجتاز وبه حاجة، يقول: ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ هم هذه القسمة؛ لأنهم أهلها، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأهلها، ﴿حَكِيمٞ﴾ [آية: ٦٠] حكم قسمتها.

وقال النبى ﷺ: «لا تحل الصدقة لمحمد، ولا لأهله، ولا تحل الصدقة لغنى، ولا لذى مرة سوى»، يعنى القوى الصحيح، وكان المؤلفة قلوبهم ثلاثة عشر رجلاً، منهم: أبو سفيان بن حرب بن أمية، والأقرع بن حابس المجاشعى، وعيينة بن حصن الفزارى، وحويطب بن عبد العزى القرشى، من بنى عامر بن لؤى، والحارث بن هشام المخزومى، وحكيم بن حزام، من بنى أسد بن عبد العزى، ومالك بن عوف النضرى، وصفوان بن أمية القرشى، وعبد الرحمن بن يربوع، وقيس بن عدى السهمى، وعمرو بن مرداس، والعلاء بن الحارث الثقفى، أعطى كل رجل منهم مائة من الإبل ليرغبهم فى الإسلام ويناصحون الله ورسوله، غير أنه أعطى عبد الرحمن بن يربوع خمسين من الإبل، وأعطى حويطب بن عبد العزى القرشى خمسين من الإبل، وكان أعطى حكيم بن حزام سبعين من الإبل، فقال: يا نبى الله، ما كنت أرى أن أحدًا من المسلمين أحق بعطائك منى، فزاده النبى ﷺ، فكره، ثم زاده عشرة، فكره، فأتمها له مائة من الإبل، فقال حكيم: يا رسول الله، عطيتك الأولى التى رغبت عنها، أهى خير أم التى قنعت بها؟ فقال النبى ﷺ: «الإبل التى رغبت عنها»، فقال: والله لا آخذ غيرها، فأخذ السبعين، فمات وهو أكثر قريش مالاً، فشق على النبى ﷺ تلك العطايا، فقال النبى ﷺ: «إنى لأعطى رجلاً

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠٩/١٠، تفسير الماوردى ١٤٦/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٥٥/٣، تفسير القرطبى ١٦٧/٨، تفسير ابن كثير ٣٦٤/٢).

وأترك آخر، وإن الذى أترك أحب إلىَّ من الذى أعطى، ولكن أتألف بالعطية، وأوكل المؤمن إلى إيمانه».

﴿وَمِنْهُمُ﴾، يعنى من المنافقين، ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ ﷺ، منهم: الجلاس بن سويد، وشماس بن قيس، والمخش بن حمير، وسماك بن يزيد، وعبيد بن الحارث، ورفاعة بن زيد، ورفاعة بن عبد المنذر، قالوا ما لا ينبغى، فقال رجل منهم: لا تفعلوا، فإنا نخاف أن يبلغ محمدًا فيقع بنا، فقال الجلاس: نقول ما شئنا، فإنما محمد أذن سامعة، فنأتيه بما نقول، فنزلت فى الجلاس: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾[1]، يعنى النبى ﷺ، ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، يعنى يصدق بالله، ويصدق المؤمنين، ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾، يقول: محمد رحمة للمؤمنين، كقوله: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، يعنى للمصدقين بتوحيد الله، ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٦١]، يعنى وجيع.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ بعد اليوم، منهم: عبد الله بن أبى، حلف ألا نتخلف عنك، ولنكونن معك على عدوك، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾، فيها تقديم، ﴿إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٦٢]، يعنى مصدقين بتوحيد الله عز وجل.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾، يعنى المنافقين، ﴿أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، يعنى يعادى الله ورسوله، ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ لا يموت، ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ٦٣].

قوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾[2]، نزلت فى الجلاس بن سويد، وسماك بن عمرو، ووداعة بن ثابت، والمخش بن حمير الأشجعى، وذلك أن المخش قال لهم: والله لا أدرى إنى أشر خليقة الله، والله لوددت أنى جلدت مائة جلدة، وأنه لا ينزل فينا ما يفضحنا، فنزل: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ ﴿أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾، يعنى براءة، ﴿تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق، وكانت تسمى الفاضحة، ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ مبين

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٤٤، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٩، تفسير الطبرى ١٠/١٢٦، تفسير الماوردى ٢/١٤٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤١٠، تفسير القرطبى ٨/١٩٢).

(٢) انظر: (تفسير الماوردى ٢/١٤٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٦٣، تفسير القرطبى ٨/١٩٥).

﴿مَا تَحۡذَرُونَ﴾ [آية: ٦٤].

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ﴾[1]، وذلك حين انصرف النبى ﷺ من غزاة تبوك إلى المدينة، وبين يديه هؤلاء النفر الأربعة يسيرون، ويقولون: إن محمدًا يقول إنه نزل فى إخواننا الذين تخلفوا فى المدينة كذا وكذا، وهم يضحكون ويستهزءون، فأتاه جبريل، فأخبره بقولهم، فبعث النبى ﷺ عمار بن ياسر، وأخبر النبى ﷺ عمارًا أنهم يستهزءون ويضحكون من كتاب الله ورسوله ﷺ، وإنك إذا سألتهم ليقولن لك: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ﴾ فيما يخوض فيه الركب إذا ساروا، قال: فأدركهم قبل أن يحترقوا فأدركهم، فقال: ما تقولون؟ قالوا: فيما يخوض فيه الركب إذا ساروا، قال عمار: صدق الله ورسوله، وبلغ الرسول، عليه السلام، عليكم غضب الله، هلكتم أهلككم الله.

ثم انصرف إلى النبى ﷺ، فجاء القوم إلى النبى ﷺ يعتذرون إليه، فقال المخش: كنت أسايرهم والذى أنزل عليك الكتاب ما تكلمت بشىء مما قالوا، فقال النبى ﷺ، ولم ينههم عن شىء مما قالوا، وقبل العذر، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ﴾، يعنى ونتلهى، ﴿قُلۡ﴾ يا محمد: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [آية: ٦٥]، استهزءوا بالله لأنهما من الله عز وجل.

﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ﴾[2]، يعنى المخش الذى لم يخض معهم، ﴿نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ﴾، يعنى الثلاثة الذين خاضوا واستهزءوا،

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١١/١١٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٦٤، تفسير القرطبى ٨/١٩٦، تفسير ابن كثير ٢/٣٦٧، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١٩).

(٢) قراءة مجاهد كما روى عنه: «إن تُعْفَ عن طائفةٍ منكم»، بالتاءِ المضمومة «تُعَذَّبْ طائفة». انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٣، الكشاف ٢/٢٠٠، البحر المحيط ٥/٦٧، تفسير الفخر الرازى ١٦/١٢٤).
وقرأ «تُعَذَّبْ طائفة»، مع قراءة: «يُعْفَ، وتُعْفَ» حمزة، والكسائى، وابن عامر، وأبى عمرو، وابن كثير، ونافع، وأبى جعفر، وخلف، ويعقوب، ومجاهد. انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٤٥، السبعة ٣١٦، غيث النفع ٢٣٨، تحبير التيسير ٢٢٨، البحر المحيط ٥/٦٧، التبيان ٥/٢٥٢، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٧٦، الحجة لأبى زرعة ٣٢٠، التيسير ١١٨،١١٩، مجمع البيان ٥/٤٥، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٣، تفسير الفخر الرازى ١٦/١٢٤، النشر ٢/٢٨٠، تفسير الآلوسى ١٠/١٣٢).

﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [آية: ٦٦]، فقال المخش للنبي ﷺ: وكيف لا أكون منافقًا واسمي وأسمائي أخبث الأسماء، فقال له النبي ﷺ: «ما اسمك؟»، قال: المخش بن حمير الأشجعي حليف الأنصار لبني سلمة بن جشم، فقال النبي ﷺ: «أنت عبد الله بن عبد الرحمن، فقتل يوم اليمامة.

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

ثم أخبر عن المنافقين، فقال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾، يعني أولياء بعض في النفاق، ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾، يعني بالتكذيب بمحمد ﷺ، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾، يعني الإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به، ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾، يعني يمسكون عن النفقة في خير، ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، يقول: تركوا العمل بأمر الله، فتركهم الله عز وجل من ذكره، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٦٧].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ﴾، يعني مشركي العرب، ﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون، ﴿هِىَ حَسْبُهُمْ﴾، يقول: حسبهم بجهنم شدة العذاب، ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [آية: ٦٨]، يعني دائم.

هؤلاء المنافقون والكفار، ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، يعني من الأمم الخالية، ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً﴾، يعني بطشًا، ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ﴾، يعني بنصيبهم من الدنيا، ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ﴾[1]، يعني بنصيبكم من الدنيا، كقوله: ﴿لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ٧٧]، يعني لا نصيب لهم، ثم قال: ﴿كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم﴾ من الأمم الخالية، ﴿بِخَلَٰقِهِمْ﴾، يعني

---

(١) انظر: (معاني القرآن للفراء ١/٤٤٦، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٠، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣/٤٦٧).

بنصيبهم، ﴿وَخُضْتُمْ﴾ أنتم في الباطل والتكذيب، ﴿كَالَّذِي خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾، يعني بطلت أعمالهم، فلا ثواب لهم ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَ﴾ ولا في ﴿وَٱلْأٓخِرَةِ﴾؛ لأنها كانت في غير إيمان، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ٦٩].

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

ثم خوفهم، فقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾، يعني حديث ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، يعني عذاب ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾ [(١)]، يعني قوم شعيب، ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ [(٢)]، يعني المكذبات، يعني قوم لوط القرى الأربعة، ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ تخبرهم أن العذاب نازل بهم في الدنيا، فكذبوهم فأهلكوا، ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾، يعني أن يعذبهم على غير ذنب، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آية: ٧٠].

ثم ذكر المؤمنين وتقاهم، فقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾، يعني المصدقين بتوحيد الله، ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾، يعني المصدقات بالتوحيد، يعني أصحاب رسول الله ﷺ، منهم علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في الدين، ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، يعني الإيمان بمحمد ﷺ، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يعني ويتمون الصلوات الخمس، ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، يعني ويعطون الزكاة، ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٧١] في أمره.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

---

(١) انظر: (زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣/٤٦٨، تفسير القرطبي ٨/٢٠٢، تفسير ابن كثير ٢/٣٦٨).

(٢) انظر: (زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣/٤٦٨، معاني القرآن للفراء ١/٤٦٨، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٠).

﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ﴾، يعنى قصور الياقوت والدر، فتهب ريح طيبة من تحت العرش بكثبان المسك الأبيض، نظيرها فى ﴿هَلْ أَتَى﴾: ﴿نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]، عاليهم كثبان المسك الأبيض، ثم قال: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يعنى ورضوان الله عنهم، ﴿أَكْبَرُ ۚ﴾، يعنى أعظم مما أعطوا فى الجنة من الخير، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذواب ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ٧٢]، وفى ذلك أن الملك من الملائكة يأتى باب ولى الله، فلا يدخل عليه إلا بإذنه، والقصة فى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ﴾.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ (١)، يعنى كفار العرب بالسيف، ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ على المنافقين باللسان، ثم ذكر مستقرهم فى الآخرة، فقال: ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ﴾، يعنى مصيرهم جهنم، يعنى كلا الفريقين، ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٧٣]، يعنى حين يصيرون إليها.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾، وذلك أن النبى ﷺ أقام فى غزاة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن، ويعيب المنافقين المتخلفين، جعلهم رجسًا، فسمع من غزا مع النبى ﷺ من المنافقين، فغضبوا لإخوانهم المتخلفين، فقال جلاس بن سويد بن الصامت، وقد سمع عامر بن قيس الأنصارى، من بنى عمرو بن عوف، الجلاس يقول: والله لئن كان ما يقول محمد حقًا لإخواننا الذين خلفناهم وهم سراتنا وأشرافنا، لنحن أشر من الحمير، فقال عامر بن قيس للجلاس: أجل والله، إن محمدًا لصادق مصدق، ولأنت أشر من الحمار.

فلما قدم النبى ﷺ المدينة، أخبر عاصم بن عدى الأنصارى عن قول عامر بما قال الجلاس، فأرسل النبى ﷺ إلى عامر والجلاس، فذكر النبى ﷺ للجلاس ما قال، فحلف

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/١٢٦، تفسير الماوردى ٢/١٥٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٦٩، تفسير القرطبى ٨/٢٠٤، تفسير ابن كثير ٢/٣٧١، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٢٥٨).

الجلاس بالله ما قال ذلك، فقال عامر: لقد قاله وأعظم منه، فقال النبى ﷺ: «ما هو؟»، قال: أرادوا قتلك، فنفر الجلاس من ذلك، فقال النبى ﷺ: «قوما فاحلفا»، فقاما عند المنبر، فحلف الجلاس ما قال ذلك، وأن عامرًا كذب، ثم حلف عامر بالله إنه لصادق، ولقد سمع قوله، ثم رفع عامر بيده، فقال: اللهم أنزل على عبدك ونبيك تكذيب الكاذب وصدق الصادق، فقال النبى ﷺ: «آمين»، فأنزل فى الجلاس: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾.

﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ (١)، يعنى بعد إقرارهم بالإيمان، ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من قتل النبى ﷺ بالعقبة، ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾، فقال الجلاس: فقد عرض الله علىَّ التوبة، أجل والله لقد قلته، فصدق عامرًا، وتاب الجلاس وحسنت توبته، ثم قال: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من قتل النبى ﷺ، يعنى المنافقين أصحاب العقبة ليلة هموا بقتل النبى ﷺ بالعقبة بغزوة تبوك، منهم عبد الله بن أبى، رأس المنافقين، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح، وطعمة بن أبيرق، والجلاس بن سويد، ومجمع بن حارثة، وأبو عامر بن النعمان، وأبو الخواص، ومرارة بن ربيعة، وعامر بن الطفيل، وعبد الله بن عتيبة، ومليح التميمى، وحصن بن نمير، ورجل آخر، هؤلاء اثنا عشر رجلاً، وتاب أبو لبابة عن عبد المنذر، وهلال بن أمية، وكعب بن مالك الشاعر، وكانوا خمسة عشر رجلاً. ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾ ﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ عن التوبة، ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، يعنى شديدًا، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يمنعهم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [آية: ٧٤]، يعنى مانع من العذاب.

﴿۞ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨) الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/١٢٧، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٧١، تفسير القرطبى ٨/٢٠٦، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٢٥٨).

بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوٓا أَن يُجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

﴿ ۞ وَمِنْهُم ﴾، يعنى من المنافقين، ﴿مَّنْ عَٰهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ [1] ولنصلن رحمى، ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ٧٥]، يعنى من المؤمنين بتوحيد الله؛ لأن المنافقين لا يخلصون بتوحيد الله عز وجل، فأتاه الله برزقه، وذلك أن مولى لعمر بن الخطاب قتل رجلاً من المنافقين خطأ، وكان حميمًا لحاطب، فدفع النبى ﷺ دينه إلى ثعلبة بن حاطب، فبخل ومنع حق الله، وكان المقتول قرابة بن ثعلبة بن حاطب.

يقول الله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾، يعنى أعطاهم من فضله، ﴿بَخِلُوا بِهِۦ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آية: ٧٦].

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾، يعنى إلى يوم القيامة، ﴿بِمَآ أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [آية: ٧٧]، لقوله: لئن آتانا الله، يعنى أعطانى الله، لأصدقن ولأفعلن، ثم لم يفعل.

ثم ذكر أصحاب العقبة، فقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾، يعنى الذى أجمعوا عليه من قتل النبى ﷺ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ﴾ [آية: ٧٨].

ثم نعت المنافقين، فقال: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِى

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/١٣٠، تفسير الماوردى ٢/١٥٣، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٧٢، تفسير القرطبى ٨/٢٠٩، تفسير ابن كثير ٢/٣٧٣، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٢١، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٢٦٠).

﴿ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، وذلك أن النبى ﷺ أمر الناس بالصدقة وهو يريد غزاة تبوك، وهى غزاة العسرة، فجاء عبد الرحمن بن عوف الزهرى بأربعة آلاف درهم، كل درهم مثقال، فقال النبى ﷺ: «أكثرت يا عبد الرحمن بن عوف، هل تركت لأهلك شيئًا؟»، قال: يا رسول الله، ما لى ثمانية آلاف، أما أربعة آلاف فأقرضتها ربى، وأما أربعة آلاف الأخرى، فأمسكتها لنفسى، فقال له النبى ﷺ: «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت»، فبارك الله فى مال عبد الرحمن، حتى أنه يوم مات بلغ ثمن ماله لامرأتيه ثمانين ومائة ألف، لكل امرأة تسعون ألفًا.

وجاء عاصم بن عدى الأنصارى، من بنى عمرو بن عوف بسبعين وسقًا من تمر، وهو حمل بعير، فنثره فى الصدقة، واعتذر إلى النبى ﷺ من قلته، وجاء أبو عقيل بن قيس الأنصارى، من بنى عمرو، بصاع فنثره فى الصدقة، فقال: يا نبى الله، بت ليلتى أعمل فى النخل أجر بالجرين على صاعين، فصاع أقرته ربى، وصاع تركته لأهلى، فأحببت أن يكون لى نصيب فى الصدقة، ونفر من المنافقين جلوس، فمن جاء بشىء كثير، قالوا: مراء، ومن جاء بقليل، قالوا: كان هذا أفقر إلى ماله، وقالوا لعبد الرحمن وعاصم: ما أنفقتم إلا رياء وسمعة، وقالوا لأبى عقيل: لقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع أبى عقيل.

فسخروا وضحكوا منهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ﴾، يعنى يطعنون، يعنى معتب بن قيس، وحكيم بن زيد، ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[1]، يعنى عبد الرحمن بن عوف، وعاصم، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾، يعنى أبا عقيل، ﴿فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ﴾، يعنى من المؤمنين، ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾، يعنى سخر الله من المنافقين فى الآخرة، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٧٩]، يعنى وجيع، نظيرها: ﴿**إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ**﴾ [هود: ٣٨]، يعنى سخر الله من المنافقين.

﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾، يعنى المنافقين، ﴿أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [آية:

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣٤/١٠، تفسير الماوردى ١٥٤/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٧٦/٣، تفسير القرطبى ٢١٥/٨، تفسير ابن كثير ٣٧٥/٢، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٢١، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢٦٣/٣).

٨٠]، فقال عمر بن الخطاب: لا تستغفر لهم بعد ما نهاك الله عنه، فقال النبى ﷺ: «يا عمر، أفلا أستغفر لهم إحدى وسبعين مرة».

فأنزل الله عز وجل: ﴿**سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [المنافقون: ٦] من شدة غضبه عليهم، فصارت الآية التى فى براءة منسوخة، نسختها التى فى المنافقين: ﴿**أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ﴾ [(١)] عن غزاة تبوك، ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ وهم بضع وثمانون رجلاً، منهم من اعتل بالعسرة، وبغير ذلك، ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ﴾ بعضهم لبعض: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ﴾ مع محمد ﷺ إلى غزاة تبوك فى سبعة نفر، أبو لبابة وأصحابه، قالوا بأن الحر شديد والسفر بعيد، ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾ [آية: ٨١]، فى قراءة ابن مسعود: لو كانوا يعلمون.

﴿فَلْيَضْحَكُواْ﴾ فى الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ [(٢)]، يعنى بالقليل الاستهزاء، فإن ضحكهم ينقطع، ﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ فى الآخرة فى النار ندامة، والكثير الذى لا ينقطع، ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [آية: ٨٢].

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ من غزاة تبوك إلى المدينة، ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا﴾ فى غزاة، ﴿وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، يعنى من تخلف من المنافقين، وهى طائفة، وليس كل من تخلف عن غزاة تبوك منافق، ﴿فَٱقْعُدُواْ﴾ عن الغزو ﴿مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ [(٣)] [آية: ٨٣]، منهم: عبد الله بن أبى، وجد بن قيس، ومعتب بن قشير.

وذلك أن عبد الله بن أبى رأس المنافقين توفى، فجاء ابنه إلى النبى ﷺ، فقال: أنشدك

---

(١) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٧٨، تفسير القرطبى ٨/٢١٦، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٢٦٥).

(٢) انظر: (تفسير الماوردى ٢/١٥٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢/٤٧٩، تفسير القرطبى ٨/٢١٦).

(٣) انظر: (البحر المحيط ٥/٨١ الكشاف ٢/٢٠٦، مختصر شواذ القراءات ٥٤، تفسير الآلوسى ١٠/١٥٣).

بالله أن تشمت بى الأعداء، فطلب إلى النبى ﷺ أن يصلى على أبيه، فأراد النبى ﷺ أن يفعل، فنزلت فيه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾، يعنى من المنافقين، ﴿مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾، يعنى بتوحيد الله، ﴿وَ﴾ كفروا بـ ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ بأنه ليس برسول، ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [آية: ٨٤]، فانصرف النبى ﷺ فلم يصل عليه، وأمر أصحابه فصلوا عليه.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾، يقول: وتذهب ﴿أَنفُسُهُمْ﴾ كفارًا، يعنى يموتون على الكفر، فذلك قوله: ﴿وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [آية: ٨٥].

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾، يعنى براءة فيها ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾، يعنى أن صدقوا بالله وبتوحيده، ﴿وَجَـٰهِدُوا۟﴾ العدو ﴿مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ﴾ يا محمد ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾، يعنى أهل السعة من المال منهم، يعنى من المنافقين، ﴿وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾ [آية: ٨٦]، يعنى مع المتخلفين عن الغزو، منهم: جد بن قيس، ومعتب بن قشير.

يقول الله: ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾، يعنى مع النساء، ﴿وَطُبِعَ﴾، يعنى وختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر، ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [آية: ٨٧] التوحيد.

ثم نعت المؤمنين، فقال: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ﴾ العدو ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ﴾ فى سبيل الله، يعنى فى طاعة الله، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (١) [آية: ٨٨].

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ فى الآخرة ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ لا يموتون، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الثواب الذى ذكر هو ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ٨٩].

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ (٢) إلى النبى ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ القعود، وهم خمسون رجلاً، منهم أبو الخواص الأعرابى، ﴿وَقَعَدَ﴾ عن الغزو ﴿ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ﴾، يعنى بتوحيد الله، ﴿وَ﴾ كذبوا بـ ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ أنه ليس برسول، ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾، يعنى المنافقين، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٩٠]، يعنى وجيع.

ثم رخص، فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾، يعنى الزمنى والشيخ الكبير، ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ فى القعود، ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لتخلفهم عن الغزو، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٩١] بهم، يعنى جهينة، ومزينة، وبنى عذرة.

﴿وَلَا﴾ حرج ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ﴾ لهم يا محمد: ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ﴾، يعنى انصرفوا عنك، ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [آية: ٩٢] فى غزاتهم، نزلت فى سبع نفر، منهم: عمرو بن عبسة من بنى عمرو بن يزيد بن عوف، وعلقمة بن يزيد، والحارث من بنى واقد، وعمرو بن حزام من بنى سلمة، وسالم بن عمير من عمرو بن عوف، وعبد الرحمن بن كعب من بنى النجار، هؤلاء الستة من الأنصار، وعبد الله بن معقل المزنى، ويكنى أبا ليلى عبد الله.

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ

(١) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢/٤٨٢، تفسير القرطبى ٨/٢٢٤).
(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٤٧، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩١، تفسير الطبرى ١٠/١٤٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٨٣، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢/٢٦٦).

عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾

وذلك أنهم أتوا النبى ﷺ، فقالوا: احملنا، فإنا لا نجد ما نخرج عليه، فقال النبى ﷺ: ﴿ **لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا** ﴾، انصرفوا من عنده وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون، ثم عاب أهل السعة، فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾، يعنى مع النساء بالمدينة، وهم المنافقون، ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾، يعنى وختم على قلوبهم بالكفر، يعنى المنافقين، ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [آية: ٩٣].

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ من غزاتكم، يعنى عبد الله بن أبى، ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ﴾، يعنى لن نصدقكم بما تعتذرون، ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾، يقول: قد أخبرنا الله عنكم وعن ما قلتم حين قال لنا: ﴿ **لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً** ﴾، يعنى إلا عيًا، ﴿ **ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ** ﴾ [التوبة: ٤٧]، فهذا الذى نبأنا الله من أخباركم، ثم قال: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ فيما تستأذنون، ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾، يعنى شهادة كل نجوى، ﴿فَيُنَبِّئُكُم ﴾ فى الآخرة، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [آية: ٩٤] فى الدنيا.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ ﴾، يعنى إذا رجعتم ﴿إِلَيْهِمْ ﴾ إلى المدينة، ﴿لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ﴾ فى التخلف، ﴿فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [آية: ٩٥]، فحلف منهم بضع وثمانون رجلاً، منهم: جد بن قيس، ومعتب بن قشير، وأبو لبابة، وأصحابه.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ﴾، وذلك أن عبد الله بن أبى حلف للنبى ﷺ بالله الذى لا إله إلا هو، لا نتخلف عنك، ولنكونن معك على عدوك، وطلب إلى النبى ﷺ بأن يرضى عنه وأصحابه، يقول الله: ﴿فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ﴾، يعنى عن المنافقين المتخلفين، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [آية: ٩٦]، يعنى العاصين.

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

وقال النبى ﷺ حين قدموا المدينة: «لا تجالسوهم، ولا تكلموهم»، ثم قال: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ (١)، يعنى سنن ما أنزل الله على رسوله فى كتابه، يقول: هم أقل فهمًا بالسنن من غيرهم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ٩٧].

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ فى سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ لا يحتسبها، كان نفقته غرم يغرمها، ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾، يعنى يتربص بمحمد الموت، يقول: يموت فنستريح منه ولا نعطيه أموالنا، ثم قال: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بمقالتهم ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾، نزلت فى أعراب مزينة، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٩٨] بها.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، يعنى يصدق بالله أنه واحد لا شريك له، ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، يعنى يصدق بالتوحيد وبالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ فى سبيل الله ﴿قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾،

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٤٩/١، معانى القرآن للزجاج ٥١٥/٢، تفسير الطبرى ٤/١١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٨٨/٣، تفسير القرطبى ٢٣١/٨، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢٦٨/٣).

يعنى واستغفار النبى ﷺ، ويتخذ النفقة والاستغفار قربات، يعنى زلفى عند الله، فيها تقديم، يقول: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ﴾ عند الله، ثم أخبر بثوابهم، فقال: ﴿سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ﴾، يعنى جنته، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لذنوبهم، ﴿رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٩٩] بهم، نزلت فى مقرن المزنى.

ثم قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الإسلام، ﴿ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾(١) الذين صلوا إلى القبلتين، على بن أبى طالب، عليه السلام، وعشر نفر من أهل بدر، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ على دينهم الإسلام، ﴿بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ بالطاعة، ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ بالثواب، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ﴾ فى الآخرة ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي﴾ من ﴿تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، يعنى بساتين تجرى تحتها الأنهار، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ﴾ لا يموتون، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الثواب ﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [آية: ١٠٠].

﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ﴾(٢)، يعنى جهينة، ومزينة، وأسلم، وغفار، وأشجع، كانت منازلهم حول المدينة وهم منافقون، ثم قال: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ﴾ منافقون، ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾، يعنى حذقوا، منهم: عبد الله بن أبى، وجد بن قيس، والجلاس، ومعتب بن قشير، ووحوج بن الأسلت، وأبو عامر بن النعمان الراهب، الذى سماه النبى ﷺ الفاسق، وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة، ﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ﴾ يا محمد، ﴿نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ﴾، يقول للنبى ﷺ: لا تعرف نفاقهم، نحن نعرف نفاقهم، ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ عند الموت تضرب الملائكة الوجوه والأدبار، وفى القبر منكر ونكير، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾ [آية: ١٠١]، يعنى عذاب جهنم.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾، يعنى غزاة قبل غزاة تبوك مع النبى ﷺ، ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ تخلفهم عن غزاة تبوك، نزلت فى أبى لبابة، اسمه مروان بن عبد

---

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٤، إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٧، إعراب القرآن للعكبرى ٢/١١، البحر المحيط ٥/٩٢، التبيان ٥/٢٨٧، تفسير الطبرى ١١/٧، الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٣٥، الكشاف ٢/٢١٠، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٤، تحبير التيسير ١١٨، مجمع البيان ٥/٦٤، معانى القرآن للفراء ٢/٣٣٦، معانى القرآن للأخفش ٢/٣٣٦، تفسير الفخر الرازى ١٦/١٧١، النشر ٢/٢٨٠، تفسير الآلوسى ١١/٨).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٥٠، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٢، معانى القرآن للزجاج ٢/٥١٧، تفسير الطبرى ١١/٨، تفسير الماوردى ٢/١٦١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٩٢، تفسير القرطبى ٨/٢٤١).

المنذر، وأوس بن حزام، ووديعة بن ثعلبة، كلهم من الأنصار، وذلك حين بلغهم أن النبى ﷺ قد أقبل راجعًا من غزاة تبوك، وبلغهم ما أنزل الله عز وجل فى المتخلفين، أوثقوا أنفسهم هؤلاء الثلاثة إلى سوارى المسجد، وكان النبى ﷺ إذا قدم من غزاة صلى فى المسجد ركعتين قبل أن يدخل إلى أهله، وإذا خرج إلى غزاة صلى ركعتين، فلما رآهم موثقين، سأل عنهم، قيل: هذا أبو لبابة وأصحابه، ندموا على التخلف، وأقسموا ألا يحلوا أنفسهم حتى يحلهم النبى ﷺ، فقال النبى ﷺ: «وأنا أحلف لا أطلق عنهم حتى أومر، ولا أعذرهم حتى يعذرهم الله عز وجل»، فأنزل الله فى أبى لبابة وأصحابه: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [1]، يعنى غزوتهم قبل ذلك، ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾، يعنى تخلفهم بغير إذن، ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لتخلفهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٠٢] بهم.

قال مقاتل: العسى من الله واجب، فلما نزلت هذه الآية حلهم النبى، عليه السلام، فرجعوا إلى منازلهم، ثم جاءوا بأموالهم إلى النبى ﷺ، فقالوا: هذه أموالنا التى تخلفنا من أجلها عنك، فتصدق بها، فكره النبى ﷺ أن يأخذها، فأنزل الله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ [2] من تخلفهم، ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾، يعنى وتصلحهم ﴿بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ﴾، يعنى واستغفر لهم، ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ﴾، يعنى إن استغفارك لهم سكن لقلوبهم وطمأنينة لهم، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولهم: خذ أموالنا فتصدق بها، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ١٠٣] بما قالوا.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ﴾، يعنى ويقبل ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٠٤]، فأخذ النبى ﷺ من أموالهم التى جاءوا بها الثلث، وترك الثلثين؛ لأن الله عز وجل، قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾، ولم يقل: خذ أموالهم، فلذلك لم يأخذها كلها، فتصدق بها عنهم.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١١/١٠، تفسير الماوردى ١٦٢/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٩٣/٣، تفسير القرطبى ٢٤٢/٨، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٢٣، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢٧٥/٣).

(٢) انظر: (الكشاف ٢١٢/٢، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٨، البحر المحيط ٩٥/٥، تفسير الطبرى ١٣/١١، تفسير الماوردى ١٦٣/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٩٥/٣).

﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٠٦﴾

﴿وَقُلِ﴾ لهم يا محمد: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ فيما تستأنفون، ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٠٥].

﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ﴾، يعنى التوبة عن أمر الله، نظيرها: ﴿أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١]، يعنى أوقفه وأخاه حتى ننظر فى أمرهما، ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ﴾[1]، يعنى موقوفون للتوبة عن أمر الله مرارة بن ربيعة من بنى زيد، وهلال بن أمية من الأنصار من أهل قباء من بنى واقب، وكعب بن مالك الشاعر من بنى سلمة، كلهم من الأنصار من أهل قباء، لم يفعلوا كفعل أبى لبابة، لم يذكروا بالتوبة ولا بالعقوبة، فذلك قوله: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾، فيتجاوز عنهم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ١٠٦] فى قراءة ابن مسعود: والله غفور رحيم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١١٠﴾

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا﴾[2]، يعنى مسجد المنافقين، ﴿وَكُفۡرٗا﴾ فى قلوبهم، يعنى النفاق، ﴿وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، نزلت فى اثنى عشر رجلاً من المنافقين، وهم من الأنصار كلهم، من بنى عمرو بن عوف، منهم: حرج بن خشف، وحارثة بن عمرو، وابنه زيد بن حارثة، ونفيل بن الحرث، ووديعة بن ثابت، وحزام بن

---

(١) انظر: (تفسير الماوردى ٢/١٦٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٩٧، تفسير القرطبى ٨/٢٥٢).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١١/١٧، معانى القرآن للزجاج ٢/٥١٩، تفسير الماوردى ٢/١٦٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٩٨، تفسير القرطبى ٨/٢٥٣، تفسير ابن كثير ٢/٣٨٧، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٢٤).

خالد، ومجمع بن حارثة، قالوا: نبنى مسجدًا نتحدث فيه ونخلوا فيه، فإذا رجع أبو عامر الراهب اليهودى من الشام أبو حنظلة غسيل الملائكة، قلنا له: بنيناه لتكون إمامنا فيه.

فذلك قوله: ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾، يعنى أبا عامر الذى كان يسمى الراهب؛ لأنه كان يتعبد ويلتمس العلم، فمات كافرًا بقنسرين لدعوة النبى ﷺ، وأنهم أتوا النبى ﷺ، فقالوا: يبعد علينا المشى إلى الصلاة، فأذن لنا فى بناء مسجد، فأذن لهم، ففرغوا منه يوم الجمعة، فقالوا للنبى ﷺ: من يؤمهم؟ قال: «رجل منهم»، فأمر مجمع بن حارثة أن يؤمهم، فنزلت هذه الآية، وحلف مجمع: ما أردنا ببناء المسجد إلا الخير، فأنزل الله عز وجل فى مجمع: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ١٠٧] فيما يحلفون.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ﴾، يعنى فى مسجد المنافقين إلى الصلاة أبدًا، كان النبى ﷺ لا يصلى فيه، ولا يمر عليه، ويأخذ غير ذلك الطريق، وكان قبل ذلك يصلى فيه، ثم قال: ﴿لَّمَسْجِدٌ﴾، يعنى مسجد قباء، وهو أول مسجد بنى بالمدينة، ﴿أُسِّسَ﴾(١)، يعنى بنى، ﴿عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾، يعنى أول مرة، ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ﴾ إلى الصلاة؛ لأنه كان بنى من قبل مسجد المنافقين، ثم قال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ﴾، يعنى فى مسجد قباء، ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ﴾، من الأحداث والجنابة، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [آية: ١٠٨]، نزلت فى الأنصار.

فلما نزلت هذه الآية، انطلق النبى ﷺ حتى قام على باب مسجد قباء، وفيه المهاجرون والأنصار، فقال النبى ﷺ لأهل المسجد: «أمؤمنون أنتم؟»، فسكتوا فلم يجيبوه، ثم قال ثانية: «أمؤمنون أنتم؟»، قال عمر بن الخطاب: نعم، فقال النبى ﷺ: «أتؤمنون بالقضاء؟»، قال عمر: نعم، فقال النبى ﷺ: «أتصبرون على البلاء؟»، قال عمر: نعم، فقال النبى ﷺ: «أتشكرون على الرخاء؟»، فقال عمر: نعم، فقال النبى ﷺ: «أنتم مؤمنون ورب الكعبة»، وقال النبى ﷺ للأنصار: «إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فى أمر الطهور، فماذا تصنعون؟»، قالوا: نمر الماء على أثر البول والغائط، فقرأ النبى ﷺ هذه الآية: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾، ثم إن مجمع بن

(١) انظر: (تفسير الماوردى ١٦٦/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٥٠١/٣، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢٧٨/٣، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٢، معانى القرآن للزجاج ٥٢١/٢، تفسير القرطبى ٢٦٤/٨).

حارثة حسن إسلامه، فبعثه عمر بن الخطاب إلى الكوفة يعلمهم القرآن، وهو علم عبد الله بن مسعود، لقنه القرآن.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾[1]، يعني مسجد قباء، ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾[2]، يقول: مما يراد فيه من الخير ورضى الرب، ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ أصل بنيانه ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾، يعنى على حرف ليس له أصل، ﴿هَارٍ﴾، يعنى وقع، ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ فجر به القواعد، ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾، يقول: صار البناء إلى نار جهنم، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٠٩].

فلما فرغ القوم من بناء المسجد استأذنوا النبى ﷺ فى القيام فى ذلك المسجد، وجاء أهل مسجد قباء، فقالوا: يا رسول الله، إنا نحب أن تأتى مسجدنا فتصلى فيه حتى نقتدى بصلاتك، فمشى رسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه وهو يريد مسجد قباء، فبلغ ذلك المنافقون، فخرجوا يتلقونه، فلما بلغ المنتصف، نزل جبريل بهذه الآية: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ﴾، يعنى أهل مسجد قباء، ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾، فلما قالها جرف نظر النبى ﷺ إلى المسجد، حتى تهور فى السابعة، فكاد يغشى على النبى ﷺ، وأسرع الرجوع إلى موضعه، وجاء المنافقون يعتذرون بعد ذلك، فقبل علانيتهم، ووكل سر أثرهم إلى الله عز وجل.

فقال الله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾، يعنى حسرة وحزازة فى قلوبهم؛ لأنهم ندموا على بنائه، ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾، يعنى حتى الممات، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ١١٠]، فبعث النبى ﷺ عمار بن ياسر، ووحشى مولى المطعم بن عدى، فحزفاه فخسف به فى نار جهنم، وأمر أن يتخذ كناسة ويلقى فيه الجيف، وكان مسجد قباء فى بنى سالم، وبنى بعد هجرة النبى ﷺ بأيام.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ

---

(١) انظر: (مجمع البيان ٧٠/٥، مختصر شواذ القراءات ٥٥، معانى القرآن للفراء ٤٥٢/١. إعراب القرآن للعكبرى ٤١/٢، البحر المحيط ١٠٠/٥، الجامع لأحكام القرآن ٢٦٤/٨ الكشاف ٢١٥/٢).

(٢) انظر: (الكشاف ٢١٥/٢، مختصر شواذ القراءات ٥٥، البحر المحيط ١٠٠/٥، الجامع لأحكام القرآن ٢٦٤/٨، حاشية يس ٣٨٤/٢).

وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

ثم رغب الله فى الجهاد، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾، يعنى بقية آجالهم، ﴿وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ﴾ العدو، ﴿وَيُقْتَلُونَ ۖ﴾، ثم يقتلهم العدو، ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ حتى ينجز لهم ما وعدهم، يعنى ما ذكر من وعدهم فى هذه الآية، وذلك أن الله عهد إلى عباده أن من قتل فى سبيل الله فله الجنة، ثم قال: ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾، فليس أحدًا أوفى منه عهدًا، ثم قال: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ﴾ الرب بإقراركم، ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الثواب ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ١١١]، يعنى النجاء العظيم، يعنى الجنة.

ثم نعت أعمالهم، فقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ من الذنوب، ﴿ٱلْعَٰبِدُونَ﴾[١]، يعنى الموحدين، ﴿ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾[٢]، يعنى الصائمين، ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ فى الصلاة المكتوبة، ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، يعنى بالإيمان بتوحيد الله، ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، يعنى عن الشرك، ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ﴾، يعنى ما ذكر فى هذه الآية لأهل الجهاد، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١١٢]، يعنى

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٢/٤٣ إعراب القرآن للعكبرى ٢/١٣، مجمع البيان ٥/٧٤، الكشاف ٢/٢١٦، التبيان ٥/٣٠٧، البحر المحيط ٥/١٠٤، مختصر شواذ القراءات ٥٥، تفسير الفخر الرازى ١٦/٢٠٢، تفسير الآلوسى ١١/٣٠).

(٢) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٣، معانى القرآن للزجاج ٢/٥٢٤، تفسير الطبرى ١١/٢٨، تفسير الماوردى ٢/١٦٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٥٠٦، تفسير القرطبى ٨/٢٦٩).

الصادقين بهذا الشرط بالجنة.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (١) إلى آخر الآية، وذلك أن النبى ﷺ سأل بعدما افتتح مكة: «أى أبويه أحدث به عهدًا؟»، قيل له: أمك آمنة بنت وهب بن عبد مناف، قال: «حتى أستغفر لها، فقد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك»، فهم النبى ﷺ بذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾، يعنى ما ينبغى للنبى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا﴾ كانوا كافرين فـ﴿تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ﴾ [آية: ١١٣] حين ماتوا على الكفر، نزلت فى محمد ﷺ، وعلى بن أبى طالب، عليه السلام.

فقد استغفر إبراهيم لأبيه وكان كافرًا، فبين الله كيف كانت هذه الآية، فقال: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ (٢)، وذلك أنه كان وعد أباه أن يستغفر له، فلذلك استغفر له، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ﴾ لإبراهيم ﴿أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ حين مات كافرًا، لم يستغفر له، و﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾، يعنى لموقن بلغة الحبشة، ﴿حَلِيمٌ﴾ [آية: ١١٤]، يعنى تقى زكى.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ (٣)، وذلك أن الله أنزل فرائض، فعمل بها المؤمنون، ثم أنزل بعدما نسخ به الأمر الأول فحولهم إليه، وقد غاب أناس لم يبلغهم ذلك، فيعملوا بالناسخ بعد النسخ، وذكروا ذلك للنبى ﷺ، فقالوا: يا نبى الله، كنا عندك والخمر حلال، والقبلة إلى بيت المقدس، ثم غبنا عنك، فحولت القبلة و لم نشعر بها، فصلينا إليها بعد التحويل والتحريم، وقالوا: ما ترى يا رسول الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ المعاصى، يقول: ما كان الله ليترك قومًا حتى يبين لهم ما يتقون حين رجعوا من الغيبة، وما يتقون من المعاصى، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [آية: ١١٥] من أمرهم بنسخ ما يشاء من القرآن، فيجعله منسوخًا ويقر ما يشاء فلا ينسخه.

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١١/٣٠، تفسير الماوردى ٢/١٧٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٥٠٧، تفسير القرطبى ٨/٢٧٢، تفسير ابن كثير ٢/٣٩٣، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٢٦، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٢٨٢).

(٢) انظر: (الكشاف ٢/٢١٧، البحر المحيط ٥/١٠٥، تفسير الآلوسى ١١/٣٤، تفسير الماوردى ٢/١٧١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٥٠٩، تفسير القرطبى ٨/٢٧٤).

(٣) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٥١٠، تفسير القرطبى ٨/٢٧٧).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ﴾، الأحياء، ﴿وَمَا لَكُم﴾ معشر الكفار ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾، يعنى من قريب بنفسكم، ﴿وَلَا نَصِيرٖ﴾ [آية: ١١٦]، يعنى ولا مانع لقول الكفار: إن القرآن ليس من عند الله، إنما يقوله محمد من تلقاء نفسه، نظيرها فى البقرة: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ...**﴾ إلى آخر الآية، ﴿**أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة: ١٠٦].

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾، يعنى تجاوز الله عنهم، ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ ﷺ، ﴿وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾، ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾، يعنى غزاة تبوك، وأصاب المسلمين جهد وجوع شديد، فكان الرجلان والثلاثة يعتقبون بعيرًا سوى ما عليه من الزاد، وتكون التمرة بين الرجلين والثلاثة، يعمد أحدهما إلى التمرة فيلوكها، ثم يعطيها الآخر فيلوكها، ثم يراها آخر، فيناشده أن يجهدها، ثم يعطيها إياه، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ (١)، يعنى تميل، ﴿قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾، يعنى طائفة منهم إلى المعصية، ألا ينفروا مع النبى ﷺ إلى غزاة تبوك، فهذا التجاوز الذى قال الله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ (٢) ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾، يعنى تجاوز عنهم، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [آية: ١١٧]، يعنى يرق لهم، حين تاب عليهم، يعنى أبا لبابة وأصحابه.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

ثم ذكر الذين خلفوا عن التوبة، فقال: ﴿وَ﴾ تاب الله، ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: (معانى القرآن للزجاج ٢/٥٢٦، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٥١٢).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١١/٣٩، تفسير الماوردى ٢/١٧٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٥١١، تفسير القرطبى ٨/٢٧٨، تفسير ابن كثير ٢/٣٩٦، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٢٧).

خُلِّفُوا﴾ عن التوبة بعد أبى لبابة وأصحابه، وهم ثلاثة: مرارة بن ربيعة، وهلال بن أمية، وكعب بن مالك، ولم يذكر توبتهم، ولا عقوبتهم، وذلك أنهم لم يفعلوا كفعل أبى لبابة وأصحابه، فلم ينزل فيهم شيء شهرًا، فكان الناس لا يكلمونهم، ولا يخالطونهم، ولا يبايعونهم، ولا يشترون منهم، ولا يكلمهم أهلهم، فضاقت عليهم الأرض، فأنزل الله عز وجل فيهم بعد شهور أو شهر: ﴿وَ﴾ تاب أيضًا ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا﴾[1] عن التوبة، يعنى بعد أبا لبابة، وهم: مرارة بن ربيعة، وهلال بن أمية، وكعب بن مالك.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾، يقول: ضاقت الأرض بسعتها؛ لأنه لم يخالطهم أحد، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾، يعنى وأيقنوا ألا حرز من الله، ﴿إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا﴾، يعنى تجاوز عنهم لكى يتوبوا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ على من تاب، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١١٨] بهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله عز وجل، ﴿ٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾، ولا تعصوه فى الهجرة، ﴿وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آية: ١١٩] فى إيمانهم، وقد أخبر عن الصادقين، فقال: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾** [الحجرات: ١٥].

ثم ذكر المؤمنين الذين لم يتخلفوا عن غزاة تبوك، فقال: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾، عن غزاة تبوك، ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾[2]، يعنى عطشًا، ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾، يعنى

(١) انظر: (البحر المحيط ٥/١١٠، الكشاف ٢/٢١٨، مجمع البيان ٥/٧٨، الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٨١، ٢٨٢، تفسير الفخر الرازى ١٦/٢١٧).

(٢) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٥١٥، تفسير القرطبى ٨/٣٩٠، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٢٩٢).

ولا مشقة فى أجسادهم، ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾[1]، يعنى الجوع والشدة، ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾، من سهل، ولا جبل، ﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ﴾ من عدوهم، ﴿نَّيْلًا﴾ من قتل فيهم، أو غارة عليهم، ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ١٢٠]، يعنى جزاء المحسنين، ولكن يجزيهم بإحسانهم.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً﴾ فى سبيل الله، ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾، يعنى قليلاً ولا كثيرًا، ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ من الأودية مقبلين ومدبرين، ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا﴾، يعنى الذى ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٢١].

﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾، وذلك أن الله عاب فى القرآن من تخلف عن غزاة تبوك، فقالوا: لا يرانا الله أن نتخلف عن النبى ﷺ فى غزاته، ولا فى بعث سرية، فكان النبى ﷺ إذا بعث سرية، رغبوا فيها رغبة فى الأجر، فأنزل الله عز وجل: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، يعنى ما ينبغى لهم أن ينفروا إلى عدوهم، ﴿كَآفَّةً﴾، يعنى جميعًا، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾[2]، يعنى فهلا نفر، ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ﴾، يعنى من كل عصبة منهم، ﴿طَآئِفَةٌ﴾، وتقيم طائفة مع النبى ﷺ، فيتعلمون ما يحدث الله عز وجل على نبيه ﷺ، من أمر، أو نهى، أو سُنة، فإذا رجع هؤلاء الغيب، تعلموا من إخوانهم المقيمين.

فذلك قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾، يعنى المقيمين، ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾، يعنى وليحذروا إخوانهم ﴿إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ من غزاتهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [آية:

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٣، معانى القرآن للزجاج ٢/٥٢٧، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٥١٥، تفسير القرطبى ٨/٢٩٠).

(٢) انظر: (معانى القرآن للزجاج ٢/٥٢٩، تفسير الطبرى ١١/٥٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٥٢٠، تفسير القرطبى ٨/٢٩٩).

١٢٢]، يعنى لكى يحذروا المعاصى التى عملوا بها قبل النهى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، يعنى صدقوا بالله عز وجل، ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾، يعنى الأقرب فالأقرب، ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾، يعنى شدة عليهم بالقول، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ١٢٣] فى النصر لهم على عدوهم.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ على النبى ﷺ، ﴿فَمِنْهُم﴾، من المنافقين، ﴿مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ﴾ السورة ﴿إِيمَٰنًا﴾، يعنى تصديقًا مع تصديقه بما أنزل الله عز وجل من القرآن من قبل هذه السورة، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [آية: ١٢٤] بنزولها.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، يعنى الشك فى القرآن، وهم المنافقون، ﴿فَزَادَتْهُمْ﴾ السورة ﴿رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾، يعنى إثمًا إلى إثمهم، يعنى نفاقًا مع نفاقهم الذى هم عليه قبل ذلك، ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ١٢٥].

ثم أخبر عن المنافقين، فقال: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾، وذلك أنهم كانوا إذا خلوا تكلموا فيما لا يحل لهم، وإذا أتوا النبى ﷺ أخبرهم بما تكلموا به فى الخلاء، فيعلمون أنه نبى رسول، ثم يأتيهم الشيطان، فيحدثهم أن محمدًا إنما أخبركم بما قلتم؛ لأنه بلغه عنكم، فيشكون فيه.

فذلك قوله: ﴿يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾، فيعرفون أنه نبى، وينكرون أخرى، يقول الله: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [آية: ١٢٦] فيما أخبرهم النبى ﷺ بما تكلموا به، فيعرفوا ولا يعتبروا.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ﴾ المنافقون ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يسخرون بينهم، يعنى

يتغامزون، فقالوا: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾[(١)]، يعني أصحاب محمد ﷺ، ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ عن الإيمان بالسورة، يقول: أعرضوا عن الإيمان بها، ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الإيمان بالقرآن، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [آية: ١٢٧].

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[(٢)] تعرفونه ولا تنكرونه، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، يقول: يعز عليه ما أثمتم في دينكم، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ بالرشد والهدى، ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٢٨]، يعني يرق لهم، رحيم بهم، يعني حين يودهم، كقوله: الرأفة، يعني الرقة والرحمة، يعني مودة بعضكم لبعض، كقوله: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، يعني متوادين.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عنك، يعني فإن لم يتبعوك على الإيمان يا محمد، ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، يعني به واثق، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ١٢٩]، يعني بالعظيم العرش، فنزلت هاتان الآيتان بمكة، وسائرها بالمدينة.

* * *

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٣، تفسير الطبري ١١/٥٥، تفسير الماوردى ٢/١٧٧، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٥٢١، تفسير القرطبى ٨/٣٠٢).

(٢) انظر: (الكشاف ٢/٢٢٣، مجمع البيان ٥/٨٥ مختصر شواذ القراءات ٥٦، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٦، البحر المحيط ١١٨، الجامع لأحكام القرآن ٨/٣٠١).

سُورَةُ يُونُسَ

سورة يونس كلها مكية، غير آيتين، وهما قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ...﴾ إلى قوله: ﴿...فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آية: ٩٤، ٩٥]، فإنهما مدنيتان، وجملتها مائة وتسع آيات في عدد الكوفي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (١) [آية: ١]، يعني المحكم، يقال: الألف واللام والراء، فهن آيات الكتاب، يعني علامات الكتاب، يعني القرآن الحكيم، يعني المحكم من الباطل، ولا كذب فيه، ولا اختلاف.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ (٢)، يعني بالناس كفار أهل مكة عجبًا، ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾، يعني بالرجل محمدًا ﷺ يعرفونه ولا ينكرونه، ﴿أَنْ أَنذِرِ﴾، يعني حذر ﴿ٱلنَّاسَ﴾ عقوبة الله عز وجل ونقمته إذا عصوه، ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾، يعني صدقوا بمحمد ﷺ وبما في القرآن من الثواب، ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ بأعمالهم التي قدموها بين أيديهم، ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾، يعني سلف خير ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾، يعني ثواب صدق يقدمون عليه، وهو الجنة، ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ من أهل مكة، يعني أبا جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل السهمي، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأهل مكة، ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ﴾، يعني محمدًا ﷺ، ﴿مُّبِينٌ﴾ [آية: ٢]، يعني بين قوله.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

(١) انظر: (تفسير الطبري ١١/٥٧، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤/٤، تفسير القرطبي ٨/٣٠٤، تفسير ابن كثير ٢/٤٠٥، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٣/٢٩٩).

(٢) انظر: (تفسير الماوردي ٢/١٨٠، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤/٦، تفسير القرطبي ٨/٣٠٦).

﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يوم الأحد ويوم الاثنين، ﴿وَ﴾ خلق ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، وما بينهما يوم الخميس ويوم الجمعة، ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، فيها تقديم، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، ثم خلق السموات والأرض، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾، يقضى القضاء وحده لا يدبره غيره، ﴿مَا مِن شَفِيعٍ﴾ من الملائكة لبنى آدم، ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾، يعنى لا يشفع أحد إلا بإذنه، ولا يشفع إلا لأهل التوحيد، فذلك قوله: ﴿**إلاَّ مِن بَعْدِ أن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى**...﴾ [النجم: ٢٦]، فرضى الله للملائكة أن يشفعوا للموحدين، ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾، يعنى هكذا ﴿رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾، يعنى فوحدوه ولا تشركوا به شيئًا، ﴿أَفَلَا﴾، يعنى فهلا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٣] فى ربوبيته ووحدانيته.

ثم قال: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بعد الموت، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ (١)، ولم يك شيئًا كذلك يعيده من بعد الموت، ﴿لِيَجْزِىَ﴾، يعنى لكى يثيب فى البعث، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعنى صدقوا، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، يعنى وأقاموا الفرائض ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾، يعنى بالحق وبالعدل وثوابهم الجنة، ﴿وَ﴾ يجزى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتوحيد الله، ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾، وذلك الشراب قد أوقد عليه مذ يوم خلقها الله عز وجل إلى يوم يدخلها أهلها، فقد انتهى حرها، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، يعنى وجيع، نظيرها فى الواقعة: ﴿**فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ**﴾ [الواقعة: ٩٣]، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [آية: ٤] بتوحيد الله عز وجل.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى

---

(١) قراءة أبى جعفر والأعمش وسهل بن شعيب «وعْدُ اللهِ حَقٌّ أنه يَبْدأُ الخَلْق ثم يُعيده» وقراءة عبدالله بن مسعود، وابن أبى عبلة. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٢/٤٩، إعراب القرآن للعكبرى ٢/١٣، تفسير الطبرى ١١/٦١، الكشاف ٢/٢٢٥، مجمع البيان ٥/٨٩، معانى القرآن للفراء ١/٤٥٧، تفسير الفخر الرازى ١٧/٣٠، النشر فى القراءات العشر ٢/٢٨٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٧).

ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ ﴾ بالنهار لأهل الأرض، يستضيئون بها، ﴿ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا ﴾ بالليل، ﴿ وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ ﴾، يزيد وينقص، يعنى الشمس سراجًا والقمر نورًا، ﴿ لِتَعۡلَمُواْ ﴾ بالليل والنهار، ﴿ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ﴾، وقدره منازل لتعلموا بذلك عدد السنين، والحساب، ورمضان، والحج، والطلاق، وما يريدون بين العباد، ﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ ﴾، يعنى الشمس والقمر، ﴿ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ﴾، لم يخلقهما عبثًا، خلقهما لأمر هو كائن، ﴿ يُفَصِّلُ ﴾ يبين ﴿ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾، يعنى العلامات، ﴿ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آية: ٥] بتوحيد الله عز وجل أن الله واحد لما يرون من صنعه.

ثم قال: ﴿ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ عليكم ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴾ [آية: ٦] عقوبة الله عز وجل.

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ﴾، يعنى لا يخشون لقاءنا، يعنى البعث والحساب، ﴿ وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا ﴾، فعملوا لها، ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا ﴾، يعنى ما أخبر فى أول هذه السورة، ﴿ غَٰفِلُونَ ﴾ [آية: ٧]، يعنى ما ذكر من صنيعه فى هؤلاء الآيات لمعرضون، فلا يؤمنون.

ثم أخبر بما أعد لهم فى الآخرة، فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾، يعنى مصيرهم النار، ﴿ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [آية: ٨] من الكفر والتكذيب.

ثم أخبر بما أعد للمؤمنين، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، يعنى صدقوا بالله، ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾، وأقاموا فرائض الله، ﴿ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ ﴾، يعنى بتصديقهم وتوحيدهم كما صدقوا ووحدوا، كذلك يهديهم ربهم إلى الفرائض، ويثيبهم الجنة، ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾، يعنى تحت قصورهم نور فى نور، قصور الدر والياقوت، وأنها تجرى من غرفهم، ﴿ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [آية: ٩]، لا يكلفون فيها

عملاً أبدًا، ولا يصيبهم فيها مشقة أبدًا.

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾، فهذا علم بين أهل الجنة وبين الخدم إذا أرادوا الطعام والشراب دعواهم أن يقولوا في الجنة: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾، فإذا الموائد قد جاءت، فوضعت ميلاً فى ميل، قوائمها اللؤلؤ، ودخل عليهم الخدم من أربعة آلاف باب معهم صحاف الذهب سبعون ألف صحفة، فى كل صحفة لون من الطعام ليس فى صاحبتها مثله، كلما شبع ألقى الله عليه ألف باب من الشهوة، كلما شبع أتى بشربة تهضم ما قبلها بمقدار أربعين عامًا، ويؤتون بألوان الثمار، وتجيء الطير أمثال البخت، مناقيرها لون، وأجنحتها لون، وظهورها لون، وبطونها لون، وقوائمها لون، تتلألأ نورًا، حتى تقف بين يديه فى بيت طوله فرسخ فى فرسخ، فى غرفة فيها سرر موضونة، والوضن مشبك وسطه بقضبان الياقوت والزمرد الرطب، ألين من الحرير، قوائهما اللؤلؤ، حافتاه ذهب وفضة، عليه من الفرش مقدار سبعين غرفة فى دار الدنيا، لو أن رجلاً وقع من تلك الغرف لم يبلغ قرار الأرض سبعين عامًا.

فيأكلون ويشربون، وتقوم الطير وتصطف بين يديه، وتقول: يا ولى الله، رعيت فى روضة كذا وكذا، وشربت من عين كذا وكذا، فأيتهن أعجبه وصفها وقعت على مائدته نصفها قديد سبعون ألف لون من الطير الواحد، والنصف شواء، فيأكل منها ما أحب، ثم يطير فينطلق إلى الجنة؛ لأنه ليس فى الجنة من يموت، ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾، وذلك أن يأتيه ملك من عند رب العزة، فلا يصل إليه حتى يستأذن له حاجب فيقوم بين يديه، فيقول: يا ولى الله، ربك يقرأ عليك السلام، وذلك قوله تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾، من عند الرب تعالى، فإذا فرغوا من الطعام والشراب، قالوا: الحمد لله رب العالمين، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾، يعنى قولهم حين فرغوا من الطعام والشراب ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (1) [آية: ١٠].

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٥٢/٢، إعراب القرآن العكبرى ١٤/٢، البحر المحيط ١٢٧/٥، الجامع لأحكام القرآن ٣١٣/٨، مجمع البيان ٩٢/٥، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٧).

قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾ (١)، وذلك حين قال النضر بن الحارث: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] فيصيبنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ ۞ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾، إذا أرادوه فأصابوه، يقول الله: ولو استجيب لهم فى الشر، كما يحبون أن يستجاب لهم فى الخير، ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ﴾ فى الدنيا بالهلاك إذًا، ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا﴾، فنذرهم لا يخرجون أبدًا، فذلك قوله: ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [آية: ١١]، يعنى فى ضلالتهم يترددون لا يخرجون منها إلا أن يخرجهم الله عز وجل.

وأيضًا ولو يعجل الله للناس، يقول: ابن آدم يدعو لنفسه بالخير، ويحب أن يعجل الله ذلك، ويدعو على نفسه بالشر، يقول: اللهم إن كنت صادقًا فافعل كذا وكذا، فلو يجعل الله ذلك لقضى إليهم أجلهم، يعنى العذاب ﴿فَنَذَرُ﴾، يعنى فنترك، ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾، يعنى لا يخشون لقاءنا، ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾، يعنى فى ضلالتهم يترددون لا يخرجون منها.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾، يعنى المرض بلاء أو شدة، نزلت فى أبى حذيفة، اسمه هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومى، ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ (٢)، يعنى لمضجعه فى مرضه، ﴿أَوۡ﴾ دعانا ﴿قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمًا﴾، كل ذلك لما كان، ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ﴾، وعوفى من مرضه، ﴿مَرَّ﴾، يعنى استمر، أى أعرض عن الدعاء، ﴿كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ﴾، ولا يزال يدعونا ما احتاج إلى ربه، فإذا أعطى حاجته أمسك عن الدعاء، قال الله تعالى عند ذلك: استغنى عبدى، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا ﴿زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾، يعنى المشركين، ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٢] من أعمالهم السيئة، يعنى الدعاء فى الشدة.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ﴾ بالعذاب فى الدنيا، ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ يا أهل مكة، ﴿لَمَّا

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٥٨، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٤، تفسير الطبرى ١١/٦٥، تفسير الماوردى ٢/١٧٣، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/١١).

(٢) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/١٢، تفسير القرطبى ٨/٣١٧).

ظَلَمُواْ﴾، يعنى حين أشركوا، يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية لكى لا يكذبوا محمدًا ﷺ، ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾، يقول: أخبرتهم رسلهم بالعذاب أنه نازل بهم فى الدنيا، ثم قال: ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ﴾، يقول: ما كان كفار مكة ليصدقوا بنزول العذاب بهم فى الدنيا، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا ﴿نَجۡزِي﴾ بالعذاب ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [آية: ١٣]، يعنى مشركى الأمم الخالية.

ثم قال لهذه الأمة: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾ يا أمة محمد، ﴿خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾(١) [آية: ١٤].

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ (١٥) قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (١٦) فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ (١٧) وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (١٨)﴾

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾، يعنى القرآن، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾، يعنى لا يحسبون لقاءنا، يعنى البعث، ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ﴾ ليس فيه قتال، ﴿أَوۡ بَدِّلۡهُ﴾، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلۡ﴾ يا محمد: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [آية: ١٥].

وذلك أن الوليد بن المغيرة وأصحابه أربعين رجلاً أحدقوا بالنبى ﷺ ليلة حتى أصبح، فقالوا: يا محمد، اعبد اللات والعزى، ولا ترغب عن دين آبائك، فإن كنت فقيرًا جمعنا لك من أموالنا، وإن كنت خشيت أن تلومك العرب، فقل: إن الله أمرنى بذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُل﴾ يا محمد: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ...﴾، إلى قوله: ﴿...بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾، يعنى فوحد، ﴿وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤ - ٦٦]، على الرسالة والنبوة.

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٥/١٣١، إعراب القرآن للعكبرى ٢/١٤).

وأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾، يعني محمد، فزعم أني أمرته بعبادة اللات والعزى، ﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾، يعني بالحق، ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦]، وهو الحبل المعلق به القلب، وأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

ثم قال لكفار مكة: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ﴾، يعني ما قرأت هذا القرآن، ﴿عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾[1]، يقول: ولا أشعركم بهذا القرآن، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ طويلاً أربعين سنة، ﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾، من قبل هذا القرآن، فهل سمعتمونى أقرأ شيئًا عليكم؟ ﴿أَفَلَا﴾، يعني فهلا ﴿تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١٦] أنه ليس متقول منى، ولكنه وحى من الله إلىَّ.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾، يعني فمن أشد ظلمًا لنفسه، ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، فزعم أن مع الله آلهة أخرى، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾، يعني بمحمد ﷺ وبدينه، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [آية: ١٧]، يعني إنه لا ينجى الكافرون من عذاب الله عز وجل.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن تركوا عبادتهم، ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ إن عبدوها، وذلك أن أهل الطائف عبدوا اللات، وعبد أهل مكة العزى، ومناة، وهبل، وأساف، ونائلة، لقبائل قريش، وود لكلب بدومة الجندل، وسواع لهذيل، ويغوث لبنى غطيف من مراد بالجرف من سبأ، ويعوق لهمذان ببلخع، ونسر لذى الكلاع من حمير، قالوا: نعبدها لتشفع لنا يوم القيامة، فذلك قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ١٨].

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا

(١) قراءة ابن عباس والحسن وابن سيرين: «ولا أدرأتكم به». وقراءة أبى رجاء. انظر: (إعراب القرآن ٢/٥٣، البحر المحيط ٥/١٣٣، تفسير الطبرى ٨/٣٢١، معانى القرآن للفراء ١/٤٥٩، الكشاف ٢/٢٢٩).

يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ﴾ فى زمان آدم، عليه السلام، ﴿إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، يعنى ملة واحدة مؤمنين لا يعرفون الأصنام والأوثان، ثم اتخذوها بعد ذلك، فذلك قوله: ﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ بعد الإيمان، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ قبل الغضب، لأخذناهم عند كل ذنب، فذلك قوله: ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ١٩]، يعنى فى اختلافهم بعد الإيمان.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ﴾، يعنى هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ مما سألوا، يعنى فى بنى إسرائيل، ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠]، يعنى لن نصدقك حتى تخرج لنا نهرًا، فقد أعيينا من ميح الدلاء من زمزم، ومن رءوس الجبال، وإن أبيت هذا فلتكن لك خاصة، ﴿جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ...﴾ [الإسراء: ٩١]، إلى قوله: ﴿...كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٢]، حين قال: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [سبأ: ٩]، يعنى قطعًا، ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ﴾ عيانًا فننظر إليه، ﴿وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾، يعنى من ذهب، ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ﴾، يعنى أو تضع سلمًا فتصعد إلى السماء، ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ [الإسراء: ٩٢، ٩٣]، يقول: ولسنا نصدقك، حتى تأتى بأربعة أملاك، يشهدون أن هذا الكتاب من رب العزة، وهذا قول عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة.

فأنزل الله فى قوله: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ﴾ عيانًا فننظر إليه: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨]، إذ قالوا: ﴿أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، وأنزل الله فيها: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢]، لقوله: ﴿كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾، وأنزل الله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩]؛ لأنى إذا أرسلت إلى قوم آية، ثم كذبوا، لم

أناظرهم بالعذاب، وإن شئت يا محمد أعطيت قومك ما سألوا، ثم لم أناظرهم بالعذاب، قال: «يا رب لا»، رقة لقومه لعلهم يتقون.

ثم قال: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾، وهو قوله: ﴿**إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ**﴾ [هود: ٣٣]، ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ بى الموت، ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [آية: ٢٠] بكم العذاب القتل ببدر.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾، يعنى آتينا الناس، يعنى كفار مكة، ﴿رَحْمَةً﴾، يعنى المطر، ﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾، يعنى القحط وذهاب الثمار، ﴿مَسَّتْهُمْ﴾، يعنى المجاعة سبع سنين، ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾، يعنى تكذيبًا، يقول: إذ لهم قول فى التكذيب بالقرآن تكذيبًا واستهزاء، ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ﴾، يعنى الله أشد إخزاء، ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ من الحفظة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [آية: ٢١]، يعنى ما تعلمون.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ﴾ على ظهور الدواب والإبل، ويهديكم لمسالك الطرق والسبل، ﴿وَ﴾ يحملكم فى ﴿وَٱلْبَحْرِۖ﴾ فى السفن فى الماء، ويدلكم فيه بالنجوم، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ [(١)]، يعنى فى السفن، ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾، يعنى بأهلها، ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾، يعنى غير عاصف، ولا قاصف، ولا بطيئة، ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا﴾، يعنى السفينة، ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ قاصف، يعنى غير لين، يعنى ريحًا شديدة، ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾، يعنى من بين أيديهم، ومن خلفهم، ومن فوقهم، ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾، يعنى وأيقنوا ﴿أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْۙ﴾، يعنى أنهم مهلكون، يعنى مغرقون، ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، وضلت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله، فذلك قوله: ﴿**وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِى الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء: ٦٧]، ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ المرة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آية: ٢٢]، لا ندعو معك غيرك.

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [(٢)]، يعنى يعبدون مع الله غيره، ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ﴾، إذ عبدوا مع الله غيره، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ ضرره فى الآخرة، ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ﴾، تمتعون فيها قليلاً إلى منتهى آجالكم، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ فى الآخرة، ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٣].

---

(١) قراءة أم الدرداء «حتى إذا كنتم فى الفُلْكِيّ»، بكسر الكاف وتثبيت الياء. وقراءة أبى الدرداء. انظر: (الكشاف ٢/٢٣١، البحر المحيط ٥/١٣٨).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١١/٧١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٠).

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾، يقول: مثل الدنيا كمثل النبت بينا هو أخضر، إذا هو قد يبس، فكذلك الدنيا إذا جاءت الآخرة، يقول: أنزل الماء من السماء، فأنبت به ألوان الثمار لبني آدم، وألوان النبات للبهائم، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾، يعني حسنها وزينتها، ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ (١) بالنبات وحسنت، ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾، يعني وأيقن أهلها ﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ في أنفسهم، ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾، يعني عذابنا ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾، يعني ذاهبًا، ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ (٢)، يعني تنعم بالأمس، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعني هكذا تجيء الآخرة، فتذهب الدنيا ونعيمها وتنقطع عن أهلها، ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾، يعني نبين العلامات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢٤] في عجائب الله وربوبيته.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾، يعني دار نفسه، وهي الجنة، والله هو السلام، ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، يعني من أهل التوحيد، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٢٥]، يعني دين الإسلام.

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ

(١) قراءة الأعرج «وأزينت»، وهي أيضًا قراءة نصر بن عاصم وأبي العالية والحسن بخلاف وقتادة وأبي رجاء بخلاف والشعبي وعيسى الثقفي. وقرأ: «وازْيأَنّت» أبو عثمان النَّهْدي. وقراءة سعد ابن أبي وقاص، وأبي العالية، وعبدالرحمن، وابن يعمر، وابن هرمز. انظر: (إعراب القرآن للعكبري ٥٦/٢، إعراب القرآن للنحاس ١٥/٢، البحر المحيط ١٤٣/٥، ١٤٤، تفسير الطبري ٧٢/١١، الجامع لأحكام القرآن ٣٢٧/٨، الكشاف ٢٣٣/٢، مجمع البيان ١٠٢/٥، إتحاف فضلاء البشر ١٤٨).

(٢) انظر: (الكشاف ٢٣٣/٢، إعراب القرآن للعكبري ١٥/٢، البحر المحيط ١٤٤/٥).

وَشُرَكَآؤُكُمْۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾، يعنى وحدوا الله، ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1]، يعنى الجنة، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾، يعنى فضل على الجنة النظر إلى وجه الله الكريم، ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾، يعنى ولا يصيب وجوههم قتر، يعنى سواد، ويقال: كسوف، ويقال: هو السواد، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾، يعنى ولا مذلة فى أبدانهم عند معاينة النار، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين هم بهذه المنزلة ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٢٦] لا يموتون.

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[2]، يعنى عملوا الشرك، ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾، يعنى جزاء الشرك جهنم، ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ﴾، يعنى مذلة فى أبدانهم، ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۖ﴾، يعنى مانع يمنعهم من العذاب، ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ﴾، يعنى سواد الليل، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٢٧] لا يموتون.

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾، يعنى الكفار وما عبدوا من دون الله، ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْۚ﴾[3]، يعنى بهم الآلهة، ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْۖ﴾[4]، يعنى فميزنا بين الجزاءين، ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم﴾، يعنى الآلهة وهم الأصنام: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [آية: ٢٨].

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا﴾، يعنى لقد كنا، ﴿عَنْ عِبَادَتِكُمْ﴾ إيانا ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾ [آية: ٢٩]، وقد عبدتمونا وما نشعر بكم.

ثم قال: ﴿هُنَالِكَ﴾، يعنى عند ذلك، ﴿تَبْلُواْ﴾، يعنى تختبر ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّآ

---

(١) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٤، معانى القرآن للفراء ١/٤٦١، تفسير القرطبى ٨/٣٣٠، تفسير ابن كثير ٢/٤١٤، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٣٠٥).

(٢) انظر: (السبعة لابن مجاهد ٣٢٥، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٦، تفسير الطبرى ١١/٧٧).

(٣) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٧، تفسير القرطبى ٨/٣٣٣).

(٤) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٦٢، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١١/٧٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٧، تفسير القرطبى ٨/٣٣٣).

﴿أَسۡلَفَتۡۚ﴾، يعنى ما قدمت، ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [آية: ٣٠]، يعنى يعبدون فى الدنيا من الآلهة.

﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قُلۡ﴾ لكفار قريش: ﴿مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، يعنى المطر، ﴿وَ﴾ من ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾، يعنى النبات والثمار، ﴿أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ﴾، فيسمعها المواعظ، ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾، فيريها العظمة، ﴿وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾، يعنى النسمة الحية من النطفة، ﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ﴾، يعنى أمر الدنيا، يعنى القضاء وحده، ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾، فسيقول مشركو قريش: ﴿ٱللَّهُۚ﴾ يفعل ذلك، فإذا أقروا بذلك، ﴿فَقُلۡ﴾ يا محمد: ﴿أَفَلَا﴾، يعنى أفهلا ﴿تَتَّقُونَ﴾ [آية: ٣١] الشرك، يعنى فهلا تحذرون العقوبة والنقمة.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾، فماذا بعد عبادة الحق والإيمان إلا الباطل، ﴿فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [آية: ٣٢].

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٣٣]، فأخبر بعلمه السابق فيهم أنهم لا يؤمنون.

ثم قال: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم﴾، يعنى الآلهة التى عبدوا من دون الله، ﴿مَّن يَبۡدَؤُاْ

﴿ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾، يقول: هل من خالق غير الله يخلق خلقًا من النطفة على غير مثال ولا مشورة، أمن يعيد خلقًا من بعد الموت، ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ فى ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ ﴿**لِلَّهِ**﴾ [المؤمنون: ٨٥]، ﴿قُلِ﴾ أنت يا محمد: ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [آية: ٣٤]، يقول: فمن أين تكذبون بتوحيد الله إذا زعمتم أن مع الله إلهًا آخر.

﴿قُلۡ﴾ للكفار يا محمد: ﴿هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم﴾، يعنى اللات، والعزى، ومناة، آلهتهم التى يعبدون، ﴿مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ﴾، يقول: هل منهم أحد إلى الحق يهدى، يعنى إلى دين الإسلام، ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ يا محمد ﴿يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ﴾، وهو الإسلام، ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾[1]، وهى الأصنام والأوثان، ﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾، وبيان ذلك فى النحل: ﴿**وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ**﴾ [النحل: ٧٦]، ثم عابهم، فقال: ﴿فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [آية: ٣٥]، يقول: ما لكم؟ كيف تقضون الجور؟ ونظيرها فى ﴿**ن وَالْقَلَمِ**﴾، حين زعمتم أن معى شريكًا.

يقول: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ﴾، يعنى الآلهة، يقول: إن هذه الآلهة تمنعهم من العذاب، يقول الله: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي﴾ عنهم ﴿مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ﴾، يعنى من العذاب شيئًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [آية: ٣٦].

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وذلك لأن الوليد بن المغيرة وأصحابه، قالوا: يا محمد، هذا القرآن هو منك وليس هو من ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْآنُ أن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ**﴾ ﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾، يقول: القرآن يصدق التوراة، والزبور، والإنجيل، ﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾، يعنى تفصيل الحلال والحرام لا شك فيه، ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٣٧].

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾، يا محمد على الله، ﴿قُلۡ﴾ إن زعمتم أنى افتريته وتقولته، ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾[2] مثل هذا القرآن، ﴿وَٱدۡعُواْ﴾، يقول: استعينوا عليه ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يعنى الآلهة، ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٣٨] أن الآلهة تمنعهم من العذاب.

---

(١) انظر: (السبعة لابن مجاهد ٣٢٦، معانى القرآن للفراء ١/٤٦٤، تفسير القرطبى ٨/٣٤١).

(٢) انظر: (الكشاف ٢/٢٣٧، البحر المحيط ٥/١٥٨).

يقول الله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ إذ زعموا أن لا جنة، ولا نار، ولا بعث، ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾، يعنى بيانه، ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الخالية، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [آية: ٣٩]، يعنى المكذبين بالبعث.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ﴾، يعنى لا يصدق بمحمد ﷺ ودينه، ثم أخبر الله أنه قد علم من يؤمن به ومن لا يؤمن به من قبل أن يخلقهم، فذلك قوله: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [آية: ٤٠].

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ بالقرآن، وقالوا: إنه من تلقاء نفسك، ﴿فَقُل﴾ للمستهزئين من قريش عبد الله بن أبى أمية وأصحابه، ﴿لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾[1]، يقول: دين الله أنا عليه، ولكم دينكم الذى أنتم عليه، ﴿أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٤١]، يقول: أنتم بريئون من دينى، وأنا برىء من دينكم، يعنى من كفركم، مثلها فى هود: ﴿**قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ**﴾ [هود: ٥٤، ٥٥].

﴿وَمِنْهُم﴾، يعنى مشركى قريش، ﴿مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾، يعنى يستمعون قولك، ﴿أَفَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾، يقول: كما لا يسمع الصم، لا يسمع المواعظ من قد سبقت له الشقاوة فى علم الله تعالى، ﴿وَلَوْ﴾، يعنى إذ ﴿كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٤٢] الإيمان.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد، ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ﴾، يعنى إذ ﴿كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٤٣] الهدى.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آية: ٤٤]، يقول:

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١١/٨٣، تفسير القرطبى ٨/٣٤٦، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٤).

نصيبهم ينقصون بأعمالهم إذا حرموا أنفسهم ثواب المؤمنين.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ فى قبورهم إلى القيامة، ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾، يعنى يومًا واحدًا من أيام الدنيا، ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾، يعنى يعرفون بعضهم بعضًا، وتبيان ذلك فى الفصل فى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ [المعارج: ١]، ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١١]، يعنى يعرفونهم، ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾، يعنى البعث، ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [آية: ٤٥].

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ يوم بدر، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل يوم بدر، ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فى الآخرة، فأنتقم منهم، ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٤٦] من الكفر والتكذيب.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾، يعنى بالحق، وهو العدل، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية: ٤٧]، وذلك أن الله بعث الرسل إلى أممهم يدعون إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام والأوثان، فمن أجابهم إلى ذلك أثابه الله الجنة، ومن أبى جعل ثوابه النار.

فذلك قوله: ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، وذلك عند وقت العذاب، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، يعنى وهم لا ينقصون من محاسنهم، ولا يزادون على مساوئهم ما لم يعملوها، ﴿وَيَقُولُونَ﴾، يعنى الكفار لنبيهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٤٨]، وذلك قوله: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى ضَرًّا﴾، يعنى سوءًا، ﴿وَلَا نَفۡعًا﴾، يعنى فى الآخرة، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ﴾ وقت، يقول: لكل أجل وقت؛ لأنه سبقت الرحمة الغضب، ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾، يعنى وقت العذاب، ﴿فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [آية: ٤٩]، يقول: لا يؤخر عنهم ساعة، ولا يصيبهم قبل الوقت.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا﴾، يعنى صباحًا، ﴿أَوۡ نَهَارًا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [آية: ٥٠].

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾، يعنى قول القرآن، ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ﴾ حين لم تنفعكم، ﴿وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ﴾، يعنى بالعذاب، ﴿تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ [آية: ٥١].

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، يعنى كفروا: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ [آية: ٥٢] من الشرك، يقول: جزاء الشرك جهنم.

﴿۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٍ ظَلَمَتۡ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِىَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ﴾، يقول: يسألونك: ﴿أَحَقٌّ هُوَۖ﴾؟ يعنى العذاب الذى تعدنا به، ويقال: القرآن الذى أنزل إليك، ﴿أَحَقٌّ هُوَۖ﴾؟ ﴿قُلۡ إِى وَرَبِّىٓ﴾، يعنى نعم وإلهى، ﴿إِنَّهُۥ﴾، يعنى العذاب، ﴿لَحَقٌّۖ﴾، يعنى لكائن، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [آية: ٥٣]، يعنى بسابقى بأعمالكم الخبيثة فى الدنيا قبل الآخرة.

قوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٍ﴾ كافرة ﴿ظَلَمَتۡ مَا فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ ما لا ﴿لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾ نفسها يوم القيامة من عذاب جهنم، ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ﴾، يعنى حين رأوا العذاب، ﴿وَقُضِىَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾، يعنى بالعدل، وصاروا إلى جهنم بشركهم، وصار المؤمنون إلى الجنة بإيمانهم، ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [آية: ٥٤].

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾، يقول: هو رب من فيهما، ﴿أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾، أن من وحده أثابه الجنة، ومن كفر به عاقبه بالنار، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا

يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٥٥]، يعنى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحد إلى الجنة.

ثم أخبر بصنيعه ليوحد، فقال: ﴿هُوَ يُحۡيِۦ﴾ من النطف، ﴿وَيُمِيتُ﴾ من بعد الحياة، فاعبدوا من يحيى ويميت، ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [آية: ٥٦] من بعد الموت، فيجزيكم فى الآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ﴾، يعنى بينة، ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، وهو ما بين الله فى القرآن، ﴿وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ من الكفر والشرك، ﴿وَ﴾ هذا القرآن ﴿وَهُدٗى﴾ من الضلالة، ﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٥٧] لمن أحل حلاله، وحرم حرامه.

﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ﴾[1]، يعنى القرآن، ﴿وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾ الإسلام، ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾[2] معشر المسلمين، ﴿هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [آية: ٥٨] من الأموال، فلما نزلت هذه الآية قرأها النبى ﷺ مرات.

﴿قُلۡ﴾ لكفار قريش، وخزاعة، وثقيف، وعامر بن صعصعة، وبنى مدلج، والحارث

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٧، تفسير الطبرى ١١/٨٦، تفسير الماوردى ٢/١٩٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٤٠، تفسير القرطبى ٨/٣٥٣، الدر= =المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٣٠٨).

(٢) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٧، الكشاف ٢/٢٤١، الطبرى ١١/٨٨، القرطبى ٨/٣٥٤، مجمع البيان ٥/١١٦، الفراء ١/٤٦٥، الأخفش ٢/٣٤٥، النشر ٢/٢٨٥، الإتحاف ٢٥٢، النحاس ٢/٦٥، الكشف ١/٥٢٠، الحجة لأبى زرعة ١٨٢، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٨٢، التبيان ٥/٣٩٥، العكبرى ٢/١٦، همع الهوامع ٤/٣٠٨، مغنى اللبيب ١/١٨٦).

ابنى عبد مناة، قل لهم: ﴿أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾، يعنى البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾، يعنى حرمتم منه ما شئتم، ﴿وَحَلَٰلًا﴾، يعنى وحللتم منه ما شئتم، ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٥٩].

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ﴾ فى الدنيا ﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾، فزعموا أن له شريكًا، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، حين لا يؤاخذهم عند كل ذنب، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٦٠] هذه النعم.

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾[1]، يعنى إلا وقد علمته قبل أن تعملوه، ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾، وأنا شاهدكم، يعنى إذ تعملونه، ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾، يعنى وما يغيب ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾، يعنى وزن ذرة، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٦١]، يعنى اللوح المحفوظ.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أن يدخلوا جهنم، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١١/٩٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٤٢، تفسير القرطبى ٨/٣٥٦).

[آية: ٦٢] أن يخرجوا من الجنة أبدًا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى صدقوا، ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [آية: ٦٣] الكبائر.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1]، الرؤيا الصالحات، ﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ إذا خرجوا من قبورهم، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾، يعنى لوعد الله أن من اتقاه ثوابه الجنة، ومن عصاه عقابه النار، ﴿ذَٰلِكَ﴾ البشرى ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ٦٤].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ يا محمد، يعنى إذاهم، ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾، يعنى إن القوة لله، ﴿جَمِيعًا﴾ فى الدنيا والآخرة، ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولهم، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٦٥] بهم.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يقول: هو ربهم وهم عباده، ثم قال: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾، يعنى يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾، يعنى الملائكة، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾، يعنى ما يتبعون ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾، يعنى ما يستيقنون بذلك، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [آية: ٦٦] الكذب.

ثم دل على نفسه بصنعه ليعتبروا فيوحدوه، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾، يعنى لتأووا فيه من نصب النهار، ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾، ضياء ونورًا لتتغلبوا فيه لمعايشكم، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾، يعنى فى هذا ﴿لَأَيَٰتٍ﴾، يعنى لعلامات ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [آية: ٦٧] المواعظ.

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾، فنزه نفسه عن ذلك، فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ أن يتخذ ولدًا، ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ﴾، يقول: فعندكم حجة بما تزعمون أنه له ولد، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٦٨].

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٦٩]، يعنى لا يفوزون إذا صاروا إلى النار.

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ٩٣/١١، تفسير الماوردى ١٩٣/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٤/٤، تفسير القرطبى ٣٥٨/٨، تفسير ابن كثير ٤٢٣/٢، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣١١/٣).

﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾، يعنى بلاغ فى الحياة الدنيا، ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ فى الآخرة، ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [آية: ٧٠]، بقولهم: إن الملائكة ولد الله.

﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾﴾

﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾، يعنى واقرأ عليهم ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾، يعنى حديث نوح، ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم﴾، يعنى عظيم عليكم، ﴿مَّقَامِي﴾، يعنى طول مكثى فيكم، ﴿وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾(١)، يعنى تحذيرى إياكم عقوبة الله، ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾، يعنى بالله احترزت، ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾(٢) وآلهتكم، ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ﴾، يعنى سوءًا، ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾(٣)، يعنى ميلوا إلىّ، ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [آية: ٧١]، يعنى ولا تمهلون.

﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾، يعنى عصيتم، ﴿فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍ﴾، يعنى من جعل، ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ﴾، يعنى ثوابى، ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [آية: ٧٢]، يعنى من الموحدين.

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ٩٨/١١، تفسير القرطبى ٣٦٢/٨).

(٢) انظر: (معانى القرآن للأخفش ٣٤٦/٢، السبعة ٣٢٨، الكشاف ٢٤٥/٢، إعراب القرآن للنحاس ٦٧/٢، إعراب القرآن للعكبرى ١٧/٢، البحر المحيط ١٧٩/٥، التبيان ٤٠٨/٥، الجامع لأحكام القرآن ٣٦٢/٨، الحجة المنسوبه لابن خالويه ١٨٣، النشر ٢٨٠/٢، مغنى اللبيب ٣٤/٢).

(٣) انظر: (البحر المحيط ١٨٠/٥، إعراب القرآن للعكبرى ١٧/٢، تفسير القرطبى ٣٦٤/٨ الكشاف ٢٤٦/٢، معانى القرآن للفراء ٤٧٤/١).

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾ من المؤمنين، ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾، يعنى السفينة، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ فى الأرض من بعد نوح، ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعنى بنوح وما جاء به، ﴿فَٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [آية: ٧٣]، يعنى المحذرين.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾، يعنى من بعد نوح، ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، ثم أخبر بعلمه فيهم، فقال: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾، يعنى ليصدقوا ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ﴾، يعنى العذاب، ﴿مِن قَبْلُ﴾ نزول العذاب، ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾، يعنى هكذا نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [آية: ٧٤]، يعنى الكافرين.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ من بعد الأمم، ﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعنى بعلاماتنا اليد والعصا، ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾، يعنى فتكبروا عن الإيمان، ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [آية: ٧٥]، يعنى كافرين.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾، يعنى موسى وما جاء به من الآيات، ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٧٦]، يعنى بين.

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ (٧٧) قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ (٨٢) فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ (٨٣)﴾

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ﴾ اليد والعصا، ﴿لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ [آية: ٧٧] فى الدنيا والآخرة.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾، يعنى لتصدنا، ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾، يعنى عما كانت آباؤنا تعبد، ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾، يعنى موسى وهارون، الكبرياء يعنى الملك، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٧٨]، يعنى بمصدقين.

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾ [آية: ٧٩].

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾ [آية: ٨٠]، يعنى الحبال والعصى.

﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ﴾ الحبال والعصى، سحروا أعين الناس، ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾[1]، يعنى إن الله سيدحضه ويقهره، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [آية: ٨١]، يعنى إن الله لا يعطى أهل الكفر والمعاصى الظفر.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾، يقول: يحق الله الدين بالتوحيد، والظفر لنبيه ﷺ، ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [آية: ٨٢].

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾، يعنى فما صدق لموسى ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾[2]، يعنى أهل بيت أمهاتهم من بنى إسرائيل وآباؤهم من القبط، ﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ﴾[3]، يعنى ومن معه الأشراف من قومه الأبناء، ﴿أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ﴾، يعنى أن يقتلهم، ﴿وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، يعنى جبارًا فى الأرض، ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [آية: ٨٣]، يعنى المشركين.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ (٨٤) فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٨٦) وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (٨٧) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ (٨٩) ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (٩٠) ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ

(١) انظر: (السبعة لابن مجاهد ٣٢٨، معانى القرآن للفراء ١/٤٧٥، معانى القرآن للفراء ١/٤٧٥).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١١/١٠٣، تفسير الماوردى ٢/١٩٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٥٢، تفسير القرطبى ٨/٢٦٩).

(٣) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٥٣، تفسير القرطبى ٨/٣٦٩).

عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾، يعنى احترزوا، ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [آية: ٨٤]، يعنى إن كنتم مقرين بالتوحيد.

﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٨٥]، يعنى الذين كفروا، يقول: ولا تعذبهم من أجلنا، يقول: إن عذبتهم فلا تجعلنا لهم فتنة.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٨٦].

حدثنا عبيد الله، قال: سمعت أبى، عن الهذيل فى قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قال: سمعت أبا صالح يقول: ربنا لا تظفرهم بنا، فيظنوا أنهم على حق وأنَّا على باطل. قال: سمعت مرة أخرى يقول: لا تختبرنا ببلاء، فيشمت بنا أعداؤنا من ذلك، وعافنا منه. قال: وسمعته مرة أخرى يقول: لا تبسط لهم فى الرزق وتفتنا بالفقر، فنحتاج إليهم، فيكون ذلك فتنة لنا ولهم.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا﴾ بنى إسرائيل، ﴿بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾، يعنى مساجد، ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾(١)، يقول: اجعلوا مساجدكم قبل المسجد الحرام، ﴿وَأَقِيمُواْ﴾ فى تلك البيوت ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لمواقيتها، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٨٧].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾، يعنى الملك، ﴿وَأَمْوَٰلًا﴾، يعنى أنواع الأموال، ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾، يعنى إنما أعطيتهم ليشكروا ولا يكفروا بدينك، قال موسى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾، قال هارون: آمين، ﴿وَٱشْدُدْ﴾، يعنى اختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، قال هارون: آمين، ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ﴾، يعنى فلا يصدقوا، ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [آية: ٨٨]، فإذا رأوا العذاب الأليم آمنوا، ولم يغن عنهم شيئًا.

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٧٧/١، تفسير الطبرى ١٠٦/١١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٥٤/٤، تفسير القرطبى ٣٧١/٨، تفسير ابن كثير ٤٢٨/٢، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣١٤/٣).

﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا﴾ [(١)] إلى الله، فصار الداعى والمؤمن شريكين، ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ﴾، يعنى طريق ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٨٩] بأن الله وحده لا شريك له، يعنى أهل مصر.

﴿۞وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ بيان ذلك فى طه: ﴿**فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى الْبَحْرِ يَبسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى**﴾ [طه: ٧٧]، لا تخاف أن يدركك فرعون، ولا تخشى أن تغرق، ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا﴾ ظلمًا، ﴿وَعَدۡوًاۖ﴾، يعنى اعتداء، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾، يعنى صدقت، وذلك حين غشيه الموت، ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، يعنى بالذى صدقت به بنو إسرائيل من التوحيد، ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [آية: ٩٠].

فأخبر جبريل، عليه السلام، كفًا من حصباء البحر، فجعلها فى فيه، فقال: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾ عند الموت تؤمن، ﴿وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ﴾، أى قبل نزول العذاب، ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [آية: ٩١]، يعنى من العاصين.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [(٢)]، وذلك أنه لما غرق القوم، قالت بنو إسرائيل: إنهم لم يغرقوا، فأوحى الله إلى البحر فطفا بهم على وجهه، فنظروا إلى فرعون على الماء، فمنذ يومئذ إلى يوم القيامة تطفوا الغرقى على الماء، فذلك قوله: ﴿لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾، يعنى لمن بعدك إلى يوم القيامة آية، يعنى علمًا، ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا﴾، يعنى عجائبنا وسلطاننا ﴿لَغَٰفِلُونَ﴾ [آية: ٩٢]، يعنى لاهون.

﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ

(١) انظر: (البحر المحيط ١٨٧/٥، تفسير القرطبى ٣٧٦/٨، الكشاف ٢٥٠/٢).

(٢) انظر: (مجمع البيان ١٣٠/٥، الكشاف ٢٥٢/٢، البحر المحيط ١٨٩/٥، تفسير الفخر الرازى ١٥٧/١٧).

حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾، يعنى أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ (١)، منزل صدق، وهو بيت المقدس، ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، يعنى المطر والنبت، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾، يعنى أهل التوراة والإنجيل فى نبوة محمد ﷺ، ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾، حتى بعثه الله عز وجل، فلما بعث كفروا به وحسدوه، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ٩٣].

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ يا محمد ﴿مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾، عبد الله بن سلام وأصحابه، فقال النبى ﷺ عند ذلك: «لا أشك، ولا أسأل بعد، أشهد أنه الحق من عند الله»، ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آية: ٩٤]، يعنى من المشركين فى القرآن بأنه جاء من الله تعالى.

ثم حذر النبى ﷺ وأوعز إليه حين قالوا: إنما يلقنه الرى على لسانه، فقال: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، يعنى القرآن كما كذب به كفار مكة، ﴿فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آية: ٩٥].

ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، يعنى وجبت عليهم كلمة العذاب، يقول: أى سبقت لهم الشقاوة من الله عز وجل فى علمه، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٩٦]، يعنى لا يصدقون.

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [آية: ٩٧] كما سألوا فى بنى إسرائيل ﴿**حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا**...﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣] إلى آخر الآيات، وكقوله: ﴿**فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ [هود: ١١٦] قال: كل شىء فى القرآن فلولا: فهلا، إلا ما فى يونس وهود.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ (٢) الإيمان عند نزول العذاب، ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا﴾، يعنى صدقوا وتابوا، وذلك أن قوم يونس، عليه السلام، لما نظروا إلى

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١١/١١٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٦٢، تفسير القرطبى ٨/٣٨١، تفسير ابن كثير ٢/٤٣١، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٣١٦).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٧٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٥/٦٤، تفسير القرطبى ٨/٣٨٣).

العذاب فوق رءوسهم على قدر ميل، وهم فى قرية تسمى نينوى من أرض الموصل تابوا، فلبس المسوح بعضهم، ونثروا الرماد على رءوسهم، وعزلوا الأمهات من الأولاد، والنساء من الزواج، ثم عجوا إلى الله، فكشف الله عنهم العذاب، ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [آية: ٩٨]، إلى منتهى آجالهم، فأخبرهم يا محمد أن التوبة لا تنفعهم عند نزول العذاب.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [(١)] [آية: ٩٩]، هذا منسوخ، نسختها آية السيف فى براءة.

ثم دل على نفسه بصنعه ليعتبروا فيوحدوه، فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾، يعنى أن تصدق بتوحيد الله حتى يأذن الله فى ذلك، ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾، يعنى الإثم، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١٠٠].

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

ثم وعظ كفار مكة، فقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، يعنى الشمس، والقمر، والنجوم، والسحاب، والمطر، ﴿وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ والجبال، والأشجار، والأنهار، والثمار، والعيون، ثم أخبر عن علمه فيهم، فقال: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ﴾، يعنى العلامات ﴿وَٱلنُّذُرُ﴾، يعنى الرسل، ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٠١].

ثم خوفهم بمثل عذاب الأمم الخالية، فقال: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾، يعنى قوم نوح، وعاد، وثمود، والقرون المعذبة، ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ الموت، ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [آية: ١٠٢] بكم العذاب.

﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ﴾ معهم، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا، ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٠٣] فى الآخرة من النار، وفى الدنيا بالظفر.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٦٥).

وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ الإسلام، ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، من الآلهة، ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ﴾، يعني أوحد الله، ﴿ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٠٤]، يعني المصدقين.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾، يعني مخلصًا، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ١٠٥] بالله.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يعني ولا تعبد مع الله إلهًا غيره، ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ﴾، يقول: ما إن احتجت إليه لم ينفعك، ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾، يعني فإن تركت عبادته في الدنيا لا يضرك، وإن لم تعبده، ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ فعبدت غير الله، ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٠٦]، يعني من المشركين.

ثم خوفهم ليتمسك بدين الله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾، يعني بمرض، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ لذلك الضر، ﴿إِلَّا هُوَ﴾، يعني الرب نفسه، ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ بعافية وفضل، ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾، يعني فلا دافع لقضائه، ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ بذلك الفضل ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٠٧].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾، يعني القرآن، ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ﴾ عن إيمان بالقرآن، ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [آية: ١٠٨] نسختها آية السيف.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾، يعني الحلال والحرام، ثم أوعز إلى نبيه، عليه السلام، ليصبر

على تكذيبهم إياه وعلى الأذى، فقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ يـا محمـد علـى الأذى، ﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [آية: ١٠٩]، فحكم الله عليها بالسيف فقتلهم ببدر، وعجل الله أرواحهم إلى النار، فصارت منسوخة، نسختها آية السيف.

* * *

سُورَةُ هُودٍ

مكية كلها، غير هذه الآيات الثلاث، فإنهن نزلن بالمدينة، فالأولى قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ [آية: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ...﴾ [آية: ١٧]، نزلت فى ابن سلام وأصحابه، وقوله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ...﴾ [آية: ١١٤]، نزلت فى رهبان النصارى، والله أعلم، وهى مائة وثلاث وعشرون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿الٓر كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ﴾ من الباطل، يعنى آيات القرآن، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾[1]، يعنى بينت أمره، ونهيه، وحدوده، وأمر ما كان وما يكون، ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾، يقول: من عند حكيم لأمره، ﴿خَبِيرٍ﴾ [آية: ١] بأعمال الخلائق.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾، يعنى ألا توحدوا، ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ﴾، يعنى من الله، ﴿نَذِيرٌ﴾ من عذابه، ﴿وَبَشِيرٌ﴾ [آية: ٢] بالجنة.

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ منه، ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا﴾، يعنى يعيشكم عيشًا حسنًا فى الدنيا فى عافية ولا يعاقبكم بالسنين ولا بغيرها، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، يعنى إلى منتهى آجالكم، ﴿وَيُؤْتِ﴾ فى الآخرة، ﴿كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ فى العمل فى الدنيا، ﴿فَضْلَهُۥ﴾ فى الدرجات، ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾، يعنى تعرضوا عن الإيمان، ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [آية: ٣]، يعنى عظيم، فلم يتوبوا، فحبس الله عنهم المطر سبع سنين، حتى أكلوا العظام، والموتى، والكلاب، والجيف.

---

(١) انظر: (التبيان ٥/٤٤٦، الكشاف ٢/٢٥٨، تفسير القرطبى ٩/٣، البحر المحيط ٥/٢٠٠، إعراب القرآن للعكبرى ٢/١٩، تفسير الفخر الرازى ١٧/١٧٩، تفسير الطبرى ١١/١٢٥، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٣٢٠).

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ﴾ فى الآخرة لا يغادر منكم أحد، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من البعث وغيره، ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٤].

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥ ۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾

﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾(١)، يعنى يلوون، وذلك أن كفار مكة كانوا إذا سمعوا القرآن نكسوا رءوسهم على صدورهم كراهية استماع القرآن، ﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾، يعنى من النبى ﷺ، فالله قد علم ذلك منهم، ثم قال: ﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾(٢)، يعنى يعلم ذلك، ﴿يَعۡلَمُ﴾ الله حين يغطون رءوسهم بالثياب، ﴿مَا يُسِرُّونَ﴾ فى قلوبهم، وذلك الخفى، ﴿وَمَا يُعۡلِنُونَۚ﴾ بألسنتهم، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٥]، يعنى بما فى القلوب من الكفر وغيره.

﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ حيثما توجهت، ﴿وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا﴾ بالليل، ﴿وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ﴾ حيث تموت، ﴿كُلّٞ﴾ نفس كل المستقر والمستودع، ﴿فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ٦]، يقول: هو بين فى اللوح المحفوظ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ وما بينهما، ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾، ثم استوى على العرش، يعنى استقر على العرش، ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ قبل خلق السموات والأرض، وقبل أن يخلق شيئًا، ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾، يعنى خلقهما لأمر هو كائن، خلقهما وما فيهما من الآيات ليختبركم، ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ لربه، ﴿وَلَئِن قُلۡتَ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٥/٢٠٢، معانى القرآن للفراء ٢/٣، معانى القرآن للأخفش ٢/٣٥٠، تفسير الطبرى ١١/١٢٦، تفسير القرطبى ٩/٥، إعراب القرآن للنحاس ٢/٧٩، مختصر شواذ القراءات ٥٩، تفسير الآلوسى ١١/٢١٠).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١١/١٢٥، تفسير الماوردى ٢/٤٠٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٧٨، تفسير القرطبى ٩/٦، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٣٢١).

من أهل مكة: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٧]، يقول: ما هذا الذى يقول محمد ﷺ إلا سحر بين، حين يخبرنا أنه يكون البعث بعد الموت.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾، يعنى إلى سنين معلومة، نظيرها فى يوسف: ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]، يعنى بعد سنين، يعنى القتل ببدر، ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ يا محمد ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ عنا، يعنون العذاب تكذيبًا، يقول الله: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ العذاب ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾، يقول: ليس أحد يصرف العذاب عنهم، ﴿وَحَاقَ﴾، يعنى ودار ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ﴾، يعنى بالعذاب ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ٨] بأنه ليس بنازل بهم.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾، يعنى آتينا الإنسان، ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾، يعنى نعمة، يقول: أعطينا الإنسان خيرًا وعافية، ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ عند الشدة من الخير، ﴿كَفُورٌ﴾ [آية: ٩] لله فى نعمة الرخاء.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ﴾، يقول: ولئن آتيناه خيرًا وعافية، ﴿بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾، يقول: بعد شدة وبلاء أصابه، يعنى الكافر، ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾ الضراء الذى كان نزل به، ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾، يعنى لبطر فى حال الرخاء والعافية، ثم قال: ﴿فَخُورٌ﴾ [آية: ١٠] فى نعم الله عز وجل، إذ لا يأخذها بالشكر.

ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على الضر، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ليسوا كذلك، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم، ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [آية: ١١]، يعنى وأجر عظيم فى الجنة.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾، وذلك أن كفار قريش قالوا للنبى ﷺ فى يونس: ﴿ **ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا** ﴾، ليس فيه ترك عبادة آلهتنا ولا عيبها، ﴿ **أَوْ بَدِّلْهُ** ﴾ [يونس: ١٥] أنت من تلقاء نفسك، فهم النبى ﷺ أن لا يسمعهم عيبها رجاء أن يتبعوه، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ ﴾، يعنى ترك ما أنزل إليك من أمر الآلهة، ﴿ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾ فى البلاغ، أراد أن يحرضه على البلاغ، ﴿ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ ﴾، يعنى هلا، ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ ﴾، يعنى المال من السماء فيقسمه بيننا، ﴿ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ﴾ يعينه ويصدقه بقوله: إن كان محمد صادقًا فى أنه رسول، ثم رجع إلى أول هذه الآية، فقال: بلغ يا محمد، ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [آية: ١٢]، يعنى شهيد بأنك رسول الله تعالى.

﴿ أَمْ ﴾، يعنى بل، ﴿ يَقُولُونَ ﴾ إن محمدًا ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾، قالوا: إنما يقول محمد هذا القرآن من تلقاء نفسه، ﴿ قُلْ ﴾ لكفار مكة: ﴿ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾، يعنى مختلفات مثله، يعنى مثل القرآن، ﴿ وَٱدْعُوا۟ ﴾، يعنى واستعينوا عليه، ﴿ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم ﴾ من الآلهة التى تعبدون، ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آية: ١٣] بأن محمدًا تقوله من تلقاء نفسه.

قال فى هذه السورة: ﴿ **فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ** ﴾، فلم يأتوا، ثم قال فى سورة يونس: ﴿ **فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ** ﴾ [يونس: ٣٨] واحدة، وفى البقرة أيضًا: ﴿ **فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ** ﴾ [البقرة: ٢٣]، فقال الله فى التقديم: ولن تفعلوا البتة أن تجيئوا بسورة: ﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟** ﴾ [البقرة: ٢٤]، يعنى فإذا لم تفعلوا، فاتقوا النار التى أعدت للكافرين، ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ ﴾، يعنى النبى ﷺ وحده، يقول: فإن لم تفعلوا ذلك يا محمد، فقل لهم: يا معشر كفار مكة: ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ ﴾ هذا القرآن ﴿ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾، يعنى بإذن الله، وقراءة ابن مسعود: أنما أنزل بإذن الله، ﴿ وَ ﴾ اعلموا ﴿ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ بأنه ليس له شريك، إن لم يجيئوا بمثل هذا القرآن قل لهم: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آية: ١٤]، يعنى مخلصين بالتوحيد.

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ

﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿مَن كَانَ﴾ من الفجار، ﴿يُرِيدُ﴾ بعمله الحسن ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ لا يريد وجه الله، ﴿نُوَفِّ﴾، يعنى نوفى ﴿إِلَيْهِمْ﴾ ثواب ﴿أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾، يعنى فى الدنيا من الخير والرزق، نظيرها فى حم عسق، ثم قال: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [آية: ١٥] نسختها الآية التى فى بنى إسرائيل: ﴿**عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ**﴾ [الإسراء: ١٨]، يقول: وهم فى الدنيا لا ينقصون من ثواب أعمالهم.

ثم أخبر بمنزلتهم فى الآخرة، فقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾، يقول: بطل فى الآخرة ما عملوا فى الدنيا، ﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [(١)] [آية: ١٦]، فلم يقبل منهم أعمالهم؛ لأنهم عملوها للدنيا، فلم تنفعهم.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ﴾، يعنى القرآن، ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾، يقول: يقرؤه جبريل، عليه السلام، على محمد ﷺ، وهو شاهد لمحمد أن الذى يتلوه محمد من القرآن أنه جاء من الله تعالى.

ثم قال: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ﴾، يقول: ومن قبل كتابك يا محمد، قد تلاه

---

(١) انظر: (مجمع البيان ٥/١٤٨، الكشاف ٢/٢٦٢، البحر المحيط ٥/٢١٠، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٠، إعراب القرآن للنحاس ٢/٨٢).

جبريل على موسى، يعنى التوراة، ﴿إِمَامًا﴾ يقتدى به، يعنى التوراة، ﴿وَرَحْمَةً﴾ لهم من العذاب، لمن آمن به، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، يعنى أهل التوراة يصدقون بالقرآن كقوله فى الرعد: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ﴾ [الرعد: ٣٦]، يعنى بقرآن محمد ﷺ أنه من الله عز وجل.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾، يعنى ابن أمية، وابن المغيرة، وابن عبد الله المخزومى، وآل أبى طلحة بن عبد العزى، ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾، يقول: ليس الذى عمل على بيان من ربه كالكافر بالقرآن موعده النار ليسوا بسواء، ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾، وذلك أن كفار قريش قالوا: ليس القرآن من الله، إنما تقوله محمد، وإنما يلقيه الرى، وهو شيطان يقال له: الرى، على لسان محمد ﷺ، فأنزل الله: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾، يقول: فى شك من القرآن، ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، إنه من الله عز وجل، وأن القرآن حق من ربك، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٧]، يعنى ولكن أكثر أهل مكة لا يصدقون بالقرآن أنه من عند الله تعالى.

ثم ذكرهم، فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، يقول: فلا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ﴾، يعنى تقول ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن معه شريكًا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الكذبة ﴿يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾، يعنى الأنبياء، ويقال: الحفظة، ويقال: الناس، مثل قول الرجل: على رءوس الأشهاد، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، يعنى بالأشهاد، يعنى الأنبياء، فإذا عرضوا على ربهم، قالت الأنبياء: نحن نشهد عليكم أنا شهدنا بالحق فكذبونا، ونشهد أنهم كذبوا على ربهم، وقالوا: إن مع الله شريكًا، ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٨]، يعنى المشركين، نظيرها فى الأعراف: ﴿أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى دين الإسلام، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، يقول: ويريدون بملة الإسلام زيغًا، ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ﴾، يعنى بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ١٩]، يعنى بأنه ليس بكائن.

ثم نعتهم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ﴾، يعنى بسابقى الله ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هربًا حتى يجزيهم بأعمالهم الخبيثة، ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾، يعنى أقرباء يمنعونهم من الله، ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾، يعنى ما كانوا على

سمع إيمان بالقرآن، ﴿وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٢٠] الإيمان بالقرآن؛ لأن الله جعل فى آذانهم وقرًا، وعلى أبصارهم غشاوة.

ثم نعتهم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، يعنى غبنوا أنفسهم، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٢١].

﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًا، ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [آية: ٢٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٣) ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤)﴾

ثم أخبر عن المؤمنين وما أعد لهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، يعنى وأخلصوا إلى ربهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٢٣] لا يموتون.

ثم ضرب مثلاً للمؤمنين والكافرين، فقال: ﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ المؤمن والكافر، ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ﴾ عن الإيمان لا يبصر، ﴿وَٱلْأَصَمِّ﴾ عن الإيمان، فلا يسمعه، يعنى الكافر، ثم ذكر المؤمن، فقال: ﴿وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ للإيمان، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾، يقول: هل يستويان فى الشبه، فقالوا: لا، فقال: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢٤] أنهما لا يستويان فتعتبروا.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ (٢٨) وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣١) قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ

إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

ولما كذب كفار مكة محمدًا بالرسالة، أخبر الله محمدًا، عليه السلام، أنه أرسله رسولاً كما أرسل نوحًا، وهودًا، وصالحًا، ولوطًا، وشعيبًا، فى هذه السورة، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾، فقال لهم: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ من العذاب فى الدنيا، ﴿مُّبِينٌ﴾ [آية: ٢٥]، يعنى بين، نظيرها فى سورة نوح.

ثم قال: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ فى الدنيا، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٢٦]، يعنى وجيع.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾، يعنى إلا آدميًا مثلنا لا تفضلنا بشىء، ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾، يعنى الرذالة من الناس السفلة، ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾، يعنى بدا لنا أنهم سفلتنا، ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ﴾ فى ملك ولا مال ولا شىء فنتبعك، يعنون نوحًا، ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ﴾، يعنى نحسبك من الـ﴿كَٰذِبِينَ﴾ [آية: ٢٧] حين تزعم أنك رسول نبى.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾، يعنى بيان من ربى، ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً﴾، يعنى وأعطانى نعمة، ﴿مِّنْ عِندِهِۦ﴾، وهو الهدى، ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾، يعنى فخفيت عليكم الرحمة، ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا﴾، يعنى الرحمة، وهى النعمة والهدى، ﴿كَٰرِهُونَ﴾ [آية: ٢٨].

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾، يعنى جُعلاً على الإيمان، ﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾، يعنى ما جزائى، ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ فى الآخرة، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾، يعنى وما أنا بالذى لا أقبل الإيمان من السفلة عندكم، ثم قال: ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾، فيجزئهم بإيمانهم، كقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ١١٣]، يعنى لو تعلمون إذا لقوه، ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [آية: ٢٩] ما آمركم به، وما جئت به.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى﴾ يمنعنى ﴿مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾، يعنى إن لم أقبل منهم الإيمان،

أى من السفلة، ﴿أَفَلَا﴾، يعنى أفهلا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٣٠] أنه لا مانع لأحد من الله.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾، يعنى مفاتيح الله بأنه يهدى السفلة دونكم، ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾، يقول: ولا أقول لكم عندى غيب ذلك إن الله يهديهم، وذلك قول نوح فى الشعراء: ﴿**وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الشعراء: ١١٢]، ثم قال لهم نوح: ﴿وَلَآ أَقُولُ﴾ لكم ﴿إِنِّى مَلَكٌ﴾ من الملائكة، إنما أنا بشر، لقولهم: ﴿**مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا**...﴾ [هود: ٢٧] إلى آخر الآية.

﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ﴾، يعنى السفلة، ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾، يعنى إيمانًا، وإن كانوا عندكم سفلة، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾، يعنى بما فى قلوبهم، يعنى السفلة من الإيمان، قال نوح: ﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٣١] إن لم أقبل منهم الإيمان.

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾، يعنى ماريتنا، ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾[1]، يعنى مراءنا، ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب، ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آية: ٣٢] بأن العذاب نازل بنا، لقوله فى هذه الآية الأولى: ﴿**إِنِّىَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ**﴾ [هود: ٢٦].

وذلك أن الله أمر نوحًا أن ينذرهم العذاب فى سورة نوح فكذبوه، فقالوا: ﴿**فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾، بأن العذاب نازل بنا، فرد عليهم نوح: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾، وليس ذلك بيدى، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى بسابقى الله بأعمالكم الخبيثة حتى يجزيكم بها.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ﴾ فيما أحذركم من العذاب، ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾، يعنى يضلكم عن الهدى، فـ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾، ليس له شريك، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٣٤] بعد الموت، فيجزيكم بأعمالكم.

ثم ذكر الله تعالى كفار أمة محمد ﷺ من أهل مكة، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾، نظيرها فى حم الزخرف: ﴿**أَمْ أَنَا خَيْرٌ**﴾، يعنى بل أنا خير ﴿**مِّنْ هَذَا**

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢١، إعراب القرآن للنحاس ٢/٨٨، البحر المحيط ٥/٢١٨، الجامع الأحكام القرآن ٩/٢٨، الكشاف ٢/٢٦٧، معانى القرآن للأخفش ٢/٣٥٢).

﴿الَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ [الزخرف: ٥٢].

﴿افْتَرَاهُ﴾، قالوا: محمد يقول هذا القرآن من تلقاء نفسه، وليس من الله، ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾، يعنى تقولته من تلقاء نفسى، ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِى﴾، فعلى خطيئتى بافترائى على الله، ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [آية: ٣٥]، يعنى برىء من خطاياكم، يعنى كفركم بالله عز وجل.

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠)﴾

ثم ذكر نوحًا، فقال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَوَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾، يعنى إلا من صدق بتوحيد الله، ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾، يعنى فلا تحزن، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٣٦]، يعنى بكفرهم بالله عز وجل.

﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾، يعنى السفينة واعمل فيها، ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾، يعنى بعلمنا، ﴿وَوَحْيِنَا﴾ كما نأمرك، فعملها نوح فى أربعمائة سنة، وكانت السفينة من ساج، ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي﴾، يقول: ولا تراجعنى ﴿فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعنى الذين أشركوا، وهو ابنه كنعان بن نوح، فإنه من الذين ظلموا، ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [آية: ٣٧] لقول نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [آية: ٤٥].

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾، يعنى يعمل فيها، ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ﴾، يعنى كلما أتى عليه ﴿مَلَأٌ﴾، يعنى أشراف ﴿مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ حين يزعم أنه يصنع بيتًا يسير على الماء، ولم يكونوا رأوا سفينة قط، ﴿قَالَ﴾ لهم نوح: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا﴾ لصنعنا السفينة، ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ إذا نزل بكم الغرق، ﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [آية: ٣٨].

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا وعيد ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾، يعنى يذله، يعنى الغرق،

﴿وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ﴾، ويجب عليه ﴿عَذَابٞ مُّقِيمٌ﴾ [آية: ٣٩]، يعنى فى الآخرة دائمًا لا يزول عن أهله.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾، يعنى قولنا فى نزول العذاب بهم، ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾[1]، فار الماء من التنور الذى يخبز فيه، وكان بأقصى دار نوح بالشام بعين وردة، ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾، يعنى صنفين اثنين ذكرًا وأنثى، فهو زوجان، ولولا أنه قال: اثنين، لكان الزوجان أربعة، ﴿وَ﴾ احمل ﴿وَأَهۡلَكَ﴾ واسمها والغة، واسم امرأة لوط والهة، فى السفينة، ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾[2]، يعنى العذاب فى اللوح المحفوظ من أهلك، يعنى كنعان بن نوح، فلا تحملهم معك، فاستثنى من أهله ابنه وامرأته، ﴿وَمَنۡ ءَامَنَۚ﴾، يعنى ومن صدق بتوحيد الله، فاحمله فى السفينة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ﴾ مع نوح، ﴿إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [آية: ٤٠]، يقال: بأنهم أربعون رجلاً وأربعون امرأة عددهم ثمانون نفسًا، واسم القرية اليوم قرية الثمانين، وهى بالجزيرة قريبة من الموصل، وهى بافردى.

﴿۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ٢٤/١٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١٠٥/٤، تفسير القرطبى ٣٣/٩، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣٢٨/٣).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ٢٦/١٢، تفسير الماوردى ٢١٦/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١٠٤/٤، تفسير القرطبى ٣٥/٩).

كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ فى السفينة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ إذا ركبتموها، فقولوا: بسم الله ﴿مَجْر۪ىٰهَا﴾ حين تجرى، ﴿وَمُرْسَىٰهَآ﴾ (١) حين تحبس، ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ﴾ للذنوب، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٤١] بنا حين نجانا من العذاب.

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ (٢) كنعان سبع مرات، وكان ابنه من صلبه، ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ كان معتزلاً عنه، ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٤٢] فتغرق معهم.

﴿قَالَ﴾ ابنه ﴿سَـَٔاوِىٓ﴾، يعنى سأنضم، ﴿إِلَىٰ جَبَلٍ﴾ أصعده ﴿يَعْصِمُنِى﴾، يعنى يمنعنى ﴿مِنَ﴾ غرق ﴿ٱلْمَآءِ قَالَ﴾ نوح: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ﴾، يعنى لا مانع اليوم ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾، يعنى به الغرق، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ ربى، يقول: من عصم من المؤمنين فركب معى فى السفينة، فإنه لن يغرق، يقول الله تعالى: ﴿وَحَالَ﴾، يعنى وحجز ﴿بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾، يعنى بين نوح وابنه كنعان، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [آية: ٤٣]، وغضب الله على كنعان حين ظن أن الجبل يمنعه من الله فلا يغرق.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ بعدما غرقتهم أجمعين، فابتلعت الأرض ما خرج منها من الماء، ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾، يعنى أمسكى، قال: فلم تقع قطرة، ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾، يعنى ونقص الماء وطهرت الجبال، ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾، يعنى العذاب بالغرق على الكافرين فغرقوا، ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ السفينة ﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ (٣) شهرًا، وهو جبل قريب من الموصل؛ لأن الجبال تطاولت وتواضع الجودى، ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٤٤]، يعنى المشركين، يعنى بالبعد الهلاك.

---

(١) انظر: (السبعة لابن مجاهد ٣٣٣، معانى القرآن للفراء ١٤/٢، تفسير الطبرى ٢٧/١٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١٠٨/٤).

(٢) انظر: (التبيان ٤٩٥/٥، الجامع لأحكام القرآن ٣٨/٩، الكشاف ٢٧٠/٢، مجمع البيان ١٦٠/٥، تفسير الفخر الرازى ٢٣١/١٧، إعراب القرآن للعكبرى ٢١/٢، إعراب القرآن للنحاس ٩٢/٢، مختصر شواذ القراءات ٦٠).

(٣) انظر: (معانى القرآن للفراء ١٦/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٥٦، إعراب القرآن للعكبرى ٢٢/٢، البحر المحيط ٢٢٩/٥).

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ ، يعنى دعا نوح ربه، فيها تقديم، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ الذين وعدتنى أن تنجيهم من الغرق، ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ ، يعنى الصدق، ولا خلاف له فى النجاة، ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [آية: ٤٥]، يعنى خير الحاكمين لا تجور فى القضاء.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الذين وعدتك أن أنجيهم، ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ ، يعنى عمل شركا، ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ﴾ ، يعنى أؤدبك ﴿أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [آية: ٤٦] لسؤالك إياى.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾ بعد النهى ﴿مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ ذنبى، يعنى مقالى، ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ﴾ فلا تعذبنى، ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آية: ٤٧] فى العقوبة.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾ من السفينة ﴿بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ ، فسلمه الله ومن معه من الغرق، ثم قال: ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ فى السفينة، يعنى بالبركة أنهم توالدوا وكثروا بعدما خرجوا من السفينة، ثم قال: ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ فى الدنيا إلى آجالهم، ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا﴾ يقول: يصيبهم منا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٤٨]، يعنى وجيع، يعنى بالأمم قوم هود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، الذين أهلكهم الله فى الدنيا بالعذاب بعد قوم نوح.

ثم قال: ﴿تِلْكَ﴾ القصة ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ ، يعنى من أحاديث ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ غاب عنك، لم تشهدها يا محمد، ولم تعلمها إلا بوحينا، ﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ القرآن حتى أعلمناك أمرهم فى القرآن، يعنى الأمم الخالية قوم نوح، وهود، وصالح، وغيرهم، ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على تكذيب كفار مكة، وعلى أذاهم ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ﴾ ، يعنى الجنة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٤٩] الشرك.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ

إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ أرسلنا ﴿أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾، يعنى وحدوا الله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، يعنى ليس لكم رب غيره، ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾، يعنى ما أنتم ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [آية: ٥٠] الكذب حين تقولون إن لله شريكًا، وذلك أنهم قالوا لأنبيائهم: تريدون أن تملكوا علينا فى أموالنا، فذلك قول الأنبياء لهم: ﴿**يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ [الشعراء: ١٢٧]، يعنى ما جزائى إلا على الله.

وذلك قول قوم هود: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ أَجْرِىَ﴾، يعنى ما جزائى ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾، يعنى خلقنى، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٥١] أنه ليس مع الله شريك.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، يعنى المطر متتابعًا، وقد كان الله تعالى حبس عنهم المطر ثلاث سنين، وحبس عنهم الولد، فمن ثم قال: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾، يعنى عددًا إلى عددكم وتتوالدون وتكثرون، ثم قال لهم هود: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [آية: ٥٢]، يقول: ولا تعرضوا عن التوحيد مشركين.

﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾، يعنى ببيان أنك رسول إلينا من الله، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾، يعنون عبادة الأوثان، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٥٣]، يعنى بمصدقين بأنك رسول.

﴿إِن﴾، يعنى ما ﴿نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾، يعنون جنونًا أصابك به، ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ﴾، يعنون أنه يعتريك من آلهتنا الأوثان بجنون أو بخبل، ولا نحب أن يصيبك أو

يعتريك ذلك فاجتنبها سالمًا.

قال عبد الله: قال الفراء: الخبل مُسكَّنَةُ الباء العلة المانعة من الحركة المعطلة للبدن، والخبل: الجنون محركة الباء، فرد عليهم هود: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٥٤].

﴿مِن دُونِهِۦۖ﴾ من الآلهة، ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا﴾ أنتم والآلهة، ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [آية: ٥٥]، يعنى ثم لا تناظرون، يعنى لا تمهلون.

﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾، يعنى وثقت بالله، ﴿رَبِّي وَرَبِّكُمۚ﴾ حين خوفوه آلهتهم أنها تصيبه، ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ﴾، يعنى ما من شىء، ﴿إِلَّا﴾ و ﴿هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾، يقول: إلا الله يميتها، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آية: ٥٦]، يعنى على الحق المستقيم.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾، يعنى فإن تعرضوا عن الإيمان، ﴿فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ من نزول العذاب بكم فى الدنيا، ﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي﴾ بعد هلاككم ﴿قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ أمثل وأطوع لله منكم، ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ﴾ يقول: ولا تنقصونه من ملكه شيئًا، إنما تنقصون أنفسكم، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ من أعمالكم ﴿حَفِيظٞ﴾ [آية: ٥٧].

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾، يعنى قولنا فى نزول العذاب، ﴿نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ من العذاب ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾، يعنى بنعمة منا عليهم، ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ [آية: ٥٨]، يعنى شديد، وهى الريح الباردة لم تفتر عنهم حتى أهلكتهم.

﴿وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾، يعنى كفروا بعذاب الله بأنه غير نازل بهم فى الدنيا، ﴿وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ﴾، يعنى هودًا وحده، ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ [آية: ٥٩]، يعنى متعظمًا عن التوحيد، فهم الأتباع، اتبعوا قول الكبراء فى تكذيب هود، ﴿عَنِيدٖ﴾، يعنى معرضًا عن الحق، وكان هذا القول من الكبراء للسفلة فى سورة المؤمنين ﴿**مَا هَذَا**﴾، يعنى هودًا ﴿**إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ**﴾ [المؤمنون: ٣٣] من الشراب.

وقال للأتباع: ﴿**وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ**﴾ [المؤمنون: ٣٤]، يعنى لعجزة، فهذا قول الكبراء للسفلة، فاتبعوهم على قولهم، ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ﴾، يعنى العذاب، وهى الريح التى أهلكتهم، ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾، يعنى عذاب النار،

﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ﴾، يعنى بتوحيد ربهم، ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [آية: ٦٠] فى الهلاك.

﴿۞وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿۞وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ أرسلنا ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ﴾ ليس بأخيهم فى الدين، ولكنه أخوهم فى النسب، وهو صالح بن آسف، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، يعنى وحدوا الله، ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾، يعنى هو خلقكم من الأرض، ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، يعنى وعمركم فى الأرض، ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ﴾ منه ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ﴾ منكم فى الاستجابة ﴿مُّجِيبٌ﴾ [آية: ٦١] الدعاء، كقوله: ﴿**فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٦].

﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ﴾، يعنى مأمولاً قبل هذا كنا نرجو أن ترجع إلى ديننا، فما هذا الذى تدعونا إليه؟ ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الآلهة، ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾ [آية: ٦٢]، يعنى بالمريب أنهم لا يعرفون شكهم.

﴿قَالَ﴾ صالح ﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾، يعنى على بيان من ربى، ﴿وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾، يقول: أعطانى نعمة من عنده، وهو الهدى، ﴿فَمَن يَنصُرُنِى﴾، يعنى فمن يمنعنى ﴿مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥۖ﴾، يعنى إن رجعت إلى دينكم،

لقولهم صالح قد كنت فينا مرجو قبل هذا الذى تدعونا إليه، ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [آية: ٦٣]، يقول: فما تزيدوننى إلا خسارًا. قال عبد الله: قال الفراء: المعنى كلما دعوتكم زدتمونى تباعدًا منى، فأنتم بذلك تخسرون، يعنى تهلكون.

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾، يعنى عبرة، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾، لا تكلفكم مؤنة، ولا علفًا، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾، يقول: ولا تصيبوها بعقر، ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾ فى الدنيا، ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [آية: ٦٤] منكم، لا تمهلون حتى تعذبوا.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ ليلة الأربعاء بالسيف فماتت، ﴿فَقَالَ﴾ لهم صالح: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ﴾، يعنى محلتكم فى الدنيا، ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿وَعْدٌ﴾ من الله ﴿غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [آية: ٦٥] ليس فيه كذب بأن العذاب نازل بهم بعد ثلاثة الأيام، فأهلكهم الله صبيحة يوم الرابع يوم السبت.

فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾، يعنى قولنا فى العذاب، ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾، يعنى بنعمة عليهم منا، ﴿وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ﴾، يعنى ونجيناهم من عذاب يومئذ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ فى نصر أوليائه، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [آية: ٦٦]، يعنى المنيع فى ملكه وسلطانه حين أهلكهم.

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾، يعنى الذين أشركوا ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾، صيحة جبريل، عليه السلام، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [آية: ٦٧]، يعنى فى منازلهم خامدين.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾، يقول: كأنهم لم يكونوا فى الدنيا قط، ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟﴾ بتوحيد ﴿رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [آية: ٦٨] فى الهلاك.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ

وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾، وهو جبريل ومعه ملكان وهما ملك الموت وميكائيل، ﴿إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ فى الدنيا الولد بإسحاق ويعقوب، ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ﴾، قالوا: تحية لإبراهيم، فسلموا على إبراهيم، فرد إبراهيم عليهم، فـ﴿قَالَ سَلَٰمٌ ۖ﴾، يقول: رد إبراهيم خيرًا، وهو يرى أنهم من البشر، ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ﴾ إبراهيم ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [آية: ٦٩]، يعنى الحنيذ النضيج؛ لأنه كان البقر أكثر أموالهم، والحنيذ الشواء الذى أنضج بحر النار من غير أن تمسه النار بالحجارة تحمى وتجعل فى سرب فتشوى.

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾، أى إلى العجل، ﴿نَكِرَهُمْ﴾، يعنى أنكرهم وخاف شرهم، ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ﴾، يقول: فوقع عليه الخوف منهم فرعد، ﴿قَالُوا۟﴾، أى قالت الملائكة: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [آية: ٧٠] بهلاكهم، ولوط بن حازان، وامرأة سارة بنت حازان أخت لوط، وإبراهيم عم لوط وختنه على أخته.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾، وهى سارة، ﴿قَآئِمَةٌ﴾ وإبراهيم جالس، ﴿فَضَحِكَتْ﴾ من خوف إبراهيم ورعدته من ثلاثة نفر، وإبراهيم فى حشمه وخدمه، فقال جبريل، عليه السلام، لسارة: إنك ستلدين غلامًا، فذلك قوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [آية: ٧١].

﴿قَالَتْ﴾ سارة: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ﴾[1]، وهو ابن سبعين

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢٣/٢، إعراب القرآن للنحاس ١٠٢/٢، إتحاف ٢٥٩، تفسير القرطبى ٧٠/٩، مجمع البيان ١٧٥/٥، معانى القرآن للأخفش ٣٥٦/٢، معانى القرآن للفراء ٢٣/٢، مغنى اللبيب ١٤٢/٢، ١٤٣، البحر المحيط ٢٤٤/٥ مختصر شواذ القراءات ٦٠، الكشاف ٢٨١/٢، مجمع البيان ١٧٥/٥).

سنة، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [آية: ٧٢]، يعنى لأمر عجيب أن يكون الولد من الشيخين الكبيرين.

﴿قَالُوٓاْ﴾، قال جبريل لهما: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أن يخلق ولدًا من الشيخين، ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾، يعنى نعمة الله وبركاته، ﴿عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، يعنى بالبركة ما جعل الله منهم من الذرية، ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾ فى خلقه، ﴿مَّجِيدٌ﴾ [آية: ٧٣]، يعنى كريم.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾، يعنى الخوف، ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ فى الولد ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾، يعنى يخاصمنا إبراهيم ﴿فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [آية: ٧٤]، كقوله فى الرعد: ﴿**يُجَادِلُونَ فِى اللّهِ**﴾ [الرعد: ١٣]، ومثل قوله: ﴿**قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا**﴾ [هود: ٣٢].

وخصومة إبراهيم، عليه السلام، أنه قال: يا رب، أتهلكهم إن كان فى قوم لوط خمسون رجلاً مؤمنين؟ قال جبريل، عليه السلام: لا، فما زال إبراهيم، عليه السلام، ينقص خمسة خمسة، حتى انتهى إلى خمسة أبيات، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾، يعنى لعليم، ﴿أَوَّٰهٌ﴾، يعنى موقن، ﴿مُّنِيبٌ﴾ [آية: ٧٥] مخلص.

وقال جبريل لإبراهيم: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ الجدال حين قال: أتهلكهم إن كان فيهم كذا وكذا، ثم قال جبريل، عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾، يعنى قول ربك فى نزول العذاب بهم، ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [آية: ٧٦]، يعنى غير مدفوع عنهم، يعنى الخسف والحصب بالحجارة.

قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا﴾ جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ﴿لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ﴾، يعنى كرههم لصنيع قومه بالرجال مخافة أن يفضحوهم، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ﴾ جبريل ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [آية: ٧٧]، يعنى فظيع فاش شره عليه.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾، يعنى يسرعون إليه مشاة إلى لوط، ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ أن نبعث لوطًا، ﴿كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، يعنى نكاح الرجال، و﴿قَالَ﴾ لوط: ﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ ريثا وزعوثا، فتزوجوهما ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[1]، يعنى أحل

---

(١) انظر: (معانى القرآن للأخفش ٢/٣٥٦، الكشاف ٢/٢٨٣، مجمع البيان ٥/١٨١، التبيان ٦/٤٠، الطبرى ١٢/٥٢، القرطبى ٩/٧٦، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٤، إعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٤، مغنى اللبيب ٢/١٠٤، همع الهوامع ١/٢٣٨).

لكم من إتيان الرجال، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في معصيته، ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [آية: ٧٨]، يقول: ما منكم رجل مرشد.

﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾، يعنون من حاجة، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [آية: ٧٩] أنهم يريدون الأضياف.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾، يعني بطشًا، ﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [1] [آية: ٨٠]، يعني منيع، يعني رهط، يعني عشيرة لمنعتكم مما تريدون.

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ﴾، قال جبريل للوط: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ بسوء؛ لأنهم قالوا للوط: إنَّا نرى معك رجالاً سحروا أبصارنا، فستعلم غدًا ما تلقى أنت في أهلك، فقال جبريل، عليه السلام: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾، يعني امرأته وابنتيه، ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾، يعني ببعض الليل، ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ البتة ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ فإنها تلتفت، يقول: لا ينظر منكم أحد وراءه، ثم استثنى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ تلتفت، ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا﴾ من العذاب ﴿مَآ أَصَابَهُمْ﴾، يعني قوم لوط، فالتفتت فأصابها حجر فقتلها، ثم قال: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾، ثم يهلكون، قال لوط لجبريل: عجل عليَّ بهلاكهم الآن، فرد عليه جبريل: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؟ [آية: ٨١].

يقول الله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾، يعني قولنا في نزول العذاب، ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾، يعني الخسف، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾، يعني على أهلها من كان خارجًا من المدائن الأربع، ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾، يعني حجارة خالطها الطين، ﴿مَّنضُودٍ﴾ [آية: ٨٢]، يعني ملزق الحجر بالطين.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾، يعني معلمة، ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾، يعني جاءت من عند الله عز وجل، ثم قال: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [آية: ٨٣]؛ لأنها قريب من الظالمين، يعني من مشركي مكة، فإنها تكون قريبًا، يخوفهم منها، وسيكون ذلك في آخر الزمان، يعني ما هي ببعيد؛ لأنها قريب منهم، والبعيد ما ليس بكائن، فذلك قوله: ﴿**إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا**﴾ [المعارج: ٦، ٧]، يعني كائنًا.

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٢٤٧/٥، الكشاف ٢٨٣/٢، إعراب القرآن للعكبري ٢٤/٢، مجمع البيان ١٨١/٥).

﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾

قوله: ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾، وهو ابن إبراهيم خليل الرحمن، وشعيب بن نويب بن مدين بن إبراهيم، ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ﴾، يعنى أرسلنا، ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ﴾، وليس بأخيهم فى الدين، ولكن فى النسب، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾، يعنى وحدوا الله، ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾، يقول: ليس لكم رب غيره، ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ﴾ إذا كلتم ووزنتم، ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾، يعنى موسرين فى نعمة، ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾، فى الدنيا، ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [آية: ٨٤]، يعنى أحاط بهم العذاب، فلم ينج منهم أحد.

﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾، يعنى بالعدل، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾، يعنى ولا تنقصوا الناس حقوقهم، ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [آية: ٨٥]، يقول: لا تعملوا فيها المعاصى، يعنى بالفساد نقصان الكيل والميزان.

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾، يعنى ثواب الله فى الآخرة ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ﴾، يعنى لو كنتم مؤمنين بالله عز وجل، لكان ثوابه خير لكم من نقصان الكيل والميزان، كقوله: ﴿**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ**﴾ [النحل: ٩٦]، يعنى ثوابه باق، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم﴾، يعنى على أعمالكم ﴿بِحَفِيظٍ﴾ [آية: ٨٦]، يعنى برقيب، والله الحافظ لأعمالكم.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ﴾، يعنى أن نعتزل ﴿مَا﴾ كان ﴿يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾، وكانوا يعبدون الأوثان، ﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾، يعنون إن شئنا نقصنا الكيل والميزان، وإن شئنا وفينا، ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ﴾، يعنون السفيه، ﴿ٱلرَّشِيدُ﴾ [آية: ٨٧]، يعنون الضال، قالوا ذلك لشعيب استهزاء.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾، يعنى الإيمان، وهو الهدى، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾، يعنى وما أريد أن أنهاكم عن أمر، ثم أركبه، لقولهم لشعيب فى الأعراف: ﴿**أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا**﴾ [الأعراف: ٨٨].

ثم قال: ﴿إِنۡ أُرِيدُ﴾، يعنى ما أريد ﴿إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ﴾ فى الإصلاح بالخير ﴿إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾، يقول: به وثقت، لقولهم: ﴿**لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا**﴾ [الأعراف: ٨٨]، ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [آية: ٨٨]، وإليه المرجع بعد الموت.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ﴾[1]، يقول: لا تحملنكم عداوتى ﴿أَن يُصِيبَكُم﴾ من العذاب فى الدنيا ﴿مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ﴾ من الغرق، ﴿أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ﴾ من الريح، ﴿أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ﴾ من الصيحة، ﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ﴾، أى ما أصابهم من الخسف والحصب ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ [آية: ٨٩]، كان عذاب قوم لوط أقرب العذاب إلى قوم شعيب من غيرهم.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ من الشرك، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾ منها ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ﴾ لمن تاب وأطاعه، ﴿وَدُودٞ﴾ [آية: ٩٠]، يعنى مجيب.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٩٢ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١٠٨/٢، إعراب القرآن للعكبرى ٢٤/٢، القرطبى ٩٠/٩، النشر ٢٤٦/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٦٠، البحر المحيط ٢٥٥/٥).

بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾

﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾، يعنى ما نعقل، ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ لنا من التوحيد، ومن وفاء الكيل والميزان، ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾، يعنى ذليلاً لا قوة لك ولا حيلة، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ﴾، يعنى عشيرتك وأقرباءك لقتلناك، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا﴾، يعنى عندنا ﴿بِعَزِيزٍ﴾ [آية: ٩١]، يعنى بعظيم، مثل قول السحرة: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ [الشعراء: ٤٤]، يعنون بعظمة فرعون، يقولون: أنت علينا هين.

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يعنى أعظم عندكم من الله عز وجل، ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾، يقول: أطعتم قومكم ونبذتم الله وراء ظهوركم، فلم تعظموه، فمن لم يوحده لم يعظمه، ﴿إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آية: ٩٢]، يعنى من نقصان الكيل والميزان، يعنى أحاط علمه بأعمالكم.

﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ هذا وعيد، يعنى على جديلتكم التى أنتم عليها، ﴿إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، هذا وعيد، ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾، يعنى يذله، ﴿وَمَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ﴾ بنزول العذاب بكم أنا أو أنتم، لقولهم: ليس بنازل بنا، ﴿وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [آية: ٩٣]، يعنى انتظروا العذاب، فإنى منتظر بكم العذاب فى الدنيا.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾، يعنى قولنا فى العذاب، ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾، يعنى بنعمة منا عليهم، ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾، يعنى صيحة جبريل، عليه السلام، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ [آية: ٩٤]، يعنى فى منازلهم موتى.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾، يعنى كأن لم يكونوا فى الدنيا قط، ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ فى الهلاك، ﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[1] [آية: ٩٥]، يعنى كما هلكت ثمود؛ لأن كل واحدة

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٥/٢٥٧، القرطبى ٩/٩٢، الكشاف ٢/٢٩١، مجمع البيان ٥/١٨٦، إعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٩، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٥).

منهما هلكت بالصيحة، فمن ثم اختص ذكر ثمود من بين الأمم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾، يعنى اليد والعصى، ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٩٦].

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ﴾، يعنى أشراف قومه، ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ فى المؤمن حين قال: ﴿**مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى**﴾ [غافر: ٢٩]، فأطاعوا فرعون فى قوله، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [آية: ٩٧] لهم، يعنى بهدى.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ القبط ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، يعنى فرعون قائدهم إلى النار، ويتبعونه كما يتبعونه فى الدنيا، ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ فأدخلهم، ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [آية: ٩٨] المدخل المدخول.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً﴾، يعنى العذاب، وهو الغرق، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لعنة أخرى فى النار، ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [آية: ٩٩]، فكأن اللعنتين أردفت إحداهما الأخرى.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥)﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾، يعنى هذا الخبر الذى أخبرت، ﴿مِنْ أَنبَاءِ﴾، يعنى من حديث، ﴿الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾، فحذر قومك مثل عذاب الأمم الخالية، ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [آية: ١٠٠]، يقول: من القرى ما ينظر إليها ظاهرة، ومنها خامدة قد ذهبت ودرست.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ فنعذبهم على غير ذنب، ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، يعنى التى يعبدون من دون الله ﴿مِن شَيْءٍ﴾ حين عذبوا، ﴿لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾، يعنى حينما جاء قول ربك فى العذاب، ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾، يعنى الآلهة ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [آية: ١٠١]، يعنى غير تخسير، حيث لم ينفعوهم عند الله. قال عبد الله: قال الفراء: نحن أعز من أن نظلم، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ نحن أعدل من أن نظلم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ﴾، أى مشركة، ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ﴾، يعنى بطشه، ﴿أَلِيمٌ﴾، يعنى وجيع، ﴿شَدِيدٌ﴾ [آية: ١٠٢].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾، يعنى إن فى هلاك القرى لعبرة، ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [آية: ١٠٣]، شهد الرب والملائكة لعرض الخلائق وحسابهم.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [آية: ١٠٤]، يعنى وما نؤخر يوم القيامة إلا لأجل موقوت.

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم، ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ بإذن الله تعالى، ﴿فَمِنْهُمْ﴾، يقول الله تعالى: فمن الناس ﴿شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [آية: ١٠٥].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾

ثم بين ثوابهم، فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا﴾ فى الخلود، ﴿زَفِيرٌ﴾، يعنى آخر نهيق الحمار، قال: ﴿وَشَهِيقٌ﴾ [آية: ١٠٦] فى الصدور، يعنى أول نهيق الحمار. قال أبو محمد، يعنى عبد الله بن ثابت: قال أبو العباس ثعلب: الزفير من البدن كله، والشهيق من الصدر.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، يقول: كما تدوم السموات والأرض لأهل الدنيا، ولا يخرجون منها، فكذلك يدوم الأشقياء فى النار، ثم قال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، فاستثنى الموحدين الذين يخرجون من النار لا يخلدون، يعنى الموحدين، ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [آية: ١٠٧]. قال عبد الله بن ثابت: قال الفراء: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، يعنى سوى ما شاء ربك من زيادة الخلق فى النار.

﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ كما تدومان لأهل الدنيا، ثم لا يخرجون منها، وكذلك السعداء فى الجنة، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَا

﴿شَآءَ رَبُّكَ﴾، يعنى الموحدين الذين يخرجون من النار، ثم قال: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [آية: ١٠٨]، يعنى غير مقطوع عنهم أبدًا.

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿فَلَا تَكُ﴾ يا محمد ﴿فِى مِرْيَةٍ﴾، يعنى فى شك، ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، يعنى كفار مكة أنها ضلال، ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ الأولون ﴿مِّن قَبْلُ﴾، يعنى من قبلهم، ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾، يقول: إنَّا لموفون لهم حظهم من العذاب، ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [آية: ١٠٩] عنهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى أعطينا موسى التوراة، ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾، يعنى من بعد موسى، يقول: آمن بالتوراة بعضهم وكفر بها بعضهم، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ يا محمد فى تأخير العذاب عنهم إلى وقت، ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ فى الدنيا بالهلاك حين اختلفوا فى الدين، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾، يعنى من الكتاب الذى أوتوه، ﴿مُرِيبٍ﴾ [آية: ١١٠]، يعنى بالمريب الذين لا يعرفون شكهم.

ثم رجع إلى أول الآية، فقال: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[(١)]، ولما هاهنا صلة، يقول: يوفر لهم ربك جزاء أعمالهم، ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آية: ١١١].

﴿فَٱسْتَقِمْ﴾، يعنى فامض يا محمد بالتوحيد ﴿كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ من الشرك، فليستقيموا معك، فامضوا على التوحيد، ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ فيه، يقول: ولا تعصوا الله فى التوحيد، ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية: ١١٢].

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١١٤/٢، البحر المحيط ٢٦٦/٥، الطبرى ٧٤/١٢، ٧٥، مجمع البيان ١٩٦/٥، معانى القرآن للفراء ٣٠/٢، التبيان ٧٥/٦، الحجة لأبى زرعة ٣٥١، القرطبى ١٠٥/٩، الكشاف ٢٩٥/٢).

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ (١)، يعنى ولا تميلوا إلى أهل الشرك، يقول: ولا تلحقوا بهم، ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾، يعنى فتصيبكم النار، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾، يعنى من أقرباء يمنعونكم، يقول: لا يمنعونكم من النار، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [آية: ١١٣].

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يعنى وأتم الصلاة، يعنى ركوعها وسجودها، ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾، يعنى صلاة الغداة، وصلاة الأولى، والعصر، ثم قال: ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ (٢)، يعنى صلاة المغرب والعشاء، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾، يعنى الصلوات الخمس ﴿يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، يعنى يكفرن الذنوب ما اجتنبت الكبائر، نزلت فى أبى مقبل، واسمه عامر بن قيس الأنصارى، من بنى النجار، أتته امرأة تشترى منه تمرًا فراودها، ثم أتى النبى ﷺ، فقال: إنى خلوت بامرأة، فما شىء يفعل بالمرأة إلا وفعلته بها، إلا أنى لم أجامعها، فنزلت: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ...﴾ إلى آخر الآية.

ثم عمد الرجل، فصلى المكتوبة وراء النبى ﷺ، فلما انصرف النبى ﷺ، قال له: «أليس قد توضأت وصليت معنا؟»، قال: بلى، قال: «فإنها كفارة لما صنعت»، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكره من الصلاة طرفى النهار وزلفى من الليل من الصلاة، ﴿ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [آية: ١١٤]، كقوله لموسى: ﴿وأقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى﴾ [طه: ١٤].

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٦، إعراب القرآن للنحاس ٢/١١٦، الكشاف ٢/٢٩٦، القرطبى ٩/١٠٨).

(٢) انظر: (إتحاف ٢٦١، إعراب القرآن للنحاس ٢/١١٧، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٦، البحر المحيط ٥/٢٧٠، التبيان ٦/٧٨، الطبرى ١٢/٧٧، القرطبى ٩/١٠٨، مجمع البيان ٥/١٩٩، معانى القرآن للفراء ٢/٣٠، النشر ٢/٢٩٢).

﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمد على الصلاة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ١١٥]، يعنى جزاء المخلصين.

﴿فَلَوۡلَا كَانَ﴾، يعنى لم يكن ﴿مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ﴾، يعنى الشرك، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، يقول: لم يكن من القرون من ينهى عن المعاصى فى الأرض بعد الشرك، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ﴾، يعنى مع الرسل من العذاب مع الأنبياء، فهم الذين كانوا ينهون عن الفساد فى الأرض، ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[1]، يقول: وآثر الذين ظلموا دنياهم، ﴿مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾، يعنى ما أعطوا فيه من دنياهم على آخرتهم، ﴿وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ [آية: ١١٦]، يعنى الأمم الذين كذبوا فى الدنيا.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ﴾، يعنى ليعذب فى الدنيا، ﴿ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ﴾، يعنى على غير ذنب، يعنى القرى التى ذكر الله تعالى فى هذه السورة الذين عذبهم الله، وهم: قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وقوم شعيب، ثم قال: ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾ [آية: ١١٧]، يعنى مؤمنون، يقول: لو كانوا مؤمنين ما عذبوا.

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ﴾، يعنى على ملة الإسلام وحدها، ثم قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ [آية: ١١٨]، يقول: لا يزال أهل الأديان مختلفين فى الدين، غير دين الإسلام.

ثم استثنى بعضهم: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾، أهل التوحيد لا يختلفون فى الدين، ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾، يعنى للرحمة خلقهم، يعنى الإسلام، ﴿وَتَمَّتۡ﴾، يقول: وحقت ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ العذاب على المختلفين، والكلمة التى تمت قوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [آية: ١١٩]، يعنى الفريقين جميعًا.

﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠﴾

﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ وأممهم، وما يذكر فى هذه السورة، ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾، يعنى قلبك أنه حق، فذلك قوله: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ السورة ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ مما ذكر من أمر الرسل وأمر قومهم، ﴿وَمَوۡعِظَةٞ﴾، يعنى ما عذب الله به الأمم الخالية،

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٢٩٨، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٦).

وما ذكر فى هذه السورة فهو موعظة، يعنى مأدبة لهذه الأمة، ﴿وَذِكْرَىٰ﴾، يعنى وتذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٢٠]، يعنى للمصدقين بتوحيد الله.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، يعنى لا يصدقون بما فى القرآن: ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾، هذا وعيد، يقول: اعملوا على جديلتكم التى أنتم عليها، ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ [آية: ١٢١] على جديلتنا التى نحن عليها.

﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ العذاب ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [آية: ١٢٢] بكم العذاب، يعنى القتل ببدر، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وتعجيل أرواحهم إلى النار.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، يقول: ولله غيب نزول العذاب، وغيب ما فى الأرض، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾، يعنى أمر العباد يرجع إلى الله يوم القيامة، وذلك قوله: ﴿**وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ**﴾ [البقرة: ٢١٠]، يعنى أمور العباد، ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾، يعنى وحده، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾، يقول: وثق بالله، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٢٣]، هذا وعيد.

* * *

سُورَةُ يُوسُفَ

مكية كلها، وهى مائة وإحدى عشرة آية كوفى

وحسبنا الله ونعم الوكيل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [آية: ١]، يعنى بين ما فيه. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ﴾، يعنى لكى، ﴿تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٢] ما فيه لو كان القرآن غير عربى ما فهموه ولا عقلوه.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ

وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾، يعنى القرآن، ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، بالذى أوحينا إليك، نظيرها فى يس: ﴿بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى﴾ [يس: ٢٧]، ﴿هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ﴾، يعنى من قبل نزول القرآن عليك، ﴿لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾ [آية: ٣] عنه.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب: ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ﴾ فى المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ هبطوا إلى الأرض من السماء، فـ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ﴾ [آية: ٤]، فالكواكب الأحد عشر إخوته، والشمس أم يوسف، وهى راحيل بنت لاتان، ولاتان هو خال يعقوب، والقمر أبوه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وقد علم تعبير ما رأى يوسف.

﴿قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ فيحسدوك إضمار، ﴿فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾، فيعملوا بك شرًا، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٥]، يعنى بين.

وقال يعقوب ليوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾، يقول: وهكذا يستخلصك ربك بالسجود، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾، يعنى ويعلمك تعبير الرؤيا، ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، يعنى بآل يعقوب هو وامرأته وإخوته الأحد عشر، بالسجود لك، ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا﴾، يعنى النعمة، ﴿عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ﴾، يعنى بأبويه ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ حين رأى فى المنام أنه يذبح ابنه إسحاق، وألقى إبراهيم فى النار، فنجاه الله تعالى منها، وأراد ذبح ابنه، فخلصه الله بالسجود، ﴿وَإِسْحَـٰقَ﴾ فى رؤيا إبراهيم فى ذبح إسحاق، ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بتمامها، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٦]، يعنى القاضى لها.

﴿۞ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ﴾، يعنى علامات، ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [آية: ٧]، وذلك أن اليهود لما سمعوا ذكر يوسف، عليه السلام، من النبى ﷺ، منهم كعب بن الأشرف، وحيى، وجدى ابنا أخطب، والنعمان بن أوفى، وعمرو، وبحيرا، وغزال بن السموأل، ومالك بن الضيف، فلم يرمن بالنبى ﷺ منهم غير جبر غلام بن الحضرمى، ويسار أبو فكيهه، وعداس، فكان ما سمعوا من النبى ﷺ من ذكر يوسف وأمره ﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾، وذلك أن اليهود سألوا النبى ﷺ عن أمر يوسف، فكان ما سمعوا علامة لهم وهم السائلون عن أمر يوسف، عليه السلام، وكان يوسف قد فضل فى زمانه بحسنه على الناس كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب.

﴿إِذْ قَالُواْ﴾ إخوة يوسف، وهو: روبيل أكبرهم سنًا، ويهوذا أكبرهم فى العقل، وهو الذى قال الله: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ [آية: ٨٠] فى العقل، ولم يكن كبيرهم فى السن، وشمعون، ولاوى، ونفتولن، وربولن، وآشر، واستاخر، وجاب ودان، ويوسف، وبنيامين، بعضهم لبعض: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾[1]، وهو بنيامين ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، يعنى عشرة، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٨]، يعنى خسران مبين، يعنى فى شقاء بين، نظيرها فى سورة القمر: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَالٍ﴾ [القمر: ٤٧]، يعنى فى شقاء، من حب يعقوب لابنه يوسف وذكره.

ثم قال بعضهم لبعض: ﴿ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾[2] بعيدة، ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾، فيقبل عليكم بوجهه، ﴿وَتَكُونُواْ﴾، يعنى وتصيروا ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [آية: ٩]، يعنى يصلح أمركم وحالكم عند أبيكم.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾[3]، وهو يهوذا بن يعقوب: ﴿لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾ فإن قتله عظيم، ﴿وَ﴾ لكن ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ على طريق الناس، فيأخذونه فيكفونكم أمره، يعنى الزائغة من البئر ما يتوراى عن العين ولا يراه أحد، فهو غيابت الجب، ﴿يَلْتَقِطْهُ

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ٩٣/١٢، تفسير الماوردى ٢٤٧/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١٨٣/٤، تفسير القرطبى ١٣٠/٩، تفسير ابن كثير ٤٦٩/٢، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/٤).

(٢) انظر: (تفسير القرطبى ١٣١/٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١٨٤/٤).

(٣) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢١٣، تفسير الماوردى ٢٤٨/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١٨٥/٤، تفسير القرطبى ١٣٢/٩).

بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ ، فيذهبوا به فيكفونكم أمره، ﴿إِن كُنتُمۡ﴾ لابد ﴿فَٰعِلِينَ﴾ [آية: ١٠] من الشر الذى تريدون به.

فأتوا يعقوب، فـ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ [آية: ١١].

﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾ ، يعنى ينشط ويفرح، والعرب تقول: رتعت لك، يعنى فرحت لك، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [آية: ١٢] من الضيعة، قال يعقوب لهم: إنى أخاف عليه، فقالوا لأبيهم: ﴿مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ فى الحفظ له.

﴿قَالَ﴾ أبوهم: ﴿إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾ [آية: ١٣]، لا تشعرون به، وكانت أرضًا مذئبة، فمن ثم قال يعقوب: إنى أخاف أن يأكله الذئب.

﴿قَالُواْ﴾ ، أى العشرة: ﴿لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ ، يعنى ونحن جماعة، ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ١٤]، يعنى لعجزة.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ ، بيوسف، ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ﴾ أمرهم ﴿أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ على رأس ثلاثة فراسخ، فألقوه فى الجب، والماء يومئذ كدر غليظ، فعذب الماء وصفا حين ألقى فيه، وقام على صخرة فى قاصية البئر، فوكل الله به ملكًا يحرسه فى الجب ويطعمه، ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ١٥]، وذلك أن الله أوحى إلى يوسف، عليه السلام، بعدما انصرف إخوته: إنك ستخبر إخوتك بأمرهم هذا الذى ركبوا منك، ثم قال: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ أنك يوسف حين تخبرهم، فأنبأهم يوسف بعد ذلك حين قال لهم وضرب الإناء، فقال: إن الإناء ليخبرنى بما فعلتم بيوسف من الشر ونزع الثياب.

قال أبو محمد عبد الله بن ثابت: وسمعت أبى يحدثنى عن الهذيل، عن مقاتل فى قوله: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ ، قال: لا يشعرون أنك يوسف.

قال: وذلك أن يوسف لما استخرج الصاع من وعاء أخيه بنيامين، قطع بالقوم وتحيروا، فأحضرهم وأخذ بنيامين مكان سرقته، ثم تقدم إلى أمينه، فقال له: أحضر

الصاع إذا حضروا وانقره ثلاث نقرات، واستمع طنين كل نقرة حتى تسكن، ثم قل فى النقرة الأولى كذا، وفى الثانية كذا، وفى الثالثة كذا، وأوهمهم أنك إنما تخبرنى عن شىء تفهمه من طنين الصاع، قال: فأمر بهم فجمعوا، ثم قال يوسف للذى استخرج الصاع، وهو أمينه: أحضر الصاع الذى سرقوه، وتقدم إليه ألا يكتمنا من أخبارهم شيئًا، فإنه غضبان عليهم ويوشك أن يصدق عنهم، قال: فأحضره والقوم، وقال له الأمين: أيها الصاع، إن الملك يأمرك أن تبين له أمر هؤلاء القوم ولا تكتمه شيئًا من أمرهم، ثم نقره نقرة شديد، وأصغى إليه يسمعه، كأنه يستمع منه شيئًا، فقال: أيها الملك، إن الصاع يقول لك: إنهم أخبروك أنهم لأم واحدة، وأنهم لأمهات شتى، وذلك وقع بينهم ما يقع بين الأولاد العتاة.

قال: قل له لا يكتمنا من أخبارهم شيئًا، ثم نقره الثانية وأصغى إليه يسمعه، فلما سكن، قال: أيها الملك، إنهم أخبروك أن لهم أخًا مفقودًا، ولن تنصرم الأيام والليالى حتى يأتى ذلك الغلام فيتبين الناس أخبارهم.

قال: مره ألا يكتمنا من أخبارهم شيئًا، قال: فطن الثالثة، فلما سكن قال: أيها الملك، إنه ما دخل على أبيهم غم ولا هم ولا حزن إلا بسببهم وجرائرهم، قال: أوعز إليه ألا يكتمنا من أخبارهم شيئًا.

قال: فنظر بعضهم إلى بعض، وخافوا أن يظهر عليهم ما كتموه من أمر يوسف، عليه السلام، فقاموا إليه بجمعهم يقبلون رأسه وعينيه، ويقولون: بالذى أشبهك بالنبيين، وفضلك على العالمين، ألا أقلت العثرة، وسترت العورة، وحفظتنا فى أبينا يعقوب، فرق لهم، وقال: لولا حفاظى لكم فى أبيكم لنكلت بكم ولألحقتكم بالسراق واللصوص، أغربوا عنى، فلا حاجة لى فيكم.

قال: فلما قدموا على أبيهم أخبروه بأخبارهم، قال: فردهم بالبضاعة المزجاة، وكتب معهم كتابًا إليه، فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله، إلى عزيز مصر، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإنى ما سرقت، ولا ولدت سارقًا، ولكن أهل بيت البلاء موكل بنا، أما جدى، فألقى فى النار، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، وأما أبى، فأضجع للذبح، ففداه الله بذبح عظيم، وأما أنا، فبليت بفقد حبيبى وقرة عينى يوسف.

قال: فلما وصلوا إليه أوصلوا كتابه، فلما قرأ كتابه انتحب، فقيل له: كأنك صاحب الكتاب، قال: أجل، فذلك قوله: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، ثم تعرف إليهم فعرفوه.

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ﴾ يعقوب ﴿عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [آية: ١٦] صلاة العتمة.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾، يعني نتصيد، ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا﴾ ليحفظه، ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾، يعني بمصدق لنا، ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [آية: ١٧] بما نقول.

﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ﴾، يعني على قميص يوسف، ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[1]، وذلك أنهم حين ألقوه فى البئر انتزعوا ثيابه، وهو قميصه، ثم عمدوا إلى سخلة فذبحوها على القميص ليروا أباهم يعقوب، فلما رأى أباهم القميص صحيحًا اتهمهم، وكان لبيبًا عاقلاً، فقال: ما أحلم هذا السبع حين خلع القميص كراهية أن يتمزق، ثم بكى، فـ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾، يقول: بل زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، وكان الذى أردتم هو منكم، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، يعنى صبرى صبرًا حسنًا لا جزع فيه، ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [آية: ١٨]، يقول: بالله أستعين على ما تقولون حين تزعمون أن الذئب أكله، فبكى عليه يعقوب، عليه السلام، حتى امتنع عن النوم ومن أهل بيته، فكان يبكى ويئود، فمن هناك تئود اليهود إذا قرأوا التوراة.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾، وهى العير، وقالوا: رفقة من العرب، فنزلوا على البئر يريدون مصر، ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾، فبعثوا رجلين: مالك بن دعر، وعود بن عامر، إلى الماء، ﴿فَأَدْلَىٰ﴾ أحدهم ﴿دَلْوَهُ﴾، واسمه مالك بن دعر بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن، فتعلق يوسف بالدلو، فصاح مالك ﴿قَالَ﴾، فقال: يا عود، للذى يسقى، وهو عود بن عامر بن الدرة بن حزام، ﴿يَا بُشْرَىٰ﴾، يقول: يا مالك أبشر، ﴿هَٰذَا غُلَامٌ﴾ والجب بواد فى أرض الأردن يسمى ادنان.

فبكى يوسف، عليه السلام، وبكى الجب لبكائه، وبكى مد صوته من الشجر والمدر

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٢/٩٧، تفسير الماوردى ٢/٢٥٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/١٩٢، تفسير القرطبى ٩/١٤٩، تفسير ابن كثير ٢/٤٧١، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/١٠).

والحجارة، وكان إخوته لما دلوه فى البئر، تعلق يوسف فى شفة البئر، فعمدوا إليه فخلصوا قميصه وأوثقوا يده، فقال: يا إخوتاه، ردوا علىَّ القميص أتوارى به فى البئر، فقالوا له: ادع الأحد عشر كوكبًا والشمس والقمر يؤنسونك، فلما انتصف فى الجب ألقوه، حتى وقع فى البئر، فأدلوه فى قعرها، فأراد أن يموت، فدفع الله عنه، ودعا يوسف ربه حين أخرجه مالك أن يهب لمالك ولدًا، فولد له أربعة وعشرون ولدًا.

قوله: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾(١)، يعنى أخفوه من أصحابهم الذين مروا على الماء فى الرفقة، وقالوا: هو بضاعة لأهل الماء نبيعه لهم بمصر؛ لأنهم لو قالا: إنا وجدناه أو اشتريناه، سألوهما الشركة فيه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٩]، يعنى بما يقولون من الكذب.

يقول الله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ﴾(٢)، يعنى وباعوه ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ بثمن حرام لا يحل لهم بيعه؛ لأنه حر، وثمن الحر حرام وبيعه حرام، ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾، وهى عشرون درهمًا، وكانت العرب تبايع بالأقل، فإذا كانت أربعين فهى أوقية، وما كان دون الأربعين، فهى دراهم معدودة، ﴿وَكَانُوا فِيهِ﴾، يعنى الذين باعوه كانوا فى يوسف ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [آية: ٢٠] حين باعوه، ولم يعلموا منزلة يوسف عند الله، ومَن أبوه، ولو علموا ذلك ما باعوه.

فانطلق القوم حتى أتوا به مصر، فبينا هو قريب منها، إذ مر براكب منها يقال له: مالك بن دعر اللخمى، قال له يوسف: أين تريد أيها الراكب؟ قال: أريد أرض كنعان، قال: إذا أتيت كنعان، فأت الشيخ يعقوب فأقرئه السلام، وصفنى له، وقل له: إنى لقيت غلامًا بأرض مصر، ووصفه له، وهو يقرئك السلام، فبكى يعقوب، عليه السلام، ثم قال: هل لك إلى الله حاجة؟ قال: نعم، عندى امرأة، وهى من أحب الخلائق إلىَّ، لم تلد منى ولدًا قط، فوقع يعقوب ساجدًا، فدعا الله، فولد له أربعة وعشرون ذكرًا، وكان يوسف، عليه السلام، بأرض مصر، فأنزل الله عليهم البركة، ثم باعه المشترى من قطفير بن ميشا، فقال يوسف: من يشترى ويبشر، فاشتراه قطفير بن ميشا بعشرين دينارًا

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٢/١٠٠، تفسير الماوردى ٢/٢٥١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/١٩٥، تفسير القرطبى ٩/١٥٤، تفسير ابن كثير ٢/٤٧٢).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١٢/١٠١، تفسير الماوردى ٢/٢٥١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/١٩٦، تفسير القرطبى ٩/١٥٥، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/١١).

وزيادة حلة ونعلين، وأخذ البائع قيمة الدنانير دراهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ [(1)]، وهو قطفير بن ميشا ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ زليخا بنت يمليخا: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾، يعنى أحسنى منزلته وولايته، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ أو نصيب منه خيرًا، ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الملك والسلطان فى أرض مصر، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾، يعنى من تعبير الرؤيا، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾، يعنى والله متم ليوسف أمره الذى هو كائن مما لا يعلمه الناس، فذلك قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٢١] ذلك.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾

---

(١) انظر: (تفسير الماوردى ٢/٢٥٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/١٩٨، تفسير القرطبى ٩/١٥٩، تفسير ابن كثير ٢/٤٧٣، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/١١).

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾، يعنى ثمانى عشرة سنة، ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾، يقول: أعطيناه فهمًا، ﴿وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٢٢]، يعنى وهكذا نجزى المخلصين بالفهم والعلم.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ (١) على نفسها وعلى يوسف فى أمر الجماع، ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ﴾، يعنى هلم لك نفسى، تريد المرأة الجماع، فغلبته بالكلام، ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾، يعنى أعوذ بالله، ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَۖ﴾، يقول: إنه سيدى، يعنى زوجها، أكرم مثواى، يعنى منزلتى، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾، يعنى لا يفوز ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٢٣] إن ظلمته فى أهله، وألقى عليها شهوة أربعين إنسانًا.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ﴾، يقول: همت المرأة بيوسف حتى استلقت للجماع، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ يوسف حين حل سراويله وجلس بين رجليها، ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾، يعنى آية ربه لواقعها، والبرهان مثل له يعقوب عاض على إصبعه، فلما رأى ذلك، ولى دبرًا واتبعته المرأة، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا، ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾، يعنى الإثم، ﴿وَٱلْفَحْشَآءَۚ﴾، يعنى المعاصى، ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [آية: ٢٤] بالنبوة والرسالة، نظيرها: ﴿**إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ**﴾ [ص: ٤٦]، يعنى بالنبوة.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾، يوسف أمامها هارب منها، وهى ورائه تتبعه لتحبسه على نفسها، فأدركته قبل أن ينتهى إلى الباب، ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾، يقول: فمزقت قميصه من ورائه حتى سقط القميص عن يوسف، ﴿وَأَلْفَيَا﴾، يقول: وجدا، كقوله: ﴿**أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾ [البقرة: ١٧٠]، يعنى وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾، يعنى زوجها، ﴿لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾، يعنى عند الباب ومعه ابن عمها يملخا بن أزليخا، ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾، يعنى الزنا، ﴿إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾ حبسًا فى نصب، ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٢٥]، يعنى ضربًا وجيعًا.

﴿قَالَ﴾ يوسف للزوج: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِىۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ (٢)،

---

(١) انظر: (السبعة لابن مجاهد ٣٤٧، معانى القرآن للفراء ٢/٤٠، تفسير الطبرى ١٢/١٠٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٠١، تفسير القرطبى ٩/١٦٣).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ٢/٤١، تفسير الطبرى ١٢/١١٥، تفسير الماوردى ٢/٢٦١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢١١، تفسير القرطبى ٩/١٧٢، تفسير ابن كثير ٢/٤٧٥، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/١٥).

وهو يمليخا ابن عم المرأة، فتكلم بعقل ولب، قال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [آية: ٢٦]، أى إن كان يوسف هو الذى راودها، فقدت، يعنى فمزقت قميصه من قُبل، يعنى من قدامه، فصدقت على يوسف، ويوسف من الكاذبين فى قوله.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [آية: ٢٧]، أى وإن كان يوسف هو الهارب منها، فأدركته فقدت قميصه من دبر، فكذبت على يوسف، ويوسف من الصادقين فى قوله، وقد سمعا جلبتهما وتمزيق القميص من وراء الباب.

﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ الزوج ﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾، يقول: مزق من ورائه، ﴿قَالَ﴾ لها: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾، يقول: تمزيق القميص من فعلكن، يعنى امرأته، ثم قال: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾، يعنى فعلكن ﴿عَظِيمٌ﴾ [آية: ٢٨]؛ لأن المرأة لا تزال بالرجل حتى يقع فى الخطيئة العظيمة.

ثم قال الشاهد ليوسف: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا﴾ الأمر الذى فعلت بك، ولا تذكره لأحد، ثم أقبل الشاهد على المرأة، فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾، يعنى واعتذرى إلى زوجك واستعفيه ألا يعاقبك، ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [آية: ٢٩].

﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾، وهن خمس نسوة: امرأة الخباز، وامرأة الساقى، وامرأة صاحب السجن، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب الإذن، قلن: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ العبرانى، يعنى عبدها الكنعانى، ﴿عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [(1)]، يعنى غلبها حبًا شديدًا هلكت عليه، ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٣٠]، يعنى فى خسران بين، يعنى شقاء من حب يوسف، عليه السلام، حتى فشا عليها.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ زليخا ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾، يعنى بقولهن لها، ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ فجئنها، ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [(2)]، وهو الأترج، وكل شيء يحز بالسكين فهو متكأ، ﴿وَءَاتَتْ﴾، يعنى وأعطت ﴿كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾، وأمرت يوسف، عليه السلام، فتزين وترجل،

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٢/٤١، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢١٥، تفسير الطبرى ١٢/١١٧، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢١٤).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ٢/٤٢، تفسير الطبرى ١٢/١١٩، تفسير القرطبى ٩/١٧٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢١٦).

وكان أُعطى يوسف فى زمانه ثلث الحسن، وآتاه الحسن من قِبل جده إسحاق من قبل أمه سارة، وورثت سارة حسنها من قِبل حواء امرأة آدم، عليه السلام، وحسن حواء من آدم؛ لأنها خلقت منه.

وقال مقاتل: كل ذكر أحسن من الأنثى من الأشياء كلها، وفضل يوسف فى زمانه بحسنه على الناس، كفضل القمر ليلة البدر على الكواكب.

﴿وَقَالَتِ﴾، أى ثم قال: يا يوسف: ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ من البيت، ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾، يعنى أعظمته، ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾، يعنى وحززن أصابعهن بالسكين حين نظرن إليه، ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾، يعنى معاذ الله، ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ إنسانًا، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [آية: ٣١]، يعنى حسن، فأعجبها ما صنعن وما قلن.

﴿قَالَتْ﴾ زليخا: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ الذى افتتنتن به، ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾، يعنى فامتنع عن الجماع، ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى المذلين.

قالت النسوة: يا يوسف، ما يمنعك أن تقضى لها حاجتها؟ فدعى يوسف ربه، ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ من الزنا، حين قلن ليوسف: ما يحملك على ألا تقضى لها حاجتها، ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾، يقول: أفضى إليهن، ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى من المذنبين.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾، يعنى مكرهن وشرهن، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعاء يوسف، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٣٤] به.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾، يعنى ثم بدا للزوج ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ﴾، يعنى من بعد ما رأوا العلامات فى تمزيق القميص من دبر أنه برىء، ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [آية: ٣٥]، وذلك أنها قالت لزوجها حين لم يطاوعها يوسف: احبس يوسف فى السجن لا يلج علىَّ، فصدقها فحبسته، فقال له صاحب السجن: من أنت؟ قال: و لم تسألنى من أنا؟ قال: لأنى أحبك، قال: أعوذ بالله من حبك، أحبنى والدى، فلقيت من إخوتى ما لقيت، وأحبتنى امرأة العزيز، فلقيت من حبها ما لقيت، فلا حاجة لى فى حب أحد إلا فى إلهى الذى فى السماء، قال: أخبرنى من أنت؟ قال: أنا يوسف نبى الله، ابن يعقوب صفى الله، ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله، وكان يوسف فى السجن يؤنس الحزين، ويطمئن الخائف، ويقوم على المريض، ويعبر لهم الرؤيا.

۞وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ
أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا
عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾
وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ
ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾
يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن
دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ
إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ
﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ
ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ
مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ
بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ
وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا
تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا
ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا
حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ
يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ
ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ
رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا
خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ
ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾
ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ
إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي
بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ

خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

ورقى إلى الملك أن غلامه الخباز يريد أن يجعل فى طعامه سمًا، ورقى إليه فى غلامه الساقى مثل ذلك، فذلك قوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ﴾، الخباز والساقى، اسم أحدهما شرهم أقم، وهو الساقى، واسم الخباز شرهم أشم، ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾ فى المنام كأنى ﴿أَعْصِرُ خَمْرًاۖ﴾، يعنى عنبًا، قال: كأنى دخلت البستان، فإذا فيه أصل كرم، وعليه ثلاث عناقيد، فكأنى أعصرهن وأسقى الملك، ﴿وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾، رأيت فى المنام كأنى ﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا﴾، ثلاث سلال، وأعلاهن جفنة من خبز فوق رأسى، مثل قوله: ﴿**فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ**﴾ [الأنفال: ١٢]، ومثل قوله: ﴿**اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ**﴾ [إبراهيم: ٢٦]، يعنى أعلا الأرض، ﴿تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ﴾، يقول: أخبرنا بتفسير ما رأينا فى المنام، ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٣٦]، وكان إحسانه فى السجن أنه كان يعود مرضاهم ويداويهم، ويعزى مكروبهم، ورآه متعبدًا لربه، فهذا إحسانه.

﴿قَالَ﴾ يوسف: ألا أخبركما بأعجب من الرؤيا التى رأيتما، قال: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾[1]، إلا أخبرتكما بألوانه ﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ﴾ الطعام، فقالوا ليوسف: إنما يعلم هذا الكهنة والسحرة، وأنت لست فى هيئة ذلك، فقال يوسف لهما: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ﴾ أولئك الكهنة والسحرة، يعنى أهل مصر، ﴿لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، يعنى لا يصدقون بتوحيد الله، ولا بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٣٧].

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٣٨].

ثم دعاهما إلى الإسلام وهما كافران، فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾، يعنى الخباز والساقى، ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ﴾، آلهة شتى تعبدون خير، يعنى أفضل، ﴿أَمِ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٢/١٢٨، تفسير الماوردى ٢/٢٦٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٢٤، تفسير القرطبى ٩/١٩١).

﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [آية: ٣٩] لخلقه؛ لأن الآلهة مقهورة، كقوله فى النمل: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩] من الآلهة.

ثم قال يوسف، عليه السلام: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ من الآلهة ﴿إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أنها آلهة، ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾، يعنى القضاء، ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ فى التوحيد، ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، يقول: أمر الله أن يوحد، ويعبد وحده، له التوحيد، ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾، يعنى المستقيم، وغيره من الأديان ليس بمستقيم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾، يعنى أهل مصر، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤٠] بتوحيد ربهم.

﴿يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾[1]، وهو الساقى، قال له يوسف: تكون فى السجن ثلاثة أيام، ثم تخرج فتكون على عملك، فتسقى سيدك خمرًا، ﴿وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ﴾، وهو الخباز، ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾، واسمه شرهم أشم، قال له يوسف: تكون فى السجن ثلاثة أيام، ثم تخرج فتصلب، فتأكل الطير من رأسك، فكره الخباز تعبير رؤياه، فقال: ما رأيت شيئًا، إنما كنت ألعب، فقال له يوسف: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [آية: ٤١]، رأيتما أو لم تريا، فقد وقع بكما ما عبرت لكما.

﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﴿لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ من القتل إضمار، وهو الساقى: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾، يعنى سيدك، فإنه يسرنى أن يخرجنى من السجن، يقول الله: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾[2]، يعنى يوسف دعاء ربه، فلم يدع يوسف ربه الذى فى السماء ليخرجه من السجن، واستغاث بعبد مثله، يعنى الملك، فأقره الله فى السجن عقوبة حين رجا أن يخرجه غير الله عز وجل، فذلك قوله: ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [آية: ٤٢]، يعنى خمس سنين حتى رأى الملك الرؤيا، وكان فى السجن قبل ذلك سبع سنين، وعوقب ببضع سنين، يعنى خمس سنين، فكان فى السجن اثنتا عشرة سنة، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥].

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٢/٤٦، تفسير الطبرى ٢/١٣١، تفسير الماوردى ٢/٢٧٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٢٦).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١٢/١٣٢، تفسير الماوردى ٢/٢٧١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٢٧، تفسير القرطبى ٩/١٩٥، تفسير ابن كثير ٢/٤٧٩).

وقال النبى ﷺ: «لو أن يوسف ذكر ربه، ولم يستغث بالملك، لم يلبث فى السجن بضع سنين، ولخرج من يومه ذاك»، قال: وأتى جبريل يوسف حين استغاث بالملك وترك دعاء ربه، فقال له: إن الله يقول لك: يا ابن يعقوب، من حببك إلى أبيك وأنت أصغرهم؟ قال: أنت يا إلهى، قال: إن الله يقول: من عصمك من الخطيئة وقد هممت بها؟ قال: أنت يا إلهى، قال: فكيف تركتنى واستغثت بعبد مثلك؟ فلما سمع يوسف ذكر الخطيئة، قال: يا إلهى، إن كان خلق وجهى عندك من أجل خطيئتى، فأسألك بوجه أبى وجدى أن تغفر لى خطيئتى.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾، وهو الريان بن الوليد، للملأ من قومه: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ﴾، أى بقرات، ﴿عِجَافٌ وَ﴾ رأيت ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾، ثم قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ﴾، وهم علماء أهل الأرض، وكان أهل مصر من أمهر الكهنة والعرافين، ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [آية: ٤٣]، ولم يعلموا تأويل رؤياه.

فـ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ (١)، يعنى أحلام مختلطة كاذبة، ثم علموا أن لها تعبيرًا، وأنها ليست من الأحلام المختلطة، فمن ثم قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٤٤]، وجاءه جبريل، عليه السلام، فأخبره أنه يخرج من السجن غدًا، وأن الملك قد رأى رؤيا، فلما نظر يوسف إلى جبريل عليه البياض مكلل باللؤلؤ. قال مقاتل: قال له: أيها الملك الحسن وجهه، الطيب ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، أى رسل ربى أنت؟ قال: أنا جبريل، قال: ما أتى بك؟ قال: أبشرك بخروجك، قال: ألك علم بيعقوب أبى ما فعل؟ قال: نعم، ذهب بصره من الحزن عليك.

قال: أيها الملك الحسن وجهه، الطيب ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، ما بلغ من حزنه؟ قال: بلغ حزنه حزن سبعين مثكلة بولدها، قال: أيها الملك الحسن وجهه، الطيب ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، فما له من الأجر؟ قال: أجر مائة شهيد، وألف مثكلة موجعة، قال: أيها الملك الحسن وجهه، الطيب ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، هل رأيت يعقوب؟ قال: نعم، قال: أيها الملك، من ضم إليه بعدى؟ قال: أخاك

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٦/٢، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢١٧، تفسير الطبرى ١٣٣/١٢، تفسير الماوردى ٢٧١/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢٢٨/٤، تفسير القرطبى ١٩٧/٩).

بنيامين، قال يوسف: يا ليت السباع تقسمت لحمى و لم يلق يعقوب فى سبيلى ما لقى.

فلما سمع الساقى رؤيا الملك، ذكر تصديق عبارة يوسف، عليه السلام، فى نفسه، وفى الخباز، فذلك قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ من القتل ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[1]، يعنى وذكر بعد حين: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾، يعنى بتعبيره، ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ [آية: ٤٥] إلى يوسف.

فلما أتى يوسف، قال له الساقى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾، يعنى أيها الصادق فيما عبرت لى ولصاحبى، ﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾، قال: أما البقرات السبع السمان، والسنبلات الخضر، فهن سبع سنين مخصبات، وأما البقرات العجاف السبع، والسنبلات السبع الأخر اليابسات، فهن المجدبات، ثم قال الساقى: ﴿لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾، يعنى أهل مصر، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾، يعنى لكى ﴿يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤٦] تعبيرها، يعنى تعبير هذه الرؤيا.

ثم علمهم كيف يصنعون، ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾، يعنى دائبين فى الزرع، ثم علمهم يوسف ما يصنعون، فقال: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ﴾ من حب، ﴿فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾، فإنه أبقى له لئلا يأكله السوس، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [آية: ٤٧]، فتشقونه.

﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، يعنى من بعد السنين المخصبات، ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾، يعنى مجدبات، ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾، يعنى ما ذخرتم لهن فى هذه السنين الماضية، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾[2] [آية: ٤٨]، يعنى مما تدخرون فتحرزونه.

﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، يعنى من بعد السنين المجدبات، ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾، يعنى أهل مصر بالمطر، ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [آية: ٤٩] العنب، والزيت من الخصب، هذا من قول يوسف، وليس من رؤيا الملك، فرجع الرسول فأخبره فعجب.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ واسمه الريان بن الوليد: ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾، يعنى بيوسف، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾، يعنى رسول الملك، وهو الساقى، ﴿قَالَ﴾ له: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، يعنى

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٢/٤٧، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢١٨، تفسير الماوردى ٢/٢٧٣، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٣١).

(٢) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢١٨، تفسير الماوردى ٢/٢٧٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٣٣، تفسير القرطبى ٩/٢٠٤).

سديك، ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾ الخمس ﴿ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾، يعنى حززن أصابعهن بالسكين، ﴿إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ﴾، يعنى بقولهن ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٥٠] حين قلن: ما يمنعك أن تقضى لها حاجتها؟ وأراد يوسف، عليه السلام، أن يستبين عذره عند الملك قبل أن يخرج من السجن، ولو خرج يوسف حين أرسل إليه الملك قبل أن يبرئ نفسه، لم يزل متهمًا فى نفس الملك، فمن ثم قال: ﴿**قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾، فيشهدن أن امرأة العزيز قالت: ﴿**وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ**﴾ [يوسف: ٣٢].

فلما سألهن الملك، ﴿قَالَ﴾ لهن: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾، يعنى ما أمركن، كقوله: ﴿**فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ**﴾ [الحجر: ٥٧]، يعنى ما أمركم، ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾، وذلك أنهن قلن حين خرج عليهن يوسف من البيت: ما عليك أن تقضى لها حاجتها؟ فأبى عليهن، فرددن على الملك، ﴿قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ﴾، يعنى معاذ الله، ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾، يعنى الزنا، فلما سمعت زليخا قول النسوة، ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ عند ذلك، ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ﴾، يعنى الآن تبين ﴿ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ﴾ يوسف ﴿لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [آية: ٥١] فى قوله.

فأتاه الروسل فى السجن، فأخبره بقول النسوة عند الملك، قال يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾، يقول: هذا ليعلم سيده ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ فى أهله، ولم أخالفه فيهن، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى لا يصلح عمل الزناة، يقول: يخذلهم، فلا يعصمهم من الزنا، فأتاه الملك، وهو جبريل، بالبرهان الذى رأى، فقال ليوسف: أين ما هممت به أولاً حين حللت سراويلك وجلست بين رجليها؟.

فلما ذكر الملك ذلك، قال عند ذلك: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾[1]، يعنى قلبى من الهم، لقد هممت بها، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ﴾، يعنى القلب ﴿لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ للجسد، يعنى بالإثم، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾، يعنى إلا ما عصم ربى، فلا تأمر بالسوء، ﴿إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ﴾ لما هم به من المعصية، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٥٣] به حين عصمه.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾، يعنى أتخذه، ﴿فَلَمَّا﴾ أتاه يوسف

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/٢، تفسير الماوردى ٢٧٩/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢٤١/٤، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢٣/٤).

و ﴿كَلَّمَهُۥ﴾ ، أى كلم الملك، ﴿قَالَ﴾ ليوسف: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾ ، يقول: عندنا وجيه، ﴿أَمِينٌ﴾ [آية: ٥٤] على ما وكلت به، كقوله: ﴿**عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ**﴾ [التكوير: ٢٠].

ثم ﴿قَالَ﴾ يوسف للملك: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ بمصر، ﴿إِنِّى حَفِيظٌ﴾ لما وكلتنى به، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٥٥]، يعنى عالم بلغة الناس كلها. قال مقاتل: قال النبى ﷺ: «لو قال: إنى حفظ عليم إن شاء الله، لملك من يومه ذلك»، وقال ابن عباس: لبث بعد ذلك سنة ونصفًا، ثم ملك أرض مصر. وقال مقاتل: قال النبى ﷺ: «عجبت من صبر يوسف وكرمه، والله يغفر له، لو كنت أنا لبادرت الباب حين بعث إليه الملك يدعوه».

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ ، يعنى وهكذا مكنا ليوسف الملك ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ، فى أرض مصر، لـ ﴿يَتَبَوَّأُ﴾ ، يقول: ينزل ﴿مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا﴾ ، يعنى سعتنا، ﴿مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٥٦]، يعنى نوفيه جزاءه، فجزاه الله بالصبر على البلاء، والصبر على المعصية بأن ملكه على مصر.

ثم قال: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ﴾ ، يعنى أكبر، يعنى جزاء الآخرة أفضل مما أعطى فى الدنيا من الملك، ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ، يعنى صدقوا بالتوحيد، ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [آية: ٥٧] الشرك مثل الذى اتقى يوسف، عليه السلام.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ

فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ من أرض كنعان، ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾، أى على يوسف بمصر، ﴿فَعَرَفَهُمْ﴾ يوسف، ﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [آية: ٥٨]، يقول: وهم لا يعرفون يوسف، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن بنو يعقوب، نحن من أهل كنعان، قال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أحد عشر، قال: ما لى لا أرى الأحد عشر؟ قالوا: واحد منا عند أبينا، قال: و لم ذلك؟ قالوا: إن أخاه لأمه أكله الذئب، فلذلك تركناه عند أبينا، فهو يستريح إليه.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم﴾ يوسف ﴿بِجَهَازِهِمْ﴾، يعنى فى أمر الطعام، ﴿قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾، يعنى بنيامين، وكان أخاهم من أبيهم، وكان أخا يوسف لأبيه وأمه، ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي﴾، يعنى أوفى لكم ﴿ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [آية: ٥٩]، وأنا أفضل من يضيف بمصر.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ﴾، يعنى فلا بيع لكم ﴿عِندِي﴾ من الطعام، ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ [آية: ٦٠] بلادى.

﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ يعقوب، ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ [آية: ٦١] ذلك بأبيه.

﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﴿لِفِتْيَٰنِهِ﴾، يعنى لخدامه وهم يكيلون لهم الطعام: ﴿ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ﴾، يعنى دراهمهم ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾، يعنى فى أوعيتهم، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾، يعنى لكى ﴿يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ﴾، يعنى لكى ﴿يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ٦٢] إلينا فلا يحبسهم عنا حبس الدراهم إذا ردت إليهم؛ لأنهم كانوا أهل ماشية.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾، يعنى منع كيل الطعام، فيه إضمار فيما يستأنف، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا﴾ بنيامين ﴿نَكْتَلْ﴾ الطعام بثمن، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [آية: ٦٣] من الضيعة.

﴿قَالَ﴾ أبوهم: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ فى قراءة ابن مسعود: هل تحفظونه إلا كما حفظتم أخاه يوسف من قبل بنيامين، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾، يعنى فالله خير حافظًا منكم، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [آية: ٦٤]، يعنى أفضل الراحمين.

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ﴾، يعنى حلوا أوعيتهم، ﴿وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ﴾، يعنى دراهمهم، فيها إضمار، ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ بعد ﴿هَٰذِهِۦ﴾ إضمار، فإنهم قد ردوا علينا الدراهم، هذه ﴿بِضَٰعَتُنَا﴾، يعنى دراهمنا ﴿رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ الطعام، ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ بنيامين من الضيعة، ﴿وَنَزْدَادُ﴾ من أجله ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾، وكان أهل مصر يبيعون الطعام على عدة الرجال، ولا يبيعون على عدة الدواب، وكان الطعام عزيزًا، فذلك قوله: ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ من أجله، ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [آية: ٦٥] سريع لا حبس فيه.

﴿قَالَ﴾ أبوهم: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يعنى تعطونى

عهدًا من الله، ﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾، يعنى بنيامين ولا تضيعوه كما ضيعتم أخاه يوسف، ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾، يعنى يحيط بكم الهلاك فتهلكوا جميعًا، ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ﴾، يعنى عهدهم، ﴿قَالَ﴾ يعقوب: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ [آية: ٦٦]، يعنى شهيدًا بينى وبينكم، نظيرها فى القصص: ﴿**وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾ [القصص: ٢٨].

فلما سرح بنيامين معهم، خشى عليهم العين، وكان بنوه لهم جمال وحسن، ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ﴾ مصر ﴿مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ﴾[1]، يعنى من طريق واحد، ﴿وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾، من طرق شتى، ثم قال: ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم﴾ إذا جاء قضاء الله، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾، يعنى ما القضاء إلا لله، ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ﴾، يقول: به أثق، ﴿وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [آية: ٦٧]، يعنى به فليثق الواثقون.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ﴾ مصر ﴿مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾ من طرق شتى، أخذ كل واحد منهم فى طريق على حدة، يقول الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ﴾ يعقوب ﴿يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ﴾، كقوله: ﴿**وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً**﴾ [الحشر: ٩]، وهذا من كلام العرب، يعنى إلا أمر شجر فى نفس يعقوب، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾، يعنى أباهم ﴿لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾؛ لأن الله تعالى علمه أنه لا يصيب بنيه إلا ما قضى الله عليهم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٦٨].

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾، يعنى ضم إليه أخاه، ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٦٩]، يقول: فلا تحزن بما سرقوك وجاءوا بالدراهم التى كانت فى أوعيتهم فردوها إلى يوسف، عليه السلام.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾، يقول: فلما قضى فى أمر الطعام حاجتهم، ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾، وهى الإناء الذى يشرب به الملك، ﴿فِي رَحۡلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين، ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾، يعنى نادى مناد، اسمه بعرايم بن بربرى، من فتيان يوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ﴾، يعنى الرفقة، ﴿إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾ [آية: ٧٠]، فانقطعت ظهورهم وساء ظنهم.

فـ ﴿قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم﴾، فيها تقديم وأقبلوا على المنادى، ثم قالوا: ﴿مَّاذَا تَفۡقِدُونَ﴾ [آية: ٧١].

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/٩، تفسير الماوردى ٢/٢٨٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٥٣، تفسير القرطبى ٩/٢٢٦، تفسير ابن كثير ٢/٤٨٤، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/٢٦).

﴿قَالُواْ﴾ المنادى ومن معه لإخوة يوسف: ﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾، يعنى إناء الملك، وكان يكال به كفعل أهل العساكر، ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾، يعنى وقر بعير، ﴿وَأَنَاْ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾[1] [آية: ٧٢]، يعنى به كفيل.

فرد الإخوة القول على المنادى، ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يعنى أرض مصر بالمعاصى، ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [آية: ٧٣]، وقد رددنا عليكم الدراهم التى كانت فى أوعيتنا، ولو كنا سارقين ما رددناها عليكم.

﴿قَالُواْ﴾، أى المنادى ومن معه: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾[2]، أى السارق، ﴿إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [آية: ٧٤].

﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ﴾، يعنى فى وعائه، يعنى المتاع، ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾، يعنى هو مكان سرقته، ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٧٥]، يعنى هكذا نجزى السارقين، كقوله فى المائدة: ﴿**فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِۦ**﴾ [المائدة: ٣٩]، يعنى بعد سرقته، وكان الحكم بأرض مصر أن يغرم السارق عبدًا يستخدم على قدر ضعف ما سرق ويترك، وكان الحكم بأرض كنعان أن يتخذ السارق عبدًا يستخدم على قدر سرقته، ثم يخلى سبيله، فيذهب حيث شاء، فحكموا بأرض مصر بقضاء أرضهم.

﴿فَبَدَأَ﴾ المنادى ﴿بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾، فنظر فيها، فلم ير شيئًا، ﴿قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾، ثم انصرف و لم ينظر فى وعاء بنيامين، فقال: ما كان هذا الغلام ليأخذ الإناء، قال إخوته: لا ندعك حتى تنظر فى وعائه، فيكون أطيب لنفسك، فنظر، فإذا هو بالإناء، ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾، يعنى من متاع أخيه، وهو أخو يوسف لأبيه وأمه، ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا﴾، يعنى هكذا صنعنا ﴿لِيُوسُفَ﴾[3] أن يأخذ أخاه خادمًا بسرقته فى دين الملك، يعنى فى سلطان الملك، فذلك قوله: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾، يعنى ليحبس أخاه، ﴿فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾، يعنى حكم الملك؛ لأن حكم الملك أن يغرم السارق

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٤/١٣، تفسير الماوردى ٢٩١/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢٥٩/٤، تفسير القرطبى ٢٣١/٩).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١٥/١٣، تفسير الماوردى ٢٩١/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢٦٠/٤، تفسير القرطبى ٢٢٣٤/٩).

(٣) انظر: (تفسير الطبرى ١٧/١٣،تفسير الماوردى ٢٩١/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢٦١/٤، تفسير القرطبى ٢٣٨/٩).

ضعف ما سرق ثم يترك، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذلك ليوسف، ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾، يعنى فضائل يوسف حين أخذ أخاه، ثم قال: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [آية: ٧٦]، يقول الرب تعالى عالم، ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾، يقول: يوسف أعلم إخوته.

ثم قال إخوة يوسف: ﴿۞قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ﴾ بنيامين، ﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ بنيامين يعنون يوسف، عليه السلام، وذلك أن جد يوسف أبا أمه كان اسمه لاتان، كان يعبد الأصنام، فقالت راحيل لابنها يوسف، عليه السلام: خذ الصنم ففر به من البيت، لعله يترك عبادة الأوثان، وكان من ذهب، ففعل ذلك يوسف، عليه السلام، فتلك سرقة يوسف التى قالوا، فلما سمع يوسف مقالتهم، ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡ﴾، ولم يظهرها لهم، ﴿قَالَ﴾ فى نفسه: ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾، ولم يسمعهم، قال: أنتم أسوأ صنعًا فيما صنعتم بيوسف، ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [آية: ٧٧]، يعنى بما تقولون من الكذب أن يوسف سرق.

فعندها قالوا: ما لقينا من ابنى راحيل يوسف وأخيه؟ فقال بنيامين: ما لقى ابنا راحيل منكم؟ أما يوسف، فقد فعلتم به ما فعلتم، وأما أنا فسرقتمونى، قالوا: فمن جعل الإناء فى متاعك؟ قال: جعله فى متاعى الذى جعل الدراهم فى أمتعتكم، فلما ذكر الدراهم شتموه، وقالوا: لا تذكر الدراهم، مخافة أن يؤخذوا بها.

﴿قَالُواْ﴾، أى إخوة يوسف ليوسف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾، وذلك أن أرض مصر صارت إليه، وهو خازن الملك، ﴿إِنَّ لَهُۥٓ﴾، يعنى بنيامين، ﴿أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾، حزينًا على ابن مفقود، ﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ٧٨] إلينا إن فعلت بنا ذلك.

﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾، يقول: نعوذ بالله ﴿أَن نَّأۡخُذَ﴾، يعنى أن نحبس بالسرقة ﴿إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [آية: ٧٩] أن نأخذ البرئ مكان السقيم.

﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ﴾، يقول: يئسوا من بنيامين، ﴿خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾، يعنى خلوا يتناجون بينهم على حدة، وقال بعضهم لبعض: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾، يعنى عظيمهم فى أنفسهم وأعلمهم، وهو يهوذا، ولم يكن أكبرهم فى السن: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ

أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يعنى فى أمر بنيامين لتأتينه به، ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ بنيامين ﴿مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾، يعنى ضيعتم، ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾، يعنى أرض مصر، ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ فى الرجعة، ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ فيرد علىَّ بنيامين، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [آية: ٨٠]، يعنى أفضل القاضين.

﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾، يعنى بنيامين، ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾، يعنى رأينا الصواع حين أخرج من متاعه، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ [آية: ٨١]، يعنى وما كنا نرى أنه يسرق، ولو علمنا ما ذهبنا به معنا.

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨٧) فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ (٨٩) قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ (٩٢) ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٩٨)﴾

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، يعنى مصر، ﴿ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ أنه سرق، ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا

فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [آية: ٨٢] فيما نقول، قال لهم يعقوب: كلما ذهبتم نقص منكم واحد، وكان يوسف، عليه السلام، حبس بنيامين، وأقام شمعون ويهوذا، فاتهمهم يعقوب، عليه السلام.

فـ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾، يعنى ولكن زينت لكم ﴿أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ﴾، كان هو منكم هذا، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ﴾، يعنى صبرًا حسنًا لا جزع فيه، ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًاۚ﴾، يعنى بنيه الأربعة، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بخلقه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٨٣]، يعنى الحاكم فيهم، ولم يخبر الله يعقوب بأمر يوسف ليختبر صبره.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾، يعنى وأعرض يعقوب عن بنيه، ثم أقبل على نفسه، ﴿وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ﴾، يعنى يا حزناه ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ ست سنين لم يبصر بهما، ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ على يوسف، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [آية: ٨٤]، يعنى مكروب يتردد الحزن فى قلبه.

﴿قَالُوا۟﴾، أى قال بنوه يعيرونه: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟﴾، يعنى والله ما تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾، يعنى الدنف، ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [آية: ٨٥]، يعنى الميتين.

﴿قَالَ﴾ لهم أبوهم: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى﴾، يعنى ما بثه فى الناس، ﴿وَحُزْنِىٓ﴾، يعنى ما بطن، ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾، يعنى من تحقيق رؤيا يوسف أنه كائن، ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٨٦].

﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن﴾، يعنى فابحثوا عن ﴿يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ بنيامين، ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ﴾، يعنى من رحمة الله، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾، يعنى من رحمة الله، ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٨٧]، وذلك أن يعقوب، عليه السلام، رأى ملك الموت فى المنام، فقال له: هل قبضت روح يوسف؟ قال: لا، وبشره، فلما أصبح، قال: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن﴾.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ يوسف، ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾، يعنى الشدة والبلاء من الجوع، ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾، يعنى دراهم نفاية فجوزها عنا، ﴿فَأَوْفِ﴾، يعنى فوفو ﴿لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ بسعر الجياد، ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ﴾، يقول: تكون هذه صدقة منك، يعنون معروفًا أن تأخذ النفاية وتكيل لنا الطعام بسعر الجياد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

﴿يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [آية: ٨٨] لمن كان على ديننا إضمار، ولو علموا أنه مسلم لقالوا: إن الله يجزيك بصدقتك.

فلما سمع ما ذكروا من الضر، ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾، يعنى بى وبأخى بنيامين، ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [آية: ٨٩]، يعنى مذنبين.

﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، يقول: قد أنعم الله علينا، ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾ الزنا، ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على الأذى، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٩٠]، يعنى جزاء من أحسن حتى يوفيه جزاءه.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾، يعنى والله، ﴿لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، يعنى اختارك، كقوله فى طه: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ [طه: ٧٢]، يعنى لن نختارك علينا عند يعقوب، وأعطاك وملكك الملك، ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [آية: ٩١] فى أمرك، فأقروا بخطيئتهم.

﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، يقول: لا تعيير عليكم، لم يثرب عليهم بفعلهم القبيح، ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ما فعلتم، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [آية: ٩٢] من غيره.

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾[1] بعد البياض، ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٩٣]، فلا يبقى منكم أحد.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ من مصر إلى كنعان ثمانين فرسخًا، ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يعقوب لبنى بنيه: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [آية: ٩٤]، يعنى لولا أن تجهلون.

﴿قَالُوا﴾ بنو بنيه: ﴿تَاللَّهِ﴾ والله، ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [آية: ٩٥]، مثل قوله: ﴿إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٢٤]، يقول: فى شقاء وعناء، يعنى فى شقاء من حب يوسف وذكره، فما تنساه وقد أتى عليه أربعون سنة.

﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾، فلما أتاه البشير، وهو الذى ذهب بالقميص الأول الذى كان عليه الدم، وألقى القميص على وجه يعقوب، ﴿فَارْتَدَّ﴾،

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ٣٨/١٣، تفسير الماوردى ٣٠٣/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢٨٤/٤، تفسير القرطبى ٢٥٨/٩، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣٤/٤).

يعنى فرجع ﴿بَصِيرًا﴾ بعد البياض، ﴿قَالَ﴾ يعقوب: يا بنى، ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٩٦]، وذلك أن يعقوب قال لهم: ﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وَحُزْنِى إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف: ٨٦]، من تحقيق رؤيا يوسف.

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ﴾ [آية: ٩٧] فى أمر يوسف.

﴿قَالَ﴾ أبوهم: إنى ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ﴾ سحرًا من الليل، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ للذنوب، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٩٨] بالمؤمنين.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (١٠٠)﴾

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ﴾، يعنى يعقوب وأهله أرض مصر، ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ﴾، يعنى ضم ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ﴾ لهم: ﴿ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [آية: ٩٩] من الخوف، فدخل منهم اثنان وسبعون إنسانًا من ذكر وأنثى.

﴿وَرَفَعَ﴾ يوسف ﴿أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، يعنى على السرير، وجعل أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره، وكانت أمه راحيل قد ماتت، وخالته تحت يعقوب، عليه السلام، وهى التى رفعها على السرير، ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[1]، أبوه وخالته وإخوته قبل أن يرفعهما على السرير فى التقديم. قال أبو صالح: هذه سجدة التحية، لا سجدة العبادة، ﴿وَقَالَ﴾ يوسف: ﴿يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا﴾ السجود ﴿تَأْوِيلُ﴾، يعنى تحقيق ﴿رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾، يعنى صدقًا، وكان بين رؤيا يوسف وبين تصديقها أربعون سنة، ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾، كانوا أهل عمود مواشى، ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ﴾، يعنى أزاغ ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾، حين أخرجه من السجن ومن البئر، وجمع بينه وبين أهل بيته بعد التفريق، فنزع

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/٤٤، تفسير الماوردى ٢/٣٠٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٩٠، تفسير القرطبى ٩/٧٦٤، تفسير ابن كثير ٢/٤٩١).

من قلبه نزع الشيطان على إخوته بلطفه، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آية: ١٠٠].

مات يعقوب قبل يوسف بسنتين، ودفن يعقوب والعيص بن إسحاق فى قبر واحد، وخرجا من بطن واحد، فى ساعة واحدة، فلما جمع الله ليوسف شمله، فأقر بعينه، وهو مغموس فى الملك والنعمة، اشتاق إلى الله وإلى آياته، فتمنى الموت.

﴿۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ (١٠١) ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ (١٠٢) وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ (١٠٣) وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ (١٠٤)﴾

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: سمعت أبا صالح، قال: قال مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: لم يتمن الموت نبى قط غير يوسف، عليه السلام، قال: ﴿۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي﴾، يعنى قد أعطيتنى ﴿مِنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ على أهل مصر ثمانين سنة، ﴿وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾، من هاهنا صلة، يعنى تعبير الرؤيا، ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، يعنى خالق السموات والأرض، كن ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا﴾، يعنى مخلصًا بتوحيدك، ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ١٠١]، يعنى أباه يعقوب، وإسحاق، وإبراهيم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الخبر ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ﴾، يعنى من أحاديث ﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾، غاب يا محمد أمر يوسف ويعقوب وبنيه عنك حتى أعلمناك، ﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ﴾، لم تشهده و لم تعلمه، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾، يعنى عند إخوة يوسف، ﴿إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ [آية: ١٠٢] بيوسف، عليه السلام.

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ١٠٣]، يعنى بمصدقين، فيها تقديم.

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ﴾، يعنى على الإيمان من جُعل، ﴿إِنۡ هُوَ﴾، يعنى القرآن، ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٠٤].

﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ

﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿وَكَأَيِّن﴾، يعنى وكم، ﴿مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الشمس، والقمر، والنجوم، والسحاب، والرياح، والمطر، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ الجبال، والبحور، والشجر، والنبات، عامًا بعد عام، ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾، يعنى يرونها، ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [آية: ١٠٥]، أفلا يتفكرون فيما يرون من صنع الله فيوحدونه.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم﴾، أى أكثر أهل مكة، ﴿بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [آية: ١٠٦] فى إيمانهم، فإذا سئلوا: من خلقهم وخلق الأشياء كلها؟ قالوا: الله، وهم فى ذلك يعبدون الأصنام.

فخوفهم، فقال: ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ﴾، يعنى أن تغشاهم عقوبة، ﴿مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ فى الدنيا، ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾، يعنى فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية: ١٠٧] بإتيانها، هذا وعيد.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ﴾ ملة الإسلام، ﴿سَبِيلِيٓ﴾، يعنى سنتى، ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾، يعنى إلى معرفة الله، وهو التوحيد، ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، يعنى على بيان، ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ على دينى، ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾، نزه الرب نفسه عن شركهم، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ١٠٨].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ﴾؛ لأن أهل الريف أعقل وأعلم من أهل العمود، وذلك حين قال كفار مكة بألا بعث الله ملكًا رسولاً، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ﴾، يعنى من قبل أهل مكة، كان عاقبتهم الهلاك فى الدنيا، يعنى قوم عاد، وثمود، والأمم الخالية، ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾، يعنى أفضل من الدنيا ﴿لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۗ﴾ الشرك، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

[آية: ١٠٩] أن الآخرة أفضل من الدنيا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ من إيمان قومهم، أوعدتهم رسلهم العذاب فى الدنيا بأنه نازل بهم، ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ حسب قوم الرسل قد كذبوهم العذاب فى الدنيا بأنه نازل بهم، يقول: ﴿جَآءَهُمْ﴾، يعنى الرسل، ﴿نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ﴾ من المؤمنين من العذاب مع رسلهم، فهذه مشيئته، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾، يقول: لا يقدر أحد أن يرد عذابنا، ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ١١٠].

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾، يعنى فى خبرهم، يعنى نصر الرسل، وهلاك قومهم حين خبر الله عنهم فى كتابه فى طسم الشعراء، وفى اقتربت الساعة، وفى سورة هود، وفى الأعراف، ماذا لقوا من الهلاك، ﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، يعنى لأهل اللب والعقل، ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾، يعنى يتقول لقول كفار مكة: إن محمدًا تقوله من تلقاء نفسه، ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ﴾ الكتاب ﴿ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، يقول: يصدق القرآن الذى أنزل على محمد الكتب التى قبله كلها أنها من الله، ﴿وَتَفْصِيلَ﴾، يقول: فيه بيان ﴿كُلِّ شَىْءٍ وَ﴾ هو ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب، ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١١١]، يعنى يصدقون بالقرآن أنه من الله عز وجل.

* * *

سُورَةُ الرَّعْدِ

مكية، ويقال: مدنية، وهى ثلاث وأربعون آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١﴾

﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ [١]، لقول كفار مكة: إن محمدًا تقول القرآن من تلقاء نفسه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾، يعنى أكثر كفار، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١] بالقرآن أنه من الله.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٤﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ﴾، فيها تقديم، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ﴾ قبل خلقهما، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾، يعنى إلى يوم القيامة، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾، يقضى القضاء، ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾، يعنى يبين صنعه الذى ذكره فى هذه الآية، ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [آية: ٢] بالبعث إذا رأيتم صنعه فى الدنيا، فتعتبروا فى البعث.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾، يعنى بسط الأرض من تحت الكعبة، فبسطها بعد الكعبة بقدر ألفى سنة، فجعل طولها مسيرة خمسمائة عام، وعشرها مسيرة خمسمائة عام، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾، يعنى الجبال أثبت بهن الأرض؛ لئلا تزول بمن عليها، ﴿وَأَنْهَٰرًاۖ

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/٦١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٠٠، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/٤٢).

وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا ﴾ من كل ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ ، يعنى ظلمة الليل وضوء النهار، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ﴾ ، يعنى فيما ذكر من صنعه عبرة، ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [آية: ٣] فى صنع الله فيوحدونه.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ ﴾ ، يعنى بالقطع الأرض السبخة، والأرض العذبة، ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾ ، يعنى قريب بعضها من بعض، ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ ﴾ ، يعنى الكرم، ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ ﴾ ، يعنى النخيل التى رءوسها متفرقة وأصلها فى الأرض واحد، ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ ، وهى النخلة أصلها وفرعها واحد، ﴿يُسْقَىٰ ﴾ هذا كله ﴿بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾ ، يعنى فى الحمل، فبعضها أكبر حملاً من بعض، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ﴾ ، يعنى ما ذكر من صنعه لعبرة، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [آية: ٤] فيوحدون ربهم.

﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٥) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٦) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧) ﴾

﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ ﴾ يا محمد بما أوحينا إليك من القرآن، كقوله فى الصافات: ﴿**بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ**﴾ [الصافات: ١٢]، ثم قال: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ ، يعنى كفار مكة، يقول: لقولهم عجب، فعجبه من قولهم، يعنى ومن تكذيبهم بالبعث حين قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ، تكذيبًا بالبعث، ثم نعتهم، فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آية: ٥] لا يموتون.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ﴾ ، وذلك أن النضر بن الحارث قال: ﴿**اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الأنفال: ٣٢]، فقال الله عز وجل: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ﴾ ، يعنى النضر بن الحارث، ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[1]، يعنى بالعذاب قبل العافية، كقول صالح لقومه: ﴿**لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ**

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/٧٠، تفسير الماوردى ٢/٣١٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٠٥، تفسير القرطبى ٩/٢٨٤).

﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾، يعنى بالعذاب ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [النمل: ٤٦]، يعنى العافية، ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ﴾، يعنى أهل مكة، ﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾، يعنى العقوبات فى كفار الأمم الخالية، فسينزل بهم ما نزل بأوائلهم.

ثم قال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾، يعنى ذو تجاوز، ﴿لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾، يعنى على شركهم بالله فى تأخير العذاب عنهم إلى وقت، يعنى الكفار، فإذا جاء الوقت عذبناهم بالنار، فذلك قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية: ٦] إذا عذب وجاء الوقت، نظيرها فى حم السجدة.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله: ﴿لَوْلَآ﴾، يعنى هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾، على محمد، ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ محمد، يقول الله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ يا محمد هذه الأمة، وليست الآية بيدك، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [آية: ٧]، يعنى لكل قوم فيما خلا داع مثلك يدعو إلى دين الله، يعنى الأنبياء.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ (٨) عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ (٩) سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌ بِٱلنَّهَارِ (١٠) لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ (١١)﴾

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ من ذكر وأنثى، كقوله فى لقمان: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] سويًا أو غير سوى، ذكرًا أو أنثى، ثم قال: ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾، يعنى وما تنقص ﴿ٱلْأَرْحَامُ﴾، كقوله: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ [هود: ٤٤]، يعنى ونقص الماء، يعنى وما تنقص الأرحام من الأشهر التسعة، ﴿وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ﴾ من تمام الولد والزيادة فى بطن أمه، ﴿عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [آية: ٨]، يعنى قدر خروج الولد من بطن أمه، وقدر مكثه فى بطنها إلى خروجه، فإنه يعلم ذلك كله.

ثم قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾، يعنى غيب الولد فى بطن أمه، ويعلم غيب كل شىء، ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾، يعنى شاهد الولد وغيره، يقول الله: إذا علمت هذا، فأنا ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [آية: ٩]، يعنى العظيم، لا أعظم منه، الرفيع فوق خلقه.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم﴾ عند الله، ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾، يعنى بالقول، ﴿وَمَنْ

هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [آية: ١٠]، يقول: من هو مستخف بالمعصية فى ظلمة الليل، ومنتشر بتلك المعصية بالنهار معلن بها، فعلم ذلك كله عند الله تعالى سواء.

ثم قال لهذا الإنسان المستخفى بالليل، السارب بالنهار مع علمى بعمله ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ (١) من الملائكة، ﴿مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾، يعنى بأمر الله من الإنس والجن مما لم يقدر أن يصيبه حتى تسلمه المقادير، فإذا أراد الله أن يغير ما به لم تغن عنه المعقبات شيئًا، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من النعمة، ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، يعنى كفار مكة، نظيرها من الأنفال: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ**...﴾ [الأنفال: ٥٣] إلى آخر الآية.

والنعمة أنه بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، وأطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، فغيروا هذه النعمة، فغير الله ما بهم، فذلك قوله: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا﴾، يعنى بالسوء العذاب، ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [آية: ١١]، يعنى ولى يرد عنهم العذاب.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾، للمسافر من الصواعق، ﴿وَطَمَعًا﴾ للمزارع المقيم فى رحمته، يعنى المطر، ﴿وَيُنشِئُ﴾، يعنى ويخلق، مثل قوله: ﴿**وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ**﴾ [الرحمن: ٢٤]، يعنى المخلوقات، ﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [آية: ١٢] من الماء.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾، يقول: ويذكر الرعد بأمره يحمده، والرعد ملك من الملائكة اسمه الرعد، وهو موكل بالسحاب، صوته تسبيحه، يزجر السحاب ويؤلف

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٢/٦٠، تفسير الطبرى ١٣/٧٦، تفسير الماوردى ٢/٣٢٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣١٠، تفسير القرطبى ٩/٢٩١، تفسير ابن كثير ٢/٥٠٣، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/٤٦).

بعضه إلى بعض، ويسوقه بتسبيحه إلى الأرض التى أمر الله تعالى أن تمطر فيها، ثم قال: ﴿وَ﴾ تسبح ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بزجرته ﴿مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾، يعنى من مخافة الله تعالى، فميز بين الملائكة وبين الرعد، وهما سواء، كما ميز بين جبريل وميكائيل فى البقرة، وكما ميز بين الفاكهة، وبين النخل والرمان وهما سواء.

ثم قال: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾، هذا أنزل فى أمر عامر، والأربد بن قيس، حين أراد قتل النبى ﷺ، وذلك أن عامر بن الطفيل العامرى دخل على رسول الله ﷺ، فقال: أسلم على أن لك المدر ولى الوبر؟ فقال له النبى ﷺ: «إنما أنت امرؤ من المسلمين، لك ما لهم، وعليك ما عليهم»، قال: فلك الوبر ولى المدر، فقال له النبى ﷺ مثل ذلك، قال: فلى الأمرين من بعدك، قال له النبى ﷺ مثل قوله الأول: «لك ما لهم، وعليك ما عليهم»، فغضب عامر، فقال: لأملأنها عليك خيلاً، ورجالاً، ألف أشقر، عليها ألف أمرد.

ثم خرج مغضبًا، فلقى ابن عمه أربد بن قيس العامرى، فقال عامر لأربد: ادخل بنا على محمد، فألهيه فى الكلام، وأنا أقتله، وإن شئت ألهيته بالكلام وقتلته أنت، قال أربد: ألهه أنت وأنا أقتله، فدخلا على النبى ﷺ، فأقبل عامر إلى النبى ﷺ يحدثه وهو ينظر إلى أربد متى يحمل عليه فيقتله، ثم طال مجلسه، فقام عامر وأربد فخرجا، فقال عامر لأربد: ما منعك من قتله؟ قال: كلما أردت قتله وجدتك تحول بينى وبينه، وأتى جبريل النبى ﷺ، فأخبره بما أرادا، فدعا النبى ﷺ عليهما، فقال: «اللهم اكفنى عامرًا وأربدا، واهد بنى عامر»، فأما أربد، فأصابته صاعقة فمات، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾، يعنى أربد بن قيس، ﴿وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾، يعنى يخاصمون فى الله.

وذلك أن عامرًا قال للنبى ﷺ: أخبرنى عن ربك، أهو من ذهب، أو من فضة، أو من نحاس، أو من حديد، أو ما هو؟ فهذا القول خصومته، فأنزل الله تعالى: **﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾** [سورة الإخلاص]، يقول: ليس هو من نحاس ولا من غيره، وسلط الله عليه الطاعون فى بيت امرأة من بنى سلول، فجعل يقول: عامر قتيل بغير سلاح، غدة كغدة البعير، وموت فى بيت سلولية، أبرز يا ملك الموت حتى أقاتلك، فذلك قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ [1] [آية: ١٣]، يعنى الرب

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٢٦، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣١٦/٤، تفسير القرطبى ٢٩٩/٩).

تعالى نفسه، يعني شديد الأخذ إذا أخذ، نزلت في عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾، يعني كلمة الإخلاص، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾، يعني والذين يعبدون من دون الله من الآلهة، وهي الأصنام، ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾، يقول: لا تجيب الآلهة من يعبدها ولا تنفعهم، كما لا ينفع العطشان الماء يبسط يده إلى الماء وهو على شفير بئر، يدعوه أن يرتفع إلى فيه، ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾، حتى يموت من العطش، فكذلك لا تجيب الأصنام، ثم قال: فادعوا، يعني فادعوا الأصنام، ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، يعني وما عبادة الكافرين، ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [آية: ١٤]، يعني خسران وباطل.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ (١٥) قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ (١٦)﴾

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، يعني الملائكة، ﴿وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾، يعني المؤمنين، ثم قال: ﴿وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم﴾، يعني ظل الكافر كرهًا يسجد لله، وهو ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ حين تطلع الشمس، ﴿وَٱلْءَاصَالِ ۩﴾ [آية: ١٥]، يعني بالعشي إذا زالت الشمس يسجد ظل الكافر لله، وإن كرهوا.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾، في قراءة أُبي بن كعب، وابن مسعود: قالوا الله، ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ الله ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ تعبدونهم، يعني الأصنام، ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ﴾، يعني الأصنام لا يقدرون لأنفسهم ﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ عن الهدى، ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ بالهدى، يعني الكافر والمؤمن، ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ﴾، يعني الشرك، ﴿وَٱلنُّورُ﴾، يعني الإيمان، ولا يستوي من كان في ظلمة كمن كان في النور، ثم قال يعنيهم: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟﴾، يعني وصفوا ﴿لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ من الآلهة، ﴿خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾، يقول: خلقوا كما خلق الله، ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾، يقول: فتشابه ما خلقت الآلهة والأصنام وما خلق الله عليهم، فإنهم لا يقدرون أن يخلقوا، فكيف يعبدون ما لا يخلق شيئًا، ولا يملك، ولا يفعل كفعل الله عز وجل، ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾، لا شريك له، ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [آية: ١٦] والآلهة مقهورة وذليلة.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ (١٧) لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ (١٨)﴾

ثم ضرب الله تعالى مثل الكفر والإيمان، ومثل الحق والباطل، فقال: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾، وهذا مثل القرآن الذى علمه المؤمنون، وتركه الكفار، فسال الوادى الكبير على قدر كبره، منهم من حمل منهم كبيرًا، والوادى الصغير على قدره، ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ﴾، يعنى سيل الماء، ﴿زَبَدًا رَّابِيًاۚ﴾، يعنى عاليًا، ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ أيضًا، ﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ﴾، يعنى الذهب، والفضة.

ثم قال: ﴿أَوۡ مَتَٰعٖ﴾، يعنى المشبه، والصفر، والحديد، والرصاص، له أيضًا ﴿زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾، فالسيل زبد لا ينتفع به، والحلى والمتاع له أيضًا زبد، إذا أدخل النار أخرج خبثه، ولا ينتفع به، والذهب والفضة والمتاع ينتفع به، ومثل الماء مثل القرآن، وهو الحق، ومثل الأودية مثل القلوب، ومثل السيل مثل الأهواء، فمثل الماء والحلى والمتاع الذى ينتفع به مثل الحق الذى فى القرآن، ومثل زبد الماء، وحيث المتاع الذى لا ينتفع به مثل الباطل، فكما ينتفع بالماء، وما خلص من الحلى، والمتاع الذى ينتفع به أهله فى الدنيا، فكذلك الحق ينتفع به أهله فى الآخرة، وكما لا ينتفع بالزبد وخبث الحلى والمتاع أهله فى الدنيا، فكذلك الباطل لا ينتفع أهله فى الآخرة، ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ﴾، يعنى يابسًا لا ينتفع به الناس كما لا ينتفع بالسيل، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، فيستقون ويزرعون عليه وينتفعون به، يقول: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [آية: ١٧]، يعنى الأشباه، فهذه الثلاثة الأمثال ضربها الله فى مثل واحد.

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾، لهم فى الآخرة، وهى الجنة، ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ بالإيمان وهم الكفار، ﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾، فقدروا على أن يفتدوا به أنفسهم من العذاب، ﴿لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾[1]، يعنى شدة الحساب حين لا يتجاوز عن شيء من ذنوبهم، ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ﴾،

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ٩٤/١٣، تفسير الماوردى ٣٢٨/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٣٢٣، تفسير القرطبى ٣٠٧/٩، تفسير ابن كثير ٥٠٩/٢).

يعنى مصيرهم ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آية: ١٨]، يعنى بئس ما مهدوا لأنفسهم.

﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

ثم ضرب مثلاً آخر، فقال: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾، يعنى القرآن نزل فى عمار بن ياسر، ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ عن القرآن لا يؤمن بما أنزل من القرآن، فهو أبو حذيفة بن المغيرة المخزومى لا يستويان هذان، وليسا بسواء، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ فى هذا الأمر ﴿أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آية: ١٩]، يعنى عمار بن ياسر، يعنى أهل اللب والعقل، نظيرها فى الزمر: ﴿**هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: ٩]، نزلت فى عمار، وأبى حذيفة بن المغيرة الاثنين جميعًا.

ثم نعت الله أهل اللب، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ فى التوحيد، ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [آية: ٢٠] الذى أخذ الله عليهم على عهد آدم، عليه السلام، ويقال: هم مؤمنوا أهل الكتاب.

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، من إيمان بمحمد ﷺ والنبيين والكتب كلها، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ فى ترك الصلة، ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [آية: ٢١]، يعنى شدة الحساب حين لا يتجاوز عن شيء من ذنوبهم.

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على ما أمر الله، نزلت فى المهاجرين والأنصار، ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الأموال، ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ﴾، يعنى ويدفعون، ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ إذا أذاهم كفار مكة، فيردون عليهم معروفًا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [آية: ٢٢]، يعنى عاقبة الدار.

فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ﴾، يعنى ومن آمن بالتوحيد بعد هؤلاء، ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ يدخلون عليهم أيضًا، معهم جنات عدن، نظيرها فى حم المؤمن، ثم قال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [آية: ٢٣] على مقدار أيام الدنيا

ثلاث عشرة مرة، معهم التحف من الله تعالى، من جنة عدن ما ليس فى جناتهم، من كل باب.

فقالوا لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ فى الدنيا على أمر الله، ﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [آية: ٢٤]، يثنى الله على الجنة عقبى الدار، عاقبة حسناهم دار الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ (٢٥) ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ (٢٦) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ (٢٧) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ (٢٨) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ (٢٩)﴾

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾، يعنى كفار أهل الكتاب، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾، يعنى من بعد إقرارهم بالتوحيد يوم آدم، عليه السلام، ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، من الإيمان بالنبيين، وبالتوحيد، وبالكتاب، ﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هؤلاء، يعنى يعملون فيها المعاص، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [آية: ٢٥]، يعنى شر الدار جهنم.

﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾، يعنى يوسع الرزق على من يشاء، ﴿وَيَقۡدِرُۚ﴾، يعنى ويقتر على من يشاء، ﴿وَفَرِحُواْ﴾، يعنى ورضوا ﴿بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾ [آية: ٢٦]، يعنى إلا قليل.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة، وهم القادة، ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ﴾، يعنى هلا أنزل، ﴿عَلَيۡهِ﴾، يعنى النبى ﷺ، ﴿ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ عن الهدى، ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ﴾ إلى دينه ﴿مَنۡ أَنَابَ﴾ [آية: ٢٧]، يعنى من راجع التوبة.

ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾، يقول: وتسكن قلوبهم بالقرآن، يعنى بما فى القرآن من الثواب والعقاب، يقول الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [آية: ٢٨]، يقول: ألا بالقرآن تسكن القلوب.

ثم أخبر بثوابهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ﴾، يعنى

حسنى لهم، وهى بلغة العرب، ﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [آية: ٢٩]، يعنى وحسن مرجع، وطوبى شجرة فى الجنة، لو أن رجلاً ركب فرسًا أو نجيبة، وطاف على ساقها، لم يبلغ المكان الذى ركب منه حتى يقتله الهرم، ولو أن طائرًا طار من ساقها، لم يبلغ فرعها حتى يقتله الهرم، كل ورقة منها تظل أمة من الأمم، على كل ورقة منها ملك يذكر الله تعالى، ولو أن ورقة منها وضعت فى الأرض لأضاءت الأرض نورًا كما تضىء الشمس، تحمل هذه الشجرة لهم ما يشاءون من ألوان الحلى والثمار، غير الشراب.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا ﴿أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾، يعنى قد مضت قبل أهل مكة، يعنى الأمم الخالية، ﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، يعنى لتقرأ عليهم القرآن، ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ﴾، نزلت يوم الحديبية، حين صالح النبى ﷺ أهل مكة، فكتبوا بينهم كتابًا، وولى الكتاب على بن أبى طالب، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل بن عمرو القرشي: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فأمره النبى ﷺ أن يكتب: باسمك اللهم، ثم قال له النبى ﷺ: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ أهل مكة»، فقالوا: ما نعرف أنك رسول الله، لقد ظلمناك إذًا إن كنت رسول الله، ثم نمنعك عن دخول المسجد الحرام، ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله.

فغضب أصحاب النبى ﷺ، وقالوا للنبى ﷺ: دعنا نقاتلهم، فقال: «لا»، ثم قال لعلى: «اكتب الذى يريدون، أما أن لك يومًا مثله»، وقال النبى ﷺ: «أنا محمد بن عبد الله، وأشهد أنى رسول الله»، فكتب: هذا صالح محمد بن عبد الله أهل مكة، على أن ينصرف محمد من عامه هذا، فإذا كان القابل دخل مكة، فقضى عمرته وخلى أهل مكة بينه وبين مكة ثلاث ليال، فأنزل الله تعالى فى قول سهيل وصاحبيه مكرز بن حفص بن الأحنف، وحويطب بن عبد العزى، كلهم من قريش حين قالوا: ما نعرف الرحمن، إلا مسيلمة، فقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ﴾.

﴿قُلْ هُوَ رَبِّى﴾ يا محمد قول: الرحمن الذى يكفرون به هو ربى، ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، يقول: به أثق، ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [آية: ٣٠]، يعنى التوبة، نظيرها فى

الفرقان: ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٧١].

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾، وذلك أن أبا جهل بن هشام المخزومى، قال لمحمد ﷺ: سير لنا بقرآنك هذا الجبل عن مكة، فإنها أرض ضيقة، فتتسع فيها، ونتخذ فيها المزارع والمصانع، كما سخرت لداود، عليه السلام، إن كنت نبيًا كما تزعم، قال النبى ﷺ: «لا أطيق ذلك»، قال أبو جهل: فلا عليك، فسخر لنا هذه الريح، فنركبها إلى الشام، فنقضى ميرتنا، ثم نرجع من يومنا، فقد شق علينا طول السفر، كما سخرت لسليمان كما زعمت، فلست بأهون على الله من سليمان، إن كنت نبيًا كما تزعم، وكان يركبها سليمان وقومه غدوة، فيسير مسيرة شهر، قال النبى ﷺ: «لا أطيق ذلك».

قال أبو جهل: فلا عليك، ابعث لنا رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا، منهم قصى بن كلاب، فإنه كان شيخًا صدوقًا، فنسأله عما أمامنا مما تخبرنا أنه كائن بعد الموت أحق ما تقول أم باطل؟ فقد كان عيسى يفعل ذلك بقومه كما زعمت، فلست بأهون على الله من عيسى إن كنت نبيًا كما تزعم، قال النبى ﷺ: «ليس إلى ذلك»، قال أبو جهل: فإن كنت غير فاعل، فلا ألفينك تذكر آلهتنا بسوء، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾[1] ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، يقول: لو أن قرآنًا فعل ذلك به قبل هذا القرآن، لفعلناه بقرآن محمد، عليه السلام، ولكنه شيء أعطيه رسلى.

فذلك قوله: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾، يقول: بل جميع ذلك الأمر كان من الله ليس من قبل القرآن، ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة، ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾، يقول: تصيبهم بما كفروا بالله بائقة، وذلك أن النبى ﷺ كان لا يزال يبعث سراياه، فيغيرون حول مكة، فيصيبون

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٦٣/١، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٢٧، تفسير القرطبى ٣١٩/٩).

من أنفسهم، ومواشيهم، وأنعامهم، فيها تقديم، ثم قال: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾، يقول: أو تنزل يا محمد بحضرتهم يوم الحديبية قريبين، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ فى فتح مكة، وكان الله تعالى وعد النبى ﷺ أن يفتح عليه مكة، فذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آية: ٣١].

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ من الرسل قبل محمد ﷺ، أخبروا قومهم بنزول العذاب عليهم فى الدنيا، فكذبوهم واستهزءوا منهم بأن العذاب ليس بنازل بهم، فلما أخبر النبى ﷺ كفار مكة استهزءوا منه، فأنزل الله تعالى يعزى نبيه، عليه السلام، ليصبر على تكذيبهم إياه بالعذاب، ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾، يعنى فأمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، فلم أعجل عليهم بالعقوبة، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى عذاب، أليس وجدوه حقًا؟.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر، يقول: الله قائم على كل بر وفاجر، على الله رزقهم وطعامهم، ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾، يعنى وصنعوا لله شبهًا، وهو أحق أن يعبد من غيره، ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿سَمُّوهُمْ﴾، يقول: ما أسماء هؤلاء الشركاء، وأين مستقرهم، يعنى الملائكة؛ لأنهم عبدوهم، ويقال: الأوثان، ولو سموهم لكذبوا.

ثم قال: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأن معه شريكًا، ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾، يقول: بل بأمر باطل كذب، كقوله فى الزخرف: ﴿**أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى**﴾ [الزخرف: ٥٢]، يقول: أنا خير، ثم قال: ﴿بَلْ﴾، يعنى لكن، ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿مَكْرُهُمْ﴾، يعنى قول الشرك، ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، يعنى وصدوا الناس عن السبيل، يعنى دين الله الإسلام، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾، يقول: ومن يضله الله، ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [آية: ٣٣] إلى دينه.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعنى القتل ببدر، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ مما أصابهم من القتل ببدر، وضرب الملائكة الوجوه والأدبار، وتعجيل أرواحهم إلى النار، ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [آية: ٣٤]، يعنى يقى العذاب عنهم.

﴿۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾[1]، يعنى شبه الجنة فى الفضل والخير، كشبه النار فى شدة العذاب، ثم نعت الجنة، فقال: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾، يعنى طعامها لا يزول ولا ينقطع، وهكذا ﴿وَظِلُّهَا﴾، ثم قال: ﴿تِلْكَ﴾ الجنة ﴿عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا﴾، عاقبة حسناهم الجنة، ﴿وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [آية: ٣٥]، يعنى وعاقبة الذين كفروا بتوحيد الله النار.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، يقول: أعطيناهم التوراة، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه، مؤمنو أهل التوراة، ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن، ثم قال: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾، يعنى ابن أمية، وابن المغيرة، وآل أبى طلحة بن عبد العزى بن قصى، ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ﴾، أنكروا الرحمن، والبعث، ومحمدًا، عليه السلام، ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾، يعنى أوحد الله، ﴿وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ شيئًا، ﴿إِلَيْهِ أَدْعُو﴾، يعنى إلى معرفته، وهو التوحيد، أدعو، ﴿وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ [آية: ٣٦]، يعنى وإليه المرجع.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾، يعنى حين دعى إلى ملة آبائه، ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، يعنى من البيان، ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾، يعنى قريبًا ينفعك، ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ [آية: ٣٧]، يعنى يقى العذاب عنك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٦٥/٢، تفسير الماوردى ٣٣٣/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٣٤/٤، تفسير القرطبى ٣٢٤/٩).

ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾، يعنى الأنبياء قبلك، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾، يعنى النساء والأولاد، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ﴾، وذلك أن كفار مكة سألوا النبى ﷺ أن يأتيهم بآية، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ﴾، إلى قومه، ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، يعنى إلا بأمر الله، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [آية: ٣٨]، يقول: لا ينزل من السماء كتاب إلا بأجل.

﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾، يقول: ينسخ الله ما يشاء من القرآن، ﴿وَيُثْبِتُ﴾، يقول: ويقر من حكم الناسخ ما يشاء، فلا ينسخه، ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1] [آية: ٣٩]، يعنى أصل الكتاي، يقول: الناسخ من الكتاب، والمنسوخ فهو فى أم الكتاب، يعنى بأم الكتاب اللوح المحفوظ.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾، يعنى وإن نرينك يا محمد فى حياتك، ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب فى الدنيا، يعنى القتل ببدر وسائر بهم العذاب بعد الموت، ثم قال: ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾، يقول: أو نميتك يا محمد قبل أن نعذبهم فى الدنيا، يعنى كفار مكة، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾[2] من الله إلى عباده، ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [آية: ٤٠]، يقول: وعلينا الجزاء الأوفى فى الآخرة، كقوله عز وجل فى الشعراء: ﴿**إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّى**﴾ [الشعراء: ١١٣]، يعنى ما جزاءهم إلا على ربى.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾، يعنى كفار مكة، ﴿أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾، يعنى أرض مكة، ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾، يعنى ما حولها، يقول: لا يزال النبى ﷺ والمؤمنون يغلبون على ما حول مكة من الأرض، فكيف لا يعتبرون بما يرون أنه ينقص من أهل الكفر ويزداد فى المسلمين،

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١١١/١٣، تفسير الماوردى ٣٣٥/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٣٨/٤، تفسير القرطبى ٣٢٩/٩).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ٦٦/٢، تفسير الطبرى ١١٦/١٣، تفسير الماوردى ٣٣٥/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٣٩/٤، تفسير القرطبى ٣٣٣/٩).

﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ﴾، يقول: والله يقضى لا راد لقضائه فى نقصان ما حول مكة ونصر محمد ﷺ، ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آية: ٤١]، يقول: كأنه قد جاء فحاسبهم.

﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾، يعنى قبل كفار مكة من الأمم الخالية، يعنى قوم صالح، عليه السلام، حين أرادوا قتل صالح، عليه السلام، فهكذا كفار مكة حين أجمع أمرهم على قتل محمد ﷺ فى دار الندوة، يقول الله عز وجل: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ﴾، يقول: جميع ما يمكرون بإذن الله عز وجل، والله ﴿يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ﴾، يعنى ما تعمل كل نفس، بر وفاجر، من خير أو شر، ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ﴾ كفار مكة فى الآخرة، ﴿لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [آية: ٤٢]، يعنى دار الجنة، ألهم أم للمؤمنين؟.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يقول: قالت اليهود: ﴿لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ﴾ يا محمد، لم يبعثك الله رسولاً، فأنزل الله عز وجل، ﴿قُلۡ﴾ لليهود: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا﴾[1]، فلا شاهد أفضل من الله عز وجل، ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ بأنى نبى رسول، ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آية: ٤٣]، يقول: ويشهد من عنده التوراة، عبد الله بن سلام، فهو يشهد أنى نبى رسول مكتوب فى التوراة.

* * *

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/١١٨، تفسير الماوردى ٢/٣٣٦، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٤١، تفسير القرطبى ٩/٣٣٥، تفسير ابن كثير ٢٥/٥٢١).

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

عليه السلام

مكية كلها، غير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا...﴾ [آية: ٢٨، ٢٩] الآيتين مدنيتين، وهى اثنتان وخمسون آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ، ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، يعنى من الشرك إلى الإيمان، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾، يعنى بأمر ربهم، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾، يعنى إلى دين، ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ فى ملكه، ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ [آية: ١] فى أمره عند خلقه.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾

ثم دل على نفسه تعالى ذكره، فقال: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، من أهل مكة، بتوحيد الله، ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [آية: ٢].

ثم أخبر عنهم، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ الفانية، ﴿عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الباقية، ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى عن دين الإسلام، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، يعنى سبيل الله عوجًا، يقول: ويريدون بملة الإسلام زيغًا، وهو الميل، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٣]، يعنى فى خسران طويل، وذلك أن رءوس كفار مكة كانوا ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ، وعن اتباع دينه.

ثم قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾، يعنى بلغة قومه ليفهموا قول رسول الله ﷺ، فذلك قوله سبحانه: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ على ألسنة الرسل عن دينه الهدى، ﴿وَيَهْدِى﴾ إلى دينه، الهدى على ألسنة الرسل، ﴿مَن يَشَآءُ﴾، ثم رد تعالى ذكره المشيئة إلى نفسه، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٤]، حكم الضلالة والهدى لمن يشاء.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾، اليد والعصا، ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾، يعنى أن ادع قومك بنى إسرائيل، ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، يعنى من الشرك إلى الإيمان، ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾[1]، يقول: عظهم وخوفهم بمثل عذاب الأمم الخالية، فيحذروا فيؤمنوا، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾، يقول: إن فى هلاك الأمم الخالية، ﴿لَـَٔايَٰتٍ﴾، يعنى لعبرة ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [آية: ٥]، يعنى المؤمن صبور على أمر الله عز وجل عند البلاء الشديد، شكور لله تعالى فى نعمه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾، بنى إسرائيل: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم﴾، يعنى أنقذكم، ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، يعنى أهل مصر، ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾، يعنى يعذبونكم، ﴿سُوٓءَ﴾، يعنى شدة، ﴿ٱلْعَذَابِ﴾، ثم بين العذاب، فقال: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾، فى حجور أمهاتهم، ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، يعنى قتل البنين وترك البنات، قتل فرعون منهم ثمانية عشر طفلاً، ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾، يعنى فيما أخبركم من قتل الأبناء وترك البنات، ﴿بَلَآءٌ﴾، يعنى نقمة، ﴿مِّن رَّبِّكُمْ

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٢/٦٨، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٣٠، تفسير الطبرى ١٣/١٢٢، تفسير الماوردى ٢/٣٣٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٤٦، تفسير القرطبى ٩/٣٤١).

عَظِيمٌ﴾ [آية: ٦]، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦]، يعنى النعمة البينة، وكقوله: ﴿وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاَءٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ٣٣]، يعنى نعمة بينة.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾، نظيرها فى الأعراف: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وإذ قال ربكم: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، يعنى لئن وحدتم الله عز وجل، كقوله سبحانه: ﴿وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، يعنى الموحدين، لأزيدنكم خيرًا فى الدنيا، ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيد الله، ﴿إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [آية: ٧] لمن كفر بالله عز وجل فى الآخرة.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِىٌّ﴾، عن عبادة خلقه، ﴿حَمِيدٌ﴾ [آية: ٨]، عن خلقه فى سلطانه.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِى أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾

ثم خوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية لئلا يكذبوا بمحمد ﷺ، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا﴾، يعنى حديث، ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم حديث ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ من الأمم التى عذبت، عاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وغيرهم، ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ﴾، يعنى لا يعلم عدتهم أحد، ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ عز وجل، ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾، يعنى أخبرت الرسل قومهم بنزول العذاب بهم، نظيرها فى الروم: ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الروم: ٩]، يعنى بنزول العذاب بهم فى الدنيا.

﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾[1]، يقول: وضع الكفار أيديهم فى أفواههم، ثم قالوا للرسل: اسكتوا، فإنكم كذبة، يعنون الرسل، وأن العذاب ليس بنازل بنا فى الدنيا، ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ للرسل: ﴿إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾، يعنى بالتوحيد، ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾ [آية: ٩]، يعنى بالريبة أنهم لا يعرفون شكهم.

﴿۞ قَالَتۡ﴾ لهم ﴿رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾، يقول: أفى التوحيد لله شك؟ ﴿فَاطِرِ﴾، يعنى خالق، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ﴾ إلى معرفته، ﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾، والمن هاهنا صلة، كقوله سبحانه: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ**﴾ [الشورى: ١٣]، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمۡ﴾ فى عافية، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾، يقول: إلى منتهى آجالكم، فلا يعاقبكم بالسنين، فردوا على الرسل، ﴿قَالُوٓاْ﴾ لهم: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ﴾، يعنى ما أنتم، ﴿إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾، لا تفضلونا فى شىء، ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا﴾، يعنى تمنعونا، ﴿عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾، يعنى دين آبائهم، ﴿فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ١٠]، يعنى بحجة بينة، قالوا للرسل: ائتونا من عند الله بكتاب فيه حجة بأنكم رسله، فإن أتيتمونا كان لكم حجة بأنكم رسله.

﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ﴾، يعنى ما نحن، ﴿إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ﴾، يعنى ينعم، ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾، فيخصه بالنبوة والرسالة، ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ﴾، يعنى بكتاب من الله بالرسالة، ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾، يعنى إلا بأمر الله، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ﴾، يقول: وبالله فليثق، ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ١١]، لقولهم للرسل لنخرجنكم من أرضنا.

ثم قال سبحانه: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾، يعنى وما لنا ألا نثق بالله، ﴿وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾، يعنى لديننا، ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [آية: ١٢]، يعنى وبالله فليثق الواثقون.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٢/٦٩، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٣٠، تفسير الطبرى ١٣/١٢٦، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٤٨، تفسير القرطبى ٩/٣٤٥).

﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾

وكان أذاهم للرسل أن قالوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ﴾، يعنى دينهم الكفر، فهذا الأذى الذى صبروا عليه، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾، يعنى إلى الرسل، ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٣]، يعنى المشركين فى الدنيا ولننصرنكم.

يعنى ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ﴾، يعنى هلاكهم، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإنسان فى الدنيا، ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾، يعنى مقام ربه عز وجل فى الآخرة، ﴿وَ﴾ لمن ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [آية: ١٤] فى الآخرة.

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾، يعنى دعوا ربهم واستنصروا، وذلك أن الرسل أنذروا قومهم العذاب فى الدنيا، فردوا عليهم: أنكم كذبة، ثم قالوا: اللهم إن كانت رسلنا صادقين فعذبنا، فذلك قوله تعالى: ﴿**فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ [الأعراف: ٧٠]، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾، يعنى مشركى مكة، وفيهم أبو جهل، يعنى ودعوا ربهم، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [آية: ١٥]، يعنى وخسر عند نزول العذاب كل متكبر عن توحيد الله عز وجل، نزلت فى أبى جهل، ﴿عَنِيدٍ﴾، يعنى معرض عن الإيمان مجانبًا له.

ثم قال لهذا الجبار وهو فى الدنيا: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ (١)، من بعدهم، يعنى من بعد موته، ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [آية: ١٦]، يعنى خليطة القيح والدم الذى يخرج من أجداف الكفار يسقى الأشقياء.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ تجرعًا، ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ البتة، نظيرها: ﴿**إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا**﴾ [النور: ٤٠]، يقول: لا يراها البتة، ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾ فى النار، ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ هذا، يعنى ومن بعد إحدى وعشرين ألف سنة يفتح عليهم باب يقال له: الهيهات، فتأكل ناره نار جهنم وأهلها، كما تأكل

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٣١، تفسير الطبرى ١٣/١٣٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٥٢، تفسير القرطبى ٩/٣٥٠).

نار الدنيا القطن المندوف، ويأتيه الموت فى النار من كل مكان، وما هو بميت، ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [آية: ١٧]، يعنى شديد لا يفتر عنهم.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ﴾، يعنى بتوحيد ربهم، مثل ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الخبيثة فى غير إيمان، ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ﴾ (١) فى يوم شديد الريح، فلم ير منه شىء، فكذلك أعمال الكفار، ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ﴾، يقول: لا يقدرون على ثواب شىء مما عملوا فى الدنيا، ولا تنفعهم أعمالهم؛ لأنها لم تكن فى إيمان، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الكفر، ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [آية: ١٨]، يعنى الطويل.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾، لم يخلقهما باطلاً لغير شىء، ولكن خلقهما لأمر هو كائن، ثم قال سبحانه لكفار هذه الأمة: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بالهلاك إن عصيتموه، ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [آية: ١٩]، يعنى بخلق غيركم أمثل وأطوع لله منكم.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [آية: ٢٠]، يقول: هذا على الله هين يسير، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، نظيرها فى الملائكة.

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، يقول: وخرجوا من قبورهم إلى الله جميعًا، يعنى بالجميع أنه لم يغادر منهم أحد إلا بعث بعد موته، ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾، وهم

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٧٢/٢، تفسير الطبرى ١٣١/١٣، تفسير الماوردى ٢٤٣/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٥٥/٤، تفسير القرطبى ٣٥٣/٩).

الأتباع من كفار بنى آدم، ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾، يعنى للذين تكبروا عن الإيمان بالله عز وجل، وهو التوحيد، وهم الكبراء فى الشرف والغنى القادة، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ لدينكم فى الدنيا، ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا﴾ معشر الكبراء، ﴿مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾، باتباعنا إياكم.

﴿قَالُواْ﴾، يعنى قالت الكبراء للضعفاء: ﴿لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ﴾، ذلك أن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالوا نجزع من العذاب، لعل ربنا يرحمنا، فجزعوا مقدار خمسمائة عام، فلم يغن عنهم الجزع شيئًا، ثم قالوا: تعالوا نصبر لعل الله يرحمنا، فصبروا مقدار خمسمائة عام، فلم يغن عنهم الصبر شيئًا، فقالوا عند ذلك: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ﴾ ﴿أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾ [آية: ٢١]، من مهرب عنها.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾، يعنى إبليس، ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾، يعنى حين قضى العذاب، وذلك أن إبليس لما دخل هو ومن معه على أثره النار، قام خطيبًا فى النار، فقال: يا أهل النار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ﴾ على ألسنة الرسل، ﴿وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾، يعنى وعد الصدق أن هذا اليوم كائن، ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ﴾ أنه ليس بكائن، ﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾ الوعد، ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾، يعنى من ملك فى الشرك، فأكرهكم على متابعتى، يعنى على دينى، إلا فى الدعاء.

فذلك قوله عز وجل: ﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ﴾، يعنى إلا أن زينت لكم، ﴿فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ﴾ بالطاعة وتركتم طاعة ربكم، ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ باتباعكم إياى، ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾ بترككم أمر ربكم، ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾[1]، يقول: ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثى، ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ﴾، يقول: تبرأت اليوم ﴿بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾ مع الله فى الطاعة، ﴿مِن قَبۡلُۗ﴾ فى الدنيا، ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يعنى إن المشركين، ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آية: ٢٢]، يعنى وجيع.

﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/١٣٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٥٧، تفسير القرطبى ٩/٣٥٧).

كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ۞

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله عز وجل، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وأدوا الفرائض، ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، يعنى تجرى العيون من تحت بساتينها، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾، يعنى بأمر ربهم ادخلوا الجنة، ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [آية: ٢٣]، يقول: تسلم الملائكة عليهم فى الجنة.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، يعنى حسنة، يعنى كلمة الإخلاص، وهى التوحيد، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، يعنى بالطيبة الحسنة، كما أنه ليس فى الكلام شىء أحسن ولا أطيب من الإخلاص، قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فكذلك ليس فى الثمار شىء أحلى ولا أطيب من الرطبة، وهى النخلة، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ فى الأرض، ﴿وَفَرْعُهَا﴾، يعنى رأسها، ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آية: ٢٤]، يقول: هكذا الإخلاص ينبت فى قلب المؤمن، كما تنبت النخلة فى الأرض، إذا تكلم بها المؤمن، فإنها تصعد إلى السماء، كما أن النخلة رأسها فى السماء، كما أن النخلة لها فضل على الشجر فى الطول، والطيب، والحلاوة، فكذلك كلمة الإخلاص لها فضل على سائر الكلام.

﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ﴾، يقول: إن النخلة تؤتى ثمرها كل ستة أشهر، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، يعنى بأمر ربها، فهكذا المؤمن يتكلم بالتوحيد، ويعمل الخير ليلاً ونهارًا، غدوة وعشيًا، بمنزلة النخلة، وهذا مثل المؤمن، ثم قال سبحانه: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾، يعنى ويصف الله الأشياء للناس، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢٥]، أى يتفكرون فى أمثال الله تعالى، فيوحدونه.

ثم ضرب مثلاً آخر للكافرين، فقال سبحانه: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾، يعنى دعوة الشرك، ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ فى المرارة، يعنى الحنظل، ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾، يعنى انتزعت، ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [آية: ٢٦]، يقول: ما لها من أصل، فهكذا كلمة الكافر ليس لها أصل، كما أن الحنظل أخبث الطعام، فكذلك كلمة الكفر أخبث الدعوة، وكما أن الحنظل ليس فيه ثمر، وليس لها بركة ولا منفعة، فكذلك الكافر لا خير فيه، ولا فرع له فى السماء يصعد فيه عمله، ولا أصل له فى الأرض، بمنزلة الحنظلة، يذهب بها

الريح، وكذلك الكافر، فذلك قوله سبحانه: ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، هاجت يمينًا وشمالاً، مرة هاهنا ومرة هاهنا.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾

ثم ذكر المؤمنين بالتوحيد فى حياتهم وبعد موتهم، فقال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾، وهو التوحيد، ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، ثم قال: ﴿وَ﴾ يثبتهم ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، يعنى فى قبره فى أمر منكر ونكير بالتوحيد، وذلك أن المؤمن يدخل عليه ملكان أحدهما منكر والآخر نكير، فيجلسانه فى القبر، فيسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن رسولك؟ فيقول: ربى الله عز وجل، ودينى الإسلام، ومحمد ﷺ رسولى، فيقولان له: وقيت وهديت، ثم يقولان: اللهم إن عبدك أرضاك فأرضه، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، أى يثبت الله قول الذين آمنوا.

ثم ذكر الكافر فى قبره حين يدخل عليه منكر ونكير، يطآن فى أشعارهما، ويحفران الأرض بأنيابهما، وينالان الأرض بأيديهما، أعينهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، ومعهما مرزبة من حديد، لو اجتمع عليها أهل منى أن يقلوها ما أقلوها، فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدرى، فيقولان له: لا دريت ولا تليت، ثم يقولان: اللهم إن عبدك قد أسخطك فاسخط عليه.

فيضربانه بتلك المرزبة ضربة ينهشم كل عضو فى جسده، ويلتهب قبره نارًا، ويصيح صيحة يسمعها كل شىء غير الثقلين، فيلعنونه، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، حتى إن شاة القصاب والشفرة على حلقها لا يهمها ما بها، فتقول: لعن الله هذا، كان يحبس عنا الرزق بسببه، هذا لمن يضله الله عز وجل عن التوحيد، فذلك قوله: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يعنى المشركين، حيث لا يوفق لهم ذلك حين يسأل فى قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [آية: ٢٧] فيهما، فمشيئته أن يثيب المؤمنين ويضل الكافرين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾، هذه مدنية إلى آخر الآيتين، وبقية

السورة مكية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾، وهم بنو أمية، وبنو المغيرة المخزومى، وكانت النعمة أن الله أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، يعنى القتل والسبى، ثم بعث فيهم رسولاً يدعوهم إلى معرفة رب هذه النعمة عز وجل، فكفروا بهذه النعمة وبدلوها، ثم قال الله عز وجل: ﴿وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [آية: ٢٨]، يعنى دار الهلاك بلغة عمان، فأهلكوا قومهم ببدر.

ثم يصيرون بعد القتل إلى جهنم يوم القيامة، فذلك قوله عز وجل: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [آية: ٢٩]، يعنى وبئس المستقر.

ثم ذكر كفار قريش، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ﴾، يعنى ووصفوا ﴿لِلَّهِ أَندَادًا﴾، يعنى شركاء، ﴿لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، يعنى ليستنزلوا عن دينه الإسلام، ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ﴾ فى داركم قليلا، ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٣٠].

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الأموال، ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾، يعنى لا فداء، ﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [آية: ٣١]، يعنى ولا خلة؛ لأن الرجل إذا نزل به ما يكره فى الدنيا قبل موته، قبل منه الفداء، أو يشفع له خليله، والخليل المحب، وليس فى الآخرة من ذلك شىء، وإنما هى أعمالهم يثابون عليها.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، يعنى المطر، ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾، يعنى بالمطر، ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾، يعنى السفن، ﴿لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ [آية: ٣٢].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ إلى يوم القيامة، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [آية: ٣٣]، فى هذه منفعة لبنى آدم.

﴿وَءَاتَىٰكُم﴾، يقول: وأعطاكم ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾، يعنى ما لم تسألوه ولا طلبتموه، ولكن أعطيتكم من رحمتى، يعنى ما ذكر مما سخر للناس فى هؤلاء الآيات، فهذا كله من النعم، ثم قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ﴾ لنفسه فى خطيئته، ﴿كَفَّارٌ﴾ [آية: ٣٤]، يعنى كافر فى نعمته التى ذكر، فلم يعبده.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: سمعت أبا صالح فى قوله عز وجل: ﴿**مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ**﴾، قال: أعطاكم ما لم تسألوه، ومن قراءة: كل ما سألتموه، بدون من يقول: استجاب لكم، فأعطاكم ما سألتموه، والله أعلم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾، يعنى مكة، فكان أمنًا لهم فى الجاهلية، ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ﴾، يعنى وولدى، ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [آية: ٣٥]، وقد علم أن ذريته مختلفون فى التوحيد.

قال: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ﴾، يعنى الأصنام، ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، يعنى أضللن بعبادتهن كثيرًا من الناس، ﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ على دينى، ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ على ملتى، ﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾، فكفر، ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٣٦]، أن تتوب عليه، فتهديه إلى التوحيد، نظيرها فى الأحزاب: ﴿**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٢٤].

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾، يعنى إسماعيل ابنى خاصة، ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾، يعنى لا حرث فيها، ولا ماء، يعنى مكة، ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾، حرمه لئلا يستحل فيه

ما لا يحل، فيها تقديم، ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يعنى اجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام، لكى يصلوا لك عند بيتك المحرم، ويعبدونك، ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾، يقول: اجعل قومًا من الناس تهوى إليهم، يعنى إلى إسماعيل وذريته، ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [آية: ٣٧]، ولو قال: اجعل أفئدة الناس تهوى إليهم، لازدحم عليهم الحرز والديلم، ولكنه قال: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي﴾، يعنى ما نسر من أمر إسماعيل فى نفسى من الجزع عليه أنه فى غير معيشة، ولا ماء فى أرض غربة، ثم قال: ﴿وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾، يعنى من قوله: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾، يعنى مكة، فهذى الذى أعلن، ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آية: ٣٨].

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ﴾ بالأرض المقدسة بعدما هاجر إليها، ﴿إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾، ووهب لى إسماعيل من هاجر جاريته وإبراهيم يومئذ ابن ستين سنة، ووهب له إسحاق، وهو ابن سبعين سنة، فالأنبياء كلهم من إسحاق غير نبينا محمد ﷺ، فإنه من ذرية إسماعيل، ثم قال إبراهيم: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آية: ٣٩].

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾، فاجعلهم أيضًا مقيمين الصلاة، ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾ [آية: ٤٠]، يقول: ربنا واستجب دعائى فى إقامة الصلاة لنفسه ولذريته.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾[1]، يعنى أبويه، ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [آية: ٤١].

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ﴾ يا محمد، ﴿غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾، يعنى مشركى مكة، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ﴾ عن العذاب فى الدنيا، ﴿لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [آية: ٤٢]، يعنى فاتحة شاخصة أعينهم، وذلك أنهم إذا عاينوا النار، فيها تقديم، فى الآخرة،

---

(١) انظر: (تفسير الماوردى ٢/٣٥١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٦٩، تفسير القرطبى ٩/٣٧٥).

شخصت أبصارهم فى يطرفون، فيها تقديم. وذلك قوله سبحانه: ﴿**لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ**﴾، يعنى لا يطرفون.

ثم قال: ﴿مُهْطِعِينَ﴾، يعنى مقبلين إلى النار، ينظرون إليها، ينظرون فى غير طرف، ﴿مُقْنِعِي﴾، يعنى رافعى ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إليها، ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ (١) [آية: ٤٣].

وذلك أن الكفار إذا عاينوا النار شهقوا شهقة زالت منها قلوبهم عن أماكنها، فتنشب فى حلوقهم، فصارت قلوبهم: ﴿هَوَآءٌ﴾ بين الصدور والحناجر، فلا تخرج من أفواههم، ولا ترجع إلى أماكنها، فذلك قوله سبحانه فى حم المؤمن: ﴿**إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ**﴾ [غافر: ١٨]، يعنى مكروبين، فلما بلغت القلوب الحناجر، ونشبت فى حلوقهم، انقطعت أصواتهم وغصت ألسنتهم.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَأَنذِرِ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ٱلنَّاسَ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ فى الآخرة، ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾، يعنى مشركى مكة، فيسألون الرجعة إلى الدنيا، فيقولون فى الآخرة: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾؛ لأن الخروج من الدنيا إلى قريب، ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ إلى التوحيد، ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾، يعنى النبى ﷺ، فقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم﴾، يعنى حلفتم، ﴿مِّن قَبْلُ﴾ فى الدنيا إذا متم، ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [آية: ٤٤] إلى البعث بعد الموت، وذلك قوله سبحانه فى النحل: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ**﴾ [النحل: ٣٨].

﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾، يعنى ضروا بأنفسهم، يعنى الأمم

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٢٣، تفسير الطبرى ١٣/١٥٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٧١، تفسير القرطبى ٩/٣٧٧).

الخالية، الذين عذبوا فى الدنيا، يعنى قوم هود وغيرهم، ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾، يقول: كيف عذبناهم، ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [آية: ٤٥]، يعنى ووصفنا لكم الأشياء، يقول: وبينا لكم العذاب لتوحدوا ربكم عز وجل، يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية؛ لئلا يكذبوا بمحمد ﷺ.

ثم أخبر عن فعل نمروذ بن كنعان الجبار، فقال: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ﴾، يقول: فعلهم، يعنى التابوت فيها الرجلان اللذان كانا فى التابوت، والنسور الأربعة، ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾، يقول: عند الله مكرهم، يعنى فعلهم، ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [آية: ٤٦]، نظيرها فى بنى إسرائيل: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، يعنى وقد كادوا، وقد كان نمروذ بن كنعان الذى حاج إبراهيم فى ربه، وهو أول من ملك الأرض كلها، وذلك أنه بنى صرحًا ببابل زعم ليتناول إله السماء، فخر عليهم السقف، وهو البناء من فوقهم.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن ابن إسحاق، عن عبد الرحمن بن دانيال، عن على بن أبى طالب، رضى الله عنه، فى قوله سبحانه: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾، قال: أمر نمروذ بن كنعان عدو الله، فنحت التابوت، وجعل له بابًا من أعلاه، وبابًا من أسفله، ثم صعد إلى أربع نسور، ثم أوثق كل نسر بقائمة التابوت، ثم جعل فى أعلى التابوت لحمًا شديد الحمرة، فى أربعة نواحى التابوت حيال النسور، ثم جعل رجلين فى التابوت، فنهضت النسور تريد اللحم، فارتفع التابوت إلى السماء، فلما ارتفع ما شاء الله، قال أحد الرجلين لصاحبه: فاتح باب التابوت الأصفل فانظر كيف ترى الأرض؟ ففتح فنظر، قال: أراها كالعروة البيضاء.

ثم قال له: افتح الباب الأعلى، فانظر إلى السماء، هل ازددنا منها قربًا؟ قال: ففتح الباب الأعلى، فإذا هى كهيئتها، وارتفعت النسور تريد اللحم، فلما ارتفعا جدًا، لم تدعهما الريح أن يصعدا، فقال أحدهما لصاحبه: افتح الباب الأسفل فانظر كيف ترى الأرض؟ قال: ففتح، قال: إنها سوداء نظلمة، ولا أرى منها شيئًا، قال: اردد الباب الأسفل، وافتح الباب الأعلى، فانظر إلى السماء، هل ازددنا منها قربًا؟ ففتح الباب الأعلى، فقال: أراها كهيئتها.

قال لصاحبه: نكس التابوت، فنكسه، فتصوب اللحم، وصارت النسور فوق التابوت

واللحم أسفل، ثم هوت النسور منصبة تريد اللحم، فسمعت الجبال حفيف التابوت وحفيف أجنحة النسور، ففزعت وظنت أنه أمر نزل من السماء، فكادت أن تزول من أماكنها من مخافة الله عز وجل، فذلك قوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾.

ثم خوف كفار مكة، فقال سبحانه: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ﴾ يا محمد، ﴿مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ﴾ فى نزول العذاب بكفار مكة فى الدنيا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾، يعنى منيع فى مكة، ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آية: ٤٧] من أهل معصيته.

﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ (٥٠)﴾

﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ﴾، يقول: تبدل صورة الأرض التى عليها بنو آدم بيضاء نقية، لم يسفك عليها دم، ولم يعمل عليها معصية، وهى أرض الصراط، وعمق الصراط خمسمائة عام، ﴿وَ﴾ تبدل ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ﴾ [1]، فلا تكون شيئًا، ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ﴾، يقول: وخرجوا من قبورهم، ولا يستترون من الله بشىء، فى أرض مستوية مثل الأدم، ممدودة، ليس عليها جبل، ولا بناء، ولا نبت، ولا شىء، ﴿ٱلۡوَٰحِدِ﴾ لا شريك له، ﴿ٱلۡقَهَّارِ﴾ [آية: ٤٨]، يعنى القاهر لخلقه.

﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾ [آية: ٤٩]، يعنى موثقين فى السلاسل والأغلال، صفدت أيديهم إلى أعناقهم فى الحديد.

﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ﴾، يعنى قمصهم من نحاس ذائب، ﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [آية: ٥٠]؛ لأنهم يتقون النار بوجوههم.

﴿لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ (٥١) هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٥٢)﴾

﴿لِيَجۡزِيَ﴾، أى ليجزئهم ﴿ٱللَّهُ﴾، فيها تقديم، يقول: وبرزوا من قبورهم، لكى

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/١٦٣، تفسير الماوردى ٢/٣٥٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٧٥، تفسير القرطبى ٩/٣٨٣، تفسير ابن كثير ٢/٥٤٣، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/٩٠).

يجزى الله ﴿كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾، يقول: كل نفس، بر وفاجر ما كسبت، يعنى ما عملت من خير أو شر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آية: ٥١]، يقول: كأنه قد جاء الحساب يخوفهم، فإذا أخذ الله عز وجل فى حسابهم، فرغ من حساب الخلائق على مقدار نصف يوم من أيام الدنيا.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾، يعنى لينذروا بما فى القرآن، ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريك له، ﴿وَلِيَذَّكَّرَ﴾ فيما يسمع من مواعظ القرآن، ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى أهل اللب والعقل.

* * *

سورة الحجر

مكية كلها، وهى تسع وتسعون آية باتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٣﴾

﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ١]، يعنى بين ما فيه.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة فى الآخرة، ﴿لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [آية: ٢]، يعنى مخلصين فى الدنيا بالتوحيد.

وذلك قوله سبحانه: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ﴾، يقول: خل يا محمد ﷺ عن كفار مكة إذا كذبوك يأكلوا، ﴿وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ فى دنياهم، ﴿وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ﴾، يعنى طول الأمل عن الآخرة، ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٣]، هذا وعيد.

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ٥ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ٨ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾

ثم خوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية، فقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ﴾، يقول: وما عذبنا من قرية، ﴿إِلَّا وَلَهَا﴾ بهلاكها ﴿كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ﴾ [آية: ٤]، يعنى موقوت فى اللوح المحفوظ إلى أجل، وكذلك كفار مكة عذابهم إلى أجل معلوم، يعنى القتل ببدر.

﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ﴾ عذبت ﴿أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ [آية: ٥]، يقول: ما يتقدمون من أجلهم، ولا يتأخرون عنه.

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ﴾، يعنى القرآن، ﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ [آية: ٦]،

يعنى النبى ﷺ، نزلت فى عبد الله بن أمية بن المغيرة المخزومى، والنضر بن الحارث، هو ابن علقمة، من بنى عبد الدار بن قصى، ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، كلهم من قريش، والوليد بن المغيرة، قالوا للنبى ﷺ: إنك لمجنون.

وقالوا له: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾، يعنى أفلا تجيئنا ﴿بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾، فتخبرنا بأنك نبى مرسل، ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [آية: ٧] بأنك نبى مرسل، ولو نزلت الملائكة لنزلت إليهم بالعذاب.

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [آية: ٨]، يقول: لو نزلت الملائكة بالعذاب، إذًا لم يناظروا حتى يعذبوا، يعنى كفار مكة.

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾، يعنى القرآن على محمد ﷺ، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [آية: ٩]؛ لأن الشياطين لا يصلون إليه؛ لقولهم للنبى ﷺ: إنك لمجنون يعلمك الرى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﷺ الرسل، ﴿فِى شِيَعِ﴾، يعنى فى فرق، ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٠]، يعنى الأمم الخالية.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾، ينذرهم بالعذاب فى الدنيا، ﴿إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ١١] بأن العذاب ليس بنازل بهم.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾، يعنى هكذا نجعله، يعنى الكفر بالعذاب، ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ١٢]، يعنى كفار مكة.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، يعنى بالعذاب، ثم قال سبحانه: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٣] بالتكذيب لرسلهم بالعذاب، يعنى الأمم الخالية الذين أهلكوا بالعذاب فى الدنيا.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾، يعنى على كفار مكة، ﴿بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، فينظرون إلى الملائكة عيانًا كيف يصعدون إلى السماء، ﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [آية: ١٤]، يقول:

فمالوا فى الباب يصعدون.

ولو عاينوا ذلك، ﴿لَقَالُوٓاْ﴾ من كفرهم: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾ مخففة، يعنى سدت، ولقالوا: ﴿بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾ (١) [آية: ١٥].

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى الهذيل، قال: حدثنا مقاتل، عن عبد الكريم، عن حسان، عن جابر، عن النبى ﷺ، أنه سُئل عن: ﴿**السَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ**﴾ [البروج: ١]، فقال: «الكواكب»، وسُئل عن: ﴿**الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاء بُرُوجًا**﴾ [الفرقان: ٦١]، قال: «الكواكب»، مثل البروج مشيدة، قال: «القصور».

﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ١٧ إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ١٨ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ١٩ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ٢٠ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾

﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾، قال: الكواكب، ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾، يعنى السماء بالكواكب، ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [آية: ١٦] إليها، يعنى أهل الأرض.

﴿وَحَفِظۡنَٰهَا﴾، يعنى السماء بالكواكب، ﴿مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ﴾ [آية: ١٧]، يعنى ملعون؛ لئلا يستمعوا إلى كلام الملائكة.

ثم استثنى من الشياطين، فقال سبحانه: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ﴾، يعنى من اختطف السمع من كلام الملائكة، ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ١٨]، يعنى الكوكب المضىء، وهو الثاقب، ونظيرها فى الصافات: ﴿**فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ**﴾ [الصافات: ١٠]، ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾، يعنى بسطناها، يعنى مسيرة خمسمائة عام طولها وعرضها وغلظها مثله، فبسطها من تحت الكعبة.

ثم قال عز وجل: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾، يعنى الجبال الراسيات فى الأرض الطوال، ﴿**أن تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ [النحل: ١٥]، يقول: لئلا تزول بكم الأرض، وتمور بمن عليها، ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ﴾ [آية: ١٩]، يقول: وأخرجنا من الأرض كل

(١) انظر: (تفسير القرطبى ١٠/٨، مختصر شواذ القراءات ٧٠، التبيان ٦/٣٢٤، الكشاف ٢/٣٨٩، البحر المحيط ٥/٤٤٨).

شيء موزون، يعنى من كل ألوان النبات معلوم.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾، يعنى فى الأرض، ﴿مَعَايِشَ﴾، مما عليها من النبات، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [آية: ٢٠]، يقول: لستم أنتم ترزقونهم، ولكن أنا أرزقهم، يعنى الدواب، والطير، معايشهم مما فى الأرض من رزق.

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾، يقول: ما من شيء من الرزق إلا عندنا مفاتيحه، وهو بأيدينا ليس بأيديكم، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ﴾، يعنى الرزق، وهو المطر وحده، ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [آية: ٢١]، يعنى موقوت.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥)﴾

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾، وذلك أن الله يرسل الريح، فتأخذ الماء بكيل معلوم من سماء الدنيا، ثم تثير الرياح والسحاب، فتلقى الريح السحاب بالماء الذى فيها من ماء النبت، ثم تسوق تلك الرياح السحاب إلى الأرض التى أمر الرعد أن يمطرها، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، يعنى المطر، ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ﴾، يعنى يا بنى آدم، ﴿لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [آية: ٢٢]، يقول: لستم أنتم بخازنيها، فتكون مفاتيحها بأيديكم ولكنها بيدى.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾، يقول الله تعالى: أنا أحى الموتى، وأميت الأحياء، ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [آية: ٢٣]، يعنى ونميت الخلق ويبقى الرب تعالى ويرثهم.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾، يعنى من بنى آدم من مات منكم، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [آية: ٢٤]، يقول: من بقى منكم فلم يمت، ونظيرها فى ق والقرآن: ﴿**قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ**﴾ [ق: ٤].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﷺ، ﴿هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾، يعنى من تقدم منهم ومن تأخر، يقول: وهو يجمعهم فى الآخرة، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ حكم البعث، ثم قال: ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٢٥] ببعثهم.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ

ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾، يعنى آدم، ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾. حدثنا عبيد الله، حدثنى أبى، حدثنى الهذيل، عن مقاتل، والضحاك، عن ابن عباس: الصلصال الطين الجيد، يعنى الحر إذا ذهب عنه الماء تشقق، فإذا حرك تقعقع، ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾، يعنى الأسود، ﴿مَّسْنُونٍ﴾ [آية: ٢٦]، يعنى المنتن، فكان التراب مبتلاً، فصار أسود منتنًا.

ثم قال: ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾، يعنى إبليس، ﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ آدم، ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [آية: ٢٧]، يعنى صافى ليس فيه دخان، وهو المارج من نار، يعنى الجان، وإنما سمى إبليس الجان؛ لأنه من حى من الملائكة، يقال لهم: الجن، والجن جماعة، والجان واحد.

﴿وَإِذْ قَالَ﴾، يعنى وقد قال: ﴿رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين فى الأرض، منهم إبليس، قال لهم: قبل أن يخلق آدم، عليه السلام: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا﴾، يعنى آدم، ﴿مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ﴾، يعنى أسود، ﴿مَّسْنُونٍ﴾ [آية: ٢٨]، يعنى منتن.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾، يعنى سويت خلقه، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ﴾، يعنى آدم، ﴿مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [آية: ٢٩]، يقول: فاسجدوا لآدم.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الذين هم فى الأرض، ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [آية: ٣٠].

ثم استثنى من الملائكة إبليس، فقال سبحانه: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [آية: ٣١] لآدم، عليه السلام.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ

جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ﴾ فى السجود، ﴿مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى الملائكة الذين سجدوا لآدم، عليه السلام.

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ﴾، يعنى آدم، ﴿خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ﴾، يعنى الطين، ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾، يعنى أسود، ﴿مَّسْنُونٍ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى منتن، فأول ما خلق من آدم، عليه السلام، عجب الذنب، ثم ركب فيه سائر خلقه، وآخر ما خلق من آدم، عليه السلام، أظفاره، وتأكل الأرض عظام الميت كلها، غير عجب الذنب، غير عظام الأنبياء، عليهم السلام، فإنها لا تأكلها الأرض، وفى العجب يركب بنو آدم يوم القيامة.

ثم ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾، يعنى من ملكوت السماء، ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [آية: ٣٤]، يعنى ملعون، وهو إبليس. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [آية: ٣٥].

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [آية: ٣٦]، يعنى يبعث الناس بعد الموت، يقول: أجلنى إلى يوم النفخة الثانية، كقوله سبحانه: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، يعنى فأجله إلى ميسرة. ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [آية: ٣٧] لا تموت.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [آية: ٣٨]، يعنى إلى أجل موقوت، وهى النفخة الأولى، وإنما أراد عدو الله الأجل إلى يوم يبعثون؛ لئلا يذوق الموت؛ لأنه قد علم أنه لا يموت بعد البعث.

﴿قَالَ﴾ إبليس: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾، يقول: أما إذا أضللتنى، ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٣٩]، يعنى ولأضلنهم عن الهدى أجمعين.

ثم استثنى عدو الله إبليس، فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [آية: ٤٠]، يعنى أهل التوحيد، وقد علم إبليس أن الله استخلص عبادًا لدينه، ليس له عليهم سلطان، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾، يعنى ما لك أن تضلهم عن الهدى، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ [الإسراء: ٦٥]، يعنى حرزًا ومانعًا لعباده.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ﴾، يقول: هذا طريق الحق الهدى إلى،

﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ (١) [آية: ٤١]، يعنى الحق، كقوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، يعنى للناس، نظيرها فى هود، قوله: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]، يعنى المستقيم الحق المبين.

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [آية: ٤٢]، يعنى من المضلين.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٤٣]، يعنى كفار الجن والإنس، وإبليس وذريته.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾، يعضها أسفل من بعض، كل باب أشد حرًا من الذى فوقه بسبعين جزءًا، بين كل بابين سبعين سنة، أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الجحيم، ثم الهاوية، ثم سقر، ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (٢) [آية: ٤٤]، يعنى عدد معلوم من كفار الجن والإنس، يعنى البا الثانى يضعف على الباب الأعلى فى شدة العذاب سبعين ضعفًا.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الشرك، ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [آية: ٤٥]، يعنى بساتين وأنهار جارية.

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾، سلم الله عز وجل لهم أمرهم، وتجاوز عنهم، نظيرها فى الواقعة، ثم قال: ﴿ءَامِنِينَ﴾ [آية: ٤٦] من الخوف.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾، يقول: أخرجنا ما فى قلوبهم من الغش الذى كان فى الدنيا بعضهم لبعض، فصاروا متحابين، ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [آية: ٤٧] فى الزيارة، يرى بعضهم بعضًا، متقابلين على الأسرة يتحدثون.

ثم أخبر عنهم سبحانه، فقال: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾، يقول: لا تصيبهم فيها مشقة فى أجسادهم، كما كان فى الدنيا، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا﴾، من الجنة، ﴿بِمُخْرَجِينَ﴾ [آية: ٤٨] أبدًا، ولا بميتين أبدًا.

---

(١) انظر: (القرطبى ٢٨/١٠، الإتحاف ٢٧٤، الطبرى ٢٣/١٤، الفراء ٨٩/٢، النشر ٣٠١/٢٢، التبيان ٣٣٧/٦، البحر المحيط ٤٥٤/٥، مجمع البيان ٢٨/١٠، الكشاف ٣٩١/٢ تحبير التيسير ١٣٠).

(٢) انظر: (النشر ٤٠٦/١، الإتحاف ٢٧٥، الكشاف ٣٩٢/٢، البحر المحيط ٤٥٥/٥، الرازى ١٩/١٩).

﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

قال الله تعالى للنبى ﷺ: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ ﴾، يقول: أخبر عبادى، ﴿ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ﴾ لذنوب المؤمنين، ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [آية: ٤٩] لمن تاب منهم.

﴿ وَ ﴾ أخبرهم، ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [آية: ٥٠]، يعنى الوجيع لمن عصانى.

﴿ وَنَبِّئْهُمْ ﴾، يعنى وأخبرهم ﴿ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [آية: ٥١]، ملكان أحدهما جبريل، والآخر ميكائيل.

﴿ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ ﴾ على إبراهيم، ﴿ فَقَالُواْ سَلَٰمًا ﴾، فسلموا عليه وسلم عليهما، ﴿ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى خائفين، وذلك أن إبراهيم، عليه السلام، قرب إليهم العجل، فلم يأكلوا منه، فخاف إبراهيم، عليه السلام، وكان فى زمان إبراهيم، عليه السلام، إذا أكل الرجل عند الرجل طعامًا، أمن من شره، فلما رأى إبراهيم، عليه السلام، أيديهم لا تصل إلى العجل، خاف شرهم.

﴿ قَالُواْ ﴾، قال له جبريل، عليه السلام: ﴿ لَا تَوْجَلْ ﴾، يقول: لا تخف، ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [1] [آية: ٥٣]، وهو إسحاق، عليه السلام.

﴿ قَالَ ﴾ لهم إبراهيم، عليه السلام: ﴿ أَبَشَّرْتُمُونِي ﴾ بالولد، ﴿ عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾، على كبر سنى، ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [آية: ٥٤]، قال ذلك إبراهيم، عليه السلام، تعجبًا لكبره وكبر امرأته.

﴿ قَالُواْ ﴾، قال جبريل، عليه السلام: ﴿ بَشَّرْنَٰكَ ﴾، يعنى نبشرك، ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾، يعنى بالصدق أن الولد لكائن، ﴿ فَلَا تَكُن ﴾ يا إبراهيم ﴿ مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴾ [2] [آية: ٥٥]،

---

(١) انظر: (الإتحاف ٢٧٥، الرازى ١٩/ ١٩٦، الكشاف ٢/ ٣٩٢، القرطبى ١٠/ ٣٥، البحر المحيط ٥/ ٤٥٨).

(٢) انظر: (مختصر الإتحاف ٢٧٥، الكشاف ٢/ ٣٩٢، القرطبى ١٠/ ٣٦، البحر المحيط ٥/ ٤٥٩،

يعنى لا تيأس.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم، عليه السلام: ﴿وَمَن يَقْنَطُ﴾[1]، يعنى ومن ييئس ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آية: ٥٦]، يعنى المشركين.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾، يعنى فما أمركم، ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [آية: ٥٧].

﴿قَالُوٓا۟﴾، أى قال جبريل، عليه السلام: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ﴾ بالعذاب ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [آية: ٥٨].

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٥٩].

ثم استثنى جبريل، عليه السلام، امرأة لوط، فقال: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [آية: ٦٠]، يعنى الباقين فى العذاب، فخرجوا من عند إبراهيم، عليه السلام، بالأرض المقدسة، فأتوا لوطًا بأرض سدوم من ساعتهم، فلم يعرفهم لوط، عليه السلام، وظن أنهم رجال.

فذلك قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [آية: ٦١]، فيها تقديم،

النحاس ١٩٨/٢، الطبرى ٢٨/١٤، لسان العرب (قنط).

(١) انظر: (القرطبى ٣٦/١٠، الكشاف ٣٩٣/٢، البحر المحيط ٤٥٩/٥، النحاس ١٩٨/٢).

يقول: جاء المرسلون إلى لوط.

﴿قَالَ﴾ لهم لوط: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [آية: ٦٢] أنكرهم، ولم يعلم أنهم ملائكة؛ لأنهم كانوا فى صورة الرجال.

﴿قَالُواْ بَلْ﴾، قال جبريل، عليه السلام: قد ﴿جِئْنَاكَ﴾ يا لوط ﴿بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [آية: ٦٣]، يعنى بما كان قومك بالعذاب يمترون، يعنى يشكون فى العذاب أنه ليس بنازل بهم فى الدنيا.

﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾، جئناك بالصدق، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [آية: ٦٤] بما تقول إنا جئناهم بالعذاب.

فقالوا للوط: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾، يعنى امرأته وابنته ريثا وزعوثا، ﴿بِقِطْعٍ﴾، يعنى ببعض، وهو السحر، ﴿مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾، يعنى سر من وراء أهلك تسوقهم، ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ البتة، يقول: ولا ينظر أحد منكم وراءه، ﴿وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [آية: ٦٥] إلى الشام.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾، يقول: وعهدنا إلى لوط، ﴿ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾، يعنى أمر العذاب، ﴿أَنَّ دَابِرَ﴾، يعنى أصل ﴿هَؤُلَاءِ﴾ القوم ﴿مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [آية: ٦٦]، يقول: إذا أصبحوا نزل بهم العذاب.

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [آية: ٦٧] بدخول الرجال منزل لوط.

ثم ﴿قَالَ﴾ لهم لوط: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ [آية: ٦٨] فيهم، ولوط، عليه السلام، يرى أنهم رجال.

﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [آية: ٦٩] فيهم.

﴿قَالُواْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ٧٠]، أن تضيف منهم أحدًا؛ لأن لوطًا كان يحذرهم لئلا يؤتون فى أدبارهم، فعرض عليهم ابنتيه من الحياء تزويجًا، واسم إحداهما ريثا، والأخرى زعوثا.

فذلك قوله: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [آية: ٧١] لابد فتزوجوهن.

يقول الله عز وجل: ﴿لَعَمْرُكَ﴾، كلمة من كلام العرب، ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

[آية: ٧٢]، يعنى لفى ضلالتنهم يترددون.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، يعنى صيحة جبريل، عليه السلام، ﴿مُشْرِقِينَ﴾ [آية: ٧٣]، يعنى حين طلعت الشمس.

﴿فَجَعَلْنَا﴾ المدائن الأربع ﴿عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ سدوم، ودامورا، وعاموا، وصابورا، وأمطرنا على من كان خارجًا من المدينة، ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [آية: ٧٤]، ولعل الرجل منهم يكون فى قرية أخرى، فيأتيه الحجر فيقتله، ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾، يعنى الحجارة خلطها الطين.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ﴾، يقول: إن هلاك قوم لوط لعبرة، ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [آية: ٧٥]، يقول: للناظرين من بعدهم، فيحذرون مثل عقوبتهم.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [آية: ٧٦]، يعنى قرى لوط التى أهلكت بطريق مستقيم، يعنى واضح مقيم يمر عليها أهل مكة وغيرهم، وهى بين مكة والشام.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً﴾، يعنى إن فى هلاك قوم لوط لعبرة، ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٧٧]، يعنى للمصدقين بتوحيد الله عز وجل لمن بعدهم، فيحذرون عقوبتهم، يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَـٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمْ ءَايَـٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَـٰلِمِينَ﴾ [آية: ٧٨]، يعنى لمشركين، فهم قوم شعيب، عليه السلام، والأيكة الغيضة من الشجر، وكان أكثر الشجر الدوم، وهو المقل.

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالعذاب، ﴿وَإِنَّهُمَا﴾، يعنى قوم لوط، وقوم شعيب، ﴿لَبِإِمَامٍ﴾، يعنى طريق، ﴿مُّبِينٍ﴾ [آية: ٧٩]، يعنى مستقيم، وكان عذاب قوم شعيب، عليه السلام، أن الله عز وجل حبس عنهم الرياح، فأصابهم حر شديد لم ينفعهم من الحر شىء وهم فى منازلهم، فلما أصابهم ذلك الحر، خرجوا من منازلهم إلى الغيضة ليستظلوا بها من الحر، فأصابهم من الحر أشد مما أصابهم فى منازلهم، ثم بعث الله عز وجل لهم

سحابة فيها عذاب، فنادى بعضهم بعضًا ليخرجوا من الغيضة، فيستظلون تحت السحابة لشدة حر الشمس يلتمسون بها الروح، فلما لجئوا إليها أهلكهم الله عز وجل فيها حرًا وغمًا تحت السحابة.

قال: حدثنا عبيد الله، سمعت أبى، قال: سمعت أبا صالح يقول: غلت أدمغتهم فى رءوسهم، كما يغلى المار فى المرجل على النار، من شدة الحر تحت السحابة، فذلك قوله سبحانه: ﴿**فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [الشعراء: ١٨٩].

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ٨٠]، يعنى قوم صالح، واسم القرية الحجر، وهو بوادى القرى، يعنى بالمرسلين صالحًا وحده، عليه السلام، يقول: كذبوا صالحًا.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾، يعنى الناقة آية لهم، فكانت ترويهم من اللبن فى يوم شربها من غير أن يكلفوا مؤنة، ﴿فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [آية: ٨١]، حين لم يتفكروا فى أمر الناقة وابنها فيعتبروا.

فأخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾[1] [آية: ٨٢]، من أن تقع عليهم الجبال إذا نحتوها وجوفوها.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، يعنى صيحة جبريل، عليه السلام، ﴿مُصْبِحِينَ﴾ [آية: ٨٣] يوم السبت، فخمدوا أجمعون.

يقول الله عز وجل: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ من العذاب الذى نزل بهم، ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [آية: ٨٤]، من الكفر والتكذيب، فعقروا الناقة يوم الأربعاء، فأهلكهم الله يوم السبت.

﴿**وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ (٨٦) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ (٨٩) كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ**

---

(١) انظر: (الإتحاف ٢٧٦، البحر المحيط ٥/٤٦٤، النحاس ٢/٢٠٢).

أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾، يقول: لم يخلقهما الله عز وجل باطلاً، خلقهما لأمر هو كائن، ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ﴾، يقول: القيامة كائنة، ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [آية: ٨٥]، يقول للنبى ﷺ: فأعرض عن كفار مكة الإعراض الحسن، فنسخ السيف الإعراض والصفح.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ (١) لخلقه فى الآخرة بعد الموت، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٨٦] ببعثهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾، يعنى ولقد أعطيناك فاتحة الكتاب، وهى سبع آيات، ﴿وَٱلْقُرْءَانَ﴾ كله مثانى، ثم قال: ﴿ٱلْعَظِيمَ﴾ [آية: ٨٧]، يعنى سائر القرآن كله.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾، يعنى أصنافًا منهم من المال، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، إن تولوا عنك، ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٨٨]، يقول: لين جناحك للمؤمنين، فلا تغلظ لهم.

﴿وَقُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ٨٩] من العذاب.

قال سبحانه: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ [آية: ٩٠]، فيها تقديم، يقول: أنزلنا المثانى والقرآن العظيم، كما أنزلنا التوراة والإنجيل على النصارى واليهود، فهم المقتسمون، فاقتسموا الكتاب، فآمنت اليهود بالتوراة، وكفروا بالإنجيل والقرآن، وآمنت النصارى بالإنجيل، وكفروا بالقرآن والتوراة، هذا الذى اقتسموا، آمنوا ببعض ما أنزل إليهم من الكتاب، وكفروا ببعض.

ثم نعت اليهود والنصارى، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [آية: ٩١]، جعلوا القرآن أعضاء، كأعضاء الجزور، فرقوا الكتاب ولم يجتمعوا على الإيمان بالكتب كلها، فأقسم الله تعالى بنفسه للنبى ﷺ.

قال سبحانه: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ يا محمد ﷺ، ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٩٢]. ﴿عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٩٣] من الكفر والتكذيب.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ (٩٥)

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٣٨٧، البحر المحيط ٥/٤٦٥، الإتحاف ٢٧٦).

ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾، وذلك أن النبى ﷺ أسر النبوة وكتمها سنتين، فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾، يقول: امض لما تؤمر من تبليغ الرسالة، فلما بلغ عن ربه عز وجل استقبله كفار مكة بالأذى والتكذيب فى وجهه، فقال تعالى: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آية: ٩٤]، يعنى عن أذى المشركين إياك، فأمره الله عز وجل بالإعراض والصبر على الأذى، ثم نسختها آية السيف.

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ [آية: ٩٥]، وذلك أن الوليد بن المغيرة المخزومى حين حضر الموسم، قال: يا معشر قريش، إن محمدًا قد علا أمره فى البلاد، وما أرى الناس براجعين حتى يلقونه، وهو رجل حلو الكلام، إذا كلم الرجل ذهب بعقله، وإنى لا آمن أن يصدقه بعضهم، فابعثوا رهطًا من ذوى الحجى والرأى، فليجلسوا على طريق مكة مسيرة ليلة أو ليلتين، فمن سأل عن محمد، فليقل بعضهم: إنه ساحر يفرق بين الاثنين، ويقول بعضهم: إنه كاهن يخبر بما يكون فى غد لئلا تروه خير من أن تروه، فبعثوا فى كل طريق بأربعة من قريش، وأقام الوليد بن المغيرة بمكة، فمن دخل مكة فى غير طريق سالك يريد النبى ﷺ تلقاهم الوليد، فيقول: هو ساحر كذا، ومن دخل من طريق لقيه الستة عشر، فقالوا: هو شاعر، وكذاب، ومجنون.

ففعلوا ذلك، وانصدع الناس عن قولهم، فشق ذلك على النبى ﷺ، وكان يرجو أن يلقاه الناس، فيعرض عليهم أمره، فمنعه هؤلاء المستهزءون من قريش، ففرحت قريش حين تفرق الناس عن قولهم، وقالوا: ما عند صاحبكم إلا غرورًا، يعنون النبى ﷺ، فقالت قريش: هذا دأبنا ودأبك، فذلك قوله سبحانه: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾ [النحل: ٢٤].

وكان منهم من يقول: بئس وافد القوم أنا إن انصرفت قبل أن ألقى صاحبى، فيدخل مكة فيلقى المؤمنين، فيقول: ما هذا الأمر؟ فيقولون: خيرًا أنزل الله عز وجل كتابًا، وبعث رسولاً، فذلك قوله سبحانه: ﴿**مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا**﴾ [النحل: ٣٠]، فنزل جبريل، عليه السلام، والنبى ﷺ عند الكعبة، فمر به الوليد بن المغيرة بن عبد الله، فقال جبريل، عليه السلام، للنبى ﷺ: كيف تجد هذا؟ فقال النبى ﷺ: «بئس عبد الله هذا»، فأهوى جبريل بيده إلى فوق كعبه، فقال: قد كفيتك.

فمر الوليد فى حائط فيه نبل لبنى المصطلق، وهى حى من خزاعة يتبختر فيهما، فتعلق السهم بردائه قبل أن يبلغ منزله، فنفض السهم وهو يمشى برجله، فأصاب السهم أكحله فقطعه، فلما بات تلك الليلة انتفضت به جراحته، ومر به العاص بن وائل، فقال جبريل: كيف تجد هذا؟ قال: «بئس عبد الله هذا»، فأهوى جبريل بيده إلى باطن قدمه، فقال: قد كفيتك، وركب العاص حمارًا من مكة يريد الطائف، فاضطجع الحمار به على شبرقة ذات شوك، فدخلت شوكة فى باطن قدمه فانتفخت، فقتله الله عز وجل تلك الليلة.

ومر به الحارث بن قيس بن عمرو بن ربيعة بن سهم، فقال جبريل، عليه السلام: كيف تجد هذا؟ فقال النبى ﷺ: «بئس عبد الله هذا»، فأهوى جبريل، عليه السلام، إلى رأسه، فانتفخ رأسه، فمات منها، ومر به الأسود بن عبد العزى بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، فقال جبريل، عليه السلام: كيف تجد هذا؟ فقال النبى ﷺ: «بئس عبد الله هذا، إلا أنه ابن خالى»، فأهوى جبريل، عليه السلام، بيده إلى بطنه، فقال: قد كفيتك، فعطش، فلم يروا من الشراب حتى مات.

ومر الأسود بن عبد المطلب بن المنذر بن عبد العزى بن قصى، فقال جبريل: كيف تجد هذا؟ قال النبى ﷺ: «بئس عبد الله هذا»، قال: قد كفيتك أمره، ثم ضرب ضربة بحبل من تراب، رمى فى وجهه فعمى، فمات منها، وأما بعكك وأحرم، فهما أخوان ابنا الحجاج بن السياق بن عبد الدار بن قصى، فأما أحدهما فأخذته الدبيلة، وأما الآخر، فذات الجنب، فماتا كلاهما، فأنزل الله عز وجل: ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾، يعنى هؤلاء السبعة من قريش.

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٩٦]، هذا وعيد لهم بعد القتل.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [آية: ٩٧]، حين قالوا: إنك ساحر، ومجنون، وكاهن، وحين قالوا: هذا دأبنا ودأبك.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، يقول: فصل بأمر ربك، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ [آية: ٩٨]، يعنى المصلين.

﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [آية: ٩٩]، فإن عند الموت يعاين الخير والشر.

* * *

سُورَةُ النَّحْلِ

مكية كلها

غير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ...﴾ [آية: ١٢٦ - ١٢٨] إلى آخر السورة.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا...﴾ [آية: ١١٠] الآية.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ...﴾ [الآية: ١٠٦] الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا...﴾ [آية: ٤١] الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً...﴾ [الآية: ١١٢] الآية.

فإن هذه الآيات مدنيات، وهي مائة وثمان وعشرون آية كوفية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، وذلك أن كفار مكة لما أخبرهم النبي ﷺ الساعة، فخوفهم بها أنها كائنة، فقالوا: متى تكون؟ تكذيبًا بها، فأنزل الله عز وجل: يا عبادي، ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، أي فلا تستعجلوا وعيدي، أنزل الله عز وجل أيضًا في قولهم: حم عسق: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨]، فلما سمع النبي ﷺ من جبريل، عليه السلام: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، وثب قائمًا، وكان جالسًا، مخافة الساعة، فقال جبريل، عليه السلام: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، فاطمأن النبي ﷺ عند ذلك، ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾، نزه الرب تعالى نفسه عن شرك أهل مكة، ثم عظم نفسه جل جلاله، فقال: ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾، يعني وارتفع، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ١].

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾، يعني جبريل، عليه السلام، ﴿بِٱلرُّوحِ﴾، يقول: بالوحي، ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾، يعني بأمره، ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ من الأنبياء، عليهم السلام، ثم أمرهم الله عز وجل أن ينذروا الناس، فقال: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [آية: ٢]، يعني فاعبدون.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ﴾، يقول: لم يخلقهما باطلاً لغير شىء، ولكن خلقهما لأمر هو كائن، ﴿تَعَٰلَىٰ﴾، يعنى ارتفع، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٣] به.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾، يعنى أبى بن خلف الجمحى، قتله النبى ﷺ يوم أُحُد، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٤]، قال للنبى ﷺ: كيف يبعث الله هذه العظام، وجعل يفتها ويذريها فى الريح، نظيرها فى آخر يس: ﴿**قَالَ مَنْ يُحْيِى الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ**﴾ [يس: ٧٨].

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾، يعنى الإبل، والبقر، والغنم، ﴿خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ (١)، يعنى ما تستدفئون به من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها أثاثًا، ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ فى ظهورها، وألبانها، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [آية: ٥]، يعنى من لحم الغنم.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾، يعنى فى الأنعام، ﴿جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾، يعنى حين تروح من مراعيها إليكم عند المساء، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [آية: ٦]، من عندكم بكرة إلى الرعى.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾، يعنى الإبل، والبقر، ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ﴾ (٢)، يعنى بجهد الأنفس، ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ﴾، يعنى لرفيق، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٧] بكم فيما جعل لكم من الأنعام من المنافع.

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةًۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ

---

(١) انظر: (الكشاف ٤٠١/٢، الرازى ٢٢٧/١٩، البحر المحيط ٤٧٥/٥، العكبرى ٤٣/٢).

(٢) وانظر: (القرطبى ٧٢/١٠، البحر المحيط ٤٧٦/٥، الفراء ٩٧/٢، النشر ٣٠٢/٢ الطبرى ٥٦/١٤، الكشاف ٤٠١/٢، الإتحاف ٢٧٧، العكبرى ٤٣/٢، التبيان ٣٦٢/٦، مجمع البيان ٣٤٩/٦).

وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾

ثم ذكرهم النعم: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [1]، يقول: لكم في ركوبها جمال وزينة، يعني الشارة الحسنة، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٨] من الخلق، كقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ [القصص: ٧٩]، يعني في شارته.

قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾، يعني بيان الهدى، ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾، يقول: ومن السبيل ما تكون جائرة على الهدى، ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٩] إلى دينه.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾، يعني المطر لكم منه شراب، ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [آية: ١٠]، يعني وفيه ترعون أنعامكم.

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ﴾ بالمطر، ﴿ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾، فيما ذكر لكم من النبات لعبرة، ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ١١]، في توحيد الله عز وجل.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾، يقول: فيما سخر لكم في هذه الآيات لعبرة، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١٢] في توحيد الله عز وجل.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾، يعني وما خلق لكم، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الدواب، والطير، والشجر، ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾، يعني فيما ذكر من الخلق في الأرض، ﴿لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [آية: ١٣]، في توحيد الله عز وجل، وما ترون من صنعه وعجائبه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤٠٢، البحر المحيط ٥/٤٧٦، النحاس ٢/٢٠٦، العكبري ٢/٤٣).

تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾، وهو السمك ما أصيد، أو ألقاه الماء وهو حى، ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾، يعنى اللؤلؤ، ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾، يعنى السفن، ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾، يعنى فى البحر مقبلة ومدبرة بريح واحد، ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾، يعنى سخر لكم الفلك لتبتغوا من فضله، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ١٤] ربكم فى نعمه عز وجل.

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾، يعنى الجبال، ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾، يعنى لئلا تزول بكم الأرض فتميل بمن عليها، ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ تجرى، ﴿وَسُبُلًا﴾، يعنى وطرقًا، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آية: ١٥]، يعنى تعرفون طرقها.

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾، يعنى الجبال، كقوله سبحانه: ﴿**كَالأَعْلَامِ**﴾ [الرحمن: ٢٤]، يعنى الجبال، ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[1] [آية: ١٦].

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال مقاتل: هى بنات نعش، والجدى، والفرقدان، والقطب، قال: بعينها لأنهن لا يزلن عن أماكنهن شتاء ولا صيفًا، يعنى بالجبال، والكواكب، وبها يعرفون الطرق فى البر والبحر، كقوله سبحانه: ﴿**لاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً**﴾ [النساء: ٩٨]، يعنى لا يعرفون.

ثم قال عز وجل: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ هذه الأشياء من أول السورة إلى هذه الآية، ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ شيئًا من الآلهة: اللات، والعزى، ومناة، وهبل، التى تعبد من دون الله عز وجل، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ١٧]، يعنى أفلا تعتبرون فى صنعه فتوحدونه عز وجل.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ فى تأخير العذاب عنهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٨] بهم حين لا يعجل عليهم بالعقوبة.

---

(١) انظر: (القرطبى ١٠/٩٢، مختصر شواذ القراءات ٧٢، الإتحاف ٢٧٧، الرازى ٢٠/١٠، البحر المحيط ٥/٤٨١، الكشاف ٢/٤٠٥، العكبرى ٢/٤٤ مجمع البيان ٦/٣٥٣).

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ فى قلوبكم، يعنى الخراصين الذى أسروا الكيد بالبعثة فى طريق مكة ممن يصد الناس عن النبى ﷺ بالموسم، ﴿وَ﴾ يعلم ﴿وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ [آية: ١٩]، يعنى يعلم ما تظهرون بألسنتكم، حين قالوا للنبى ﷺ: هذا دأبنا ودأبك.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

ثم ذكر الآلهة، فقال سبحانه لكفار مكة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾، يعنى يعبدون، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يعنى اللات، والعزى، ومناة، وهبل، ﴿لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا﴾، ذبابًا ولا غيرها، ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ [آية: ٢٠]، وهم ينحتونها بأيدهم.

ثم وصفهم، فقال تعالى: ﴿أَمۡوَٰتٌ﴾، لا تتكلم، ولا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع، ولا تضر، ﴿غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ﴾، لا روح فيها، ثم نعت كفار مكة، فقال: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [(١)] [آية: ٢١]، يعنى متى يبعثون، نظيرها فى سورة النمل: ﴿**لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾ [النمل: ٦٥]، وهم الخراصون.

ثم قال سبحانه: ﴿إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾، فلا تعبدوا غيره، ثم نعتهم تعالى، فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾، يعنى لا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ﴾ لتوحيد الله عز وجل أنه واحد، ﴿وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [آية: ٢٢] عن التوحيد.

﴿لَا جَرَمَ﴾، قسمًا، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ فى قلوبهم حين أسروا وبعثوا فى كل طريق من الطرق رهطًا؛ ليصدوا الناس عن النبى ﷺ، ﴿وَمَا يُعۡلِنُونَۚ﴾، حين أظهروا للنبى ﷺ، وقالوا: هذا دأبنا ودأبك، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ [آية: ٢٣]، يعنى المتكبرين عن التوحيد.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤٠٦، النحاس ٢/٢٠٨، القرطبى ١٠/٩٤، البحر المحيط ٥/٤٨٢).

﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ ﴿٢٥﴾

ثم وصفهم، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾، يعنى الخراصين، ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٢٤]، وذلك أن الوليد بن المغيرة المخزومى، قال لكفار قريش: إن محمدًا ﷺ حلو اللسان، إذا كلم الرجل ذهب بعقله، فابعثوا رهطًا من ذوى الرأى منكم والحجا فى طريق مكة، على مسيرة ليلة أو ليلتين، إنى لا آمن أن يصدقه بعضهم، فمن سأل عن محمد ﷺ، فليقل بعضهم: إنه ساحر، يفرق بين الاثنين، وليقل بعضهم: إنه لمجنون، يهذى فى جنونه، وليقل بعضهم: إنه شاعر، لم يضبط الروى، وليقل بعضهم: إنه كاهن، يخبر بما يكون فى غد، وإن لم تروه خيرًا من أن تروه، لم يتبعه على دينه إلا العبيد والسفهاء، يحدث عن حديث الأولين، وقد فارقه خيار قومه وشيوخهم.

فبعثوا ستة عشر رجلاً من قريش، فى أربع طرق، على كل طريق أربعة نفر، وأقام الوليد بن المغيرة بمكة على الطريق، فمن جاء يسأل عن النبى ﷺ، لقيه الوليد، فقال له مثل مقالة الآخرين، فيصدع الناس عن قولهم، وشق ذلك على النبى ﷺ، وكان يرجو أن يتلقاه الناس، فيعرض عليهم أمره، ففرحت قريش حين تفرق الناس عن قولهم، وهم يقولون: ما عند صاحبكم خير، يعنون النبى ﷺ، وما بلغنا عنه إلا الغرور، وفيهم المستهزءون من قريش، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، يعنى حديث الأولين وكذبهم.

يقول الله تعالى: قالوا ذلك ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، يعنى يحملوا خطيئتهم كاملة يوم القيامة، ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ﴾، يعنى من خطايا الذين ﴿يُضِلُّونَهُم﴾، يعنى يستنزلونهم، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعلمونه، فيها تقديم، قال عز وجل: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [آية: ٢٥]، يعنى ألا بئس ما يحملون، يعنى يعملون.

ثم قال النبى ﷺ: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ﴾، يعنى قد فعل الذين ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾، يعنى قبل كفار مكة، يعنى نمروذ بن كنعان الجبار الذى ملك الأرض، وبنى الصرح ببابل؛ ليتناول فيما زعم إله السماء، تبارك وتعالى، وهو الذى حاج إبراهيم فى ربه عز وجل، وهو أول من ملك الأرض كلها، وملك الأرض كلها ثلاثة نفر: نمروذ بن كنعان، وذو القرنين، واسمه الإسكندر قيصر، ثم تبع بن أبى ضراحيل الحميرى.

فلما بنى نمروذ الصرح طوله فى السماء فرسخين، فأتاه جبريل، عليه السلام، فى صورة شيخ كبير، فقال: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أصعد إلى السماء، فأغلب أهلها كما غلبت أهل الأرض، فقال له جبريل، عليه السلام: إن بينك وبين السماء مسيرة خمسمائة عام، والتى تليها مثل ذلك، وغلظها مثل ذلك، وهى سبع سموات، ثم كل سماء كذلك، فأبى إلا أن يبنى، فصاح جبريل، عليه السلام، صيحة فطار رأس الصرح، فوقع فى البحر، ووقع البقية عليهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾، يعنى من الأصل، ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾(1)، يعنى فوقع عليهم البناء الأعلى من فوق رءوسهم، ﴿وَأَتَـٰهُمُ﴾، يعنى وجاءهم ﴿ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية: ٢٦] من بعد ذلك، وبعدما اتخذ النسور، وهى الصيحة من جبريل، عليه السلام.

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

ثم رجع إلى الخراصين فى التقديم، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾، يعنى يعذبهم، كقوله سبحانه: ﴿**يَوْمَ لاَ يُخْزِى اللَّهُ النَّبِىَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**﴾ [التحريم: ٨]، يعنى لا يعذب الله النبى المؤمنين، ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾، يعنى تحاجون فيهم، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾، وهم الحفظة من الملائكة: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ﴾، يعنى الهوان، ﴿وَٱلسُّوٓءَ﴾، يعنى العذاب، ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آية: ٢٧].

ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾، يعنى ملك الموت وأعوانه، ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾، وهم ستة، وثلاثة يلون أرواح المؤمنين، وثلاثة يلون أرواح الكافرين، ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾، يعنى الخضوع والاستسلام، ثم قالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾، يعنى من شرك؛ لقولهم فى الأنعام: ﴿**وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام: ٢٣]، فكذبهم الله عز وجل، فردت عليهم خزنة جهنم من الملائكة، فقالوا: ﴿بَلَىٰٓ﴾ قد عملتم السوء،

(1) انظر: (القرطبى ١٠/٩٧، البحر المحيط ٥/٤٨٠، مجمع البيان ٦/٣٥٦).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٢٨]، يعنى بما كنتم مشركين.

قالت الخزنة لهم: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ من الموت، ﴿فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى﴾، يعنى مأوى، ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [آية: ٢٩] عن التوحيد، فأخبر الله عنهم فى الدنيا، وأخبر بمصيرهم فى الآخرة.

﴿۞وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿۞وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾، يعنى الذين عبدوا ربهم: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ﴾ أنزل ﴿خَيۡرٗاۗ﴾، وذلك أن الرجل كان يبعثه قومه وافدًا إلى مكة ليأتيهم بخبر محمد ﷺ، فيأتى الموسم، فيمر على هؤلاء الرهط من قريش الذين على طرق مكة، فيسألهم عن النبى ﷺ، فيصدونه عنه لئلا يلقاه، فيقول: بئس الرجل الوافد أنا لقومى أن أرجع قبل أن ألقى محمدًا ﷺ، وأنا منه على مسيرة ليلة أو ليلتين، وأسمع منه، فيسير حتى يدخل مكة، فيلقى المؤمنين، فيسألهم عن النبى ﷺ، وعن قولهم، فيقولون للوافد: أنزل الله عز وجل خيرًا، بعث رسولاً ﷺ، وأنزل كتابًا يأمر فيه بالخير، وينهى عن الشر، ففيهم نزلت: ﴿۞وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾، ثم انقطع الكلام.

يقول الله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ العمل ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا﴾ لهم ﴿حَسَنَةٞۚ﴾ فى الآخرة، يعنى الجنة، ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ﴾، يعنى الجنة أفضل من ثواب المشركين فى الدنيا الذى ذكر فى هذه الآية الأولى، يقول الله تعالى: ﴿وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٣٠] الشرك، يثنى على الجنة.

ثم بين لهم الدار، فقال سبحانه: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾، يعنى الأنهار تجرى تحت البساتين، ﴿لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ﴾، يعنى فى الجنان، ﴿كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٣١] الشرك.

ثم أخبر عنهم، فقال جل ثناؤه: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ فى الدنيا، يعنى ملك الموت وحده، ثم انقطع الكلام، ثم أخبر سبحانه عن قول خزنة الجنة من الملائكة فى الآخرة لهم، ﴿يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٣٢] فى دار الدنيا.

ثم رجع إلى كفار مكة، فقال: ﴿هَلْ﴾، يعنى ما ﴿يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ بالموت، يعنى ملك الموت وحده، عليه السلام، ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾، يعنى العذاب فى الدنيا، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا، ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ﴾، يعنى لعن الذين ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾، ونزل العذاب بهم قبل كفار مكة من الأمم الخالية، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾، فعذبهم على غير ذنب، ﴿وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آية: ٣٣].

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ﴾، يعنى عذاب ﴿مَا عَمِلُواْ﴾، يعنى فى الدنيا، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾، يعنى ودار بهم العذاب، ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ﴾ بالعذاب، ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ٣٤] بأنه غير نازل بهم فى الدنيا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ مع الله غيره، يعنى كفار مكة: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ من ألالهة، ﴿نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾، من الحرث والأنعام، ولكن الله أمرنا بتحريم ذلك، يقول الله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الخالية برسلهم، كما كذبت كفار مكة، وتحريم ما أحل الله من الحرث والأنعام، فلما كذبوا النبى ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ٣٥]، يقول: ما على الرسول إلا أن يبلغ ويبين لكم أن الله عز وجل لم يحرم الحرث والأنعام.

ثم قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، يعنى أن

وحدوا الله، ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾، يعنى عبادة الأوثان، ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾ إلى دينه، ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ﴾، يعنى وجبت، ﴿ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٣٦]، رسلهم بالعذاب الذين حقت عليهم الضلالة فى الدنيا، يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية، ليحذروا عقوبته، ولا يكذبوا محمدًا ﷺ.

وقال سبحانه: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ﴾ (١) يا محمد ﷺ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي﴾ إلى دينه، ﴿مَن يُضِلُّۖ﴾، يقول: من أضله الله فلا هادى له، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آية: ٣٧]، يعنى مانعين من العذاب.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾، يقول: جهدوا فى أيمانهم حين حلفوا بالله عز وجل، يقول الله سبحانه: إن القسم بالله لجهد أيمانهم، يعنى كفار مكة، ﴿لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾، فكذبهم الله عز وجل، فقال: ﴿بَلَىٰ﴾ يبعثهم الله عز وجل، ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾، نظيرها فى الأنبياء: ﴿**كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ**﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، يقول الله تعالى: كما بدأنهم فخلقتهم ولم يكونوا شيئًا، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾، يعنى أهل مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٣٨] أنهم مبعوثون من بعد الموت.

يبعثهم الله؛ ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾، يعنى ليحكم الله بينهم فى الآخرة، ﴿ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾، يعنى البعث، ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بالبعث ﴿أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ [آية: ٣٩] بأن الله لا يبعث الموتى.

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا﴾، يعنى أمرنا فى البعث، ﴿لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ﴾ مرة واحدة: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [آية: ٤٠]، لا يثنى قوله مرتين.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤٠٩، مختصر شواذ القراءات ٧٣، البحر المحيط ٥/٤٩٠، الجمهرة).

أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ قومهم إلى المدينة، واعتزلوا بدينهم من المشركين، ﴿فِي اللَّهِ﴾، وفروا إلى الله عز وجل، ﴿مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾، يعنى من بعد ما عذبوا على الإيمان بمكة، نزلت فى خمسة نفر: عمار بن ياسر مولى أبى حذيفة بن المغيرة المخزومى، وبلال بن أبى رباح المؤذن، وصهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان بن النمر بن قاسط، وخباب بن الأرت، وهو عبد الله بن سعد بن خزيمة بن كعب مولى لأم أنما امرأة الأخنس بن شريق.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾، يعنى لنعطينهم ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾[1]، يعنى بالحسنة الرزق الواسع، ﴿وَلَأَجْرُ﴾، يعنى جزاء ﴿الْآخِرَةِ﴾، يعنى الجنة، ﴿أَكْبَرُ﴾، يعنى أعظم مما أعطوه فى الدنيا من الرزق، ﴿لَوْ كَانُوا﴾، يعنى أن لو كانوا ﴿يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤١].

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على العذاب فى الدنيا، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [آية: ٤٢]، يعنى وبه يثقون.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾، نزلت فى أبى جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبى معيط، وذلك أنهم قالوا فى سبحان: ﴿**أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا**﴾ [الإسراء: ٩٤] بأكل ويشرب، وتلاك الملائكة، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﷺ، ﴿إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾، ثم قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾، يعنى التوراة، ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤٣] بأن الرسل كانوا من البشر، فسيخبرونكم أن الله عز وجل لم يبعث رسولاً إلا من الإنس.

يعنى ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالآيات، ﴿وَالزُّبُرِ﴾، يعنى حديث الكتب، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾، يعنى القرآن، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ من ربهم، ﴿وَلَعَلَّهُمْ﴾، يعنى

---

(١) انظر: (الكشاف ٤١٠/٢، مجمع البيان ٣٦١/٦، البحر المحيط ٤٩٢/٥).

لكى ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٤٤] فيؤمنوا.

ثم خوف كفار مكة، فقال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، يعنى الذين قالوا الشرك، ﴿أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾، يعنى جانبًا منها، ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ﴾ غير الخسف، ﴿ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ٤٥]، يعنى لا يعلمون أنه يأتيهم منه.

﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ﴾ العذاب، ﴿فِى تَقَلُّبِهِمۡ﴾ فى الليل والنهار، ﴿فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [آية: ٤٦]، يعنى سابقى الله عز وجل بأعمالهم الخبيثة، حتى يجزيهم بها.

﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾، يقول: يأخذ أهل هذه القرية بالعذاب ويترك الأخرى قريبًا منها لكى يخافوا فيعتبروا، يخوفهم بمثل ذلك، ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ﴾، يعنى يرق لهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٤٧] بهم حين لا يعجل عليهم بالعقوبة.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾﴾

ثم وعظ كفار مكة ليعتبروا فى سنعه، فقال سبحانه: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ فى الأرض، ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا﴾، وذلك أن الشجر، والبنيان، والجبال، والدواب، وكل شىء، إذا طلعت عليه الشمس يتحول ظل كل شىء عن اليمين قبل المغرب، فذلك قوله سبحانه: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾[1]، يعنى يتحول الظل، فإذا زالت الشمس، تحول الظل عن الشمال قبل المشرق، كسجود كل شىء فى الأرض لله تعالى، ظله فى النهار سجدًا، ﴿لِلَّهِ﴾، يقول: ﴿وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾ [آية: ٤٨]، يعنى صاغرون.

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة، ﴿وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ﴾ أيضًا يسجدون.

قال: قال مقاتل، رحمه الله: إذا قال: ما فى السموات، يعنى من الملائكة وغيرهم وكل شىء فى السماء، والأرض، والجبال، والأشجار، وكل شىء فى الأرض، وإذا قال:

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٤٩٦/٥)، وانظر فى قراءة «يتفيأ»: (الإتحاف ٢٧٨، النشر ٣٠٤/٢، ٣٦٣/٦، غيث النفع ٢٧٠، السبعة ٣٧٣، القرطبى ١١١/١٠، البحر المحيط ٤٩٦/٥، الكشف ٣٧/٢).

من فى السموات، يعنى كل ذى روح من الملائكة، والآدميين، والطير، والوحوش، والدواب، والسباع، والهوام، والحيتان فى الماء، وكل ذى روح أيضًا سجدون.

ثم نعت الله الملائكة، فقال: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [آية: ٤٩]، يعنى لا يتكبرون عن السجود.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾، الذى هو فوقهم؛ لأن الله تعالى فوق كل شىء، خلق العرش، والعرش فوق كل شىء، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩﴾ [آية: ٥٠].

﴿۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ﴾، وذلك أن رجلاً من المسلمين دعا الله عز وجل فى صلاته، ودعا الرحمن، فقال رجل من المشركين: أليس يزعم محمد ﷺ وأصحابه أنهم يعبدون ربًا واحدًا، فما بال هذا يدعو ربين اثنين، فأنزل الله عز وجل فى قوله: ﴿۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ﴾ ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [آية: ٥١]، يعنى إياى فخافون فى ترك التوحيد، فمن لم يوحد فله النار.

ثم عظم الرب تبارك وتعالى نفسه من أن يكون معه إله آخر، فقال عز وجل: ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الخلق عبيده وفى ملكه، ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ﴾، يعنى الإسلام دائمًا، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿تَتَّقُونَ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى تعبدون، يعنى كفار مكة.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

ثم ذكرهم النعم، فقال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ﴾، ليوحدوا رب هذه النعم، يعنى بالنعم الخير والعافية، ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾، يعنى الشدة، وهو الجوع،

والبلاء، وهو قحط المطر بمكة سبع سنين، ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾[(١)] [آية: ٥٣]، يعنى تضرعون بالدعاء، لا تدعون غيره أن يكشف عنكم ما نزل بكم من البلاء والدعاء حين قالوا فى حم الدخان: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢]، يعنى مصدقين بالتوحيد.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ﴾[(٢)]، يعنى الشدة، وهو الجوع، وأرسل السماء بالمطر مدرارًا، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٥٤]، يعنى يتركون التوحيد لله تعالى فى الرخاء، فيعبدون غيره، وقد وحدوه فى الضر.

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾، يعنى لئلا يكفروا بالذى أعطيناهم من الخير والخصب فى كشف الضر عنهم، وهو الجوع، ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ إلى آجالكم قليلاً، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[(٣)] [آية: ٥٥]، هذا وعيد، نظيرها فى الروم، وإبراهيم، والعنكبوت.

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾، يعنى ويصفون، ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ من الألهة أنها آلهة، ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ﴾ من الحرث والأنعام، ﴿تَٱللَّهِ﴾، قل لهم يا محمد: والله ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ فى الآخرة، ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٥٦] حين زعمتم أن الله أمركم بتحريم الحرث والأنعام.

ثم قال يعنيهم: ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾، يعنى ويصفون ﴿لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ﴾، حين زعموا أن الملائكة بنات الله تعالى، ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾، نزه نفسه عن قولهم، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [آية: ٥٧] من البنين.

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾، فقيل له: ولدت لك ابنة، ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾، يعنى متغيرًا، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [آية: ٥٨]، يعنى مكروبًا.

﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾، يعنى لا يريد أن يسمع تلك البشرى أحدًا، ثم أخبر عن صنيعه بولده، فقال سبحانه: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾، فأما الله فقد علم أنه صانع أحدهما لا محالة، ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ﴾، وهى حية، ﴿فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

---

(١) انظر: (غيث النفع ٢٧٠، الكشاف ٢/٤١٣، البحر المحيط ٥/٥٠٢، الإتحاف ٢٧٩)، وذلك فى حالة الوقف.

(٢) انظر: (الآلوسى ١٤/١٦٦، الكشاف ٢/٤١٣، البحر المحيط ٥/٥٠٢).

(٣) انظر: (العكبرى ٢/٤٥، البحر المحيط ٥/٥٠٢).

[آية: ٥٩]، يعنى ألا بئس ما يقضون، حين زعموا أن لى البنات وهم يكرهونها لأنفسهم.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾، يعنى لا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾، يعنى شبه السوء، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ لأنه تبارك وتعالى ربًا واحد لا شريك له ولا ولد، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه، جل جلاله؛ لقولهم: إن الله لا يقدر على البعث، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٦٠] فى أمره حكم البعث.

ثم قال عز وجل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿بِظُلْمِهِم﴾، يعنى بما عملوا من الكفر والتكذيب، لعجل لهم العقوبة، ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾، يعنى فوق الأرض من دابة، يعنى يقحط المطر، فتموت الدواب، ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، الذى وقت لهم فى اللوح المحفوظ، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾، يعنى وقت عذابهم فى الدنيا، ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [آية: ٦١]، يعنى لا يتأخرون عن أجلهم حتى يعذبوا فى الدنيا.

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾، يعنى ويصفون، ﴿لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ من البنات، يقولون: لله البنات، ﴿وَتَصِفُ﴾، يعنى وتقول ﴿أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾[1] بـ ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ البنين وله البنات، ﴿لَا جَرَمَ﴾ قسمًا حقًا، ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [آية: ٦٢]، يعنى متروكون فى النار؛ لقولهم: لله البنات.

﴿تَٱللَّهِ﴾، يعنى والله، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، فكذبوهم، ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، الكفر والتكذيب، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾، يعنى الشيطان وليهم فى

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤١٥، القرطبى ١٠/١٢١ النحاس ٢/٢١٤، البحر المحيط ٥/٥٠٦، العكبرى ٢/٤٥).

الآخرة، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٦٣]، يعنى وجيع.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ، ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾، يعنى القرآن، ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ﴾، وذلك أن أهل مكة اختلفوا فى القرآن، فآمن به بعضهم، وكفر بعضهم، ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب لمن آمن بالقرآن، فذلك قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٦٤]، يعنى يصدقون بالقرآن أنه جاء من الله عز وجل.

ثم ذكر صنعه ليعرف توحيده، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، يعنى المطر، ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ﴾ بالنبات، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً﴾، يقول: إن فى المطر والنبات لعبرة وآية، ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [آية: ٦٥] المواعظ.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ﴾، يعنى التفكر، ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ من القذر، ﴿سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾[1] [آية: ٦٦]، يسيغ من يشربه، وهو لا يسيغ الفرث والدم.

ثم قال سبحانه: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾، يعنى بالثمرات؛ لأنها جماعة ثمر، يعنى بالسكر ما حرم من الشراب مما يسكرون من ثمره، يعنى النخيل والأعناب، ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ﴾، يعنى طيبًا، نسختها الآية التى فى المائدة، كقوله عز وجل: ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، يعنى طيبة بها أنفسهم، بما لا يسكر منها من الشراب وثمرتها، فهذا الرزق الحسن، ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٦٧]، يعنى فيما ذكر من اللبن والثمار لعبرة لقوم يعقلون بتوحيد الله عز وجل.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤١٦، البحر المحيط ٥/٥١٠).

يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَیۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٍ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٧٠﴾ ﴾

ثم قال: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ إلهامًا من الله عز وجل، يقول: قذف فيها، ﴿أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾ [آية: ٦٨]، يعنى ومما يبنون من البيوت.

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي﴾، يقول: فادخلى، ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ فى الجبال وخلل الشجر، ﴿ذُلُلٗاۚ﴾؛ لأن الله تعالى ذلل لها طرقها حيثما توجهت، ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ﴾، يعنى عسلاً، ﴿مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾، أبيض، وأصفر، وأحمر، ﴿فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ﴾، يعنى العسل شفاء لبعض الأوجاع، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾، يعنى فيما ذكر من أمر النحل وما يخرج من بطونها لعبرة، ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٦٩] فى توحيد الله عز وجل.

ثم قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ﴾، ولم تكونوا شيئًا لتعتبروا فى البعث، ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ﴾، عند آجالكم، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾، يعنى الهرم، ﴿لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ﴾ بالبعث أنه كائن، ﴿قَدِيرٞ﴾ [آية: ٧٠]، يعنى قادرًا عليه.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ﴾، يعنى جعل بعضكم أحرارًا، وبعضكم عبيدًا، فوسع على بعض الناس، وقتر على بعض، ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ﴾، يعنى الرزق من الأموال، ﴿بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ﴾، يقول: برادى أموالهم، ﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾، يعنى عبيدهم، يقول: أفيشركونهم وعبيدهم فى أموالهم، ﴿فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ﴾، فيكونون فيه سواء، بأنهم قوم لا يعقلون شيئًا، ﴿أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [آية: ٧١]، يعنى ينكرون بأن الله يكون واحدًا لا شريك له، وهو رب هذه النعم، يقول: كيف أشرك الملائكة وغيرهم فى ملكى وأنتم لا ترضون الشركة من عبيدكم فى أموال، فكما لا تدخهلون عبيدكم فى أموالكم، فكذلك لا أدخل معى شريكًا فى ملكى، وهم عبادى، وذلك حين قال كفار مكة فى إحرامهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه، وما ملك، نظيرها فى الروم: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِنْ أنفُسِكُمْ...﴾ [الروم: ٢٨] إلى آخر الآية.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضۡرِبُواْ

لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾، يقول: بعضكم من بعض، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾، يعنى بالبنين الصغار، والحفدة الكفار يحفدون أباهم بالخدمة، وذلك أنهم كانوا فى الجاهلية يخدمهم أولادهم، قال عز وجل: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، يني الحب والعسل ونحوه، وجعل رزق غيركم من الدواب والطير لا يشبه أرزاقكم فى الطيب والحسن، ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾، يعنى أفبالشيطان يصدقون بأن مع الله عز وجل شريكًا، ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ الذى أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، ﴿هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [آية: ٧٢] بتوحيد الله، أفلا يؤمنون برب هذه النعم فيوحدونه.

ثم رجع إلى كفار مكة، ثم ذكر عبادتهم الملائكة، فقال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ﴾، يعنى ما لا يقدر، ﴿لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، يعنى المطر، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾، يعنى النبات، ﴿شَيْـًٔا﴾ منه، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [آية: ٧٣] ذلك.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾، يعنى الأشباه، فلا تصفوا مع الله شريكًا، فإنه لا إله غيره، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أن ليس له شريك، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٧٤] أن لله شريكًا.

﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

ثم ضرب للكفار مثلاً ليعتبروا، فقال: ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾، من الخير والمنفعة فى طاعة الله عز وجل، نزلت فى أبى الحواجر مولى هشام بن عمرو بن الحارث بن ربيعة القرشى، من بنى عامر بن لؤى، يقول: فكذلك الكافر لا يقدر أن ينفق خيرًا لمعاده، ثم قال عز وجل: ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾، يعنى واسعًا، وهو المؤمن هشام، ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ﴾، فيما ينفعه فى آخرته، ﴿سِرًّا وَجَهْرًا﴾، يعنى علانية، ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ الكافر الذى لا ينفق خيرًا لمعاده، والمؤمن الذى ينفق فى خير لمعاده، ثم جمعهم، فقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٧٥] بتوحيد الله عز وجل.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ

﴿صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ﴾، يعنى وصف الله مثلاً آخر لنفسه عز وجل، والصنم ليعتبروا، فقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ﴾ ﴿مَثَلٗا﴾، يعنى شبهًا، ﴿رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ﴾، يعنى الأخرس الذى لا يتكلم، وهو الصنم، ﴿لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾، من المنفعة والخير، ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ﴾، يعنى الصنم عيال على مولاه الذى يعبده، ينفق عليه ويكنه من الحر والشمس ويكنفه، ﴿أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ﴾[1]، يقول: أينما يدعوه من شرق أو غرب، من ليل أو نهار، ﴿لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ﴾، يقول: لا يجيئه بخير، ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ﴾، يعنى هذا الصنم، ﴿وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾، يعنى الرب نفسه عز وجل يأمر بالتوحيد، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آية: ٧٦]، يعن الرب نفسه عز وجل يقول: أنا على الحق المستقيم، ويقال: أحد الرجلين عثمان بن عفان، رضوان الله عليه، والآخر أبو العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن زهرة.

﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾، وذلك أن كفار مكة سألوا النبى ﷺ: متى الساعة؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾، وغيب الساعة، ليس ذلك إلى أحد من العباد، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ﴾، يعنى أمر تأتى، يعنى البعث، ﴿إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾، يعنى كرجوع الطرف، ﴿أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾، يقول: بل هو أسرع من لمح البصر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من البعث وغيره، ﴿قَدِيرٞ﴾ [آية: ٧٧].

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾، فعلمكم بعد ذلك الجهل، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾، يعنى القلوب، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [آية: ٧٨] رب هذه النهم تعالى ذكره فى حسن خلقكم فتوحدونه.

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

---

(١) انظر: (مجمع البيان ٦/٣٧٤، القرطبى ١٠/١٥٠، العكبرى ٢/٤٦، البحر المحيط ٥/٥٢٠، الكشاف ٢/٤٢١).

لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾

ثم وعظ كفار مكة ليعتبروا، فقال عز وجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا ﴾، يعنى ألا ينظروا ﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ ﴾، يعنى فى كبد السماء، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ ﴾ عند بسط الأجنحة وعند قبضها أحد ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ تبارك وتعالى، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ ﴾، يعنى إن فى هذه لعبرة، ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [آية: ٧٩]، يعنى يصدقون بتوحيد الله عز وجل.

ثم ذكرهم النعم، فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ تسكنون فيه، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا ﴾، يعنى مما على جلودها من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، تتخذون منها بيوتًا، يعنى الأبنية، والخيم، والفساطيط، وغيرها، ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا ﴾ فى الحمل، ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ﴾، يعنى حين رحلتكم وأسفاركم، وتستخفونها ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ﴾ حين تقيمون فى الأسفار وتستخفونها، يعنى الأبيات التى تتخذونها، ولا يشق عليكم ضرب الأبنية، ثم قال سبحانه: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا ﴾، يعنى الضأن، ﴿وَأَوْبَارِهَا ﴾، يعنى الإبل، ﴿وَأَشْعَارِهَآ ﴾، يعنى المعز، ﴿أَثَٰثًا ﴾، يعنى الثياب التى تتخذ منها، ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [آية: ٨٠]، يعنى بلاغًا إلى أن تبلى.

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا ﴾، يعنى البيوت والأبنية، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا ﴾؛ لتسكنوا فيها، يعنى البيوت والأبنية، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ﴾، يعن القمص تقيكم ﴿ٱلْحَرَّ ﴾، يعنى من الكتان، والقطن، والصوف، ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾، من القتل والجراحات، يعنى درع الحديد

بإذن الله عز وجل، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا، ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [آية: ٨١]، يعنى لكى تسلموا، نظيرها فى سبأ، والأنبياء: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ**﴾ [الأنبياء: ٨٠]، يعنى فهل أنتم مخلصون لكى تخلصوا إليه بالتوحيد.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾، يقول: فإن أعرضوا عن التوحيد، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ٨٢]، يقول: عليك يا محمد ﷺ أن تبلغ وتبين لهم أن الله عز وجل واحد لا شريك له.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ التى ذكرهم فى هؤلاء الآيات من قوله عز وجل: ﴿**جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا...**﴾ إلى أن قال: ﴿**...لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ**﴾، فتعرفون هذه النعم أنها كلها من الله عز وجل، وذلك أن كفار مكة كانوا إذا سئلوا: من أعطاكم هذا الخير؟ قالوا: الله أعطانا، فإن دعوا إلى التوحيد للذى أعطاهم، قالوا: إنما ورثناه عن آبائنا، فذلك قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٨٣] بتوحيد رب هذه النعم تعالى ذكره.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

ثم قال جل اسمه: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾، يعنى نبيها شاهدًا على أمته بالرسالة أنه بلغهم، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فى الاعتذار، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [آية: ٨٤]، نظيرها: ﴿**يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ**﴾ [غافر: ٥٢].

﴿وَإِذَا رَءَا﴾، يعنى وإذا عاين، ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾، يعنى كفروا، ﴿ٱلْعَذَابَ﴾، يعنى النار، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾، يعنى العذاب، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آية: ٨٥]، يعنى ولا يناظر بهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿**يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ**﴾ [غافر: ٥٢].

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ﴾ من الأصنام: اللات، والعزى، ومناة، ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ﴾، يعنى نعبد من دونك، ﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾، فردت شركاؤهم عليهم القول، ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾

[آية: ٨٦] ما كنا لكم آلهة.

﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾، يعنى كفار مكة استسلموا له وخضعوا له، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ فى الآخرة، ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٨٧]، يعنى يشركون من الكذب فى الدنيا بأن مع الله شريكًا.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله، ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى منعوا الناس من دين الله الإسلام، وهم القادة فى الكفر، يعنى كفار مكة، ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [آية: ٨٨]، يعنى يعملون فى الأرض بالمعاصى، وذلك أنه يجرى من تحت العرش على رءوس أهل النار خمسة أنهار من نحاس ذائب، ولهب من نار، نهران يجريان على مقدار نهار الدنيا، وثلاثة أنهار على مقدار ليل الدنيا، فتلك الزيادة، فذلك قوله سبحانه: ﴿**يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ**﴾ [الرحمن: ٣٥].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾، يعنى نبيهم، وهو شاهد على أمته أنه بلغهم الرسالة، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، يعنى أمة محمد ﷺ أنه بلغهم الرسالة، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، من أمره، ونهيه، ووعده، ووعيده، وخبر الأمم الخالية، وهذا القرآن، ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب لمن عمل به، ﴿وَبُشْرَىٰ﴾، يعنى ما فيه من الثواب، ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ٨٩]، يعنى المخلصين.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ

أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ بالتوحيد، ﴿وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾، يعنى العفو عن الناس، ﴿وَإِيتَآيِٕ﴾، يعنى وإعطاء، ﴿ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ المال، يعنى صلة قرابة الرجل، كقوله: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ [الإسراء: ٢٦]، يعنى صلته، ثم قال سبحانه: ﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾، يعنى المعاصى، ﴿وَٱلۡمُنكَرِ﴾، يعنى الشرك وما لا يعرف من القول، ﴿وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾، يعنى ظلم الناس، ﴿يَعِظُكُمۡ﴾، يعنى يؤدبكم، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٩٠]، يعنى لكى تذكروا فتتأدبوا.

لما نزلت هذه الآية بمكة، قال أبو طالب بن عبد المطلب: يا آل غالب، اتبعوا محمدًا ﷺ تفلحوا وترشدوا، والله إن ابن أخى ليأمر بمكارم الأخلاق، وبالأمر الحسن، ولا يأمر إلا بحسن الأخلاق، والله لئن كان محمد ﷺ صادقًا أو كاذبًا، ما يدعوكم إلا إلى الخير، فبلغ ذلك الوليد بن المغيرة، فقال: إن كان محمد ﷺ قاله، فنعم ما قال، وإن إلهه قاله، فنعم ما قال، فأتنا بلسانه، ولم يصدق محمدًا ﷺ بما جاء به ولم يتبعه، فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِى تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلاً﴾ بلسانه ﴿وَأَكْدَى﴾ [النجم: ٣٣، ٣٤]، يعنى وقطع ذلك.

ثم قال عز وجل: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾، يقول: لا تنقضوا الأيمان بعد تشديدها وتغليظها، ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾، يعنى شهيدًا فى وفاء العهد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [آية: ٩١] فى الوفاء والنقض.

ثم ضرب مثلاً لمن ينقض العهد، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا﴾، يعنى امرأة من قريش حمقاء مصاحبة أسلمت بمكة تسمى ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وسميت جعرانة لحماقتها، وكانت إذا غزلت الشعر أو الكتان نقضته، قال الله عز وجل: لا تنقضوا العهود بعد توكيدها، كما نقضت المرأة الحمقاء غزلها، ﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾، من بعد ما أبرمته، ﴿أَنكَٰثٗا﴾، يعنى نقضًا، فلا هى تركت الغزل فينتفع به، ولا هى كفت عن العمل، فذلك الذى يعطى العهد، ثم ينقضه، لا هو حين أعطى العهد وفى به، ولا هو ترك العهد فلم يعطه، ﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾، يعنى

من بعد جده، ولم يأثم بربه.

ثم قال سبحانه: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ﴾، يعنى العهد، ﴿دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾، يعنى مكرًا وخديعة يستحل به نقض العهد، ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾، يعنى إنما يبتليكم الله بالكثرة، ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾، يعنى من لا يفى بالعهد، يعنى وليحكمن بينكم، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ﴾ من الدين، ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ٩٢].

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، يعنى على ملة الإسلام، ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ﴾ عن الإسلام، ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى﴾ إلى الإسلام، ﴿مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ﴾ يوم القيامة ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٩٣] فى الدنيا.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾، يعنى العهد، ﴿دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ بالمكر والخديعة، ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾، يقول: إن ناقض العهد يزل فى دينه كما تزل قدم الرجل بعد الاستقامة، ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾، يعنى العقوبة، ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى بما منعتم الناس عن دين الله الإسلام، ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٩٤] فى الآخرة.

ثم وعظهم، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، يقول: ولا تبيعوا الوفاء بالعهد فتنقضونه بعرض يسير من الدنيا، ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب لمن وفى منكم بالعهد، ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من العاجل، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٩٥].

ثم زهدهم فى الأموال، فقال سبحانه: ﴿مَا عِندَكُمْ﴾ من الأموال ﴿يَنفَدُ﴾، يعنى يفنى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ فى الآخرة من الثواب، ﴿بَاقٍ﴾، يعنى دائم لا يزول عن أهله، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾ على أمر الله عز وجل فى وفاء العهد فى الآخرة، ﴿أَجْرَهُم

بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ﴾، يعنى بأحسن الذى كانوا ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٩٦] فى الدنيا، ويعفو عن سيئاتهم، فلا يجزيهم بها أبدًا، نزلت فى امرىء القيس بن عباس الكندى، حين حكم عبدان بن أشرع الحضرمى فى أرضه وراده على حقه.

ثم قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾، يعنى مصدق بتوحيد الله عز وجل، ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾، يعنى حياة حسنة فى الدنيا، ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ﴾، يعنى جزاءهم فى الآخرة بأحسن ﴿مَا كَانُواْ﴾ بأحسن الذى كانوا ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٩٧] فى الدنيا، ولهم مساوىء لا يجزيهم بها أبدًا.

﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ فى الصلاة، ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آية: ٩٨]، يعنى إبليس الملعون.

﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾، يعنى ملك، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فى علم الله فى الشرك، فيضلهم عن الهدى، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [آية: ٩٩]، يقول: بالله يتقون.

﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ﴾، يعنى ملكه، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾، يعنى يتبعونه على أمره، فيضلهم عن دينهم الإسلام، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾، يعنى بالله، ﴿مُشۡرِكُونَ﴾ [آية: ١٠٠]، كقوله سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ**﴾ [إبراهيم: ٢٢] من ملك، يعنى إبليس على أمره.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ﴾، يعنى وإذا حولنا آية فيها شدة فنسخناها وجئنا مكانها بغيرها ألين منها، ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ من التبديل من غيره، ﴿قَالُوٓاْ﴾، قال كفار مكة للنبى ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ﴾، يعنى متقول على الله الكذب من تلقاء نفسك، قلت كذا وكذا، ثم نقضته وجئت بغيره، ﴿بَلۡ

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٠١] أن الله أنزله، فإنك لا تقول إلا ما قد قيل لك.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة: هذا القرآن، ﴿نَزَّلَهُ﴾ على ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾، يعنى جبريل، عليه السلام، ﴿مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾، لم ينزله باطلاً، ﴿لِيُثَبِّتَ﴾، يعنى ليستيقن، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعنى صدقوا بما فى القرآن من الثواب، ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَبُشْرَى﴾ لما فيه من الرحمة، ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ١٠٢]، يعنى المخلصين بالتوحيد، وأنزل الله عز وجل: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاء**﴾ من القرآن، ﴿**وَيُثْبِتُ**﴾، فينسخه ويثبت الناسخ، ﴿**وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد: ٣٩].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾، وذلك أن غلامًا لعامر بن الحضرمى القرشى يهوديًا أعجميًا، كان يتكلم بالرومية يسمى يسار، ويكنى أبا فكيهة، كان كفار مكة إذا رأوا النبى ﷺ يحدثه، قالوا: إنما يعلمه يسار أبو فكيهة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾، ثم أخبر عن كذبهم، فقال سبحانه: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ (١)، يعنى يميلون، كقوله سبحانه: ﴿**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ**﴾ [الحج: ٢٥]، يعنى يميل، ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ رومى، يعنى أبا فكيهة، ﴿وَهَذَا﴾ القرآن، ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٠٣]، يعنى بين يعقلونه، نظيرها فى حم السجدة قوله سبحانه: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**﴾ [فصلت: ٤٤]، لقالوا: محمد ﷺ عربى، والقرآن أعجمى، فذلك قوله سبحانه: ﴿**قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا**﴾ إلى آخر الآية.

فضربه سيده، فقال: إنك تعلم محمدًا ﷺ، فقال أبو فكيهة: بل هو يعلمنى، فأنزل الله عز وجل فى قولهم: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**﴾ [الشعراء: ١٩٢، ١٩٣]؛ لقولهم: إنما يعلم محمدًا ﷺ يسار أبو فكيهة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٧٤، الكشاف ٢/٤٢٩، البحر المحيط ٥/٥٣٦، مجمع البيان ٦/٣٨٥، العكبرى ٢/٤٧، النحاس ٢/٢٢٤).

﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، يعنى لا يصدقون بالقرآن أنه جاء من الله عز وجل، ويزعمون أن محمدًا ﷺ يتعلم من أبى فكيهة، ﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ لدينه، ﴿وَلَهُمْ﴾ فى الآخرة، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ١٠٤]، يعنى وجيع.

ثم رجع إلى قول المشركين حين قالوا للنبى ﷺ: إنما أنت مفتر تقول هذا القرآن من تلقاء نفسك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى﴾، يعنى يتقول ﴿ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ﴾، يعنى لا يصدقون بالقرآن أنه جاء من الله عز وجل، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ١٠٥] فى قولهم للنبى ﷺ إنه مفتر.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾، نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى، ومقيس بن ضبابة الليثى، وعبد الله بن أنس بن حنظل، من بنى تميم بن مرة، وطعمة بن أبيرق الأنصارى، من بنى ظفر بن الحارث، وقيس بن الوليد بن المغيرة المخزومى، وقيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومى، قتلا ببدر، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ على الكفر، ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ﴾، يعنى راض، ﴿بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، كقوله عز وجل: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ [الحج: ١١]، نزلت فى جبر غلام عامر بن الحضرمى، كان يهوديًا فأسلم حين سمع أمر يوسف وإخوته، فضربه سيده حتى يرجع إلى اليهودية، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ﴾ من وسع، ﴿بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ إلى أربع آيات، يعنى عبد الله بن سعد بن أبى سرح، وهؤلاء المسلمين، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١٠٦] فى الآخرة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الغذب والعذاب، ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟﴾، يعنى اختاروا، ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ الفانية ﴿عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الباقية، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ إلى دينه، ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ١٠٧].

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ﴾، يعنى ختم الله، ﴿عَلَىٰ

قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر، ﴿وَ﴾ على ﴿وَسَمْعِهِمْ وَ﴾ على ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْۖ﴾، فهم لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [آية: ١٠٨] عن الآخرة.

﴿لَا جَرَمَ﴾، قسمًا حقًا، ﴿أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ١٠٩].

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ من مكة إلى النبى ﷺ بالمدينة، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾، يعنى من بعد ما عذبوا على الإيمان بمكة، ﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ﴾ مع النبى ﷺ، ﴿وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾، يعنى من بعد الفتنة، ﴿لَغَفُورٌ﴾ لما سلف من ذنوبهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١١٠] بهم فيها، نزلت فى عياش بن أبى ربيعة المخزومى، وأبى جندل بن سهيل بن عمرو القرشى، من بنى عامر بن لؤى، وسلمة بن هشام بن المغيرة، والوليد بن المغيرة المخزومى، وعبد الله بن أسيد الثقفى.

﴿۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ (١١٣) فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤)﴾

﴿۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ﴾، يعنى تخاصم ﴿عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ﴾، يعنى وتوفر، ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، بر وفاجر، ﴿مَّا عَمِلَتْ﴾ فى الدنيا من خير أو شر، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية: ١١١] فى أعمالهم، ولا تسأل الرجعة كل نفس فى القرآن، إلا كافرة.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾، يعنى وصف الله شبهًا، ﴿قَرْيَةً﴾، يعنى مكة، ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾، أهلها من القتل والسبى، ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾، يعنى ما شاءوا، ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾، يعنى من كل النواحى، من اليمن، والشام، والحبش، ثم بعث فيهم محمد ﷺ رسولاً يدعوهم إلى معرفة رب هذه النعم وتوحيده جل ثناؤه، فإنه من لم يوحده لا يعرفه، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ حين لم يوحدوه، وقد جعل الله لهم الرزق والأمن فى الجاهلية، نظيرها فى القصص والعنكبوت قوله سبحانه: ﴿**يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ**

كُلِّ شَىْءٍ﴾ [القصص: ٥٧]، وقوله عز وجل فى العنكبوت: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ﴾ فى الإسلام ما كان دفع عنها فى الجاهلية، ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ سبع سنين، ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾، يعنى القتل، ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [آية: ١١٢]، يعنى بما كانوا يعملون من الكفر والتكذيب.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾، يعنى محمدًا ﷺ، ﴿مِّنْهُمْ﴾، يعرفونه ولا ينكرونه، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾، يعنى الجوع سبع سنين، ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آية: ١١٣].

﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ يا معشر المسلمين ما حرمت قريش، وثقيف، وخزاعة، وبنو مدلج، وعامر بن صعصعة، والحارث، وعامر بن عبد مناة، للآلهة من الحرث والأنعام، ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ فيما رزقكم من تحليل الحرث والأنعام، ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [آية: ١١٤]، ولا تحرموا ما أحل الله لكم من الحرث والأنعام.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾

ثم بين ما حرم، قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ﴾، يعنى وما ذبح ﴿لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ من الآلهة، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى شىء مما حرم الله عز وجل فى هذه الآية، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ يستحلها فى دينه، ﴿وَلَا عَادٍ﴾، يعنى ولا معتد لم يضطر إليه فأكله، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما أصاب من الحرام، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١١٥] بهم حين أحل لهم عند الاضطرار.

ثم عاب من حرم ما أحل الله عز وجل، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ﴾،

يعنى لما تقول، ﴿أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾، يعنى ما حرموا للآلهة من الحرث والأنعام، وما أحلوا منها، ﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾، يعنى يزعمون أن الله عز وجل أمرهم بتحريم الحرث والأنعام، ثم خوفهم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بأنه أمر بتحريمه، ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ (١) [آية: ١١٦] فى الآخرة، يعنى لا يفوزون.

ثم استأنف، فقال سبحانه: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾، يتمتعون فى الدنيا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ١١٧]، يقول: فى الآخرة يصيرون إلى عذاب وجيع.

ثم بين ما حرم على اليهود، فقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ فى سورة الأنعام، قبل سورة النحل، قال سبحانه: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا**﴾، يعنى المبعر، ﴿**أَوْ مَا اخْتَلَطَ**﴾ من الشحم، ﴿**بِعَظْمٍ**﴾ [الأنعام: ١٤٦]، فهو لهم حلال من قبل سورة النحل، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بتحريمنا عليهم الشحوم واللحوم وكل ذى ظفر، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آية: ١١٨] بقتلهم الأنبياء، واستحلال الربا والأموال، وبصدهم الناس عن دين الله عز وجل.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾، نزلت فى جبر غلام ابن الحضرمى، أكره على الكفر بعد إسلامه، وقلبه مطمئن بالإيمان، يقول: راض بالإيمان، فعمد النبى ﷺ فاشتراه وحل وثاقه، وتاب من الكفر وزوجه مولاة لبنى عبد الدار، فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾، فكل ذنب من المؤمن فهو جهل منه، ﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ السوء، ﴿وَأَصْلَحُوٓا۟﴾ العمل، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ﴾، يعنى من بعد الفتنة لغفور لما سلف من ذنوبهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١١٩] بهم فيما بقى.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

---

(١) انظر: (القرطبى ١٠/١٩٦، مختصر شواذ القراءات ٧٣، الإتحاف ٢٨١، الأخفش ٢/٣٨٦ الطبرى ١٤/١٢٧، البحر المحيط ٥/٥٤٥ القرطبى ١٠/١٩٦، الكشاف ٢/٤٣٣ مجمع البيان ٦/٣٨٩، العكبرى ٢/٤٨).

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾، يعنى معلمًا، يعنى إمامًا يقتدى به فى الخير، ﴿قَانِتًا﴾ مطيعًا ﴿لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾، يعنى مخلصًا، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ١٢٠] يهوديًا ولا نصرانيًا.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾، يعنى لأنعم الله عز وجل، ﴿ٱجْتَبَٰهُ﴾، يعنى استخلصه للرسالة والنبوة، ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ١٢١]، يعنى إلى دين مستقيم، وهو الإسلام.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، يقول: وأعطينا إبراهيم فى الدنيا مقالة حسنة بمضيته وصبره على رضا ربه عز وجل، حين ألقى فى النار، وكسر الأصنام، وأراد ضبح ابنه إسحاق، والثناء الحسن من أهل الأديان كلها يتولونه جميعًا، ولا يتبرأ منه أحد منهم، ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ١٢٢].

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد، ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، يعنى الإسلام حنيفًا، يعنى مخلصًا، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ١٢٣].

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾، يوم السبت، وذلك أن موسى، عليه السلام، أمر بنى إسرائيل أن يتفرغوا كل سبعة أيام للعبادة، يعنى يوم الجمعة، وأن يتركوا فيه عمل دنياهم، فقالوا لموسى، عليه السلام: نتفرغ يوم السبت، فإن الله تعالى لم يخلق يوم السبت شيئًا، فاجعل لنا السبت عيدًا نتعبد فيه، فقال موسى، عليه السلام: إنما أمرت بيوم الجمعة، فقال أحبارهم: انظروا إلى ما يأمركم به نبيكم، فانتهوا إليه وخذوا به، فأبوا إلا يوم السبت، فلما رأى موسى، عليه السلام، حرصهم على يوم السبت، واجتماعهم عليه، أمرهم به، فاستحلوا فيه المعاصى، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾، يقول: إنما أمر بالسبت على الذين كان اختلافهم فيه حين قال بعضهم: يوم السبت، وقال بعضهم: اتبعوا أمر نبيكم فى الجمعة، ثم قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ﴾، يعنى ليقضى، ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ﴾، يعنى فى يوم السبت، ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ١٢٤].

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

ثم إن الله عز وجل قال للنبى ﷺ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾، يعنى دين ربك، وهو الإسلام، ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾، يعنى بالقرآن، ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾، يعنى بما فيه من الأمر والنهى، ﴿وَجَٰدِلۡهُم﴾، يعنى أهل الكتاب، ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾، بما فى القرآن من الأمر والنهى، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ﴾، يعنى دينه الإسلام، ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [آية: ١٢٥]، يعنى بمن قدر الله له الهدى من غيره.

﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾[1]، وذلك أن كفار مكة قتلوا يوم أُحُد طائفة من المؤمنين، ومثلوا بهم، منهم حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ، بقروا بطنه، وقطعوا مذاكيره وأدخلوها فى فيه، وحنظلة بن أبى عامر غسيل الملائكة، فحلف المسلمون للنبى ﷺ: لئن دالنا الله عز وجل منهم، لنمثلن بهم أحياء، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾، يقول: مثلواهم بموتاكم، لا تمثلوا بالأحياء منهم، ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ﴾ عن المثلة، ﴿لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [آية: ١٢٦] من المثلة، نزلت فى الأنصار.

﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

ثم قال للنبى ﷺ، وكانوا مثلوا بعمه حمزة بن عبد المطلب، عليه السلام: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ على المثلة البتة، ﴿وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚوَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾، يقول: أنا ألهمك حتى تصبر، فقال النبى ﷺ للأنصار: «إنى قد أمرت بالصبر البتة، أفتصبرون؟»، قالوا: يا رسول الله، أما إذا صبرت وأمرت بالصبر، فإنا نصبر، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ إن تولوا عنك، فلم يجيبوك إلى الإيمان، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [آية: ١٢٧]، يقول: لا يضيقن صدرك مما يمكرون، يعنى مما يقولون، يعنى كفار مكة، حين قالوا للنبى ﷺ، أيام الموسم: هذا دأبنا ودأبك، وهم الخراصون، وهم المستهزءون، فضاق صدر النبى ﷺ بما قالوا.

---

(١) انظر: (الكشاف ٤٣٥/٢، البحر المحيط ٥٤٩/٥، العكبرى ٤٨/٢).

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ الشرك فى العون والنصر لهم، ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [آية: ١٢٨]، يعنى فى إيمانهم.

* * *

سورة الإسراء

سورة بنى إسرائيل، مكية كلها، إلا هذه الآيات، فإنهن مدنيات

وهى قوله تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ**...﴾ [آية: ٨٠] الآية.

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ**...﴾ إلى قوله: ﴿...**خُشُوعًا**﴾ [آية: ١٠٧ - ١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ**...﴾ [آية: ٦٠] الآية.

وقوله تعالى: ﴿**وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ**...﴾ [آية: ٧٣] الآية.

وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْلاَ أن ثَبَّتْنَاكَ**...﴾ [آية: ٧٤، ٧٥] الآيتين.

وقوله تعالى: ﴿**وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ**...﴾ [آية: ٧٦] الآية.

عددها مائة وإحدى عشرة آية كوفية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

﴿سُبْحَٰنَ﴾، يعنى عجب، ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾، فى رجب، يعنى النبى ﷺ، ﴿لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾، يعنى بيت المقدس، قبل الهجرة بسنة، وفرضت عليه الصلوات الخمس تلك الليلة، وعرضت على النبى ﷺ ثلاثة أنهار: نهر من لبن، ونهر من عسل، ونهر من خمر، فلم يشرب النبى ﷺ الخمر، فقال جبريل: أما إن الله حرمها على أمتك، ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾، يعنى بالبركة الماء، والشجر، والخير، ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾، فكان مما رأى من الآيات البراق، والرجال، والملائكة، وصلى بالنبيين تلك، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [آية: ١].

وذلك أن النبى ﷺ أصبح بمكة ليلة أسرى به من مكة، فقال لأم هانىء ابنة أبى طالب، وزوجها هبيرة بن أبى وهب المخزومى: «لقد رأيت الليلة عجبًا»، قالت: وما ذلك بأبى أنت وأمى؟ قال: «لقد صليت فى مصلاى هذا صلاة العشاء، وصلاة الفجر،

وصليت فيما بينهما فى بيت المقدس»، فقالت: وكيف فعلت؟ قال: «أتانى جبريل، عليه السلام، وقد أخذت مضجعى من الفراش قبل أن أنام، وأخذ بيدى وأخرجنى من الباب، وميكائيل، عليه السلام، بالباب ومعه دابة، فوق الحمار ودون البغل، ووجهها كوجه الإنسان، وخدها كخد الفرس، وعرفها كعرف الفرس، بلقاء، سيلاء، مضطربة الخلق، لها جناحان، ذنبها كذنب البقر، وحافرها كأظلاف البقر، خطوها عند منتهى بصرها، كان سليمان بن داود، عليه السلام، يغدو عليها مسيرة شهر، فحملانى عليها، ثم أخذا يزفان بى حتى أتيت بيت المقدس، ومثل لى النبيون، فصليت بهم، ورأيت ورأيت».

فلما أراد النبى ﷺ أن يقوم فيخرج، أخذت أم هانىء بحبرته، قالت: أين تخرج؟ قال: «أخرج إلى قريش، فأخبرهم بالذى رأيت»، فقالت: لا تفعل، فوالله ليجترأن عليك المكذب، وليمترين فيك المصدق، قال: «وإن كذبونى لأخرجن»، ونزع يدها من حبرته، فخرج إلى المسجد، فإذا فيه شيوخ من شيوخ قريش جلوس فى الحجر، فقام عليهم، فقال: «ألا أحدثكم بالعجب؟»، قالوا: أخبرنا، فإن أمرك كله عجب، قال: «لقد صليت فى هذا الوادى صلاة العشاء، وصلاة الفجر، وصليت فيما بينهما ببيت المقدس، ومثل لى النبيون، فصليت بهم وكلمت بعضهم»، فصدقه المؤمنون، وكذبه المشركون.

فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف: ما ثكلتنى يدى على هذا الكذاب ألا لن أكون ذلك اليوم جزعًا، فآخذك بيدى أخذًا، تخبرنا أنك صليت ببيت المقدس، ورجعتك من ليلتك، ونحن لا نبلغه إلا فى أربعين ليلة بعد شق الأنفس، أشهد أنك كذاب ساحر، فبينما هم كذلك، إذ جاء أبو بكر الصديق، رضوان الله عليه، فقالت قريش: يا أبا بكر، ألا تسمع ما يقول صاحبك، يزعم أنه صلى العشاء الآخرة والفجر بمكة، وصلى فيما بينهما ببيت المقدس، قال أبو بكر الصديق، رضى الله عنه: إن كان قال ذلك، فقد صدق.

وقال أبو بكر، رضى الله عنه، للنبى ﷺ: بأبى أنت وأمى، حدثنى عن باب بيت المقدس، وعن البيت، وعن سواريه، وعن الصخرة، وعن هذا كله، فأخبره النبى ﷺ، فالتزمه أبو بكر، فقال: أشهد أنك صادق، فسمى يومئذ الصديق، اسمه: عتيق بن عثمان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن مرة، فقال المسلمون: يا رسول الله، كيف رأيت الأنبياء، عليهم السلام؟ قال: «رأيت عيسى ابن مريم ﷺ رجلاً أبيض، فوق الربعة، ودون الطويل، ظاهر الدم، عريض الصدر، جعد الرأس، يعلوه صهوبة، أشبه الناس بعروة بن معتب الثقفى».

«ورأيت موسى، عليه السلام، رجلاً طويلاً، آدم شديد الأدمة، ضرب اللحم، سبط الشعر أشعر كأنه من رجال أزد شنوءة، لو لبس قميصين لرؤى شعره منهما، ورأيت إبراهيم، عليه السلام، أشبه الناس بى خَلقًا وخُلقًا، فبدأنى بالسلام والمصافحة والترحم، ورأيت الدجال، رجلاً جسيمًا، لحيمًا، آدم، جعد الرأس، كث اللحية، ممسوح العين، أحلى الجبهة براق الثنايا، مكتوب بين عينيه كافر، شبيه بفطن بن عبد العزى».

«ورأيت عمرو بن ربيعة بن يحيى بن قمعة بن خندف الخزاعى، والحارث بن كعب ابن عمرو، وعليهما وفرة يجران قصبهما فى النار»، يعنى أمعاءهما، قيل للنبى ﷺ: ولم؟ قال: «لأنهما أول من سيبا السائبة، واتخذا البحيرة والوصيلة والحام، وأول من سميا اللات والعزى، وأمرا بعبادتهما، وغيرا دين الحنيفية ملة إبراهيم، عليه السلام، ونصبا الأوثان حول الكعبة، فأما عمرو بن ربيعة، فهو رجل قصير، أشبه الناس به هذا، يعنى أكثم بن الجون الخزاعى»، فقال أكثم: يا رسول الله، أيضرنى شبهه؟ قال: «لا، أنت مؤمن وهو كافر».

فقال رجل من كفار قريش للمطعم بن عدى: عجلت على ابن أخيك، ثم قال كهيئة المستهزئ: رويدك يا محمد حتى نسألك عن عيرنا، هل رأيتها فى الطريق؟ قال: «نعم»، قال: فأين رأيتها؟ قال: «رأيت عير بنى فلان بالروحاء نزولاً، قد ضلت لهم ناقة، وهم فى طلبها، فمررت على رحالهم وليس بها أحد منهم، فوجدت فى إناء لهم ماء، فشربت منه وتوضأت، فاسألوهم إذا أتوكم، هل كان ذلك؟»، قالوا: هذه آية.

قال: «ومررت على عير بنى فلان، فى وادى كذا وكذا، فى ساعة كذا وكذا من الليل، ومعى جبريل وميكائيل، عليهما السلام، فنفرت منا إبلهم، فوقعت ناقة حمراء فانكسرت، فهم يجبرونها، فاسألوهم إذا أتوكم، هل كان ذلك؟»، قالوا: نعم، هذه آية، قال رجل منهم: فأين تركت عيرنا؟ قال: «تركتها بالتنعيم قبيل»، قال: فإن كنت صادقًا، فهى قادمة الأن، قال: «نعم»، قال: فأخبرنا بعدتها وأحمالها وما فيها، قال: «كنت عن ذلك مشغولاً، غير أن برنسًا كان لهم على البعير الذى يقدم الركب، فسقط البرنس، فرجع حبشى من القوم فأصابه، فوضعه على آخر الركب، فاسألوهم إذا أتوكم هل كان ذلك».

فبينا هو ﷺ يحدثهم، إذ مثل الله عز وجل له كل شىء حتى نظر إلى عدتها وأحمالها ومن فيها، فقال النبى ﷺ: «أين السائل آنفًا عن إبله، فإن عدتها وأحمالها ومن فيها كذا

وكذا، ويقدمها جمل أورق، وهى قادمة الآن»، فانطلقوا يسعون، فإذا هى منحدرة من عتبة التنعيم، وإذا هى وأحمالها وعدتها وما فيها كما قال النبى ﷺ، فقال المشركون: لقد صدق الوليد بن المغيرة، إن هذا لساحر مبين، وما يجرى محمد ﷺ وهو بين أظهرنا متى تقدم عيرنا، وما حالها وأحمالها ومن فيها، فكفوا بعض الأذى سنة.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾، يقول: أعطينا موسى التوراة، ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾، يعنى التوراة هدى، ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ من الضلالة، ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [آية: ٢]، يعنى وليًا، فيها تقديم.

يا ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ آدم، ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ فى السفينة، ألا تتخذوا من دونى وكيلاً، يعنى الأهل، يعنى وليًا، ثم أثنى على نوح بن لملك النبى ﷺ، فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [آية: ٣]، فكان من شكره أنه كان يذكر الله عز وجل حين يأكل ويشرب، ويحمد الله تعالى حين يفرغ، ويذكر الله سبحانه حين يقوم ويقعد، ويذكر الله جل ثناؤه حين يستجد الثوب الجديد، وحين يخلق، ويذكر الله عز وجل حين يدخل ويخرج، وينام ويستيقظ، ويذكر الله جل ثناؤه بكل خطوة يخطوها، وبكل عمل يعمله، فسماه الله عز وجل عبدًا شكورًا.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾، يقول: وعهدنا إليهم فى التوراة، ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾، لتهلكن ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾، فكان بين الهلاكين مائتا سنة وعشر سنين، ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[1] [آية: ٤]، يقول: ولتقهرن قهرًا شديدًا حتى

---

(١) انظر: (القرطبى ١٠/٢١٤. الكشاف ٢/٤٣٨، البحر المحيط ٦/٨، مجمع البيان ٦/٣٩٧، العكبرى ٢/٤٨، النحاس ٢/٢٣١).

تذلوا، وذلك بمعصيتهم الله عز وجل.

فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَٰهُمَا﴾، يعني وقت أول الهلاكين، ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[1]، بختنصر المجوسى ملك بابل وأصحابه، ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾[2]، يعنى فقتل الناس فى الأزقة، وسبى ذراريهم، وخرب بيت المقدس، وألقى فيه الجيف، وحرق التوراة، ورجع بالسبى إلى بابل، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [آية: ٥]، يعنى وعدًا كائنًا لابد منه، فكانوا ببابل سبعين سنة.

ثم إن الله عز وجل استنقذهم على يد كروس بن مزدك الفارس، فردهم إلى بيت المقدس، فذلك قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾، حتى كثروا، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [آية: ٦]، يعنى أكثر رجالاً منكم قبل ذلك، فكانوا بها مائتى سنة وعشر سنين، فيهم أنبياء.

ثم قال سبحانه: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ العمل لله بعد هذه المرة، ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾، فلا تهلكوا، ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، يعنى وإن عصيتم فعلى أنفسكم، فعادوا إلى المعاصى الثانية، فسلط الله عليهم أيضًا انطباخوس بن سيس الرومى ملك أرض نينوى، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأٓخِرَةِ﴾، يعنى وقت آخر الهلاكين، ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾[3]، يعنى ليقبح وجوهكم، فقتلهم وسبى ذراريهم، وخرب بيت المقدس، وألقى فيه الجيف، وقتل علماءهم، وحرق التوراة، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ﴾، يعنى بيت المقدس، انطياخوس بن سيس ومن معه بيت المقدس، ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، يقول: كما دخله بختنصر المجوسى وأصحابه قبل ذلك، قال سبحانه: ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ [آية: ٧]، يقول عز وجل: وليدمروا ما علوا، يقول: ما ظهروا عليه تدميرًا، كقوله سبحانه فى الفرقان: ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٩]، يعنى وكلا دمرنا تدميرًا.

ثم قال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾، فلا يسلط عليكم القتل والسبى، ثم إن الله عز

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤٣٨، مجمع البيان ٦/٣٩٧، البحر المحيط ٦/٩، الإتحاف ٢٨١، العكبرى ٢/٤٨، الآلوسى ١٦/١٧).

(٢) وقراءة ابن عباس، وطلحة. انظر: (الكشاف ٢/٤٣٨، القرطبى ١٠/٣١٦، العكبرى ٢/٤٨، مجمع البيان ٦/٣٩٧).

(٣) انظر: (القرطبى ١٠/٢٢٣، البحر المحيط ٦/١١، الفراء ٢/١١٧، الكشاف ٢/٤٣٩).

وجل استنقذهم على يدى المقياس، فردهم إلى بيت المقدس فعمروه، ورد الله عز وجل إليهم ألفتهم، وبعث فيهم أنبياء، ثم قال لهم: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾، يقول: وإن عدتم إلى المعاصى عدنا عليكم بأشد مما أصابكم، يعنى من القتل والسبى، فعادوا إلى الكفر، وقتلوا يحيى بن زكريا، فسلط الله عليهم ططس بن استاتوس الرومى، ويقال: اصطفابوس، فقتل على دم يحيى بن زكريا مائة ألف وثمانين ألفًا من اليهود، فهم الذين قتلوا الرقيب على عيسى الذى كان شبه لهم، وسبى ذراريهم، وأحرق التوراة، وخرب بيت المقدس، وألقى فيه الجيف، وذبح فيه الخنازير، فلم يزل خرابًا حتى جاء الإسلام، فعمره المسلمون، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [آية: ٨]، يعنى محبسًا لا يخرجون منها أبدًا، كقوله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُوا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، يعنى حبسوا فى سبيل الله.

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠) وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا (١١) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (١٢)﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي﴾، يعنى يدعو، ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، يعنى أصوب، ﴿وَيُبَشِّرُ﴾ القرآن، ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾، يعنى المصدقين، ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ من الأعمال بما فيه من الثواب، فذلك قوله سبحانه: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [آية: ٩]، يعنى جزاء عظيمًا فى الآخرة.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، يعنى بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ١٠]، يعنى عذابًا وجيعًا.

﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾ على نفسه، يعنى النضر بن الحارث، حين قال: ﴿**ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾، كدعائه بالخير لنفسه، ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾ [آية: ١١]، يعنى آدم، عليه السلام، حين نفخ فيه الروح من قبل رأسه، فلما بلغت الروح وسطه عجل، فأراد أن يجلس قبل أن تتم الروح وتبلغ إلى قدميه، فقال الله عز وجل: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾، وكذلك النضر يستعجل بالدعاء على نفسه كعجلة آدم، عليه السلام، فى خلق نفسه، إذا أراد أن يجلس قبل أن يتم دخول الروح فيه، فتبلغ

الروح إلى قدميه، فعجلة الناس كلهم ورثوها عن أبيهم آدم، عليه السلام، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾، يعنى علامتين مضيئتين، فكان ضوء القمر مثل ضوء الشمس، فلم يعرف الليل من النهار، يقول الله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾، يعنى علامة القمر، فالمحو السواد الذى فى وسط القمر، فمحى من القمر تسعة وستين جزءًا، واحد من سبعين جزءًا من الشمس، فعرف الليل من النهار، ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ﴾، يعنى علامة ﴿ٱلنَّهَارِ﴾، وهى الشمس، ﴿مُبْصِرَةً﴾، يعنى أقررنا ضوءها فيها، ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾، يعنى رزقًا، ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟﴾ بها ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [آية: ١٢]، يعنى بيناه تبيانًا.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾، يعنى عمله الذى عمل، خيرًا كان أو شرًا، فهو ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾ لا يفارقه حتى يحاسب عليه، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [آية: ١٣]، وذلك أن ابن آدم إذا ما طويت صحيفته التى فيها عمله، فإذا كان يوم القيامة، نشر كتابه، فدفع إليه منشورًا.

ثم يقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [آية: ١٤]، يعنى شهيدًا، فلا شاهد عليك أفضل من نفسك، وذلك حين قالوا: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ختم الله على ألسنتهم، ثم أمر الجوارح، فشهدت عليه بشركه وتكذيبه، وذلك قوله سبحانه: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾، وذلك قوله عز وجل: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]، يعنى جوارحهم حين شهدت عليهم أنفسهم، وألسنتهم، وأيديهم، وأرجلهم.

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ الخير، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الهدى، ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾، أى على نفسه، يقول: فعلى نفسه إثم ضلالته، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، يقول: لا تحمل نفس خطيئة نفس أخرى، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ فى الدنيا أحدًا، ﴿حَتَّىٰ

نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ [آية: ١٥] لينذرهم بالعذاب فى الدنيا بأنه نازل بهم، كقوله سبحانه: ﴿ وَمَا أَهۡلَكۡنَا ﴾ فى الدنيا ﴿ مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٨].

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً ﴾ بالعذاب فى الدنيا، ﴿ أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا ﴾، يقوله: أكثرنا جبابرتها فبطروا فى المعيشة، ﴿ فَفَسَقُواْ فِيهَا ﴾، يقول: فعصوا فى القرية، ﴿ فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ ﴾، يعنى فوجب عليهم الذى سبق لهم فى علم الله عز وجل، ﴿ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ [آية: ١٦]، يقول: فأهلكناها بالعذاب هلاكًا.

يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية، فقال سبحانه: ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا ﴾ بالعذاب فى الدنيا، ﴿ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ ﴾، يقول: كفار مكة، ﴿ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴾ [آية: ١٧]، يقول الله عز وجل: فلا أحد أخبر بذنوب العباد من الله عز وجل، يعنى كفار مكة.

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ﴾ فى الدنيا، ﴿ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا ﴾، يعنى فى الدنيا، ﴿ مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾، من المال، ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ ﴾، يقول: ثم نصيره إلى جهنم، ﴿ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا ﴾، عند الله، ﴿ مَّدۡحُورٗا ﴾ [آية: ١٨]، يعنى مطرودًا فى النار، نزلت فى ثلاثة نفر من ثقيف، فى: فرقد بن يمامة، وأبى فاطمة بن البحترى، وصفوان، وفلان، وفلان.

﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ من الأبرار بعمله الحسن، وهو مؤمن، يعنى بالدار الآخرة، ﴿ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا ﴾، يقول: عمل للآخرة عملها، ﴿ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ﴾، يعنى مصدق بتوحيد الله عز وجل، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴾ [آية: ١٩]، فشكر الله عز وجل سعيهم، فجزاهم بعملهم الجنة، نزلت فى بلال المؤذن وغيره.

ثم قال سبحانه: ﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ البر والفاجر، يعنى هؤلاء النفر من

المسلمين، وهؤلاء النفر من ثقيف، ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾، يعنى رزق ربك، ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾، يعنى رزق ربك، ﴿مَحْظُورًا﴾ [آية: ٢٠]، يعنى ممسكًا، يعنى ممنوعًا.

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، يعنى الفجار، يعنى من كفار ثقيف على بعض فى الرزق فى الدنيا، يعنى الأبرار بلال بن رباح ومن معه، ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ﴾ فى الآخرة، يعنى أعظم فضائل، ﴿وَأَكْبَرُ﴾، يعنى وأعظم ﴿تَفْضِيلًا﴾ [آية: ٢١] من فضائل الدنيا، فلما صار هؤلاء إلى الآخرة، أعطى هؤلاء المؤمنون بلال ومن معه، أعطوا فى الآخرة فضلاً كبيرًا أكثر مما أعطى الفجار فى الدنيا، يعنى ثقيفًا.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾، يقول للنبى ﷺ: لا تضف مع الله إلهًا، وذلك حين دعى النبى ﷺ إلى ملة آبائه، ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا﴾، ملومًا تلام عند الناس، ﴿مَّخْذُولًا﴾ [آية: ٢٢] فى عذاب الله تعالى.

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن مسعود، أنه كان فى المصحف: ووصى ربك، فالتزق الواو بالصاد، فقال: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾، يعنى وعهد ربك، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، يعنى ألا توحدوا غيره، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ برًا بهما، ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ﴾، يعنى أبويه، يعنى سعد بن أبى وقاص، ﴿أَحَدُهُمَا﴾، يعنى أحد الأبوين، ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾، فبرهما، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾[(١)]، يعنى الكلام الردىء، أن تقول: اللهم أرحنى منهما، أو تغلظ عليهما فى القول عند كبرهما، ومعالجتك إياهما وعند مبط القذر عنهما، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ عند المعالجة، يعنى تغلظ لهما القول، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [آية: ٢٣]، يعنى حسنًا لينًا.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[(٢)]، يقول: تلين جناحك لهما رحمة بهما،

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤٤٤، مجمع البيان ٦/٤٠٨، البحر المحيط ٦/٢٧، الطبرى ١٥/٤٨).

(٢) انظر: (القرطبى ١٠/٢٤٤، الكشاف ٢/٤٤٥، الفراء ٢/١٢٢، البحر المحيط ٦/٢٨، الطبرى ١٥/٤٩، التبيان ٦/٤٦٧، مجمع البيان ٦/٤٠٨).

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ عندما تعالج منهما، ﴿كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [آية: ٢٤]، يعنى كما عالجا ذلك منى صغيرًا، فالطف بهما، واعصهما فى الشرك، فإنه ليس معصيتك إياهما فى الشرك قطيعة لهما، ثم نسخت: ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِى قُرْبَى﴾ [التوبة: ١١٣].

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْۚ﴾، يقول: هو أعلم بما فى نفوسكم منكم من البر للوالدين عند كبرهما، فذلك قوله تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾، يعنى محتسبين مما تعالجون منهما أو لا تحتسبون، ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [آية: ٢٥]، يعنى المتراجعين من الذنوب إلى طاعة الوالدين غفورًا.

﴿وَءَاتِ﴾، يعنى فأعط، ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، يعنى صلته، ثم قال تعالى: ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾، يعنى السائل، فتصدق عليه، ﴿وَ﴾ حق ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أن تحسن إليه، وهو الضيف نازل عليه، قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [آية: ٢٦]، يعنى المنفقين فى غير حق.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ﴾، يعنى المنفقين، يعنى كفار مكة، فى غير حق، ﴿كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ فى المعاصى، ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، يعنى إبليس وحده، ﴿لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [آية: ٢٧]، يعنى عاص.

ثم رجع إلى المسكين وابن السبيل، فقال: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾، نزلت فى خباب، وبلال، ومهجع، وعمار، ونحوهم من الفقراء، كانوا يسألون النبى ﷺ، فلا يجد ما يعطيهم فيعرض عنهم فيسكت، ثم قال عز وجل: ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾، يعنى انتظار رزق من ربك، ﴿تَرْجُوهَا﴾ من الله أن يأتيك، ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [آية: ٢٨]، يقول: اردد عليهم معروفًا، يعنى العدة الحسنة أنه سيكون فأعطيكم.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

ثم علمهم كيف يعمل فى النفقة، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾، يقول: ولا تمسك يدك من البخل عن النفقة فى الحق، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾، يعنى فى العطية، ﴿كُلَّ الْبَسْطِ﴾، فلا تبقى عندك، فإن سئلت لم تجد ما تعطيهم كقوله: ﴿**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ يلومك الناس، ﴿مَّحْسُورًا﴾ [آية: ٢٩]، يعنى منقطعًا بك، كقوله سبحانه فى تبارك الملك: ﴿**وَهُوَ حَسِيرٌ**﴾ [الملك: ٤]، يعنى منقطع به.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾، يعنى يوسع الرزق، ﴿لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، يعنى ويقتر على من يشاء، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا﴾، بأمر الرزق بالسعة والتقتير، ﴿بَصِيرًا﴾ [آية: ٣٠] به.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤)﴾

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾، يعنى دفن البنات وهن أحياء، ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾، يعنى مخافة للفقر، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا﴾(١)، يعنى إثمًا، ﴿كَبِيرًا﴾ [آية: ٣١].

قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾، يعنى معصية، ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [آية: ٣٢]، يعنى المسلك، لم يكن يومئذ فى الزنا حد، حتى نزل الحد بالمدينة فى سورة النور.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قتلها، يعنى باغيًا، ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ الذى يقتل فيقتل به، ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾، يعنى ولى المقتول، ﴿سُلْطَانًا﴾، يعنى مسلطًا على القتلى إن شاء قبله، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ الدية، ثم قال لولى

---

(١) انظر: (القرطبى ٢٥٣/١٠ الفراء ١٢٣/٢، الكشاف ٤٤٨/٢، الطبرى ٥٧/١٥، البحر المحيط ٣٢/٦، مجمع البيان ٤١٢/٦).

المقتول: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾[1] [آية: ٣٣] من أمر الله عز وجل فى كتابه، جعل الأمر إليه، ولا تقتلن غير القاتل، فإن من قتل غير القاتل، فقد أسرف؛ لقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، إلا لتنمى ماله بالأرباح، نسختها: ﴿**إِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾، يعنى ثمانى عشرة سنة، ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ فيما بينكم وبين الناس، ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ﴾ إذا نقض، ﴿كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [آية: ٣٤]، يقول: الله سائلكم عنه فى الآخرة.

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ﴾، يعنى بالميزان بلغة الروم، ﴿ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ الوفاء، ﴿خَيْرٌ﴾ من النقصان، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [آية: ٣٥]، يعنى وخير عاقبة فى الآخرة.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، يقول: ولا ترم بالشرك، فإنه ليس لك به علم إن لى شريكًا، ثم حذرهم: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾، يعنى القلب، ﴿كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [آية: ٣٦]، يعنى عن الشرك مسئولاً فى الآخرة.

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾، يعنى بالعظمة، والخيلاء، والكبرياء، ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ إذا مشيت بالخيلاء والكبرياء، ﴿وَلَن تَبْلُغَ﴾ رأسك، ﴿ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [آية: ٣٧] إذا تكبرت.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾، يعنى كل ما أمر الله عز وجل به، ونهى عنه فى هؤلاء الآيات، ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾، يعنى ترك ما أمر الله عز وجل به، ونهى عنه فى هؤلاء الآيات، أى وركوب ما نهى عنه، كان ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [آية: ٣٨].

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٦/٣٤، العكبرى ٢/٥٠، الكشاف ٢/٤٤٨، النحاس ٢/٢٤٠).

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ﴾ ، أي ذلك الذى أمر الله به ونهى عنه فى هؤلاء الآيات، ﴿مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ التى أوحاها إليك يا محمد، ثم قال للنبى ﷺ: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ ، فإن فعلت، ﴿فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ ، تلوم نفسك يومئذ، ﴿مَّدۡحُورًا﴾ [آية: ٣٩]، يعنى مطرودًا فى النار، كقوله سبحانه: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا﴾ [الصافات: ٨، ٩]، يعنى طردًا.

قل يا محمد لكفار مكة: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ﴾ ، نزلت هذه الآية بعد قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء: ٤٢]، يعنى مشركى العرب حين قالوا: الملائكة بنات الرحمن، ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ لنفسه ﴿مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ﴾ ، يعنى البنات، ﴿إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمًا﴾ [آية: ٤٠] حين تقولون: إن الملائكة بنات الله عز وجل.

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ فى أمور شتى، ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ فيعتبروا، ﴿وَمَا يَزِيدُهُمۡ﴾ القرآن، ﴿إِلَّا نُفُورٗا﴾ [آية: ٤١]، يعنى إلا تباعدًا عن الإيمان بالقرآن، كقوله تعالى: ﴿بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١]، يعنى تباعدًا.

﴿قُل﴾ لكفار مكة: ﴿لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ﴾ ، حين يزعمون أن الملائكة بنات الرحمن، فيعبدونهم ليشفعوا لهم عند الله عز وجل فى الآخرة، ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾ [آية: ٤٢]، ليغلبوه ويقهروه، كفعل ملوك الأرض بعضهم ببعض، يلتمس بعضهم أن يقهر صاحبه ويعلوه.

ثم قال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ نزه نفسه تعالى عن قول البهتان، فقال: ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ ، يعنى وارتفع، ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من البهتان، ﴿عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾ [آية: ٤٣]، نظيرها فى المؤمنين.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾﴾

ثم عظم نفسه جل جلاله، فقال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾ ، يعنى تذكره، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ﴾

وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ﴾، يعنى وما من شىء، ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾، يقول: إلا يذكر الله بأمره، يعنى من نبت، إذا كان فى معدنه، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥]، كقوله سبحانه: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ [الرعد: ١٣]، يعنى بأمره، من نبت، أو دابة، أو خلق، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾، يقول: ولكن لا تسمعون ذكرهم لله عز وجل، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ عنهم، يعنى عن شركهم، ﴿غَفُورٗا﴾ [آية: ٤٤]، يعنى ذو تجاوز عن قولهم، لقوله: ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ﴾ كما يزعمون، ﴿إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِى الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾، بأن الملائكة بنات الله، حين لا يعجل عليهم بالعقوبة، ﴿غَفُورًا﴾ فى تأخير العذاب عنهم إلى المدة، مثلها فى سورة الملائكة، قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أن تزُولاَ...﴾ [فاطر: ٤١] آخر الآية، ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾، يعنى ذو تجاوز عن شركهم، ﴿غَفُورًا﴾ فى تأخير العذاب عنهم إلى المدة.

﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ فى الصلاة أو غير الصلاة، ﴿جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾، يعنى لا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾ [آية: ٤٥]، نزلت فى أبى لهب وامرأته، وأبى البحترى، وزمعة اسمه عمرو بن الأسود، وسهيل، وحويطب، كلهم من قريش، يعنى بالحجاب المستور.

﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ ۞قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴿٥١﴾ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾، يعنى الغطاء على القلوب، ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾، لئلا يفقهوا القرآن، ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾، يعنى ثقلاً لئلا يسمعوا القرآن، ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ﴾، فقلت: لا إله إلا الله، ﴿وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾ [آية: ٤٦]، يعنى أعرضوا عن التوحيد ونفروا عنه كراهية التوحيد، وذلك حين قال لهم النبى ﷺ يود

دخلوا على أبى طالب وهم الملأ، فقال: «قولوا: لا إله إلا الله، تملكون بها العرب وتدين لكم العجم.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ يا محمد وأنت تقرأ القرآن، ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾، فبين نجواهم فى سورة الأنبياء: ﴿**وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾، يعنى فيما بينهم، ﴿**هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣]، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، يعنى الوليد بن المغيرة وأصحابه، ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [آية: ٤٧]، يعنى بالمسحور المغلوب على عقله، نظيرها فى الفرقان: ﴿**وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا**﴾ [الفرقان: ٨].

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾، يعنى كيف وصفوا لك الأنبياء حين قالوا: إنك ساحر، ﴿فَضَلُّواْ﴾ عن الهدى، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، يعنى فلا يجدون، ﴿سَبِيلًا﴾ [آية: ٤٨]، يعنى لا يقدرون على مخرج مما قالوا لك بأنك ساحر.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا﴾، يعنى ترابًا، ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ بعد الموت، ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [آية: ٤٩]، يعنى البعث.

و﴿﴿ قُل﴾ لهم يا محمد: ﴿كُونُواْ حِجَارَةً﴾ فى القوة، ﴿أَوْ حَدِيدًا﴾ [آية: ٥٠] فى الشدة، فسوف يميتكم ثم يبعثكم، ثم تحيون من الموت.

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾، يعنى مما يعظم فى قلوبكم، قل لو كنتم أنتم الموت لأمتكم ثم بعثتكم فى الآخرة، ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾، يعنى من يبعثنا أحياء من بعد الموت، ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، يعنى خلقكم أول مرة فى الدنيا و لم تكونوا شيئًا، فهو الذى يبعثكم فى الآخرة، ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ﴾، يعنى يهزون إليك، ﴿رُءُوسَهُمْ﴾ استهزاء وتكذيبًا بالبعث، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾، يعنون البعث، ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ﴾ البعث ﴿قَرِيبًا﴾ [آية: ٥١].

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ من قبوركم فى الآخرة، ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾، يعنى تجيبون الداعى بأمره، ﴿وَتَظُنُّونَ﴾، يعنى وتحسبون ﴿إِن﴾، يعنى ما ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ فى القبور، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ٥٢]، وذلك أن إسرافيل قائم على صخرة بيت المقدس يدعو أهل القبور فى قرن، فيقول: أيتها اللحوم المتفرقة، وأيتها العروق المتقطعة، وأيتها الشعور المتفرقة، اخرجوا إلى فصل القضاء لتنفخ فيكم

أرواحكم، وتجازون بأعمالكم، فيخرجون، ويديم المنادى الصوت، فيخرجون من قبورهم، ويسمعون الصوت، فيسعون إليه، فذلك قوله سبحانه: ﴿**فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ**﴾ [يس: ٥٣].

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾، يعنى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، ﴿يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، ليرد خيرًا على من شتمه، وذلك أن رجلاً من كفار مكة شتمه، فهم به عمر، رضى الله، فأمره الله عز وجل بالصفح والمغفرة، نظيرها فى الجاثية: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا...**﴾ [الجاثية: ١٤] إلى آخر الآية، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾، يعنى يغرى بينهم، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [آية: ٥٣].

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ من غيره، ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾، فيتوب عليكم، ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾، فيميتكم على الكفر، نظيرها فى الأحزاب: ﴿**لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ**﴾ [الأحزاب: ٧٣]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [آية: ٥٤]، يعنى مسيطرًا عليهم.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، منهم من كلم الله، ومنهم من اتخذه الله خليلاً، ومنهم من سخر الله له الطير، والجبال، ومنهم من أعطى ملكًا عظيمًا، ومنهم من يحيى الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ومنهم من رفعه الله عز وجل إلى السماء، فكل واحد منهم فضل بأمر لم يعطه غيره، فهذا تفضيل بعضهم على بعض، ثم قال سبحانه: ﴿وَءَاتَيْنَا﴾، يعنى وأعطينا ﴿دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [آية: ٥٥]، مائة وخمسين سورة، ليس فيها حكم، ولا حد، ولا فريضة، ولا حلال، ولا حرام، وإنما هو ثناء على الله عز وجل، وتمجيد وتحميد.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ

مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿قُلِ﴾ لكفار مكة: ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنهم آلهة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾، من دون الله، يعنى الملائكة، فليكشفوا الضر عنكم، يعنى الجوع سبع سنين إذا نزل بكم، ثم أخبر عن الملائكة الذين عبدوهم، فقال سبحانه: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾، يعنى لا يقدرون على ﴿كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾، يعنى الجوع الذى أصابهم بمكة سبع سنين حتى أكلوا الميتة، والكلاب، والجيف، فيرفعونه عنكم، ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [آية: ٥٦]، يقول: ولا تقدر الملائكة على تحويل هذا الضر عنكم إلى غيره، فكيف تعبدونهم، مثلها فى سورة سبأ: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾ [سبأ: ٢٢]، يعنى أصغر النمل التى لا تكاد أن ترى من الصغر، وهى النملة الحمراء.

ثم قال يعظهم: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾، يقول: أولئك الملائكة الذين تعدونهم، ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾، يعنى الزلفة، وهى القربة بطاعتهم، ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ إلى الله درجة، مثل قوله سبحانه: ﴿**وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ**﴾ [المائدة: ٣٥]، يعنى القربة إلى الله عز وجل، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾، يعنى جنته، نظيرها فى البقرة: ﴿**أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللّهِ**﴾ [البقرة: ٢١٨]، يعنى جنة الله عز وجل، ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾، يعنى الملائكة، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [آية: ٥٧]، يقول: يحذره الخائفون له، فابتغوا إليه الزلفة كما تبتغى الملائكة وخافوا أنتم عذابه كما يخافون، وارجعوا أنتم رحمته كما يرجون: فـ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾، يقول: وما من قرية طالحة أو صالحة، ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾، فأما الصالحة، فهلاكها بالموت، وأما الطالحة، فيأخذها العذاب فى الدنيا، ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾، يعنى هلاك الصالحة بالموت، وعذاب الطالحة فى الدنيا، ﴿فِي ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا﴾ [آية: ٥٨]، يعنى فى أم الكتاب مكتوبًا، يعنى اللوح المحفوظ، فتموت أو ينزل بها ذلك.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا

يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ ﴾ مع محمد ﷺ، وذلك أن عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، والحارث بن هشام بن المغيرة المخزوميين، سألا النبى ﷺ أن يريهم الله الآيات كما فعل بالقرون الأولى، وسؤالهما النبى ﷺ أنهما قالا فى هذه السورة: ﴿ **وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا...** ﴾ إلى آخر الآيات، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ ﴾ إلى قومك كما سألوا، ﴿ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾، يعنى الأمم الخالية، فعذبتهم، ولو جئتهم بآية فردوها وكذبوا بها أهلكناهم، كما فعلنا بالقرون الأولى، فلذلك أخرنا الآيات عنهم، ثم قال سبحانه: ﴿ وَءَاتَيْنَا ﴾، يعنى وأعطينا، ﴿ ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾، يعنى معاينة يبصرونها، ﴿ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ﴾، يعنى فجحدوا بها أنها ليست من الله عز وجل، ثم عقروها، ثم قال عز وجل: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [آية: ٥٩] للناس، فإن لم يؤمنوا بها عذبوا فى الدنيا.

﴿ وَإِذْ ﴾، يعنى وقد ﴿ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾، يعنى حين أحاط علمه بأهل مكة أن يفتحها على النبى ﷺ، ثم قال سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾، يعنى الإسراء ليلة أسرى به إلى بيت المقدس، فكانت لأهل مكة فتنة، ثم قال سبحانه: ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾، يعنى شجرة الزقوم، ثم قال سبحانه: ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ ﴾ بها، يعنى بالنار والزقوم، ﴿ فَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾ التخويف، ﴿ إِلَّا طُغْيَٰنًا ﴾، يعنى إلا ضلالاً، ﴿ كَبِيرًا ﴾ [آية: ٦٠]، يعنى شديدًا، وقال أيضًا فى الصافات لقولهم الزقوم التمر والزبد: ﴿ **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ** ﴾ [الصافات: ٦٤، ٦٥]، ولا يشبه طلع النخل.

وذلك أن الله عز وجل ذكر شجرة الزقوم فى القرآن، فقال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمدًا يخوفكم بشجرة الزقوم، ألستم تعلمون أن النار تحرق الشجر، ومحمد يزعم أن النار تنبت الشجرة، فهل تدرون ما الزقوم؟ فقال عبد الله بن الزبعرى السهمى: إن الزقوم بلسان بربر: التمر والزبد، قال أبو الجهل: يا جارية، ابغنا تمرًا، فجاءته، فقال لقريش وهم حوله: تزقموا من هذا الزقوم الذى يخوفكم به محمد، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾، يعنى شديدًا.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ

طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾[١]، منهم إبليس، ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [آية: ٦١]، وأنا خلقتنى من نار، يقول ذلك تكبرًا.

ثم ﴿قَالَ﴾ إبليس لربه عز وجل: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾، يعنى فضلته علىَّ بالسجود، يعنى آدم، أنا نارى وهو طينى، ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾، يقول: لئن متعتنى ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ﴾، يعنى لأحتوين ﴿ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ ذرية آدم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ٦٢] حتى يطيعونى، يعنى بالقليل الذى أراد الله عز وجل، فقال: ﴿**إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ [الحجر: ٤٢]، يعنى ملكًا.

ثم ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ على دينك، يعنى من ذرية آدم، ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ بأعمالكم الخبيثة، ﴿جَزَآءً﴾، يعنى الكفر جزاء، ﴿مَّوْفُورًا﴾ [آية: ٦٣]، يعنى وافرًا لا يفتر عنهم من عذابها شىء.

ثم قال سبحانه: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾، يقول: واستزل ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾، يعنى بدعائك، ﴿وَأَجْلِبْ﴾، يعنى واستعن ﴿عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ﴾، يعنى كل راكب يسير فى معصيته، ﴿وَرَجِلِكَ﴾[٢]، يعنى كل راجل يمشى فى معصية الله عز وجل من الجن والإنس من يطيعك منهم، ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ﴾، يقول: زين لهم فى الأموال، يعنى كل مال حرام، وما حرموا من الحرث والأنعام، ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا أبى، عن الهذيل، عن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: إن الزنا، والغصب، والأولاد، يعنى كل ولد من حرام، فهذا كله من طاعة إبليس وشركته.

ثم قال سبحانه: ﴿وَعِدْهُمْ﴾، يعنى ومنيهم الغرور ألا بعث، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ

---

(١) انظر: (تحبير التيسير ١٣٣، النشر ٢/٢١٠، الإتحاف ٢٨٤)، «وذلك فى حالة الوصل».
(٢) انظر: (الكشاف ٢/٤٥٦، القرطبى ١٠/٢٨٩، البحر المحيط ٥٩/٦، العكبرى ٥٢/٢).

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [آية: ٦٤]، يعنى باطلاً الذى ليس بشىء.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ المخلصين، ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ ملك فى الكفر والشرك أن تضلهم عن الهدى، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [آية: ٦٥]، يعنى حرزًا ومانعًا، فلا أحد أمنع من الله عز وجل، فلا يخلص إليهم إبليس.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ﴾، يعنى يسوق لكم، ﴿ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ الرزق، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [آية: ٦٦].

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾، يقول: إذا أصابكم ﴿فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾، يعنى بطل، مثل قوله عز وجل: ﴿**أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [محمد: ١]، يعنى أبطل، من تدعون من الآلهة، يعنى تعبدون فلا تدعونهم إنما تدعون الله عز وجل، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، يعنى نفسه عز وجل، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾ الرب جل جلاله من البحر، ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن الدعاء فى الرخاء، فلا تدعون الله عز وجل، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [آية: ٦٧] للنعم حين أنجاه الله تعالى من أهوال البحر إلى البر، فلم يعبده.

ثم خوفهم، فقال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ إذا أخرجتم من البحر إلى الساحل، ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾، يعنى ناحية من البر، ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ﴾ فى البر ﴿حَاصِبًا﴾، يعنى الحجارة، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [آية: ٦٨]، يقول: ثم لا تجدوا مانعًا يمنعكم من الله عز وجل.

ثم قال سبحانه: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾، فى البحر، ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾، يعنى مرة أخرى، نظيرها فى طه: ﴿**وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾ [طه: ٥٥]، ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا﴾، يعنى عاصفًا، ﴿مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾، وهى الشدة، ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ النعم حين أنجاكم من الغرق، ونقضتم العهد وأنتم فى البر، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ

عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ [آية: ٦٩]، يقول: لا تجدوا علينا به تبعة مما أصبناكم به من العذاب.

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾

ثم ذكرهم النعم، فقال سبحانه: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾، يقول: فضلناهم على غيرهم من الحيوان غير الملائكة حين أكلوا وشربوا بأيديهم، وسائر الطير والدواب يأكلون بأفواههم، ثم قال عز وجل: ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ﴾ على الرطب، يعنى الدواب، ﴿وَ﴾ حملناهم فى ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾، على اليابس، يعنى السفن، ﴿وَرَزَقْنَٰهُم﴾ من غير رزق الدواب، ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ من الحيوان، ﴿تَفْضِيلًا﴾ [آية: ٧٠]، يعنى بالتفضيل أكلهم بأيديهم.

﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾[(١)]، يعنى كل أمة بكتابهم الذى عملوا فى الدنيا من الخير والشر، مثل قوله عز وجل فى يس: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾ [يس: ١٢]، وهو اللوح المحفوظ، ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ الذى عملوه فى الدنيا، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [آية: ٧١]، يعنى بالفتيل القشر الذى يكون فى شق النواة.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ النعم ﴿أَعْمَىٰ﴾، يعنى الكافر، عمى عنها وهو معاينها، فلم يعرف أنها من الله عز وجل، فيشكو ربها، فيعرفه فيوحده تبارك وتعالى، ﴿فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾، يقول: فهو عما غاب عنه من أمر الآخرة من البعث والحساب والجنة والنار أعمى، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [آية: ٧٢]، يعنى وأخطأ طريقًا.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾، يعنى ثقيفًا، يقول: وقد كادوا أن يفتنوك، يعنى قد هموا

---

(١) انظر: (الفراء ١٢٧/٢، الإتحاف ٢٨٥، الكشاف ٤٥٩/٢، الرازى ١٧/٢١، العكبرى ٥٢/٢، البحر المحيط ٦٢/٦، مجمع البيان ٤٢٨/٦).

أن يصدوك، ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، كقوله سبحانه فى المائدة: ﴿**وَاحْذَرْهُمْ أن يَفْتِنُوكَ**﴾، يعنى يصدوك، ﴿**عَن بَعْضِ مَا أنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ**﴾ [المائدة: ٤٩]، وذلك أن ثقيفًا أتوا النبى ﷺ، فقالوا: نحن إخوانك، وأصهارك، وجيرانك، ونحن خير أهل نجد لك سلمًا، وأضره عليك حربًا، فإن نسلم تسلم نجد كلها، وإن نحاربك يحاربك من وراءنا، فأعطنا الذى نريد، فقال النبى ﷺ: «وما تريدون؟»، قالوا: نسلم على ألا تحش، ولا نعش، ولا نحنى، يقولون: على ألا نصلى، ولا نكسر أصنامنا بأيدينا، وكل ربًا لنا على الناس فهو لنا، وكل ربًا للناس فهو عنا موضوع، ومن وجدناه فى وادى وج يقطع شجرها انتزعنا عنه ثيابه، وضربنا ظهره وبطنه، وحرمته كحرمة مكة، وصيده وطيره وشجره، وتستعمل على بنى مالك رجلاً، وعلى الأحلاف رجلاً، وأن تمتعنا باللات والعزى سنة ولا نكسرها يأيدينا من غير أن نعبدها؛ ليعرف الناس كرامتنا عليك وفضلنا عليهم.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «أما قولكم: لا تجشى، ولا نعشى، والربا، فلكم، وأما قولكم: لا نحنى، فإنه لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود»، قالوا: نفعل ذلك، وإن كان علينا فيه دناءة، «وأما قولكم: لا نكسر أصنامنا بأيدينا، فإنا سنأمر من يكسرها غيركم»، ثم سكت النبى ﷺ، فقالوا: تمتعنا باللات سنة، فأعرض عنهم، وجعل يكره أن يقول: لا، فيأبون الإسلام، فقالت ثقيف للنبى ﷺ: إن كان بك ملامة العرب فى كسر أصنامهم وترك أصنامنا، فقل لهم: إن ربى أمرنى أن أقر اللات بأرضهم سنة.

فقال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، عند ذلك: أحرقتم قلب النبى ﷺ بذكر اللات، أحرق الله أكبادكم، لا، ولا ونعمة، غير أن الله عز وجل لا يدع الشرك فى أرض يعبد الله تعالى فيها، فإما أن تسلموا كما يسلم الناس، وإما أن تلحقوا بأرضكم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ﴾، يقول: وإن كادوا ليصدونك، ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ ﴿لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥ﴾، يقول سبحانه: لتقول علينا غيره ما لم نقل؛ لقولهم للنبى ﷺ: قل إن الله أمرنى أن أقرها، ﴿وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا﴾ [آية: ٧٣]، يعنى محبًا، نظيرها فى الفرقان: ﴿**فُلاَنًا خَلِيلاً**﴾ [الفرقان: ٢٨]، يعنى محبًا، لطواعيتكم إياهم على ما أرادوك عليه إذًا لأحبوك.

﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ﴾ يا محمد بالسكوت، فأمرت بكسر الآلهة، إذًا لركنت إلى المعصية، ﴿لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ﴾، يقول: لقد هممت سويعة أن تميل، ﴿إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا

قَلِيلًا﴾ [آية: ٧٤]، يعنى أمرًا يسيرًا، يقول: لقد هممت سويعة، كقوله: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ [الذاريات: ٣٩]، يعنى بميله أمرًا يسيرًا.

يقول: لقد هممت سويعة أن تميل إليهم، ولو أطعتهم فيما سألوك، ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ﴾ العذاب فى الدنيا والآخرة، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ﴾ ﴿ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾، يقول سبحانه: إذًا لأذقناك ضعف العذاب فى الدنيا فى حياتك، وفى مماتك بعد، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [آية: ٧٥]، يعنى مانعًا يمنعك منا.

﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧)﴾

﴿وَإِن﴾، يعنى وقد ﴿كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾، يعنى ليستزلونك ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾، يعنى أرض المدينة، نزلت فى حيى بن أخطب واليهود، وذلك أنهم كرهوا قدوم النبى ﷺ المدينة وحسدوه، وقالوا: يا محمد، إنك لتعلم أن هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء، إنما أرض الأنبياء والرسل أرض المحشر أرض الشام، ومتى رأيت الله بعث الأنبياء فى أرض تهامة، فإن كنت نبيًا، فاخرج إليها، فإنما يمنعك منها مخافة أن يغلبك الروم، فإن كنت نبيًا، فسيمنعك الله كما منع الأنبياء قبلك، فخرج النبى ﷺ متوجهًا إلى الشام، فعسكر على رأس ثلاثة أميال بذى الحليفة لتنضم إليه أصحابه، فأتاه جبريل، عليه السلام، بهذه الآية: ﴿كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ٧٦]، يقول سبحانه: لو فعلوا ذلك لم ينظروا من بعدك إلا يسيرًا حتى يعذبوا فى الدنيا.

فرجع النبى ﷺ، ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾، يقول الله سبحانه: كذلك سنة الله عز وجل فى أهل المعاصى، يعنى الأمم الخالية إن كذبوا رسلهم أن يعذبوا، ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [آية: ٧٧]، إن قوله حق فى أمر العذاب، يقول: السنة واحدة فيما مضى وفيما بقى.

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾، يعنى إذا زالت الشمس عن بطن السماء، يعنى عند صلاة الأولى والعصر، ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾، يعنى ظلمة الليل إذا ذهب الشفق، يعنى صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾، يعنى قرآن صلاة الغداة، ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [آية: ٧٨]، تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، جمع صلاة الخمس فى هذه الآية كلها.

ثم قال عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾، بعد المغفرة؛ لأنه الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما كان من عمل فهو نافلة، مثل قوله سبحانه: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ**﴾، حين سأل الولد، ﴿**وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً**﴾ [الأنبياء: ٧٢]، يعنى فضلاً على مسألته، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [آية: ٧٩]، يعنى مقام الشفاعة فى أصحاب الأعراف يحمده الخلق كلهم، والعسى من الله عز وجل واجب.

فرجع النبى ﷺ، وقال له جبريل، عليه السلام: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ المدينة، ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾، يعنى آمنًا على رغم أنف اليهود، ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾ من المدينة إلى مكة، ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾، يعنى آمنًا على رغم أنف كفار مكة ظاهرًا عليهم، ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ﴾، يعنى من عندك، ﴿سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ [آية: ٨٠]، يعنى النصر على أهل مكة، ففعل الله تعالى ذلك به، فافتتحها.

فلما افتتحها رأى ثلاثمائة وستين صنمًا حول الكعبة، وأساف ونائلة أحدهما عند الركن، والآخر عند الحجر الأسود، وفى يدى النبى ﷺ قضيب، فجعل النبى ﷺ يضرب رءوسهم، ويقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾، يعنى الإسلام، ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾، يعنى وذهب عبادة الشيطان، يعنى الأوثان، ﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ﴾، يعنى إن عبادة الشيطان، يعنى عبادة الأصنام، ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾ [آية: ٨١]، يعنى ذاهبًا، مثل قوله سبحانه: ﴿**فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾ [الأنبياء: ١٨]، يعنى ذاهب.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ للقلوب، يعنى بيانًا للحلال والحرام، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب لمن آمن بالقرآن، قوله سبحانه: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ﴾ القرآن

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [آية: ٨٢]، يعنى خسرانًا.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾، يعنى الكافر بالخير، يعنى الرزق، ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الدعاء، ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾، يقول: وتباعد بجانبه، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾، يعنى وإذا أصابه الفقر، ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [آية: ٨٣]، يعنى آيسًا من الخير.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾، المحسن والمسيء على شاكلته، على جديلته التى هو عليها، ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [آية: ٨٤].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾، نزلت فى أبى جهل وأصحابه، ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾، وهو ملك عظيم على صورة إنسان أعظم من كل مخلوق غير العرش، فهو حافظ على الملائكة، وجهه كوجه الإنسان، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ٨٥]، عند كثيرًا عندكم، وذلك أن اليهود قالوا للنبى ﷺ: إن فى التوراة علم كل شىء، وقال الله تبارك وتعالى للنبى ﷺ: قل لليهود: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، عندى كثيرًا عندكم، وعلم التوراة عندكم كثير.

فقالوا للنبى ﷺ: من قال هذا؟ فوالله ما قاله لك إلا عدو لنا، يعنون جبريل، عليه السلام، ثم قالوا للنبى ﷺ: خاصة لنا إنا لم نؤت من العلم إلا قليلاً؟ فقال النبى ﷺ: «بل الناس كلهما عامة»، فقالوا للنبى ﷺ: ولا أنت ولا أصحابك؟ فقال: «نعم»، فقالوا: كيف تجمع بين هاتين؟ تزعم أنك أوتيت الحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرًا كثيرًا، وتزعم أنك لم تؤت من العلم إلا قليلاً، فنزلت: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِى الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ...**﴾ [لقمان: ٢٧] إلى آخر الآية، ونزلت: ﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا...**﴾ [الكهف: ١٠٩] إلى آخر الآية.

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القرآن، وذلك حين

دعى النبى ﷺ إلى دين آبائه، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا﴾ [آية: ٨٦]، يعنى مانعًا يمنعك منا.

فاستثنى عز وجل: ﴿إِلَّا رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۚ﴾، يعنى القرآن كان رحمة من ربك اختصك بها، ﴿إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرًا﴾ [آية: ٨٧]، يعنى عظيمًا حين اختصك بذلك.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٌ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبًا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ﴾، وذلك أن الله عز وجل أنزل فى سورة هود: ﴿**قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ**﴾ [هود: ١٣]، فلم يطيقوا ذلك، فقال الله تبارك وتعالى لهم فى سورة يونس: ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ**﴾ [يونس: ٣٨] واحدة مثله، فلم يطيقوا ذلك، وأخبر الله تبارك وتعالى النبى ﷺ، فقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ﴾، فعان بعضهم بعضًا، ﴿عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ﴾، يقول: لا يقدرون على أن يأتوا بمثله، ﴿وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ ظَهِيرًا﴾ [آية: ٨٨]، يعنى معينًا.

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ﴾، يعنى ضربنا، ﴿فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾، يعنى من كل شبه فى أمور شتى، ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [آية: ٨٩]، يعنى إلا كفرًا بالقرآن.

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾ [آية: ٩٠]، يعنى من أرض مكة ينبوعًا، يعنى عينًا تجرى، وذلك أن أبا جهل قال للنبى ﷺ: سير لنا الجبال، أو

أبعث لنا الموتى فنكلمهم، أو سخر لنا الريح، فقال النبى ﷺ: «لا أطيق ذلك»، فقال عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى، وهو ابن عم أبى جهل، والحارث بن هشام، وهما ابنا عم، فقالا: يا محمد، إن كنت لست فاعلاً لقومك شيئًا مما سألوك، فأرنا كرامتك على الله بأمر تعرفه، فجر لبنى أبيك ينبوعًا بمكة مكان زمزم، فقد شق علينا الميح.

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾، يعنى بستانًا، ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا﴾ [آية: ٩١]، يقول: تجرى العيون فى وسط النخيل، والأعناب، والشجر.

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ [آية: ٩٢].

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾، يعنى من ذهب، فإن لم تستطع شيئًا من هذا، فأسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا، يعنى جانبًا من السماء، كما زعمت فى سورة سبأ: ﴿**إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا**﴾، يعنى جانبًا، ﴿**مِّنَ السَّمَاء**﴾ [سبأ: ٩].

ثم قال: والذى يحلف به عبد الله، لا أصدقك ولا أؤمن بك حتى تسند سلمًا، فترقى فيها إلى السماء، وأنا أنظر إليك، فتأتى بكتاب من عند الله عز وجل بأنك رسوله، أو يأمرنا باتباعك، وتجئ الملائكة يشهدون أن الله كتبه، ثم قال: والله ما أدرى إن فعلت ذلك أؤمن بك أم لا، فذلك قوله سبحانه: ﴿**أَوْ تَأْتِىَ بِاللّهِ**﴾، معاينة، فيخبرنا أنك نبى رسول، أو تأتى بالملائكة قبيلاً، يعنى كفيلاً، يشهدون بأنك رسول الله عز وجل.

فذلك قوله: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾، يعنى من السماء، ﴿كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ من الله عز وجل بأنك رسوله خاصة، فأنزل الله تعالى، ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [آية: ٩٣]، نزه نفسه جل جلاله عن تكذيبهم إياه لقولهم لم يبعث محمدًا ﷺ رسولاً، يقول: ما أنا إلا رسول من البشر.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾، يعنى رءوس كفار مكة، ﴿أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾، يعنى أن يصدقوا بالقرآن، ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾، يعنى البيان، وهو القرآن؛ لأن القرآن هدى من الضلالة، ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [آية: ٩٤]، نزلت فى المستهزئين والمطعمين ببدر.

فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾، يعنى مقيمين بها، مثل قوله سبحانه فى النساء: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾، يقول: فإذا أقمتم، ﴿فَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٣]، ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [آية: ٩٥].

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، يقول: فلا أحد أفضل من الله شاهدًا بأنى رسول الله إليكم، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [آية: ٩٦]، حين اختص محمدًا ﷺ بالرسالة.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ لدينه، ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ﴾ عن دينه، ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾، يعنى أصحابًا من دون الله يهدونهم إلى الإسلام من الضلالة، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بعد الحساب، ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾، قالوا للنبى ﷺ: كيف يمشون على وجوههم؟ قال لهم النبى ﷺ: «من أمشاهم على أقدامهم؟»، قالوا: الله أمشاهم، قال النبى ﷺ: «فإن الذى أمشاهم على أقدامهم هو الذى يمشيهم على وجوههم.

ثم قال سبحانه: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾، وذلك إذا قيل لهم: ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فصاروا فيها عميًا لا يبصرون أبدًا، وصمًا لا يسمعون أبدًا، ثم قال: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ﴾، يعنى مصيرهم ﴿جَهَنَّمُ﴾، قوله سبحانه: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾، وذلك إذا أكلتهم النار، فلم يبق منهم غير العظام، وصاروا فحمًا، سكنت النار، هو الخبت، ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [آية: ٩٧]، وذلك أن النار إذا أكلتهم بدلوا جلودًا غيرها جددًا فى النار، فتسعر عليهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾، يعنى وقودًا، فهذا أمرهم أبدًا.

و ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب والنار، ﴿جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعنى بآيات القرآن، ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾، يعنى ترابًا، ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [آية: ٩٨]، يعنون البعث سيرة الخلق الأول، منهم أبى بن خلف، وأبو الأشدين، يقول الله: ليعتبروا.

﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩) قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا (١٠٠)﴾

﴿۞ أَوَلَمْ يَرَوْا﴾، يقول: أو لم يعلموا، ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾، يعني مثل خلقهم في الآخرة، يقول: لأنهم مقرون بأن الله خلقهم، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ولا يقدرون أن يقولوا غير ذلك، وهم مع ذلك يعبدون غير الله عز وجل كما خلقهم في الدنيا.

فخلق السموات والأرض أعظم وأكبر من خلق الإنسان؛ لأنهم مقرون بأن الله خلقهم وخلق السموات والأرض، ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾ مسمى يبعثون فيه، ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾، يعني لا شك فيه في البعث أنه كائن، ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [آية: ٩٩]، يعني إلا كفرًا بالبعث، يعني مشركي مكة.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾، يعني مفاتيح الرزق، يعني مقاليد السموات، يقول: لو كان الرزق بأيديكم وكنتم تقسمونه، ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ﴾، لأمسكتموه مخافة الفقر والفاقة، ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ﴾، يعني الكافر، ﴿قَتُورًا﴾ [آية: ١٠٠]، يعني بخيلاً ممسكًا عن نفسه.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢) فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا (١٠٣)﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾، يعني أعطينا ﴿مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، يعني واضحات: اليد، والعصا بالأرض المقدسة، وسبع آيات بأرض مصر: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، والطمس على الدنانير والدراهم، أولها العصا، وآخرها الطمس، ﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عن ذلك، ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ موسى بالهدى، ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾، يقول: إني لأحسبك، ﴿يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [آية: ١٠١]، يعني مغلوبًا على عقله.

﴿قَالَ﴾ موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعون، ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ هؤلاء الآيات التسع، ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾، يعنى تبصرة وتذكرة، ولن يقدر أحد على أن يأتى أحد بآية واحدة مثل هذه، ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ﴾، يعنى لأحسبك، ﴿يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [آية: ١٠٢]، يعنى ملعونًا، اسمه: فيطوس.

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾، يعنى أن يخرجهم من أرض مصر، مثل قوله سبحانه: ﴿**وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا**﴾ [الإسراء: ٧٦]، يعنى أرض المدينة، ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ [آية: ١٠٣] من الجنود.

﴿**وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾**﴾

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾، يعنى من بعد فرعون، ﴿لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، وهم سبعون ألفًا من وراء نهر الصين معهم التوراة: ﴿ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ﴾، وذلك من بعد موسى، ومن بعد يوشع بن نون، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾، يعنى ميقات الآخرة، يعنى يوم القيامة، ﴿جِئْنَا بِكُمْ﴾ وبقوم موسى، ﴿لَفِيفًا﴾ [آية: ١٠٤]، يعنى جميعًا.

فهم وراء الصين، فساروا من بيت المقدس فى سنة ونصف سنة، ستة آلاف فرسخ، وبينهم وبين الناس نهر من رمل يجرى، اسمه: أردف، يجمد كل سبت، وذلك أن بنى إسرائيل قتلوا الأنبياء، وعبدوا الأوثان، فقال المؤمنون منهم: اللهم فرق بيننا وبينهم، فضرب الله عز وجل سربًا فى الأرض من بيت المقدس إلى وراء الصين، فجعلوا يسيرون فيه، يفتح أمامهم ويسد خلفهم، وجعل لهم عمودًا من نار، فأنزل الله عز وجل عليهم المن والسلوى، كل ذلك فى المسير، وهم الذين ذكرهم الله عز وجل فى الأعراف: ﴿**وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٥٠].

فلما أسرى بالنبى ﷺ تلك الليلة، أتاهم فعلمهم الأذان، والصلاة، وسورًا من القرآن، فأسلموا، فهم القوم المؤمنون، ليست لهم ذنوب، وهم يجامعون نساءهم بالليل، وأتاهم جبريل، عليه السلام، مع النبى ﷺ، فسلموا عليه قبل أن يسلم عليهم، فقالوا للنبى ﷺ: لولا الخطايا التى فى أمتك لصافحتهم الملائكة.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾، لما كذب كفار مكة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾،

من اللوح المحفوظ، يعنى القرآن على محمد ﷺ، ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ به جبريل، عليه السلام، لم ينزله باطلاً لغير شىء، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة، ﴿وَنَذِيرًا﴾ [آية: ١٠٥] من النار.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾، يعنى قطعناه، يعنى فرقناه بين أوله وآخره، عشرون سنة تترى، لم ننزله جملة واحدة، مثلها فى الفرقان: ﴿لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً﴾ [الفرقان: ٣٢]، ﴿لِـ﴾ كى ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾[1]، يعنى على ترتيل للحفظة، ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [آية: ١٠٦] فى ترسل آيات، ثم بعد آيات، يعنى القرآن.

﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ﴾، يعنى القرآن، ﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾، يقول: صدقوا بالقرآن أو لا تصدقوا به، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ بالتوراة ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾، يعنى من قبل هذا القرآن، ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، يعنى القرآن، يعنى عبد الله بن سلام واصحابه، ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾، يعنى يقعون لوجوههم، ﴿سُجَّدًا﴾ [آية: ١٠٧].

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾، الذى أنزله، يعنى القرآن أنه من الله عز وجل، ﴿إِن كَانَ﴾، يعنى لقد كان، ﴿وَعْدُ رَبِّنَا﴾ فى التوراة، ﴿لَمَفْعُولًا﴾ [آية: ١٠٨] أنه منزله على محمد ﷺ، فكان فاعلاً.

﴿وَيَخِرُّونَ﴾، يعنى ويقعون، ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ لوجوههم سجدًا، ﴿يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [آية: ١٠٩]، يقول: يزيدهم القرآن تواضعًا، لما فى القرآن من الوعد والوعيد.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾، وذلك أن رجلاً من المسلمين دعا الله عز وجل،

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٧٧، القرطبى ٣٢٩/١٠، الفراء ١٣٣/٢، الإتحاف ٢٨٧، النحاس ٢٦٣/٢، الكشاف ٤٦٩/٢، التبيان ٥٣٠/٦، البحر المحيط ٨٧/٦).

ودعا الرحمن فى صلاته، فقال أبو جهل بن هشام: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربًا واحدًا، فما بال هذا يدعو ربين اثنين، أولستم تعلمون أن الله اسم، والرحمن اسم، قالوا: بلى، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾.

فدعا النبى ﷺ الرجل، فقال: «يا فلان، ادع الله، أو ادع الرحمن، ورغم لآناف المشركين»، ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟﴾، يقول: فأيهما تدعو، ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، يعنى الأسماء الحنى التى فى آخر الحشر، وسائر ما فى القرآن، ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾، وذلك أن النبى ﷺ كان بمكة يصلى إلى جانب دار أبى سفيان عند الصفا، فجهر بالقرآن فى صلاة الغداة، فقال أبو جهل: لم تفترى على الله، فإذا سمع ذلك منه خفض صوته، فلا يسمع أصحابه القرآن، فقال أبو جهل: ألم تروا يا معشر قريش ما فعلت بابن أبى كبشة حتى خفض صوته، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾، يعنى بقراءتك فى صلاتك، فيسمع المشركين فيوءذوك، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، يقول: ولا تسر بها، يعنى بالقرآن، فلا يسمع أصحابك، ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [آية: ١١٠]، يعنى مسلكًا، يعنى بين الخفض والرفع.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وذلك أن اليهود قالوا: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت العرب: إن لله عز وجل شريكًا من الملائكة، فأكذبهم الله عز وجل فيها، فنزه نفسه تبارك وتعالى مما قالوا، فأنزل الله جل جلاله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، الذى علمك هذه الآية، ﴿ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾، عزيرًا وعيسى، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ﴾ من الملائكة، ﴿فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ﴾، يعنى صاحبًا ينتصر به، ﴿مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾، كما يلتمس الناس النصر، إن فاجأهم أمر يكرهونه، ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [آية: ١١١]، يقول: وعظمه يا محمد تعظيمًا، فإنه من قال: إن لله عز وجل ولدًا، أو شريكًا، لم يعظمه، يقول: نزهه عن هذه الخصال التى قالت النصارى، واليهود، والعرب.

* * *

سُورَةُ الكَهْف

مكية كلها

وفيها من المدنى قوله تعالى من أولها، إلى قوله:

﴿...أحْسَنُ عَمَلاً﴾ [آية: ١ - ٧]

عددها مائة وعشر آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وذلك أن اليهود قالوا: يزعم محمد أنه لا ينزل عليه الكتاب مختلفًا، فإن كان صادقًا بأنه من الله عز وجل، فلما يأت به مختلفًا، فإن التوراة نزلت كل فصل على ناحية، فأنزل الله فى قولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى القرآن، ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [آية: ١]، يعنى مختلفًا.

أنزله ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيمًا، ﴿لِّيُنذِرَ﴾ محمد ﷺ بما فى القرآن، ﴿بَأْسًا﴾، يعنى عذابًا، ﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾، يعنى من عنده، فقال النبى ﷺ لليهود: «أدعوكم إلى الله عز وجل، وأنذركم بأسه، فإن تتوبوا يكفر عنكم سيئاتكم، ويؤتكم أجوركم مرتين»، فقال كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، وحيى بن أخطب، وفنحاص اليهودى، ومن أهل قينقاع: أليس عزير ولد الله، فأدعوه ولدًا لله؟ فقال النبى ﷺ: «أعوذ بالله أن أدعو لله تبارك وتعالى ولدًا، ولكن عزير عبد الله داخر»، يعنى صاغرًا، قالوا: فإنا نجده فى كتابنا وحدثتنا به آباؤنا، فاعتزلهم النبى ﷺ حزينًا، فقال أبو بكر، وعمر، وعثمان بن مظعون، وزيد بن حارثة، رضى الله عنهم، للنبى ﷺ: لا يحزنك قولهم وكفرهم، إن الله معنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بثواب ما فى القرآن، يعنى هؤلاء النفر،

﴿ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنًا﴾ [آية: ٢]، يعنى جزاء كريمًا، يعنى الجنة.

﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ﴾، يعنى الجزاء فى الجنة، يقول: مقيمين فيها، ﴿أَبَدًا﴾ [آية: ٣].

ثم ذكر اليهود، فقال: ﴿وَيُنذِرَ﴾ محمد ﷺ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [آية: ٤]، يعنون عزيرًا.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ﴾، لقولهم: نجده فى كتابنا، وحدثتنا به آباؤنا، قال الله تعالى: ﴿كَبُرَتۡ﴾، يعنى عظمت، ﴿كَلِمَةً تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن﴾ (١)، يعنى ما ﴿يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [آية: ٥]؛ لقولهم: عزير ابن الله عز وجل.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾

ثم قال للنبى ﷺ حين أحزنه قولهم، قال سبحانه: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾، يعنى فعساك، ﴿بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾، يعنى قاتلاً نفسك على آثارهم، يعنى عليهم أسفًا، يعنى حزنًا، نظيرها فى الشعراء: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الشعراء: ٣]، يقول: قاتل نفسك حزنًا، فى التقديم، ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾، يعنى لم يصدقوا بالقرآن، ﴿أَسَفًا﴾ [آية: ٦].

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ من النبت عامًا بعام، ﴿زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ﴾، يعنى لنختبرهم، ﴿أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [آية: ٧].

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ﴾ فى الآخرة، ﴿مَا عَلَيۡهَا﴾، يعنى ما على الأرض من شىء، ﴿صَعِيدٗا﴾، يعنى مستويًا، ﴿جُرُزًا﴾ [آية: ٨]، يعنى ملساء ليس عليها جبل، ولا نبت، كما خلقت أول مرة.

---

(١) انظر: (الفراء ٢/١٣٤، الكشاف ٢/٤٧٢، الأخفش ٢/٣٩٣، الإتحاف ٢٨٨، النحاس ٢/٢٦٦، البحر المحيط ٦/٩٧، الطبرى ١٥/١٢٩، القرطبى ١٠/٣٥٣، التبيان ٧/٧، مجمع البيان ٦/٤٤٨).

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾، والكهف ثقب يكون فى الجبل كهيئة الغار، واسمه: بانجلوس، ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾، كتاب كتبه رجلان قاضيان صالحان، أحدهما ماتوس، والآخر أسطوس، كانا يكتمان إيمانهما، وكانا فى منزل دقيوس الجبار، وهو الملك الذى فر منه الفتية، وكتبا أمر الفتية فى لوح من رصاص، ثم جعلاه فى تابوت من نحاس، ثم جعلاه فى البناء الذى سدوا به باب الكهف، فقال: لعل الله عز وجل أن يطلع على هؤلاء الفتية؛ ليعلموا إذا قرأوا الكتاب، قال سبحانه: ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [آية: ٩].

يقول سبحانه: أوحينا إليك من أمر الأمم الخالية، وعلمناك من أمر الخلق، وأمر ما كان، وأمر ما يكون قبل أصحاب الكهف، فهو أعجب من أصحاب الكهف، وليس أصحاب الكهف بأعجب مما أوحينا إليك، ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾، يعنى بالرقيم الكتاب الذى كتبه القاضيان، مثل قوله عز وجل: ﴿**كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّار لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ**﴾ [المطففين: ٧ - ٩]، يعنى كتاب مكتوب، ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾، يخبره به.

وذلك أن أبا جهل قال لقريش: ابعثوا نفرًا منكم إلى يهود يثرب، فيسألونهم عن صاحبكم أنبى هو أم كذاب؟ فإنا نرى أن ننصرف عنه، فبعثوا خمسة نفر، منهم: النضر بن الحارث، وعقبة بن أبى معيط، فلما قدموا المدينة، قالوا لليهود: أتيناكم لأمر حدث فينا لا يزداد إلا نماء، وإنا له كارهون، وقد خفنا أن يفسد علينا ديننا، ويلبس علينا أمرنا، وهو حقير فقير يتيم، يدعو إلى الرحمن، ولا نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب، وقد علمتم أنه لم يأمر قط إلا بالفساد والقتال، ويأتيه بذلك زعم جبريل، عليه السلام، وهو عدو لكم، فأخبرونا هل تجدونه فى كتابكم؟

قالوا: نجد نعته كما تقولون، قالوا: إن فى قومه من هو أشرف منه، وأكبر سنًا، فلا نصدقه، قالوا: نجد قومه أشد الناس عليه، وهذا زمانه الذى يخرج فيه، قالوا: إنما يعلمه

الكذاب مسيلمة، فحدثونا بأشياء نسأله عنها لا يعلمها مسيلمة، ولا يعلمها إلا نبى، قالوا: سلوه عن ثلاث خصال، فإن أصابهن فهو نبى، وإلا فهو كذاب، سلوه عن أصحاب الكهف، فقصوا عليهم أمرهم، وسلوه عن ذى القرنين، فإنه كان ملكًا، وكان أمره كذا وكذا، وسلوه عن الروح، فإن أخبركم عنه بقليل أو كثير، فهو كذاب، فقصوا عليهم، فرجعوا بذلك وأعجبهم.

فأتوا النبى ﷺ، فقال أبو جهل: يا ابن عبد المطلب، إنا سائلوك عن ثلاث خصال، فإن علمتهن فأنت صادق، وإلا فأنت كاذب، فذر ذكر آلهتنا، فقال النبى ﷺ: «ما هن؟ سلونى عما شئتم»، قالوا: نسألك عن أصحاب الكهف، فقد أخبرنا عنهم، ونسأل عن ذى القرنين، فقد أخبرنا عنه بالعجب، ونسألك عن الروح، فقد ذكر لنا من أمره عجب، فإن علمتهن، فأنت معذور، وإن جهلتهن، فأنت مغرور مسحور، فقال لهم النبى ﷺ: «ارجعوا إلىَّ غدًا أخبركم»، ولم يستثن، فمكث النبى ﷺ ثلاثة أيام.

ثم أتاه جبريل، عليه السلام، فقال النبى ﷺ: «يا جبريل، إن القوم سألونى عن ثلاث خصال»، فقال جبريل، عليه السلام: بهن أتيتك، إن الله عز وجل يقول: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾، ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً﴾، من عندك رحمة، يعنى رزقًا، ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا﴾ [آية: ١٠]، يعنى تيسيرًا، فيها تقديم.

﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾، رقودًا، ﴿فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [آية: ١١]، يعنى ثلاثمائة سنة وتسع سنين.

﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾، من بعد نومهم، ﴿لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ﴾، يعنى لنرى مؤمنهم ومشركهم، ﴿أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ﴾ فى رقودهم، ﴿أَمَدًا﴾ [آية: ١٢]، يعنى أجلاً، فكان مؤمنوهم الذين كتبوا أمر الفتية هم أعلم بما لبثوا من كفارهم، فلما بعثوا، يعنى الفتية من نومهم، أتوا القرية، فأسلم أهل القرية كلهم.

﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ

وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾، يعني صدقوا بتوحيد ربهم، ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [آية: ١٣]، حين فارقوا قومهم.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالإيمان، ﴿إِذْ قَامُوا۟﴾، على أرجلهم قيامًا، ﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا﴾ هو ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟﴾، يعني لن نعبد ﴿مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾، يعني بربًا غير الله عز وجل، كفعل قومنا، ولئن فعلنا، ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا﴾ على الله ﴿شَطَطًا﴾ [آية: ١٤]، يعني جورًا، نظيرها في ص: ﴿وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا﴾ [ص: ٢٢]، وفي سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن: ٤].

ثم قال سبحانه: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾، يعبدونها، ﴿لَّوْلَا﴾،

يعنى هلا، ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ﴾ ، يعنى على الآلهة بحجة بينة بأنها آلهة، ﴿فَمَنْ﴾ ، يعنى فلا أحد، ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [آية: ١٥]، بأن معه آلهة.

ثم قال الفتية بعضهم لبعض: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ ، من دون الله من الآلهة، ثم استثنوا، فقالوا: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ، فلا تعتزلوا معرفته؛ لأنهم عرفوا أن الله تعالى ربهم، وهو خلقهم وخلق الأشياء كلها، ثم قال بعضهم لبعض: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ ، يعنى انتهوا إلى الكهف، كقوله سبحانه: ﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ [الكهف: ٦٣]، ﴿يَنشُرْ لَكُمْ﴾ ، يعنى يبسط لكم، ﴿رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ رزقا، ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [آية: ١٦]، يعنى ما يرفق بكم، فهيأ الله لكم الرقود فى الغار، فكان هذا من قول الفتية.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ [1]، يعنى تميل عن كهفهم فتدعهم، ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت﴾ الشمس، ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾ ، يعنى تدعهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ ، يعنى فى زاوية من الكهف، ﴿ذَٰلِكَ﴾ ، يعنى هذا الذى ذكر من أمر الفتية، ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ، يعنى من علامات الله وصنعه، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ لدينه، ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ﴾ ، عن دينه الإسلام، ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا﴾ ، يعنى صاحبًا، ﴿مُّرْشِدًا﴾ [آية: ١٧]، يعنى يرشده إلى الهدى؛ لأن وليه مثله فى الضلالة.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ ، حين يقلبون، وأعينهم مفتحة. حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا أبى، عن الهذيل، قال: قال مقاتل، عن الضحاك: كان يقلبهم جبريل، عليه السلام، كل عام مرتين؛ لئلا تأكل الأرض لحومهم، ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ ، يعنى نيام، ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ ، على جنوبهم، وهم رقود لا يشعرون، ﴿وَكَلْبُهُم﴾ ، اسمه: قمطير، ﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ ، يعنى الفضاء الذى على باب الكهف، وكان الكلب لمكسلمينا، وكان راعى غنم، فبسط الكلب ذراعيه على باب الكهف؛ ليحرسهم، وأنام الله عز وجل الكلب فى تلك السنين، كما أنام الفتية، يقول للنبى ﷺ: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ، حين نقلبهم، ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [آية: ١٨].

---

(١) انظر: (الفراء ٢/١٣٦، الطبرى ١٥/١٣٩ البحر المحيط ٦/١٠٧، التبيان ٧/١٦، العكبرى ٢/٥٥، النحاس ٢/٢٦٦، القرطبى ١٠/٣٦٦).

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، يعنى وهكذا، ﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾ من نومهم فقاموا، ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ﴾، فـ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنْهُمْ﴾، وهو مكسلمينا، وهو أكبرهم سنًا، ﴿كَمْ لَبِثْتُمْۖ﴾ رقودًا، ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا﴾، وكانوا دخلوا الغار غدوة، وبعثوا من آخر النهار، فمن ثم قالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٖۚ قَالُواْ﴾، يعنى الأكبر، وهو مكسلمينا وحده، ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ فى رقودكم منكم، فردوا العلم إلى الله عز وجل، ثم قال مكسلمينا: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾(١)، يعنى الدراهم، ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ التى معكم، ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾، فبعثوا يمليخا، ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾، يعنى أطيب طعامًا، ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٖ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، يعنى وليترفق حتى لا يفطن له، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [آية: ١٩]، يعنى ولا يعلمن بمكانكم أحدًا من الناس.

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾، يعنى يقتلوكم، ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ﴾، يعنى فى دينهم الكفر، ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ [آية: ٢٠]، كان هذا من قول مكسلمينا، يقوله للفتية، فلما ذهب يمليخا إلى القرية، أنكروا دراهم دقيوس الجبار، الذى فر منه الفتية، فلما رأوا ذلك، قالوا: هذا رجل كنزًا، فلما خاف أن يعذب، لأخبرهم بأمر الفتية، فانطلقوا معه إلى الكهف، فلما انتهى يمليخا إلى الكهف ودخل، سد الله عز وجل باب الكهف عليهم، فلم يخلص إليهم أحد.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا﴾، يقول: وهكذا أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ﴾، يعنى ليعلم كفارهم ومكذبوهم بالبعث إذا نظروا إليهم، ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ فى البعث أنه كائن، ﴿وَ﴾ ليعلموا ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ آتية، يعنى قائمة، ﴿لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾، يعنى لا شك فيها، فى القيامة بأنها كائنة، ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ﴾، يعنى إذا يختلفون فى القول فى أمرهم، فكان التنازع بينهم أن قالوا: كيف نصنع بالفتية؟ قال بعضهم: نبنى عليهم بنيانًا، وقال بعضهم، وهم المؤمنون: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدٗا﴾ [آية: ٢١]، فبنوا مسجدًا على باب الكهف.

﴿سَيَقُولُونَ﴾، يعنى نصارى نجران: الفتية ﴿ثَلَٰثَةٞ﴾ نفر، ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٞ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾(٢)، يقول الله عز وجل: ﴿رَجْمَۢا بِٱلْغَيْبِۖ﴾، يعنى قذفًا

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤٧٦، الرازى ٢١/١٠٣، البحر المحيط ٦/١١٠، مجمع البيان ٦/٤٥٧).
(٢) انظر: (الكشاف ٢/٤٧٥، البحر المحيط ٦/١٠٦، العكبرى ٢/٥٥، مجمع البيان ٦/٤٥٤).

بالظن لا يستيقنونه، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ هم ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، وإنما صاروا بالواو واو؛ لأنه انقطع الكلام، وقال أبو العباس ثعلب: ألفوا هذه الواو الحال، كان المعنى: وهذه حالهم عند ذكر الكلب، هذا قول نصارى نجران السيد والعاقب ومن معهما من المار يعقوبيين، وهم حزب النصارى، ﴿قُل﴾ للنصارى: ﴿رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ من غيره، ﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ﴾، يعنى عدتهم، ثم استثنى: ﴿إِلَّا قَلِيلٞ﴾، قل: ما يعلم عدة الفتية إلا قليل من النسطورية، وهم حزب من النصارى، وأما الذين غلبوا على أمرهم، فهم المؤمنون الذين كانوا يقولون: ابنوا عليهم بنيانًا بنداسيس الصلح ومن معه، ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ﴾، يعنى لا تمار يا محمد النصارى فى أمر الفتية، ﴿إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾، يعني حقًا بما فى القرآن، يقول سبحانه: حسبك بما قصصنا عليك من أمرهم، ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ [آية: ٢٢]، يقول: ولا تسأل عن أمر الفتية أحدًا من النصارى.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ [آية: ٢٣].

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾، وذلك حين سأل أبو جهل وأصحابه عن أصحاب الكهف، فقال لهم النبى ﷺ: «ارجعوا إلىَّ غدًا حتى أخبركم»، ولم يستثن، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾، يقول: إذا ذكرت الاستثناء فاستثن، يقول الله: قل: إن شاء الله قبل أن ينزل الوحى إليك فى أصحاب الكهف، ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾ [آية: ٢٤]، لقول النبى ﷺ لهم: «ارجعوا إلىَّ غدًا حتى أخبركم عما سألتم»، فقال عز وجل للنبى ﷺ: وقل لهم عسى أن يرشدنى ربى لأسرع من هذا الميعاد رشدًا.

﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾﴾

ثم قالت النصارى أيضًا: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ﴾ رقودًا، ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ [آية: ٢٥]، فيها تقديم، لا تتغير ألوانهم، ولا أشعارهم، ولا ثيابهم.

﴿قُلِ﴾ لنصارى نجران يا محمد: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ فى رقودهم، ﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾، يعنى ما يكون فى السموات والأرض، ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾،

يقول: لا أحد أبصر من الله عز وجل بما لبثوا فى رقودهم، ولا أحد أسمع، ﴿مَا لَهُم﴾، يعنى النصارى، ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾، يعنى قريبًا ينفعهم، ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾ الله ﴿فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [آية: ٢٦].

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾، يقول: أخبر كفار مكة الذين سألوا عن أصحاب الكهف بما أوحينا إليك من أمرهم، لا تنقص ولا تزيد، ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾، يقول: لا تحويل لقوله؛ لأن قوله تعالى ذكره حق، ثم حذر الله عز وجل نبيه ﷺ إن زاد أو نقص، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [آية: ٢٧]، يعنى مدخلاً، يقول: لا تقل فى أصحاب الكهف إلا ما قد قيل لك، فإن فعلت فإنك لن تجد من دون الله عز وجل ملجأ تلجأ إليه ليمتعك منا.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾، يعنى يعبدون ربهم، يعنى بالصلاة له، ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾، طرفى النهار، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾، يعنى يبتغون بصلاتهم وصومهم وجه ربهم، ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[(١)]، نزلت فى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو الفزارى، وذلك أنه دخل على النبى ﷺ وعنده الموالى وفقراء العرب، منهم: بلال بن رباح المؤذن، وعمار بن ياسر، وصهيب بن سنان، وخباب بن الأرت، وعامر بن فهيرة، ومهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب، وهو أول شهيد قتل يوم بدر، رضى الله عنهم، وأيمن ابن أم أيمن، ومن العرب أبو هريرة الدوسى، وعبد الله بن مسعود الهذلى، وغيرهم، وكان على بعضهم شملة قد عرق فيها.

فقال عيينة بن حصن للنبى ﷺ: إن لنا شرفًا وحسبًا، فإذا دخلنا عليك فاعرف لنا

---

(١) انظر: (الكشاف ٤٨٢/٢، الرازى ١١٥/٢١، البحر المحيط ١١٩/٦، العكبرى ٥٦/٢، مجمع البيان ٢٧/٢).

ذلك، فأخرج هذا وضرباءه عنا، فوالله إنه ليؤذينا ريحه، يعنى جبته آنفًا، فإذا خرجنا من عندك فأذن لهم إن بدا لك أن يدخلوا عليك، فاجعل لنا مجلسًا ولهم مجلس، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [(1)]، يعنى القرآن، ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾، يعنى وآثر هواه، ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ﴾ الذى يذكر من شرفه وحسبه، ﴿فُرُطًا﴾ [آية: ٢٨]، يعنى ضائعًا فى القيامة، مثل قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، يعنى ما ضيعنا.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾، يعنى القرآن، ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾، هذا وعيد، نظيرها فى حم السجدة: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٥]، يعنى من شاء فليصدق بالقرآن، ومن شاء فليكفر بما فيه، ثم ذكر مصير الكافر والمؤمن، فقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾، وذلك أنه يخرج عنق من النار فيحيط بهم، فذلك السرادق، ثم قال سبحانه: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾، يقول: أسود غليظ كدردى الزيت، ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾، وذلك أنه إذا دنا من فيه، اشتوى وجهه من شدة حر الشراب، ثم قال سبحانه: ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [آية: ٢٩]، يقول: وبئس المنزل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

ثم ذكر مصير المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [آية: ٣٠]، يقول: لا نضيع أجر من أحسن العمل، ولكنا نجزيه بإحسانه.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، يقول: تجرى الأنهار من تحت البساتين، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾، وأساور من لؤلؤ، ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [(2)]، يعنى الديباج بلغة فارس، ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾، فى الجنة، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾، يعنى الحجال مضروبة على السرر، ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ الجنة، يثنى عليها عمل

---

(١) انظر: (مجمع البيان ٦/٤٦٤، الكشاف ٢/٤٨٢، العكبرى ٢/٥٦، البحر المحيط ٦/١٢٠).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٦/١٢٢، الإتحاف ٢٨٩).

الأبرار، ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [آية: ٣١]، فيها تقديم، يقول: إنا لا نضيع عمل الأبرار، لا نضيع جزاء من أحسن عملاً.

﴿۞وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿۞وَٱضْرِبْ لَهُم﴾، يعنى وصف لهم، يعنى لأهل مكة، ﴿مَّثَلًا﴾، يعنى شبهًا، ﴿رَّجُلَيْنِ﴾، أحدهما مؤمن واسمه يمليخا، والآخر كافر، واسمه فرطس، وهما أخوان من بنى إسرائيل مات أبوهما، فورث كل واحد منهما عن أبيه أربعة آلاف دينار، فعمد المؤمن فأنفق ماله على الفقراء واليتامى والمساكين، وعمد الكافر فاتخذ المنازل، والحيوان، والبساتين، فذلك قوله سبحانه: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾، يعنى الكافر، ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [آية: ٣٢].

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾، يعنى أعطت ثمراتها كلها، ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾، يعنى و لم تنقص من الثمر شيئًا، يعنى جمله وافرًا، نظيرها فى البقرة: ﴿**وَمَا ظَلَمُونَا**﴾ [البقرة: ٥٧]، يعنى وما نقصونا، ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [آية: ٣٣]، يعنى أجرينا النهر وسط الجنتين.

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾، يقول: وكان للكافر مال من الذهب والفضة، وغيرها من أصناف الأموال، فلما افتقر المؤمن، أتى أخاه الكافر متعرضًا لمعروفه، فقال له المؤمن: إنى أخوك،

وهو ضامر البطن، رث الثياب، والكفر ظاهر الدم، غليظ الرقبة، جيد المركب والكسوة، فقال الكافر للمؤمن: إن كنت كما تزعم أنك أخى، فأين مالك الذى ورثت من أبيك؟ قال: أقرضته إلهى الملى الوفى، فقدمته لنفسى ولولدى، فقال: وإنك لتصدق أن الله يرد دين العباد، هيهات هيهات، ضيعت نفسك، وأهلكت مالك، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَقَالَ﴾ الكافر ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾، وهو المؤمن، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾، يعنى يراجعه، يقول: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ [آية: ٣٤]، يعنى وأكثر ولدًا.

﴿وَدَخَلَ﴾ الكافر ﴿جَنَّتَهُۥ﴾، وهو بستانه، ﴿وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ﴾، يعنى ما أحسب، ﴿أَن تَبِيدَ﴾، يعنى أن تهلك، ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ الجنة ﴿أَبَدٗا﴾ [آية: ٣٥].

قال: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾، يعنى القيامة كائنة كما تقول، ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ فى الآخرة، ﴿لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا﴾، يعنى أفضل منها، من جنتى، ﴿مُنقَلَبٗا﴾ [آية: ٣٦]، يعنى مرجعًا.

فرد عليه، ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ المؤمن، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾، يعنى يراجعه: ﴿أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ﴾، يعنى آدم، عليه السلام؛ لأن أول خلقه التراب، ثم قال: ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ﴾، يعنى خلقك فجعلك ﴿رَجُلٗا﴾ [آية: ٣٧].

﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أقول: ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾[1] [آية: ٣٨].

ثم قال المؤمن للكافر: ﴿وَلَوۡلَآ﴾، يعنى هلا، ﴿إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ﴾، يعنى بستانك، ﴿قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾، يعنى فهلا قلت بمشيئة الله أعطيتها بغير حول منى ولا قوة، ثم قال المؤمن للكافر يرد عليه: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا﴾ [آية: ٣٩].

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا﴾، يعنى أفضل، ﴿مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا﴾، يعنى على جنتك، ﴿حُسۡبَانٗا﴾، يعنى عذابًا، ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ﴾ جنتك، ﴿صَعِيدٗا﴾، يعنى مستويًا ليس فيه شىء، ﴿زَلَقًا﴾ [آية: ٤٠]، يعنى أملسًا.

﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾، يعنى يغور فى الأرض فيذهب، ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾ [آية: ٤١]، يقول: فلن تقدر على الماء، ثم افترقا، فأرسل الله عز وجل على جنته بالليل

---

(١) انظر: (القرطبى ١٠/٤٠٥، الكشاف ٢/٤٨٥، البحر المحيط ٦/١٢٨، الإتحاف ٢٩٠، النحاس ٢/٢٧٦، التبيان ٧/٤٨، مجمع البيان ٦/٤٦٩).

عذابًا من السماء، فاحترقت، وغار ماؤها بقوله: و ﴿**مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِ أَبَدًا**﴾، ﴿**وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً**﴾.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ الهلاك، فلما أصبح ورأى جنته هالكة، ضرب بكفه على الأخرى، ندامة على ما أنفق فيها، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾، يعنى يصفق بكفيه ندامة، ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾، يقول: ساقطة من فوقها، ﴿وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [آية: ٤٢].

يقول الله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يعنى جندًا يمنعونه من عذاب الله الذى نزل بجنته، ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [آية: ٤٣]، يعنى ممتنعًا.

﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ﴾، يعنى السلطان، ليس فى ذلك اليوم سلطان غيره، مثل قوله عز وجل: ﴿**وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّـهِ**﴾ [الانفطار: ١٩]، ليس فى ذلك اليوم أمر إلا لله عز وجل، والأمر أيضًا فى الدنيا، لكن جعل فى الدنيا ملوكًا يأمرون، ومن قرأها بفتح الواو، جعلها من الموالاة، ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ﴾، يعنى البعث الذى كفر به فرطس، ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ وحده، لا يملكه أحد، ولا ينازعه أحد، ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾، يعنى أفضل ثوابا، ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [آية: ٤٤]، يعنى أفضل عاقبة لهذا المؤمن من عاقبة هذا الكافر الذى جعل مرجعه إلى النار.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾، لكفار مكة، ﴿مَّثَلَ﴾، يعنى شبه، ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾، يعنى بالماء، ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ﴾ النبت ﴿هَشِيمًا﴾، يعنى يابسًا، ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ﴾، يقول سبحانه: مثل الدنيا، كمثل النبت، بينما هو أخضر، إذ هو قد يبس وهلك، فكذلك تهلك الدنيا إذا جاءت الآخرة، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾

من البعث وغيره، ﴿مُّقْتَدِرًا﴾ [آية: ٤٥].

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يعنى حسنها، ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾، يعنى: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ﴿خَيْرٌ﴾، يعنى أفضل، ﴿عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ فى الآخرة، ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [آية: ٤٦]، يعنى وأفضل رجاء مما يرجو الكافر، فإن ثواب الكافر من الدنيا النار، ومرجعهم إليها.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن مقاتل بن سليمان، عن علقمة بن مرثد وغيره، عن النبى ﷺ، أنه قال: «الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ من أماكنها، ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ من الجبال والبناء والشجر وغيره، ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [آية: ٤٧]، فلم يبق منهم أحد إلا حشرناه.

﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾، يعنى جميعًا، نظيرها فى طه: ﴿**ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا**﴾ [طه: ٦٤]، يعنى جميعًا، ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ فرادى ليس معكم من دنياكم شىء، ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾، حين ولدوا وليس لهم شىء، ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ فى الدنيا، ﴿أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [آية: ٤٨]، يعنى ميقاتًا فى الآخرة تبعثون فيه.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، بما كانوا عملوا فى الدنيا بأيديهم، ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾، من المعاصى، ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾، دعوا بالويل، ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ﴾، يعنى لا يبقى سيئة، ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾، يعنى إلا أحصى الكتاب السيئات، ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ﴾، يعنى تعجل له عمله كله، ﴿حَاضِرًا﴾، لا يغادر منه شيئًا، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [آية: ٤٩] فى عمله الذى عمل حتى يجزيه به.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، يعنى وقد قلنا للملائكة: ﴿ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾، وهو حى من الملائكة، يقال لهم: الجن،

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾، يعنى فعصى تكبرًا عن أمر ربه حين أمره بالسجود لآدم، قال الله عز وجل: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾، يعنى إبليس، ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾، يعنى الشياطين، ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾، يعنى آلهة من دونى، ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾، يعنى إبليس والشياطين لكم معشر بنى آدم عدو، ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾، يعنى المشركين، ﴿بَدَلًا﴾ [آية: ٥٠]، يقول: بئس ما استبدلوا بعبادة الله عز وجل، عبادة إبليس، فبئس البدل هذا.

﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾، يعنى ما أحضرتهم، ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾، يعنى إبليس وذريته، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ [آية: ٥١]، الذين أضلوا بنى آدم وذريته، ﴿عَضُدًا﴾، يعنى عزًا وعونًا فيما خلقت من خلق السموات والأرض ومن خلقهم.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ للمشركين، ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾، سلوا الآلهة، ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم معى شركاء، أهم آلهة؟ ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾، يقول: فسألوهم، فلم يجيبوهم بأنها آلهة، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ وبين شركائهم، ﴿مَّوْبِقًا﴾ [آية: ٥٢]، يعنى واديًا عميقًا فى جهنم.

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾، يعنى فعلموا أنهم مواقعوها، يعنى داخلوها، نظيرها فى براءة: ﴿وَظَنُّوا أن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إلاَّ إلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]، يعنى وعلموا، ﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [آية: ٥٣]، يقول: ولم يقدر أحد من الآلهة أن يصرف النار عنهم.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾، يعنى لونا، يعنى وصفنا، ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾، من كل شبه فى أمور شتى، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [آية: ٥٤].

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾، يعنى المستهزئين والمطعمين فى غزاة بدر، ﴿أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾، يعنى

أن يصدقوا بالقرآن، ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾، يعنى البيان، وهو القرآن، وهو هدى من الضلالة، ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ من الشرك، ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، يعنى أن ينزل بهم مثل عذاب الأمم الخالية فى الدنيا، فنزل ذلك بهم فى الدنيا ببدر من القتل، وضرب الملائكة الوجوه والأدبار، وتعجيل أرواحهم إلى النار، ثم قال سبحانه: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [آية: ٥٥]، يعنى عيانًا.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنة، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من النار؛ لقول كفار مكة للنبى ﷺ فى بنى إسرائيل: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٤]، ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة، ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾، وجدالهم بالباطل قولهم للرسل: ما أنتم إلا بشر مثلنا، وما أنتم برسل الله، ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾، يعنى ليبطلوا بقولهم الحق الذى جاءت به الرسل، عليهم السلام، ومثله قوله سبحانه فى حم المؤمن: ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥]، يعنى ليبطلوا به الحق، ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ [آية: ٥٦]، يعنى آيات القرآن وما أنذروا فيه من الوعيد استهزاء منهم، أنه ليس من الله عز وجل، يعنى القرآن والوعيد ليسا بشىء.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾، يقول: فلا أحد أظلم ممن وعظ بآيات ربه، يعنى القرآن، نزلت فى المطعمين والمستهزئين، فأعرض عن الإيمان بآيات الله القرآن، فلم يؤمن بها، ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، يعنى ترك ما سلف من ذنوبه، فلم يستغفر منها من الشرك، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، يعنى الغطاء على القلوب، ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾، يعنى القرآن، ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾؛ لئلا يسمعوا القرآن، ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ﴾ يا محمد ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [آية: ٥٧] من أجل الأكنة والوقر، يعنى كفار مكة.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ﴾، يعنى إذا تجاوز عنهم فى تأخير العذاب عنهم، ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾،

يعنى ذا النعمة حين لا يعجل بالعقوبة، ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ﴾ من الذنوب، ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ فى الدنيا، ﴿بَل﴾ العذاب ﴿لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾، يعنى ميقاتًا يعذبون فيه، ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [آية: ٥٨]، يعنى ملجأ يلجئون إليه.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ بالعذاب فى الدنيا، يعنى أشركوا، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾ بالعذاب، ﴿مَّوْعِدًا﴾ [آية: ٥٩]، يعنى ميقاتًا، وهكذا وقت هلاك كفار مكة ببدر.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾، يوشع بن نون، وهو ابن أخت موسى، من سبط يوسف بن يعقوب، عليهم السلام: ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾، يعنى لا أزال أطلب الخضر، وهو من ولد عاميل، من بنى إسرائيل، ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾[1]، يقال لأحدهما: الرش، وللآخر: الكر، فيجتمعان فيصيران نهرًا واحدًا، ثم يقع فى البحر من وراء أذربيجان، ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [آية: ٦٠]، يعنى دهرًا، ويقال: الحقب ثمانون سنة.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾، يعنى موسى ويوشع بن نون، ﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ بين البحرين، ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾، وذلك أن موسى، عليه السلام، لما علم ما فى التوراة، وفيها تفصيل

---

(١) انظر: (الفراء ٢/١٤٨، الكشاف ٢/٤٩٠، البحر المحيط ٦/١٤٤، العكبرى ٢/٥٨).

كل شيء، قال له رجل من بني إسرائيل: هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا، ما بقي أحد من عباد الله هو أعلم مني، فأوحى الله عز وجل إليه: أن رجلاً من عبادي يسكن جزائر البحر، يقال له: الخضر، هو أعلم منك، قال: فكيف لي به؟ قال جبريل، عليه السلام: احمل معك سمكة مالحة، فحيث تنساها تجد الخضر هنالك.

فسار موسى ويوشع بن نون، ومعهما خبز وسمكة مالحة في مكتل على ساحل البحر، فأوى إلى الصخرة قليلاً، والصخرة بأرض تسمى: مروان، على ساحل بحر أيلة، وعندها عين تسمى: عين الحياة، فباتا عندها تلك الليلة، وقرب موسى المكتل من العين وفيها السمكة، فأصابها الماء فعاشت، ونام موسى، فوقعت السمكة في البحر، فجعل لا يمس صفحتها شيء من الماء إلا انفلق عنه، فقام الماء من كل جانب، وصار أثر الحوت في الماء كهيئة السرب في الأرض، واقتصد الحوت في مجراه ليلحقاه، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [آية: ٦١]، يعني الحوت اتخذ سبيله، يعني طريقه في البحر سربًا، يقول: كهيئة فم القربة.

فلما أصبحا ومشيا، نسي يوشع بن نون أن يخبر موسى، عليه السلام، بالحوت حتى أصبحا وجاعا، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَىٰهُ﴾، ليوشع: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [آية: ٦٢]، يعني مشقة في أبداننا، مثل قوله سبحانه: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، يعني مشقة.

﴿قَالَ﴾ يوشع لموسى: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾، يعني انتهينا إلى الصخرة، وهي في الماء، ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾، أن أذكر لك أمره، ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾، يعني موسى، عليه السلام، طريقه ﴿فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [آية: ٦٣]، فعجب موسى من أمر الحوت.

فلما أخبر يوشع موسى، عليه السلام، بأمر الحوت، ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [آية: ٦٤]، يقول: فرجعا يقصان آثارهما، كقوله سبحانه في القصص: ﴿قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]، يعني اتبعي أثره، فأخذا، يعني موسى ويوشع، في البحر في أثر الحوت، حتى لقيا الخضر، عليه السلام، في جزيرة في البحر.

فذلك قوله سبحانه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾، قائمًا يصلي، ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾، يقول: أعطيناه النعمة، وهي النبوة، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [آية: ٦٥]،

يقول: من عندنا علمًا، وعلى الخضر، عليه السلام، جبة صوف، واسمه: اليسع، وإنما سمى اليسع؛ لأن علمه وسع ست سموات وست أرضين، فأتاه موسى ويوشع من خلفه، فسلما عليه، فأنكر الخضر السلام بأرضه وانصرف، فرأى موسى فعرفه، فقال: وعليك السلام يا نبى بنى إسرائيل، فقال موسى: وما يدريك أنى نبى بنى إسرائيل؟ قال: أدرانى الذى أرشدك إلىَّ وأدراك بى.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [آية: ٦٦]، يعنى علمًا، قال الخضر، عليه السلام: كفى بالتوراة علمًا، وببنى إسرائيل شغلاً، فأعاد موسى الكلام.

فـ﴿قَالَ﴾ الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [آية: ٦٧]، قال موسى: و لم؟ قال: لأنى أعمل أعمالاً لا تعرفها، ولا تصبر على ما ترى من العجائب حتى تسألنى عنه.

﴿وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾ [آية: ٦٨]، يعنى علمًا.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا﴾، قال مقاتل: فلم يصبر مولى، و لم يأثم بقوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا﴾، على ما رأى من العجائب، فلا أسألك عنها، ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ [آية: ٦٩] فيما أمرتنى به، أو نهتنى عنه.

﴿قَالَ﴾ الخضر، عليه السلام: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ [آية: ٧٠]، يقول: حتى أبين لك بيانه.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ﴾، فمرت سفينة فيها ناس، فقال الخضر: يا أهل السفينة، احملونا معكم فى بحر أيلة، قال بعضهم: إن هؤلاء لصوص، فلا تحملوهم معنا، قال صاحب السفينة: أرى وجوه أنبياء، وما هم بلصوص، فحملهم بأجر، فعمد الخضر فضرب ناحية السفينة بقدوم فخرقها، فدخل الماء فيها، فعمد موسى، فأخذ ثيابًا فدسها فى خرق السفينة، فلم يدخل الماء، وكان موسى، عليه السلام، ينكر الظلم، فقام موسى إلى الخضر، عليهما السلام، فأخذ بلحيته، و﴿قَالَ﴾ له سموى: ﴿أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾ [آية: ٧١]، يعنى لقد أتيت أمرًا منكرًا، فالتزمه الخضر، وذكره الصحبة، وناشده بالله، وركب الخضر على الخرق؛ لئلا يدخلها الماء.

﴿قَالَ﴾ له الخضر: ﴿أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [آية: ٧٢]، على ما ترى

من العجائب، قال يوشع لموسى: اذكر العهد الذى أعطيته من نفسك.

﴿ قَالَ﴾ موسى: ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي﴾، يعنى تغشينى، ﴿ مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [آية: ٧٣]، يعنى من قولى عسرًا، ثم قعد موسى مهمومًا يقول فى نفسه: لقد كنت غنيًا عن اتباع هذا الرجل، وأنا فى بنى إسرائيل أقرئهم كتاب الله عز وجل غدوة وعشيًا، فعلم الخضر ما حدث به موسى نفسه، وجاء طير يدور، يرون أنه خطاف، حتى وقع على ساحل البحر، فنكث بمنقاره فى البحر، ثم وقع على صدر السفينة، ثم صوت، فقال الخضر لموسى: أتدرك ما يقول هذا الطائر؟ قال موسى: لا أدرى، قال الخضر: يقول: ما علم الخضر وعلم موسى فى علم الله إلا كقدر ما رفعت بمنقارى من ماء البحر فى قدر البحر.

﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾

ثم خرجا من السفينة على بحر إيلة، ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾ سداسيًا، ﴿ فَقَتَلَهُ﴾ الخضر بحجر أسود، واسم الغلام: حسين بن كازرى، واسم أمه: سهوى، فلم يصبر موسى حين رأى المنكر ألا ينكره، فـ﴿ قَالَ﴾ للخضر: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾، يعنى لا ذنب لها، ولم يجب عليها القتل، ﴿ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [آية: ٧٤]، يقول أتيت أمرًا فظيعًا، قال يوشع لموسى: اذكر العهد الذى أعطيته عن نفسك.

﴿ ۞ قَالَ﴾ الخضر لموسى، عليهما السلام: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ

صَبۡرٗا﴾ [آية: ٧٥]، وإنما قال: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكَ﴾؛ لأنه كان قد تقدم إليه قبل ذلك بقوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾، على ما ترى من العجائب.

﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا﴾، يعنى بعد قتل النفس، ﴿فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا﴾ [آية: ٧٦]، يقول: لقد أبلغت فى العذر إلىَّ.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾ الطعام، تسمى القرية: باجروان، ويقال: أنطاكية. قال مقاتل: قال قتادة: هى القرية، ﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾، يعنى أن يطعموهما، ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾، كانوا بلوا الطين، ﴿فَأَقَامَهُۥۖ﴾ الخضر جديدًا فسواه، ﴿قَالَ﴾ موسى: عمدت إلى قوم لم يطعمونا و لم يضيفونا، فأقمت لهم جدارهم فسويته لهم بغير أجر، يعنى بغير طعام ولا شىء، ﴿لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾ [آية: ٧٧]، أى لو شئت أعطيت عليه شيئًا.

﴿قَالَ﴾ الخضر: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ﴾، يعنى بعاقبة، ﴿مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا﴾ [آية: ٧٨]، كقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: ٥٣]، يعنى عاقبته.

ثم قال الخضر لموسى، عليهما السلام: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾، يعنى أن أخرقها، ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ﴾، يعنى أمامهم، كقوله سبحانه: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٧]، واسم الملك: مبدلة بن جلندى الأزدى، ﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة صحيحة سوية، ﴿غَصۡبٗا﴾ [آية: ٧٩]، كقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ [الأعراف: ١٩٠]، يعنى سويًا، يعنى غصبًا من أهلها، يقول: فعلت ذلك؛ لئلا ينتزعها من أهلها ظلمًا، وهم لا يضرهم خرقها.

﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ﴾[1]، وكان الغلام كافرًا، يقطع الطريق، ويحدث الحدث، ويلجأ إليهما ويجادلان عنه، ويحلفان بالله ما فعله، وهم يحسبون أنه برئ من الشر، قال الخضر: ﴿فَخَشِينَآ﴾، يعنى فعلمنا، كقوله سبحانه: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ [النساء: ١٢٨]، يعنى علمت، وكقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: ٣٥]، يعنى علمتم، ﴿أَن يُرۡهِقَهُمَا﴾، يعنى يغشيهما، ﴿طُغۡيَٰنٗا﴾،

---

(١) انظر: (البحر المحيط ١٥٥/٦، الكشاف ٤٩٥/٢، إعراب القرآن للعكبرى ٥٩/٢، تفسير الآلوسى ١١/١٦).

يعنى ظلمًا، ﴿وَكُفْرًا﴾ [آية: ٨٠]، وفى قراءة أبى بن كعب: فخاف ربك، يعنى فعلم ربك.

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾، يعنى لأبويه لقتل الغلام، والعرب تسمى الغلام غلامًا، ما لم تسو لحيته، فأردنا أن يبدلهما ربهما، يعنى يبدل والديه، ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾، يعنى عملاً، ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [آية: ٨١]، يعنى وأحسن منه برًا بوالده، وكان فى شرف وعده، وبلغنا عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله عز وجل أبدلهما غلامًا مكان المقتول، ولو عاش المقتول لهلكا فى سببه».

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾، يعنى فى قرية تسمى: باجروان، ويقال: هى أنطاكية، ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾. حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا أبى، عن مقاتل، عن الضحاك ومجاهد، قال: صحفًا فيها العلم، ويقال: المال، ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾، يعنى ذا أمانة، اسم الأب: كاشح، واسم الأم: دهنا، واسم أحد الغلامين: أصرم، والآخر: صريم، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾، والأشد ثمانى عشرة سنة، ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، يقول: نعمة من ربك للغلامين، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾، وما فعلت هذا، ﴿عَنْ أَمْرِى﴾، ولكن الله أمرنى به، ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ﴾، يعنى عاقبة، ﴿مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [آية: ٨٢]، يعنى هذا عاقبة ما رأيت من العجائب، نظيرها: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ**﴾ [الأعراف: ٥٣]، يعنى عاقبة ما ذكر الله تعالى فى القرآن من الوعيد.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾، يعنى الإسكندر قيصر، ويسمى: الملك القابض، على قاف، وهو جبل محيط بالعالم، ذو القرنين، وإنما سمى ذو القرنين؛ لأنه أتى قرنى الشمس المشرق والمغرب، ﴿قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ﴾ يا أهل مكة، ﴿ذِكْرًا﴾ [آية: ٨٣]، يعنى علمًا.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [آية: ٨٤]، يعنى علم أسباب منازل الأرض وطرقها، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [آية: ٨٥].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، يعنى حارة سوداء، قال ابن عباس: إذا طلعت الشمس أشد حرًا منها إذا غربت، ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾، أوحى الله عز وجل إليه، جاءه جبريل، عليه السلام، فخبره: قلنا: فقال: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [آية: ٨٦]، يقول: وإما أن تعفو عنهم، كل هذا مما أمره الله عز وجل به وخيره.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾، يعنى نقتله، ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ﴾ فى الآخرة بالنار، ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [آية: ٨٧]، يعنى فظيعًا.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾، يعنى صدق بتوحيد الله عز وجل، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾، يعنى الجنة، ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [آية: ٨٨]، يقول: سنعده معروفًا، فلم يؤمن منهم غير رجل واحد، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [آية: ٨٩]، يعنى علم منازل الأرض وطرقها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [آية: ٩٠]، يعنى من دون الشمس سترًا كانوا يستقرون فى الأرض فى أسراب من شدة الحر، وكانوا فى مكان لا يستقر عليهم البناء، فإذا زالت الشمس خرجوا إلى معايشهم.

ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا بلغ مطلع الشمس كما بلغ مغربها، ثم استأنف، فقال سبحانه: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [آية: ٩١]، يعنى بما عنده علمًا، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [آية: ٩٢]، يعنى علم منازل الأرض وطرقها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾، يعنى بين الجبلين، ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [آية: ٩٣]، يعنى لم يكن أحد يعرف لغتهم.

﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾، وهما أخوان من ولد يافث بن نوح، ﴿مُفْسِدُونَ

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾، يعنى بالفساد القتل، يعنى أرض المسلمين، ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾، يعنى جعلاً، ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [آية: ٩٤]، لا يصلون إلينا.

﴿قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَـٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾، يقول: ما أعطانى ربى من الخير، خير من جعلكم، يعنى أعطيتكم، ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾، يعنى بعدد رجال، مثل قوله عز وجل فى سورة هود: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]، يعنى عددًا إلى عددكم، ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [آية: ٩٥] لا يصلون إليكم.

﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾، يعنى قطع الحديد، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾[1]، يعنى حشى بين الجبلين بالحديد، والصدفين الجبلين، وبينهما واد عظيم، فـ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ على الحديد، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [آية: ٩٦]، قال: أعطونى الصفر المذاب أصبه عليه ليلحمه فيكون أشد له.

قال رجل للنبى ﷺ: قد رأيت سد يأجوج ومأجوج، قال النبى ﷺ: «انعته لى»، قال: هو كالبرد المحبر، طريقة سوداء وطريقة حمراء، قال النبى ﷺ: «نعم، قد رأيته»، يقول الله عز وجل: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟﴾، يعنى فما قدروا، ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ على أن يعلوه من فوقه، مثل قوله فى الزخرف: ﴿مَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣]، يعنى يرقون، ﴿وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟﴾، يعنى وما قدروا، ﴿لَهُۥ نَقْبًا﴾ [آية: ٩٧].

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا أبى، قال: حدثنا أبو صالح، عن مقاتل، عن أبى إسحاق، قال: قال على بن أبى طالب، عليه السلام: أنهم خلف الردم، لا يموت منهم رجل حتى يولد له ألف ذكر لصلبه، وهم يغدون إليه كل يوم ويعالجون الردم، فإذا

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٦/١٦٤، الكشاف ٢/٤٩٩، العكبرى ٢/٥٩).

أمسوا يقولون: نرجع فنفتحه غدًا، ولا يستثنون، حتى يولد فيهم رجل مسلم، فإذا غدوا إليه، قال لهم المسلم: قولوا: باسم الله، ويعالجون حتى يتركوه رقيقًا كقشر البيض، ويروا ضوء الشمس، فإذا أصبحوا غدوا عليه، فيقول لهم المسلم: نرجع غدًا إن شاء الله فنفتحه، فإذا غدوا عليه، قال لهم المسلم: قولوا: باسم الله، فينقبونه، فيخرجون منه، فيطوفون الأرض، ويشربون ماء الفرات، فيجيء آخرهم، فيقول: قد كان هاهنا مرة ماء، ويأكلون كل شيء حتى الشجر، ولا يأتون على شيء من غيرها إلا قاموه.

فلما فرغ ذو القرنين من بناء الردم: ﴿قَالَ هَٰذَا﴾، يعنى هذا الردم، ﴿رَحْمَةٌ﴾، يعنى نعمة، ﴿مِّن رَّبِّي﴾، للمسلمين، فلا يخرجون إلى أرض المسلمين، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ فى الردم وقع الردم، فذلك قوله: ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾، يعنى الردم وقع، فيخرجون إلى أرض المسلمين، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [آية: ٩٨] فى وقوع الردم، يعنى صدقًا، فإذا خرجوا هرب ثلث أهل الشام، ويقاتلهم الثلث، ويستسلم لهم الثلث.

ثم أخبر سبحانه، فقال: ﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾، يعنى يوم فرغ ذو القرنين من الردم، ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾، يعنى من وراء الردم، لا يستطيعون الخروج منه، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [آية: ٩٩]، يعنى بالجمع، لم يغادر منهم أحد إلا حشره.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ﴾ بالقرآن من أهل مكة، ﴿عَرْضًا﴾ [آية: ١٠٠]، يعنى بالعرض كشف الغطاء عنهم.

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾، يعنى عليها غشاوة الإيمان بالقرآن، لا يبصرون الهدى بالقرآن، ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [آية: ١٠١]، يعنى الإيمان بالقرآن سمعًا، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف: ٥٧]، يعنى ثقلاً.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (١)، من أهل مكة، ﴿أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾، يعنى بالآلهة بأن ذلك نافعهم، وأنها تشفع لهم، ثم أخبر بمنزلتهم فى الآخرة، فقال

---

(١) انظر: (الإتحاف ٢٩٦، القرطبى ١١/٦٥، البحر المحيط ٦/١٦٦، معانى القرآن للفراء ٢/١٦١، التيسير ١٦/٢٦، مجمع البيان ٦/٤٩٥، ٤٩٦).

سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا﴾ [آية: ١٠٢]، يعني منزلاً.

﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾﴾

﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾ [آية: ١٠٣]، يعنى أصحاب الصوامع من النصارى.

ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ﴾، يعنى حبطت أعمالهم التى عملوها، ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [آية: ١٠٤].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾، يعنى القرآن، ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾، يعنى بالعبث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾، يعنى فبطلت أعمالهم الحسنة، فلا تقبل منهم؛ لأنها كانت فى غير إيمان، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [آية: ١٠٥] من خير قدر مثقال جناح بعوضة.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ﴾، يقول: هذا جزاؤهم، ﴿جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ﴾ بالقرآن، ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي﴾، يعنى القرآن، ﴿وَرُسُلِي﴾، يعنى محمدًا ﷺ، ﴿هُزُوًا﴾ [آية: ١٠٦]، يعنى استهزاء بهما أنهما ليسا من الله عز وجل.

ثم ذكر المؤمنين، وما أعد لهم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى صدقوا، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الأعمال، ﴿كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ [آية: ١٠٧]، بلغة الروم، يعنى البساتين عليها الحيطان.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، لا يموتون، ﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ [آية: ١٠٨]، يعنى تحولاً إلى غيرها، وذلك أن اليهود قالوا للنبى ﷺ: تزعم أنك أوتيت الحكمة، والحكمة العلم كله، وتزعم أنه لا علم لك بالروح، وتزعم أن ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]، فكيف يكون هذا؟ فقال الله تعالى ذكره لنبيه ﷺ: إنك أوتيت علمًا، وعلمك فى علم الله قليل.

﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ

﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾

فقال سبحانه لليهود: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾، يعنى علم ربى جل جلاله، ﴿لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾، يعنى علم ربى، ﴿وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾[1] [آية: ١٠٩]، يخبر الناس أنه لا يدرك أحد علم الله عز وجل.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾، يقول: ربكم رب واحد، ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾، يقول: من كان يخشى البعث فى الآخرة، نزلت فى جندب بن زهير الأزدى، ثم العامرى، قال للنبى ﷺ: إنا لنعمل العمل نريد به وجه الله عز وجل، فيثنى به علينا، فيعجبنا ذلك، فقال النبى ﷺ: «إن الله لغنى لا يقبل ما شورك فيه»، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [آية: ١١٠].

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، قال: قال النبى ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا خير شريك، من أشركنى فى عمل، جعلت العمل كله لشريكى، ولا أقبل إلا ما كان لى خالصًا».

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن شيبان أبى معاوية التميمى، قال: إن الله عز وجل ليحفظ الصالحين فى أبنائهم؛ لقوله عز وجل: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف: ٨٢].

قال: اسم الكهف: بانجلوس، واسم القرية: اللوس، واسم المدينة: أفسوس، واسم الكلب: قطمير، واسم القاضيين، أحدهما: مارنوس، والآخر: اسطوس، واسم الملك دقيوس، وأسماء أهل الكهف: دوانس، ونواس، مارطونس، رسارنوس، وقاطلس، وطسططنوس، ومكسلمينا، ويمليخا.

وحدثنا عبيد الله، قال: وحدثنى أبى، عن الهذيل، عن غياث بن إبراهيم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، قال: ما فى الأرض لغة إلا أنزلها الله فى القرآن، وقال: اسم جبريل: عبد الله، واسم ميكائيل: عبيد الله.

قال: وحدثنى أبى، عن الهذيل، عن الليث بن سعد، عن عطاء بن خالد، قال: يحج

---

(١) انظر: (العنوان ١١٧، القرطبى ٦٨/١١، البحر المحيط ١٦٩/٦، الإتحاف ٢٩٦).

عيسى إذا نزل فى سبعين ألفًا، فيهم أصحاب الكهف، فإنهم لم يموتوا و لم يحجوا.

* * *

سُورَةُ مَرْيَمَ

مكية كلها، إلا آية سجدتها، فإنها مدنية، وهى ثمان وتسعون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾

﴿كٓهيعٓصٓ﴾[1] [آية: ١]، كاف، هاد، عالم، صادق، هذا ثناء الرب تبارك وتعالى على نفسه، يقول: كافيًا لخلقه، هاديًا لعباده، الياء من الهادى، عالم ببريته، صادق فى قوله عز وجل.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾

ثم قال سبحانه: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾[2]، يعنى نعمة ربك يا محمد، ﴿عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [آية: ٢] ابن برخيا، وذلك أن الله تعالى ذكر عبده زكريا بالرحمة.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [آية: ٣]، يقول: إذ دعا ربه دعاء سرًا، وإنما دعا ربه عز وجل سرًا؛ لئلا يقول الناس: انظروا إلى هذا الشيخ الكبير، يسأل الولد على كبره.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾، يعنى ضعف العظم منى، ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾، يعنى بياضًا، ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [آية: ٤]، يعنى خائبًا فيما خلا، كنت تستجيب لى، فلا تخيبنى فى دعائى إياك بالولد.

---

(١) انظر: (الإتحاف ٢٩٧، البحر المحيط ١٧٢/٦، الكشف ٢٨٧/١، النشر ٧١/٢، القرطبى ٧٤/١١).

(٢) انظر: (البحر المحيط ١٧٢/٦، الكشاف ٥٠٢/٢، القرطبى ١٧٥/١٢، الرازى ١٧٩/٢١).

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [(١)]، يقول: خفت الكلالة، وهم العصبة من بعد موتى أن يرثوا مالى، ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [آية: ٥]، يعنى من عندك ولدًا.

﴿يَرِثُنِى﴾، يرث مالى، ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [(٢)] ابن ماثان علمهم، ورياستهم فى ألأحبار، وكان يعقوب وعمران أبو مريم أخوين ابنا ماثان، ومريم ابنة عمران بن ماثان، ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [آية: ٦]، يعنى صالحًا.

فاستجاب الله عز وجل لزكريا فى الولد، فأتاه جبريل وهو يصلى، فقال: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [آية: ٧]، لم يكن أحد من الناس فيما خلا يسمى يحيى، وإنما سماه يحيى؛ لأنه أحياه من بين شيخ كبير وعجوز عاقر.

فلما بشر ميتين بالولد، ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾، يعنى من أين يكون لى غلام؟ ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾، أيليشفع لا تلد، ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ﴾ أنا ﴿مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [(٣)] [آية: ٨]، يعنى بؤسًا، وكان زكريا يومئذ ابن خمس وسبعين سنة.

﴿قَالَ﴾ له جبريل، عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا، ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ إنه ليكون لك غلام، ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾ أن تسألنى الولد، ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [آية: ٩].

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

﴿قَالَ﴾ زكريا: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾، يعنى علمًا للحبل، فسأل الآية بعد

---

(١) انظر: (الطبرى ٣٧/١٦، القرطبى ٧٧/١١، الكشاف ٥٠٢/٢، البحر المحيط ١٧٤/٦ التبيان ٩٨/٧، مجمع البيان ٥٠٠/٦).

(٢) انظر: (البحر المحيط ١٧٤/٦، الكشاف ٥٠٣/٢، مجمع البيان ٣٨/٢).

(٣) انظر: (الكشاف ٥٠٣/٢ البحر المحيط ١٧٥/٦، الرازى ١٨٧/٢١، العكبرى ٦١/٢).

مشافهة جبريل، ﴿قَالَ﴾ جبريل، عليه السلام: ﴿ءَايَتُكَ﴾ إذا جامعتها على طهر فحبلت، فإنك تصبح تلك الليلة لا تستنكر من نفسك خرسًا، ولا مرضًا، ولكن لا تستطيع الكلام، ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [آية: ١٠] أنت فيهن سوى صحيح، فأخذ بلسانه عقوبة حين سأل الآية بعد مشافهة جبريل، عليهما السلام، و لم يحبس الله عز وجل لسانه عن ذكره ولا عن الصلاة.

﴿فَخَرَجَ﴾ زكريا ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾، بنى إسرائيل، ﴿مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾، يعنى من المسجد، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [آية: ١١]، يقول: كتب كتابًا بيده، وهو الوحى إليهم: أن صلوا بالغداة والعشى.

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى التوراة، ﴿بِقُوَّةٍ﴾، يعنى بجد ومواظبة عليه، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [آية: ١٢]، يعنى وأعطينا يحيى العلم والفهم وهو ابن ثلاث سنين.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾، يقول: رحمة من عندنا، ﴿وَزَكَوٰةً﴾، يعنى جعله صالحًا وطهره من الذنوب، ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [آية: ١٣]، يعنى مسلمًا.

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾، يقول: وجعلناه مطيعًا لوالديه، ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾، يعنى متكبرًا عن عبادة الله عز وجل، ﴿عَصِيًّا﴾ [آية: ١٤]، يعنى ولا عاص لربه.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾، يعنى على يحيى، عليه السلام، ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾، يعنى حين ولد، مثل قوله سبحانه: ﴿**فِى كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات**﴾ [التوبة: ٣٦]، يعنى حين خلق السموات، قال عيسى ﷺ: ﴿يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣]، يعنى حين أموت، وحين أبعث، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [آية: ١٥]، يعنى حين يبعث بعد الموت.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾

﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ لأهل مكة، ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾، يعنى فى القرآن ابنة عمران بن ماثان، ويعقوب بن ماثان، من نسل سليمان بن داود، عليهم السلام، ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ﴾، يعنى إذ انفردت، ﴿مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ [آية: ١٦]، فجلست فى المشرقة؛ لأنه كان الشتاء.

﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾، يعنى جبلاً، فجعلت الجبل بينها وبينهم، فلم يرها أحد منهم، كقوله فى ص: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، يعنى الجبل، وهو دون ق بمسيرة سنة، والشمس تغرب من ورائه، ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾، يعنى جبريل، عليه السلام، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ [آية: ١٧]، يعنى إنسانًا سويًا، يعنى سوى الخلق، على صورة شاب أمرد، جعد الرأس.

فلما رأته حسبته إنسانًا، ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [آية: ١٨]، يعنى مخلصًا لله عز وجل تعبده.

﴿قَالَ﴾ جبريل، عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾ بأمر الله عز وجل، ﴿غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ [آية: ١٩]، يعنى مخلصًا، يقول صالحًا.

﴿قَالَتۡ﴾ مريم: ﴿أَنَّىٰ﴾ من أين ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾، يعنى ولم يكن لى زوج، ﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾ [آية: ٢٠]، يعنى ولم أركب فاحشة.

﴿قَالَ﴾ جبريل، عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكِ﴾، يعنى هكذا، ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ إنه يكون لك ولد من غير زوج، ﴿هُوَ عَلَيَّ﴾، على الله، ﴿هَيِّنٞ﴾، يعنى يسير أن يخلق فى بطنك ولدًا من غير بشر، ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ﴾، يقول: ولكى نجعله عبرة، ﴿لِّلنَّاسِ﴾، يعنى فى بنى إسرائيل، ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾، يعنى ونعمة، ﴿مِّنَّاۚ﴾ لمن تبعه على دينه، مثل قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، يعنى بالرحمة النعمة لمن اتبعه على دينه، ﴿وَكَانَ﴾ عيسى ﷺ من غير بشر، ﴿أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ [آية: ٢١]، قد قضى الله عز وجل فى اللوح المحفوظ أنه كائن لابد.

﴿۞فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ

لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ۞

﴿۞ فَحَمَلَتْهُ﴾ أمه مريم، عليها السلام، وهى ابنة ثلاث عشرة سنة، ومكثت مع عيسى، عليه السلام، ثلاثًا وثلاثين سنة، وعاشت بعدما رفع عيسى ست سنين، فماتت ولها اثنتان وخمسون سنة، فحملته أمه فى ساعة واحدة، وصور فى ساعة واحدة، وأرضعته فى ساعة حين زالت الشمس من يومها، وقد كانت حاضت حيضتين قبل حمله، ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾، يعنى فانفردت بعيسى ﷺ، ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [آية: ٢٢]، يعنى نائيًا من أهلها من وراء الجبل.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾[١]، يعنى فألجأها، ولم يكن لها سعف، ﴿قَالَتْ﴾ مريم: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ الولد حياء من الناس، ثم قالت: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[٢] [آية: ٢٣]، يعنى كالشىء الهالك الذى لا يذكر فينسى.

﴿فَنَادَىٰهَا﴾ جبريل، عليه السلام، ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾، يعنى من أسفل منها فى الأرض، وهى فوقه على رابية، وجبريل، عليه السلام، يناديها بهذا الكلام: ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾، ذلك حين تمنت الموت، ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [آية: ٢٤]، يعنى الجدول الصغير من الأنهار.

وقال جبريل، عليه السلام، لها: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ﴾، يعنى وحركى إليك، ﴿بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[٣] [آية: ٢٥]، يعنى بالجنى ما ترطب به من البسر، وكانت شجرة يابسة، فاخضرت وهى تنظر، وحملت الرطب مكانها وهى تنظر، ثم نضجت وهى تنظر، ثم أجرى الله عز وجل لها نهرًا من الأردن حتى جاءها، فكان بينهما وبين جبريل، عليه السلام، وهذا كلام جبريل لها، وإنما جعل الله عز وجل ذلك لتؤمن بأمر عيسى ﷺ ولا تعجب منه.

(١) انظر: (القرطبى ٩٢/١١، البحر المحيط ١٨٢/٦، العكبرى ٦١/٢).
(٢) انظر: (القرطبى ٩٣/١١، العكبرى ٦١/٢، الكشاف ٥٠٦/٢، البحر المحيط ١٨٣/٦).
(٣) انظر: (مجمع البيان ٥٠٨/٦، العكبرى ٦٢/٢، الرازى ٢٠٦/٢١).

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: قال مقاتل: وأخبرت عن ليث بن أبى سليم، عن عكرمة، عن ابن عباس، فى قوله: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾، يعنى صمتًا.

﴿فَكُلِي﴾ من النخلة، ﴿وَاشْرَبِي﴾ من الماء العذب، ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بالولد، ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ (1)، يعنى صمتًا، ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [آية: ٢٦] فى عيسى ﷺ.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا﴾ بالولد، ﴿تَحْمِلُهُ﴾ إلى بنى إسرائيل فى حجرها ملفوفًا فى خرق، ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [آية: ٢٧]، يقول: أتيت أمرًا منكرًا.

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ الذى هو أخو موسى. حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، قال: قال مقاتل: قال رسول الله ﷺ: «إنما عنوا هارون أخا موسى؛ لأنها كانت من نسله»، ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ﴾ عمران، ﴿امْرَأَ سَوْءٍ﴾، يعنى بزان، كقوله سبحانه: ﴿مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ [يوسف: ٢٥]، يعنى الزنا، وكقوله سبحانه: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ [يوسف: ٥١]، وكان عمران من عظماء بنى إسرائيل، ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ﴾ جنة، ﴿بَغِيًّا﴾ [آية: ٢٨] بزانية، فمن أين هذا الولد؟

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾، يعنى إلى ابنها عيسى ﷺ أن كلموه، ﴿قَالُوا﴾، قال قومها: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾، يعنى من هو، ﴿فِي الْمَهْدِ﴾، يعنى فى حجر أمه ملفوفًا فى خرق، ﴿صَبِيًّا﴾ [آية: ٢٩]، فدنا زكريا من الصبى، فقال: تكلم يا صبى بعذرك إن كان لك عذر.

فـ﴿قَالَ﴾ الصبى، وهو يومئذ ولد، ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، وكذبت النصارى فيما يقولون، فأول ما تكلم به الصبى أنه أقر لله بالعبودية، ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾، يعنى أعطانى الإنجيل فعلمنيه، ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [آية: ٣٠].

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾، يعنى معلمًا مؤدبًا فى الخير، ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ من الأرض، ﴿وَأَوْصَانِي بِـ﴾ إقامة ﴿بِالصَّلَاةِ وَ﴾ إيتاء ﴿وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [آية: ٣١].

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾، يقول: وأوصانى أن أكون برًا بوالدتى، يعنى مطيعًا لأمى مريم،

---

(١) انظر: (الكشاف ٥٠٧/٢، مغنى اللبيب ٢٢/٢، ٢٣، البحر المحيط ١٨٥/٦، مجمع البيان ٥٠٨/٦).

﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾، يعنى متكبرًا عن عبادة الله، ﴿شَقِيًّا﴾ [آية: ٣٢]، يعنى عاصيًا لله عز وجل.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾، فلما ذكر الوالدة، ولم يذكر الوالد، ضمه زكريا إلى صدره، وقال: أشهد أنك عبد الله ورسوله، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾، يعنى حين ولدت، ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾، يعنى وحين أموت، ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [آية: ٣٣]، يعنى وحين أبعث حيًا بعد الموت فى الآخرة، ثم لم يتكلم بعد ذلك حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان، فلما قال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾، ضمه زكريا.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٦) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٨) وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠)﴾

يقول الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ﴾، يعنى هذا عيسى ابن مريم قول العدل، يعنى الصدق، ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [آية: ٣٤]، يعنى الذى فيه يشكون فى أمر عيسى ﷺ، وهم النصارى.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾، يعنى عيسى ﷺ، ﴿سُبْحَانَهُ﴾، نزه نفسه عز وجل، ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ كان فى علمه، يعنى عيسى ﷺ، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آية: ٣٥] مرة واحدة لا يثنى القول فيه مرتين.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، قال: حدثنى مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس، أنه قال: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ بالفارسية، لا يثنى القول مرتين، إذا قال مرة كان.

ثم قال عيسى ﷺ لبنى إسرائيل: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾، يعنى فوحدوه، ﴿هَذَا﴾ التوحيد ﴿صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آية: ٣٦]، يعنى دين الإسلام مستقيم، وغير دين الإسلام أعوج ليس بمستقيم.

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾، يعنى النصارى، ﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾، تحزبوا فى عيسى ﷺ ثلاث فرق: النسطورية قالوا: عيسى ابن الله، ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣]، والماريعقوبية قالوا: عيسى هو الله، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء: ٤٣]، والملكانيون قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، يقول الله: وحده لا شريك له: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يعنى تحزبوا فى عيسى ﷺ، ﴿مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ٣٧] لديه، يعنى يوم القيامة.

﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾، يقول: هم يوم القيامة أسمع قوم وأبصر بما كانوا فيه من الوعيد وغيره، ﴿يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾ فى الآخرة، فذلك قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، ثم قال سبحانه: ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ٣٨]، يعنى المشركين اليوم فى الدنيا فى ضلال مبين، فلا يسمعون اليوم، ولا يبصرون ما يكون فى الآخرة.

﴿وَأَنذِرۡهُمۡ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ﴾، يوم يذبح الموت كأنه كبش أملح.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن مقاتل، عن عثمان بن سليم، عن عبد الله بن عباس، أنه قال: يجعل الموت فى صورة كبش أملح، فيذبحه جبريل بين الجنة والنار، وهم ينظرون إليه، فيقال لأهل الجنة: خلود فلا موت فيها، ولأهل النار: خلود فلا موت فيها، فلولا ما قضى الله عز وجل على أهل النار من تعمير أرواحهم فى أبدانهم لماتوا من الحسرة.

ثم قال سبحانه: ﴿إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾، يعنى إذا قضى العذاب، ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ﴾ اليوم، ﴿وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٣٩]، يعنى لا يصدقون بما يكون فى الآخرة.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا﴾، يعنى نميتهم ويبقى الرب جل جلاله، ونرث أهل السماء وأهل الأرض، ثم قال سبحانه: ﴿وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ [آية: ٤٠]، يعنى فى الآخرة بعد الموت.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ﴾ يا محمد لأهل مكة، ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعنى فى القرآن أمر ﴿إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾، يعنى مؤمنًا بالله تعالى، ﴿نَّبِيًّا﴾ [آية: ٤١]، مثل قوله سبحانه: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، يعنى مؤمنة.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ الصوت، ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ شيئًا، يعنى الأصنام، ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [آية: ٤٢] فى الآخرة.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، يعنى البيان، ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾، يعنى ما يكون من بعد الموت، ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ﴾ على دينى، ﴿أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [آية: ٤٣]، يعنى طريقًا عدلاً، يعنى دين الإسلام.

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾، يعنى لا تطع الشيطان فى العبادة، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [آية: ٤٤]، يعنى عاصًا ملعونًا.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ﴾، يعنى أن يصيبك، ﴿عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فى الآخرة، ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [آية: ٤٥]، يعنى قريبًا فى الآخرة.

فرد عليه أبوه، فـ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾، يعنى لئن لم تسكت لأشتمنك، ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ [آية: ٤٦]، يعنى أيام حياتك، ويقال: طويلاً، واعتزلنى وأطل هجرانى، وكل شيء فى القرآن لأرجمنك، يعنى به القتل، غير هذا.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن أبى صالح، عن مقاتل، عن ابن عباس: واعتزلنى سالم العرض لا يصيبك منى معرة، ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [آية: ٤٧]، يعنى لطيفًا رحيمًا.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وأعتزل ما تعبدون من دون الله من الآلهة،

فكان اعتزاله إياهم أنه فارقهم من كوثا، فهاجر منها إلى الأرض المقدسة، ثم قال إبراهيم: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ في الاستغفار لك، ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [آية: ٤٨]، يعني خائبًا بدعائي لك بالمغفرة.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَ﴾ واعتزل ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة، وهي الأصنام، وذهب مهاجرًا منها، ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ بعد الهجرة إلى الأرض المقدسة، ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [آية: ٤٩]، يعني إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾، يعني من نعمتنا، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [آية: ٥٠]، يعني ثناء حسنًا رفيقًا يثني عليهم جميع أهل الأديان بعدهم.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ﴾ لأهل مكة، ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾، يعني مسلمًا موحدًا، ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [آية: ٥١].

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾، يعني دعوناه ليلة الجمعة، ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾، يعني من ناحية الجبل، ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [آية: ٥٢]، يعني كلمناه من قرب، وكان بينهما حجاب خفي سمع صرير القلم، ويقال: صريف القلم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [آية: ٥٣]، فوهب الله عز وجل له أخاه هارون، وذلك حين سأل موسى، عليه السلام، ربه عز وجل، فقال: **﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي﴾** [طه: ٢٩، ٣٠]، وحين قال: **﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾** [الشعراء: ١٣].

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعني واذكر لأهل مكة في القرآن أمر ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾ بن إبراهيم لصلبه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾، وذلك أن إسماعيل، عليه السلام، وعد رجلاً أن يقيم مكانه حتى يرجع إليه، فأقام ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع الرجل إليه، ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [آية: ٥٤].

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾، كقوله سبحانه فى طه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ [طه: ١٣٢]، يعنى قومك، ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾، وفى قراءة ابن مسعود: وكان يأمر قومه بالصلاة، ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [آية: ٥٥].

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ﴾ لأهل مكة، ﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾، يعنى القرآن، ﴿إِدْرِيسَ﴾، وهو جد أبى نوح، واسمه: أخنوخ، عليه السلام، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾، يعنى مؤمنًا بتوحيد الله عز وجل، ﴿نَّبِيًّا﴾ [آية: ٥٦].

﴿وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [آية: ٥٧]، يعنى فى السماء الرابعة، وفيها مات، وذلك حين دعا للملك الذى يسوق الشمس.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ بالنبوة ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، يعنى هؤلاء الذين سموا فى هؤلاء الآيات، ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾، ثم إدريس، ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ فى السفينة، يقول: ومن ذرية من حملنا مع نوح فى السفينة، وهو إبراهيم، ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ﴿وَ﴾ من ذرية ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾، وهو يعقوب، وموسى، وهارون، ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ للإسلام، ﴿وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ واستخلصنا للرسالة والنبوة، ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾، يعنى إذا قرىء عليهم كلام الرحمن، يعنى القرآن، ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ على وجوههم، ﴿وَبُكِيًّا ۩﴾ [آية: ٥٨]، يعنى يبكون، نزلت فى مؤمنى أهل التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه، نظيرها فى بنى إسرائيل: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٩].

﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ

سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾، يعنى من بعد النبيين خلف السوء، يعنى اليهود، فهذا مثل ضربه الله عز وجل لأمة محمد ﷺ، يقول: ولا تكونوا خلف السوء مثل اليهود، ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يعنى أخروها عن مواقيتها، ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾، يعنى الذين استحلوا تزويج بنت الأخت من الأب، نظيرها فى النساء: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ**﴾ [النساء: ٢٧]، يعنى الزنا، ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [آية: ٥٩] فى الآخرة، وهو واد فى جهنم.

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك، ﴿وَءَامَنَ﴾ بمحمد ﷺ، يعنى وصدق بتوحيد الله عز وجل، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾، يعنى ولا ينقضون ﴿شَيْـًٔا﴾ [آية: ٦٠] من أعمالهم الحسنة حتى يجازوا بها، فيجزيهم ربهم.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾ المؤمنين على ألسنة الرسل فى الدنيا، ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ ولم يروه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [آية: ٦١]، يعنى جائيًا لا خلف له.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾، يعنى فى الجنة، ﴿لَغْوًا﴾، يعنى الحلف إذا شربوا الخمر، يعنى لا يحلفون كما يحلف أهل الدنيا إذا شربوا، نظيرها فى الواقعة، وفى الصافات، ثم قال: ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾، يعنى سلام الملائكة عليهم فيها، ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [آية: ٦٢]، يعنى بالرزق الفاكهة على مقدار طرفى النهار فى الدنيا.

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [آية: ٦٣]، يعنى مخلصًا لله عز وجل.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾، وذلك أن جبريل، عليه السلام، احتبس على النبى ﷺ أربعين يومًا، ويقال: ثلاثة أيام، فقال مشركو مكة: قد ودعه ربه وقلاه، فلما نزل جبريل، عليه السلام، قال النبى ﷺ: «يا جبريل، ما جئت حتى اشتقت إليك»، قال: وأنا إليك كنت أشد شوقًا، ونزل فى قولهم: ﴿**وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى**...﴾ [سورة الضحى]، ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ**...﴾ [سورة الشرح] جميعًا، وقال جبريل، عليه السلام: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ من السماء، ﴿إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾، ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ من أمر الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من أمر الدنيا، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾، يعنى ما بين الدنيا والآخرة، يعنى ما بين النفختين، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [آية: ٦٤] لقول كفار مكة: نسيه ربه وقلاه.

يقول: لم ينسك ربك يا محمد، ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، يعني والأرضين، ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق، ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾، يعني فوحده، ﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾، يقول: واصبر على توحيد الله عز وجل ولا تعجل حتى يأتيك أمرى، ثم قال للنبي ﷺ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [آية: ٦٥]، يقول جل جلاله: هل تعلم من الآلهة من شيء اسمه الله عز وجل؛ لأن الله تعالى ذكره يمنعهم من ذلك.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، وهو أبى بن خلف الجمحى: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [آية: ٦٦] من الأرض بعد الموت، يقول ذلك تكذيبًا بالبعث.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

يقول الله عز وجل يعظه ليعتبر: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، يقول: أولا يتذكر الإنسان فى خلق نفسه، ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ﴾ أول مرة، يعنى أول خلق خلقناه، ﴿مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [آية: ٦٧].

فأقسم الرب عز وجل ليبعثهم فى الآخرة، فقال: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ يا محمد، ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾، يعنى لنجمعنهم ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ معهم الذين أضلوهم فى الآخرة، ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾، يعنى فى جهنم، ﴿جِثِيًّا﴾ [آية: ٦٨]، يعنى جميعًا على الركب.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾، يقول: لنخرجن، ثم نبدأ بهم من كل ملة، ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [آية: ٦٩]، يعنى عتوا فى الكفر، يعنى القادة، فيعذبهم فى النار.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ [آية: ٧٠]، يعنى من هو أولى بها، يعنى القادة فى الكفر.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، يعنى وما منكم أحد إلا داخلها، يعنى جهنم، البر والفاجر.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن علقمة بن مرثد، عن نافع بن الأزرق، أنه سأل ابن عباس عن الورود، فقال: يا نافع، أما أنا وأنت، فندخلها، فانظر هل نخرج منها أم لا؟.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: للورود في القرآن أربعة مواضع، يعني به الدخول:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، يعني داخلها.

﴿**فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ**﴾ [هود: ٩٨]، يعني فأدخلهم.

﴿**حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾ [الأنبياء: ٩٨]، يعني داخلون. ﴿**لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا**﴾ [الأنبياء: ٩٩]، يعني ما دخلوها.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني أبي، قال: حدثني الهذيل، عن مقاتل، قال: يجعل الله النار على المؤمنين يومئذ بردًا وسلامًا، كما جعلها على إبراهيم، عليه السلام، فذلك قوله عز وجل: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [آية: ٧١]، قال: قضاء واجبًا قد قضاه في اللوح المحفوظ أنه كائن لابد، غير الأنبياء، عليهم السلام، فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشرك منها، يعني أهل التوحيد، فنخرجهم منها، ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾، يعني المشركين، ﴿فِيهَا﴾، يعني في جهنم، ﴿جِثِيًّا﴾ [آية: ٧٢] على الركب.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾، يعني القرآن، ﴿بَيِّنَاتٍ﴾، يعني واضحات، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وهم النضر بن الحارث بن علقمة وغيره، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾، وذلك أنهم لبسوا أحسن الثياب، ودهنوا الرءوس، ثم قالوال للمؤمنين: أي

الفريقين نحن أو أنتم خير؟ يعنى أفضل مقامًا للمساكن من مساكن مكة، ومثله فى حم الدخان: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٦]، يعنى ومساكن طيبة، ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [آية: ٧٣]، يعنى مجالسًا، كقوله سبحانه: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، يعنى فى مجالسكم.

يقول الله عز وجل يخوفهم: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ بالعذاب فى الدنيا، ﴿قَبْلَهُم﴾، قبل أهل مكة، ﴿مِّن قَرْنٍ﴾، يعنى أمة، كقوله عز وجل: ﴿أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ [يونس: ١٣]، يعنى الأمم الخالية، ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا﴾، يعنى ألين متاعًا، ﴿وَرِءْيًا﴾[1] [آية: ٧٤]، وأحسن منظرًا من أهل مكة، فأهلك الله عز وجل أموالهم وصورهم.

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾، يعنى من هو فى الشرك، ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾، فى الخير؛ لقولهم للمؤمنين: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾، ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾ فى الدنيا، يعنى القتل ببدر، ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾، يعنى القيامة، ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، يعنى شر منزلاً، ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [آية: ٧٥]، يعنى وأقل فئة هم أم المؤمنون.

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ من الضلالة، يعنى يزيدهم إيمانًا، ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾، وهى أربع كلمات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، من قالها فهو ﴿خَيْرٌ﴾، يعنى أفضل، ﴿عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ﴾ الآخرة ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [آية: ٧٦]، يعنى أفضل مرجعًا من ثواب الكافر النار، ومرجعهم إليها.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)﴾

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾، آيات القرآن، نزلت فى العاص بن وائل بن هشام ابن سعد بن سعيد بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى السهمى، وذلك أن خباب ابن الأرت صاغ له شيئًا من الحلى، فلما طلب منه الأجر، قال لخباب، وهو مسلم حين

(١) انظر: (القرطبى ١١/١٤٣، الكشاف ٢/٥٢١، مجمع البيان ٦/٥٢٤، البحر المحيط ٦/٢١١ النحاس ٢/٣٢٥، العكبرى ٢/٦٤).

طلب أجر الصياغة: ألستم تزعمون أن فى الجنة الحرير والذهب والفضة وولدان مخلدون؟ قال خباب بن الأرت: نعم، قال العاص: فميعاد ما بيننا الجنة، ﴿ وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ﴾ فى الجنة، يعنى فى الآخرة، ﴿ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [آية: ٧٧] أفضل مما أوتيت فى الدنيا، فأقضيك فى الآخرة، يقول ذلك مستهزئًا؛ لأنه لا يؤمن بما فى القرآن من الثواب والعقاب.

يقول الله تعالى: ﴿ أَطَّلَعَ﴾ على ﴿ ٱلْغَيْبَ﴾، يعنى العاص، حين يقول: إنه يعطى فى الآخرة ما يعطى المؤمنون، ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [آية: ٧٨]، يقول: أم اعتقد عند الرحمن التوحيد.

﴿ كَلَّآ﴾ لا يعطى العاص ما يعطى المؤمنون، ثم استأنف، فقال سبحانه: ﴿ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾، يعنى من الحفظة من الملائكة تكتب ما يقول العاص أنه يعطى ما يعطى المؤمنون فى الجنة، ﴿ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [آية: ٧٩]، يعنى الذى لا نقطاع له.

﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ أنه يعطى فى الجنة ما يعطى المؤمنون، فنرثه عنه ويعطاه غيره، ثم قال سبحانه: ﴿ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [آية: ٨٠]، العاص فى الآخرة، ليس معه شىء من دنياه.

ثم ذكر كفار مكة: العاص، والنضر، وأبا جهل، وغيرهم، فقال سبحانه: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾، يعنى اللات، والعزى، ومناة، وهبل، ﴿ لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ [آية: ٨١]، يعنى منعًا يمنعونهم من الله عز وجل، نظيرها فى يس: ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ** ﴾ [يس: ٧٤]، يعنى يمنعون.

يقول الله عز وجل: ﴿ كَلَّآ﴾ لا تمنعهم الآلهة من الله، ثم استأنف فقال: ﴿ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾، يقول: ستبرأ الآلهة فى الآخرة من كل من كان يعبدها فى الدنيا، ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [آية: ٨٢]، يقول: تكون آلهتهم يومئذ لهم أعداء، كقوله سبحانه: ﴿ **لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ** ﴾ [البقرة: ١٤٣]، يعنى للناس، وكقوله سبحانه: ﴿ **وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ** ﴾ [المائدة: ٣]، يعنى للنصب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ

﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، يعنى المستهزئين من قريش حين قال سبحانه إبليس، وهو الشيطان: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ...﴾ [الإسراء: ٦٤]، يعنى بدعائك إلى آخر الآية، ثم قال سبحانه: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [آية: ٨٣]، يعنى تزعجهم إزعاجًا، وتغريهم إغراء، تزين لهم الذى هم عليه من الشرك، ويقول: إن الأمر الذى أنتم عليه لأمر حق.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾، يقول للنبى ﷺ: فلا تستعجل لهم بالعذاب، ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ آجالهم، ﴿عَدًّا﴾ [آية: ٨٤]، يعنى الأنفاس.

ثم ننزل بهم العذاب، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الشرك، يعنى الموحدين، ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [آية: ٨٥] على النجائب على رحلاتها منابر الحضر.

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [آية: ٨٦]، يرونها فى الدخول وهم عطاش.

﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾، يقول: لا تقدر الملائكة على الشافعة لأحد، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [آية: ٨٧]، يعنى إلا من اعتقد التوحيد عند الرحمن جل جلاله، وهى شهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [آية: ٨٨] من الملائكة، حين قالوا: إنهن بنات الله تعالى، منهم: النضر بن الحارث.

يقول الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾[1] [آية: ٨٩]، يقول: قلتم قولاً عظيمًا، نظيرها فى بنى إسرائيل: ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠]، حين قالوا: الملائكة بنات الرحمن عز وجل.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾، يعنى مما قالوا: إن الملائكة بنات الرحمن، ﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾ من أطرافها، ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ [آية: ٩٠]، يعنى وقعا، وإنما ذكر السموات والأرض والجبال؛ لعظمهن وشدتهن، مما قالوا من البهتان.

---

(١) انظر: (الطبرى ٩٨/١٦، القرطبى ١٥٦/١١، الكشاف ٥٢٥/٢، النحاس ٣٢٨/٢، العكبرى ٦٤/٢، البحر المحيط ٢١٨/٦).

﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [آية: ٩١]، أن قالوا: للرحمن ولدًا. ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [آية: ٩٢].

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الملائكة وغيرهم، وعزير، وعيسى، ومريم، وغيرهم، فهؤلاء فى الأرض، ﴿إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [آية: ٩٣]، يقول: إلا وهو مقر له بالعبودية.

﴿لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ﴾، يقول: أحصى أسماءهم فى اللوح المحفوظ، ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [آية: ٩٤]، يقول سبحانه: علم عددهم.

﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ﴾، يقول: وكل من فيهما جائيه فى الآخرة، ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [آية: ٩٥]، يعنى وحده ليس معه من دنياه شىء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [آية: ٩٦]، يقول: يجعل محبتهم فى قلوب المؤمنين فيحبونهم.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾، يقول: فإنما بيناه على لسانك يا محمد، يعنى القرآن، ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ﴾، يعنى بما فى القرآن، ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ الشرك، يعنى الموحدين، ﴿وَتُنذِرَ بِهِ﴾، يعنى بما فى القرآن من الوعيد، ﴿قَوْمًا لُّدًّا﴾ [آية: ٩٧]، يعنى جدلاء خصماء بالباطل، نظيرها فى البقرة: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، يعنى جدلاً خصمًا بالباطل، الأخنس بن شريق.

ثم خوف كفار مكة، فقال سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾، يعنى بالعذاب فى الدنيا، ﴿مِّن قَرْنٍ﴾، يعنى قبل كفار مكة من أمة، ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾، يعنى النبى ﷺ، يقول: هل ترى ﴿مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [آية: ٩٨]، يعنى صوتًا يحذر بمثل عذاب الأمم الخالية؛ لئلا يكذبوا محمدًا ﷺ.

* * *

سُورَةُ طه

سورة مكية، وهى خمس وثلاثون ومائة آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾

﴿طه﴾ [آية: ١] ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [آية: ٢] وذلك أن أبا جهل والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، والمطعم بن عدى، قالوا للنبى، ﷺ: إنك لتشقى حين تركت دين آبائك فائتنا ببراءة أنه ليس مع إلهك إله، فقال لهم النبى، ﷺ: «بل بعثت رحمة للعالمين»، قالوا: بل أنت شقى، فأنزل الله، عز وجل، فى قولهم للنبى، ﷺ: ﴿طه﴾ يعنى يا رجل وهو بالسريانية، ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ يعنى ما أنزلناه عليك.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [آية: ٣] الله.

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ كلها ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السبع ﴿ٱلْعُلَى﴾ [آية: ٤] يعنى الرفيع من الأرض.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [آية: ٥] فى التقديم قبل خلق السموات والأرض يعنى استقر.

ثم عظم الرب، عز وجل، نفسه فقال، سبحانه: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [آية: ٦] يعنى بالثرى الأرض السفلى وتحتها الصخرة والملك والثور والحوت والماء والريح تهب فى الهواء.

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ يعنى النبى، ﷺ، وإن تعلن بالقول ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ يعنى ما أسر العبد فى نفسه ﴿وَ﴾ ما ﴿وَأَخْفَى﴾ [آية: ٧] من السر، مالا يعلم أنه يعلمه، وهو عامله، فيعلم الله ذلك كله.

ثم وحد نفسه، تبارك وتعالى، إذ لم «يوحده» كفار مكة، فقال سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [آية: ٨] وهى التى فى آخر سورة الحشر ونحوه، لقولهم: ائتنا ببراءة أنه ليس مع إلهك إله.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَهَلْ أَتَاكَ﴾ يقول: وقد جاءك ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ [آية: ٩].

﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا﴾ ليلة الجمعة فى الشتاء بأرض المقدسة ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ يعنى امرأته وولده ﴿امْكُثُوا﴾ مكانكم ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ يعنى إنى رأيت نارًا، وهو نور رب العالمين، تبارك وتعالى، ﴿لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ فأقتبس النار لكى تصطلون من البرد ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [آية: ١٠] يعنى من يرشدنى إلى الطريق، وكان موسى، عليه السلام، قد تحير ليلاً وضل الطريق، فلما انتهى إليها سمع تسبيح الملائكة، ورأى نورًا عظيمًا فخاف، وألقى الله، عز وجل، عليه السكينة.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ انتهى إليها ﴿نُودِيَ يَا مُوسَىٰ﴾ [آية: ١١].

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ من قدميك وكانتا من جلد حمار ميت غير ذكى، فخلعهما موسى، عليه السلام، وألقاهما من وراء الوادى ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ يعنى بالوادى المطهر ﴿طُوًى﴾ [آية: ١٢] وهو اسم الوادى.

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ يا موسى للرسالة ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [آية: ١٣] يعنى للذى يوحى إليك. والوحى ما ذكر الله، عز وجل: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن علقمة بن مرثد، عن كعب: أن موسى، عليه السلام، كلمه ربه مرتين، ورأى محمد، صلى الله عليه وسلم ربه، جل جلاله، مرتين، وعصى آدم، عليه السلام، ربه تعالى، مرتين.

حدثنا عبيد الله، قال: وحدثنى أبى، عن الهذيل، عن حماد بن عمرو النصيبى، عن عبد الحميد بن يوسف، قال صياح الدراج: «الرحمن على العرش استوى».

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن صيفى بن سالم، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن، فى قوله، عز وجل: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ قال: أخفيها من نفسى، قال هذيل: و لم أسمع مقاتلا.

قوله سبحانه: ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ يعنى فوحدنى، فإنه ليس معى إله، ثم قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [آية: ١٤] يقول: لتذكرنى بها، يا موسى.

ثم استأنف ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ يقول: إن الساعة جائية لابد ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [(١)] من نفسى فى قراءة ابن مسعود، فكيف يعلمها أحد، وقد كدت أن أخفيها من نفسى، لئلا يعلمها مخلوق ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ يقول سبحانه: الساعة آتية لتجزى كل نفس بر وفاجر ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [آية: ١٥] إذا جاءت الساعة يعنى بما تعمل فى الدنيا.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ يا محمد، يعنى عن إيمان بالساعة ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ يعنى من لا يصدق بها أنها كائنة ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ثم قال للنبى ﷺ: ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ [آية: ١٦] يعنى فتهلك إن صدوك عن الإيمان بالساعة، فيها تقديم.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ

(١) انظر: (الطبرى ١١٣/١٦، الكشاف ٥٣٢/٢، القرطبى ١٨٢/١١، البحر المحيط ٢٣٢/٦، الفراء ١٧٦/٢، النحاس ٣٣٤/٢، العكبرى ٦٥/٢).

كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾

ثم قال عزو جل، فى مخاطبته لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [آية: ١٧] يعنى عصاه كانت بيده اليمنى، قال ذلك لموسى عليه السلام، وهو يريد أن يحولها حية.

﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام: ﴿هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا﴾ [١] يقول: أعتمد عليها إذا مشيت ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾ [٢] يقول: أخبط بها الشجر فيتهاش الورق فى الأرض، فتأكله غنمى إذا رعيتها، وكانت صغارًا لا تعلون الشجر، وكان موسى عليه السلام، يضرب بعصاه الشجر فيتهاش الورق فى الأرض فتأكله غنمه. ﴿وَلِىَ فِيهَا﴾ يعنى فى العصا ﴿مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [آية: ١٨] يعنى حوائج أخرى، وكان موسى، عليه السلام، يحمل زاده وسقاءه على عصاه، ويضرب الأرض بعصاه فيخرج ما يأكل يومه، ويركزها فى الأرض فيخرج الماء، فإذا رفعها ذهب الماء، وتضىء بالليل فى غير قمر ليهتدى بها، ويرد بها غنمه عليه، فتقيه بإذن الله، عز وجل، من الآفات، ويقتل بها الحيات والعقارب بإذن الله، عز وجل.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن مقاتل، قال: دفع جبريل، عليه السلام، العصا إلى موسى، عليه السلام، وهو متوجه إلى مدين بالليل، واسم العصا نفعة.

﴿قَالَ﴾ الله عز وجل: ﴿أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [آية: ١٩].

﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾ من يده اليمنى ﴿فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [آية: ٢٠] على بطنها ذكرًا أشعر، له عرف، فخاف موسى، عليه السلام، أن يأخذها.

فـ﴿قَالَ﴾ له ربه عز وجل: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ منها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [آية: ٢١] يعنى سنعيدها عصا كهيئتها الأولى عصا، كما كانت أول مرة، فأهوى موسى بيده إلى ذنبها فقبض عليها، فصارت عصا كما كانت.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ﴾ يعنى كفك ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ يعنى عضدك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ

---

(١) انظر: (القرطبى ١١/١٨٦، البحر المحيط ٦/٢٣٤، الكشاف ٢/٥٣٣، العكبرى ٢/٦٦).

(٢) انظر: (القرطبى ٨١/١٨٧، الكشاف ٢/٥٣٣، البحر المحيط ٦/٢٣٤، مجمع البيان ٧/٦، العكبرى ٢/٦٦، الرازى ٢٢/٢٧) «ضبط فى القرطبى بفتح الحاء».

سُوٓءٍ﴾ يعنى من غير برص، فأخرج يده من مدرعته وكانت مضربة، فخرجت بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر، ثم قال: ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾ [آية: ٢٢] يعنى اليد آية أخرى سوى العصا.

﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾ [آية: ٢٣] يعنى اليد، كانت أكبر وأعجب أمرًا من العصا، فذلك قوله سبحانه: ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ [النازعات: ٢٠] يعنى اليد.

﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [آية: ٢٤] يقول: إنه عصى، فادعوه إلى عبادتى، واعلم أنى قد ربطت على قلبه؛ فلم يؤمن، فأتاه ملك خازن من خزان الريح، فقال له: انطلق لما أمرت.

﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ [آية: ٢٥] يقول: أوسع لى قلبى، قال له الملك: انطلق لما أمرت به، فإن هذا قد عجز عنه جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، عليهم السلام.

ثم قال موسى: ﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾ [آية: ٢٦] يقول: وهون علىَّ ما أمرتنى به من البلاغ إلى فرعون وقومه، ولا تعسره على.

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ [آية: ٢٧] وكان فى لسانه رتة يعنى الثقل، هذا الحرف عن محمد بن هانئ. ﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [آية: ٢٨] يعنى كلامى.

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا﴾ يقول: بالدخول إلى فرعون، يعنى عونًا ﴿مِّنۡ أَهۡلِي﴾ [آية: ٢٩] لكى يصدقنى فرعون.

﴿هَٰرُونَ أَخِي﴾ [آية: ٣٠] ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾ [آية: ٣١] يقول: اشدد به ظهرى وليكون عونًا لى. ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ [آية: ٣٢] الذى أمرتنى به، يتعطون لأمرنا ونتعاون كلانا جميعًا. ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا﴾ [آية: ٣٣] فى الصلاة ﴿وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [آية: ٣٤] باللسان ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ [آية: ٣٥] يقول: ما أبصرك بنا.

﴿قَالَ﴾ عز وجل: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [آية: ٣٦] ومسألتك لنفسك خيرًا، عن العقدة فى اللسان ولأخيك.

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ﴾ يعنى أنعمنا عليك مع النبوة ﴿مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ﴾ [آية: ٣٧].

﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ

ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾

ثم بين النعمة، فقال سبحانه: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ [آية: ٣٨]، واسمها يوخاند.

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ أن اجعليه ﴿فِي ٱلتَّابُوتِ﴾ والمؤمن الذى صنع التابوت اسمه خربيل بن صابوث ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ يعنى فى نهر مصر، وهو النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ على شاطئ البحر ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ يعنى فرعون عدو الله، عز وجل، وعدو لموسى، عليه السلام ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ فألقى الله، عز وجل، على موسى، عليه السلام، المحبة فأحبوه حين رأوه فهذه النعمة الأخرى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[1] [آية: ٣٩] حين قذف التابوت فى البحر، وحين التقط، وحين غذى، فكل ذلك بعين الله عز وجل، فلما التقطه جعل موسى لا يقبل ثدى امرأة.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ مريم ﴿فَتَقُولُ﴾ لآل فرعون: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ يعنى على من يضمه ويرضعه لكم، فقالوا: نعم، فذهبت أخته فجاءت بالأم فقبل ثديها، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ يعنى ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ عليك ﴿وَقَتَلْتَ﴾ حين بلغ أشده ثمانى عشرة سنة ﴿نَفْسًا﴾ بمصر ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ يعنى من القتل، وكان مغمومًا مخافة أن يقتل مكان القتيل ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ يعنى ابتليناك ببلاء على أثر بلاء، يعنى بالبلاء النقم منذ يوم ولد إلى أن بعثه الله، عز وجل، رسولاً ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ يعنى عشر سنين ﴿فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ حين كان مع شعيب، عليهما

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣٠٣، السبعة ٤٢٦، النشر ٢/٣٢٠، الكشف ٢/١٠٩، غيث النفع ٢٨٧، القرطبى ١١/١٩٧، الكشاف ٢/٥٣٦، البحر المحيط ٦/٢٤٢، تحبير التيسير ١٤٠، الرازى ٢٢/٥٤).

السلام ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ يعنى ميقات ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ [آية: ٤٠].

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [آية: ٤١] وهو ابن أربعين سنة، يقول: واخترتك لنفسى رسولاً ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ هارون ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ يعنى اليد والعصا، وهارون يومئذ غائب بمصر، فالتقيا موسى وهارون، عليهما السلام، من قبل أن يصلا إلى فرعون ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [آية: ٤٢] يقول: ولا تضعفا فى أمرى، فى قراءة ابن مسعود: «ولا تهنا فى ذكرى فى البلاغ إلى فرعون» يجرئهما على فرعون.

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [آية: ٤٣] يقول: عصى الله، عز وجل، أربعمائة سنة ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ يقول: ادعواه بالكنية، يعنى بالقول اللين، هل لك إلى أن تزكى، وأهديك إلى ربك فتخشى ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [آية: ٤٤].

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾[1] يعنى أن يعجل علينا بالقتل ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [آية: ٤٥] يعنى يستعصى.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ﴾ القتل ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ فى الدفع عنكما، فذلك قوله سبحانه: ﴿فلا يصلون إليكما﴾ [القصص:٣٥] ثم قال: ﴿أَسْمَعُ﴾ جواب فرعون ﴿وَأَرَىٰ﴾ [آية: ٤٦] يقول: وأعلم ما يقول، كقوله: ﴿... لتحكم بين الناس بما أراك الله...﴾ يعنى بما أعلمك الله، عز وجل.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ فانقطع كلام الله عز وجل لموسى، عليه السلام، فلما أتيا فرعون، قال موسى لفرعون: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ يقول: ولا تستعبدهم بالعمل، يعنى بقوله: معنا، يعنى نفسه وأخاه ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾ يعنى بعلامة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ وهى اليد والعصا ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [آية: ٤٧] يقول: والسلام على من آمن بالله، عز وجل.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن

---

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٨٧، القرطبى ٢٠١/١١، الكشاف ٥٣٨/٢، الإتحاف ٢٠٣، البحر المحيط ٢٤٦/٦).

نَبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ﴾ فى الآخرة ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ بتوحيد الله، عز وجل ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ [آية: ٤٨] يعنى وأعرض عنه.

﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ [آية: ٤٩] ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من الداوب ﴿خَلْقَهُۥ﴾ يعنى صورته التى تصلح له ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [آية: ٥٠] يقول: هداه إلى معيشته ومرعاه، فمنها ما يأكل الحب، ومنها ما يأكل اللحم.

﴿قَالَ﴾ فرعون: يا موسى ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [آية: ٥١] يقول: مؤمن آل فرعون فى حم المؤمن: ﴿**يا قوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم**﴾ [غافر: ٣٠، ٣١] فى الهلاك، فلما سمع ذلك فرعون من المؤمن، قال لموسى: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ فلم يعلم موسى ما أمرهم؟ لأن التوراة إنما أزلت على موسى، عليه السلام، بعد هلاك فرعون وقومه.

فمن ثم رد عليه موسى: **فـ**﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ﴾ يعنى اللوح المحفوظ ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى﴾ يعنى لا يخطئ ذلك الكتاب ربى ﴿وَلَا يَنسَى﴾ [آية: ٥٢] ما فيه، فلما أنزل الله، عز وجل، عليه التوراة أعلمه، وبين له فيها القرون الأولى.

ثم ذكر موسى، عليه السلام، صنع الله، عز وجل، ليعتبر به فرعون، فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ يعنى فراشًا ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ﴾ يعنى وجعل لكم ﴿فِيهَا سُبُلًا﴾ يعنى طرقًا فى الأرض ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ﴾ يعنى بالمطر ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [آية: ٥٣] من الأرض يعنى مختلفًا من كل لون من النبت منها للدواب، ومنها للناس.

﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ يعنى فيما ذكر من هذه الآية ﴿لَـَٔايَـٰتٍ﴾ يعنى لعبرة ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [آية: ٥٤] يعنى لذوى العقول فى توحيد الله، عز وجل، هذا قول موسى، عليه السلام، لفرعون.

ثم قال الله عز وجل: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ يعنى أول مرة خلقكم من الأرض، من التراب الذى ذكر فى هذه الآية التى قبلها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾ إذا متم ﴿وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ﴾ يوم القيامة أحياء بعد الموت ﴿تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾ [آية: ٥٥] يعنى مرة أخرى.

﴿وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ يعنى فرعون، الآيات السبع: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، والسنين، والعصا، واليد، ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها، بأنها ليست من الله، عز وجل، ﴿وَأَبَىٰ﴾ [آية: ٥٦] أن يصدق بها، وزعم أنها سحر.

﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [آية: ٥٧] اليد والعصا ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٍ مِّثۡلِهِۦ﴾ يعنى بمثل سحرك ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدًا﴾ يعنى وقتًا ﴿لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾ (١) [آية: ٥٨] يعنى ميقاتًا، يعنى عدلاً كقوله سبحانه: ﴿**أصحاب الصراط السوى**﴾ [طه: ١٣٥] يعنى العدل.

﴿قَالَ﴾ موسى لفرعون: ﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾ (٢) يعنى يوم عيد لهم فى كل سنة واحد، وهو يوم النيروز ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [آية: ٥٩] يعنى نهارًا فى اليوم الذى فيه العيد، مثل قوله: ﴿**بأسنا ضحى**﴾ [الأعراف: ٩٨] يعنى نهارًا، وبعث فرعون شرطة فحشرهم للميعاد.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٍۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفًّاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٥٤٢، الرازى ٢٢/٧١، الإتحاف ٣٠٤، البحر المحيط ٦/٢٥٣).

(٢) انظر: (الإتحاف ٣٠٤، القرطبى ١١/٢١٣، الكشاف ٢/٥٤١، التبيان ٧/١٦٠، مجمع البيان ٧/١٤، البحر المحيط ٦/٢٥٢، النحاس ٢/٣٤٢).

عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ ﴾

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ ﴾ يقول: أعرض فرعون عن الحق الذى دعى إليه ﴿ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ﴾ يعنى سحرته ﴿ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ [آية: ٦٠] ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ لقولهم: إن اليد والعصا ليستا من الله، عز وجل، وإنها سحر ﴿ فَيُسْحِتَكُم ﴾ يعنى فهلككم جميعًا ﴿ بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ ﴾ يعنى وقد خسر ﴿ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾ [آية: ٦١] وقال الكذب على الله عز وجل.

﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ﴾ يعنى اختلفوا فى قولهم بينهم نظيرها فى الكهف: ﴿ **إذ يتنازعون بينهم أمرهم** ﴾ [الكهف: ٢١]، ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴾ [آية: ٦٢] من موسى وهارون، عليهما السلام.

فنجواهم أن ﴿ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم ﴾ يعنى أرض مصر ﴿ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴾ [آية: ٦٣] يقول: يغلبانكم على الرجال والأمثال، جمع أمثل، وهو الممتاز من الرجال، من أهل العقول والشرف، فيتبعون موسى وهارون، ويتركون فرعون.

﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ﴾ يعنى سحركم، هذا قول فرعون لوجوه سحرة قومه ﴿ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ ﴾ يعنى جميعًا ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ ﴾ يعنى وقد سعد ﴿ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾ [آية: ٦٤] يعنى من غلب.

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ ﴾ عصاك من يدك ﴿ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ ﴾ نحن ﴿ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾ [آية: ٦٥].

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ ﴾ فلما ألقوا ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ﴾ (١) يعنى إلى موسى ﴿ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [آية: ٦٦] وكانت حبالاً وهى لا تتحرك.

﴿ فَأَوْجَسَ ﴾ يعنى فوقع ﴿ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ [آية: ٦٧] يعنى خاف موسى إن صنع القوم مثل صنعه أن يشكوا فيه فلا يتبعوه، ويشك فيه من تابعه ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣٠٥، الطبرى ١٦/١٤٠، مجمع البيان ٧/١٤، القرطبى ١١/٢٢٢، الكشاف ٢/٥٢٤، البحر المحيط ٦/٢٥٩، النشر ٢/٣٢١، التيسير ١٥٢، غيث النفع ٢٩٠).

﴿أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [آية: ٦٨] يعنى الغالب نظيرها ﴿وأنتم الأعلون﴾ [آل عمران: ١٣٩، محمد: ٣٥] الغالبون، هذا قول جبريل لموسى، عليه السلام، عن أمر ربه، عز وجل، وهو على يمينه تلك الساعة.

﴿وَأَلۡقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ يعنى عصاه، ففعل، فإذا هى حية ﴿تَلۡقَفۡ﴾ يقول: تلقم ﴿مَا صَنَعُوٓاْ﴾ من السحر حتى تلقمت الحبال والعصى ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٍ﴾ يقول: إن الذى عملوا هو عمل ساحر، يعنى كبيرهم، وما صنع موسى فليس بسحر ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ [آية: ٦٩] أينما كان الساحر فلا يفلح.

﴿فَأُلۡقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا﴾ لله تبارك وتعالى، وكانوا ثلاثة وسبعين ساحرًا أكبرهم اسمه شمعون، فلما التقمت الحبال والعصى ألقاهم الله، عز وجل، على وجوههم سجدًا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ يعنى صدقنا ﴿بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [آية: ٧٠].

﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ﴾ يعنى صدقتم لموسى ﴿قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ﴾ يقول: قبل أن آمركم بالإيمان لموسى ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ يعنى لعظيمكم فى السحر، هو ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾ يعنى اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿أم لهم سلم يستمعون فيه...﴾ [الطور:٣٨] يعنى عليه ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾ [آية: ٧١] أنا أو رب موسى وهارون ﴿وَأَبۡقَىٰ﴾ وأدوم عذابًا.

﴿قَالُواْ﴾ يعنى قالت السحرة: ﴿لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾ يعنى لن نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ يعنون اليد والعصا ﴿وَ﴾ لا على ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ يعنى خلقنا، يعنون ربهم، عز وجل، الذى خلقهم ﴿فَٱقۡضِ﴾ يعنى فاحكم فينا ﴿مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ يعنى حاكم من القطع والصلب ﴿إِنَّمَا تَقۡضِى هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ [آية: ٧٢].

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا﴾ يقول: إنا صدقنا بتوحيد الله، عز وجل، ﴿لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ يقول: سحرنا ﴿وَ﴾ يغفر لنا ﴿وَمَآ﴾ الذى ﴿أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ﴾ يعنى ما جبرتنا عليه ﴿مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [آية: ٧٣] يقول الله جل جلاله أفضل منك وأدوم منك يا فرعون، فإنك تموت ويبقى الرب وحده تعالى جده؛ لقول فرعون: ﴿... أينا أشد عذابا وأبقى﴾ [طه:٧١].

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا

ﭐلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾ يعنى مشركا فى الآخرة، وأنت هو يا فرعون ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ [آية: ٧٤] فتنفعه الحياة، نظيرها فى ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١].

﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ﴾ فى الآخرة ﴿مُؤۡمِنٗا﴾ يعنى مصدقًا بتوحيد الله، عز وجل، ﴿قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الأعمال ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾ [آية: ٧٥] يعنى الفضائل الرفيعة فى الجنة من الأعمال.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ يعنى تحت البساتين الأنهار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ لا يموتون ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ﴾ يعنى الخلود جزاء ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ [آية: ٧٦].

﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾

﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي﴾ ليلاً بأرض مصر ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا﴾ من آل فرعون من ورائك ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ [آية: ٧٧] الغرق فى البحر أمامك؛ لأن بنى إسرائيل قالوا لموسى: هذا فرعون قد لحقنا بالجنود، وهذا البحر قد غشينا، فليس لنا منقذ، فنزلت: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ أوجب ذلك على نفسه تعالى.

﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ﴾ [آية: ٧٨] يعنى الغرق، ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ﴾ القبط ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ [آية: ٧٩] يقول: وما هداهم، وذلك أن فرعون قال لقومه فى حم المؤمن: ﴿... ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ [غافر: ٢٩]، فأضلهم ولم يهدهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾

كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾ فرعون وقومه ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ يعنى حين سار موسى مع السبعين عن يمين الجبل، فأعطى التوراة ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ [آية: ٨٠] فى التيه، أما المن فالترنجبين كان بين أعينهم بالليل على شجرهم أبيض كأنه الثلج، حلو مثل العسل، فيغدون عليه فيأخذون منه ما يكفيهم يومهم ذلك، ولا يرفعون منه لغد، ويأخذون يوم الجمعة ليومين؛ لأن السبت كان عندهم لا يسيحون فيه ولا يعملون فيه، هذا لهم وهم فى التيه مع موسى، عليه السلام، وتنبت ثيابهم مع أولادهم، أما الرجال فكانت ثيابهم لا تبلى، ولا تخرف، ولا تدنس، وأما السلوى وهو الطير، وذلك أن بنى إسرائيل سألوا موسى اللحم وهم فى التيه، فسأل موسى، عليه السلام، ربه عز وجل ذلك، فقال الله: لأطعمنهم أقل الطير لحمًا فبعث الله سبحانه سحابًا فأمطرت سمانًا، وجمعتهم الريح الجنوب، وهى طير حمر تكون فى طريق مصر، فمطرت قدر ميل فى عرض الأرض، وقدر طول رمح فى السماء.

يقول الله تعالى ذكره: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ يعنى بالطيبات الحلال من الرزق ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ يقول: ولا تعصوا فى الرزق، يعنى فيما رزقناكم من المن والسلوى فترفعوا منه لغد، وكان الله سبحانه قد نهاهم أن يرفعوا منه لغد فعصوا الله، عز وجل، ورفعوا منه، وقددوا، فتدود ونتن، ولولا صنيع بنى إسرائيل لم يتغير الطعام أبدًا، ولولا حواء زوج آدم، عليهما السلام، لم تخن أنثى زوجها الدهر، فذلك قوله: ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ كقوله تعالى لفرعون: ﴿... **إنه طغى**﴾ يعنى عصى ﴿فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ﴾ يعنى فيجب عليكم عذابى ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي﴾ عذابى ﴿فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ [آية: ٨١] يقول: ومن وجب عليه عذابى فقد هلك.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾ من الشرك عن عبادة العجل ﴿وَءَامَنَ﴾ يعنى وصدق بتوحيد الله، عز وجل، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [آية: ٨٢] يعنى عرف أن لعمله ثوابًا يجازى به كقوله سبحانه: ﴿**وبالنجم هم يهتدون**﴾ [النحل: ١٦] يعنى يعرفون الطريق.

﴿۞وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ

عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ ﴾

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [آية: ٨٣] يعني السبعين الذين اختارهم موسى حين ذهبوا معه إلى الطور ليأخذوا التوراة من ربه، عز وجل، فلما ساروا عجل موسى، عليه السلام، شوقًا إلى ربه تبارك وتعالى، وخلف السبعين، وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل، فقال الله عز وجل له: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾؟ السبعين.

﴿قَالَ﴾ لربه جل وعز: ﴿هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ يجيئون من بعدى ﴿وَعَجِلْتُ﴾ يعنى أسرعت ﴿إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [آية: ٨٤] يقول: حتى ترضى عنى.

﴿قَالَ﴾ الله جل جلاله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ يعنى الذين خلفهم مع هارون على ساحل البحر سوى السبعين ﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾ بالعجل ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ [آية: ٨٥] حين أمرهم بعبادة العجل وكانوا اثنى عشر ألفًا.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾ من الجبل ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ عليهم ﴿أَسِفًا﴾ حزينًا لعبادتهم العجل ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ يعنى حقًا كقوله سبحانه فى البقرة: ﴿... **وقولوا للناس حسنا** ...﴾ [البقرة: ٨٠] يعنى حقًا فى محمد ﷺ، أن يعطيكم التوراة فيها بيان كل شيء، والوعد حين قال عز وجل: ﴿**وواعدناكم جانب الطور الأيمن**﴾ [طه: ٨٠] حين سار موسى مع السبعين ليأخذوا التوراة، فطال عليهم العهد، يعنى ميعاده إياهم أربعين يومًا، فذلك قوله تعالى: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ﴾ يعنى أن يجب عليكم عذاب، كقوله تعالى: ﴿... **قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب** ..﴾ [الأعراف: ٧١] يعنى عذاب ﴿مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [آية: ٨٦] يعنى الأربعين يومًا، وذلك أنهم عدوا الأيام والليالى، فعدوا عشرين يومًا وعشرين ليلة، ثم قالوا لهارون: قد تم الأجل الذى كان بيننا وبين موسى، فعند ذلك أضلهم السامرى.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ ونحن نملك أمرنا ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا﴾ يعنى خطايا؛ لأن ذلك حملهم على صنع العجل وعبادته ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ يقول: من حلى

آل فرعون الذهب والفضة، وذلك أنه لما مضى خمسة وثلاثون يومًا، قال لهم السامرى وهو من بنى إسرائيل: يا أهل مصر، إن موسى لا يأتيكم، فانظروا هذا الوزر، وهو الرجس الذى على نسائكم وأولادكم من حلى آل فرعون الذى أخذتموه منهم غصبًا، فتطهروا منه، واقذفوه فى النار.

ففعلوا ذلك وجمعوه فعمد السامرى؛ فأخذه ثم صاغه عجلاً لست وثلاثين يومًا، وسبعة وثلاثين يومًا، وثمانية وثلاثين يومًا، فصاغه فى ثلاثة أيام، ثم قذف القبضة التى أخذها من أثر حافر فرس جبريل، عليه السلام، فخار العجل خورة واحدة، ولم يثن، فأمرهم السامرى بعبادة العجل لتسعة وثلاثين يومًا، ثم أتاهم موسى، عليه السلام، من الغد لتمام أربعين يومًا، فذلك قوله سبحانه ﴿فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾ [آية: ٨٧] الحلى فى النار.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ يعنى بالجسد أنه لا روح فيه ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ يعنى له صوت ﴿فَقَالُوا۟﴾ قال السامرى وحده: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ معشر بنى إسرائيل، وذلك أن بنى إسرائيل لما عبروا البحر مروا على العمالقة وهم عكوف على أصنام لهم، قالوا لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، فاغتنمها السامرى، فلما اتخذه قال: هذا إلهكم وإله موسى معشر بنى إسرائيل، ﴿فَنَسِىَ﴾ [آية: ٨٨] يقول: فترك موسى ربه وهو هذا، وقد ذهب موسى يزعم خطاب ربه، يقول الله جل جلاله.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾

﴿أَفَلَا﴾ يعنى أفهلا ﴿يَرَوْنَ أَلَّا﴾ أنه ﴿يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أنه لا يكلمهم العجل

﴿وَلَا يَمۡلِكُ﴾ يقول: لا يقدر ﴿لَهُمۡ ضَرّٗا﴾ يقول: لا يقدر العجل على أن يرفع عنهم سوءًا ﴿وَلَا نَفۡعٗا﴾ [آية: ٨٩] يقول: ولا يسوق إليهم خيرًا.

﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ﴾ أن يأتيهم موسى من الطور ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ﴾ يعني ابتليتم بالعجل ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي﴾ على ديني ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾ [آية: ٩٠] يعني قولي.

﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ﴾ قالوا لن نبرح على العجل واقفين نعبده، كقوله سبحانه: ﴿**لا أبرح**﴾ يعني لا أزال ﴿**حتى أبلغ مجمع البحرين**﴾ [الكهف:٦٠] ﴿حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾ [آية: ٩١].

فلما رجع موسى ﴿قَالَ﴾ لهارون: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ﴾ [آية: ٩٢] يعني أشركوا ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ﴾ يقول ألا اتبعت أمري فأنكرت عليهم ﴿أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾ [آية: ٩٣] يقول افتركت قولي، كقوله سبحانه: ﴿**ولا تطيعوا أمر المسرفين**﴾ [الشعراء:١٥١].

﴿قَالَ﴾ هارون لموسى عليهما السلام: ﴿يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ﴾ فإني لو أنكرت لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا و ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [آية: ٩٤] يقول: ولم تحفظ وصيتي في الأعراف قوله سبحانه لهارون: ﴿أخلفني في قومي وأصلح﴾ [الأعراف: ١٤٢] وكان هارون أحب بني إسرائيل من موسى، صلى الله عليهما، ولقد سمت بنو إسرائيل على اسم هارون سبعين ألفًا من حبه، عليه السلام.

﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ﴾ يعني فما أمرك؟ ﴿يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ [آية: ٩٥] يقول: فما حملك على ما أرى ﴿قَالَ﴾ السامري: ﴿بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ﴾ يقول: بما لم يفطنوا به يقول: عرفت ما لم يعرفوه من أمر فرس جبريل، عليه السلام، ﴿فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ﴾[1] فرس ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ يعني تحت فرس جبريل، عليه السلام، ﴿فَنَبَذۡتُهَا﴾ في النار على أثر الحلي ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي﴾ [آية: ٩٦] يقول: هكذا زينت لي نفسي أن أفعل ذلك ﴿قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ إلى أن تموت ﴿أَن تَقُولَ لَا

---

(١) انظر: (الطبري ١٥٢/١٦، الفراء ١٩٠/٢، الإتحاف ٣٠٧، غيث النفع ٢٩٢، لسان العرب «قبص»، البحر المحيط ٢٧٣/٦، التبيان ١٨٠/٧، الكشاف ٥٥١/٢، مجمع البيان ٢٤/٧، ٢٥).

مِسَاسَ﴾[١] يعنى لا تخالط الناس ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ فى الآخرة ﴿مَوْعِدًا﴾ يعنى يوم القيامة ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ يقول: لن تغيب عنه ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ﴾ يعنى العجل ﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ يقول: أقمت عليه عابدًا له ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾[٢] بالنار وبالمبرد ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [آية: ٩٧] يقول: لننبذنه فى اليم نبذًا.

﴿إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ﴾ يعنى ملأ ﴿كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [آية: ٩٨] فعلمه تبارك وتعالى.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، قال: علم عز وجل من يعبده، ومن لا يعبده قبل خلقهم، جل جلاله.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ يعنى من أحاديث ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من قبلك من الأمم الخالية ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [آية: ٩٩] يقول: قد أعطيناك من عندنا تبيانًا يعنى القرآن.

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يعنى عن إيمان بالقرآن ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾ [آية: ١٠٠] يعنى إثمًا بإعراضه عن القرآن يحمله على ظهره.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ﴾ يعنى فى الوزر فى النار ﴿وَسَآءَ لَهُمْ﴾ يعنى وبئس لهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾ [آية: ١٠١] يعنى إثمًا، والوزر هو الخطأ الكبير.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[٣] يعنى المشركين إلى النار ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [آية: ١٠٢] زرق الأعين.

﴿يَتَخَـٰفَتُونَ﴾ يعنى يتساءلون ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يقول بعضهم لبعض: ﴿إِن﴾ يعنى ما

---

(١) انظر: (الفراء ٢/١٩٠، الكشاف ٢/٥٥١، مجمع البيان ٧/٢٧، البحر المحيط ٦/٢٧٥).

(٢) انظر: (الإتحاف ٣٠٧، الطبرى ١٦/١٥٣، القرطبى ١١/٢٤٢، الكشاف ٢/٥٥٢، النشر ٢/٣٢٢، الفراء ٢/١٩١، البحر المحيط ٦/٢٧٦، تحبير التيسير ١٤١، التبيان ٧/١٨٢).

(٣) انظر: (القرطبى ١١/٢٤٤، الكشاف ٢/٥٥٣، الرازى ٢٢/١١٤، مجمع البيان ٧/٢٧، البحر المحيط ٦/٢٧٨).

﴿لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [آية: ١٠٣] يعنى عشر ليال.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ يعنى أمثلهم نحوى ورأيا ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ فى القبور ﴿إِلَّا يَوْمًا﴾ [آية: ١٠٤] واحدًا.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠)﴾

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ نزلت فى رجل من ثقيف ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [آية: ١٠٥] من الأرض من أصولها.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ لا تراب فيها ﴿صَفْصَفًا﴾ [آية: ١٠٦] لا نبت فيها.

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ يعنى خفضًا ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ [آية: ١٠٧] يعنى رفعًا.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ يعنى صوت الملك الذى هو قائم على صخرة بيت المقدس، وهو إسرافيل، عليه السلام، حين ينفخ فى الصور، يعنى فى القرن، لا يزيغون ولا يروغون عنه يمينًا ولا شمالاً، يعنى لا يميلون عنه، كقوله سبحانه: ﴿... **تبغونها عوجا** ...﴾ [آل عمران: ٩٩] يعنى زيغًا وهو الميل ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ يعنى عنه، يستقيمون قبل الصوت نظيرها ﴿.. **ولم يجعل له عوجا** ...﴾ [الكهف: ١] ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [آية: ١٠٨] إلا خفيا من الأصوات مثل وطء الأقدام.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ يعنى شفاعة الملائكة ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ أن يشفع له ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [آية: ١٠٩] يعنى التوحيد.

﴿يَعْلَمُ﴾ الله عز وجل ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول: ما كان قبل أن يخلق الملائكة، وما كان بعد خلقهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [آية: ١١٠] يعنى بالله عز وجل علمًا هو أعظم من ذلك.

﴿۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ يعنى استسلمت الوجوه ﴿لِلْحَىِّ﴾ الذى لا يموت ﴿ٱلْقَيُّومِ﴾ يعنى القائم على كل شىء ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [آية: ١١١] يقول: وقد خسر من حمل شركًا يوم القيامة على ظهره.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ مصدق بتوحيد الله عز وجل ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ فى الآخرة، يعنى أن تظلم حسناته كلها حتى لا يجازى بحسناته كلها ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ [آية: ١١٢] يعنى ولا ينقص منها شيئًا، مثل قوله عز وجل: ﴿فلا يخاف بخسا ولا رهقا﴾ [الجن: ١٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يعنى وهكذا ﴿أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ ليفقهوه ﴿وَصَرَّفْنَا﴾ يعنى وصنفنا ﴿فِيهِ﴾ يعنى لوّنا فيه، يعنى فى القرآن ﴿مِنَ﴾ ألوان ﴿ٱلْوَعِيدِ﴾ للأمم الخالية فى الدنيا من الحصب، والخسف، والغرق، والصيحة، فهذا الوعيد لهم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يعنى لكى ﴿يَتَّقُونَ﴾ يعنى لكى يخلصوا التوحيد بوعيدنا فى القرآن ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ يعنى الوعيد ﴿ذِكْرًا﴾ [آية: ١١٣] عظة فيخافون فيؤمنون.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ يعنى ارتفع الله ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ لأن غيره، عز وجل، وما سواه من الآلهة باطل ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ وذلك أن جبريل، عليه السلام، كان إذا أخبر النبى ﷺ، بالوحى لم يفرغ جبريل، عليه السلام، من آخر الكلام، حتى يتكلم النبى ﷺ، بأوله، فقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَعْجَلْ﴾ بقراءة القرآن ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ يقول: من قبل أن يتمه لك جبريل، عليه السلام، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [آية: ١١٤] يعنى قرآنًا.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا

سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ﴾ محمد ﷺ، ألا يأكل من الشجرة ﴿فَنَسِىَ﴾ يقول: فترك آدم العهد، كقوله: ﴿... وإله موسى فنسى﴾ [طه: ٨٨] يقول: ترك، وكقوله سبحانه: ﴿...إنا نسيناكم ...﴾ [السجدة: ١٤] يقول: تركناكم، وكقوله: ﴿فنسوا حظا...﴾ [المائدة: ١٤] يعنى تركوا، فلما نسى العهد سمى الإنسان، فأكل منها ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [آية: ١١٥] يعنى صبرًا عن أكلها.

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ يعنى وقد قلنا ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ إذ نفخ فيه الروح ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ لم يسجد فـ ﴿أَبَىٰ﴾ [آية: ١١٦] أن يسجد.

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حواء ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [آية: ١١٧] بالعمل بيديك، وكان يأكل من الجنة رغدًا من غير أن يعمل بيده، فلما أصاب الخطيئة أكل من عمل يده، فكان يعمل ويأكل ﴿إِنَّ لَكَ﴾ يا آدم ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [آية: ١١٨].

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾ يعنى لا تعطش فى الجنة ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [آية: ١١٩] يقول: لا يصيبك حر الشمس، فيؤذيك فتفرق.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يعنى إبليس وحده فـ ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ﴾ يقول: ألا أدلك ﴿عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ من أكل منها خلد فى الجنة فلا يموت ﴿وَ﴾ على ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [آية: ١٢٠] يقول: لا يفنى.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ يقول: ظهرت لهما عوراتهما ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ يقول: وجعلا يخصفان، يقول: يلزقان الورق بعضه على بعض ﴿مِن

وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ ورق التين ليستتروا به فى الجنة ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [آية: ١٢١] يعنى فضل وتولى عن طاعة ربه، عز وجل.

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ يعنى استخلصه ربه عز وجل ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ من ذنبه ﴿وَهَدَىٰ ﴾ [آية: ١٢٢] يعنى وهداه للتوبة.

﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ﴾ يعنى آدم وإبليس ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ يقول: إبليس وذريته عدو لآدم وذريته ﴿فَإِمَّا ﴾ يعنى فإن ﴿يَأْتِيَنَّكُم ﴾ يعنى ذرية آدم ﴿مِّنِّى هُدًى ﴾ يعنى رسلاً معهم كتب فيها البيان ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ ﴾ يعنى رسلى وكتابى ﴿فَلَا يَضِلُّ ﴾ فى الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [آية: ١٢٣] فى الآخرة.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾ يعنى عن إيمان بالقرآن نزلت فى الأسود بن عبد الأسود المخزومى، قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر على الحوض ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ يعنى معيشة سوء لأنها فى معاصى الله عز وجل الضنك والضيق ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [آية: ١٢٤] عن حجته.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ ﴾ عن حجتى ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ [آية: ١٢٥] فى الدنيا عليمًا بها، وهذا مثل قوله سبحانه: ﴿ **هلك عنى سلطانية** ﴾ [الحاقة: ٢٩] يعنى ضلت عنى حجتى، وهذا قوله حين شهدت عليه الجوارح بالشرك والكفر.

﴿قَالَ ﴾ الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ﴾ يعنى هكذا ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا ﴾ يعنى آيات القرآن ﴿فَنَسِيتَهَا ﴾ يعنى فتركت إيمانًا بآيات القرآن ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [آية: ١٢٦] فى الآخرة تترك فى النار، ولا تخرج منها، ولا نذكرك.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ ﴾ يعنى وهكذا نجزى من أشرك فى الدنيا بالنار فى الآخرة ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ﴾ يقول: ولم يؤمن بالقرآن ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ ﴾ مما أصابه فى الدنيا من القتل ببدر ﴿وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [آية: ١٢٧] يعنى وأدوم من عذاب الدنيا، ثم خوف كفار مكة.

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾

فقال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ يقول: أو لم نبين لهم ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾ بالعذاب

﴿ قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ﴾ يقول: يمرون فى قراهم فيرون هلاكهم يعنى عادًا وثمودًا، وقوم لوط، وقوم شعيب ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ يعنى إن فى هلاكهم بالعذاب فى الدنيا ﴿ لَأَيَٰتٍ ﴾ لعبرة ﴿ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ [آية: ١٢٨] يعنى لذوى العقول فيحذرون مثل عقوبتهم.

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ فى تأخير العذاب عنهم إلى تلك المدة ﴿ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [آية: ١٢٩] يعنى يوم القيامة ﴿ لَكَانَ لِزَامًا ﴾ للزمهم العذاب فى الدنيا كلزوم الغريم الغريم.

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ من تكذيبهم إياك بالعذاب ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ يعنى صل بأمر ربك ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ ﴾ يعنى الفجر ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ يعنى الظهر والعصر ﴿ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ ﴾ يعنى المغرب والعشاء ﴿ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [آية: ١٣٠] يا محمد فى الآخرة بثواب الله عز وجل.

قال مقاتل: كانت الصلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى، فلما عرج بالنبى ﷺ فرضت عليه خمس صلوات ركعتين ركعتين غير المغرب، فلما هاجر إلى المدينة أمر بتمام الصلوات ولها ثلاثة أحوال.

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ يعنى كفار مكة من الرزق أصنافًا منهم من الأموال، فإنها ﴿ زَهْرَةَ ﴾ يعنى زينة ﴿ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ يقول: أعطيناهم ذلك لكى نبتليهم ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ ﴾ فى الآخرة يعنى الجنة ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [آية: ١٣١] يعنى أفضل وأدوم وأبقى مما أعطى كفار مكة.

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ ﴾ يعنى قومك ﴿ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾ كقوله سبحانه: ﴿**وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة**﴾ [مريم: ٥٥] يعنى قومه ﴿ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ يعنى الصلاة، فإنا ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ﴾ إنما نسألك العبادة ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [آية: ١٣٢] يعنى عاقبة التقوى دار الجنة، لقوله عز وجل: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد يطعمون**﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧] إنما أريد منهم العبادة.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿وَقَالُواْ﴾ أى كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ يعنى هلا ﴿يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ فتعلم أنه نبى رسول كما كانت الأنبياء تجئ بها إلى قومهم، يقول الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [آية: ١٣٣] يعنى بيان كتب إبراهيم وموسى الذى كان قبل كتاب محمد، صلى الله عليهم أجمعين.

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ﴾ فى الدنيا ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ يعنى من قبل هذا القرآن فى الآخرة ﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ﴾ يعنى هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ معه كتاب ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ﴾ يعنى آيات القرآن ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ يعنى نستذل ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ [آية: ١٣٤] يعنى ونعذب فى الدنيا، نظيرها فى القصص.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ وذلك أن كفارمكة، قالوا: نتربص بمحمد ﷺ، الموت لأن النبى ﷺ، أوعدهم العذاب فى الدنيا، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ أنتم بمحمد الموت، ومحمد يتربص بكم العذاب فى الدنيا ﴿فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا نزل بكم العذاب فى الدنيا ﴿مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ﴾ يعنى العدل أنحن أم أنتم ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [آية: ١٣٥] منا ومنكم.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، قال: سمعت الواقدى، و لم أسمع مقاتلا يحدث عن أبى إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أُبى بن كعب، عن رسول الله ﷺ، فى قوله عز وجل: ﴿... **خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا**﴾ [الكهف: ٨١] قال: أعقبت بعد ذلك غلامًا.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى الهذيل، عن المسيب، عن السدى، ومقاتل، عن حذيفة، أنه لما حان للخضر وموسى، عليهما السلام، أن يفترقا، قال له الخضر: يا موسى، لو صبرت لأتيت على ألف عجيبة أعجب مما رأيت، قال: فبكى موسى على فراقه.

فقال موسى للخضر: أوصنى يا نبى الله، قال له الخضر: يا موسى، اجعل همك فى

معادك، ولا تخض فيما لا يعينك، ولا تأمن الخوف فى أمنك، ولا تيأس من الأمن فى خوفك، ولا تذر الإحسان فى قدرتك، وتدبر الأمور فى عاقبتك. قال له موسى عليه السلام: زدنى رحمك الله، قال له الخضر: إياك والإعجاب بنفسك، والتفريط فيما بقى من عمرك، واحذر من لا يغفل عنك، قال له موسى، صلى الله عليهما: زدنى رحمك الله، قال له الخضر: إياك واللجاجة، ولا تمش فى غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعيرن أحدًا من الخاطئين بخطاياهم بعد الندم، وأبك على خطيئتك يابن عمران.

قال له موسى ﷺ: قد أبلغت فى الوصية، فأتم الله عليك نعمته، وغمرك فى رحمته، وكلأك من عدوه، قال له الخضر: آمين، فأوصنى يا موسى.

قال له موسى: إياك والغضب إلا فى الله تعالى، ولا ترض عن أحد إلا فى الله عز وجل، ولا تحب لدنيا، ولا تبغض لدنيا تخرج من الإيمان، وتدخلك فى الكفر. قال الخضر، عليهما السلام: قد أبلغت فى الوصية، فأعانك الله على طاعته، وأراك السرور فى أمرك، وحببك إلى خلقه، وأوسع عليك من فضله، قال له موسى: آمين.

فبينما هما جلوس على ساحل البحر إذ انقضت خطافة فنقرت بمنقارها من البحر نقرتين.

قال موسى للخضر عليهما السلام: يا نبى الله، هل تعلم ما نقص من البحر؟ قال له الخضر: لولا ما نراد فيه لأخبرتك، قال موسى للخضر: يا نبى الله، هل من شىء ليس فيه بركة؟ قال له الخضر: نعم يا موسى، ما من شىء إلا وفيه بركة ما خلا آجال العباد، ومدتهم، ولولا ذلك لفنى الناس. قال موسى: وكيف ذلك؟ قال له الخضر: لأن كل شىء ينقص منه، فلا يزاد فيه ينقطع، قال له موسى: يا نبى الله، من أجل أى شىء أعطاك الله عز وجل من بين العباد أن لا تموت حتى نسأل الله تعالى، واطلعت على ما فى قلوب العباد تنظر بعين الله عز وجل؟.

قال له الخضر: يا موسى، بالصبر عن معصية الله، عز وجل، والشكر لله، عز وجل، فى نعمته، وسلامة القلب لا أخاف ولا أرجو دون الله أحدًا.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، قال: سمعت عبد القدوس يحدث عن الحسن، قال: سمعت ابن عباس على المنبر يقول: ﴿**فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه**

زكاة وأقرب رحمًا﴾ [الكهف: ٨١]، قال: جارية مكان الغلام.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا أبى، عن الهذيل، عن المسيب، عن رجل، عن ابن عباس، فى قوله عز وجل: ﴿... **وكان تحته كنز لهما** ...﴾ قال: كان لوحًا من ذهب مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، أحمد رسول الله، عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن؟ وعجبت لمن يعلم أن الموت حق كيف يفرح؟ وعجبت لمن يرى الدنيا وتصريف أهلهما كيف يطمئن إليها؟.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن أبى يوسف، عن الحسن بن عمارة، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، فى قوله عز وجل: ﴿ ... **لا تؤاخذنى بما نسيت**... ﴾، قال: لم ينس، ولكن هذا من معاريض الكلام.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: سمعت المسيب يحدث عن عبيد الله بن مالك، عن على، رضى الله عنه، وقد لقيه، قال: إن الترك سرية خرجوا من يأجوج ومأجوج يغيرون على الناس فردم ذو القرنين دونهم فبقوا. قال مقاتل: إنما سموا الترك؛ لأنهم تركوا خلف الردم.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن أبى المليح، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس، قال: انتهى ذو القرنين إلى ملك من ملوك الأرض، فقال لذى القرنين: إنك قد بلغت ما لم يبلغه أحد، وقد أخبرت أن عندك علمًا، وأنا سائلك عن خصال أربع، فإن أنت أخبرتنى عنهم علمت أنك عالم.

ما اثنان قائمان؟ واثنان ساعيان؟ واثنان مشتركان؟ واثنان متباغضان؟ قال له ذو القرنين: أما الاثنان القائمان فالسموات والأرض لم يزولا منذ خلقهما الله، عز وجل، وأما الاثنان الساعيان فالشمس والقمر لم يزالا دائبين منذ خلقهما الله، عز وجل، وأما الاثنان المشتركان فالليل والنهار يأخذ كل واحد منهما من صاحبه، وأما الاثنان المتباغضان فالموت والحياة لا يحب أحدهما صاحبة أبدًا، قال: صدقت، فإنك من علماء أهل الأرض.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن المسعودى، عن عون بن عبد الله المزنى، عن مطرف بن الشخير، أنه قال: فضل العلم خير من فضل العمل، وخير العمل أوسطه، والحسنة بين السيئتين.

قوله سبحانه: ﴿... **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها**﴾ سيئة ﴿**وابتغ بين ذلك سبيلا**﴾ [الإسراء: ١١٠] حسنة. قال الهذيل: و لم أسمع مقاتلا.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال الهذيل: قال مقاتل: تفسير آدم، عليه السلام، لأنه خلق من أديم الأرض، وتفسير حواء؛ لأنها خلقت من حى، وتفسير نوح لأنه ناح على قومه، وتفسير إبراهيم أبو الأمم، ويقال: أب رحيم، وتفسير إسحاق لضحك سارة، ويعقوب لأنه خرج من بطن أمه قابض على عقب العيص، وتفسير يوسف زيادة فى الحسن، وتفسير يحيى: أحيى من بين ميتين، لأنه خرج من بين شيخ كبير، وعجوز عاقر، صلى الله عليهم أجمعين.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى الهذيل، عن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله ﷺ على ابنة عمته أم هانئ فنعس، فوضعت له وسادة، فوضع رأسه فنام، فبينا هو نائم إذ ضحك فى منامه، ثم وثب فاستوى جالسًا، فقالت أم هانئ: لقد سرنى ما رأيت فى وجهك، يا رسول الله، من البشرى، فقال: «يا أم هانئ، إن جبريل، عليه السلام، أخبرنى فى منامى أن ربى عز وجل قد وهب لى أمتى كلهم يوم القيامة، وقال لى: لو استوهبت غيرهم لأعطيناكهم، ففرحت لذلك وضحكت»، ثم وضع رأسه فنام فضحك، ثم وثب فجلس، فقالت له أم هانئ: بأبى أنت وأمى، لقد سرنى ما رأيت من البشرى فى وجهك، قال: «يا أم هانئ، أتانى جبريل، عليه السلام فأخبرنى أن الجنة تشتاق إلىَّ، وإلى أمتى، فضحكت من ذلك وفرحت».

قالت أم هانئ: يحق لك يا رسول الله، أن تفرح، ثم وضع رأسه فنام فضحك فى منامه، فاستوى جالسًا، فقالت أم هانئ: لقد سرنى ما رأيت من البشرى فى وجهك يا رسول الله، قال: «يا أم هانئ، عرضت على أمتى، فإذا معهم قضبان النور، إن القضيب منها ليضىء ما بين المشرق والمغرب، فسألت جبريل، عليه السلام، عن تلك القضبان التى فى أيديهم، فقال: ذلك الإسلام يا محمد، صلى الله عليك، وفتحت أبواب الجنة فى منامى فنظرت إلى داخلها من خارجها، فإذا فيها قصور الدر والياقوت، فقلت: لمن هذه؟ فقال: لك يا محمد ولأمتك، ولقد زينها الله عز وجل لك، ولأمتك، قبل أن يخلقك بألفى عام، فضحكت من ذلك»، قالت أم هانىء: يحق لك أن تضحك وتفرح هنيئًا لك مريئًا، يا نبى الله، بما أعطاك ربك.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله عز وجل جنة الفردوس وغرسها بيده، فلما فرغ منها لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر مثلها وما فيها، فقال لها تبارك وتعالى: تزيني. فتزينت، ثم قال لها: تزيني. فتزينت، ثم قال لها: تكلمي. فتكلمت، قالت: ﴿**قد أفلح المؤمنون**﴾ [آية: المؤمنون: ١] قال لها: من هم؟ قالت: الموحدون أمة محمد ﷺ ﴿**أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١] ثم أغلق بابها، فلا يفتح إلى يوم القيامة فما يجيئهم من طيب الشجر، فهو من خلال بابها، والحور يوم القيامة على بابها، وأنا قائم على الحوض أرد عنه أمم الكفار كما يرى الراعى غرائب الإبل، حتى تأتى أمتى غرًا محجلين من آثار الوضوء أعرفهم فيشربون من ذلك الحوض، فمن شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا». فقال معاذ: يا رسول الله، لقد سعد الذين يشربون من ذلك الحوض. فقال: «ويحك يا معاذ، من خلق فى بطن أمه موحدًا، ويؤمن برسوله، فهو يشرب من ذلك الحوض، ويدخل الفردوس»، قال معاذ: ما أكثر ما يخلق فى بطن أمه مشركًا، ثم يولد وهو مشرك، ثم يموت مؤمنًا، فقال: «يا معاذ، ويحك من مات مسلمًا فقد خلق فى ظهر آدم مسلمًا، ثم تداولته ظهور المشركين حتى أدركنى، فآمن بى، فأولئك إخوانى، وأنتم أصحابى»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**إخوانا على سرر متقابلين**﴾ [الحجر: ٤٧].

* * *

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية، كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٤) بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ (٥) مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦)﴾

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ نزلت فى كفار مكة ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [آية: ١] لا يؤمنون به يعنى بالحساب يوم القيامة.

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾ يعنى من بيان من ربهم يعنى القرآن ﴿مُّحْدَثٍ﴾ يقول: الذى يحدث الله، عز وجل، إلى النبى ﷺ من القرآن لا محدث عند الله تعالى ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [آية: ٢] يعنى لاهين عن القرآن.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ يعنى غافلة قلوبهم عنه ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ فهو أبو جهل، والوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبى معيط، قالوا سرًا فيما بينهم: ﴿هَلْ هَٰذَآ﴾ يعنون محمدًا ﷺ ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لا يفضلكم بشىء فتتبعونه ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ يعنى القرآن ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٣] أنه سحر.

﴿قَالَ﴾ لهم محمد ﷺ ﴿رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ يعنى السر الذى فيما بينهم ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لسرهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٤] به.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ يعنى جماعات أحلام يعنون القرآن قالوا: هى أحلام كاذبة مختلطة يراها محمد ﷺ فى المنام فيخبرنا بها، ثم قال: ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ يعنون بل يخلق محمد ﷺ القرآن من تلقاء نفسه، ثم قال: ﴿بَلْ هُوَ﴾ يعنى محمدًا ﷺ ﴿شَاعِرٌ﴾ فإن كان صادقًا ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [آية: ٥] من الأنبياء، عليهم

السلام، بالآيات إلى قومهم، كل هذا من قول هؤلاء النفر، كما أرسل موسى، وعيسى، وداود، وسليمان، عليهم السلام، بالآيات والعجائب.

يقول الله عز وجل: ﴿ مَآ ءَامَنَتْ﴾ يقول: ما صدقت بالآيات ﴿ قَبْلَهُم﴾ يعنى قبل كفار مكة ﴿ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ﴾ بالعذاب فى الدنيا، يعنى كفار الأمم الخالية ﴿ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٦] يعنى كفار مكة أفهم يصدقون بالآيات، فقد كذبت بها الأمم الخالية من قبلهم، بأنهم لا يصدقون، ثم قالوا فى الفرقان: ﴿ .. **أهذا الذى بعث الله رسولا** .. ﴾ [الفرقان: ٤١] يأكل ويشرب وترك الملائكة فلم يرسلهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

فأنزل الله عز وجل فى قولهم: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ﴾ يا معشر كفار مكة ﴿ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ يعنى مؤمنى أهل التوراة ﴿ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٧] إن الرسل كانوا من البشر فسيخبرونكم أن الله عز وجل ما بعث رسولاً إلا من البشر، ونزل فى قولهم: ﴿ ... **أهذا الذى بعث الله رسولاً**﴾ يأكل ويشرب ويترك الملائكة فلا يرسلهم.

فقال سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ يعنى الأنبياء، عليهم السلام، والجسد الذى ليس فيه روح، كقوله سبحانه: ﴿ .. **عجلا جسدا**.. ﴾ [طه: ٨٨] ﴿ لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ ولا يشربون ولكن جعلناهم جسدًا فيها أرواح، يأكلون الطعام، ويذوقون الموت، وذلك قوله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾ [آية: ٨] فى الدنيا.

﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ يعنى الرسل الوعد، يعنى العذاب فى الدنيا إلى قومهم ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُمْ﴾ يعنى الرسل من العذاب ﴿ وَمَن نَّشَآءُ﴾ من المؤمنين ﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [آية: ٩] يقول: وعذبنا المشركين فى الدنيا، قال أبو محمد: قال أبو العباس

ثعلب: قال الفراء: ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا﴾ إلا ليأكلوا الطعام.

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ يعنى شرفكم ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١٠] مثل قوله تعالى: ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك**﴾ [الزخرف: ٤٤] يعنى شرفًا لك ولقومك.

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ يعنى أهلكنا من قرية بالعذاب فى الدنيا قبل أهل مكة ﴿ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾ يقول: وجعلنا بعد هلاك الأمم الخالية ﴿ قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [آية: ١١] يعنى قومًا كانوا باليمن فى قرية تسمى حضور، وذلك أنهم قتلوا نبيًا من الأنبياء، عليهم السلام، فسلط الله، عز وجل، جند بخت نصر فقتلوهم، كما سلط بخت نصر والروم على اليهود ببيت المقدس فقتلوهم، وسبوهم حين قتلوا يحيى بن زكريا وغيره من الأنبياء، عليهم السلام.

فذلك قوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾ يقول: فلما رأوا عذابنا يعنى أهل حضور ﴿ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [آية: ١٢] يقول: إذا هم من القرية يهربون، قالت لهم الملائكة كهيئة الاستهزاء:

﴿ لَا تَرْكُضُوا﴾ يقول: لا تهربوا ﴿ وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ يعنى إلى ما خولتم فيه من الأموال ﴿ وَ﴾ إلى ﴿ وَمَسَاكِنِكُمْ﴾ يعنى قريتكم التى هربتم منها ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ [آية: ١٣] كما سئلتم الإيمان قبل نزول العذاب فلما رأوا العذاب ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [آية: ١٤].

يقول الله عز وجل: ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ يقول: فما زال الويل قولهم ﴿ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ [آية: ١٥] يقول: أطفأناهم بالسيف، فخمدوا مثل النار إذا طفئت فخمدت.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾ يعنى السموات السبع والأرضين السبع ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق ﴿ لَاعِبِينَ﴾ [آية: ١٦] يعنى عابثين لغير شىء ولكن خلقناهما لأمر هو كائن.

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ يعنى ولدًا، وذلك أن نصارى نجران السيد والعاقب، ومن معهما، قالوا: عيسى ابن الله، فقال الله عز وجل: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ﴿لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ يعنى من عندنا من الملائكة؛ لأنهم أطيب وأطهر من عيسى، ولم نتخذه من أهل الأرض، ثم قال سبحانه: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [آية: ١٧] يقول: ما كنا فاعلين ذلك أن نتخذ ولدًا، مثلها فى الزخرف.

﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾ بل نرمى ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ الذى قال الله عز وجل: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ﴿عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ الذى قالوا: إن لله عز وجل ولدًا ﴿فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ يعنى ذاهب ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [آية: ١٨] يقول: لكم الويل فى الآخرة مما تقولون من البهتان بأن لله ولدًا.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ عبيده وفى ملكه، وعيسى بن مريم، وعزيز، والملائكة وغيرهم، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ من الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يعنى لا يتكبرون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [آية: ١٩] يعنى ولا يعيون، كقوله عز وجل: ﴿...**وهو حسير**﴾ [الملك: ٤] وهو معى، ثم قال تعالى ذكره: ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ يعنى يذكرون الله عز وجل.

﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [آية: ٢٠] يقول: لا يستريحون من ذكر الله عز وجل ليست لهم فترة ولا سآمة.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ [آية: ٢١].

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ﴾ يعنى آلهة كثيرة ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ يعنى غير الله عز وجل ﴿لَفَسَدَتَا﴾ يعنى لهلكتا يعنى السموات والأرض وما بينهما ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [آية: ٢٢] نزه الرب نفسه، تبارك وتعالى، عن قولهم بأن مع الله، عز وجل، إلهًا.

ثم قال سبحانه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ يقول: لا يسأل الله تعالى عما يفعله فى خلقه ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [آية: ٢٣] يقول سبحانه، يسأل الله الملائكة فى الآخرة: ﴿أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل﴾ [الفرقان: ١٧]؟ ويسألهم، ويقول للملائكة: ﴿... أهؤلاء أياكم كانوا يعبدون﴾ [سبأ: ٤٠].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ يعنى حجتكم، أن مع الله، عز وجل، إلهًا كما زعمتم ﴿هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ [(1)] يقول: هذا القرآن فيه خبر من معى، وخبر من قبلى من الكتب، ليس فيه أن مع الله، عز وجل، إلهًا كما زعمتم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعنى كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ يعنى التوحيد ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [(2)] [آية: ٢٤] عنه عن التوحيد، كقوله عز وجل: ﴿بل جاء بالحق ...﴾ [آية: الصافات: ٣٧] يعنى بالتوحيد.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [آية: ٢٥] يعنى فوحدون.

﴿وَقَالُواْ﴾ أى كفار مكة، منهم النضر بن الحارث ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا﴾ قالوا: إن الملائكة بنات الله تعالى، فنزه الرب جل جلاله نفسه عن قولهم، فقال: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ بَلْ﴾ هم يعنى الملائكة ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [آية: ٢٦] لعبادة ربهم، وليسوا ببنات الرحمن، ولكن الله أكرمهم بعبادته.

ثم أخبر عن الملائكة، فقال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ يعنى الملائكة لا يسبقون ربهم بأمر، يقول: الملائكة لم تأمر كفار مكة بعبادتهم إياها، ثم قال: ﴿وَهُم﴾ يعنى

(١) انظر: (القرطبى ٢٨٠/١١، الكشاف ٥٦٩/٢، البحر المحيط ٣٠٦/٦، العكبرى ٧٢/٢، النحاس ٣٧٠/٢، الرازى ١٥٨/٢٢، مغنى اللبيب ٢١/٢، همع الهوامع ٢٢٧/٣، شرح التصريح ٤٨/٢).

(٢) انظر: (الإتحاف ٣٠٩، البحر المحيط ٣٠٦/٦، القرطبى ٢٨٠/١١، الكشاف ٥٦٩/٢، مجمع البيان ٤٣/٧، الرازى ١٥٩/٢٢، العكبرى ٧٢/٢، النحاس ٣٧٠/٢).

الملائكة ﴿بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٧] يقول: لا تعمل الملائكة إلا بأمره، فأخبر الله عز وجل عن الملائكة أنهم عباد يخافون ربهم ويقدسونه ويعبدونه.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول الرب عز وجل: يعلم ما كان قبل أن يخلق الملائكة، ويعلم ما كان بعد خلقهم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ يقول: لا تشفع الملائكة إلا لمن رض الله أن يشفع له، يعنى من أهل التوحيد الذين لا يقولون إن الملائكة بنات الله عز وجل، لأن كفار مكة زعموا أن الملائكة تشفع لهم فى الآخرة إلى الله عز وجل، ثم قال سبحانه – يعنى الملائكة : ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [آية: ٢٨] يعنى خائفين.

﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ يعنى من الملائكة ﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ يعنى من دون الله عز وجل ﴿فَذَٰلِكَ﴾ يعنى فهذا الذى يقول: إنى إله من دونه ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٢٩] النار حين زعموا أن مع الله، عز وجل، إلهًا، و لم يقل ذلك أحد من الملائكة غير إبليس عدو الله رأس الكفر.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ يقول: أو لم يعلم الذين كفروا من أهل مكة ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ [(١)] يعنى ملتزقين، وذلك أن الله تبارك وتعالى أمر بخار الماء فارتفع، فخلق منه السموات السبع، فأبان إحداهما من الأخرى، فذلك قوله: ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ ثم قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ يقول: وجعلنا الماء حياة كل شىء يشرب الماء ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٣٠] يقول: أفلا يصدقون بتوحيد الله عز وجل مما يرون من صنعه.

﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ يعنى الجبال أرسيت فى الأرض، فأثبتت الأرض بالجبال

---

(١) انظر: (القرطبى ٢٨٣/١١، الكشاف ٥٧٠/٢، البحر المحيط ٣٠٩/٦، مجمع البيان ٤٣/٧).

﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ لئلا تزول الأرض بهم ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ يعنى فى الجبال ﴿فِجَاجًا﴾ يعنى كل شعب فى جبل فيه منذ ﴿سُبُلًا﴾ يعنى طرقا ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [آية: ٣١] يقول: لكى يعرفوا طرقها.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا﴾ يعنى المرفوع ﴿مَّحْفُوظًا﴾ من الشياطين لئلا يسمعوا إلى كلام الملائكة، فيخبروا الناس ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ يعنى الشمس والقمر والنجوم وغيرها ﴿مُعْرِضُونَ﴾ [آية: ٣٢] فلا يتفكرون فيما يرون من صنعه، عز وجل، فيوحدونه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [آية: ٣٣] يقول: يدخلان من قبل المغرب فيجريان تحت الأرض حتى يخرجا من قبل المشرق، ثم يجريان فى السماء إلى المغرب، فذلك قوله سبحانه: ﴿كُلٌّ﴾ يعنى الشمس والقمر ﴿فِى فَلَكٍ﴾ يعنى فى دوران ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يعنى يجرون، فذلك دورانهما.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ﴾ وذلك أن قومًا قالوا: إن محمدًا ﷺ لا يموت، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ﴾ يعنى لنبى من الأنبياء ﴿مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ فى الدنيا فلا يموت فيها، بل يموتون، فلما نزلت هذه الآية، قال النبى ﷺ لجبريل عليه السلام: «فمن يكون فى أمتى من بعدى»، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ﴾ يعنى محمدًا ﷺ ﴿فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٣٤] فإنهم يموتون أيضًا.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥) وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ (٣٦) خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣٨)﴾

ثم قال عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ يعنى النبى ﷺ وغيره ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ يقول: ونختبركم ﴿بِٱلشَّرِّ﴾ يعنى بالشدة لتصبروا ﴿وَ﴾ بـ ﴿وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ تعنى بالرخاء لتشكروا فتنة، يقول: هما بلاء يبتليكم بهما ﴿وَإِلَيْنَا﴾ فى الآخرة ﴿تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٣٥] بعد الموت فنجزيكم بأعمالكم.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعنى أبا جهل ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ وذلك أن النبى ﷺ مر على أبى سفيان بن حرب، وعلى أبى جهل بن هشام، فقال أبو جهل لأبى سفيان كالمستهزئ: انظروا إلى نبى بنى عبد مناف. فقال أبو سفيان لأبى

جهل حمية، وهو من بنى عبد شمس بن عبد مناف: وما ننكر أن يكون نبيًا فى بنى عبد مناف، فسمع النبى ﷺ قولهما، فقال لأبى جهل: «ما أراك منتهيًا حتى ينزل الله عز وجل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة، وأما أنت يا أبا سفيان، فإنما قلت الذى قلت حمية»، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعنى أبا جهل ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ استهزاء.

وقال أبو جهل حين رأى النبى ﷺ: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ اللات والعزى ومناة بسوء يقول الله عز وجل: ﴿وَهُم بِذِكۡرِ﴾ يعنى بتوحيد ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٣٦] وذلك أن أبا جهل قال: إن الرحمن مسيلمة بن حبيب الحنفى الكذاب.

﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ يعنى آدم أبو البشر ﴿مِنۡ عَجَلٍ﴾ وذلك أن كفار قريش استعجلوا بالعذاب فى الدنيا من قبل أن يأتيهم تكذيبًا به، كما استعجل آدم عليه السلام الجلوس من قبل أن تتم فيه الروح من قبل رأسه يوم الجمعة، فأراد أن يجلس من قبل أن تتم فيه الروح إلى قدميه، فلما بلغت الروح وسطه ونظر إلى حسن خلقه أراد أن يجلس ونصفه طين، فورث الناس كلهم العجلة من آدم، عليه السلام، لم تجد منفذًا فرجعت من أنفه فعطس، فقال: الحمد لله رب العالمين، فهذه أول كلمة تكلم بها. وبلغنا أن الله عز وجل رد عليه، فقال: لهذا خلقتك يرحمك ربك. فسبقت رحمته غضبه، فلما استعجل كفار مكة العذاب فى الدنيا نزلت: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٍ﴾ لأنهم من ذريته يقول الله، عز وجل، لكفار مكة: فـ ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِى﴾ يعنى عذابى القتل ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ [آية: ٣٧] يقول: فلا تعجلوا بالعذاب.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٣٨] وذلك أن كفار مكة قالوا للنبى ﷺ: متى هذا العذاب الذى تعدنا، إن كنت صادقًا، يقولون ذلك مستهزئين تكذيبًا بالعذاب.

﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةً فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ بَلۡ هُمۡ عَن

ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

فأنزل الله عز وجل ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ وذلك أن أيديهم تغل إلى أعناقهم، وتجعل فى أعناقهم صخرة من الكبريت، فتشتعل النار فيها، فلا يستطيعون أن يتقوا النار إلا بوجوههم. فذلك قوله سبحانه: ﴿**أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة**﴾ [الزمر: ٢٤] وذلك قوله: حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم لو علموا ذلك ما استعجلوا بالعذاب، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [آية: ٣٩] يقول: ولا هم يمنعون من العذاب.

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ يعنى فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ يقول: فتفجؤهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ يعنى أن يردوها ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آية: ٤٠] يقول: ولا يناظر بهم العذاب حتى يعذبوا ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استهزىء بك يا محمد، يعزى نبيه ﷺ ليصبر على تكذيبهم إياه بالعذاب، وذلك أن مكذبى الأمم الخالية كذبوا رسلهم بأن العذاب ليس بنازل بهم فى الدنيا، فلما أخبر النبى ﷺ كفار مكة استهزءوا منه تكذيبًا بالعذاب.

يقول الله عز وجل: ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ﴾ يعنى فدار بهم ﴿سَخِرُوا مِنْهُم مَّا﴾ يعنى الذى ﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ٤١] بأنه غير نازل بهم.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾ يقول: من يحرسكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ﴾ عذاب ﴿الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [آية: ٤٢] يعنى القرآن، معرضون عنه.

ثم قال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ نزلت فى الحارث بن قيس السهمى، وفيه نزلت أيضًا فى الفرقان: ﴿**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ...**﴾ فقال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ ﴿تَمْنَعُهُم﴾ من العذاب ﴿مِّن دُونِنَا﴾ يعنى من دون الله عز وجل فيها تقديم، ثم أخبر عن الآلهة، فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ يقول: لا تستطيع الآلهة أن تمنع نفسها من سوء أريد بها، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا هُمْ﴾ يعنى من

يعبد الآلهة ﴿مِّنَّا يُصۡحَبُونَ﴾ [آية: ٤٣] يعنى ولا هم منا يجارون، يقول الله تعالى: لا يجيرهم منى ولا يؤمنهم منى أحد.

﴿بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعنى كفار مكة ﴿وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ﴾ يعنى أفهلا يرون ﴿أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ﴾ يعنى أرض مكة ﴿نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ﴾ يعنى نغلبهم على ما حول أرض مكة ﴿أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [آية: ٤٤] يعنى كفار مكة، أو النبى ﷺ والمؤمنون؟ بل النبى ﷺ وأصحابه، رضى الله عنهم، هم الغالبون لهم، وربه محمود.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿قُلۡ﴾ لكفار مكة: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ﴾ بما فى القرآن من الوعيد ﴿وَلَا يَسۡمَعُ﴾ يا محمد ﴿ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ هذا مثل ضربه الله، عز وجل، للكافر يقول: إن الأصم إذا ناديته لم يسمع، فكذلك الكافر لا يسمع الوعيد والهدى ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [آية: ٤٥].

﴿وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ﴾ يقول: ولئن أصابتهم عقوبة ﴿مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٤٦].

﴿وَنَضَعُ﴾ الأعمال فى ﴿ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ﴾ يعنى العدل ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فجبريل، عليه السلام، يلى موازين أعمال بنى آدم ﴿فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ﴾ يقول: لا ينقصون شيئًا من أعمالهم ﴿وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ﴾ يعنى وزن حبة ﴿مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ﴾ (١) يعنى جئنا بها، بالحبة ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [آية: ٤٧] يقول سبحانه: وكفى بنا من سرعة الحساب.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

---

(١) انظر: (القرطبى ٢٩٤/١١، مجمع البيان ٥٠/٧، الكشف ٥٧٥/٢، البحر المحيط ٣١٦/٦، العكبرى ٧٣/٢، التبيان ٢٢٤/٧).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ يعنى التوراة ﴿وَضِيَآءً﴾[1] يعنى ونورًا من الضلالة، يعنى التوراة ﴿وَذِكْرًا﴾ يعنى وتفكرًا ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٤٨] الشرك.

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ فأطاعوه ولم يروه ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [آية: ٤٩] يعنى من القيامة خائفين.

﴿وَهَٰذَا﴾ القول ﴿ذِكْرٌ﴾ يعنى بيان ﴿مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [آية: ٥٠] يقول سبحانه: لا تعرفونه فتؤمنون به.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ يقول: ولقد أعطينا إبراهيم هداه فى السر، وهو صغير من قبل موسى وهارون ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٥١] يقول الله عز وجل: وكنا بإبراهيم عالمين بطاعته لنا.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر: ﴿وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [آية: ٥٢] تعبدونها.

---

(١) انظر: (القرطبى ٢٩٥/١٢، البحر المحيط ٣١٧/٦، العكبرى ٣٧٥/٢، الرازى ١٧٨/٢٢).

﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [آية: ٥٣].

﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٥٤].

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا﴾ يا إبراهيم ﴿بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ [آية: ٥٥] قالوا: أجد هذا القول منك، أم لعب يا إبراهيم.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ يعنى الذى خلقهن.

﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ يعنى على ما أقول لكم ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آية: ٥٦] بأن ربكم الذى خلق السموات والأرض.

﴿وَتَٱللَّهِ﴾ يقول والله، ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ بالسوء، يعنى أنه يكسرها، وهى اثنان وسبعون صنمًا من ذهب، وفضة، ونحاس، وحديد، وخشب ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾ [آية: ٥٧]، يعنى ذاهبين إلى عيدكم، وكان لهم عيد فى كل سنة يومًا واحدًا، وكانوا إذا خرجوا قربوا إليها الطعام، ثم يسجدون لها ثم يخرجون، ثم إذا جاؤا من عيدهم بدؤا بها، فسجدوا لها، ثم تفرقوا إلى منازلهم، فسمع قول إبراهيم ﷺ رجل منهم، حين قال: ﴿وتالله لأكيدن أصناكم بعد أن تولوا مدبرين﴾ فلما خرجوا دخل إبراهيم على الأصنام والطعام بين أيديها.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾[1] يعنى قطعًا، كقوله سبحانه: ﴿... **عطاء غير مجذوذ**﴾ يعنى غير مقطوع، ثم استثنى ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ يعنى أكبر الأصنام، فلم يقطعه، وهو من ذهب ولؤلؤ، وعيناه ياقوتتان حمراوان تتوقدان فى الظلمة، لهما بريق كبريق النار، وهو فى مقدم البيت، فلما كسرهم وضع الفأس بين يدى الصنم الأكبر، ثم قال: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ٥٨] يقول: إلى الصنم الأكبر يرجعون من عيدهم، فلما رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام، فإذا هى مجذوذة ﴿قَالُواْ﴾ يعنى نمروذ بن كنعان وحده، هو الذى قال: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٥٩] لنا حين انتهك هذا منا، قال الرجل الذى كان يسمع قول إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿**وتالله لأكيدن أصنامكم**﴾ [الأنبياء: ٥٧]: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ بسوء، فذلك قوله

---

(١) انظر: (القرطبى ٢٩٨/١١، الكشاف ٥٧٦/٢، مجمع البيان ٥٢/٧، الرازى ١٨٣/٢٢، البحر المحيط ٣٢٢/٦).

يعنى الرجل وحده، قال: سمعت فتى يذكرهم بسوء، إضمار ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [آية: ٦٠].

﴿قَالُوا۟﴾ قال نمروذ الجبار: ﴿فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى على رءوس الناس ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [آية: ٦١] عليه بفعله ويشهدون عقوبته، فلما جاءوا به ﴿قَالُوٓا۟﴾ قال نمروذ: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [آية: ٦٢] يعنى أنت كسرتها.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ يعنى أعظم الأصنام الذى فى يده الفأس، غضب حين سويتم بينه وبين الأصنام الصغار، فقطعها ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [آية: ٦٣] يقول: سلوا الأصنام المجذوذة من قطعها؟ إن قدروا على الكلام.

﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فلاموها ﴿فَقَالُوٓا۟﴾ فقال بعضهم لبعض: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٦٤] لإبراهيم حين تزعمون أنه قطعها والفأس فى يد الصنم الأكبر، ثم قالوا بعد ذلك: كيف يكسرها وهو مثلها.

فذلك قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ يقول: رجعوا عن قولهم الأول فقالوا لإبراهيم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [آية: ٦٥] فتخبرنا من كسرها.

حدثنا محمد؛ قال: حدثنا أبو القاسم، قال: الهذيل سمعت عبد القدوس، ولم أسمع مقاتلاً، يحدث عن الحسن ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ يعنى على الرؤساء والأشراف.

﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم عند ذلك: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا﴾ إن عبدتموهم ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [آية: ٦٦] إن لم تعبدوهم.

ثم قال لهم إبراهيم: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ يعنى بقوله: أفٍ لكم، الكلام الرديء ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ عز وجل ﴿أَفَلَا﴾ يعنى أفهلا ﴿تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٦٧] أنها ليست بآلهة.

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ﴾ بالنار ﴿وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ﴾ يقول: انتقموا منه ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [آية: ٦٨] ذلك به، فألقوه فى النار، يعنى إبراهيم ﷺ.

ويقول الله، عز وجل: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا﴾ من الحر ﴿وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آية: ٦٩] يقول: وسلميه من البرد، ولو لم يقل: وسلامًا، لأهلكه بردها ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾

يعنى بإبراهيم حين خرج من النار، فلما نظر إليه الناس بادروا ليخبروا نمروذ، فجعل بعضهم يكلم بعضًا، فلا يفقهون كلامهم، فبلبل الله ألسنتهم على سبعين لغة، فمن ثم سميت بابل، وحجزهم الله عنه ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [آية: ٧٠].

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَنَجَّيْنَاهُ﴾ يعنى إبراهيم ﴿وَلُوطًا﴾ من أرض كوثا، ومعهما سارة من شر نمروذ بن كنعان الجبار ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [آية: ٧١] يعنى الناس إلى الأرض المقدسة، وبركتها الماء والشجر والنبت.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ يعنى لإبراهيم ﴿إِسْحَاقَ﴾ ثم قال: ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ يعنى فضلاً على مسألته فى إسحاق ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا﴾ يعنى إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، جعلناهم ﴿صَالِحِينَ﴾ [آية: ٧٢].

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يقول: جعلناهم قادة للخير يدعون الناس إلى أمر الله، عز وجل، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ يعنى الأعمال الصالحة، ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ ﴿وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [آية: ٧٣] يعنى موحدين.

﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ﴾ يعنى أعطيناه ﴿ حُكْمًا﴾ يعنى الفهم والعقل ﴿ وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ يعنى سدوم ﴿ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ يعنى السيئ من العمل إتيان الرجال فى أدبارهم، فأنجى الله لوطًا وأهله، وعذب القرية بالخسف والحصب ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [آية: ٧٤].

﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ يعنى نعمتنا، وهى النبوة، كقوله عز وجل: ﴿**إن هو إلا عبد أنعمنا عليه...**﴾ بالنبوة ﴿ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ٧٥].

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ إبراهيم، ولوطًا، وإسحاق، وكان نداؤه حين، قال: ﴿ ...**أنى مغلوب فانتصر**﴾ ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دعاءه ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٧٦] يعنى الهول الشديد يعنى الغرق.

﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ فى قراءة أبى بن كعب «ونصرناه على القوم» ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يعنى كذبوا بنزول العذاب عليهم فى الدنيا، وكان نصره هلاك قومه ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٧٧] لم ننج منهم أحدًا.

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ يعنى الكرم ﴿ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ يعنى النفش بالليل والسرح بالنهار ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [آية: ٧٨] يعنى داود وسليمان، صلى الله عليهما، وصاحب الغنم، وصاحب الكرم، وذلك أن راعيًا جمع غنمه بالليل إلى جانب كرم رجل، فدخلت الغنم الكرم فأكلته، وصاحبها لا يشعر بها، فلما أصبحوا أتوا داود النبى، عليه السلام، فقصوا عليه أمرهم، فنظر داود ثمن الحرث، فإذا هو قريب من ثمن الغنم، فقضى بالغنم لصاحب الحرث، فمروا بسليمان، فقال: كيف قضى لكم نبى الله؟ فأخبراه، فقال سليمان: نعم ما قضى نبى الله، وغيره أرفق للفريقين، فدخل رب الغنم على داود، فأخبره بقول سليمان فأرسل داود إلى سليمان فأتاه، فعزم عليه بحقه، بحق النبوة، لما أخبرتنى، فقال: عدل الملك، وغيره أرفق، فقال داود: وما هو؟ قال سليمان: تدفع الغنم إلى صاحب الحرث، فله أولادها وأصوافها وألبانها وسمنها، وعلى رب الغنم أن يزرع لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا بلغ وكان مثله يوم أفسده، دفع إليه حرثه، وقبض غنمه، قال: داود نعم ما قضيت، فأجاز قضاءه، وكان هذا ببيت المقدس.

يقول الله عز وجل: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ يعنى القضية ليس يعنى به الحكم، ولو كان

الحكم لقال ففهمناه ﴿وَكُلًّا﴾ يعنى داود وسليمان ﴿ءَاتَيْنَا﴾ يعنى أعطينا ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ يعنى الفهم والعلم، فصوب قضاء سليمان، و لم يعنف داود ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ يعنى يذكرن الله، عز وجل، كلما ذكر داود ربه، عز وجل، ذكرت الجبال ربها معه ﴿وَ﴾ سخرنا له ﴿وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [آية: ٧٩] ذلك بداود.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ يعنى الدروع من حديد، وكان داود أول من اتخذها ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ يعنى من حربكم من القتل والجراحات ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [آية: ٨٠] لربكم فى نعمه فتوحدونه استفهام. قال الفراء: يعنى فهل أنتم شاكرون؟ معنى الأمر أى اشكروا، ومثله ﴿ **فهل أنتم منتهون**﴾ [المائدة: ٩١] أى انتهوا.

﴿وَ﴾ سخرنا ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ يعنى شديدة ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ يعنى الأرض المقدسة، يعنى بالبركة الماء والشجر ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ مما أعطيناهما ﴿عَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٨١].

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ لسليمان فى البحر، فيخرجون له اللؤلؤ، وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر ﴿وَيَعْمَلُونَ﴾ له ﴿عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يعنى غير الغياصة من تماثيل ومحاريب وجفان كالجراب وقدور راسيات، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ﴾ يعنى الشياطين ﴿حَٰفِظِينَ﴾ [آية: ٨٢] على سليمان لئلا يتفرقوا عنه.

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ يعنى دعا ربه، عز وجل، ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ يعنى أصابنى البلاء ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [آية: ٨٣].

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ دعاءه ﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ﴾ فأحياهم الله، عز وجل، ﴿وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ وكانت امرأة أيوب ولدت قبل البلاء سبع بنين وثلاث بنات، فأحياهم الله، عز وجل، ومثلهم معهم ﴿رَحۡمَةٗ﴾ يقول: نعمة ﴿مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ [آية: ٨٤] يقول: وتفكرا للموحدين فأعطاه الله، عز وجل، مثل كل شىء ذهب له، يعنى أيوب، وكان أيوب من أعبد الناس فجهد إبليس ليزيله عن عبادة ربه، عز وجل، فلم يستطع.

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آية: ٨٥] ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ﴾ يعنى فى نعمتنا وهى النبوة ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ٨٦] يعنى من المؤمنين.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ يعنى يونس بن متى، عليه السلام، ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ يعنى مراغمًا لقومه، لحزقيل بن أجار، ومن معه من بنى إسرائيل، ففارقهم من غير أن يؤمنوا ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ فحسب يونس أن لن نعاقبه بما صنع ﴿فَنَادَىٰ﴾ يقول: فدعا ربه ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ يعنى ظلمات ثلاث ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، فنادى: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ يوحد ربه، عز وجل، ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ نزه تعالى أن يكون ظلمه، ثم أقر على نفسه بالظلم، فقال: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٨٧] يقول يونس عليه السلام: إنى ظلمت نفسى.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ دعاءه ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ يعنى من بطن الحوت ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٨٨] قال أبو محمد: قال أبو العباس ثعلب: قال الفراء: أن لن نقدر عليه. ونقدر عليه، لمعنى واحد، وهو من قوله قدرت الشىء، لا قدرت، معناه من التقدير لا من القدر، ومثله فى سورة الفجر: ﴿**فقدر عليه رزقه**﴾ [الفجر: ١٦] من التقدير، والتقتير، لا من القدرة، بلغنا أن النبى ﷺ قال: «مكث يونس، عليه السلام، فى بطن الحوت ثلاثة أيام». وعن كعب قال: أربعين يومًا.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ يعنى دعا ربه فى آل عمران، وفى مريم، قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ يعنى وحيدًا، وهب لى وليًا يرثنى ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [آية:

٨٩] يعنى أنت خير من يرث العباد.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ دعاءه ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾ يعنى امرأته فحاضت، وكانت لا تحيض من الكبر ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يعنى أعمال الصالحات، يعنى زكريا وامرأته ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا﴾ فى ثواب الله، عز وجل، ﴿وَرَهَبٗاۖ﴾ من عذاب الله، عز وجل، ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [آية: ٩٠] يعنى لله سبحانه متواضعين.

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ من الفواحش، لأنها قذفت، وهى مريم بنت عمران، أم عيسى، صلى الله عليهما، ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ نفخ جبريل، عليه السلام، فى جيبها، فحملت من نفخة جبريل بعيسى، صلى الله عليهم، ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ﴾ عيسى، صلى الله عليه، ﴿ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٩١] يعنى عبرة لبنى إسرائيل، فكانا آية إذ حملت مريم، عليها السلام، من غير بشر، وولدت عيسى من غير أب، صلى الله عليه.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ (١) يقول: إن هذه ملتكم التى أنتم عليها، يعنى شريعة الإسلام هى ملة واحدة كانت عليها الأنبياء والمؤمنون الذين نجوا من عذاب الله، عز وجل، ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [آية: ٩٢] يعنى فوحدون.

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ فرقوا دينهم الإسلام الذى أمروا به فيما بينهم، فصاروا زبرًا يعنى فرقًا ﴿كُلٌّ﴾ كل أهل تلك الأديان ﴿إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ [آية: ٩٣] فى الآخرة.

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ يقول: وهو مصدق بتوحيد الله، عز

(١) انظر: (الإتحاف ٣١٢، الفراء ٢/٢١٠، الطبرى ١٧/٦٨، الكشاف ٢/٥٨٣، القرطبى ١١/٣٣٨، البحر المحيط ٦/٣٣٧).

وجل، ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ يعنى لعمله يقول: يشكر الله، عز وجل، عمله ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [آية: ٩٤] يكتب له سعيه الحفظة من الملائكة.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [1] فيما خلا ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ بالعذاب فى الدنيا ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ٩٥] يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية فى الدنيا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ﴾ يعنى أرسلت ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ وهما أخوان لأب وأم، وهما من نسل يافث بن نوح ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [2] [آية: ٩٦] يقول: من كل مكان يخرجون من كل جبل، وأرض، وبلد، وخروجهم عند اقتراب الساعة.

﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

فذلك قوله عز وجل: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ يعنى وعد البعث أنه حق كائن ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ﴾ يعنى فاتحة ﴿أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالبعث لا يطرفون مما يرون من العجائب، يعنى التى كانوا يكفرون بها فى الدنيا، قالوا: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليوم، ثم ذكر قول الرسل لهم فى الدنيا أن البعث كائن، فقالوا: ﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٩٧] أخبرنا بهذا اليوم فكذبنا به.

﴿إِنَّكُمْ﴾ يعنى كفار مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [3] يعنى رميًا فى جهنم ترمون فيها ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [آية: ٩٨] يعنى داخلون.

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأوثان ﴿ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ يعنى ما دخلوها، يعنى

---

(١) انظر: (القرطبى ١١/٣٤٥، الكشاف ٢/٥٨٣، مجمع البيان ٧/٦١، البحر المحيط ٦/٣٣٨، النحاس ٢/٣٨٢).

(٢) انظر: (القرطبى ١١/٣٤٢، البحر المحيط ٦/٣٣٩، الكشاف ٢/٥٨٤، مجمع البيان ٧/٤٣).

(٣) انظر: (الإتحاف ٣١٢، الكشاف ٢/٥٨٤، مجمع البيان ٧/٦٣، البحر المحيط ٦/٣٤٠).

جهنم، لامتنعت من دخولها ﴿وَكُلٌّ﴾ يعنى الأوثان ومن يعبدها ﴿فِيهَا﴾ يعنى فى جهنم ﴿خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٩٩] نزلت فى بنى سهم، منهم: العاص بن وائل، والحارث وعدى ابنى قيس، وعبد الله بن الزبعرى بن قيس، وذلك أن النبى ﷺ دخل المسجد الحرام، ونفر من بنى سهم جلوس فى الحطيم، وحول الكعبة ثلاث مائة وستون صنمًا، فاشار بيده إليهم، فقال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعنى الأصنام ﴿**حصب جهنم أنتم لها واردون**﴾ [الأنبياء: ٩٨،٩٩] إلى آيتين، ثم خرج فدخل ابن الزبعرى، وهم يخوضون فيما ذكر النبى ﷺ لهم ولآلهتهم، فقال: ما هذا الذى تخوضون؟ فذكروا له قول النبى ﷺ، فقال ابن الزبعرى: والله، لئن قالها بين يدى لأخصمنه. فدخل النبى ﷺ من ساعته، فقال ابن الزبعرى: أهى لنا ولآلهتنا خاصة؟ أم لنا ولآلهتنا ولجميع الأمم ولآلهتهم؟ فقال النبى ﷺ: «لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم ولآلهتهم». قال: خصمتك ورب الكعبة، ألست تزعم أن عيسى نبى، وتثنى عليه، وعلى أمه خيرًا، وقد علمت أن النصارى يعبدونهما، وعزيز يعبد، والملائكة تعبد، فإن كان هؤلاء معنا قد رضينا أنهم معنا، فسكت النبى ﷺ.

ثم قال سبحانه: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ يعنى آخر نهيق الحمار ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [آية: ١٠٠] الصوت، وذلك حين يقال لأهل النار: اخسئوا فيها ولا تكلمون، فصاروا بكمًا وعميًا وصمًا.

ثم استثنى ممن كان يعبد أنهم لا يدخلون جهنم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الجنة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا﴾ يعنى جهنم ﴿مُبْعَدُونَ﴾ [آية: ١٠١] يعنى عيسى، وعزيرًا، ومريم، والملائكة، عليهم السلام ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ يقول: لا يسمع أهل الجنة صوت جهنم حين يقال لهم: اخسئوا فيها، ولا تكلموا، فتغلق عليهم أبوابها، فلا تفتح عنهم أبدًا، ولا يسمع أحد صوتها.

﴿وَهُمْ﴾ يعنى هؤلاء ﴿فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ١٠٢] يعنى لا يموتون، فلما سمع بنو سهم بما استثنى الله، عز وجل، ممن يعبد من الآلهة، عزير، وعيسى، ومريم، والملائكة، قالوا للنبى ﷺ: هلا استثنيت هؤلاء حين سألناك، فلما خلوت تفكرت.

قوله سبحانه: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾.

حدثنا أبو محمد، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن نعمان، عن سليم، عن ابن عباس، أنه قال على منبر البصرة: ما تقولون فى تفسير هذه الآية ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾؟ ثلاث مرات فلم يجبه أحد.

فقال: تفسير هذه الآية أن الله، عز وجل، إذا ادخل أهل الجنة، ورأوا ما فيها من النعيم ذكروا الموت، فيخافون أن يكون آخر ذلك الموت فيحزنهم ذلك، وأهل النار إذا دخلوا النار ورأوا ما فيها من العذاب يرجون أن يكون آخر ذلك الموت، فأراد الله، عز وجل، أن يقطع حزن أهل الجنة، ويقطع رجاء أهل النار، فيبعث الله، عز وجل، ملكًا وهو جبريل، عليه السلام، ومعه الموت فى صورة كبش أملح، فيشرف به على أهل الجنة؛ فينادى: يا أهل الجنة، فيسمع أعلاها درجة وأسفلها درجة، والجنة درجات، فيجيبه أهل الجنة، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، قال: ثم ينصرف به إلى النار، فيشرف به عليهم فينادى أهل النار، فيسمع أعلاها دركًا، وأسفلها دركًا، والنار دركات، فيجيبونه، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، قال: ثم يرده إلى مكان مرتفع بين الجنة والنار حيث ينظر إليه أهل الجنة، وأهل النار، فيقول الملك: إنا ذابحوه، فيقول أهل الجنة بأجمعهم: نعم، لكى يأمنوا الموت، ويقول أهل النار بأجمعهم: لا، لكى يذوقوا الموت، قال: فيعمد الملك إلى الكبش الأملح، وهو الموت فيذبحه، وأهل الجنة وأهل النار ينظرون إليه، فينادى الملك: يا أهل الجنة، خلود لا موت فيه، فيأمنون الموت. فذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ ثم ينادى الملك: يا أهل النار، خلود لا موت فيه.

قال ابن عباس: فلولا ما قضى الله، عز وجل، على أهل الجنة من الخلود فى الجنة، لماتوا من فرحتهم تلك، ولولا ما قضى الله، عز وجل، على أهل النار من تعمير الأرواح فى الأبدان لماتوا حزنًا. فذلك قوله، عز وجل: ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر**....﴾ [مريم: ٣٩] يعنى إذ وجب لهم العذاب، يعنى ذبح الموت، فاستيقنوا الخلود فى النار والحسرة والندامة، فذلك قول الله، عز وجل، للمؤمنين: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ يعنى الموت بعد ما دخلوا الجنة.

﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعنى الحفظة الذين كتبوا أعمال بنى آدم، حين خرجوا من قبورهم، قالوا للمؤمنين: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [آية: ١٠٣] فيه الجنة.

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

ثم قال: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[1] يعنى كطى الصحيفة فيها الكتاب، ثم قال سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ وذلك أن كفار مكة أقسموا بالله جهد أيمانهم فى سورة النحل: ﴿... **لا يبعث الله من يموت**...﴾ [النحل: ٣٨]، فأكذبهم الله، عز وجل، فقال سبحانه بلى وعدًا عليه حقًا: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ يقول: هكذا نعيد خلقهم فى الآخرة، كما خلقناهم فى الدنيا.

﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [آية: ١٠٤] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ يعنى التوراة والإنجيل والزبور ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ يعنى اللوح المحفوظ ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ لله ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [آية: ١٠٥] يعنى المؤمنون.

﴿إِنَّ فِى هَٰذَا﴾ القرآن ﴿لَبَلَٰغًا﴾ إلى الجنة ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [آية: ١٠٦] يعنى موحدين.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٠٧] يعنى الجن والإنس، فمن تبع محمدًا ﷺ على دينه، فهو له رحمة كقوله سبحان: لعيسى ابن مريم صلى الله عليه: ﴿...**ورحمة منا**...﴾ [مريم: ٢١] لمن تبعه على دينه، ومن لم يتبعه على دينه صرف عنهم البلاء ما كان بين أظهرهم. فذلك قوله سبحانه: ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**﴾ [الأنفال: ٣٣] كقوله لعيسى ابن مريم، صلى الله عليه: ﴿**ورحمة منا**﴾ لمن تبعه على دينه.

قال أبو جهل لعنه الله للنبى ﷺ: اعمل أنت لإلهك يا محمد، ونحن لآلهتنا، ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ يقول: إنما ربكم رب واحد ﴿فَهَلْ أَنتُم

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٥٨٥، القرطبى ١١/٣٤٧، البحر المحيط ٦/٣٤٣، العكبرى ٢/٧٥).

مُّسْلِمُونَ﴾ [آية: ١٠٨] يعنى مخلصون ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ يقول: فإن أعرضوا عن الإيمان ﴿ فَقُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ يقول: ناديتكم على أمرين ﴿ وَ﴾ قل لهم: ﴿ وَإِنْ أَدْرِىٓ﴾ يعنى ما أدرى ﴿ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ (١) [آية: ١٠٩] بنزول العذاب بكم فى الدنيا.

﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

وقل لهم: ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ يعنى العلانية ﴿ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [آية: ١١٠] يعنى ما تسرون من تكذيبهم بالعذاب، فأما الجهر، فإن كفار مكة حين أخبرهم النبى ﷺ بالعذاب كانوا يقولون: ﴿ **متى هذا الوعد إن كنتم صادقين** ﴾ [سبأ: ٢٩، يس: ٤٨] والكتمان أنهم، قالوا: إن العذاب ليس بكائن ﴿ وَ﴾ قل لهم: يا محمد، ﴿ وَإِنْ أَدْرِى﴾ يقول: ما أدرى ﴿ لَعَلَّهُۥ﴾ يعنى فلعل تأخير العذاب عنكم فى الدنيا، يعنى القتل ببدر ﴿ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ نظيرها فى سورة الجن، فيقولون: لو كان حقًا لنزل بنا العذاب ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [آية: ١١١] يعنى وبلاغًا إلى آجالكم، ثم ينزل بكم العذاب ببدر ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ (٢) يعنى اقض بالعدل بيننا، وبين كفار مكة، فقضى الله لهم القتل ببدر ﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [آية: ١١٢] فامر الله، عز وجل، النبى ﷺ أن يستعين به، عز وجل، على ما يقولون من تكذيبهم بالبعث والعذاب.

قال الهذيل: قال الشماخ فى الجاهلية:

النبع منبته بالصخر ضاحية ... والنخل ينبت بين الماء والعجل

يعنى الطين.

قال: وحدثنا عبيد الله، قال: حدثنا أبى، قال: حدثنا أبو ررق فى قوله، عز وجل: ﴿ **وأوحينا إليهم فعل الخيرات** ﴾ قال: التطوع، ولم أسمع الهذيل.

* * *

(١) انظر: (البحر المحيط ٦/٣٣٤، العكبرى ٢/٧٥).

(٢) انظر: (العنوان ١٠٤، الإتحاف ٣١٢، الطبرى ١٧/٨٤، القرطبى ١١/٣٥١، الكشاف ٢/٥٨٧، النشر ٢/٣٢٥، البحر المحيط ٦/٣٤٥، التبيان ٧/٢٥٣، تحبير التيسير ١٢٦، همع الهوامع ٤/٣٠٠).

سُورَةُ الحَجِّ

مكية، إلا عشر آيات، فإنها نزلت بالمدينة، من قوله: ﴿**يا أيها**..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿.... **شديد**﴾ [الحج: ١، ٢] نزلت فى غزوة بنى المصطلق بالمدينة.

وإلا قوله تعالى: ﴿**سواء العاكف فيه** ...﴾ [الحج: ٢٥] الآية، نزلت فى عبد الله ابن أنس بن خطل. وقوله تعالى: ﴿**وليعلم الذين أوتوا العلم** ...﴾ [آية: الحج: ٥٤] الآية نزلت فى أهل التوراة.

وقوله تعالى: ﴿**والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا** ...﴾ [الحج: ٥٨، ٥٩] الآيتين. وقوله تعالى: ﴿**أذن للذين يقاتلون** ...﴾ إلى قوله: ﴿... **قوى عزيز**﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]، وقوله: ﴿**ومن الناس من يعبد الله على حرف** ...﴾ الآية [الحج: ١١] الآية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن مقاتل، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾ يخوفهم، يقول: اخشوا ربكم ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١].

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ يقول: تدع البنين لشدة الفزع من الساعة، وذلك قبل النفخة الأولى ينادى مناد من السماء الدنيا، يا أيها الناس، جاء أمر الله، فيسمع صوته أهل الأرض جميعًا فيفزعون فزعًا شديدًا، ويموج بعضهم فى بعض، ويشيب فيها الصغير، ويسكر فيها الكبير، وتضع الحوامل ما فى بطونها، وتدع المراضع البنين من الفزع الشديد، فذلك قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾.

﴿عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا﴾ النساء والدواب حملها من شدة الفزع ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ من الخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾[1] من الشراب ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [آية: ٢] نزلت هاتان الآيتان ليلاً والناس يسيرون فى غزاة بنى المصطلق، وهم حى خزاعة، فقرأها النبى ﷺ تلك الليلة على الناس ثلاث مرات، ثم قال: «هل تدرون أى يوم هذا»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا يوم يقول الله عز وجل لآدم عليه السلام: قم فابعث بعث النار من ذريتك، فيقول: يارب وما بعث النار، قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، إلى النار، وواحد إلى الجنة»، فلما سمع القوم ذلك اشتد عليهم وحزنوا، فلما أصبحوا أتوا النبى ﷺ فقالوا: وما توبتنا وما حيلتنا، فقال لهم النبى ﷺ: «أبشروا فإن معكم خليقتين لم يكونا فى أمة قط إلا كثرتها يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، ما أنتم فى الناس إلا كشعرة بيضاء فى ثور أسود، أو كشعرة سوداء فى ثور أبيض، أو كالرقم فى ذراع الدابة، أو كالشامة فى سنام البعير، فأبشروا وقاربوا وسددوا واعملوا.

ثم قال: «أيسركم أن تكونوا ربع أهل الجنة»؟ قالوا: من أين لنا ذلك يا رسول الله؟ قال: «أفيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة»؟ قالوا: من أين لنا ذلك يا رسول الله؟ قال: «أيسركم أن تكونوا شطر أهل الجنة»؟ قالوا: من أين لنا ذلك يا رسول الله، قال: «فإنكم أكثر أهل الجنة، أهل الجنة عشرون ومائة صف، أمتى من ذلك ثمانون صفًا، وسائر أهل الجنة أربعون صفًا، ومع هؤلاء أيضًا سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب مع كل رجل سبعون ألفًا».

فقالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يكتون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون». فقام عكاشة بن محصن الأسدى، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، قال: «فإنك منهم»، فقام رجل آخر من رهط ابن مسعود من هذيل، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، قال: «سبقك بها عكاشة».

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾

قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ يعلمه نزلت فى النضر بن

---

(١) انظر: (مختصر شوذ القراءات ٩٤، الكشاف ٣/٤،البحر المحيط ٦/٣٥٠، الرازى ٢٣/٤).

الحارث القرشى، وأمه، اسمها صفية بنت الحارث بن عثمان بن عبد الدار بن قصى، قال: ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ النضر ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [آية: ٣] يعنى مارد.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ يعنى قضى عليه، يعنى الشيطان ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ يعنى من اتبع الشيطان ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ عن الهدى ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ ﴿وَيَهْدِيهِ﴾ يعنى ويدعوه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [آية: ٤] يعنى الوقود، ثم ذكر صنعه ليعتبروا فى البعث.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾

فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى كفار مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ يعنى فى شك من البعث بعد الموت، فانظروا إلى بدء خلقكم ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ ولم تكونوا شيئًا ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ مثل الدم ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ﴾ يعنى من النطفة مخلقة ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ يعنى السقط يخرج من بطن أمه مصورًا، وغير مصور ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ فلا يكون سقطًا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: خروجه من بطن أمه ليعتبروا فى البعث، ولا يشكوا فيه أن الذى بدأ خلقكم، لقادر على أن يعيدكم بعد الموت.

ثم قال سبحانه: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ ثمانى عشرة سنة إلى أربعين سنة ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ من قبل أن يبلغ أشده ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ﴾ بعد الشباب ﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ يعنى الهرم ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ﴾ كان يعلمه ﴿شَيْـًٔا﴾ فذكر بدء الخلق، ثم ذكر الأرض الميتة كيف يحيها ليعتبروا فى البعث، فإن البعث ليس بأشد من بدء الخلق، ومن الأرض حين يحيها من بعد موتها، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يعنى ميتة ليس فيها نبت يعنى متهشمة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ يعنى المطر ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾

الأرض، يعنى تحركت بالنبات، كقوله: ﴿**تهتز كأنها جان**﴾ [القصص: ٣١] أى تحرك كأنها حية. ثم قال للأرض: ﴿وَرَبَتْ﴾ (١) يعنى وأضعفت النبات ﴿وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [آية: ٥] يعنى من كل صنف من النبات حسن.

﴿ذَٰلِكَ﴾ يقول: هذا الذى فعل، هذا الذى ذكر من صنعه، يدل على توحيده بصنعه ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ وغيره من الآلهة باطل ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ فى الآخرة ﴿وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ٦] من البعث وغيره قدير.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾ يعنى لا شك ﴿فِيهَا﴾ أنها كائنة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ﴾ فى الآخرة ﴿مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [آية: ٧] من الأموات، فلا تشكوا فى البعث.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٨) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (١٠)﴾

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ يعنى النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن السياف بن عبد الدار ابن قصى بن كلاب بن مرة، ومن الناس ﴿مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعنى يخاصم فى الله، عز وجل، أن الملائكة بنات الله تعالى ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [آية: ٨] ﴿وَلَا هُدًى﴾ ولا بيان معه من الله، عز وجل، بما يقول: ولا كتاب من الله تعالى ﴿مُّنِيرٍ﴾ يعنى مضيئًا فيه حجة بأن الملائكة بنات الله فيخاصم بهذا. قال الفراء وأبو عبيدة فى قوله عز وجل: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ يقول: يتبختر فى مشيته تكبرًا.

ثم أخبر عن النضر، فقال سبحانه: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ يقول: يلوى عنقه عن الإيمان ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: ليستزل عن دين الإسلام ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ يعنى القتل ببدر ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آية: ٩] يعنى نحرقه بالنار.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ من الكفر والتكذيب ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آية: ١٠] فيعذب على غير ذنب.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) يَدْعُو مِن

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣١٣، البحر المحيط ٣٥٣/٦، التبيان ٢٥٨/٧، الكشاف ٦/٣، الفراء ٢١٦/٢، القرطبى ١٣/١٢، النشر ٣٢٥/٢، تحبير التيسير ١٤٤).

دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُـرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ﴾ يعنى على شك، نزلت فى أناس من أعراب أسد بن خزيمة، وغطفان.

قال مقاتل: إذا سألك رجل على كم حرف تعبد الله، عز وجل، فقل: لا أعبد الله على شىء من الحروف، ولكن أعبد الله تعالى ولا أشرك به شيئًا؛ لأنه واحد لا شريك له.

كان الرجل يهاجر إلى المدينة، فإن أخصبت أرضه، ونتجت فرسه، وولد له غلام، وصح بالمدينة، وتتابعت عليه الصدقات، قال: هذا دين حسن، يعنى الإسلام.

فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾ يقول: رضى بالإسلام، وإن أجدبت أرضه، ولم تنتج فرسه، وولدت له جارية، وسقم بالمدينة، ولم يجد عليه بالصدقات، قال: هذا دين سوء، ما أصابنى من دينى هذا الذى كنت عليه إلا شرًا فرجع عن دينه، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ يعني بلاء ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ يقول: رجع إلى دينه الأول كافرًا ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ﴾ (١) خسر دنياه التى كان يحبها، فخرج منها ثم أفضى إلى الآخرة وليس له فيها شىء، مثل قوله: ﴿... **إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة** ...﴾ [الزمر: ١٥] يقول الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ١١] يقول: ذلك هو الغبن البين، ثم أخبر عن هذا المرتد عن الإسلام.

فقال سبحانه: ﴿يَدْعُواْ﴾ يعنى يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعنى الصنم ﴿مَا لَا يَضُـرُّهُۥ﴾ فى الدنيا إن لم يعبده ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ﴾ فى الآخرة إن عبده ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [آية: ١٢] يعنى الطويل.

﴿يَدْعُواْ﴾ يعنى يعبد ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ فى الآخرة ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ﴾ فى الدنيا ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ يعنى الولى ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ [آية: ١٣] يعنى الصاحب، كقوله سبحانه: ﴿... **وعاشروهن بالمعروف**...﴾ [النساء: ١٩] يعنى وصاحبوهن بالمعروف.

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣١٣، الكشاف ٣/٧، القرطبى ١٢/١٨، النشر ٢/٣٢٥، ٣٢٦، الفراء ٢/٢١٧، البحر المحيط ٦/٣٥٥، النحاس ٢/٣٩٢).

ثم ذكر ما أعد للصالحين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يقول: تجرى العيون من تحت البساتين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [آية: ١٤].

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ﴾ يعنى يحسب ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعنى بحبل إلى سقف البيت ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ يعنى ليختنق ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ يقول: فعله بنفسه إذا فعل ذلك، هل يذهبن ذلك ما يجد فى قلبه من الغيظ بأن محمدًا لا ينصر ﴿مَا يَغِيظُ﴾ [آية: ١٥] هل يذهب ذلك ما يجد فى قلبه من الغيظ، نزلت فى نفر من أسد وغطفان، قالوا: إنا نخاف ألا ينصر محمد فينقطع الذى بيننا وبين حلفائنا من اليهود، فلا يجيرونا ولا يأوونا.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يعنى وهكذا ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعنى القرآن ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يعنى واضحات ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى﴾ إلى دينه ﴿مَن يُرِيدُ﴾ [آية: ١٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ قوم يعبدون الملائكة، ويصلون للقبلة، ويقرأون الزبور ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ﴾ يعبدون الشمس، والقمر، والنيران، ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ يعنى مشركى العرب يعبدون الأوثان، فالأديان ستة، فواحد لله، عز وجل، وهو الإسلام، وخمسة للشيطان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ﴾ يعنى يحكم ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالهم ﴿شَهِيدٌ﴾ [آية: ١٧].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يعنى ألم تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة وغيرهم ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ﴾ سجود هؤلاء الثلاثة حين تغرب الشمس قبل المغرب لله تعالى تحت العرش ﴿وَ﴾ يسجد ﴿وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ (١) ظلهم حين تطلع الشمس، وحين تزول إذا تحول ظل كل شىء فهو سجوده، ثم قال سبحانه: ﴿وَ﴾ يسجد ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى المؤمنين ﴿وَ﴾ يسجد ﴿وَكَثِيرٌ﴾ ممن ﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ من كفار الإنس والجن سجودهم هو سجود ظلالهم ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [آية: ١٨] فى خلقه، فقرأ النبى ﷺ هذه الآية فسجد لها هو وأصحابه، رضى الله عنهم.

﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ نزلت فى المؤمنين وأهل الكتاب، ثم بين ما

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٣٥٩/٦، العكبرى ٧٧/٢).

أعد للخصمين، فقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ﴾ يعنى جعلت لهم ﴿ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ يعنى قمصًا من نحاس من نار، فيها تقديم ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [آية: ١٩] إذا ضربه الملك بالمقمعة ثقب رأسه، ثم صب فيه الحميم الذى قد انتهى حره.

﴿يُصْهَرُ﴾ يعنى يذاب ﴿بِهِ﴾ يعنى بالحميم ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [آية: ٢٠] يقول: وتنضج الجلود.

﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [آية: ٢١] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ وذلك إذا جاشت جهنم ألقت الرجال فى أعلى الأبواب فيريدون الخروج فتعيدهم الملائكة، يعنى الخزان فيها بالمقامع، وتقول لهم الخزانة إذا ضربوهم بالمقامع: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آية: ٢٢] يعنى النار، ثم ذكر ما أعد الله، عز وجل، للمؤمنين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول: تجرى العيون من تحت البساتين ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ (١) أى أساور من لؤلؤ ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [آية: ٢٣] مما يلى الجسد الحرير، وأعلاه السندس والاستبرق ﴿وَهُدُوا﴾ فى الدنيا ﴿إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ يعنى التوحيد، وهو قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كقوله: ﴿**كلمة طيبة**...﴾ [إبراهيم: ٢٤] يعنى التوحيد ﴿وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ﴾ يعنى دين الإسلام ﴿الْحَمِيدِ﴾ [آية: ٢٤] عند خلقه يحمده أولياؤه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: ويمنعون الناس عن دين الله، عز وجل، ﴿وَ﴾ عن ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ يعنى المقيم فى الحرم، وهم أهل مكة ﴿وَالْبَادِ﴾ يعنى من دخل مكة من غير أهلها ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ يقول: من لجأ إلى الحرم يميل فيه بشرك ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٢٥] يعنى وجيعًا نزلت فى عبد الله بن أنس بن خطل القرشى من بنى تيم بن مرة، وذلك أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله مع رجلين أحدهما مهاجر، والآخر من الأنصار، فافتخروا فى الأنساب، فغضب ابن خطل، فقتل الأنصارى، ثم هرب إلى مكة، ورجع المهاجر إلى المدينة، فأمر النبى ﷺ بقتل عبد الله يوم فتح مكة، فقتله أبو برزة الأسلمى، وسعد بن حريث القرشى، أخو عمرو بن حريث.

---

(١) انظر: (مجمع البيان ٧/٧٧، النحاس ٢/٣٩٥، العكبرى ٢/٧٧، البحر المحيط ٦/٣٦٠).

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ المعمور، قال: دللنا إبراهيم عليه، فبناه مع ابنه إسماعيل، عليهما السلام، وليس له أثر ولا أساس، كان الطوفان محا أثره، ورفعه الله، عز وجل، ليالى الطوفان إلى السماء فعمرته الملائكة، وهو البيت المعمور، قال الله عز وجل لإبراهيم: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ من الأوثان لا تنصب حوله وثنًا ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ بالبيت ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ يعنى المقيمين بمكة من أهلها ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [آية: ٢٦] يعنى فى الصلوات الخمس، وفى الطواف حول البيت من أهل مكة وغيرهم، والبيت الحرام اليوم مكان البيت المعمور، ولو أن حجرًا وقع من البيت المعمور وقع على البيت الحرام، وهو فى العرض والطول مثله، إلا أن قامته كما بين السماء والأرض.

﴿وَأَذِّن﴾ يا إبراهيم ﴿فِي النَّاسِ﴾ يعنى المؤمنين ﴿بِالْحَجِّ﴾ فصعد أبا قبيس، وهو الجبل الذى الصفا فى أصله، فنادى يا أيها الناس أجيبوا ربكم، إن الله عز وجل يأمركم أن تحجوا بيته، فسمع نداء إبراهيم، عليه السلام، كل مؤمن على ظهر الأرض، ويقال: فى أصلاب الرجال وأرحام النساء، فالتلبية اليوم جواب نداء إبراهيم، عليه السلام، عن أمر ربه، عز وجل، فذلك قوله سبحانه: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [(١)] يعنى على أرجلهم مشاة ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ يعنى الإبل ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [آية: ٢٧] يعنى يجىء من كل مكان بعيد.

﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ يعنى الأجر فى الآخرة فى مناسكهم ﴿وَ﴾ لكى ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ يعنى ثلاثة أيام، يوم النحر، ويومين بعده إلى غروب الشمس ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ﴾ يعنى الضرير الزمن ﴿الْفَقِيرَ﴾ [آية: ٢٨] الذى ليس له شىء.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ يعنى حلق الرأس، والذبح، والجمار، ﴿وَلْيُوفُوا﴾ يعنى لكى يوفوا ﴿نُذُورَهُمْ﴾ فى حج، أو عمرة بما أوجبوا على أنفسهم من هدى، أو غيره، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [آية: ٢٩] أعتق فى الجاهلية من القتل، والسبى، والخراب. قال الفراء: أعتق من الفرق، ومن أن يدعى ملكه أحد من الجبابرة، ويقال: العتيق القديم.

---

(١) انظر: (القرطبى ٣٩/١٢، الكشاف ١١/٣، الرازى ٢٨/٢٣، البحر المحيط ٣٦٤/٦، مجمع البيان ٧٩/٧).

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى أمـر المناسـك كلـها ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ فى الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ﴾ بهيمة ﴿ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ التى حرموا للآلهة فى سورة الأنعام ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ من التحريم فى أول سورة المائدة ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ فيها تقديم يقول: اتقوا عبادة اللات والعزى ومناة، وهى الأوثان ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [آية: ٣٠] يقول: اتقوا الكذب، وهو الشرك.

حدثنا أبو محمد، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن محمد بن على، فى قوله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ قال: الكذب وهو الشرك فى التلبية، وذلك أن الحمس قريش، وخزاعة، وكنانة، وعامر بن صعصعة، فى الجاهلية كانوا يقولون فى التلبية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك، يعنون الملائكة التى تعبد هذا هو قول الزور لقولهم: إلا شريكًا هو لك.

وكان أهل اليمن فى الجاهلية يقولون فى التلبية: نحن عرابا عك عك إليك عانية، عبادك اليمانية، كيما نحج الثانية، على القلاص الناحية. وكانت تميم تقول فى إحرامها: لبيك ما نهارنا بجره، إدلاجه وبرده وحره، لا يتقى شيئًا ولا يضره، حجًا لرب مستقيم بره.

وكانت ربيعة تقول: لبيك اللهم حجًا حقًا، تعبدًا ورقًا، لم نأتك للمناحة، ولا حبًا للرباحة. وكانت قيس عيلان تقول: لبيك لولا أن بكرًا دونكا، بنو أغيار وهم يلونكا، ببرك الناس ويفخرونكا، ما زال منا عجيجًا يأتونكا.

وكانت جرهم تقول فى إحرامها: لبيك إن جرهما عبادك، والناس طرف وهم تلادك، وهم لعمرى عمروا بلادك، لا يطاق ربنا يعادك، وهم الأولون على ميعادك، وهم يعادون كل من يعادك، حتى يقيموا الدين فى وادك. وكانت قضاعة تقول: لبيك رب الحل والإحرام، ارحم مقام عبد وآم، أتوك يمشون على الأقدام.

وكانت أسد وغطفان تقول فى إحرامها بشعر اليمن: لبيك، إليك تعدوا قلقا وضينها، معترضا فى بطنها جنينها، مخالفًا دين النصارى دينها. وكانت النساء تطفن بالليل عراة، وقال بعضهم: لا بل نهارًا تأخذ إحداهن حاشية برد تستتر به، وتقول: اليوم يبدوا بعضه أو كله، وما بدا منه فلا أحله، كم من لبيب عقله يضله، وناظر ينظر فما يمله

ضخم من الجثم عظيم ظله.

وكانت تلبية آدم، عليه السلام: لبيك الله لبيك عبد خلقته بيديك، كرمت فأعطيت، قربت فأدنين، تباركت وتعاليت، أنت رب البيت.

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ يعنى الكذب، وهو الشرك فى الإحرام، ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ يعنى مخلصين لله بالتوحيد ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ ثم عظم الشرك، فقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ يعنى فتذهب به الطير النسور ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [آية: ٣١] يعنى بعيدًا، فهذا مثل الشرك فى البعد من الله، عز وجل.

﴿ذَٰلِكَ﴾ يقول: هذا الذى أمر اجتناب الأوثان ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ يعنى البدن من أعظمها وأسمنها ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [آية: ٣٢] يعنى من إخلاص القلوب ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ فى البدن ﴿مَنَٰفِعُ﴾ فى ظهورها وألبانها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: إلى أن تقلد، أو تشعر، أو تسمى هديا، فهذا الأجل المسمى، فإذا فعل ذلك بها لا يحمل عليها إلا مضطرًا ويركبها بالمعروف، ويشرب فضل ولدها من اللبن، ولا يجهد الحلب حتى لا ينهك أجسامها.

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [آية: ٣٣] يعنى منحرها إلى أرض الحرم كله كقوله سبحانه: ﴿**فلا يقربوا المسجد الحرام**﴾ يعنى أرض الحرم كله، ثم ينحر ويأكل ويطعم، إن شاء نحر الإبل، وإن شاء ذبح الغنم، أو البقر، ثم تصدق به كله، وإن شاء أكل وأمسك منه، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون شيئًا من البدن، فأنزل الله، عز وجل، فكلوا منها وأطعموا، فليس الأكل بواجب، ولكنه رخصة، كقوله سبحانه ﴿**وإذا حللتم فاصطادوا**﴾ [المائدة: ٢] وليس الصيد بواجب ولكنه رخصة.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ يعنى لكل قوم من المؤمنين فيما خلا، كقوله سبحانه: ﴿... **أن تكون أمة هى أربى من أمة** ...﴾ [النحل: ٩٢] أن يكون قوم أكثر من قوم، ثم قال: ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ يعنى ذبحًا، يعنى هراقة الدماء ﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وإنما خص الأنعام من البهائم؛ لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، وإنما سميت البهائم؛ لأنها لا تتكلم ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ليس له شريك يقول: فربكم رب واحد ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [آية: ٣٤] يعنى المخلصين بالجنة.

ثم نعتهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ﴾ يعنى خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ من أمر الله ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [آية: ٣٥] من الأموال. قوله عز وجل: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ يعنى من أمر المناسك ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ يقول: لكم فى نحرها أجر فى الآخرة ومنفعة فى الدنيا، وإنما سميت البدن؛ لأنها تقلد وتشعر وتساق إلى مكة، والهدى الذى ينحر بمكة، ولم يقلد، ولم يشعر والجزور البعير الذى ليس ببدنة، ولا بهدى.

﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ إذا نحرت ﴿صَوَآفَّ﴾ (١) يعنى معقولة يدها اليسرى قائمة على ثلاثة قوائم مستقبلات القبلة. قال الفراء: صواف، يعنى يصفها، ثم ينحرها، فهذا تعليم من الله، عز وجل، فمن شاء نحرها على جنبها.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ يعنى فإذا خرت لجنبها على الأرض بعد نحرها ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ﴾ (٢) يعنى الراضى الذى يقنع بما يعطى، وهو السائل ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ (٣) الذى يتعرض للمسألة، ولا يتكلم فهذا تعليم من الله، عز وجل، فمن شاء أكل، ومن لم يشأ لم يأكل، ومن شاء أطعم، ثم قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا﴾ يعنى هكذا ذللناها ﴿لَكُمْ﴾ يعنى البدن ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٣٦] ربكم، عز وجل، فى نعمه.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ وذلك أن كفار العرب كانوا فى الجاهلية إذا نحروا البدن عند زمزم أخذوا دماءها فنضحوها قبل الكعبة، وقالوا: اللهم تقبل منا، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك، فأنزل الله، عز وجل، ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ يقول: النحر هو تقوى منكم، فالتقوى هو الذى ينال الله ويرفعه إليه، فأما اللحوم والدماء فلا يرفعه إليه، ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ يعنى البدن ﴿لِتُكَبِّرُوا۟﴾ لتعظموا ﴿ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ لدينه ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٣٧] بالجنة فمن فعل ما ذكر الله فى هذه الآيات فقد أحسن. قوله عز وجل: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ كفار مكة ﴿عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بمكة، هذا حين أمر المؤمنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين آذوهم، فاستشاروا النبى ﷺ فى قتالهم فى السر، فنهاهم الله

---

(١) انظر: (التبيان ٧/٢٨٣، الطبرى ١٧/١١٨، القرطبى ١٢/٦١، الفراء ٢/٢٢٦، النحاس ٢/٤٠٣، الكشاف ٣/١٤، البحر المحيط ٦/٣٦٩).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٦/٣٧٠، الكشاف ٣/١٥، القرطبى ١٢/٦٤).

(٣) انظر: (الكشاف ٣/١٥، البحر المحيط ٦/٣٧٠، العكبرى ٢/٧٩، القرطبى ١٢/٦٥).

عز وجل، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ يعنى كل عاص ﴿كَفُورٍ﴾ [آية: ٣٨] بتوحيد الله، عز وجل، يعنى كفار مكة.

فلما قدموا المدينة أذن الله، عز وجل، للمؤمنين فى القتال بعد النهى بمكة، فقال سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ فى سبيل الله ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ ظلمهم كفار مكة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [آية: ٣٩] فنصرهم الله تعالى على كفار مكة بعد النهى.

ثم أخبر عن ظلم كفار مكة، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم﴾ وذلك أنهم عذبوا منهم طائفة، وآذوا بعضهم بالألسن، حتى هربوا من مكة إلى المدينة ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾ يقول: لم يخرج كفار مكة المؤمنين من ديارهم، إلا أن يقولوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ فعرفوه ووحدوه، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ يقول: لولا أن يدفع الله المشركين بالمسلمين لغلب المشركون فقتلوا المسلمين ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ يقول: لخربت ﴿صَوَٰمِعُ﴾ الرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ النصارى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾[1] يعنى اليهود ﴿وَمَسَـٰجِدُ﴾ المسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ كل هؤلاء الملل يذكرون الله كثيرًا فى مساجدهم، فدفع الله، عز وجل، بالمسلمين عنها.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ﴾ على عدوه ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ يعنى من يعينه حتى يوحد الله، عز وجل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ فى نصر أوليائه ﴿عَزِيزٌ﴾ [آية: ٤٠] يعنى منيع فى ملكه وسلطانه نظيرها فى الحديد ﴿... **وليعلم الله من ينصره** ...﴾ [الحديد: ٢٥] يعنى من يوحده، وغيرها فى الأحزاب، وهود. وهو سبحانه أقوى وأعز من خلقه.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى أرض المدينة وهم المؤمنون بعد القهر بمكة، ثم أخبر عنهم، فقال تعالى: ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يعنى التوحيد الذى يعرف ﴿وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ الذى لا يعرف، وهو الشرك ﴿وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [آية: ٤١] يعنى عاقبة أمر العباد إليه فى الآخرة ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد يعزى نبيه ﷺ ليصبر على تكذيبهم إياه بالعذاب ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ يعنى قبل أهل مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ [آية: ٤٢] ﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ [آية: ٤٣] ﴿وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ﴾ يعنى قوم شعيب، عليه السلام، كل هؤلاء كذبوا رسلهم ﴿وَكُذِّبَ

---

(١) انظر: (العكبرى ٢/٧٩، التبيان ٧/٣٨٥، الأخفش ٢/٤١٥، البحر المحيط ٦/٣٧٥).

مُوسَىٰ﴾ يعنى عصى موسى، عليه السلام، لأنه ولد فيهم كما ولد محمد ﷺ فيهم ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ يعنى فأمهلت ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ فلم أعجل عليهم بالعذاب ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بعد الإمهال بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [آية: ٤٤] يعنى تغييرى أليس وجدوه حقًا، فكذلك كذب كفار مكة كما كذبت مكذبى الأمم الخالية.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ يعنى وكم من قرية أهلكناها بالعذاب فى الدنيا ﴿أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ يعنى خربة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يعنى ساقطة من فوقها، يعنى بالعروش سقوف البيت، أى ليس فيها مساكن ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ (١) يعنى خالية لا تستعمل ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [آية: ٤٥] يعنى طويلاً فى السماء ليس له أهل.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: فلو ساروا فى الأرض فتفكروا ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ المواعظ ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٤٦].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ نزلت فى النضر بن الحارث القرشى يقول الله تعالى: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ فى العذاب بأنه كائن ببدر، يعنى القتل ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [آية: ٤٧] وهى الأيام الست التى خلق الله فيهن السموات والأرض، وإنما قال الله تعالى ذلك لاستعجالهم بالعذاب، فاليوم عند الله، عز وجل، كألف سنة.

فمن ثم قال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ يعنى أمهلت لها، فلم أعجل عليها بالعذاب ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بعد الإملاء بالعذاب، ﴿وَإِلَىَّ﴾ إلى الله ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٤٨] يقول: إلى الله يصيرون.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى كفار مكة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٤٩] يعنى بين ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [آية: ٥٠] ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ يعنى فى القرآن مثبطين، يعنى كفار مكة يثبطون الناس عن الإيمان بالقرآن.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ٥١] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ يعنى إذا حدث نفسه ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ يعنى فى حديثه مثل

(١) انظر: (الكشاف ١٧/٣، الرازى ٤٤/٢٦، النحاس ٤٠٦/٢، البحر المحيط ٣٧٦/٦).

قوله: ﴿... **ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى ...**﴾ [البقرة: ١٧٨] يقول: إلا ما يحدثوا عنها، يعنى التوراة وذلك أن النبى ﷺ كان يقرأ فى الصلاة عند مقام إبراهيم ﷺ فنعس، فقال: «أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، تلك الغرانيق العلى، عندها الشفاعة ترتجى»، فلما سمع كفار مكة أن لآلهتهم شفاعة فرحوا، ثم رجع النبى ﷺ فقال: ﴿**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى**﴾ [طه: ١١٤] فذلك قوله سبحانه: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ على لسان محمد ﷺ ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ من الباطل الذى يلقى الشيطان على لسان محمد ﷺ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ٥٢].

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ على لسان النبى ﷺ وما يرجون من شفاعة آلهتهم ﴿فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعنى الشك ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ يعنى الجافية قلوبهم عن الإيمان، فلم تلن له ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يعنى كفار مكة ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٥٣] يعنى لفى ضلال بعيد، يعنى طويل.

ثم ذكر المؤمنين سبحانه: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بالله عز وجل ﴿أَنَّهُ﴾ يعنى القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ يعنى فيصدقوا به ﴿فَتُخْبِتَ﴾ يعنى فتخلص ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٥٤] يعنى دينًا مستقيمًا.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة أبو جهل وأصحابه ﴿فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ يعنى فى شك من القرآن ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ يعنى فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [آية: ٥٥] يعنى بلا رأفة ولا رحمة القتل ببدر، ثم قال فى التقديم: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ يعنى يوم القيامة لا ينازعه فيه أحد، واليوم فى الدنيا ينازعه غيره فى ملكه.

﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ ثم بين حكمه فى كفار مكة، فقال سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [آية: ٥٦] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتوحيد الله ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ بالقرآن بأنه ليس من الله عز وجل ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آية: ٥٧] يعنى الهوان.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى المدينة ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ

﴿ٱللَّهُ﴾ فى الآخرة ﴿رِزۡقًا حَسَنًاۚ﴾ يعنى كريمًا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [آية: ٥٨] وذلك أن نفرًا من المسلمين قالوا للنبى ﷺ نحن نقاتل المشركين، فنقتل منهم ولا نستشهد، فما لنا شهادة، فأشركهم الله عز وجل جميعًا فى الجنة، فنزلت فيهم آيتان.

فقال: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ لقولهم: ﴿حَلِيمٞ﴾ [آية: ٥٩] عنهم. لقولهم: أنا نقاتل ولا نستشهد، ﴿۞ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ﴾ وذلك أن مشركى مكة لقوا المسلمين لليلة بقيت من المحرم، فقال بعضهم لبعض: إن أصحاب محمد يكرهون القتال فى الشهر الحرام، فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن يقاتلوهم فى الشهر الحرام، فأبى المشركون إلا القتال. فبغوا على المسلمين فقاتلوهم وحملوا عليهم وثبت المسلمون فنصر الله، عز وجل، المسلمين عليهم، فوقع فى أنفس المسلمين من القتال فى الشهر الحرام، فأنزل الله عز وجل ذلك ومن عاقب، هذا جزاء من عاقب.

﴿بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عنهم ﴿غَفُورٞ﴾ [آية: ٦٠] لقتالهم فى الشهر الحرام ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعنى هذا الذى فعل من قدرته، ثم بين قدرته، جل جلاله، فقال سبحانه: ذلك ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ يعنى انتقاص كل واحد منهما من الآخر، حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة، والليل تسع ساعات فى كل سنة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ بأعمالهم ﴿بَصِيرٞ﴾ [آية: ٦١] بها.

﴿ذَٰلِكَ﴾ يعنى هذا الذى فعل ذلك، يدل على توحيده بصنعه ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعنى يعبدون من دونه من الآلهة ﴿هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ الذى ليس بشىء، ولا ينفعهم عبادتهم، ثم عظم نفسه تبارك اسمه، فقال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ يعنى الرفيع فوق خلقه ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ [آية: ٦٢] فلا شىء أعظم منه.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾، يعنى المطر، ﴿فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۗ﴾ من النبات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراج النبت ﴿خَبِيرٞ﴾ [آية: ٦٣] ثم قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ عبيده، وفى ملكه ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ من عباده خلقه ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ [آية: ٦٤] عند خلقه فى سلطانه.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ﴾ يعنى ذلك ﴿لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ﴾ يقول: وسخر

الفلك، يعنى السفن ﴿تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ يقول: لئلا تقع على الأرض ﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ﴾ يعنى لرفيق ﴿رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٦٥] بهم، فيما سخر لهم، وحبس عنهم السماء، فلا تقع عليهم فيهلكوا.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ﴾ يعنى خلقكم، ولم تكونوا شيئًا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ﴾ عند آجالكم ﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ﴾ بعد موتكم فى الآخرة ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾ [آية: ٦٦] لنعم الله، عز وجل، فى حسن خلقه حين لا يوحده.

ثم قال سبحانه: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ﴾ يعنى لكل قوم فيما خلا ﴿جَعَلۡنَا مَنسَكًا﴾ يعنى ذبحًا، يعنى هراقة الدماء ذبيحة فى عيدهم ﴿هُمۡ نَاسِكُوهُۖ﴾ يعنى ذابحوه كقوله: ﴿... إن صلاتى ونسكى ...﴾ [الأنعام: ١٦٢] يعنى ذبيحتى ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلۡأَمۡرِۚ﴾ (١) يعنى فى أمر الذبائح، فإنك أولى بالأمر منهم، أى من كفار خزاعة وغيرهم، نزلت فى بديل بن ورقاء الخزاعى، وبشر بن سفيان الخزاعى، ويزيد بن الحلبس، من بنى الحارث بن عبد مناف لقولهم للمسلمين، فى الأنعام، ما قتلتم أنتم بأيديكم فهو حلال وما قتل الله فهو حرام يعنون الميتة، ثم قال سبحانه: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ يعنى إلى معرفة ربك وهو التوحيد ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى﴾ يعنى لعلى دين ﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آية: ٦٧].

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ فى أمر الذبائح، يعنى هؤلاء النفر ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٦٨] وبما نعمل، وذلك حين اختلفوا فى أمر الذبائح. فذلك قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ﴾ يعنى يقضى ﴿بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [آية: ٦٩] من الدين. نسختها آية السيف.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾ يا محمد ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ العلم ﴿فِى كِتَٰبٍۚ﴾ يعنى اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الكتاب ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [آية: ٧٠] يعنى هينًا.

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ يعنى ما لم ينزل به كتابًا من السماء لهم فيه حجة بأنها آلهة ﴿وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ﴾ أنها آلهة ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ﴾ [آية: ٧١] يقول: وما للمشركين من مانع من العذاب.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ يعنى واضحات ﴿تَعۡرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) انظر: (القرطبى ٩٤/١٢، الكشاف ٢١/٣، الرازى ٦٤/٢٣، البحر المحيط ٣٨٨/٦).

﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ ينكرون القرآن أن يكون من الله عز وجل ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ يقول: يكادون يقعون بمحمد ﷺ من كراهيتهم للقرآن، وقالوا: ما شأن محمد وأصحابه أحق بهذا الأمر منا، والله إنهم لأشر خلق الله، فأنزل الله عز وجل ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾ يعنى النبى ﷺ وأصحابه ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من وعده الله النار وصار إليها، يعنى الكفار، فهم شرار الخلق ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٧٢] النار حين يصيرون إليها، ونزل فيهم فى الفرقان: ﴿ **الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا...** ﴾ [الفرقان: ٣٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ يعنى شبهًا وهو الصنم ﴿فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥٓ﴾ ثم أخبر عنه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام يعنى اللات والعزى ومناة وهبل ﴿لَن﴾ يستطيعوا أن ﴿يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُۥ﴾ يقول: لو اجتمعت الآلهة على أن يخلقوا ذبابًا ما استطاعوا، ثم قال عز وجل: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ مما على الآلهة من ثياب أو حلى أو طيب ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ يقول: لا تقدر الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما أخذ منها، ثم قال: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [آية: ٧٣] فأما الطالب فهو الصنم، وأما المطلوب فهو الذباب، فالطالب هو الصنم الذى يسلبه الذباب ولا يمتنع منه، والمطلوب هو الذباب، فأخبر الله عن الصنم أنه لا قوة له، ولا حيلة، فكيف تعبدون ما لا يخلق ذباب، ولا يمتنع من الذباب.

قوله عز وجل: ﴿مَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ يقول: ما عظموا الله حق عظمته حين أشركوا به ولم يوحدوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ فى أمره ﴿عَزِيزٌ﴾ [آية: ٧٤] أى منيع فى ملكه، قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ وهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، والحفظة الذين يكتبون أعمال بنى آدم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ رسلاً، منهم محمد ﷺ فيجعلهم أنبياء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ بمقالتهم ﴿بَصِيرٌ﴾ [آية: ٧٥] بمن يتخذه رسولاً ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول: يعلم ما كان قبل خلق الملائكة والأنبياء، ويعلم ما يكون من بعدهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آية: ٧٦] فى الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ يأمرهم بالصلاة ﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ يعني وحدوا ربكم ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾ الذي أمركم به ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يعني لكى ﴿تُفْلِحُونَ ۩﴾ [آية: ٧٧] يقول: من فعل ذلك فقد أفلح.

﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ﴾ يأمرهم بالعمل ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ يقول: اعملوا لله بالخير حق عمله نسختها الآية التى فى التغابن، وهى: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**...﴾ [التغابن: ١٦]. ثم قال: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ يقول الله عز وجل: استخلصكم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ يعنى فى الإسلام ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ يعنى من ضيق، ولكن جعله واسعًا هو ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ﴾ يقول الله عز وجل: سماكم ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فيها تقديم ﴿مِن قَبْلُ﴾ قرآن محمد ﷺ فى الكتب الأولى ﴿وَفِى هَـٰذَا﴾ القرآن أيضًا سماكم المسلمين ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ أنه بلغ الرسالة ﴿وَتَكُونُواْ﴾ أنتم يا معشر أمة محمد ﷺ، يعنى مؤمنيهم ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعنى شهداء للرسل أنهم بلغوا قومهم الرسالة ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يقول: أتموها ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يقول: أعطوا الزكاة من أموالكم ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ يقول: وثقوا بالله، فإذا فعلتم ذلك ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [آية: ٧٨] يقول: نعم المولى هو لكم، ونعم النصير هو لكم.

* * *

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

سورة المؤمنين مكية كلها، وهى مائة وثمانى عشرة آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١] يعنى سعد المؤمنون، يعنى المصدقين بتوحيد الله عز وجل.

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [آية: ٢] يقول: متواضعون يعنى إذا صلى لم يعرف من عن يمينه، ومن عن شماله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [آية: ٣] يعنى اللغو: الشتم والأذى إذا سمعوه من كفار مكة لإسلامهم، وفيهم نزلت ﴿**مروا باللغو مروا كراما**﴾ [الفرقان: ٧٢] يعنى معرضين عنه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [آية: ٤] يعنى زكاة أموالهم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [آية: ٥] عن الفواحش. ثم استثنى، فقال سبحانه: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ يعنى حلائلهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الولائد ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [آية: ٦] يعنى لا يلامون على الحلال.

﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [آية: ٧] يقول: فمن ابتغى الفواحش بعد الحلال، فهو معتد، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [آية: ٨] يقول: يحافظون على أداء الأمانة، ووفاء العهد، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [آية: ٩] على المواقيت.

ثم أخبر بثوابهم، فقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [آية: ١٠] ثم بين ما يرثون، فقال:

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ يعنى البستان عليه الحيطـان، بالرومية ﴿هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [آية: ١١] يعنى فى الجنة لا يموتون.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ يعنـى آدم ﷺ ﴿مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [آيـة: ١٢] والسلالة: إذا عصر الطين انسل الطين والماء من بين أصابعه.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً﴾ يعنى ذرية آدم ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [آية: ١٣] يعنى الرحم: تمكن النطفة فى الرحم ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ يقول: تحول الماء فصـار دمًا ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ يعنى فتحول الدم فصار لحمًا مثل المضغة ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ﴾ [1] يقول: خلقناه، ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ يعنى الـروح ينفـخ فيـه بعد خلقه، فقال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه: قبل أن يتم النبى ﷺ الآيـة: ﴿**تبارك الله أحسن الخالقين**﴾، فقال النبى ﷺ: «هكذا أنزلت يا عمر».

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [آية: ١٤] يقـول: هـو أحسـن المصورين، يعنـى من الذين خلقوا التماثيل وغيرها التى لا يتحرك منها شىء ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الخلق بعـد ما ذكر من تمام خلق الإنسـان ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ [آيـة: ١٥] عنـد آجـالكم ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ بعـد الموت ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [آية: ١٦] يعنى تحيون بعد الموت.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ يعنى سموات غلظ كـل سمـاء مسيرة خمس مائـة عام، وبين كل سماء مسيرة خمس مائة عام ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ﴾ [آية: ١٧] يعنـى

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣١٨، مجمع البيان ٧/ ١٠٠، البحر المحيط ٦/٣٩٨).

عن خلق السماء وغيره ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ ما يكفيكم من المعيشة، يعنى العيون ﴿فَأَسْكَنَّاهُ﴾ يعنى فجعلنا ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [آية: ١٨] فيغور فى الأرض، يعنى فلا يقدر عليه.

﴿فَأَنشَأْنَا﴾ يعنى فخلقنا ﴿لَكُم بِهِ﴾ بالماء ﴿جَنَّاتٍ﴾ يعنى البساتين ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [آية: ١٩]، ثم قال: ﴿وَ﴾ خلقنا ﴿وَشَجَرَةً﴾ يعنى الزيتون، وهو أول زيتونة خلقت ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾ يقول: تنبت فى أصل الجبل الذى كلم الله، عز وجل، عليه موسى، عليه السلام، ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [١] يعنى تخرج بالذى فيه الدهن، يقول: هذه الشجرة تشرب الماء، وتخرج الزيت، فجعل الله، عز وجل، فى هذه الشجرة أدمًا ودهنًا ﴿وَ﴾ هى ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [آية: ٢٠] وكل جبل يحمل الثمار، فهو سيناء يعنى الحسن.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾ يعنى الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ [٢] يعنى اللبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ يعنى فى ظهورها وألبانها وأوبارها وأصوافها وأشعارها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [آية: ٢١] يعنى من النعم، ثم قال: ﴿وَعَلَيْهَا﴾ يعنى الإبل ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٢] على ظهورها فى أسفاركم، ففى هذا الذى ذكر من هؤلاء الآيات عبرة فى توحيد الرب، عز وجل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾

---

(١) انظر: (القرطبى ١٢/١١٦، الكشاف ٣/٢٩، البحر المحيط ٦/٤٠١).

(٢) انظر: (الإتحاف ٣١٨، الكشاف ٣/٢٩٩، النشر ٢/٣٠٤، الرازى ٢٣/٩٠، العكبرى ٢/٨١).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ يعنى وحدوا الله ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ ليس لكم رب غيره ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [آية: ٢٣] يقول: أفلا تعبدون الله، عز وجل، ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ﴾ يعنى الأشراف ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ ﴾ يعنون نوحًا ﴿ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ ليس له عليكم فضل فى شىء فتتبعونه ﴿ يُرِيدُ ﴾ نوح ﴿ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ ﴾ يعنى لأرسل ﴿ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ إلينا فكانوا رسله ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾ التوحيد ﴿ فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [آية: ٢٤].

﴿ إِنْ هُوَ ﴾ يعنون نوحًا ﴿ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾، يعنى جنونًا ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [آية: ٢٥] يعنون الموت ﴿ قَالَ ﴾ نوح: ﴿ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ [آية: ٢٦] يقول: انصرنى بتحقيق قولى فى العذاب بأنه نازل بهم فى الدنيا.

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾ يقول: اجعل السفينة ﴿ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ كما نأمرك ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ يقول عز وجل: فإذا جاء قولنا فى نزول العذاب بهم فى الدنيا، يعنى الغرق ﴿ وَفَارَ ﴾ الماء من ﴿ ٱلتَّنُّورُ ﴾ وكان التنور فى أقصى مكان من دار نوح، وهو التنور الذى يخبز فيه، وكان فى الشام بعين وردة، ﴿ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ ذكر وأنثى ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ فاحملهم معك فى السفينة، ثم استثنى من الأهل ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾ يعنى من سبقت عليهم كلمة العذاب فكان ابنه وامرأته ممن سبق عليه القول من أهله، ثم قال تعالى: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِى ﴾ يقول: ولا تراجعنى ﴿ فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ﴾ يعنى أشركوا ﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [آية: ٢٧] يعنى بقوله: ولا تخاطبنى. قول نوح عليه السلام لربه عز وجل: ﴿ **إن ابنى من أهلى** ﴾ [هود: ٤٥] يقول الله: ولا تراجعنى فى ابنك كنعان، فإنه من الذين ظلموا.

ثم قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ ﴾ من المؤمنين ﴿ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾ يعنى السفينة ﴿ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آية: ٢٨] يعنى المشركين ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى ﴾ من السفينة ﴿ مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [آية: ٢٩] من غيرك، يعنى بالبركة أنهم توالدوا وكثروا.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ﴾ يقول: إن فى هلاك قوم نوح بالغرق لعبرة لمن بعدهم، ثم قال: ﴿ وَإِن ﴾ يعنى وقد ﴿ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ [آية: ٣٠] بالغرق.

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم

﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا﴾ يعنى قوم هود، عليه السلام، ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يعنى من بعد قوم نوح ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [آية: ٣١] وهم قوم هود، عليه السلام، ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يعنى من أنفسهم ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يعنى أن وحدوا الله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ يقول: ليس لكم رب غيره ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [آية: ٣٢] يعنى أفهلا تعبدون الله، عز وجل.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ يعنى الأشراف ﴿مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتوحيد الله، عز وجل، ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يعنى بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ يعنى وأغنيناهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ﴾ يعنون هودًا، عليه السلام، ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ليس له عليكم فضل ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [آية: ٣٣] ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ٣٤] يعنى لعجزة، مثلها فى يوسف عليه السلام.

﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ هود ﴿أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [آية: ٣٥] من الأرض أحياء بعد الموت ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (١) [آية: ٣٦] يقول: هذا حديث قد درس، فلا يذكر ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ يعنى نموت نحن ويحيا آخرون من أصلابنا، فنحن كذلك أبدًا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [آية: ٣٧] بعد الموت مثلها فى الجاثية.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا

(١) انظر: (الإتحاف ٣٠٨، تحبير التيسير ١٤٦، البحر المحيط ٤٠٤/٦، التبيان ٣٢٢/٧، الطبرى ١٦/١٨، القرطبى ١٢٢/١٢، الكشاف ٣٢/٣، الرازى ٩٨/٢٣، النشر ٣٢٨/٢، حاشية يس ١٩٩/٢).

جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٣٨] ﴿قَالَ﴾ هو: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [آية: ٣٩] وذلك أن هودًا، عليه السلام، أخبرهم أن العذاب نازل بهم فى الدنيا، فكذبوه، فقال: رب انصرنى بما كذبون فى أمر العذاب ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ﴾ قال: عن قليل ﴿لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [آية: ٤٠].

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ﴾ يعنى صيحة جبريل، عليه السلام، فصاح صيحة واحدة فماتوا أجمعين، فلم يبق منهم أحد ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ﴾ يعنى كالشىء البالى من نبت الأرض يحمله السيل، فشبه أجسادهم بالشىء البالى، ﴿فَبُعۡدٗا﴾ فى الهلاك ﴿لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٤١] يعنى المشركين ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا﴾ يعنى خلقنا ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ [آية: ٤٢] يعنى قومًا آخرين، فأهلكناهم بالعذاب فى الدنيا ﴿مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ [آية: ٤٣] عنه.

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ﴾ يعنى الأنبياء، تترا: بعضهم على أثر بعض ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ﴾ فلم يصدقوه ﴿فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا﴾ فى العقوبات ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ﴾ لمن بعدهم من الناس يتحدثون بأمرهم وشأنهم ﴿فَبُعۡدٗا﴾ فى الهلاك ﴿لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٤٤] يعنى لا يصدقون بتوحيد الله، عز وجل.

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٤٥] ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ يعنى الأشراف، واسم فرعون قيطوس، بآياتنا: اليد والعصا، وسلطان مبين يعنى حجة بينة ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ يعنى فتكبروا عن الإيمان بالله، عز وجل، ﴿وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ﴾ [آية: ٤٦] يعنى متكبرين عن توحيد الله.

﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾ يعنى أنصدق إنسانين مثلنا ليس لهما علينا فضل ﴿وَقَوۡمُهُمَا﴾ يعنى بنى إسرائيل ﴿لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [آية: ٤٧]، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ﴾ [آية: ٤٨] بالغرق ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعنى التوراة ﴿لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [آية: ٤٩] من الضلالة، يعنى بنى إسرائيل، لأن التوراة نزلت بعد هلاك فرعون وقومه.

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ﴾ يعنى عيسى وأمه مريم، عليهما السلام، ﴿ءَايَةً﴾ يعنى عبرة لبنى إسرائيل، لأن مريم حملت من غير بشر، وخلق ابنها من غير أب، ﴿وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ﴾ من الأرض المقدسة ﴿إِلَىٰ رَبۡوَةٍ﴾ يعنى الغوطة من أرض الشام بدمشق، يعنى بالربوة المكان المرتفع من الأرض ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ يعنى استواء ﴿وَمَعِينٍ﴾ [آية: ٥٠] يعنى الماء الجارى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ يعنى محمدًا ﷺ ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلال من الرزق ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [آية: ٥١] ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ يقول: هذه ملتكم التى أنتم عليها، يعنى ملة الإسلام، ملة واحدة، عليها كانت الأنبياء، عليهم السلام، والمؤمنون الذين نجو من العذاب، الذين ذكرهم الله، عز وجل، فى هذه السورة، ثم قال سبحانه: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [آية: ٥٢] يعنى فاعبدون بالإخلاص.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ يقول: فارقوا دينهم الذى أمروا به فيما بينهم، ودخلوا فى غيره ﴿زُبُرٗاۖ﴾ يعنى قطعًا، كقوله: ﴿**آتونى زبر الحديد**﴾ [الكهف: ٩٦] يعنى قطع الحديد، يعنى فرقًا فصاروا أحزابًا يهودًا، ونصارى، وصابئين، ومجوسًا، وأصنافًا شتى كثيرة، ثم قال سبحانه: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [آية: ٥٣] يقول: كل أهل بما عندهم من الدين راضون به.

ثم ذكر كفار مكة، فقال تعالى للنبى ﷺ: ﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [آية: ٥٤] يقول: خل عنهم فى غفلتهم إلى أن أقتلهم ببدر.

﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ (٥٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ (٥٧) وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ (٥٨) وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ (٥٩) وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ (٦٠) أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ (٦١) وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا

إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾

ثم قال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ يعنى نعطيهم ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ [آية: ٥٥] ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ (١) يعنى المال والولد لكرامتهم على الله، عز وجل، يقول: ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [آية: ٥٦] أن الذى أعطاهم من المال والبنين هو شر لهم: ﴿**إنما نملى لهم ليزدادوا إثما**﴾ [آل عمران: ١٧٨].

ثم ذكر المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [آية: ٥٧] يعنى من عذابه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٥٨] يعنى هم يصدقون بالقرآن أنه من الله، عز وجل، ثم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٥٩] معه غيره ولكنهم يوحدون ربهم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾ (٢) يعنى يعطون ما أعطوا من الصدقات والخيرات ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ يعنى خائفة لله من عذابه، يعلمون ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [آية: ٦٠] فى الآخرة، فيعملون على علم، فيجزيهم بأعمالهم، فكذلك المؤمن ينفق ويتصدق وجلا من خشية الله، عز وجل، ثم نعتهم فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ (٣) يعنى يسارعون فى الأعمال الصالحة التى ذكرها لهم فى هذه الآية ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [آية: ٦١] الخيرات التى يسارعون إليها.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يقول: لا نكلف نفسًا من العمل إلا ما أطاقت، ﴿وَلَدَيْنَا﴾ يعنى وعندنا ﴿كِتَٰبٌ﴾ يعنى أعمالهم التى يعملون فى اللوح المحفوظ ﴿يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية: ٦٢] فى أعمالهم ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعنى الكفار ﴿فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ يقول: فى غفلة من إيمان بهذا القرآن ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ يقول: لهم أعمال خبيثة دون الأعمال الصالحة، يعنى غير الأعمال الصالحة التى ذكرت عن المؤمنين فى هذه الآية، وفى الآية الأولى، ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [آية: ٦٣] يقول: هم لتلك

---

(١) انظر: (القرطبى ١٣١/١٢، البحر المحيط ٤١٠/٦، العكبرى ٨٢/٢).

(٢) انظر: (العكبرى ٨٢/٢، القرطبى ١٣٢/١٢، الكشاف ٣٥/٣، الفراء ٢٣٨/٢، الرازى ١٠٧/٢٣، البحر المحيط ٤١٠/٦).

(٣) انظر: (القرطبى ١٣٣/١٢، الكشاف ٣٥/٣، البحر المحيط ٤١١/٦).

الأعمال الخبيثة عاملون، التى هى فى اللوح المحفوظ أنهم سيعملونها، لابد لهم من أن يعملوها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم﴾ يعنى أغنياءهم وجبابرتهم ﴿بِٱلۡعَذَابِ﴾ يعنى القتل ببدر ﴿إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ﴾ [آية: ٦٤] إذا هم يضجون إلى الله، عز وجل، حين نزل بهم العذاب، يقول الله عز وجل: ﴿لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ لا تضجوا اليوم ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ [آية: ٦٥] يقول: لا تمنعون منا، حتى تعذبوا بعد القتل ببدر.

﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾﴾

﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي﴾ يعنى القرآن ﴿تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعنى على كفار مكة ﴿فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴾ [آية: ٦٦] يعنى تتأخرون عن إيمان به، تكذيبًا بالقرآن، ثم نعتهم فقال سبحانه: ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ﴾ يعنى آمنين بالحرم بأن لهم البيت الحرام ﴿سَٰمِرٗا﴾ بالليل إضمار فى الباطل، وأنتم آمنون فيه، ثم قال: ﴿تَهۡجُرُونَ﴾ (١) [آية: ٦٧] القرآن فلا تؤمنون به، نزلت فى الملأ من قريش الذين مشوا إلى أبى طالب.

﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ يعنى أفلم يستمعوا القرآن ﴿أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٦٨] يقول: قد جاء أهل مكة النذر، كما جاء آباءهم وأجدادهم الأولين، ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ﴾ يعنى محمدًا ﷺ بوجهه ونسبه ﴿فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [آية: ٦٩] فلا يعرفونه، بل يعرفونه ﴿أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ﴾ قالوا: إن بمحمد جنونًا، يقول الله، عز وجل: ﴿بَلۡ جَآءَهُم﴾ محمد ﷺ ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ يعنى بالتوحيد ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ﴾ يعنى التوحيد ﴿كَٰرِهُونَ﴾ [آية: ٧٠].

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣١٦، البحر المحيط ٤١٣/٦، الكشاف ٣٦/٣، مجمع البيان ١١٤/٧).

يقول الله، عز وجل: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [(١)] يعنى لو اتبع الله أهواء كفار مكة، فجعل مع نفسه شريكًا ﴿لَفَسَدَتِ﴾ يعنى لهلكت ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ من الخلق ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ يعنى بشرفهم يعنى القرآن ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [آية: ٧١] يعنى القرآن معرضون عنه فلا يؤمنون به.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ﴾ يا محمد ﴿خَرْجًا﴾ أجرًا على الإيمان بالقرآن ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ يعنى فأجر ربك ﴿خَيْرٌ﴾ يعنى أفضل من خراجهم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [آية: ٧٢] ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٧٣] يعنى الإسلام لا عوج فيه.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعنى لا يصدقون بالبعث ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ [آية: ٧٤] يعنى عن الدين لعادلون.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ يعنى الجوع الذى أصابهم بمكة سبع سنين، لقولهم فى حم الدخان: ﴿**ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون**﴾ [الدخان: ١٢] فليس قولهم باستكانة ولا توبة، ولكنه كذب منهم، كما كذب فرعون وقومه حين قالوا لموسى: ﴿**لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك**﴾ [الأعراف: ١٣٤]. فأخبر الله، عز وجل، عن كفار مكة، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ ﴿لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [آية: ٧٥] يقول: لتمادوا فى ضلالتهم يترددون فيها وما آمنوا.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ يعنى الجوع ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ يقول: فما استسلموا، يعنى الخضوع لربهم ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [آية: ٧٦] يعنى وما كانوا يرغبون إلى الله، عز وجل، فى الدعاء.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا﴾ يعنى أرسلنا ﴿عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ يعنى الجوع ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [آية: ٧٧] يعنى آيسين من الخير والرزق نظيرها فى سورة الروم.

---

(١) انظر: (مجمع البيان ٧/١١١، البحر المحيط ٦/٤١٤).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ﴾ يعنى خلق لكم ﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ يعنى القلوب فهذا من النعم ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٧٨] يعنى بالقليل أنهم لا يشكرون رب هذه النعم فيوحدونه، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ يعنى خلقكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آية: ٧٩] فى الآخرة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ﴾ الموتى ﴿وَيُمِيتُ﴾ الأحياء ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٨٠] توحيد ربكم فيما ترون من صنعه فتعتبرون، ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [آية: ٨١] يعنى كفار مكة، قالوا مثل قول الأمم الخالية ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [آية: ٨٢] قالوا ذلك تعجبًا وجحدًا، وليس باستفهام.

نزلت فى آل طلحة بن عبد العزى منهم: شيبة، وطلحة، وعثمان، وأبو سعيد ومشافع، وأرطأة، وابن شرحبيل، والنضر بن الحارث، وأبو الحارث بن علقمة، ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾ يعنى البعث ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ الذى يقول محمد ﷺ ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٨٣] يعنى أحاديث الأولين وكذبهم ﴿قُل﴾ لكفار مكة: ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ من الخلق، حين كفروا بتوحيد الله، عز وجل، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٨٤] خلقهما ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٨٥] فى توحيد الله، عز وجل، فتوحدونه.

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٨٦] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [آية: ٨٧] يعنى أفلا تعبدون الله، عز وجل،

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾ يعنى خلق ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يقول: يؤمن ولا يؤمن عليه أحد ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٨٨] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [آية: ٨٩] قل فمن أين سحرتم فأنكرتم أن الله تعالى واحد لا شريك له، وأنتم مقرون بأنه خلق الأشياء كلها، فأكذبهم الله، عز وجل، حين أشركوا به، فقال سبحانه: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ يقول: بل جئناهم بالتوحيد ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [آية: ٩٠].

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤) وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥) ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (٩٨) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)﴾

فى قولهم إن الملائكة بنات الله، عز وجل، يقول الله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ يعنى الملائكة ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ يعنى من شريك، فلو كان معه إله ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ كفعل ملوك الدنيا يلتمس بعضهم قهر بعض، ثم نزه الرب نفسه، جل جلاله، عن مقالتهم فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [آية: ٩١] يعنى عما يقولون بأن الملائكة بنات الرحمن ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ يعنى غيب ما كان، وما يكون، والشهادة ﴿فَتَعَالَىٰ﴾ يعنى فارتفع ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٩٢] لقولهم الملائكة بنات الله ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ [آية: ٩٣] من العذاب، يعنى القتل ببدر، وذلك أن النبى ﷺ أراد أن يدعو على كفار مكة، ثم قال: ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [آية: ٩٤] ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب ﴿لَقَادِرُونَ﴾ [آية: ٩٥]، ثم قال الله عز وجل يعزى نبيه ﷺ ليصبر على الأذى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ نزلت فى النبى ﷺ ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [آية: ٩٦] من الكذب.

ثم أمره أن يتعوذ من الشيطان، فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ

ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ [آية: ٩٧] يعنى الشياطين فى أمر أبى جهل، ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [آية: ٩٨] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ يعنى الكفار ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [آية: ٩٩] إلى الدنيا حين يعاين ملك الموت يؤخذ بلسانه، فينظر إلى سيئاته قبل الموت، فلما هجم على الخزى سأل الرجعة إلى الدنيا ليعمل صالحًا فيما ترك، فذلك قوله سبحانه: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ إلى الدنيا ﴿لَعَلِّىٓ﴾ يعنى لكى ﴿أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ من العمل الصالح، يعنى الإيمان، يقول عز وجل: ﴿كَلَّآ﴾ لا يرد إلى الدنيا.

ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ يعنى بالكلمة قوله: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾، ثم قال سبحانه: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ يعنى ومن بعد الموت أجل ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [آية: ١٠٠] يعنى يحشرون بعد الموت.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ يعنى النفخة الثانية ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ يعنى لا نسبة بينهم عم، وابن عم، وأخ، وابن أخ، وغيره، ﴿يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [آية: ١٠١] يقول: ولا يسأل حميم حميمًا ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالعمل الصالح، يعنى المؤمنين ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آية: ١٠٢] يعنى الفائزين.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ يعنى الكفار ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟﴾ يعنى غبنوا ﴿أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾ [آية: ١٠٣] لا يموتون ﴿تَلْفَحُ﴾ يعنى تنفخ ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ﴾ [آية: ١٠٤] عابسين شفته العليا قالصة لا تغطى أنيابه، وشفته السفلى تضرب بطنه، وثناياه خارجة من فيه بين شفتيه أربعون ذراعًا، بذراع الرجل الطويل من الخلق الأول كل ناب له مثل أحد. يقال لكفار مكة: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ

عَلَيۡكُمۡ﴾ يقول: ألم يكن القرآن يقرأ عليكم فى أمر هذا اليوم، وما هو كائن فيكم، ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ١٠٥] نظيرها فى الزمر.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾ التى كتبت علينا ﴿وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾ [آية: ١٠٦] عن الهدى، ثم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا﴾ يعنى من النار ﴿فَإِنۡ عُدۡنَا﴾ إلى الكفر والتكذيب ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [آية: ١٠٧] ثم رد مقدار الدنيا منذ خلقت إلى أن تفنى سبع مرات ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾ يقول: اصغروا فى النار ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (١) [آية: ١٠٨] فلا يتكلم أهل النار بعدها أبدًا غير أن لهم زفيرًا أول نهيق الحمار، وشهيقًا آخر نهيق الحمار، ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ يعنى صدقنا بالتوحيد ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [آية: ١٠٩].

﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ وذلك أن رءوس كفار قريش المستهزئين: أبا جهل، وعتبة، والوليد، وأمية، ونحوهم، اتخذوا فقراء أصحاب النبى ﷺ سخريًا يستهزءون بهم، ويضحكون من خباب، وعمار، وبلال، وسالم مولى أبى حذيفة، ونحوهم من فقراء العرب، فازدروهم، ثم قال: ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ حتى ترككم الاستهزاء بهم عن الإيمان بالقرآن ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ﴾ يا معشر كفار قريش من الفقراء ﴿تَضۡحَكُونَ﴾ [آية: ١١٠] استهزاء بهم نظيرها فى ص، يقول الله عز وجل: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ فى الآخرة ﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ على الأذى والاستهزاء، يعنى الفقراء من العرب والموالى ﴿أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [آية: ١١١] يعنى هم الناجون.

﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿قَٰلَ﴾ عز وجل للكفار: ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فى الدنيا، يعنى فى القبور ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ [آية: ١١٢] ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ استقلوا ذلك يرون أنهم لم

---

(١) انظر: (الكشاف ٣/٤٤، الرازى ٢٣/١٢٥، البحر المحيط ٦/٤٢٣).

يلبثوا فى قبورهم إلا يومًا أو بعض يوم، ثم قال الكفار لله تعالى أو لغيره: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [آية: ١١٣] يقول: فسل الحساب، يعنى ملك الموت وأعوانه.

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ فى القبور ﴿إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١١٤] إذا لعلمتم أنكم لم تلبثوا إلا قليلاً، ولكنكم لا تعلمون كم لبثتم فى القبور يقول الله، عز وجل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ يعنى لعبًا وباطلاً لغير شىء، أن لا تعذبوا إذا كفرتم ﴿وَ﴾ حسبتم ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ١١٥] فى الآخرة ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ يعنى ارتفع الله، عز وجل، ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ أن يكون خلق شيئًا عبسًا ما خلق شيئًا إلا لشىء يكون، لقولهم أن معه إلهًا، ثم وحد الرب نفسه تبارك وتعالى، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [آية: ١١٦].

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ﴾ يعنى ومن يصف مع الله ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ يعنى لا حجة له بالكفر، ولا عذر يوم القيامة، نزلت فى الحارث بن قيس السهمى أحد المستهزئين ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (١) [آية: ١١٧] يقول: جزاء الكافرين، أنه لا يفلح يعنى لا يسعد فى الآخرة عند ربه، عز وجل، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ﴾ الذنوب ﴿وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [آية: ١١٨] من غيرك يقول: من كان يرحم أحدًا، فإن الله عز وجل بعباده أرحم، وهو خير، يعنى أفضل رحمة من أولئك الذين لا يرحمون.

* * *

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٩٩، الكشاف ٣/٤٥، الرازى ٢٣/١٢٨، البحر المحيط ٦/٤٢٥، العكبرى ٢/٨٣).

سُورَةُ النُّور

مدنية وهى أربع وستون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾

﴿سُورَةٌ﴾ (١) يريد فريضة وحكم ﴿أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا﴾ يعنى وبيناها ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يعنى عز وجل آيات القرآن بينات، يعنى واضحات، يعنى حدوده تعالى وأمره ونهيه، ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يعنى لكى ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ١]، فتتبعون ما فيه من الحدود والنهى.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ (٢) إذا لم يحصنا ﴿فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ يجلد الرجل على بشرته وعليه إزار، وتجلد المرأة جالسة عليها درعها ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ يعنى رقة فى أمر الله، عز وجل، من تعطيل الحدود عليهما، ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الذى فيه جزاء الأعمال، فلا تعطلوا الحد، ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ يعنى جلدهما

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣٢٢، العكبرى ٨٣/٢، القرطبى ١٥٨/١٢، الكشاف ٤٦/٣، النحاس ٤٣١/٢، مجمع البيان ١٢٣/٧، الفراء ٢٤٤/٢، البحر المحيط ١٥٨/١٢).

(٢) انظر: (النحاس ٤٣١/٢، شرح الكافية ١٧٨/١، البحر المحيط ٤٢٧/٦، القرطبى ١٥٩/١٢، الكشاف ٤٧/٣، مجمع البيان ١٢٣/٧، الرازى ١٣٠/٢٣).

﴿طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٢] يعنى رجلين فصاعدا، يكون ذلك نكالا لهما وعظة للمؤمنين.

قال الفراء: الطائفة الواحد فما فوقه ﴿ٱلزَّانِي﴾ من أهل الكتاب ﴿لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ من أهل الكتاب، ﴿أَوۡ﴾ ينكح ﴿مُشۡرِكَةً﴾ من غير أهل الكتاب من العرب، يعنى الولائد اللاتى يزنين بالأجر علانية منهن أم شريك جارية عمرو بن عمير المخزومى، وأم مهزول جارية بن أبى السائب بن عايذ، وشريفة جارية زمعة بن الأسود، وجلالة جارية سهيل بن عمرو، وقريبة جارية هشام بن عمرو، وفرشى جارية عبد الله ابن خطل، وأم عليط جارية صفوان بن أمية، وحنة القبطية جارية عبد الله بن خطل، وأم عليط جارية صفوان بن أمية، وحنة القبطية جارية العاص بن وائل، وأميمة جارية عبد الله بن أبى، ومسيكة بنت أمية جارية عبد الله بن نفيل، كل امرأة منهن رفعت علامة على بابها، كعلامة البيطار ليعرف أنها زانية، وذلك أن نفرًا من المؤمنين سألوا النبى ﷺ عن تزويجهن بالمدينة، قالوا: إئذن لنا فى تزويجهن، فإنهن أخصب أهل المدينة وأكثر خيرًا، والمدينة غالية السعر، والخبز بها قليل، وقد أصابنا الجهد، فإذا جاء الله، عز وجل، بالخير طلقناهن وتزوجنا المسلمات، فأنزل الله عز وجل: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً﴾ ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ يقول: وحرم تزويجهن ﴿عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٣].

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ يعنى نساء المؤمنين بالزنا ﴿ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ (١) من الرجال على قولهم ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً﴾ يجلد بين الضربين على ثيابه ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ﴾ ما دام حيًا ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٤] يعنى العاصين فى مقالتهم.

ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ يعنى بعد الرمى ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ العمل فليسوا بفساق ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لقذفهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٥] بهم فقرأ النبى ﷺ هاتين الآيتين فى خطبة يوم الجمعة، فقال عاصم بن عدى الأنصارى للنبى ﷺ: جعلنى الله فداك، لو أن رجلاً منا وجد على بطن امرأته رجلاً، فتكلم جلد ثمانين جلدة، ولا تقبل له شهادة فى المسلمين أبدًا، ويسميه المسلمون فاسقًا، فكيف لأحدنا عند ذلك بأربعة شهداء، إلى أن تلتمس أحدنا أربعة شهداء فقد فرغ الرجل من حاجته، فأنزل الله عز وجل فى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ بالزنا ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ

(١) انظر: (الكشاف ٣/ ٥٠، البحر المحيط ٦/ ٤٣١، النحاس ٢/ ٤٣٢، مجمع البيان ٧/ ١٢٥).

أَحَدِهِمْ﴾ يعنى الزوج ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آية: ٦] إلى ثلاث آيات، فابتلى الله، عز وجل، عاصمًا بذلك فى يوم الجمعة الأخرى، فأتاه ابن عمه عويمر الأنصارى من بنى العجلان بن عمرو بن عوف، وتحته ابنة عمه أخى أبيه، فرماها بابن عمه شريك بن السحماء، والخليل والزوج والمرأة كلهم من بنى عمرو بن عوف، وكلهم بنو عم عاصم، فقال: يا عاصم، لقد رأيت شريكًا على بطن امرأتى، فاسترجع عاصم، فأتى النبى ﷺ فقال: أرأيت سؤالى عن هذه والذين يرمون أزواجهم، فقد ابتليت بها فى أهل بيتى، فقال النبى ﷺ: «وما ذاك يا عاصم» فقال: أتانى ابن عمى فأخبرنى أنه وجد ابن عم لنا على بطن امرأته، فأرسل النبى ﷺ إلى الزوج والخليل والمرأة، فأتوه فقال النبى ﷺ لزوجها عويمر: «ويحك اتق الله، عز وجل، فى خليلتك وابنة عمك أن تقذفها بالزنا». فقال الزوج: أقسم لك بالله، عز وجل، إنى رأيته معها على بطنها، وإنها لحبلى منه، وما قربتها منذ أربعة أشهر.

فقال النبى ﷺ للمرأة - خولة بنت قيس الأنصارية -: «ويحك ما يقول زوجك»، قالت: أحلف بالله إنه لكاذب، ولكنه غار، ولقد رآنى معه نطيل السمر بالليل، والجلوس بالنهار، فما رأيت ذلك فى وجهه، وما نهانى عنه قط، فقال النبى ﷺ للخليل: «ويحك ما يقول ابن عمك»، فحدثه مثل قولها، فقال النبى ﷺ للزوج والمرأة: «قوما فأحلفا بالله، عز وجل»، فقام الزوج عند المنبر دبر صلاة العصر يوم الجمعة، وهو عويمر بن أمية، فقال: أشهد بالله أن فلانة زانية، يعنى امرأته خولة، وإنى لمن الصادقين، ثم قال الثانية: أشهد بالله أن فلانة زانية، ولقد رأيت شريكًا على بطنها، وإنى لمن الصادقين، ثم قال الثالثة: أشهد بالله أن فلانة زانية، وإنها لحبلى من غيرى، وإنى لمن الصادقين، ثم قال فى الرابعة: أشهد بالله أن فلانة زانية، وما قربتها منذ أربعة أشهر، وإنى لمن الصادقين، ثم قال الخامسة: لعنة الله على عويمر، إن كان من الكاذبين عليها فى قوله. ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (١) [آية: ٧].

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣٢٢، البحر المحيط ٤٣٤/٦، السبعة ٤٥٣، النشر ٣٣٠/٢، الكشاف ٥٢/٢، مجمع البيان ١٢٧/٧، التيسير ١٦١، التبيان ٣٦٣/٧، العكبرى ٨٤/٢، العنوان ١٣٢، تحبير التيسير ١٤٧، النحاس ٤٣٣/٢، الحجة المنسوب لابن خالويه ٢٦٠، غيث النفع ٣٠٢، الكشف ١٣٤/٢، الرازى ١٦٦/٢٣).

ثم قامت خولة بنت قيس الأنصارى مقام زوجها، فقالت: أشهد بالله ما أنا بزانية وإن زوجى لمن الكاذبين، ثم قالت الثانية: أشهد بالله ما أنا بزانية، وما رأى شريكًا على بطنى، وإن زوجى لمن الكاذبين، ثم قالت الثالثة: أشهد بالله ما أنا بزانية، وإنى لحبلى منه وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت الرابعة: أشهد بالله ما أنا بزانية، وما رأى علىَّ من ريبة ولا فاحشة، وإن زوجى لمن الكاذبين، ثم قالت الخامسة: غضب الله على خولة إن كان عويمرًا من الصادقين فى قوله. ففرق النبى ﷺ بينهما.

فذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ يقول: يدفع عنها الحد لشهادتها بعد ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [آية: ٨] ﴿وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ﴾ [(١)] زوجها ﴿مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [آية: ٩] فى قوله، وكان الخليل رجلاً أسود ابن حبشية، فقال النبى ﷺ: «إذا ولدت فلا ترضع ولدها حتى تأتونى به»، فأتوه بولدها، فإذا هو أشبه الناس بالخليل، فقال النبى ﷺ: «لولا الأيمان، لكان لى فيهما أمر».

والمتلاعنان يفترقان فلا يجتمعان أبدًا، وإن صدقت زوجها لم يتلاعنا، فإن كان زوجها جامعها بعد الدخول بها رجمت ويرثها زوجها، وإن كان لم يجمعها جلدت مائة وهى امرأته، وإن كان الزوج رجع عن قوله قبل أن يفرغا من الملاعنة جلد ثمانين جلدة وكانت امرأته كما هى.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

(١) انظر: (الإتحاف ٣٢٢، البحر المحيط ٦/٤٣٤، النشر ٢/٣٢٠، التبيان ٧/٣٦٣، الرازى ٢٣/١٦٦، تحبير التيسير ١٣٢).

ثم قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ يعنى ونعمته لأظهر المريب يعنى الكاذب منهما، ثم قال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ﴾ على التائب ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ١٠] حكم الملاعنة، ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ يعنى بالكذب ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ وذلك أن النبى ﷺ انطلق غازيًا، وانطلقت معه عائشة بنت أبى بكر، رضى الله عنهما، زوج النبى ﷺ، ومع النبى ﷺ يومئذ رفيق له، يقال له: صفوان بن معطل، من بنى سليم، وكان النبى ﷺ إذا سار ليلاً مكث صفوان فى مكانه، حتى يصبح، فإن سقط من المسلمين شىء من متاعهم حمله إلى العسكر فعرفه، فإذا جاء صاحبه دفعه إليه، وأن عائشة، رضى الله عنها، لما نودى بالرحيل ذات ليلة ركبت الرحل، فدخلت هودجها، ثم ذكرت حليًا كان لها نسيته فى المنزل، فنزلت لتأخذ الحلى، ولا يشعر بها صاحب البعير، فانبعث فسار مع المعسكر، فلما وجدت عائشة، رضى الله عنها، حليها، وكان جزعًا ظفاريًا لا ذهب فيه، ولا فضة، ولا جوهر، فإذا البعير قد ذهب، فجعلت تمشى على إثره وهى تبكى، وأصبح صفوان بن المعطل فى المنزل، ثم سار فى أثر النبى ﷺ وأصحابه، فإذا هو بعائشة، رضى الله عنها، قد غطت وجهها تبكى، فقال صفوان: من هذا؟ فقالت: أنا عائشة، فاسترجع ونزل عن بعيره، وقال: ما شأنك يا أم المؤمنين؟ فحدثته بأمر الحلى فحملها على بعيره، ونزل النبى ﷺ ففقد عائشة، رضى الله عنها، فلم يجدها فلبثوا ما شاء الله، ثم جاء صفوان وقد حملها على بعيره، فقذفها عبد الله بن أبى، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، وحمنة بنت جحش أخت عبد الله بن جحش الأسدى.

يقول الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ لأنكم تؤجرون على ما قد قيل لكم من الأذى ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ حين أمرتم بالتثبت والعظة ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ على قدر ما خاض فيه من أمر عائشة، رضى الله عنها، وصفوان بن المعطل السلمى، ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [١] يعنى عظمة منهم، يعنى من العصبة، وهو عبد الله ابن أبى رأس المنافقين، وهو الذى قال: ما برئت منه، وما برئ منها، ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١١] أى شديد.

---

(١) انظر: (تهذيب اللغة «كبر»، الإتحاف ٣٢٣، لسان العرب «كبر»، تحبير التيسير ١٤٧، الطبرى ٦٩/١٨، القرطبى ٢٠٠/١٢، النشر ٣٣١/٢، البحر المحيط ٤٣٧/٦، مجمع البيان ١٢٩/٧، النحاس ٤٣٤/٢، والرازى ١٧٤/٢٣، التبيان ٣٩٨/٧، الآلوسى ١١١٥/١٨، مختصر شواذ القراءات ١٠١).

ففى هذه الآية عبرة لجميع المسلمين إذا كانت بينهم خطيئة، فمن أعلن عليها بفعل، أو كلام، أو عرض، أو أعجبه ذلك، أو رضى به، فهو شريك فى تلك الخطيئة على قدر ما كان بينهم، والذى تولى كبره، يعنى الذى ولى الخطيئة بنفسه، فهو أعظم إثمًا عند الله، وهو المأخوذ به، قال: فإذا كانت خطيئة بين المسلمين فمن شهد وكره، فهو مثل الغائب، ومن غاب ورضى فهو كمن شهد، ثم وعظ الذين خاضوا فى أمر عائشة، رضى الله عنها، فقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ يقول: هلا إذ سمعتم قذف عائشة، رضى الله عنها، بصفوان كذبتم به ألا ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ لأن فيهم حمنة بنت جحش ﴿بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ يقول: ألا ظن بعضهم ببعض خيرًا بأنهم لم يزنوا ﴿وَ﴾ ألا ﴿وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٢] يقول: ألا قالوا هذا القذف كذب بين، ثم ذكر الذين قذفوا عائشة، فقال: ﴿لَّوْلَا﴾ يعنى هلا ﴿جَآءُو عَلَيْهِ﴾ يعنى على القذف ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ﴾: بأربعة شهداء ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ١٣] فى قولهم، يعنى الذين قذفوا عائشة، رحمها الله، ثم قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ يعنى ونعمته ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١٤] يقول: لأصابكم فيما قلتم من القذف العقوبة فى الدنيا والآخرة، فيها تقديم ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾[1] يقول: إذ يرويه بعضكم عن بعض ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ يعنى بألسنتكم ﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ يقول: من غير أن تعلموا أن الذى قلتم من القذف حق ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ يقول: تحسبون القذف ذنبًا هينًا ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١٥] فى الوزر، ثم وعظ الذين خاضوا فى أمر عائشة، رضى الله عنها، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَآ﴾ يعنى هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ يعنى القذف ﴿قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾ يعنى ما ينبغى لنا ﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ الأمر هلا قلتم مثل ما قال سعد بن معاذ، رضى الله عنه، وذلك أن سعدًا لما سمع القول فى أمر عائشة، قال: سبحانك هذا بهتان عظيم.

ثم قال عز وجل: ألا قلتم ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ يعنى ألا نزهتم الرب جل جلاله عن أن يعصى وقلتم ﴿هَٰذَا﴾ القول ﴿بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١٦] لشدة قولهم، والبهتان الذى يبهت، فيقول ما لم يكن من قذف أو غيره، ثم وعظ الذين خاضوا فى أمر عائشة رضى

---

(١) انظر: (الفراء ٢٤٨/٢، تهذيب اللغة «ولوق»، البحر المحيط ٤٣٨/٦، الطبرى ٧٠٨/١٨، القرطبى ٢٠٤/١٢، الكشاف ٥٤/٣، مجمع البيان ١٢٩/٧، التبيان ٣٦٩/٧، النحاس ٤٣٥/٢، لسان العرب «ولق»).

الله عنها، فقال: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ يعنى القذف أبدًا ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٧] ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَـٰتِ﴾ يعنى أموره ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ١٨].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾ يعنى من قذف عائشة، رضى الله عنها، وصفوان ﴿أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ﴾ يعنى أن يظهر الزنا، أحبوا ما شاع لعائشة، رضى الله عنها، من الثناء السيئ ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فى صفوان وعائشة، رضى الله عنهما، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعنى وجيع ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يعنى عذاب النار ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٩] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ يعنى نعمته لعاقبكم فيما قلتم لعائشة، رضى الله عنها، ثم قال عز وجل: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ﴾ يعنى رفيق بكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٢٠] بكم حين عفا عنكم، فلم يعاقبكم فى أمر عائشة، رضى الله عنها.

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ يعنى تزيين الشيطان فى قذف عائشة، رضى الله عنها، ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ يعنى بالمعاصى ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ يعنى ما لا يعرف ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ يعنى نعمته ﴿مَا زَكَىٰ﴾ (١) يعنى ما صلح ﴿مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى﴾ يعنى يصلح ﴿مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولهم لعائشة ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٢١] به.

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٦/٤٣٩، الإتحاف ٣٢٣).

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ [(١)] يعنى ولا يحلف ﴿أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ يعنى فى الغنى ﴿وَالسَّعَةِ﴾ فى الرزق، يعنى أبا بكر الصديق، رضى الله عنه، ﴿أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ﴾ يعنى مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، وأمه اسمها أسماء بنت أبى جندل بن نهشل، قرابة أبى بكر الصديق ابن خالته، ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ لأن مسطحًا كان فقيرًا ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لأنه كان من المهاجرين الذين هاجروا إلى المدينة ﴿وَلْيَعْفُوا﴾ يعنى وليتركوا ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ [(٢)] يعنى وليتجاوزوا عن مسطح ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾ يعنى أبا بكر ﴿أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٢٢] يعنى بالمؤمنين، فقال النبى ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه: «أما تحب أن يغفر الله تعالى لك»؟ قال: بلى، قال: «فاعف واصفح»، فقال أبو بكر رضى الله عنه: قد عفوت وصفحت لا أمنعه معروفًا بعد اليوم، وقد جعلت له مثل ما كان قبل اليوم، وكان أبو بكر، رضى الله عنه، قد حرمه تلك العطية حين ذكر عائشة، رضى الله عنها، بالسوء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ يعنى يقذفون بالزنا ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ لفروجهن عفائف، يعنى عائشة، رضى الله عنها، ﴿الْغَافِلَاتِ﴾ عن الفواحش ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ يعنى المصدقات ﴿لُعِنُوا﴾ يعنى عذبوا بالجلد ثمانين، ﴿فِي الدُّنْيَا وَ﴾ فى ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بعذاب النار، يعنى عبد الله بن أبى يعذب بالنار؛ لأنه منافق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٢٣] ثم ضرب النبى ﷺ عبد الله بن أبى، وحسان بن ثابت، ومسطح، وحمنة بنت جحش، كل واحد منهم ثمانين فى قذف عائشة، رضى الله عنها.

---

(١) انظر: (الفراء ٢/٢٤٨، الإتحاف ٣٢٣، الطبرى ١٨/٨١، الكشاف ٣/٥٦، ٢ النشر/٣٣١، التبيان ٧/٣٧٢، البحر المحيط ٦/٤٤٠، العكبرى ٢/٨٤، النحاس ٢/٤٣٦، تحبير التيسير ١٤٨، مجمع البيان ٧/١٢٩، الآلوسى ١٨/١٢٥).

(٢) انظر: (مجمع البيان ٧/١٣٣، البحر المحيط ٦/٤٤٠).

﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٢٤] ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ فى الآخرة ﴿يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾ [(١)] يعنى حسابهم بالعدل لا يظلمون ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [آية: ٢٥] يعنى العدل البين.

ثم قال تعالى: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ﴾ يعنى السيئ من الكلام ﴿لِلۡخَبِيثِينَ﴾ من الرجال والنساء الذين قذفوا عائشة، لأنه يليق بهم الكلام السيئ ﴿وَٱلۡخَبِيثُونَ﴾ من الرجال والنساء ﴿لِلۡخَبِيثَٰتِۖ﴾ يعنى السيئ من الكلام لأنه يليق بهم الكلام السيئ.

ثم قال سبحانه: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ يعنى الحسن من الكلام ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الرجال والنساء، يعنى عز وجل الذين ظنوا بالمؤمنين والمؤمنات خيرًا ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ﴾ من الرجال والنساء ﴿لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ يعنى الحسن من الكلام، لأنه يليق بهم الكلام الحسن، ثم قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ يعنى مما يقول هؤلاء القاذفون الذين قذفوا عائشة، رضى الله عنها، هم مبرأون من الخبيثات من الكلام ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [آية: ٢٦] يعنى رزقًا حسنًا فى الجنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ [(٢)] يعنى حتى تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ فيها تقديم فابدءوا بالسلام قبل الاستئذان، وذلك أنهم كانوا فى الجاهلية يقول بعضهم لبعض: حييت صباحًا ومساءً، فهذه كانت تحية القوم بينهم، حتى نزلت هذه الآية، ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ يعنى السلام والاستئذان ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ يعنى أفضل لكم من أن تدخلوا بغير إذن ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢٧] أن التسليم والاستئذان خير لكم، فتأخذون به، ويأخذ أهل البيت حذرهم، ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ

(١) انظر: (الطبرى ٨٤/١٨، القرطبى ٢١٠/١٢، مجمع البيان ١٣٣/٧، التبيان ٣٧٤/٧، الكشاف ٥٦/٣، البحر المحيط ٤٤١/٦).

(٢) انظر: (الطبرى ٨٧/١٨، القرطبى ٢١٣/١٢، الكشاف ٥٩/٣، البحر المحيط ٤٤٥/٦، الرزاى ١٩٦/٢٣، التبيان ٣٧٧/٧).

﴿فِيهَآ أَحَدًا﴾ يعنى فى البيوت ﴿فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ﴾ فى الدخول ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ﴾ ولا تقعدوا ولا تقوموا على أبواب الناس، فإن لهم حوائج ﴿هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ يقول: الرجعة خير لكم من القيام والقعود على أبوابهم، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [آية: ٢٨] إن دخلتم بإذن أو بغير إذن، فمن دخل بيتًا بغير إذن أهله، قال له ملكاه اللذان يكتبان عليه: أفٍّ لك عصيت وآذيت، يعنى عصيت الله، عز وجل، وآذيت أهل البيت، فلما نزلت آية التسليم والاستئذان فى البيوت، قال أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، للنبى ﷺ: فكيف بالبيوت التى بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله عز وجل فى قول أبى بكر الصديق، رضى الله عنه: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾ يعنى حرج ﴿أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ﴾ ليس بها ساكن ﴿فِيهَا مَتَٰعٞ﴾ يعنى منافع ﴿لَّكُمۡۚ﴾ من البرد والحر، يعنى الخانات والفنادق ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ يعنى ما تعلنون بألسنتكم ﴿وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ [آية: ٢٩] يعنى ما تسرون فى قلوبكم.

﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٣١﴾

﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ﴾ يخفضوا ﴿مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ ومن هاهنا صلة، يعنى يحفظوا أبصارهم كلها عما لا يحل النظر إليه، ﴿وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ﴾ عن الفواحش ﴿ذَٰلِكَ﴾ الغض للبصر، والحفظ للفرج ﴿أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ﴾ يعنى خيرًا لهم، من أن لا يغضوا الأبصار، ولا يحفظوا الفروج، ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [آية: ٣٠] فى الأبصار والفروج، نزلت هذه الآية والتى بعدها فى أسماء بنت مرشد كان لها فى بنى حارثة نخل يسمى الوعل، فجعلت النساء يدخلنه غير متواريات، يظهرن ما على صدورهن وأرجلهن وأشعارهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا.

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعنى الوجه والكفين وموضع السوارين ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ يعنى على صدورهن ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ يعنى عز وجل ولا يضعن الجلباب ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ يعنى أزواجهن ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾.

ثم قال: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ يعنى نساء المؤمنات كلهن ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من العبيد ﴿أَوِ التَّابِعِينَ﴾ وهو الرجل يتبع الرجل فيكون معه من غير عبيده، من ﴿غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ يقول: من لا حاجة له فى النساء: الشيخ الهرم، والعنين، والخصى، والعجوب، ونحوه، ثم قال سبحانه: ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾ يعنى الغلمان الصغار ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ لا يدرون ما النساء من الصغر، فلا بأس بالمرأة أن تضع الجلباب عند هؤلاء المسمين فى هذه الآية، ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ يقول: ولا يحركن أرجلهن ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ يعنى الخلخال، وذلك أن المرأة يكون فى رجلها خلخال فتحرك رجلها عمدًا ليسمع صوت الجلاجل، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ من الذنوب التى أصابوها مما فى هذه السورة ﴿أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ مما نهى عنه عز وجل من أول هذه السورة إلى هذه الآية ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يعنى لكى ﴿تُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٣١].

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾ يعنى الأحرار بعضكم بعضًا، يعنى من الأزواج من رجل، أو امرأة، وهما حران فأمر الله، عز وجل، أن يزوجا، ثم قال سبحانه: ﴿وَ﴾ أنكحوا ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ يقول: وزوجوا المؤمنين من عبيدكم وإمائكم، فإنه أغض للبصر، وأحفظ للفرج، ثم رجع إلى الأحرار، فيها تقديم ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ﴾ لا سعة لهم فى التزويج ﴿يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ الواسع فوعدهم أن يوسع عليهم عند

التزويج ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لخلقه ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٣٢] بهم، فقال عمر، رضى الله عنه: ما رأيت أعجز ممن لم يلتمس الغناء فى الباءة، يعنى النساء، يعنى قول الله، عز وجل: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ .

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ عن الزنا، ويقال: نكاح الأمة ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ يعنى سعة التزويج ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يعنى يرزقه فيتزوج الحرائر تزوجوا الإماء، ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يعنى عبيدكم ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ يعنى مالاً، نزلت فى حويطب بن عبد العزى، وفى غلامه صبيح القبطى، وذلك أنه طلب إلى سيده المكاتبه على مائة دينار، ثم وضع عنه عشرين دينارًا، فأداها وعتق، ثم إن صبيحًا يوم حنين أصابه سهم فمات منه، ثم أمر الله تبارك وتعالى أن يعينوا فى الرقاب، فقال: ﴿وَءَاتُوهُم﴾ يعنى وأعطوهم ﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ يقول: ولا تكرهوا ولائدكم على الزنا، نزلت فى عبد الله بن أبى المنافق، وفى جاريته أميمة، وفى عبد الله بن نتيل المنافق، وفى جاريته مسيكة، وهى بنت أميمة، ومنهن أيضًا معاذة، وأروى، وعمرة، وقتيلة، فأتت أميمة وابنتها مسيكة للنبى ﷺ، فقالت: إنا نكره على الزنا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ يعنى تعففًا عن الفواحش، ﴿لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعنى كسبهن وأولادهن من الزنا ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾ على الزنا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ﴾ لهن فى قراءة ابن مسعود ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوبهن ﴿رَّحِيمٌ﴾ (١) [آية: ٣٣] بهن، لأنهن مكرهات.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ يعنى الحلال والحرام والحدود وأمره ونهيه مما ذكر فى هذه السورة إلى هذه الآية، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعنى سنن العذاب فى الأمم الخالية، حين كذبوا رسلهم ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ يعنى وعظة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٣٤].

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ

(١) انظر: (مجمع البيان ١٣٩/٧، القرطبى ٢٥٥/١٢، الكشاف ٦٧/٣).

ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يقول: الله هادى أهل السموات والأرض، ثم انقطع الكلام، وأخذ فى نعت نبيه ﷺ وما ضرب له من المثل، فقال سبحانه: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ مثل نور محمد ﷺ إذا كان مستودعًا فى صلب أبيه عبد الله بن عبد المطلب ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ يعنى بالمشكاة الكوة ليست بالنافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ يعنى السراج ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ (١) الصافية تامة الصفاء، يعنى بالمشكاة صلب عبد الله أبى محمد ﷺ، ويعنى بالزجاجة جسد محمد ﷺ، ويعنى بالسراج الإيمان فى جسد محمد ﷺ، فلما خرجت الزجاجة فيها المصباح من الكوة صارت الكوة مظلمة، فذهب نورها، والكوة مثل عبد الله، ثم شبه الزجاجة بمحمد ﷺ فى كتب الأنبياء، عليهم السلام، لا خفاء فيه كضوء الكوكب الدرى، وهو الزهرة فى الكواكب، ويقال: المشترى وهو البرجرس بالسريانية، ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ (٢) يعنى بالشجرة المباركة إبراهيم خليل الرحمن ﷺ، يقول: يوقد محمد من إبراهيم، عليهما السلام، وهو من ذريته، ثم ذكر إبراهيم، عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ قال: طاعة حسنة ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ يقول: لم يكن إبراهيم، عليه السلام، يصلى قبل المشرق كفعل النصارى، ولا قبل المغرب كفعل اليهود، ولكنه كان يصلى قبل الكعبة، ثم قال: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يعنى إبراهيم يكاد علمه يضىء.

وسمعت من يحكى، عن أبى صالح فى قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ قال: يكاد محمد ﷺ أن يتكلم بالنبوة قبل أن يوحى إليه، يقول: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يقول: ولو لم تأته النبوة لكانت طاعته مع طاعة الأنبياء، عليهم السلام، ثم قال عز وجل: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ قال محمد ﷺ نبى خرج من صلب نبى، يعنى إبراهيم، عليهما السلام، ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ قال: يهدى الله لدينه من يشاء من عباده، وكأن الكوة مثلا لعبد الله بن عبد المطلب، ومثل السراج مثل الإيمان، ومثل الزجاجة مثل جسد محمد ﷺ، ومثل الشجرة المباركة مثل إبراهيم، عليهما السلام، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٣٥].

---

(١) انظر: (الكشاف ٣/٦٨، الرازى ٢٣/٢٣٥، القرطبى ١٢/٢٦١، البحر المحيط ٦/٤٥٦).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٦/٤٥٦، النحاس ٢/٤٤١، الرازى ٢٣/٢٣٦، العكبرى ٢/٤٤١).

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ يقول: أمر الله، عز وجل، أن ترفع، يعنى أن تبنى، أمر الله عز وجل برفعها وعمارتها ﴿وَ﴾ أمر أن ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ يعنى يوحد الله عز وجل نظيرها فى البقرة: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [1] [آية: ٣٦] يقول: يصلى لله عز وجل.

﴿رِجَالٌ﴾ فيها تقديم بالغدو والعشى، ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾ يعنى شراء ﴿وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يعنى الصلوات المفروضة ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ يقول: لا تلهيهم التجارة عن إقام الصلاة، وإعطاء الزكاة، ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ﴾ حين زالت من أماكنها من الصدور فنشبت فى حلوقهم عند الحناجر، قال: ﴿وَالْأَبْصَارُ﴾ [آية: ٣٧] يعنى تقلب أبصارهم فتكون زرقًا.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا﴾ يعنى الذى ﴿عَمِلُوا﴾ من الخير ولهم مساوئ، فلا يجزيهم بها ﴿وَيَزِيدَهُم﴾ على أعمالهم ﴿مِّن فَضْلِهِ﴾ فضلا على أعمالهم ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آية: ٣٨] يقول الله تعالى: ليس فوقى ملك يحاسبنى، أنا الملك، أعطى من شئت بغير حساب، لا أخاف من أحد يحاسبنى.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بتوحيد الله مثل ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الخبيثة ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ [2] يعنى عز وجل بالسراب الذى يرى فى الشمس بأرض قاع ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ﴾ يعنى العطشان ﴿مَاءً﴾ فيطلبه ويظن أنه قادر عليه ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ يعنى أتاه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ فهكذا الكافر إذا انتهى إلى عمله يوم القيامة وجده لم يغن عنه شيئًا، لأنه عمله فى غير إيمان، كما لم يجد العطشان السراب شيئًا حتى انتهى إليه، فمات من العطش، فهكذا الكافر يهلك يوم القيامة كما هلك العطشان حين انتهى إلى السراب، يقول:

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٤٥٨/٦، الرازى ٤/٢٤، التبيان ٣٨٩/٧).

(٢) انظر: (القرطبى ٢٨٣/١٢، البحر المحيط ٤٦٠/٦).

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ﴾ جل جلاله بالمرصاد و﴿عِندَهُۥ﴾ عمله ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ يقول: فجازاه بعمله لم يظلمه ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آية: ٣٩] يخوفه بالحساب كأنه قد كان، نزلت فى شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان يلتمس الدين فى الجاهلية، ويلبس الصفر، فكفر فى الإسلام.

ثم ضرب الله عز وجل لشيبة وكفره بالإيمان مثلاً آخر، فقال: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ يعنى فى بحر عميق، والبحر إذا كان عميقًا كان أشد لظلمته، يعنى بالظلمات الظلمة التى فيها الكافر، والبحر اللجى قلب الكافر ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ فوق الماء، ثم يذهب عنه ذلك الموج، ثم يغشاه موج آخر مكان الموج الأول، فذلك قوله عز وجل: ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ﴾ فهى ظلمة الموج، وظلمة الليل، وظلمة البحر والسحاب، يقول: وهذه ظلمات ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ فهكذا الكافر قلبه مظلم، فى صدر مظلم، فى جسد مظلم، لا يبصر نور الإيمان، كما أن صاحب البحر ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ﴾ فى ظلمة الماء ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ يعنى لم يرها البتة، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ يعنى الهدى الإيمان ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [آية: ٤٠] يعنى من هدى.

﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ لم يقارب به البصر، كقول الرجل لم يصب، ولم يقارب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ﴾ يقول: ألم تعلم أن الله يذكره ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة ﴿وَ﴾ من فى ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ من المؤمنين: من الإنس والجن ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ الأجنحة ﴿كُلٌّ﴾ من فيها: فى السموات والأرض ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ﴾ من الملائكة،

والمؤمنين من الجن والإنس، ثم قال عز وجل: ﴿وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ يعنى ويذكره كل مخلوق بلغته غير كفار الإنس والجن ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٤١].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٤٢] فى الآخرة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ يقول: ألم تعلم أن الله ﴿يُزْجِى﴾ يعنى يسوق ﴿سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ يعنى يضم بعضه إلى بعض، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ يعنى قطعًا يحمل بعضها على إثر بعض، ثم يؤلف بينه، يعنى يضم السحاب بعضه إلى بعض بعد الركام ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ يقول: فترى المطر يخرج من خلال السحاب، ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ بالبرد ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فيضر فى زرعه وثمره، ﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ﴾ فلا يضره فى زرعه، ولا فى ثمره ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ [(١)] يقول: ضوء برقه ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آية: ٤٣].

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ﴾ يعنى بالتقلب اختلافهما: أنه يأتى بالليل ويذهب بالنهار، ثم يأتى بالنهار، ويذهب بالليل ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من صنعه ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آية: ٤٤] يعنى لأهل البصائر فى أمر الله، عز وجل.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ يعنى الهوام ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ الإنس والجن والطير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ﴾ قوائم، يعنى الدواب والأنعام والوحش والسباع ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الخلق ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٤٥].

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾

---

(١) انظر: (القرطبى ١٢/٢٩٠، الرازى ٢٤/١٥، البحر المحيط ٦/٤٦٥، شرح التصريح ٢/٢٩٣).

﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ﴾ لما فيه من أمره ونهيه ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آية: ٤٦] يعنى إلى دين مستقيم، يعنى الإسلام، وغيره من الأديان ليس بمستقيم.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ يعنى صدقنا بتوحيد الله، عز وجل، ﴿وَبِٱلرَّسُولِ﴾ يعنى محمدًا ﷺ أنه من الله، عز وجل، نزلت فى بشر المنافق، ﴿وَأَطَعۡنَا﴾ قولهما ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم﴾ يعنى ثم يعرض عن طاعتهما طائفة منهم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾ يعنى من بعد الإيمان بالله، عز وجل، ورسوله ﷺ ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٤٧] يعنى عز وجل بشر المنافق.

ثم أخبر عنه، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم﴾ يعنى من المنافقين ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾ [آية: ٤٨] عن النبى ﷺ إلى كعب بن الأشرف، وذلك أن رجلاً من اليهود كان بينه وبين بشر خصومة، وأن اليهودى دعا بشرًا إلى النبى ﷺ، ودعاه بشر إلى كعب، فقال بشر: إن محمدًا يحيف علينا.

يقول الله عز وجل: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ يعنى بشر المنافق ﴿يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾ [آية: ٤٩] يأتوا إليه طائعين مسارعين إلى النبى ﷺ ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعنى الكفر ﴿أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾ أم شكوا فى القرآن ﴿أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ يعنى أن يجور الله عز وجل عليهم ﴿وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٥٠]، ثم نعت الصادقين فى إيمانهم.

فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1] يعنى إلى كتابه ورسوله، يعنى أمر رسوله ﷺ ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا﴾ قول النبى ﷺ ﴿وَأَطَعۡنَاۚ﴾ أمره ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آية: ٥١].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فى أمر الحكم ﴿وَيَخۡشَ ٱللَّهَ﴾ فى ذنوبه التى عملها، ثم قال تعالى: ﴿وَيَتَّقۡهِ﴾ ومن يتق الله تعالى، فيما بعد فلم يعصه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى الناجون من النار، فلما بين الله، عز وجل، كراهية المنافقين لحكم النبى ﷺ أتوه، فقالوا: والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا أفنحن لا

(١) انظر: (القرطبى ١٢/٢٩٥، الكشاف ٣/٧٢، البحر المحيط ٦/٤٦٨، العكبرى ٢/٨٦، الإتحاف ٣٢٦، النحاس ٢/٤٥٠، مجمع البيان ٧/١٤٩، الرازى ٢٤/٢٢).

نرضى بحكمك، فأنزل الله تبارك وتعالى فيما حلفوا للنبى ﷺ: ﴿۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ يعنى حلفوا بالله، يعنى المنافقين ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ فإنه من حلف بالله عز وجل، فقد اجتهد فى اليمين، ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ يعنى النبى ﷺ، ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ من الديار والأموال كلها ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّا تُقْسِمُواْ﴾ لا تحلفوا، ولكن هذه منكم ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ يعنى طاعة حسنة للنبى ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٥٣] من الإيمان والشرك.

﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (٥٤) وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٥٥) وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٥٧)﴾

ثم أمرهم بطاعته عز وجل وطاعة رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما أمرتم، ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ يعنى أعرضتم عن طاعتهما، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ يقول: فإنما على محمد ﷺ ما أمر من تبليغ الرسالة، وعليكم ما أمرتم من طاعتهما، ثم قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿تَهْتَدُواْ﴾ من الضلالة، وإن عصيتموه، فإنما على رسولنا محمد ﷺ البلاغ المبين، يعنى ليس عليه إلا أن يبلغ ويبين ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ٥٤].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وذلك أن كفار مكة صدوا المسلمين عن العمرة عام الحديبية، فقال المسلمون: لو أن الله عز وجل فتح علينا مكة ودخلناها آمنين، فسمع الله عز وجل قولهم، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى أرض مكة ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من بنى إسرائيل وغيرهم، وعدهم أن يستخلفهم بعد هلاك كفار مكة ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ الإسلام حتى يشيع الإسلام ﴿ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ يعنى الذى رضى لهم ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من كفار أهل مكة ﴿أَمْنًا﴾ لا يخافون أحدًا ﴿يَعْبُدُونَنِى﴾ يعنى يوحدوننى ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ من الآلهة ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ التمكين فى الأرض، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٥٥] يعنى العاصين.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعنى وأتموا الصلاة، ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما أمركم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آية: ٥٦] يقول: لكى ترحموا، فلا تعذبوا ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿مُعۡجِزِينَ﴾، يعنى سابقى الله ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ حتى يجزيهم الله عز وجل بكفرهم ﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آية: ٥٧].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَـٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَـٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَـٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٥٩) وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (٦٠) ﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ﴾ فى بيوتكم ﴿ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ﴾ يعنى العبيد والولائد فى كل وقت، نزلت فى أسماء بنت أبى مرشد، قالت: إنه ليدخل على الرجل والمرأة، ولعلهما أن يكونا فى لحاف واحد لا علم لهما، فنزلت هذه، فقال سبحانه: ﴿وَ﴾ ليستأذنكم ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ﴾ يعنى من الأحرار من الصبيان ﴿ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٖۚ﴾ لأنها ساعات غفلة وغيره ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ يعنى نصف النهار ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَـٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ﴾ يقول: هذه ساعات غفلة وغيره ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ﴾ معشر المؤمنين، يعنى أرباب البيوت ﴿وَلَا عَلَيۡهِمۡ﴾ يعنى الخدم والصبيان الصغار ﴿جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ﴾ يعنى بعد العورات الثلاث ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾ يعنى بالطوافين يتقلبون عليكم ليلاً ونهارًا يدخلون ويخرجون بغير استئذان ﴿بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَـٰتِۗ﴾ يعنى أمره ونهيه فى الاستئذان ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [آية: ٥٨] حكم ما ذكر من الاستئذان فى هذه الآية.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ﴾ يعنى من الأحرار ﴿فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ يعنى من الكبار من ولد الرجل وأقربائه، ويقال: من العبيد ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَـٰتِهِۦۗ﴾ يعنى أمره ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [آية: ٥٩] حكم الاستئذان بعد العورات الثلاث على الأطفال إذا احتلموا.

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ﴾ عن الحيض ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ يعنى المرأة الكبيرة التى لا تحيض من الكبر ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ يعنى تزويجًا ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ يعنى حرج ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ فى قراءة ابن مسعود: «من ثيابهن»، وهو الجلباب الذى يكون فوق الخمار ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ لا تريد بوضع الجلباب أن ترى زينتها يعنى الحلى، قال عز وجل: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ ولا يضعن الجلباب ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ من وضع الجلباب ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٦٠].

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ نزلت فى الأنصار، وذلك أنه لما نزلت: ﴿**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون فى بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا**﴾ [النساء: ١٠]، ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾ [النساء: ٢٩]، قالت الأنصار: ما بالمدينة مال أعز من الطعام، فكانوا لا يأكلون مع الأعمى، لأنه لا يبصر موضع الطعام، ولا مع الأعرج، لأنه لا يطيق الزحام، ولا مع المريض، لأنه لا يطيق أن يأكل كما يأكل الصحيح، وكان الرجل يدعو حميمه، وذا قرابته، وصديقه إلى طعامه، فيقول: أطعم من هو أفقر إليه منى، فإنى أكره أن آكل أموال الناس بالباطل، والطعام أفضل المال، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ ﴿وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ فى الأكل معهم ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ لأنهم يأكلون على حده ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ (١) يعنى خزائنه، يعنى عبيدكم وإمائكم ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ نزلت فى مالك بن زيد، وكان صديقه الحارث بن عمرو، وذلك أن

---

(١) انظر: (الكشاف ٣/٧٧، الرازى ٢٤/٣٦، البحر المحيط ٦/٤٧٤، النحاس ٢/٤٥٥).

الحارث خرج غازيًا وخلف مالكًا فى أهله وماله وولده، فلما رجع رأى مالكًا مجهودًا قال: ما أصابك؟ قال: لم يكن عندى شيء، ولم يحل لى أكل مالك، ثم قال سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ وذلك أنهم كانوا يأكلون على حدة، ولا يأكلون جميعًا، يرون أن أكله ذنب، يقول الله عز وجل: ﴿تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾، وكانت بنو ليث بن بكر لا يأكل الرجل منهم حتى يجد من يأكل معه، أو يدركه الجهد، فيأخذ عنزة له فيركزها ويلقى عليها ثوبًا تحرجًا أن يأكل وحده، فلما جاء الإسلام فعلوا ذلك، وكان المسلمون إذا سافروا اجتمع نفر منهم فجمعوا نفقاتهم وطعامهم فى مكان، فإن غاب رجل منهم لم يأكلوا حتى يرجع صاحبهم مخافة الإثم.

فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ إن كنتم جماعة ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ يعنى متفرقين ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ للمسلمين ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ يعنى بعضكم على بعض، يعنى أهل دينكم يقول: السلام ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً﴾ يعنى من سلم أجر، فهى البركة ﴿طَيِّبَةً﴾ حسنة ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ يعنى أمره فى أمر الطعام والتسليم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٦١].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٢) لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤)﴾

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾ أى النبى ﷺ ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ يقول: إذا اجتمعوا على أمر هو لله عز وجل طاعة، ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا﴾ يعنى لم يفارقوا النبى ﷺ، ﴿حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ يعنى لبعض أمرهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ يعنى من المؤمنين، نزلت فى عمر بن الخطاب، رضوان الله عليه، فى غزاة تبوك، وذلك أنه استأذن النبى ﷺ فى الرجعة أن يسمع المنافقين، إلى أهله فقال النبى ﷺ: «انطلق فوالله

ما أنت بمنافق»، يريد أن يسمع المنافقين، فلما سمعوا ذلك، قالوا: ما بال محمد إذا استأذنه أصحابه أذن لهم، فإذا استأذناه لم يأذن لنا، فواللات ما نراه يعدل، وإنما زعم أنه جاء ليعدل، ثم قال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ﴾ يعنى للمؤمنين ﴿ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٦٢].

﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾ يقول الله عز وجل: لا تدعوا النبى ﷺ باسمه يا محمد، ويا ابن عبد الله، إذا كلمتموه كما يدعو بعضكم بعضًا باسمه يا فلان، ويا ابن فلان، ولكن عظموه وشرفوه ﷺ، وقولوا: يا رسول الله، يا نبى الله ﷺ، نظيرها فى الحجرات: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ﴾ وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم يوم الجمعة قول النبى ﷺ وحديثه إذا كانوا معه على أمر جامع، فيقوم المنافق وينسل ويلوذ بالرجال وبالسارية، لئلا يراه النبى ﷺ حتى يخرج من المسجد، ويدعوه باسمه يا محمد، ويا ابن عبدالله، فنزلت هؤلاء الآيات قوله سبحانه: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ﴾ فخوفهم عقوبته، فقال سبحانه: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾ يعنى عن أمر الله عز وجل ﴿أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ﴾ يعنى الكفر ﴿أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٦٣] يعنى وجيعًا، يعنى القيل فى الدنيا.

ثم عظم نفسه جل جلاله، فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ من الخلق عبيده وفى ملكه ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ من الإيمان والنفاق ﴿وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ أى إلى الله فى الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ﴾ من خير أو شر ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾ من أعمالكم ﴿عَلِيمُۢ﴾ [آية: ٦٤] به عز وجل.

* * *

سُورَةُ الفُرْقَانِ

سورة الفرقان مكية وهى سبع وسبعون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾

﴿تَبَارَكَ﴾ حدثنا أبو جعفر محمد بن هانئ، قال: حدثنا أبو القاسم الحسين بن عون، قال: حدثنا أبو صالح الهذيل بن حبيب الزيدانى، قال: حدثنا مقاتل بن سليمان فى قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ﴾ يقول: افتعل البركة ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾[1] يعنى القرآن، وهو المخرج من الشبهات على عبده محمد ﷺ ﴿لِيَكُونَ﴾ محمد ﷺ ﴿لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [آية: ١] يعنى للإنس والجن نذيرًا نظيرها فى فاتحة الكتاب: ﴿**رب العالمين**﴾ [الفاتحة: ٢].

ثم عظم الرب عز وجل نفسه عن شركهم، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وحده ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ لقول اليهود والنصارى: عزيز ابن الله، والمسيح ابن الله، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ من الملائكة، وذلك أن العرب، قالوا: إن الله عز وجل شريكًا من الملائكة، فعبدوهم، فأكذبهم الله عز وجل، نظيرها فى آخر بنى إسرائيل، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [آية: ٢] كما ينبغى أن يخلقه.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾

﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ يعنى كفار مكة ﴿مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ يعنى اللات والعزى يعبدونهم، ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ ذبابًا ولا غيره، ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يعنى الآلهة لا تخلق شيئًا، وهى تخلق، ينحتونها بأيديهم، ثم يعبدونها، نظيرها فى مريم، وفى يس، وفى الأحقاف، ثم

---

(١) انظر: (القرطبى ١٣/٢، البحر المحيط ٦/٤٨١، العكبرى ٢/٨٧).

أخبر عن الآلهة، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ يقول: لا تقدر الآلهة أن تمتنع ممن أراد بها سوءًا ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ يقول: ولا تسوق الآلهة إلى أنفسها نفعًا، ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ يعني الآلهة ﴿مَوْتًا﴾ يعني أن تميت أحدًا، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَا حَيَوٰةً﴾ يعني ولا يحيون أحدًا يعني الآلهة ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ [آية: ٣] أن تبعث الأموات، فكيف تعبدون من لا يقدر على شيء من هذا، وتتركون عبادة ربكم الذى يملك ذلك كله.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ قال النضر بن الحارث من بنى عبد الدار: ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه محمد ﷺ من تلقاء نفسه، ثم قال: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ يقول: النضر عاون محمدًا ﷺ عداس مولى حويطب بن عبد العزى، ويسار غلام العامر بن الحضرمى، وجبر مولى عامر بن الحضرمى، كان يهوديًا، فأسلم، وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب يقول الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [آية: ٤] قالوا: شركًا وكذبًا حين يزعمون أن الملائكة بنات الله، عز وجل، وحين قالوا: إن القرآن ليس من الله عز وجل إنما اختلقه محمد ﷺ من تلقاء نفسه.

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وقال النضر: هذا القرآن حديث الأولين أحاديث رستم وإسنفندباز ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ (١) محمد ﷺ ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [آية: ٥] يقول: هؤلاء النفر الثلاثة يعلمون محمدًا ﷺ طرفى النهار بالغداة والعشى.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ وذلك أنهم قالوا بمكة سرًا: ﴿**هل هذا إلا بشر مثلكم**﴾ لأنه إنسى مثلكم، بل هو ساحر، ﴿**أفتأتون السحر وأنتم**

---

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ١٠٢، الكشاف ٨٢/٣، البحر المحيط ٤٨٢/٦).

تبصرون ﴾ إلى آيتين، فأنزل الله عز وجل: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ ﴾ ﴿ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [آية: ٦] حين لا يعجل عليهم بالعقوبة.

﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ [آية: ٧] يعنى رسولاً يصدق محمدًا ﷺ بما جاء.

﴿ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ ﴾ يعنى أو ينزل إليه مال من السماء، فيقسمه بيننا ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ يعنى بستانًا ﴿ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ هذا قول النضر بن الحارث، وعبد الله بن أمية، ونوفل بن خويلد، كلهم من قريش، ﴿ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ يعنى هؤلاء ﴿ إِن ﴾ يعنى ما ﴿ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [آية: ٨] يعنى أنه مغلوب على عقله، فأنزل لله تبارك وتعالى فى قولهم للنبى ﷺ: إنه يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق: ﴿ **وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق** ﴾ [الفرقان: ٢٠] يقول: هكذا كان المرسلون من قبل محمد ﷺ.

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩) تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا (١٠) بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤) ﴾

ونزل فى قولهم إن محمدًا مسحور، قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ ﴾ يقول: انظر كيف وصفوا لك الأشياء، حين زعموا أنك ساحر، ﴿ فَضَلُّوا۟ ﴾ عن الهدى ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [آية: ٩] يقول: لا يجدون مخرجًا مما قالوا لك بأنك ساحر.

ونزل فى قولهم: لولا أنزل، يعنى هلا ألقى، إليه كنز، أو تكون له جنة يأكل منها، فقال تبارك وتعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ ﴾ ﴿ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ ﴾ يعنى أفضل من الكنز والجنة فى الدنيا، جعل لك فى الآخرة ﴿ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ يقول: بينها الأنهار ﴿ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴾ (١) [آية: ١٠] يعنى بيوتًا فى الجنة، وذلك أن قريشًا يسمون بيوت الطين القصور.

---

(١) انظر: (الفراء ٢/٢٦٣، الكشاف ٣/٨٣، البحر المحيط ٦/٤٨٤).

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ يعنى عز وجل بالقيامة، وذلك أن النبى ﷺ أخبرهم بالبعث فكذبوه، يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [آية: ١١] يعنى وقودًا ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ السعير، وهى جهنم ﴿مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ يعنى مسيرة مائة سنة ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا﴾ من شدة غضبها عليهم ﴿تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [آية: ١٢] يعنى آخر نهيق الحمار.

﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا﴾ يعنى جهنم ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ لضيق الرمح فى الزج ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ يعنى موثقين فى الحديد قرناء مع الشياطين ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [آية: ١٣] يقول: دعوا عند ذلك بالويل.

يقول الخزان: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾ يعنى ويلاً واحدًا ﴿وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [آية: ١٤] يعنى ويلاً كثيرًا، لأنه دائم لهم أبدًا.

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿أَذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من النار ﴿خَيْرٌ﴾ أفضل ﴿أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾ يعنى التى لا انقطاع لها ﴿ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً﴾ بأعمالهم الحسنة ﴿وَمَصِيرًا﴾ [آية: ١٥] يعنى ومرجعًا.

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ﴾ فيها لا يموتون ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا﴾ منه فى الدنيا ﴿مَّسْـُٔولًا﴾ [آية: ١٦] يسأله فى الآخرة المتقون إنجاز ما وعدهم فى الدنيا، وهى الجنة، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ (١) يعنى يجمعهم، يعنى كفار مكة ﴿وَ﴾ يحشر ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الملائكة ﴿فَيَقُولُ﴾ للملائكة: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى

(١) انظر: (الكشاف ٣/٨٤، الرازى ٢٤/٦١، البحر المحيط ٦/٤٨٨).

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يقول: أنتم أمرتموهم بعبادتكم؟ ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ [آية: ١٧] يقول: أو هم أخطئوا طريق الهدى، فتبرأت الملائكة.

فـ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ نزهوه تبارك وتعالى أن يكون معه آلهة ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [١] يعنى ما لنا أن نتخذ من دونك وليًا أنت ولينا من دونهم، ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾ يعنى كفار مكة ﴿وَ﴾ متعت ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ من قبلهم ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ يقول: حتى تركوا إيمانًا بالقرآن ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [آية: ١٨] يعنى هلكى.

يقول الله تعالى لكفار مكة: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ الملائكة ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ بأنهم لم يأمروكم بعبادتهم ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ يقول: لا تقدر الملائكة صرف العذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ يعنى ولا منعًا يمنعونكم منه ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ يعنى يشرك بالله فى الدنيا، فيموت على الشرك ﴿نُذِقْهُ﴾ فى الآخرة ﴿عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [آية: ١٩] يعنى شديدًا، وكقوله فى بنى إسرائيل: ﴿**ولتعلن علوًا كبيرًا**﴾ يعنى شديدًا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لقول كفار مكة للنبى ﷺ: أنه يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق، ﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [٢] ابتلينا بعضًا ببعض، وذلك حين أسلم أبو ذر الغفارى، رضى الله عنه، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وصهيب، وبلال، وخباب بن الأرت، وجبر مولى عامر بن الحضرمى، وسالم مولى أبى حذيفة، والنمر بن قاسط، وعامر بن فهيرة، ومهجع بن عبد الله، ونحوهم من الفقراء، فقال أبو جهل، وأمية، والوليد، وعقبة، وسهيل، والمستهزءون من قريش: انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمدًا ﷺ من موالينا وأعواننا رذالة كل قبيلة فازدروهم، فقال الله تبارك وتعالى لهؤلاء الفقراء من العرب والموالى: ﴿أَتَصْبِرُونَ ۗ﴾؟ على الأذى والاستهزاء ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [آية: ٢٠] أن تصبروا، فصبروا و لم يجزعوا، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿**إنى جزيتهم**

---

(١) انظر: (الفراء ٢/٢٦٤، الكشاف ٣/٨٦، النحاس ٢/٤٦٠، الإتحاف ٣٢٨، القرطبى ١٣/١٠، الطبرى ١٨/١٤٢، مجمع البيان ٧/١٦٢)، وينظر: (البحر المحيط ٦/٤٨٩، مغنى اللبيب ٢/١٧، حاشية يس ١١/٣٦٦، الآلوسى ١٨/٢٤٨).

(٢) انظر: (الكشاف ٣/٨٧، الرازى ٢٤/٦٥، القرطبى ١٣/١٣، البحر المحيط ٦/٤٩٠).

اليوم بما صبروا ﴾ على الأذى والاستهزاء من كفار قريش ﴿ **أنهم هم الفائزون** ﴾ [المؤمنون: ١١١] يعنى الناجين من العذاب.

﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ يعنى لا يخشون البعث، نزلت فى عبد الله بن أمية، والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص بن الأحنف، وعمرو بن عبد الله بن أبى قيس العامرى، ويغيض بن عامر بن هشام، ﴿ لَوْلَآ ﴾ يعنى هلا ﴿ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ فكانوا رسلاً إلينا، ﴿ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ ﴾ فيخبرنا أنك رسول، يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ يقول: تكبروا ﴿ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [آية: ٢١] يقول: علوا فى القوم علوًا شديدًا حين قالوا: أو نرى ربنا، فهكذا العلو فى القول.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ وذلك أن كفار مكة إذا خرجوا من قبورهم، قالت لهم الحفظة من الملائكة عليهم، السلام: حرام محرم عليكم أيها المجرمون، أن يكون لكم من البشرى شىء، حين رأيتمونا، كما بشر المؤمنون فى حم السجدة، فذلك قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يعنى الحفظة من الملائكة للكفار: ﴿ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [آية: ٢٢] يعنى حرامًا محرمًا عليكم أيها المجرمون البشارة كما بشر المؤمنون.

﴿ وَقَدِمْنَآ ﴾ يعنى وجئنا، ويقال: وعمدنا ﴿ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [آية: ٢٣] يعنى كالغبار الذى يسطع من حوافر الدواب ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾ يعنى أفضل منزلاً فى الجنة، ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [آية: ٢٤] يعنى القائلة، وذلك أنه يخفف عنهم الحساب، ثم تقليون من يومهم ذلك فى الجنة مقدار نصف يوم من أيام الدنيا، فيما يشتهون من التحف والكرامة، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ من مقيل الكفار، وذلك أنه إذا فرغ من عرض الكفار، أخرج لهم عنق من النار يحبط بهم، فذلك قوله فى الكهف: ﴿ **أحاط بهم سرادقها** ﴾ [الكهف:

٢٩]، ثم خرج من النار دخان ظل أسود، فيتفرق عليهم من فوقهم ثلاث فرق، وهم فى السرادق فينطلقون يستظلون تحتها مما أصابهم من حر السرادق، فيأخذهم الغثيان والشدة من حره، وهو أخف العذاب، فيقبلون فيها لا مقيل راحة، فذلك مقيل أهل النار، ثم يدخلون النار أفواجًا أفواجًا.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ يعنى السموات السبع، يقول: عن الغمام وهو أبيض كهيئة الضبابة، لنزول الرب عز وجل، وملائكته، فذلك قوله سبحانه ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [(١)] من السماء إلى الأرض عند انشقاقها ﴿تَنزِيلًا﴾ [آية: ٢٥] لحساب الثقلين كقوله عز وجل فى البقرة: ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام**﴾ [البقرة: ٢١٠].

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ وحده جل جلاله، واليوم الكفار ينازعونه فى أمره، ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [آية: ٢٦] يقول: عسر عليهم يومئذ مواطن يوم لشدته القيامة ومشقته، ويهون على المؤمن كأذنى صلاته.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ يعنى ندامه، يعنى عقبة بن أبى معيط بن عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وذلك أنه كان يكثر مجالسة النبى ﷺ وأصحابه، فقال له خليله وهو أمية بن خلف الجمحى: يا عقبة، ما أراك إلا قد صبأت إلى حديث هذا الرجل، يعنى النبى ﷺ، فقال: لم أفعل، فقال: وجهى من وجهك حرام إن لم تتفل فى وجه محمد ﷺ، وتبرأ منه حتى يعلم قومك وعشيرتك أنك غير مفارق لهم، ففعل ذلك عقبة، فأنزل الله عز وجل فى عقبة بن أبى معيط: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ من الندامة.

---

(١) انظر: (الكشاف ٨٩/٣، البحر المحيط ٤٩٤/٦، مغنى اللبيب ١٣٢/٢، الرازى ٧٤/٢٤، شرح الكافية ٨٥/١، شرح التصريح ٤٠١/٢).

﴿ يَـٰقُولُ يَـٰلَيۡتَنِي ﴾ يتمنى ﴿ ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴾ [آية: ٢٧] إلى الهدى ﴿ يَـٰوَيۡلَتَىٰ ﴾ يدعو بالويل، ثم يتمنى، فيقول: يا ﴿ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا ﴾ يعنى أمية ﴿ خَلِيلٗا ﴾ [آية: ٢٨] يعنى يا ليتنى لم أطع فلانًا، يعنى أمية بن خلف، فقتله النبى ﷺ يوم بدر، وقتل عقبة عاصم بن أبى الأفلح الأنصارى صبرًا بأمر رسول الله ﷺ، ولم يقتل من الأسرى يوم بدر من قريش غيره، والنضر بن الحارث.

يقول عقبة: ﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي ﴾ لقد ردنى ﴿ عَنِ ٱلذِّكۡرِ ﴾ يعنى عن الإيمان بالقرآن ﴿ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ ﴾ يعنى حين جاءنى ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ فى الآخرة ﴿ لِلۡإِنسَٰنِ ﴾ يعنى عقبة ﴿ خَذُولٗا ﴾ [آية: ٢٩] يقول: يتبرأ منه، ونزل فيهما: ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو** ﴾ [الزخرف: ٦٧].

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ﴾ قريشًا ﴿ ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [آية: ٣٠] يقول: تركوا الإيمان بهذا القرآن، فهم مجانبون له، يقول الله عز وجل: يعزى نبيه ﷺ ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ يعنى وهكذا ﴿ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ ﴾ نزلت فى أبى جهل وحده، أى فلا يكبرن عليك، فإن الأنبياء قبلك قد لقيت هذا التكذيب من قومهم، ثم قال عز وجل: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا ﴾ إلى دينه ﴿ وَنَصِيرٗا ﴾ [آية: ٣١] يعنى ومانعًا فلا أحد أهدى من الله عز وجل، ولا أمنع منه.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ﴿٣٥﴾ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ ﴾ يعنى هلا نزل ﴿ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾ كما جاء به موسى وعيسى يقول: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ ﴾ يعنى ليثبت القرآن فى قلبك ﴿ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [آية: ٣٢] يعنى نرسله ترسلاً آيات، ثم آيات، ذلك قوله سبحانه: ﴿ **وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً** ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

ثم قال عز وجل: ﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ يخاصمونك به إضمار لقولهم: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، ونحوه فى القرآن مما يخاصمون به النبى ﷺ، فيرد الله عز وجل

عليهم قولهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ فيما تخصمهم به ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [آية: ٣٣] يعنى وأحسن تبيانًا فترد به خصومتهم.

ثم أخبر الله عز وجل بمستقرهم فى الآخرة، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [آية: ٣٤] يعنى وأخطأ طريق الهدى فى الدنيا من المؤمنين.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يقول: أعطينا موسى، عليه السلام، التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾ [آية: ٣٥] يعنى معينًا، ثم انقطع الكلام فأخبر الله عز وجل محمد ﷺ، فقال سبحانه: ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ﴾ يعنى أهل مصر ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعنى الآيات التسع ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾(1) [آية: ٣٦] يعنى أهلكناهم بالعذاب هلاكًا يعنى الغرق.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا﴾ يعنى حين ﴿كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ يعنى نوحًا وحده ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ يعنى عبرة لمن بعدهم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ٣٧] يعنى وجيعًا.

ثم قال تعالى: ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ يعنى البئر التى قتل فيها صاحب ياسين بأنطاكية التى بالشام ﴿وَقُرُونًۢا﴾ يعنى وأهلكنا أممًا ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ ما بين عاد إلى أصحاب الرس ﴿كَثِيرًا﴾ [آية: ٣٨].

---

(1) انظر: (الكشاف ٩٢/٣، البحر المحيط ٤٩٨/٦، مجمع البيان ١٦٨/٧).

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [آية: ٣٩] وكلاً دمرنا بالعذاب تدميرًا ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ﴾ بالحجارة ﴿مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ يعنى قرية لوط عليه السلام، كل حجر فى العظم على قدر كل إنسان، ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾؟ فيعتبروا، ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [آية: ٤٠] يقول عز وجل: بل كانوا لا يخشون بعثًا، نظيرها فى تبارك الملك: ﴿وإليه النشور﴾ [الملك: ١٥] يعنى الإحياء.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [آية: ٤١] ﷺ نزلت فى أبى جهل لعنه الله، ثم قال أبو جهل: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ يعنى ليستزلنا عن عبادة آلهتنا، ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا﴾ يعنى تثبتنا ﴿عَلَيْهَا﴾ يعنى على عبادتها ليدخلنا فى دينه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ فى الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [آية: ٤٢] يعنى من أخطأ طريق الهدى أهم أم المؤمنون؟ فنزلت ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [(١)] وذلك أن الحارث بن قيس السهمى هوى شيئًا فعبده، ﴿أَفَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [آية: ٤٣] يعنى مسيطرًا يقول: تريد أن تبدل المشيئة إلى الهدى والضلالة.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ إلى الهدى ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ الهدى، ثم شبههم بالبهائم، فقال سبحانه: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ فى الأكل والشرب لا يلتفتون إلى الآخرة ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [آية: ٤٤] يقول: بل هم أخطأ طريقًا من البهائم، لأنها تعرف ربها وتذكره، وكفار مكة لا يعرفون ربهم فيوحدونه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

---

(١) انظر: (مجمع البيان ١٧١/٧، البحر المحيط ٥٠١/٦).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ يقول تبارك وتعالى: لو شاء لجعل الظل دائمًا لا يزول إلى يوم القيامة، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ يعنى على الظل ﴿دَلِيلًا﴾ [آية: ٤٥] تتلوه الشمس فتدفعه، حتى تأتى على الظل كله.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا﴾ يعنى الظل ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [آية: ٤٦] يعنى خفيفًا ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ يعنى سكنًا ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ يعنى الإنسان مسبوتًا لا يعقل كأنه ميت، ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [آية: ٤٧] ينتشرون فيه لابتغاء الرزق.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا﴾ (١) يعنى يبشر السحاب بالمطر ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾، يعنى قدام المطر ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعنى المطر ﴿طَهُورًا﴾ [آية: ٤٨] للمؤمنين ﴿لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ﴾ المطر ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ ليس فيه نبت فينبت بالمطر ﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾ بالرياح والمطر ﴿مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا﴾ فى تلك البلدة ﴿وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ [آية: ٤٩] فى تلك البلدة.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾ يعنى المطر بين الناس يصرف المطر أحيانًا مرة بهذا البلدة، ومرة ببلد آخر، فذلك التصرف، ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ فى صنعه، فيعتبروا فى توحيد الله عز وجل، فيوحده ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [آية: ٥٠] يعنى إلا كفرًا بالله تعالى فى نعمه.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا﴾ زمانك يا محمد ﴿فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ [آية: ٥١] يعنى رسولاً، ولكن بعثناك إلى القرى كلها رسولاً اختصصناك بها ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعنى كفار مكة، دعوا النبى ﷺ إلى ملة آبائه ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ يعنى بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [آية: ٥٢] يعنى شديدًا.

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ

---

(١) انظر: (الكشاف ٣/٩٥، مجمع البيان ٧/١٧١).

بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ يعنى ماء المالح على ماء العذب، ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ يعنى تبارك وتعالى خلدًا طيبًا ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ يعنى مرًا من شدة الملوحة، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ يعنى أجلاً ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [آية: ٥٣] يعنى حجابًا محجوبًا، فلا يختلطان، ولا يفسد طعم الماء العذب.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ يعنى النطفة إنسانًا ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ يعنى الإنسان ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أما النسب فالقرابة له خمس نسوة، أمهاتكم اللاتى أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاعة، وأمهات نسائكم، وربائبكم اللائى فى حجوركم من نسائكم، اللائى دخلتم بهن، فإن لم تكونوا دخلتم بهن، فلا جناح عليكم، وحلائل أبنائكم، فهذا من الصهر، ثم قال تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [آية: ٥٤] على ما أراده.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الملائكة ﴿مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾ فى الآخرة إن عبدوهم ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ فى الدنيا إذا لم يعبدوهم ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ﴾ يعنى أبا جهل ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [آية: ٥٥] يعنى معينًا للمشركين على ألا يوحدوا الله عز وجل.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ [آية: ٥٦] من النار ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ يعنى على الإيمان ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [آية: ٥٧] لطاعته.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ وذلك حين دعى النبى ﷺ إلى ملة آبائه ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ أى بحمد ربك، يقول: واذكر بأمره، ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [آية: ٥٨] يعنى بذنوب كفار مكة، فلا أحد أخبر، ولا أعلم بذنوب العباد من الله عز وجل.

ثم عظم نفسه تبارك وتعالى، فقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قبل ذلك ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ جل جلاله ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [آية: ٥٩] يعنى فاسأل بالله خبيرًا يا من تسأل عنه محمدًا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لكفار مكة ﴿ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ عز وجل، وذلك أن أبا جهل قال: يا محمد، إن كنت تعلم الشعر، فنحن عارفون لك، فقال النبى ﷺ: «الشعر غير هذا، إن هذا كلام الرحمن»، عز وجل، قال أبو جهل: بخ بخ أجل، لعمر الله، إنه لكلام الرحمن الذى باليمامة، فهو يعلمك، قال النبى ﷺ: «الرحمن هو الله عز وجل، الذى فى السماء، ومن عنده يأتى جبريل، عليه السلام». فقال أبو جهل: يا آل غالب، من يعذرنى من ابن أبى كبشة، يزعم أن ربه واحد، وهو يقول: الله يعلمنى، والرحمن يعلمنى، ألستم تعلمون أن هذين إلهين؟ قال الوليد بن المغيرة، وعتبة، وعقبة: ما نعلم الله والرحمن إلا اسمين، فأما الله فقد عرفناه، وهو الذى خلق ما نرى، وأما الرحمن فلا نعلمه إلا مسيلمة الكذاب، ثم قال: يا ابن أبى كبشة، تدعو إلى عبادة الرحمن الذى باليمامة. فأنزل الله عز وجل: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن﴾ يعنى صلوا للرحمن ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ فأنكروه ﴿أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ يعنى نصلى للذى تأمرنا، يعنون مسيلمة ﴿وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ۩﴾ [آية: ٦٠] يقول: زادهم ذكر الرحمن تباعدًا من الإيمان.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾﴾

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾ يعنى مضيئًا ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا﴾ [آية: ٦١] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ﴾ فجعل النهار خلفًا من الليل لمن كانت له حاجة، وكان مشغولاً ﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ الله عز وجل ﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾ [آية: ٦٢] فى الليل والنهار، يعنى عبادته.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ يعنى حلمًا فى اقتصاد، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ يعنى السفهاء ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [آية: ٦٣] يقول: إذا سمعوا الشتم والأذى من كفار مكة من أجل الإسلام ردوا معروفًا.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ﴾ بالليل فى الصلاة ﴿سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾ [آية: ٦٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [آية: ٦٥] يعنى

لازمًا لصاحبه لا يفارقه، ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [آية: ٦٦] يعنى بئس المستقر وبئس الخلود، كقوله سبحانه: ﴿دار المقامة﴾ [فاطر: ٣٥] يعنى دار الخلد.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾ فى غير حق، ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ يعنى و لم يمسكوا عن حق، ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1] [آية: ٦٧] يعنى بين الإسراف والإقتار مقتصدًا ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ﴾ يعنى لا يعبدون ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يعنى بالقصاص ﴿وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ جميعًا ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [آية: ٦٨] يعنى جزاؤه، واديًا فى جنهم.

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾[2] يعنى فى العذاب ﴿مُهَانًا﴾ [آية: ٦٩] يعنى يهان فيه، نزلت بمكة، فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة، كتب وحشى بن حبيش غلام المطعم عدة ابن نوفل بن عبد مناف، إلى النبى ﷺ بعد ما قتل حمزة: هل لى من توبة وقد أشركت وقتلت وزنيت؟ فسكت النبى ﷺ، فأنزل الله فيه بعد سنتين.

فقال سبحانه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَآمَنَ﴾ يعنى وصدق بتوحيد الله عز وجل ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ﴾ يعنى يحول الله عز وجل ﴿سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ والتبديل من العمل السيئ إلى العمل الصالح ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان فى الشرك ﴿رَّحِيمًا﴾ [آية: ٧٠] به فى الإسلام، فأسلم وحشى، وكان وحشى قد قتل حمزة بن عبد المطلب عليه السلام يوم أحد، ثم أسلم، فأمره النبى ﷺ، فخرب مسجد المنافقين، ثم قتل مسيلمة الكذاب باليمامة على عهد أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، فكان وحشى يقول: أنا الذى قتلت خير الناس، يعنى حمزة، وأنا الذى قتلت شر

---

(١) انظر: (الكشاف ٣/١٠٠، القرطبى ١٣/٧٤، الرازى ٢٤/١١٠، البحر المحيط ٦/٥١٤).

(٢) انظر: (الكشاف ٣/١٠١، القرطبى ١٣/٧٦، البحر المحيط ٦/٥١٥، الحجة المنسوب لابن خالويه ٢٦٦).

الناس، يعنى مسيلمة الكذاب، فلما قبل الله عز وجل توبة وحشى، قال كفار مكة: كلنا قد عمل عمل وحشى، فقد قبل الله عز وجل توبته، ولم ينزل فينا شىء فأنزل الله عز وجل فى كفار مكة: ﴿**يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا**﴾ [الزمر: ٥٣] فى الإسلام، يعنى بالإسراف الذنوب العظام الشرك والقتل والزنا، فكان بين هذه الآية: ﴿**ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق**﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى آخر الآية، وبين الآية التى فى النساء: ﴿**ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم**﴾ [النساء: ٩٣] إلى آخر الآية، ثمانى سنين.

﴿وَمَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [آية: ٧١] يعنى مناصحًا لا يعود إلى نكل الذنب.

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾ ﴾

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ يعنى لا يحضرون الذنب يعنى الشرك ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [آية: ٧٢] يقول: إذا سمعوا من كفار مكة الشتم والأذى على الإسلام مروا كرامًا معرضين عنهم، كقوله سبحانه: ﴿**وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه**﴾ [القصص: ٥٥].

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ يعنى والذين إذا وعظوا بآيات القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [آية: ٧٣] يقول: لم يقفوا عليها صمًا لم يسمعوها، ولا عميانًا لم يبصروها، كفعل مشركى مكة، ولكنهم سمعوا وأبصروا وانتفعوا به.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ يقول: اجعلهم صالحين، فتقر أعيننا بذلك، ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [آية: ٧٤] يقول: واجعلنا أئمة يقتدى بنا فى الخير.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [آية: ٧٥] نظيرها فى الزمر: ﴿**لهم غرف من فوقها غرف مبنية**﴾ [الزمر: ٢٠].

قال أبو محمد: سألت أبا صالح عنها، فقال: قال مقاتل: اجعلنا نقتدى بصالح أسلافنا، حتى يقتدى بنا من بعدنا، بما صبروا على أمر الله عز وجل، ويلقون فيها تحية، يعنى السلام، ثم قال: وسلامًا يقول: وسلم الله لهم أمرهم وتجاوز عنهم، ويقال: التسليم من الملائكة عليهم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ لا يموتون أبدًا ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا﴾ فيها ﴿وَمُقَامًا﴾ [آية: ٧٦] يعنى الخلود.

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ﴾ يقول: ما يفعل بكم ﴿رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْۖ﴾ يقول: لولا عبادتكم ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ [١] النبى ﷺ، يَعِدُ كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [آية: ٧٧] يلزمكم العذاب ببدر، فقتلوا وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجل الله تعالى بأرواحهم إلى النار، فيعرضون عليها طرفى النهار.

* * *

---

(١) انظر: (القرطبى ١٣/٨٥، الكشاف ٣/١٠٣، النحاس ٢/٤٧٨، مجمع البيان ٧/١٨٠، البحر المحيط ٦/٥١٨).

سورة الشعراء

سورة الشعراء مكية، غير آيتين فإنهما مدنيتان

أحدهما: قوله تعالى: ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه﴾ الآية

والأخرى قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاون﴾

وبعض أهل التفسير يقول: إن من قوله تعالى: ﴿والشعراء﴾ إلى آخرها، وهن أربع آيات مدنيات، والله أعلم بما أنزل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

﴿طسٓمٓ﴾ [آية: ١] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [آية: ٢]، يعنى عز وجل ما بين فيه من أمره، ونهيه، وحلاله، وحرامه.

﴿لَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾، وذلك حين كذب به كفار مكة، منهم: الوليد بن المغيرة، وأبو جهل، وأمية بن خلف، فشق على النبى ﷺ تكذيبهم إياه، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾، يعنى قاتلاً نفسك حزنًا ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٣]، يعنى ألا يكونوا مصدقين بالقول أنه من عند الله عز وجل، نظيرها فى الكهف: ﴿**فلعلك باخع نفسك على آثارهم**﴾ [الكهف: ٦].

﴿إِن نَّشَأْ﴾، يعنى لو نشاء، ﴿نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ﴾، يعنى فمالت ﴿أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا﴾، يعنى للآية، ﴿خَٰضِعِينَ﴾ [آية: ٤]، يعنى مقبلين إليها مؤمنين بالآية.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾، يقول: ما يحدث الله عز وجل إلى النبى ﷺ من

القرآن، ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ﴾، يعنى عن الإيمان بالقرآن ﴿مُعْرِضِينَ﴾ [آية: ٥].

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ بالحق، يعنى بالقرآن لما جاءهم، يعنى حين جاءهم محمد ﷺ ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاؤُا﴾ يعنى حديث ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ٦] وذلك أنهم حين كذبوا بالقرآن، أوعدهم الله عز وجل بالقتل ببدر، ثم وعظهم ليعتبروا.

فقال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [آية: ٧] يقول: كم أخرجنا من الأرض من كل صنف من ألوان النبت حسن.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ يقول: إن فى النبت لعبرة فى توحيد الله عز وجل، أنه واحد ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ يعنى أهل مكة ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٨] يعنى مصدقين بالتوحيد.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [آية: ٩] فى نقمته منهم ببدر ﴿الرَّحِيمُ﴾ حين لا يعجل عليهم بالعقوبة إلى الوقت المحدد لهم.

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (١٤) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ (١٥) ﴾

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ﴾ يقول: وإذ أمر ربك يا محمد ﴿مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آية: ١٠] يعنى المشركين.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ واسمه فيطوس بأرض مصر، وقل لهم يا موسى: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾[1] [آية: ١١] يعنى ألا يعبدون الله عز وجل. ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [آية: ١٢] فيما أقول.

﴿وَ﴾ أخاف أن ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ يعنى يضيق قلبى، ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ بالبلاغ ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ [آية: ١٣] يقول: فأرسل معى هارون، كقوله فى النساء: ﴿**ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم**﴾ [النساء: ٢]، يعنى مع أموالكم. ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ﴾ يعنى عندى ذنب، يعنى قتل النفس ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [آية: ١٤].

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾ لا تخافا القتل ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [آية: ١٥].

---

(١) انظر: (الكشاف ٣/١٠٦، العكبرى ٢/٩٠، مجمع البيان ٧/١٨٥، البحر المحيط ٧/٧).

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٦] كقوله سبحانه: ﴿**فأتياه فقولا إنا رسولا ربك**﴾ [طه: ٤٧]، يعني نفسه وهارون، رسولا ربك لقول فرعون: أنا الرب والإله، ثم انقطع الكلام.

ثم انطلق موسى ﷺ إلى مصر وهارون بمصر، فانطلقا كلاهما إلى فرعون، فلم يأذن لهما سنة في الدخول، فلما دخلا عليه، قال موسى لفرعون: ﴿إِنَّا﴾، يعني نفسه وهارون، عليه السلام، ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آية: ١٧] إلى أرض فلسطين لا تستعبدهم، فعرف فرعون موسى، لأنه رباه في بيته، فلما قتل موسى، عليه السلام، النفس هرب من مصر، فلما أتاه ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ يعني صبيًا ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا﴾ يعني عندنا ﴿مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [آية: ١٨] يعني ثلاثين سنة.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (١) [آية: ١٩] ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [آية: ٢٠] يعني من الجاهلين، وهي قراءة ابن مسعود: «فعلتها إذا وأنا من الجاهلين». ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ إلى مدين ﴿لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أن تقتلون ﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ يعني العلم والفهم ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ٢١] إليكم.

ثم قال لفرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ﴾ يا فرعون تمن علي بإحسانك إلى خاصة فيما زعمت، وتنسى إساءتك ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ يقول: استعبدت ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آية: ٢٢] فاتخذهم عبيدًا لقومك القبط، وكان فرعون قد قهرهم أربع مائة وثلاثين سنة، ويقال:

---

(١) انظر: (القرطبي ٩٤/١٣، الكشاف ١٠٨/٣، التبيان ١٠/٨، مجمع البيان ١٨٥/٧، البحر المحيط ١٠/٧، العكبري ٩١/٢، الآلوسي ٦٨/١٩).

وأربعين سنة، وإنما كانت بنو إسرائيل بمصر حين أتاها يعقوب وبنوه وحشمه، حين أتوا يوسف.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لموسى: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٢٣] منكرًا له. ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ من العجائب ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [آية: ٢٤] بتوحيد الله عز وجل ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ يعني الأشراف، وكان حوله خمسون ومائة من أشرافهم أصحاب الأثرة: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [آية: ٢٥] إلى قول هذا، يعني موسى ﴿قَالَ﴾ موسى: هو ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٢٦].

﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

﴿قَالَ﴾ فرعون لهم: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ﴾ يعني موسى ﴿ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [آية: ٢٧] ﴿قَالَ﴾ موسى: هو ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ يعني مشرق ومغرب يوم(*)، يستوى الليل والنهار فى السنة يومين، ويسمى البرج الميزان، ثم قال: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ يعني ما بين المشرق والمغرب من جبل أو بناء، أو شجر، أو شيء، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٢٨] توحيد الله عز وجل.

﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى﴾ يعني ربا ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾

(*) كذا فى الأصل، ولعله يقصد يوم معين يستوى الليل والنهار فيه.

[آية: ٢٩] يعنى من المحبوسين. ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٣٠] يعنى بأمر بين، يعنى اليد والعصا، يستبين لك أمرى فتصدقنى. ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آية: ٣١] بأنك رسول رب العالمين إلينا.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ وفى يد موسى، عليه السلام، عصاه، وكانت من الآس، قال ابن عباس: إن جبريل دفع العصا إلى موسى، عليهما السلام، بالليل حين توجه إلى مدين وكان آدم، عليه السلام، أخرج بالعصا من الجنة، فلما مات آدم قبضها جبريل، عليه السلام، فقال موسى لفرعون: ما هذه بيدى؟ قال فرعون: هذه عصا، فألقاها موسى من يده ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٣٢] يعنى حية ذكر أصفر أشعر العنق عظيم ملأ الدار عظمًا، قائم على ذنبه يتملظ على فرعون وقومه يتوعدهم، قال فرعون: خذها يا موسى، مخافة أن تبتلعه، فأخذ بذبها، فصارت عصًا مثل ما كانت، قال فرعون: هل من آية أخرى غيرها؟ قال موسى: نعم، فأبرز يده، قال لفرعون: ما هذه؟ قال فرعون: هذه يدك، فأدخلها فى جيبه وهى مدرعة مصرية من صوف.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ يعنى أخرج يده من المدرعة ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [آية: ٣٣] لها شعاع مثل شعاع الشمس من شدة بياضها يغشى البصر. ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَإِ﴾ يعنى الأشراف ﴿حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا﴾ يعنى موسى ﴿لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٣٤] بالسحر. ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ يعنى مصر ﴿بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [آية: ٣٥] يقول: فماذا تشيرون علىّ، فرد عليه الملأ من قومه، يعنى الأشراف.

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ يقول: احبسهما جميعًا، ولا تقتلهما، حتى ننظر ما أمرهما، ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ يعنى فى القرى ﴿حَٰشِرِينَ﴾ [آية: ٣٦] يحشرون عليك السحرة. فذلك قوله سبحانه: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [آية: ٣٧] يعنى عالم بالسحر. ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [آية: ٣٨] يعنى موقت، وهو يوم عيدهم، وهو يوم الزينة، وهم اثنتان وسبعون ساحرًا من أهل فارس، وبقيتهم من بنى إسرائيل.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾ يعنى لأهل مصر ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ [آية: ٣٩] إلى السحرة ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ على أمرهم ﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [آية: ٤٠] لموسى وأخيه، واجتمعوا، فقال موسى للساحر الأكبر: تؤمن بى إن غلبتك؟ قال الساحر: لآتين بسحر لا يغلبه سحر، فإن غلبتنى لأومنن بك، وفرعون ينظر إليهما، ولا يفهم ما يقولان.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ يعنى جعلاً ﴿ إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ [آية: ٤١] لموسى وأخيه. ﴿ قَالَ ﴾ فرعون: ﴿ نَعَمْ ﴾ لكم الجعل ﴿ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آية: ٤٢] عندى فى المنزلة سوى الجعل. ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ ﴾ ما فى أيديكم من الحبال والعصى ﴿ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ [آية: ٤٣] ﴿ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ ﴾ يعنى بعظمة فرعون، كقولهم لشعيب: ﴿ **وما أنت علينا بعزيز** ﴾ [هود: ٩١]، يعنى بعظيم.

﴿ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [آية: ٤٤] فإذا هى حيات فى أعين الناس، وفى عين موسى وهارون تسعى إلى موسى وأخيه، وإنما هى حبال وعصى لا تحرك، فخاف موسى، فقال جبريل لموسى، عليه السلام: ألق عصاك، فإذا هى حية عظيمة سدت الأفق برأسها، وعلقت ذنبها فى قبة لفرعون طول القبة سبعون ذراعًا فى السماء، وذلك فى المحرم يوم السبت لثمانى ليال خلون من المحرم، ثم إن حية موسى فتحت فاها، فجعلت تلقم تلك الحيات، فلم يبق منها شىء.

فذلك قوله عز وجل: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [آية: ٤٥] يعنى فإذا هى تلقم ما يكذبون من سحرهم، ثم أخذ موسى، عليه السلام، بذنبها فإذا هى عصا كما كانت، فقال السحرة بعضهم لبعض: لو كان هذا سحر لبقيت الحبال والعصى.

فذلك قوله عز وجل: ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ [آية: ٤٦] لله عز وجل.

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آية: ٤٧] لقول موسى: أنا رسول رب العالمين، فقال فرعون: أنا رب العالمين. قالت السحرة: ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ [آية: ٤٨] فبهت فرعون عند ذلك، وألقى بيديه. فـ ﴿ قَالَ ﴾ فرعون للسحرة: ﴿ ءَامَنتُمْ لَهُۥ ﴾ يقول: صدقتم بموسى ﴿ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ يقول: من قبل أن آمركم بالإيمان به، ثم قال فرعون للسحرة: ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ إن هذا لمكر مكرتموه، يقول: إن هذا لقول قلتموه أنتم، يعنى به السحرة وموسى فى المدينة، يعنى فى أهل مدين لتخرجوا منها

أهلها بقول الساحر الأكبر لموسى، حين قال: لئن غلبتنى لأؤمن بـك، ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا وعيد، فأخبرهم بالوعيد، فقال: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ يعنى اليد اليمنى والرجل اليسرى، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٤٩] فى جذوع النخل.

فردت عليه السحرة حين أوعدهم بالقتل والصلب، ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ ما عسيت أن تصنع هل هو إلا أن تقتلنا ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [آية: ٥٠] يعنى لراجعون إلى الآخرة ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ أى نرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾، يعنى سحرنا ﴿أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٥١] يعنى أول المصدقين بتوحيد الله عز وجل من أهل مصر، فقطعهم وصلبهم فرعون من يومه، قال ابن عباس: كانوا أول النهار سحرة وآخر النهار شهداء.

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ بنى إسرائيل ليلاً ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [آية: ٥٢] يعنى يتبعكم فرعون وقومه، فأمر جبريل، عليه السلام، كل أهل أربعة أبيات من بنى إسرائيل فى بيت، ويعلم تلك الأبواب بدم الخراف، فإن الله عز وجل يبعث الملائكة إلى أهل مصر، فمن لم يروا على بابه دمًا دخلوا بيته فقتلوا أبكارهم، من أنفسهم وأنعامهم، فيشغلهم دفنهم إذا أصبحوا عن طلب موسى، ففعلوا واستعاروا حلى أهل مصر، فساروا من ليلتهم قبل البحر، هارون على المقدمة، وموسى على الساقة، فأصبح فرعون من الغد يوم الأحد، وقد قتلت الملائكة أبكارهم، فاشتغلوا بدفنهم، ثم جمع الجموع فساروا يوم الاثنين فى طلب موسى، عليه السلام، وأصحابه، وهامان على مقدمة فرعون فى ألفى ألف وخمس مائة، ويقال: ألف ألف مقاتل.

فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [آية: ٥٣] يحشرون الناس

فى طلب موسى، عليه السلام، وهارون، عليه السلام، وبنى إسرائيل. ثم قال فرعون: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعنى بنى إسرائيل ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ يعنى عصابة ﴿قَلِيلُونَ﴾ [آية: ٥٤] وهم ست مائة ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ [آية: ٥٥] لقتلهم أبكارنا، ثم هربوا منا ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ (١) [آية: ٥٦] علينا السلاح.

يقول الله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ من مصر ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾ يعنى البساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ [آية: ٥٧] يعنى أنهار جارية ﴿وَكُنُوزٍ﴾ يعنى الأموال الظاهرة من الذهب والفضة، وإنما سمى كنزًا، لأنه لم يعط حق الله عز وجل منه، وكل ما لم يعط حق الله تعالى منه، فهو كنز، وإن كان ظاهرًا. قال سبحانه: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [آية: ٥٨] يعنى المساكن الحسان ﴿كَذَٰلِكَ﴾ هكذا فعلنا بهم فى الخروج من مصر، وما كانوا فيه من الخير.

ثم قال سبحانه: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آية: ٥٩]، وذلك أن الله عز وجل رد بنى إسرائيل بعدما أغرق فرعون وقومه إلى مصر، ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ يقول: فاتبعهم فرعون وقومه ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ [آية: ٦٠] يعنى ضحى ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ يعنى جمع موسى، عليه السلام، وجمع فرعون، فعاين بعضهم بعضًا، ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [آية: ٦١] هذا فرعون وقومه لحقونا من ورائنا، وهذا البحر أمامنا قد غشينا، ولا منقذ لنا منه.

﴿قَالَ﴾ موسى، عليه السلام: ﴿كَلَّآ﴾ لا يدركوننا ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [آية: ٦٢] الطريق، وذلك أن جبريل، عليه السلام، حين أتاه فأمره بالمسير من مصر، قال: موعد ما بيننا وبينك البحر، فعلم موسى، عليه السلام، أن الله عز وجل سيجعل له مخرجًا، وذلك يوم الاثنين العاشر من المحرم.

فلما صار موسى إلى البحر أوحى الله عز وجل إليه، ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ فجاءه جبريل، عليه السلام، فقال: اضرب بعصاك البحر، فضربه بعصاه فى أربع ساعات من النهار، ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ البحر فانشق الماء اثنى عشر طريقًا يابسًا، كل طريق طوله فرسخان وعرضه فرسخان، وقام الماء عن يمين الماء، وعن يساره، كالجبل العظيم، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٦٣] يعنى

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ١٠٦، البحر المحيط ١٨/٧، القرطبى ١٠١/١٣، الكشاف ١١٤/٣، مجمع البيان ١٨٩/٧، الرازى ١٣٧/٢٤، التبيان ٢١/٨، النحاس ٤٨٩/٢، العكبرى ٩١/٢).

كالجبلين المقابلين كل واحد منهما على الآخر، وفيهما كوى من طريق إلى طريق لينظر بعضهم إلى بعض إذا ساروا فيه ليكون آنس لهم إذا نظر بعضهم إلى بعض، فسلك كل سبط من بنى إسرائيل فى طريق لا يخالطهم أحد من غيرهم، وكانوا اثنى عشر سبطًا، فساروا فى اثنى عشر طريقًا فقطعوا البحر، وهو نهر النيل بين أيلة، ومصر، نصف النهار فى ست ساعات من النهار يوم الاثنين، وهو يوم العاشر من المحرم، فصام موسى، عليه السلام، يوم العاشر شكرًا لله عز وجل حين أنجاه الله عز وجل، وأغرق عدوه فرعون، فمن ثم تصومه اليهود، وسار فرعون وقومه فى تمام ثمانية ساعات، فلما توسطوا البحر تفرقت الطرق عليهم، فأغرقهم الله عز وجل أجمعين.

فذاك قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ [1] [آية: ٦٤] يعنى هناك الآخرين، قربنا فرعون وجنوده فى مسالك بنى إسرائيل ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٦٥] من الغرق فلم يبقى أحد إلا نجا ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ [آية: ٦٦] يعنى فرعون وقومه فى تمام تسع ساعات من النهار، ثم أوحى الله عز وجل إلى البحر، فألقى فرعون على الساحل فى ساعة، فتلك عشر ساعات، وبقى من النهار ساعتان.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ يقول: فى هلاك فرعون وقومه لعبرة لمن بعدهم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٦٧] يقول: لم يكن أكثر أهل مصر مصدقين بتوحيد الله عز وجل، ولو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا فى الدنيا، ولم يؤمن من أهل مصر غير آسية امرأة فرعون، وحزقيل المؤمن من آل فرعون، وفية الماشطة، ومريم ابنة ناموثية التى دلت على عظام يوسف.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى نقمته من أعدائه حين انتقم منهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٦٨] بالمؤمنين حين أنجاهم من العذاب، وكان موسى بمصر ثلاثين سنة، فلما قتل النفس خرج إلى مدين هاربًا على رجليه فى الصيف بغير زاد، وكان راعيًا عشر سنين، ثم بعثه الله رسولاً وهو ابن أربعين سنة، ثم دعا قومه ثلاثين سنة، ثم قطع البحر، فعاش خمسين سنة، فمات وهو ابن عشرين ومائة سنة ﷺ، وكان دعا فرعون وقومه عشر سنين، فلما أبوا أرسل الله عليهم الطوفان والجراد والقمل، وإلى آخر الآية، ثم لبث فيهم أيضًا عشرين سنة كل ذلك ثلاثين سنة، فلم يؤمنوا فأغرقهم الله أجمعين، فعاش موسى، عليه

---

(١) انظر: (القرطبى ١٠٧/١٣، الكشاف ١١٥/٣، الرازى ١٣٩/٢٤، البحر المحيط ٢٠/٧، الآلوسى ٨٨/١٩).

السلام، عشرين ومائة سنة.

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ ﴾

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ على أهل مكة ﴿نَبَأَ﴾ يعنى حديث ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [آية: ٦٩] ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر ﴿وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [آية: ٧٠] ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا﴾ من ذهب، وفضة، وحديد، ونحاس، وخشب، ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ [آية: ٧١] يقول: فتقيم عليها عاكفين، وهى اثنان وسبعون ﴿قَالَ﴾ إبراهيم، عليه السلام: ﴿هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ﴾ [آية: ٧٢] يقول: هل تجيبكم الأصنام إذا دعوتموهم، ﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ﴾ فى شىء إذا عبدتموها، ﴿أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ [آية: ٧٣] يضرونكم بشىء إن لم تعبدوها فردوا على إبراهيم.

﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [آية: ٧٤] يعنى هكذا يعبدون الأصنام ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ﴾ [آية: ٧٥] من الأصنام ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ﴾ [آية: ٧٦]، ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ﴾ أنا برئ مما تعبدون، ثم استثنى إبراهيم عليه السلام مما يعبدوم رب العالمين جل جلاله، وعبادتهم الله، لأنهم يعلمون أن الله تعالى هو ربهم الذى خلقهم قوله: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٧٧] مما تعبدون، فإنى لا أتبرأ منه وإقرارهم بالله عز وجل أنه خلقهم، وهو ربهم، وهم عباده.

ثم ذكر إبراهيم، عليه السلام، نعم رب العالمين تعالى، فقال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ [آية: ٧٨] ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي﴾ إذا جعت ﴿وَيَسۡقِينِ﴾ [آية: ٧٩] إذا

عطشت، ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [آية: ٨٠] ﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾ في الدنيا ﴿ ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [آية: ٨١] بعد الموت في الآخرة، ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ يعني أرجو ﴿ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [آية: ٨٢] يعني يوم الحساب، يقول: أنا أعبد الذي يفعل هذا بي ولا أعبد غيره، وخطيئة إبراهيم ثلاث كذبات، حين قال عن سارة: هذه أختي، وحين قال: إني سقيم، وحين قال: بل فعله كبيرهم هذا، إحداهن لنفسه، واثنتان لله، عز وجل، ربه تعالى ذكره.

فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ يعني الفهم والعلم ﴿ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [آية: ٨٣] يعني الأنبياء عليهم السلام، ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [آية: ٨٤] يعني ثناء حسنًا يقال: من بعدي في الناس، فأعطاه الله عز وجل ذلك، فكل أهل دين يقولون: إبراهيم، عليه السلام، ويثنون عليه، ثم قال: ﴿ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [آية: ٨٥] يقول: اجعلني ممن يرث الجنة.

﴿ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [آية: ٨٦] يعني من المشركين، ﴿ وَلَا تُخْزِنِي﴾ يعني لا تعذبني ﴿ يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [آية: ٨٧] يعني يوم تبعث الخلق بعد الموت.

ثم نعت إبراهيم، عليه السلام، ذلك اليوم، فقال: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [آية: ٨٨] من العذاب من بعد الموت، ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾ في الآخرة ﴿ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [آية: ٨٩] من الشرك مخلصًا لله عز وجل بالتوحيد، فينفعه يوم البعث ماله وولده.

﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ (٩٣) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٠٤) ﴾

﴿ وَأُزْلِفَتِ﴾ يعني وقربت ﴿ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٩٠] ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ يعني وكشف الغطاء عن الجحيم ﴿ لِلْغَاوِينَ﴾ [آية: ٩١] من كفار بني آدم، وهم الضالون عن الهدى. ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [آية: ٩٢].

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لأنهم عبدوا الشيطان نظيرها في الصافات ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ [آية: ٩٣] يعنى هل يمنعونكم النار، أو يمتنعون منها.

﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا﴾ يعنى فقذفوا فى النار، يعنى فقذفهم الخزنة فى النار ﴿هُمْ﴾ يعنى كفار بنى آدم ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ [آية: ٩٤] يعنى الشياطين الذين أغووا بنى آدم، ثم قال تعالى: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [آية: ٩٥] يعنى ذرية إبليس كلهم.

﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ [آية: ٩٦] فى النار، فيها تقديم، وذلك أن الكفار من بنى آدم، قالوا للشياطين: ﴿تَٱللَّهِ﴾ يعنى والله ﴿إِن﴾ لقد ﴿كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٩٧] ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم﴾ يعنى نعدلكم يا معشر الشياطين ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٩٨] فى الطاعة فهذه خصومتهم.

ثم قال كفار مكة من بنى آدم: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ﴾ عن الهدى ﴿إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [آية: ٩٩] يعنى الشياطين، ثم أظهروا الندامة، فقالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ [آية: ١٠٠] من الملائكة والنبين ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [آية: ١٠١] يعنى القريب الشفيق، فيشفعون لنا كما يشفع المؤمنين، وذلك أنهم لما رأوا كيف يشفع الله عز وجل، والملائكة، والنبين فى أهل التوحيد، قالوا عند ذلك: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ إلى آخر الآية.

حدثنا أبو محمد، قال: حدثنى الهذيل، قال: قال مقاتل: استكثروا من صداقة المؤمنين، فإن المؤمنين يشفعون يوم القيامة، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾.

ثم قال: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ يعنى رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٠٢] يعنى من المصدقين بالتوحيد، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ يعنى إن فى هلاك قوم إبراهيم لعبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٠٣] يقول: لو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا فى الدنيا.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى نقمته ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٠٤] بالمؤمنين هلك قوم إبراهيم بالصيحة تفسيره فى سورة العنكبوت.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ

﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٠٥] يعنى كذبوا نوحًا وحده، نظيرها فى اقتربت الساعة ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ ليس بأخيهم فى الدين، ولكن أخوهم فى النسب ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٠٦] يعنى ألا تخشون الله عز وجل.

﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [آية: ١٠٧] فيما بينكم وبين ربكم ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يعنى فاعبدوا الله ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ١٠٨] فيما آمركم به من النصيحة ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يعنى جعلاً، وذلك أنهم قالوا للأنبياء: إنما تريدون أن تملكوا علينا فى أموالنا، فردت عليهم الأنبياء، فقالوا: لا نسألكم عليه من أجر، يعنى على الإيمان جعلاً.

﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾ يعنى جزائى ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٠٩] ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يعنى فاعبدوا الله ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ١١٠] فيما آمركم به من النصيحة ﴿۞ قَالُوٓاْ﴾ لنوح ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾ أنصدقك بقولك ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [آية: ١١١] يعنى السفلة.

﴿قَالَ﴾ نوح، عليه السلام: ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١١٢] يقول: لم أكن أعلم أن الله يهديهم للإيمان من بينكم ويدعكم، ثم قال نوح، عليه السلام: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ يعنى ما جزاء الأرذلون ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [آية: ١١٣].

﴿وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١١٤] يقول: وما أنا بالذى لا يقبل الإيمان من الذين تزعمون أنهم الأرذلون عندكم ﴿إِنْ أَنَاْ﴾ يعنى ما أنا ﴿إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١١٥] يعنى رسول بيّن ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ يعنى لئن لم تسكت ﴿يَٰنُوحُ﴾ عنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [آية: ١١٦] يعنى من المقتولين.

﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾ [آية: ١١٧] البعث ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ يقول: اقض بينى وبينهم قضاء، يعنى العذاب، ﴿وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١١٨] من الغرق، فنجاه الله عز وجل.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [آية: ١١٩]، يعنى الموقر من الناس والطير والحيوان كلها، من كل صنف ذكر وأنثى، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أهل السفينة ﴿ٱلْبَاقِينَ﴾ [آية: ١٢٠] يعنى من بقى منهم ممن لم يركب السفينة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ يقول: إن فى هلاك قوم نوح لعبرة لمن بعدهم من هذه الأمة، ليحذروا مثل عقوبتهم، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٢١] يعنى مصدقين بتوحيد الله عز وجل، يقول: كان أكثرهم كافرين بالتوحيد، ولو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا فى الدنيا.

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى نقمته منهم بالغرق ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٢٢] بالمؤمنين إذ نجاهم من الغرق، إنما ذكر الله تعالى تكذيب الأمم الخالية رسلهم، لما كذب كفار قريش النبى ﷺ بالرسالة، أخبر الله عز وجل النبى ﷺ أنه أرسله كما أرسل نوحًا وهودًا وصالحًا ولوطًا وشعيبًا، فكذبهم قومهم، فكذلك أنت يا محمد، وذكر عقوبة الذين كذبوا رسلهم لئلا يكذب كفار قريش محمدًا ﷺ، فحذرهم مثل عذاب الأمم الخالية.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٢٣] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ﴾ ليس بأخيهم فى الدين ولكن أخوهم فى النسب، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٢٤] يعنى ألا تخشون الله عز وجل، ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [آية: ١٢٥] فيما بينكم وبين ربكم، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يعنى فاعبدوا الله، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ١٢٦] فيما آمركم به من النصيحة ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول: لا أسالكم على الإيمان جعلاً ﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾ يقول: ما أجرى ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٢٧].

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ يعنى طريق ﴿ ءَايَةً﴾ يعنى علمًا ﴿ تَعْبَثُونَ﴾ [آية: ١٢٨] يعنى تلعبون، وذلك أنهم كانوا إذا سافروا لا يهتدون إلا بالنجوم، فبنوا القصور الطوال عبثًا يقول: علمًا بكل طريق يهتدون بها فى طريقهم، ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ يعنى القصور ليذكروا بها هذا منزل بنى فلان، وبنى فلان ﴿ لَعَلَّكُمْ﴾ يعنى كأنكم ﴿ تَخْلُدُونَ﴾ (١) [آية: ١٢٩] فى الدنيا فلا تموتون.

﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [آية: ١٣٠] يقول: إذا أخذتم أخذتم فقتلتم فى غير حق، كفعل الجبارين، والجبار من يقتل بغير حق، ﴿ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ١٣١] ﴿ وَاتَّقُواْ الَّذِىٓ أَمَدَّكُم﴾ يقول: اتقوا الله الذى أعطاكم ﴿ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٣٢] من الخير.

ثم أخبر بالذى أعطاهم، فقال سبحانه: ﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [آية: ١٣٣] ﴿ وَجَنَّاتٍ﴾ يقول: البساتين ﴿ وَعُيُونٍ﴾ [آية: ١٣٤] يعنى وأنهار جارية أعطاهم هذا الخير كله، بعدما أخبرهم عن قوم نوح بالغرق، قال: فإن لم تؤمنوا فـ ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ١٣٥] إن ينزل بكم فى الدنيا، يعنى بالعظيم الشديد فردوا عليه، عليه السلام ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ﴾ بالعذاب ﴿ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [آية: ١٣٦] ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٣٧] يعنى ما هذا العذاب الذى يقول هود إلا أحاديث الأولين ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [آية: ١٣٨].

﴿ فَكَذَّبُوهُ﴾ بالعذاب فى الدنيا ﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ بالريح ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ يقول: إن فى هلاكهم بالريح لعبرة لمن بعدهم من هذه الأمة، فيحذروا مثل عقوبتهم، ثم قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٣٩] ولو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا فى الدنيا، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فى نقمته من أعدائه حين أهلكهم بالريح ﴿ الرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٤٠] بالمؤمنين حين أنجاهم.

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ وَلَا

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٣٢/٧، الرازى ١٥٧/٢٤).

يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴾

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [آية: ١٤١] يعنى صالحًا وحده ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَـٰلِحٌ ﴾ فى النسب، وليس بأخيهم فى الدنيا، ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [آية: ١٤٢] يعنى ألا تخشون الله عز وجل ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [آية: ١٤٣] فيما بينكم وبين الله عز وجل.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [آية: ١٤٤] فيما آمركم به ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ يعنى على الإيمان ﴿ مِنْ أَجْرٍ ﴾ يعنى جعلاً ﴿ إِنْ أَجْرِىَ ﴾ يعنى جزائى ﴿ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آية: ١٤٥] ثم قال صالح عليه السلام: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَـٰهُنَآ ﴾ من الخير ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ [آية: ١٤٦] من الموت.

ثم أخبر عن الخير، فقال سبحانه: ﴿ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [آية: ١٤٧] ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ [آية: ١٤٨] يعنى طلعها متراكب بعضها على بعض من الكثرة، ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ ﴾ [آية: ١٤٩] يعنى حاذقين بنحتها، ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [آية: ١٥٠] فيما آمركم به من النصحية، ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [آية: ١٥١] يعنى التسعة الذين عقروا الناقة، ثم نعتهم، فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [آية: ١٥٢] يقول: الذين يعصون فى الأرض، ولا يطيعون الله عز وجل، فيما أمرهم به، ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ [آية: ١٥٣].

حدثنا أبو محمد، قال: حدثنا الأثرم، قال أبو عبيدة والفراء: المسحر المخلوق، ويقال أيضًا: الذى له سحر يجتمع فيه طعامه أسفل نحره، لأن نصف العنق نحر، ونصفه سحر.

﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ يقول: إنما أنت بشر مثلنا فى المنزلة، ولا تفضلنا فى شىء لست بملك، ولا رسول، ﴿ فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [آية: ١٥٤] بأنك رسول الله إلينا، فقال لهم صالح: إن الله عز وجل سيخرج لكم من هذه الصخرة ناقة وبراء عشراء، يعنى حامل، قال مقاتل: كانت الناقة من غير نسل، ثم انشقت عن الناقة.

و ﴿ قَالَ ﴾ لهم صالح، عليه السلام: ﴿ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ ﴾ الله لكم آية بأنى رسول الله

﴿ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [آية: ١٥٥] وكان للناقة يوم، ولهم يوم، وإذا كان شرب يوم الناقة من الماء كانوا فى لبن ما شاءوا، وليس لهم ماء، فإذا كان يومهم، لم يكن للناقة ماء، وكان لأهل القرية ولمواشيهم يوم، ولها يوم آخر، فذروها تأكل فى أرض الله.

﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾ يعنى ولا تعقروها، ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [آية: ١٥٦] فى الدنيا ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ يوم الأربعاء، فماتت ﴿ فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴾ [آية: ١٥٧] على عقرها، ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ يوم السبت من صيحة جبريل، عليه السلام، فماتوا أجمعين ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ﴾ يعنى فى هلاكهم بالصيحة لعبرة لمن بعدهم من هذه الأمة يحذر كفار مكة مثل عذابهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آية: ١٥٨] يعنى لو كان أكثرهم مؤمنين ما عذبوا فى الدنيا ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ فى نقمته من أعدائه ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [آية: ١٥٩] بالمؤمنين، وعاد وثمود ابنا عم، ثمود بن عابر بن أرم بن سام بن نوح، وهود بن شالح.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [آية: ١٦٠] كذبوا لوطًا وحده، ولوط بن حراز بن آزر، فسارة أخت لوط، عليه السلام، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ ﴾ ابن حراز ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [آية: ١٦١] يعنى ألا تخشون الله عز وجل.

﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [آية: ١٦٢] ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [آية: ١٦٣] فيما آمركم به من النصيحة ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ يعنى ما أسألكم على الإيمان من جعل ﴿ إِنْ أَجْرِىَ ﴾ يعنى ما جزائى ﴿ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آية: ١٦٤].

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [آية: ١٦٥] يعنى نكاح الرجال ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ﴾ يعنى بالأزواج فروج نسائكم ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [آية: ١٦٦] يعنى معتدين ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ﴾ يعنى لئن لم تسكت عنا ﴿ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ [آية: ١٦٧] من القرية، ﴿ قَالَ ﴾ لوط: ﴿ إِنِّى لِعَمَلِكُم ﴾ يعنى إتيان الرجال ﴿ مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾ [آية: ١٦٨] يعنى الماقتين ﴿ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [آية: ١٦٩] من الخبائث ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾ [آية: ١٧٠].

ثم استثنى، فقال: ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [آية: ١٧١] يعنى الباقين فى العذاب يعنى امرأته ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ﴾ يعنى أهلكنا ﴿ ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ [آية: ١٧٢] بالخسف والحصب، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾ يعنى الحجارة ﴿ فَسَآءَ ﴾ يعنى فبئس ﴿ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [آية: ١٧٣] يعنى الذين أنذروا بالعذاب خسف الله بقرى قوم لوط، وأرسل الحجارة على من كان خارجًا من القرية.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ﴾ يعنى إن فى هلاكهم بالخسف والحصب لعبرة لهذه الأمة، ثم قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آية: ١٧٤] لو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا فى الدنيا ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ فى نقمته ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [آية: ١٧٥] بالمؤمنين، وذلك قوله تعالى: ﴿ **ولقد أنذرهم بطشنا** ﴾ [القمر: ٣٦].

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ﴾ يعنى غيطة الشجر، كان أكثر الشجر الدوم، وهو المقل ﴿ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [آية: ١٧٦] يعنى كذبوا شعيبًا، عليه السلام، وحده، وشعيب بن نويب ابن مدين بن إبراهيم، خليل الرحمن.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ و لم يكن شعيب من نسبهم، فلذلك لم يقل عز وجل أخوهم شعيب، وقد كان أرسل إلى أمة غيرهم أيضًا إلى ولد مدين، وشعيب من نسائهم، فمن ثم قال فى هذه السورة: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ و لم يقل أخوهم، لأنه ليس من نسلهم، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٧٧] يقول: ألا تخشون الله عز وجل؟.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [آية: ١٧٨] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ١٧٩] فيما آمركم به من النصيحة ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ يعنى على الإيمان ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ يعنى من جعل ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ يعنى ما جزائى ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ١٨٠].

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ ولا تنقصوه ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [آية: ١٨١] يعنى من المنقصين للكيل ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [آية: ١٨٢] يعنى بالميزان المستقيم، والميزان بلغة الروم القسطاس، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم فى الكيل والميزان، ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ يعنى ولا تسعوا فى الأرض ﴿مُفْسِدِينَ﴾ [آية: ١٨٣] بالمعاصى.

﴿وَاتَّقُوا﴾ يقول: واخشوا أن يعذبكم فى الدنيا ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ﴾ خلق ﴿وَالْجِبِلَّةَ﴾ يعنى الخليقة ﴿الْأَوَّلِينَ﴾[1] [آية: ١٨٤] يعنى الأمم الخالية الذين عذبوا فى الدنيا قوم نوح وصالح، وقوم لوط.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [آية: ١٨٥] يعنى أنت بشر مثلنا لست بملك، ولا رسول، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ لا تفضلنا فى شيء فنتبعك، ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ﴾ يقول: وقد نحسبك يا شعيب، ﴿لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [آية: ١٨٦] يعنى حين تزعم أنك نبى رسول.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ يعنى جانبًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [آية: ١٨٧] بأن العذاب نازل بنا لقوله فى هود: ﴿**وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط**﴾ [هود: ٨٤]. ﴿قَالَ﴾ شعيب: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ﴾ من غيره ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٨٨] من نقصان الكيل والميزان، ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالعذاب، ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ وذلك أن الله عز وجل كان حبس عنهم الريح والظل، فأصابهم حر شديد، فخرجوا من

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣٣٤، القرطبى ١٣٦/١٣، الكشاف ١٢٧/٣، الرازى ١٦٤/٢٤، البحر المحيط ٣٨/٧، العكبرى ٩٢/٢).

منازلهم، فرفع الله عز وجل سحابة فيها عذاب بعد ما أصابهم الحر سبعة أيام، فانقلبوا ليستظلوا تحتها، فأهلكهم الله عز وجل حرًا وغمًا تحت السحابة، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ١٨٩] لشدته.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٩١ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١٩٩ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٢٠١ فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٠٢ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ٢٠٣ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ٢٠٤ أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ٢٠٦ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧ ﴾

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ﴾ إن فى هلاكهم بالحر والغم لعبرة لمن بعدهم، يحذر كفار مكة أمة محمد ﷺ، ثم قال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ١٩٠] يعنى لو كان أكثرهم مؤمنين ما عذبوا فى الدنيا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فى نقمته من أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٩١] بالمؤمنين.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٩٢] وذلك أنه لما قال كفار مكة: إن محمدًا ﷺ يتعلم القرآن من أبى فكيهة، ويجئ به الرى، وهو شيطان، فيلقيه على لسان محمد ﷺ، فأكذبهم الله تعالى، فقال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يعنى القرآن ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [آية: ١٩٣] يعنى جبريل، عليه السلام، أمين فيما استودعه الله عز وجل من الرسالة إلى الأنبياء، عليهم السلام، نزله ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ ليثبت به قلبك يا محمد، ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [آية: ١٩٤].

أنزله ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ١٩٥] ليفقهوا ما فيه لقوله، إنما يعلمه أبو فكيهة، وكان أبو فكيهة أعجميًا، ثم قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٩٦] يقول: أمر محمد ﷺ ونعته فى كتب الأولين.

ثم قال: ﴿أَوَلَمۡ يَكُن﴾ محمد ﷺ ﴿لَّهُمۡ ءَايَةً﴾ يعنى لكفار مكة ﴿أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آية: ١٩٧] يعنى ابن سلام وأصحابه، ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ﴾ يعنى القرآن ﴿عَلَىٰ

بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴾[1] [آية: ١٩٨] يعنى أبا فكيهة، يقول: لو أنزلناه على رجل ليس بعربى اللسان ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ على كفار مكة، لقالوا: ما نفقه قوله، و﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٩٩] يعنى بالقرآن مصدقين بأنه من الله عز وجل، ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ يعنى هكذا جعلنا الكفر بالقرآن ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ٢٠٠].

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ يعنى بالقرآن ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [آية: ٢٠١] يعنى الوجيع، ﴿فَيَأْتِيَهُم﴾ العذاب ﴿بَغْتَةً﴾[2] يعنى فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية: ٢٠٢] فيتمنون الرجعة والنظرة، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَيَقُولُواْ﴾ يعنى كفار مكة ﴿هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ [آية: ٢٠٣] فنعتب ونراجع، فلما أوعدهم النبى ﷺ العذاب، قالوا: فمتى هذا العذاب؟ تكذيبًا به.

يقول الله عز وجل: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [آية: ٢٠٤] ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾ [آية: ٢٠٥] فى الدنيا ﴿ثُمَّ جَآءَهُم﴾ بعد ذلك العذاب ﴿مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [آية: ٢٠٦] ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ من العذاب ﴿مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ [آية: ٢٠٧] فى الدنيا.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

ثم خوفهم، فقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ فيما خلا بالعذاب فى الدنيا ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [آية: ٢٠٨] يعنى رسلاً تنذرهم العذاب بأنه نازل بهم فى الدنيا ﴿ذِكْرَىٰ﴾ يقول: العذاب يذكر ويفكر، ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٢٠٩] فنعذب على غير ذنب كان منهم ظلمًا، قالت قريش: إنه يجئ بالقرآن الرى، يعنون الشيطان، فيلقيه على لسان محمد ﷺ، فكذبوه بما جاء به.

---

(١) انظر: (القرطبى ١٣/١٤٠، الكشاف ٣/١٢٩، مجمع البيان ٧/٢٠٣، الإتحاف ٣٣٤، البحر المحيط ٧/٤٢).

(٢) انظر: (القرطبى ١٣/١٤٠، الكشاف ٣/١٢٩، مجمع البيان ٧/٢٠٣، الإتحاف ٣٣٤، البحر المحيط ٧/٤٢).

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [(١)] [آية: ٢١٠] ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ﴾ إن ينزلوا بالقرآن ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [آية: ٢١١] لأنه حيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشهب، وذلك أنهم كانوا يستمعون إلى السماء قبل أن يبعث النبى ﷺ، فلما بعث رمتهم الملائكة بالشهب.

فذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [آية: ٢١٢] بالملائكة والكواكب ﴿فَلَا تَدْعُ﴾ يعنى ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وذلك حين دعى إلى دين آبائه، فقال: لا تدع يعنى فلا تعبد مع الله إلهًا آخر ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [آية: ٢١٣] ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [آية: ٢١٤] لما نزلت هذه الآية قال النبى ﷺ: «إنى أرسلت إلى الناس عامة، وأرسلت إليكم يا بنى هاشم، وبنى المطلب خاصة،» وهم الأقربون، وهما أخوان ابنا عبد مناف.

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ يعنى لين لهم جناحك ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٢١٥] ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ يعنى بنى هاشم، وبنى عبد المطلب، فلم يجيبوك إلى الإيمان ﴿فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢١٦] من الشرك والكفر.

﴿وَتَوَكَّلْ﴾ يعنى وثق بالله عز وجل ﴿عَلَى ٱلْعَزِيزِ﴾ فى نقمته ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ [آية: ٢١٧] بهم حين لا يعجل عليهم بالعقوبة، وذلك حين دعى إلى ملة آبائه، ثم قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [آية: ٢١٨] وحدك إلى الصلاة.

﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ يعنى ويرى ركوعك وسجودك وقيامك فهذا التقلب ﴿فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [آية: ٢١٩] يعنى ويراك مع المصلين فى جماعة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما قالوا حين دعى إلى دين آبائه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٢٢٠] بما قال كفار مكة.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ (٢٢٣) وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧)﴾

---

(١) انظر: (جمهرة اللغة «شطن»، الإتحاف ٣٠٣، القرطبى ١٤٢/١٣، الكشاف ١٣١/٣، الطبرى ٧٢/١٩، مجمع البيان ٢٠٣/٧، التبيان ٦٠/٨، النحاس ٥٠٣/٢، همع الهوامع ١٦٠/١).

﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [آية: ٢٢١] لقولهم: إنما يجئ به الرى فيلقيه على لسان محمد ﷺ ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ يعنى كذاب ﴿أَثِيمٖ﴾ [آية: ٢٢٢] بربه منهم مسيلمة الكذاب، وكعب بن الأشرف، ﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ يقول: تلقى الشياطين بآذانهم إلى السمع فى السماء لكلام الملائكة، وذلك أن الله عز وجل إذا أراد أمرًا فى أهل الأرض أعلم به أهل السماوات من الملائكة، فتكلموا به، فتسمع الشياطين لكلام الملائكة، وترميهم بالشهب فيخطفون الخطفة، ثم قال عز وجل: ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾ [آية: ٢٢٣] يعنى الشياطين حين يخبرون الكهنة أنه يكون فى الأرض كذا وكذا.

ثم قال سبحانه: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ [آية: ٢٢٤] منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى، وأبو سفيان بن عبد المطلب، وهميرة بن أبى وهب المخزومى، ومشافع بن عبد مناف عمير الجمحى، وأبو عزة اسمه عمرو بن عبد الله، كلهم من قريش، وأمية بن أبى الصلت الثقفى، تكلموا بالكذب والباطل، وقالوا: نحن نقول مثل قول محمد ﷺ قالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون من أشعارهم، ويروون عنهم، حتى يهجون.

فذلك قوله عز وجل: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ﴾ [آية: ٢٢٥] يعنى فى كل طريق، يعنى فى كل فن من الكلام يأخذون، ﴿وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ﴾ [آية: ٢٢٦] فعلنا وفعلنا وهم كذبة، فاستأذن شعراء المسلمين أن يقتصوا من المشركين منهم عبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، من بنى سلمة بن خثم، كلهم من الأنصار، فأذن لهم النبى ﷺ، فهجوا المشركين، ومدحوا النبى ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ إلى آيتين.

ثم استثنى عز وجل شعراء المسلمين، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ﴾ على المشركين ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ يقول: انتصر شعراء المسلمين من شعراء المشركين، فقال: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ يعنى أشركوا ﴿أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [آية: ٢٢٧] يقول: ينقلبون فى الآخرة إلى الخسران.

حدثنا عبيد الله بن ثابت، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن رجل، عن الفضيل بن عيسى الرقاشى، قال: ﴿**بلسان عربى مبين**﴾، قال: فضله على الألسن.

قال الهذيل: سمعت المسيب يحدث عن أبى روق، قال: كانت ناقة صالح، عليه السلام، يوضع لها الإناء فتدر فيه اللبن.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن على بن عاصم، عن الفضل بن عيسى الرقاشى، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ، قال: «لما كلم الله عز وجل موسى، عليه السلام، فوق الطور، فسمع كلامًا فوق الكلام الأول، فقال: يا رب هذا كلامك الذى كلمتنى به، قال: لا يا موسى، إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولى قوة الألسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، فلما رجع موسى، عليه السلام، إلى قومه، قالوا: يا موسى، صف لنا كلام الرحمن؟ قال: سبحان الله، لا أستطيع، قالوا: فشبهه، قال: ألم تروا إلى أصوات الصواعق التى تقتل بأحلى حلاوة إن سمعتموه، فإنه قريب منه، وليس به».

* * *

سُورَةُ النَّمْلِ

سورة النمل مكية، وهى ثلاث وتسعون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ١] يعنى بين ما فيه من أمره ونهيه ﴿هُدًى﴾ يعنى بيان من الضلالة لمن عمل به، ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ لما فيه من الثواب ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٢] يعنى للمصدقين بالقرآن بأنه من الله عز وجل.

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعنى يتمون الصلاة المكتوبة ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يعنى ويعطون الزكاة المفروضة ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعنى بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعنى لا يصدقون بالبعث ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يعنى ضلالتهم ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [آية: ٤] يعنى يترددون فيها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ﴾ يعنى شدة ﴿ٱلْعَذَابِ﴾ فى الآخرة ﴿وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [آية: ٥].

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى﴾ يعنى لتؤتى ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ كقوله سبحانه: ﴿**وما يلقاها**﴾ [فصلت: ٣٥] يعنى وما يؤتاها، ثم قال: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾ فى أمره ﴿عَلِيمٍ﴾ [آية: ٦] بأعمال الخلق.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ

بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ يعنى امرأته حين رأى النار ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ يقول: إنى رأيت نارًا، وهو نور رب العزة جل ثناؤه، رآه ليلة الجمعة عن يمين الجبل بالأرض المقدسة ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أين الطريق، وقد كان تحير وترك الطريق، ثم قال: فإن لم أجد من يخبرنى الطريق، ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ يقول: آتيكم بنار قبسة مضيئة ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [آية: ٧] من البرد.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ يعنى النار، وهو نور رب العزة، تبارك وتعالى، ﴿نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يعنى الملائكة ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٨] فى التقديم، ثم قال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ يقول: إن النور الذى رأيت أنا ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٩] ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ يعنى تحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [(١)] يعنى كأنها كانت حية ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ من الخوف من الحية ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يعنى ولم يرجع، يقول الله عز وجل: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ من الحية ﴿إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ﴾ يعنى عندى ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [آية: ١٠].

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ [(٢)] نفسه من الرسل، فإنه يخاف، فكان منهم آدم، ويونس، وسليمان، وإخوة يوسف، وموسى بقتله النفس، عليهم السلام، ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ يعنى فمن بدل إحسانًا بعد إساءته ﴿فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١١].

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ﴾ اليمن ﴿فِى جَيْبِكَ﴾ يعنى جيب المدرعة من قبل صدره، وهى مضربة ﴿تَخْرُجْ﴾ اليد من المدرعة ﴿بَيْضَآءَ﴾ لها شعاع كشعاع الشمس ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ يعنى من غير برص، ثم انقطع الكلام، يقول الله تبارك وتعالى لمحمد ﷺ: ﴿فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ يعنى أعطى تسع آيات اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، والطمس، فآيتان منهما أعطى موسى، عليه السلام، بالأرض المقدسة اليد والعصى، حين أرسل إلى فرعون، وأعطى سبع آيات بأرض مصر

---

(١) انظر: (الكشاف ١٣٨/٣، الرازى ١٨٤/٢٤، البحر المحيط ٥٦/٧، الآلوسى ١٦٣/١٩).

(٢) انظر: (الكشاف ١٣٨/٣، الرازى ١٨٤/٢٤، مجمع البيان ٢١٢/٧، البحر المحيط ٥٧/٧).

حين كذبوه، فكان أولها اليد، وآخرها الطمس، يقول: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ واسمه فيطوس ﴿وَقَوْمِهِۦٓ﴾ أهل مصر ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [آية: ١٢] يعني عاصين.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ (١) يعني مبينة معاينة يرونها ﴿قَالُوا۟﴾: يا موسى ﴿هَٰذَا﴾ الذي جئت به ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٣] يعني بين، يقول الله عز وجل: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾ يعني بالآيات، يعني بعد المعرفة، فيها تقديم ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أنها من الله عز وجل، وأنها ليست بسحر ﴿ظُلْمًا﴾ شركا ﴿وَعُلُوًّا﴾ تكبرًا ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آية: ١٤] في الأرض بالمعاصي، كان عاقبتهم الغرق، وإنما استيقنوا بالآيات أنها من الله، لدعاء موسى ربه أن يكشف عنهم الرجز، فكشفه عنهم، وقد علموا ذلك.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ يعني أعطينا ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ بالقضاء، وبكلام الطير، وبكلام الدواب، ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٥] يعني

---

(١) انظر: (الأخفش ٤٢٨/٢ مجمع البيان ٢١٢/٧، الكشاف ١٣٩/٣، العكبرى ٩٣/٢، البحر المحيط ٥٨/٧، الرازى ١٨٤/٢٤).

بالقضاء، والنبوة، والكتاب، وكلام البهائم، والملك الذى أعطاهما الله عز وجل، وكان سليمان أعظم ملكًا من داود، وأفطن منه، وكان داود أكثر تعبدًا من سليمان.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ يعنى ورث سليمان علم داود وملكه، ﴿وَقَالَ﴾ سليمان لبنى إسرائيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يعنى أعطينا الملك والنبوة والكتاب والرياح، وسخرت لنا الشياطين، ومنطق الدواب، ومحاريب، وتماثيل، وجفان كالجوابى، وقدرو راسيات وعين القطر، يعنى عين الصفر.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذى أعطينا ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ١٦] يعنى البين، ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ﴾ يعنى وجمع لسليمان ﴿جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ طائفة ﴿وَ﴾ من ﴿وَٱلْإِنسِ وَ﴾ من ﴿وَٱلطَّيْرِ﴾ طائفة ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [آية: ١٧] يعنى يساقون، وكان سليمان استعمل جندًا يرد الأول على الآخر حتى ينام الناس.

وقال عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ من أرض الشام ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ [1] واسمها الجرمى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟﴾ وهن خارجات، فقالت: ادخلوا ﴿مَسَٰكِنَكُمْ﴾ يعنى بيوتكم ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ﴾ [2] يعنى لا يهلكنكم سليمان ﴿وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية: ١٨] بهلاككم، فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال، فانتهى إليها سليمان حين قالت: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ .

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [3] ضحك من ثناءها على سليمان بعدله فى ملكه، أنه لو يشعر بكم لم يحطمكم، يعنى بالضحك الكشر، وقال سليمان: لقد علمت النمل أنه ملك لا بغى فيه، ولا فخر، ولئن علم بنا قبل أن يغشانا لم نوطأ، ثم وقف سليمان بمن معه من الجنود ليدخل النمل مساكنهم، ثم حمد ربه عز وجل حين علمه منطق كل شىء، فسمع كلام النملة ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ يعنى ألهمنى ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ من قبلى، يعنى أبويه داود، وأمه بتشايع بنت الياثن، ﴿وَ﴾ ألهمنى ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ﴾ يعنى بنعمتك ﴿فِى﴾ يعنى مع

---

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ١٠٨، العكبرى ٩٣/٢، القرطبى ١٦٩/١٣، الكشاف ١٤١/٣، الرازى ١٨٧/٢٤، البحر المحيط ٦١/٧).

(٢) انظر: (القرطبى ١٧٣/١٣، البحر المحيط ٦١/٧، الكشاف ١٤٢/٣، الرازى ١٨٨/٢٤، الآلوسى ١٧٩/١٩).

(٣) انظر: (الكشاف ١٤٢/٣، البحر المحيط ٦٢/٧، العكبرى ٩٣/٢، الآلوسى ١٨٠/١٩).

﴿عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ١٩] الجنة.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ يعنى الهدهد حين سار من بيت المقدس قبل اليمن، فلما مر بالمدينة وقف، فقال إن الله عز وجل: سيبعث من هاهنا نبيًا طوبى لمن تبعه، فلما أراد أن ينزل ﴿فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ﴾ والميم هاهنا صلة، كقوله تعالى: ﴿**أم عندهم**﴾ يعنى أعندهم ﴿**الغيب فهم يكتبون**﴾ [الطور: ٤١، والقلم: ٤٧] أم ﴿كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [آية: ٢٠].

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يعنى لأنتفن ريشه، فلا يطير مع الطير حولاً ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ يعنى لأقتلنه، ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٢١] يعنى حجة بينة أعذره بها، ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ يقول: لم يلبث إلا قليلاً، حتى جاء الهدهد، فوقع بين يدى سليمان، عليه السلام، فجعل ينكث بمنقاره ويومئ برأسه إلى سليمان، ﴿فَقَالَ﴾ لسليمان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ يقول: علمت ما لم تعلم به ﴿وَجِئْتُكَ﴾ بأمر لم تخبرك به الجن، ولم تنصحك فيه، ولم يعمل به الإنس، وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك، وجئتك ﴿مِن﴾ أرض ﴿سَبَإٍ﴾ باليمن ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [آية: ٢٢] يقول: بحديث لا شك فيه، فقال سليمان: وما ذلك؟.

قال الهدهد: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ يعنى تملك أهل سبأ ﴿وَأُوتِيَتْ﴾ يعنى وأعطيت ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يكون باليمن، يعنى العلم والمال والجنود والسلطان والزينة وأنواع الخير، فهذا كله من كلام الهدهد، وقال الهدهد: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٢٣] يعنى ضخم ثمانون ذراعًا فى ثمانين ذراعًا، وارتفاع السرير من الأرض أيضًا ثمانون ذراعًا فى ثمانين ذراعًا، مكلل بالجوهر، والمرأة اسمها بلقيس بنت أبى سرح، وهى من الإنس وأمها من الجن، اسمها فازمة بنت الصخر.

ثم قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ السيئة، يعنى سجودهم للشمس ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعنى عن الهدى ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [آية: ٢٤].

ثم قال الهدهد: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ يعنى الغيث ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾ فى قلوبكم ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [آية: ٢٥] بألسنتكم ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩﴾ [آية: ٢٦] يعنى بالعظيم العرش.

﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿۞ قَالَ﴾ سليمان للهدهد: دلنا على الماء ﴿سَنَنظُرُ﴾ فيما تقول، ﴿أَصَدَقْتَ﴾ فى قولك ﴿أَمْ كُنتَ﴾ يعنى أم أنت ﴿مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [آية: ٢٧] مثل قوله عز وجل: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ [آل عمران: ١١٠].

وكان الهدهد يدلهم على قرب الماء من الأرض إذا نزلوا، فدلهم على ماء، فنزلوا واحتفروا الركايا، وروى الناس والدواب، وكانوا قد عطشوا، فدعا سليمان الهدهد، وقال: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ يعنى إلى أهل سبأ ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾ يقول: ثم انصرف ﴿عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ٢٨] الجواب، فحمل الهدهد الكتاب بمنقاره، فطار حتى وقف على رأس المرأة، فرفرف ساعة والناس ينظرون، فرفعت المرأة رأسها، فألقى الهدهد الكتاب فى حجرها، فلما رأت الكتاب ورأت الخاتم رعدت وخضعت، وخضع من معها من الجنود، لأن ملك سليمان، عليه السلام، كان فى خاتمه فعرفوا أن الذى أرسل هذا الطير أعظم ملكًا من ملكها، فقالت: إن ملكًا رسله الطير، إن ذلك الملك عظيم، فقرأت هى الكتاب، وكانت عربية من قوم تبع بن أبى شراحيل الحميرى، وقومها من قوم تبع، وهم عرب، فأخبرتهم بما فى الكتاب، ولم يكن فيه شىء غير: «إنه من سليمان، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على» ألا تعظموا على «وأتونى مسلمين». قال أبو صالح: ويقال: مختوم.

فـ﴿قَالَتْ﴾ المرأة لهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾ يعنى الأشراف، ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ﴾ [آية: ٢٩] يعنى كتاب حسن ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [آية: ٣٠]

﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [1] [آية: ٣١]، ثم قالت: إن يكن هـذا الملك يقاتل على الدنيا، فإنا نمده بما أراد من الدنيا، وإن يكن يقاتل لربه، فإنه لا يطلب الدنيا، ولا يريدها، ولا يقبل منا شيئًا غير الإسلام.

ثم استشارتهم فـ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ يعنى الأشراف، وهم: ثلاث مائة، وثلاثة عشر قائدًا، مع كل مائة ألف، وهم أهل مشورتها، فقـالت لهـم: ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ من هـذا ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [آيـة: ٣٢] تقـول: مـا كنـت قاضيـة أمـرًا حتـى تحضرون.

﴿قَالُوا﴾ لها: ﴿نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ﴾ يعنى عدة كثـيرة فـى الرجـال كقولـه: ﴿**فأعينونى بقوة**﴾ [الكهف: ٩٥]، يعنى بالرجال ﴿وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ فى الحرب، يعنى الشجاعة ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ يقول: قد أخبرناك بما عندنا وما نجاوز ما تقولـين، ﴿فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [آية: ٣٣] يعنى ماذا تشيرين علينا، كقول فرعون لقومه: ﴿**فماذا تأمرون**﴾ [الشعراء: ٣٥] يعنى ماذا تشيرون عليّ.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ يعنـى أهلكوهـا، كقولـه عـز وجـل: ﴿**لفسدت السموات والأرض**﴾ يعنـى لهلكتـها ومـن فيـهن، ثـم قـال: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ يعنى أهانوا أشرافها وكبراءها لكى يستقيم لهم الأمر، يقول الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٣٤] كما قالت.

ثم قالت المرأة لأهل مشورتها: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ أصانعهم على ملكى إن كانوا أهل دنيا، ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [آية: ٣٥] من عنده بـالجواب، فأرسلت بالهدية مع الوفد عليهم المنذر بن عمر، والهديـة مائـة وصيـف، ومائـة وصيفـة، وجعلت للجارية قصة أمامها، وقصة مؤخرها، وجعلت للغلام قصة أمامه، وذؤابـة وسـط رأسـه، وألبستهم لباسًا واحـدًا، وبعثـت بحقـة فيـها جوهرتـان إحداهمـا مثقوبـة والأخـرى غير مثقوبة. وقالت للوفد: إن كان نبيًا، فسيميز بين الجوارى والغلمان ويخـبر بمـا فـى الحقـة، ويرد الهدية فلا يقبلها، وإن كان ملكًا فسيقبل الهدية ولا يعلم ما فى الحقة، فلمـا انتـهت الهدية إلى سليمان، عليه السلام، ميز بين الوصفاء والوصائف من قبل الوضوء، وذلك أنه

---

(١) انظر: (القرطبى ١٣/١٩٣، الكشـاف ٣/١٤٦، مجمع البيـان ٧/٢١٩، الـرازى ٢٤/١٩٦، العكبرى ٢/٩٤، النحاس ٢/٥٢١، البحر المحيط ٧/٧٢).

أمرهم بالوضوء فكانت الجارية تصب الماء على بطن ساعدها، والغلام على ظهر ساعده، فميز بين الوصفاء والوصائف وحرك الحقة، وجاء جبريل، عليه السلام، فأخبره بما فيها فقيل له: ادخل فى المثقوبة خيطًا من غير حيلة إنس ولا جان، وأثقب الأخرى من غير حيلة إنس ولا جان، وكانت الجوهرة المثقوبة معوجة، فأتته دودة تكون فى الفضفضة وهى الرطبة، فربط فى مؤخرها خيطًا، فدخلت الجوهرة حتى أنفذت الخيط إلى الجانب الآخر، فجعل رزقها فى الفضة، وجاءت الأرضة فقالت لسليمان: اجعل رزقى فى الخشب والسقوف والبيوت، قال: نعم، فثقبت الجوهرة فهذه حيلة من غير إنس ولا جان.

وسألوه ماء لم ينزل من السماء، ولم يخرج من الأرض، فأمر بالخيل فأجريت حتى عرقت فجمع العرق فى شىء حتى صفا وجعله فى قداح الزجاج، فعجب الوفد من علمه، وجاء جبريل، عليه السلام، فأخبره بما فى الحقة فأخبرهم سليمان بما فيها، ثم رد سليمان الهدية.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ﴾ للوفد: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ يقول: فما أعطانى الله تعالى من الإسلام والنبوة والجنود خير مما أعطاكم ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [آية: ٣٦] يعنى إذا أهدى بعضكم إلى بعض، فأما أنا فلا أفرح بها إنما أريد منكم الإسلام.

ثم قال سليمان لأمير الوفد: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بالهدية ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ لا طاقة لهم بها من الجن والإنس، ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [آية: ٣٧] يعنى مذلين بالإنس والجن.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ

حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

ثم ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [آية: ٣٨] يعنى مخلصين بالتوحيد، وإنما علم سليمان أنها تسلم، لأنه أوحى إليه بذلك، فلذلك قال: ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ فيحرم علىّ سريرها، لأن الرجل إذا أسلم حرم ماله ودمه، وكان سريرها من ذهب قوائمه اللؤلؤ والجوهر، مستور بالحرير والديباج، عليه الحجلة.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ (١) يعنى مارد من الجن اسمه: الحقيق، ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾ يعنى سريرها ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ يعنى من مجلسك، وكان سليمان، عليه السلام، يجلس للناس غدوة فيقضى بينهم حتى يضحى الضحى الأكبر، ثم يقوم، فقال: أنا آتيك به قبل أن تحضر مقامك، وذلك أنى أضع قدمى عند منتهى بصرى فليس شىء أسرع منى، فآتيك بالعرش، وأنت فى مجلسك، ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾ يعنى على حمل السرير ﴿لَقَوِيٌّ﴾ على حمله ﴿أَمِينٌ﴾ [آية: ٣٩] على ما فى السرير من المال.

قال سليمان أريد أسرع من ذلك: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ وهو رجل من الإنس من بنى إسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم، وكان الرجل اسمه آصف بن برخيا بن شمعيا بن دانيال ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾ بالسرير ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ الذى هو على منتهى بصرك، وهو جاءٍ إليك، فقال سليمان: لقد أسرعت أن فعلت ذلك، فدعا الرجل باسم الله الأعظم، ومنه ذو الجلال والإكرام، فاحتمل السرير احتمالاً فوضع بين يدى سليمان، وكانت المرأة قد أقبلت إلى سليمان حين جاءها الوفد، وخلفت السرير فى أرضها باليمن فى سبعة أبيات بعضها فى بعض أقفالها من حديد، ومعها مفاتيح الأبيات السبعة، ﴿فَلَمَّا رَآهُ﴾ فلما رأى سليمان العرش ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُ﴾ تعجب منه فـ﴿قَالَ هَذَا﴾ السرير ﴿مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ أعطانيه ﴿لِيَبْلُوَنِي﴾ يقول: ليختبرنى ﴿أَأَشْكُرُ﴾ الله عز وجل فى نعمه حين أتيت العرش ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ بنعم الله إذا رأيت من هو دونى أعلم منى، فعزم الله عز وجل له على الشكر.

فقال عز وجل: ﴿وَمَن شَكَرَ﴾ فى نعمه ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ يقول: فإنما يعمل

---

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ١٠٩، الكشاف ١٤٨/٣، النحاس ٥٢٣/٢، مجمع البيان ٢٢٢/٧، البحر المحيط ٧٦/٧، الآلوسى ٢٠٢/١٩).

لنفسه ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعم ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن عبادة خلقه ﴿كَرِيمٌ﴾ [آية: ٤٠] مثلها فى لقمان: ﴿**فإن ربى غنى حميد**﴾ [الآية: ١٢].

﴿قَالَ﴾ سليمان: ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ زيدوا فى السرير، وانقصوا منه، ﴿نَنظُرْ﴾ إذا جاءت ﴿أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [آية: ٤١] يقول: أتعرف العرش أم تكون من الذين لا يعرفون؟.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ﴾ المرأة ﴿قِيلَ﴾ لها ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾؟ فأجابتهم فـ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ وقد عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها، ولو قيل لها: هذا عرشك؟ لقالت: نعم، قيل لها: فإنه عرشك فما أغنى عنه إغلاق الأبواب؟ يقول سليمان: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ من الله عز وجل ﴿مِن قَبْلِهَا﴾ يعنى من قبل أن يجئ العرش والصرح وغيره، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [آية: ٤٢] يعنى وكنا مخلصين بالتوحيد من قبلها.

﴿وَصَدَّهَا﴾ عن الإسلام ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من عبادة الشمس ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [آية: ٤٣] ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ وهو قصر من قوارير على الماء تحته السمك، ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ يعنى غدير الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ يعنى رجليها لتخوض الماء إلى سليمان، وهو على السرير فى مقدم البيت، وذلك أنها لما أقبلت قالت الجن: لقد لقينا من سليمان ما لقينا من التعب، فلو قد اجتمع سليمان وهذه المرأة وما عندها من العلم لهلكنا، وكانت أمها جنية، فقالوا: تعالوا نبغضها إلى سليمان، نقول: إن رجليها مثل حوافر الدواب، لأن أمها كانت جنية، ففعلت، فأمر سليمان فبنى لها بيتًا من قوارير فوق الماء، وأرسل فيه السمك لتحسب أنه الماء، فتكشف عن رجليها فينظر سليمان أصدقته الجن أم كذبته، وجعل سريره فى مقدم البيت، فلما رأت الصرح حسبته لجة الماء وكشفت عن ساقيها، فنظر إليها سليمان، فإذا هى من أحسن الناس قدمين ورأى على ساقها شعرًا كثيرًا فكره سليمان ذلك، فقالت: إن الرمانة لا تدرى ما هى حتى تذوقها، قال سليمان: ما لا يحلو فى العين لا يحلو فى الفم، فلما رأت الجن أن سليمان رأى ساقيها، قالت الجن: لا تكشفى عن ساقيك ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ يعنى أملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ فلما رأت السرير والصرح علمت أن ملكها ليس بشىء عند ملك سليمان، وأن ملكه من ملك الله عز وجل.

فـ﴿قَالَتْ﴾ حين دخلت الصرح ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ يعنى بعبادتها الشمس

﴿ وَأَسْلَمْتُ﴾ يعنى أخلصت ﴿ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ﴾ بالتوحيد ﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آية: ٤٤] خرت لله عز وجل ساجدة، وتابت إلى الله عز وجل من شركها.

واتخذها سليمان عليه السلام لنفسه، فولدت له داود بن سليمان بن داود، عليهم السلام، وأمر لها بقرية من الشام يجى لها خراجها، وكانت عذرًا فاتخذ الحمامات من أجلها. وقال النبى ﷺ: «كانت من أحسن نساء العالمين ساقين، وهى من أزواج سليمان فى الجنة»، فقالت عائشة، رضى الله عنها، للنبى ﷺ: هى أحسن ساقين منى، قال النبى ﷺ: «أنت أحسن ساقين منها فى الجنة».

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

وكان سليمان عليه السلام يسير بها معه إذا سار ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يعنى وحدوا الله ﴿ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آية: ٤٥] مؤمنين وكافرين، وكانت خصومتهم الآية التى فى الأعراف: ﴿**قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحًا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذى أمنتم به كافرون فعقروا الناقة**﴾ [الآيات: ٧٥ – ٧٧] ووعدهم صالح العذاب، فقالوا: ﴿**يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين**﴾ [الأعراف: ٧٧] فرد عليهم صالح: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ يقول: لم تستعجلون بالعذاب قبل العافية ﴿ لَوْلَا﴾ يعنى هلا ﴿ تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ من الشرك ﴿ لَعَلَّكُمْ﴾ يعنى لكى ﴿ تُرْحَمُونَ﴾ [آية: ٤٦] فلا تعذبوا فى الدنيا.

فـ﴿ قَالُوا۟﴾ يا صالح ﴿ ٱطَّيَّرْنَا﴾ يعنى تشاءمنا ﴿ بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ على دينك، وذلك أنه قحط المطر عنهم وجاعوا، فقالوا: أصابنا هذا الشر من شؤمك وشؤم أصحابك،

فـ ﴿قَالَ﴾ لهم عليه السلام: إنما ﴿طَـٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ يقول: الذى أصابكم هو مكتوب فى أعناقكم ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾ [آية: ٤٧] يعنى تبتلون، وإنما ابتليتم بذنوبكم.

﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ قرية صالح: الحجر ﴿تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعنى يعملون فى الأرض بالمعاصى ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [آية: ٤٨] يعنى ولا يطيعون الله عز وجل فيها منهم: قدار بن سالف بن جدع، عاقر الناقة، واسم أمه قديرة، ومصدع، وداب، ويباب إخوة بنى مهرج، وعائذ بن عبيد، وهذيل، وذو أعين وهما أخوان ابنا عمرو، وهديم، وصواب، فعقروا الناقة ليلة الأربعاء، وأهلكهم الله عز وجل يوم السبت بصيحة جبريل، عليه السلام.

﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ يعنى تحالفوا بالله عز وجل ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ﴾ ليلاً بالقتل يعنى صالحًا وأهله، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ يعنى ذا رحم صالح أن سألوا عنه ﴿مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ﴾ قالوا: ما ندرى من قتل صالحًا وأهله، ما نعرف الذين قتلوه ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [آية: ٤٩] فيما نقول.

يقول عز وجل: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا﴾ حين أرادوا قتل صالح، عليه السلام، وأهله، يقول الله تعالى: ﴿وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا﴾ حين جثم الجبل عليهم ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ٥٠].

﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿فَٱنظُرۡ﴾ يا محمد ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ﴾ يعنى عاقبة عملهم وصنيعهم، ﴿أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ﴾ يعنى التسعة، يعنى أهلكناهم بالجبل حين جثم عليهم، ﴿وَ﴾ دمرنا ﴿وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [آية: ٥١] بصيحة جبريل، عليه السلام، فلم نبقى منهم أحدًا.

﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ﴾ يعنى خربة ليس بها سكان، ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ﴾ يعنى بما

أشركوا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ يعني أن في هلاكهم لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٥٢] بتوحيد الله عز وجل، ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني الذين صدقوا، من العذاب ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [آية: ٥٣] الشرك.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ يعني المعاصي، يعني بالمعصية إتيان الرجال شهوة من دون النساء ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ ﴿بَلْ أَنتُمْ﴾ يعني ولكن أنتم ﴿قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [آية: ٥٥] ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ (١) قوم لوط حين نهاهم عن المعاصي ﴿إِلَّا أَن قَالُوا﴾ بعضهم لبعض ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾ يعني لوطًا وابنتيه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [آية: ٥٦] يعني لوطًا وحده، يتطهرون مثلها في الأعراف: ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الآية: ٨٢] يعني يتنزهون عن إتيان الرجال فإنا لا نحب أن يكون بين أظهرنا من ينهانا عن عملنا.

يقول الله عز وجل: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ من العذاب ﴿وَأَهْلَهُ﴾ يعني وابنتية ريثا وزعوثا، ثم استثنى، فقال سبحانه: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ لم ننجها ﴿قَدَّرْنَاهَا﴾ يقول: قدرنا تركها ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [آية: ٥٧].

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ يعني الحجارة ﴿فَسَاءَ﴾ يعني فبئس ﴿مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾ [آية: ٥٨] يعني الذين أنذروا بالعذاب، فذلك قوله عز وجل: ﴿**ولقد أنذرهم بطشتنا**﴾ [القمر: ٣٦] يعني عذابنا.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ

---

(١) انظر: (الكشاف ١٥٣/٣، مجمع البيان ٢٢٧/٧، الإتحاف ٣٣٨، البحر المحيط ٨٦/٧).

صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

و ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فى هلاك الأمم الخالية، يعنى ما ذكر فى هذه السورة من هلاك فرعون وقومه، وثمود، وقوم لوط، وقل: الحمد لله الذى علمك هذا الأمر الذى ذكر، ثم قال: ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ يعنى الذين اختارهم الله عز وجل لنفسه للرسالة، فسلام الله على الأنبياء، عليهم السلام، ثم قال الله عز وجل: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٥٩] به، يقول: الله تبارك وتعالى أفضل أم الآلهة التى تعبدونها؟ يعنى كفار مكة كان النبى ﷺ إذا قرأ هذه الآية، قال: «بل، الله خير وأبقى وأجل وأكرم».

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ يعنى حيطان النخل والشجر ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ يعنى ذات حسن ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ﴾ يعنى ما ينبغى لكم ﴿أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ فتجعلوا اللآلهة نصيبًا مما أخرج الله عز وجل لكم من الأرض بالمطر، ثم قال سبحانه استفهام: ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يعينه على صنعه جل جلاله، ثم قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [آية: ٦٠] يعنى يشركون، يعنى كفار مكة.

ثم قال سبحانه: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ يعنى مستقرًا لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ﴾ يعنى فجر نواحى الأرض ﴿أَنْهَـٰرًا﴾ فهى تطرد، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ يعنى الجبال، فتثبت بها الأرض لئلا تزول بمن على ظهرها، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ الماء المالح والماء العذب ﴿حَاجِزًا﴾ حجز الله عز وجل بينهما بأمره، فلا يختلطان، ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يعينه على صنعه عز وجل، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعنى لكن أكثرهم، يعنى أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٦١] بتوحيد ربهم.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعنى الضر ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يعينه على صنعه ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٦٢] يقول: ما أقل ما تذكرون ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـٰتِ﴾ يقول: أم من يرشدكم فى أهوال ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ يقول: يبسط السحاب قدام المطر، كقوله فى عسق: ﴿**وينشر رحمته**﴾ [الشورى: ٢٨] يعنى ويبسط رحمته بالمطر، ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يعينه على صنعه عز وجل، ثم قال: ﴿تَعَـٰلَى ٱللَّهُ﴾ يعنى ارتفع الله،

يعظم نفسه جل جلاله ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٦٣] به من الآلهة.

ثم قال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يقول: من بدأ الخلق فخلقهم، و لم يكونوا شيئًا، ثم يعيده فى الآخرة، ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ﴾ يعنى المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ يعنى النبت ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ يعينه على صنعه عز وجل، ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ يعنى هلموا بحجتكم بأنه صنع شيئًا من هذا غير الله عز وجل من الآلة، فتكون لكم الحجة على الله تعالى ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آية: ٦٤] بأن مع الله آلهة كما زعمتم، يعنى الملائكة.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾ يعنى الملائكة ﴿وَالْأَرْضِ﴾ الناس ﴿الْغَيْبَ﴾ يعنى البعث، يعنى غيب الساعة ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وحده، عز وجل، ثم قال عز وجل: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [1] [آية: ٦٥] يقول لكفار مكة: وما يشعرون متى يبعثون بعد الموت لأنهم يكفرون بالبعث.

﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [2] يقول: علموا فى الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه، وعموا عنه فى الدنيا، ﴿بَلْ هُمْ﴾ اليوم ﴿فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ يعنى من الساعة ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [آية: ٦٦] فى الدنيا. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَئِنَّا

---

(١) انظر: (الكشاف ١٥٦/٣، البحر المحيط ٩٢/٧، الرازى ٢١١/٢٤، الآلوسى ١٣/٢٠)، «وقال: هى لغة بنى سليم».

(٢) انظر: (الكشاف ١١٦/٣، البحر المحيط ٩٢/٧، العكبرى ٩٤/٢، مجمع البيان ٢٣٠/٧، النحاس ٥٣١/٢).

﴿لَمُخۡرَجُونَ﴾ [آية: ٦٧] من القبور أحياء نزلت فى أبى طلحة، وشيبة، ومشافع، وشرحبيل، والحارث وأبوه، وأرطأة بن شرحبيل، ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا﴾ الذى يقول محمد ﷺ يعنون البعث ﴿نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ﴾ يعنون من قبلنا ﴿إِنۡ هَٰذَآ﴾ الذى يقول محمد ﷺ: ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٦٨] يعنى أحاديث الأولين وكذبهم.

﴿قُلۡ﴾ لكفار مكة: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [آية: ٦٩] يعنى كفار الأمم الخالية كيف كان عاقبتهم فى الدنيا الهلاك، يخوف كفار مكة مثل عذاب الأمم الخالية، لئلا يكذبوا محمدًا ﷺ وقد رأوا هلاك قوم لوط، وعاد، وثمود.

ثم قال للنبى ﷺ: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ يعنى على كفار مكة إن تولوا عنك، ولم يجيبوك، ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [آية: ٧٠] يقول: لا يضيق صدرك بما يقولن هذا دأبنا ودأبك أيام الموسم، وهم الخراصون وهم المستهزءون.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ يعنون العذاب، ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٧١] يعنى النبى ﷺ وحده بأن العذاب نازل بنا، ﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ [1] يعنى قريب لكم ﴿بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ [آية: ٧٢] فكان بعض العذاب القتل ببدر، وسائر العذاب لهم فيما بعد الموت.

ثم قال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعنى على كفار مكة حين لا يعجل عليهم العذاب حين أرادوه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ يعنى أكثر أهل مكة ﴿لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [آية: ٧٣] الرب عز وجل فى تأخير العذاب عنهم، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ﴾ [2] يعنى ما تسر قلوبهم، ﴿وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ [آية: ٧٤] بألسنتهم.

﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ﴾ يعنى علم غيب ما يكون من العذاب ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وذلك حين استعجلوه بالعذاب ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٧٥] يقول: إلا هو بين فى اللوح المحفوظ.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ

---

(١) انظر: (الكشاف ٣/١٥٨، العكبرى ٢/٩٥، الرازى ٢٤/٢١٤، البحر المحيط ٧/٩٥).

(٢) انظر: (مختصر شواذ القراءات ١١٠، الإتحاف ٣٣٩، القرطبى ١٣/٢٣٠، الكشاف ٣/١٥٨، العكبرى ٢/٩٥، البحر المحيط ٧/٩٥).

ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ﴾ يعنى فى القرآن ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ٧٦] يقول: هذا القرآن مبين لأهل الكتاب اختلافهم، ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب لمن آمن به، فذلك قوله عز وجل: ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٧٧] بالقرآن أنه من ربك، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ يعنى بين بنى إسرائيل ﴿بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٧٨].

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يعنى فثق بالله عز وجل، وذلك حين دعى إلى ملة آبائه فأمره أن يثق بالله عز وجل ولا يهوله قول أهل مكة، ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [آية: ٧٩] يعنى على الدين البين وهو الإسلام، ثم ضرب لكفار مكة مثلاً، فقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فى النداء، فشبه كفار مكة بالأموات كما لا يسمع الميت النداء، كذلك لا تسمع الكفار النداء، ولا تفقهه، ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [آية: ٨٠] يقول: إن الأصم إذا ولى مدبرًا، ثم ناديته لم يسمع الدعاء، وكذلك الكافر لا يسمع الإيمان إذا دعى إليه.

ثم قال عز وجل للنبى ﷺ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾ إلى الإيمان ﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ يعنى عن كفرهم ﴿إِن تُسْمِعُ﴾ يقول: ما تسمع الإيمان ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ إلا من يصدق بالقرآن أنه من الله عز وجل، ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آية: ٨١] يقول: فهم مخلصون بتوحيد الله عز وجل.

﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: إذا نزل العذاب بهم ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ تخرج من الصفا الذى بمكة ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ (١) بالعربية تقول: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ يعنى كفار مكة ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعنى بخروج الدابة ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٨٢] هذا قول الدابة للناس: إن الناس بخروجى لا يوقنون، لأن خروجها آية من آيات الله عز وجل،

---

(١) انظر: (الفراء ٢/٣٠٠، الطبرى ٢٠/١١، القرطبى ١٣/٢٣٨، الكشاف ٣/١٦٠، النحاس ٢/٥٣٥، العكبرى ٢/٩٥، مجمع البيان ٧/٢٣٢، الرازى ٢٤/٢١٨).

فإذا رآها الناس كلهم عادت إلى مكانها من حيث خرجت لها أربع قوائم، وزغب، وريش، ولها جناحان، واسمها أفضى، فإذا خرجت بلغ رأسها السحاب.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ يعنى زمرًا ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [آية: ٨٣] يعنى فهم يساقون إلى النار ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي﴾ يعنى بالساعة ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ أنها باطل ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٨٤].

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ يعنى ونزل العذاب بهم ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ يعنى بما أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ [آية: ٨٥] يعنى لا يتكلمون فيها، ثم وعظ كفار مكة ليعتبروا فى صنعه فيوحدوه عز وجل، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ يقول: إن فيهما لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٨٦] يعنى لقوم يصدقون بتوحيد الله عز وجل.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ﴾ يقول: فمات ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ من شدة الخوف والفزع، ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ يعنى جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، عليهم السلام، ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (١) [آية: ٨٧] يعنى وكل البر والفاجر أتوه فى الآخرة صاغرين.

---

(١) انظر: (القرطبى ١٣/٢٤١، الكشاف٢٤/٢٢٠، الرازى ٣/١٦١).

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ يعنى تحسبها مكانها ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ فتستوى فى الأرض ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ﴾ يعنى الذى أحكم ﴿كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٨٨] يعنى إنه خبير بما فعلتم، نظيرها فى الروم.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ فى الآخرة يعنى بلا إله إلا الله ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ فيها تقديم يقول له: منها خير ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [آية: ٨٩].

حدثنى الهذيل، عن مقاتل، عن ثابت البنانى، عن كعب بن عجرة، عن النبى ﷺ فى قوله عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ قال: «هذه تنجى، وهذه تردى».

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ يعنى بالشرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ ثم تقول لهم خزنة جهنم: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٩٠] من الشرك ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ يعنى مكة ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ من القتل والسبى وحرم فيها الصيد وغيره، فلا يستحل فيها ما لا ينبغى ﴿وَلَهُۥ﴾ ملك ﴿كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ٩١] يعنى من المخلصين بالتوحيد ﴿وَ﴾ أمرت ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ عليكم يا أهل مكة ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان بالقرآن مثلها فى الزمر، ﴿فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [آية: ٩٢] يعنى من المرسلين يعنى أنا كأحد الرسل.

﴿وَقُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى العذاب فى الدنيا ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ أنها حق، وذلك أن النبى ﷺ أخبرهم بالعذاب أنه نازل بهم فكذبوه، فنزلت: ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى القتل ببدر إذا نزل بكم فلا تستعجلون، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٩٣] هذا وعيد، فعذبهم الله عز وجل بالقتل، وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجل الله بأرواحهم إلى النار.

* * *

سُورَةُ القَصَصِ

مكية

وفيها من المدنى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِى الْجَاهِلِينَ﴾ [الآيات: ٥٢ - ٥٥].

وفيها آية ليست بمكية ولا مدنية قوله: ﴿إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [آية: الآية: ٨٥] نزلت بالجحفة أثناء الهجرة.

وعداد آياتها ثمان وثمانون آية كوفية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿طسٓمٓ﴾ [آية: ١] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعنى القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ [آية: ٢] يعنى بين ما فيه ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ﴾ يعنى نقرأ عليك يا محمد ﴿مِن نَّبَإِ﴾ يعنى من حديث ﴿مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ اسمه فيطوس ﴿بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٣] يعنى يصدقون بالقرآن.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾

ثم أخبر عن فرعون، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ يعنى تعظم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا﴾ يعنى من أهل مصر ﴿شِيَعًا﴾ يعنى أحزابًا ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ يعنى من أهل مصر يستضعف بنى إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ﴾ يعنى يقتل ﴿أَبْنَآءَهُمْ﴾ يعنى أبناء بنى إسرائيل ﴿وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ يقول: ويترك بناتهم

فلا يقتلهن، وكان جميع من قتل من بنى إسرائيل، ثمانية عشر طفلاً ﴿إِنَّهُۥ﴾ يعنى فرعون ﴿كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آية: ٤] يعنى كان يعمل فى الأرض بالمعاصى.

يقول الله عز وجل: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ يقول: نريد أن ننعم ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ يعنى بنى إسرائيل حين أنجاهم من آل فرعون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ يعنى قادة فى الخير، يقتدى بهم فى الخير ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [آية: ٥] لأرض مصر بعد هلاك فرعون.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى فى أرض مصر ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ القبط ﴿مِنْهُم﴾ يعنى من بنى إسرائيل ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [آية: ٦] من مولود بنى إسرائيل أن يكون هلاكهم فى سببه، وهو موسى ﷺ، وذلك أن الكهنة أخبروا فرعون أنه يولد فى هذه السنة مولود فى بنى إسرائيل يكون هلاكك فى سببه، فجعل فرعون على نساء بنى إسرائيل قوابل من نساء أهل مصر، وأمرهن أن يقتلن كل مولود ذكر يولد من بنى إسرائيل مخافة ما بلغه، فلم يزل الله عز وجل بلطفه يصنع لموسى، عليه السلام، حتى نزل بآل فرعون من الهلاك ما كانوا يحذرون، وملك فرعون أربع مائة سنة، وستة وأربعين سنة.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ واسمها يوكابد من ولد لاوى بن يعقوب ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [1] فأمرها جبريل، عليه السلام، بذلك ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ القتل وكانت

---

(١) انظر: (القرطبى ١٣/٢٥٠، البحر المحيط ٧/١٠٥).

أرضعته ثلاثة أشهر، وكان خوفها أنه كان يبكى من قلة اللبن، فيسمع الجيران بكاء الصبى، فقال: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ يعنى فى البحر، وهو بحر النيل، فقالت: رب، إنى قد علمت أنك قادر على ما تشاء، ولكن كيف لى أن ينجو صبى صغير من عمق البحر، وبطون الحيتان، فأوحى الله عز وجل إليها أن تجعله فى التابوت، ثم تقذفه فى اليم، فإنى أوكل به ملك يحفظه فى اليم، فصنع لها التابوت حزقيل القبطى، ووضعت موسى فى التابوت، ثم ألقته فى البحر يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَخَافِى﴾ عليه الضيعة ﴿وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ عليه القتل ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ٧] إلى مصر فصدقت، بذلك ففعل الله عز وجل ذلك به، وبارك الله تعالى على موسى، عليه السلام، وهو فى بطن أمه ثلاث مائة وستين بركة.

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ من البحر من بين الماء والشجر، وهو فى التابوت، فمن ثم سمى موسى، بلغة القبط الماء: مو، والشجر: سى، فسموه موسى، ثم قال تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ فى الهلاك ﴿وَحَزَنًا﴾ يعنى وغيظًا فى قتل الأبكار، فذلك قوله عز وجل: ﴿**وإنهم لنا لغائظون**﴾ [الشعراء: ٥٥] لقتلهم أبكارنا، ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [آية: ٨].

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ واسمها آسية بنت مزاحم، عليها السلام: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ﴾ فإنا أتينا به من أرض أخرى، وليس من بنى إسرائيل، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ فنصيب منه خيرًا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ يقول الله عز وجل: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية: ٩] أن هلاكهم فى سببه.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ [1] وذلك أنها رأت التابوت يرفعه موج ويضعه آخر، فخشيت عليه الغرق، فكادت تصيح شفقة عليه، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ يقول: إن همت لتشعر أهل مصر بموسى، عليه السلام، أنه ولدها ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بالإيمان ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٠] يعنى من المصدقين بتوحيد الله عز وجل، حين قال لها: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَقَالَتْ﴾ أم موسى ﴿لِأُخْتِهِۦ﴾ يعنى أخت موسى لأبيه وأمه، واسمها مريم: ﴿قُصِّيهِ ۖ﴾ يعنى قصى أثره فى البحر، وهو فى التابوت يجرى فى الماء، حتى تعلمى

(١) انظر: (الفراء ٣٠٣/٢، القرطبى ٢٥٥/١٣، البحر المحيط ١٠٧/٧، مجمع البيان ٢٤٠/٧).

علمه من يأخذه ﴿فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ﴾[1] يعنى كأنها مجانبة له بعيدًا من أن ترقبه كقوله تعالى: ﴿والجار الجنب﴾ [النساء: ٣٦] يعنى بعيدًا منهم من قوم آخرين، وعينها إلى التابوت معرضة بوجهها عنه إلى غيره، ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ١١] أنها ترقبه.

﴿۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ﴾ أن يصير إلى أمه، وذلك أنه لم يقبل ثدى امرأة ﴿فَقَالَتۡ﴾ أخته مريم: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ﴾ يعنى يضمنون لكم رضاعه، ﴿وَهُمۡ لَهُۥ﴾ للولد ﴿نَٰصِحُونَ﴾ [آية: ١٢] هن أشفق عليه وأنصح له من غيره، فأرسل إليها فجاءت، فلما وجد الصبى ريح أمه قبل ثديها.

فذلك قوله عز وجل: ﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ لقوله: ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ يعنى أهل مصر ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ١٣] بأن وعد الله عز وجل حق.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ﴾ موسى ﴿أَشُدَّهُۥ﴾ يعنى لثمانى عشرة سنة، ﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ يعنى أربعين سنة، ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ يقول: أعطيناه علمًا وفهمًا، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ١٤] يقول: هكذا نجزى من أحسن ، يعنى من آمن بالله عز وجل، وكان بقرية تدعى خانين على رأس فرسخين، فأتى المدينة فدخلها نصف النهار.

فذلك قوله عز وجل: ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ﴾ يعنى القرية ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾ يعنى نصف النهار، وقت القائلة، ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ﴾ كافرين ﴿يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ يعنى هذا من جنس موسى، من بنى إسرائيل ﴿وَهَٰذَا﴾ الآخر ﴿مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ﴾ من القبط، ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ بكفه مرة واحدة، ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ الموت، وكان موسى، عليه السلام، شديد البطش، ثم ندم موسى، عليه السلام، فقال: إنى لم أومر بالقتل، ﴿قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾ يعنى من تزيين الشيطان ﴿إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ١٥].

---

(١) انظر: (القرطبى ١٣/٢٥٧، الكشاف ٣/١٦٧، الرازى ٢٢/٢٣٠، البحر المحيط ٧/١٠٧).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ يعنى أضررت نفسى بقتل النفس، ﴿فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٦] بخلقه ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ يقول: إذ أنعمت على بالمغفرة، فلم تعاقبنى بالقتل، ﴿فَلَنْ﴾ أعود أن ﴿أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ١٧] يعنى معينًا للكافرين، فيما بعد اليوم، لأن الذى نصره موسى كان كافرًا.

﴿فَأَصْبَحَ﴾ موسى من الغد ﴿فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ يعنى ينتظر الطلب، ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ يعنى يستغيثه ثانية على رجل آخر كافر من القبط، ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ﴾ للذى نصره بالأمس، الإسرائيلى: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٨] يقول: إنك لمضل مبين قتلت أمس فى سببك رجلاً.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾ الثانية بالقبطى ﴿بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ يعنى عدوًا لموسى وعدوًا للإسرائيلى، ظن الإسرائيلى أن موسى يريد أن يبطش به لقول موسى له: ﴿**إنك لغوى مبين**﴾ ﴿قَالَ﴾ الإسرائيلى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ﴾ يعنى ما تريد ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا﴾ يعنى قتالاً ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مثل سيرة الجبابرة القتل فى غير حق ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [آية: ١٩] يعنى من المطيعين لله عز وجل فى الأرض، و لم يكن أهل مصر علموا بالقاتل، حتى أفشى الإسرائيلى على موسى، فلما سمع القبطى بذلك انطلق، فأخبرهم أن موسى هو القاتل، فائتمروا بينهم بقتل موسى.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ

فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ فجاء حزقيل بن صابوث القبطى، وهو المؤمن ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ يعنى أقصى القرية ﴿يَسْعَىٰ﴾ على رجليه، فـ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ من أهل مصر ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ بقتلك القبطى، ﴿فَٱخْرُجْ﴾ من القرية ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [آية: ٢٠].

﴿فَخَرَجَ﴾ موسى، عليه السلام، ﴿مِنْهَا﴾ من القرية ﴿خَآئِفًا﴾ أن يقتل ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ يعنى ينتظر الطلب، وهو هارب منهم ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٢١] يعنى المشركين، أهل مصر، فاستجاب الله عز وجل له، فأتاه جبريل، عليه السلام، فأمره أن يسير تلقاء مدين، وأعطاه العصا، فسار من مصر إلى مدين فى عشرة أيام بغير دليل.

فذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ بغير دليل خشى أن يضل الطريق ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [آية: ٢٢] يعنى يرشدنى قصد الطريق إلى مدين فبلغ مدين. فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ ابن إبراهيم خليل الرحمن لصلبه، عليهم السلام، وكان الماء لمدين فنسب إليه، ثم قال: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ يقول: وجد موسى على الماء جماعة ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ أغنامهم، ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ يعنى حابستين الغنم لتسقى فضل ماء الرعاء، وهما ابنتا شعيب النبى ﷺ، واسم الكبرى صبورا، واسم الصغرى عبرا، وكانتا توأمتين، فولدت الأولى قبل الأخرى بنصف نهار، ﴿قَالَ﴾ لهما موسى: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ يعنى ما أمركما، ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى﴾ الغنم ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ بالغنم راجعة من الماء إلى الرعى، فنسقى فضلتهم ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [آية: ٢٣] لا يستطيع أن يسقى الغنم من الكبر، فقال لهما موسى، عليه السلام: أين الماء؟ فانطلقا به إلى الماء، فإذا الحجر على رأس البئر لا

يزيله إلا عصابة من الناس، فرفعه موسى، عليه السلام، وحده بيده، ثم أخذ الدلو، فأدلى دلوًا واحدًا، فأفرغه فى الحوض، ثم دعا بالبركة.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ الغنم، فرويت ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾ يعنى انصرف ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ ظل شجرة، فجلس تحتها من شدة الحر وهو جائع، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [آية: ٢٤] يعنى إلى الطعام، فرجعت الكبيرة إلى موسى لتدعوه.

فذلك قوله عز وجل: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾[1] يعنى الكبرى ﴿تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ يعنى على حياء، وهى التى تزوجها موسى، عليه السلام، فـ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ وبين موسى وبين أبيها ثلاثة أميال، فولا الجوع الذى أصابه ما اتبعها، فقام يمشى معها، ثم أمرها أن تمشى خلفه وتدله بصوتها على الطريق كراهية أن ينظر إليها، وهما على غير جادة، يقول: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾: فلما أتى موسى شعيبًا، عليهما السلام، ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ﴾ يعنى على شعيب ﴿ٱلْقَصَصَ﴾ الذى كان من أمره أجمع، أمر القوابل اللائى قتلن أولاد بنى إسرائيل، وحين ولد وحين قذف فى التابوت فى اليم، ثم المراضع بعد التابوت، حتى أخبره بقتل الرجل من القبط، ﴿قَالَ﴾ له شعيب: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٢٥] يعنى المشركين.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وهى الكبرى ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ﴾ يقول: إن الذى استأجرت هو ﴿ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [آية: ٢٦] قال شعيب لابنته: من أين علمت قوته؟ وأمانته؟ قالت: أزال الحجر وحده عن رأس البئر، وكان لا يطيقه إلا رجال، وذكرت أنه أمرها أن تمشى خلفه كراهية أن ينظر إليها.

فـ﴿قَالَ﴾ شعيب لموسى، عليهما السلام: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ﴾ يعنى أن أزواجك إحد ابنتى ﴿هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾ نفسك ﴿ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ يعنى عشر سنين، ﴿فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ فى العشر ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ٢٧] يعنى من الرافقين بك، كقول موسى لأخيه هارون: ﴿**اخلفنى فى قومى وأصلح**﴾ [آية: الأعراف: ١٤٢] يعنى وارفق بهم، فى سورة الأعراف.

(١) انظر: (البحر المحيط ٧/١١٤، غيث النفع ٣١٦، الآلوسى ٢٠/٦٤).

﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ﴾ (١) ثمانى سنين، أو عشر سنين، ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ﴾ يعنى فلا سبيل ﴿عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ [آية: ٢٨] يعنى شهيد فيما بيننا، كقوله عز وجل: ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ [النساء: ٨١]، يعنى شهيدًا، فأتم موسى، عليه السلام، عشر سنين على أن يزوج ابنته الكبرى اسمها صبورا بنت شعيب بن نويب بن مدين بن إبراهيم.

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٣٠) وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ (٣١) ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ (٣٢)﴾

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ﴾ السنين العشر، ﴿وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾ ليلة الجمعة ﴿ءَانَسَ﴾ يعنى رأى ﴿مِن جَانِبِ﴾ يعنى من ناحية ﴿ٱلطُّورِ﴾ يعنى الجبل ﴿نَارٗا﴾ وهو النور بأرض المقدسة، فـ﴿قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ مكانكم ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ يقول: إن رأيت نارًا ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ أين الطريق وكان قد تحير ليلاً، فإن لم أجد من يخبرنى، ﴿أَوۡ جَذۡوَةٖ﴾ يعنى آتيكم بشعلة، وهو عود قد احترق بعضه ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ﴾ يعنى لكى ﴿تَصۡطَلُونَ﴾ [آية: ٢٩] من البرد، فترك موسى، عليه السلام، امرأته وولده فى البرية بين مصر ومدين، ثم استقام فذهب بالرسالة، فأقمت امرأته مكانها ثلاثين سنة فى البرية مع ولدها وغنمها، فمر بها راع فعرفها، وهى حزينة تبكى، فانطلق بها إلى أبيها.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ أتى النار ﴿نُودِيَ﴾ ليلاً ﴿مِن شَٰطِيِٕ﴾ يعنى من جانب، يعنى من الناحية ﴿ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ يعنى يمين الجبل ﴿فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ﴾ والمباركة، لأن الله عز وجل كلم موسى، عليه السلام، فى تلك البقعة نودى ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ وهى

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣٤٢، القرطبى ١٣/٢٧٩، الكشاف ٣/١٧٤، مجمع البيان ٧/٢٤٩، البحر المحيط ٧/١٢٥).

عوسجة، وكان حول العوسجة شجر الزيتون، فنودى ﴿أَن يَـٰمُوسَىٰٓ﴾ فى التقديم ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ الذى ناديتك ﴿رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آية: ٣٠] هذا كلامه عز وجل لموسى، عليه السلام.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ وهى ورق الآس أس الجنة من يدك ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ يقول: كأنها حية لم تزل. قال الهذيل، عن غير مقاتل: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ يعنى شيطان ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ من الرهب من الحية، يعنى من الخوف، فيها تقديم ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يعنى ولم يرجع، قال سبحانه: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ من الحية ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ﴾ [آية: ٣١] من الحية.

﴿ٱسْلُكْ﴾ يعنى ادخل ﴿يَدَكَ﴾ اليمنى ﴿فِى جَيْبِكَ﴾ فجعلها فى جيبه من قبل الصدر، وهى مدرعة من صوف مضربة ﴿تَخْرُجْ﴾ يدك من الجيب ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ يعنى من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس، يغشى البصر ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ يعنى عضدك من يدك ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ يعنى آيتين من ربك يعنى اليد والعصا ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى عاصين.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [آية: ٣٣] ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ يعنى عونًا لكى ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ وهارون يومئذ بمصر لكى يصدقنى فرعون ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [آية: ٣٤].

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ يعنى ظهرك بأخيك هارون ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا﴾ يعنى حجة بآياتنا، يعنى اليد والعصا، فيها تقديم ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بقتل، يعنى فرعون وقومه لقولهما فى طه: ﴿**إننا نخاف أن يفرط علينا بالقاتل أو أن يطغى**﴾،

فذلك قوله سبحانه: ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾ ﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [آية: ٣٥].

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ اليد والعصا ﴿ بَيِّنَٰتٍ ﴾ يعنى واضحات التى فى طـه والشعراء، ﴿ قَالُواْ مَا هَٰذَآ ﴾ الذى جئت به يا موسى، ﴿ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ﴾ افتريته يا موسى، أنت تقولته وهارون ﴿ وَ ﴾ قالوا: ﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [آية: ٣٦] يعنى اليد والعصا.

﴿ وَ ﴾ لما كذبوه بما جاء به ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ ﴾ فإنى جئت بالهدى من عند الله عز وجل، ﴿ وَ ﴾ هو أعلم بـ ﴿ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾ يعنى دار الجنة ألنا أو لكم؟ ثم قال: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [آية: ٣٧] فى الآخرة لا يفوز المشركون، يعنى لا يسعدون.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ ﴾ يعنى الأشراف من قومه ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ هذا القول من فرعون كفر ﴿ فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا ﴾ يقول: أوقد النار على الطين حتى يصير اللبن أجرًا، وكان فرعون أول من طبخ الأجر وبناه، ﴿ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا ﴾ يعنى قصرًا طويلاً، ﴿ لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ فبنى، وكان ملاطة خبث القوارير، فكان الرجل لا يستطيع القيام عليه مخافة أن تنسفه الريح، ثم قال فرعون: فاطلع إلى إله موسى ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ ﴾ يقول: إنى لأحسب موسى ﴿ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آية: ٣٨] بما يقول: إن فى السماء إلهًا.

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ فرعون ﴿ هُوَ وَجُنُودُهُۥ ﴾ عن الإيمان ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ يعنى بالمعاصى ﴿ وَظَنُّوٓاْ ﴾ يقول: وحسبوا ﴿ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ [آية: ٣٩] أحياء بعد الموت فى الآخرة.

يقول الله عز وجل: ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ يعنى فقذفناهم فى نهر النيل الذى بمصر ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آية: ٤٠] يعنى المشركين، أهل مصر كان عاقبتهم الغرق، ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ يعنى قادة فى الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ يعنى يدعون إلى الشرك، وجعل فرعون والملأ قادة الشرك، وأتبعناهم أهل مصر ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آية: ٤١] يعنى لا يمنعون من العذاب ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ يعنى الغرق ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فى النار ﴿هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [آية: ٤٢].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا﴾ بالعذاب فى الدنيا ﴿ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ يعنى نوحًا، وعادًا، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وقوم شعيب، وغيرهم كانوا قبل موسى، ثم قال عز وجل: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: فى هلاك الأمم الخالية بصيرة لبنى إسرائيل، ﴿وَهُدًى﴾ يعنى التوراة هدى من الضلالة لمن عمل بها، ﴿وَرَحْمَةً﴾ لم آمن بها من العذاب ﴿لَّعَلَّهُمْ﴾ يعنى لكى ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٤٣] فيؤمنوا بتوحيد الله، عز وجل.

﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ﴾ يعنى بناحية، كقوله عز وجل: ﴿**جانب البر**﴾ [الإسراء: ٦٨] يعنى ناحية البر ﴿ٱلْغَرْبِىِّ﴾ بالأرض المقدسة، والغربى، يعنى غربى الجبل حيث تغرب الشمس ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ يقول: إذ عهدنا إلى موسى الرسالة إلى فرعون وقومه، ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ [آية: ٤٤] لذلك الأمر.

﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا ﴾ يعنى خلفنا قرونًا، ﴿ فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا ﴾ يعنى شاهدًا ﴿ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾ يعنى تشهد مدين، فتقرأ على أهل مكة أمرهم ﴿ وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴾ [آية: ٤٥] يعنى أرسلناك إلى أهل مكة لتخبرهم بأمر مدين.

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ ﴾ يعنى بناحية من الجبل الذى كلم الله عز وجل عليه موسى، عليه السلام، ﴿ إِذۡ نَادَيۡنَا ﴾ يعنى إذ كلمنا موسى، وآتيناه التوراة ﴿ وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ ﴾ يقول: ولكن القرآن رحمة، يعنى نعمة من ربك النبوة اختصصت بها، إذ أوحينا إليك أمرهم لتعرف كفار نبوتك، فذلك قوله: ﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا ﴾ يعنى أهل مكة بالقرآن ﴿ مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ ﴾ يعنى رسولاً ﴿ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ ﴾ يعنى لكى ﴿ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [آية: ٤٦] فيؤمنوا.

﴿ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ ﴾ يعنى العذاب فى الدنيا ﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ من المعاصى، يعنى كفار مكة ﴿ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ ﴾ يعنى القرآن ﴿ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [آية: ٤٧] يعنى المصدقين، فيها تقديم، يقول: لولا أن يقولوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك، ونكون من المؤمنين لأصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ ﴾ يعنى القرآن ﴿ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ ﴾ يعنى هلا ﴿ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ ﴾ يعنى أعطى محمد ﷺ القرآن جملة مكتوبة كما أعطى موسى التوراة ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ ﴾ قرآن محمد ﷺ ﴿ قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا ﴾ يعنون التوراة والقرآن، ومن قرأ «ساحران» يعنى موسى ومحمدًا، صلى الله عليهما، «تظاهرا»، يعنى تعاونا على الضلالة، يقول: صدق كل واحد منهما الآخر، ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلّٖ كَٰفِرُونَ ﴾ [آية: ٤٨] يعنى بالتوراة وبالقرآن لا نؤمن بهما.

﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

يقول الله عز وجل لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ﴾ لأهله ﴿مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آية: ٤٩] بأنهما ساحران تظاهرا ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ فإن لم يفعلوا: أن يأتوا بمثل التوراة والقرآن ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ بغير علم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ يقول: فلا أحد أضل ﴿مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آية: ٥٠] إلى دينه عز وجل.

﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ يقول: ولقد بينا لكفار مكة ما فى القرآن من الأمم الخالية، كيف عذبوا بتكذيبهم رسلهم، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يعنى لكى ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٥١] فيخافوا فيؤمنوا.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعنى أعطيناهم الإنجيل ﴿مِن قَبْلِهِ﴾ يعنى القرآن ﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٥٢] يعنى هم بالقرآن مصدقون بأنه من الله عز وجل نزلت فى مسلمى أهل الإنجيل، وهم أربعون رجلاً من أهل الإنجيل، أقبلوا من الشام بحيرى، وأبرهة، والأشرف، ودريد، وتمام، وأيمن، وإدريس، ونافع.

فنعتهم الله عز وجل، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ آياتنا، يقول: وإذا قرئ عليهم القرآن ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ يعنى صدقنا بالقرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [آية: ٥٣] يقول: إنا كنا من قبل هذا القرآن مخلصين لله عز وجل بالتوحيد.

يقول الله عز وجل: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ أجرًا بتمسكهم بالإسلام حين أدركوا محمدًا ﷺ، فآمنوا به، وأجرهم بالإيمان بالنبى ﷺ، فلما اتبعوا النبى ﷺ شتمهم كفار قومهم فى متابعة النبى ﷺ، فصفحوا عنهم وردوا معروفًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ ما سمعوا من قومهم من الأذى ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الأموال ﴿يُنفِقُونَ﴾ [آية: ٥٤] فى طاعة الله عز وجل.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ من قومهم، يعنى من الشر والشتم والأذى، ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ يعنى عن اللغو، فلم يردوا عليهم مثل ما قيل لهم، ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ يعنى لنا ديننا ولكم دينكم، وذلك حين عيروهم بترك دينهم، وقالوا لكفار قومهم: ﴿سَلَامٌ

﴿عَلَيْكُمْ﴾ يقول: ردوا عليهم معروفًا ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [آية: ٥٥] يعنى لا نريد أن تكون مع أهل الجهل والسفه.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ وذلك أن أبا طالب بن عبد المطلب، قال: يا معشر بنى هاشم، أطيعوا محمدًا ﷺ، وصدقوه تفلحوا وترشدوا، قال النبى ﷺ: «يا عم، تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك»، قال: فما تريد يا ابن أخى؟ قال: «أريد منك كلمة واحدة، فإنك فى آخر يوم من الدنيا، أن تقول: لا إله إلا الله، أشهد لك بها عند الله» عز وجل، قال: يا ابن أخى، قد عملت أنك صادق، ولكنى أكره أن يقال: جزع عند الموت، ولولا أن يكون عليك، وعلى بنى أبيك غضاضة وسبة لقلتها، ولأقررت بعينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك، ولكن سوف أموت على ملة أشياخ عبد المطلب، وهاشم وعبد مناف، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ إلى الإسلام ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [آية: ٥٦] يقول: وهو أعلم بمن قدر له الهدى.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ نزلت فى الحارث بن نوفل بن عبد مناف القرشى، وذلك أنه قال للنبى ﷺ: إنا لنعلم أن الذى تقول حق، ولكنا يمنعنا أن نتبع الهدى معك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا، يعنى مكة، فإنما نحن أكلة رأس العرب، ولا طاقة لنا بهم، يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ يحمل إلى الحرم ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يعنى بكل شىء من ألوان الثمار ﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ يعنى من عندنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعنى أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٥٧] يقول: هم يأكلون رزقى ويعبدون غيرى، وهم آمنون فى الحرم من القتل والسبى،

فكيف يخافون لو أسلموا أن لا يكون ذلك لهم، نجعل لهم الحرم آمنا فى الشرك ونخوفهم فى الإسلام؟ فإنا لا نفعل ذلك بهم لو أسلموا.

ثم خوفهم عز وجل، فقال سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ يقول: بطروا وأشروا يتقلبون فى رزق الله عز وجل، فلم يشكروا الله تعالى فى نعمه فأهلكهم بالعذاب ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ﴾ يعنى من بعد هلاك أهلها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من المساكن فقد يسكن فى بعضها ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [آية: ٥٨] لما خلفوا من بعد هلاكهم يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية حين قالوا: نتخوف أن نتخطف من مكة.

ثم قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ يعنى معذب أهل القرى الخالية ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾ يعنى فى أكبر تلك القرى رسولاً، وهى مكة ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ يقول: يخبرهم الرسول بالعذاب بأنه نازل بهم فى الدنيا إن لم يؤمنوا ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ﴾ يعنى معذبى أهل القرى فى الدنيا ﴿إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [آية: ٥٩] يقول: إلا وهم مذنبون، يقول: لم نعذب على غير ذنب.

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠) أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦١) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٤) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (٦٦) فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (٦٧) وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠)﴾

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ يقول: وما أعطيتم من خير، يعنى به كفار مكة ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ يقول: تمتعون فى أيام حياتكم، فمتاع الحياة الدنيا وزينتها إلى فناء

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ يعنى أفضل وأدوم لأهله مما أعطيتم فى الدنيا ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٦٠] أن الباقى خير من الفانى الذاهب.

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ﴾ يعنى أفمن وعده الله عز وجل، يعنى النبى ﷺ فى الدنيا ﴿وَعْدًا حَسَنًا﴾ يعنى الجنة ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ فهو معاينه يقول: مصيبة ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالمال ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [آية: ٦١] النار، يعنى أبا جهل بن هشام، لعنه الله، ليسا بسواء، نظيرها فى الأنعام.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ يعنى كفار مكة ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [آية: ٦٢] فى الدنيا أن معى شريكًا ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ يعنى وجب عليهم كلمة العذاب وهم الشياطين، حق عليهم القول يوم قال الله تعالى وذكره، لإبليس: ﴿**لأملأن جهنم منكم أجمعين**﴾ [الأعراف: ١٨]، فقالت الشياطين فى الآخرة: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ يعنون كفار بنى آدم، يعنى هؤلاء الذين أضللناهم كما ضللنا ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ منهم يا رب ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [آية: ٦٣] فتبرأت الشياطين ممن كان يعبدها.

﴿وَقِيلَ﴾ لكفار بنى آدم ﴿ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ يقول سلوا الآلهة: أهم الآلهة؟ ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ يقول: سألوهم فلم تجبهم الآلهة، نظيرها فى الكهف. يقول الله تعالى: ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ [آية: ٦٤] من الضلالة يقول: لو أنهم كانوا مهتدين فى الدنيا ما رأوا العذاب فى الآخرة.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ يقول: ويوم يسألهم، يعنى كفار مكة يسألهم الله عز وجل، ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ٦٥] فى التوحيد ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ يعنى الحجج ﴿يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [آية: ٦٦] يعنى لا يسأل بعضهم بعضًا عن الحجج، لأن الله تعالى ادحض حجتهم، وأكل ألسنتهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ يعنى وصدق بتوحيد الله عز وجل، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ﴾ والعسى من الله عز وجل واجب ﴿أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ [آية: ٦٧].

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ وذلك أن الوليد قال فى «حم» الزخرف: ﴿**لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**﴾ [الزخرف: ٣١] يعنى نفسه، وأبا مسعود الثقفى، فذلك قوله سبحانه: ﴿**ويختار**﴾ أى للرسالة والنبوة من يشاء، فشاء

جل جلاله، لأن يجعلها فى النبى ﷺ، وليست النبوة والرسالة بأيديهم، ولكنها بيد الله عز وجل، ثم قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ من أمرهم، ثم نزه نفسه تبارك وتعالى عن قول الوليد حين قال: ﴿**أجعل**﴾ محمد ﷺ ﴿**الآلهة إلها واحدًا إن هذا لشىء عجاب**﴾ [ص: ٥]، فكفر بتوحيد الله عز وجل، فأنزل الله سبحانه ينزه نفسه عز وجل عن شركهم، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ﴾ يعنى وارتفع ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٦٨] به غيره عز وجل.

ثم قال عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ يعنى ما تسر قلوبهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [آية: ٦٩] بألسنتهم، نظيرها فى النمل، ثم وحد الرب نفسه تبارك وتعالى حين لم يوحده كفار مكة، الوليد وأصحابه.

فقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ يعنى يحمده أولياؤه فى الدنيا ويحمدونه فى الآخرة، يعنى أهل الجنة ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٧٠] بعد الموت فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد، لكفار مكة: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فدامت ظلمته ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ﴾ يعنى بضوء النهار، ﴿أَفَلَا﴾ يعنى أفهلا ﴿تَسْمَعُونَ﴾ [آية: ٧١] المواعظ، و﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ﴾ من النصب ﴿أَفَلَا﴾ يعنى أفهلا ﴿تُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٧٢].

ثم أخبر عن صنعه تعالى ذكره، فقال سبحانه: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟﴾ يعنى لتستقروا ﴿فِيهِ﴾ بالليل من النصب ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ بالنهار ﴿مِن

فَضْلِهِۦ﴾ يعنى الرزق ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٧٣] ربكم فى نعمه، فتوحدوه عز وجل.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ يعنى يسألهم ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [آية: ٧٤] فى الدنيا ﴿وَنَزَعْنَا﴾ يقول: وأخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يعنى رسولها ونبيها يشهد عليها بالبلاغ والرسالة ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم يعنى للكفار: ﴿هَاتُوا۟﴾ هلموا ﴿بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ يعنى حجتكم بأن معى شريكًا، فلم يكن لهم حجة، ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ يعنى التوحيد لله عز وجل، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ فى الآخرة ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٧٥] فى الدنيا بأن مع الله سبحانه شريكًا.

﴿۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

﴿۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ يعنى من بنى إسرائيل، وكان ابن عمه، قارون بن أصهر بن قوهث بن لاوى بن يعقوب، وموسى بن عمران بن قوهث ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: بغى قارون على بنى إسرائيل من أجل كنزه ما له ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ﴾ يعنى وأعطيناه ﴿مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ يعنى من الأموال ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ يعنى خزائنه ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ والعصبة من عشرة نفر إلى أربعين، فإذا كانوا أربعين فهم أولو قوة يقول: لتعجز العصبة أولى القوة عن حمل الخزائن ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ بنو إسرائيل: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ يقول: لا تمرح ولا تبطر ولا تفخر بما أوتيت من الأموال، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [آية: ٧٦] يعنى المرحين البطرين.

﴿وَ﴾ قالوا له: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ يعنى فيما أعطاك الله عز وجل من الأموال والخير، ﴿ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ يعنى دار الجنة، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾ يعنى ولا تترك حظك ﴿مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أن تعمل فيها لآخرتك، ﴿وَأَحْسِن﴾ العطية فى الصدقة

والخير فيما يرضى الله عز وجل، ﴿كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ﴾ بإحسان الله إليك ﴿ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ يقول: لا تعمل فيها بالمعاصى، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [آية: ٧٧].

فرد قارون على قومه حين أمروه أن يطيع الله عز وجل فى ماله، وفيما أمره أن يطيع الله عز وجل فى ماله، وفيما أمره، فـ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ يعنى إنما أعطيته، يعنى المال ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ يقول: على خير علمه الله عز وجل عندى، يقول الله عز وجل: ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ قارون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ﴾ بالعذاب ﴿مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ حين كذبوا رسلهم ﴿مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ﴾ من قارون ﴿قُوَّةً﴾ وبطشًا ﴿وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ﴾ من الأموال، منهم نمروذ الجبار وغيره، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [آية: ٧٨] يقول: ولا يسأل مجرمو هذه الأمة عن ذنوب الأمم الخالية الذين عذبوا فى الدنيا، فإن الله عز وجل قد أحصى أعمالهم الخبيثة وعلمها.

﴿فَخَرَجَ﴾ قارون ﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ﴾ قومه بنى إسرائيل، الزينة، يعنى الشارة الحسنة خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الأرجوان، ومعه آلاف فارس على الخيل عليهم وعلى دوابهم الأرجوان، ومعه ثلاث مائة جارية بيض عليهن الحلى والثياب الحمر على البغال الشهب، فلما نظر المؤمنون إلى تلك الزينة والجمال، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ وهم أهل التوحيد ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ﴾ يعنى مثل ما أعطى ﴿قَٰرُونُ﴾ من الأموال، ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [آية: ٧٩] يقول: إنه لذو نصيب وافر فى الدنيا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ بما وعد الله فى الآخرة للذين تمنوا مثل مما أعطى قارون ﴿وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ﴾ يعنى لمن صدق بتوحيد الله عز وجل، ﴿وَعَمِلَ

صَٰلِحًا﴾ خير مما أوتى قارون فى الدنيا، ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ يعنى الأعمال الصالحة، يعنى ولا يؤتاها ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [آية: ٨٠].

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾ يعنى بقارون، وذلك أن الله عز وجل أمر الأرض أن تطيع موسى، عليه السلام، فأمر موسى الأرض أن تأخذ قارون، فأخذته إلى قدميه، فدعا قارون موسى وذكره الرحم، فأمرها موسى، عليه السلام، أن تبتلعه، فهو يتجلجل فى الأرض كل يوم قامة رجل إلى يوم القيامة، فقالت بنو إسرائيل: إن موسى إنما أهلك قارون حتى يأخذ ماله وداره، فخسف الله عز وجل بعد قارون بثلاثة أيام، بداره وماله الصامت، فانقطع الكلام، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾ يعنى بقارون ﴿وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يقول الله عز وجل: لم يكن لقارون جند يمنعونه من الله عز وجل، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [آية: ٨١] يقول: وما كان قارون من الممتنعين مما نزل به من الخسف.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ بعد ما خسف به ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ يعنى لكن الله ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ يعنى يوسع الرزق على من يشاء، ويقتر على من يشاء، وقالوا: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ يعنى لولا أن الله عز وجل أنعم علينا بالإيمان ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾، ثم قال: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾ يعنى ولكنه ﴿لَا يُفْلِحُ﴾ لا يسعد ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٨٢].

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ يعنى الجنة ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾ يعنى تعظمًا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عن الإيمان بالتوحيد، ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ يقول: ولا يريدون فيها عملاً بالمعاصى، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ فى الآخرة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٨٣] من الشرك فى الدنيا.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ يعنى بكلمة الإخلاص، وهى لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ﴿فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ﴾ فى التقديم، يقول: فله منها خير، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ يعنى الشرك يقول: من جاء فى الآخرة بالشرك، ﴿فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يعنى الذين عملوا الشرك ﴿إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٨٤] من الشرك، فإن جزاء الشرك النار، فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار.

حدثنا محمد، قال: حدثنا أبو القاسم، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن علقمة بن مرثد، قال: ذكر النبى ﷺ، هذه الآية: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ فقال: «هذه تنجى وهذه تردى».

وقال مقاتل: إنه بلغه عن كعب بن عجرة، قال: سمعت النبى ﷺ يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ فهى لا إله إلا الله، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ فهى الشرك، فهذه تنجى، وهذه تردى، قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ وذلك أن النبى ﷺ خرج من الغار ليلاً، ثم هاجر من وجهه ذلك إلى المدينة، فسار فى غير الطريق مخافة الطلب، فلما أمن رجع إلى الطريق، فنزل بالجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة، فاشتاق إليها، وذكر مولده ومولد أبيه، فأتاه جبريل، عليه السلام، فقال: «أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ فقال النبى ﷺ: نعم، فقال جبريل: إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ﴾»، يعنى إلى مكة ظاهرًا عليهم، فنزلت هذه الآية بالجحفة ليست بمكية، ولا مدنية ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ وذلك أن كفار مكة كذبوا محمدًا ﷺ، وقالوا: إنك فى ضلال، فأنزل الله تبارك وتعالى فى قولهم: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ فأنا الذى جئت بالهدى من عند الله عز وجل، ﴿وَ﴾ هو أعلم ﴿وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ٨٥] يقول: أنحن أم أنتم.

﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ﴾ يا محمد ﴿أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ يعنى أن ينزل عليك القرآن يذكره النعم، وقال: ما كان الكتاب ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ﴾ يعنى عز وجل نعمة ﴿مِّن رَّبِّكَۖ﴾ اختصصت بها يا محمد، وذلك حين دعى إلى دين آبائه، فأوحى الله عز وجل إلى النبى ﷺ فى ذلك، فقال: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا﴾ يعنى معينًا ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٨٦] على دينهم.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ كفار مكة ﴿عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى عن إيمان بالقرآن ﴿بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ﴾ الناس ﴿إِلَىٰ﴾ معرفة ﴿رَبِّكَۖ﴾ عز وجل، وهو التوحيد، ثم أوعز إلى

النبى ﷺ وحذره، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ٨٧] وذلك حين دعى إلى دين آبائه.

فحذره الله عز وجل أن يتبع دينهم، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ يقول: ولا تعبد ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾ تعالى ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ فإنه واحد ليس معه شريك، ثم وحد نفسه جل جلاله، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ يقول سبحانه: كل شىء من الحيوان ميت، ثم استثنى نفسه جل جلاله بأنه تعالى حى دائم لا يموت، فقال جل جلاله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ يعنى إلا هو ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يعنى القضاء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٨٨] أحياء فى الآخرة، فيجزيكم عز وجل بأعمالكم.

* * *

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

سورة العنكبوت مكية

ويقال: نزلت بين مكة والمدينة فى طريقه حين هاجر ﷺ، وهى تسع وستون آية كوفية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿الٓمٓ﴾ [آية: ١] ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ نزلت فى مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر، وهو أول من يدعى إلى الجنة من شهداء أمة محمد ﷺ، فجزع عليه أبواه.

وكان الله تبارك وتعالى بين للمسلمين أنه لا بد لهم من البلاء والمشقة فى ذات الله عز وجل، وقال النبى ﷺ يومئذ: «سيد الشهداء مهجع»، وكان رماه عامر بن الحضرمى بسهم فقتله، فأنزل الله عز وجل فى أبويه عبد الله وامرأته: ﴿الٓمٓ﴾ [آية: ١] ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [آية: ٢] يقول: أحسبوا أن يتركوا عن التصديق بتوحيد الله عز وجل، ولا يبتلون فى إيمانهم.

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا﴾ يقول: ولقد ابتلينا ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ يعنى من قبل هذه الأمة من المؤمنين، ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ﴾ يقول: فليرين الله الذين ﴿صَدَقُواْ﴾ فى إيمانهم من هذه الأمة عند البلاء، فيصبروا لقضاء الله عز وجل، ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ﴾ يقول: وليرين ﴿ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [آية: ٣] فى إيمانهم فيشكوا عند البلاء.

ثم وعظ كفار العرب، فقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يعنى الشرك نزلت فى بنى عبد شمس ﴿أَن يَسْبِقُونَاۚ﴾ يعنى أن يفوتونا بأعمالهم السيئة حتى يجزيهم بها فى الدنيا، فقتلهم الله عز وجل ببدر منهم شيبة وعتبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة بن ربيعة، وحنظلة بن أبى سفيان بن حرب، وعبيدة بن سعد بن العاص بن أمية، وعقبة بن أبى معيط، والعاص بن وائل، ثم قال عز وجل: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [آية: ٤] يعنى ما يقضون، يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف.

ثم قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ يقول: من خشى البعث فى الآخرة، فليعمل لذلك اليوم، ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٥] لقول بنى عبد شمس بن عبد مناف حين قالوا: إنا نعطى فى الآخرة ما يعطى المؤمنون، يعنى بالمؤمنين بنى هاشم، وبنى عبد المطلب بن عبد مناف، العليم به.

نزلت ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ فى بنى هاشم، وبنى عبد المطلب ابنى عبد مناف، منهم على بن أبى طالب، وحمزة، وجعفر، عليهم السلام، وعبيدة بن الحارث، والحصين، والطفيل ابنا الحارث بن المطلب، ومسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو هند، وأبو ليلى مولى النبى ﷺ، وأيمن ابن أم أيمن قتيل يوم حنين، رضى الله عنه، ثم قال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ﴾ يقول: من يعمل الخير فإنما يعمل لنفسه، يقول: إنما أعمالهم لأنفسهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٦] يعنى عن أعمال القبيلتين بنى هاشم، وبنى عبد المطلب، ابنى عبد مناف.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾

ثم قال عز وجل أيضًا يعنيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٧] فيجزيهم بإحسانهم، ولا يجزيهم بمساوئهم، يعنى بنى هاشم، وبنى المطلب.

ثم قال الله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ نزلت فى سعد بن أبى وقاص الزهرى، رضى الله عنه، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بأن معى شريكًا ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ فى الشرك ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ فى الآخرة، ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٨] يعنى سعدًا، رضى الله عنه، وذلك أنه حين أسلم حلفت أمه لا تأكل طعامًا، ولا تشرب شرابًا، ولا تدخل [كنا]، حتى يرجع سعد عن الإسلام، فجعل سعد يترضاها، فأبت عليه، وكان بها بارًا فأتى سعد، رضى الله عنه، النبى ﷺ، فشكى إليه فنزلت فى سعد، رضى الله عنه، هذه الآية، فأمره النبى ﷺ أن يترضاها ويجهد بها على أن تأكل وتشرب، فأبت حتى يئس منها، وكان أحب ولدها إليها.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ٩] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ نزلت فى عياش بن أبى ربيعة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم القرشى، وذلك أن عياشًا أسلم، فخاف أهل بيته، فهرب إلى المدينة بدينه قبل أن يهاجر النبى ﷺ إليها، فحلفت أمه أسماء بنت مخرمة بن أبى جندل بن نهشل التميمى ألا تأكل ولا تشرب، ولا تغسل رأسها، ولا تدخل كنا(*) حتى يرجع إليها، فصبرت ثلاثة أيام، ثم أكلت وشربت، فركب أبو جهل عدو الله والحارث ابنا هشام، وهما أخواه لأمه، وهما بنو عم حتى أتيا المدينة، فلقياه، فقال أبو جهل لأخيه عياش: قد علمت أنك كنت أحب إلى أمك من جميع ولدها، وآثر عندها، لأنه كان أصغرهم سنًا، وكان بها بارًا، وقد حلفت أمك ألا تأكل، ولا تشرب، ولا تغسل رأسها، ولا تدخل بيتًا، حتى ترجع إليها، وأنت تزعم أن فى دينك بر الوالدين، فارجع إليها، فإن ربك الذى بالمدينة هو بمكة فاعبدوه بها، فأخذ عياش عليهم المواثيق ألا يحركاه، فاتبعهما، فأوثقاه، ثم جلده كل واحد منهما مائة جلدة حتى يبرأ من دين محمد ﷺ، فأنزل الله عز وجل فى عياش: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ يعنى صدقنا بتوحيد الله، ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ يعنى ضربهما إياه ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ يقول: جعل عذاب الناس فى الدنيا كعذا ب الله فى الآخرة، كقوله عز وجل: ﴿**يوم هم على النار يفتنون**﴾ [الذاريات: ١٣]، يعنى يعذبون.

(*) كذا فى الأصل.

ثم استأنف ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ﴾ على عدوك بمكة وغيرها، إذا كان للمؤمنين دولة ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ المنافقون للمؤمنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾ على عدوكم، وإذا رأوا دولة للكافرين شكوا فى إيمانهم، ﴿أَوَ لَيۡسَ ٱللَّهُ﴾ يعنى عز وجل، أو ما الله ﴿بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٠] من الإيمان والنفاق.

﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ يعنى وليرين الله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعنى صدقوا عند البلاء والتمحيص، ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ﴾ يعنى وليرين ﴿ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [آية: ١١] فى إيمانهم، فيشكوا عند البلاء والتمحيص.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ (١٢) وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ (١٣) وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ (١٤) فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ (١٥)﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعنى أبا سفيان ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نزلت فى عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وخباب بن الأرت، رضى الله عنهم، ختن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، على أخته أم جميل ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾، وذلك أن أبا سفيان بن حرب بن أمية، قال لهؤلاء النفر: اتبعوا ملة آبائنا، ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم، وأهل مكة علينا شهداء، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ١٢] فيما يقولون.

﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾، يعنى وليحملن أوزارهم التى عملوا، وأوزارًا مع أوزارهم؛ لقولهم للمؤمنين: اتبعوا سبيلنا ﴿مَّعَ﴾، يعنى إلى أوزارهم التى عملوا لأنفسهم، ﴿وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [آية: ١٣]، من الكذب؛ لقولهم: نحن الكفلاء بكل تبعة تصيبكم من الله عز وجل.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾، يدعوهم إلى الإيمان بالله عز وجل، فكذبوه، ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [آية: ١٤]، يعنى الماء طغى على كل شىء، فأغرقوا.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾، يعنى نوحًا، عليه السلام، ﴿وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ من الغرق، ﴿وَجَعَلۡنَٰهَآ﴾، يعنى السفينة، ﴿ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٥]، يعنى لمن بعدهم من الناس.

﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقًا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، يعنى وحدوا الله، ﴿وَٱتَّقُوهُۖ﴾، يعنى واخشوه، ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾، يعنى عبادة الله، ﴿خَيۡرٌ لَّكُمۡ﴾ من عبادة الأوثان، ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ١٦]، ولكنكم لا تعلمون.

﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا﴾، يعنى أصنامًا، ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾، يعنى تعملونها بأيديكم، ثم تزعمون أنها آلهة كذبًا وأنتم تنحتونها، فذلك قوله عز وجل: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات: ٩٦] بأيديكم من الأصنام، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة، ﴿لَا يَمۡلِكُونَ﴾، يقول: لا يقدرون ﴿لَكُمۡ رِزۡقًا﴾، على رزق، ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾، يعنى وحدوه، ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ﴾، واشكروا الله فى النعم، فإن مصيركم إليه، فذلك قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [آية: ١٧]، أحياء بعد الموت.

﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾، يعنى كفار مكة يكذبوا محمدًا ﷺ بالعذاب وبالبعث، ﴿فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ﴾، يعنى من قبل كفار مكة كذبوا رسلهم بالعذاب، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [آية: ١٨]، يقول: وما على النبى ﷺ إلا أن يبين لكم أمر العذاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، كما خلقهم، يقول: أو لم يعلم كفار مكة كيف بدأ الله عز وجل خلق الإنسان من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم عظامًا، ثم لحمًا، و لم يكونوا شيئًا، ثم هلكوا، ثم يعيدهم فى الآخرة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [آية: ١٩]، يقول: إعادتهم فى الآخرة على الله عز وجل هين.

ثم قال للنبى ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾؛ ليعتبروا فى أمر البعث، ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾، يعنى خلق السموات والأرض وما فيها من الخلق؛ لأنهم يعلمون أن الله عز وجل خلق الأشياء كلها، ﴿ثُمَّ﴾ إن ﴿اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾، يعنى بعيد الخلق الأول، يقول: هكذا يخلق الخلق الآخر، يعنى البعث بعد الموت كما بدأ الخلق الأول، إنما ذكر النشأة الآخرة؛ لأنها بعد الخلق الأول، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من البعث وغيره، ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٢٠].

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [آية: ٢١]، يعنى وإليه ترجعون بعد الموت يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم، ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾، يعنى كفار مكة بمعجزين، يعنى بسابقين الله عز وجل فتفوتوه، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كنتم، ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، كنتم أينما كنتم حتى يجزيكم بأعمالكم السيئة، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾، يعنى من قريب لينفعكم، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [آية: ٢٢]، يعنى ولا مانع يمنعكم من الله عز وجل.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، يعنى بالقرآن، ﴿وَلِقَائِهِ﴾، وكفروا بالبعث، ﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾، يعنى من جنتى، ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٢٣]، يعنى وجيعًا.

ثم ذكر إبراهيم، عليه السلام، فى التقديم، قال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾، يعنى قوم إبراهيم، عليه السلام، حين دعاهم إلى الله عز وجل ونهاهم عن عبادة الأصنام،

﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ﴾ بالنار، فقذفوه فى النار، ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾، يعنى عز وجل إن فى النار التى لم تحرق إبراهيم، عليه السلام، لعبرة ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٢٤]، يعنى يصدقون بتوحيد الله عز وجل.

﴿وَقَالَ﴾ لهم إبراهيم، عليه السلام: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم﴾ الأوثان آلهة، ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ عز وجل، ﴿أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾، يعنى بين الأتباع والقادة مودة على عبادة الأصنام، ﴿ثُمَّ﴾ إذا كان ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ﴾، يقول: تتبرأ القادة من الأتباع، ﴿وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾، يقول: ويلعن الأتباع القادة من الأمم الخالية وهذه الأمة، ثم قال لهم إبراهيم، عليه السلام: ﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾، يعنى مصيركم إلى النار، ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آية: ٢٥]، يعنى مانعين من العذاب يمنعونكم منه.

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ﴾، يعنى فصدق بإبراهيم لوط، عليهما السلام، وهو أول من صدق بإبراهيم حين رأى إبراهيم لم تضره النار، ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم، عليه السلام: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾، يعنى هجر قومه المشركين من أرض كوثا هو ولوط، وسارة أخت لوط، عليهم السلام، إلى الأرض المقدسة، ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾، يعنى إلى رضا ربى، وقال فى الصافات: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى﴾، يعنى إلى رضا ربى، ﴿سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]، فهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آية: ٢٦].

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ﴾، يعنى لإبراهيم، ﴿إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ ابن إسحاق بالأرض المقدسة، ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾، يعنى ذرية إبراهيم، ﴿ٱلنُّبُوَّةَ﴾، يعنى إسماعيل، وإسحاق،

ويعقوب، علهيم السلام، ﴿وَٱلۡكِتَٰبَ﴾، يعنى صحف إبراهيم، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ﴾، يعنى أعطيناه جزاءه، ﴿فِى ٱلدُّنۡيَا﴾، يعنى الثناء الحسن، والمقالة الحسنة من أهل الأديان كلها؛ لمضيه على رضوان الله حين ألقى فى النار، وكسر الأصنام، ومضيه على ذبح ابنه، فجميع أهل الأديان يقولون: إبراهيم منا لا يتبرأ منه أحد، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾، يعنى إبراهيم ﴿فِى ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ٢٧]، نظيرها فى النحل.

﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾، يعنى المعصية، يعنى إتيان الرجال فى أدبارهم ليلا، ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٍ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٢٨]، فيما مضى قبلكم، وكانوا لا يأتون إلا الغرباء.

ثم قال عز وجل: ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾، يعنى المسافر، وذلك أنهم إذا جلسوا فى ناديهم، يعنى فى مجالسهم رموا ابن السبيل بالحجارة والخذف، فيقطعون سبيل المسافر، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَتَأۡتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَ﴾، يعنى فى مجالسكم المنكر، يعنى الخذف بالحجارة، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ﴾، أى قوم لوط، عليه السلام، حين نهاهم عن الفاحشة والمنكر، ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ للوط، عليه السلام: ﴿ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آية: ٢٩]، يعنى بأن العذاب نازل بهم فى الدنيا.

فدعا لوط ربه عز وجل، فـ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِى عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [آية: ٣٠]، يعنى العاصين، يعنى بالفساد إتيان الرجال فى أدبارهم، يقول: رب انصرنى بتحقيق قولى فى العذاب عليهم بما كذبون، يعنى يتكذيبهم إياى حين قالوا: إن العذاب ليس بنازل بهم فى الدنيا، فأهلكهم الله عز وجل بالخسف والحصب، وكان لوط، عليه السلام، قد أنذرهم العذاب، فذلك قوله: ﴿**وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا**﴾ [القمر: ٣٦]، يعنى عذابنا.

﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ﴾، يعنى الملائكة، ﴿إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ بالولد، ﴿قَالُوٓاْ﴾ لإبراهيم: ﴿إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾، يعنون قرية لوط، ﴿إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٣١].

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾، يعنى لوطا، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى الباقين فى العذاب.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا﴾ الملائكة، ﴿لُوطٗا﴾، وحسب أنهم من الإنس، ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾، يعني كرههم لوط لصنيع قومه بالرجال، ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾، يعني بضيافة الملائكة ذرعًا، يعني مخافة عليهم أن يفضحوهم، ﴿وَقَالُواْ﴾، وقالت الرسل للوط، عليه السلام: ﴿لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ﴾؛ لأن قومه وعدوه، فقالوا: معك رجال سحروا أبصارنا، فستعلم ما تلقى عذابهم، فقالت الرسل: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ﴾، ثم استثنى امرأته، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ [آية: ٣٣]، يعني من الباقين في العذاب، فهلك قوم لوط، ثم أهلكت بعد بحجر أصابها فقتلها.

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا﴾، يعني عذابًا، ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ على قرى لوط، يعني الخسف والحصب، ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [آية: ٣٤]، يعني يعصون، ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ﴾، يعني من قرية لوط آية، ﴿بَيِّنَةٗ﴾، يعني علامة واضحة، يعني هلاكهم، ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ٣٥]، بتوحيد الله عز وجل، كانت قرية لوط بين المدينة والشام، وولد للوط بعد هلاك قومه ابنتان، وكان له ابنتان قبل هلاكهم، ثم مات لوط، وكان أولاده مؤمنين من بعده.

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾ بن نويب بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن، جل جلاله، لصلبه، ﴿فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، يعني وحدوا الله، ﴿وَٱرۡجُواْ

﴿ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾، يعنى واخشوا البعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ﴾، يعنى ولا تسعوا، ﴿فِى ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [آية: ٣٦]، يعنى بالمعاصى فى نقصان الكيل والميزان، وهو الفساد فى الأرض.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالعذاب حين أوعدهم أنه نازل بهم فى الدنيا، ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِى دَارِهِمۡ﴾، يعنى عز وجل فى محلتهم وعسكرهم، ﴿جَٰثِمِينَ﴾ [آية: ٣٧]، أمواتًا خامدين مثل النار إذا أطفئت، بينما هى تقد إذا هى طفئت، فشبه أرواحهم فى أجسادهم وهم أحياء مثل النار إذا تقد، ثم شبه هلاكهم بالنار إذا طفئت، بينما هم أحياء إذ صاح بهم جبريل، عليه السلام، فصعقوا أمواتًا أجمعين.

﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ﴾، وهما ابنا عم، ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ يا أهل مكة، ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ﴾، يعنى منازلهم آية فى هلاكهم، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ السيئة، ﴿فَصَدَّهُمۡ﴾ الشيطان ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، أى طريق الهدى، ﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ [آية: ٣٨] فى دينهم يحسبون أنهم على هدى.

﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ﴾، واسمه فيطوس، ﴿وَهَٰمَٰنَۖ﴾ قهرمان فرعون ودستوره، ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾، أخبرهم أن العذاب نازل بهم فى الدنيا، فكذبوه وادعوا أنه غير نازل بهم فى الدنيا، ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾ [آية: ٣٩]، يعنى فتكبروا بذنوبهم، يعنى بتكذيبهم الرسل، كقوله تعالى: ﴿ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ﴾ [التوبة: ١٠٢]، يعنى بتكذيبهم الرسل، وكفروا به، ﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ﴾ [الشمس: ١٤]، يعنى بتكذيبهم صالحًا.

قال عز وجل: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبًا﴾، يعنى من الحجارة، وهم قوم لوط، ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾، يعنى صيحة جبريل، عليه السلام، وهم قوم صالح، وقوم شعيب، وقوم هود، وقوم إبراهيم، ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾، يعنى قارون وأصحابه، ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ﴾، يعنى قوم نوح، وقوم فرعون، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾، فيعذبهم على غير ذنب، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [آية: ٤٠]، يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية؛ لئلا يكذبوا محمد ﷺ.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتًاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ

يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾

ثم قال عز وجل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ﴾ يعنى الآلهة، وهى الأصنام اللات والعزى ومناة وهبل، ﴿كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ﴾ وذلك أن الله عز وجل ضرب مثل الصنم فى الضعف، يعنى كشبه العنكبوت إذا ﴿ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ﴾ يعنى أضعف ﴿ٱلۡبُيُوتِ﴾ كلها ﴿لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ﴾ فكذلك ضعف الصنم هو أضعف من بيت العنكبوت ﴿لَوۡ﴾ يعنى إن ﴿كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٤١] ولكن لا يعلمون.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ﴾ يعنى الأصنام ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آية: ٤٢] يعنى العزيز فى ملكه الحكيم فى أمره.

ثم قال عز وجل: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ﴾ يقول: وتلك الأشباه نبينها لكفار مكة، فيما ذكر من أمر الصنم، ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [آية: ٤٣] يقول: الذين يعقلون عن الله عز وجل الأمثال.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ لم يخلقهما باطلاً لغير شيء خلقهما لأمر هو كائن ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٤٤] يقول: إن فى خلقهما لعبرة للمصدقين بتوحيد الله عز وجل.

﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعنى اقرأ على أهل الكتاب ما أنزل إليك من القرآن، ثم قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ﴾ يعنى وأتم ﴿ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ يعنى عن المعاصى ﴿وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ يعنى المنكر ما لا يعرف يقول: إن الإنسان ما دام يصلى لله عز وجل، فقد انتهى عن الفحشاء والمنكر لا يعمل بها ما دام يصلى حتى ينصرف، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ يعنى إذا صليت لله تعالى فذكرته فذكرك الله بخير، وذكر الله إياك أفضل من ذكرك إياه فى الصلاة، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [آية: ٤٥] فى صلاتكم.

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ يعنى النبى ﷺ وحده ﴿أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ البتة يعنى مؤمنيهم عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ فيها تقديم، يقول: جادلهم قل لهم بالقرآن وأخبرهم عن القرآن، نسختها آية السيف فى براءة، فقال تعالى: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**﴾ [التوبة: ٢٩] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ﴾ لهم يعنى ظلمة اليهود ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ يعنى القرآن ﴿وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ يعنى التوراة ﴿وَ﴾ قولوا لهم: ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ ربنا وربكم واحد ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [آية: ٤٦] يعنى مخلصين بالتوحيد.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يعنى وهكذا ﴿أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾ كما أنزلنا التوارة على أهل الكتاب، ليبين لهم عز وجل يعنى ليخبرهم، ثم ذكر مؤمنى أهل التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه، فقل سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعنى أعطيناهم التوارة، يعنى ابن سلام وأصحابه ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ يصدقون بقرآن محمد ﷺ أنه من الله عز وجل، ثم ذكر مسلمى مكة، فقال: ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ يعنى يصدق بقرآن محمد ﷺ أنه من الله جاء، ثم قال: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يعنى آيات القرآن بعد المعرفة، لأنهم يعلمون أن محمدًا ﷺ نبى، وأن القرآن حق من الله عز وجل، ﴿إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٤٧] من اليهود.

﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿تَتۡلُواْ﴾ يعنى تقرأ ﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾ يعنى من قبل القرآن ﴿مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ﴾ فلو كنت يا محمد تتلو القرآن أو تخطه، لقالت اليهود: إنما كتبه من تلقاء نفسه، و ﴿إِذٗا لَّٱرۡتَابَ﴾ يقول: وإذًا لشك ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [آية:

٤٨] يعنى الكاذبين، يعنى كفار اليهود إذًا لشكوا فيك يا محمد، إذا لقالوا: إن الذى نجد فى التوراة نعته، هو أمى لا يقرأ الكتاب ولا يخطه بيده.

ثم ذكر مؤمنى أهل التوراة، فقال: ﴿بَلْ هُوَ﴾ يا محمد ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ يعنى علامات واضحات بأنه أمى لا يقرأ الكتاب ولا يخطه بيده، ﴿فِى صُدُورِ﴾ يعنى فى قلوب ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بالتوراة، يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه، ثم قال عز وجل: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يعنى ببعث محمد ﷺ فى التوراة بأنه أمى لا يقرأ الكتاب، ولا يخطه بيده، وهو مكتوب فى التوراة، فكتموا أمره وجحدوا، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يعنى ببعث محمد ﷺ فى التوراة ﴿إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٤٩] يعنى كفار اليهود.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قال كفار مكة: هلا أنزل على محمد ﷺ آيات من ربه إلينا، كما كان تجئ إلى قومهم، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى النبى ﷺ، قال: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فإذا شاء أرسلها وليست بيدى، ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٥٠].

فلما سألوه الآية، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ بالآية من القرآن ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ فيه خبر ما قبلهم، وما بعدهم، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ يعنى عز وجل فى القرآن ﴿لَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به وعمل به، ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ يعنى وتذكرة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٥١] يعنى يصدقون بالقرآن أنه من الله عز وجل، فكذبوا بالقرآن فنزل:

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ يعنى فلا شاهد أفضل من الله بيننا ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ يعنى صدقوا بعبادة الشيطان ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ بتوحيد الله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ٥٢].

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ﴾ استهزاء وتكذيبًا به، ونزلت فى النضر بن الحارث، حيث قال: ﴿**فأمطر علينا**﴾ فى الدنيا ﴿**حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم**﴾ [الأنفال: ٣٢] يقول: ذلك استهزاء وتكذيبا، فنزلت فيه: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ فى الآخرة ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ الذى استعجلوه فى الدنيا، ﴿وَلَيَأۡتِيَنَّهُم﴾ العذاب فى الآخرة ﴿بَغۡتَةٗ﴾ يعنى فجأة ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ٥٣] يعنى لا يعلمون به حتى ينزل بهم العذاب.

ثم قال سبحانه: ﴿يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ﴾ يعنى النضر بن الحارث، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٥٤]. ثم أخبر بمنازلهم يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ وهم فى النار ﴿مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ﴾ يعنى بذلك لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل، يعنى بين طبقتين من نار، ﴿وَيَقُولُ﴾ لهم الخزنة: ﴿ذُوقُواْ﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٥٥] من الكفر والتكذيب.

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ نزلت فى ضعفاء مسلمى أهل مكة إن كنتم فى ضيق بمكة من إظهار الإيمان، فـ﴿إِنَّ أَرۡضِي﴾ يعنى أرض الله بالمدينة ﴿وَٰسِعَةٞ﴾ من الضيق ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [آية: ٥٦] يعنى فوحدونى بالمدنية علانية.

ثم خوفهم الموت ليهاجروا، فقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [آية: ٥٧] فى الآخرة بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم.

ثم ذكر المهاجرين، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ يعنى لننزلنهم ﴿مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ لا يموتون فى الجنة ﴿نِعۡمَ أَجۡرُ﴾ يعنى جزاء ﴿ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آية: ٥٨] لله عز وجل.

ثم نعتهم، فقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الهجرة ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [آية: ٥٩] يعنى وبالله يثقون فى هجرتهم، وذلك أن أحدهم كان يقول: بمكة أهاجر إلى المدينة وليس لى بها مال، ولا معيشة.

فوعظهم الله ليعتبروا، فقال: ﴿وَكَأَيِّن﴾ يعنى وكم ﴿مِّن دَآبَّةٖ﴾ فى الأرض أو طير ﴿لَّا تَحۡمِلُ﴾ يعنى لا ترفع ﴿رِزۡقَهَا﴾ معها ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا﴾ حيث توجهت ﴿وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ يعنى يرزقكم إن هاجرتم إلى المدينة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [آية: ٦٠] لقولهم: إنا لا نجد ما ننفق فى المدينة.

ثم قال عز وجل للنبى ﷺ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾ يعنى ولئن سألت كفار مكة ﴿مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ وحده خلقهم ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [آية: ٦١] يعنى عز وجل من أين تكذبون يعنى بتوحيدى.

ثم رجع إلى الذين رغبهم فى الهجرة، والذين قالوا: لا نجد ما ننفق، فقال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ﴾ يعنى يوسع ﴿ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ﴾ يعنى ويقتر على من يشاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [آية: ٦٢] من البسط على من يشاء، والتقتير عليه.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾ يعنى كفار مكة ﴿مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ يعنى المطر، ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ يفعل ذلك ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ بإقرارهم بذلك ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ٦٣] بتوحيد ربهم، وهم مقرون بأن الله عز وجل خلق الأشياء كلها وحده.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ يعنى وباطلا ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾ يعنى الجنة ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ يقول: لهى دار الحياة لا موت فيها ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٦٤] ولكنهم لا يعلمون.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ يعنى السفن، يعنى كفار مكة يعظهم ليعتبروا ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يعنى موحدين له بالتوحيد ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٦٥] فلا يوحدون كما يوحدونه عز وجل فى البحر.

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يعنى لئلا يكفروا بما أعطيناهم فى البحر من العافية حين سلمهم الله عز وجل من البلاء وأنجاهم من اليم، ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ إلى منتهى آجالهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٦٦] هذا وعيد.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعنى كفار مكة يعظهم ليعتبروا ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ فيقتلون ويسبون فادفع عنهم، وهم يأكلون رزقى ويعبدون غيرى، فلست أسلط عليهم عدوهم إذا أسلموا نزلت فى الحارث بن نوفل القرشى، نظيرها فى «طسم» القصص، ثم بين لهم ما يعبدون، فقال سبحانه: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾؟ يعنى أفبالشيطان يصدقون أن لله تعالى شريكًا، ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ﴾ الذى أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف ﴿يَكْفُرُونَ﴾ [آية: ٦٧] فلا يؤمنون برب هذه النعمة، فيوحدونه عز وجل.

ثم قال تعالى ذكره: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ يقول: فلا أحد أظلم، ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى بالتوحيد ﴿لَمَّا جَآءَهُۥ﴾ يعنى حين جاءه، ثم قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ﴾ يقول: أما لهذا المكذب بالتوحيد فى جهنم ﴿مَثْوًى﴾ يعنى مأوى ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٦٨] بالتوحيد.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ يعنى عملوا بالخير لله عز وجل، مثلها فى آخر الحج، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ يعنى ديننا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٦٩] لهم فى العون لهم.

* * *

تم بحمد الله الجزء الثانى، ويليه بإذن الله الجزء الثالث والأخير، وأوله سورة الروم

* * *

فهرس المحتويات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ الرُّومِ

سورة الروم مكية، وهى ستون آية كوفى

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن أبى بكر الهذلى، عن عكرمة، قال: أقتتل الروم وفارس فهزمت الروم، فبلغ ذلك النبى ﷺ وأصحابه فشق عليهم وهم بمكة، وفرح الكفار وشمتوا فقتلوا أصحاب النبى ﷺ، فقالوا لهم: إنكم أهل كتاب، والروم أهل كتاب فقد ظهر إخواننا أهل فارس على إخوانكم من الروم فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِى أَدْنَى الأَرْضِ**﴾ وأدنى الأرض يؤمئذ أذرعات فيها كان القتال ﴿**وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ**﴾ أن يظهر الروم على فارس ومن بعد ما ظهرت، قال: فخرج أبو بكر الصديق، رضوان الله عليه، إلى الكفار.

فقال: أفرحتم لظهور إخوانكم على إخواننا فلا تفرحوا ولا يقر الله أعينكم ليظهرن الله الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبى الله ﷺ فقال له أُبى بن خلف الجمحى: كذبت يا أبا فصيل، فقال أبو بكر، رضى الله عنه: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: أناجيك عشر قلائص منى، وعشر قلائص منك إلى ثلاث سنين، ثم جاء أبو بكر، رضى الله عنه، إلى النبى ﷺ، فقال: ناجيت عدو الله أُبى بن خلف أن يظهر الله عز وجل الروم على فارس إلى ثلاث سنين، فقال النبى ﷺ: «ما كذلك ذكرت لك»، إنما قال الله عز وجل: ﴿**بِضْعِ سِنِينَ**﴾ والبضع ما بين الثلاث إلى التسع فاذهب فزايدهم فى الخطر، ومادهم فى الأجل، فخرج أبو بكر، رضى الله عنه، فلقى أُبى بن خلف.

فقال: لعلك ندمت يا أبا عامر، قال: فقال: تعالى أزايدك فى الخطر، وأماذكم فى الأجل، فنجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين، قال: قد فعلت، قال: وكانت امرأة بفارس

لا تلد إلا ملوكًا أبطالاً، فدعاها كسرى، فقال: إنى أريد أن أبعث إلى الروم جيشًا واستعمل رجلاً من بنيك، فأشيرى على أيهم استعمل، فقالت: هذا فلان وسمته وهو أروغ من ثعلب وأجبن من صقر، وهذا الفرخان وهو أنفذ من السنان، وهو شهر بران، وهو أحلم من الأرزان فاستعمل أيهم شئت.

قال: إنى استعمل الحليم، فبعث شهر بران على الجيش، فسار الروم إلى أرض فارس، فظهر عليهم وخرب مدائنهم، وقطع زيتونهم، فلما ظهرت فارس على الروم جلس الفرخان يشرب، فقال لأصحابه: قد رأيت فى المنام أنى جالس على سرير كسر، فعمد الملاقون المبلغون بالأحاديث، فكتبوا إلى كسرى أن عبدك الفرخان يتمنى فى المنام أن يقعد على سريرك، فكتب كسرى إلى شهربران إذا جاءك كتابى هذا فابعث برأس أخيك الفرخان، فكتب إليه شهربران أيها الملك إن الفرخان له صولة ونكاية فى العدو، فلا تفعل، فكتب إليه كسرى إن فى رجال فارس منه خلفًا وبدلاً، فعجل على برأسه فراجعه.

فقال: أيها الملك، إنك لن تجد من الفرخان بدلاً صولة ونكاية، فغضب كسرى فلم يجبه وبعث بريدًا إلى أهل فارس الذين بالروم: إنى قد نزعت عنكم شهربران واستعملت عليكم الفرخان، ودفع إلى صاحب البريد صحيفة صغيرة، فقال: إذا ولى الفرخان وانقاد له أخوه، فادفع إليه الصحيفة، فلما قرأ شهربران الكتاب قال: سمعًا وطاعة ووضع تاجه على رأس أخيه، ونزل عن سريره، وجلس عليه الفرخان، ودفع الرسول الصحيفة إليه، فقال: ائتونى بشهربران، فأتى به ليضرب عنقه، فقال شهربران: لا تعجل حتى أكتب وصيتى، قال: فكتبها، فدعا بسقط فيه ثلاث صحائف.

وقال: ويحك أنت ابن أمى وأبى، وهذه ثلاث صحائف جاءتنى فى قتلك، فراجعت فيك كسرى ثلاث مرات، فقال الفرخان: أمنا والله كانت أعرف بنا، أنت أحلم من الأزرق حين راجعت فى ثلاث مرات، وأنا أنفذ من السنان حين أردت قتلك بكتاب واحد، ثم رد الملك إلى أخيه، وكان أكبر منه، فكتب شهربران إلى قيصر إن لى إليك حاجة لا تحملها البرد، ولا تبلغها الصحف، فالقنى ولا تلقنى إلا فى خمسين روميًا، فإنى ألقاك فى خمسين فارسيًا، فأقبل قيصر فى خمسمائة ألف رومى، فجعل يبثهم فى الطرق، وبعث بين يديه العيون مخافة أن يكون مكرًا منه حتى أتته عيونه أن ليس معه إلا خمسين رجلاً، ثم بسطت لهم بسط، فمشيا عليها ونزلا عن برذونيهما إلى قبة من ديباج ضربت

لهما عراها ذهب، وأزرارها فضة، وأطنابها إبريسم، مع أحدهما سكين نصابها زمرد أخضر، وقرابها من ذهب، ومع الآخر سكين نصابها من فارهرة خضراء، وقرابها من ذهب، ودعوا ترجمانًا بينهما.

فقال شهربران لقيصر: إن الذين كسروا شوكتك وأطفئوا جمرتك وخربوا مدائنك وقطعوا شجرك أنا وأخى بكيدنا وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا على ذلك، وأرادنى على قتل أخى، وأراد أخى على قتلى، فأبينا، فخالفناه جميعًا، فنحن نقاتله معك، فقال: أصبتما، فأشار أحدهما إلى الآخر السر بين اثنين، فإذا جاوزهما فشا، فقتلا الترجمان بسكينيهما، وأهلك الله عز وجل كسرى، وجاء الخبر إلى النبى ﷺ يوم الحديبية، ففرح النبى ﷺ ومن معه بظهور الروم، فذلك قوله عز وجل: ﴿**وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿الٓمٓ﴾ [آية: ١] ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [آية: ٢] وذلك أن أهل فارس غلبوا على الروم ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى أرض الأردن وفلسطين، ثم قال عز وجل: ﴿وَهُم﴾ يعنى الروم ﴿مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [آية: ٣] أهل فارس.

﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ يعنى خمس سنين، أو سبع سنين إلى تسع، ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ﴾ حين ظهرت فارس على الروم، ﴿وَمِنۢ بَعْدُ﴾ ما ظهرت الروم على فارس، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٤] وذلك أن فارس غلبت الروم، ففرح بذلك كفار مكة، فقالوا: إن فارس ليس لهم كتاب، ونحن منهم، وقد غلبوا أهل الروم، وهم أهل كتاب قبلكم، فنحن أيضًا نغلبكم كما غلبت فارس الروم، فخاطرهم أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، على أن يظهر الله عز وجل الروم على فارس، فلما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة، وأتى المسلمين الخبر بعد ذلك، والنبى ﷺ والمؤمنون بالحديبية

أن الروم قد غلبوا أهل فارس، ففرح المسلمون بذلك، فذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ﴾ فنصر الله عز وجل الروم على فارس، ونصر المؤمنين على المشركين يوم بدر.

قال أبو محمد: سألت أبا العباس ثعلب عن البضع والنيف، فقال البضع: من ثلاث إلى تسع، والنيف: من واحد إلى خمسة، وربما أدخلت كل واحدة على صاحبتها فتجوز مجازها، فأخذ أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، الخطر من صفوان بن أمية، والنبى ﷺ بالحديبية مقيم حين صده المشركين عن دخول مكة، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ يعنى المنيع فى ملكه ﴿الرَّحِيمُ﴾ [آية: ٥] بالمؤمنين حين نصرهم.

﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ وذلك أن الله عز وجل وعد المؤمنين فى أول السورة أن يظهر الروم على فارس حين قال تعالى: ﴿وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ على أهل فارس، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ بأن الروم تظهر على فارس، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٦] يعنى كفار مكة.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعنى حرفتهم وحيلتهم، ومتى يدرك زرعهم، وما يصلحهم فى معايشهم لصلاح دنياهم، ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [آية: ٧] حين لا يؤمنون بها، ثم وعظهم ليعتبروا، فقال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)﴾

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يقول سبحانه: لم يخلقهما عبثًا لغير شىء خلقهما لأمر هو كائن، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: السموات والأرض لهما أجل ينتهيان إليه، يعنى يوم القيامة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ يعنى عز وجل كفار مكة، ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿لَكَافِرُونَ﴾ [آية: ٨]. ثم خوفهم فقال عز وجل:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعنى الأمم الخالية، فكان عاقبتهم العذاب فى الدنيا، ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة ﴿قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا﴾ يعنى وعاشوا فى الأرض ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أكثر مما عاش فيها كفار مكة، ﴿وَجَاءَتْهُمْ﴾ يعنى الأمم الخالية ﴿رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعنى أخبرتهم بأمر العذاب، ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم على غير ذنب، ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آية: ٩] ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا﴾ يعنى أشركوا ﴿السُّوأَىٰ﴾ بعد العذاب فى الدنيا ﴿أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعنى بأن كذبوا بالعذاب أنه ليس بنازل بهم فى الدنيا، ﴿وَكَانُوا بِهَا﴾ يعنى العذاب ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [آية: ١٠] تكذيبًا به أنه لا يكون.

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦) فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩)﴾

ثم قال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يقول: الله بدأ الناس فخلقهم، ثم يعيدهم فى الآخرة بعد الموت أحياء كما كانوا، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ١١] فى الآخرة، فيجزيهم بأعمالهم.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿يُبْلِسُ﴾ يعنى ييأس ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ [آية: ١٢] يعنى كفار مكة من شفاعة الملائكة، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ﴾ من الملائكة ﴿شُفَعَاءُ﴾ فيشفعوا لهم ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [آية: ١٣] يعنى تبرأت الملائكة ممن كان يعبدها.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [آية: ١٤] بعد الحساب إلى الجنة، وإلى النار، فلا يجتمعون أبدًا، ثم أخبر بمنزلة الفريقين جميعًا، فقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا

ﵟٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَﵞ [آية: ١٥] يعنى فى بساتين يكرمون وينعمون فيها وهى الجنة.

ﵟوَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْﵞ بتوحيد الله عز وجل، ﵟوَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاﵞ يعنى القرآن، ﵟوَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِﵞ يعنى البعث، ﵟفَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَﵞ [آية: ١٦] ﵟفَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِﵞ يعنى فصلوا لله عز وجل، ﵟحِينَ تُمۡسُونَﵞ يعنى صلاة المغرب وصلاة العشاء، ﵟوَحِينَ تُصۡبِحُونَﵞ [آية: ١٧] يعنى صلاة الفجر.

ﵟوَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِﵞ يحمده الملائكة فى السموات ويحمده المؤمنون فى الأرض، ﵟوَعَشِيّٗاﵞ يعنى صلاة العصر، ﵟوَحِينَ تُظۡهِرُونَﵞ [آية: ١٨] يعنى صلاة الأولى، ﵟيُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِﵞ يقول: يخرج الناس والدواب والطير من النطف وهى ميتة، ﵟوَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَﵞ يعنى النطف ﵟمِنَ ٱلۡحَيِّﵞ يعنى من الناس والدواب والطير، ﵟوَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَﵞ بالماء ﵟبَعۡدَ مَوۡتِهَاۚﵞ فينبت العشب فذلك حياتها، ثم قال: ﵟوَكَذَٰلِكَﵞ يعنى وهكذا ﵟتُخۡرَجُونَﵞ [آية: ١٩] يا بنى آدم من الأرض أن الله عز وجل يرسل يوم القيامة ماء الحيوان من السماء السابعة من البحر المسجور على الأرض بين النفختين فتنبت عظام الخلق ولحومهم وجلودهم كما ينبت العشب من الأرض.

ﵟوَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ (٢٢) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ (٢٣) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ (٢٤) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ (٢٥)ﵞ

ﵟوَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓﵞ يعنى ومن علامات ربكم أنه واحد عز وجل، وإن لم تروه فاعرفوا توحيده بصنعه، ﵟأَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖﵞ يعنى آدم ﷺ خلقه من طين، ﵟثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞﵞ يعنى ذرية آدم بشر، ﵟتَنتَشِرُونَﵞ [آية: ٢٠] فى الأرض، يعنى تتبسطون فى الأرض، كقوله سبحانه: ﵟوَيَنْشُرُﵞ [الشورى: ٢٨] يعنى ويبسط رحمته.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ يعنى علاماته أن تعرفوا توحيده، وإن لم تروه ﴿أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ يعنى بعضكم من بعض ﴿أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم﴾ وبين أزواجكم ﴿مَّوَدَّةٗ﴾ يعنى الحب ﴿وَرَحۡمَةً﴾ ليس بينها وبينه رحم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ يعنى إن فى هذا الذى ذكر لعبرة ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢١] فيعتبرون فى توحيد الله عز وجل.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى ومن علامة الرب عز وجل، أنه واحد فتعرفوا توحيده بصنعه أن ﴿خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وأنتم تعلمون ذلك، كقوله سبحانه: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [الزمر: ٣٨] ﴿وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ عربى وعجمى وغيره ﴿وَ﴾ اختلاف ﴿وَأَلۡوَٰنِكُمۡ﴾ أبيض وأحمر وأسود ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ يعنى أن فى هذا الذى ذكر لعبرة ﴿لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٢٢] فى توحيد الله عز وجل.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى ومن علامات الرب تعالى أن يعرف توحيده بصنعه، ﴿مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ يعنى النوم، ثم قال: ﴿وَ﴾ بـ﴿وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ﴾ يعنى الرزق ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ يعنى إن فى هذا الذى ذكر لعبرة ﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ [آية: ٢٣] المواعظ، فيوحدون ربهم عز وجل.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى ومن علاماته أن تعرفوا توحيد الرب جل جلاله بصنعه، وإن لم تروه ﴿يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا﴾ من الصواعق لمن كان بأرض، نظيرها فى الرعد ﴿وَطَمَعٗا﴾ فى رحمته، يعنى المطر ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ يعنى المطر، ﴿فَيُحۡيِۦ بِهِ﴾ بالمطر ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ بالنبات ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ يعنى عز وجل فى هذا الذى ذكر ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾ يعنى لعبرة ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ٢٤] عن الله عز وجل، فيوحدونه.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ يعنى علاماته أن تعرفوا توحيد الله تعالى بصنعه ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ يعنى السماوات السبع والأرضين السبع؛ قال ابن مسعود: قامتا على غير عمد ﴿بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ يدعو إسرافيل ﷺ من صخرة بيت المقدس فى الصور عن أمر الله عز وجل ﴿دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ [آية: ٢٥] وفى هذه كله الذى ذكره من صنعه عبرة وتفكرًا فى توحيد الله عز وجل، ثم عظم نفسه تعالى ذكره، فقال:

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة ﴿وَ﴾ من فى ﴿وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ من الإنس والجن، ومن يعبد من دون الله عز وجل، كلهم عبيده وفى ملكه، قال سبحانه: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [آية: ٢٦] يعنى كل ما فيهما من الخلق لله قانتون، يعنى مقرون بالعبودية له يعلمون أن الله جل جلاله ربهم، وهو خلقهم و لم يكونوا شيئًا، ثم يعيدهم، ثم يبعثهم فى الآخرة أحياء بعد موتهم كما كانوا. ثم قال عز وجل:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وهو الذى بدأ الخلق، يعنى خلق آدم، فبدأ خلقهم و لم يكونوا شيئًا، ثم يعيدهم، يعنى يبعثهم فى الآخرة أحياء بعد موتهم كما كانوا ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ يقول: البعث أيسر عليه عندكم، يا معشر الكفار فى المثل من الخلق الأول، حين بدأ خلقهم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظمًا، ثم لحمًا، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ فإنه تبارك وتعالى رب واحد لا شريك له، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه، لقولهم: إن الله عز وجل لا يقدر على البعث ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٢٧] فى أمره حكم البعث.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ﴾ نزلت فى كفار قريش، وذلك أنهم كانوا يقولون فى إحرامهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك، فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ﴾ يقول: وصف لكم يا معشر الأحرار، من كفار قريش مثلاً يعنى شبهًا من عبيدكم، ﴿هَل لَّكُم﴾ استفهام ﴿مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ من العبيد ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموال ﴿فَأَنتُمْ﴾ وعبيدكم ﴿فِيهِ سَوَآءٌ﴾ فى الرزق.

ثم قال: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ يقول عز وجل: تخافون عبيدكم أن يرثوكم بعد الموت كما تخافون أن يرثكم الأحرار من أوليائكم، فقالوا للنبى ﷺ: لا، قال لهم النبى ﷺ: «أفترضون لله عز وجل الشركة فى ملكه وتكرهون الشرك فى

أموالكم»، فسكتوا و لم يجيبوا النبى ﷺ.

إلا شريكًا هو لك تملكه ما ملك، يعنون الملائكة، قال: فكما لا تخافون أن يرثكم عبيدكم، فكذلك ليس لله عز وجل شريك، ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ يعنى هكذا نبين الآيات ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٢٨] عن الله عز وجل الأمثل، فيوحدونه، ثم ذكرهم فقال سبحانه:

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعلمونه بأن معه شريكًا ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ يقول: فمن يهدى إلى توحيد الله من قد أضله الله عز وجل عنه، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آية: ٢٩] يعنى مانعين من الله عز وجل.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾

ثم قال للنبى ﷺ: إن لم يوحد كفار مكة ربهم، فوحد أنت ربك يا محمد ، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ يعنى فأخلص دينك الإسلام لله عز وجل ﴿حَنِيفًا ۚ﴾ يعنى مخلصًا ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ يعنى ملة الإسلام التوحيد الذى خلقهم عليه، ثم أخذ الميثاق من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى ربنا، وأقروا له بالربوبية والمعرفة له تبارك وتعالى، ثم قال سبحانه: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ يقول: لا تحويل لدين الله عز وجل الإسلام ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ يعنى التوحيد وهو الدين المستقيم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٠] توحيد الله عز وجل.

ثم أمرهم بالإنابة من الكفر وأمرهم بالصلاة، فقال عز وجل: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ يقول: راجعين إليه من الكفر إلى التوحيد لله تعالى ذكره، ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ يعنى

واخشوه ﴿وَأَقِيمُوا﴾ يعنى وأتموا ﴿الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ٣١] يقول: لكفار مكة كونوا من الموحدين لله عز وجل ولا تكونوا: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ يعنى أهل الأديان فرقوا دينهم الإسلام، ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ يعنى أحزابًا فى الدين يهود ونصارى ومجوس وغيره ونحو ذلك، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [آية: ٣٢] كل أهل ملة بما عندهم من الدين راضون به.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ يعنى كفار مكة ضر، يعنى السنين، وهو الجوع، يعنى قحط المطر عليهم سبع سنين، ﴿دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ يقول: عز وجل راجعين إليه يدعونه أن يكشف عنهم الضر، لقوله تعالى فى حم الدخان: ﴿**رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ**﴾ [الدخان: ١٢] يعنى الجوع ﴿**إِنَّا مُؤْمِنُونَ**﴾ [الآية: ١٢]. قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ يعنى إذا أعطاهم من عنده نعمة، يعنى المطر ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٣٣] يقول: تركوا توحيد ربهم فى الرخاء، وقد وحدوه فى الضر.

﴿لِيَكْفُرُوا﴾ يعنى لكى يكفروا ﴿بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ بالذى أعطيناهم من الخير فى ذهاب الضر عنهم، وهو الجوع، ثم قال سبحانه: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ قليلاً إلى آجالكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٤] هذا وعيد، ثم ذكر شركهم، فقال: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا﴾ وأم هاهنا صلة على أهل مكة، يعنى كفارهم ﴿عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ يعنى كتابًا من السماء، ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ يعنى ينطق ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٣٥] يعنى ينطق بما يقولون من الشرك. ثم ذكرهم أيضًا، فقال سبحانه:

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ يعنى أعطينا كفار مكة رحمة، يعنى المطر ﴿فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بلاء يعنى الجوع أو شدة من قحط سبع سنين ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الذنوب ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [آية: ٣٦] يعنى إذا هم من المطر آيسون، ثم وعظهم ليعتبروا. فقال تعالى:

﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧) فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم**

مِّن شَيْءٍ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وذلك حين مطروا بعد سبع سنين، ﴿وَيَقْدِرُ﴾ على من يشاء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ﴾ يقول: إن فى بسط الرزق والفتر لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٣٧] يعنى يصدقون بتوحيد الله عز وجل.

﴿فَـَٔاتِ﴾ يعنى فأعط ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ يعنى قرابة النبى ﷺ وحق القرابة والصلة، ثم قال سبحانه: ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾ يعنى السائل حقه أن يتصدق عليه، ثم قال: ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعنى حق الضيف نازل عليك أن تحسن إليه ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ يقول: إعطاء الحق أفضل ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ من الإمساك عنهم، ثم نعتهم، عز وجل، فقال: ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٣٨]. ثم قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ يقول: وما أعطيتم من عطية ﴿لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى تزدادوا فى أموال الناس، نزلت فى أهل الميسر من أصحاب النبى ﷺ، يقول: أعطيتم من عطية ليلتمس بها الزيادة من الناس، ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يقول: فلا تضاعف تلك العطية عند الله، ولا تزكوا، ولا إثم فيه، ثم بين الله عز وجل ما يربو من النفقة، فقال عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ يقول: وما أعطيتم من صدقة ﴿تُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ ففيه الأضعاف، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [آية: ٣٩] الواحدة عشرة فصاعدًا.

ثم أخبر تبارك وتعالى عن صنعه ليعرف توحيد، فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئًا ﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ فى الآخرة ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ مع الله، يعنى الملائكة الذين عبدوهم ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم﴾ مما ذكر فى هذ الآية من الخلق والرزق والبعث بعد الموت من يفعل من ذلكم ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ ثم نزه نفسه جل جلاله عن الشركة، فقال: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ﴾ يعنى وارتفع ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٤٠] ثم أخبرهم عن قحط المطر فى البر ونقص الثمار فى الريف يعنى القرى حيث تجرى فيها الأنهار إنما أصابهم بتركهم التوحيد، فقال:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ يعنى قحط المطر، وقلة النبات فى البر، يعنى حيث لا تجرى الأنهار، وأهل العمود، ثم قال: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾ يعنى قحط المطر ونقص الثمار فى البحر، يعنى فى الريف يعنى القرى حيث تجرى فيها الأنهار ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى

ٱلنَّاسِ ﴾ من المعاصى، يعنى كفار مكة ﴿ لِيُذِيقَهُم ﴾ الله الجوع ﴿ بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾ يعنى الكفر والتكذيب فى السنين السبع ﴿ لَعَلَّهُمْ ﴾ يعنى لكى ﴿ يَرْجِعُونَ ﴾ [آية: ٤١] من الكفر إلى الإيمان.

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

ثم خوفهم، فقال سبحانه: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ يعنى قبل كفار مكة من الأمم الخالية ﴿ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ [آية: ٤٢] فكان عاقبتهم الهلاك فى الدنيا. ثم قال: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ يعنى فأخلص دينك للإسلام المستقيم، فإن غير دين الإسلام ليس بمستقيم ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾ يعنى لا يقدر أحد على رد ذلك اليوم ﴿ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ عز وجل ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ [آية: ٤٣] يعنى بعد الحساب يتفرقون إلى الجنة وإلى النار.

﴿ مَن كَفَرَ ﴾ بالله ﴿ فَعَلَيْهِ ﴾ إثم ﴿ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ [آية: ٤٤] يعنى يقدمون ﴿ لِيَجْزِىَ ﴾ يعنى لكى يجزى الله عز وجل فى القيامة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ بتوحيد الله عز وجل، ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [آية: ٤٥] بتوحيد الله عز وجل.

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ﴾ يعنى ومن علاماته عز وجل، وإن لم تروه، أن تعرفوا توحيده بصنعه عز وجل ﴿ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ يعنى يستبشر بها الناس رجاء المطر ﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ يقول: وليعطيكم من نعمته يعنى المطر ﴿ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ ﴾ فى البحر ﴿ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ ﴾ فى البحر ﴿ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ يعنى الرزق كل هذا بالرياح ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آية: ٤٦] رب هذه النعم فتوحدونه.

ثم خوف كفار مكة لكى لا يكذبوا النبى ﷺ، فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ

﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ فأخبروا قومهم بالعذاب أنه نازل بهم فى الدنيا إن لم يؤمنوا، فكذبوهم بالعذاب أنه غير نازل بهم فى الدنيا، فعذبهم الله عز وجل، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَٱنتَقَمْنَا﴾ بالعذاب ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ يعنى الذين أشركوا ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٤٧] يعنى المصدقين للأنبياء، عليهم السلام، بالعذاب، فكان نصرهم أن الله عز وجل أنجاهم من العذاب مع الرسل.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾

ثم أخبر عن صنعه ليعرف توحيده، فقال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ يقول: يجعل الريح السحاب قطعًا يحمل بعضها على بعض فيضمه، ثم يبسط السحاب فى السماء كيف يشاء الله تعالى، إن شاء بسطه على مسيرة يوم، أو بعض يوم، أو مسيرة أيام يمطرون، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ﴾ يعنى المطر يخرج ﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ يعنى من خلال السحاب ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ يعنى بالمطر ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [آية: ٤٨] يعنى إذا هم يفرحون بالمطر عليهم.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ يعنى من قبل نزول المطر فى السنين السبع حين قحط عليهم المطر ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ [آية: ٤٩] يعنى آيسين من المطر، ﴿فَٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى النبت من آثار المطر ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ بالمطر فتنبت من بعد موتها حين لم يكن فيها نبت، ثم دل على نفسه، فقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يقول: إن هذا الذى فعل ما ترون ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فى الآخرة، فلا تكذبوا بالبعث، يعنى كفار مكة، ثم قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ٥٠] من البعث وغيره، ثم وعظهم ليعتبروا، فقال عز وجل:

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ على هذا النبت الأخضر ﴿فَرَأَوْهُ﴾ النبت ﴿مُصْفَرًّا﴾ من البرد بعد الخضرة ﴿لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [آية: ٥١] برب هذه النعم، ثم عاب كفار مكة، فضرب لهم مثلاً، فقال عز وجل: ﴿فَإِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ النداء فشبه الكفار بالأموات يقول: فكما لا يسمع الميت النداء، فكذلك الكفار لا يسمعون الإيمان ولا يفقهون، ثم قال: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [آية: ٥٢] فشبهوا أيضًا بالصم إذا ولوا مدبرين، يقول: إن الأصم إذا ولى مدبرًا، ثم ناديته لا يسمع الدعاء، فكذلك الكافر لا يسمع الإيمان إذا دعى.

﴿وَمَا أَنتَ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿بِهَادِ الْعُمْيِ﴾ للإيمان يقول: عموا عن الإيمان ﴿عَن ضَلَالَتِهِمْ﴾ يعنى كفرهم الذى هم عليه، ثم أخبر النبى ﷺ، فمن يسمع الإيمان، فقال سبحانه: ﴿إِن تُسْمِعُ﴾ بالإيمان ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ يعنى يصدق بالقرآن أنه جاء من الله عز وجل ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آية: ٥٣] يعنى فهم مخلصون بالتوحيد.

﴿۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾

ثم أخبرهم عن خلق أنفسهم ليتفكر المكذب بالبعث فى خلق نفسه، فقال عز وجل: ﴿۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ يعنى من نطفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ يعنى شدة تمام خلقه ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ يقول: فجعل من بعد قوة الشباب الهرم ﴿وَ﴾ جعل ﴿وَشَيْبَةً﴾ يعنى الشمط ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ يعنى هكذا يشاء أن يخلق الإنسان كما وصف خلقه، ثم قال: ﴿وَهُوَ﴾ يعنى الرب نفسه جل جلاله ﴿الْعَلِيمُ﴾ يعنى العالم بالبعث ﴿الْقَدِيرُ﴾ [آية: ٥٤] يعنى القادر عليه.

ثم قال عز وجل: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿يُقْسِمُ﴾ يعنى يحلف ﴿الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا﴾ فى القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ وذلك أنهم استقلوا ذلك، يقول الله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [آية: ٥٥] يقول: هكذا كانوا يكذبون بالبعث فى

الدنيا، كما كذبوا أنهم لم يلبثوا فى قبورهم إلا ساعة، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ للكفار يوم القيامة: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ فهذا قول مالك الموت لهم فى الآخرة.

ثم قال: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ الذى كنتم به تكذبون أنه غير كائن ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٥٦] كم لبثتم فى القبور، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعنى أشركوا ﴿مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [آية: ٥٧] فى الآخرة فيعتبون.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ يعنى وصفنا وبينا، ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ يعنى من كل شبه نظيرها فى الزمر، ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم﴾ يا محمد ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ كما سأل كفار مكة ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ للنبى ﷺ ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [آية: ٥٨] لقالوا: ما أنت يا محمد إلا كذاب، وما هذه الآية من الله عز وجل، كما كذبوا فى انشقاق القمر حين قالوا: هذا سحر.

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ يقول: هكذا يختم الله عز وجل بالكفر ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٥٩] توحيد الله عز وجل، فلما أخبرهم الله عز وجل بالعذاب أنه نازل بهم فى الدنيا كذبوه، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ يا محمد على تكذيبهم إياك بالعذاب، يعزى نبيه ﷺ ليصبر، فقال: فاصبر ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ يعنى صدق، بالعذاب أنه نازل بهم فى الدنيا، فقالوا للنبى ﷺ: عجل لنا العذاب فى الدنيا إن كنت صادقًا، هذا قول النضر بن الحارث القرشى من بنى عبد الدار بن قصى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ ولا يستفزنك فى تعجيل العذاب بهم ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٦٠] بنزول العذاب عليهم فى الدنيا، فعذبهم الله عز وجل، ببدر حين قتلهم وضربت الملائكة وجوهم وأدبراهم، وعجل الله أرواحهم إلى النار، فهم يعرضون عليها كل يوم طرفى النهار ما دامت الدنيا، فقتل الله النضر بن الحارث ببدر، وضرب عنقه على بن أبى طالب، رضى الله عنه.

* * *

سُورَةُ لُقْمَانَ

سورة لقمان مكية، وهى أربع وثلاثون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾

﴿الٓمٓ﴾ [آية: ١] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آية: ٢] يعنى عز وجل المحكم من الباطل.

﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٣] يعنى للمتقين، ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعنى يتمون الصلاة، كقوله سبحانه: ﴿**فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾ [النساء: ١٠٣]، ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ من أموالهم ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعنى بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٤] بأنه كائن.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين فعلوا ذلك ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ يعنى بيان ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٥] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى النضر بن الحارث ﴿مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ يعنى باطل الحديث، يقول: باع القرآن بالحديث الباطل حديث رستم وأسفندباز، وزعم أن القرآن مثل حديث الأولين حديث رستم وأسفندباز، ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى لكى يستنزل بحديث الباطل عن سبيل الله الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعلمه ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ يقول: ويتخذ آيات القرآن استهزاء به مثل حديث رستم وأسفندباز، وهو الذى قال: ما هذا القرآن إلا أساطير الأولين، وذلك أن النضر بن الحارث قدم إلى الحيرة تاجرًا، فوجد حديث رستم وأسفندباز، فاشتراه، ثم أتى به أهل

مكة، فقال: محمد يحدثكم عن عاد وثمود، وإنما هو مثل حديث رستم وأسفندباز، يقول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [آية: ٦] يعنى وجيعًا.

ثم أخبر عن النضر، فقال عز وجل: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا﴾ يعنى وإذا قرئ عليه القرآن ﴿وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ يقول: أعرض متكبرًا عن الإيمان بالقرآن يقول: ﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا﴾ يعنى كأن لم يسمع آيات القرآن ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ﴾ يعنى ثقلاً كأنه أصم فلا يسمع القرآن ﴿فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٧] فقتل ببدر قتله على بن أبى طالب، عليه السلام.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فى الآخرة ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ [آية: ٨] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ لا يموتون ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ يعنى صدقًا، فإنه منجز لهم ما وعدهم ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آية: ٩] حكم لهم الجنة.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السبع ﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ﴾ فيها تقديم ﴿تَرَوۡنَهَاۖ﴾ يقول: هن قائمات ليس لهن عمد ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ يعنى الجبال ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ يقول: لئلا تزول بكم الأرض ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ﴾ يقول: خلق فى الأرض من كل دابة ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ يعنى المطر ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا﴾ يقول: فأجرينا بالماء فى الأرض ﴿مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ [آية: ١٠] يعنى كل صنف من ألوان النبت حسن.

﴿هَٰذَا﴾ الذى ذكر ﴿خَلۡقُ ٱللَّهِ﴾ عز وجل وصنعه ﴿فَأَرُونِي﴾ يعنى كفار مكة ﴿مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ﴾ تدعون، يعنى تعبدون ﴿مِن دُونِهِۦۚ﴾ يعنى الملائكة نظيرها فى سبأ، والأحقاف، ثم استأنف الكلام: ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ١١] يعنى فى خسران بين.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ

إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ أعطيناه العلم والفهم من غير نبوة فهذه نعمة، فقلنا له: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ عز وجل فى نعمه، فيما أعطاك من الحكمة، ﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾ لله تعالى فى نعمه، فيوحده ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ﴾ يعنى فإنما يعمل الخير، ﴿لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ﴾ النعم، فلم يوحد ربه عز وجل، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عن عبادة خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ [آية: ١٢] عن خلقه فى سلطانه.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ واسم ابنه أنعم ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ يعنى عز وجل يؤدبه، ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ﴾ معه غيره ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١٣] كان ابنه وامرأته كفارًا، فما زال بهما حتى أسلما، وزعموا أن لقمان كان ابن خالة أيوب، صلى الله عليه.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا سعيد بن بشير، عن قتادة بن دعامة، قال: كان لقمان رجلاً أفطس من أرض الحبشة، قال هذيل: و لم أسمع مقاتلاً.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ سعد بن أبى وقاص بوالديه، يعنى أباه اسمه مالك، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ حمنة ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ يعنى ضعفًا على ضعف ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى﴾ يعنى الله عز وجل أن هداه للإسلام ﴿وَ﴾ اشكر ﴿وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ النعم فيما أولياك ﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ١٤] فأجزيك بعملك.

قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ لا تعلم بأن معى

شريكًا ﴿فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ﴾ فى الشرك ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ يعنى بإحسان، ثم قال لسعد، رضى الله عنه: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ يعنى دين من أقبل إلى، يعنى النبى ﷺ، ثم قال: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ فى الآخرة ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٥] وقال ابن لقمان أنعم لأبيه: يا أبت، إن عملت بالخطيئة حيث لا يرانى أحد كيف يعلمه الله، عز وجل، فرد عليه لقمان، عليه السلام:

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ﴾ يعنى وزن ذرة ﴿مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ﴾ التى فى الأرض السفلى، وهى خضراء مجوفة لها ثلاث شعب على لون السماء، ﴿أَوۡ﴾ تكن الحبة ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السبع ﴿أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ يعنى بتلك الحبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٞ﴾ [آية: ١٦] بمكانها.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ يعنى بالتوحيد ﴿وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ يعنى الشر الذى لا يعرف ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ فيهما من الأذى ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آية: ١٧] يقول: إن ذلك الصبر على الأذى فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من حق الأمور التى أمر الله عز وجل بها، وعزم عليها.

﴿وَ﴾ قال لقمان لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: لا تعرض وجهك عن فقراء الناس إذا كلموك فخرًا بالخيلاء والعظمة، ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾ [آية: ١٨] يعنى عز وجل كل بطر مرح فخور فى نعم الله تعالى لا يأخذها بالشكر.

﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ لا تختل فى مشيك، ولا تبطر حيث لا يحل، ﴿وَٱغۡضُضۡ﴾ يعنى واخفض ﴿مِن صَوۡتِكَۚ﴾ يعنى من كلامك بأمر لقمان ابنه بالاقتصاد فى المشى، والمنطق، ثم ضرب للصوت الرفيع، مثلاً، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [آية: ١٩] يعنى أقبح الأصوات لصوت الحمير، لشدة صوتهن تقول العرب: هذا أصوات الحمير، وهذا صوت الحمير، وتقول: هذا صوت الدجاج، وهذا أصوات الدجاج، وتقول: هذا صوت النساء، وأصوات النساء.

﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ

يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعنى الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح، ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى الجبال والأنهار فيها السفن والأشجار والنبت عامًا بعام، ثم قال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾ يقول: وأوسع عليكم نعمه ﴿ظَٰهِرَةً﴾ يعنى تسوية الخلق والرزق والإسلام، ﴿وَبَاطِنَةً﴾ يعنى ما ستر من الذنوب من بنى آدم، فلم يعلم بها أحد و لم يعاقب فيها، فهذا كله من النعم، فالحمد لله على ذلك حمدًا كثيرًا، ونسأله تمام النعمة فى الدنيا والآخرة، فإنه ولى كل حسنة، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى النضر بن الحارث ﴿مَن يُجَٰدِلُ﴾ يعنى يخاصم ﴿فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعلمه حين يزعم أن لله عز وجل البنات، يعنى الملائكة، ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [آية: ٢٠] يعنى لا بيان معه من الله عز وجل، يقول: ولا كتاب مضئ له فيه حجة بأن الملائكة بنات الله عز وجل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ يعنى للنضر ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من الإيمان بالقرآن ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من الدين، يقول الله عز وجل: ﴿أَوَلَوْ كَانَ﴾ يعنى وإن كان ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [آية: ٢١] يعنى الوقود يتبعونه، يعنى النضر بن الحارث مثله فى سورة الحج، ثم أخبر عن الموحدين، فقال سبحانه:

﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يقول: من يخلص دينه لله، كقوله تعالى: ﴿**ولكل وجهة**﴾ [البقرة: ١٤٨]، يعنى لكل أهل دين، ثم قال: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فى عمله ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾ يقول: فقد أخذ ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ التى لا انفصام لها، لا نقطاع لها ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [آية: ٢٢] يعنى مصير أمور العباد إلى الله عز وجل فى الآخرة، فيجزيهم بأعمالهم.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ وذلك أن كفار مكة، قالوا: فى حم عسق: ﴿**افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً**﴾ [الشورى: ٢٤]، يعنون النبى ﷺ حين يزعم أن القرآن جاء

من الله عز وجل، فشق على النبى ﷺ قولهم وأحزنه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالقرآن ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ من المعاصى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٢٣] يقول: إن الله عز وجل عالم بما فى قلب محمد ﷺ من الحزن بما قالوا له، ثم أخبر عز وجل عنهم، فقال: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ فى الدنيا إلى آجالهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ نصيرهم ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [آية: ٢٤] يعنى شديد لا يفتر عنهم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ﴾ يعنى ولكن ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٢٥] بتوحيد الله عز وجل، ثم عظم نفسه عز وجل، فقال: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ من الخلق، عبيده، وفى ملكه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن عباده خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [آية: ٢٦] عند خلقه فى سلطانه.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ يعنى علم الله، يقول: لو أن كل شجرة ذات ساق على وجه الأرض بريت أقلامًا، وكانت البحور السبعة مدادًا، فكتب بتلك الأقلام، وجميع خلق الله عز وجل يكتبون من البحور السبعة، فكتبوا علم الله تعالى وعجائبه، لنفدت تلك الأقلام وتلك البحور، ولم ينفد علم الله وكلماته ولا عجائبه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ فى ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٢٧] فى أمره، يخبر الناس أن أحدًا لا يدرك علمه.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ نزلت فى أبى بن خلف، وأبى الأشدين واسمه أسيد بن كلدة، ومنبه ونبيه ابنى الحجاج بن السباق بن حذيفة السهمى، كلهم من قريش، وذلك أنهم قالوا للنبى ﷺ: إن الله خلقنا أطوارًا، نطفة، علقة، مضغة، عظامًا، لحمًا، ثم تزعم أنا نبعث خلقًا جديدًا جميعًا فى ساعة واحدة، فقال الله عز وجل: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ﴾ أيها الناس جميعًا على الله سبحانه فى القدرة، إلا كخلق نفس واحدة، ﴿وَلَا بَعْثُكُمْ﴾ جميعًا على الله تعالى، إلا كبعث نفس واحدة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [آية: ٢٨] لما قالوا من الخلق والبعث.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ يعنى انتقاض كل واحد منهما من صاحبه حتى يصير أحدهما خمس عشرة ساعة والآخر سبع ساعات ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ لبنى آدم ﴿كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾ وهو الأجل الـ﴿مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيهما ﴿خَبِيرٌ﴾ [آية: ٢٩].

﴿ذَٰلِكَ﴾ يقول: هذا الذى ذكر من صنع الله، والنهار والشمس والقمر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ جل جلاله ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ وغير باطل يدل على توحيده بصنعه، ثم قال تعالى: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ يعنى يعبدون ﴿مِن دُونِهِ﴾ من الآلهة هو ﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾ لا تنفعكم عبادتهم وليس بشىء، ثم عظم نفسه عز وجل، فقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ يعنى الرفيع فوق خلقه ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ [آية: ٣٠] فلا أعظم منه، ثم ذكر توحيده وصنعه، فقال سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾ بالرياح ﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى برحمة الله عز وجل ﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ يعنى من علاماته، وأنتم فيهن، يعنى ما ترون من صنعه وعجائبه فى البحر والابتغاء فيه الرزق والحلى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الذى ترون فى البحر ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ يعنى لعبرة ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على أمر الله عز وجل عند البلاء فى البحر ﴿شَكُورٍ﴾ [آية: ٣١] لله تعالى فى نعمه حين أنجاه من أهوال البحر، ثم قال عز وجل:

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ فى البحر ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ يعنى كالجبال ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾ يعنى موحدين له ﴿ٱلدِّينَ﴾ يقول: التوحيد ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ﴾ من البحر ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ يعنى عدل فى وفاء العهد فى البر، فيما عاهد الله عز وجل عليه فى البحر من

التوحيد، يعنى المؤمن، ثم ذكر المشرك الذى وحد الله فى البحر حين دعاه مخلصًا، ثم ترك التوحيد فى البر ونقض العهد، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يعنى ترك العهد ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ﴾ يعنى غدار بالعهد ﴿كَفُورٖ﴾ [آية: ٣٢] لله عز وجل فى نعمه فى تركه التوحيد فى البر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ يقول الله تعالى: وحدوا ربكم ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا﴾ يخوفهم يوم القيامة ﴿لَّا يَجۡزِي﴾ يعنى لا يغنى ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ شيئًا من المنفعة، يعنى الكفار ﴿وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ﴾ يعنى هو مغن ﴿عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ﴾ من المنفعة ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ فى البعث أنه كائن ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [آية: ٣٣] يعنى الباطل، وهو الشيطان يعنى به إبليس.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ نزلت فى رجل اسمه الوارث بن عمرو بن حارثة بن محارب من أهل البادية آتى النبى ﷺ، فقال: إن أرضنا أجدبت فمتى الغيث؟ وتركت امرأتى حبلى فماذا تلد؟ وقد علمت أين ولدت، فبأى أرض أموت؟ وقد علمت ما عملت اليوم، فما أعمل غدًا؟ ومتى الساعة؟ فأنزل الله تبارك وتعالى فى مسألة المحاربى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ يعنى يوم القيامة لا يعلمها غيره، ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ يعنى المطر، ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ ذكرًا، أو أنثى، أو غير سوى، ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ﴾ بر، وفاجر، ﴿مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾ من خير وشر، ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ فى سهل، أو جبل، فى بر، أو بحر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [آية: ٣٤] بهذا كله مما ذكر فى هذه الآية، فقال النبى ﷺ: «أين السائل عن الساعة»؟ فقال المحاربى: ها أنذا، فقرأ عليه النبى ﷺ هذه الآية.

* * *

سُورَةُ السَّجْدَةِ

مكية إلا آية واحدة نزلت بالمدينة فى الأنصار

وهى قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ [آية: ١٦] الآية.

وقال غير مقاتل: فيها ثلاث آيات مدنيات، وهى قوله تعالى: **﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً﴾** إلى قوله تعالى: **﴿يكذبون﴾** [آية: ١٦، ١٧، ١٨] وعدد آياتها ثلاثون آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿الٓمٓ﴾ [آية: ١] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعنى القرآن ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يعنى لا شك فيه أنه نزل ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٢] جل وعز، لقولهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أنه ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمد ﷺ من تلقاء نفسه، فأكذبهم الله تعالى، ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ يعنى القرآن ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ ولو لم يكن من ربك لم يكن حقًا، وكان باطلاً ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ يعنى كفار قريش ﴿مَّآ أَتَىٰهُم﴾ يقول: لم يأتهم ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾ يعنى من رسول ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يعنى لكى ﴿يَهْتَدُونَ﴾ [آية: ٣] من الضلالة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ يدل على نفسه عز وجل بصنعه ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ يعنى السحاب والرياح والجبال والشمس والقمر والنجوم ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ قبل خلق السماوات والأرض وقبل كل شىء ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ﴾ يعنى من قريب ينفعكم فى الآخرة، يعنى كفار مكة ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ من الملائكة ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٤] فيما ذكر الله عز وجل من صنعه فتوحدونه.

ثم قال عز وجل: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ يقول: يفصل القضاء وحده ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ فينزل به جبريل صلى الله عليه، ﴿ثُمَّ يَعۡرُجُ﴾ يقول: ثم يصعد الملك ﴿إِلَيۡهِ فِى يَوۡمٍ﴾ واحد من أيام الدنيا ﴿كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ﴾ أى مقدار ذلك اليوم ﴿أَلۡفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [آية: ٥] أنتم لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمس مائة عام، فذلك مسيرة ألف سنة كل ذلك فى يوم من أيام الدنيا.

﴿ذَٰلِكَ﴾ يعنى الذى ذكر من هذه الأشياء ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٦] بخلقه مثلها فى يس: ﴿**ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ**﴾ [الأنعام: ٩٦] ، ثم قال لنفسه عز وجل: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ يعنى علم كيف يخلق الأشياء من غير أن يعلمه أحد، ﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ يعنى آدم، عليه السلام، ﴿مِن طِينٍ﴾ [آية: ٧] كان أوله طينًا، فلما نفخ فيه الروح صار لحمًا ودمًا.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ﴾ يعنى ذرية آدم، عليه السلام، ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ يعنى النطفة التى نسل من الإنسان ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [آية: ٨] يعنى بالماء النطفة، ويعنى بالمهين الضعيف، ثم رجع إلى آدم فى التقديم، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ يعنى ثم سوى خلقه ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ ، ثم رجع إلى ذرية آدم، عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ يعنى ذرية آدم، عليه السلام، بعد النطفة ﴿ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [آية: ٩] يعنى بالقليل أنهم لا يشكرون رب هذه النعم فى حسن خلقهم فيوحدونه، تقول العرب: إنك لقليل الفهم، يعنى لا يفهم ولا يفقه.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِى ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدٍۭ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ

مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾ يعنى هلكنا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وكنا ترابًا ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ إنا لمبعوثون خلقًا جديدًا بعد الموت، يعنون البعث، ويعنون كما كنا تكذيبًا بالبعث نزلت فى أُبى بن خلف، وأبى الأشدين اسمه أسيد بن كلدة بن خلف الجمحى، ومنبه ونبيه ابنى الحجاج، يقول الله عز وجل: ﴿بَلْ﴾ نبعثهم، نظيرها فى ق والقرآن، ثم قال: ﴿هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ يعنى بالبعث ﴿كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ١٠] لا يؤمنون.

﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ يزعمون أن اسمه عزرائيل، وله أربعة أجنحة جناح بالمشرق، وجناح بالمغرب، وجناح له فى أقصى العالم من حيث تجئ الريح الدبور، وجناح له فى أقصى العالم من حيث تجئ الريح الصبا، ورجل له بالمشرق، ورجله الأخرى بالمغرب، والخلق بين رجليه ورأسه فى السماء العليا وجسده، كما بين السماء والأرض، ووجهه عند ستر الحجب، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ١١] بعد الموت أحياء فيجزيكم بأعمالكم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يعنى عز وجل كفار مكة ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [آية: ١٢] بالبعث. يقول الله جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا﴾ يعنى لأعطينا ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾ فاجرة ﴿هُدَىٰهَا﴾ يعنى بياتها ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ يعنى وجب العذاب منى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ١٣] يعنى كفار الإنس والجن جميعًا، والقول الذى وجب من الله عز وجل لقوله لإبليس يوم عصاه فى السجود لآدم، عليه السلام: ﴿**لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص: ٨٥]، فإذا أدخلوا النار، قالت الخزنة لهم: ﴿فَذُوقُوا۟﴾ العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ﴾ يعنى بما تركتم الإيمان بـ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ يعنى البعث ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ تقول الخزنة: إنا تركناكم فى العذاب ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ الذى لا ينقطع ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٤] من الكفر والتكذيب.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا

رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ يقول: يصدق بآياتنا، يعنى القرآن ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا﴾ يعنى وعظوا بها، يعنى بآياتنا القرآن ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ على وجوههم ﴿وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وذكروا الله بأمره ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩﴾ [آية: ١٥] يعنى لا يتكبرون عن السجود كفعل كفار مكة حين تكبروا عن السجود.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ نزلت فى الأنصار ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾ يعنى كانوا يصلون بين المغرب والعشاء ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عذابه، ﴿وَطَمَعًا﴾ يعنى ورجاء فى رحمته، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ﴾ من الأموال ﴿يُنفِقُونَ﴾ [آية: ١٦] فى طاعة الله عز وجل، ثم أخبر بما أعد لهم، فقال عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾ فى جنات عدن مما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب قائل ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٧] به.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ وذلك أن الوليد بن عقبة بن أبى معيط من بنى أمية أخو عثمان بن عفان، رضى الله عنه، من أمه، قال لعلى بن أبى طالب، رضى الله عنه: اسكت فإنك صبى، وأنا أحد منك سنانًا، وأبسط منك لسانًا، وأكثر حشوًا فى الكتيبة منك، قال له على، عليه السلام: اسكت فأنت فاسق، فأنزل الله جل ذكره: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ يعنى عليًا، عليه السلام، ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ﴾ يعنى الوليد ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [آية: ١٨] أن يتوبوا من الفسق، ثم أخبر بمنازل المؤمنين وفساق الكفار فى الآخرة، فقال سبحانه:

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ﴾ فى الآخرة ﴿جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ مأوى المؤمنين، ويقال: مأوى أرواح الشهداء ﴿نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٩].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟﴾ يعنى عصوا يعنى الكفار ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ﴾ يعنى عز وجل فمصيرهم

﴿ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ﴾ وذلك أن جهنم إذا جاشت ألقت الناس فى أعلى النار، فيريدون الخروج فتلقاهم الملائكة بالمقامع فيضربونهم، فيهوى أحدهم من الضربة إلى قعرها، وتقول الخزنة إذا ضربوهم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ٢٠] بالبعث وبالعذاب بأنه ليس كائنًا، ثم قال عز وجل:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾ يعنى كفار مكة ﴿مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ يعنى الجوع الذى أصابهم فى السنين السبع بمكة حين أكلوا العظام والموتى والجيف والكلاب عقوبة بتكذيبهم النبى ﷺ، ثم قال: ﴿دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ يعنى القتل ببدر، وهو أعظم من العذاب الذى أصابهم من الجوع ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ يعنى لكى ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ [آية: ٢١] من الكفر إلى الإيمان.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ يقول: فلا أحد أظلم ﴿مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ يقول: ممن وعظ بآيات القرآن ﴿ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ﴾ عن الإيمان ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [آية: ٢٢] يعنى كفار مكة نزلت فى المطعمين والمستهزئين من قريش، انتقم الله عز وجل منهم بالقتل ببدر، وضربت الملائكة الوجوه والأدبار، وتعجيل أرواحهم إلى النار.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يقول: أعطينا موسى ﷺ التوراة ﴿فَلَا تَكُن﴾ يا محمد ﴿فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ﴾ يقول: لا تكن فى شك من لقاء موسى، عليه السلام، التوراة، فإن الله عز وجل ألقى الكتاب عليه، يعنى التوراة حقًا، ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى﴾ يعنى التوراة هدى ﴿لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آية: ٢٣] من الضلالة.

﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ يعنى من بنى إسرائيل ﴿أَئِمَّةٗ﴾ يعنى قادة إلى الخير ﴿يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ يعنى يدعون الناس إلى أمر الله عز وجل ﴿لَمَّا صَبَرُواْۖ﴾ يعنى لما صبروا على البلاء حين كلفوا بمصر ما لم يطيقوا من العمل فعل ذلك بهم باتباعهم موسى على دين الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعنى بالآيات التسع ﴿يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٢٤] بأنها من الله عز وجل.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ يعنى يقضى بينهم، يعنى بنى إسرائيل ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ﴾ من الدين ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ٢٥] ثم خوف كفار مكة، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ يعنى يبين لهم ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ بالعذاب ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ يعنى الأمم الخالية ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ يقول: يمرون على قراهم، يعنى قوم لوط، وصالح، وهود، عليهم فيرون هلاكهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ يعنى لعبرة ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [آية: ٢٦] الوعيد بالمواعظ، ثم وعظهم ليوحدوا، فقال سبحانه:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ (٣٠)﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ يعنى الملساء ليس فيها نبت ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ﴾ بالماء ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٢٧] هذه الأعاجيب فيوحدون ربهم عز وجل، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ يعنى القضاء وهو البعث ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آية: ٢٨] وذلك أن المؤمنين قالوا: إن لنا يومًا نتنعم فيه، ونستريح، فقال كفار مكة: متى هذا الفتح إن كنتم صادقين؟ يعنون النبى ﷺ وحده، تكذيبًا بالبعث بأنه ليس بكائن، فإن كان البعث حقًا صدقنا يومئذ، فأنزل الله تبارك وتعالى:

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ يعنى القضاء ﴿لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ بالبعث لقولهم للنبى ﷺ: إن كان البعث الذى تقول حقًا صدقنا يومئذ، فذلك قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالبعث، لقولهم: إن كان ذلك اليوم حقًا صدقنا ﴿إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آية: ٢٩] يقول: لا يناظر بهم العذاب حتى يقولوا، فلم نزلت هذه الآية أراد النبى ﷺ أن يرسل إليهم فيجزيهم وينبؤهم، فأنزل الله تبارك وتعالى يعزى نبيه ﷺ إلى مدة.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ﴾ بهم العذاب، يعنى القتل ببدر ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [آية: ٣٠] العذاب، يعنى القتل ببدر، فقتلهم الله وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجل الله أرواحهم إلى النار، ثم إن آية السيف نسخت الإعراض.

* * *

سورة الأحزاب

مدنية، عدد آياتها ثلاث وسبعون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (٣) مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ (٤) ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥)﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ﴾ وذلك أن عبد الله بن أبى، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح، وطعمة بن أبيرق، وهم المنافقون كتبوا مع غلام لطعمة إلى مشركى مكة من قريش إلى أبى سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبى جهل، وأبى الأعور رأس الأحزاب أن أقدموا علينا فسنكون لكم أعوانًا فيما تريدون، وإن شئتم مكرنا بمحمد ﷺ حتى يتبع دينكم الذى أنتم عليه، فكتبوا إليهم: إنا لن نأتيكم حتى تأخذوا العهد والميثاق من محمد، فإنا نخشى أن يغدر بنا، ثم نأتيكم فنقول وتقولون، لعله يتبع ديننا، فلما جاءهم الكتاب، انطلق هؤلاء المنافقون حتى أتوا النبى ﷺ، فقالوا: أتيناك فى أمر أبى سفيان بن حرب، وأبى الأعور، وعكرمة بن أبى جهل، أن تعطيهم العهد والميثاق على دمائهم وأموالهم، فيأتون وتكلمهم لعل إلهك يهد قلوبهم، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك، وكان حريصًا على أن يؤمنوا أعطاهم الأمان من نفسه، فكتب المنافقون إلى الكافرين من قريش أنا قد استمكنا من محمد ﷺ، ولقد أعطانا وإياكم الذى تريدون، فأقبلوا على اسم اللات والعزى لعلنا نزيله إلى ما نهواه، ففرحوا بذلك.

ثم ركب كل رجل منهم راحلة حتى أتوا المدينة، فلما دخلوا على عبد الله بن أبى،

أنزلهم وأكرمهم ورحب بهم، وقال: أنا عند الذى يسركم محمد أذن، ولو قد سمع كلامنا وكلامكم لعله لا يعصينا فيما نأمره، فأبشروا واستعينوا آلهتكم عليه، فإنها نعم العون لنا ولكم، فلما رأوا ذلك منه قالوا: أرسل إلى إخواننا، فأرسل عبد الله بن أُبى إلى طعمة وسعد أن إخواننا من أهل مكة قدموا علينا، فلما أتاهم الرسول جاءوا فرحبوا بهم ولزم بعضهم بعضًا من الفرح وهم قيام، ثم جلسوا يرون أن يستنزلوا محمدًا ﷺ عن دينه.

فقال عبد الله بن أُبى: أما أنا فأقول له ما تسمعون لا أعدوا ذلك ولا أزيد، أقول: إنا معشر الأنصار لم نزل وإلهنا محمود بخير، ونحن اليوم أفضل منذ أرسل إلينا محمد، ونحن كل يوم منه فى مزيد، ونحن نرجو بعد اليوم من إله محمد كل خير، ولكن لو شاء محمد قبل أمرًا كان يكون ما عاش لنا وله ذكر فى الأولين الذين مضوا، ويذهب ذكره فى الآخرين على أن يقول: إن اللات والعزى لهما شفاعة يوم القيامة، ولهما ذكر ومنفعة على طاعتهما، هذا قولى له.

قال أبو سفيان: نخشى علينا وعليكم الغدر والقتل، فإن محمدًا زعموا أنه لن يبقى بها أحدًا منا فى شدة بغضه إيانا، وإنا نخشى أن يكون يضمر لنا فى نفسه ما كان لقى أصحابه يوم أحد. قال عبد الله بن أُبى: إنه إذا أعطى الأمان فإنه لن يغدر، هو أكرم من ذلك، وأوفى بالعهد منا، فلما أصبحوا أتوه فسلمو عليه، فقال النبى ﷺ: «مرحبًا بأبى سفيان اللهم اهد قلبه»، فقال أبو سفيان: اللهم يسر الذى هو خير، فجلسوا فتكلموا وعبد الله بن أُبى، فقالوا للنبى ﷺ: ارفض ذكر اللات والعزة ومناة، حجر يعبد بأرض هذيل، وقل: إن لهما شفاعة ومنفعة فى الآخرة لمن عبدهما، فنظر إليه النبى ﷺ وشق عليه قولهم، فقال عمر بن الخطاب، رضوان الله عليه: ائذن لى يا رسول الله فى قتلهم، فقال النبى ﷺ: «إنى قد أعطيتهم العهد والميثاق»، وقال النبى ﷺ: «لو شعرت أنكم تأتون لهذا من الحديث لما أعطيتهم الأمان».

فقال أبو سفيان: ما بأس بهذا أن قومًا استأنسوا إليك يا محمد ورجوا منك أمرًا، فأما إذا قطعت رجاءهم، فإنه لا ينبغى لك أن تؤذيهم، وعليك باللين والتؤدة لإخوانك وأصحابك، فإن هذا من قوم أكرموك ونصروك وأعانوك ولولاهم لكنت مطلوبًا مقتولاً، وكنت فى الأرض خائفًا لا يقبلك أحد، فزجرهم عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فقال: اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فعليكم رجس الله وغضبه وعذابه ما أكثر شركم،

وأقل خيركم وأبعدكم من الخير، وأقربكم من الشر، فخرجوا من عنده، فأمر النبى ﷺ أن يخرجهم من المدينة، فقال بعضهم لبعض: لا نخرج حتى يعطينا العهد إلى أن نرجع إلى بلادنا، فأعطاهم النبى ﷺ ذلك، فنزلت فيهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعنى تبارك وتعالى أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور، اسمه عمرو بن سفيان، ثم قال: ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ يعنى عبد الله بن أبى، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح، وطعمة بن أبيرق، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [آية: ١].

فلما خرجوا من عنده قال النبى ﷺ: ما لهؤلاء؟ عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ يعنى ما فى القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [آية: ٢].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وثق بالله فيما تسمع من الأذى ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [آية: ٣] ناصرًا ووليًا ومانعًا، فلا أحد أمنع من الله تعالى، وإنما نزلت فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ من أهل مكة ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ من أهل المدينة، يعنى هؤلاء النفر الستة المسمين، ودع أذاهم إياك لقولهم للنبى ﷺ: قل للآلهة شفاعة ومنفعة لمن عبدها ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ يعنى مانعًا فلا أحد أمنع من الله عز وجل، ثم قال:

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ نزلت فى أبى معمر بن أنس الفهرى، كان رجلاً حافظًا لما سمع وأهدى الناس بالطريق وكان لبيبًا، فقالت قريش: ما أحفظ أبا معمر، إلا أنه ذو قلبين، فكان جميل يقول: إن فى جوفى قلبين أحدهما أعقل من محمد، فلما كان يوم بدر انهزم وأخذ نعله فى يده، فقال له سليمان بن الحارث: أين تذهب يا جميل؟ تزعم أن لك قلبين أحدهما أعقل من محمد ﷺ.

ثم قال: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ يعنى أوس بن الصامت بن قيس الأنصارى من بنى عوف بن الخزرج وامرأته خولة بنت قيس بن ثعلبة بن مالك بن أصرم بن حرامة من بنى عمرو بن عوف بن الخزرج.

ثم قال: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ يعنى النبى ﷺ تبنى زيد بن حارثة اتخذه ولدًا، فقال الناس: زيد بن محمد، فضرب الله تعالى لذلك مثلاً، فقال: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ﴾ فكما لا يكون للرجل الواحد قلبان، كذلك لا

يكون دعى الرجل ابنه يعنى النبى ﷺ وزيد بن حارثة بن قرة بن شرحبيل الكلبى، من بنى عبد ود، كان النبى ﷺ تبناه فى الجاهلية وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب، رضى الله عنهما، فى الإسلام، فجعل الفقير أخا الغنى ليعود عليه، فلما تزوج النبى ﷺ زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة، قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه، وهو ينهانا عن ذلك، فنزلت هذه الآية، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ﴾ يعنى دعى النبى ﷺ حين ادعى زيدًا ولدًا، فقال: هو ابنى ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾ يقول: لم يجعل أدعياءكم أبناءكم.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الذى قلتم زيد بن محمد هو ﴿قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ يقول: إنكم قلتموه بألسنتكم ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ فيما قال من أمر زيد بن حارثة ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [آية: ٤] يعنى وهو يدل إلى طريق الحق، ثم أخبر كيف يقولون فى أمر زيد بن حارثة.

فقال: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ يقول: قولوا زيد بن حارثة ولا تنسبوه إلى غير أبيه ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾ يعنى أعدل ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ فلما نزلت هذه الآية دعاه المسلمون إلى أبيه، فقال: زيد أنا بن حارثة معروف نسبى، فقال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ يقول: فإن لم تعلموا لزيد أبا تنسبوه إليه، فهو أخوكم فى الدين ومولاكم، يقول: فلان مولى فلان ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ يعنى حرج ﴿فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ قبل النهى ونسبوه إلى غير أبيه ﴿وَلَٰكِن﴾ الجناح فى ﴿مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ بعد النهى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [آية: ٥] غفورًا لما كان من قولهم من قبل أن زيد بن محمد ﷺ رحيمًا فيما بقى، فقال رجل من المسلمين فى ذلك.

﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾

فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فى الطاعة له ﴿مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعنى من بعضهم لبعض، فلما نزلت هذه الآية، قال النبى ﷺ: «من ترك دينا فعلى، ومن ترك

كلا، يعنى عيالاً، فأنا أحق به، ومن ترك مالاً فللورثة». ثم قال عز وجل: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ ولا يحل لمسلم أن يتزوج من نساء النبى ﷺ شيئًا أبدًا، ثم قال عز وجل: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ يعنى فى المواريث ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعنى الأنصار، ثم قال: ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الذين هاجروا إليهم بالمدينة، وذلك أن الله تعالى أراد أنت يحرض المؤمنين على الهجرة بالمواريثا، فلما نزلت هذه الآية ورث المهاجرون بعضهم بعضًا على القرابة، فإن كان مسلمًا لم يهاجر لم يرثه اينه ولا أبوه ولا أخوه المهاجر، إذا مات أحدهما و لم يهاجر الآخر.

﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ يعنى إلى أقربائكم أن توصوا لهم من الميراث للذين لم يهاجروا من المسلمين، كانوا بمكة أو بغيرها، ثم قال: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [آية: ٦] يعنى مكتوبًا فى اللوح المحفوظ أن المؤمنين أولى ببعض فى الميراث من الكفار، فلما كثر المهاجرون رد الله عز وجل المواريث على أولى الأرحام على كتاب الله فى القسمة إن كان مهاجرًا، أو غير مهاجر، فقال فى آخر الأنفال: ﴿**وَأُولُو الأَرْحَامِ**﴾ من المسلمين ﴿**بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ**﴾ مهاجر، وغير مهاجر فى الميراث ﴿**فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٧٥]، فنسخت الآية التى فى الأنفال هذه الآية التى فى الأحزاب.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ﴾ يا محمد ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ فكان النبى ﷺ أولهم فى الميثاق وآخرهم فى البعث، وذلك أن الله تبارك وتعالى خلق آدم، عليه السلام، وأخرج منه ذريته، فأخذ على ذريته من النبين أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وأن يدعوا الناس إلى عبادة الله عز وجل، وأن يصدق بعضهم بعضًا، وأن ينصحوا لقومهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [آية: ٧] الذى أخذ عليهم، فكل نبى بعثه الله عز وجل صدق من كان قبله، ومن كان بعده من الأنبياء، عليهم السلام.

يقول عز وجل: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ يعنى النبين، عليهم السلام، هل بلغوا الرسالة ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بالرسل ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ٨] يعنى وجيعًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ

أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ فى الدفع عنكم وذلك أن أبا سفيان بن حرب، ومن معه من المشركين يوم الخندق تحزبوا فى ثلاثة أمكنة على النبى ﷺ وأصحابه يقاتلونهم من كل وجه فبعث الله عز وجل عليهم بالليل ريحًا باردة، وبعث الله الملائكة، فقطعت الريح الأوتاد، وأطفأت النيران، وجالت الخيل بعضها فى بعض، وكبرت الملائكة فى ناحية عسكرهم، فانهزم المشركون من غير قتال، فأنزل الله عز وجل يذكرهم، فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ فى الدفع عنكم ﴿ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾ من المشركين يعنى أبا سفيان بن حرب ومن اتبعه ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ﴾ شديدة ﴿ وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ ﴾ من الملائكة ألف ملك فيهم جبريل عليه السلام ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [آية: ٩].

ثم أخبر عن حالهم، فقال سبحانه: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ من فوق الوادى من قبل المشرق عليهم مالك بن عوف البصرى، وعيينة بن حصن الفزارى فى ألف من غطفان معهم طليحة بن خويلد الأسدى، وحيى بن أخطب اليهودى فى اليهود يهود قريظة، وعامر بن الطفيل فى هوزان، ثم قال جل ثناؤه: ﴿ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ يعنى من بطن الوادى من قبل المغرب، وهو أبو سفيان بن حرب على أهل مكة معه يزيد بن خليس على قريش والأعور السلمى من قبل الخندق، فذلك قوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ يعنى شخصت الأبصار فرقًا ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ [آية: ١٠] يعنى الإياس من النصر، وإخلاف الأمر.

يقول جل ثناؤه: ﴿ هُنَالِكَ ﴾ يعنى عند ذلك ﴿ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ بالقتال والحصر ﴿ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [آية: ١١] لما رأى الله عز وجل ما فيه المؤمنون من الجهد والضعف بعث لهم ريحًا وجنودًا من الملائكة، فأطفأت الريح نيرانهم، وألقت أبنيتهم،

وأكفأت قدورهم ونزعت أوتادهم، ونسفت التراب فى وجوههم، وجالت الدواب بعضها فى بعض، وسمعوا تكبير الملائكة فى نواحى عسكرهم فرعبوا، فقال طليحة بن خويلد الأسدى: إن محمدًا قد بدأكم بالشر، فالنجاة النجاة، فنادى رئيس كل قوم بالرحيل، فانهزموا ليلاً بما استخفوا من أمتعتهم، ورفضوا بعضها لا يبصرون شيئًا من شدة الريح والظلمة، فانهزموا فذلك قوله عز وجل: ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**﴾ بالريح والملائكة ﴿**وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً**﴾ [الأحزاب: ٢٥] يعنى منيعًا فى ملكه حين هزمهم.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ منهم أوس بن قيظى، ومعتب بن قشير الأنصارى ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعنى الشك ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [آية: ١٢] وذلك أن النبى ﷺ لما بلغه إقبال المشركين من مكة أمر فحفر كل بنى أب على حدة، وصار سلمان الفارسى فى بنى هاشم، فأتى سلمان على صخرة، فلم يستطع قلعها، فأخذ النبى ﷺ المعول من سلمان، فضرب به ثلاث ضربات، فانصدع الحجر، وسطع نور من الحجر كأنه البرق، فقال سلمان: يا رسول الله، لقد رأيت من الحجر أمرًا عجيبًا وأنت تضربه، فقال النبى ﷺ: «وهل رأيت»؟ قال: نعم، قال النبى ﷺ: «رأيت الضربة الأولى قوى اليمن، وفى الضربة الثانية أبيض المدائن، وفى الضربة الثالثة مدائن الروم، ولقد أوحى الله عز وجل إلىّ بأنه يفتحهن على أمتى»، فاستبشر المؤمنون، وفشا ذلك فى المسلمين، فلما رأوا شدة القتال، والحصر ارتاب المنافقون، فأساءوا القول.

قال معتب بن قشير بن عدى الأنصارى من الأوس من بنى عمرو بن عوف: يعدنا محمد فتح قصور اليمن، وفارس، والروم، ولا يستطيع أحدنا أن يبرز إلى الخلاء حتى يوضع فيه سهم هذا، والله الغرور من قول ابن عبد المطلب، وتابعه على ذلك نفر، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعنى كفرًا ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾.

قا معتب بن قشير: إن الذى يقول لهو الغرور، ولم يقل إن الذى وعدنا الله ورسوله غرورًا، لأنه لا يصدق بأن محمدًا ﷺ رسول، فيصدقه، فقال الله تعالى إن الذى قال محمد هو ما وعد الله، وهو قول الله عز وجل، فأكذب الله معتبًا.

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من المنافقين من بنى سالم ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ لا

مساكن لكم ﴿فَٱرۡجِعُواْ﴾ إلى المدينة خوفًا ورعبًا من الجهد والقتال فى الخندق، يقول ذلك المنافقون بعضهم لبعض، ثم قال: ﴿وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ﴾ يعنى خالية طائعة هذا قول بنى حارثة بن الحارث، وبنى سلمة بن جشم، وهما من الأنصار وذلك أن بيوتهم كانت فى ناحية من المدينة، فقالوا: بيوتنا ضائعة نخشى عليها السراق، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍ﴾ يعنى بضائعة ﴿إِن﴾ يعنى ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا﴾ [آية: ١٣] من القتل نزلت فى قبليتن من الأنصار بنى حارثة وبنى سلمة بن جشم، وهموا أن يتركوا أماكنهم فى الخندق ففيهم يقول الله تعالى: ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [آل عمران: ١٢٢]، قالوا: بعدما نزلت هذه الآية ما يسرنا أنا لم نهم بالذى هممنا إذ كان الله ولينا.

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا﴾ يقول: ولو دخلت عليهم المدينة من نواحيها يعنى نواحى المدينة ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ يعنى الشرك ﴿لَأٓتَوۡهَا﴾ يعنى لأعطوها عفوًا يقول: لو أن الأحزاب دخلوا المدينة، ثم أمروهم بالشرك لأشركوا ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا﴾ [آية: ١٤] يقول: ما تحسبوا بالشرك إلا قليلاً حتى يعطوا طائعين فيكفوا.

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ﴾ قتال الخندق وهم سبعون رجلاً ليلة العقبة قالوا للنبى ﷺ اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال النبى ﷺ: «أشترط لربى أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم ونساءكم»، قالوا: فما لنا إذا فعلنا يا نبى الله، قال: لكم النصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة، فقالوا: قد فعلنا ذلك، فذلك قوله: وقد كانوا عاهدوا الله من قبل، يعنى ليلة العقبة حين شرطوا للنبى ﷺ المنعة ﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَ﴾ منهزمين وذلك أنهم بايعوا للنبى ﷺ أنهم يمنعونه مما يمنعون أنفسهم وأولادهم وأموالهم، يقول الله عز وجل: ﴿وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا﴾ [آية: ١٥] يقول: أن الله يسأل يوم القيامة عن نقض العهد، فإن عدو الله إبليس سمع شرط الأنصار تلك الليلة، فصاح صيحة أيقظت الناس، فقال النبى ﷺ لإبليس: «اخسأ عدو الله».

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾﴾

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ لن تزدادوا على آجالكم ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ فى الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ١٦] يعنى إلى آجالكم القليل لا تزدادوا عليها شيئًا.

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعنى يمنعكم من الله ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ يعنى الهزيمة ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ يعنى خيرًا وهو النصر يقول: من يقدر على دفع السوء وصنيع الخير، نظيرها فى الفتح: ﴿**قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ نَفْعاً**﴾ [الفتح: ١١]، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ يعنى قريبا فينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [آية: ١٧] يعنى مانعًا يمنعهم من الهزيمة، إن أراد بكم سواء أو أراد بكم رحمة.

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين يوم الخندق، فقالوا: ماذا الذى حملكم أن تقتلوا أنفسكم بأيدى أبى سفيان ومن معه فإنهم إن قدروا هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدًا، أنا نشفق عليكم، إنما أنتم إخواننا، ونحن جيرانكم، ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ فأقبل رجلان من المنافقين عبد الله بن أبى، ورجل من أصحابه على المؤمنين يعوقنهم ويخوفونهم بأبى سفيان ومن معه، قالوا: لئن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدًا، ما ترجون من محمد؟ فوالله ما يرفدنا بخير، ولا عنده خير ما هو إلا أن يقتلنا هاهنا وما لكم فى صحبته خير، هلم ننطلق إلى إخواننا وأصحابنا يعنون اليهود، فلم يزد قول المنافقين للمؤمنين إلا إيمانًا وتسليمًا واحتسابًا، فذلك قوله عز وجل: ﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ يعنى عبد الله بن أبى وأصحابه، و يعلم القائلين لإخوانهم يعنى اليهود حين دعوا إخوانهم المنافقين حين قالوا هلم إلينا.

ثم قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَ﴾ يعنى المنافقين ﴿ٱلْبَأْسَ﴾ يعنى القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية:

١٨] يعنى بالقليل إلا رياء وسمعة من غير احتساب، ثم أخبر عن المنافقين، فقال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ يقول: أشفقة من المنافقين عليكم حين يعوقونكم يا معشر المؤمنين، ثم أخبر عنهم عند القتال أنهم أجبن الناس قلوبًا وأضعفهم يقينًا وأسوأهم ظنًا بالله عز وجل ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وجاءت الغنيمة ﴿سَلَقُوكُم﴾ يعنى رموكم، يعنى عبد الله بن أبى وأصحابه، يقول: ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ يعنى ألسنة سليطة باسطة بالشر يقولون: أعطونا الغنيمة فقد كنا معكم فلستم بأحق بها منا، يقول الله عز وجل: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ يعنى الغنيمة ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ بالنبى ﷺ ولم يصدقوا بتوحيد الله ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقول: أبطل جهادهم لأن أعملهم خبيثة وجهادهم لم يكن فى إيمان ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ يعنى حبط أعمالهم ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [آية: ١٩] يعنى هينا.

ثم ذكر المنافقين فقال عز وجل: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ وذلك أن الأحزاب الذين تحزبوا على النبى ﷺ وأصحابه، رضى الله عنهم، فى الخندق، وكان أبو سفيان بن حرب على أهل مكة، وكان على بنى المصطلق وهم من خزاعة يزيد بن الحليس الخزاعى، وكان على هوازن، ومالك بن عوف النضرى، وكان على بنى غطفان عيينة بن حصن بن بدر الفزارى وكان على بنى أسد طلحة بن خويلد الفقسى من بنى أسد، ثك كانت اليهود فقذف الله عز وجل فى قلبوهم الرعب، وأرسل عليهم ريحًا وهى الصبا فجعلت تطفئ نيرانهم وتلقى أبنيتهم وأنزل جنودًا لم تروها من الملائكة فكبروا فى عسكرهم فلما سمعوا التكبير قذف الله تعالى الرعب فى قلوبهم، وقالوا: قد بدأ محمد بالشر فانصرفوا إلى مكة راجعين عن الخندق والرعب الذى نزل بهم فى الخندق ﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ يعنى وإن يرجع الأحزاب إليهم للقتال ﴿يَوَدُّوا﴾ يعنى يود المنافقين ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ ولم يشهدوا القتال ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ﴾ يعنى عن حديثكم وخير ما فعل محمد ﷺ وأصحابه ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم﴾ يشهدون القتال ﴿مَّا قَاتَلُوا﴾ يعنى المنافقين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ٢٠] يقول: ما قاتلوا إلا رياء وسمعة من غير حسبة.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا

ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢٧﴾

ثم قال عز وجل: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ أن كسرت رباعيته وجرح فوق حاجبه وقتل عمه حمزه وآساكم بنفسه فى مواطن الحرب والشدة ﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ يعنى لمن كان يخشى الله عز وجل ويخشى البعث الذى فيه جزاء الأعمال ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [آية: ٢١] ثم نعت المؤمنين فقال: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ﴾ يوم الخندق، أبا سفيان وأصحابه وأصابهم الجهد وشدة القتال ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ فى البقرة حين قال: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ [الآية: ٢١٤].

وقالوا: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ﴾ ما قال فى سورة البقرة، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا زَادَهُمۡ﴾ الجهد والبلاء فى الخندق ﴿إِلَّآ إِيمَٰنٗا﴾ يعنى تصديقًا بوعد الله عز وجل فى سورة البقرة أنه يبتليهم ﴿وَتَسۡلِيمٗا﴾ [آية: ٢٢] لأمر الله وقضائه، ثم نعت المؤمنين فقال: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ ليلة العقبة بمكة ﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ يعنى أجله فمات على الوفاء يعنى حمزة وأصحابه قتلوا يوم أحد، رضى الله عنهم، ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ﴾ يعنى المؤمنين من ينتظر أجله على الوفاء بالعهد ﴿وَمَا بَدَّلُواْ﴾ العهد ﴿تَبۡدِيلٗا﴾ [آية: ٢٣] كما بدل المنافقين، ثم قال: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ﴾ بالإيمان والتسليم ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ بوفاء العهد ﴿بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ ينقض العهد ﴿إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ فيهديهم من النفاق إلى الإيمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [آية: ٢٤] يقول: الله عز وجل: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ﴾ يعنى أبا سفيان وجموعه من الأحزاب بغيظهم ﴿لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾ فى ملكه ﴿عَزِيزٗا﴾ [آية: ٢٥] فى حكمة، ثم ذكر يهود أهل قريظة حى بن أخطب ومن معه الذين أعانوا المشركين يوم الخندق على قتال النبى ﷺ فقال عز وجل

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ يعنى أعانوهم، تعنى اليهود أعانوا المشركين على قتال النبى ﷺ والمؤمنين وذلك أن الله عز وجل حين هزم المشركين عن الخندق بالريح والملائكة أتى جبريل عليه السلام على فرس، فقال ﷺ يا جبريل، ما هذا الغبار على وجه الفرس، فقال: هذا الغبار من الريح التى أرسلها الله على أبى سفيان ومن معه فجعل النبى ﷺ يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه، فقال له جبريل عليه السلام: سر إلى بنى قريظة فإن الله عز وجل داقهم لك دق البيض على الصفا.

فسار النبى ﷺ إلى يهود بنى قريظة فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ الأنصارى فحكم عليهم سعد أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم فكبر النبى ﷺ وقال: لقد حكم الله عز وجل ولقد رضى الله على عرشه بحكم سعد، وذلك أن جبريل كان قال للنبى ﷺ: سر إلى بنى قريظة فاتقل مقاتلتهم واسب ذراريهم فإن الله عز وجل قد أذن لك فهم لك طعمة، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ يعنى اليهود أعانوا أبا سفيان ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعنى فريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ يعنى من حصونهم ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا﴾ يعنى طائفة ﴿تَقْتُلُونَ﴾ فقتل منهم أربعمائة وخمسين رجلا ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [آية: ٢٦] يعنى وتسبون طائفة سبعمائة وخمسين ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ يعنى خيبر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من القرى وغيرها ﴿قَدِيرًا﴾ [آية: ٢٧] أن يفتحها على المسلمين.

فقال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، ألا تخمس كما خمست يوم بدر، قال: هذا قد جعله الله لى دون المؤمنين، فقال عمر، رضى الله عنه: رضينا وسلمنا لرسول الله ﷺ فقسم النبى ﷺ فى أهله منها عشرين رأسا ثم جعل النبى ﷺ بقيته نصفين فبعث النصف مع سعد بن عبادة الأنصارى إلى الشام وبعث بالنصف الباقى مع أوس بن قيظى من الأنصار إلى غطفان وأمرهما أن يبتاعا الخيل فجلبا خيلا عظيمة فقسمها النبى ﷺ فى المسلمين وتوفى سع بن معاذ، رضى الله عنه، من رمية أصابت أكحلة يوم الخندق فانتقضت جراحته فنزفت الدم فمات رحمه الله وقد اعتقه النبى ﷺ فاتبع النبى ﷺ والمسلمون جنازته فقال النبى ﷺ: «لقد اهتز العرش لموت سعد بن معاذ»، رضى الله عنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ

أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ يقول كما يمتع الرجل امرأته إذا طلقها سوى المهر ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [آية: ٢٨] يقول: حسنًا فى غير ضرار.

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يعنى الجنة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [آية: ٢٩] يعنى الجنة.

فقالت عائشة بنت أبى بكر الصديق، رضى الله عنهما، حين خيرهن النبى ﷺ: بل نختار الله والدار الآخرة، ومالنا وللدنيا إنما جعلت الدنيا دار فناء والآخرة هى الباقية أحب إلينا من الفانية، فرضى نساؤه كلهن بقول عائشة، رضى الله عنها، فلما اخترن الله ورسوله أنزل الله عز وجل: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ إلى آخر الآية [آية: ٥٢].

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ يعنى العصيان للنبى ﷺ ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ فى الآخرة ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [آية: ٣٠] يقول: وكان عذابها على الله هينًا.

﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ يعنى ومن يطع منكن الله ورسوله ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ فى الآخرة بكل صلاة أو صيام أو تكبير أو تسبيح لها مكان كل حسنة يكتب عشرون حسنة ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [آية: ٣١] يعنى حسنًا، وهى الجنة.

ثم قال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ يعنى الله، فإنكن معشر أزواج النبى ﷺ تنظرن إلى الوحى فأنتن أحق الناس بالتقوى ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ يقول: فلا تومين بقول يقارف الفاحشة ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ يعنى الفجور فى أمر الزنا فزجرهن الله عز وجل عن الكلام مع الرجال وأمرهن بالعفة وضرب عليهن الحجاب، ثم قال تعالى: ﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [آية: ٣٢] يعنى قولاً حسنًا يعرف ولا يقارف الفاحشة، ومن يقذف نبيًا، أو امرأة نبى فعليه حدّان سوى التغريب الذى يراه الإمام.

ثم قال عز وجل: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ولا تخرجن من الحجاب ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ والتبرج أنها تلقى الخمار عن رأسها ولا تشده، فيرى قرطها وقلائدها، ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ قبل أن يبعث محمد ﷺ، مثل قوله: ﴿عادًا الأولى﴾ [النجم: ٥٠] أمرهن أيضًا بالعفة وأمر بضرب الحجاب عليهن، ثم قال: ﴿وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يقول: وأعطين الزكاة ﴿وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ﴾ يعنى الإثم نهاهن عنه فى هذه الآيات. ومن الرجس الذى يذهبه الله عنهن إنزال الآيات بما أمرهن به. فإن تركهن ما أمرهن به وارتكابهن ما نهاهن عنه من الرجس، فذلك قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ﴾ يا ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ يعنى نساء النبى ﷺ لأنهن فى بيته ﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ﴾ من الإثم الذى ذكر فى هذه الآيات ﴿تَطۡهِيرٗا﴾ [آية: ٣٣].

وحدثنى أبى، عن الهذيل، فقال: قال مقاتل بن سليمان: يعنى به نساء النبى ﷺ كلهن وليس معهن ذكر.

﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى القرآن ﴿وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾ يعنى أمره ونهيه فى القرآن فوعظهن ليتفكرن وامتن عليهن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [آية: ٣٤] يعنى لطيف عليهن فنهاهن أن يخضعن بالقول خبيرًا به.

﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ وذلك أن أم سلمة بنت أبى أمية أم المؤمنين، ونسيبة بنت كعب الأنصارى، قلن: ما شأن ربنا يذكر بنت أبى أمية ولا يذكر النساء فى شىء من كتابه نخشى ألا يكون فيهن خير، ولا لله فيهن حاجة، وقد تخلى عنهن. فأنزل الله تعالى فى قول أم سلمة، ونسيبة بنت كعب ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يعنى المصدقين بالتوحيد والمصدقات ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ يعنى المطيعين والمطيعات ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فى إيمانهم ﴿وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ فى إيمانهن ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على أمر الله عز وجل ﴿وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ عليه ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ يعنى المتواضعين والمتواضعات، قال مقاتل: من لا يعرف فى الصلاة من عن يمينه ومن عن يساره من الخشوع لله عز وجل، فهو منهم.

﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ بالمال ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ به ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ قال مقاتل: من صام شهر رمضان وثلاثة أيام من كل شهر، فهو من الصائمين، فهو من أهل هذه الآية، ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ﴾ عن الفواحش ﴿وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ من الفواحش ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ باللسان والذاكرات الله كثيرًا باللسان ﴿وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾ فى الآخرة ﴿مَّغْفِرَةً﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا﴾ يعنى وجزاء ﴿عَظِيمًا﴾ [آية: ٣٥] يعنى الجنة، وأنزل الله عز وجل أيضًا فى أم سلمة، رضى الله عنها، فى آخر آل عمران: ﴿**أَنِّى لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى**﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وفى حم المؤمن: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ يعنى عبد الله بن جحش بن رباب بن صبرة بن مرة بن غنم بن دودان الأسدى، ثم قال: ﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ يعنى زينب بنت جحش أخت عبد الله بن جحش، وذلك أن النبى ﷺ خطب زينب بنت جحش على زيد بن حارثة، وزينب هى بنت عمة النبى ﷺ، وهى بنت أميمة بنت عبد المطلب، فكره عبد الله أن يزوجها من زيد، وكان زيد أعرابيًا فى الجاهلية مولى فى الإسلام، وكان أصابه النبى ﷺ من سبى

أهل الجاهلية، فأعتقه وتبناه، فقالت زينب: لا أرضاه لنفسى، وأنا أتم نساء قريش، وكانت جميلة بيضاء، فقال النبى ﷺ: «لقد رضيته لك»، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ يعنى عبد الله بن جحش، ﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ يعنى زينب ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ وذلك أن زيد بن حارثة الكلبى، قال: يا نبى الله، أخطب علىّ، فقال النبى ﷺ: «ومن يعجبك من النساء»؟ فقال: زينب بنت جحش، فقال النبى ﷺ: «لقد أصبت أن لا نألو غير الحسن والجمال، وما أذادها بفعل أنها أكرم من ذلك نفسًا»، فقال زيد: يا نبى الله، إنك إذا كلمتها، وتقول: إن زيدًا أكرم الناس علىّ، فإن هذه امرأة حسناء، وأخشى أن تردنى، فذلك أعظم فى نفسى من كل شىء، وعمد زيد إلى علىّ، رضى الله عنه، فحمله على أن يكلم النبى ﷺ، فقال له زيد: انطلق إلى النبى، فإنه لن يعصيك، فانطلق علىّ معه إلى النبى ﷺ، فإنى فاعل، وإنى مرسلك يا علىّ إلى أهلها، فتكلمهم، فرجع على النبى ﷺ إنى قد رضيته لكم، وأقضى أن تنكحوه، فأنكحوه.

وساق إليهم عشرة دنانير وستين درهما وخمارًا وملحفة ودرعًا وإزارا، وخمسين مدًا من طعام وعشرة أمداد من تمر أعطاه النبى ﷺ ذلك كله، ودخل بها زيد، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى شكا إلى النبى ﷺ ما يلقى منها، فدخل النبى ﷺ فوعظها، فلما كلمها أعجبه حسنها وجمالها وظرفها، وكان أمرًا قضاه الله عز وجل، ثم رجع النبى ﷺ وفى نفسه منها ما شاء الله عز وجل، فكان النبى ﷺ يسأل زيدًا بعد ذلك كيف هى معك؟ فيشكوها إليه، فقال له النبى ﷺ: «اتق الله وأمسك عليك زوجك»، وفى قلبه غير ذلك، فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [آية: ٣٦] يعنى بينا، فلما نزلت هذه الآية جعل عبد الله بن جحش أمرها إلى النبى ﷺ، وقالت زينب للنبى ﷺ: قد جعلت أمرى بيدك يا رسول الله، فأنكحها النبى ﷺ زيدًا، فمكثت عنده حينًا، ثم إن النبى ﷺ أتى زيدًا فأبصر زينب قائمة، وكانت حسناء بيضاء من أتم نساء قريش، فهويها النبى ﷺ، فقال: «سبحان الله مقلب القلوب» ، ففطن زيد، فقال: يا رسول الله، ائذن لى فى طلاقها، فإن فيها كبرًا، تعظم علىّ وتؤذينى بلسانها، فقال النبى ﷺ: «أمسك عليك زوج واتق الله»، ثم إن زيدًا طلقها بعد ذلك.

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ يا محمد ﴿لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق وكان زيد أعرابيًا فى الجاهلية مولى فى الإسلام، فسبى

فأصابه النبى ﷺ فأعتقه ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ﴾ يعنى وتسر فى قلبك يا محمد ليت أنه طلقها ﴿مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ يعنى مظهره عليك حين ينزل به قرآنًا ﴿وَتَخْشَى﴾ قالة ﴿ٱلنَّاسَ﴾ فى أمر زينب ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ فى أمرها، فقرأ النبى ﷺ هذه الآية على الناس، بما أظهر الله عليه من أمر زينب إذ هويها، فقال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه: لزكتم رسول الله ﷺ شيئًا من القرآن لكتم هذه التى أظهرت عليه، يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ يعنى حاجة وهى الجماع ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ يعنى النبى ﷺ، فطلقها زيدًا بن حارثة، فلما انقضت عدتها تزوجها النبى ﷺ، وكانت زينب، رضى الله عنها، تفخر على نساء النبى ﷺ، فتقول: زوجكن الرجال، والله عز وجل زوجنى نبيه ﷺ.

ثم قال عز وجل: ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ﴾ تزويج نساء ﴿أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ يقول: لكيلا يكون على الرجل حرج فى أن يتزوج امرأة ابنه الذى تبناه، وليس من صلبه ﴿إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ يعنى حاجة، وهو الجماع ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [آية: ٣٧] يقول الله عز وجل: كان تزويج النبى ﷺ زينب كائنًا، فلما تزوجها النبى ﷺ، قال أنس: إن محمدًا تزوج امرأة ابنه، وهو ينهانا عن تزويجهن.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

فأنزل الله تبارك وتعالى فى قولهم: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ يقول: فيما أحل الله له، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ يقول: هكذا كانت سنة الله فى الذين خلوا من قبل محمد، يعنى داود النبى ﷺ حين هوى المرأة التى فتن بها، وهى امرأة أوريا بن حنان، فجمع الله بين داود، وبين المرأة التى هويها، وكذلك جمع الله عز وجل بين محمد ﷺ، وبين زينب إذ هويها كما فعل بداود، عليه السلام، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [آية: ٣٨] فقدر الله عز وجل لداود ومحمد تزويجهما.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى النبى ﷺ خاصة ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ﴾ يعنى النبى ﷺ، يقول: محمد يخشى الله أن يكتم عن الناس ما أظهر الله عليه من أمر زينب إذ هويها

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فى البلاغ عن الله عز وجل ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [آية: ٣٩] يعنى شهيدًا فى أمر زينب إذ هويها فلا شاهد أفضل من الله عز وجل.

وأنزل الله عز وجل فى قول الناس إن محمدًا تزوج امرأة ابنه ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ يعنى زيد بن حارثة، يقول: إن محمدًا ليس بأب لزيد ﴿وَلَـٰكِن﴾ محمدًا ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ يعنى آخر النبيين لا نبى بعد محمد ﷺ، ولو أن لمحمد ولدًا لكان نبيًا رسولاً، فمن ثم قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [آية: ٤٠] يقول: لو كان زيد بن محمد لكان نبيًا، فلما نزلت ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ قال النبى ﷺ لزيد: «لست لك بأب»، فقال زيد: يا رسول الله، أنا زيد بن حارثة معروف نسبى.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ باللسان ﴿ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [آية: ٤١].

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [آية: ٤٢] يعنى صلوا بالغداة الفجر والعشى، يعنى الظهر والعصر.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ نزلت فى الأنصار يقول: هو الذى يغفر لكم ويأمر الملائكة بالاستغفار لكم ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ يعنى لكى يخرجكم من الظلمات إلى النور، يعنى من الشرك إلى الإيمان ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [آية: ٤٣].

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾ يعنى يوم يلقون الرب عز وجل فى الآخرة سلام، يعنى تسليم الملائكة عليهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [آية: ٤٤] يعنى أجرًا حسنًا فى الجنة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا﴾ على هذه الأمة بتبليغ الرسالة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالجنة والنصر فى الدنيا على من خالفهم ﴿وَنَذِيرًا﴾ [آية: ٤٥] من النار.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعنى إلى معرفة الله عز وجل بالتوحيد ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ يعنى بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [آية: ٤٦] يعنى هدى مضيئًا للناس ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [آية: ٤٧] يعنى الجنة.

﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ من أهل مكة: أبا سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبى جهل، وأبا الأعور السلمى، ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ عبد الله بن أبى، وعبد الله بن سعد، وطعمة بن أبيرق، حين قال أبو سفيان ومن معه من هؤلاء النفر: يا محمد ارفض ذكر آلهتنا، وقل: إن لهما شفاعة ومنفعة لمن عبدها، ثم قال: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ إياك يعنى الذين قالوا للنبى ﷺ قل: إن لآلهتنا شفاعة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يعنى وثق بالله ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [آية: ٤٨] يعنى مانعًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يعنى إذا تزوجتم المصدقات بتوحيد الله ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ يعنى من قبل أن تجامعوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ إن شاءت تزوجت من يومها ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [آية: ٤٩] يعنى حسنًا فى غير ضرار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ يعنى النساء التسع ﴿ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَ﴾ أحللنا لك ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعنى بالولاية: مارية القبطية أم إبراهيم، وريحانة بنت عمرو اليهودى، وكانت سبيت من اليهود ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَ﴾ أحللنا لك ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ إلى المدينة إضمار فإن كانت لم تهاجر إلى المدينة فلا يحل تزويجها.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ يعنى أن

يتزوجها بغير مهر، وهى أم شريك بنت جابر بن ضباب بن حجر من بنى عامر بن لؤى، وكانت تحت أبى الفكر الأزدى، وولدت له غلامين شريكًا ومسلمًا، ويذكرون أنه نزل عليها دلو من السماء فشربت منه، ثم توفى عنها زوجها أبو الفكر، فوهبت نفسها للنبى ﷺ، فلم يقبلها، ولو فعله لكان له خاصة دون المؤمنين.

فإن وهبت امرأة يهودية أو نصرانية أو أعرابية نفسها فإنه لا يحل للنبى ﷺ أن يتزوجها، ثم قال: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ الهبة يعنى خاصة لك، يا محمد ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لا تحل هبة المرأة نفسها بغير مهر لغيرك من المؤمنين، وكانت أم شريك قبل أن تهب نفسها بغير للنبى ﷺ امرأة أبى الفكر الأزدى، ثم الدوسى من رهط أبى هريرة.

ثم أخبر الله عن المؤمنين، فقال: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ يعنى ما أوجبنا على المؤمنين ﴿فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ ألا يتزوجوا إلا أربع نسوة بمهر وبينة ﴿وَ﴾ أحللنا لهم ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ يعنى جماع الولاية ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿حَرَجٌ﴾ فى الهبة بغير مهر فيها تقديم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [آية: ٥٠] غفورًا فى التزويج بغير مهر للنبى ﷺ رحيمًا فى تحليل ذلك له.

﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ توقف من بنات العم والعمة والخال والخالة فلا تزوجها ﴿وَتُـْٔوِىٓ﴾ يعنى وتضم ﴿إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ منهن فتتزوجها فخير الله عز وجل النبى ﷺ فى تزويج القرابة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ منهن فتزوجتها ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ منهن ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ يعنى فلا حرج ﴿عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ يقول: ذلك أجدر ﴿أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ يعنى نساء النبى ﷺ التسع اللاتى اخترنه، وذلك أنهن قلن لو فتح الله مكة على النبى ﷺ فسيطلقنا غير عائشة ويتزوج أنسب منا، فقال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْزَنَّ﴾ إذا علمن أنك لا تزوج عليهن إلا ما أحللنا لك من تزويج

القرابة، ثم قال: ﴿وَيَرۡضَيۡنَ﴾ يعنى نساءه التسع ﴿بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ﴾ يعنى بما ﴿كُلُّهُنَّ﴾ من النفقة، وكان فى نفقتهن قلة ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [آية: ٥١] ذو تجاوز.

ثم حرم على النبى تزويج النساء غير التسع اللاتى اخترنه، فقال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ أزواجك التسع اللاتى عندك، يقول: لا يحل لك أن تزداد عليهن ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ يعنى نساءه التسع ﴿مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ يعنى أسماء بنت عميس الخثعمية التى كانت امرأة جعفر ذى الجناحين، ثم قال تعالى: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ﴾ يعنى الولاية، ثم حذر النبى ﷺ أن يركب فى أمرهن ما لا ينبغى، فقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من العمل ﴿رَّقِيبٗا﴾ [آية: ٥٢] حفيظًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٥٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ يعنى نضجه وبلاغه ﴿وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ﴾ على النبى ﷺ فى بيته ﴿فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ﴾ الطعام ﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾ يعنى فقوموا من عنده وتفرقوا ﴿وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ﴾ وذلك أنهم كانوا يجلسون عند النبى ﷺ قبل الطعام وبعد الطعام، وكان ذلك فى بيت أم سلمة بنت أبى أمية أم المؤمنين، فيتحدثون عنده طويلاً، فكان ذلك يؤذيه ويستحيى أن يقول لهم قوموا وربما أحرج النبى ﷺ، وهو فى بيته يتحدثون، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ﴾ ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ ثم أمر الله تبارك وتعالى نبيه بالحجاب على نسائه، فنزل الخيار والتيمم فى أمر عائشة.

ونزل الحجاب فى أمر زينب بنت جحش، فأمر الله تعالى المؤمنين ألا يكلموا نساء

النبى إلا من وراء حجاب، فذلك قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ﴾ من الريبة ﴿وَقُلُوبِهِنَّ﴾ وأطهر لقلوبهن من الريبة، فقال طلحة بن عبيد الله القرشى من بنى تيم بن مرة: ينهانا محمد أن ندخل على بنات عمنا، يعنى عائشة، رضى الله عنها، وهما من بنى تيم بن مرة، ثم قال فى نفسه: والله، لئن مات محمد وأنا حى لأتزوجن عائشة، فأنزل الله تعالى فى قول طلحة بن عبيد الله ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [آية: ٥٣] لأن الله جعل نساء النبى ﷺ على المؤمنين فى الحرمة كأمهاتهم.

فمن ثم عظم الله تزويجهن على المؤمنين، ثم أعلمهم الله أنه يعلم سرهم وعلانيتهم، فقال: ﴿إِن تُبْدُوا۟﴾ إن تظهروا ﴿شَيْـًٔا﴾ من أمركم يعنى طلحة لقوله يمنعنا محمد من الدخول على بنات عمنا، فأعلن هذا القول، ثم قال: ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ يعنى أو تسروه فى قلوبكم يعنى قوله: لأتزوجن عائشة بعد موت النبى ﷺ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من السر والعلانية ﴿عَلِيمًا﴾ [آية: ٥٤].

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾

ثم رخص فى الدخول على نساء النبى ﷺ من غير حجاب لأهل القرابة، فقال: ﴿لَّا جُنَاحَ﴾ يعنى لا حرج ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ فى الدخول على نساء النبى ﷺ ﴿فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ يعنى كل حرة مسلمة ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ يعنى عبيد نساء النبى ﷺ أن يدخلوا عليهن من غير حجاب أن يكون منهن، أو منهم من لا يصلح، فقال لهن: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فى دخولهم عليكن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالكم ﴿شَهِيدًا﴾ [آية: ٥٥] لم يغيب عن الله عز وجل من يدخل عليهن إن كان منهن، أو منهم ما لا يصلح.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ ﷺ، أما صلاة الرب عز وجل فالمغفرة للنبى

ﷺ، وأما صلاة الملائكة فالاستغفار للنبى ﷺ، ثم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾ يعنى استغفروا للنبى ﷺ ﴿وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [آية: ٥٦] فلما نزلت هذه الآية قال المسلمون: هذه لك، يا رسول الله، فما لنا؟ فنزلت: ﴿**هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً**﴾ [الأحزاب: ٤٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يعنى محمدًا ﷺ نزلت فى اليهود من أهل المدينة، وكان أذاهم لله عز وجل أن زعموا أن لله ولدًا، وأنهم يخلقون كما يخلق الله عز وجل يعنى التماثيل والتصاوير، وأما أذاهم للنبى ﷺ، فإنهم زعموا أن محمدًا ساحر مجنون شاعر كذاب ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعنى باللعنة فى الدنيا العذاب والقتل والجلاء، وأما فى الآخرة فإن الله يعذبهم بالنار، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [آية: ٥٧] يعنى عذاب الهوان.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا﴾ والبهتان ما لم يكن ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [آية: ٥٨] يعنى بينًا، يقال: نزلت فى على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وذلك أن نفرًا من المنافقين كانوا يؤذونه ويكذبون عليه، وأن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، قال فى خلافته لأُبى بن كعب الأنصارى إنى قرأت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى آخر الآية، فوقعت منى كل موقع، والله إنى لأضربهم وأعاقبهم، فقال له أُبى بن كعب، رحمه الله: إنك لست منهم إنك مؤدب معلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ يعنى القناع الذى يكون فوق الخمار وذلك أن المهاجرين قدموا المدينة ومعهم نساؤهم، فنزلوا مع الأنصار فى ديارهم فضاقت الدور عنهم، وكان النساء يخرجن بالليل إلى النخل فيقضين

حوائجهن، يعنى البراز، فكان المريب يرصد النساء بالليل، فيأتيها فيعرض عليها ويغمزها، فإن هويت الجماع أعطاها أجرها، وقضى حاجته، وإن كانت عفيفة صاحت فتركها، وإنما كانوا يطلبون الولايد، فلم تعرف الأمة فى الحرة بالليل، فذكر نساء المؤمنين ذلك لأزواجهن، وما يلقين بالليل من الزناة، فذكروا ذلك للنبى ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ يعنى القناع فوق الخمار ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ﴾ يعنى أجدر ﴿أَن يُعۡرَفۡنَ﴾ فى زيهن أنهن لسن بمربيات، وأنهن عفايف، فلا يطمع فيهن أحد ﴿فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ بالليل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ فى تأخير العذاب عنهم ﴿رَّحِيمٗا﴾ [آية: ٥٩] حين لا يعجل عليهم بالعقوبة.

ثم أوعدهم، فقال للنبى ﷺ: ﴿۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ الفجور وهم الزناة، ثم نعتهم بأعمالهم الخبيثة، فقال: ﴿وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ يعنى المنافقين كانوا يخبرون المؤمنين بالمدينة بما يكروهون من عدوهم، يقول: لئن لم ينتهوا عن الفجور والإرجاف والنفاق ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ﴾ يا محمد ﴿بِهِمۡ﴾ يقول: لنحملنك على قتلهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [آية: ٦٠].

ونجعلهم ﴿مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ فأوجب لهم اللعنة على كل حال أينما وجدوا وأدركوا ﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾ [آية: ٦١] يقول: خذوهم واقتلوهم قتالاً، فانتهوا عن ذلك مخافة القتل.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ﴾ هكذا كانت سنة الله فى أهل بدر القتل، وهكذا سنة الله فى هؤلاء الزناة وفى المرجفين القتل، إن لم ينتهوا ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [آية: ٦٢] يعنى تحويلاً لأن قوله عز وجل حق فى أمر القتل.

﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾﴾

﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ يعنى القيامة، وذلك أن النبى ﷺ كان يخطب، فسأله رجل عن الساعة، فأوحى الله عز وجل إلى النبى ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ

لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ يعنى القيامة ﴿تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [آية: ٦٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعنى كفار مكة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [آية: ٦٤] يعنى وقودًا.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يمنعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [آية: ٦٥] يعنى ولا مانعًا يمنعهم من العذاب ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [آية: ٦٦] يعنى محمدًا ﷺ.

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ فهذا قول الأتباع من مشركى العرب من أهل مكة، قالوا: ربنا إنا أطعنا سادتنا، نزلت فى اثنى عشر رجلاً وهم المطعمون يوم بدر فيهم أبو جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وكبراءنا، يعنى ذوى الأسنان منا فى الكفر ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [آية: ٦٧] يعنى المطعمين فى غزوة بدر والمستهزئين من قريش فأضلونا عن سبيل الهدى، يعنى التوحيد.

ثم قال الأتباع: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ يعنون القادة والرءوس من كفار قريش ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [آية: ٦٨] يعنى عظيمًا، يعنى اللعن على أثر اللعن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ وذلك أن الله عز وجل وعظ المؤمنين ألا يؤذوا محمدًا فيقولون زيد بن محمد، فإن ذلك للنبى ﷺ أذى كما آذت بنو إسرائيل موسى وزعموا أنه آدر. وذلك أن موس، عليه السلام، كان فيه حياء شديد وكان لا يغتسل فى نهر، ولا غيره إلا عليه إزار، وكان بنو إسرائيل يغتسلون عراة، فقالوا: ما يمنع موسى أن يتجرد كما نتجرد إلا أنه آذر، فانطلق موسى، عليه السلام، ذات يوم يغتسل فى عين بأرض الشام، واستتر بصخرة، ووضع ثيابه عليها ففرت الصخرة بثيابه، وأتبعها موسى، عليه السلام، متجردًا، فلحقها فضربها بعصاه، وكان موسى، عليه السلام، لا يضع العصا من يده حيث ما كان، وقال لها: ارجعى إلى مكانك، فقالت: إنما أنا عبد مأمور لم تضربنى فردها إلى مكانها، فنظرت إليه بنو إسرائيل، فإذا هو من أحسن الناس خلقًا وأعدلهم صورة، وكان سليمًا ليس الذى قالوا، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ﴾ إنه آدر ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [آية: ٦٩] يعنى مكينًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [آية: ٧٠] يعنى قولاً عدلاً، وهو التوحيد.

﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ﴾ يعنى يزكى لكم ﴿أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ بالتوحيد ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ محمدًا ﷺ ﴿فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [آية: ٧١] يقول: قد نجا بالخير وأصاب منه نصيبًا وافرًا.

﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾﴾

﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾ وهى الطاعة ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾ على الثواب والعقاب إن أحسنت جوزيت، وإن عصيت عوقبت ﴿فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا﴾ يعنى الطاعة على الثواب والعقاب، فلم يطقنها ﴿وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا﴾ وأشفقن من العذاب مخافة ترك الطاعة، فقيل لآدم، عليه السلام: أتحملها بما فيها، قال آدم: وما فيها يا رب؟ قال: إن أطعت جوزيت، وإن عصيت عوقبت، قال آدم: قد حملتها بما فيها، قال الله عز وجل: فلم يلبث فى الجنة إلا قليلا، يعنى ساعتين من يومه حتى عصى ربه عز وجل، وخان الأمانة، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ﴾ يعنى آدم، عليه السلام، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا﴾ لنفسه بخطيئته ﴿جَهُولٗا﴾ [آية: ٧٢] بعاقبه ما تحمل من الطاعة على الثواب والعقاب.

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ يقول: عرضنا الأمانة على الإنسان لكى يعذب الله المنافقين ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾ بما خانوا الأمانة وكذبوا الرسل، ونقضوا الميثاق الذى أقروا به على أنفسهم، يوم أخرجهم من ظهر آدم، عليه السلام، حين قال عز وجل: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فنقضوا هذه المعرفة وتركوا الطاعة يعنى التوحيد ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ﴾ يقول: ولكى يتوب الله ﴿عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ بما وفوا بالأمانة ولم ينقضوا الميثاق ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ لذنوبهم ﴿رَّحِيمَۢا﴾ [آية: ٧٣] بهم.

* * *

سُورَةُ سَبَأ

مكية عددها أربع وخمسون آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وذلك أن كفار مكة لما كفروا بالبعث، حمد الرب نفسه، قال عز وجل ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الخلق ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعنى يحمده أولياؤه فى الآخرة إذا دخلوا الجنة، فقالوا: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ**﴾ [الزمر: ٧٤]، و﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا**﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ حكم البعث ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [آية: ١] به.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من المطر ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من المطر ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يعنى وما يصعد فى السماء من الملائكة ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ حين لا يعجل عليهم بالعذاب ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ [آية: ٢].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أبو سفيان لكفار مكة واللات والعزى ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أبدًا، فلما حلف أبو سفيان بالأصنام حلف النبى ﷺ بالله عز وجل، فقال الله عز وجل: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ الساعة ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ غيب الساعة ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ من ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ وزن أصغر النمل ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾ ولا أقل من ذلك المثقال ﴿وَلَآ أَكْبَرُ﴾ منه ولا أعظم من المثقال ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٣] إلا هو بين فى اللوح المحفوظ.

﴿لِّيَجْزِيَ﴾ لكـى يجـزى فـى السـاعة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ صدقـوا ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ بالقسـط بـالعدل ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبـهـم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [آية: ٤] حسنًا فى الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾

ثم ذكر كفار مكـة، فقـال عـز وجـل: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ﴾ عملـوا ﴿فِىٓ ءَايَـٰتِنَا﴾ يعنى القرآن ﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾ مثبطين الناس عن الإيمان بالقرآن مثلها فى الحج ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٥] نظيرها فى الجاثية.

﴿وَيَرَى﴾ ويعلم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بالله عـز وجـل، يعنى مؤمنـى أهـل الكتاب وهى قراءة ابن مسعود، «ويعلم الذيـن أوتـوا الحكمـة مـن قبـل»، ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ يعنى القـرآن ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ ويدعـو إلى دين ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ [آية: ٦] فى خلقه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بـالبعث أبـو سفيان، قـال لكفـار مكـة: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ﴾ ألا ندلكم ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم أنكم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ يخبركم أنكم إذا تفرقتم فى الأرض وذهبت اللحوم والعظام، وكنتم ترابًا ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [آية: ٧] يعنى البعث بعد الموت.

ثم قال أبو سفيان: ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ حين يزعم أنا نبعث بعـد الموت ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ يقول: أم بمحمد جنون، فرد الله عـز وجـل عليـهم، فقـال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ لا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمـال هـم أكـذب وأشـد فرية من محمد ﷺ حين كذبوا بالبعث، ثم قال جل وعز: هم ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ فى الآخرة ﴿وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ [آية: ٨] الشقاء الطويل، نظيرها فى آخر اقتربت الساعة.

ثم خوفهم، فقال جل وعز: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم﴾ ثم بين ما هو، فقال جل وعز: ﴿مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ فتبتلهم ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ﴾ يعنى جانبًا من السماء فنهلكهم بها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ يعنى عبرة ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [آية: ٩] مخلص بالتوحيد.

﴿۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

﴿۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ﴾ أعطينا داود ﴿مِنَّا فَضْلًا ۖ﴾ النبوة كقوله عز وجل للنبى ﷺ فى سورة النساء: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء: ١١٣]، يعنى النبوة والكتاب، فذلك قوله عز وجل: ﴿۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ﴾ النبوة والزبور وما سخر له من الجبل والطير والحديد ثم بين ما أعطاه، فقال عز وجل: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ سبحى معه مع داود، عليه السلام، يقول: اذكرى الرب مع داود، وهو التسبيح، ثم قال عز وجل: ﴿وَ﴾ سخرنا له ﴿وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [آية: ١٠] فكان داود، عليه السلام، يضفر الحديد ضفر العجين من غير نار، فيتخذها دروعًا طوالاً.

فذلك قوله عز وجل: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ الدروع الطوال، وكانت الدروع قبل داود إنما هى صفائح الحديد مضروبة، فكان داود، عليه السلام، يشد الدروع بمسامير ما يقرعها بحديد ولا يدخلها النار، فيقرع من الدروع فى بعض النهار، وبعض الليل، بيده ثمن ألف درهم، قال لداود: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ﴾ يقول: قدر المسامير فى الخلق ولا تعظم المسامير فتنقصم ولا تضفر المسامير فتسلس، ثم قال الله عز وجل لآل داود: ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ﴾ يعنى قولوا الحمد لله ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية: ١١].

ثم ذكر ابنه سليمان، عليهما السلام، وما أعطاه الله عز وجل من الخير والكرامة،

فقال عز وجل: ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ يعنى مسيرة شهر فتحملهم الريح من بيت المقدس إلى أصطخر وتروح بهما ذا بلستان ﴿وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ يعنى مسيرة فتحملهم إلى بيت المقدس لا تحول طيرًا من فوقهم ولا ورقة من تحتهم ولا تثير ترابًا، ثم قال جل وعز: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ يعنى أخرجنا لسليمان عين الصفر ثلاثة أيام تجى مجرى الماء بأرض اليمن ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ﴾ وسخرنا لسليمان من الجن من يعمل ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ بين يدى سليمان ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ يعنى رب سليمان عز وجل ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ﴾ ومن يعدل منهم ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ عن أمر سليمان، عليه السلام، ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [آية: ١٢] الوقود فى الدنيا كان ملك بيده سوط من نار من يزغ عن أمر سليمان ضربه بسوط من نار فذلك عذاب السعير.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ﴾ يعنى الجن لسليمان ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ المساجد ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ من نحاس ورخام من الأرض المقدسة وأصطخر من غير أن يعبدها أحد، ثم قال جل وعز: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ وقصاع فى العظم كحياض الإبل بأرض اليمن من العظم يجلس على كل قصعة واحد ألف رجل يأكلون منها بين يدى سليمان ﴿وَقُدُورٍ﴾ عظام لها قوائم لا تتحرك ﴿رَّاسِيَٰتٍ﴾ ثابتات تتخذ من الجبال والقدور وعين الصفر بأرض اليمن، وكان ملك سليمان ما بين مصر وكابل، ثم قال جل وعز: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ بما أعطيتم من الخير، يقول الرب عز وجل: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [آية: ١٣].

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ على سليمان ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ وذلك أن سليمان، عليه السلام، كان دخل فى السن وهو فى بيت المقدس ﴿مَا دَلَّهُمْ﴾ ما دل الجن ﴿عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ﴾ على موت سليمان ﴿إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى الأرضة، وذلك أن الجن كانوا يخبرون الإنس أنهم يعملون الغيب الذى يكون فى غد فابتلوا بموت سليمان ببيت المقدس، وكان داود أسس بيت المقدس موضع فسطاط موسى، عليه السلام، فمات قبل أن يبنى فبناه سليمان بالصخر والقار، فلما حضره الموت قال لأهله: لا تخبروا الجن بموتى حتى يفرغوا من بناء بيت المقدس، وكان قد بقى منه عمل سنة، فلما حضره الموت، وهو متكئ على عصاه، وقد أوصى أن يكتم موته، وقال: لا تبكوا علىّ سنة لئلا يتفرق الجن عن بناء بيت المقدس، ففعلوا، فلما بنوا سنة وفرغوا من بنائه سلط الله عز وجل عليه الأرضة عند رأس الحول على أسفل عصاه، فأكلته، فذلك قوله: ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ أسفل العصا فخر

عند ذلك سليمان ميتًا، فرأته الجن، فتفرقت، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ سليمان ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ يعنى تبينت الإنس ﴿أَن لَّوْ كَانُوا﴾ الجن ﴿يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ يعنى غيب موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا﴾ حولاً ﴿فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [آية: ١٤] والشقاء والنصب فى بيت المقدس، وإنما سموا الجن لأنهم استخفوا من الإنس، فلم يروهم.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ وهو زجل بن يشخب بن يعرب بن قحطان ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾، ثم قال: ﴿جَنَّتَانِ﴾ أحدهم ﴿عَن يَمِينٍ﴾ الوادى ﴿وَ﴾ الأخرى عن ﴿وَشِمَالٍ﴾ الوادى، واسم الوادى العرم، يقول الله عز وجل لأهل تلك الجنتين: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ الذى فى الجنتين ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ لله فيما رزقكم، ثم قال: أرض سبأ ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ بأنها خرجت ثمارها ﴿وَ﴾ ربكم إن شكرتم فيما رزقكم ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [آية: ١٥] للذنوب كانت المرأة تحمل مكتلاً على رأسها، فتدخل البستان فيمتلئ مكتلها من ألوان الفاكهة والثمار من غير أن تمس شيئًا بيدها، وكان أهل سبأ إذا أمطروا يأتيهم السيل من مسيرة أيام كثيرة إلى العرم، فعمدوا فسدوا ما بين الجبلين بالصخر والقار، فاستد زمانًا، وارتفع الماء على حافتى الوادى، فصار فيهما ألوان الفاكهة والأعناب فعصوا ربهم، فلم يشكروه، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن الحق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ والسيل هو الماء، والعرم اسم الوادى سلط الله عز وجل الفارة على البناء الذى بنو، وتسمى الخلد، فنقبت الردم ما بين الجبلين، فخرج الماء ويبست جناتهم، وأبدلهم الله عز وجل مكان الفاكهة والأعناب ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ وهو الأراك ﴿وَأَثْلٍ﴾ يعنى شجرة تسمى الطرفاء يتخذون منها

الأقداح النضار ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [آية: ١٦] وثمره السدر النبق.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الهلاك ﴿جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ كافأناهم بكفرهم ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [آية: ١٧] وهل يكافأ بعمله السيئ إلا الكفور لله عز وجل فى نعمه.

ثم: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين أهل سبأ ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى﴾ قرى الأرض المقدسة الأردن وفلسطين ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالشجر والماء ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ متواصلة وكان متجرهم من أرض اليمن إلى أرض الشام على كل ميل قرية وسوق، لا يحلون عنده حتى يرجعوا إلى اليمين من الشام، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ للمبيت والمقيل من قرية إلى قرية ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [آية: ١٨] من الجوع والعطش والسباع، فلم يشكروا ربهم وسالوا ربهم أن تكون القرى والمنازل بعضها أبعد من بعض.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ للناس ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ يقول الله عز وجل وفرقناهم فى كل وجه، فلما خرجوا من أرض سبأ، ساروا، فأما الأزد فنزلوا البحرين وعمان، وأما خزاعة فنزلوا مكة، وأما الأنصار وهم الأوس والخزرج، فنزلوا المدينة، وأما غسان فنزلوا بالشام، فهذا تمزقهم، فذلك قوله عز وجل: «كل ممزق» و«جعلناهم أحاديث» ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ يعنى فى هلاك جنتيهم وتفريقهم عبرة ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [آية: ١٩] يعنى المؤمن من هذه الأمة صبور على البلاء إذا ابتلى أهل سبأ، ثم قال: شكور لله عز وجل فى نعمه.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ وذلك أن إبليس خلق من نار السموم، وخلق آدم من طين، ثم قال إبليس: إن النار ستغلب الطين، فقال: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ**﴾ الآية، فمن ثم صدق بقول الله عز وجل: ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ ثم استثنى عباده المخلصين، فقال جل وعز: ﴿إِلَّا فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٢٠] لم يتبعوه فى الشرك، وهم الذين قال الله: ﴿)**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ [الحجر: ٤٢].

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لَهُ﴾ لإبليس ﴿عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾ من ملك أن يضلهم عن الهدى ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ لنرى ﴿مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ ليبين المؤمن من الكافر ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الإيمان والشك ﴿حَفِيظٌ﴾ [آية: ٢١] رقيب.

﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قُلِ﴾ لكفار مكة ﴿ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أنهم آلهة، يعنى الملائكة الذين عبدتموهم، فليكشفوا الضر الذى نزل بكم من الجوع من السنين السبع، نظيرها فى بنى إسرائيل، فأخبر الله عز وجل عن الملائكة أنهم ﴿لَا يَمۡلِكُونَ﴾ لا يقدرون على ﴿مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ يعنى أصغر وزن النمل ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فى خلق السماوات ﴿وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فكيف يملكون كشف الضر عنكم ﴿وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا﴾ فى خلق السماوات والأرض ﴿مِن شِرۡكٖ﴾ يعنى الملائكة ﴿وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم﴾ من الملائكة ﴿مِّن ظَهِيرٖ﴾ [آية: ٢٢] يعنى عونًا على شىء.

ثم ذكر الملائكة الذين رجوا منافعهم، فقال جل وعز: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ شفاعة الملائكة ﴿عِندَهُۥٓ﴾ لأحد ﴿إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ أن يشفع من أهل التوحيد، ثم أخبر عن خوف الملائكة أنهم إذا سمعوا الوحى خروا سجدًا من مخافة الساعة، فكيف يعبدون من هذه منزلته؟ فهلا يعبدون من تخافه الملائكة؟ قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ وذلك أن أهل السماوات من الملائكة لم يكونوا سمعوا صوت الوحى ما بين زمن عيسى ومحمد ﷺ، وكان بينهما قريب من ست مائة عام، فلما نزل الوحى على محمد ﷺ سمعوا صوت الوحى، كوقع الحديد على الصفا، فخروا سجدًا مخافة القيامة، إذ هبط جبريل على أهل كل سماء، فأخبرهم أنه الوحى، فذلك قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ تجلى الفزع عن قلوبهم قاموا من السجود ﴿قَالُواْ﴾ فتسأل الملائكة بعضها بعضًا ﴿مَاذَا قَالَ﴾ جبريل عن ﴿رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ يعنى الوحى ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ الرفيع

﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ [آية: ٢٣] العظيم فلا أعظم منه.

﴿۞قُلۡ﴾ لكفار مكة الذين يعبدون الملائكة ﴿مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعني المطر ﴿وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ يعني النبات فردوا في سورة يونس، قالوا: ﴿ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، يرزقنا إضمار، قال النبي ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ يرزقكم، ثم انقطع الكلام، وأما قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ٢٤] قال كفار مكة للنبي ﷺ: تعالوا ننظر في معايشنا من أفضل دنيا نحن أم أنتم يا أصحاب محمد ﷺ؟ إنكم لعلى ضلالة، فرد عليهم النبي ﷺ: ما نحن وأنتم على أمر واحد إن أحد الفريقين لعلى هدى، يعني النبي ﷺ نفسه وأصحابه، أو في ضلال مبين يعني كفار مكة الألف هاهنا صلة، مثل قوله عز وجل: ﴿**وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُورا**﴾.

﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٢٥] ﴿قُلۡ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا﴾ في الآخرة وأنتم ﴿ثُمَّ يَفۡتَحُ﴾ يقضي ﴿بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ بالعدل ﴿وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ﴾ القضاء ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ [آية: ٢٦] بما يقضي.

﴿قُلۡ﴾ لكفار مكة: ﴿أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ﴾ يعني بالله عز وجل ﴿شُرَكَآءَۖ﴾ من الملائكة هل خلقوا شيئًا يقول الله عز وجل: ﴿كَلَّاۚ﴾ ما خلقوا شيئًا، ثم استأنف ﴿بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ﴾ الذي خلق الأشياء كلها ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آية: ٢٧] العزيز في ملكه الحكيم في أمره. نظيرها في الأحقاف.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يعني يا محمد ﴿إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ عامة للناس ﴿بَشِيرًا﴾ بالجنة لمن أجابه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من النار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني أهل مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٢٨].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ الذي تعدنا يا محمد ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٢٩] إن كنت صادقا بأن العذاب نازل بنا في الدنيا ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ﴾ ميقات في العذاب ﴿يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ﴾ عن المعياد ﴿سَاعَةً وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [آية: ٣٠] يعني لا تتباعدون عنه ولا تتقدمون.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ

ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعنى الأسود بن عبد يغوث، وثعلب وهما أخوان ابنا الحارث بن السباق من بنى عبد الدار بن قصى ﴿لَن نُّؤۡمِنَ﴾ لك لا نصدق ﴿بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ من الكتب التى نزلت قبل القرآن، بين يديه التوراة والإنجيل والزبور ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ فى الآخرة ﴿يَرۡجِعُ﴾ يرد ﴿بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ﴾ ثم أخبر عن قولهم: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ الذين تكبروا عن الإيمان، وهم القادة فى الكفر ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٣١] لولا أنتم معشر الكبراء لكنا مؤمنين يعنى مصدقين بتوحيد الله عز وجل.

فردت القادة وهم الكبراء على الضعفاء وهم الأتباع: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ﴾ يعنى أنحن منعناكم عن الإيمان ﴿بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ﴾ [آية: ٣٢].

فردت الضعفاء على الكبراء، فقالوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بل قولهم كذب بالليل والنهار ﴿إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ﴾ بتوحيد الله عز وجل ﴿وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ يعنى وتأمرونا أن نجعل له شريكًا ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ فى أنفسهم ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ حين عاينوا العذاب فى الآخرة ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ وذلك أن الله عز وجل يأمر خزانة جهنم أن يجعلوا الأغلال فى أعناق الذين كفروا بتوحيد الله عز وجل، وقالت لهم الخزنة: ﴿هَلۡ يُجۡزَوۡنَ﴾ فى الآخرة ﴿إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٣٣] من الكفر فى الدنيا.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ

وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ من رسول ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ أغنياؤها وجبابرتها للرسل ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ بالتوحيد ﴿كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٣٤].

﴿وَقَالُوا۟﴾ أيضًا لفقراء المسلمين أهؤلاء خير منا أم هم أولى بالله منا ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [آية: ٣٥].

يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ وقتر على من يشاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٦] أن البسط والقتر بيد الله عز وجل.

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ يعنى قرابة ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ صدق بالله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من الخير نجزى بالحسنة الواحدة عشرة فصاعدا، ثم قال عز وجل: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ غرف الجنة ﴿ءَامِنُونَ﴾ [آية: ٣٧] من الموت.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ يقول: عملوا بالتكذيب بالقرآن مثبطين عن الإيمان بالقرآن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [آية: ٣٨] النار.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ يوسع الرزق على من يشاء ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾ ويقتر ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ يقول الله عز وجل أخلفه لكم وأعطاكموه ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [آية: ٣٩] مثل قوله عز وجل: ﴿**وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُسْتَخْلَفِينَ فِيه**﴾ [الحديد: ٧].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا

جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ الملائكة ومن عبدها، يعنى يجمعهم جميعًا فى الآخرة ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [آية: ٤٠] يعنى عن أمركم عبدوكم فنزهت الملائكة ربها عز وجل عن الشرك.

فـ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ﴾ ونحن منهم براء إضمار ما أمرناهم بعبادتنا ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ﴾ بل أطاعوا الشيطان فى عبادتهم و ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٤١] مصدقين بالشيطان.

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ فى الآخرة ﴿لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ لا تقدر الملائكة على أن تسوق إلى من عبدها نفعًا، ولا تقدر على أن تدفع عنهم سوءًا ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يأمر الله الخزنة أن تقول للمشركين من أهل مكة: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ٤٢].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ وإذا قرئ عليهم القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ ما فيه من الأمر والنهى ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ﴾ يعنون النبى ﷺ ﴿يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ كذب ﴿مُّفْتَرًى﴾ افتراه محمد ﷺ من تلقاء نفسه ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ يعنون القرآن حين جاءهم ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٤٣].

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ يعنى وما أعطيناهم ﴿مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ﴾ يعنى يقرؤونها بأن مع الله شريكًا نظيرها فى الزخرف: ﴿**أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً**﴾ [الزخرف: ٢١]، ونظيرها فى الملائكة [فاطر: ٣٢] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ﴾ يعنى أهل مكة ﴿قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [آية: ٤٤] يا محمد من رسول لم ينزل كتاب، ولا رسول قبل محمد ﷺ إلى العرب.

ثم قال جل وعز: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعنى الأمم الخالية كذبوا رسلهم قبل كفار مكة ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ وما بلغ الكفار مكة، عشر الذى أعطينا الأمم الخالية من الأموال والعدة والعمر والقوة ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ﴾ فأهلكناهم بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا الرسل ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [آية: ٤٥] تغييرى الشر فاحذروا، يا أهل مكة، مثل عذاب الأمم الخالية.

﴿۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴿٤٧﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ﴿٥٤﴾﴾

﴿۞ قُلۡ﴾ لكفار مكة ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾ بكلمة واحدة كلمة الإخلاص ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ الحق ﴿مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ ألا يتفكر الرجل وحده ومع صاحبه فيعلم ويتفكر فى خلق السماوات والأرض وما بينهما أن الله جل وعز خلق هذه الأشياء وحده وأن محمدًا لصادق وما به جنون ﴿إِنۡ هُوَ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم﴾ مبين، يعنى بينا ﴿بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾ [آية: ٤٦] فى الآخرة.

﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ﴾ وذلك أن النبى ﷺ سأل كفار مكة ألا يؤذوه حتى يبلغ عن الله عز وجل الرسالة، فقال بعضهم لبعض: ما سألكم شططًا كفوا عنه، فسمعوا النبى ﷺ يومًا يذكر اللات والعزى فى القرآن، فقالوا: ما ينتهى هذا الرجل عن عيب آلهتنا سألنا ألا نؤذيه فقد فعلنا، وسألناه ألا يؤذينا فى آلهتنا فلم يفعل، فأكثروا فى ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ﴾ جعل ﴿فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ﴾ ما جزائى ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾ [آية: ٤٧] بأنى نذير وما بى من جنون.

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾ يتكلم بالوحى ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [آية: ٤٨] عالم كل غيب، وإذا قال جل وعز عالم الغيب فهو غيب واحد ﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [آية: ٤٩] يقول: ما يبدئ الشيطان الخلق فيخلقهم وما يعيد خلقهم فى الآخرة فيبعثهم بعد الموت والله جل وعز يفعل ذلك.

﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ﴾ وذلك أن كفار مكة، قالوا للنبى ﷺ: لقد ضللت حين تركت دين

آبائك ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ﴾ إنما ضلالتى على نفسى ﴿وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٞ﴾ الدعاء ﴿قَرِيبٞ﴾ [آية: ٥٠] الإجابة.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ﴾ يقول: إذا فزعوا عند معاينة العذاب، نزلت فى السفيانى، وذلك أن السفيانى يبعث ثلاثين ألف رجل من الشام مقاتلة إلى الحجاز عليهم رجل اسمه بحير بن بجيلة، فإذا انتهوا إلى البيداء خسف بهم، فلا ينجو منهم أحد غير رجل من جهينة اسمه ناجية يفلت وحده، مقلوب وجهه وراء ظهره، يرجع القهقرى، فيخبر الناس بما لقى أصحابه. قال: ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ [آية: ٥١] من تحت أرجلهم.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ حين رأوا العذاب يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ التوبة عند معاينة العذاب ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [آية: ٥٢] الرجعة إلى التوبة بعيد منهم لأنه لا يقبل منهم.

﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿مِن قَبۡلُۖ﴾ نزول العذاب حين بعث الله عز وجل محمدًا ﷺ ﴿وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ يقول: ويتكلمون بالإيمان ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [آية: ٥٣] يقول: التوبة تباعد منهم، فلا يقبل منهم وقد غيب عنهم الإيمان عند نزول العذاب، فلم يقدروا عليه عند نزول العذاب بهم فى الدنيا ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾ من أن تقبل التوبة منهم عند العذاب ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ﴾ يقول: كما عذب أوائلهم من الأمم الخالية من قبل هؤلاء ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ﴾ من العذاب بأنه غير نازل بهم فى الدنيا ﴿مُّرِيبِۭ﴾ [آية: ٥٤] يعنى بمريب أنهم لا يعرفون شكهم، ويقال: كان هذا العذاب بالسيف يوم بدر، وقالوا: آمنا به، يعنى بالقرآن.

* * *

سُورَةُ فَاطِرٍ

سورة الملائكة مكية، عددها خمس وأربعون آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الشكر لله ﴿فَاطِرِ﴾ يعني خالق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ منهم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، والكرام الكاتبين، عليهم السلام، ثم قال جل وعز: الملائكة ﴿أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ يقول: من الملائكة من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ولإسرافيل ستة أجنحة، ثم قال جل وعز: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ وذلك أن فى الجنة نهرًا يقال له نهر الحياة يدخله كل يوم جبريل، عليه السلام، بعد ثلاث ساعات من النهار يغتسل فيه، وله جناحان ينشرهما فى ذلك النهر، ولجناحه سبعون ألف ريشة، فيسقط من كل ريشة قطرة من ماء، فيخلق الله جل وعز منها ملكًا يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة، فذلك قوله عز وجل: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من خلق الأجنحة من الزيادة ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ١] يعنى يزيد فى خلق الأجنحة على أربعة أجنحة ما يشاء.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ الرزق نظيرها فى بنى إسرائيل ابتغاء رحمة من ربك، يعنى الرزق ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ لا يقدر أحد على حبسها ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾ وما يحبس من الرزق ﴿فَلَا مُرْسِلَ﴾ يعنى الرزق ﴿لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ فلا معطى من بعد الله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٢] فى أمره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى أهل مكة ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ ثم أخبرهم بالنعمة، فقال جل وعز: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعنى المطر ﴿وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يعنى النبات، ثم وحد جل جلاله، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [آية: ٣].

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يعزى النبى ﷺ ليصبر على تكذيبهم إياه ﴿فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [آية: ٤] أمور العباد تصير إلى جل وعز فى الآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى كفار مكة ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ فى البعث أنه كائن ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [آية: ٥] الباطل وهو الشيطان.

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾

ثم قال جل وعز: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾ حين أمركم بالكفر بالله ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ يقول: فعادوه بطاعة الله عز وجل، ثم قال جل وعز: ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ﴾ إنما يدعو شيعته إلى الكفر بتوحيد الله عز وجل، ﴿لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [آية: ٦] يعنى الوقود.

ثم بين مستقر الكفار، ومستقر المؤمنين، فقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾ فى الآخرة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صدقوا بتوحيد الله عز وجل ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أدوا الفرائض ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبهم يعنى جزاءهم عند ربهم ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ﴾ [آية: ٧] فى الجنة.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ نزلت فى أبى جهل بن هشام ﴿فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ﴾ عن الهدى ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فلا يهديه إلى الإسلام ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾ لدنيه ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ يعنى النبى ﷺ يقول: فلا تقتل نفسك ندامة عليهم، يعنى أهل مكة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [آية: ٨].

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ ﴾ فسقنا السحاب ﴿ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ ﴾ يعنى بالميت أنه ليس عليه نبت ﴿ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ﴾ بالماء ﴿ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ فتنبت ﴿ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ ﴾ بعد إذ لم يكن عليها نبت ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [آية: ٩] هكذا يحيون يوم القيامة بالماء كما يحيى الأرض بعد موتها ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ ﴾ المنعة بعبادة الأوثان فليعتز بطاعة الله عز وجل.

﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾ جميع من يتعزز فإنما يتعزز بإذن الله عز وجل ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ العمل الحسن يقول: إلى الله عز وجل يصعد فى السماء التوحيد ﴿ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ يقول: شهادة ألا إله إلا الله ترفع العمل الصالح إلى الله عز وجل فى السماء، ذكروا عن ابن عباس أنه قال: ﴿ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ الله إليه، ثم ذكر جل ثناؤه من لا يوحده، فقال جل ثناؤه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ الذين يقولون الشرك ﴿ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ ﴾ فى الآخرة، ثم أخبر عن شركهم، فقال عز وجل: ﴿ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [آية: ١٠] وقولهم الشرك يهلك فى الآخرة.

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ (١١) وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (١٢) يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ (١٣) إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ (١٤) ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ (١٥) إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ (١٦) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ (١٧) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ (١٨) وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ (١٩) وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ (٢٠) ﴾

ثم دل جل وعز على نفسه، فقال: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم ﴾ يعنى بدأ خلقكم ﴿ مِّن تُرَابٖ ﴾ يعنى آدم، عليه السلام ﴿ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾ يعنى نسله ﴿ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ ﴾ ذرية آدم ﴿ أَزۡوَٰجٗاۚ ﴾

﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ﴾ يقول: لا تحمل المرأة الولد ﴿وَلَا تَضَعُ﴾ الولد ﴿إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ ثم قال جل وعز: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ﴾ يعنى من قل عمره أو كثر فهو إلى أجله الذى كتب له، ثم قال جل وعز: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ﴾ كل يوم حتى ينتهى إلى أجله ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ﴾ اللوح المحفوظ مكتوب قبل إن يخلقه ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [آية: ١١] الأجل حين كتبه الله جل وعز فى اللوح المحفوظ.

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ﴾ يعنى الماء العذاب والماء المالح ﴿هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ﴾ يعنى طيب ﴿سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ﴾ يسيغه الشارب ﴿وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ﴾ مر لا ينبت ﴿وَمِن كُلّٖ﴾ من الماء المالح والعذب ﴿تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ السمك ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ﴾ يعنى اللؤلؤ ﴿تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ يعنى بالمواخر أن سفينتين تجريان إحداهما مقبلة والأخرى مدبرة بريح واحدة، تستقبل إحداهما الأخرى ﴿لِتَبۡتَغُواْ﴾ فى البحر ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ من رزقه ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [آية: ١٢].

﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ انتقاص كل واحد منهما من الآخر حتى يصير أحداهما إلى تسع ساعات والآخر إلى خمس عشرة ساعة ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ لبنى آدم ﴿كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ كلاهما دائبان يجريان إلى يوم القيامة، ثم دل على نفسه، فقال جل وعز: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ﴾ فاعرفوا توحيده بصنعه، ثم عاب الآلهة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾ الذين تعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ الأوثان ﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [آية: ١٣] قشر النوى الذى يكون على النوى الرقيق.

ثم أخبر عن الآلهة اللات والعزى ومناة، فقال سبحانه: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ يقول: لو أن الأصنام سمعوا ما استجابوا لكم ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ يقول: إن الأصنام يوم القيامة يتبرءون من عبادتكم إياها، فتقول للكفار: ما أمرناكم بعبادتنا، نظيرها فى يونس: ﴿**فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ**﴾ [يونس: ٢٩] ثم قال للنبى ﷺ: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [آية: ١٤] يعنى الرب نفسه سبحانه فلا أحد أخبر منه.

قوله عز وجل: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى كفار مكة ﴿أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ يعنى إلى ما عند الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن عبادتكم ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ [آية: ١٥] عند خلقه.

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها الناس بالهلاك إذا عصيتم ﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [آية: ١٦] غيركم أمثل منكم.

﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [آية: ١٧] إن فعل ذلك هو على الله هين.

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ لا تحمل نفس خطيئة نفس أخرى ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ من الوزر ﴿ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ من الخطايا أن يحمل عنها ﴿ لَا يُحْمَلْ مِنْهُ﴾ من وزرها ﴿ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ ولو كان بينهما قرابة ما حملت عنها شيئًا من وزرها ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ المؤمنين ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ آمنوا به ولم يروه ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أتموا الصلاة المكتوبة ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ ومن صلح فصلاحه لنفسه ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ١٨] فيجزى بالأعمال فى الآخرة.

ثم ضرب مثل المؤمن والكافر، فقال جل وعز: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [آية: ١٩] وما يستويان فى الفضل والعمل الأعمى عن الهدى، يعنى الكافر والبصير بالهدى المؤمن.

﴿ وَلَا﴾ تستوى ﴿ ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ [آية: ٢٠] يعنى بالظلمات الشرك والنور يعنى الإيمان.

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿ وَلَا ٱلظِّلُّ﴾ يعنى الجنة ﴿ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ [آية: ٢١] يعنى النار.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ﴾ المؤمنين ﴿وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ يعنى الكفار، والبصير، والظل والنور، والأحياء، فهو مثل المؤمن، والأعمى، والظلمات، والحرور، والأموات، فهو مثل الكافر، ثم قال جل وعز: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ﴾ الإيمان ﴿مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [آية: ٢٢] وذلك أن الله جل وعز شبه الكافر من الأحياء حين دعوا إلى الإيمان فلم يسمعوا، بالأموات أهل القبور الذين لا يسمعون الدعاء.

ثم قال للنبى، عليه السلام، حين لم يجيبوه إلى الإيمان: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [آية: ٢٣] ما أنت إلا رسول ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ لم نرسك رسولاً باطلاً لغير شىء ﴿بَشِيرًا﴾ لأهل طاعته بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من النار لأهل معصيته، ثم قال: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾ وما من أمة فيما مضى ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [آية: ٢٤] إلا جاءهم رسول غير أمة محمد، فإنهم لم يجئهم رسول قبل محمد ﷺ، ولا يجيئهم إلى يوم القيامة.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يعزى نبيه ﷺ ليصبر فلست بأول رسول كذب ﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الخالية ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالآيات التى كانوا يصنعون ويخبرون بها ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ وبالأحاديث التى كانت قبلهم من المواعظ ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آية: ٢٥] المضئ الذى فيه أمره ونهيه.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [آية: ٢٦] تغييرى الشر.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعنى المطر ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بالماء ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ بيض وحمر وصفر ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ﴾ أيضًا ﴿جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ يعنى بالجدد الطرائق التى تكون فى الجبال منها أبيض وأحمر ﴿وَ﴾ منها ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [آية: ٢٧] يعنى الطوال السود.

ثم قال جل وعز: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ بيض وحمر وصفر وسود ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ اختلاف ألوان الثمار، ثم قال جل وعز: ﴿كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ فيها تقديم يقول: أشد الناس لله عز وجل خيفة أعلمهم الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ فى ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ [آية: ٢٨] لذنوب المؤمنين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فى مواقيتها ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الأموال ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [آية: ٢٩] لن تهلك، هؤلاء قوم من المؤمنين أثنى الله جل وعز عليهم.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ ليوفر لهم أعمالهم ﴿وَيَزِيدَهُم﴾ على أعمالهم من الجنة ﴿مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ للذنوب العظام ﴿شَكُورٌ﴾ [آية: ٣٠] لحسناتهم.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يقول: إن قرآن محمد ﷺ يصدق ما قبله من الكتب التى أنزلها الله عز وجل على الأنبياء، عليهم السلام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ﴾ بأعمالهم ﴿بَصِيرٌ﴾ [آية: ٣١] بها.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ قرآن محمد ﷺ ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ اخترنا ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ من هذه الأمة ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ أصحاب الكبائر من أهل التوحيد ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ عدل فى قوله ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الذين سبقوا إلى الأعمال الصالحة، وتصديق الأنبياء ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمر الله عز وجل ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [آية: ٣٢] دخول الجنة.

ثم أخبره بثوابهم، فقال جل وعز: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ تجرى من تحتها الأنهار

﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ هؤلاء الأصناف الثلاثة ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ بثلاث أسورة ﴿وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ [آية: ٣٣] وقد حبس الظالم بعد هؤلاء الصنفين السابق والمقتصد، ما شاء الله من أجل ذنوبهم الكبيرة، ثم غفرها لهم وتجاوز عنهم، فأدخلوا الجنة، فلما دخلوها، واستقرت بهم الدار حمدوا ربهم من المغفرة ودخول الجنة.

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ لأنهم لا يدرون ما يصنع الله عز وجل بهم ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ﴾ للذنوب العظام ﴿شَكُورٌ﴾ [آية: ٣٤] للحسنات وإن قلت، وهذا قول آخر شكور للعمل الضعيف القليل، فهذا قول أهل الكبائر من أهل التوحيد.

ثم قالوا: الحمد لله ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾ يعنى دار الخلود أقاموا فيها أبدًا لا يموتون ولا يتحولون عنها أبدًا ﴿مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ﴾ لا يصيبنا فى الجنة مشقة فى أجسادنا ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ [آية: ٣٥] ولا يصيبنا فى الجنة عيا لما كان يصيبهم فى الدنيا من النصب فى العبادة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ﴾ هكذا ﴿نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ [آية: ٣٦] بالإيمان.

﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يعنى يستغيثون فيها والاستغاثة أنهم ينادون فيها ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ من الشرك، ثم قيل لهم: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾ فى الدنيا ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ﴾ فى العمر ﴿مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ الرسول محمد ﷺ ﴿فَذُوقُواْ﴾ العذاب ﴿فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [آية: ٣٧] ما للمشركين من مانع يمنعهم من الله عز وجل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يعلم ما يكون فيهما وغيب ما فى قلوبهم أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٣٨] بما فى القلوب.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ من بعد الأمم الخالية ﴿فَمَن كَفَرَ فَمَن كَفَرَ﴾ بتوحيد الله ﴿فَعَلَيۡهِ﴾ عاقبة ﴿كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ﴾ يقول: الكافر لا يزداد فى طول العمل إلا ازداد الله جل وعز له بغضًا، ثم قال جل وعز: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [آية: ٣٩] لا يزداد الكافرون فى طول العمل إلا ازدادوا بكفرهم خسارًا.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ﴾ مع الله يعني الملائكة ﴿ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ يعني تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: ماذا خلقت الملائكة في الأرض كما خلق الله عز وجل أن كانوا آلهة ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ يعني أم لهم: الملائكة ﴿شِرْكٌ﴾ مع الله عز وجل في سلطانه ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ يقول: هل أعطينا كفار مكة فهم على بينة منه بأن مع الله عز وجل شريكًا من الملائكة، ثم استأنف، فقال: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ﴾ ما يعد ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [آية: ٤٠] ما يعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الملائكة لهم في الآخرة إلا باطلاً.

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةًۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

ثم عظم نفسه تعالى عما قالوا من الشرك، فقال جل ثناؤه: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ يقول: ألا تزولا عن موضعهما ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ ولئن أرسلهما فزالتا ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ فمن يمسكهما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ﴾ الله يقول: لا يمسكهما من أحد من بعده، ثم قال في التقديم: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ عنهم عن قولهم الملائكة بنات الله تعالى حين لا يعجل عليهم بالعقوبة ﴿غَفُورًا﴾ [آية: ٤١] ذو تجاوز.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ يعني كفار مكة في الأنعام حين قالوا: ﴿ **لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ**﴾ [الأنعام: ١٥٧] ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ بجهد الأيمان ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني رسولاً ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ﴾ يعني من اليهود والنصارى، يقول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [آية: ٤٢] ما زادهم الرسول ودعوته إلا تباعدًا عن الهدى عن الإيمان.

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ قول الشرك ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ﴾ ولا يدور قول الشرك ﴿إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ كقوله عز وجل ﴿) **وَحَاقَ بِهِمْ**﴾ [هود: ٨] ودار بهم الآية، ثم خوفهم، فقال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ مثل عقوبة الأمم الخالية ينزل بهم العذاب ببدر كما نزل بأوائلهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ﴾ فى العذاب ﴿تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [آية: ٤٣] لا يقدر أحد أن يحول العذاب عنهم.

ثم قال جل وعز يعظهم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ عاد، وثمود، وقوم لوط ﴿وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ بطشًا، فأهلكناهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ﴾ ليفوته ﴿مِن شَىْءٍ﴾ من أحد، كقوله عز وجل: ﴿**وَإِنْ فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ**﴾ [الممتحنة: ١١]، وقوله جل وعز فى يس: ﴿**وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَىْءٍ**﴾ [يس: ١٥] يعنى من أحد، يقول: لا يسبقه من أحد كان ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فيفوته أحد كان فى السماوات أو فى الأرض حتى يجزيه بعمله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ بهم ﴿قَدِيرًا﴾ [آية: ٤٤] فى نزول العذاب بهم إذا شاء.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ كفار مكة ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ من الذنوب وهو الشرك لعجل لهم العقوبة، فذلك قوله عز وجل: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ فوق الأرض من دابة لهلكت الدواب من قحط المطر ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى الوقت الذى فى اللوح المحفوظ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ وقت نزول العذاب بهم فى الدنيا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ [آية: ٤٥] لم يزل الله عز وجل بعباده بصيرًا.

* * *

سُورَةُ يسٓ

سورة يس مكية، عدد آياتها ثلاث وثمانون آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾﴾

﴿يسٓ﴾ [آية: ١] يعنى عز وجل النبى ﷺ يقول: يا إنسان بلغة طئ، ويس قلب القرآن من قرأها فكأنما قرأ القرآن عشر مرات، ومن قرأها ابتغاء وجه الله عز وجل ليلاً غفر الله ذنوبه تلك الليلة، ومن قرأها بالنهار، فله مثل ذلك، وذلك أن أُبى بن خلف الجمحى قال للنبى ﷺ: ما أرسل الله إلينا رسولاً، وما أنت برسول وتابعه كفار مكة على ذلك فأقسم الله عز وجل بالقرآن الحكيم يعنى المحكم من الباطل

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آية: ٢] ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ٣] ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ على طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٤] دين الإسلام لأن غير دين الإسلام ليس بمستقيم.

ثم قال: هذا القرآن هو ﴿تَنزِيلَ﴾ من ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ فى ملكه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ [آية: ٥] بخلقة.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ بما فى القرآن من الوعيد ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ الأولون ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [آية: ٦].

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ لقوله لإبليس: ﴿**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص: ٨٥] لقد حق القول لقد وجب العذاب على أكثر أهل مكة ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٧] لا يصدقون بالقرأن.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [آية: ٨] وذلك أن أبا جهل بن هشام حلف لئن رأى النبى ﷺ ليدمغنه، فأتاه أبو جهل وهو يصلى ومعه الحجر فرفع الحجر ليدفع النبى ﷺ فيبست يده والتصق الحجر بيده فلما رجع إلى أصحابه خلصوا يده فسألوه فأخبرهم بأمر الحجر، فقال رجل آخر من بنى المغيرة المخزومى: أنا قتله، فأخذ الحجر، فلما دنا من النبى ﷺ طمس الله عز وجل على بصره فلم ير النبى ﷺ وسمع قراءته فرجع إلى أصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه.

فذلك قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ حين لم يروا النبى ﷺ ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٩] حين لم ير أصحابه فسألوه ما صنعت، فقال: لقد سمعت قراءته وما رأيته.

فأنزل الله عز وجل فى أبى جهل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ يعنى بالأذقان الحنك فوق الغلصمه، يقول رددنا أيديهم فى أعناقهم فهم مقحمون يعنى أن يجمع يديه إلى عنقه، وأنزل الله عز وجل فى الرجل الآخر: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ يعنى ظلمة فلم ير النبى ﷺ ومن خلفهم سدًا فلم ير أصحابه، الآية وكان معهم الوليد بن المغيرة.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ يا محمد ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٠] بالقرآن بأنه من الله عز وجل فلم يؤمن أحد من أولئك الرهط من بنى مخزوم.

﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢) وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥)﴾

ثم نزل فى أبى جهل: ﴿**أرأيت الذى ينهى عبدًا إذا صلى**﴾ [العلق: ٩ - ١٠]، ثم قال جل وعز: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ﴾ وخشى عذاب الرحمن ﴿بِالْغَيْبِ﴾ ولم يره ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [آية: ١١] وجزاء حسنا فى الجنة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ فى الآخرة ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ فى الدنيا فى حياتهم

من خير أو شر عملوه ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ ما استنوه من سنة خير أو شر فاقتدى بـه مـن بعـد موتهم، وإن كان خيرًا فله مثل أجر من عمـل بـه، ولا ينقـص مـن أجورهـم شـيء، وإن كان شرًا فعليه مثل وزر من عمل بـه ولا ينقـص مـن أوزارهـم شـيء، فذلـك قولـه عـز وجل: ﴿**ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر**﴾ [القيامة: ١٣] ثم قال جـل وعـز: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ﴾ من الأعمل ﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ بيانه ﴿فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ١٢] كل شـيء عملـوه فى اللوح المحفوظ.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾ وصف لهـم يا محمـد، شبهها لأهـل مكـة فـى الهـلاك ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ أنطاكية ﴿إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [آية: ١٣].

﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ﴾ تومـان ويونـس ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾ فقوينـا يعنـى فشددنا الرسولين بثالث حين صدقهما بتوحيد الله وحين أحيا الجارية وكان اسمه شمعون وكان من الحواريين وكا وصى عيسى بن مريم ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ [آيـة: ١٤] فكذبوهما ولو فعلت ذلك بكم يا أهل مكة لكذبتم، فقال شمعون للذلـك: أشـهد أنـهما رسولان أرسلهما ربك الذى فى السماء، فقال الملـك لشـمعون: أخـبرنى بعلامـة ذلـك؟ فقال شمعون: إن ربى أمرنى أن أبعث لك ابنتك، فذهبوا إلى قبرها، فضرب القبر برجلـه، فقال: قومى بإذن إلهنا الذى فى السماء، الذى أرسلنا إلى هذه القرية واشـهدى لنـا علـى ولدك فخرجت الجارية من قبرها، فعرفوها فقالت يأ أهـل القريـة آمنـوا بـهؤلاء الرسـل، وإنى لأشهد أنهم أرسلوا إليكم، فإن سلمتم يغفر لكم ربكم، وإن أبيتم ينتقم الله منكم، ثم قالت لشمعون: ردنى إلى مكانى فإن القوم لن يؤمنوا لكم، فـأخذ شمعـون قبضـة مـن تراب قبرها فوضعها على رأسها، ثم قال عودى مكانك، فعادت، فلم يؤمـن منـهم غـير حبيب النجار، كان من بنى إسرائيل، وذلك أنه حـين سمـع بالرسـل جـاء مسـرعًا فـآمن وترك عمله وكان قبلـه إيمانـه مشـركًا ﴿قَالُواْ﴾ فقـال القـوم للرسـل: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [آيـة: ١٥] وكـان فعـل شمعـون مـن الحواريين فقال شمعون: إنا إليكم مرسلون أرسلنا إليكم ربكم الذى فى السماء ما أنتم إلا بشر مثلنا ما نرى لكم علينا من فضل فى شيء وما أنزل الرحمـن مـن شـيء ومـا أرسـل الرحمن من أحد يعنى لم يرسل رسولا الآية.

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ

طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾

﴿قَالُوا۟﴾ فقالت الرسل ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [آية: ١٦] فإن كذبتمونا ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ١٧] ما علينا إلأ أن نبلغ ونعلمكم ونبين لكم أن الله واحد لا شريك.

فقال القوم للرسل: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ يقول: تشاءمنا بكم، وذلك أن المطر حبس عنهم، فقالوا: أصابنا هذا الشر يعنون قحط المطر من قبلكم ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ لئن لم تسكتوا عنا لنقتلنكم ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم﴾ يعنى وليصيبنكم ﴿مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ١٨] يعنى وجيعًا.

﴿قَالُوا۟﴾ فقالت الرسل: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ الذى أصابكم كان مكتوبًا فى أعناقكم ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ أئن وعظتم بالله عز وجل تطيرتم بنا ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [آية: ١٩] قوم مشركون والشرك أسرف الذنوب.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ على رجليه اسمه حبيب بن ابريا، أعور نجار، من بنى إسرائيل كان فى غار يعبد الله عز وجل فلما سمع بالرسل أتاهم وترك عمله ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ٢٠] الثلاثة تومان، ويونس، وشمعون.

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [آية: ٢١] فأخذوه فرفعوه إلى الملك، فقال له: برئت منا واتبعت عدونا.

فقال: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ خلقنى ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٢٢].

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ لا تقدر الآلهة أن تشفع لى، فتكشف الضر عنى شفاعتها ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [آية: ٢٣] من الضر.

﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٢٤] لفى خسران بين أن اتخذت من دون الله جل وعز آلهة فوطئ حتى خرجت معاه من دبره، فلما أمر بقتله.

قال: يا قوم ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ [آية: ٢٥] فقتل، ثم ألقى فى البئر، وهى الرس، وهم أصحاب الرس وقتل الرس الثلاثة.

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِى يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ فلما ذهبت روح حبيب إلى الجنة ودخلها وعاين ما فيها من النعيم تمنى فـ ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِى يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٢٦] بنى إسرائيل.

﴿بِمَا﴾ بأى شىء ﴿غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [آية: ٢٧] باتباعى المرسلين، فلو علموا لآمنوا بالرسل، فنصح لهم فى حياته، وبعد موته.

يقول الله عز وجل: ﴿۞وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ يعنى من بعد قتل حبيب النجار ﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ [آية: ٢٨] الملائكة.

﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً﴾ من جبريل، عليه السلام، ليس لها مثنوية ﴿فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾ [آية: ٢٩] موتى مثل النار إذا طفئت لا يسمع لها صوت، وقال النبى ﷺ: «إن صاحب يس اليوم فى الجنة، ومؤمن آل فرعون ومريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون».

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ يا ندامة للعباد فى الآخرة باستهزائهم بالرسل فى الدنيا، ثم قال عز وجل: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [آية: ٣٠].

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبًّا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعۡنَٰبٍ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

ثم خوف كفار مكة، فقال: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ ألم يعلموا ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ بالعذاب ﴿قَبۡلَهُم﴾ قبل كفار مكة ﴿مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ الأمم عاد وثمود وقوم لوط، فيرى أهل مكة من هلاكهم ﴿أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [آية: ٣١] إلى الحياة الدنيا.

﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [آية: ٣٢] عندنا فى الآخرة.

ثم وعظ كفار مكة، فقال عز وجل: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ﴾ علامة لهم ﴿ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا ﴾ بالمطر فتنبت ﴿ وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا ﴾ البر والشعير الحبوب كلها ﴿ فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ [آية: ٣٣].

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا ﴾ فى الأرض ﴿ جَنَّٰتٍ ﴾ بساتين ﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾ [آية: ٣٤] الجارية.

﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ يقول: لم يكن ذلك من صنع أيديهم ولكنه من فعلنا ﴿ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [آية: ٣٥] رب هذه النعم فيوحدوه.

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (٣٨) وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ (٣٩) لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) ﴾

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴾ الأصناف كلها ﴿ مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴾ مما تخرج الأرض من ألوان النبات والشجر ﴿ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ الذكر والأنثى ﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [آية: ٣٦] من الخلق.

ثم قال جل وعز: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ﴾ يقول: من علامة الرب لأهل مكة إذ لم يروه ﴿ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ ننزع ﴿ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ [آية: ٣٧] بالليل، مثل قوله عز وجل: ﴿ **الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها** ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ لوقت لها إلى يوم القيامة، قال أبو ذر الغفارى: غربت الشمس يومًا، فسألت النبى ﷺ أين تغرب الشمس؟ فقال النبى ﷺ: «تغرب فى عين حمئة وطينة سوداء، ثم تخر ساجدة تحت العرش فتستأذن، فيأذن لها، فكأن قد قيل لها ارجعى إلى حيث تغربين». ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الذى ذكر من الليل والنهار، والشمس والقمر يجرى فى ملكه بما قدر من أمرهما وخلقهما ﴿ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [آية: ٣٨].

ثم قال عز وجل: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ فى السماء يزيد، ثم يستوى، ثم ينقص

فى آخر الشهر ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ﴾ حتى عاد مثل الخيط كما يكون أول ما استهل فيه كالعرجون، يعنى العذق اليابس المنحنى ﴿ٱلْقَدِيمِ﴾ [آية: ٣٩] الذى أتى عليه الحول.

ثم قال جل وعز: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ فتضئ مع ضوء القمر، لأن الشمس سلطان النهار، والقمر سلطان الليل، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ يقول: ولا يدرك سواد الليل ضوء النهار، فيغلبه على ضوئه ﴿وَكُلٌّ﴾ الليل والنهار ﴿فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [آية: ٤٠] فى دوران يجرون يعنى الشمس والقمر يدخلان تحت الأرض من قبل المغرب، فيخرجان من تحت الأرض، حتى يخرجا من قبل المشرق، ثم يجريان فى السماء حتى يغربا قبل المغرب، فهذا دورانهما، فذلك قوله عز وجل: ﴿فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يقول: وكلاهما فى دوران يجريان إلى يوم القيامة.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾ وعلامة لهم، يعنى كفار مكة ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ذرية أهل مكة فى أصلاب آبائهم ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [آية: ٤١] يعنى المرقر من الناس والدواب.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ وجعلنا لهم من شبه سفينة نوح ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ [آية: ٤٢] فيها. ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ فى الماء ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ لا مغيث لهم ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ [آية: ٤٣] من الغرق.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾ إلا نعمة منا حين لا نغرقهم ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [آية: ٤٤] وبلاغا إلى آجالهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ يقول: لا يصيبكم منا عذاب الأمم الخالية قبلكم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ واتقوا ما بعدكم من عذاب الأمم فلا تكذبوا محمدًا ﷺ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آية: ٤٥] لكى ترحموا.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾ [آية: ٤٦] فلا يتفكروا. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ﴾ وذلك أن المؤمنين قالوا بمكة لكفار قريش، لأبى سفيان وغيره: أنفقوا على المساكين من الذى زعمتم أنه لله، وذلك أنهم كانوا يجعلون نصيبًا لله من الحرث والأنعام بمكة، للمساكين، فيقولون: هذا لله بزعمهم، ويجعلون للآلهة نصيبًا، فإن لم يزك ما جعلوه للآلهة من الحرث والأنعام، وزكا ما جعلوه لله عز وجل ليس للآلهة شىء، وهى تحتاج إلى نفقة، فأخذوا ما جعلوه لله، قالوا: لو شاء الله لأزكى نصيبه ولا يعطون المساكين شيئًا مما زكى لآلهتهم.

فقال المؤمنون لكفار قريش: أنفقوا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فقالت كفار قريش: ﴿أَنُطۡعِمُ﴾ المساكين الذى للآلهة ﴿مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾ يعنى رزقه لو شاء الله لأطعمه، وقالوا لأصحاب النبى ﷺ: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ٤٧].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٤٨] بأن العذاب نازل بنا فى الدنيا يقول الله عز وجل: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ لا مثنوية لها ﴿تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ﴾ [آية: ٤٩] وهم يتكلمون فى الأسواق، والمجالس، وهم أعز ما كانوا.

﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ﴾ يقول: أعجلوا عن التوصية فماتوا ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [آية: ٥٠] يقول: ولا إلى منازلهم يرجعون من الأسواق، فأخبر الله عز وجل بما يلقون فى الأولى.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

ثم أخبر بما يلقون فى الثانية إذا بعثوا، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ من القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [آية: ٥١] يخرجون إلى الله عز وجل من قبورهم أحياء، فلما رأوا العذاب ذكروا قول الرسل فى الدنيا: أن البعث حق.

﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ وذلك أن أرواح الكفار كانوا يعرضون على منازلهم من النار طرفى النهار كل يوم، فلما كان بين النفختين رفع عنهم العذاب فرقدت تلك الأرواح بين النفختين، فلما بعثوا فى النفخة الأخرى وعاينوا فى القيامة ما كذبوا به فى الدنيا من البعث والحساب، فدعوا بالويل، ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ فى قراءة ابن مسعود: «من ميتتنا»، قال حفظتهم من الملائكة: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾ على ألسنة الرسل، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [آية: ٥٢].

وذكر النفخة الثانية، فقال سبحانه: ﴿إِن﴾ يعنى ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ من إسرافيل ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ﴾ الخلق كلهم ﴿لَّدَيْنَا﴾ عندنا ﴿مُحْضَرُونَ﴾ [آية: ٥٣] بالأرض المقدسة فلسطين لنحاسبهم.

﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ فى الآخرة ﴿لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٥٤] من الكفر جزاء الكافر النار.

ثم قال جل وعز: ﴿إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ﴾ فى الآخرة ﴿فِى شُغُلٍ﴾ يعنى شغلوا بالنعيم، بافتضاض العذارى عن ذكر أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون بهم، ثم قال جل وعز: ﴿فَـٰكِهُونَ﴾ [آية: ٥٥] فكهون يعنى معجبين بما هم فيه شغل النعيم والكرامة.

﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ﴾ يعنى الحور العين حلائلهم ﴿فِى ظِلَـٰلٍ﴾ ومن قرأ فاكهون، يعنى ناعمين فى ظلال كبار القصور ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ على السرر عليها الحجال ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ [آية: ٥٦].

﴿لَهُمْ فِيهَا﴾ فى الجنة ﴿فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [آية: ٥٧] يتمنون ما شاءوا من

الخير ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [آية: ٥٨] وذلك أن الملائكة تدخل على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ﴾ واعتزلوا ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾ فى الآخرة ﴿أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [آية: ٥٩] وذلك حين اختلط الإنس والجن والدواب دواب البر والبحر والطير، فاقتص بعضهم من بعض، ثم قيل لهم: كونوا ترابًا فبقى الإنس والجن خليطين إذ بعث الله عز وجل إليهم مناديًا أن امتازوا اليوم يقول: اعتزلوا اليوم أيها المجرمون، من الصالحين.

﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ﴾ الذين أمروا بالاعتزال ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ فى الدنيا ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ يعنى إبليس وحده، ولا تطيعوه فى الشرك ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ٦٠] بين العداوة.

﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ﴾ يقول: وحدونى ﴿هَٰذَا﴾ التوحيد ﴿صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [آية: ٦١] دين الإسلام لأن غير دين الإسلام ليس بمستقيم ﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ﴾ إبليس ﴿مِنكُمۡ﴾ عن الهدى ﴿جِبِلّٗا﴾ خلقًا ﴿كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ٦٢].

فلما دنوا من النار قالت لهم خزانتها: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [آية: ٦٣] فى الدنيا، فلما ألقوا فى النار قالت لهم الخزنة: ﴿ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ﴾ فى الآخرة ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [آية: ٦٤] فى الدنيا.

﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ﴾ وذلك أنهم سئلوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون، فقالوا: والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله جل وعز على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم بشركهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [آية: ٦٥] بما كانوا يقولون من الشرك.

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ نزلت فى كفار مكة يقول: لو نشاء لحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ ولو طمست الكفر لاستبقوا الصراط يقول: لأبصروا طريق الهدى، ثم قال جل وعز: ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٦٦] فمن أين يبصرون الهدى إن لم أعم عليهم طريق الضلالة.

ثم خوفهم، فقال جل وعز: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ يقول تعالى: لوشئت لمسختهم حجارة فى منازلهم ليس فيها أرواح ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ٦٧] يقول: لا يتقدمون ولا يتأخرون.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾ فنطول عمره ﴿نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٦٨].

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ نزلت فى عقبة بن أبى معيط وأصحابه، قالوا: إن القرآن شعر ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أن يعلمه ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعنى القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ تفكر ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٦٩] بيّن.

﴿لِّيُنذِرَ﴾ يعنى لتنذر يا محمد بما فى القرآن من الوعيد ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ من كان مهديًا فى علم الله عز وجل ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ ويجب العذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٧٠] بتوحيد الله عز وجل.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ من فعلنا ﴿أَنْعَٰمًا﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [آية: ٧١] ضابطين.

﴿وَذَلَّلْنَٰهَا﴾ كقوله عز وجل: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ [الإنسان: ١٤] وذللناها فيحملون عليها ويسوقونها حيث شاءوا، ولا تمتنع منها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ حمولتهم الإبل والبقر ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [آية: ٧٢] يعنى الغنم.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ فى الأنعام ومنافع فى الركوب عليها، والحمل عليها، وينتفعون بأصوافها وأوبارها، وأشعارها، ثم قال عز وجل: ﴿وَ﴾ فيها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ ألبانها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٧٣].

ثم قال جل وعز: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ يعنى كفار مكة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ يعنى اللات والعزى ومناة ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ [آية: ٧٤] لكى تمنعهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ لا تقدر الآلهة أن تمنعهم من العذاب.

ثم قال جل وعز: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ [آية: ٧٥] يقول كفار مكة للآلهة حزب يغضبون لها، ويحضرونها فى الدنيا.

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ كفار مكة ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ من التكذيب ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [آية: ٧٦] يظهرون من القول بألسنتهم حين قالوا للنبى ﷺ: كيف يبعث الله هذا العظم علانية، نزلت فى أبى بن خلف الجمحى فى أمر العظم، وكان قد أضحكهم بمقالته فهذا الذى أعلنوا، وذلك أن أبا جهل، والوليد بن المغيرة، وعتبة وشيبة ابنى ربيعة، وعقبة، والعاص بن وائل، كانوا جلوسًا، فقال لهم أبى بن خلف، قال لهم فى النفر من قريش: إن محمدًا يزعم أن الله يحيى الموتى، وأنا آتيه بعظم فأسأله كيف يبعث الله هذا؟ فانطلق أبى بن خلف فأخذ عظمًا باليًا، حائلاً نخرًا، فقال: يا محمد، تزعم أن الله يحيى الموتى بعد إذ بليت عظامنا وكنا ترابًا تزعم أن الله يبعثنا خلقًا جديدًا، ثم جعل يفت العظم، ثم يذريه فى الريح، ويقول: يا محمد من يحيى هذا؟ فقال النبى ﷺ: «يحيى الله عز وجل هذا، ثم يميتك، ثم يبعثك، ثم يدخلك نار جهنم».

فأنزل الله عز وجل فى أبى بن خلف: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ﴾ يعنى أو لم يعلم الإنسان ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٧٧] بين الخصومة فيما يخاصم النبى ﷺ عن البعث، ثم قال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ وصف لنا شبها فى أمر العظم ﴿وَنَسِيَ

خَلْقَهُۥ﴾ وترك المنظر فى بدء خلق نفسه إذ خلق من نطفة، و لم يكن قبل ذلك شيئًا فـ ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [آية: ٧٨] يعنى بالية.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأبى ﴿يُحْيِيهَا﴾ يوم القيامة ﴿ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ﴾ خلقها ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فى الدنيا و لم تك شيئًا ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٧٩] عليم بخلقهم فى الدنيا عليم بخلقهم فى الآخرة بعد الموت خلقًا جديدًا.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [آية: ٨٠] فالذى يخرج من الشجر الأخضر النار، فهو قادر على البعث، ثم ذكر ما هو أعظم خلقًا من خلق الإنسان.

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

فقال جل وعز: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ هذا أعظم خلقًا من خلق الإنسان ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ﴾ فى الأرض ﴿مِثْلَهُمۚ﴾ مثل خلقهم فى الدنيا، ثم قال لنفسه تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ قادر على ذلك ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٨١] بخلقهم فى الآخرة العليم ببعثهم.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ أمر البعث وغيره ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ﴾ مرة واحدة ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [آية: ٨٢] لا يثنى قوله.

ثم عظم نفسه عن قولهم، فقال عز وجل: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾ خلق ﴿كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ﴾ من البعث وغيره ﴿تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٨٣] إلى الله عز وجل بعد الموت لتكذيبهم.

* * *

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

سورة الصافات مكية، وعددها مائة واثنتان وثمانون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥﴾

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ [آية: ١] يعنى عز وجل صفوف الملائكة.

﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ [آية: ٢] الملائكة يعنى به الرعد، وهو ملك اسمه الرعد يزجر السحاب بصوته يسوقه إلى البلد الذى أمر أن يمطره، والبرق مخاريق من نار يسوق بها السحاب، فإذا صف السحاب بعضه إلى بعض سطع منه نار فيصيب الله به من يشاء، وهى الصاعقة التى ذكر الله عز وجل فى الرعد.

﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ [آية: ٣] يعنى به الملائكة، وهو جبريل وحده، عليه السلام، يتلو القرآن على الأنبياء من ربهم، وهو الملقيات ذكرًا، يلقى الذكر على الأنبياء، وذلك أن كفار مكة قالوا: يجعل محمد ﷺ الآلهة إلهًا واحدًا.

فأقسم الله بهؤلاء الملائكة ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ﴾ يعنى أن ربكم ﴿لَوَٰحِدٌ﴾ [آية: ٤] ليس له شريك، ثم عظم نفسه عن شركهم، فقال عز وجل: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يقول: أنا رب ما بينهما من شىء من الآلهة وغيرها ﴿وَ﴾ أنا ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ [آية: ٥] يعنى مائة وسبعة وسبعين مشرقًا فى السنة كلها، والمغارب مثل ذلك.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾

ثم قال: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ لأنها أدنى السماء من الأرض وأقربها ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [آية: ٦] وهى معلقة فى السماء بهيئة القناديل.

﴿وَحِفْظًا﴾ زينة السماء بالكواكب ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [آية: ٧] متمرد على الله عز وجل فى المعصية.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ﴾ يعنى الملائكة وكانوا قبل النبى ﷺ يسمعون كلام الملائكة ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ ويرمون ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [آية: ٨] من كل ناحية.

﴿دُحُورًا﴾ يعنى طردًا بالشهب من الكواكب، ثم ترجع الكواكب إلى أمكنتها ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [آية: ٩] يعنى دائم للشياكين من يستمع منهم، ومن لم يستمع عذاب دائم فى الآخرة والكواكب تجرح ولا تقتل، نظيرها فى تبارك: ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ**﴾ [تبارك: ٥].

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ﴾ من الشياطين ﴿الْخَطْفَةَ﴾ يخطف من الملائكة ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [آية: ١٠] من الملائكة الكواكب، يعنى بالشهاب الثاقب، نارًا مضيئة، كقول موسى: ﴿**أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ**﴾ [النمل: ٧]، يعنى بنار مضيئة، فيها تقديم.

﴿**فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾**﴾

قال جل وعز: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ يقول سلهم ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ نزلت فى أبى الأشدين واسمه أسيد بن كلدة بن خلف الجمحى، وإنما كنى أبا الأشدين لشدة بطشه، وفى ركانة بن عبد يزيد بن هشام بن عبد مناف، يقول: سل هؤلاء أهم أشد خلقًا بعد موتهم لأنهم كفروا بالبعث ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾ يعنى خلق السماوات والأرض، وما بينهما والمشارق، لأنهم يعلمون أن الله جل وعز خلق هذه الأشياء، ثم أخبر عن خلق الإنسان، فقال جل وعز: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم﴾ يعنى آدم ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [آية: ١١] يعنى لازب بعضه فى البعض فهذا أهون خلقًا عند هذا المكذب بالبعث من خلق السماوات والأرض وما بينهما والمشارق، ونزلت فى أبى الأشدين أيضًا ﴿**أأنتم أشد خلقًا**﴾ بعثًا بعد الموت ﴿**أم السماء بناها**﴾ [النازعات: ٢٧].

ثم قال: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ يا محمد من القرآن حين أوحى إليك نظيرها فى الرعد: ﴿**وَإِنْ تَعْجَبْ**﴾ من القرآن ﴿**فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ**﴾ [الرعد: ٥]، فاعجب من قولهم

بتكذيبهم بالبعث، ثم قال جل وعز: ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ [آية: ١٢] يعنى كفار مكة سخروا من النبى ﷺ حين سمعوا منه القرآن.

ثم قال: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ﴾ [آية: ١٣] وإذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً﴾ يعنى انشقاق القمر بمكة فصار نصفين ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [آية: ١٤] سخروا، فقالوا: هذا عمل السحرة.

فذلك قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٥] نظيرها اقتربت الساعة: ﴿**وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**﴾ [القمر: ٢].

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [آية: ١٦] بعد الموت. ﴿أَوَ﴾ يبعث ﴿ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [آية: ١٧] قالوا ذلك تعجبًا، يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ [آية: ١٨] وأنتم صاغرون.

ثم أخبر عنهم عز وجل: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ صيحة واحدة من إسرافيل لا مثنوية لها ﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ [آية: ١٩] إلى البعث الذى كذبوا به، فلما نظروا وعاينوا البعث ذكروا قول الرسل إن البعث حق.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ٢٠] يوم الحساب الذى أخبرنا به النبى ﷺ فردت عليهم الحفظة من الملائكة.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ يوم القضاء ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ٢١] بأنه كائن.

﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ الذين أشركوا من بنى آدم ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ قرناءهم من

الشياطين الذين أظلوهم وكل كافر مع شيطان فى سلسلة واحدة ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعۡبُدُونَ﴾ [آية: ٢٢].

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعنى إبليس وجندة نزلت فى كفار قريش نظيرها فى يس: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ**﴾ الآية ﴿**أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ**﴾ [يس: ٦]، يعنى إبليس وحده ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ يعنى ادعوهم إلى طريق ﴿ٱلۡجَحِيمِ﴾ [آية: ٢٣] والجحيم ما عظم الله عز وجل من النار.

﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ [آية: ٢٤] فلما سيقوا إلى النار حبسوا فسألهم خزنة جهنم ألم تأتكم رسلكم بالبينات؟ قالوا: بلى، ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين يقول الخازن: ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [آية: ٢٥] نظيرها فى الشعراء: ﴿**هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ**﴾ [الشعراء: ٩٣] يقول الكفار: ما لشركائكم الشياطين لا يمنعونكم من العذاب.

يقول الله عز وجل لمحمد ﷺ: ﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾ [آية: ٢٦] للعذاب ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [آية: ٢٧] يتكلمون ﴿قَالُوٓا۟﴾: قال قائل من الكفار لشركائهم الشياطين ﴿إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ﴾ [آية: ٢٨] يعنون من قبل الحق، نظيرها فى الحاقة: ﴿**لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ**﴾ [الحاقة: ٤٥] بالحق، وقالوا للشياطين: أنتم زينتم لنا ما نحن عليه، فقلتم إن هذا الذى نحن عليه هو الحق.

﴿قَالُوا۟﴾ قالت لهم الشياطين: ﴿بَل لَّمۡ تَكُونُوا۟ مُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٢٩] مصدقين بتوحيد الله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ﴾ من ملك فنكرهكم على متابعتنا ﴿بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ﴾ [آية: ٣٠] عاصين.

﴿**فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُوا۟ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾**﴾

ثم قالت الشياطين: ﴿فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ﴾ يوم قال لإبليس: ﴿**لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ**﴾ [ص: ٨٥] الآية ﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ [آية: ٣١] ﴿فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ﴾ يعنى أضللناكم عن الهدى ﴿إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ [آية: ٣٢] ضالين.

يقول الله عز وجل: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ للكفار والشياطين ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [آية: ٣٣] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ٣٤] ثم أخبر عنهم جل وعز: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [آية: ٣٥] يتكبرون عن الهدى نزلت فى الملأ من قريش الذين مشوا إلى ابى طالب، فقال لهم النبى ﷺ: «قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب وتدين لكم العجم بها».

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [آية: ٣٦] فقال جل وعز: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ يعنى محمدًا ﷺ جاء بالتوحيد ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ٣٧] قبله ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ [آية: ٣٨] يعنى الوجيع.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ﴾ فى الآخرة ﴿إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٣٩] فى الدنيا من الشرك، جزاء الشرك النار، ثم استثنى المؤمنين، فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [آية: ٤٠] بالتوحيد لا يذوقون العذاب، فأخبر ما أعد لهم.

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾

فقال جل وعز: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ [آية: ٤١] يعنى بالمعلوم حين يشتهونه يؤتون به.

ثم بين الرزق، فقال تبارك وتعالى: ﴿فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ [آية: ٤٢] ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [آية: ٤٣] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [آية: ٤٤] فى الزيارة ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ يعنى يتقلب عليهم بأيدى الغلمان الخدم ﴿بِكَأْسٍ﴾ يعنى الخمر ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ [آية: ٤٥] يعنى الجارى ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [آية: ٤٦] ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ لا غائلة عليها يرجع منها الرأس كفعل خمر الدنيا ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ [آية: ٤٧] يعنى يسكرون فتنزف عقولهم كخمر الدنيا.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ حافظات النظر من الرجال غير أزواجهن لا يرون غيرهم من العشق، ثم قال: ﴿عِينٌ﴾ [آية: ٤٨] يعنى حسان الأعين، ثم شبههن ببياض البيض الذى الصفرة فى جوفه، فقال: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [آية: ٤٩].

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [آية: ٥٠] أى أهل الجنة حين يتكلمون، يكلم بعضهم بعضًا يقول:

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [آية: ٥١] وذلك أن أخوين من بنى إسرائيل اسم أحدهما فطرس والآخر سلخا ورث كل واحد منهما عن أبيه أربعة آلاف دينار، فأما أحدهما فأنفق ماله فى طاعة الله عز وجل، والمشرك الآخر أنفق ماله فى معصية الله عز وجل ومعيشة الدنيا، وهما اللذان ذكرهما الله عز وجل فى سورة الكهف. فلما صار إلى الآخرة أدخل المؤمن الجنة، وأدخل المشرك النار، فلما أدخل الجنة المؤمن ذكر أخاه، فقال لإخوانه من أهل الجنة: إنى كان لى قرين، يعنى صاحب

﴿يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ [آية: ٥٢] بالبعث ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [آية: ٥٣] يعنى لمحاسبين فى أعمالنه ثم ﴿قَالَ﴾ المؤمن لأخوانه فى الجنة ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ [آية: ٥٤] إلى النار فتنظرون منزلة أخى فردوا عليه أنت أعرف به منا، فاطلع أنت، ولأهل الجنة فى منازلهم كوى، فإذا شاءوا نظروا إلى أهل النار ﴿فَاطَّلَعَ﴾ المؤمن ﴿فَرَآهُ﴾ فرأى أخاه ﴿فِي سَوَاءِ﴾ يعنى فى وسط ﴿الْجَحِيمِ﴾ [آية: ٥٥] أسود الوجه أزرق العينين مقرونًا مع شيطانه فى سلسلة ﴿قَالَ﴾ المؤمن ﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [آية: ٥٦] لتغوين، فأنزل منزلك فى النار.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ يقول: لولا ما أنعم الله على بالإسلام ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [آية: ٥٧] النار، ثم انقطع الكلام، ثم أقبل المؤمن على أصحابه، فقال: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ [آية: ٥٨] عرف المؤمن أن كل نعيم معه الموت، فليس بتام ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾ التى كانت فى الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [آية: ٥٩] فقيل له: إنك لا تموت فيها.

فقال عند ذلك: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [آية: ٦٠] ثم انقطع كلام المؤمن.

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

يقول الله عز وجل: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ النعيم الذى ذكر قبل هذه الآية فى قوله: ﴿**أولئك لهم رزق معلوم**﴾ [الصافات: ٤١]. ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [آية: ٦١] فليسارع المسارعين.

يقول الله عز وجل: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ للمؤمنين ﴿أَمْ﴾ نزل الكافر ﴿شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [آية: ٦٢] وهى النار للذين استكبروا عن لا إله إلا الله حين أمرهم النبى ﷺ بها، ثم قال جل وعز: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا﴾ يعنى الزقوم ﴿فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٦٣] يعنى لمشركى مكة منهم عبد الله بن الزبعرى، وأبو جهل بن هشام، والملأ من قريش الذين مشوا إلى أبى طلب، وذلك أن ابن الزبعرى، قال: إن الزقوم بكلام اليمن التمر والزبد، فقال أبو جهل: يا جارية، ابغنا تمرًا وزبدًا، ثم قال لأصحابه: تزقموا من هذا الذى يخوفنا به محمد، يزعم أن النار تنبت الشجر والنار تحرق الشجر، فكان الزقوم فتنة لهم، فأخبر الله عز وجل أنها لا تشبه النخل، ولا طلعها كطلع النخل.

فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ﴾ تنبت ﴿فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ٦٤] ﴿طَلْعُهَا﴾ تمرها ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [آية: ٦٥] ﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا﴾ من ثمرتها ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا﴾ من ثمرها ﴿ٱلْبُطُونَ﴾ [آية: ٦٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا﴾ يعنى لمزاجًا ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [آية: ٦٧] يشربون على إثر الزقوم الحميم الحار الذى قد انتهى حره.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ بعد الزقوم وشرب الحميم ﴿لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ٦٨] وذلك قوله عز وجل: ﴿**يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ**﴾ [الرحمن: ٤٤] ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟﴾ وجدوا ﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾ [آية: ٦٩] عن الهدى ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [آية: ٧٠] يقول: يسعون فى مثل أعمال آبائهم.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أهل مكة ﴿أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٧١] من الأمم ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ [آية: ٧٢] ينذرونهم العذاب فكذبوا الرسل فعذبهم الله عز وجل فى الدنيا، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [آية: ٧٣] يحذر كفار مكة لئلا يكذبوا محمدًا ﷺ فينزل بهم العذاب فى الدنيا.

ثم استثنى، فقال جل وعز: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [آية: ٧٤] الوحدين، فإنهم نجوا من العذاب بالتوحيد ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ فى اقتربت: ﴿**أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ**﴾ [القمر: ١٠] وفى الأنبياء [الآية: ٧٦]، فأنجاه ربه فغرقهم بالماء، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ [آية: ٧٥] يعنى الرب نفسه تعالى.

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٧٦] الهول الشديد وهو الغرق ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ﴾ ولد نوح ﴿هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [آية: ٧٧] وذلك أن أهل السفينة ماتوا، ولم يكن لهم نسل غير ولد نوح، وكان الناس من ولد نوح، فلذلك قال: ﴿هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ فقال النبى ﷺ: «سام أبو العرب، ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش».

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [آية: ٧٨] يقول: ألقينا على نوح بعد موته ثناء حسنًا، يقال له: من بعده فى الآخرين خير، فذلك قوله عز وجل: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آية: ٧٩] يعنى بالإسلام الثناء الحسن الذى ترك عليه من بعده فى الناس.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٨٠] هكذا نجزى كل محسن فجزاه الله عز وجل بإحسانه الثناء الحسن فى العالمين.

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٨١] يعنى المصدقين بالتوحيد ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾

[آية: ٨٢] يعنى قوم نوح ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ [آية: ٨٣] يقول: إبراهيم على ملة نوح، عليهما السلام، قال الفراء: إبراهيم من شيعته محمد ﷺ.

قال أبو محمد: سألت أبا العباس عن ذلك، فقال: كل من كان على دين رجل فهو من شيعته، كل نبى من شيعة إبراهيم صاحبه، فإبراهيم من شيعة محمد، ومحمد من شيعة إبراهيم، عليهما السلام.

﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾ [آية: ٨٤] يعنى بقلب مخلص من الشرك ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر ﴿وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ﴾ [آية: ٨٥] من الأصنام ﴿أَئِفۡكًا﴾ يعنى أكذبًا ﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [آية: ٨٦].

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٨٧] إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ﴿فَنَظَرَ﴾ إبراهيم ﴿نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ﴾ [آية: ٨٨] يعنى الكواكب وذلك أنه رأى نجمًا طلع ﴿فَقَالَ﴾ لقادتهم: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾ [آية: ٨٩] وهم ذاهبون إلى عبدهم إنى سقيم يعنى وجيع، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام كانت اثنين وسبعين صنمًا من ذهب وفضة وشبه ونحاس وحديد وخشب، وكان أكبر الأصنام عيناه من ياقوتتين حمراوين، وهو من ذهب وكانوا إذا خرجوا إلى عيدهم دخلوا قبل أن يخرجوا فيسجدون لها ويقربون الطعام، ثم يخرجون إلى عيدهم، فإذا رجعوا من عيدهم، فدخلوا عليها سجدوا لها ثم يتفرقون، فلما خرجوا إلى عيدهم اعتل إبراهيم بالطاعون، وذلك أنهم كانوا ينظرون فى النجوم، فنظر إبراهيم فى النجوم، فقال: إنى سقيم، قال الفراء: كل من عمل فيه النقص ودب فيه الفناء وكان منتظرًا للموت فهو سقيم.

فذلك قوله عز وجل: ﴿فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ﴾ [آية: ٩٠] ذاهبين وقد وضعوا الطعام والشراب بين يدى آلهتهم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ﴾ إلى الصنم الكبير وهو فى بيت ﴿فَقَالَ﴾ للآلهة ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾

[آية: ٩١] الطعام الذى بين أيديكم ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ [آية: ٩٢] ما لكم لا تكلمون؟ ما لكم لا ترزدن جوابًا، أتأكلون، أو لا تأكلون.

﴿فَرَاغَ﴾ يعنى فمال إلى آلهتهم ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ يعنى فأقبل عليهم ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [آية: ٩٣] بيده اليمنى يكسرهم بالفأس، فلما رجعوا من عيدهم، ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ [آية: ٩٤] يمشون إلى إبراهيم يأخذونه بأيديهم **فـ** ﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [آية: ٩٥] وما تنحتون من الأصنام ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٩٦] وما تنحتون من الأصنام.

قال أبو محمد: قال الفراء: ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ الذى حلفها عليها، فقال: ﴿**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ**﴾ [الأنبياء: ٥٧]، قال أبو محمد: حدثنى هناد، قال: حدثنا ابن يمان، قال: رأيت سفيان جائيًا من السوق بالكوفة، فقلت: من اين أقبلت؟ قال: من دار الصيادلة نهيتهم عن بيع الداذى، وإنى لأرى الشىء أنكره فلا أستطيع تغييره، فأبول دمًا رجع إلى قول مقاتل.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ قال ابن عباس: بنوا حائطًا من حجارة طوله فى السماء ثلاثون ذراعًا، وعرضه عشرون ذراعًا ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [آية: ٩٧] فى نار عظيمة قال الله عز وجل فى سورة الأنبياء: ﴿**يا نار كونى بردًا وسلامًا على إبراهيم**﴾ [الأنبياء: ٦٩]، ﴿**وأرادو به كيدًا**﴾ [الأنبياء: ٧٠] سوءًا، الآية وعلاهم إبراهيم، عليه السلام، وسلمه الله عز وجل وحجزهم عنه، فلم يلبثوا إلا يسيرًا حتى أهلكهم الله عز وجل، فما بقيت يومئذ دابة إلا جعلت تطفئ النار عن إبراهيم، عليه السلام، غير الوزغ كانت تنفخ النار على إبراهيم، فأمر النبى ﷺ بقتلها.

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [آية: ٩٨] ﴿وَقَالَ﴾ وهو ببابل ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ يعنى مهاجر ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ إلى رضى ربى بالأرض المقدسة ﴿سَيَهْدِينِ﴾ [آية: ٩٩] لدينه، وهو أول من هاجر من الخلق، وعه لوط وسارة، فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آية: ١٠٠] هب لى ولدًا صالحًا، فاستجاب له.

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ

﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ ﴾

﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [آية: ١٠١] يعنى عليم، وهو العالم، وهو إسحاق بن سارة.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ﴾ مع أبيه ﴿ٱلسَّعْىَ﴾ المشى إلى الجبل ﴿قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ﴾ لنذر كان عليه فيه يقول: إنى أمرت فى المنام ﴿أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ﴾ فرد عليه إسحاق ﴿قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ﴾ وأطع ربك فمن ثم لم يقل إسحاق لإبراهيم، عليهما السلام، افعل ما رأيت، ورأى إبراهيم ذلك ثلاث ليال متتابعات، وكان إسحاق قد صام وصلى قبل الذبح ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آية: ١٠٢] على الذبح.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ يقول: أسلما لأمر الله وطاعته ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [آية: ١٠٣] وكبه لجبهته، فلما أخذ بناصيته ليذبحه عرف الله تعالى منهما الصدق، قال الفراء فى قوله عز وجل: ﴿مَاذَا تَرَىٰ ۚ﴾؟: مضموم التاء، قال: المعنى ما تُرى من الجلد والصبر على طاعة الله عز وجل، ومن قرأ «ترى» أراد إبراهيم أن يعلم ما عنده من العزم، ثم هو ماض على ذبحه، كما أمره الله عز وجل رجع إلى مقاتل.

﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ﴾ فى ذبح ابنك، وخذ الكبش ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ١٠٥] هكذا نجزى كل محسن فجزاه الله عز وجل بإحسانه وطاعته، العفو عن ابنه إسحاق.

ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ١٠٦] يعنى النعيم المبين حين عفا عنه وفدى بالكبش ﴿وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ١٠٧] ببيت المقدس الكبش اسمه رزين وكان من الوعل رعى فى الجنة أربعين سنة قبل أن يذبح.

﴿وَتَرَكْنَا﴾ وأبقينا ﴿عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [آية: ١٠٨] الثناء الحسن يقال له من بعد موته فى الأرض، فذلك قوله عز وجل: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آية: ١٠٩] يعنى بالسلام الثناء الحسن، يقال له من بعده فى أهل الأديان، فى الناس كلهم.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ١١٠] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١١١] يعنى المصدقين بالتوحيد ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آية: ١١٢] يقول: وبشرنا إبراهيم بنبوة إسحاق بعد العفو عنه ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾ على إبراهيم ﴿وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ إبراهيم وإسحاق ﴿مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ يعنى مشرك ﴿مُبِينٌ﴾ [آية: ١١٣].

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ أنعمنا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [آية: ١١٤] بالنبوة وهلاك عدوهما ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بنى إسرائيل ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [آية: ١١٥].

﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦) وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١١٩) سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٢٢) وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ (١٣٠)﴾

﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ على عدوهم. ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [آية: ١١٦] لفرعون وقومه ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ [آية: ١١٧] يقول: أعطيناهم التوارة المستبين يعنى بين ما فيه.

﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [آية: ١١٨] دين الإسلام ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ [آية: ١١٩] أبقينا من بعدهما الثناء الحسن يقال لهما بعدهما، وذلك قوله عز وجل: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [آية: ١٢٠] يعنى بالسلام الثناء الحسن.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ١٢١] هكذا نجزى كل من أحسن ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٢٢] ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ ابن فنحن ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٢٣].

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٢٤] يعنى ألا تعبدون ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ أتعبدون ربا بلغة اليمن الإله يسمى بعلاً وكان صنمًا من ذهب ببعلبك بأرض الشام، فكسره إلياس، ثم هرب منهم.

﴿وَتَذَرُونَ﴾ عبادة ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [آية: ١٢٥] فلا تعبدونه ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٢٦] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فكذبوا إلياس النبى، عليه السلام، ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [آية: ١٢٧] النار.

ثم استثنى ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [آية: ١٢٨] يعنى المصدقين لا يحضرون النار ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [آية: ١٢٩] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [آية: ١٣٠] يعنى بالسلام الثناء الحسن والخير الذى ترك عليه فى الآخرين.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ١٣١] هكذا نجزى كل محسن ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٣٢] المصدقين بالتوحيد.

قال الفراء، عن حيان الكلبى: إل ياسين يعنى به النبى ﷺ، فإذا قال سلام على إل ياسين، فالمعنى سلام على آل محمد ﷺ، وآل كل نبى من اتبعه على دينه، وآل فرعون من اتبعه على دينه، فذلك قوله عز وجل: ﴿**أدخلوا آل فرعون أشد العذاب**﴾ [غافر: ٤٦]. راجع إلى مقاتل.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٣٣] أرسل إلى سدوم، ودارموا، وعاموار، وصابورا، أربع مدائن كل مدينة مائة ألف ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ١٣٤] يعنى ابنتيه ريثا، وزعونا.

ثم استثنى امرأة، فقال جل وعز: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [آية: ١٣٥] يعنى فى

الباقين فى العذاب ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴾ [آية: ١٣٦] نظيرها فى الشعراء ﴿الآخرين﴾ [الشعراء: ١٧٢]، ثم أهكلنا بقيتهم بالخسف والحصب.

﴿ وَإِنَّكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴾ [آية: ١٣٧] ﴿ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [آية: ١٣٨] على القرى نهارًا وليلاً وغدوة وعشية، إذا انطلقتم إلى الشام إلى التجارة، ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ ﴾ وهو ابن متى من أهل نينوى ﴿ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [آية: ١٣٩] كان من بنى إسرائيل.

﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ [آية: ١٤٠] الموقر من الناس والدواب، فساهم وذلك أنه دخل السفينة، فلف رأسه ونام فى جانبها، فوكل الله عز وجل به الحوت، واسمها اللخم، فاحتبست سفينتهم ولم تجر، فخاف القوم الغرق، فقال بعضهم لبعض: إن فينا لعبدًا مذنبًا، قالوا له وهو ناحيتها: يا عبد الله من أنت؟ ألا ترى أنا قد غرقنا؟ قال: أنا المطلوب أنا يونس بن متى، فاقذفونى فى البحر.

قالوا: نعوذ بالله أن نقذفك يا رسول الله، فقارعهم ثلاث مرات كل ذلك يقرعونه، فقالوا: لا، ولكن نكتب أسماءنا، ثم نقذف بها فى الماء، ففعل ذلك، فقالوا: اللهم إن كان هذا طلبتك، فغرق اسمه، وخرج أسماءنا، فغرق اسمه وارتفعت أسماؤهم، ثم قالوا الثانية: اللهم إن كنت إياه تطلب فغرق أسماءنا وارفع اسمه، فغرقت أسماؤهم، وارتفع اسمه، ثم قالوا الثالثة: اللهم إن كنت إياه تطلب فغرق اسمه، وارفع أسماءنا، فغرق اسمه وارتفعت أسماؤهم، فلما رأوا ذلك ثلاث مرات أخذوا بيده ليقذفوه فى الماء.

ولم يكن أوحى الله إلى الحوت ماذا الذى يريد به؟ فلما قذف أوحى إلى الحوت، وليس بينه وبين الماء إلا شبران، لى فى عبدى حاجة إنى لم أجعل عبدى لك رزقًا، ولكن جعلت بطنك له مسجدًا، فلا تحسرى له شعرًا وبشرًا، ولا تردى عليه طعامًا ولا شرابًا، قال: فقال له الماء والريح: أين أردت أن تهرب؟ من الذى يعبد فى السماء والأرض، فوالله إنا لنعبده، وإنا لنخشى أن يعاقبنا، وجعل يونس يذكر الله عز وجل، ويذكر كل شىء صنع ولا يدعوه فألهمه الله جل وعز عند الوقت، فدعاه ففلق دعاءه البحر والسحاب، فنادى بالتوحيد، ثم نزه الرب عز وجل، أنه ليس أهل لأن يعصى، ثم اعترف، فقال: ﴿ **لا إِلَهَ إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴾ [آية: ١٤١] يعنى فقارعهم فكان من المقروعين

المغلوبين ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [آية: ١٤٢] يعنى استلام إلى ربه، قال الفراء: ألام الرجل إذا استحق اللوم وهو مليم، وقال أيضًا: وليم على أمر قد كان منه، فهو ملوم على ذلك، رجع إلى قول مقاتل.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ﴾ قبل أن يلتقمه الحوت ﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [آية: ١٤٣] يعنى من المصلين قبل المعصية، وكان فى زمانه كثير الصلاة والذكر لله جل وعز، فولا ذلك ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ﴾ عقوبة فيه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [آية: ١٤٤] الناس من قبورهم.

﴿ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ﴾ ألقيناه ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ يعنى البرارى من الأرض التى ليس فيها نبت ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [آية: ١٤٥] يعنى مستقام وجيع ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [آية: ١٤٦] يعنى من قرع يأكل منها، ويستظل بها، وكانت تختلف إليه، وعلة فيشرب من لبنها ولا تفارقه.

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ﴾ قبل أن يلتقمه الحوت ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ﴾ من الناس ﴿أَوْ﴾ يعنى بل ﴿يَزِيدُونَ﴾ [آية: ١٤٧] عشرون ألفًا على مائة ألف كقوله عز وجل: ﴿قاب قوسين أو أدنى﴾ [النجم: ٩] يعنى بل أدنى أرسله إلى نينوى. ﴿فَـَٔامَنُوا۟﴾ فصدقوا بتوحيد الله عز وجل ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ﴾ فى الدنيا ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ [آية: ١٤٨] منتهى آجالهم.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: وقال مقاتل: كل شىء ينبسط مثل القرع والكرم والقثاء والكشوتا، ونحوها فهو يسمى يقطينًا.

قال الفراء: قال ابن عباس: كل ورقة انشقت واستوت، فهى يقطين.

وقال أبو عبيدة: كل شجرة لا تقوم على ساق، فهى يقطين.

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ يقول للنبى ﷺ فاسأل كفار مكة منهم النضر بن الحارث ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ﴾ يعنى الملائكة ﴿وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ﴾ [آية: ١٤٩] فسألهم النبى ﷺ فى الطور والنجم وذلك أن جهينة، وبنى سلمة عبدوا الملائكة وزعموا أن حيًا من الملائكة يقال لهم: الجن منهم إبليس أن الله عز وجل اتخذهم بنات لنفسه، فقال لهم أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم قالوا: سروات الجن.

يقول الله عز وجل: ﴿أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ﴾ [آية: ١٥٠] الخلق الملائكة إنهم أناث نظيرها فى الزخرف. ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ﴾ من كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ﴾ [آية: ١٥١].

﴿وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ١٥٢] فى قولهم، يقول الله عز وجل: ﴿أَصۡطَفَى﴾ استفهام، أختار ﴿ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ﴾ [آية: ١٥٣] والبنون أفضل من البنات ﴿مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [آية: ١٥٤] يعنى كيف تقضون الجور حين يزعمون أن الله عز وجل البنات ولكم البنون.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ١٥٥] أنه لا يختار البنات على البنين ﴿أَمۡ لَكُمۡ﴾ بما تقولون ﴿سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ١٥٦] كتاب من الله عز وجل أن الملائكة بنات الله ﴿فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ١٥٧].

ثم قال جل وعز: ﴿وَجَعَلُواْ﴾ ووصفوا ﴿بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ﴾ بين الرب تعالى، والملائكة حين زعموا أنهم بنات الله عز وجل ﴿وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾ [آية: ١٥٨] لقد علم ذلك الحى من الملائكة، ومن قال: إنهم بنات الله إنهم لمحضرون النار

﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٤﴾ وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾

﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [آية: ١٥٩] عما يقولون من الكذب ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [آية: ١٦٠] الموحدين، فإنهم لا يحضرون النار.

﴿فَإِنَّكُمْ﴾ يعنى كفار مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ [آية: ١٦١] من الآلهة ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ على ما تعبدون من الأصنام ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ [آية: ١٦٢] يقول: بمضلين أحدًا بآلهتكم ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ١٦٣] إلا من قدر الله عز وجل أنه يصلى الجحيم، وسبقت له الشقاوة.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [آية: ١٦٤] ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [آية: ١٦٥] يعنى صفوف الملائكة فى السماوات فى الصلاة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [آية: ١٦٦] يعنى المصلين، يخبر جبريل النبى ﷺ بعبارتهم لربهم عز وجل، فكيف يعبدهم كفار مكة.

قوله عز وجل: ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ﴾ [آية: ١٦٧] كفار مكة ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٦٨] خبر الأمم الخالية كيف أهلكوا، وما كان من أمرهم.

﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [آية: ١٦٩] بالتوحيد نزلت فى الملأ من قريش، فقص الله عز وجل عليهم خبر الأولين، وعلم الآخرين ﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٧٠] هذا وعيد يعنى القتل ببدر.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ بالنصر ﴿لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٧١] يعنى الأنبياء، عليهم السلام، يعنى بالكلمة قوله عز وجل: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلى﴾ [المجادلة: ٢١]، فهذه الكلمة التى سبقت للمرسلين.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [آية: ١٧٢] على كفار قريش ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [آية: ١٧٣] حزبنا يعنى المؤمنين لهم الغالبون الذين نجوا من عذاب الدنيا والآخرة، ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [آية: ١٧٤] يقول الله عز وجل للنبى ﷺ فأعرض عن كفار مكة إلى العذاب إلى القتل ببدر.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ببدر ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [آية: ١٧٥] العذاب، فقالوا للنبى ﷺ: متى هذا الوعد؟ تكذيبًا به، فأنزل الله عز وجل ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [آية: ١٧٦].

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ بحضرتهم ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ﴾ فبئس صباح ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [آية: ١٧٧] الذين أنذروا العذاب، ثم عاد فقال عز وجل: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [آية: ١٧٨] أعرض عنهم إلى تلك المدة القتل ببدر.

﴿وَأَبْصِرْ﴾ وأبصر العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [آية: ١٧٩] العذاب، ثم نزه نفسه عن قولهم، فقال جل وعز: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ يعني عزة من يتعزز من ملوك الدنيا ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [آية: ١٨٠] عما يقولون من الكذب إن الملائكة بنات الله عز وجل.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٨١] الذين بلغوا عن الله التوحيد ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٨٢] على هلاك الآخرين الذين لم يوحدوا ربهم.

* * *

سُورَةُ صٓ
مكية، عددها ثمان وثمانون آية، كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [آية: ١] يعنى ذا البيان ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالتوحيد من أهل مكة ﴿فِي عِزَّةٖ﴾ يعنى فى حمية، كقوله فى البقرة: ﴿) **أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالأِثْمِ**﴾ [البقرة: ٢٠٦] الحمية ﴿وَشِقَاقٖ﴾ [آية: ٢] اختلاف.

ثم خوفهم، فقال جل وعز: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم﴾ من قبل كفار مكة ﴿مِّن قَرۡنٖ﴾ من أمة بالعذاب فى الدنيا، الأمم الخالية ﴿فَنَادَواْ﴾ عند نزول العذاب فى الدنيا ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ﴾ [آية: ٣] يعنى ليس هذا بحين قرار فخوفهم لكيلا يكذبوا محمدًا ﷺ.

ثم قال جل وعز: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم﴾ محمد ﷺ ﴿مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ رسول منهم ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ من أهل مكة ﴿هَٰذَا سَٰحِرٞ﴾ يفرق بين الاثنين ﴿كَذَّابٌ﴾ [آية: ٤] يعنون النبى ﷺ حين يزعم أنه رسول.

﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [آية: ٥] وذلك حين أسلم عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فشق على قريش إسلام عمر، وفرح به المؤمنون.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ﴾ وهم سبعة وعشرون رجلاً، والملأ فى كلام العرب الأشراف منهم الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وأمية وأبى ابنا خلف، وغيرهم، فقال الوليد بن المغيرة: ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ﴾ إلى أبى طالب ﴿وَٱصۡبِرُواْ﴾ واثبتوا ﴿عَلَىٰٓ﴾ عبادة

﴿ءَالِهَتِكُمْ﴾ نظيرها فى الفرقان: ﴿**لولا أن صبرنا عليها**﴾ [الفرقان: ٤٢] يعنى ثبتنا، فقال الله عز وجل، فى الجواب: ﴿**فإن يصبروا فالنار مثوى لهم**﴾ [فصلت: ٢٤]، فمشوا إلى أبى طالب، فقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا وسيدنا فى أنفسنا وقد رأيت ما فعلت السفهاء وإنا أتيناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك، فأرسل أبو طالب إلى النبى ﷺ فأتاه، فقال أبو طالب: هؤلاء قومك، يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك، فقال النبى ﷺ: «وماذا يسألونى»؟ قالوا: ارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك، فقال النبى ﷺ لهم: «أعطونى أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب، وتدن لكم بها العجم»، فقال أبو جهل: لله أبوك لنعطينكها وعشرًا معها، فقال النبى ﷺ: «قولوا لا إله إلا الله»، فنفروا من ذلك، فقاموا، فقالوا: أجعل، يعنى وصف محمد الآلهة إلهًا واحدًا أن تكون الآلهة واحدًا ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ﴾ الأمر ﴿يُرَادُ﴾ [آية: ٦].

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الأمر الذى يقول محمد ﴿فِى الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ يعنى ملة النصرانية، وهى آخر الملل لأن النصارى يزعمون أن مع الله عيسى ابن مريم، ثم قال الوليد: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [آية: ٧] من محمد تقوله من تلقاء نفسه.

ثم قال الوليد: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾ ونحن أكبر سنًا وأعظم شرفًا، يقول الله عز وجل لقول الوليد: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ يعنى القرآن ﴿بَل لَّمَّا﴾ يعنى لم ﴿يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [آية: ٨] مثل قوله: ﴿**ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم**﴾ [الحجرات: ١٤]، يعنى لم يدخل الإيمان فى قلوبكم.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ يعنى نعمة ربك، وهى النبوة، نظيرها فى الزخرف: ﴿**أهم يقسمون رحمة ربك**﴾ [الزخرف: ٣٢]، يعنى النبوة يقول: بأيديهم مفاتيح النبوة والرسالة، فيضعونها حيث شاءوا، فإنها ليست بأيديهم ولكنها بيد ﴿الْعَزِيزِ﴾ فى ملكه ﴿الْوَهَّابِ﴾ [آية: ٩] الرسالة والنبوة لمحمد ﷺ.

ثم قال: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يعنى كفار قريش يقول: ألهم ملكهما وأمرهما، بل الله يوحى الرسالة إلى من يشاء، ثم قال: ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِى الْأَسْبَٰبِ﴾ [آية: ١٠] يعنى الأبواب إن كانوا صادقين بأن محمدًا ﷺ تخلقه من تلقاء نفسه، يقول الوليد: ﴿**إن هذا إلا اختلاق**﴾ الأسباب، يعنى الأبواب التى فى السماء، فليستمعوا

إلى الوحى حين يوحى الله عز وجل إلى النبى ﷺ.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُولَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [آية: ١١] فأخبر الله تعالى بهزيمتهم ببدر مثل قوله: ﴿**سيهزم الجمع**﴾ [القمر: ٤٥] ببدر والأحزاب بنى المغيرة، وبنى أمية، وآل أبى طلحة.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ [آية: ١٢] كان يأخذ الرجل فيمده بين أربعة أوتاد، ووجهه إلى السماء، وكان يوثق كل رجل إلى سارية مستلقيًا بين السماء والأرض، فيتركه حتى يموت.

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ يعنى غيضة الشجر، وهو المقل، وهى قرية شعيب يعزى النبى ﷺ ليصبر على تكذيب كفار مكة، كما كذبت الرسل قبله فصبروا، ثم قال: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ [آية: ١٣] يعنى الأمم الخالية.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [آية: ١٤] يقول: فوجب عقابى عليهم فاحذروا يا أهل مكة مثله فلا تكذبوا محمدًا ﷺ، فكذبوه بالعذاب فى الدنيا والآخرة، فقالوا: متى هذا العذاب؟.

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعنى كفار مكة يقول: ما ينظرون بالعذاب ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ يعنى نفخة الأولى ليس لها مثنوية، نظيرها فى يس: ﴿**صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون**﴾ [يس: ٤٩] ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [آية: ١٥] يقول: ما لها من مرد ولا رجعة.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ وذلك أن الله عز وجل ذكر فى الحاقة أن الناس يعطون

كتبهم بأيمانهم وشمائلهم، فقال أبو جهل: عجل لنا قطنا، يعنى كتابنا الذى تزعم أنا نعطى فى الآخرة فعجله لنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [آية: ١٦] يقول ذلك تكذيبًا به.

فأنزل الله عز وجل: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعنى أبا جهل يعزى نبيه ﷺ ليصبر على تكذيبهم ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ بن أشى، ويقال: ميشا، بن عويد بن فارض بن يهوذا بن يعقوب، عليه السلام ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ يعنى القوة فى العبادة ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [آية: ١٧] يعنى مطيع.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [آية: ١٨] وكان داود، عليه السلام، إذا ذكر الله ذكرت الجبال معه ففقه تسبيح الجبال.

﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ يعنى مجموعة، وسخرنا الطير محشورة ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [آية: ١٩] يقول: كل الطير لداود مطيع ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ قال: كان يحرسه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفًا من بنى إسرائيل، ثم قال: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ يعنى وأعطيناه الفهم والعلم ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [آية: ٢٠] يقول: وأعطيناه فصل القضاء: البينة على المدعى، واليمين على من أنكر.

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟﴾ يعنى حديث ﴿ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [آية: ٢١] وذلك أن داود قال: رب اتخذت إبراهيم خليلاً وكلمت موسى تكليمًا، فوددت أنك أعطيتنى من الذكر مثل ما أعطيتهما، فقال له: إنى ابتليتهما بما لم أبلك به، فإن شئت ابتليتك بمثل الذى ابتليتهما، وأعطيتك مثل ما أعطيتهما من الذكر، قال: نعم، قال: أعمل عملك، فمكث داود، عليه السلام، ما شاء الله عز وجل، يصوم نصف الدهر، ويقوم نصف الليل، إذا صلى فى المحراب فجاء طير حسن ملون، فوقع إليه فتناوله، فصار إلى الكوة،

فقام ليأخذه، فوقع الطير فى بستان، فأشرف داود فرأى امرأة تغتسل فتعجب من حسنها، وأبصرت المرأة ظله فنفضت شعرها فغطت جسمها، فزاده بها عجبًا ودخلت المرأة منزلها، وبعث داود غلامًا فى أثرها إذا هى بتسامح امرأة أدريا بن حنان، وزوجها فى الغزو فى بعث البلقاء الذى بالشام، مع نواب بن صوريا ابن أخت داود، عليه السلام، فكتب داود إلى ابن أخته بعزيمة أن يقدم أدريا، فيقاتل أهل البلقاء، ولا يرجع حتى يفتحها أو يقتل، فقدمه فقتل، رحمة الله عليه، فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود، فولدت سليمان بن داود، فبعث الله عز وجل إلى داود، عليه السلام، ملكين ليستنقذه بالتوبة، فأتوه يوم رأس المائة فى المحراب، وكان يوم عبادته الحرس حوله.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ فلما رآهما داود قد تسوروا المحرب فزع داود، وقال فى نفسه: لقد ضاع ملكى حين يدخل علىّ بغير أذن، ﴿قَالُوا۟﴾ فقال أحدهما لداود: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى بالعدل ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ يعنى ولا تجر فى القضاء ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [آية: ٢٢] يقول: أرشدنا إلى قصد الطريق.

ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ يعنى الملك الذى معه ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ يعنى تسعة وتسعون امرأة وهكذا كان لداود. ثم قال: ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ يعنى امرأة واحدة ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ يعنى أعطنيها ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [آية: ٢٣] يعنى غلبنى فى المخاطبة، إن دعا كان أكثر من ناصرً، وإن بطش كان أشد منى بطشًا، وإن تكلم كان أبين منى فى المخاطبة.

﴿قَالَ﴾ داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ يعنى بأخذه التى لك من الواحدة، إلى التسع والتسعين التى له ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ يعنى الشركاء ﴿لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ليظلم بعضهم بعضًا ﴿إِلَّا﴾ استثناء، فقال: إلا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لا يظلمون أحدًا ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ يقول: هم قليل، فلما قضى بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك، فلم يفطن لهما، فأحبا يعرفاه فصعدا تجاه وجهه، وعلم أن الله تبارك وتعالى ابتلاه بذلك ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ يقول: وعلم داود أنا ابتليناه ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ يقول: وقع ساجدًا أربعين يومًا وليلة ﴿وَأَنَابَ۩﴾ [آية: ٢٤] يعنى ثم رجع من ذنبه تائبًا إلى الله عز وجل، ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ مثل قوله: ﴿**ادخلوا الباب سجدًا**﴾ [البقرة: ٥٨] يعنى ركوعًا.

﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ﴾ يعنى ذنبه، ثم أخبر بما له فى الآخرة، فقال: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾ يعنى لقربة ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [آية: ٢٥] يعنى وحسن مرجع.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ يعنى بالعدل ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ فتحكم بغير حق ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ يقول: يستنزلك الهوى عن طاعة الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى عن دين الإسلام ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ﴾ يعنى بما تركوا الإيمان ﴿يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آية: ٢٦].

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ﴾ يعنى لغير شىء ولكن خلقتهما لأمر هو كائن ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ من أهل مكة أنى خلقتهما لغير شىء ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٢٧] لما أنزل الله تبارك وتعالى فى «ن والقلم»: ﴿**إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم**﴾ [القلم: ٣٤]، قال كفار قريش للمؤمنين: إنا نعطى من الخير فى الآخرة ما تعطون.

فأنزل الله عز وجل: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعنى بنى هاشم، وبنى المطلب، أخوى بنى عبد مناف، فيهم على بن أبى طالب، وحمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبى طالب، عليهم السلام، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وطفيل بن الحارث بن المطلب، وزيد بن حارثة الكلبى، وأيمن بن أم أيمن، ومن كان يتبعه من بنى هاشم يقول: أنجعل هؤلاء ﴿كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالمعاصى، نزلت فى بنى عبد شمس بن عبد مناف، فى عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة بن ربيعة، وحنظلة بن أبى سفيان، وعبيدة بن سعيد بن العاص، والعاص بن أبى أمية بن عبد شمس، ثم قال: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ يعنى بنى هاشم، وبنى المطلب فى الآخرة ﴿كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [آية: ٢٨].

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿مُبَٰرَكٞ﴾ يعنى هو بركة لمن عمل بما فيه ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ

ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى ليسمعوا آيات القرآن ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ بما فيه من المواعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آية: ٢٩] يعنى أهل اللب والعقل.

﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ﴾ ثم أثنى على سليمان، فقال سبحانه: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ وهذا ثناء على عبده سليمان نعم العبد، ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [آية: ٣٠] يعنى مطيع.

﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ يعنى بالصفن إذا رفعت الدابة إحدى يديها فتقوم على ثلاث قوائم، ثم قال: ﴿ٱلۡجِيَادُ﴾ [آية: ٣١] يعنى السراع، مثل قوله: ﴿**فاذكروا اسم الله عليها صواف**﴾ [الحج: ٣٦]، معلقة قائمة على ثلاث، وذلك أن سليمان، عليه السلام، صلى الأولى، ثم جلس على كرسيه لتعرض عليه الخيل وعلى ألف فرس كان ورثها من أبيه داود، عليه السلام، وكان أصابها من العمالقة، فعرض عليه منها تسع مائة، فغابت الشمس ولم يصل العصر.

فذلك قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ يعنى المال، وهو الخيل الذى عرض عليه ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ يعنى صلاة العصر، كقوله: ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**﴾ [النور: ٣٧]، يعنى الصلوات الخمس، ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [آية: ٣٢] والحجاب جبل دون «ق» بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه.

ثم قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ يعنى كروها على ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [آية: ٣٣] يقول: فجعل يمسح بالسيف سوقها وأعناقها فقطعها، وبقى منها مائة فرس، فما كان فى أيدى الناس اليوم فهى من نسل تلك المائة.

قوله: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ﴾ يعنى بعدما ملك عشرين سنة، ثم ملك أيضًا بعد الفتنة عشرين سنة، فذلك أربعين يقول: لقد ابتلينا سليمان أربعين يومًا ﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ﴾ يعنى سريره ﴿جَسَدٗا﴾ يعنى رجلاً من الجن يقال له: صخر بن عفير بن عمرو بن

شرحبيل، ويقال: إن إبليس جده، ويقال أيضًا اسمه أسيد ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ [آية: ٣٤] يقول: ثم رجع بعد أربعين يومًا إلى ملكه وسلطانه، وذلك أن سليمان غزا العمالقة، فسبى من نسائهم، وكانت فيهم ابنة ملكهم، فاتخذها لنفسه فاشتاقت إلى أبيها، وكان بها من الحسن والجمال حالاً يوصف فحزنت وهزلت وتغيرت، فأنكرها سليمان أن يتخذ لها شبه أبيها، فاتخذ لها صنمًا على شبه أبيها، فكانت تنظر إليه فى كل ساعة، فذهب عنها ما كانت تجد، فكانت تكنس ذلك البيت وترشه، حتى زين لها الشيطان فعبدت ذلك الصنم بغير علم سليمان لذلك، وكانت لسليمان جارية من أوثق أهله عنده قد كان وكاها بخاتمه وكان سليمان لا يدخل الخلاء، حتى يدفع خاتمه إلى تلك الجارية، وإذا أتى بعض نسائه فعل ذلك، وأن سليمان أراد ذات يوم أن يدخل الخلاء، فجاء صخر فألقاه فى البحر وجلس صخر فى ملك سليمان، وذهب عن سليمان البهاء، والنور فخرج يدور فى قرى بنى إسرائيل، فكلما أتى سليمان قومًا رجموه وطردوه تعظيمًا لسليمان، عليه السلام، وكان سليمان إذا ليس خاتمه سجد له كل شىء يراه من الجن والشياطين وتظله الطير، وكان خرج فى ملكه فى ذى القعدة، وعشر ذى الحجة، ورجع إلى ملكه يوم النحر.

وذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ أربعين يومًا ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ يعنى رجع إلى ملكه، وذلك أنه أتى ساحل البحر، فوجد صيادًا يصيد السمك فتصدق منه، فتصدق عليه بسمكة، فشق بطنها، فوجد الخاتم فلبسه، فرجع إليه البهاء والنور، وسجد له كل من رآه وهرب صخر، فدخل البحر، فبعث فى طلبه الشياطين، فلم يقدروا عليه حتى أشارت الشياطين على سليمان أن يتخذ على ساحل البحر، كهيئة العين من الخمر، وجعلت الشياطين تشرب من ذلك الخمر ويلهون، فسمع صخر جلبتهم، فخرج إليهم، فقال لهم: ما هذا اللهو والطرب، قالوا: مات سليمان بن داود وقد استرحنا منه، غنحن نشرب ونلهو، فقال لهم: وأنا أيضًا أشرب وألهو معكم، فلما شرب الخمر فسكر، أخذوه وأوثقوه وأتى به سليمان، فحفر له حجرًا، فأدخل فيه وأطبق عليه بحجر آخر، وأذاب الرصاص، فصب بين الحجرين وقذف به فى البحر، فهو فيه إلى اليوم.

فلما رجع سليمان إلى ملكه وسلطانه ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آية: ٣٥] فوهب الله عز وجل له من الملك ما لم يكن له، ولا لأبيه داود، عليهما السلام، فزاده الرياح والشياطين بعد ذلك.

فذلك قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ﴾ [آية: ٣٦] يقول: مطيعة لسليمان حيث أراد أن تتوجه توجهت له ﴿وَ﴾ سخرنا له ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ﴾ [آية: ٣٧] كانوا يبنون له ما يشاء من البينان، وهو محاريب وتماثيل ويغوصون له فى البحر، فيستخرجون له اللؤلؤ، وكان سليمان أول من استخرج اللؤلؤ من البحر.

قال: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ من مردة الشياطين، إضمار ﴿مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾ [آية: ٣٨] يعنى موثقين فى الحديد ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ﴾ على من شئت من الشياطين، فحل عنه ﴿أَوۡ أَمۡسِكۡ﴾ يعنى وأحبس فى العمل والوثاق من شئت منهم ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آية: ٣٩] يعنى بلا تبعة عليك فى الآخرة، فيمن تمن عليه فترسله، وفيمن تحبسه فى العمل.

ثم أخبر بمنزلة سليمان فى الآخرة، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾ يعنى لقربة ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [آية: ٤٠] يعنى وحسن مرجع، وكان لسليمان ثلاث مائة امرأة حرة وسبع مائة سرية، وكان لداود، عليه السلام، مائة امرأة حرة وتسع مائة سرية، وكانت الأنبياء كلهم فى الشدة غير داود وسليمان، عليهما السلام.

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ يعنى إذ قال لربه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ يقول: أصابنى الشيطان ﴿بِنُصۡبٖ﴾ يعنى مشقة فى جسده ﴿وَعَذَابٍ﴾ [آية: ٤١] فى ماله.

﴿ٱرۡكُضۡ﴾ يعنى ادفع الأرض ﴿بِرِجۡلِكَۖ﴾ بأرض الشام، فنبعت عين من تحت قدمه فاغتسل، فيها فخرج منها صحيحًا، ثم مشى أربعين خطوة فدفع برجله الأخرى، فنبعت عين ماء أخرى، ماء عذاب بارد شرب منها، فذلك قوله: ﴿هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ﴾ الذى اغتسل فيها، ثم قال: ﴿بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [آية: ٤٢] الذى أشرب منه، وكان داود يأكل سبع سنين وسبعة أشهر، وسبعة أيام وسبع ساعات متتابعات.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ فأضعف الله عز وجل له، وكان له سبع بنين وثلاث بنات قبل البلاء، وولدت له امرأته بعد البلاء سبع بنين وثلاث بنات، فأضعف الله له ﴿رَحْمَةً﴾ يعنى نعمة ﴿مِّنَّا﴾، ثم قال: ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ يعنى تفكر ﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آية: ٤٣] يعنى أهل اللب والعقل.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ يعنى بالضغث القبضة الواحدة، فأخذ عيدانا رطبة، وهى الأسل مائة عود عدد ما حلف عليه، وكان حلف ليجلدن امرأته مائة جلدة ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ يعنى ولا تأثم فى يمينك التى حلفت عليها، فعمد إليها فضربها بمائة عود ضربة واحدة فأوجعها فبرئت يمينه، وكان اسمها دنيا، ثم أثنى الله عز وجل على أيوب، فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ على البلاء إضمار ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [آية: ٤٤] يعنى مطيعًا لله تعالى، لما برأ أيوب فاغتسل كساه جبريل، عليه السلام، حلة.

﴿وَٱذْكُرْ﴾ يا محمد صبر ﴿عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ حين ألقى فى النار ﴿وَ﴾ صبر ﴿وَإِسْحَٰقَ﴾ للذبح ﴿وَ﴾ صبر ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ فى ذهاب بصره، ولم يذكر إسماعيل بن إبراهيم لأنه لم يبتل، واسم أم يعقوب رفقا، ثم قال: ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾ يعنى أولى القوة فى العبادة، ثم قال: ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آية: ٤٥] يعنى البصيرة فى أمر الله ودينه.

ثم ذكر الله تعالى هؤلاء الثلاثة إبراهيم وابنيه إسحاق ويعقوب بن إسحاق، فقال: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم﴾ للنبوة والرسالة ﴿بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [آية: ٤٦].

حدثنا أبو جعفر، قال: حدثنا داود بن رشيد، قال: حدثنا الوليد، عن ابن جابر أنه سمع عطاء الخراسانى فى قوله: ﴿**أولى الأيدى والأبصار**﴾ قال: القوة فى العبادة والبصر بالدين، ﴿**إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار**﴾ يقول: وجعلناهم أذكر الناس لدار الآخرة يعنى الجنة.

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [آية: ٤٧] اختارهم الله على علم للرسالة ﴿وَٱذْكُرْ﴾ صبر ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾ هو أشوبل بن هلقانا ﴿وَ﴾ صبر ﴿وَٱلْيَسَعَ وَ﴾ صبر ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [آية: ٤٨] اختارهم الله عز وجل للنبوة، فاصبر يا محمد على الأذى كما صبر هؤلاء الستة على البلاء.

ثم قال: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ يعنى هذا بيان الذى ذكر الله من أمر الأنبياء فى هذه السورة ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ من هذه الأمة فى الآخرة ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [آية: ٤٩] يعنى مرجع ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [آية: ٥٠].

حدثنا أبو جعفر، قال: حدثنا بن رشيد، قال: حدثنا جليد، عن الحسن فى قوله: ﴿**مفتحة لهم الأبواب**﴾ قال: أيوب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، يقال لها: انفتحى، انقفلى، تكلم فتفهم وتتكلم.

حدثنا داود بن رشيد، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: سألت زهير بن محمد عن قوله تعالى: ﴿**ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا**﴾ [مريم: ٦٢]، قال: ليس فى الجنة ليل، وهم فى نور أبدًا ولهم مقدار الليل بإرخاء الحجب ومقدار النهار.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ فى الجنة على السرر ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [آية: ٥١].

﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ النظر عن الرجال لا ينظرن إلى غير أزواجهن لأنهن عاشقات لأزواجهن، ثم قال: ﴿أَتْرَابٌ﴾ [آية: ٥٢] يعنى مستويات على ميلاد واحد بنات ثلاثة وثلاثين سنة.

ثم قال: ﴿هَٰذَا﴾ الذى ذكر فى هذه الآية، ذكر يعنى بيان من الخير فى الجنة ﴿مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [آية: ٥٣] يعنى ليوم الجزاء ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ فى الجنة ﴿لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [آية: ٥٤] يقول: هذا الرزق للمتقين.

ثم ذكر الكفار، فقال سبحانه: ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ [آية: ٥٥] يعنى بئس المرجع، ثم أخبر بالمرجع، فقال: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آية: ٥٦] ما مهدوا لأنفسهم من العذاب.

﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ يعنى الحار الذى انتهى حره وطبخه ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ [آية: ٥٧] البارد الذى قد انتهى برده، نظيرها فى عم يتساءلون: ﴿**حميمًا وغساقا**﴾ [النبأ: ٢٥]،

فينطلق من الحار إلى البارد، فتقطع جلودهم وتتصدع عظامهم وتحرق كما يحرق فى النار.

ثم قال: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [آية: ٥٨] يقول: وآخر من شكله يعنى من نحو الحميم والغساق أصناف، يعنى ألوان من العذاب فى الحميم يشبه بعضه بعضًا فى شبه العذاب ﴿هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ وذلك أن القادة فى الكفر المطعمين فى غزاة بدر والمستهزئين من رؤساء قريش دخلوا النار قبل الأتباع، فقالت الخزنة للقادة وهم فى النار: ﴿هَـٰذَا فَوْجٌ﴾ يعنى زمرة ﴿مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ النار إضمار يعنون الأتباع، قالت القادة: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ قال الخزنة: ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٥٩] معكم.

فردت الأتباع من كفار مكة على القادة: ﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ زينتموه ﴿لَنَا﴾ هذا الكفر إذ تأمروننا فى سورة سبأ أن تكفر بالله، وتجعل له أندادًا ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [آية: ٦٠] يعنى فبئس المستقر.

قالت الأتباع: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا﴾ يعنى من زين لنا هذا، يعنى من سبب لنا هذا الكفر ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٦١] ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ [آية: ٦٢] يعنون فقراء المؤمنين عمار، وخباب، وصهيب، وبلال، وسالم، ونحوهم.

﴿أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ فى الدنيا، نظيرها فى قد أفلح: ﴿أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [آية: المؤمنون: ١١٠]، ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [آية: ٦٣] يقول: أم حارت أبصارهم عناقهم معنا فى النار ولا نراهم.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٦٤] يعنى خصومة القادة والأتباع فى هذه الآية، ما قال بعضهم لبعض فى الخصومة، نظيرها فى الأعراف، وفى «حم» المؤمن حين قالت: ﴿**أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا**﴾ [الأعراف: ٣٨] عن الهدى، ثم ردت أولاهم دخول النار على أخراهم دخول النار، وهم الأتباع، وقوله: ﴿**إذ يتحاجون فى النار**﴾ إلى آخر الآية [غافر: ٤٧].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ

سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ يعنى رسول ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ لا شريك له ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ [آية: ٦٥] لخلقه، ثم عظم نفسه عن شركهم، فقال سبحانه: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فإن من يعبد فيهما، فأنا ربهما ورب من فيهما ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [آية: ٦٦] لمن تاب.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٦٧] يعنى القرآن حديث عظيم لأنه كلام الله عز وجل ﴿أَنتُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [آية: ٦٨] يعنى عن إيمان بالقرآن معرضون.

﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ من الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آية: ٦٩] يعنى الخصومة حين قال لهم الرب تعالى: ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ قالت الملائكة: ﴿**أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ ﴿**قال**﴾ الله لهم: ﴿**إنى أعلم ما لا تعلمون**﴾ [البقرة: ٣٠] فهذه خصومتهم.

﴿إِن﴾ يعنى إذ ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٧٠] يعنى رسول بين ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [آية: ٧١] يعنى آدم، وكان آدم، عليه السلام، أول ما خلق منه عجب الذنب وآخر ما خلق منه أضفاره، ثم ركب فيه سائر خلقه، يعنى عجب الذنب، وفيه يركب يوم القيامة كما ركب فى الدنيا.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [آية: ٧٢] ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الذين كانوا فى الأرض إضمار ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [آية: ٧٣] ثم استثنى من الملائكة إبليس، وكان اسمه فى الملائكة الحارث، وسمى إبليس حين عصى أبليس من الخير.

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ﴾ حين تكبر عن السجود لآدم، عليه السلام، ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٧٤] فى علم الله عز وجل ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ ما لك ألا تسجد ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ﴾ يعنى تكبرت ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [آية: ٧٥] يعنى من المتعظمين.

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [آية: ٧٦] والنار تغلب الطين ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ يعنى من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [آية: ٧٧] يعنى ملعون ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ٧٨].

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [آية: ٧٩] يعنى النفخة الثانية ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [آية: ٨٠] ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [آية: ٨١] يعنى إلى أجل موقوت وهو النفخة الأولى.

﴿قَالَ﴾ إبليس لربه تبارك وتعالى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ يقول: فبعظمتك ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ يقول: لأضلنهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٨٢] عن الهدى، ثم استثنى إبليس، فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [آية: ٨٣] بالتوحيد، فإنى لا أستطيع أن أغويهم.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

﴿قَالَ﴾ الله عز وجل: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ [آية: ٨٤] يقول: قوله الحق فيها تقديم، وأقول الحق يعنى قول الله عز وجل: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ يا إبليس ومن ذريتك الشياطين ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾ على دينك من كفار بنى آدم ﴿مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٨٥] يعنى من الفريقين جميعًا.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يعنى من جعل ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [آية: ٨٦] هذا القرآن من تلقاء نفسى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ يقول: ما القرآن إلا بيان ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٨٧] ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ يعنى كفار مكة ﴿نَبَأَهُۥ﴾ يعنى القرآن ﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [آية: ٨٨] هذا وعيد لهم القتل ببدر، مثل قوله فى الصافات: ﴿**فتول عنهم حتى حين**﴾ [الصافات: ١٧٤] يعنى القتل ببدر.

* * *

سورة الزمر

مكية إلا ثلاث آيات فيها

نزلت فى وحشى بن زيد وأصحابه بالمدينة

وهن قوله تعالى: ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم﴾

إلى قوله: ﴿وأنتم لا تشعرون﴾ [آية: الآيات: ٥٣ - ٥٤]

عددها خمس وسبعون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ [آية: ١] فى أمره ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعنى القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ يقول: لم ننزله باطلاً لغير شىء ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ﴾ يقول: فوحد الله ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [آية: ٢] يعنى له التوحيد.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾ يعنى التوحيد وغيره من الأديان ليس بخالص ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟﴾ يعنى كفار العرب ﴿مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ فيها إضمار قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ يعنى الآلهة، نظيرها فى «حم عسق»: ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم**﴾ [الشورى: ١]، وذلك أن كفار العرب عبدوا الملائكة، وقالوا: ما نعبدهم

﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ يعنى منزلة فيشفعوا لنا إلى الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ﴾ من الدين ﴿يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ لدينه ﴿مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [آية: ٣].

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ يعنى عيسى ابن مريم ﴿لَّٱصْطَفَىٰ﴾ يعنى لاختار ﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ من الملائكة، فإنها أطيب وأطهر من عيسى، كقوله فى الأنبياء: ﴿**لو أردنا أن نتخذ لهوًا**﴾ يعنى ولدًا، يعنى عيسى ﴿**لاتخذناه من لدنا**﴾ [الأنبياء: ١٧] يعنى من عندنا من الملائكة، ثم نزه نفسه عما قالوا من البهتان، فقال: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ لا شريك له ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ [آية: ٤].

ثم عظم نفسه، فقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ لم يخلقهما باطلاً لغير شيء ﴿يُكَوِّرُ﴾ يعنى يسلط ﴿ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ﴾ يعنى ويسلط النهار ﴿عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ﴾ يعنى انتقاص كل واحد منهما من الآخر ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ﴾ لبنى آدم ﴿كُلٌّ يَجْرِى﴾ يعنى الشمس والقمر ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ يعنى ليوم القيامة يدل على نفسه بصنعه ليعرف توحيده، ثم قال: ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْغَفَّـٰرُ﴾ [آية: ٥] لمن تاب إليه.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعنى آدم، عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعنى حواء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ يعنى وجعل لكم من أمره مثل قوله فى الأعراف: ﴿**يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا**﴾ [الأعراف: ٢٦] يقول جعلنا، ومثل قوله: ﴿**وأنزلنا الحديد**﴾ [الحديد: ٢٥] يقول: وجعلنا الحديد ﴿**وأنزل لكم من الأنعام**﴾ يعنى الإبل والبقر والغنم ﴿ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ﴾ يعنى أصناف، يعنى أربعة ذكور، وأربعة إناث ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ يعنى نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظمًا، ثم الروح ﴿فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ﴾ يعنى البطن والرحم والمشيمة التى يكون فيها الولد، ثم قال:

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ الذى خلق هذه الأشياء هو ﴿رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [آية: ٦] يقول: فمن أين تعدلون عنه إلى غيره.

يقول لكفار مكة: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ﴾ عن عبادتكم ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ الذين قال عز وجل: عنهم لإبليس: ﴿**إن عبادى ليس لك عليهم سلطان**﴾ [الحجر: ٤٢]، ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ﴾ يعنى توحدوا الله ﴿يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ﴾ يقول: لا تحمل نفس خطيئة أخرى ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ﴾ فى الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٧].

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾﴾

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ﴾ يعنى أصاب ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعنى أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله المخزومى ﴿ضُرّٞ﴾ يعنى بلاء أو شدة ﴿دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ﴾ يقول: راجعا إلى الله من شركه موحدًا يقول: اللهم اكشف ما بى ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ﴾ يقول: أعطاه الله الخير ﴿نَسِيَ﴾ يعنى ترك ﴿مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ﴾ فى ضره ﴿وَجَعَلَ﴾ أبو حذيفة ﴿لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ يعنى شركاء ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ يعنى ليستزل عن دين الإسلام ﴿قُلۡ﴾ لأبى حذيفة ﴿تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ﴾ فى الدنيا إلى أجلك ﴿إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٨].

ثم ذكر المؤمن، فقال سبحانه: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ يعنى مطيع لله فى صلاته، وهو عمار بن ياسر ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا﴾ يعنى ساعات الليل ساجدًا ﴿وَقَآئِمٗا﴾ فى صلاته ﴿يَحۡذَرُ﴾ عذاب ﴿ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾ يعنى الجنة كمن لا يفعل ذلك ليسا بسواء ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾ إن ما وعد الله إضمار فى الآخرة من الثواب والعقاب حق، يعنى عمار بن يسار ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ يعنى أبا حذيفة ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آية: ٩] يعنى أهل اللب والعقل، يعنى عمار بن ياسر.

ثم قال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ العمل ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ﴾ يعنى الجنة ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ﴾ يعنى المدينة ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم﴾ يعنى جزاءهم الجنة وأرزاقهم فيها ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آية: ١٠].

﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ وذلك أن كفار قريش قالوا للنبى ﷺ: ما يحملك على الذى أتيتنا به، ألا تنظر إلى ملة أبيك عبد الله، وملة جدك عبد المطلب، وإلى سادة قومك يعبدون اللات والعزى ومناة، فتأخذ به، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ يعنى أن أوحد الله ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [آية: ١١] يعنى له التوحيد.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ١٢] يعنى المخلصين بتوحيد الله عز وجل ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ فرجعت إلى ملة آبائى ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ١٣].

﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد ﴿ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا﴾ موحدًا ﴿لَّهُۥ دِينِى﴾ [آية: ١٤] ﴿فَٱعْبُدُواْ﴾ أنتم ﴿مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ من الآلهة ونزل فيهم أيضًا: ﴿**قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون**﴾ [الزمر: ٦٤] ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ يعنى غبنوا ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ فصاروا إلى النار ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ يعنى وخسروا أهليهم من الأزواج والخدم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ﴾ يعنى هذا ﴿هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ١٥] يعنى البين حين لم يوحدوا ربهم يعنى وأهليهم فى الدنيا.

ثم قال: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ يعنى أطباق من النار فتلهب عليهم ﴿وَمِن

﴿تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٌۚ﴾ يعنى مهادًا من نار ﴿ذَٰلِكَ﴾ يقول: هذا الذى ذكر من ظلل النار ﴿يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [آية: ١٦] يعنى فوحدون.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ يعنى الأوثان، وهى مؤنثة ﴿أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعنى ورجعوا من عبادة الأوثان إلى عبادة الله عز وجل، فقال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾ يعنى الجنة ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ﴾ [آية: ١٧] فبشر عبادى بالجنة.

ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ﴾ يعنى القرآن ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ يعنى أحسن ما فى القرآن من طاعة الله عز وجل، ولا يتبعون المعاصى مثل قوله: ﴿**واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم**﴾ أى من طاعته ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ﴾ لدينه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آية: ١٨] يعنى أهل اللب والعقل حين يستمعون فيتبعون أحسنه من أمره ونهيه، يعنى أحسن ما فيه من أمره ونهيه، ﴿**ولا يتبعون السوء الذى ذكره عن غيرهم**﴾.

﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ﴾ يعنى وجب عليه ﴿كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ يعنى يوم قال لإبليس: ﴿**لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾ [هود: ١١٩]، ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [آية: ١٩] ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ وحدوا ﴿رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٌ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٌ﴾ ثم نعت الغرف، فقال: ﴿مَّبۡنِيَّةٌ﴾ فيها تقديم ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا﴾ تجرى العيون من تحت الغرف، يعنى أسفل منها ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾ هذا الخير ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آية: ٢٠] ما وعدهم.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ يعنى فجعله عيونًا وركايا ﴿فِي

﴿ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ﴾ بالماء ﴿زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ يعنى ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ﴾ بعد الخضرة ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ يعنى هالكًا، نظيرها: ﴿**لا يحطمنكم سليمان وجنوده**﴾ [النمل: ١٨] يعنى لا يهلكنكم سليمان هذا مثل ضربه الله فى الدنيا كمثل النبت، بينما هو أخضر إذ تغير فيبس، ثم هلك، فكذلك تهلك الدنيا بعد بهجتها وزينتها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ يعنى تفكر ﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آية: ٢١].

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ يقول: أفمن وسع الله قلبه للتوحيد ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يعنى على هدى ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ﴾ يعنى الجافية ﴿قُلُوبُهُم﴾ فلم تلن، يعنى أبا جهل ﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ يعنى عن توحيد الله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٢٢] يعنى أبا جهل يقول الله تعالى للنبى ﷺ: ليس المشرح صدره بتوحيد الله كالقاسى قلبه ليسا بسواء.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ يعنى القرآن ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ يشبه بعضه بعضًا ﴿مَّثَانِىَ﴾ يعنى يثنى الأمر فى القرآن مرتين أو ثلاثًا، أو أكثر من نحو ذكر الأمم الخالية، ومن نحو ذكر الأنبياء، ومن نحو ذكر آدم، عليه السلام، وإبليس، ومن نحو ذكر الجنة والنار، والبعث والحساب، ومن نحو ذكر النبت والمطر، ومن نحو ذكر العذاب، ومن نحو ذكر موسى وفرعون، ثم قال: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ يعنى مما فى القرآن من الوعيد ﴿جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ عذاب ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ يعنى إلى الجنة وما فيها من الثواب، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من القرآن ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ﴾ يعنى بالقرآن ﴿مَن يَشَآءُ﴾ لدينه ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن دينه ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [آية: ٢٣] إلى دينه يقول: من أضله الله عن الهدى، فلا أحد يهديه إليه.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ﴾ يعنى شدة ﴿ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يقول: ليس الضال الذى يتقى النار بوجهه كالمهتدى الذى لا تصل النار إلى وجهه، ليس بسواء، يقول الكافر يتقى بوجهه شدة العذاب، وهو فى النار مغلولة يده إلى عنقه، وفى عنقه حجر ضخم مثل الجبل العظيم من كبريت تشتعل النار فى الحجر، وهو معلق فى عنقه، وتشتعل على وجهه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه من أجل الأغلال التى فى يده وعنقه ﴿وَقِيلَ﴾ وقالت الخزنة: ﴿لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟﴾ العذاب بـ ﴿مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [آية: ٢٤] من الكفر والتكذيب.

﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ يعنى قبل كفار مكة كذبوا رسلهم بالعذاب فى الآخرة بأنه غير نازل بهم ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [آية: ٢٥] وعن غافلون عنه.

﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ ﴾ يعنى العذاب ﴿ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ ﴾ مما أصابهم فى الدنيا ﴿ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آية: ٢٦]. ولكنهم لا يعلمون قوله: ﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا ﴾ يعنى وضعنا ﴿ لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ ﴾ من كل شبه ﴿ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [آية: ٢٧] يعنى كى يؤمنوا به.

ثم قال: وصفنا ﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ ليفقهوه ﴿ غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ ﴾ يعنى ليس مختلفًا، ولكنه مستقيم ﴿ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ [آية: ٢٨] ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا ﴾ وذلك أن كفار قريش دعوا النبى ﷺ إلى ملة آبائه وإلى عبادة اللات والعزى ومناة، فضرب لهم مثلاً ولآلهتهم مثلاً الذين يعبدون من دون الله عز وجل، فقال: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾ يعنى مختلفين يملكونه جميعًا، ثم قال: ﴿ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ ﴾ يعنى خالصًا لرجل لا يشركه فيه أحد، يقول: فهل يستويان؟ يقول: هل يستوى من عبد آلهة شتى مختلفة يعنى الكفار والذى يعبد ربًا واحدًا يعنى المؤمنين؟ فذلك قوله: ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ﴾ فقالوا: لا يعنى هل يستويان فى الشبهن فخصهم النبى ﷺ. فقال: قل: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ ﴾ حين خصمهم ﴿ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [آية: ٢٩] توحيد ربهم.

فذلك قوله: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [آية: ٣٠] يعنى أهل مكة ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ أنت يا محمد وكفار مكة يوم القيامة ﴿ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴾ [آية: ٣١].

﴿ ۞ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ

﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ بأن له شريكا ﴿ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ يعنى بالحق وهو التوحيد ﴿ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾ يعنى لما جاءه البيان هذا المكب بالتوحيد ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴾ يعنى مأوى ﴿ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آية: ٣٢].

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ يعنى بالحق، وهو النبى ﷺ جاء بالتوحيد ﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ يعنى بالتوحيد، المؤمنون صدقوا بالذى جاء به محمد ﷺ، والمؤمنون أصحاب النبى ﷺ، فذلك قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [آية: ٣٣] الشرك من أصحاب النبى ﷺ.

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ ﴾ فى الجنة ﴿ عِندَ رَبِّهِمْۚ ﴾ من الخير يعنى ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آية: ٣٤] يعنى الموحدين ﴿ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ ﴾ من المساوئ يعنى يمحوها بالتوحيد ﴿ وَيَجْزِيَهُمْ ﴾ بالتوحيد ﴿ أَجْرَهُم ﴾ يعنى جزاءهم ﴿ بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [آية: ٣٥] يقول: يجزيهم بالمحاسن ولا يجزيهم بالمساوئ.

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ ﴾ يعنى أما الله ﴿ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ ﴾ يعنى النبى ﷺ يكفيه عدوه، ثم قال: ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ ﴾ يعبدون ﴿ مِن دُونِهِۦۚ ﴾ اللات والعزى ومناة، وذلك أن كفار مكة، قالوا للنبى ﷺ: إن نخاف أن يصيبك من آلهتنا اللات والعزى ومناة جنون أو خبل، قوله: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ ﴾ عن الهدى ﴿ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [آية: ٣٦] يهديه للإسلام.

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ ﴾ لدينه ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ ﴾ يقول: لا يستطيع أحد أن يضله

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ يعنى بمنيع فى ملكه ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ [آية: ٣٧] من عدوه يعنى كفار مكة.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ يا محمد ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال لهم النبى ﷺ: من خلقهما؟ قالوا: الله خلقهما ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ قال الله عز وجل لنبيه، عليه السلام: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ﴾ يعنى تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ﴾ يعنى أصابنى الله ﴿بِضُرٍّ﴾ يعنى ببلاء أو شدة ﴿هَلْ هُنَّ﴾ يعنى الآلهة ﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ يقول: هل تقدر الآلهة أن تكشف ما نزل بى من النضر ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾ يعنى بخير وعافية ﴿هَلْ هُنَّ﴾ يعنى الآلهة ﴿مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ يقول: هل تقدر الآلهة أن تحبس عنى هذه الرحمة، فسألهم النبى ﷺ عن ذلك فسكتوا و لم يجيبوه، قال الله عز وجل للنبى ﷺ: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ﴾ يعنى يثق ﴿ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [آية: ٣٨] يعنى الواثقون.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ يعنى على جديلتكم التى أنتم عليها ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ على جديلتى التى أمرت بها ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٩] هذا وعيد ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يعنى يهينه فى الدنيا ﴿وَ﴾ من ﴿وَيَحِلُّ﴾ يعنى يجب ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [آية: ٤٠] يقول: دائم لا يزول عنه فى الآخرة.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعنى القرآن ﴿لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ بالقرآن ﴿فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان بالقرآن ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ يقول: فضلالته على نفسه، يعنى إثم ضلالته على نفسه ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [آية:

٤١] يعنى بمسيطر نسختها آية السيف.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ يقول: عند أجلها، يعنى التى قضى الله عليها الموت، فيمسكها على الجسد فى التقديم ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ فتلك الأخرى التى يرسلها إلى الجسد ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ لعلامات ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٤٢] فى أمر البعث.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ نزلت فى كفار مكة زعموا أن للملائكة شفاعة ﴿قُلْ﴾ لهم: يا محمد ﴿أَوَلَوْ﴾ يعنى إن ﴿كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا﴾ من الشفاعة ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٤٣] أنكم تعبدونهم نظيرها فى الأنعام.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ فجميع من يشفع إنما هو بإذن الله، ثم عظم نفسه، فقال: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما بينهما من الملائكة وغيرهم عبيده وفى ملكه ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٤٤].

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ﴾ يعنى انقبضت، ويقال: نفرت عن التوحيد ﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعنى لا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، يعنى كفار مكة ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ﴾ عبدوا ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ من الآلهة ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [آية: ٤٥] بذكرها وهذا يوم قرأ النبى ﷺ سورة النجم بمكة، فقرأ: ﴿**اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى**﴾ تلك الغرانيق العلى، عندها شفاعة ترتجى، ففرح كفار مكة حين سمعوا أن لها شفاعة.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ أمر النبى ﷺ أن يقول: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ٤٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ

ظَلَمُواْ﴾ يعنى لمشركى مكة يوم القيامة ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ﴾ يعنى من شدة ﴿ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم﴾ يعنى وظهر لهم حين بعثوا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [آية: ٤٧] فى الدنيا أنه نازل بهم فى الآخرة.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ يعنى وظهر لهم حين بعثوا فى الآخرة الشرك الذى كانوا عليه حين شهدت عليهم الجوارح بالشرك لقولهم ذلك فى سورة الأنعام: ﴿**والله ربنا ما كنا مشركين**﴾ [الآية: ٢٣] ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ يعنى وجب لهم العذاب بتكذيبهم واستهزائهم بالعذاب أنه غير كائن، فذلك قوله: ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ﴾ بالعذاب ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ٤٨].

﴿فَإِذَا مَسَّ﴾ يعنى أصاب ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعنى أبا حذيفة بن المغيرة ﴿ضُرٌّ﴾ يعنى بلاء أو شدة ﴿دَعَانَا﴾ يعنى دعا ربه منيبا يعنى مخلصًا بالتوحيد أن يكشف ما به من الضر ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾ يقول: ثم إذا آتيناه، يعنى أعطيناه الخير ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ يعنى إنما أعطيت الخير ﴿عَلَىٰ عِلْمٍۭ﴾ عندى يقول: على علم عندى، يقول: على علم علمه الله منى، يقول الله عز وجل: ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ يعنى بل تلك النعمة بلاء ابتلى به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤٩] ذلك.

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يقول: قد قالها قارون فى القصص قبل أبى حذيفة: ﴿**إنما أوتيته على علم عندى**﴾ [الآية: ٧٨] يقول: على خير علمه الله عندى يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ من العذاب يعنى الخسف ﴿مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [آية: ٥٠].

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ

ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ﴾ يعنى عقوبة ما كسبوا من الشرك ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [آية: ٥١] يعنى وما هم بسابقى الله عز وجل بأعمالهم الخبيثة حتى يجزيهم بها، ثم وعظوا ليعتبروا فى توحيده، وذلك حين مطروا بعد سبع سنين فقال: ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ﴾ يعنى يوسع ﴿ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ يعنى ويقتر على من يشاء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ يعنى لعلامات ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٥٢] يعنى يصدقون بتوحيد الله عز وجل.

﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ نزلت فى مشركى مكة وذلك أن الله عز وجل أنزل فى الفرقان: ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر**﴾ [الآية: ٦٨] فقال وحشى، مولى المطعم بن عدى بن نوفل: إنى قد فعلت هذه الخصال فكيف لى بالتوبة فنزلت فيه: ﴿**إلا من تاب وآمن وعملا صالحًا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورًا رحيمًا**﴾ [الفرقان: ٧٠] فأسلم وحشى، فقال مشركو مكة قد قبل من وحشى توبته، وقد نزل فيه ولم ينزل فينا فنزلت فى مشركى مكة: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ يعنى بالإسراف: الشرك والقتل والزنا فلا ذنب أعظم إسرافًا من الشرك ﴿لَا تَقۡنَطُواْ﴾ يقول: لا تيأسوا ﴿مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ لأنهم ظنوا ألا توبة لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ يعنى الشرك والقتل والزنا الذى ذكر فى سورة الفرقان ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٥٣] لمن تاب منها ثم دعاهم إلى التوبة.

فقال سلحانه: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ يقول: وارجعوا من الذنوب إلى الله ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ يعنى وأخلصوا له بالتوحيد، ثم خوفهم فقال: ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [آية: ٥٤] يعنى لا تمنعون من العذاب.

﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم﴾ من القرآن ﴿مِّن رَّبِّكُم﴾ يعنى ما ذكر من الطاعة من الحلال والحرام ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ﴾ يعنى فجأة ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ٥٥] حين يفجؤكم من قبل ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ يعنى يا

ندامتا ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾ يعني ما ضيعت ﴿فِي جَنبِ ٱللَّهِ﴾ يعني في ذات الله يعني من ذكر الله ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [آية: ٥٦] يعني لمن المستهزئين بالقرآن في الدنيا.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٥٧] ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ يعني رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٥٨] يقول: فأكون من الموحدين لله عز وجل يقول الله تبارك وتعالى رد عليه ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي﴾ يعني آيات القرآن ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾ أنها ليست من الله ﴿وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾ يعني وتكبرت عن إيمان بها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٥٩] ثم أخبر بما لهم في الآخرة، فقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بأن معه شريكا ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ﴾ لهذا المكذب بتوحيد الله ﴿فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ يعني مأوى ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [آية: ٦٠] عن التوحيد.

﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٦٥) بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠)﴾

﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ﴾ من جهنم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ يعني بنجاتهم بأعمالهم الحسنة ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ يقول: لا يصيبهم العذاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آية: ٦١] ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [آية: ٦٢] يقول: رب كل شيء من الخلق ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني بآيات القرآن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ٦٣] في العقوبة ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [آية: ٦٤] وذلك أن كفار قريش دعوا النبي ﷺ إلى دين

آبائه فحذر الله عز وجل النبى ﷺ أن يتبع دينهم فقال: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ من الأنبياء ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ﴾ بعد التوحيد ﴿لَيَحۡبَطَنَّ﴾ يعنى ليبطلن ﴿عَمَلُكَ﴾ الحسن إضمار الذى كان ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آية: ٦٥] فى العقوبة.

ثم أخبر بتوحيده، فقال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ يقول: فوحد ﴿وَكُن﴾ له ﴿مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آية: ٦٦] فى نعمه فى النبوة والرسالة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ نزلت فى المشركين، يقول: وما عظموا الله حق عظمته ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ مطويات يوم القيامة بيمنه فيها تقديم فيهما كلاهما فى يمينه يعنى فى قبضته اليمنى، قال ابن عباس: يقبض على الأرض والسموات جميعًا فما يرى طرفهما من قبضته ويده الأخرى يمين ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ نزه نفسه عن شركهم ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ وارتفع ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [آية: ٦٧] به.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ وهو القرن وذلك أن إسرافيل وهو واضع فاه على القرن يشبه البوق ودائرة رأس القرن كعرض السماء والأرض وهو شاخص ببصره نحو العرض، يؤمر فينفخ فى القرن فإذا نفخ فيه: ﴿فَصَعِقَ﴾ يعنى فمات ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من شدة الصوت والفزع من فيها من الحيوان، ثم استثنى ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ يعنى جبريل، وميكائيل، ثم روح جبريل، ثم روح إسرافيل، ثم يأمر ملك الموت، فيموت ثم يدعهم، فيما بلغنا أمواتًا أربعين سنة، ثم يحيى الله عز وجل إسرافيل، فيأمره أن ينفخ الثانية، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ﴾ على أرجلهم ﴿يَنظُرُونَ﴾ [آية: ٦٨] إلى البعث الذى كذبوا به، فذلك قوله تعالى: ﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾ [المطففين: ٦] مقدار ثلاث مائة عام ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ يعنى بنور ساقه، فذلك قوله تعالى: ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾ [القلم: ٤٢] ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ الذى عملوا فى أيديهم ليقرءوه ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ فشهدوا عليهم بالبلاغ ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ يعنى الحفظة من الملائكة، فشهدوا عليهم بأعمالهم التى عملوها ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ يعنى بالعدل ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [آية: ٦٩] فى أعمالهم.

﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ﴾ بر وفاجر ﴿مَّا عَمِلَتۡ﴾ فى الدنيا من خير أو شر ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [آية: ٧٠] يقول الرب تبارك وتعالى: أعلم بأعمالهم من النبيين والحفظة.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بتوحيد الله ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ يعنى أفواجًا من كفار كل أمة على حدة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ يعنى جهنم ﴿فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ يومئذ وكانت مغلقة ونشرت الصحف وكانت مطوية ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ يعنى خزنة جهنم ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ يعنى من أنفسكم ﴿يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعنى يقرءون عليكم ﴿ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ﴾ القرآن ﴿وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ يعنى البعث ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ قد فعلوا ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ﴾ يعنى وجبت ﴿كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ يعنى بالكلمة يوم قال لإبليس: ﴿**لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين**﴾ [ص: ٨٥] ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٧١].

﴿قِيلَ﴾ قالت لهم الخزنة: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ لا يموتون ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [آية: ٧٢] عن التوحيد.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٧٤ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٥﴾

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ يعنى أفواجًا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ وأبواب الجنة ثمانية مفتحة أبدًا ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [آية: ٧٣] لا يموتون فيها.

فلما دخلوها ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾ يعنى أرض الجنة بأعمالنا ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ﴾ يعنى نتنزل منها حيث نشاء رضاهم بمنازلهم منها، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آية: ٧٤] وقال فى هذه السورة: ﴿**الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض**﴾ يعنى أرض الجنة، وقال فى

سورة الأنبياء: ﴿**ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض**﴾ يعنى أرض الجنة ﴿**يرثها عبادى الصالحون**﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

﴿وَتَرَى﴾ يا محمد ﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ يعنى تحت العرش ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يعنى يذكرونه بأمر ربهم ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آية: ٧٥].

وذلك أن الله تبارك وتعالى افتتح الخلق بالحمد، وختم بالحمد، فقال: ﴿**الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض**﴾ [الأنعام: ١]، وختم بالحمد حين قال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى العدل ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

حدثنا أبو جعفر، قال: حدثنا أبو القاسم، قال: قال الهذيل، حدثنى جرير بن عبد الحميد، عن عطاء بن السائب، عن ابن جبير، فى قوله تعالى: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها**﴾ قال: تقبض أنفس الأموات وترسل أنفس الأحياء إلى أجل مسمى فلا تقبضها: ﴿**إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ [الزمر: ٤٢].

* * *

سُورَةُ غَافِرٍ

سورة المؤمن مكية، عددها خمس وثمانون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٣) مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ (٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥)﴾

﴿حمٓ﴾ [آية: ١] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ يقول: قضى تنزيل الكتاب من الله ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ [آية: ٢] بخلقه ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ يعنى من الشرك ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن لم يوحده ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ يعنى ذى الغنى عمن لا يوحده، ثم وحد نفسه جل جلاله، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٣] يعنى مصير العباد إليه فى الآخرة، فيجزيهم بأعمالهم.

قوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ﴾ يعنى يمارى ﴿فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى آيات القرآن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعنى الحارث بن قيس السهمى ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ﴾ يا محمد ﴿تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [آية: ٤] يعنى كفار مكة يقول: لا يغررك ما هم فيه من الخير والسعة من الرزق، فإنه متاع قليل ممتعون به إلى آجالهم فى الدنيا.

ثم خوفهم مثل عذاب الأمم الخالية ليحذروا، فلا يكذبوا محمدًا ﷺ، فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أهل مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ الخالية رسلهم ﴿وَ﴾ كذبت ﴿وَٱلْأَحْزَابُ﴾ يعنى الأمم الخالية رسلهم ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يعنى من بعد قوم نوح ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ يعنى ليقتلوه ﴿وَجَٰدَلُوا۟﴾ يعنى وخاصموا رسلهم ﴿بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ يعنى ليبطلوا به الحق الذى جاءت به الرسل وجدالهم أنهم قالوا لرسلهم: ما أنتم إلا بشر مثلنا، وما نحن إلا بشر مثلكم، ألا أرسل الله ملائكة، فهذا جدالهم كما قالوا للنبى ﷺ ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [آية: ٥] يعنى عقابى أليس وجده حقًا.

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يعنى وهكذا عذبتهم، وكذلك ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ يقول: وجبت كلمة العذاب من ربك ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٦] حين قال لإبليس: ﴿**لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين**﴾ [ص: ٨٥].

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ فيها إضمار، وهم أول من خلق الله تعالى من الملائكة وذلك أن الله تبارك وتعالى قال فى سورة «حم عسق»: ﴿**والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض**﴾ [الشورى: ٥] فاختص فى «حم» المؤمن، من الملائكة حملة العرش ﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ يقول: ومن حول العرش من الملائكة، واختص استغفار الملائكة بالمؤمنين من أهل الأرض، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقول: يذكرون الله بأمره ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ ويصدقون بالله عز وجل بأنه واحد لا شريك له ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ حين قالوا: ﴿**فاغفر للذين تابوا**﴾ [غافر: ٧].

وقالت الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ يعنى ملأت كل شىء من الحيوان فى السماوات والأرض ﴿رَّحْمَةً﴾ يعنى نعمة يتقلبون فيها ﴿وَعِلْمًا﴾ يقول: علم من فيهما من الخلق، وقالوا: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ من الشرك ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ يعنى دينك ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ٧].

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ على ألسنة الرسل ﴿وَ﴾ أدخل معهم الجنة ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ يعنى من وحد الله من الذين آمنوا ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٨].

ثم قال: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ يعنى الشرك ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فى الدنيا ﴿يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ﴾ يومئذ فى الآخرة ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من الثواب ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [آية: ٩].

قولـه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ﴾ [آية: ١٠] وذلك أن الكفار إذا عاينوا النار فى الآخرة ودخلوها مقتوا أنفسهم، فقالت لهم الملائكة، وهم جزنة جهنم يومئـذ: لمقت الله إياكم فى الدنيا حين دعيتم إلى الإيمان، يعنى التوحيد فكفرتم أكبر من مقتكم أنفسكم.

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ يعنى كانوا نطفًا فخلقهم فهذه موتة وحياة، وأماتهم عند آجالهم، ثم بعثهم فى الآخرة، فهذه موتة وحياة أخرى، فهاتان موتتان وحياتان ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بأن البعث حق ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [آية: ١١] قالوا: فهل لنا كرة إلى الدنيا مثلها فى «حم عسق».

قوله: ﴿ذَٰلِكُم﴾ المقت فى التقديم إنما كان ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ﴾ يعنى إذا ذكر الله ﴿وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ به يعنى بالتوحيد ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾ يعنى وإن يعدل به تصدقوا، ثم قال: ﴿فَٱلۡحُكۡمُ﴾ يعنى القضاء ﴿لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ﴾ يعنى الرفيع فوق خلقه ﴿ٱلۡكَبِيرِ﴾ [آية: ١٢] يعنى العظيم فلا شىء أعظم منه.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى السماوات والأرض، والشمس، والقمر، والنجوم، والرياح، والسحاب، والليل، والنهار، والفلك فى البحر، والنبت، والثمار عامًا بعام ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾ يعنى المطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ فى هذا الصنع فيوحد الرب تعالى ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [آية: ١٣] إلا من يرجع.

ثم أمر المؤمنين بتوحيده، فقال عز وجل: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ﴾ يعنى موحدين

﴿لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يعنى التوحيد ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [آية: ١٤] من أهل مكة، ثم عظم نفسه عن شركهم، فقال عز وجل: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ يقول: أنا فوق السماوات لأنها ارتفعت من الأرض سبع سماوات ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ يعنى هو عليه، يعنى على العرش ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ يقول: ينزل الوحى من السماء بإذنه ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ من الأنبياء ﴿لِيُنذِرَ﴾ النبيون بما فى القرآن من الوعيد ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [آية: ١٥] يعنى يوم يلتقى الخالق والخلائق.

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

ثم ذكر ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ من قبورهم على ظهر الأرض مثل الأديم الممدود ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ يقول: لا يستتر عن الله عز وجل منهم أحد، فيقول الرب تبارك وتعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ يعنى يوم القيامة حين قبض السموات والأرض فى يده اليمنى فلا يجيبه أحد، فيقول لنفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ﴾ لا شريك له ﴿ٱلْقَهَّارِ﴾ [آية: ١٦] لخلقه حين أحياهم.

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ فى الآخرة ﴿تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ بر وفاجر ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ من خير أو شر ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آية: ١٧] يفرغ الله تعالى من حسابهم فى مقدار نصف يوم من أيام الدنيا، قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ يعنى النبى ﷺ أنذر أهل مكة ﴿يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ﴾ يعنى اقتراب الساعة ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ وذلك أن الكفار إذا عاينوا النار فى الآخرة شخصت أبصارهم إليها فلا يطرفون وأخذتهم رعدة شديدة من الخوف فشهقوا شهقة فزالت قلوبهم من أماكنها فنشبت فى حلوقهم فلا تخرج من أفواههم ولا ترجع إلى أماكنها أبدًا، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ﴾ يعنى عند ﴿لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ ﴿كَٰظِمِينَ﴾ يعنى مكروبين ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ يعنى المشركين ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ يعنى قريب ينفعهم ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [آية: ١٨] فيهم.

﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ يعنى الغمزة فيما لا يحل بعينه والنظرة فى المعصية ﴿وَمَا تُخۡفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [آية: ١٩] يعنى وما تسر القلوب من الشر ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِى بِٱلۡحَقِّۖ﴾ يعنى يحكم بالعدل ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ﴾ يعنى لا يحكمون ﴿بِشَىۡءٍۗ﴾ يعنى والذين يعبدون من دونه لا يقضون بشىء، يعنى آلهة كفار مكة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [آية: ٢٠].

﴿۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾

ثم خوفهم بمثل عذاب الأمم الخالية ليحذروا فيوحدو الرب تبارك وتعالى فقال: ﴿۞أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ من الأمم الخالية عاد، وثمود، وقوم لوط ﴿كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ﴾ يعنى من كفار مكة ﴿قُوَّةً﴾ يعنى بطشًا ﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعنى أعمالا وملكوا فى الأرض ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ﴾ فعذبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [آية: ٢١] يقى العذاب عنهم.

يقول: ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب إنما نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ يعنى بالبيان ﴿فَكَفَرُواْ﴾ بالتوحيد ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ بالعذاب ﴿إِنَّهُۥ قَوِىٌّ﴾ فى أمره ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [آية: ٢٢] إذا عاقب يعنى عقوبة الأمم الخالية.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعنى اليد والعصا ﴿وَسُلۡطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٢٣] يعنى وحجة بينة ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ﴾ فلما رأوا اليد والعصا قالوا ليستا من الله بل موسى ساحر فى اليد حين أخرجها بيضاء، والعصا حين صارت حية ﴿فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [آية: ٢٤] حين زعم أنه رسول رب العالمين.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِىٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذۡتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ

ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ موسى ﴿بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا﴾ يعنى اليد والعصا آمنت به بنو إسرائيل فـ ﴿قَالُوا۟﴾ أى قال فرعون وحده لقومه للملأ يعنى الأشراف: ﴿ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ يعنى مع موسى ﴿وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ﴾ يقول: اقتلوا أبناهم ودعوا البنات، فلما هموا بذلك حبسهم الله عنهم حين اقطعهم البحر، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [آية: ٢٥] يعنى خسار يقول: ﴿وَمَا كَيْدُ﴾ فرعون الذى أراد ببنى إسرائيل من قتل الأبناء واستحياء النساء ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ يعنى خسار.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لقومه القبط ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ﴾ يقول: خلوا عنى أقتل ﴿مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ فليمنعه ربه من القتل ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ يعنى عبادتكم إياى ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿ٱلْفَسَادَ﴾ [آية: ٢٦] يعنى بالفساد أن يقتل أبناءكم ويستحيى نساءكم كما فعلتم بقومه يفعله بكم، فلما قال فرعون لقومه: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾.

استعاذ موسى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ يعنى متعظم عن الإيمان يعنى التوحيد ﴿لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [آية: ٢٧] يعنى فرعون لا يصدق بيوم يدان بين العباد ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ يعنى قبطى مثل فرعون ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ مائة سنة حتى سمع قول فرعون فى قتل موسى، عليه السلام.

فقال المؤمن: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ يعنى اليد والعصا ﴿وَإِن يَكُ﴾ موسى ﴿كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا﴾ فى قوله وكذبتموه ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ من العذاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ إلى دينه ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [آية: ٢٨] يعنى مشرك مفتن.

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ

ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾

وقال المؤمن: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ لأنه قبطى مثلهم ﴿لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعنى أرض مصر على أهلها ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ﴾ يقول: فمن يمنعنا من عذاب الله عز وجل ﴿إِن جَآءَنَاۚ﴾ لما سمع فرعون قول المؤمن ﴿قَالَ﴾ عدو الله ﴿فِرۡعَوۡنُ﴾ عند ذلك لقومه: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ﴾ من الهدى ﴿إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ لنفسى ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [آية: ٢٩] يقول: وما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى، بل يدلهم على سبيل الغى.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ﴾ يعنى صدق بتوحيد الله عز وجل ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم﴾ فى تكذيب موسى ﴿مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ [آية: ٣٠] يعنى مثل أيام عذاب الأمم الخالية الذين كانوا رسلهم ﴿مِثۡلَ دَأۡبِ﴾ يعنى مثل أشباه ﴿قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ [آية: ٣١] فيعذب على غير ذنب.

ثم حذرهم المؤمن عذاب الآخرة، فقال: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [آية: ٣٢] يعنى يوم ينادى أهل الجنة أهل النار ﴿**أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا**﴾ [الأعراف: ٤٤]، وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة: ﴿**أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله**﴾ [الأعراف: ٥٠].

ثم أخبر المؤمن عن ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ﴾ يعنى بعد الحساب إلى النار ذاهبين، كقوله: ﴿**فتولوا عنه مدبرين**﴾ [الصافات: ٩٠] يعنى ذاهبين إلى عيدهم ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ﴾ يعنى من مانع يمنعكم من الله عز وجل ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن الهدى ﴿فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ [آية: ٣٣] يعنى من أحد يهديه إلى دين الله عز وجل.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ

﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

ثم وعظهم ليتفكروا، فقال: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ ولم يكن رآه المؤمن قط، و ﴿مِن قَبْلُ﴾ موسى ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعنى ببينات تعبير رؤيا الملك البقرات السبع بالسنين.

﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ يعنى مما أخبركم من تصديق الرؤيا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ يعنى مات ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ عن الهدى إضمار ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ يعنى من هو مشرك ﴿مُّرْتَابٌ﴾ [آية: ٣٤] يعنى شاك فى الله عز وجل، لا يوحد الله تعالى.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ يعنى بغير حجة ﴿أَتَىٰهُمْ﴾ من الله ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ نزلت فى المستهزئين من قريش يقول: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ يعنى يختم الله عز وجل بالكفر ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [آية: ٣٥] يعنى قتال يعنى فرعون تكبر عن عبادة الله عز وجل، يعنى التوحيد كقوله: ﴿**إن تريد إلا أن تكون جبارًا**﴾ [القصص: ١٩]، يعنى قتالاً.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ يعنى قصرًا مشيدًا من آجر ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [آية: ٣٦] ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعنى أبواب السموات السبع يعنى باب كل سماء إلى السابعة ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ ثم قال فرعون لهامان: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ﴾ يعنى إنى لأحسب موسى ﴿كَٰذِبًا﴾ فيما يقول: إن فى السماء إلهًا، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يقول: وهكذا ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ أن يطلع إلى إله موسى، قال: ﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ يقول: وصد فرعون الناس حين قال لهم: ما أريكم إلا ما أرى فصدهم عن الهدى ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ [آية: ٣٧] يقول: وما قول فرعون إنه يطلع إلى إله موسى إلا فى خسار.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ

فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾

ثم نصح المؤمن لقومه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [آية: ٣٨] يعنى طريق الهدى ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾ قليل ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [آية: ٣٩] يقول: تمتعون فى الدنيا قليلاً، ثم استقرت الدار الآخرة بأهل الجنة وأهل النار، يعنى بالقرار لا زوال عنها.

ثم أخبر بمستقر الفريقين جميعًا، فقال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ﴾ يعنى الشرك ﴿فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ﴾ فجزاء الشرك النار وهما عظيمان كقوله: ﴿جزاءً وفاقًا﴾ [النبأ: ٢٦] ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آية: ٤٠] يقول: بلا تبعة فى الجنة فيما يعطون فيها من الخير.

ثم قال: ﴿۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ من النار إضمار يعنى التوحيد ﴿وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٤١] يعنى الشرك ﴿تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ بأن له شريكًا ﴿وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ﴾ فى نقمته من أهل الشرك ﴿ٱلۡغَفَّٰرِ﴾ [آية: ٤٢] لذنوب أهل التوحيد.

ثم زهدهم فى عبادة الآلهة، فقال: ﴿لَا جَرَمَ﴾ يعنى حقًا ﴿أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ من عبادة الآلهة ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ﴾ مستجابة إضمار تنفعكم يقول: ليس يشىء ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعنى مرجعنا بعد الموت إلى الله فى الآخرة ﴿وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ يعنى المشركين ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٤٣] يومئذ فردوا عليه نصيحته.

﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا

لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾

فقال المؤمن: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا نزل بكم العذاب ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمْ﴾ من النصيحة فأوعدوه، فقال: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آية: ٤٤] واسمه حزبيل بن برحيال، فهرب المؤمن إلى الجبال فطلبه رجلان، فلم يقدرا.

فذلك قوله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ يعنى ما أرادوا به من الشر ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [آية: ٤٥] يقول: ووجب بآل القبط، وكان فرعون قبطيًا، شدة العذاب، يعنى الغرق.

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ وذلك أن أرواح آل فرعون، وروح كل كافر تعرض على منازلها كل يوم مرتين ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ ما دامت الدنيا، ثم أخبر بمستقرهم فى الآخرة، فقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يعنى القيامة يقال: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [آية: ٤٦] يعنى أشد عذاب المشركين.

ثم أخبر عن خصومتهم فى النار، فقال: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ يعنى يتخاصمون ﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ عن الإيمان، وهم القادة ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ فى دينكم ﴿فَهَلْ أَنتُم﴾ يا معشر القادة ﴿مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٤٧] باتباعنا إياكم.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ وهم القادة للضعفاء: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ﴾ نحن وأنتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ﴾ يعنى قضى ﴿بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ [آية: ٤٨] قد أنزلنا منازلنا فى النار وأنزلكم منازلكم فيها.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ﴾ فلما ذاق أهل النار شدة العذاب، قالوا: ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ﴾ يعنى سلوا لنا ربكم ﴿يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ من أيام الدنيا إضمار ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [آية: ٤٩].

فردت عليهم الخزنة فـ ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم﴾ يعني رسل منكم ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ يعني بالبيان ﴿قَالُواْ بَلَىٰۚ﴾ قد جاءتنا الرسل ﴿قَالُواْ﴾ قالت لهم الخزنة: ﴿فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [آية: ٥٠].

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ يعني بالنصر في الدنيا الحجة التي معهم إلى العباد ﴿وَ﴾ نصرهم في الآخرة ﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [آية: ٥١] يعني الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ، ويشهدون على الكفار بتكذيبهم، والنصر للذين آمنوا: أن الله تبارك وتعالى أجاهم مع الرسل من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

ثم أخبر عن ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني المشركين ﴿مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ يعني العذاب ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [آية: ٥٢] الضلالة نار جهنم.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى﴾ يعني أعطيناه ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾ يعني التوراة هدى من الضلالة ﴿وَأَوۡرَثۡنَا﴾ من بعد موسى ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [آية: ٥٣].

﴿هُدٗى﴾ من الضلالة ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آية: ٥٤] يعني تفكرًا لأهل اللب، والعقل.

قوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ وذلك أن الله تبارك وتعالى وعد النبي ﷺ متى يكون هذا الذي تعدنا؟ يقولون ذلك استهزاء وتكذيبًا بأنه غير كائن، فأنزل الله عز وجل يعزي نبيه ﷺ ليصبر على تكذيبهم إياه بالعذاب، فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ في العذاب أنه نازل بهم القتل ببدر، وضرب الملائكة الوجوه والأدبار، وتعجيل أرواحهم إلى النار، فهذا العذاب ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ

﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آية: ٥٥] يعنى وصل بأمر ربك بـالغداة، يعنـى صلاة الغداة، وصلاة العصر.

قولـه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ﴾ وذلـك أن اليهود قالوا للنبى ﷺ: إن صاحبنا يبعث فى آخر الزمان، وله سلطان يعنون الدجال، ماء البحر إلى ركبته، والسحاب فوق رأسه، فقـال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى يمارون فـى آيات الله، لأن الدجـال آيـة مـن آيات الله عـز وجـل ﴿بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ﴾ يعنى بغير حجة أتتهم من الله، إضمار بأن الدجال كما يقولون، يقـول الله عز وجل: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٌ﴾ يقول: مـا فـى قلوبـهم إلا عظمـة ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ إلى ذلك الكبر لقولهـم: إن الدجـال يملك الأرض ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ يا محمد من فتنة الدجال ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولهم يعنى اليهود ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ [آيـة: ٥٦] به.

ثم قال: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى بالناس فـى هـذا الموضع الدجال وحده يقول: خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، يقول: همـا أعظم خلقًا مـن خلق الدجـال ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [آيـة: ٥٧] يعنى اليهود.

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾

ثـم ضـرب مثـل المؤمـن، ومثـل الكـافر، فقـال تعـالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي﴾ فـى الفضـل ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ يعنى الكافر ﴿وَٱلۡبَصِيرُ﴾ يعنى المؤمن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ﴾ يعنى وما يستوى فى الفضل المؤمن المحسن، ولا الكـافر المسيئ ﴿قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٥٨].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾ يعنى كائنة لا شـك فيـها ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٥٩] يعنى كفار مكة أكثرهم لا يصدقون بالبعث.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ﴾ لأهل اليمن: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ثم ذكر كفار مكة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ يعنى عن التوحيد ﴿سَيَدْخُلُونَ﴾ فى الآخرة ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [آية: ٦٠] يعنى صاغرين.

ثم ذكر النعم، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ لابتغاء الرزق، فهذا فضله، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ يعنى كفار مكة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٦١] ربهم فى نعمه فيوحدونه.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

ثم دلهم على نفسه تعالى بصنعه ليوحد، فقال: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ الذى جعل الليل والنهار وهو ﴿رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ثم وحد نفسه، فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [آية: ٦٢] يقول: من أين تكذبون بأنه ليس بواحد لا شريك له؟.

﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ﴾ يعنى هكذا يكذب بالتوحيد ﴿الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعنى آيات القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾ [آية: ٦٣].

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ﴾ فى الأرحام يعنى خلقكم ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ ولم يخلقكم على خلقة الدواب والطير ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يعنى من غير رزق الدواب والطير، ثم دل على نفسه، فقال: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الذى خلق الأرض والسماء وأحسن الخلق ورزق الطيبات ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ٦٤].

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ثم أمره بتوحيده، فقال تعالى: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ﴾ يعنى موحدين ﴿لَهُ الدِّينَ﴾ يعنى له التوحيد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ٦٥].

﴿ ۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿ ۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ وذلك أن كفار مكة من قريش قالوا للنبى ﷺ: ما يحملك على هذا الذى أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة أبيك عبد الله، وجدك عبد المطلب، وإلى سادة قومك يعبدون اللات والعزى ومناة، فتأخذ به، فما يحملك على ذلك إلا الحاجة، فنحن نجمع لك من أموالنا، فأمروه بترك عبادة الله تعالى، فأنزل الله ﴿ ۞ قُلْ ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ ﴾ يعنى تعبدون ﴿ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ من الآلهة ﴿ لَمَّا جَاءَنِيَ ﴾ يعنى حين جاءنى ﴿ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ ﴾ يعنى أخلص التوحيد ﴿ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [آية: ٦٦].

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ وذلك أن كفار مكة كذبوا بالبعث، فأخبرهم الله عن بدء خلقهم ليعتبروا فى البعث، فقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ يعنى آدم، عليه السلام، ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ يعنى ذريته ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ يعنى مثل الدم ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ يعنى ثمانى عشرة سنة، فهو فى الأشد ما بين الثمانى عشرة إلى الأربعين سنة ﴿ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ﴾ يعنى لكى تكونوا سيوخًا ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ﴾ أن يكون شيخًا ﴿ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى ﴾ يعنى الشيخ والشاب جميعًا ﴿ وَلَعَلَّكُمْ ﴾ يعنى ولكى ﴿ تَعْقِلُونَ ﴾ [آية: ٦٧] يقول: لكى تعقلوا آثار ربكم فى خلقكم بأنه قادر على أن يبعثكم كما خلقكم.

ثم قال: ﴿ هُوَ ﴾ الله ﴿ الَّذِي يُحْيِي ﴾ الموتى ﴿ وَيُمِيتُ ﴾ الأحياء ﴿ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾ كان فى علمه يعنى البعث ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ [آية: ٦٨] مرة واحدة لا يثنى قوله.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ﴾ يعنى آيات الله القرآن أنه ليس من الله عز وجل ﴿ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ [آية: ٦٩] يقول: من أين يعدلون عنه إلى غيره يعنى كفار مكة.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

ثم أخبر عنهم، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ يعنى بالقرآن ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ﴾ يعنى محمدًا ﷺ أرسل بالتوحيد، فأوعدهم فى الآخرة. فقال: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٧٠] هذا وعيد.

ثم أخبر عن الوعيد، فقال: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [آية: ٧١] على الوجوه.

﴿فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ يعنى حر النار ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [آية: ٧٢] يعنى يوقدون، فصاروا وقودها.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ قبل دخول النار، يعنى تقول لهم الخزنة: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٧٣] يعنى تعبدون.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ فهل يمنعونكم من النار يعنى الآلهة، و﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ ضلت عنا الآلهة ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔاۚ﴾ يعنى لم نكن نعبد من قبل فى الدنيا شيئًا إن الذى كنا نعبد كان باطلاً لم يكن شيئًا، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٧٤].

﴿ذَٰلِكُم﴾ السلاسل والأغلال والسحب ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى تبطرون من الخيلاء والكبرياء ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [آية: ٧٥] يعنى تعصون فى الأرض.

﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ السبع ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ لا تموتون ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ يعنى فبئس مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [آية: ٧٦] عن الإيمان.

﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾ وذلك أن النبى ﷺ أخبر كفار مكة أن العذاب نازل بهم، فكذبوه، فأنزل الله عز وجل يعزى نبيه ﷺ ليصبر على تكذيبهم إياه بالعذاب، فقال: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾ فى العذاب أنه نازل بهم ببدر، ﴿ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ﴾ فى حياتك ﴿ بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ ﴾ من العذاب فى الدنيا القتل ببدر، وسائر العذاب بعد الموت نازل بهم، ثم قال: ﴿ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ يا محمد قبل عذابهم فى الدنيا ﴿ فَإِلَيۡنَا ﴾ فى الآخرة ﴿ يُرۡجَعُونَ ﴾ [آية: ٧٧] يعنى يردون فنجزيهم بأعمالهم

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ ﴾ ذكرهم ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ ﴾ وذلك أن كفار مكة سألوا النبى ﷺ أن يأتيهم بآية يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ ﴾ يعنى وما ينبغى لرسول ﴿ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ ﴾ إلى قومه ﴿ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ يعنى إلا بأمر الله ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾ بالعذاب يعنى القتل ببدر فيها تقديم، ﴿ قُضِيَ ﴾ العذاب ﴿ بِٱلۡحَقِّ ﴾ يعنى لم يظلموا حين عفوا ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ﴾ يعنى عند ذلك ﴿ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ [آية: ٧٨] يعنى المكذبين بالعذاب فى الدنيا بأنه غير كائن.

ثم ذكرهم صنعه ليعتبروا فيوحدوه، فقال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ ﴾ يعنى الإبل والبقر ﴿ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾ [آية: ٧٩] يعنى الغنم.

﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ ﴾ فى ظهورها، وألبانها، وأصوافها، وأوبارها، وأشعارها، ﴿ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ ﴾ يعنى فى قلوبكم ﴿ وَعَلَيۡهَا ﴾ يعنى الإبل والبقر ﴿ وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ ﴾ يعنى السفن ﴿ تُحۡمَلُونَ ﴾ [آية: ٨٠].

ثم قال: ﴿ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ لهذا الذى ذكر من الفلك والأنعام من آياته، فاعرفوا توحيده بصنعه، وإن لم تروه، ثم قال: ﴿ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ [آية: ٨١] أنه ليس من الله عز وجل.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

ثم خوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية ليحذروا، فيوحدوه، فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعنى قبل أهل مكة من الأمم الخالية يعنى عادًا، وثمود، وقوم لوط، ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة عددًا ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ يعنى بطشًا، ﴿وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ يعنى أعمالاً وملكًا فى الأرض، فكان عاقبتهم العذاب ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [آية: ٨٢] فى الدنيا حين نزل بهم العذاب، يقول: ما دفع عنهم العذاب أعمالهم الخبيثة.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعنى بخبر العذاب أنه نازل بهم ﴿فَرِحُوا﴾ فى الدنيا يعنى رضوا ﴿بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ فقالوا: لن نعذب ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ يعنى وجب العذاب لهم بـ ﴿مَّا كَانُوا بِهِ﴾ بالعذاب ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [آية: ٨٣] أنه غير كائن.

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ يعنى عذابنا فى الدنيا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ لا شريك له ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [آية: ٨٤].

يقول الله عز وجل: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ يعنى عذابنا فى الدنيا، يقول: لم يك ينفعهم تصديقهم بالتوحيد حين رأوا عذابنا ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ بالعذاب فى الذين خلوا من قبل يعنى فى الأمم الخالية إذا عاينوا العذاب لم ينفعهم إيمانهم إلا قوم يونس، فإنه رفع عنهم العذاب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ يقول: غبن عند ذلك ﴿الْكَافِرُونَ﴾ [آية: ٨٥] بتوحيد الله عز وجل، فاحذروا يا أهل مكة سنة الأمم الخالية، فلا تكذبوا محمدًا ﷺ.

قال مقاتل: فرعون أول من طبخ الآجر، وبنى به، وقال: قتل جعفر ذو الجناحين، وابن رواحة، وزيد بن حارثة، بمؤتة قتلهم غسان، وقتل خالد بن الوليد يوم فتح مكة من بنى جذيمة سبعين رجلاً.

قال مقاتل: عاد، وثمود ابنا عم، وموسى، وقارون ابنا عم، وإلياس، واليسع ابنا عم، ويحيى، وعيسى ابنا خالة.

قال مقاتل: أم عبد المطلب سلمى بنت زيد بن عدى، من بنى عدى بن النجار، وأم النبى ﷺ آمنة بنت وهب، من بنى عبد مناف بن زهرة.

* * *

سُورَةُ فُصِّلَتْ

مكية، عددها أربع وخمسون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾

﴿حمٓ﴾ [آية: آية: ١].

﴿تَنزِيلٌ﴾ حم، يعنى ما حم فى اللوح المحفوظ، يعنى ما قضى من الأمر، ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [آية: ٢]، اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، يعنى المسترحم على خلقه، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾، أرق من الرحمن، ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ اللطيف بهم.

قوله: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾؛ ليفقهوه، ولو كان غير عربى، ما علموه، فذلك قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣] ما فيه.

ثم قال: القرآن ﴿بَشِيرًا﴾ بالجنة، ﴿وَنَذِيرًا﴾ من النار، ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾، يعنى أكثر أهل مكة عن القرآن، ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [آية: ٤] الإيمان به.

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾، وذلك أن أبا جهل بن هشام، وأبا سفيان بن حرب، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، دخلوا على على بن أبى طالب، ورسول الله ﷺ عنده، فقال لهم رسول الله ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله»، فشق ذلك عليهم، ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾، يقولون: عليها الغطاء، فلا تفقه ما تقول، ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾، يعنى ثقل، فلا تسمع ما تقول، ثم إن أبا جهل بن هشام جعل ثوبه بينه وبين النبى ﷺ، ثم قال: يا محمد، أنت من ذلك الجانب، ونحن من هذا الجانب، ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾، يعنى ستر، وهو الثوب الذى رفعه أبو جهل، ﴿فَٱعْمَلْ﴾ يا محمد لإلهك الذى أرسلك، ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [آية: ٥] لآلهتنا التى نعبدها.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ لقولهم لرسول الله ﷺ: اعمل أنت لإلهك، ونحن لآلهتنا، ثم قال رسول الله ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ بالتوحيد، ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك، ثم أوعدهم إن لم يتوبوا من الشرك، فقال: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ٦]، يعنى كفار قريش.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، يعنى لا يعطون الصدقة، ولا يطعمون الطعام، ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ﴾، يعنى بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: آية: ٧] بها بأنها غير كائنة.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعنى صدقوا بالتوحيد، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الأعمال، ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [آية: ٨]، يعنى غير منقوص فى الآخرة.

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾ بالتوحيد، و ﴿بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾، يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، ثم قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾، يعنى شركا، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى خلق الأرض فى يومين هو ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٩]، يعنى الناس أجمعين.

ثم قال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا﴾، يعنى جعل الجبل من فوق الأرض أوتادًا للأرض؛ لئلا تزول بمن عليها، ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾، يعنى فى الأرض، والبركة الزرع والثمار والنبت وغيره، ثم قال: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾، يقول: وقسم فى الأرض أرزاق العباد والبهائم، ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [آية: ١٠]، يعنى عدلاً لمن يسأل الرزق من السائلين.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾، قبل ذلك، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا﴾ عبادتي ومعرفتي، يعني أعطيا الطاعة طيعًا، ﴿أَوْ كَرْهًا﴾، وذلك أن اله تعالى حين خلقهما عرض عليهما الطاعة بالشهوات واللذات، على الثواب والعقاب، فأبين أن يحملنها من المخافة، فقال لهما الرب: ائتيا المعرفية لربكما والذكر له، على غير ثواب ولا عقاب، طوعًا أو كرهًا، ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [آية: ١١]، يعني أعطيناه طائعين.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾، يقول: فخلق السموات السبع، ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾، الأحد والاثنين، ﴿وَأَوْحَىٰ﴾، يقول: وأمر ﴿فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ الذى أراده، قال: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾، يقول: لأنها أدنى السموات من الأرض، ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾، يعني الكواكب، ﴿وَحِفْظًا﴾ بالكواكب، يعني ما يرمى الشياطين بالشهاب؛ لئلا يستمعوا إلى السماء، يقول: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من صنعه فى هذه الآية، ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ فى ملكه، ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ [آية: ١٢] بخلقه.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ عن الإيمان، يعني التوحيد، ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ فى الدنيا، ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [آية: ١٣]، يقول: مثل عذاب عاد وثمود، وإنما خص عادًا وثمود من بين الأمم؛ لأن كفار مكة قد عاينوا هلاكهم باليمن والحجر.

قال مقاتل: كل من يموت من عذاب، أو سقم، أو قتل، فهو مصعوق.

ثم قال: ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، يعني من قبلهم ومن بعدهم، فقالوا لقومهم: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، يقول: وحدوا الله، ﴿قَالُوا۟﴾ للرسل: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾، فكانوا إلينا رسلاً، ﴿فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾، يعني بالتوحيد، ﴿كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ١٤] لا نؤمن به.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾، يعني فتكبروا عن الإيمان وعملوا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، فخوفهم هود العذاب، ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، يعني بطشًا، قال: كان الرجل منهم ينزع الصخرة من الجبل لشدته، وكان طوله اثنا عشر ذراعًا، ويقال: ثمانية عشر ذراعًا، وكانوا باليمن فى حضرموت، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾، يقول: أو لم يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾، يعني بطشًا، ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعني بالعذاب، ﴿يَجْحَدُونَ﴾ [آية: ١٥] أنه لا ينزل بهم، فأرسل الله عليهم الريح فأهلكتهم.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾

وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾، فأرسل الله ﴿عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾، يعنى باردة، ﴿فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾، يعنى شدادًا، وكانت ريح الدبور فأهلكتهم، فذلك قوله: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ﴾، يعنى لكى نعذبهم، ﴿عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾، يعنى الهوان، ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، فهو الريح، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾، يعنى أشد وأكثر إهانة من الريح التى أهلكتهم فى الدنيا، ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آية: ١٦]، يعنى لا يسمعون من العذاب.

قال عبد الله: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى يقول: الصرصر، الريح الباردة التى لها صوت.

ثم ذكر ثمود، فقال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾، يعنى بينا لهم، ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾، يقول: اختاروا الكفر على الإيمان، ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ﴾، يعنى صيحة جبريل، عليه السلام، ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [آية: ١٧]، يعنى يعملون من الشرك.

ثم قال: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعنى صدقوا بالتوحيد من العذاب الذى نزل بكفارهم، ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٨] الشرك.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [آية: ١٩]، نزلت فى صفوان بن أمية الجمحى، وفى ربيعة، وعبد ياليل ابنى عمرو الثقفيين [......][1]، إلى خمس آيات، ويقال: إن الثلاثة نفر: صفوان بن أمية، وفرقد بن ثمامة، وأبو فاطمة، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، يعنى يساقون إلى النار، تسوقهم خزنة جهنم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾، يعنى النار وعاينوها، قيل لهم: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون فى الدنيا؟ قالوا عند ذلك: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فختم الله على أفواههم، وأوحى إلى الجوارح فنطقت بما كتمت الألسن من الشرك، فذلك قوله: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾ وأيديهم، وأرجلهم، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٠] من الشرك.

---

[1] ما بين المعقوفتين بياض في الأصل.

﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ (٢٤)﴾

فلما شهدت عليهم الجوارح، ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ﴾، قالت الألسن للجوارح: ﴿لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ﴾، يعنى الجوارح، قالوا: أبعدكم الله، إنما كنا نجاحش عنكم، فلم شهدتم علينا بالشرك، و لم تكونوا تتكلمون فى الدنيا، ﴿قَالُوٓاْ﴾، قالت الجوارح للألسن: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾ اليوم، ﴿ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ من الدواب وغيرها، ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾، يعنى هو أنطقكم أول مرة من قبلها فى الدنيا، قبل أن ننطق نحن اليوم، ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [آية: ٢١]، يقول: إلى الله تردون فى الآخرة، فيجزيكم بأعمالكم، فى التقديم.

وذلك أن هؤلاء النفر الثلاثة كانوا فى ظل الكعبة يتكلمون، فقال أحدهما: هل يعلم الله ما تقول؟ فقال الثانى: إن خفضنا لم يعلم، وإن رفعنا علمه، فقال الثالث: إن كان الله يسمع إذا رفعنا، فإنه يسمع إذا خفضنا، فسمع قولهم عبد الله بن مسعود، فأخبر بقولهم النبى ﷺ، فأنزل الله فى قولهم: ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ﴾، يعنى تستيقنون، وقالوا: تستكتمون، ﴿أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ﴾، يعنى حسبتم، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٢٢]، يعنى هؤلاء الثلاثة، قول بعضهم لبعض: هل يعلم الله ما نقول؟ لقول الأول والثانى والثالث، يقول: حسبتم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ﴾، يقول: يقينكم الذى أيقنتم بربكم وعلمكم بالله بأن الجوارح لا تشهد عليكم، ولا تنطق، وأن الله لا يخزيكم بأعمالكم الخبيثة، ﴿أَرۡدَىٰكُمۡ﴾، يعنى أهلككم سوء الظن، ﴿فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آية: ٢٣] بظنكم السيىء، كقوله لموسى: ﴿فَتَرۡدَىٰ﴾ [طه: ١٦]، يقول فتهلك، ﴿فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، يعنى من أهل النار.

﴿فَإِن يَصۡبِرُواْ﴾ على النار، ﴿فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾، يعنى فالنار مأواهم، ﴿وَإِن

يَسْتَعْتِبُوا۟﴾ فى الآخرة، ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ [آية: ٢٤]، يقول: وإن يستقيلوا ربهم فى الآخرة، فما هم من المقالين، لا يقبل ذلك منهم.

﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

ثم قال: ﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ﴾ فى الدنيا ﴿قُرَنَآءَ﴾ من الشياطين، يقول: وهيأنا لهم قرناء فى الدنيا، ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم﴾، يقول: فحسنوا لهم، كقوله: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ﴾ [يونس: ١٢]، يقول: حسن ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، يعنى من أمر الآخرة، وزينوا لهم التكذيب بالبعث والحساب والثواب والعقاب أن ذلك ليس بكائن، ﴿وَ﴾ زينوا لهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من الدنيا، فحسنوه فى أعينهم، وحببوها إليهم حتى لا يعملوا خيرًا، ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾، يعنى وجب عليهم العذاب، ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾، يعنى مع أمم، ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم﴾، يعنى من قبل كفار مكة، ﴿مِّنَ﴾ كفار ﴿ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ من الأمم الخالية، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ﴾ [آية: ٢٥].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، يعنى الكفار، ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [آية: ....][1]، إلى ثلاث آيات، هذا قول أبى جهل، وأبى سفيان لكفار قريش، قالوا لهم: إذا سمعتم القرآن من محمد ﷺ وأصحابه، فارفعوا أصواتكم بالأشعار والكلام فى وجوههم، حتى تلبسوا عليهم قولهم فيسكتون، فذلك قوله: ﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ بالأشعار والكلام، ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [آية: ٢٦]، يعنى لكى تغلبونهم فيسكتون.

فأخبر الله تعالى بمستقرهم فى الآخرة، فقال: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، يعنى أبا جهل وأصحابه، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٧] من الشرك.

---

[1] ما بين المعقوفتين بياض في الأصل.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ﴾، يعنى أبا جهل وأصحابه، ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ﴾ لا يموتون، ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعنى بآيات القرآن، ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ [آية: ٢٨] أنه ليس من الله تعالى، وقد عرفوا أن محمدًا ﷺ صادق فى قوله، ونزل فى أبى جهل بن هشام، وأبى بن خلف: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ ...**﴾ [فصلت: ٤٠] الآية.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾؛ لأنهما أول من أقاما على المعصية من الجن إبليس، ومن الإنس ابن آدم قاتل هابيل رأس الخطيئة، ﴿نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا﴾، يعنى من أسفل منا فى النار، ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [آية: ٢٩] فى النار.

ثم أخبر عن المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، فعرفوه، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ على المعرفة، ولم يرتدوا عنها، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فى الآخرة من السماء، وهم الحفظة، ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [آية: ٣٠]، وذلك أن المؤمن إذا خرج من قبره، فينفض رأسه، وملكه قائم على رأسه يسلم عليه، فيقول الملك للمؤمن: أتعرفنى؟ فيقول: لا، فيقول: أنا الذى كنت أكتب عملك الصالح، فلا تخف ولا تحزن، وأبشر بالجنة التى كنت توعد، وذلك أن الله وعدهم على ألسنة الرسل فى الدنيا الجنة.

﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩ ﴿٣٨﴾﴾

وتقول الحفظة يومئذ للمؤمنين: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، ونحن أولياؤكم

اليوم ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا﴾، يعنى فى الجنة، ﴿مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [آية: ٣١]، يعنى ما تتمنون.

هذا الذى أعطاكم الله كان ﴿نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ [آية: ٣٢].

قوله: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾، يعنى التوحيد، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى المخلصين، يعنى النبى ﷺ.

قوله: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، وذلك أن أبا جهل كان يؤذى النبى ﷺ، وكان النبى مبغضًا له، يكره رؤيته، فأمر بالعفو والصفح، يقول: إذا فعلت ذلك، ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ﴾، يعنى أبا جهل، ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ﴾ لك فى الدين، ﴿حَمِيمٞ﴾ [آية: ٣٤] لك فى النسب، الشفيق عليك.

ثم أخبر نبيه، عليه السلام: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾، يعنى لا يؤتاها، يعنى الأعمال الصالحة، العفو والصفح، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على كظم الغيظ، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾، يعنى لا يؤتاها، ﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [آية: ٣٥] نصيبًا وافرًا فى الجنة، فأمره الله بالصبر، والاستعاذة من الشيطان فى أمر أبى جهل.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾، يعنى يفتننك فى أمر أبى جهل والرد عنه، ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾، يعنى فتنة، ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ بالاستعاذة، ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ [آية: ٣٦] بها، نظيرها فى حم المؤمن: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]، وفى الأعراف أمر أبى جهل.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ﴾ أن يعرف التوحيد بصنعه، وإن لم تروه، ﴿ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾، يعنى الذى خلق هؤلاء الآيات، ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [آية: ٣٧]، فسجد النبى ﷺ والمؤمنون يومئذ، فقال كفار مكة عند ذلك: بل نسجد للات، والعزى، ومناة.

يقول الله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن السجود لله، ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ من الملائكة، ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩﴾ [آية: ٣٨]، يعنى لا يملون من الذكر له والعبادة، وليست لهم فترة ولا سآمة.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ

أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ أن يعرف التوحيد بصنعه، وإن لم تروه، ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾، متهشمة غبراء لا نبت فيها، ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾، يعنى على الأرض المطر، فصارت حية، فأنبتت، و ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ بالخضرة، ﴿وَرَبَتْ﴾، يقول: وأضعفت النبات، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاهَا﴾ بعد موتها، ﴿لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ فى الآخرة، ليعتبر من يشك فى البعث، ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ٣٩]، من البعث وغيره.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾، يعنى أبا جهل، يميل عن الإيمان بالقرآن، بالأشعار والباطل، ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾، يعنى أبا جهل، وأخبر الله تعالى بمستقره فى الآخرة، فقال: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ﴾، يعنى أبا جهل، خير ﴿أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، يعنى النبى ﷺ، ثم قال لكفار مكة: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾، هذا وعيد، ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية: ٤٠]، من الشرك وغيره.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يعنى أبا جهل، ﴿بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾، يعنى به القرآن حين جاءهم، وهو أبو جهل وكفار مكة، ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [آية: ٤١]، يقول: وإنه لقرآن منيع من الباطل، فلا يستذل؛ لأنه كلام الله.

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾، يقول: لا يأتى القرآن بالتكذيب، بل يصدق هذا القرآن الكتب التى كانت قبله: التوراة، والإنجيل، والزبور، ثم قال: ﴿وَلَا﴾ يأتيه الباطل ﴿مِنْ خَلْفِهِۦ﴾، يقول: لا يجيئه من بعده كتاب يبطله فيكذبه، بل هو ﴿تَنزِيلٌ﴾، يعنى وحى، ﴿مِّنْ حَكِيمٍ﴾ فى أمره، ﴿حَمِيدٍ﴾ [آية: ٤٢] عند خلقه.

ثم قال: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ يا محمد من التكذيب بالقرآن أنه ليس بنازل عليك، ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ من قومهم من التكذيب لهم أنه ليس العذاب بنازل بهم، يعزى نبيه ﷺ ليصبر على الأذى والتكذيب، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾، يقول: ذو تجاوز فى تأخير العذاب عنهم إلى الوقت، حين سألوا العذاب فى الدنيا، وإذا جاء الوقت،

﴿وَذُو عِقَابٍ﴾، فهو ذو عقاب ﴿أَلِيمٍ﴾ [آية: ٤٣]، يعنى وجيع، كقوله: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، إن كنتم تتوجعون.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾

قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾، وذلك أن كفار قريش كانوا إذا رأوا النبى ﷺ يدخل على يسار أبى فكيهة اليهودى، وكان أعجمى اللسان، غلام عامر بن الحضرمى القرشى يحدثه، قالوا: ما يعلمه إلا يسار أبو فكيهة، فأخذه سيده فضربه، وقال له: إنك تعلم محمدًا ﷺ، فقال يسار: بل هو يعلمنى، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾، يقول: بلسان العجم، ﴿لَّقَالُواْ﴾، لقال كفار مكة: ﴿لَوْلَا فُصِّلَتْ﴾، يقول: هلا بينت ﴿ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ بالعربية حتى نفقه ونعلم ما يقول محمد، ﴿ءَا۬عْجَمِيٌّ﴾، ولقالوا: إن القرآن أعجمى أنزل على محمد، ﴿وَ﴾ وهو ﴿وَعَرَبِيٌّ قُلْ﴾ نزله الله عربيًا لكى يفقهوه، ولا يكون هم علة، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَشِفَآءٌ﴾ لما فى القلوب للذى فيه من التبيان، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالآخرة، يعنى لا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾، يعنى ثقل، فلا يسمعون الإيمان بالقرآن، ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾، يعنى عموا عنه، يعنى القرآن، فلم يبصروه ولم يفقهوه، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٤٤] إلى الإيمان بأنه غير كائن؛ لأنهم صم عنه، وعمى، وفى آذانهم وقر.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾، يقول: أعطينا موسى التوراة، ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾، يقول: فكفر به بعضهم، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾، وهى كلمة الفصل بتأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى، يعنى يوم القيامة، يقول: لولا ذلك الأجل، ﴿لَقُضِىَ﴾، يعنى بين الذين آمنوا وبين الذين اختلفوا وكفروا بالكتاب، لولا ذلك الأجل، لنزل بهم العذاب فى الدنيا، ﴿بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾، يعنى من الكتاب، ﴿مُرِيبٍ﴾ [آية: ٤٥]، يعنى أنهم لا يعرفون شكهم.

ثم قال: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ﴾ العمل، ﴿فَعَلَيْهَا ۗ﴾، يقول: إساءته على نفسه، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آية: ٤٦].

﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ﴾، وذلك أن اليهود قالوا للنبى ﷺ: أخبرنا عن الساعة، فإن كنت رسولاً كما زعمت علمتها، وإلا علمنا أنك لست برسول، ولا نصدقك، قال النبى ﷺ: «لا يعلمها إلا الله، أرد علمها إلى الله»، فقال الله عز وجل للنبى ﷺ: فإن كنت رددت علمها، يعنى علم الساعة إلى الله، فإن الملائكة والخلق كلهم ردوا علم الساعة، يعنى القيامة، إلى الله عز وجل، ﴿وَ﴾ يعلم ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾، يعنى من أجوافهما، يعنى الطلع، ﴿وَ﴾ يعلم ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ ذكرًا أو أنثى، سويًا وغير سوى، يقول: ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾، يقول: لا تحمل المرأة الولد، ولا تضعه إلا بعلمه، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾، يقول: أسمعناك، كقوله: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ [الانشقاق: ٢]، يقول: سمعت لربها، ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ [آية: ٤٧] يشهد بأن لك شريكًا، فتبرءوا يومئذ من أن يكون مع الله شريك.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾

يقول: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ فى الآخرة، ﴿مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ﴾، يقول: يعبدون، يقول: ما عبدوا فى الدنيا ﴿مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ﴾، يعنى وعلموا، ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [آية: ٤٨]، يعنى من فرار من النار.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، يقول: لا يمل الكافر، ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾، يقول: لا يزال يدعو ربه الخير والعافية، ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾، يعنى البلاء وشدة، ﴿فَيَـُٔوسٌ﴾ من الخير، ﴿قَنُوطٌ﴾ [آية: ٤٩] من الرحمة.

ثم قال: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾، يقول: ولئن آتيناه خير وعافية، ﴿مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾، يعنى بعد بلاء وشدة أصابته، ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾، يقول: أنا أحق بهذا، يقول: ﴿وَمَآ أَظُنُّ﴾، يقول: ما أحسب ﴿ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾، يعنى القيامة كائنة، ثم قال

الكافر: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ في الآخرة إن كانت آخرة، ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾، يعني الجنة كما أعطيت في الدنيا، يقول الله تعالى: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من أعمالهم الخبيثة، ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [آية: ٥٠]، يعني شديد لا يفتر عنهم، وهم فيه مبلسون.

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾

ثم قال: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ بالخير والعافية، ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الدعاء، فلا يدعو ربه، ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾، يقول: وتباعد بجانبه عن الدعاء في الرخاء، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾، بلاء أو شدة أصابته، ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [آية: ٥١]، يعني دعاء كبير يسأل ربه أن يكشف ما به من الشدة في الدعاء، ويعرض عن الدعاء في الرخاء.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾، وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: ما هذا القرآن إلا شيء ابتدعته من تلقاء نفسك، أما وجد الله رسولاً غيرك، وأنت أحقرنا، وأنت أضعفنا ركنًا، وأقلنا جندًا، أو يرسل ملكًا، إن هذا الذي جئت به لأمر عظيم، يقول الله: ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾، يقول: فلا أحد أضل، ﴿مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٥٢]، يعني في ضلال طويل.

ثم خوفهم، فقال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾، يعني عذابنا، ﴿فِى ٱلْـَٔافَاقِ﴾، يعني في البلاد ما بين اليمن والشام، عذاب قوم عاد، وثمود، وقوم لوط، كانوا تمرون عليهم، ثم قال: ﴿وَ﴾ نريهم العذاب ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾، فهو القتل ببدر، ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ﴾، يعني أن هذا القرآن الحق من الله عز وجل، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ شاهدًا أن هذا القرآن جاء من الله عز وجل، ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [آية: ٥٣]، كقوله في الأنعام: ﴿قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ﴾، يعني في شك من البعث وغيره، ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [آية: ٥٤].

* * *

سُورَةُ الشُّورَىٰ

سورة حم عسق، مكية، عددها خمسون وثلاث آيات كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ (١) عٓسٓقٓ (٢) كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣) لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٥) وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٦) وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ (٧) وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨) أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٩) وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠)﴾

﴿حمٓ﴾ [آية: ١]. ﴿عٓسٓقٓ﴾ [آية: ٢] فى أمر العذاب يا محمد، فيها تقديم، إليك وإلى الأنبياء من قبلك.

فمن ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ﴾ يا محمد، ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الأنبياء أنه نازل بقومهم إذا كذبوا الرسل، ثم عظم نفسه، فقال له: يا محمد، إنما ذلك بوحى ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٣] فى أمره.

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾، يعنى الرفيع فوق خلقه، ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ٤]، فلا أكبر منه.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾، يعنى يتشققن من عظمة الرب الذى هو فوقهن، ثم قال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، يعنى يصلون بأمر ربهم، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ثم بين فى حم المؤمن، أى الملائكة هم، فقال: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ**﴾، ثم بين لمن يستغفرون، فقال: ﴿**وَيَسْتَغْفِرُونَ**

﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]، يعنى المؤمنين، فصارت هذه الآية منسوخة، نسختها الآية التى فى حم المؤمن، ثم قال: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لذنوبهم، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٥] بهم.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾، يعبدونها من دون الله، ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾، يعنى رقيب عليهم، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم﴾ يا محمد، ﴿بِوَكِيلٍ﴾ [آية: ٦]، يعنى بمسيطر.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ ليفقهوا ما فيه، و ﴿لِّتُنذِرَ﴾، يعنى ولكى تنذر بالقرآن يا محمد ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾، وهى مكة، وإنما سميت أم القرى؛ لأن الأرض كلها دحيت من تحت الكعبة، قال: ﴿وَ﴾ لتنذر يا محمد بالقرآن ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، يعنى حول مكة من القرى، يعنى قرى الأرض كلها، ﴿وَ﴾ لكى ﴿وَتُنذِرَ﴾ بالقرآن ﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾، يعنى جمع أهل السموات، وجمع أهل الأرض، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، يعنى لا شك فيه فى البعث أنه كائن، ثم بعد الجمع يتفرقون، ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [آية: ٧]، يعنى الوقود، ثم لا يجتمعون أبدًا.

قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، يعنى على ملة الإسلام وحدها، ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾، يعنى فى دينه الإسلام، ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾، يعنى مشركى مكة، ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ﴾، يعنى من قريب ينفعهم فى الآخرة، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [آية: ٨]، يعنى ولا مانع يمنعهم من العذاب، عذاب النار.

قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦ﴾ من الملائكة ﴿أَوْلِيَآءَ﴾، يعنى آلهة، وهم خزاعة وغيرهم يعبدونها، ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾، يعنى الرب، ﴿وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فى الآخرة، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من البعث وغيره، ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٩].

قوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، وذلك أن أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن، وآمن بعضهم، فقال الله تعالى: إن الذى اختلفتم فيه، فإنى أرد قضاءه إلىَّ، وأنا أحكم فيه، ثم دل على نفسه بصنعه، فقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾، الذى يحيى الموتى، ويميت الأحياء، هو أحياكم، وهو الله ﴿رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، يعنى به أثق، ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [آية: ١٠]، يقول: إليه أرجع.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا

يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾

قوله: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، يعنى خالق السموات والأرض، ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾، يقول: جعل بعضكم من بعض أزواجًا، يعنى الحلائل لتسكنوا إليهن، ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾، يعنى ذكورًا وإناثًا، ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾، يقول: يعيشكم فيه فيما جعل من الذكور والإناث من الأنعام، ثم عظم نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فى القدرة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقول كفار مكة، ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ [آية: ١١] بما خلق.

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، يعنى مفاتيح بلغة النبط، ﴿مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، المطر، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾، يعنى النبات، ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾، يقول: يوسع الرزق على من يشاء من عباده ويقتر على من يشاء، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من البسط والقتر، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ١٢].

قوله: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾، يقول: بين لكم، ويقال: سن لكم آثار الإسلام، والمن هاهنا صلة، كـ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، فيه تقديم، ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾، يعنى التوحيد، ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، يقول: عظم على مشركى مكة، ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ يا محمد؛ لقولهم: ﴿أجَعَلَ الآلِهَةَ إلَهًا وَاحِدًا إنَّ هَـذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، يعنى التوحيد، ثم اختص أولياءه، فقال: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ﴾، يقول: يستخلص لدينه، ﴿مَن يَشَآءُ وَ﴾ هو ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ﴾ إلى دينه، ﴿مَن يُنِيبُ﴾ [آية: ١٣]، يعنى من يراجع التوبة.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ

أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾

ثم قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾، يعنى البيان، ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾، ولولا كلمة الفصل التى سبقت من ربك فى الآخرة يا محمد فى تأخير العذاب عنهم، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، يعنى به القيامة، ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾، بين من آمن وبين من كفر، ولولا ذلك لنزل بهم العذاب فى الدنيا، حين كذبوا واختلفوا، ثم قال: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ قوم نوح، وإبراهيم، وموسى؛ وعيسى، أورثوا الكتاب من بعدهم، اليهود، والنصارى من بعد أنبيائهم، ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾، يعنى من الكتاب الذى عندهم، ﴿مُرِيبٍ﴾ [آية: ١٤].

قوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ﴾، يعنى إلى التوحيد، يقول الله لنبيه ﷺ: ادع أهل الكتاب إلى معرفة ربك، إلى هذا التوحيد، ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾، يقول: وامض، ﴿كَمَآ أُمِرْتَ ۖ﴾ بالتوحيد، كقوله فى الزمر: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ﴾ [الزمر: ٢]، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ﴾ فى ترك الدعاء، وذلك حين دعاه أهل الكتاب إلى دينهم.

ثم قال: ﴿وَقُلْ﴾ لأهل الكتاب: ﴿ءَامَنتُ﴾، يقول: صدقت، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ﴾، يعنى القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ﴾، بين أهل الكتاب فى القول، يقول: أعدل بما آتانى الله فى كتابه، والعدل أنه دعاهم إلى دينه، قوله: ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ﴾، يقول: لنا ديننا الذى نحن عليه، ولكم دينكم الذى أنتم عليه، ﴿لَا حُجَّةَ﴾، يقول: لا خصومة، ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ﴾ فى الدين، يعنى أهل الكتاب، نسختها آية القتال فى براءة، ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ﴾، فى الآخرة، فيجازينا بأعمالنا، ويجازيكم، ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ١٥].

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ﴾، يعنى يخاصمون، ﴿فِى ٱللَّهِ﴾، فهم اليهود، قدموا على النبى ﷺ بمكة، فقالوا للمسلمين: ديننا أفضل من دينكم، ونبينا أفضل من نبيكم، يقول: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾، يعنى لله فى الإيمان، ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾، يقول: خصومتهم باطلة حين زعموا أن يدنهم أفضل من دين الإسلام، ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ﴾ من الله، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾ [آية: ١٦].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾، يقول: لم ينزله باطلاً لغير شىء، ﴿وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾، يعنى العدل، ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ يا محمد، ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ [آية: ١٧]، وذلك أن النبى ﷺ ذكر الساعة وعنده أبو فاطمة بن البحترى، وفرقد بن ثمامة، وصفوان بن أمية، فقالوا للنبى ﷺ: متى تكون الساعة؟ تكذيبًا بها، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ﴾، يعنى القيامة، ﴿قَرِيبٞ﴾.

﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا﴾ بالساعة، ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ﴾، يعنى لا يصدقون بها، هؤلاء الثلاثة نفر، أنها كائنة؛ لأنهم لا يخافون ما فيها، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا﴾، يعنى بلال وأصحابه، صدقوا النبى ﷺ بها، يعنى بالساعة؛ لأنهم لا يدرون على ما يهجمون منها، ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ﴾ الساعة أنها كائنة، ثم ذكر الذين لا يؤمنون بالساعة، فقال: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾، يعنى هؤلاء الثلاثة، يعنى يشكون فى القيامة، ﴿لَفِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ [آية: ١٨]، يعنى طويل.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾، البر منهم والفاجر، لا يهلكهم جوعًا حين قال: ﴿**إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً**﴾ [الدخان: ١٥]، ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِىُّ﴾ فى هلاكهم ببدر، ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ [آية: ١٩] فى نقمته منهم.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله الحسن، ﴿حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾، يقول: من كان من الأبرار يريد بعمله الحسن ثواب الآخرة، ﴿نَزِدۡ لَهُۥ فِى حَرۡثِهِۦۖ﴾، يعنى بلالاً وأصحابه حتى يضاعف له فى حرثه، يقول: فى عمله، ﴿وَمَن كَانَ﴾ من الفجار، ﴿يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا﴾، يعنى ثواب الدنيا، ﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾، يعنى الجنة لهؤلاء الثلاثة، ﴿مِن نَّصِيبٍ﴾ [آية: ٢٠]، يعنى من حظ، ثم نسختها: ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ**﴾ [الإسراء: ١٨].

﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ

ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾

قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟﴾، يقول: سنوا، ﴿لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾، يعنى كفار مكة، يقول: ألهم آلهة يبينوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله، ثم قال: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ التى سبقت من الله فى الآخرة أنه معذبهم، يقول: لولا ذلك الأجل، ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾، يقول: لنزل بهم العذاب فى الدنيا، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، يعنى المشركين، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٢١]، يعنى وجيع.

ثم أخبر بمستقر المؤمنين والكافرين فى الآخرة، فقال: ﴿تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ من الشرك، ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾، يعنى العذاب، فى التقديم، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾، يعنى بساتين الجنة، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من الجنة، ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [آية: ٢٢].

ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى﴾، ذكر من الجنة، ﴿يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يعنى صدقوا، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾، من الأعمال، ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، يعنى على الإيمان جزاء، ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، يقول: إلا أن تصلوا قرابتى، وتتبعونى، وتكفوا عنى الأذى، ثم نسختها: ﴿**قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ**﴾ [سبأ: ٤٧]، قوله: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾، يقول: ومن يكتسب حسنة واحدة، ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾، يقول: نضاعف له الحسنة الواحدة، عشرًا فصاعدًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾، لذنوب هؤلاء، ﴿شَكُورٌ﴾ [آية: ٢٣]، لمحاسنهم القليلة، حين يضاعف الواحدة عشرًا فصاعدًا.

قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ كفار مكة إن محمدًا، ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، حين زعم أن

القرآن من عند الله، فشق على النبى ﷺ تكذيبهم إياه، يقول الله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾، يقول: يربط على قلبك، فلا يدخل فى قلبك المشقة من قولهم بأن محمدًا كذاب مفتر، ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ﴾ إن شاء ﴿ٱلۡبَٰطِلَ﴾ الذى يقولون أنك كذاب مفتر، من قلبك، ﴿وَيُحِقُّ﴾ الله ﴿ٱلۡحَقَّ﴾، وهو الإسلام، ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ﴾، يعنى القرآن الذى أنزل عليه، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٢٤]، يعنى القلوب، يعلم ما فى قلب محمد ﷺ من الحزن من قولهم بتكذيبهم إياه.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، يقول: ويتجاوز عن الشرك الذى تابوا، ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [آية: ٢٥] من خير أو شر.

﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ من أهل مكة، ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ [آية: ٢٦]، لا يفتر عنهم.

﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِىُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِى ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِى ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾﴾

قوله: ﴿۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ﴾، يعنى ولو وسع الله الرزق، ﴿لِعِبَادِهِۦ﴾، فى ساعة واحدة، ﴿لَبَغَوۡاْ﴾، يعنى لعصوا، ﴿فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾، فيها تقديم، ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [آية: ٢٧] بهم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾، يعنى المطر الذى حبس عنهم بمكة سبع سنين، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾، يعنى من بعد الإياسة، ﴿وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ﴾، يعنى نعمته ببسط المطر، ﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِىُّ﴾، ولى المؤمنين، ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ [آية: ٢٨] عند خلقه فى نزول الغيث عليهم.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾، أن تعرفوا توحيد الرب وصنعه، وإن لم تروه، ﴿خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ﴾، يعنى الملائكة فى السموات والخلائق فى الأرض،

﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾ فى الآخرة، ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [آية: ٢٩].

قوله: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾، يعنى المؤمنين من بلاء الدنيا وعقوبة من اختلاج عرق، أو خدش عود، أو نكبة حجر، أو عثرة قدم، فصاعدًا إلا بذنب، فذلك قوله: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ من المعاصى، ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [آية: ٣٠]، يعنى ويتجاوز عن كثير من الذنوب، فلا يعاقب بها فى الدنيا.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: قال أبو صالح: بلغنا أن النبى ﷺ قال: «ما عفا الله عنه فهو أكثر»، وقال: بلغنى أنه قال، يعنى النبى ﷺ: «ما عفا الله عنه، فلم يعاقب به فى الآخرة»، ثم تلا هذه الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، قال: هاتان الآيتان فى الدنيا للمؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾، يعنى بسابقى الله هربًا، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأعمالكم الخبيثة حتى يجزيكم بها، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾، يعنى قريب ينفعكم، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [آية: ٣١]، يقول: ولا مانع يمنعكم من الله جل وعز.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ﴾، أن تعرفوا توحيده بصنعه، وإن لم تروه، ﴿ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى السفن تجرى فى البحر بالرياح كالأعلام، شبه السفن فى البحر كالجبال فى البر.

وقال: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾، قائمات على ظهر الماء، فلا تجرى، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الذى ترون، يعنى السفن إذا جرين وإذا ركدن، ﴿لَأَيَـٰتٍ﴾، يعنى لعبرة، ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾، يقول: كل صبور على أمر الله، ﴿شَكُورٍ﴾ [آية: ٣٣] لله تعالى فى هذه النعمة.

ثم قال: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾، يقول: وإن يشأ يهلكهن، يعنى السفن، ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾، يعنى بما عملوا من الشرك، ﴿وَيَعْفُ﴾، يعنى يتجاوز، ﴿عَن كَثِيرٍ﴾ [آية: ٣٤]، من الذنوب، فينجيهم من الغرق والهلكة.

قال: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [آية: ٣٥]، قال: ويعنى من فرار.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، تتمتعون بها قليلاً، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ مما أوتيتم فى الدنيا، ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ وأدام ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [آية: ٣٦]، يعنى وبربهم يثقون.

ثم نعتهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾، يقول: كل ذنب يختم بنار، ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾، ما يقام فيه الحد فى الدنيا، ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [آية: ٣٧]، يعنى يتجاوزون عن ظلمهم، فيكظمون الغيظ ويعفون، نزلت فى عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن فرط بن رازح بن عدى بن لؤى حين شتم بمكة، فذلك قوله: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا**﴾، يعنى يتجاوزوا عن الذين ﴿**لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ** ...﴾ [الجاثية: ١٣].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ﴾، فى الإيمان، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يقول: وأتموا الصلوات الخمس، نزلت فى الأنصار، داوموا عليها، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، قال: كانت قبل الإسلام، وقبل قدوم النبى ﷺ المدينة، إذا كان بينهم أمر، أو أرادوا أمرًا، اجتمعوا فتشاوروا بينهم، فأخذوا به، فأثنى الله عليهم خيرًا، ثم قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الأموال، ﴿يُنفِقُونَ﴾ [آية: ٣٨] فى طاعة الله.

قال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾، يعنى الظلم، ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [آية: ٣٩]، يعنى المجروح ينتصر من الظالم، فيقتص منه.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، أن يقتص منه المجروح كما أساء إليه، ولا يزيد شيئًا، ﴿فَمَنْ عَفَا﴾، يعنى فمن ترك الجارح ولم يقتص، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل كان العفو من الأعمال الصالحة، ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، قال: جزاؤه على الله، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٤٠]، يعنى من بدأ بالظلم والجراءة.

ثم قال: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ﴾، يقول: إذا انتصر المجروح، فاقتص من الجارح، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم﴾، يعنى على الجارح، ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ [آية: ٤١]، يعنى العدوان، حين انتصر من الجارح.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾، يعنى العدوان، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ﴾، يقول: يعملون فيها بالمعاصى، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آية: ٤٢]، يعنى وجيع.

ثم بين أن الصبر والتجاوز أحب إلى الله، وأنفع لهم من غيره، ثم رجع إلى المجروح، فقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ و لم يقتص، ﴿وَغَفَرَ﴾ وتجاوز، فـ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والتجاوز، ﴿لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آية: ٤٣]، يقول: من حق الأمور التى أمر الله عز وجل بها.

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ﴿٤٧﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن الهدى، ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ﴾، يقول: ومن يضلل الله عن الهدى، فما له من قريب يهديه إلى دينه، ﴿مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾، مثلها فى الجاثية، قال: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يعنى المشركين، ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ فى الآخرة، ﴿يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [آية: ٤٤]، يقول: هل إلى الرجعة إلى الدنيا من سبيل.

﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾، يعنى على النار واقفين عليها، ﴿خَٰشِعِينَ﴾، يعنى خاضعين، ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ الذى نزل بهم، ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ﴾، يعنى يستخفون بالنظر إليها يسارقون النظر، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، يعنى النبى ﷺ وحده، وقالها فى الزمر، ﴿إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾، يعنى غبنوا أنفسهم، فصاروا إلى النار، ﴿وَ﴾ خسروا ﴿وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾، يقول: وغبنوا أهليهم فى الجنة، فصاروا لغيرهم، ولو دخلوا الجنة أصابوا الأهل، فلما دخلوا النار حرموا فصار ما فى الجنة

والأهلين لغيرهم، ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يعنى المشركين، ﴿فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [آية: ٤٥]، يعنى دائم لا يزول عنهم، مثلها فى الروم.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يقول: وما كان لهم من أقرباء يمنعونهم من الله، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ عن الهدى، ﴿فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ [آية: ٤٦] إلى الهدى.

قوله: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾ بالإيمان، يعنى التوحيد، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾، يعنى لا رجعة لهم، إذا جاء يوم القيامة لا يقدر أحد على دفعه، ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾، ثم أخبر عنهم يومئذ، فقال: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾، يعنى حرزًا يحرزكم من العذاب، ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [آية: ٤٧] من العذاب.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ عن الهدى، ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾، يعنى رقيبًا، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ يا محمد، ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾، يقول: إذا مسسنا، وفى قراءة ابن مسعود: وإنا إذا أذقنا الناس منا رحمة فرحوا بها، يعنى المطر، ﴿مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾، يعنى كفار مكة، يعنى قحط فى المطر، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر، ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ [آية: ٤٨]، فيها تقديم، لنعم ربه فى كشف الضر عنه، يعنى الجوع وقحط المطر، نظيرها فى الروم.

ثم عظم نفسه، فقال: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ فى الرحم، ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾، يعنى البنات، ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [آية: ٤٩]، يعنى البنين، ليس فيهم أنثى.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾، يقول: وإن يشأ نصفهم، ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾، يعنى يولد له مرة بنين

وبنات، ذكورًا وإناثًا، فنجعلهم له، ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾، لا يولد له، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾ بخلقه، ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٥٠] فى أمر الولد والعقم وغيره.

قوله: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾، وذلك أن اليهود قالوا للنبى ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت صادقًا، كما كلمه موسى ونظر إليه، فإنا لن نؤمن لك حتى يعمل الله ذلك بك، فقال الله لهم: لم أفعل ذلك بموسى، وأنزل الله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾، يقول: ليس لنبى من الأنبياء أن يكلمه الله ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾، فيسمع الصوت فيفقه، ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾، كما كان بينه وبين موسى، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ﴾، يقول: أو يأتيه منى بوحى، يقول: أو يأمره فيوحى، ﴿مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ﴾، يعنى رفيع فوق خلقه، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٥١] فى أمره.

فقالوا للنبى: من أول المرسلين؟ فقال النبى ﷺ: «أول المرسلين آدم، عليه السلام»، فقالوا: كم المرسلين؟ قال: «ثلاثمائة وخمسة عشر جماء الغفير»، ومن الأنبياء من يسمع الصوت فيفقه، ومن الأنبياء من يوحى إليه فى المنام، وإن جبريل ليأتى النبى ﷺ كما يأتى الرجل صاحبه فى ثياب البياض مكفوفة بالدر والياقوت، ورخلاه مغموستان فى الخضرة.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، يعنى وهكذا، ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾، يعنى الوحى بأمرنا، كما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك حين ذكر الأنبياء من قبله، فقال: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾، إلى آخر الآية.

قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ يا محمد قبل الوحى، ما الكتاب، ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾، يعنى القرآن، ﴿نُورًا﴾، يعنى ضياء من العمى، ﴿نَّهْدِى بِهِۦ﴾، يعنى بالقرآن من الضلالة إلى الهدى، ﴿مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى إنك لتدعو إلى دين مستقيم، يعنى الإسلام.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾، يقول: دين الله، ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾، خلقه وعبيده، وفى قبضته، ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آية: ٥٣]، يعنى أمور الخلائق فى الآخرة تصير إليه، فيجزئهم بأعمالهم، والله غفور لذنوب العباد، رحيم بهم.

قال مقاتل: سيد الملائكة إسرافيل، وهو صاحب الصور، وسيد الأنبياء محمد ﷺ، وسيد الشهداء هابيل بن آدم، وسيد المؤذنين بلال بن رباح، وسيد الشهور شهر

رمضان، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد السباع الأسد، وسيد الطير النسر، وسيد الأنعام الثور، وسيد الوحش الأيل، وسيد البلاد مكة، وسيد البقاع بكة، وسيد البيوت الكعبة، وسيد البحور بحر موسى، وسيد الجبال طور سيناء، وسيد المجالس ما استقبل به القبلة، وسيد الصلاة صلاة المغرب.

* * *

سُورَةُ الزُّخْرُف

مكية، عددها تسع وثمانون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿حمٓ﴾ [آية: ١]. ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [آية: ٢]، يعنى البين ما فيه.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾؛ ليفقهوا ما فيه، ولو كان غير عربى ما عقلوه، ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾، يقول: لكى، ﴿تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٣] ما فيه.

ثم قال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾، يقول لأهل مكة: إن كذبتم بهذا القرآن، فإن نسخته فى أصل الكتاب، يعنى اللوح المحفوظ، ﴿لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ﴾، يقول: عندنا مرفوع، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٤]، يعنى محكم من الباطل.

قوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾، يقول لأهل مكة: أفنذهب عنكم هذا القرآن سدى لا تسألون عن تكذيب به، ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [آية: ٥]، يعنى مشركين.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٦].

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ﴾، ينذرهم العذاب، ﴿إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ﴾، يعنى بالعذاب، ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ٧] بأنه غير نازل بهم.

﴿فَأَهْلَكْنَآ﴾ بالعذاب ﴿أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾، يعنى قوة، ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ﴾، يعنى

شبه، ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٨] فى العقوبة، حين كذبوا رسلهم، يقول: هكذا أمتك يا محمد فى سنة من مضى من الأمم الخالية فى الهلاك.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾، يقول لنبيه ﷺ: لئن سألت كفار مكة: ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٩] بخلقه.

ثم دل على نفسه بصنعه ليوحد، فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾، يعنى فرشًا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾، يعنى طرقًا تسلكونها، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آية: ١٠]، يقول: لكى تعرفوا طرقها.

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾، وهو المطر، ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾، يقول: فأحيينا به، يعنى بالماء، بلدة ميتًا لا نبت فيها، فلما أصابها الماء أنبتت، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يقول: هكذا ﴿تُخْرَجُونَ﴾ [آية: ١١] من الأرض بالماء كما يخرج النبت.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾، يعنى الأصناف كلها، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾، يعنى السفن، ﴿وَ﴾ من ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾، يعنى الإبل والبقر، ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ [آية: ١٢]، يعنى الذى تركبون.

﴿لِتَسْتَوُۥا﴾، يعنى لكى تستووا، ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾، يعنى ذكورًا وإناثًا من الإبل، ﴿ثُمَّ﴾ قال: لكى ﴿تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾، على ظهورها، يعنى يقولون: الحمد لله، ﴿وَ﴾ لكى ﴿وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾، يعنى ذلل لنا هذا

المركب، ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [آية: ١٣]، يعنى مطيقين.

﴿وَ﴾ لكى تقولوا: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [آية: ١٤]، يعنى لراجعون.

قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ﴾، يقول: وصفوا له ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ من الملائكة، ﴿جُزْءًا﴾، يعنى عدلاً، هو الولد، فقالوا: إن الملائكة بنات الله تعالى، يقول الله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ فى قوله ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٥]، يقول: بين الكفر.

يقول الله تعالى ردًا عليهم: ﴿أَمِ﴾ يقول: ﴿ٱتَّخَذَ﴾ الرب لنفسه ﴿مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾، فيها تقديم واستفهام اتخذ مما يخلق من ﴿**مَن يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾ [الزخرف: ١٨] بنات؟ ﴿وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [آية: ١٦]، يقول: واختصكم بالنبنين.

ثم أخبر عنهم فى التقديم، فقال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾، يعنى شبهًا، والمثل زعموا أن الملائكة بنات الله تعالى، ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى**﴾ [النحل: ٥٨]، ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾، يعنى متغيرًا، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [آية: ١٧]، يعنى مكروب.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾، يعنى ينبت فى الزينة، يعنى الحلى مع النساء، يعنى البنات، ﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [آية: ١٨]، يقول: هذا الولد الأنثى ضعيف قليل الحيلة، وهو عند الخصومة والمحاربة غير بين ضعيف عنها.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿وَجَعَلُواْ﴾، يقول: ووصفوا ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾؛ لقولهم: إن الملائكة بنات الله، يقول الله تعالى للنبى ﷺ: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾؟ فسئلوا، فقالوا: لا، فقال النبى ﷺ: «فما يدريكم أنها إناث؟»، قالوا: سمعنا من آبائنا، وشهدوا أنهم لم يكذبوا، وأنهم إناث، قال الله تعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ بأن الملائكة بنات الله فى الدنيا، ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [آية: ١٩] عنهما فى الآخرة حين شهدوا أن الملائكة بنات الله.

﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾، يعنى الملائكة، يقول الله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾، يقول: ما يقولون إلا الكذب إن الملائكة إناث، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [آية: ٢٠]، يكذبون.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾، يقول: أعطيناهم، ﴿كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾، من قبل هذا القرآن بأن يعبدوا غيره، ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [آية: ٢١]، فإنا لم نعطهم.

﴿بَلْ قَالُوٓاْ﴾، ولكنهم قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [آية: ٢٢]، نزلت فى الوليد بن المغيرة، وصخر بن حرب، وأبى جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، كلهم من قريش.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، يقول: وهكذا ﴿مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾، يعنى من رسول فيما خلا، ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾، يعنى جباريها وكبراءها: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾، يعنى على ملة، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [آية: ٢٣] بأعمالهم كما قال كفار مكة.

﴿۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ من الدين، ألا تتبعونى؟ فردوا على النبى ﷺ، فـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٢٤]، يعنى بالتوحيد كافرون.

ثم رجع إلى الأمم الخالية، فيها تقديم، ثم قال: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالعذاب، ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٢٥] بالعذاب، يخوف كفار مكة بعذاب الأمم الخالية؛ لئلا يكذبوا محمدًا ﷺ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ﴾ آزر، ﴿وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [آية: ٢٦].

ثم استثنى الرب نفسه؛ لأنهم يعلمون أن الله ربهم، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾،

يقول: خلقنى، فإنى لا أتبرأ منه، ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [آية: ٢٧] لدينه.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ﴾، لا تزال ببقاء التوحيد، ﴿فِي عَقِبِهِۦ﴾، يعنى ذريته، يعنى ذرية إبراهيم، ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾، يعنى لكى ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ [آية: ٢٨] من الكفر إلى الإيمان، يقول: التوحيد إلى يوم القيامة، يبقى فى ذرية إبراهيم، عليه السلام، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾، يقول: لكى يرجعوا من الكفر إلى الإيمان.

قوله: ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾، يعنى القرآن، ﴿وَرَسُولٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ٢٩]، يعنى محمدًا ﷺ بين أمره.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾، يعنى القرآن، ﴿قَالُواْ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٣٠]، لا نؤمن به، نزلت فى سفيان بن حرب، وأبى جهل بن هشام، وعتبة وشيبة، ثم قال الوليد بن المغيرة: لو كان هذا القرآن حقًا، لأنزل علىَّ، أو على أبى مسعود الثقفى، واسمه عمرو بن عمير بن عوف جد المختار.

فأنزل الله تعالى فى قول الوليد بن المغيرة: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا﴾، يعنى هلا، ﴿نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ [آية: ٣١]، القريتان مكة والطائف، وكان عظمة أن الوليد عظيم أهل مكة فى الشرف، وأبا مسعود عظيم أهل الطائف فى الشرف.

﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾

يقول الله تعالى: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ﴾، يقول: أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا، ولكنها بيدى أختار من أشاء من عبادى للرسالة، ثم قال: ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾، يقول: لم نعط الوليد وأبا مسعود الذى أعطيناهما من الغنى لكرامتها على الله، ولكنه قسم من الله بينهم، ثم قال: ﴿وَرَفَعۡنَا

﴿بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾، يعنى فضائل فى الغنى، ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم﴾، يعنى الأحرار، ﴿بَعۡضٗا﴾، يعنى الخدم، ﴿سُخۡرِيّٗاۗ﴾، يعنى العبيد والخدم سخره الله لهم، ﴿وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ﴾، يعنى الجنة، ﴿خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى الأموال، يعنى الكفار.

ثم ذكرهم هوان الدنيا عليه، فقال: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا﴾، يعنى ملة واحدة، يعنى على الكفر، يقول: لولا أن ترغب الناس فى الكفر، إذا رأوا الكفار فى سعة من الخير والرزق، ﴿لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، لهوان الدنيا عليه، ﴿لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ﴾، يعنى بالسقف سماء البيت، ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ﴾ [آية: ٣٣]، يقول: درجًا على ظهور بيوتهم يرتقون.

﴿وَ﴾ لجعلنا ﴿وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ من فضة، ﴿وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾ [آية: ٣٤]، يعنى ينامون.

﴿وَزُخۡرُفٗاۚ﴾، يقول: وجعلنا كل شيء لهم من ذهب، ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ﴾، يقول: وما كل الذى ذكر، ﴿لَمَّا﴾ إلا ﴿مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ يتمتعون فيها قليلاً، ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ﴾، يعنى دار الجنة، ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٣٥] خاصة لهم.

قوله: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ﴾، يقول: ومن يعم بصره عن ذكر ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ [آية: ٣٦] فى الدنيا، يقول: صاحب يزين لهم الغى.

﴿وَإِنَّهُمۡ﴾، وإن الشياطين، ﴿لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، يعنى سبيل الهدى، ﴿وَيَحۡسَبُونَ﴾، ويحسب بنو آدم، ﴿أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [آية: ٣٧]، يعنى على هدى.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ ابن آدم وقرينه فى الآخرة جعلا فى سلسلة واحدة، ﴿قَالَ﴾ ابن آدم لقرينه، يعنى شيطانه: ﴿يَٰلَيۡتَ﴾، يتمنى، ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾، يعنى ما بين مشرق الصيف إلى مشرق الشتاء، أطول يوم فى السنة، وأقصر يوم فى السنة، ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ [آية: ٣٨]، يقول: فبئس الصاحب معه فى النار فى سلسلة واحدة.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ

تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

يقول الله تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ فى الآخرة الاعتذار، ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾، يقول: إذ أشركتم فى الدنيا، ﴿أَنَّكُمْ﴾ وقرناءكم من الشياطين ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [آية: ٣٩].

يقول: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ الذين لا يسمعون الإيمان، يعنى الكفار، ﴿أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ الذين لا يبصرون الإيمان، ﴿وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٤٠]، نزلت فى رجل من كفار مكة، يعنى بين الضلالة.

قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾، يقول: فنميتك يا محمد، ﴿فَإِنَّا مِنْهُم﴾، يعنى كفار مكة، ﴿مُّنتَقِمُونَ﴾ [آية: ٤١] بعدك بالقتل يوم بدر.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ فى حياتك، ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ من العذاب ببدر، ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [آية: ٤٢].

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٤٣]، يعنى دين مستقيم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾، يقول: القرآن لشرف لك، ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾، ولمن آمن منهم، ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [آية: ٤٤] فى الآخرة عن من يكذب به.

ثم قال: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾، يعنى الذين أرسلنا إليهم، ﴿مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [آية: ٤٥]، يقول: سل يا محمد مؤمنى أهل الكتاب هل جاءهم رسول يدعوهم إلى غير عبادة الله؟.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾، اليد والعصا، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٤٦].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ﴾ [آية: ٤٧]، استهزاء وتكذيبًا.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ﴾، يعنى اليد بيضاء لها شعاع مثل شعاع الشمس، يغشى البصر، فكانت اليد أكبر من العصا، وكان موسى، عليه السلام، بدأ بالعصا، فألقاها وأخرج يده، فلم يؤمنوا، يقول الله تعالى: ﴿وَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ﴾، يعنى الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، والسنين، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [آية: ٤٨]، يعنى لكى يرجعوا من الكفر إلى الإيمان.

﴿وَقَالُواْ﴾ لموسى: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾، يقول: سل ﴿لَنَا رَبَّكَ﴾، فلم يفعل، وقال: تسموني ساحرًا، وقال فى سورة الأعراف: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أن يكشف عنا العذاب، ﴿إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ﴾ [آية: ٤٩]، يعنى مؤمنين لك، وكان الله تعالى عهد إلى موسى، عليه السلام، لئن آمنوا كشف عنهم، فذلك قوله: ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾، إن آمنا كشف عنا العذاب.

فلما دعا موسى ربه كشف عنهم، فلم يؤمنوا، فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾ [آية: ٥٠] الذى عاهدوا عليه موسى، عليه السلام: ﴿**لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ**﴾ [الأعراف: ١٣٤]، فلم يؤمنوا.

﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ﴾ القبطى، ﴿فِي قَوۡمِهِۦ﴾ القبط، وكان نداؤه أنه ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ أربعين فرسخًا فى أربعين فرسخًا، ﴿وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ﴾ من أسفل منى، ﴿أَفَلَا﴾، يعنى فهلا، ﴿تُبۡصِرُونَ﴾ [آية: ٥١]، ألهم جنان وأنهار مثلها.

ثم قال فرعون: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ﴾، يقول: أنا خير، ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾، يعنى موسى، ﴿ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ﴾، يعنى ضعيف ذليل، ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [آية: ٥٢] حجته، يعنى لسانه؛ لأن الله تعالى كان أذهب عقدة لسانه فى طه، حين قال: ﴿**وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي**﴾

[طه: ٢٧]، قال الله تعالى: ﴿**قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى**﴾ [طه: ٣٦].

ثم قال فرعون: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾، يقول: فلا ألقى عليه ربه الذى أرسله، ﴿أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾، إن كان صادقًا أنه رسول، ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [آية: ٥٣]، يعنى متعاونين يعينونه على أمره الذى بعث إليه.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾، يقول: استفز قومه القبط، ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ فى الذى قال لهم على التكذيب، حين قال لهم: ﴿**مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ [غافر: ٢٩]، فأطاعوه فى الذى قال لهم، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [آية: ٥٤]، يعنى عاصين.

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾، يعنى أغضبونا، ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٥٥]، لم ينج منهم أحد.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾، يعنى مضوا فى العذاب، ﴿وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [آية: ٥٦]، يعنى عبرة لمن بعدهم.

قوله: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾، والمثل حين زعموا أن الملائكة بنات الله، وذلك أن النبى ﷺ دخل المسجد، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا، وفى المسجد العاص بن وائل السهمى، والحارث وعدى ابنا قيس، كلهم من قريش، من بنى سهم، فقال لهم النبى ﷺ: «﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾» [الأنبياء: ٩٨]، إلى آيتين، ثم خرج إلى باب الصفا، فخاض المشركون فى ذلك، فدخل عبد الله بن الزبعرى السهمى، فقال: تخوضون فى ذكر الآلهة، فذكروا له ما قال النبى ﷺ لهم ولآلهتهم، فقال عبد الله بن الزبعرى: يا محمد، أخاصة لنا ولآلهتنا، أم لنا ولآلهتنا ولجميع الأمم وآلهتهم؟ فقال النبى ﷺ: «بل هى لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم ولآلهتهم».

فقال عبد الله: خصمتك ورب الكعبة، ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبى، وتثنى عليه وعلى أمه خيرًا، وقد علمت أن النصارى يعبدونهما، وعزير يعبد، والملائكة تعبد، فإن كان هؤلاء فى النار، فقد رضينا أن نكون معهم، فقال النبى ﷺ: «لا»، فقال عبد الله: أليس قد زعمت أنها لنا ولآلهتنا ولجميع الأمم وآلهتهم؟ خصمتك ورب الكعبة، فضجوا من ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى**﴾، يعنى الملائكة، وعزير، وعيسى، ومريم، ﴿**أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وأنزل: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا﴾ ﴿إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ [آية: ٥٧]، يعنى يضجون تعجبًا لذكر عيسى، عليه السلام، عبد الله بن الزبعرى وأصحابه هم هؤلاء النفر.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ﴾، يعنى عيسى، وقالوا: ليس آلهتنا إن عذبت خيرًا من عيسى بأنه يعبد، يقول الله تعالى: بل هو ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾، يقول: ما ذكروا لك عيسى إلا ليجادلونك به، ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [آية: ٥٨].

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ﴾، يعنى عيسى، عليه السلام، يقول: ما هو إلا عبد، ﴿أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ﴾ بالنبوة، ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آية: ٥٩]، يقول الله تعالى: حين ولد من غير أب، يعنى آية وعبرة ليعتبروا.

قوله: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ﴾ [آية: ٦٠] مكانكم، فكانوا خلفًا منكم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾

ثم رجع فى التقديم إلى عيسى، فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾، يقول: نزوله من السماء علامة للساعة، ينزل على ثنيه أفيق، وهو جبل ببيت المقدس، يقال له: أفيق، عليه

ممصرتان، دهين الرأس، معه حربة، يقتل بها الدجال، يقول: نزول عيسى من السماء علامة للساعة، ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾، يقول: لا تشكوا فى الساعة، ولا فى القيامة أنها كائنة، قوله: ﴿وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آية: ٦١].

ثم قال: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ عن الهدى، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٦٢]، يعنى بين.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ﴾، يعنى بنى إسرائيل، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾، يعنى الإنجيل، ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ﴾، يعنى الإنجيل، فيه بيان الحلال والحرام، ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾، من الحلال والحرام، فبين لهم ما كان حرم عليهم من الشحوم، واللحوم، وكل ذى ظفر، فأخبرهم أنه لهم حلال فى الإنجيل، غير أنهم يقيمون على السبت، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا تعبدوا غيره، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ٦٣] فيما آمركم به من النصيحة، فإنه ليس له شريك.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾، يعنى وحدوه، ﴿هَٰذَا﴾، يعنى هذا التوحيد، ﴿صِرَاطٌ﴾، يعنى دين، ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آية: ٦٤].

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ﴾، فى الدين، والأحزاب هم: النسطورية، والماريعقوبية، والملكانية، تحازبوا من بينهم فى عيسى، عليه السلام، فقالت النسطورية: عيسى ابن الله، وقالت الماريعقوبية: إن الله هو المسيح ابن مريم، وقالت الملكانية: إن الله ثالث ثلاثة، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعنى النصارى الذين قالوا فى عيسى ما قالوا، ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٦٥]، يعنى يوم القيامة، وإنما سماه أليمًا لشدته.

ثم رجع إلى كفار قريش، فقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾، يعنى يوم القيامة، ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾، فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية: ٦٦] بجيئتها.

ثم قال: ﴿الْأَخِلَّاءُ﴾ فى الدنيا، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ فى الآخرة، ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٦٧]، يعنى الموحدين، نزلت فى أمية بن خلف الجمحى، وعقبة بن أبى معيط، قتلا جميعًا، وذلك أن عقبة كان يجالس النبى ﷺ ويستمع إلى حديثه، فقالت قريش: قد سبأ عقبة وفارقنا، فقال له أمية بن خلف: وجهى من وجهك حرام إن لقيت محمدًا فلم تتفل فى وجهه، حتى يعلم قومك أنك غير مفارقهم، ففعل عقبة ذلك، فقال النبى ﷺ: «أما أنا لله على لئن أخذتك خارجًا من الحرم لأهريقن دمك»، فقال له: يا

ابن أبى كبشة، ومن أين تقدر عليَّ خارجًا من الحرم، فتكون لك منى السوء، فلما كان يوم بدر أسر، فلما عاينه النبى ﷺ ذكر نذره، فأمر على بن أبى طالب، رضى الله عنه، فضرب عنقه، فقال عقبة: يا معشر قريش، ما بالى أقتل من بينكم؟ فقال النبى ﷺ: «بتكذيبك الله ورسوله»، فقال: من لأولادى؟ فقال النبى ﷺ: «لهم النار».

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

ولما كان يوم القيامة، وقع الخوف، فقال: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ﴾، يقول: رفع الله الخوف عن المؤمنين، ﴿ٱلْيَوْمَ﴾، يعنى يوم القيامة، ﴿وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [آية: ٦٨]، فإذا سمعوا النداء رفعوا رءوسهم.

فلما قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [آية: ٦٩]، يقول: الذين صدقوا بالقرآن وكانوا مخلصين بالتوحيد، نكس أهل الأوثان والكفر رءوسهم، ثم نادى: الذين آمنوا وكانوا يتقون المعاصى، فلم يبق صاحب كبيرة إلا نكس رأسه.

ثم قال: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ يا أهل التوحيد، ﴿أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾، يعنى وحلائلكم، ﴿تُحْبَرُونَ﴾ [آية: ٧٠]، يعنى تكرمون وتنعمون.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ بأيدى الغلمان، ﴿بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ من فضة، يعنى الأكواب التى ليس لها عرى مدورة الرأس فى صفاء القوارير، ثم قال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٧١] لا تموتون.

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٧٢]، ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [آية: ٧٣].

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟

أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، يعنى المشركين المسرفين، ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٧٤]، يعنى لا يموتون.

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ﴾، العذاب طرفة عين، ﴿وَهُمۡ فِيهِ﴾، يعنى فى العذاب، ﴿مُبۡلِسُونَ﴾ [آية: ٧٥]، يعنى آيسون من كل خير مستيقنين بكل عذاب، مبشرين بكل سوء، زرق الأعين، سود الوجوه.

ثم قال: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾، فنعذب على غير ذنب، ﴿وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٧٦].

﴿وَنَادَوۡاْ﴾ فى النار: ﴿يَٰمَٰلِكُ﴾، وهو خازن جهنم، فقال: ماذا تريدون؟ قالوا: ﴿لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾، فيسكت عنهم مالك، فلا يجيبهم مقدار أربعين سنة، ثم يوحى الله تعالى إلى مالك بعد أربعين أن يجيبهم، فرد عليهم مالك: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [آية: ٧٧]، فى العذاب، يقول: مقيمون فيها.

فقال مالك: ﴿لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ فى الدنيا، يعنى التوحيد، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [آية: ٧٨].

قوله: ﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ﴾ [آية: ٧٩]، يقول: أم أجمعوا أمرًا، وذلك أن نفرًا من قريش، منهم: أبو جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وهشام بن عمرو، وأبو البحترى بن هشام، وأمية بن أبى معيط، وعيينة بن حصن الفزارى، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وأبى بن خلف، بعد موت أبى طالب، اجتمعوا فى دار الندوة بمكة ليمكروا بالنبى ﷺ سرًا عند انقضاء المدة، فأتاهم إبليس فى صورة شيخ كبير، فجلس إليهم، فقالوا له: ما أدخلك فى جماعتنا بغير إذننا؟ قال عدو الله: أنا رجل من أهل نجد، وقدمت مكة فرأيتكم حسنة وجوهكم، طيبة ريحكم، فأردت أن أسمع حديثكم، وأشير عليكم، فإن كرهتم مجلسى خرجت من بينكم.

فقال بعضهم لبعض: هذا رجل من أهل نجد، ليس من أهل مكة، فلا بأس عليكم منه، فتكلموا بالمكر بالنبى ﷺ، فقال أبو البحترى بن هشام، من بنى أسد بن عبد

العزى: أما أنا، فأرى أن تأخذوا محمدًا ﷺ، فتجعلوه فى بيت وتسدوا عليه بابه، وتجعلوا له كوة لطعامه وشرابه حتى يموت، فقال إبليس: بئس الرأى رأيتم، تعمدون إلى رجل له فيكمك صغو، قد سمع به من حولكم، تحبسونه فى بيت، وتطعمونه وتسقونه، فيوشك الصغو الذى له فيكم أن يقاتلكم عنه، ويفسد جماعتكم، ويسفك دماءكم، قالوا: صدق والله الشيخ.

فقال هشام بن عمرو، من بنى عامر بن لؤى: أما أنا، فأرى أن تحملوه على بعير، فتخرجوه من أرضكم، فيذهب حيث شاء، ويليه غيركم، فقال إبليس: بئس الرأى رأيتم، تعمدون إلى رجل قد أفسد عليكم جماعتكم، وتبعه طائفة منكم، فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم كما أفسدكم، فيوشك بالله أن يميل بهم عليكم، فقال أبو جهل: صدق والله الشيخ.

فقال أبو جهل بن هشام: أما أنا، فأرى أن تعمدوا إلى كل بطن من قريش، فتأخذون من كل بطن منهم رجلاً، فتعطون كل رجل منهم سيفًا، فيضربونه جميعًا، فلا يدرى قومه من يأخذون به، وتؤدى قريش ديته، فقال إبليس: صدق والله الشاب، إن الأمر لكما.

قال: فتفرقوا عن قول أبى جهل، فنزل جبريل، عليه السلام، فأخبر النبى ﷺ بما ائتمروا به، وأمره بالخروج، فخرج النبى ﷺ من ليلته إلى الغار، وأنزل الله تعالى فى شرهم الذى أجمعوا عليه: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾، يقول: أم أجمعوا أمرهم على محمد ﷺ بالشر، فإنا مجمعون أمرنا على ما يكرهون، فعندها قتل هؤلاء النفر ببدر.

يقول: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ الذى بينهم، ﴿وَنَجْوَىٰهُم﴾ الذى أجمعوا عليه ليثبتوك فى بيت، أو يخرجوك من مكة، أو يقتلوك، ﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ذلك منهم، ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الملائكة الحفظة، ﴿لَدَيْهِمْ﴾، يعنى عندهم ﴿يَكْتُبُونَ﴾ [آية: ٨٠].

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾، يعنى ما كان للرحمن ولد، ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [آية: ٨١]، وذلك أن النضر بن الحارث، من بنى عبد الدار بن قصى، قال: إن الملائكة بنات الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾، يعنى ما كان للرحمن ولد، ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾، يعنى الموحدين من أهل مكة بأن لا ولد.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾

ونزه الرب نفسه عما كذبوا بالعذاب: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [آية: ٨٢]، يعنى عما يقولون من الكفر بربهم، يعنى كفار مكة حين كذبوا بالعذاب فى الآخرة، وذلك أن الله تعالى وعدهم فى الدنيا على ألسنة الرسل أن العذاب كائن نازل بهم.

﴿فَذَرْهُمْ﴾، يقول: خل عنهم، ﴿يَخُوضُوا۟﴾ فى باطلهم، ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾، يعنى يلهوا فى دنساهم، ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ﴾ فى الآخرة، ﴿ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [آية: ٨٣] العذاب فيه.

ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾، فعظم نفسه عما قالوا، فقال: وهو الذى يوحد فى السماء، ويوحد فى الأرض، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ فى ملكه، الخبير بخلقه، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٨٤] بهم.

﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

ثم عظم نفسه عن شركهم، فقال: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، يعنى القيامة، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٨٥]، يعنى تردون فى الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم.

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾، يقول: لا نقدر الملائكة الذين يعبدونهم من دون الله الشفاعة، وذلك أن النضر بن الحارث ونفرًا معه، قالوا: إن كان ما يقول محمد حقًا، فنحن نتولى الملائكة، وهم أحق بالشفاعة من محمد ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾، يقول: ولا يقدر، ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾، وهم الملائكة، ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾، يقول: لا تقدر الملائكة الذين تعبدونهم من دون الله على الشفاعة لأحد، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾، يعنى بالتوحيد من بنى آدم، فذلك قوله:

﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٨٦] أن الله واحد لا شريك له، فشفاعتهم لهؤلاء.

قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ﴾، يعنى أهل مكة كفارهم، ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾، وذلك أنه لما نزلت فى أول هذه السورة: ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾، نزلت فى آخرها: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾، فقال لهم النبى ﷺ: «من خلقكم ورزقكم وخلق السموات والأرض؟»، فقالوا: الله خالق الأشياء كلها، وهو خلقنا، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: قل لهم: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [آية: ٨٧]، يقول: من أين يكذبون بأنه واحد لا شريك له، وأنتم مقرون أن الله خالق الأشياء وخلقكم، ولم يشاركه أحد فى ملكه فيما خلق؟ فكيف تعبدون غيره؟.

فلما قال النبى ﷺ: يا رب، ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٨٨]، يعنى لا يصدقون، وذلك أنه لما قال أيضًا فى الفرقان: ﴿**إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**﴾ [الفرقان: ٣٠]، قال الله تعالى يسمع قوله، فيها تقديم: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾، يعنى لا يصدقون بالقرآن أنه من الله عز وجل.

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾، يعنى فأعرض عنهم، فيها تقديم، ﴿وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾، أردد عليهم معروفًا، ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٨٩]، هذا وعيد، حين ينزل بهم العذاب، فنسخ آية السيف الإعراض والسلام، وذكر وعيدهم، وفى حم المؤمن، فقال: ﴿**إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**﴾ [غافر: ٧١، ٧٢].

* * *

سُورَةُ الدُّخَانِ

مكية، عددها تسع وخمسون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿حمٓ﴾ [آية: ١]. ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [آية: ٢]، يعنى البين ما فيه. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، يعنى القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، إلى السفرة من الملائكة، وهم الكتبة، وكان ينزل من اللوح المحفوظ كل ليلة قدر، فينزل الله عز وجل من القرآن إلى السماء الدنيا، على قدر ما ينزل به جبريل، عليه السلام، فى السنة إلى مثلها من العام المقبل، حتى نزل القرآن كله فى ليلة القدر، ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾، وهى ليلة مباركة.

قال: وقال مقاتل: نزل القرآن كله من اللوح المحفوظ إلى السفرة فى ليلة واحدة ليلة القدر، فقبضه جبريل ﷺ من السفرة فى عشرين شهرًا، وأداه إلى النبى ﷺ فى عشرين سنة، وسميت ليلة القدر ليلة مباركة، لما فيها من البركة والخير، ثم قال: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [آية: ٣]، يعنى بالقرآن.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [آية: ٤]، يقول: يقضى الله فى ليلة القدر كل أمر محكم من الباطل ما يكون فى السنة كلها إلى مثلها من العام المقبل من الخير، والشر، والشدة، والرخاء، والمصائب.

يقول الله تعالى: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾، يقول: كان أمرًا منا، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [آية: ٥]، يعنى منزلين هذا القرآن.

أنزلناه ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، لمن آمن به، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولهم، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٦] به.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [آية: ٧] بتوحيد الرب تعالى.

وحد نفسه، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾، يقول: يحيى الموتى، ويميت الأحياء، هو ﴿رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٨].

﴿بَلۡ هُمۡ﴾، لكن هم، ﴿فِي شَكّٖ﴾ من هذا القرآن، ﴿يَلۡعَبُونَ﴾ [آية: ٩]، يعنى لاهون عنه.

قوله: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾، وذلك أن النبى ﷺ دعا الله عز وجل على كفار قريش، فقال: «اللهم أعنى عليهم بسبع سنين كسنى يوسف»، فأصابتهم شدة، حتى أكلوا العظام، والكلاب، والجيف، من شدة الجوع، فكان الرجل يرى بينه وبين السماء الدخان من الجوع، فذلك قوله: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾، يقول: فانتظر يا محمد، ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ١٠].

﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ﴾، يعنى أهل مكة، ﴿هَٰذَا﴾ الجوع، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آية: ١١]، يعنى وجيع.

ثم إن أبا سفيان بن حرب، وعتبة بن ربيعة، والعاص بن وائل، والمطعم بن عدى، وسهيل بن عمرو، وشيبة بن ربيعة، كلهم من قريش، أتوا النبى ﷺ، فقالوا: يا محمد، استسق لنا، فقالوا: ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ﴾، يعنى الجوع، ﴿إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ١٢]، يعنى إنا مصدقون بتوحيد الرب وبالقرآن.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾، يقول: من أين لهم التذكرة، يعنى الجوع الذى أصابهم بمكة، ﴿وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ﴾، يعنى محمدًا ﷺ، ﴿مُّبِينٞ﴾ [آية: ١٣]، يعنى هو بين أمره، جاءهم بالهدى.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾، يقول: ثم أعرضوا عن محمد ﷺ إلى الضلالة، ﴿وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ

مَّجْنُونٌ﴾ [آية: ١٤]، قال ذلك عتبة بن أبى معيط: إن محمدًا مجنون، وقالوا: إنما يعلمه جبر غلام عامر بن الحضرمى، وقالوا: لئن لم ينته جبر غلام عامر بن الحضرمى، فأوعدوه لنشترينه من سيده، ثم لنصلينه حتى ينظر هل ينفعه محمد أو يغنى عنه شيئًا، ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾، يقول: بل هم من القرآن فى شك لاهون، فدعا النبى ﷺ، فقال: «اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا عامًا، طبقًا مطبقًا، غدقًا ممرعًا مريًا، عاجلاً غير ريث، نافعًا غير ضار»، فكشف الله تعالى عنهم العذاب.

فذلك قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾، يعنى الجوع، ﴿قَلِيلًا﴾ إلى يوم بدر، ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [آية: ١٥] إلى الكفر، فعادوا، فانتقم الله منهم ببدر فقتلهم.

فذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، يعنى العظمى، فكانت البطشة فى المدينة يوم بدر، أكثر مما أصابهم من الجوع بمكة، فذلك قوله: ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [آية: ١٦] بالقتل، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجل الله أرواحهم إلى النار.

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بموسى ﷺ حتى ازدروه، كما ازدرى أهل مكة النبى ﷺ؛ لأنه ولد فيهم فازدروه، فكان النبى ﷺ فتنة لهم، كما كان موسى ﷺ فتنة لفرعون وقومه، فقالت قريش: أنت أضعفنا وأقلنا حيلة، فهذا حين ازدروه، كما ازدروا موسى، عليه السلام، حين قالوا: ﴿**أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا**﴾ [الشعراء: ١٨]، فكانت فتنة لهم، من أجل ذلك ذكر فرعون دون الأمم، نظيرها فى المزمل: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً**﴾ [المزمل: ١٥].

قوله: ﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ كما فتنا قريشًا بمحمد ﷺ؛ لأنهما ولدا فى قومهما، ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [آية: ١٧]، يعنى الخلق، كان يتجاوز ويصفح،

يعنى موسى حين سأل ربه أن يكشف عن أهل مصر الجراد والقمل.

فقال موسى لفرعون: ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾، يعنى أرسلوا معى بنى إسرائيل، يقول: وخل سبيلهم، فإنهم أحرار ولا تستعبدهم، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من الله، ﴿أَمِينٌ﴾ [آية: ١٨] فيما بينى وبين ربكم.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾، يعنى لا تعظموا على الله أن توحدوه، ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ١٩]، يعنى حجة بينة، كقوله: ألا تعلوا على الله، يقول: ألا تعظموا على الله، ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾، يعنى حجة بينة، وهى اليد والعصا، فكذبوه، فقال فرعون فى حم المؤمن: ﴿ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسَى﴾ [غافر: ٢٦].

فاستعاذ موسى، فقال: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾، يعنى فرعون وحده، ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ [آية: ٢٠]، يعنى أن تقتلون.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ﴾ [آية: ٢١]، يقول: وإن لم تصدقونى، يعنى فرعون وحده، ﴿فَٱعْتَزِلُونِ﴾، فدعا موسى ربه فى يونس، فقال: ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٨٦]، يعنى نجنى وبنى إسرائيل، وأرسل العذاب على أهل مصر.

قوله تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، يعنى أهل مصر، ﴿قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ [آية: ٢٢]، فلا يؤمنون، فاستجاب الله له.

فأوحى الله تعالى إليه: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [آية: ٢٣]، يقول: يتبعكم فرعون وقومه.

﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾، وذلك أن بنى إسرائيل لما قطعوا البحر، قالوا لموسى ﷺ: فرق لنا البحر كما كان، فإننا نخشى أن يقطع فرعون وقومه آثارنا، فأراد موسى، عليه السلام، أن يفعل ذلك، كان الله تعالى أوحى إلى البحر أن يطيع موسى، عليه السلام، فقال الله لموسى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾، يعنى صفوفًا، ويقال: ساكنًا، ﴿إِنَّهُمْ﴾، إن فرعون وقومه ﴿جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [آية: ٢٤]، فأغرقهم الله فى نهر مصر، وكان عرضه يومئذ فرسخين.

فقال الله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُواْ﴾ من بعدهم، يعنى فرعون وقومه، ﴿مِن جَنَّٰتٍ﴾، يعنى بساتين، ﴿وَعُيُونٍ﴾ [آية: ٢٥]، يعنى الأنهار الجارية.

﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [آية: ٢٦]، يعنى ومساكن حسان.

﴿وَنَعْمَةٍ﴾ من العيش، ﴿كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ [آية: ٢٧]، يعنى أرض مصر معجبين.

﴿كَذَٰلِكَ﴾، يقول: هكذا فعلنا بهم فى الخروج من مصر، ثم قال: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾، يعنى أرض مصر، ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [آية: ٢٨]، يعنى بنى إسرائيل، فردهم الله إليها بعد الخروج منها.

ثم قال: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾، وذلك أن المؤمن إذا مات بكى عليه معالم سجوده من الأرض، ومصعد عمله من السماء أربعين يومًا وليلة، ويبكيان على الأنبياء ثمانين يومًا وليلة، ولا يبكيان على الكافر، فذلك قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾؛ لأنهم لم يصلوا لله فى الأرض، ولا كانت لهم أعمال صالحة تصعد إلى السماء؛ لكفرهم، ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [آية: ٢٩]، لم يناظروا بعد الآيات التسع حتى عذبوا بالغرق.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَاهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [آية: ٣٠]، يعنى الهوان، وذلك أن بنى إسرائيل آمنت بموسى وهارون، فمن ثم قال فرعون: ﴿**اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ**﴾ [غافر: ٢٥]، فلما هم بذلك، قطع الله بهم البحر مع ذرياتهم وذراريهم، وأغرق فرعون ومن معه من القبط، ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾، يعنى الهوان من فرعون من قتل الأبناء، واستحياء النساء، يعنى البنات، قبل أن يبعث الله عز وجل موسى رسولاً، مخافة أن يكون هلاكهم فى سببه من فرعون للذى أخبره به الكهنة أنه يكون، وأنه يغلبك على ملكك.

ثم قال: ﴿مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا﴾ عن التوحيد، ﴿مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [آية: ٣١]، يعنى من المشركين.

ثم رجع إلى بنى إسرائيل، فقال: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ علمه الله عز وجل منهم، ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى عالم ذلك الزمان.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم﴾، يقول: وأعطيناهم، ﴿مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ حين فلق البحر وأهلك عدوهم فرعون، وظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، والحجر والعمود والتوراة، فيها بيان كل شيء، فكل هذا الخير ابتلاهم الله به، فلم يشكروا ربهم، فذلك قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾ ﴿مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى النعم البينة، كقوله: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِينُ**﴾ [الصافات: ١٠٦]، يعنى النعم البينة.

قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ﴾ [آية: ٣٤]، يعنى كفار مكة.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾، وذلك أن النبى ﷺ قال لهم: «إنكم تبعثون من بعد الموت»، فكذبوه، فقالوا: إن هى إلا حياتنا الدنيا، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [آية: ٣٥]، يعنى بمبعوثين من بعد الموت.

ثم قال: ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٣٦]، أنا نحيا من بعد الموت، وذلك أن أبا جهل بن هشام قال فى الرعد: يا محمد، إن كنت نبيًا فابعث لنا رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا، منهم قصى بن كلاب، فإنه كان صادقًا، وكان إمامهم، فنسألهم فيخبرونا عن ما هو كائن بعد الموت، أحق ما تقول أم باطل؟ إن كنت صادقًا بأن البعث حق، نظيرها فى الجاثية قوله: ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إلاَّ الدَّهْرُ**﴾ [الجاثية: ٢٤]، وما البعث بحق.

فخفوهم الله تعالى بمثل عذاب الأمم الخالية، فقال: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾؛ لأن قوم تبع أقرب فى الهلاك إلى كفار مكة، ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الخالية، ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ بالعذاب، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [آية: ٣٧]، يعنى مذنبين مقيمين على الشرك منهمكين عليه.

قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [آية: ٣٨]، يعنى عابثين لغير شيء، يقول: لم أخلقهما باطلاً، ولكن خلقتهما لأمر هو كائن.

﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٩]، أنهما لم يخلقا باطلاً.

﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَـٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى شَيۡـًٔا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

ثم خوفهم، فقال: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾، يعنى يوم القضاء، ﴿مِيقَـٰتُهُمۡ﴾، يعنى ميعادهم، ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ [آية: ٤٠].

﴿يَوۡمَ﴾، يعنى يوم القيامة، يقول: يوافى يوم القيامة الأولون والآخرون، وهم يوم الجمعة، هذه الأمة وسواهم من الأمم الخالية، ثم نعت الله تعالى ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوۡمَ﴾ ﴿لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى شَيۡـًٔا﴾، وهم الكفار، يقول: يوم لا يغنى ولى عن وليه، يقول: لا يقدر قريب لقرابته الكافر شيئًا من المنفعة، ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [آية: آية: ٤١]، يقول: ولا هم يمنعون من العذاب.

ثم استثنى المؤمنين، فقال: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ من المؤمنين، فإنه يشفع لهم، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فى نقمته من أعدائه الذين لا شفاعة لهم، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٤٢] بالمؤمنين الذين استثنى فى هذه الآية.

قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ [آية: ٤٣]، ﴿طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ﴾ [آية: ٤٤]، يعنى الآثم بربه، فهو أبو جهل بن هشام، وفى قراءة ابن مسعود: طعام الفاجر.

﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾، يعنى الزقوم أسود غليظ كدردى الزيت، ﴿يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ﴾ [آية: ٤٥].

﴿كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ﴾ [آية: ٤٦]، يعنى الماء الحار بلسان بربر وأفريقية، الزقوم يعنون التمر والزبد، زعم ذلك عبد الله بن الزبعرى السهمى، وذلك أن أبا جهل قال لهم: إن محمدًا يزعم أن النار تنبت الشجر، وإنما النار تأكل الشجر، فما الزقوم عندكم؟ فقال عبد الله بن الزبعرى: التمر والزبد، فقال أبو جهل بن هشام: يا جارية، ابغنا تمرًا وزبدًا، فقال: تزقموا.

يقول الله عز وجل للخزنة: ﴿خُذُوهُ﴾، يعنى أبا جهل، ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾، يقول: فادفعوه على وجهه، ﴿إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [آية: ٤٧]، يعنى وسط الجحيم، وهو الباب السادس من النار.

ثم قال: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ [آية: ٤٨]، أبى جهل، وذلك أن الملك من خزان جهنم يضربه على رأسه بمقمعة من حديد، فينقب عن دماغه، فيجرى دماغه على جسده، ثم يصب الملك فى النقب ماء حميمًا قد انتهى حره، فيقع فى بطنه.

ثم يقول له الملك: ﴿ذُقْ﴾ العذاب أيها المتعزز المتكرم، يوبخه ويصغره بذلك، فيقول: ﴿إِنَّكَ﴾ زعمت فى الدنيا، ﴿أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾، يعنى المنيع، ﴿الْكَرِيمُ﴾ [آية: ٤٩]، يعنى المتكرم.

قال: فكان أبو جهل يقول فى الدنيا: أنا أعز قريش وأكرمها، فلما ذاق شدة العذاب فى الآخرة، قال له الملك: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ [آية: ٥٠]، يعنى تشكون فى الدنيا أنه غير كائن، فهذا مستقر الكفار.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

ثم ذكر مستقر المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [آية: ٥١]، فى مساكن آمنين من الخوف والموت.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى بساتين وأنهار جارية.

﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾، يعنى الديباج، ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ [آية: ٥٣] فى الزيارة.

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ﴾، يعنى بيض الوجوه، ﴿عِينٍ﴾ [آية: ٥٤]، يعنى حسان العيون.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ من ألوان الفاكهة، ﴿آمِنِينَ﴾ [آية: ٥٥] من الموت.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾ أبدًا ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ التى كانت فى الدنيا، ﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾، يعنى الرب تعالى، ﴿عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ٥٦].

ذلك الذى ذكر فى الجنة كان ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ٥٧]، يعنى الكبير، يعنى النجاة العظيمة.

قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾، يعنى القرآن، يقول: هوناه على لسانك، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾، يقول: لكى ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٥٨]، فيؤمنوا بالقرآن، فلم يؤمنوا به.

يقول الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾، يقول: انتظر بهم العذاب، ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ [آية: ٥٩]، يعنى منتظرون بهم العذاب.

* * *

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

مكية، عددها سبع وثلاثون آية، كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿حمٓ﴾ [آية: ١]. ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ فى ملكه، ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ [آية: ٢] فى أمره.

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وهما خلقان عظيمان، ﴿لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٣]، يعنى المصدقين بتوحيد الله عز وجل.

﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾، يعنى وفى خلق أنفسكم إذ كنتم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظمًا لحمًا، ثم الروح، ﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾، يقول: وما يخلق من دابة، ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٤] بتوحيد الله.

﴿وَ﴾ فى ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، وهما آيتان، ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾، يعنى المطر، ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، فأنبتت، ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ فى الرحمة والعذاب، ففى هذا كله ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٥]، بتوحيد الله عز وجل.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

ثم رجع إلى أول السورة فى التقديم، فقال: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾، يعنى تلك آيات

القرآن، ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد، ﴿بِالْحَقِّ﴾، فإن لم يؤمنوا بهذا القرآن، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾، يعنى بعد توحيد الله، ﴿وَ﴾ بعد ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾، يعنى بعد آيات القرآن، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٦]، يعنى يصدقون.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾، يعنى كذاب، ﴿أَثِيمٍ﴾ [آية: ٧]، يقول آثم بربه، وكذبه النضر بن الحارث القرشى، من بنى عبد الدار.

﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ﴾، يعنى القرآن، ﴿عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾، يعنى يصر يقيم على الكفر بآيات القرآن، فيعرض عنها متكبرًا، يعن عن الإيمان بآيات القرآن، ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾، يعنى آيات القرآن وما فيه، ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٨]، يعنى وجيع، فقتل ببدر.

ثم أخبر عن النضر بن الحارث، فقال: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾، يقول: إذا سمع من آيات القرآن شيئًا، ﴿اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾، يعنى استهزاء بها، وذلك أنه زعم أن حديث القرآن مثل حديث رستم واسفنذباز، ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ﴾، يعنى النضر بن الحارث وأصحابه، وهم قريش، ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آية: ٩]، يعنى القرآن فى الدنيا يوم بدر.

ثم قال: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾، يعنى النضر بن الحارث، يقول: لهم فى الدنيا القتل ببدر، ومن بعده أيضًا لهم جهنم فى الآخرة، ﴿وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْـًٔا﴾، يقول: لا تغنى عنهم أموالهم التى جمعوها من جهنم شيئًا، ﴿وَلَا﴾، يغنى عنهم من جهنم، ﴿مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾، يقول: ما عبدوا من دون الله من الآلهة، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١٠]، يعنى كبير؛ لشدته.

﴿هَٰذَا هُدًى﴾، يقول: هذا القرآن بيان يهدى من الضلالة، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة، ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾، يعنى القرآن، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [آية: ١١]، يقول: لهم عذاب من العذاب الوجيع فى جهنم.

﴿۞ اللَّهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦) وَءَاتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) ﴾

ثم ذكرهم النعم، فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ﴾، يقول: لكى تجرى السفن فى البحر، ﴿بِأَمْرِهِ﴾، يعنى بإذنه، ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ ما فى البحر، ﴿مِن فَضْلِهِ﴾، يعنى الرزق، ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾، يعنى ولكى، ﴿تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ١٢] الله فى هذه النعم فتوحدوه.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾، يعنى من الله، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ١٣] فى صنع الله فيوحدونه.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا﴾، يعنى يتجاوزوا، نزلت فى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، وذلك أن رجلاً من كفار مكة شتم عمر بمكة، فهم عمر أن يبطش به، فأمره الله بالعفو والتجاوز، فقال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، يعنى عمر، ﴿يَغْفِرُوا﴾، يعنى يتجاوزوا، ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾، يعنى لا يخشون عقوبات الله مثل عذاب الأمم الخالية، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، يقول: فجزاؤه على الله، ثم نسخ العفو والتجاوز آية السيف فى براءة: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، قوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ بالمغفرة، ﴿قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [آية: ١٤]، يعنى يعملون من الخير.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ﴾ العمل ﴿فَعَلَيْهَا﴾، يقول: إساءته على نفسه، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ١٥] فى الآخرة، فيجزيكم بأعمالكم.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾، يعنى أعطينا، ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾، يعنى التوراة، ﴿وَالْحُكْمَ﴾، يعنى الفهم الذى فى التوراة والعلم، ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾، وذلك أنه كان فيهم ألف نبى، أولهم موسى، وآخرهم عيسى، عليهم السلام، ﴿وَرَزَقْنَاهُم﴾، يعنى الحلال من الرزق، المن والسلوى، ﴿مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ١٦]، يعنى عالمى ذلك الزمان بما أعطاهم الله من التوراة فيها تفصيل كل شىء، والمن والسلوى، والحجر، والغمام، وعمودًا كان يضىء لهم إذا ساروا بالليل، وأنبت معهم ثيابهم لا تبلى، ولا

تخرق، وظللنا عليهم الغمام، وفضلناهم على العالمين فى ذلك الزمان.

ثم قال: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم﴾ آيات ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾ واضحات، ﴿مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾، يعنى أبين لهم فى التوراة الحلال، والحرام، والسنة، وبيان مان كان قبلهم، ثم اختلفوا فى الدين بعد يوشع بن نون، فآمن بعضهم وكفر بعضهم، ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾، يعنى البيان، ﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [آية: ١٧]، يعنى فى الدين يختلفون.

قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾، يعنى بينات من الأمر، وذلك أن كفار قريش قالوا للنبى ﷺ: ارجع إلى ملة أبيك عبد الله، وجدك عبد المطلب، وسادة قومك، فأنزل الله: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾، يعنى بينة من الأمر، يعنى الإسلام، ﴿فَٱتَّبِعۡهَا﴾، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: اتبع هذه الشريعة، ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ١٨] توحيد الله، يعنى كفار قريش، فيستزلونك عن أمر الله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يوم القيامة، يعنى مشركى مكة، ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آية: ١٩] الشرك.

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾، يقول: هذا القرآن بصيرة للناس من الضلالة، ﴿وَ﴾ هو ﴿وَهُدٗى﴾ من الضلالة، ﴿وَرَحۡمَةٞ﴾ من العذاب لمن آمن به، ﴿لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٢٠] بالقرآن أنه من الله تعالى.

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، وذلك أن الله أنزل أن للمتقين عند ربهم فى الآخرة جنات النعيم، فقال كفار مكة، بنو عبد شمس بن عبد مناف بمكة، لبنى هاشم

ولبنى عبد المطلب بن عبد مناف للمؤمنين منهم: إنا نعطى فى الآخرة من الخير مثل ما تعطون، فقال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، يعنى الذين عملوا الشرك، يعنى كفار بنى عبد شمس، ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ من بنى هاشم، وبنى المطلب، منهم: حمزة، وعلى بن أبى طالب، وعبيدة بن الحارث، وعمر بن الخطاب، ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ﴾ فى نعيم الدنيا، ﴿وَ﴾ سواء ﴿وَمَمَاتُهُمْ﴾ فى نعيم الآخرة، ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [آية: ٢١]، يقول: بئس ما يقضون من الجور حين يرون أن لهم فى الآخرة ما للمؤمنين، فى الآخرة الدرجات فى الجنة ونعيمها للمؤمنين، والكافرون فى النار يعذبون.

قوله: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾، يقول: لم أخلقهما عبثًا لغير شىء، ولكن خلقتهما لأمر هو كائن، ﴿وَلِتُجْزَىٰ﴾، يقول: ولكى تجزى ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾، يعنى بما عملت فى الدنيا من خير أو شر، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية: ٢٢] فى أعمالهم، يعنى لا ينقصون من حسناتهم، ولا يزاد فى سيئاتهم.

قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾، يعنى الحارث بن قيس السهمى اتخذ إلهه هوى، وكان من المستهزئين، وذلك أنه هوى الأوثان فعبدها، ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ علمه فيه، ﴿وَخَتَمَ﴾، يقول: وطبع، ﴿عَلَىٰ سَمْعِهِۦ﴾، فلا يسمع الهدى، ﴿وَ﴾ على ﴿وَقَلْبِهِۦ﴾، فلا يعقل الهدى، ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً﴾، يعنى الغطاء، ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ إذ أضله الله، ﴿أَفَلَا﴾، يعنى أفهلا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢٣] فتعتبروا فى صنع الله فتوحدونه.

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، يعنى نموت نحن ويحيا آخرون، فيخرجون من أصلابنا، فنحن كذلك، فما نبعث أبدًا، ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، يقول: وما يميتنا إلا طول العمر، وطول اختلاف الليل والنهار، ولا نبعث، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ بأنهم لا يبعثون، ﴿إِنْ هُمْ﴾، يقول: ما هم ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [آية: ٢٤]، ما يستيقنون، وبالظن تكلموا على غيرهم أنهم لا يبعثون.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا﴾، يعنى القرآن، ﴿بَيِّنَـٰتٍ﴾، يعنى واضحات من الحلال والحرام، ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ حين خاصموا النبى ﷺ فى الرعد، حين قالوا: سير لنا الجبال، وسخر لنا الرياح، وابعث لنا رجلين أو ثلاثة من قريش من آبائنا، منهم قصى بن

كلاب، فإنه كان صدوقًا، وكان إمامهم، فنسألهم عما تخبرنا بـه أنـه كـائن بعد الموت، فذلك قوله تعـالى: ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ للنبي ﷺ: ﴿ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٢٥]، هذا قول أبي جهل للنبي ﷺ، قال: ابعث لنا رجلين أو ثلاثة إن كنت من الصادقين بأن البعث حق.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾

قال الله تعـالى: ﴿قُلِ﴾ لهـم يا محمـد: ﴿ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾، حين كـانوا نطفـة، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عنـد أجالكم، ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أولكم وآخركـم، ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، يقول: لا شك فيه، يعنى البعث أنه كـائن، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٢٦] أنهم يبعثون فى الآخرة.

ثم عظم الرب نفسه عما قالوا: أنه لا يقدر على البعث، فقـال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾، يعنى يوم القيامة، ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [آية: ٢٧]، يعنى المكذبين بالبعث.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ﴾ على الركب عند الحساب، يعنى كل نفـس، ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ الذى عملت فـى الدنيـا مـن خير أو شـر، ثـم يجزون بأعمـالهم، فذلـك قولـه: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾، يعنى فى الآخرة، ﴿تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٨] فى الدنيا.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ مـن اللـوح المحفـوظ، ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٩] قبل أن تعملونها.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى الهذيـل، عـن مقـاتل، قـال: قـال ابـن عباس: لا تكون نسخة إلا مـن كتـاب، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾، يعنى فى جنته، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدخول، ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ٣٠].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾

وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾، فيقول لهم الرب تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي ﴾، يعنى القرآن، ﴿ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾، يقول: تقرأ عليكم، ﴿ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ ﴾، يعنى تكبرتم عن الإيمان بالقرآن، ﴿ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴾ [آية: آية: ٣١]، يعنى مذنبين مشركين.

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾، قال لهم النبى ﷺ: «إن البعث حق»، ﴿ وَٱلسَّاعَةُ ﴾، يعنى القيامة، ﴿ لَا رَيۡبَ فِيهَا ﴾، يعنى لا شك فيها أنها كائنة، ﴿ قُلۡتُم ﴾ يا أهل مكة: ﴿ مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ ﴾، يعنى ما نظن ﴿ إِلَّا ظَنّٗا ﴾ على غير يقين، ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴾ [آية: ٣٢] بالساعة أنها كائنة.

﴿ وَبَدَا لَهُمۡ ﴾، يقول: وظهر لهم فى الآخرة، ﴿ سَيِّـَٔاتُ ﴾، يعنى الشرك، ﴿ مَا عَمِلُواْ ﴾ فى الدنيا حين شهدت عليهم الجوارح، ﴿ وَحَاقَ ﴾، يقول: ووجب العذاب، ﴿ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ ﴾ بالعذاب ﴿ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [آية: ٣٣] أنه غير كائن.

وقال لهم الخزنة فى الآخرة: ﴿ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ ﴾، يقول: نترككم فى العذاب، ﴿ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا ﴾، يقول: كما تركتم إيمانًا بهذا اليوم، يعنى البعث، ﴿ وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [آية: ٣٤]، يعنى مانعين من النار.

﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ﴾، يقول: إنما نزل بكم العذاب فى الآخرة بأنكم ﴿ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾، يعنى كلام الله، ﴿ هُزُوٗا ﴾، يعنى استهزاء، حين قالوا: ساحر، وشاعر، وأساطير الأولين، ﴿ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾ عن الإسلام، ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ ﴾ فى الآخرة، ﴿ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴾ [آية: آية: ٣٥].

﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾

قوله: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ ﴾، يقول: الشكر لله، ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

[آية: ٣٦]، يعنى القيامة.

﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾، يعنى العظمة، ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٣٧]، فى أمره، ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾، يعنى العظمة، والسلطان، والقوة، والقدرة فى السموات والأرض، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فى أمره الذى حكم.

* * *

سُورَةُ الأَحْقَافِ

مكية عددها خمس وثلاثون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾

﴿حمٓ﴾ [آية: ١] ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يقول قضاء نزول الكتاب يعنى القرآن ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ [آية: ٢] فى أمره.

﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ يعنى الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ لم أخلقهما باطلاً لغير شيء خلقتهما لأمر هو كائن، ثم قال: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول خلقتهم لأجل مسمى ينتهى إليه، يعنى يوم القيامة، فهو الأجل المسمى.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ فى القرآن من العذاب ﴿مُعْرِضُونَ﴾ [آية: ٣] فلا يتفكرون.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ﴾ يعنى تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة، يعنى الملائكة ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى الأرض كخلق الله إن كانوا آلهة، ثم قال: ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ يقول: ألهم ﴿شِرْكٌ﴾ مع الله ﴿فِى﴾ ملك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ كقوله: ﴿**ما لهم فيهما من شرك**﴾ [سبأ: ٢٢] ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ يقول: أو رواية «تعلمونها» من الأنبياء قبل هذا القرآن بأن له شريكًا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٤] يعنى اللات والعزى ومناة بأنهن له شركاء.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥﴾

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا﴾ يقول: فلا أحد أضل ممن يعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾ أبدًا إذا دعاء يقول: لا تجيبهم الآلهة يعنى الأصنام بشىء أبدًا ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

ثم قال: ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [آية: ٥] يعنى الآلهة غافلون عن من يعبدها، فأخبر الله عنها فى الدنيا.

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝٦﴾

ثم أخبر فى الآخرة، فقال: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ﴾ فى الآخرة يقول: إذا جمع الناس فى الآخرة ﴿كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ يقول كانت الآلهة أعداء لمن يعبدها ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [آية: ٦] يقول: تبرأت الآلهة من عبادتهم إياها، فذلك قوله: ﴿**فكفى بالله شهيدًا**﴾ إلى قوله: ﴿**لغافلين**﴾ فى يونس [الآية: ٢٩].

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾

قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ يعنى القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ يقول: بيان الحلال والحرام ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٧]. يقول: القرآن حين جاءهم قالوا: هذا سحر مبين.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٨﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا للنبى ﷺ: ما هذا القرآن إلا شىء ابتدعته من تلقاء نفسك؟ أيعجز الله أن يبعث نبيًا غيرك؟ وأنت أحقرنا وأصغرنا وأضعفنا ركنًا وأقلنا حيلة، أو يرسل ملكًا، إن هذا الذى جئت به لأمر عظيم، فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهم: يا محمد ﴿إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ من تلقاء نفسى ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يقول: لا تقدرون أن تردونى من عذابه ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ يقول: الله أعلم بما تقولون فى القرآن ﴿كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا﴾ يقول: فلا شاهد أفضل من الله ﴿بَيْنِي

وَبَيْنَكُمْ﴾ بأن القرآن جاء من الله ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ فى تأخير العذاب عنهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٨] حين لا يعجل عليهم بالعقوبة. وأنزل فى قول كفار مكة أما وجد الله رسولاً غيرك.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ فقال لهم النبى ﷺ: ما أنا بأول رسول بعث، قد بعث قبلى رسل كثير ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾[1] أيرحمنى وإياكم، أو يعذبنى وإياكم ﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ يقول: ما أتبع ﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ من القرآن، يقول: إذا أمرأت بأمر فعلته، ولا أبتدع ما لم أمر به ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٩]، يعنى نذير بين هى منسوخة نسختها: ﴿**إنا فتحنا لك فتحا مبينًا**﴾ إلى آخر الآيات.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ وذلك أن خمسين رجلاً من اليهود أتوا النبى ﷺ وعنده عبد الله بن سلام، فقال النبى ﷺ لليهود: «ألستم تعلمون أن عبد الله بن سلام سيدكم وأعلمكم؟» قالوا: بلى ومنه نقتبس، وإنا لا نؤمن بك حتى يتبعك عبد الله بن سلام، وعبد الله بن سلام يسمع، فقال النبى ﷺ : «أرأيتم إن اتبعنى عبد الله بن سلام وآمن بى أفتؤمنون بى؟» فقال بعضهم: نعم، قال النبى ﷺ : «فمن أعلمكم بعد عبد الله بن سلام«، فأتاه، فقال: «أنت أعلم اليهود»، فقال عبد الله: أعلم منى، قال: «فمن أعلم اليهود بعد عبد الله؟» فسكت، فقال النبى ﷺ: «أنت أعلم اليهود بعد عبد

---

[1] قال الفراء: نزلت فى أصحاب النبى ﷺ، وذلك أهم شكوا إليه ما يلقون من أهل مكة قبل أن يؤمر بقتالهم، فقال النبى ﷺ : «إنى قد رأيت فى منامى أنى أهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء، فاستبشروا بذلك»، ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك؛ فقالوا للنبى ﷺ: ما نرى تأويل ما قلت، وقد اشتد علينا الأذى؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿**قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم**﴾ أخرج إلى الموضع الذى أريته فى منامى أم لا؟ ثم قال لهم: إنما هو شيء أريته فى منامى، وما أتبع إلا وحى إلى. يقول: لم يوح إلى ما أخبرتكم به، ولو كان وحيا لم يقل ﷺ : «وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم».

الله»، قال: كلك يزعمون، قال النبى ﷺ: «فإنى أدعوكم إلى الله وإلى عبادته ودينه»، قالوا: لن نتبعك وندع دين موسى، فخرج عبد الله بن سلام من الستر، فقال النبى ﷺ: «هذا عبد الله قد آمن بى»، فجادلهم عبد الله بن سلام مليا، فجعل يخبرهم ببعث النبى ﷺ وصفته فى التورة، فقال ابن صوريا: إن عبد الله بن سلام شيخ كبير قد ذهب عقله ما يتكلم إلا بما يجئ على لسانه، فذلك قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعنى عبد الله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ يعنى على مثل ما شهد عليه يامين بن يامين، كان أسلم قبل عبد الله بن سلام وكان يامين من بنى إسرائيل من أهل التوراة ﴿فَـَٔامَنَ﴾ بالنبى ﷺ يقول: فأمن ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ يقول صدق ابن سلام بالنبى ﷺ واستكبرتم أنتم عن الهدى عن الإيمان يعنى اليهود ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٠] يعنى اليهود إلى الحجة مثلها فى براءة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾

ثم رجع إلى كفار مكة فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لخزاعة: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾(1) وذلك أنهم قالوا لو كان الذى جاء به محمد حقًا: أن القرآن من الله ما سبقونا يقول ما سبقنا إلى الإيمان به أصحاب محمد ﷺ، ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟﴾ هم ﴿بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِفْكٌ﴾ يعنى كذب ﴿قَدِيمٌ﴾ [آية: ١١] من محمد ﷺ.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾

يقول الله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ ومن قبل هذا القرآن كذبوا بالتوراة لقولهم «إنا بكل كافرون» فى القصص [القصص: ٤٨]، ثم قال: ﴿إِمَامًا﴾ لمن اهتدى

---

(1) قال الفراء: لما أسلمت: مزينة، وجهينة، وأسلم، وغفار، قالت بنو عامر بن صعصعة وغطفان، وأشجع، وأسد: لو كان هذا خيرًا ما سبقنا إليه رعاة البهم، فهذا تأويل قوله: «ولو كان خيرا ما سبقونا إليه».

به ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ من العذاب لمن اهتدى به ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ﴾[١] للكتب التى كانت قبله ﴿لِّسَانًا عَرَبِيّٗا﴾ يقول أنزلناه قرآنا «عربيا» ليفقهوا ما فيه ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بوعيد القرآن ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ من كفار مشركى مكة ﴿وَ﴾ هذا القرآن ﴿وَبُشۡرَىٰ﴾ لما فيه من الثواب لمن آمن به ﴿لِلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ١٢] يعنى الموحدين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ فعرفوا ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ على المعرفة بالله و لم يرتدوا عنها ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [آية: ١٣] من الموت، ثم أخبر بثوابهم فقال:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٤].

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٥﴾

قوله: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ﴾ يعنى برا بهم نزلت فى أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، ابن أبى قحافة، وأم أبى بكر بن أبى قحافة واسمها أم الخير بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ﴾ يعنى حملته فى مشقة ووضعته فى مشقة ﴿وَحَمۡلُهُۥ﴾ فى البطن تسعة أشهر ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ من اللبن واحدًا وعشرين شهرًا فهذا ﴿ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ ثمانى عشرة سنة ﴿وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾[٢] فهو فى القوة والشدة من ثمانى عشرة سنة إلى أربعين سنة فلما بلغ أبو

---

[١] قال الفراء: فى قراءة عبد الله: «مصدق لما بين يديه لسانا عربيا»، فنصبه فى قراءتنا على تأويل قراءة عبد الله، أى هذا القرآن يصدق التوراة عربيًا مبينًا، وهى فى قراءة عبد الله يكون نصبًا من مصدق. على ما فسرت لك، ويكون قطعًا من الهاء فى بين يديه.

[٢] قال الفراء: وفى قراءة عبد الله: «حتى إذا استوى وبلغ أشده وبلغ أربعين سنة»، والمعنى فيه، كالمعنى فى قراءتنا؛ لأنه جائز فى العربية أن تقول: لما ولد لك وأدركت مدرك الرجال عققت وفعلت، وإدراك قبل الولادة، ويقال: إن الأشد هاهنا هو الأربعون. وسمعت بعض المشيخة=

بمر أربعين سنة، صدق بالنبى ﷺ، ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ يقول ألهمنى ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ بالإسلام ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ يعنى أبا قحافة بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو، ثم قال: ﴿وَ﴾ ألهمنى ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ يقول واجعل أولادى مؤمنين فأسلموا أجمعين نظيرها أجمعين نظيرها فى المؤمن قوله: ﴿**ومن صلح من آبائهم**﴾ [غافر: ٨] يقول: من آمن، ثم قال أبو بكر: ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من الشرك ﴿وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ١٥] يعنى من المخلصين بالتوحيد.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

ثم نعت المسلمين فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ [(1)] يقول: نجزيهم بإحسانهم ولا نجزيهم بمساوئهم، والكفار يجزيهم بإساءتهم ويبطل إحسانهم لأنهم عملوا ما ليس بحسنة، ثم رجع إلى المؤمنين، فقال: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ ولا يفعل ذلك بالكافر ﴿فِيٓ﴾ يعنى مع ﴿أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾ يعنى وعد الحق وهو الجنة ﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [آية: ١٦] وعدهم الله، تعالى، الجنة فى الآخرة على ألسنة الرسل فى الدنيا.

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾

وقوله: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾ فهو عبد الرحمن بن أبى بكر، وأمه رومان بنت عمرو

=يذكر بإسناده له فى الأشد: ثلاث وثلاثون، وفى الاستواء: أربعون. وسمعت أن الأشد فى غير هذا الموضع: ثمانى عشر، والأول أشبه بالصواب؛ لأن الأربعين أقرب فى النسق إلى ثلاث وثلاثين ومنها إلى ثمانى عشرة؛ ألا ترى أنك تقول: أخذت عامة المال أو كله، فيكون أحسن من أن تقول: أخذت أقل المال أو كله، ومثله قوله: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ**﴾، فبعضُ ذا قريب من بعض، فهذا سبيل كلام العرب، والثانى يعنى ثمانى عشرة، ولو ضم إلى الأربعين كان وجهًا.

(1) قال الفراء: قرأ يحيى بن وثاب، وذكرت عن بعض أصحاب عبد الله: «نتقبَّلُ عنهم أحْسَنَ ما عَمِلوا ونتجاوز عن سيئاتهم» بالنون، وقراءة العوام: «يُتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم» بالياء، ولو قرئت: «يُتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتُتجاوز» كان صوابًا.

بن عامر الكندى دعاه أبواه إلى الإسلام وأخبراه بالبعث بعد الموت، فقال لوالديه: ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ يعنى قبحًا لكما الردئ من الكلام ﴿أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ من الأرض يعنى أن يبعثنى بعد الموت ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ يعنى الأمم الخالية فلم أرا أحدًا منهم يبعث، فأين عبد الله بن جدعان؟ وأين عثمان بن عمرو؟ وأين عامر بن عمرو؟ كلهم من قريش وهم أجداده، فلم أر أحدًا منهم أتانا، فقال أبواه: اللهم اهده، اللهم أقبل بقبلة إليك، اللهم تب عليه، فذلك قوله: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ يعنى يدعوان الله له بالهدى، أن يهديه ويقبل بقلبه، ثم يقولان: ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ﴾ صدق بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ﴾ عبد الرحمن ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٧] ما هذا الذى تقولان إلا كأحاديث الأولين.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

وكذبهم بقول الله، تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ النفر الثلاثة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ذكرهم عبد الرحمن ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ يقول: وجب عليهم العذاب ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ يعنى مع أمم ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ﴾ من كفار ﴿ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [١٨].

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ﴾ يعنى فضائل بأعمالهم ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ مجازة ﴿أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية: ١٩] فى أعمالهم.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعنى كفار مكة ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾ حين كشف الغطاء عنها لهم فينظرون إليها يعنى كفار مكة فيقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ يعنى الرزق والنعمة التى كنتم فيها ﴿فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ ولم تؤدوا شكرها ﴿وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ يعنى بالطيبات فلا نعمة لكم ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ فى الآخرة بأعمالكم الخبيثة ﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ يعنى عذاب الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ يعنى بما كنتم تتكبرون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عن الإيمان فتعلمون فيها ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ يعنى بالمعاصى ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [آية: ٢٠] يعنى تعصون.

﴿۞وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾﴾

وقوله: ﴿۞وَٱذۡكُرۡ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿أَخَا عَادٍ﴾ فى النسب وليس بأخيهم فى الدين، يعنى هود النبى، عليه السلام، ﴿إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ والأحقاف الرمل عند دك الرمل باليمن فى حضر موت ﴿وَقَدۡ خَلَتِ﴾ يعنى مضت ﴿ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ يعنى الرسل من بين يديه ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ يقوله قد مضت الرسل إلى قومهم من قبل هود، كان منهم نوح، عليه السلام، وإدريس جد أبى نوح، ثم قال ومن بعد هود، يعنى قد مضت الرسل إلى قومهم: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يقول لم يبعث الله رسولا من قبل هود، ولا بعده إلا أمر بعبادة الله، جل وعز، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [آية: ٢١] فى الدنيا لشدته.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿قَالُوٓاْ﴾ اليهود: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا﴾ يعنى لتصدنا وتكذبنا ﴿عَنۡ﴾ عبادة ﴿ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آية: ٢٢] بأن العذاب نازل بنا، فرد عليهم هود:

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يعنى نزول العذاب بكم علمه عند الله إذا شاء أنزله ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾ إليكم من نزول العذاب بكم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ [آية: ٢٣] العذاب.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ﴾ : العذاب ﴿عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ﴾ والعارض بعد السحابة التى لم تطبق السماء التى يرى ما فيها من المطر ﴿قَالُواْ﴾ لهود: ﴿هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ لأن المطر كان حبس عنهم وكانت السحابة إذا جاءت من قبل ذلك الوادى مطروا، قال هود: ليس هذا العارض ممطركم ﴿بَلۡ هُوَ﴾ ولكنه ﴿مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ﴾ لكم ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آية: ٢٤] يعنى وجع.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥)﴾

وكان استعجالهم حين قالوا: يا هود ﴿**فائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين**﴾ [الأعراف: ٧]، وكانوا أهل عمود سيارة فى الربيع فإذا هاج العمود رجعوا إلى منازلهم وكانوا من قبيلة آدم بن شيم بن سام بن توح، وكانوا أصهاره، وكان طول أحدهم اثنى عشر ذراعًا، وكان فيهم الملك، فلما كذبوا هودًا حبس الله عنهم المطر ثلاث سنين فلما دنا هلاكهم أوحى الله إلى الخزان، خزان الريح أن أرسلوا عليهم من الريح مثل منخر الثور.

فقالت الخزان: يا رب، إذا تنسف الريح الأرض ومن عليها، قال: أرسلوا عليهم مثل خرق الخاتم، يعنى على قدر حلقة الخاتم، ففعلوا فجاءت ريح باردة شديدة تسمى الدبور من وراء كاوك الرمل وكان المطر يأتيهم من تلك الناحية فيما مضى فمن ثم: قالوا هذا عارض ممطرنا، فعمد هو فخط على نفسه، وعلى المؤمنين خطا إلى اصل شجرة ينبع من ساقها عين فلم يدخل عليهم من الريح إلا النسيم الطيب، وجعلت الريح شدتها تجئ بالطعن بين السماء والأرض، فلما رأوا أنهار ريح قالوا: يا هود، إن ريحك هذا لا تزيل أقدامنا، وقالوا: من أشد منا قوة، يعنى بطشا فقاموا صفوفًا فاستقبلوها بصدورهم فأزالت الريح أقدامهم، فقالوا: يا هود، إن ريحك هذه تزيل اقدامنا فألقتهم الريح لوجوهم ونسفت عليهم الرمل حتى إنه يسمع أنينن احدهم من تحت الرمل، فذلك قوله: ﴿**أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة**﴾ [فصلت: ١٥]، وقال لهم هود حين جاءتهم الريح إنها: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ يعنى تهلك كل شىء من عاد بأمر ربهما من الناس والأموال والدواب، بإذن ربها يقول الله، تعالى لمحمد ﷺ: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [1] بالشجر و لم يبق لهم شىء ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يقول هكذا

---

[1] قال الفراء: وقرأها على بن أبى طالب، رحمه الله. حدثنا محمد، قال: حدثنا الفراء، قال: حدثنى محمد بن الفضل الخرسانى عن عطاء بن السائب، عن أبى عبد الرحمن، عن على بن أبى طالب أنه قال: «لاتَرَى إلا مساكَنهم». حدثنا محمد قال: حدثنا الفراء قال: «وحدثنى الكسائى، عن قطر ابن خليفة، عن مجاهد أنه قرأ: «فأصبحوا لاتَرى إلا مساكنهم». قال: وقرأ الحسن: «فأصبحوا لاتُرى إلا مساكنُهم» وفيه قبح فى العربية؛ لأن العرب إذا جعلت فعل المؤنث قبل إلا ذكروه، فقالوا: لم يقم إلا جاريتُك، وما قام إلا جاريتك، ولا يكادون يقولون: ما قامت إلا =

﴿نجزى﴾ بالعذاب ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ٢٥] بتكذيبهم وهاجت الريح غدوة وسكنت بالعشى اليوم الثامن عند غروب الشمس، فذلك قوله: ﴿**سخرها عليهم سبع ليال**﴾ [الحاقة: ٧] يعنى كامة دائمة متتابعة، قال النبى ﷺ: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور، ثم بعث الله طيرًا سودا فالتقطتهم حتى ألقتهم فى البحر».

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾

ثم خوف كفار مكة فقال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ﴾ يعنى عادًا ﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿فِيهِ﴾ يعنى فى الذى أعطيناكم فى الأرض من الخير والتمكن فى الدنيا، يعنى مكناكم فى الأرض يا أهل مكة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ﴾ فى الخير والتمكين فى الأرض ﴿سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ يعنى القلوب كما جعلنا لكم أهل مكة ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ من العذاب ﴿سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾ يقول لم تغن عنهم ما جعلنا من العذاب ﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى عذاب الله، تعالى، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ يعنى ووجب لهم سور العذاب بـ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ﴾ يعنى العذاب ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ٢٦] هذا مثل ضربه الله لقريش حين قالوا: إنه غير كائن.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا﴾ بالعذاب ﴿مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعنى القرون قوم نوح، وقوم صالح، وقوم لوط، فأما قوم لوط فهم بين المدينة والشام، وأما عاد فكانوا باليمن.

قوله: ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ فى أمور شتى يقول: نبعث مع كل نبى إلى أمته آية ليست لغيرهم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يقول لكى ﴿يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ٢٧] من الكفر إلى الإيمان فلم يتوبوا فأهلكهم الله بالعذاب.

= جاريتك، وذلك أن المتروك أحد، فأحد إذا كانت لمؤنث أو مذكر ففعلهما مذكر. ألا ترى أنك تقول: إن قام أحد منهن فاضربه، ولاتقل: إن قامت إلا مستكرها، وهو على ذلك جائز.
قال أنشدنى المفضل:

وَنارنـا لم تـُر نـارًا مثْلُها ... قـد علمت ذاكَ معدّ أكرما

فأنث فعل «مثل»؛ لأنه للنار، وأجود الكلام أن تقول: مارُئى إلا مثلها.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾ يقول فهلا منعتهم آلهتم من العذاب الذى نزل بهم ﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْۚ﴾ يعنى بل ضلت عنهم الآلهة فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ﴾[1] يعنى كذبهم بأنها آلهة ﴿وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٢٨] فى قولهم من الشرك.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ﴾ يعنى وجهنا إليك يا محمد ﴿نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فقرأ من الجن تسعة نفر من أشراف الجن وساداتهم من أهل اليمن من قرية يقال لها: نصيبين، ورسول الله ﷺ يبطن نخلة يقرأ القرآن فى صلاة الفجر، ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ فلما حضروا النبى ﷺ ﴿قَالُوٓاْ﴾ قال بعضهم لبعض: ﴿أَنصِتُواْۖ﴾ للقرآن، وكادوا أن يرتكبوه من الحرص، فذلك قوله: ﴿**كادوا يكونون عليه لبدا**﴾ [الجن: ٩]، ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ يقول فلما فرغ النبى ﷺ من صلاته ﴿وَلَّوْاْ﴾ يعنى انصرفوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم﴾ يعنى الجن ﴿مُّنذِرِينَ﴾ [آية: ٢٩]، يعنى مؤمنين.

﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا﴾ محمدًا ﷺ يتلوه ﴿كِتَٰبًا﴾ يعنى يقرأ محمد ﷺ كتابا، يعنى شيئًا عجبا، يعنى قرآنا ﴿أُنزِلَ﴾ على محمد ﷺ ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ عليه السلام، وكانوا مؤمنين بموسى ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يقول يصدق كتاب محمد ﷺ الكتب التى كانت أنزلت على الأنبياء ﴿يَهْدِيٓ﴾ يعنى يدعو كتاب محمد ﷺ ﴿إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ يعنى إلى الهدى ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٣٠] يعنى يدعوا إلى الدين المستقيم وهو الإسلام فلما أتوا قومهم قالوا لهم:

---

[1] قال الفراء: ويقرأ إِفكُهُم، وأفكَهُم. فأما الإفك والأفك فبمنزلة قولك: الحِذرُ وَالحَذَر، والنِّجْس وَالنَّجَس. وأما من قال: أفكهم فإنه يجعل الهاء والميم فى موضع نصب يقول: ذلك صرفهم عن الأيمان وكذبهم، كما قال عز وجل: ﴿**يُؤفَكُ عنه من أُفِكَ**﴾ أى: يصرف عنه من صرف.

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ يقول أجيبوا محمدًا ﷺ إلى الإيمان وصدقوا به ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٣١] يعني ويؤمنكم من عذاب وجيع.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ يعني محمدًا ﷺ إلى الإيمان ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يقول فليس بسابق الله فيقول هربا فى الأرض حتى يجزيه بعمله الخبيث ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾ يعنى ليس له أقرباء يمنعونه من الله، عز وجل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين لا يجيبون إلى الإيمان. ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٣٢] يعنى بين هذا قول الجن التسعة فأقبل إلى النبى ﷺ من الذين أنذروا مع التسعة تكلمه سبعين رجلا من الجن من العام المقبل فلقوا النبى ﷺ بالبطحاء، فقرأ النبى ﷺ القرآن وأمرهم ونهاهم، وقال النبى ﷺ تلك الليل قبل أن يلقاهم لأصحابه: «ليقم معى منكم رجل ليس فى قلبه مثقال حبة خردل من شك» فقام عبد الله بن مسعود ومعه إداوة فيها نبيذ، فقال النبى ﷺ لابن مسعود: «قم مكانك»، وخط النبى ﷺ خطًا، وقال: «لا تبرح حتى أرجع إليك إن شاء الله، ثم قال: إن سمعت صوتًا أو جلبة أو شيئًا يفزعك فلا تخرج من مكانك» فوقف عبد الله حتى أصبح، ودخل النبى ﷺ الشعب، وقال له: «لا تخرج من الخط فإن أنت خرجت اختطفت الليلة»، وأنطلق النبى ﷺ يقرأ عليهم القرآن ويعلمهم ويؤدبهم واختصم رجلا منهم فى دم إلى رسول الله ﷺ فرفعوا أصواتهم فسمع ابن مسعود الصوت فقال: والله، لآتينه فلعل كفار قريش أن يكونوا مكروا به فلما أراد الخروج من الخط ذكر وصية رسول الله ﷺ فلم يخرج ووقف عبد الله حت أصبح، والنبى ﷺ فى الشعب يعلمهم ويؤدبهم حتى أصبح فانصرف الجن وأتى النبى ﷺ ابن مسعود فقال عبد الله: يا نبى الله، ما زلت قائمًا حتى رجعت إلى، وقد سمعت أصواتًا مرتفعة حتى هممت بالخروج فذكرت قولك فأقمت.

فقال النبى ﷺ: «اختصموا فى قتلى لهم كانو أصابوها فى الجاهلية فقضيت بينهم، ثم قال: أمعك طهور؟» قال: نعم، نبيذ فى إداوة، فقال: «ثمرة طيبة وماء طهور عذب،

صب على» فصب عليه ابن مسعود، فتوضأ منه النبى ﷺ فلما أراد أن يصليا أقبل الرجالن اللذان اختصما فى الدم حتى وقفا عليه رآهما النبى ﷺ ظن أنهما رجعا يختصمان فى الدم، فقال: «مالكما ألم أقض بينكما؟» قالا: يا رسول الله، إنا جئنا نصلى معك ونقتدى بك فقام النبى ﷺ إلى الصلاة، وقام ابن مسعود والرجلان من الجن وراء النبى ﷺ فصلوا معه فذلك قوله: ﴿**أنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبد**﴾ [الجن: ١٩] من حبهم إياه، ثم انصرفوا من عنده مؤمنين فلم يبعث الله، عز وجل، نبيًا إلى الإنس والجن قبل محمد ﷺ. فقالوا: يا رسول الله، مر لنا برزق حتى نتزود فى سفرنا؟ فقال لهم النبى ﷺ فإن لكم أن يعود العظم لحما والبعر حبا هذا لكم إلى يوم القيامة فلا يحل للمسلم أن يستنجى بالعظم ولا بالبعر، ولا بالرجيع، يعنى رجيع الدواب، و لم يبعث الله نبيًا إلى الجن والأنس قبل محمد ﷺ.

وقال ابن مسعود: لقد رأيت رجالا مستنكرين طولا سودا كأنهم من أزد شنوءة لو خرجت من ذلك الخط لظننت أنى سأختطف.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يقول أو لم يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ نزلت فى أبى خلف الجمحى عمد فأخذ عظما حائلا نخرا فأتى به النبى ﷺ فقال: يا محمد، أتعدنا إذا بليت عظامنا، وكنا رفاتا أن الله يبعثنا جديدًا، وجعل يفت العظم ويذريه فى الريح، ويقول: يا محمد، من يحيى هذا؟ قال النبى ﷺ: يحيى الله هذا، ثم يميتك، ثم يبعثك فى الآخرة ويدخلك النار»، فأنزل الله، تعالى يعظه ليعتبر فى خلق الله فيوحده، أو لم يروا أن الله، أو لم يعلموا أن الله الذى خلق السموات والأرض، لأنهم مقرون أن الله الذى خلقهما وحده.

﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فى الآخرة، وهما أشد خلقا من خلق الإنسان بعد أن يموت و لم يعى بخلقهن إذ خلقهن، يعنى عن بعث الموتى نظيرها فى يس، ثم قال لنبيه، ﷺ ﴿بَلَىٰٓ﴾ يبعثهم ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من البعث وغيره ﴿قَدِيرٌ﴾[1] [آية: ٣٣] فلما كفر أهل مكة بالعذاب أخبرهم الله بمنزلتهم فى الآخرة،

---

[1] قال الفراء: وقوله: ﴿**أوَ لَم يَرَوْا أنّ الله الذى خَلق السَموات وَالأرضَ وَلم يعىَ بخلقهن** =

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

فقال: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ يعنى إذا كشف الغطاء عنها لهم فنظروا إليها.

فقال الله لهم: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ (١) العذاب الذى ترون ﴿بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ أنه الحق.

﴿قَالَ﴾ الله، تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آية: ٣٤] بالعذاب بأنه غير كائن.

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ يا محمد على الأذى والتكذيب يعزى نبيه ﷺ ليصبر ﴿كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ﴾ يعنى أولو الصبر ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ يعنى إبراهيم، وأيواب، وإسحاق، ويعقوب، ونوح، عليهم السلام.

نزلت هذه الآية يوم أحد فأمره أن يصبر على ما أصابه ولا يدعو على قومه مثل قوله: ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزمًا**﴾ [طه: ١١٥]، ثم ذكر له صبر الأنبياء وأولى العزم من قبله من الرسل على البلاء منهم إبراهيم، خليل الرحمن عليه السلام، حين ألقى فى النار، ونوح، عليه السلام على تكذيب قومه وكان يضرب حتى

= **بقادر**﴾ دخلت الباء للم، والعرب تدخلها مع الجحود إذا كانت رافعة لما قبلها، ويدخلونها إذا وقع عليها فعل يحتاج إلى اسمين مثل قولك: ما أظنك بقائم وما كنت بقائم، فإذا خلفت الباء نصبت الذى كانت فيه بما يعمل فيه من الفعل، ولو ألقيت الباء من قادر فى هذا الموضع رفعه لأنه خبر لأن. قال. وأنشدنى بعضهم:

فما رَجعت بخائبةٍ رِكابٌ ... حكيمُ بنُ المسيِّب مُنْهاها

فأدخل الباء فى فعل لو ألقيتَ منه نصب بالفعل لا بالباء يقاس على هذا وما أشبهه. وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأ: «يَقدِر» مكان «بقادر»: كما قرأ حمزة: «وَما أنتَ تهدى العمى». وقراءة العوام: «بهادى العمى».

(١) قال الفراء: فيه قول مضمر، يقال: أليس هذا بالحق بلاغٌ، أى: هذا بلاغ رفع بالاستئناف.

يغشى عليه، فإذا أفاق، قال: اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون شيئًا، وإسحاق فى أمر الذبح، ويعقوب فى ذهاب بصره من حزنه على يوسف حين ألقى فى الجب والسجن، وأيوب، عليه السلام، فى صبره على البلاء.

ويونس بن متى، عليه السلام، فى بطن الحوت، وغيرهم صبروا على البلاء، ومنهم اثنا عشر نبيا ببيت المقدس، فأوحى الله تعالى إليهم أنى منتقم من بنى إسرائيل بما صنعوا بيحيى بن زكريا فإن شئتم ان تختاروا أن أنزل بكم النقمة وأنجى بقية بنى إسرائيل وإن كرهتم أنزلت النقمة والعقوبة بهم وأنجيتكم فاستقام رأيهم على أن ينزل بهم العقوبة، وهو اثنا عشر وينجى قومهم فدعوا ربهم أن ينزل بهم العقوبة وينجى بنى إسرائيل فسلط عليهم ملوك أهل الأرض فأهلكوهم فمنهم من نشر بالمنشار، ومنهم من سلخ رأسه ووجهه، ومنهم من رفع على الخشب، ومنهم من أحرق بالنار، ومنهم من شدخ رأسه وأمر نبيه ﷺ أن يصبر كما صبر هؤلاء فإنه قد نزل بهم ما لم ينزل بك.

ثم قال: ﴿وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ وذلك أن كفار مكة، حين أخبرهم النبى ﷺ بالعذاب سألوه متى هذا الوعد الذى تعدنا يقول الله تعالى، لنبيه ﷺ: ولا تستعجل لهم بالعذاب ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ﴾ فى الدنيا و لم يروها ﴿إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ﴾ يوم واحد من أيام الدنيا ﴿بَلَٰغٞۚ﴾ يعنى تبليغ فيها يقول هذا الأمر بلاغ لهم فيها ﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ﴾ بالعذاب ﴿إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٣٥] يعنى العاصون لله، عز وجل، فيما أمرهم من أمره ونهيه ويقال هذا الأمر هو بلاغ لهم بل ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم، يعنى وجيع لقولهم لهود: ﴿**فائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين**﴾ [الأعراف: ٧٠].

قوله: ﴿**الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين**﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩]، يعنى صلاتك مع المصلين فى جماعة، الذى استخرجك من أصلاب الرجال وأرحام النساء وأخرجك من صلب عبد الله طيبًا.

* * *

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

مدنية، عددها ثمان وثلاثون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله، يعنى كفار مكة ﴿وَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يقول: منعوا الناس عن دين الله الإسلام ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [آية: ١] يقول: أبطل الله أعمالهم، يعنى نفقتهم فى غزوة بدر ومسيرهم ومكرهم أبطل الله ذلك كله فى الآخرة، أبطال أعمالهم التى عملوا فى الدنيا لأنها كانت فى غير إيمان نزلت فى اثنى عشر رجلاً من قريش، وهم المطعمون من كفار مكة فى مسيرهم إلى قتال النبى ﷺ ببدر منهم أبو جهل والحارث ابنا هشام، وشيبة وعتيبة ابنا ربيعة، وأمية وأبى ابنا خلف، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، وأبو البحترى بن هشام، وربيعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، والحارث بن عامر بن نوفل.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾

ثم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعنى صدقوا بتوحيد الله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الصالحة ﴿وَءَامَنُواْ﴾ يعنى وصدقوا ﴿بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ ﷺ من القرآن ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ يعنى القرآن ﴿مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ﴾ يقول: محا عنهم ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ يعنى ذنوبهم الشرك وغيرها بتصديقهم ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [آية: ٢] يقول: أصلح بالتوحيد حالهم فى سعة الرزق، نزلت بنى هاشم وبنى عبد المطلب.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾

ثم رجع إلى الاثنى عشر المطعمين يوم بدر فيها تقديم ﴿ذَٰلِكَ﴾ يقول: هذا الإبطال كان ﴿بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ﴾ يعنى عبادة الشيطان.

ثم قال: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعنى صدقوا بتوحيد الله ﴿ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يعنى به القرآن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يقول: هكذا ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [آية: ٣] حين أضل أعمال الكفار، وكفر سيئات المؤمنين، ثم علم المؤمنين كيف يصنعون بالكفار؟

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾

فقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من مشركى العرب بتوحيد الله تعالى ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ يعنى الأعناق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ يعنى قهرتموهم بالسيف وظهرتم عليهم ﴿فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ يعنى الأسر ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ﴾ يعنى عتقًا بعد الأسر فيمن عليهم ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ يقول: فيفتدى نفسه بما له ليقوى به المسلمون على المشركين، ثم نسختها آية السيف فى براءة، وهى قوله: ﴿**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾ [التوبة: ٥]، يعنى مشركى العرب خاصة.

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ يعنى ترك الشرك، حتى لا يكون فى العرب مشرك، وأمر ألا يقبل منهم إلا الإسلام، ثم استأنف، فقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يقول هذا أمر الله فى المن والفداء. حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى الهذيل، قال: قال مقاتل: إذا أسلمت العرب وضعت الحرب أوزارها، وقال فى سورة الصف: ﴿**فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين**﴾ [الصف: ١٤] بمحمد # حين أسلمت العرب.

فقال: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ يقول: لانتقم منهم ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ﴾ يعنى يبتلى بقتال الكفار ﴿بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى قتلى بدر ﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [آية: ٤] يعنى لن يبطل أعمالهم الحسنة

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ إلى الهدى، يعنى التوحيد فى القبر ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [آية: ٥] يعنى حالهم فى الآخرة.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾

﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [آية: ٦] يعنى عرفوا منازلهم فى الجنة، كما عرفوا

منازلهم فى الآخرة، يذهب كل رجل إلى منزله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ ﴾ يقول: إن تعينوا الله ورسوله حتى يوحد ﴿ يَنصُرْكُمْ ﴾ يقول: يعينكم ﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [آية: ٧] للنصر فلا تزول عند الثبات.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ ﴾ يعنى فنكسًا لهم وخيبة، يقال: وقحا لهم عند الهزيمة ﴿ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [آية: ٨]، يعنى أبطلها

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الإبطال ﴿ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ ﴾ الإيمان بـ ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ من القرآن على النبى ﷺ يعنى الكفار الذين قتلوا من أهل مكة ﴿ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [آية: ٩] لأنها لم تكن فى إيمان، ثم عرف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية ليعتبروا.

﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾

فقال: ﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من كفار الأمم الخالية عاد وثمود وقوم لوط ﴿ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ بألوان العذاب، ثم قال: ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ ﴾ من هذه الأمة ﴿ أَمْثَٰلُهَا ﴾ [آية: ١٠] يقول: مثل عذاب الأمم الخالية.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ يقول: هذا النصر ببدر فى القديم إنما كان بأن الله ﴿ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يقول: ولى الذين صدقوا بتوحيد الله عز وجل حين نصرهم ﴿ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [آية: ١١] يقول: لا ولى لهم فى النصر، ثم ذكر مستقر المؤمنين والكافرين فى الآخرة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾

فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ يعنى البساتين تجرى من تحتها الأنهار ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ﴾ لا يلتفتون إلى الآخرة ﴿كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ يقول: ليس لهم هم إلا الأكل والشرب فى الدنيا، ثم قال: ﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [آية: ١٢] يقول: هى مأواهم، ثم خوفهم ليحذروا.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾﴾

فقال: ﴿وَكَأَيِّن﴾ يقول: وكم ﴿مِّن قَرۡيَةٍ﴾ قد مضت فيما خلا كانت ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ﴾ يعنى أشد بطشًا وأكثر عددًا ﴿مِّن قَرۡيَتِكَ﴾ يعنى مكة ﴿ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ يعنى أهل مكة حين أخرجوا النبى ﷺ، ثم رجع إلى الأمم الخالية فى التقديم.

فقال: ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ بالعذاب حين كذبوا رسلهم ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ﴾ [آية: ١٣] يقول: فلم يكن لهم مانع يمنعهم من العذاب الذى نزل بهم.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾

قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعنى على بيان من ربه وهو النبى ﷺ ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ الكفر ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم﴾ [آية: ١٤] نزلت فى نفر من قريش، فى أبى جهل بن هشام، وأبى حذيفة بن المغيرة المخزوميين، فليسا بسواء، لأن النبى ﷺ مصيرة إلى الجنة، وأبو حذيفة، وأبو جهل مخلدان فى النار.

﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾﴾

ثم قال: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾ الشرك، يقول: شبة الجنة فى الفضل، والخير كشبة النار فى الشدة وألوان العذاب، ثم ذكر ما أعد لأهل الجنة من الشراب، وما أعد لأهل النار فى الشدة وألوان العذاب، ثم ذكر ما أعد لأهل الجنة من الشراب، وما أعد لأهل النار من الشراب.

فقال: ﴿فِيهَآ﴾ يعنى فى الجنة ﴿أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ يقول: لا يتغير كما يتغير ماء أهل الدنيا فينتن ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾ كما يتغير لبن أهل الدنيا عن حاله

الأولى فيمخض ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ لا يصدون عنها، ولا يسكرون كخمر الدنيا تجرى لذة للشاربين ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ ليس فيها عكر، ولا كدر كعسل أهل الدنيا، فهذه الأنهار الأربعة تفجر من الكوثر إلى سائر أهل الجنة.

قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ فهذا للمتقين الشرك فى الآخرة، ثم ذكر مستقر الكفار، فقال: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ يعنى أبا جهل بن هشام، وأبا حذيفة المخزوميين وأصحابهما فى النار ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾ يعنى شديد الحر الذى قد انتهى حره تستعر عليهم جنهم، فهى تغلى منذ خلقت السماوات والأرض ﴿فَقَطَّعَ﴾ الماء ﴿أَمْعَآءَهُمْ﴾ [آية: ١٥] فى الخوف من شدة الحر.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَمِنْهُم﴾ يعنى من المنافقين ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعنى إلى حديثك بالقرآن يا محمد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ﴾ منهم رفاعة بن زيد، والحارث بن عمرو، وحليف بنى زهرة، وذلك أن النبى ﷺ خطب يوم الجمعة، فعاب المنافقين وكانوا فى المسجد فكظموا عند النبى ﷺ فلما خرجوا، يعنى المنافقين، من الجمعة.

﴿قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وهو الهدى، يعنى القرآن، يعنى عبد الله بن مسعود الهذلى ﴿مَاذَا قَالَ﴾ محمد ﴿ءَانِفًا﴾ وقد سمعوا قول النبى ﷺ فلم يفقهوه، يقول الله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ يعنى ختم الله على قلوبهم بالكفر فلا يعقلون الإيمان ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [آية: ١٦] فى الكفر، ثم ذكر المؤمنين.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾

فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ من الضلالة ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ بالمحكم الذى نسخ الأمر الأول ﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [آية: ١٧] يقول: وبين لهم التقوى، يعنى عملاً بالمحكم حتى علموا بالمحكم.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾

ثم خوف أهل مكة، فقال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ يعنى القيامة ﴿أَن تَأْتِيَهُم

بَغۡتَةٗۖ ﴾ يعنى فجأة ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾ يعنى أعلامها، يعنى انشقاق القمر وخروج الدجال وخروج النبى ﷺ فقد عاينوا هذا كله، يقول: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ﴾ [آية: ١٨] فيها تقديم يقول: من أين لهم التذكرة والتوبة عند الساعة إذا جاءتهم وقد فرطوا فيها؟

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَ﴾ لذنوب المؤمنين والمؤمنات، يعنى المصدقين بتوحيد الله والمصدقات ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾ يعنى منتشركم بالنهار ﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [آية: ١٩] يعنى مأواكم بالليل.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعنى صدقوا بالقرآن ﴿لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ﴾ وذلك أن المؤمنين اشتاقوا إلى الوحى، فقالوا: هلا نزلت سورة؟ يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ﴾ يعنى بالمحكمة ما فيها من الحلال والحرام ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ﴾ وطاعة الله والنبى ﷺ، وقول معروف حسن فرج بها المؤمنون، فيها تقديم.

ثم ذكر المنافقين، فذلك قوله: ﴿رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ يعنى الشك فى القرآن منهم عبد الله بن أُبى، ورفاعة بن زيد، والحارث بن عمرو ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ غما وكراهية لنزول القرآن يقول الله تعالى: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [آية: ٢٠] فهذا وعيد.

﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴿٢١﴾﴾

﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ يعنى جد الأمر عند دقائق الأمور ﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ﴾ فى النبى ﷺ وما جاء به ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾ [آية: ٢١] من الشرك.

﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ يعنى منافقى اليهود ﴿إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالمعاصى

﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [آية: ٢٢] قال: وكان بينهم وبين الأنصار قرابة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ﴾ فلم يسمعوا الهدى ﴿وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [آية: ٢٣] فلا يبصروا الهدى.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ يقول: أفلا يسمعون القرآن ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [آية: ٢٤] يعنى الطبع على القلوب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥﴾

ثم ذكر اليهود، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ﴾ عن إيمان بمحمد ﷺ بعد المعرفة ﴿عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾ يعنى أعقابهم كفارًا ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾ يعنى أمر النبى ﷺ يبين لهم فى التوراة أنه نبى ورسول ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾ يعنى زين لهم ترك الهدى، يعنى إيمانًا بمحمد ﷺ ﴿وَأَمۡلَىٰ﴾ الله ﴿لَهُمۡ﴾ [آية: ٢٥].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ٢٦﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ فيها تقديم وأمهل الله لهم حين قالوا: ليس محمد بنبى، فلم يعجل عليهم، ثم انتقم منهم حين قتل أهل قريظة، وأجل أهل النضير، يقول ذلك الذى أصابهم من القتل والجلاء ﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ﴾ يعنى تركوا الإيمان، يعنى المنافقين ﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن ﴿سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ قالت اليهود للمنافقين فى تكذيب محمد ﷺ، وهو بعض الأمر، قالوا ذلك سرًا فيما بينهم، فذلك قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ﴾ [آية: ٢٦] يعنى اليهود والمنافقين.

﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ٢٧﴾

ثم خوفهم، فقال: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعنى ملك الموت وحده ﴿يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ [آية: ٢٧] عند الموت.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٢٨﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الضرب الذى أصابهم عند الموت ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾ من الكفر بالنبى محمد ﷺ ﴿وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ يقول: وتركوا رضوان الله فى إيمان بمحمد ﷺ ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [آية: ٢٨] التى عملوها فى غير إيمان، ثم رجع إلى عبد الله بن أبى، ورفاعة بن زيد، والحارث بن عمرو.

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ٢٩﴾

فقال: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعنى الشك بالقرآن، وهم المنافقون ﴿أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾ [آية: ٢٩] يعنى أن لن يظهر الله الغش الذى فى قلوبهم للمؤمنين.

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِى لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٠﴾

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ﴾ يعنى لأعلمناكم، كقوله: ﴿**بما أراك الله**﴾ [النساء: ١٠٥]، يعنى بما أعلمك الله ﴿فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾ يعنى بعلامتهم الخبيثة ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِى لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ يعنى فى كذبهم عند النبى ﷺ، فلم يخف على النبى ﷺ منافق بعد هذه الآية.

ثم رجع إلى المؤمنين أهل التوحيد، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [آية: ٣٠] من الخير والشر.

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١﴾

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ بالقتال، يعنى لنبتلينكم، معشر المسلمين بالقتال ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ﴾ يعنى كى نرى من يجاهد منكم ﴿وَ﴾ من يصبر من ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على أمر الله ﴿وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [آية: ٣١] يعنى ونختبر أعمالكم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـًٔا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢﴾

ثم استأنف ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعنى اليهود ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى عن دين

الله الإسلام ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾ يعني وعادوا نبي الله ﷺ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ في التوراة ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾ بأنه نبي رسول، يعني بالهدى أمر محمد ﷺ، فـ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ﴾ يقول: فلن ينقصوا الله من ملكه وقدرته ﴿شَيۡـٔٗا﴾ حين شاقوا الرسول ﷺ وصدوا الناس عن الإسلام إنما يضرون أنفسهم ﴿وَسَيُحۡبِطُ﴾ في الآخرة ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [آية: ٣٢] التي عملوها في الدنيا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ وذلك أن أناسًا من أعراب بني أسد بن خزيمة قدموا على النبي ﷺ بالمدينة، فقالوا للنبي ﷺ: أتيناك بأهلينا طائعين عفوًا بغير قتال وتركنا الأموال والعشائر، وكل قبيلة في العرب قاتلوك حتى أسلموا كرهًا، فلنا عليك حق، فاعرف ذلك لنا، فأنزل الله تعالى في الحجرات: ﴿**يمنون عليك أن أسلموا**﴾ إلى آيتين [الحجرات: ١٧، ١٨]. وأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ . ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [**٣٣**] بالمن ولكن أخلصوها لله تعالى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ٣٤﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿وَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني عن دين الإسلام ﴿ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [آية: ٣٤] وذلك أن المسلم كان يقتل ذا رحمه على الإسلام، فقالوا: يا رسول الله، أين آباؤنا وإخواننا الذين قاتلوا فقتلوا؟ فقال النبي ﷺ: «هم في النار»، فقال رجل من القوم: أين ولده وهو عدي بن حاتم؟ فقال النبي ﷺ: «في النار»، فولى الرجل وله بكاء فدعاه النبي ﷺ فقال: «ما لك»؟ فقال: يا نبي الله، أجدني أرحمه وأرثي له، فقال النبي ﷺ: «فإن والدي ووالد إبراهيم وولدك في النار، فليكن لك أسوة فيّ، وفي إبراهيم خليله»، فذهب بعض وجده. فقال: يا نبي الله، وأين المحاسن التي كان يعملها؟ قال: «يخفف الله عنه بها من العذاب، فأنزل الله فيهم»، «إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم»[1].

---

[1] نص الآية: ﴿**إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر لهم**﴾ [محمد: ٣٤].

﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾

ثم قال: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ يقول: فلا تضعفوا ﴿وَتَدْعُوٓا۟﴾ يعنى نبدؤهم بالدعاء ﴿إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ يقول: فلا تضعفوا وتدعوا العرب إلى الصلح والموادعة ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ يقول: وأنتم الغالبون عليهم، وكان هذا يوم أحد يقول: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ فى النصر يا معشر المؤمنين لكم ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ يقول: ولن يبطلكم ﴿أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [آية: ٣٥] الحسنة.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ يقول: وإن تصدقوا بالله وحده لا شريك له، وتتقوا معاصى الله ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ فى الآخرة يعنى جزاءكم فى الآخرة أعمالكم ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ [آية: ٣٦].

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾

ثم نزلت بعد ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾ يعنى الأموال فنسخت هذه الآية، ولا يسألكم أموالكم، ثم قال: ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ ذلك يعنى كثرة المسألة ﴿تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ [آية: ٣٧] يعنى ما فى قلوبكم من الحب للمال والغش والغل، ولكنه فرض عليكم يسيرًا.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

ثم قال: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ معشر المؤمنين ﴿تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟﴾ أموالكم ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى فى طاعة الله ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ بالنفقة فى سبيل الله ﴿وَمَن يَبْخَلْ﴾ بالنفقة ﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ﴾ بالخير والفضل ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ فى الآخرة لأنه لو أنفق فى حق الله أعطاه الله الجنة فى الآخرة ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ عما عندكم من الأموال ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ إلى ما عنده من الخير والرحمة والبركة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ يقول: تعرضوا عما افترضت عليكم من حقى ﴿يَسْتَبْدِلْ﴾ بكم ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يعنى أمثل منكم وأطوع لله منكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [آية: ٣٨] فى المعاصى بل يكونوا خيرًا منكم وأطوع.

قوله: «**إن تنصروا الله**» حتى يوحد «**ينصركم**» على عدوكم «**ويثبت أقدامكم**» فلا تزول عند اللقاء عن التوحيد.

قال: وقال النبى ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»، فما ترك التوحيد قوم إلا سقطوا من عين الله، وسلط الله عليهم السبى، «**وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم**» يعنى الأنصار.

* * *

سُورَةُ الفَتْحِ

مدنية عددها تسع وعشرون آية كوفى.

إِنَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ يوم الحديبية ﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [آية: ١] وذلك أن الله تعالى أنزل بمكة على نبيه ﷺ: ﴿**وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم**﴾ [الأحقاف: ٩]، ففرح كفار مكة بذلك، وقالوا: واللات والعزى وما أمره وأمرنا عند إله الذى يعبده إلا واحد ولولا أنه ابتدع هذا الأمر من تلقاء نفسه لكان ربه الذى بعثه يخبره بما يفعل به، وبمن اتبعه كما فعل بسليمان بن داود، وبعيسى ابن مريم والحواريين، وكيف أخبرهم بمصيرهم؟ فأما محمد فلا علم له بما يفعل به، ولا بنا إن هذا لهو الضلال، فشق على المسلمين نزول هذه الآية، فقال أبو بكر، وعمر، رضى الله عنهما، للنبى ﷺ: ألا تخبرنا ما الله فاعل بك؟ فقال: «ما أحدث الله إلى أمر بعد»، فلما قدم المدينة، قال عبد الله بن أُبى رأس المنافقين: كيف تتبعون رجلاً لا يدرى ما يفعل الله به، ولا بمن تبعه؟ وضحكوا من المؤمنين، وعلم الله ما فى قلوب المؤمنين من الحزن، وعلم فرح المشركين من أهل مكة، وفرح المنافقين من أهل المدينة، فأنزل الله تعالى بالمدينة بعدما رجع النبى ﷺ من الحديبية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ يعنى قضينا لك ﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾ يعنى قضاء بينًا، يعنى الإسلام.

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾

﴿لِّيَغْفِرَ﴾ يعنى لكى يغفر ﴿لَكَ اللَّهُ﴾ الإسلام ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾ يعنى ما كان فى الجاهلية ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ يعنى وبعد النبوة ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [آية: ٢] يعنى دينًا مستقيمًا.

﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾

﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ﴾ يقول: ولكى ينصرك الله بالإسلام على عدوك ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [آية: ٣] يعنى منيعًا فلا تذل الذى قضى الله له: المغفرة والغنيمة والإسلام والنصر فنسخت

هذه الآية، قوله: ﴿وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم﴾ [الأحقاف: ٩] فأخبر الله تعالى نبيه ﷺ بما يفعل به، فنزلت هذه الآية على النبى ﷺ، فلما سمع عبد الله بن أبى رأس المنافقين بنزول هذه الآية على النبى ﷺ، وأن الله قد غفر له ذنبه، وأنه يفتح له على عدوه، ويهديه صراطًا مستقيمًا، وينصره نصرًا عزيزًا، قال لأصحابه: يزعم محمد أن الله قد غفر له ذنبه، وينصره على عدوه، هيهات هيهات لقد بقى له من العدو أكثر وأكثر فأين فارس والروم، وهم أكثر عدوًا وأشد بأسًا وأعز عزيزًا؟ ولن يظهر عليهم محمد، أيظن محمد أنهم مثل هذه العصابة التى قد نزل بين أظهرهم، وقد غلبهم بكذبه وأباطيله، وقد جعل لنفسه مخرجًا، ولا علم له بما يفعل به، ولا بمن تبعه، إن هذا لهو الخلاف المبين.

فخرج النبى ﷺ على أصحابه، فقال: «لقد نزلت علىّ آية هى أحب إلىّ مما بين السماء والأرض»، فقرأ عليهم: ﴿إن فتحنًا لك فتحًا مبينًا ليغفر الله لك﴾ إلى آخر الآية، فقال أصحابه: هنيئًا مريئًا، يا رسول الله، قد علمنا الآن ما لك عند الله، وما يفعل بك، فما لنا عند الله، وما يفعل بنا، فنزلت فى سورة الأحزاب: ﴿وبشر المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ [الأحزاب: ٤٧].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعنى الطمأنينة ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟﴾ يعنى لكى يزدادوا ﴿إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ﴾ يعنى تصديقًا مع تصديقهم الذى أمرهم الله به فى كتابه فيقروا أن يكتبوا باسمك اللهم، ويقروا بأن يكتبوا هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، وذلك أنه لما نزل النبى ﷺ بالحديبية بعثت قريش منهم سهيل بن عمرو القرشى، وحويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص بن الأحنف على أن يعرضوا على النبى ﷺ أن يرجع من عامه ذلك، على أن تخلى قريش له مكة من العام المقبل ثلاثة أيام، ففعل ذلك النبى ﷺ وكتبوا بينهم وبينه كتابًا، فقال النبى ﷺ لعلى بن أبى طالب، عليه السلام: «اكتب بيننا كتابًا: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل بن عمرو وأصحابه: ما نعرف هذا، ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم. فهم أصحاب النبى ﷺ ألا يقروا بذلك، فقال النبى ﷺ لعلى، عليه السلام: «اكتب ما يقولون»، فكتب باسمك اللهم.

ثم قال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة»، فقال سهيل بن عمرو وأصحابه: لقد ظلمناك إن علمنا أنك رسول الله، ونمنعك ونردك عن بيته، ولا نكتب هذا، ولكن اكتب الذى نعرف: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة. فقال النبى ﷺ: «يا على، اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، وأنا أشهد أنى رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله»، فهم المسلمون ألا يقروا أن يكتبوا هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، فأنزل الله السكينة، يعنى الطمأنينة عليهم. فذلك قوله: ﴿**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾، أن يقروا لقريش حتى يكتبوا باسمك اللهم، إلى آخر القصة، وأنزل فى قول أهل مكة لا نعرف أنك رسول الله ولو علمنا ذلك لقد ظلمنك حين نمنعك عن بيته ﴿**وكفى بالله شهيدًا**﴾ [الفتح: ٢٨] أن محمدًا رسول الله، فلا شاهد أفضل منه.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [آية: ٤] عليمًا بخلقه، حكيمًا فى أمره.

﴿**لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴿٥﴾﴾

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يعنى لكى يدخل المؤمنين والمؤمنات بالإسلام ﴿**جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ**﴾ من تحت البساتين ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون ﴿وَ﴾ لكى ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ يعنى يمحو عنهم ذنوبهم ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الخير ﴿**عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ [آية: ٥] فأخبر الله تعالى نبيه بما يفعل بالمؤمنين، فانطلق عبد الله بن أبى رأس المنافقين فى نفر معه إلى النبى ﷺ، فقالوا: ما لنا عند الله؟ فنزلت ﴿**بشر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا**﴾ يعنى وجيعًا.

﴿**وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا** ﴿٦﴾﴾

﴿وَيُعَذِّبَ﴾ يعنى ولكى يعذب ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾ من أهل المدينة عبد الله بن أبى، وأصحابه ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ يعنى من أهل مكة ﴿**ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ**﴾ وكان ظنهم حين قالوا: واللات والعزى ما نحن وهو عند الله إلا بمنزلة واحدة،

وأن محمدًا لا ينصر فبئس ما ظنوا.

يقول الله: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [آية: ٦] يعني: وبئس المصير، وأنزل الله تعالى في قول عبد الله بن أبي حين قال: فأين أهل فارس والروم؟

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعني الملائكة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني المؤمنين، فهؤلاء أكثر من فارس والروم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ [آية: ٧] في أمره، فحكم النصر للنبي ﷺ وأنزل في قول عبد الله بن أبي ﴿**كتب الله لأغلبن أنا ورسلي**﴾ أي محمد ﷺ وحده ﴿**إن الله قوي عزيز**﴾ [المجادلة: ٢١] يقول: أقوى وأعز من أهل فارس والروم لقول عبد الله بن أبي هم أشد بأسًا وأعز عزيزًا.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾﴾

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد إلى هذه الأمة ﴿شَٰهِدًا﴾ عليها بالرسالة ﴿وَ﴾ أرسلناك ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة ﴿وَنَذِيرًا﴾ [٨] من النار.

﴿لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾

﴿لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ﴾ يعني لتصدقوا بالله أنه واحد لا شريك له ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ محمدًا ﷺ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ يعني تنصروه وتعاونوه على أمره كله ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعني وتعظموا النبي ﷺ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [آية: ٩] يعني وتصلوا لله بالغداة والعشي، وتعزروه مثل قوله في الأعراف: ﴿**الذين آمنوا به وعزروه**﴾. ولما قال المسلمون للنبي ﷺ: «إنا نخشى ألا يفي المشركون بشرطهم فعند ذلك تبايعوا على أن يقاتلوا، ولا يفروا يقول: الله رضي عنهم إبيعتهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ يوم الحديبية تحت الشجرة في الحرم، وهي بيعة الرضوان، كان المسلمون يومئذ ألفًا وأربع مائة رجل، فبايعوا النبي ﷺ على أن يقاتلوا ولا يفروا من العدو، فقال: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ﴾ بالوفاء لهم بما وعدهم من الخير ﴿فَوْقَ

﴿أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ حين قالوا للنبى ﷺ إنا نبايعك على ألا نفر ونقاتل فاعرف لنا ذلك ﴿فَمَن نَّكَثَ﴾ بالبيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ﴾ من البيعة ﴿فَسَيُؤۡتِيهِ﴾ فى الآخرة ﴿أَجۡرًا﴾ يعنى جزاء ﴿عَظِيمٗا﴾ [آية: ١٠] يعنى فى الجنة نصيبًا وافرًا.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا (١١)﴾

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ مخافة القتال وهم مزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع ﴿شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا﴾ فى التخلف وكانت منازلهم بين مكة والمدينة ﴿فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم﴾ يعنى يتكلمون بألسنتهم ﴿مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ من أمر الاستغفار لا يبالون استغفر لهم النبى ﷺ أم لا ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد: ﴿فَمَن يَمۡلِكُ﴾ يعنى فمن يقدر ﴿لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ نظيرها فى الأحزاب ﴿إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا﴾ يعنى الهزيمة ﴿أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ﴾ يعنى الفتح والنصر، يعنى حين يقول: فمن يملك دفع الضر عنكم، أو منع النفع غير الله، بل الله يملك ذلك كله.

ثم استأنف ﴿بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا﴾ [آية: ١١] فى تخلفكم وقولكم إن محمدًا ﷺ وأصحابه كلفوا شيئًا لا يطيقونه، ولا يرجعون أبدًا، وذلك أن النبى ﷺ مر بهم فاستنفرهم، فقال بعضهم لبعض: إن محمدًا ﷺ ،اصحابه أكلة رأس لأهل مكة لا يرجع هو وأصحابه أبدًا فأين تذهبون؟ أتقتلون أنفسكم؟ انتظروا حتى تنظروا ما يكون من أمره، فأنزل الله عز وجل لقولهم له قالوا: ﴿**شغلتنا أموالنا وأهلونا**﴾:

﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا (١٢)﴾

﴿بَلۡ﴾ منعكم من السير أنكم ﴿ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ﴾ يقول: أن لن يرجع الرسول ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ من الحديبية ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ فبئس ما ظنوا ظن السوء حين زين لهم فى قلوبهم وأيأسهم أن محمدًا وأصحابه لا يرجعون أبدًا.

نظيرها فى الأحزاب: ﴿**وتظنون بالله الظنون**﴾ [الأحزاب: ١٠]، يعنى الإياسة من

النصير، فقال الله تعالى ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [آية: ١٢] يعنى هلكى بلغة عمان، مثل قوله: ﴿وأحلوا قومهم دار البوار﴾ [إبراهيم: ٢٨]، أى دار الهلاك، ومثل قوله: ﴿تجارة لن تبور﴾ [فاطر: ٢٩] يعنى لن تهلك.

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٣)﴾

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ يعنى بصدق بتوحيد الله ﴿وَرَسُولِهِ﴾ محمدًا ﷺ ﴿فَإِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ فى الآخرة ﴿لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [آية: ١٣] يعنى وقودًا، فعظم نفسه وأخبر أنه غنى عن عباده.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٤)﴾

فقال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لذنوب المؤمنين ﴿رَّحِيمًا﴾ [آية: ١٤] بهم.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥)﴾

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن الحديبية مخافة القتل ﴿إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ يعنى غنائم خيبر ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ إلى خيبر، وكان الله تعالى وعد نبيه ﷺ بالحديبية أن يفتح عليه خيبر، ونهاه عن أن يسير معه أحد من المتخلفين، فلما رجع النبى ﷺ من الحديبية يريد خيبر، قال المخلفون: ذرونا نتبعكم فنصيب معكم من الغنائم، فقال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ يعنى أن يغيروا كلام الله الذى أمر النبى ﷺ، وهو ألا يسير معه أحد منهم ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ﴾ يعنى هكذا ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ بالحديبية ﴿مِن قَبْلُ﴾ خيبر أن لا تتبعونا ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين إن الله لم ينهكم ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ بل منعكم الحسد أن نصيب معكم الغنائم. ثم قال: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ النهى من الله ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ١٥] منهم.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦)﴾

ثم قال: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ عن الحديبية مخافة القتل ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يعنى أهل اليمامة يعنى بنى حنيفة، مسيلمة بن حبيب الكذاب الحنفى وقومه، دعاهم أبو بكر، رضى الله عنه، إلى قتال أهل اليمامة، يعنى هؤلاء الأحياء الخمسة جهينة، ومزينة، وأشجع، وغفار، وأسلم ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟﴾ أبا بكر إذا دعاكم إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ فى الآخرة، يعنى جزاء كريمًا فى الجنة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ يعنى تعرضوا عن قتال أهل اليمامة ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم﴾ يعنى كما أعرضتم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ عن قتال الكفار يوم الحديبية ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ الله فى الآخرة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ١٦] يعنى وجيعًا.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، قال: قال مقاتل: خلافة أبى بكر، رضى الله عنه، فى هذه الآية مؤكدة.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

ثم عذر أهل الزمانة، فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ فى تخلفهم عن الحديبية، يقول: من تخلف عن الحديبية من هؤلاء المعذورين، فمن شاء منهم أن يسير معكم فليسر ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فى الغزو ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يعنى يعرض عن طاعتهما فى التخلف من غير عذر ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ١٧] يعنى وجيعًا.

﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾

﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ بالحديبية يقول: رضى ببيعتهم إياك ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الكراهية للبيعة على أن يقاتلوا ولا يفروا فى أمر البيعة ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ﴾ يعنى وأعطاهم ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [آية: ١٨] يعنى مغانم خيبر.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ يعنى منيعًا ﴿حَكِيمًا﴾ [آية: ١٩] فى أمره فحكم على أهل خيبر القتل والسبى.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾

ثم قال: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ مع النبى ﷺ ومن بعده إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ يعنى غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ يعنى حلفاء أهل خيبر أسد، وغطفان جاءوا لينصروا أهل خيبر، وذلك أن مالك بن عوف النضرى، وعيينة بن حصن الفزارى، ومن معهما من أسد وغطفان جاءوا لينصروا أهل خيبر، فقذف الله فى قلوبهم الرعب، فانصرفوا عنهم، فذلك قوله: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ يعنى أسد وغطفان.

﴿وَلِتَكُونَ﴾ يعنى ولكى تكون هزيمتهم من غير قتال ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [آية: ٢٠] يعنى تزدادون بالإسلام تصديقًا مما ترون من عدة الله فى القرآن من الفتح والغنيمة كما قال نظيرها فى المدثر: ﴿**ويزداد الذين آمنوا إيمانًا**﴾ [المدثر: ٣١]، يعنى تصديقًا بمحمد ﷺ، وبما جاء به فى خزنة جهنم.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾﴾

قوله: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ يعنى قوى فارس والروم وغيرها ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ﴾ علمه ﴿بِهَا ۚ﴾ أن يفتحها على يدى المؤمنين ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من القرى ﴿قَدِيرًا﴾ [آية: ٢١] على فتحها.

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾﴾

قال: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [آية: ٢٢] يعنى ولا مانعًا يمنعهم من الهزيمة.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

يقول كذلك كان ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ﴾ كفار مكة حين هزموا ببدر فهؤلاء بمنزلتهم ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [آية: ٢٣] يعنى تحويلاً.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ يعنى كفار مكة يوم الحديبية ﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ يوم الحديبية، يعنى ببطن أرض مكة كلها والحرم كله مكة ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ وقد كانوا خرجوا يقاتلون النبى ﷺ فهزمهم النبى ﷺ بالطعن والنبل حتى أدخلهم بيوت مكة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [آية: ٢٤].

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

ثم قال: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعنى كفار مكة ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أن تطوفوا به ﴿وَ﴾ صدوا ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ فى عمرتكم يوم الحديبية ﴿مَعْكُوفًا﴾ يعنى محبوسًا، وكان النبى ﷺ أهدى عام الحديبية فى عمرته مائة بدنة، ويقال: ستين بدنة، فمنعوه ﴿أَن يَبْلُغَ﴾ الهدى ﴿مَحِلَّهُۥ﴾ يعنى منحره.

ثم قال: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ أنهم مؤمنون ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ بالقتل بغير علم تعلمونه منهم ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعنى فينالكم من قتلهم عنت فيها تقديم، لأدخلكم من عامكم هذا مكة ﴿لِّيُدْخِلَ﴾ لكى يدخل ﴿ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ منهم عياش بن أبى ربيعة، وأبو جندل بن سهيل بن عمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام بن المغيرة، كلهم من قريش، وعبد الله بن أسد الثقفى.

يقول: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ يقول: لو اعتزل المؤمنون الذين بمكة من كفارهم ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾ يعنى كفار مكة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ٢٥] يعنى وجيعًا، وهو القتل بالسيف.

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ وذلك أن النبى ﷺ قدم عام الحديبية فى ذى القعدة معتمرًا، ومعه الهدى،

فقال كفار مكة: قتل آباءنا وإخواننا، ثم أتانا يدخل علينا فى منازلنا ونساءنا، وتقول العرب: إنه دخل على رغم آنافنا، والله لا يدخلها أبدًا علينا، فتلك الحمية التى فى قلوبهم.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ﴾ يعنى أمة محمد ﷺ ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ يعنى كلمة الإخلاص وهى لا إله إلا الله ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا﴾ من كفار مكة ﴿وَ﴾ كانوا ﴿وَأَهْلَهَا﴾ فى علم الله عز وجل ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [آية: ٢٦] بأنهم كانوا أهل التوحيد فى علم الله عز وجل.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾

قوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ وذلك أن الله عز وجل أرى النبى ﷺ فى المنام، وهو بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه وأصحابه حلقوا وقصروا، فأخبر النبى ﷺ بذلك أصحابه ففرحوا واستبشروا وحبسوا أنهم داخلوه فى عامهم ذلك، وقالوا: إن رؤيا النبى ﷺ حق، فردهم الله عز وجل عن دخول المسجد الحرام إلى غنيمة خيبر، فقال المنافقون عبد الله بن أبى، وعبد الله بن رسل، ورفاعة بن التابوه: والله، ما حلقنا ولا قصرنا، ولا رأينا المسجد الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾.

﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ يعنى العام المقبل ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ يستثنى على نفسه مثل قوله: ﴿**سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله**﴾ ويكون ذلك تأديبًا للمؤمنين ألا يتركوا الاستثناء، فى رد المشيئة إلى الله تعالى ﴿ءَامِنِينَ﴾ من العدو ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ من أشعاركم ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ عدوكم ﴿فَعَلِمَ﴾ الله أنه يفتح عليهم خيبر قبل ذلك فعلم ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ فذلك فوله: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ يعنى قبل ذلك الحلق والتقصير ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [**٢٧**] يعنى غنيمة خيبر وفتحها، فلما كان فى العام المقبل بعدما رجع من خيبر أدخله الله هو وأصحابه المسجد الحرام، فأقاموا بمكة ثلاثة أيام فحلقوا وقصروا تصديق رؤيا النبى ﷺ.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمدًا ﷺ ﴿بِٱلۡهُدَىٰ﴾ من الضلالة ﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ يعنى دين الإسلام لأن كل دين باطل غير الإسلام ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ﴾ يعنى على ملة أهل الأديان كلها، ففعل الله ذلك به حتى قتلوا وأقروا بالخراج، وظهر الإسلام على أهل كل دين ﴿**ولو كره المشركون**﴾ [الصف: ٩] يعنى العرب.

ثم قال: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [آية: ٢٨] فلا شاهد أفضل من الله تعالى بأن محمدًا ﷺ رسول الله، فلما كتبوا الكتاب يوم الحديبية، وكان كتبه على بن أبى طالب، عليه السلام، فقال سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى: لا نعرف أنك رسول الله، ولو عرفنا ذلك لقد ظلمناك إذا حين نمنعك عن دخول بيته، فلما أكروا أنه رسول الله، أنزل الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ من الضلال ﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ إلى آخر السورة.

﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِى وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِى ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾

ثم قال تعالى للذين أنكروا أنه رسول الله: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين ﴿أَشِدَّآءُ﴾ يعنى غلظاء ﴿عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ يقول: متوادين بعضهم لبعض ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ يقول: إذا رأيتهم تعرف أنهم أهل ركوع وسجود فى الصلوات ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا﴾ يعنى رزقًا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ يعنى يطلبون رضى ربهم ﴿سِيمَاهُمۡ﴾ يعنى علامتهم ﴿فِى وُجُوهِهِم﴾ الهدى والسمت الحسن ﴿مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ يعنى من أثر الصلاة ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ﴾ يقول: ذلك الذى ذكر من نعت أمة محمد ﷺ فى التوراة.

ثم ذكر نعتهم فى الأنجيل، فقال: ﴿وَمَثَلُهُمۡ فِى ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ يعنى الحلقة وهو النبت الواحد فى أول ما يخرج ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ يعنى فأغانه أصحابه، يعنى الوابلة التى تنبت حول الساق فآزره كما آزر الحلقة والوابلة بعضه بعضًا، فأما شطأه، فهو محمد ﷺ خرج وحده كما خرج النبت وحده، وأما الوابلة التى تنبت حول الشطأه، فاجتمعت فهم المؤمنون كانوا فى قلة كما كان أول الزرع دقيقًا، ثم زاد نبت الزرع

فغلظ فآزره ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ كما آزر المؤمنون بعضهم بعضًا حتى إذا استغلظوا واستووا على أمرهم كما استغلظ هذا الزرع.

﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾ فكما يعجب الزراع حسن زرعه حين استوى قائمًا على سوقه، فكذلك يغيظ الكفار كثرة المؤمنين واجتماعهم. ثم قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعنى صدقوا ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الأعمال ﴿مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [آية: ٢٩] يعنى به الجنة.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: قال الهذيل، عن محمد بن إسحاق: قال: المعرة، الدية، ويقال: الشين.

* * *

سورة الحجرات

مدنية عددها ثمانى عشرة آية كوفى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ نزلت فى ثلاثة نفر، وذلك أن رسول الله ﷺ بعث سرية إلى ناحية أرض تهامة، وكانوا سبعة وعشرين رجلاً منهم عروة بن أسماء السلمى، والحكم بن كيسان المخزومى، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر، وبشير الأنصارى، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصارى من النقباء، وكتب صحيفة ودفعها إلى حرام بن ملحان ليقرأها على العدو، فكان طريقهم على بنى سليم وبينهم وبين النبى ﷺ موادعة.

ودس المنافقون إلى بنى عامر بن صعصعة، وهم حرب على المسلمين، إن أصحاب محمد مغرورون يختلفون من بين ثلاثة وأربعة فأرصدوهم وهم على بئر معونة، وهو ماء لبنى عامر فسار القوم ليلاً، وأضل أربعة منهم بعيرًا لهم منهم بشير الأنصارى، فأقاموا حتى أصبحوا، وسار المسلمون حتى أتوا على بنى عامر، وهم حول الماء، وعليهم عامر بن الطفيل العامرى، فدعاهم المنذر بن عمرو إلى الإسلام، وقرأ عليهم حرام الصحيفة، فأبوا فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فلما عرفوا أنهم مقتولون، قالوا: اللهم، إنك تعلم أن رسولك أرسلنا، وإنا لا نجد من يبلغ عنا رسولك غيرك، فاقرئه منا السلام، فقد رضينا بحسن قضائك لنا.

وحمل عامر بن الطفيل على حرام فطعنه فقتله، وقتل بقيتهم غير المنذر بن عمرو، فإنه كان دارعًا مقنعًا، وعروة بن أسماء السلمى، فقتل المنذر بعد ذلك، فقالوا لعروة: لو شئنا لقتلناك، فأنت آمن فإن شئت فارجع إلينا، وإن شئت فاذهب إلى غيرنا، فأنت آمن، قال عروة: إنى عاهدت رسول الله ﷺ ألا أضع يدى فى يد مشرك ولا أتخذه وليًا، وجعل يحمل عليهم، ويضربونه يعرض رماحهم ويناشدونه، ويأبى عليهم فرموه بالنيل حتى

قتلوه، وأتى جبريل النبى ﷺ، فأخبره بحالهم، فنعاهم النبى ﷺ لأصحابه، وقال: أرسل إخوانكم يقرأونكم السلام فاستغفروا لهم. ووجد الأربعة بعيرهم حين أصبحوا، فساروا فلما دنوا من ماء بنى عامر لقيتهم وليدة لبنى عامر، فقالت: أمن أصحاب محمد أنتم؟ فقالوا: نعم، رجاء أن تسلم، فقالت: إن إخوانكم قد قتلوا حول الماء، النجاء النجاء، ألا ترون إلى النسور والعقبان قد تعلقن بلحومهم.

فقال بشير الأنصارى: دونكم بعيركم أنظر لكم، فسار نحوهم فرأى إخوانهم مقتلين كأمثال البدن حول الماء، فرجع إلى أصحابه فأخبرهم، وقال لهم: ما ترون؟ قالوا: نرجع إلى النبى ﷺ فنخبره الخبر، فقال بشير: لكنى لا أرجع والله، حتى أتغدى من غداء القوم، فاقرءوا على النبى ﷺ منى السلام ورحمة الله، ثم أتاهم فحمل عليهم، فناشدوه أن أرجع فأبى، وحمل عليهم، فقتل منهم، ثم قُتل بعد، فرجع الثلاثة يسلون بغيرهم سلا، فأتوا المدينة عند جنوح الليل، فلقوا رجلين من ينى سليم جائين من عند رسول الله ﷺ، فقالوا: من أنتما؟ قالا: من بنى عامر، لأنهم كانوا قريبًا من بنى عامر بالمدينة، ولا يشعرن بصنيع بنى عامر.

فقالوا: هذين من الذين قتلوا إخواننا، فقتلوهما وسلبوهما، ثم دخلوا على النبى ﷺ ليخبروه فوجدوا الخبر قد سبق إليه، ثم قالوا: يا نبى الله، غشينا المدينة عند المساء فلقينا رجلين من بنى عامر فقتلناهم، وهذا سلبهما، فقال النبى ﷺ: «بل هما من بنى سليم من حلفائى بئسما صنعتما، هذان رجلان من بنى سليم كانا جاءا فى أمر الموادعة»، فنزلت فيهم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ يقول: لا تعجلوا بقتل أحد، ولا بأمر حتى تستأمروا النبى ﷺ فوعظهم فى ذلك، وأقبل قوم السلميين، فقالوا للنبى ﷺ: إن صاحبينا قتلا عندك، فقال النبى ﷺ: «إن صاحبكم اعتزيا إلى عدونا فقتلا جميعًا»، وأخبرهم الخبر، ولكننا سنعقل عن صاحبيكم لكل واحد منهما مائة من الإبل، فجعل دية المشرك المعاهد، كدية الحر المسلم.

قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى المعاصى ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لمقالتكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ١] بخلقه.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ** ﴿٢﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ يعنى كلامكم ﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ يعنى

فوق كلام النبى ﷺ يقول: احفظوا الكلام عنده، نزلت هذه الآية فى ثابت بن قيس، وشماس الأنصارى من بنى الحارث بن الخزرج، وكان فى أذنيه وقر، وكان إذا تكلم عند النبى ﷺ رفع صوته.

ثم قال: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ وفيه نزلت هذه الآية: ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا**﴾ [النور: ٦٣] يقول: لا تدعوه باسمه يا محمد، ويا ابن عبد الله ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ يقول: كما يدعو الرجل منكم باسمه يا فلان، ويا ابن فلان، ولكن عظموه ووقروه وفخموه وقولوا له: يا رسول الله، ويا نبى الله، يؤدبهم ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ يعنى أن تبطل حسناتكم إن لم تخفضوا أصواتكم عند النبى ﷺ وتعظموه وتوقروه وتدعوه باسم النبوة، فإنه يحبط أعمالكم.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [آية: ٢] أن ذلك يحبطها، فلما نزلت هذه الآية أقام ثابت بن قيس فى منزله مهمومًا حزينًا مخافة أن يكون حبط عمله، وكان بدريًا، فانطلق جاره سعد بن عبادة الأنصارى إلى النبى ﷺ، فأخبره بقول ثابت بن قيس، بأنه قد حبط عمله، وهو فى الآخرة من الخاسرين، وهو فى النار. فقال النبى ﷺ لسعد: «اذهب فأخبره، أنك لم تعن بهذه الآية، ولست من أهل النار، بل أنت من أهل الجنة، وغيرك من أهل النار، يعنى عبد الله بن أُبى المنافق، فاخرج إلينا» فرجع سعد إلى ثابت فأخبره بقول النبى ﷺ، ففرح وخرج إلى النبى ﷺ فقال النبى ﷺ حين رآه: «مرحبًا برجل يزعم أنه من أهل النار، بل غيرك من أهل النار، يعنى عبد الله بن أُبى، وكان جاره، وأنت من أهل الجنة». فكان ثابت بعد ذلك إذا كان عند النبى ﷺ خفض صوته فلا يسمع من يليه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾

فنزلت فيه بعد الآية الأولى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ يعنى يخفضون كلامهم ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ﴾ يعنى أخلص الله ﴿قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ﴾ يعنى جزاء ﴿عَظِيمٌ﴾ [آية: ٣] يعنى: الجنة، فقال ثابت بعد ذلك: ما يسرنى أنى لم أجهر بصوتى عند رسول الله ﷺ، وأنى لم أخفض صوتى إذا امتحن الله قلبى للتقوى، وجعل لى مغفرة لذنوبى، وجعل لى أجرًا عظيمًا يعنى الجنة، فلما كان على عهد أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، غزا ثابت إلى اليمامة فرأى

المسلمين قد انهزموا، فقال لهم: أف لكم، ولما تصنعون، اللهم إنى اعتذر إليك من صنيع هؤلاء، ثم نظر إلى المشركين، فقال: أف لكم، ولما تعبدون من دون الله، اللهم إنى أبرأ إليك مما يعبد هؤلاء، ثم قاتلهم حتى قُتل، رحمة الله عليه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٤] نزلت فى تسعة رهط ثمانية منهم من بنى تميم، ورجل من قيس، فمنهم الأقرع بن حابس المجاشعى، وقيس بن عاصم المنقرى، والزبرقان بن بدر الهذلى، وخالد بن مالك، وسويد بن هشام النهشليين، والقعقاع بن معبد، وعطاء بن حابس، ووكيع بن وكيع من بنى دارم، وعيينة بن حصن الفزارى، وذلك أن النبى ﷺ أصاب طائفة من ذرارى بنى العنبر، فقدموا المدينة فى الظهيرة لفداء ذراريهم، فتذكروا ما كان من أمرهم فبكت الذرارى إليهم، فنهضوا إلى المسجد والنبى ﷺ فى منزله فاستعجلوا الباب لما أبطأ عليهم النبى ﷺ فنادى أكثرهم من وراء الحجرات: يا محمد، مرتين ألا تخرج إلينا فقد جئنا فى الفداء.

فقال النبى ﷺ: «ويلك ما لك حداك المنادى»، فقال: أما والله إن حمدى لك زين، وإن ذمى لك شين، فقال النبى ﷺ: «ويلكم ذلكم الله»، فلم يصبروا حتى يخرج إليهم ﷺ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

فذلك قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ يعنى بالخير لو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لأطلقتم من غير فداء. ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٥] لقولهم: يا محمد ألا تخرج إلينا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾ وذلك أن النبى ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط الأموى إلى بنى المصطلق، وهم حى من خزاعة، ليقبض صدقة أموالهم، فلما بلغهم ذلك فرحوا واجتمعوا ليتلقوه، فبلغ الوليد ذلك فخافهم على نفسه، وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية من أجل شىء كانوا أصابوه، فرجع إلى النبى ﷺ،

فقال: طردونى ومنعونى الصدقة، وكفروا بعد إسلامهم، فلما قال ذلك انتدب المسلمون لقتالهم.

فقال النبى ﷺ: «إلا حتى أعلم العلم»، فلما بلغهم أن الوليد رجع من عندهم، بعثوا وفدًا من وجوههم فقدموا على النبى ﷺ المدينة، فقالوا: يا رسول الله، إنك أرسلت إلينا من يأخذ صدقاتنا فسررنا بذلك، وأردنا أن نتلقاه، فذكر لنا أنه رجع من بعض الطريق فخفنا أنه إنما رده غضب علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، والله ما رأيناه ولا أتانا، ولكن حمله على ذلك شيء كان بيننا وبينه فى الجاهلية، فهو يطلب يدخل الجاهلية، فصدقهم النبى ﷺ.

فأنزل الله تعالى فى الوليد ثلاث آيات متواليات بفسقه وكذبه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾ يقول: إن جاءكم كاذب بحديث كذب ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ﴾ قتل ﴿قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ وأنتم جهال بأمرهم، يعنى بنى المصطلق ﴿فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ يعنى الذين انتدبوا لقتال بنى المصطلق [آية: ٦].

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ﴾ يقول: لو أطاعكم النبى ﷺ حين انتدبتم لقتالهم ﴿فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ يعنى لأثمتم فى دينكم.

ثم ذكرهم النعم، فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ يعنى التصديق ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ للثواب الذى وعدكم ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ﴾ يعنى الإثم ﴿وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ يعنى بغض إليكم المعاصى للعقاب الذى وعد أهله فمن عمل بذلك منكم وترك ما نهاه عنه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [آية: ٧] يعنى المهتدين.

﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾

﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ يقول: الإيمان الذى حببه إليكم فضلاً من الله ونعمة، يعنى رحمة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٞ﴾ [آية: ٨] فى أمره.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ

﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾﴾

قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ وذلك أن النبى ﷺ وقف على حمار له يقال له: يعفور، فبال الحمار، فقال عبد الله بن أُبى للنبى: خل للناس مسيل الريح من نتن هذا الحمار، ثم قال: أف وأمسك بأنفه، فشق على النبى ﷺ قوله، فانصرف النبى ﷺ، فقال عبد الله بن أبى رواحة: ألا أراك أمسكت على أنفك من بول حماره، والله لهو أطيب ريح عرض منك، فلجا فى القول فاجتمع قوم ضرب النعال والأيدى والسعف، فرجع النبى ﷺ إليهم فأصلح بينهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ يعنى الأوس والخزرج اقتتلوا. ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ بكتاب الله عز وجل، فإن كره بعضهم الصلح.

قال الله: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ ولم ترجع إلى الصلح ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾ بالسيف، يعنى التى لم ترجع ﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ يعنى حتى ترجع إلى الصلح الذى أمره ﴿فَإِن فَآءَتۡ﴾ يعنى فإن رجعت إلى الصلح ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾ يعنى وأعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [آية: ٩] يعنى الذين يعدلون بين الناس.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

ثم قال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ يعنى الأوس والخزرج ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تعصوه، لما كان بينكم، قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آية: ١٠] يعنى لكى ترحموا فلا تعذبوا لما كان بينكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ يقول: لا يستهزئ الرجل من أخيه، فيقول: إنك ردئ المعيشة، لئيم الحسب، وأشباه ذلك مما ينقصه به من أمر دنياه، ولعله خير منه عند الله تعالى، فأما الذين استهزءوا فهم الذين نادوا النبى ﷺ من وراء الحجرات، وقد استهزءوا من الموالى عمار بن ياسر، وسلمان الفارسى، وبلال المؤذن،

وخباب بن الأرت، وسالم مولى أبى حذيفة، وعامر بن فهيرة، وغيرهم من الفقراء، قال: وإن سالم مولى أبى حذيفة كان معه راية المسلمين يوم اليمامة، فقالوا له: إنا نخشى عليك، فقال سالم: بئس حامل القرآن أنا إذًا، فقاتل حتى قتل.

ثم قال: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ عند الله ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ نزلت فى عائشة بنت أبى بكر، رضى الله عنهما، استهزأت من قصر أم سلمة بنت أبى أمية، ثم قال: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ يقول: لا يطعن بعضكم على بعض، فإن ذلك معصية ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ وذلك أن كعب بن مالك الأنصارى كان يكون على المقسم فكان بينه وبين عبد الله بن الحدرد الأسلمى بعض الكلام، فقال له: يا أعرابى، فقال له عبد الله: يا يهودى، ثم انطلق عبد الله فأخبر النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ: «لعلك قلت له: يا يهودى»؟ قال: نعم قد قلت له ذلك إذ لقبنى أعرابيًا، وأنا معاجر، فقال له النبى ﷺ: «لا تدخلا علىّ حتى ينزل الله توبتكما»، فأوثقا أنفسهما إلى سارية المسجد إلى جنب المنبر.

فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ يقول: لا يعير الرجل أخاه المسلم بالملة التى كان عليها قبل الإسلام، ولا يسميه بغير أهل دينه فإنه ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ يعنى بئس الاسم هذا، أن يسميه باسم الكفر بعد الإيمان، يعنى بعد ما تاب وآمن بالله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ من قوله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ١١] فلما أنزل الله تعالى توبتهما وبين أمرهما تابا إلى الله تعالى من قولهما وحلا أنفسهما من الوثائق.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ يقول: لا تحققوا الظن، وذلك أن الرجل يسمع من أخيه كلامًا لا يريد به سوء، أو يدخل مدخلاً لا يريد به سوءا فيراه أخوه المسلم، أو يسمعه فيظن به سوءا، فلا بأس ما لم يتكلم به، فإن تكلم به أثم، فذلك قوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ ثم قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ يعنى لا يبحث الرجل عن عيب أخيه المسلم، فإن ذلك معصية ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ نزلت فى فتير، ويقال:

فهير خادم النبى ﷺ، وذلك أنه قيل له: إنك وخيم ثقيل بخيل، والغيبة أن يقول الرجل المسلم لأخيه ما فيه من العيب، فإن قال ما ليس فيه فقد بهته.

ثم ضرب للغيبة مثلاً، فقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ يقول: إذا غاب عنك المسلم، فهو حين تذكره بسوء بمنزلة الشىء الميت، لأنه لا يسمع بعيبك إياه، فكذلك الميت لا يسمع ما قلت له، فذلك قوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ يعنى كما كرهتم أكل لحم الميت، فأكرهوا الغيبة لإخوانكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى الغيبة فلا تغتابوا الناس ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ على من تاب ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٢] بهم بعد التوبة، والغيبة أن تقول لأخيك ما فيه من العيب، فإن قلت ما ليس فيه فقد بهته، وإن قلت ما بلغك فهذا الإفك.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ يعنى آدم وحواء نزلت فى بلال المؤذن، وقالوا: فى سلمان الفارسى، وفى أربعة نفر من قريش، فى عتاب بن أسيد بن أبى العيص، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وأبى سفيان بن حرب، كلهم من قريش، وذلك أن النبى ﷺ لما فتح مكة أمر بلالاً فصعد ظهر الكعبة وأذن، وأراد أن يذل المشركين بذلك، فلما صعد بلال وأذن. قال عتاب بن أسيد: الحمد لله الذى قبض أسيد قبل هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: عجبت لهذا العبد الحبشى أما وجد رسول الله ﷺ إلا هذا الغراب الأسود، وقال سهيل بن عمرو: إن يكره الله شيئًا يغيره، وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أقول، فإنى لو قلت شيئًا لتشهدن علىّ السماء ولتخبرن عنى الأرض.

فنزل جبريل على النبى ﷺ فأخبره بقولهم، فدعاهم النبى ﷺ، فقال: «كيف ثلت يا عتاب»؟ قال: قلت: الحمد الذى قبض أسيد قبل هذا اليوم، قال: «صدقت»، ثم قال للحارث بن هشام: «كيف قلت»؟ قال: عجبت لهذا العبد الحبشى، وأما وجد رسول الله ﷺ إلا هذا الغراب الأسود، قال: «صدقت»، ثم قال لسهيل بن عمرو: «كيف قلت»؟ قال: قلت: إن يكره الله شيئًا يغيره، قال: «صدقت»، ثم قال لأبى سفيان: «كيف قلت»؟ قال: قلت: أما أنا فلا أقول شيئًا، فإنى لو قلت شيئًا لتشهدن علىّ السماء

والأرض ولتخبرن عنى الأرض، قال: «صدقت»، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى بلالاً وهؤلاء الأربعة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ وعنى آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا﴾ يعنى رءوس القبائل ربيعة ومضر وبنو تميم والأزد ﴿وَقَبَآئِلَ﴾ يعنى الأفخاذ بنو سعد، وبنو عامر، وبنو قيس، ونحوه ﴿لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ فى النسب، ثم قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ﴾ يعنى بلالاً ﴿عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [آية: ١٣] يعنى أن أتقاكم بلال.

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ نزلت فى أعراب جهينة، ومزينة، وأسلم، وغفار، وأشجع كانت منازلهم بين مكة والمدينة، فكانوا إذا مرت بهم سرية من سرايا النبى ﷺ قالوا: آمنا ليأمنوا على دمائهم وأموالهم، وكان يومئذ من قال: لا إله إلا الله يأمن على نفسه وماله، فمر بهم خالد بن الوليد فى سرية النبى ﷺ فقالوا: آمنا، فلم يعرض هم، ولا لأموالهم، فلما سار النبى ﷺ إلى الحديبية واستنفرهم معه، فقال بعضهم لبعض: إن محمدًا وأصحابه أكلة رأس لأهل مكة، وأنهم كلفوا شيئًا لا يرجعون عنه أبدًا فأين تذهبون تقتلون أنفسكم؟ انتظروا حتى ننظر ما يكون من أمره، فذلك قوله فى الفتح: ﴿**بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدًا**﴾ إلى آخر الآية [الفتح: ١٢].

فنزلت فيهم: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ يعنى صدقنا، ﴿قُل لَّمْ﴾ يا محمد: ﴿قُل لَّمْ﴾ لم تصدقوا ﴿تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ يعنى قولوا أقررنا باللسان، واستسلمنا لتسلم لنا أموالنا ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ﴾ يعنى ولما يدخل التصديق ﴿فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فى قتال أهل اليمامة حيث قال فى سورة الفتح: ﴿**ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد**﴾ [الفتح: ١٦] يعنى قتال مسليمة بن حبيب الكذاب، وقومه بنى حنيفة، ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ إذا دعيتم إلى قتالهم ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ يعنى لا ينقصكم ﴿مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ الحسنة يعنى جهاد أهل اليمامة حين دعاهم أبو بكر، رضى الله عنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ يعنى ذو تجاوز لما كان قبل ذلك يوم الحديبية ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٤] بهم إذا فعلوا ذلك نظيرها فى الفتح.

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

ثم أخبر عن المؤمنين فنعتهم لقول هؤلاء الأعراب آمنا، فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ المصدقون فى إيمانهم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ يعنى صدقوا ﴿ بِٱللَّهِ ﴾ بأنه واحد لا شريك له ﴿ وَرَسُولِهِۦ ﴾ محمد ﷺ أنه نبى رسول وكتابه حقه ﴿ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾ يعنى لم يشكوا فى دينهم بعد الإيمان ﴿ وَجَٰهَدُوا۟ ﴾ العدو مع النبى ﷺ ﴿ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ يعنى باشروا القتال بأنفسهم ﴿ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يعنى فى طاعة الله ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [آية: ١٥] فى إيمانهم.

﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد، لجهينة، ومزينة، وأسلم، وغفار، وأشجع: ﴿ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ﴾ حين قالوا: آمنا بألسنتهم، وليس ذلك فى قلوبهم، فأخبرهم أنه يعلم ما فى قلوبهم، وما فى قلوب أهل السماوات، فقال: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ غيب ﴿ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ يعنى ما فى قلوب أهل السماوات من الملائكة ﴿ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يعنى ويعلم غيب ما فى قلوب أهل الأرض من التصديق وغيره ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ ﴾ مما فى قلوبهم من التصديق وغيره ﴿ عَلِيمٌ ﴾ [آية: ١٦].

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ﴾ نزلت فى أناس من الأعراب بنى أسد بن خزيمة، قدموا على النبى ﷺ، فقالوا: جئناك وأتيناك بأهلنا طائعين عفوا على غير قتال، وتركنا الأموال والعشائر وكل قبيلة فى العرب قاتلوك حتى أسلموا، فلنا عليك حق، فاعرف لنا ذلك، فنزلت: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ ﴾ يا محمد ﴿ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ﴾.

﴿ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آية: ١٧] فى إيمانكم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعنى غيب ما فى قلوب أهل السماوات من الملائكة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ يعنى يعلم ما فى قلوب أهل الأرضين من التصديق وغيره، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٨] من التصديق وغيره.

* * *

سورة ق

عددها خمس وأربعون آية كوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [آية: ١] وقاف جبل من زمردة خضراء محيط بالعالم، فخضرة السماء منه ليس من الخلق شيء على خلقه وتنبت الجبال منه، وهو وراء الجبال وعروق الجبال كلها من قاف، فإذا أراد الله تعالى زلزلة أرض أوحى إلى الملك الذى عنده أن يحرك عرقًا من الجبل، فتتحرك الأرض التى يريد وهو أول جبل خلق، ثم أبو قبيس بعده، وهو الجبل الذى الصفا تحته ودون قاف بمسيرة سنة، جبل تغرب فيه الشمس يقال له: الحجاب، فذلك قوله تعالى: ﴿**حتى توارت بالحجاب**﴾ [ص: ٣٢]، يعنى بالجبل، وهو من وراء الحجاب، وله وجه كوجه الإنسان وقلب كقلوب الملائكة فى الخشية لله تعالى، وهو من وراء الحجاب الذى تغيب الشمس من ورائه، والحجاب دون قاف بمسيرة سنة، وما بينهما ظلمة، والشمس تغرب من وراء الحجاب فى أصل الجبل، فذلك قوله: ﴿**حتى توارت بالحجاب**﴾ يعنى بالجبل، وذلك قوله فى مريم: ﴿**فاتخذت من دونهم حجابًا**﴾ [مريم: ١٧]، يعنى جبلاً.

﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ يعنى والقرآن الكريم، فأقسم تعالى بهما.

﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾

ثم استأنف ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ يعنى محمدًا ﷺ ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ من أهل مكة ﴿هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ [آية: ٢] يعنى هكذا الأمر عجيب أن يكون محمد رسولاً، وذلك أن كفار مكة كذبوا بمحمد ﷺ، فقالوا: ليس من الله.

﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣﴾

وقالوا أيضًا: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ﴾ إلى الحياة ﴿بَعِيدٞ﴾ [آية: ٣] بأن

البعث غير كائن، نزلت فى أُبى بن خلف الجمحى، وأبى الأشدين واسمه أسيدة بن كلدة، وهما من بنى جمح، ونبيه، ومنبه أخوين ابنى الحجاج السهميين، وكلهم من قريش، وقالوا: إن الله لا يحيينا، وكيف يقدر علينا إذا كنا ترابًا وضللنا فى الأرض؟.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾

يقول الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ﴾ يقول: ما أكلت من الموتى من لحوم، وعروق، وعظام بنى آدم، ما خلا العصعص، وتأكل لحوم الأنبياء، والعروق، ما خلا عظامهم مع علمى فيهم ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [٤] يعنى محفوظ من الشياطين، يعنى اللوح المحفوظ، قل بل الله يبعثهم.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾

ثم استأنف ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ يعنى حين جاءهم به محمد ﷺ ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [آية: ٥] يعنى مختلف ملتبس، ثم وعظ كفار مكة ليعتبروا.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾

فقال: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ بغير عمد ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [٦] يعنى من خلل.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾

﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ أو لم يروا إلى الأرض كيف ﴿مَدَدْنَٰهَا﴾ يعنى بسطناها مسيرة خمس مائة سنة من تحت الكعبة ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ يعنى الجبال وهى ستة أجبل، والجبال كلها من هذه الستة الأجبل ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ فى الأرض ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ﴾ يعنى من كل صنف من النبت ﴿بَهِيجٍ﴾ [آية: ٧] يعنى حسن.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ﴾ يعنى هذا الذى ذكر من خلقه جعله تبصرة وتفكرة ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [آية: ٨] يعنى مخلص القلب بالتوحيد.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾

ثم قال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ يعنى المطر فيه البركة حياة كل شىء

﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ﴾ بالمطر ﴿جَنَّٰتٖ﴾ يعنى بساتين ﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾ [آية: ٩] يعنى حين يخرج من سنبلة ﴿وَ﴾ أنبتنا بالماء ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ يعنى النخل الطوال ﴿لَّهَا طَلۡعٞ﴾ يعنى الثمر ﴿نَّضِيدٞ﴾ [آية: ١٠] يعنى منضود بعضه على بعض مثل قوله: ﴿**وطلح منضود**﴾ [الواقعة: ٩].

﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾.

وجعلنا هذا كله ﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ﴾. ثم قال: ﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ﴾ بالماء ﴿بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ﴾ لم يكن عليها نبت فنبتت الأرض، ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ [آية: ١١] يقول: وهكذا تخرجون من القبور بالماء، كما أخرجت النبت من الأرض بالماء، فهذا كله من صنيعه ليعرفوا توحيد الرب وقدرته على البعث.

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾﴾

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ﴾ قبل أهل مكة ﴿قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ يعنى أصحاب البئر اسمها فلج، وهى البئر التى قتل فيها حبيب النجار صاحب ياسين ﴿وَثَمُودُ﴾ [آية: ١٢].

﴿وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ﴾ [آية: ١٣] ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ يعنى غيضة الشجر أكثرها الدوم المقل، وهم قوم شعيب، عليه السلام، ﴿وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ﴾ ابن أبى شراح، ويقال: شراحيل الحميرى ﴿كُلّٞ﴾ كل هؤلاء ﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [آية: ١٤] يعنى فوجب عليهم عذابى فعذبتهم فاحذروا يا أهل مكة مثل عذاب الأمم الخالية، فلا تكذبوا محمدًا ﷺ، لما قال كفار مكة: ﴿**ذلك رجع بعيد**﴾ [ق: ٢].

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾﴾

فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾ فى أول هذه السورة، وذلك أن كفار مكة كذبوا بالبعث، يقول الله تعالى: أعجزت عن الخلق حين خلقتهم، ولم يكونوا شيئًا، فكيف أعيى عن بعثهم، فلم يصدقوا، فقال الله تعالى بل يبعثهم الله.

ثم استأنف، فقال: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [آية: ١٥] يقول فى شك من البعث بعد الموت.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾

ثم قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ يعنى قلبه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [آية: ١٦] وهو عرق خالط القلب فعلم الرب تعالى أقرب إلى القلب من ذلك العرق.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

ثم قال: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعنى الملكين يتلقيان عمل ابن آدم ومنطقه ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ ملك يكتب الحسنات ﴿وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ ملك ﴿قَعِيدٌ﴾ [آية: ١٧] يكتب السيئات فلا يكتب صاحب الشمال إلا بإذن صاحب اليمين، فإن تكلم ابن آدم بأمر ليس له ولا عليه اختلفا فى الكتاب، فإذا اختلفا نوديا من السماء ما لم يكتبه صاحب السيئات فليكتبه صاحب الحسنات.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾

فذلك قوله: ﴿مَّا يَلْفِظُ﴾ ابن آدم ﴿مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [آية: ١٨] يقول: إلا عنده حافظ قعيد يعنى ملكيه.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾

قوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ﴾ يعنى غمرة ﴿ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى أنه حق كائن ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [آية: ١٩] يعنى من الموت تحيد، يعنى يفر ابن آدم، يعنى بالفرار كراهيته للموت.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾

قوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ يعنى النفخة الآخرة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ [آية: ٢٠] يعنى بالوعيد العذاب فى الآخرة.

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَجَآءَتْ﴾ فى الآخرة ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ كافرة ﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾ يعنى ملك يسوقها إلى محشرها ﴿وَشَهِيدٌ﴾ [٢١] يعنى ملكها هو شاهد عليها بعلمها.

﴿لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿لَقَدْ كُنتَ﴾ يا كافر ﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ يعنى عن غطاء الآخرة ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [آية: ٢٢] يعنى يشخص بصره، ويديم النظر فلا يطرف حتى يعاين فى الآخرة ما كان يكذب به فى الدنيا.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ فى الآخرة يعنى صاحبه وملكه الذى كان يكتب عمله السيئ فى دار الدنيا ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ [آية: ٢٣] يقول لربه: قد كنت وكلتنى فى الدنيا، فهذا عندى معد حاضر من عمله الخبي قد أتيتك به وبعمله، نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى.

﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾

يقول الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ يعنى الخازن، وهو فى كلام العرب خذاه يخاطب الواحد مخاطبة الاثنين للواحد ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [آية: ٢٤] يعنى المعرض عن توحيد الله تعالى، وهو الوليد بن المغيرة.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾

ثم ذكر عمله، فقال: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ يعنى منع ابن أخيه وأهله عن الإسلام، وكان لا يعطى فى حق الله، ويُسر الغشم والظلم، فهو ﴿مُّعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾ [آية: ٢٥] يعنى شاكا فى توحيد الله تعالى، يعنى الوليد، ثم نعته ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ فى الدنيا ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ يعنى الخازن ﴿فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ [آية: ٢٦] يعنى عذاب جهنم.

﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ يعنى صاحبه وهو شيطانه الذى كان يزين له الباطل والشر ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ فيما يعتذر إلى ربه يقول: لم يكن لى قوة أن أضله بغير سلطانك ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٢٧] يعنى شيطانه ولكن كان فى الدنيا الوليد بن المغيرة المخزومى

فى ضلال بعيد فى خسران طويل ﴿قَالَ﴾ الله تعالى لابن آدم وشيطانه الذى أغواه: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ يعنى عندى ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ [آية: ٢٨] يقول: قد أخبرتكم فى الدنيا بعذابى فى الآخرة.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ يعنى عندى الذى قلت لكم فى الدنيا من الوعيد قد قضيت ما أنا قاض ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آية: ٢٩] يقول: لم أعذب على غير ذنب ﴿يَوْمَ نَقُولُ﴾ يقول الرب ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [آية: ٣٠] فينتقض. قال مقاتل: قال ابن عباس: وتقول قط قط، وتقول قد امتلأت، فليس فى مزيد، تقول: ليس فى سعة، وفى الجنة سعة، فيخلق الله لها خلقًا فيسكنون فضاءها.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ يعنى قربت الجنة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشرك ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٣١] فينظرون إليها قبل دخولها حين تنصب عن يمين العرش يقول: ﴿هَٰذَا﴾ الخير ﴿مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ مطيع ﴿حَفِيظٍ﴾ [**٣٢**] لأمر الله عز وجل، فقال: ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ فأطاعه ولم يراه ﴿وَجَآءَ﴾ فى الآخرة ﴿بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [آية: ٣٣] يعنى بقلب مخلص ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ يعنى الجنة ﴿بِسَلَٰمٍ﴾ يقول: فسلم الله لهم أمرهم وتجاوز عن سيئاتهم وشكر لهم اليسير من أعمالهم الصالحة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [آية: ٣٤] فى الجنة لا موت فيها، يعنى فى الجنة.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ﴾ من الخير ﴿فِيهَا﴾ وذلك أن أهل الجنة يزورون ربهم على مقدار كل يوم جمعة فى رمال المسك، فيقول: سلونى، فيسألونه الرضا؟ فيقول: رضاى أحلكم دارى، وأنيلكم كرامتى، ثم يقرب إليهم ما لم تره عين، ولم تسمعه أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ثم يقول: سلونى ما شئتم، فيسألون حتى تنتهى مسألتهم فيعطون على ما سألوا وفوق ذلك. فذلك قوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوا، ولم يتمنوا، ولم يخطر على قلب بشر من جنة عدن، فذلك قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [آية: ٣٥] يعنى وعندنا مزيد.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾﴾

ثم خوف كفار مكة، فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ بالعذاب ﴿قَبْلَهُم﴾ يعنى قبل كفار مكة ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ يعنى أمة ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم﴾ من أهل مكة ﴿بَطْشًا﴾ يعنى قوة ﴿فَنَقَّبُواْ﴾ يعنى هربوا ﴿فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ ويقال: حولوا فى البلاد ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ [آية: ٣٦] يقول: هل من فرار.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ يعنى فى هلاكهم فى الدنيا ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ يعنى لتذكرة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ يعنى حيا يعقل الخير ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ يقول: أن ألقى بأذنيه السمع ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [آية: ٣٧] يعنى وهو شاهد القلب غير غائب.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وذلك أن اليهود، قالوا: إن الله حين فرغ من خلق السماوات والأرض، وما بينهما فى ستة أيام، استراح يوم السابع، وهو يوم السبت، فلذلك لا يعلمون يوم السبت شيئًا.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ومقدار كل يوم ألف سنة من أيامكم هذه ﴿وَمَا مَسَّنَا﴾ يعنى وما أصابنا ﴿مِن لُّغُوبٍ﴾ [آية: ٣٨] يعنى يقول الله تعالى لنبيه ﷺ.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ لقولهم إن الله استراح يوم السابع ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يقول: وصل بأمر ربك ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [آية: ٣٩] يقول: صلى بالغداة والعشى، يعنى صلاة الفجر والظهر والعصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ يقول: فصل المغرب والعشاء ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [آية: ٤٠] يعنى الركعتين بعد صلاة المغرب وقتهما ما لم يغب الشفق ﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ يا محمد ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ فهو إسرافيل وهى النفخة الآخرة ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [آية: ٤١] يعنى من الأرض نظيرها فى سبأ: ﴿**وأخذوا من**

مكان قريب﴾ [سبأ: ٥١]، يعنى من تحت أرجلهم، وهو إسرافيل، عليه السلام، قائم على صخرة بيت المقدس، وهى أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً، فيسمع الخلائق كلهم فيجتمعون ببيت المقدس، وهى وسط الأرض، وهو المكان القريب، وهو ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى نفخة إسرافيل الثانية بالحق، يعنى أنها كائنة، فذلك قوله: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [آية: ٤٢] من القبور.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ﴾ الموتى ﴿وَنُمِيتُ﴾ الأحياء ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٤٣] يعنى مصير الخلائق إلى الله فى الآخرة.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾

فقال: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ إلى الصوت نظيرها فى ﴿**سأل سائل**﴾ [المعارج: ١] ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [**٤٤**] يعنى جميع الخلائق علينا هين، وينادى فى القرن، ويقول لأهل القبور: أيتها العظام البالية، وأيتها اللحوم المتمزقة، وأيتها العروق المنقطعة، وأيتها الشعور المتفرقة، اخرجوا لتنفخ فيكم أرواحكم، وتجازون بأعمالكم ويديم الملك الصوت. فذلك قوله: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ من القبور.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ فى السر مما يكره النبى ﷺ، يعنى كفار مكة ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم﴾ يا محمد ﴿بِجَبَّارٍ﴾ يعنى بمسلط فتقتلهم ﴿فَذَكِّرْ﴾ يعنى فعظ أهل مكة ﴿بِٱلْقُرْءَانِ﴾ يعنى بوعيد القرآن ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [آية: ٤٥] وعيدى عذابى فى الآخرة، فيحذر المعاصى.

* * *

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

مكية عددها ستون آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦)﴾

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ [آية: ١] يعنى الرياح ذرت ذروا ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ [آية: ٢] يعنى السحاب موقرة من الماء ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ [آية: ٣] يعنى السفن مرت مرًا ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ [آية: ٤] يعنى أربعة من الملائكة جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، يقسمون الأمر بين الخلائق، وهم المدبرات أمرًا بأمره فى بلاده وعباده، فأقسم الله تعالى، بهؤلاء الآيات ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ يعنى إن الذى توعدون من أمر الساعة ﴿لَصَادِقٌ﴾ [آية: ٥] يعنى لحق ﴿وَ﴾ أقسم بهن أيضًا ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [آية: ٦] يعنى إن الحساب لكائن.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢)﴾

﴿وَ﴾ أقسم بـ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [آية: ٧] يعنى مثل الطرائق التى تكون فى الرمل من الريح، ومثل تصبيبه الريح، فيركب بعضه بعضًا.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: قال أبو صالح: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ الخلق الحسن ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَفِي قَوْلٍ﴾ يعنى القرآن ﴿مُخْتَلِفٍ﴾ [آية: ٨] شك يؤمن به بعضكم ويكفر به بعضكم ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [آية: ٩] يعنى عن الإيمان بالقرآن، يعنى يصرف عن القرآن من كذب به، يعنى الخراصين، يقول: الكذابون الذين يخرصون الكذب.

﴿قُتِلَ﴾ يعنى لعن ﴿الْخَرَّاصُونَ﴾ [آية: ١٠] نظيرها فى النحل، وكانوا سبعة عشر

رجلاً، فقال لهم الوليد بن المغيرة المخزومى: لينطلق كل أربعة منكم أيام الموسم، فليجلسوا على طريق ليصدوا الناس عن النبى ﷺ وتخرصهم، أنهم قالوا للناس، إنه ساحر، ومجنون، وشاعر، وكاهن، وكذاب، وبقى الوليد بمكة يصدقهم بما يقولون، ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِى غَمۡرَةٍ سَاهُونَ﴾ [آية: ١١] يعنى فى غفلة لاهون عن أمر الله تعالى ﴿يَسۡـَٔلُونَ﴾ النبى ﷺ ﴿أَيَّانَ﴾ يقول: متى ﴿يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ١٢] يعنى يوم الحساب، فقالوا: يا محمد، وهم الخراصون متى يكون الذى تعدنا به تكذيبًا به، من أمر الحساب.

﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

فأخبر الله عز وجل عن ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾ [آية: ١٣] يعنى يعذبون، يحرقون، كقوله: ﴿**إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات**﴾ [البروج: ١٠]، وقال لهم خزنتها: ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ يعنى عذابكم ﴿هَٰذَا﴾ العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ [آية: ١٤] فى الدنيا استهزاء به وتكذيبًا بأنه غير نازل بنا، لقولهم فى الدنيا للنبى ﷺ: متى هذا الوعد الذى تعدنا به.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [آية: ١٥] يعنى بساتين وأنهار جارية ﴿ءَاخِذِينَ﴾ فى الآخرة ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ﴾ يعنى ما أعطاهم ربهم من الخير والكرامة فى الجنة، ثم أثنى عليهم، فقال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ﴾ الثواب فى الدنيا ﴿مُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ١٦] فى أعمالهم.

﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾﴾

ثم قال: إنهم ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ [آية: ١٧] ما ينامون ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ يعنى آخر الليل ﴿هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [آية: ١٨] يعنى يصلون ﴿وَفِىٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ﴾ يعنى المسكين ﴿وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [آية: ١٩] الفقير الذى لا سهم له، ولم يجعل الله للفقراء سهمًا فى الفئ ولا فى الخمس، فمن سمى الفقير المحروم، لأن الله حرمهم نصيبهم، فلما

نزلت براءة بدأ الله بهم، فقال تعالى: ﴿**إنما الصدقات للفقراء**﴾ [التوبة: ٦٠]، فبدأ بهم، فنسخت هذه الآية المحروم.

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾

ثم قال: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [آية: ٢٠] يعنى ما فيها من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبت عامًا بعام، ففى هذا كله آيات يعنى عبرة للموقنين بالرب تعالى لتعرفوا صنعه، فتوحدوه ﴿وَفِيٓ﴾ خلق ﴿أَنفُسِكُمْ﴾ حين كنتم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا، ثم لحمًا، ثم ينفخ فيه الروح، ففى هذا كله آية ﴿أَفَلَا﴾ يعنى أفهلا ﴿تُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٢١] قدرة الرب تعالى أن الذى خلقكم قادر على أن يبعثكم كما خلقكم، ثم قال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ يعنى المطر ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [آية: ٢٢] فى أمر الساعة.

﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

ثم أقسم الرب تعالى بنفسه: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ يعنى لكائن، يعنى أمر الساعة ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [آية: ٢٣] يعنى تتكلمون.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ يعنى قد أتاك يا محمد ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [آية: ٢٤] يعنى جبريل وميكائيل، وملك آخر أكرمهم إبراهيم، وأحسن القيام، ورأى هيئتهم حسنة، وكان لا يقوم على رأس ضيف قبل هؤلاء، فقام هو وامرأته سارة لخدمتهم، فسلمت الملائكة على إبراهيم ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ فرد عليهم إبراهيم فـ ﴿قَالَ

سَلَٰمٌ ﴾ ثم قال: ﴿قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ [آية: ٢٥] يقول: أنكرهم إبراهيم، صلى الله عليه، وظن أنهم من الإنس ﴿فَرَاغَ ﴾ يعنى فمال ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ ﴾ إليهم ﴿بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴾ [آية: ٢٦] ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ وهو مشوى و ﴿قَالَ ﴾ إبراهيم ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾ [آية: ٢٧] فقالوا: يا إبراهيم، لا نأكل إلا بالثمن، قال إبراهيم: كانوا وأعطوا الثمن، فقالوا: وما ثمنه؟ قال: إذا أكلتم فقولوا بسم الله، وإذا فرغتم، فقولوا: الحمد لله، فعجبت الملائكة لقوله فلما رأى إبراهيم، عليه السلام، أيدى الملائكة لا تصل إلى العجل.

﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ ﴾ فخاف وأخذته الرعدة وضحكت امرأته سارة، وهى قائمة من رعدة إبراهيم، وقالت فى نفسها: إبراهيم معه أهله، وولده، وخدمه وهؤلاء ثلاثة نفر، فقال جبريل، صلى الله عليه، لسارة: أيتها الصالحة، إنك ستلدين غلامًا، فذلك قوله: ﴿ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ ﴾ يعنى إسحاق ﴿عَلِيمٖ ﴾ [آية: ٢٨] يعنى حليم ﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ ﴾ سارة ﴿فِى صَرَّةٖ ﴾ يعنى فى صيحة، وقالت: أوه يا عجباه ﴿فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا ﴾ فضربت بيدها جبينها، أو خدها تعجبًا ﴿وَقَالَتۡ عَجُوزٌ ﴾ من الكبر ﴿عَقِيمٞ ﴾ [آية: ٢٩] من الولد ﴿قَالُواْ ﴾ قال جبريل، صلى الله عليه: ﴿كَذَٰلِكِ ﴾ يعنى هكذا ﴿قَالَ رَبُّكِۖ ﴾ ستلدين غلامًا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ حكم أمر الولد فى بطن سارة ﴿ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [آية: ٣٠] بخلقه، فلما رأى إبراهيم، عليه السلام، أنهم الملائكة ﴿۞ قَالَ ﴾ لهم ﴿فَمَا خَطۡبُكُمۡ ﴾ يعنى ما أمركم ﴿أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ [آية: ٣١] ﴿قَالُوٓاْ ﴾ قال جبريل، صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴾ [آية: ٣٢] يعنى كفارًا ظلمة يعنون قوم لوطٍ ﴿لِنُرۡسِلَ ﴾ يعنى لكى نرسل ﴿عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴾ [آية: ٣٣] خلطة الحجارة، الطين ملزق بالحجر.

﴿مُّسَوَّمَةً ﴾ يعنى معلمة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [آية: ٣٤] يعنى المشركين والشرك أسرف الذنوب وأعظمها ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا ﴾ يعنى فى قرية لوط ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [آية: ٣٥] يعنى المصدقين بتوحيد الله تعالى ﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [آية: ٣٦] يعنى المخلصين فهو لوط وابنتيه ريثا للكبرى زعونا الصغرى ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ ﴾ يعنى عبرة لمن بعدهم ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ [آية: ٣٧] يعنى الوجيع.

﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِى ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾ ﴾

نظيرها فى هود ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ٣٨] يعنى بحجة بينةٍ واضحة وهى اليد والعصا ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ﴾ يعنى فأعرض فرعون عن الحق بميله، يعنى عن الإيمان حين، قال: ﴿**ما أريكم ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد**﴾ [غافر: ٢٩].

﴿وَقَالَ﴾ فرعون لموسى، عليه السلام، هو ﴿سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ﴾ [آية: ٣٩] يقول الله تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ﴾ يعنى فرعون ﴿وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ يعنى فى نهر مصر النيل، فأغرقوا أجمعين، ثم قال لفرعون: ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ [آية: ٤٠] يعنى مذنب يقول استلام إلى ربه.

﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ﴾ باليمن ﴿ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾ [آية: ٤١] التى تهلك ولا تلقح الشجر ولا تثير السحاب، وهى عذاب على من أرسلت عليه، يقول الله تعالى: ﴿مَا تَذَرُ﴾ تلك الريح ﴿مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ﴾ من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم ﴿إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [آية: ٤٢] يقول: إلا جعلته باليا كالتراب بعد ما كانوا مثل نخل منقعر صاروا رميمًا.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ﴾ قال لهم نبيهم صالح: ﴿تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [آية: ٤٣] يعنى إلى آجالكم ﴿فَعَتَوۡاْ﴾ يقول: فعصوا ﴿عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ يعنى العذاب، وهو الموت من صيحة جبريل، صلى الله عليه ﴿وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ [آية: ٤٤] ﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ﴾ يعنى أن يقوموا للعذاب حين غشيهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ [آية: ٤٥] يعنى ممتنعين من العذاب حين أهلكوا.

﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَ﴾ فى ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ﴾ آية ﴿مِّن قَبۡلُۖ﴾ هؤلاء الذين ذكر ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ [آية: ٤٦] يعنى عاصين.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَ﴾ فى ﴿وَٱلسَّمَآءَ﴾ آية ﴿بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ يعنى بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [آية: ٤٧] يعنى نحن قادرون على أن نوسعها كما نريد ﴿وَ﴾ فى ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ آية ﴿فَرَشۡنَٰهَا﴾ مسيرة خمس مائة عام فى خمس مائة عام من تحت الكعبة ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ﴾ [آية: ٤٨] يعنى الرب تعالى نفسه ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾ يعنى صنفين يعنى الليل والنهار، والدنيا والآخرة، والشمس والقمر، والبر والبحر، والشتاء والصيف، والبرد والحر، والسهل والجبل، والسبخة والعذبة ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٤٩] فيما خلق أنه ليس له عدل ولا مثيل، فتوجدونه.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ٥٠] ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾ فإن فعلتم فـ ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ﴾ يعنى من عذابه ﴿مُّبِينٞ﴾ [آية: ٥١] فردوا عليه إنك ساحر مجنون، يقول الله تعالى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ يعنى الأمم الخالية ﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ﴾ لرسولهم هو ﴿سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [آية: ٥٢] كقول كفار مكة لمحمد ﷺ يقول الله: ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ﴾ يقول: أوصى الأول الآخر أن يقولوا ذلك لرسلهم. ثم قال: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [آية: ٥٣] يعنى عاصين.

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ يعنى فأعرض عنهم، فقد بلغت وأعذرت ﴿فَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِمَلُومٖ﴾ [آية: ٥٤] يقول: فلا تلام، فحزن النبى ﷺ مخافة أن ينزل بهم العذاب، فأنزل الله تعالى ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٥٥].

﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾

فوعظ كفار مكة بوعيد القرآن، فقال: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [آية: ٥٦] يعنى إلا ليوحدون، وقالوا: إلا ليعرفون يعنى ما أمرتهم إلا بالعبادة، ولو أنهم

خلقوا للعبادة، ما عصوا طرفة عين.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، عن أبى صالح، قال: إلا ليوحدون، قال أبو صالح: الأمر يعصى والخلق لا يعصى.

قال أبو العباس الزيات: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلب، سئل عن هذه الآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال ليعبدنى من عبدنى منهم.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ يقول: لم أسألهم أن يرزقوا أحدًا ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [آية: ٥٧] يعنى أن يرزقون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾ يعنى البطش فى هلاكهم ببدر ﴿ٱلْمَتِينُ﴾ [آية: ٥٨] يعنى الشديد ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ يعنى نصيبًا من العذاب فى الدنيا، مثل نصيب أصحابهم فى الشرك، يعنى الأمم الخالية الذين عذبوا فى الدنيا ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ [آية: ٥٩] العذاب تذديبًا به ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعنى كفار مكة ﴿مِن يَوْمِهِمُ﴾ فى الآخرة ﴿ٱلَّذِى﴾ فيه ﴿يُوعَدُونَ﴾ [آية: ٦٠] العذاب.

* * *

سُورَةُ الطُّورِ

مكية وعددها تسع وأربعون آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾

قال: لما كذب كفار مكة أقسم الله تعالى، فقال: ﴿وَالطُّورِ﴾ [آية: ١] يعنى الجبل بلغة النبط، الذى كلم الله عليه موسى، عليه السلام، بالأرض المقدسة ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ [آية: ٢] يعنى أعمال بنى آدم مكتوبة يقول: أعمالهم تخرج إليهم يومئذ، يعنى يوم القيامة ﴿فِي رَقٍّ﴾ يعنى أديم الصحف ﴿مَنْشُورٍ﴾ [آية: ٣] ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [آية: ٤] واسمه الصراح، وهو فى السماء الخامسة، ويقال: فى سماء الدنيا حيال الكعبة فى العرض والموضع غير أن طوله كما بين السماء والأرض وعمارته أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يصلون فيه يقال لهم: الجن، ومنهم كان إبليس، وهم حى من الملائكة، لم يدخلوه قط، ولا يعودون فيه إلى يوم القيامة، ثم ينزلون إلى البيت الحرام، فيطوفون به ويصلون فيه، ثم يصعدون إلى السماء، فلا يهبطون إليه أبدًا ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [آية: ٥] يعنى السماء رفع من الأرض مسير خمس مائة عام، يعنى السماوات ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [آية: ٦] تحت العرش الممتلئ من الماء يسمى بحر الحيوان يحيى الله به الموتى فيما بين النفختين.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: قال الهذيل: سمعت المبارك بن فضالة، عن الحسن فى قوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ قال: المملوء مثل قوله: ﴿**ثم فى النار يسجرون**﴾ [غافر: ٧٢]، قال: و لم أسمع مقاتل.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾

فأقسم الله تعالى بهؤلاء الآيات، فقال: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [آية: ٧] بالكفار

﴿مَا لَهُۥ﴾ يعنى العذاب ﴿مِن دَافِعٍ﴾ [آية: ٨] فى الآخرة يدفع عنهم، ثم أخبر متى يقع بهم العذاب؟ فقال: ﴿يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرًا﴾ [آية: ٩] يعنى استدارتها وتحريكها بعضها فى بعض من الخوف ﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرًا﴾ [آية: ١٠] من أمكنتها حتى تستوى بالأرض كالأديم الممدود.

﴿فَوَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٍ يَلۡعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَوَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ١١] بالعذاب، ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٍ يَلۡعَبُونَ﴾ [آية: ١٢] يعنى فى باطل لاهون، ثم قال: والويل لهم ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [آية: ١٣] وذلك أن خزنة جهنم بعد الحساب يغلون بأيدى الكفار إلى أعناقهم، ثم يجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، وراء ظهورهم، ثم يدفعونهم فى جهنم دفعًا على وجوههم، إذا دنوا منها قالت لهم خزنتها: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ١٤] فى الدنيا.

﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ﴾ العذاب الذى ترون، فإنكم زعمتم فى الدنيا أن الرسل سحرة ﴿أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [آية: ١٥] فلما ألقوا فى النار، قالت لهم الخزنة: ﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٦] من الكفر والتكذيب فى الدنيا.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٍۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ يعنى الذين يتقون الشرك ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ يعنى البساتين ﴿وَنَعِيمٍ﴾ [آية: ١٧] ﴿فَٰكِهِينَ﴾ يعنى معجبين ومن قرأها فاكهين، يعنى ناعمين محبورين ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ﴾ يعنى بما أعطاهم ﴿رَبُّهُمۡ﴾ فى الجنة من الخير والكرامة ﴿وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [آية: ١٨] ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا﴾ يعنى الذى ليس عليهم مشقة، ولا تبعة حلالاً لا يحاسبون عليه ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٩] فى الدنيا ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ

﴿مَّصۡفُوفَةٍ﴾ يعنى مصففة فى الخيام ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [آية: ٢٠] يعنى البيضاء المنعمة «عين» يعنى العيناء الحسنة العين.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾﴾

ثم قال فى التقديم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ يعنى من أدرك العمل من أولاد بنى آدم المؤمنين فعمل خيرًا فهم مع آبائهم فى الجنة، ثم قال: ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ يعنى الصغار الذين لم يبلغوا العمل من أولاد المؤمنين فهم معهم وأوزاجهم فى الدرجة لتقر أعينهم ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ يقول: وما نقصنا الآباء إذا كانوا مع الأبناء من عملهم شيئًا، ثم قال: ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ﴾ كافر ﴿بِمَا كَسَبَ﴾ يعنى بما عمل من الشرك ﴿رَهِينٞ﴾ [آية: ٢١] يعنى مرتهن بعمله فى النار.

﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾

ثم رجع إلى الذين آمنوا، فقال: ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ﴾ لحم طير ﴿مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ [آية: ٢٢] يعنى مما يتخيرون من ألوان الفاكهة، ومن لحوم الطير ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا﴾ يعنى يتعاطون فى الجنة تعطيهم الخدم بأيديهم رى المخدوم من الأشربة، فهذا التعاطى ﴿كَأۡسٗا﴾ يعنى الخمر ﴿لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ﴾ [آية: ٢٣] يعنى لا حلف فى شربهم، ولا مأثم يعنى ولا كذب، كفعل أهل الدنيا إذا شربوا الخمير نظيرها فى الواقعة[1].

﴿۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾

﴿۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ﴾ لا يكبرون أبدًا ﴿كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ﴾ [آية: ٢٤]

---

[1] يشير إلى هذه الآية: ﴿**بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون**﴾ [الواقعة: ١٨، ١٩].

يقول: كأنهم فى الحسن والبياض مثل اللؤلؤ المكنون فى الصدف لم تمسسه الأيدى، ولم تره الأعين، ولم يخطر على قلب بشر ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [آية: ٢٥] يقول: إذا زار بعضهم بعضًا فى الجنة فيتساءلون بينهم عما كانوا فيه من الشفقة فى الدنيا، فذلك قوله: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [آية: ٢٦] من العذاب ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿ وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [آية: ٢٧] يعنى الريح الحارة فى جهنم، وما فيها من أنواع العذاب ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ فى الدنيا ﴿ نَدْعُوهُ﴾ ندعو الرب ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ الصادق فى قوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٢٨] بالمؤمنين ﴿ فَذَكِّرْ﴾ يا محمد أهل مكة ﴿ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ يعنى برحمة ربك، وهو القرآن ﴿ بِكَاهِنٍ﴾ يبتدع العلم من غير وحى ﴿ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [آية: ٢٩] كما يقول كفار مكة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ﴾ نزلت فى عقبة بن أبى معيط، والحارث بن قيس، وأبى جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، والمطعم بن عدى بن نوفل بن عبد المناف، قالوا: إن محمدًا شاعر فنتربص به ﴿ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [آية: ٣٠] يعنى حوادث الموت، قالوا: توفى أبو النبى ﷺ عبد الله بن عبد المطلب وهو شاب، ونحن نرجو من اللات والعزى أن تميت محمدًا شابًا كما مات أبوه، يعنى بريب المنون حوادث الموت، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ تَرَبَّصُواْ﴾ بمحمد الموت ﴿ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [آية: ٣١] بكم العذاب فقتلهم الله ببدر.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ يقول: أتأمرهم أحلامهم ﴿ بِهَٰذَآ﴾ والميم هاهنا صلة بأنه شاعر مجنون كاهن يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: فاستفتهم هل تدلهم أحلامهم وعقولهم على هذا القول أنه شاعر مجنون كاهن. ﴿ أَمْ هُمْ﴾ بل هم ﴿ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [آية: ٣٢] يعنى عاصين.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿أَمۡ يَقُولُونَ﴾ يعنى أيقولون إن محمدًا ﴿تَقَوَّلَهُۥۚ﴾ تقول هذا القرآن من تلقاء نفسه اختلقه ﴿بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٣٣] يعنى لا يصدقون بالقرآن ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ﴾ يعنى من تلقاء أنفسهم مثل هذا القرآن كما جاء به محمد ﷺ لقولهم إن محمدً تقوله ﴿إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٣٤] بأن محمدًا تقوله ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ﴾ يقول: أكانوا خلقوا من غير شيء ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [آية: ٣٥] يعنى أم هم خلقوا الخلق ﴿أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ﴾ يعنى أخلقوا السماوات والأرض؟ ثم قال: ﴿بَل﴾ ذلك خلقهم فى الإضمار بل ﴿لَّا يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٣٦] بتوحيد الله الذى خلقهما أنه واحد لا شريك له.

﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَۜيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ﴾ يعنى أعندهم خزائن ﴿رَبِّكَ﴾ يعنى أعندهم خزائن ربك يقول بأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاءوا، يقول: ولكن الله يختار لها من يشاء من عباده، لقولهم: ﴿**أأنزل عليه الذكر من بيننا**﴾ [ص: ٨]، فأنزل الله تعالى: ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَۜيۡطِرُونَ﴾ [آية: ٣٧] يعنى أم هم المسيطرون على الناس فيجبرونهم على ما شاءوا ويمنعونهم عما شاءوا.

﴿أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ﴾ يعنى ألهم سلم إلى السماء يصعدون فيه، يعنى عليه، مثل قوله: ﴿**لأصلبنكم فى جذوع النخل**﴾ يعنى على جذوع النخل، فيستمعون الوحى من الله تعالى إلى النبى ﷺ ﴿فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم﴾ يعنى صاحبهم الذى يستمع الوحى ﴿بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٣٨] يعنى بحجة بينة بأنه يقدر على أن يسمع الوحى من الله تعالى.

﴿أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ﴾ [آية: ٣٩] وذلك أنهم قالوا: الملائكة بنات الله، فقال الله تعال لنبيه ﷺ فى الصافات: ﴿**فاستفتهم**﴾ يعنى سلهم ﴿**ألربك البنات ولهم البنون**﴾ [الصافات: ١٤٩].

فسألهم النبى ﷺ فى هذه السورة: ﴿**أم له البنات ولكم البنون**﴾ [الطور: ٣٩]،

وفى النجم قال: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى﴾ [النجم: ٢١، ٢٢].

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ على الإيمان يعنى جزاء، يعنى خراجًا ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [آية: ٤٠] يقول: أنقلهم الغرم فلا يستطيعون الإيمان من أجل الغرم ﴿أَمْ عِندَهُمُ﴾ يقول: أعندهم علم ﴿ٱلْغَيْبُ﴾ بأن الله لا يبعثهم، وأن ما يقول محمد غير كائن، ومعهم بذلك كتاب ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [آية: ٤١] ما شاءوا ﴿أَمْ يُرِيدُونَ﴾ يقول: أيريدون فى دار الندوة ﴿كَيْدًا﴾ يعنى مكرًا بمحمد ﷺ ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ [آية: ٤٢] يقول: هم الممكور بهم، فقتلهم الله عز وجل ببدر.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿أَمْ لَهُمْ﴾ يقول: ألهم ﴿إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يمنعهم من دوننا من مكرنا بهم، يعنى القتل ببدر فنزه الرب نفسه تعالى من أن يكون معه شريك، فذلك قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٤٣] معه، ثم ذكر قسوة قلوبهم، فقال: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يقول: جانبًا من السماء ﴿سَاقِطًا﴾ عليهم لهلاكهم ﴿يَقُولُوا۟﴾ من تكذيبهم هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [آية: ٤٤] بعضه على بعض ﴿فَذَرْهُمْ﴾ فخل عنهم يا محمد ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ﴾ فى الآخرة ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [آية: ٤٥] يعنى يعذبون.

ثم أخبر عن ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ﴾ فى الآخرة ﴿كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ يعنى مكرهم بمحمد ﷺ شيئًا من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [آية: ٤٦] يعنى ولا هم يمنعون من العذاب، ثم أوعدهم أيضًا العذاب فى الدنيا.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

فقال: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعنى كفار مكة ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يعنى دون عذاب الآخرة عذابًا فى الدنيا القتل ببدر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤٧] بالعذاب أنه نازل بهم فكذبوه.

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

فقال يعزى نبيه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يعنى لقضاء ربك على تكذيبهم إياك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾ يقول: إنك بعين الله تعالى ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يقول: وصلى بأمر ربك ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ [آية: ٤٨] إلى الصلاة المكتوبة ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ يعنى فصل المغرب والعشاء ﴿وَ﴾ صل ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [**٤٩**] يعنى الركعتين قبل صلاة الغداة وقتهما بعد طلوع الفجر.

قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يقول: اذكره بأمره، مثل قوله: ﴿**وإن من شىء إلا يسبح بحمده**﴾ [الإسراء: ٤٤]، ومثل قوله: ﴿**يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده**﴾ [الإسراء: ٥٢].

* * *

سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

مكية، عددها اثنتان وستون آية كوفى

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ (٢)﴾

أقسم الله عز وجل بـ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ يقول: **﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأى﴾**، وهى أول سورة أعلنها النبى ﷺ بمكة، فلما بلغ آخرها سجد، وسجد من بحضرته من مؤمنى الإنس والجن والشجر، وذلك أن كفار مكة قالوا: إن محمدًا يقول هذا القرآن من تلقاء نفسه، فأقسم الله بالقرآن، فقال: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [آية: ١] يعنى من السماء إلى محمد ﷺ مثل قوله: **﴿فلا أقسم بمواقع النجوم** [الواقعة: ٧٥]، وكان القرآن إذا نزل إنما ينزل نجومًا ثلاث آيات وأربع ونحو ذلك، والسورة والسورتان، فأقسم الله بالقرآن، فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ﴾ محمد ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ [آية: ٢] وما تكلم بالباطل.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ (٣) إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ (٩)﴾

﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ محمد هذا القرآن ﴿عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ [آية: ٣] من تلقاء نفسه ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [آية: ٤] إليه يقول: ما هذا القرآن إلا وحى من الله تعالى يأتيه به جبريل، ﷺ، فذلك قوله: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ [آية: ٥] يعنى القوة فى كل شىء، يعنى جبريل، ثم قال: ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾ يعنى جبريل، عليه السلام، يقول: ذو قوة ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ [آية: ٦] يعنى سويًا حسن الخلق ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [آية: ٧] يعنى من قبل المطلع ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ الرب تعالى من محمد ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ [آية: ٨] وذلك ليلة أسرى بالنبى ﷺ إلى السماء السابعة ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابَ قَوۡسَيۡنِ﴾ يعنى قدر ما بين طرفى القوس من قسى العرب ﴿أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ [آية: ٩] يعنى أدنى أو أقرب من ذلك.

حدثنا عبد الله، قال: سمعت أبا العباس يقول: **﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾**، يعنى قدر طول قوسين من قسى العرب.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ [آية: ١٠] ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [آية: ١١] يعنى ما كذب قلب محمد ﷺ ما رأى بصره من أمر ربه تلك الليلة ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [آية: ١٢] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [آية: ١٣] يقول: رأى محمد ﷺ ربه بقلبه مرة أخرى، رآه ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [آية: ١٤] أغصانها اللؤلؤ والياقوت والزبرجد، وهى شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة العليا.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [آية: ١٥] تأوى إليها أرواح الشهداء أحياء يرزقون، وإنما سميت المنتهى لأنها ينتهى إليها علم كل مخلوق، ولا يعلم ما وراءها أحد إلا الله عز وجل كل ورقة منها تظل أمة من الأمم على كل ورقة منها ملك يذكر الله عز وجل، ولو أن ورقة منها وضعت فى الأرض لأضاءت لأهل الأرض نورًا تحمل لهم الحلل والثمار من جميع الألوان، ولو أن رجلاً ركب حقة فطاف على ساقها، ما بلغ المكان الذى ركب منه حتى يقتله الهرم، وهى طوبى التى ذكر الله تعالى فى كتابه: **طوبى لهم وحسن مآب**﴾ [الرعد: ٢٩] ينبع من ساق السدرة عينان أحدهم السلسبيل، والأخرى الكوثر، فينفجر من الكوثر أربعة أنهار التى ذكر الله تعالى فى سورة محمد ﷺ، الماء واللبن والعسل والخمر.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾

ثم قال: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [آية: ١٦] ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ يعنى بصر محمد ﷺ يعنى ما مال ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ [آية: ١٧] يعنى وما ظلم، لقد صدق محمد ﷺ بما رأى تلك الليلة ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ محمد ﷺ ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [آية: ١٨] وذلك أن النبى ﷺ رأى رفرفًا أخضر قد غطى الأفق، فذلك من آيات ربه الكبرى ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [آية: ١٩] ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [آية: ٢٠] وإنما سميت اللات والعزى لأنهم أرادوا أن يسموا الله، فمنعهم الله فصارت اللات وأرادوا أن يسموا العزيز، فمنعهم

فصارت العزى ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [آية: ٢١] حين قالوا: إن الملائكة بنات الله ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [آية: ٢٢] يعنى جائزة عوجاء أن يكون لهم الذكر وله الأنثى.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾

ثم ذكر آلهتهم، فقال: ﴿إِنْ هِىَ﴾ يقول: ما هى ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ بأنها آلهة من قوله: ﴿**أم لكم سلطان مبين**﴾ [الصافات: ١٥٦] يعنى كتاب فيه حجة، مثل قوله: ﴿**أم أنزلنا عليهم سلطانًا**﴾ [الروم: ٣٥]، يعنى كتابًا لهم فيه حجة ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ يقول: ما لهم من علم بأنها آلهة إلا ظنًا ما يستيقنون بأن اللات والعزى ومناة آلهة ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ يعنى القلوب ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [آية: ٢٣] يعنى القرآن ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ [آية: ٢٤] بأن الملائكة تشفع لهم، وذلك أن النبى ﷺ قرأ سورة النجم، والليل إذا يغشى، أعلنهما بمكة، فلما بلغ ﴿**أفرأيتم اللات والعزى ومناة**﴾ نعس فألقى الشيطان على لسانه تلك «الثالثة الأخرى تلك الغرانيق العلا» عندها الشفاعة ترتجى، يعنى الملائكة ففرح كفار مكة ورجوا أن يكون للملائكة شفاعة، فلما بلغ آخرها سجد، وسجد المؤمنون تصديقًا لله تعالى وسجد كفار مكة عند ذكر الآلهة غير أن الوليد بن المغيرة، وكان شيخًا كبيرًا، فرفع التراب إلى جبهته فسجد عليه، فقال: يحيا كما تحيا أم أيمن وصواحبتها، وكانت أم أيمن خادم النبى ﷺ وأيمن خادم النبى ﷺ قتل يوم خيبر.

وقال فى الأنعام: ﴿**ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه**﴾ [الأنعام: ١٢]، لا شك فيه ﴿**ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى**﴾ [النجم: ٣١]، فلما رجوا أن للملائكة شفاعة، أنزل الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [آية: ٢٥] يعنى الدنيا والآخرة.

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى﴾ يقول: لا تنفع ﴿شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ﴾ من بنى آدم فيشفع له، ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ [آية: ٢٦] الله له بالتوحيد.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعنى لا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [آية: ٢٧] حين زعموا أن الملائكة أناث، وأنها تشفع لهم، يقول الله: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ﴾ بذلك ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ أنها أناث ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ يقول: ما يتبعون إلا الظن وما يستيقنون أنها أناث ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [آية: ٢٨] ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ يعنى عن من أعرض عن الإيمان بالقرآن ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [آية: ٢٩] ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ يعنى من مبلغ رأيهم من العلم أن الملائكة أناث وأنها تشفع لهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ يعنى عن الهدى من غيره ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ من غيره ﴿بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [آية: ٣٠] منكم، ثم عظم نفسه بأنه غنى عن عبادتهم والملائكة وغيرهم عبيده وفى ملكه.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾

فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ فى الآخرة ﴿ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من الشرك فى الدنيا، أنه قال فى الأنعام، والنساء: ﴿**ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه**﴾ [الأنعام: ١٢، النساء: ٨٧] يعنى لا شك فى البعث أنه كائن ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من الشرك فى الدنيا ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ التوحيد فى الدنيا ﴿بِٱلْحُسْنَى﴾ [**٣١**] وهى الجنة، ثم نعت المتقين.

﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾

فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ يعنى كل ذنب يختم بالنار ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ يعنى كل ذنب فيه حد ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ يعنى ما بين الحدين.

نزلت فى نبهان التمار، وذلك أنه كان له حانوت يبيع فيه التمر، فأتته امرأة تريد

تمرًا، فقالت لها: ادخلى الحانوت، فإن فيه تمرًا جيدًا، فلما دخلت رادوها عن نفسها، فأبت عليه، فلما رأت الشر خرجت فوثب إليها، فضرب عجزها بيده، فقال: والله، ما نلت منى حاجتك، ولا حفظت غيبة أخيك المسلم.

فذهبت المرأة وندم الرجل، فأتى النبى ﷺ فأخبره بصنيعه، فقال له النبى ﷺ: «ويحك يا نبهان، فلعل زوجها غاز فى سبيل الله»، فقال: الله ورسوله أعلم، فقال: «أما علمت أن الله يغار للغازى ما لا يغار للمقيم»، فلقى أبا بكر، رضى الله عنه، فأعلمه، فقال: ويحك فلعل زوجها غاز فى سبيل الله، فقال: الله أعلم، ثم رجع فلقى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فأخبره، فقال: ويحك لعل زوجها غاز فى سبيل الله، قال: الله أعلم، فصرعه عمر فوطئه، ثم انطلق به إلى النبى ﷺ، فقال: يا رسول الله، إخواننا غزاة فى سبيل الله تكسر الرماح فى صدورهم يخلف هذا ونحوه أهليهم بسوء، فاضرب عنقه، فضحك النبى ﷺ، فقال: «أرسله يا عمر»، فنزلت فيه: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ يعنى ضربه عجزيتها بيده ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ لمن تاب.

ثم قال: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ﴾ من غيره ﴿إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعنى خلقكم من تراب ﴿وَ﴾ هو أعلم بكم ﴿وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ﴾ يعنى جنين الذى يوكن فى بطن أمه ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ قال: وقال ناس من المسلمين: صلينا وفعلنا فزكوا أنفسهم، فقال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [آية: ٣٢].

﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾

﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ [آية: ٣٣] عن الحق يعنى الوليد بن المغيرة ﴿وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا﴾ من الخير بلسانه ﴿وَأَكۡدَىٰٓ﴾ [آية: ٣٤] يعنى قطع ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ بأن الله لا يبعثه ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [آية: ٣٥] الإقامة على الكفر نظيرها فى الطور، وفى ن: ﴿**أم عندهم الغيب فهم يكتبون**﴾ [الطور: ٤١، القلم: ٤٧].

﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ﴾ يعنى يحدث ﴿بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ [آية: ٣٦] يعنى التوراة كتاب موسى ﴿وَ﴾ صحف ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [آية: ٣٧] لله بالبلاغ، وبلغ قومه ما

أمره الله تعالى ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [آية: ٣٨] يقول: لا تحمل نفس خطيئة نفس أخرى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ﴾ فى الآخرة ﴿إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [آية: ٣٩] يعنى إلا ما عمل فى الدنيا ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ﴾ يعنى عمله فى الدنيا ﴿سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [آية: ٤٠] فى الآخرة حين ينظر إليه ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ [آية: ٤١] يوفيه جزاء عمله فى الدنيا كاملاً، ثم أخبر عن هذا الإنسان الذى قال له، فقال: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [آية: ٤٢] ينتهى إليه بعمله.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ (٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ (٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَىٰ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤)﴾

ثم أخبره عن صنعه، فقال: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [آية: ٤٣] يقول: أضحك واحدًا وأبكى آخر، وأيضًا أضحك أهل الجنة، وأبكى أهل النار ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ﴾ الأحياء ﴿وَأَحْيَا﴾ [آية: ٤٤] الموتى ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ﴾ الرجل والمرأة كل واحد منهما زوج الآخر ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [آية: ٤٥] خلقهما .﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [آية: ٤٦] يعنى إذا تدفق المنى ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [آية: ٤٧] يعنى الخلق الآخر يعنى البعث فى الآخرة بعد الموت ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [آية: ٤٨] يقول: موَّل وأرضى هذا الإنسان بما أعطى.

ثم قال: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾ [آية: ٤٩] قال مقاتل: الشعرى اليمانية النيرة الجنوبية كوكب مضىء، وهى التى تتبع الجوزاء، ويقال: لها المزن والعبور، كان أناس من الأعراب من خزاعة، وغسان، وغطفان، يعبدونها، وهى الكوكب الذى يطلع بعد الجوزاء، قال الله تعالى أنا ربها فاعبدونى ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ [آية: ٥٠] بالعذاب، وذلك أن أهل عاد وثمود، وأهل السواد، وأهل الموصل، وأهل العال كلها من ولد إرم بن سام بن نوح، عليه السلام، فمن ثم قال: ﴿أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ يعنى قوم هود بالعذاب.

﴿وَ﴾ أهلك ﴿وَثَمُودَا﴾ بالعذاب ﴿فَمَا أَبْقَىٰ﴾ [آية: ٥١] منهم أحد ﴿وَ﴾ أهلك ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ بالغرق ﴿مِّن قَبْلُ﴾ هلاك عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ [آية: ٥٢] من عاد وثمود، وذلك أن نوحًا دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا فلم

يجيبوه، حتى إن الرجل منهم كان يأخذ بيد ابنه فينطلق به إلى نوح، عليه السلام، فيقول له: احذر هذا، فإنه كذاب فإن أبى قد مشى بى إلى هذا وأنا مثلك، فحذرنى منه، فأحذره، فيموت الكبير على الكفر، وينشؤ الصغير على وصية أبيه، فنشأ قرن بعد قرن على الكفر، هم كانوا أظلم وأطغى، فبقى من نسلهم، بعد عاد أهل السواد، وأهل الجزيرة، وأهل العال، فمن ثم قال: ﴿**عَادًا الأُولَى**﴾.

ثم قال: ﴿وَ﴾ أهلك ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ يعنى الكذبة ﴿أَهْوَىٰ﴾ [آية: ٥٣] يعنى قرى قوم لوط، وذلك أن جبريل، عليه السلام، أدخل جناحه فرفعها إلى السماء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا أصوات الديكة، ونباح الكلاب، ثم قلبها فهوت من السماء إلى الأرض مقلوبة، قال: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [آية: ٥٤] يعنى الحجارة التى غشاها من كان خارجًا من القرية، أو كان فى زرعه، أو فى ضرعه.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾﴾

ثم قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾ يعنى بأى نعمة ربك ﴿تَتَمَارَىٰ﴾ [آية: ٥٥] يعنى يشك فيها ابن آدم ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [آية: ٥٦] فيها تقديم، يقول: هذا الذى أخبر عن هلاك الأمم الخالية، يعنى قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، يخوف كفار مكة ليحذروا معصيته.

﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾

﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ [آية: ٥٧] يعنى اقتربت الساعة ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [آية: ٥٨] يقول: لا يكشفها أحد إلا الله، يعنى الساعة لا يكشفها أحد من الآلهة إلا الله تعالى الذى يكشفها.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعنى القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ [آية: ٥٩] تكذيبًا به ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ [آية: ٦٠] يعنى كفار مكة مما فيه من الوعيد ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [آية: ٦١] يعنى لاهون عن القرآن، بلغة اليمن ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ يعنى صلوا الصلوات الخمس ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾ [آية: ٦٢] يعنى وحدوا الرب تعالى.

* * *

سُورَةُ القَمَرِ

سورة القمر مكية، عددها خمس وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ (٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ (٦)﴾

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ يعنى القيامة، ومن علامة ذلك، خروج النبى ﷺ، والدخان، وانشقاق القمر، وذلك أن كفار مكة سألوا النبى ﷺ أن يريهم آية فانشق القمر نصفين، فقالوا: هذا عمل السحرة. يقول الله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [آية: ١] ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً﴾ يعنى انشقاق القمر ﴿يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [آية: ٢] يعنى سحر ذاهب، فاستمر، ثم التأم القمر بعد ذلك، يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ بالآية يعنى بالقمر أنه ليس من الله تعالى ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ هذا وعيد ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ [آية: ٣] يعنى لكل حديث منتهى وحقيقة، يعنى العذاب فى الدنيا القتل ببدر، ومنه فى الآخرة عذاب النار ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ يعنى جاء أهل مكة من حديث القرآن ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [آية: ٤] يعنى موعظة لهم، وهو النهى عن المعاصى جاءهم ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ يعنى القرآن نظيرها فى يونس: ﴿**وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون**﴾ [يونس: ١٠١]، يقول: أرسلت إليهم وأنذرتهم فكفروا بما جاءهم من البيان ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [آية: ٥] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ يعنى فأعرض عن كفار مكة إلى ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ وهو إسرافيل ينفخ الثانية قائمًا على صخرة بيت المقدس ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ [آية: ٦] يعنى إلى أمر فظيع.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ (٩)﴾

﴿خُشَّعًا﴾ يعنى ذليلة خافضة ﴿أَبْصَـٰرُهُمْ﴾ عند معاينة النار ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ يعنى القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [آية: ٧] حين انتشر من معدنه فشبه الناس بالجراد إذا خرجوا من قبورهم ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ يعنى مقبلين سراعًا إذا خرجوا من القبور إلى صوت إسرافيل القائم على الصخرة التى ببيت المقدس، فيهون على المؤمنين الحشر، كأدنى صلاتهم، والكفار يكبون على وجوههم، فلا يقومون مقامًا، ولا يخرجون مخرجًا إلا عسر عليهم فى كل موطن شدة ومشقة، فذلك قوله: ﴿يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [آية: ٨] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل أهل مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نوحًا ﴿وَقَالُوا۟﴾ لنوح: ﴿مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ [آية: ٩] يعنى استطار القلب من وأوعدوه بالقتل وضربوه.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [آية: ١٠] بعدما كان يضرب فى كل يوم مرتين حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون. قال أبو محمد: قال أبو العباس: ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ دفع عما أراد منهم.

فأجابه الله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أربعين يومًا ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [آية: ١١] يعنى منصب كثير ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أربعين يومًا ﴿عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [آية: ١٢] وذلك أن ماء السماء وماء الأرض قدر الله تعالى كليهما، فكانا سواء لم يزاد ماء السماء على ماء الأرض، وكان ماء السماء باردًا مثل الثلج، وماء الأرض حارًا مثل الحميم، فذلك قوله: ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ لأن الماء ارتفع فوق كل جبل ثلاثين يومًا، ويقال: أربعين ذراعًا، فكان الماء الذى على الأرض، والذى على رءوس الجبال فابتلعت الأرض ماءها، وبقى ماء السماء أربعين يومًا، لم تشربه الأرض، فهذه البحور التى على الأرض منها.

﴿وَحَمَلْنَـٰهُ﴾ نوحًا ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ يعنى ألواح السفينة، وهى من ساج، ثم قال: ﴿وَدُسُرٍ﴾ [آية: ١٣] يعنى مسامير من حديد تشد به السفينة، كان بابها فى عرضها ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ يقول: تجرى السفينة فى الماء بعين الله تعال، فأغرق الله قوم نوح، فذلك الغرق ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [آية: ١٤] يعنى نوحًا المكفور به.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ يعنى السفينة كانت عبرة وآية لمن بعدهم من الناس، نظيرها فى الحاقة، وفى الصافات، وفى العنكبوت.

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [آية: ١٥] يقول: هل من يتذكر؟ فيعلم أن ذلك الحق فيعتبر ويخاف عقوبة الله تعالى ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [آية: ١٦] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ يقول: هونا ﴿ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ يعنى ليتذكروا فيه ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [آية: ١٧] يعنى فيتذكر فيه ولو أن الله تعالى يسر القرآن للذكر ما استطاع أحد أن يتكلم بكلام الله تعالى، ولكن الله تعالى يسره على خلقه فيقرءونه على كل حال ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ هودًا بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [آية: ١٨] يقول: الذى أنذر قومه ألم يجدوه حقًا؟.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾

ثم أخبر عن عذابهم، فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ يعنى باردة شديدة ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾ يعنى شديد ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ [آية: ١٩] يقول: استمرت عليهم الريح لا تفتر عنهم سبع ليال، وثمانية أيام حسومًا دائمة ﴿تَنزِعُ﴾ الريح أرواح ﴿ٱلنَّاسَ﴾ من أجسادهم فتصرعهم، ثم شبههم، فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ يعنى أصول النخل ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ [آية: ٢٠] يقول: انعقرت النخلة من أصلها، فوقعت وهو المنقطع.

فشبههم حين وقعوا من شدة العذاب بالنخيل الساقطة التى ليست لها رءوس وشبههم بالنخيل لطولهم، كان طول كل رجل منهم اثنى عشر ذراعًا.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ [آية: ٢٣] يعنى بالرسل ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ يعنون صالحًا ﴿إِنَّآ إِذًا

﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [آية: ٢٤] يعنى لفى شفاء وعناء إن تبعنا صالحًا ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ﴾ يعنى أنزل عليه الوحى ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾ يعنون صالحًا، صلى الله عليه، ونحن أفضل منه عند الله منزلة، فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [آية: ٢٥] يعنى بطر مرح، قال صالح: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عند نزول العذاب ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ [آية: ٢٦] فهذا وعيد أنا أم أنتم ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ لنبتليهم بها ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ يعنى انتظروهم، فإن العذاب نازل بهم ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ [آية: ٢٧] على الأذى.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ﴾ يوم للناقة ويوم لأهل القرية ﴿بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [آية: ٢٨] يعنى اليوم والناقة، يقول: إذا كان يوم الناقة حضرت شربها، وإذا كان يومهم حضروا شربهم ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ بعدما كانوا منعوا الماء وكان القوم على شراب لهم ففنى الماء، فبعثوا رجلاً ليأتيهم بالماء ليمزجوا به الخمر، فوجدوا الناقة على الماء، فرجع، وأخبر أصحابه، فقالوا لقدار بن سالف: اعقروها، وكانوا ثمانية فأخذ قدار السيف فعقرها، وهو عاقر الناقة.

فذلك قوله: ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [آية: ٢٩] فتناول الناقة بالسيف فعقرها ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [آية: ٣٠] يعنى الذى أنذر قومه ألم يجدوه؟ حقًا، فلما أيقن بالهلاك تكفنوا بالأنطاع وتطيبوا بالمر، ثم دخلوا حفرهم صبيحة يوم الرابع، ثم أخبر عن عذابهم.

فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ من جبريل، عليه السلام، وذلك أنه قام فى ناحية القرية فصاح صيحة فخمدوا أجمعين ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [آية: ٣١] شبههم فى الهلاك بالهشيم البالى، يعنى الحظيرة من القصب ونحوها تحظر على الغنم، أصابها ماء السماء، وحر الشمس، حتى بليت من طول الزمان، قال أبو محمد: قال أبو العباس أحمد بن يحيى: الهشيم النبت الذى أتى عليه حر الشمس، وطول المدة، فإذا مسسته لم تجده شيئًا.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ﴾ [آية: ٣٣] يعنى بالرسل.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ (٣٤) نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ (٣٥)﴾

ثم أخبر عن عذبهم، فقال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا﴾ يعنى الحجارة من فوقهم، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ﴾ ابنته ريثا وزعونا ﴿نَّجَّيۡنَٰهُم﴾ من العذاب ﴿بِسَحَرٖ﴾ [آية: ٣٤] يعنى بقطع من آخر الليل، وكان ذلك ﴿نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ﴾ على آل لوط حين أنجى الله تعالى آل لوط ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿نَجۡزِي﴾ بالنجاة ﴿مَن شَكَرَ﴾ [آية: ٣٥] يعنى من وحد الله تعالى، وصدق بما جاءت به الرسل لم يعذب مع المشركين فى الدنيا، كقوله: ﴿**وسيجزى الله الشاكرين**﴾ [آل عمران: ١٤٤] يعنى الموحدين.

﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ (٣٨) فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩)﴾

ثم قال: ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم﴾ لوط ﴿بَطۡشَتَنَا﴾ يعنى العذاب ﴿فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ﴾ [آية: ٣٦] يقول: شكوا فى العذاب بأنه غير نازل بهم الدنيا ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ﴾ جبريل ﷺ ومعه ملكان ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ يقول: فحولنا أبصارهم إلى العمى، وذلك أنهم كسروا الباب، ودخلوا على الرسل يريدون منهم ما كانوا يعملون بغيرهم، فلطمهم جبريل بجناحه فذهبت أبصارهم ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [آية: ٣٧] يقول: هذا الذى أنذروا ألم يجدوه حقًا؟ ﴿وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ﴾ [آية: ٣٨] يقول: استقر بهم العذاب بكرة ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [آية: ٣٩] يقول: هذا الذى أنذروا ألم يجدوه حقًا؟

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ (٤٠) وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ (٤١) كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ (٤٢)﴾

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ (٤٠) وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ﴾ [آية: ٤١] يعنى الرسل موسى وهارون، عليهما السلام، يعنى بآل فرعون القبط، وكان فرعون قبطيًا يقول: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ يعنى بالآيات التسع، اليد، والعصا، والطمس، والسنين، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم ﴿فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ﴾ فى انتقامه ﴿مُّقۡتَدِرٍ﴾ [آية: ٤٢] على هلاكهم.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾

ثم خوف مفار مكة، فقال: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ يعنى أكفار أمة محمد ﷺ خير من كفار الأمم الخاليه الذين ذكرهم فى هذه السورة، يقول: أليس أهلكتهم بالعذاب بتكذيبهم الرسل، فلستم خيرًا منهم إن كذبتم محمدًا ﷺ أن يهلككم بالعذاب ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ [آية: ٤٣] يعنى فى الكتاب يقول: ألكم براءة من العذاب فى الكتاب أنه لن يصبيكم من العذاب ما أصاب الأمم الخالية؟ فعذبهم الله ببدر بالقتل ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [آية: ٤٤] من عدونا يعنى محمدًا ﷺ، وأصحابه يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ يعنى جمع أهل بدر ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [آية: ٤٥] يعنى الأدبار لا يلوون على شيء، وقتل عبد الله بن مسعود أبا جهل بن هشام بسيف أبى جهل، وأخبر النبى ﷺ أنه رأى فى جسده مثل لهب النار، قال: «ذلك ضرب الملائكة»، وأجهز على أبى جهل عوف ومعاذ ابنا عفراء.

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾﴾

ثم أوعدهم، فقال: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿مَوْعِدُهُمْ﴾ بعد القتل ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ يعنى والقيامة ﴿أَدْهَىٰ﴾ يعنى أفظع ﴿وَأَمَرُّ﴾ [آية: ٤٦] من القتل يقول: القتل يسير ببدر، ولكن عذاب جهنم أدهى وأمَرُّ عليهم من قتل بدر، ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فى الدنيا ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾ يعنى فى شقاء ﴿وَسُعُرٍ﴾ [آية: ٤٧] يعنى وعناء، ثم أخبر بمستقرهم فى الآخرة، فقال: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ بعد العرض تسحبهم الملائكة، وتقول الخزنة: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ [آية: ٤٨] يعنى عذاب سقر ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [آية: ٤٩] يقول: قدر الله لهم العذاب ودخول سقر ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ﴾ فى الساعة ﴿إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ يعنى إلا مرة واحدة لا مثنوية لها ﴿كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ [آية: ٥٠] يعنى مجنوح الطرف ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ﴾ بالعذاب ﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعنى عذبنا إخواتكم أهل ملتكم، يا أهل مكة، يعنى الأمم الخالية حين كذبوا رسلهم ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [آية: ٥١] يقول: فهل من متذكر فيعلم أن ذلك حق فيعتبر ويخاف، فلا يكذب محمدًا ﷺ.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾

ثم قال: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [آية: ٥٢] يعنى الأمم الخالية، قال: كل شيء عملوه مكتوب فى اللوح المحفوظ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [آية: ٥٣] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ يعنى البساتين ﴿وَنَهَرٍ﴾ [آية: ٥٤] يعنى الأنهار الجارية، ويقال: السعة مثل قوله فى الكهف: ﴿**وفجرنا خلالهما نهرًا**﴾ [الكهف: ٣٣]، ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [آية: ٥٥] على ما يشاء، وذلك أن أهل الجنة يدخلون على ربهم تعالى على مقدار كل يوم جمعة، فيجلسون إليه على قدر أعمالهم فى الدنيا، وبقدر ثوابهم فى الآخرة، فيعطون فى ذلك المجلس ما يحبون من شيء، ثم يعطيهم الرب تعالى، ما لم يسألوه من الخير من جنة عدن ما لم تراه عين، و لم تسمعه أذن، و لم يخطر على قلب بشر.

* * *

سورة الرحمن

مكية، عددها ثمان وسبعون آية كوفى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾﴾

قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [آية: ١] وذلك أنه لما نزل: ﴿**اسجدوا للرحمن**﴾ [الفرقان: ٦٠] قال كفار مكة: ﴿**وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا**﴾ [الفرقان: ٦٠]، فأنكروا الرحمن، وقالوا: لا نعرف الرحمن، فأخبر الله تعال عن نفسه، وذكر صنعه ليعرف فيوحد، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ الذى أنكروه هو الذى ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [آية: ٣] يعنى آدم ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [آية: ٤] يعنى بيان كل شيء.

﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾﴾

﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [آية: ٥] مطالعهما ومغاربهما ثمانين ومائة مطلع، وثمانين ومائة مغرب، لتعلموا بها عدد السنين والحساب.

ثم قال: ﴿وَٱلنَّجۡمُ﴾ يعنى كل نبت ليس له ساق ﴿وَٱلشَّجَرُ﴾ كل نبت له ساق ﴿يَسۡجُدَانِ﴾ [آية: ٦] يعنى سجودهما ظلهما طرفى النهار حين نزول الشمس، وعند طلوعها إذا تحول ظل الشجرة فهو سجودها، ثم قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ من الأرض مسيرة خمس مائة عام ﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [آية: ٧] الذى يزن به الناس وضعه الله عدلاً بين الناس ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ﴾ [آية: ٨] يعنى ألا تظلموا فى الميزان ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ يعنى اللسان بالعدل ﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ﴾ يعنى ولا تنقصوا ﴿ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ﴾ [آية: ١٠] يعنى للخليقة من أهل الأرض ﴿فِيهَا﴾

يعنى فى الأرض ﴿فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ [آية: ١١] يعنى ذات الأجواف، مثل قوله: ﴿**وما تخرج من ثمرات من أكمامها**﴾ [فصلت: ٤٧]، يعنى البر والشعير.

﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَٱلْحَبُّ﴾ فيها يعنى فى الأرض أيضًا، الحب: يعنى البر والشعير ﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ يعنى ورق الزرع الذى يكون فيه الحب ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ [آية: ١٢] يعنى الرزق نظيرها فى الواقعة ﴿**فروح وريحان**﴾ [الواقعة: ٨٩] يعنى الرزق بلسان حمير الذى يخرج من الحب من دقيق أو سوابق، أو غيره.

فذكر ما خلق من النعم، فقال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ١٣] يعنى الجن والإنس، يعنى فبأى نعماء ربكما تكذبان بأنها ليست من الله تعالى.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾

ثم قال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعنى آدم، عليه السلام ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ يعنى من تراب الرمل، ومعه الطين الحر، قال ابن عباس: الصلصال: الطين الجيد إذا ذهب عنه الماء، فتشقق، فإذا تحرك تقعقع، وأما قوله: ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾ [آية: ١٤] يعنى هو بمنزلة الفخار من قبل أن يطبخ، يقول: كان ابن آدم من قبل أن ينفخ فيه الروح بمنزلة الفخار أجوف ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ يعنى إبليس ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [آية: ١٥] يعنى من لهب النار صاف ليس له دخان، وإنما سمى الجان لأنه من حى من الملائكة، يقال لهم: الجن، فالجن الجماعة، والجان الواحد، وكان حسن خلقهما من النعم. فمن ثم قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ يعنى نعماء ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ١٦].

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ مشرق أطول يوم فى السنة، وهو خمس عشرة ساعة، ومشرق أقصر يوم فى السنة، وهو تسع ساعات ﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [آية: ١٧] يعنى مغاربهما يعنى مغرب أطول ليلة ويوم فى السنة، وأقصر ليلة ويوم فى السنة فهما يومان فى السنة، ثم جمعها، فقال: ﴿**رب المشارق والمغارب**﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ١٨] أنها ليست من الله تعالى.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ (٢٢) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣)﴾

قوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ يعنى خلع البحرين ماء المالح، وماء العذب خلع أحدهما على الآخر ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ [آية: ١٩].

قال أبو محمد: قال أبو العباس أحمد بن يحيى: مرج يعنى خلق. وقال الفراء: مرج البحرين يعنى أرسلهما. وقال أبو عبيدة: مجازه مرجت الدابة، أى خلعت عنقها.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ يعنى حاجزًا حجز الله أحدهما عن الآخر بقدرته فـ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [آية: ٢٠] يعنى لا يبغى أحدهما على الآخر، فلا يختلطان ولا يتغير طعمهما، وكان هذا من النعم، فلذلك قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ يعنى فبأى نعماء ربكما ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٢١] أنها ليست من الله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ من الماءين جميعًا، ماء الملح، وماء العذب، ومن ماء السماء ﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾ الصغار ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [آية: ٢٢] يعنى الدر العظام ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ يعنى نعماء ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٢٣] فهذا من النعم.

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ (٢٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨)﴾

قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ يعنى السفن ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ يعنى المخلوقات ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ [آية: ٢٤] يعنى كالجبال يشبه السفن فى البحر كالجبال فى البر، فكانت السفن من النعم، ثم قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٢٥] يعنى نعماء ربكما تكذبان، قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [آية: ٢٦] يعنى من على الأرض من الحيوان، فإن يعنى هالك ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ يعنى نعماء ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٢٨] فلما نزلت هذه الآية، قالت الملائكة الذين فى السماء: هلك أهل الأرض العجب لهم كيف تنفعهم المعيشة حتى أنزل الله تعالى فى القصص: ﴿**كل شىء هالك إلا وجهه**﴾ [القصص: ٨٨]، يعنى كل شىء من الحيوان فى السماوات والأرض يموت إلا وجهه يقول: إلا الله، فأيقنوا عند ذلك كلهم بالهلاك.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢)﴾

قوله: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعنى يسأل أهل الأرض الله الرزق، وتسأل الملائكة أيضًا لهم الرزق والمغفرة ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [آية: ٢٩] وذلك أن اليهود قالت: إن الله لا يقضى يوم السبت شيئًا، فأنزل الله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ يوم السبت وغيره، وشأنه أنه يحدث فى خلقه ما يشاء من خلق، أو عذاب، أو شدة، أو رحمة، أو رخاء، أو رزق، أو حياة، أو موت، فمن مات محى اسمه من اللوح المحفوظ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٣٠] يعنى نعماء ركما تكذبان أنها ليست من الله تعالى. ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [آية: ٣١] يعنى سنفرغ لحساب الإنس والجن، ولم يعن به الشياطين، لأنهم هم أغووا الإنس والجن، وهذا من كلام العرب يقول: سأفرغ لك، وإنه لفارغ قبل ذلك، وهذا تهديد والله تعالى لا يشغله شيء يقول: سيفرغ الله فى الآخرة لحسابكم أيها الثقلان يعنى الجن والإنس.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: قال أبو صالح: قال سعيد بن جبير: فى قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ يقول: سأقصد لحسابكم ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٣٢].

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤)﴾

قوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ قد جاء آجالكم، فهذا وعيد من الله تعالى، يقول: ﴿**يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم**﴾ [الأنعام: ١٣٠]، لأن الشياطين أضلوهما، فبعث فيهم رسلاً منهم، قال: ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ﴾ يعنى من قطرى ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول: أن تنفذوا من أطراف السماوات والأرض هربًا من الموت ﴿فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ﴾ يعنى لا تنفذوا ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [آية: ٣٣] يعنى إلا بملكى حيثما توجهتم فثم ملكى، فأنا آخذكم بالموت ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾ يعنى نعماء ربكما ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٣٤] أن أحدًا يقدر على هذا غير الله تعالى.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦)﴾

قوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ يعنى كفار الجن والإنس فى الآخرة شواظ من نار، يعنى لهب النار ليس له دخان ﴿وَنُحَاسٌ﴾ يعنى الصفر الذائب وهى خمسة أنهار تجرى من تحت العرش على رءوس أهل النار ثلاثة أنهار على مقدار الليل، ونهران على

مقدار أنهار الدنيا ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [آية: ٣٥] يعنى فلا تمتنعان من ذلك، فذلك قوله فى سورة النحل: ﴿**زدناهم عذابًا فوق العذاب**﴾ [النحل: ٨٨]، يعنى الأنهار الخمس بما كانوا يفسدون ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ يعنى نعماء ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٣٦].

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يعنى انفرجت من المجرة، وهو البياض الذى يرى فى وسط السماء، وهو شرج السماء لنزول من فيها، يعنى الرب تعالى والملائكة ﴿فَكَانَتْ﴾ يعنى فصارت من الخوف ﴿وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [آية: ٣٧] شبه لونها فى التغير والتلون بدهان الورد الصافى.

قال أبو صالح: شبه لونها بلون دهن الورد، ويقال: بلون الفرس الورد يكون فى الربيع كميتًا أشقر، وفى الشتاء أحمر، فإذا اشتد البرد كان أغبر فشبه لون السماء فى اختلاف أحوالها بلون الفرس فى الأزمنة المختلفة.

وقال الفراء: فى قوله: ﴿وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ أراد بالوردة الفرس الورد، يكون فى الربيع وردة إلى الصفرة، فإذا اشتد البرد كانت حمراء، فإذا كان بعد ذلك كانت وردة إلى الغبرة فشبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل، وشبه الوردة فى اختلاف ألوانها بالدهن لاختلاف ألوانه، ويقال: كدهان الأديم يعنى لونه.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾ يعنى عن عمله ﴿إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [آية: ٣٩] لأن الرب تعالى قد أحصى عليه عمله ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٤٠].

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾

قوله: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ بعد الحساب يعنى بسواد الوجوه وزرقة الأعين ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [آية: ٤١] وذلك أن خزنة جهنم بعد الحساب يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ثم يجمعون بين نواصيهم إلى أقدامهم من ظهورهم، ثم يدفعونهم فى النار على وجوههم، فإذا دنوا منها قالت لهم الخزنة: ﴿**هذه النار التى كنتم بها تكذبون**﴾

[الطور: ١٤] فى الدنيا ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٤٢].

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

قوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [آية: ٤٣] يعنى الكافرين فى الدنيا ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ يعنى جهنم شواظًا ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [آية: ٤٤] شواظًا يعنى بالحميم الماء الحار الذى قد انتهى غليانه يعنى الذى غلى حتى حره لا يستريحون ساعة من غم يطاف عليهم فى ألوان عذابهم، فذلك قوله: ﴿**ثم أن مرجعهم**﴾ من الزقوم والحميم، يعنى الشراب، ﴿**لإلى الجحيم**﴾ [الصافات: ٦٨]، فيذهب به مرة إلى الزقوم، ثم إلى الجحيم، ثم إلى منازلهم فى جهنم، فذلك قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٤٥].

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ يوم القيامة فى الآخرة ﴿جَنَّتَانِ﴾ [آية: ٤٦] يعنى جنة عدن، وجنة النعيم، وهما للصديقين، والشهداء، والمقربين، والسابقين، وهو الرجل يهم بالمعصية، فيذكر مقامه بين يدى الله عز وجل، فيخاف فيتركها، فله جنتان.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: قال أبو صالح، عن مقاتل، عن عطاء، عن ابن عباس، عن النبى ﷺ، أنه قال: «هل تدرون ما الجنتان»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هما بستانان فى ريض الجنة كل واحد منهما مسير خمس مائة عام، فى وسط كل بستان دار فى دار من نور على نور، ليس منهما بستان إلا يعتز بنعمة وخضرة قرارها ثابت، وفرعها ثابت وشجرها نابت. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٤٧].

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾

ثم نعت الجنتين، فقال: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [آية: ٤٨] يعنى ذواتا أغصان يتماس أطراف شجرها بعضه بعضًا كالمعروشات ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [آية:

٥٠] فى عين أخدود من ماء غير آسن ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ من كل ألوان الفاكهة ﴿زَوْجَانِ﴾ [آية: ٥٢] يعنى صنفان ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ يعنى نعماء ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ يعنى ظاهرها من الديباج الأخضر فوق الفرش الديباج، وهى بلغة فارس، نظيرها فى آخر السورة: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، يعنى المحابس الخضر على الفرش.

ثم قال: ﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [آية: ٥٤] يعنى ثمره، وجنى الشجر فى الجنتين دان، يقول: ما يجتنى فى الجنتين دان يقول: طول الشجر لهذا المجتنى قريب يتناوله الرجل إن شاء جالسًا، وإن شاء أو متكئًا، أو قائمًا ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ يعنى نعماء ﴿ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٥٥].

﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿ فِيهِنَّ﴾ يعنى فى هذه الجنان الأربع فى التقديم: جنة عدن، وجنة النعيم، وجنة الفردوس، وجنة المأوى، ففى هذه الجنان الأربع جنان كثيرة فى الكثرة مثل ورق الشجر، ونجوم السماء، يقول: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ يعنى النساء يقول: حافظات النظر عن الرجال، لا ينظرن إلى أحد غير أزواجهن ولا يشتهين غيرهم ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [آية: ٥٦] لأنهن خلقن فى الجنة مع شجر الجنة يعنى لم يطمثهن إنس قبل أهل الجنة، ولا جان يعنى جن.

حدثنا عبد الله، قال: قال أبى: قال أبو صالح: قال مقاتل: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ لم يدميهن. قال أبو محمد: وقال الفراء: الطمث الدم، يقال: طمثتها أدميتها. ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٥٧]، ثم نعتهن، فقال: ﴿ كَأَنَّهُنَّ﴾ فى الشبه فى صفاء ﴿ ٱلْيَاقُوتُ﴾ الأحمر ﴿ وَ﴾ فى بياض ﴿ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [آية: ٥٨] يعنى الدر العظام، ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٥٩].

ثم قال: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ فى الدنيا ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [آية: ٦٠] فى الآخرة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٦١] ثم ذكر جنات أصحاب اليمين، فقال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ يعنى ومن دون جنتى المقربين والصديقين، والشهداء فى الفضل ﴿جَنَّتَانِ﴾ [آية: ٦٢] وهما جنة الفردوس، وجنة المأوى ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٦٣]، ثم نعتهما فقال: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [آية: ٦٤] سوداوان من الرى والخضرة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [آية: ٦٦] مملؤتان من كل خير لا ينتقصان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٦٩].

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾﴾

ثم قال: و ﴿فِيهِنَّ﴾ يعنى فى الجنان الأربع ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [آية: ٧٠] يعنى خيرات الأخلاق حسان الوجوه ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٧١] ثم نعتهن، فقال: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [آية: ٧٢] يعنى بالحوار البيضاء، وبالمقصورات المحبوسات على أزواجهن فى الخيام، يعنى الدر المجوف الدرة الواحدة مثل القصر العظيم جوفاء على قدر ميل فى السماء طولها فرسخ، وعرضها فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب، فذلك قوله تعالى: ﴿**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب**﴾ [الرعد: ٢٣]. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [آية: ٧٣].

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

ثم قال: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [آية: ٧٤] لأنهن خلقن فى الجنة، يعنى لم يطأهن إنس قبل أهل الجنة، ولا جان، يعنى ولا جنى ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ يعنى المحابس فوق الفرش ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [آية: ٧٦] يعنى لزرابى، وهى الطنافس المخملة، وهى الحسان ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾ يعنى بالجلال العظيم ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [آية: ٧٨] يعنى الكريم، فلا أكرم منه، يمدح الرب نفسه تبارك وتعالى.

* * *

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

مكية، عددها ست وتسعون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [آية: ١] يعنى إذا وقعت الصيحة، وهى النفخة الأولى ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا﴾ يعنى ليس لصيحتها ﴿كَاذِبَةٌ﴾ [آية: ٢] أنها كائنة ليس لها مثنوية ولا ارتداد ﴿خَافِضَةٌ﴾ يقول: أسمعت القريب، ثم قال: ﴿رَّافِعَةٌ﴾ [آية: ٣] يقول: أسمعت البعيد، فكانت صيحة، يعنى فصارت صيحة واحدة، أسمعت القريب والبعيد.

قال أبو محمد: قال الفراء عن الكلبى: ﴿خَافِضَةٌ﴾ قومًا إلى النار، و﴿رَّافِعَةٌ﴾ قومًا إلى الجنة. وقال غيره: ﴿خَافِضَةٌ﴾ أسمعت أهل الأرض، و﴿رَّافِعَةٌ﴾ أسمعت أهل السماء.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤﴾

ثم قال: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ [آية: ٤] يعنى إذا زلزلت الأرض زلزلها، يعنى رجا شدة الزلزلة لا تسكن حتى تلقى كل شيء فى بطنها على ظهرها، يقول: إنها تضطرب وترتج لأن زلزلة الدنيا لا تلبث حتى تسكن، وزلزلة الآخرة لا تسكن، وترتج كرج الصبى فى المهد حتى ينكسر كل شيء عليها من جبل، أو مدينة، أو بناء، أو شجر، فيدخل فيها كل شيء خرج منها من شجر، أو نبات، وتلقى ما فيها من الموتى، والكنوز على ظهرها.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا ۝٦﴾

قوله: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [آية: ٥] يعنى فتت الجبال فتا ﴿فَكَانَتْ﴾ يقول فصارت بعد القوة والشدة، عروقها فى الأرض السابعة السفلى، ورأسها فوق الأرض العليا من الخوف ﴿هَبَاءً مُّنْبَثًّا﴾ [آية: ٦] يعنى الغبار الذى تراه فى الشمس إذا دخل من

الكوة فى البيت، والمنبث الذى ليس بشىء، والهباء المنثور الذى يسطع من حوافر الخيل من الغبار، قال عبد الله بذلك، حدثنى أبى، عن أبى صالح، عن مقاتل، عن الحارث، عن على، عليه السلام.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿وَكُنتُمْ﴾ فى الآخرة ﴿أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [٧] يعنى أصنافًا ثلاثة، صنفان فى الجنة، وصنف فى النار، ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [آية: ٨] يقول: ما لأصحاب اليمين من الخير والكرامة فى الجنة ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [آية: ٩] يقول: ما لأصحاب المشأمة من الشر فى جهنم، ثم قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ إلى الأنبياء منهم أبو بكر، وعلى، رضى الله عنهما، هم ﴿السَّابِقُونَ﴾ [آية: ١٠] إلى الإيمان بالله ورسوله من كل أمة، هم السابقون إلى الجنة.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [آية: ١١] عند الله تعالى فى الدرجات والفضائل ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [آية: ١٢]، ثم قال يعنى السابقين ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [**١٣**] يعنى جمعًا من الأولين، يعنى سابق الأمم الخالية، وهم الذين عاينوا الأنبياء، عليهم السلام، فلم يشكوا فيهم طرفة عين، فهم السابقون، فلما نزلت: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [آية: ١٤] يعنى أمة محمد ﷺ، فهم أقل من سابق الأمم الخالية، ثم ذكر ما أعد الله للسابقين من الخير فى جنات النعيم، فقال: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [آية: ١٥] كوضن الخرز فى السلك، يعنى بالموضون السرر وتشبكها مشبكة أوساطها بقضبان الدر والياقوت والزبرجد ﴿مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا﴾ يعنى على السرر عليها الفرش ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ [آية: ١٦] إذا زار بعضهم بعضًا ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾ يعنى غلمان لا يكبرون ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ [آية: ١٧] لا يموتون ﴿بِـ﴾ أيدى الغلمان ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ يعنى الأكواب العظام من فضة المدورة الرءوس ليس لها عرى ولا خراطيم ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ من فضة فى

صفاء القوارير. فذلك قوله فى ﴿**هل أتى على الإنسان**﴾ [الإنسان: ١] ﴿**كانت قواريرا قوارير من فضة**﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦].

ثم قال: ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [آية: ١٨] يعنى من خمر جار، وكل معين فى القرآن، فهو جار غير الذى فى ﴿**تبارك الذى بيده الملك**﴾ [الملك: ١] يعنى به زمزم، ﴿**إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين**﴾ [الملك: ٣]، يعنى ظاهرًا تناله الدلاء، وكل شيء فى القرآن كأس، فهو الخمر ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ فتوجع رءوسهم ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [آية: ١٩] بها ﴿وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [آية: ٢٠] يعنى يختارون من ألوان الفاكهة ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ﴾ يعنى من لحم الطير ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [آية: ٢١] إن شاءوا شواء، وإن شاءوا قديدًا كل طير ينعت نفسه لولى الله تعالى ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [آية: ٢٢] يعنى البيضاء العيناء حسان الأعين ﴿كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [آية: ٢٣] فشبههم فى الكن كأمثال اللؤلؤ المكنون فى الصدف المطبق عليه، لم تمسه الأيدى، ولم تره الأعين، ولم يخطر على قلب بشر، كأحسن ما يكون.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

هذا الذى ذكر لهم فى الآخرة ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٤] فى الدنيا ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ يعنى الجنة ﴿لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [آية: ٢٥] يقول: لا يسمع فى الجنة بعضهم من بعض لغوًا يعنى الحلف، ولا تأثيمًا يعنى كذبًا عند الشراب، كفعل أهل الدنيا إذا شربوا الخمر ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا﴾ [آية: ٢٦] يعنى كثرة السلام من الملائكة نظيرها فى الرعد: ﴿**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم**﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

ثم قال: ﴿وَأَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [آية: ٢٧] يقول: ما لأصحاب اليمين من الخير، ثم ذكر ما أعد الله لهم من الخير فى الآخرة، فقال: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [آية: ٢٨]

يعنى الذى لا شوك له كسدر أهل الدنيا ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [آية: ٢٩] يعنى المتراكب بعضه فوق بعض، نظيرها: ﴿لها طلع نضيد﴾ [ق: ١٠]، يعنى المنضود ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [آية: ٣٠] دائم لا يزول لا شمس فيه كمثل ما يزول الظل فى الدنيا ﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [٣١] يعنى منصبًا كثيرًا ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ عنهم أبدًا هى لهم أبدًا فى كل حين وساعة ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [آية: ٣٣] يقول: ولا يمنعونها ليست لها خشونة ألين من الزبد وأحلى من العسل.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [آية: ٣٤] فوق السرر بعضها فوق بعض على قدر سبعين غرفة من غرف الدنيا ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ [آية: ٣٥] يعنى ما ذكر من الحور العين قبل ذلك، فنعتهن فى التقديم يعنى نشأ أهل الدنيا العجز الشمط، يقول: خلقهن فى الآخرة خلقًا بعد الخلق الأول فى الدنيا ﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [آية: ٣٦] يعنى شوابًا كلهن على ميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [آية: ٣٧] يقول: هذا الذى ذكر ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [آية: ٣٨].

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٣٩] يعنى جمع من الأولين، يعنى الأمم الخالية ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [آية: ٤٠] يعنى أمة محمد ﷺ، فإن أمة محمد أكثر أهل الجنة، وهم سابقو الأمم الخالية ومقربوها.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، حدثنا أبو صالح، عن مقاتل، عن محمد بن على، عن ابن عباس، قال: إن أهل الجنة مائة وعشرون صفا فأمة محمد ﷺ ثمانون صفا، وسائر الأمم أربعون صفًا، وسابقوا الأمم ومقربوها أكثر من سابقى هذه الأمة ومقربيها.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾

ثم قال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [آية: ٤١] يقول: ما لأصحاب الشمال من الشر، ثم ذكر ما أعد لهم فى الآخرة من الشر، فقال: ﴿فِى سَمُومٍ﴾ يعنى ريحًا حارة تخرج من الصخرة التى فى جهنم فتقطع الوجوه وسائر اللحوم.

ثم قال: ﴿وَحَمِيمٍ﴾ [آية: ٤٢] يعنى ظلا أسود كهيئة الدخان يخرج من جهنم، فيكون فوق رءوسهم وهم فى السرادق ثلاث فرق، فذلك قوله: ﴿**انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب**﴾ وهى فى السرادق، وذلك قوله فى الكهف أيضًا: ﴿**أحاط بهم**

سرادقها ﴾ فيقلبون تحتها من حر السرادق، فيأخذهم فيها الغيشان، وتقطع الأمعاء فى أجوافهم والسرادق عنق يخرج من لهب النار فيدور حول الكفار، ثم يخرج عنق آخر من الجانب الآخر فيصل إلى الآخر، فيحيط بهم السرادق، فذلك قوله: ﴿**أحاط بهم سرادقها**﴾، ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [آية: ٤٣] رءوسهم ثلاث فرق فيقيلون فيها قبل دخولهم جهنم، فذلك قوله فى الفرقان: ﴿**أصحاب الجنة يومئذ**﴾ فى الجنة مع الأزواج ﴿**خير مستقرا وأحسن مقيلا**﴾ [الفرقان: ٢٤] من مقيل الكفار فى السرادق، تحت ظل من يحموم.

ثم نعت الظل، فقال: ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ المقيل ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ [آية: ٤٤] يعنى ولا حسن المنزل، ثم نعت أعمالهم التى أوجب الله عز وجل لهم بها ما ذكر من النار.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ فى الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ [آية: ٤٥] يعنى منعمين فى ترك أمر الله، تعالى، ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٤٦] يعنى يقيمون على الذنب الكبير وهو الشرك، نظيرها فى آل عمران: ﴿**ولم يصروا على ما فعلوا**﴾ [الآية: ١٣٥] يعنى ولم يقيموا، وقال فى سورة نوح: ﴿**وأصروا**﴾ [الآية: ٧] يعنى وأقاموا، وفى سورة الجاثية: ﴿**ثم يصر مستكبرًا**﴾ [الآية: ٨] يعنى ثم يقيم منكبرا، يقيمون على الذنب العظيم وهو الشرك، ﴿وَكَانُواْ﴾ مع شركهم ﴿يَقُولُونَ﴾ فى الدنيا ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [آية: ٤٧] ﴿أَوَ﴾ يبعث ﴿ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [آية: ٤٨] تعجبًا.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعنى الأمم الخالية ﴿وَٱلْآخِرِينَ﴾ [آية: ٤٩] يعنى أمة محمد ﷺ ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ﴾ يعنى إلى وقت ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [آية: ٥٠] فى الآخرة، ثم ذكر طعامهم وشرابهم فى الآخرة، فقال: ﴿ثُمَّ

﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدى يعنى المشركين، ثم قال: ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ٥١] بالبعث لقولهم أو يبعث آبائنا الأولين؟ ﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ [آية: ٥٢] ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا﴾ يعنى من طلعها وثمرها ﴿ٱلْبُطُونَ﴾ [آية: ٥٣] ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ يعنى على الأكل ﴿مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ [آية: ٥٤] يعنى الشراب الحار الذى قد انتهى حره ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ [آية: ٥٥] يعنى بالهيم الإبل يأخذها، يقال له: الهيم، فلا تروى من الشراب، وذلك أنه يلقى على أهل النار العطش كل يوم مرتين حتى يشربوا الشراب الهيم ﴿هَٰذَا﴾ الذى ذكر من الزقوم والشراب ﴿نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ٥٦] يعنى يم الحساب ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئًا وأنتم تعلمون فـ﴿فَلَوْلَا﴾ يعنى فهلا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ [آية: ٥٧] بالبعث.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

ثم أخبر عن صنعه ليعتبروا فقال ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ [آية: ٥٨] يعنى النطفة الماء الدافق ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ بشرًا ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [آية: ٥٩] له، بل نحن نخلقه ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ فمنكم من يموت صغيرًا، ومنكم من يموت كبيرًا، أو يموت شابًا، أو شيخًا، أو يبلغ أرذل العمر، ثم خوفهم، فقال: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [آية: ٦٠] يعنى بمعجزين إن أردنا ذلك ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ على أن نخلق مثلكم أو أمثل منكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ يعنى ونخلقكم سور خلقكم ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٦١] من الصورة ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ يعنى الخلق الأول حين خلقتم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ولم تكونوا شيئًا ﴿فَلَوْلَا﴾ يعنى فهلا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٦٢] فى البعث أنه قادر على أن يبعثكم، كما خلقكم أول مرة ولم تكوتوا شيئًا.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [آية: ٦٣] ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [آية: ٦٤] يعنى نحن الحافظون يقول أنتم تنبتونه أم نحن المنبتون له و﴿لَوْ نَشَآءُ﴾ إذا أدرك وبلغ ﴿لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ يعنى هالكًا ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [آية: ٦٥] يعنى تعجبون وقلتم

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ [آية: ٦٦] يعنى إنا لمولع بنا الغرم، ولقلتم بل حرمنا خيرها ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [آية: ٦٧].

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ [آية: ٦٨] ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ يعنى من السحاب ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [آية: ٦٩] ﴿لَوْ نَشَآءُ﴾ بعد العذوبة ﴿جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ يعنى مالحًا مرًا من شدة الملوحة ﴿فَلَوْلَا﴾ يعنى فهلا ﴿تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٧٠] رب هذه النعم فتوحدونه حين سقاكم ماء عذبًا ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ [آية: ٧١] يعنى توقدون من الشجر والحجارة والقصب إلا العناب ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ﴾ يعنى خلقتم ﴿شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [آية: ٧٢] يعنى الخالقون ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا﴾ هذه النار التى فى الدنيا ﴿تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم الكبرى ﴿وَ﴾ هى ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [آية: ٧٣] يعنى متاعًا للمسافرين لمن كان بأرض فلاة وللأعراب.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿فَسَبِّحْ﴾ يقول اذكر التوحيد ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٧٤] يعنى الكبير فلا أكبر منه ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [آية: ٧٥] يعنى بمساقط النجوم من القرآن كله أوله وآخره فى ليلة القدر نزل من اللوح المحفوظ من السماء السابعة إلى السماء الدنيا إلى السفرة، وهم الكتبة من الملائكة نظيرها فى عبس وتولى: ﴿**بأيدى سفرة كرام بررة**﴾ [الآية: ١٥ - ١٦] ثم عظم القسم فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٧٦] ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [آية: ٧٧] أقسم بأنه قرآن كريم.

ثم قال فى حم السجدة: ﴿**وإنه لكتاب عزيز**﴾ [فصلت: ٤١] كرمه الله وأعزه، فقال هذا القرآن ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [آية: ٧٨] يعنى مستور من خلقه، عند الله فى

اللوح المحفوظ عن يمين العرش ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [آية: ٧٩] لا يمس ذلك الكتاب إلا المطهرون من الذنوب، وهم الملائكة السفرة فى سماء الدنيا، ينظر إليه الرب، جل وعز، كل يوم، ثم قال هذا القرآن: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٨٠] ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ يعنى القرآن ﴿أَنتُم مُّدۡهِنُونَ﴾ [آية: ٨١] يعنى تكفرون، مثل قوله: ﴿**ودوا لو تدهن فيدهنون**﴾ [القلم: ٩] ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ٨٢] وذلك أن النبى ﷺ غزا أحياء من العرب فى حر شديد، ففنى ما كان عند الناس من الماء، فظمئوا ظمأ شديدًا، ونزلوا على غير ماء، فقالوا: يا رسول الله، استسق لنا، قال: فلعل إذا استسقيت فسقيتم تقولون هذا نوء كذا وكذا قالوا: يا رسول الله، قد ذهب وخبر الأنواه، فتوضأ النبى ﷺ وصلى ثم دعا ربه فهاجت الريح وثارت سحابة فلم يلبثوا حتى غشيهم السحاب ركامًا فمطروا مطرًا جوادًا حتى سألت الأودية فشربوا وسقوا وغسلوا ركابهم وملاوا أسقيتهم، فخرج النبى ﷺ فمر على رجل وهو يغرف بقدح من الوادى وهو يقول: هذا نوء كذا وكذا، فكان المطر رزقا من الله فجعلوه للأنواء و لم يشكروا نعمة الله، تعالى، وتجعلون رزقكم يعنى المطر بالأنواء أنكم تكذبون، يقول أنا رزقنكم فلا تكذبون وتجعلونه للأنواء.

﴿**فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (٨٧) فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوۡحٌ وَرَيۡحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ (٩٠) فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ (٩١)**﴾

ثم وعظهم فقال: ﴿فَلَوۡلَآ﴾ يعنى فهلا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ هذه النفس ﴿ٱلۡحُلۡقُومَ﴾ [آية: ٨٣] يعنى التراقى ﴿وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ﴾ [آية: ٨٤] إلى أمرى وسلطانى ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ﴾ يعنى ملك الموت وحده إذ أتاه ليقبض روحه ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ﴾ [آية: ٨٥] ثم قال: ﴿فَلَوۡلَآ﴾ يعنى فهلا ﴿إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ﴾ [آية: ٨٦] يعنى غير محاسبين، نظيرها فى فاتحة الكتاب ﴿**مالك يوم الدين**﴾ [الفاتحة: ١] يعنى يوم الحساب، وقال فى: ﴿**أرأيت الذين يكذب بالدين**﴾ [الماعون: ١] يعنى بالحساب، وقال فى الذاريات: ﴿**إن الدين لواقع**﴾ [الآية: ٦] يعنى الحساب لكائن، وقال أيضًا فى الصافات: ﴿**أإنا لمدينون**﴾ [الآية: ٣] يعنى إنا لمحاسبون ﴿تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٨٧].

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ هذا الميت ﴿مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [آية: ٨٨] عند الله فى الدرجات

والتفضيل، يعنى ما كان فيه لشدة الموت وكربه ﴿فَرَوْحٌ﴾ يعنى فراحة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ يعنى الرزق فى الجنة بلسان خير ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [آية: ٨٩].

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ هذا الميت ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [آية: ٩٠] ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [آية: ٩١] يقول سلم الله ذنوبهم وغفرها فتجاوز عن سيئاتهم وتقبل حسناتهم ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ هذا الميت ﴿مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالبعث ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ [آية: ٩٢] عن الهدى ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [آية: ٩٣] يعنى الحار الشديد الذى قد انتهى حره ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [آية: ٩٤] يقول ما عظم من النار ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذى ذكر للمقربين وأصحاب اليمين، وللمكذبين الضالين ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [آية: ٩٥] لا شك ﴿فَسَبِّحْ﴾ يقول فاذكر ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ بالتوحيد، ثم قال: ربك يا محمد ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٩٦] فلا شىء أكبر منه، فعظم الرب، جل جلاله، نفسه.

* * *

سُورَةُ الحَدِيدِ

عددها تسع وعشرون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعنى ذكر الله الملائكة وغيرهم والشمس والقمر والنجوم ﴿وَ﴾ ما فى ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ من الجبال، والبحار، والأنهار، والأشجار، والدواب، والطير، والنبات، وما بينهما يعنى الرياح، والسحاب، وكل خلق فيهما، ولكن لا تفقهون تسبيحهن ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ١] فى أمره ﴿لَهُۥ مُلْكُ﴾ يعنى له ما فى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ﴾ الموتى ﴿وَيُمِيتُ﴾ الأحياء ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من حياة وموت ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٢] ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قبل كل شىء ﴿وَ﴾ هو ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ بعد الخلق ﴿وَ﴾ هو ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ فوق كل شىء، يعنى السماوات ﴿وَ﴾ وهو ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ دون كل شىء يعلم ما تحت الأرضين ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قبل خلقهما ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من المطر ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ النبات ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الملائكة ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يعنى وما يصعد ﴿فِيهَا﴾ يعنى فى السماوات من الملائكة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يعنى علمه ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ من الأرض ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آية: ٥] يعنى أمور الخلائق فى الآخرة ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ يعنى زيادة كل منهما ونقصانه، فذلك قوله: ﴿**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**﴾ [الزمر: ٥]، يعنى يسلط كل

واحد منهما على صاحبه فى وقته حتى يصير الليل خمس عشرة ساعة، والنهار تسع ساعات. ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٦] يعنى بما فيها من خير أو شر.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۙ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٨﴾

قوله: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ يعنى صدقوا بالله، يعنى بتوحيد الله تعالى ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ فى سبيل الله، يعنى فى طاعة الله تعالى ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ من أموالكم التى غيركم الله فيها ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٌ كَبِيرٌ﴾ [آية: ٧] يعنى جزاء حسنًا فى الجنة، ثم قال: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۙ وَٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ حين ﴿يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ﴾ يعنى يوم أخرجكم من صلب آدم، عليه السلام، وأقروا له بالمعرفة والربوبية ﴿إِن كُنتُم﴾ يعنى إذ كنتم ﴿مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٨].

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ﴾ محمد ﷺ ﴿ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يعنى القرآن بين ما فيه من أمره ونهيه ﴿لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ يعنى من الشرك إلى الإيمان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٩] حين هداكم لدينه وبعث فيكم محمدًا ﷺ، وأنزل عليكم كتابه.

﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِى مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠﴾

ثم قال: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى فى طاعة الله إن كنتم مؤمنين، فأنفقوا فى سبيل الله، فإن بخلتم، فإن الله يرثكم ويرث أهل السماوات والأرض، فذلك قوله: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يفنون كلهم، ويبقى الرب تعالى وحده، فالعباد يرث بعضهم بعضًا، والرب يبقى فيرثهم، قوله: ﴿لَا يَسۡتَوِى مِنكُم﴾ فى الفضل والسابقة ﴿مَّنۡ أَنفَقَ مِن﴾ ماله ﴿قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ﴾ فتح مكة ﴿وَقَٰتَلَۚ﴾ العدو ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةً﴾ يعنى جزاء ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ﴾ بعد فتح مكة ﴿وَقَٰتَلُواْۚ﴾ العدو ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ يعنى الجنة، يعنى كلا الفريقين وعد الله الجنة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آية: ١٠] بما أنفقتم من أموالكم، وهو مولاكم يعنى وليكم.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعنى طيبة به نفسه على أهل الفاقة ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [آية: ١١] يعنى جزاء حسنًا فى الجنة، نزلت فى أبى الدحداح الأنصارى ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ يا محمد ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ على الصراط ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ دليل إلى الجنة ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ يعنى بتصديقهم فى الدنيا، أعطوا النور فى الآخرة على الصراط، يعنى بتوحيد الله تعالى، تقول الحفظة لهم: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ١٢] ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وهم على الصراط ﴿ٱنظُرُونَا﴾ يعنى ارقبونا ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ فنمضى معكم ﴿قِيلَ﴾ يعنى قالت الملائكة: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ من حيث جئتم فالتمسوا نورًا من الظلمة، فرجعوا فلم يجدوا شيئًا ﴿فَضُرِبَ﴾ الله ﴿بَيْنَهُم﴾ يعنى بين أصحاب الأعراف وبين المنافقين ﴿بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ يعنى بالسور حائط بين أهل الجنة، وبين أهل النار ﴿بَاطِنُهُۥ﴾ يعنى باطن السور ﴿فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ وهو مما يلى الجنة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ من قبل النار، وهو الحجاب ضرب بين أهل الجنة والنار، وهو السور، والأعراف ما ارتفع من السور، ﴿ٱلرَّحْمَةُ﴾ يعنى الجنة، ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [آية: ١٣].

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ يعنى يناديهم المنافقون من وراء السور. ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ فى دنياكم ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ كنتم معنا فى ظاهر الأمر ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ﴾ يعنى أكفرتم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بنعم وسَوْفَ عن دينكم ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ يعنى بمحمد الموت، وقلتم يوشك محمد أن يموت فنستريح منه ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ يعنى شككتم فى محمد أنه نبى ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ عن دينكم، وقلتم يوشك محمد أن يموت فيذهب الإسلام فنستريح ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾

الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [آية: ١٤] يعنى الشياطين ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ فى الآخرة ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ﴾ معشر المنافقين ﴿فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتوحيد الله تعالى يعنى مشركى العرب ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ يعنى مأوى المنافقين والمشركين فى النار ﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ يعنى وليكم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ١٥] وذلك أنه يعطى كل مؤمن كافر، فيقال: هذا فداؤك من النار، فذلك قوله: ﴿**لا يؤخذ منكم فدية**﴾ يعنى من المنافقين، ولا من الذين كفروا، إنما تؤخذ الفدية من المؤمنين.

﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

قوله: ﴿۞أَلَمْ يَأْنِ﴾ نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بستة أشهر، وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسى ذات يوم، فقالوا: حدثنا عما فى التوراة، فإن فيها العجائب، فنزلت: ﴿**آلر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلنا قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن**﴾ [يوسف: ١ - ٣]. يخبرهم أن القرآن أحسن من غيره، يعنى أنفع لهم فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله، ثم عادوا فسألوا سلمان، فقالوا: حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت: ﴿**الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم**﴾ يعنى القرآن ﴿**ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله**﴾ [الزمر: ٢٣]، فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله.

ثم عادوا أيضًا فسألوا: فقالوا: حدثنا عما فى التوراة، فإن فيها العجائب، فأنزل الله تعالى: ﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ يعنى المنافقين يقول: ألم ينل، ويقال: لم يحن، للذين أقروا باللسان وأقروا أن تخشع قلوبهم لذكر الله، يقول: أن ترق قلوبهم لذكر الله عز وجل، وهو القرآن يعنى إذا ذكر الله ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعنى القرآن، يعنى وعظهم، فقال: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ فى القساوة ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل أن يبعث النبى ﷺ ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ يعنى طول الأجل، وخروج النبى ﷺ كان المنافقون لا ترق قلوبهم لذكر الله ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم تلن ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [آية: ١٦].

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧﴾

قوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ يعنى بالآيات النبت ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ١٧] يقول: لكى تعقلوا وتتفكروا فى أمر البعث.

﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٩﴾

قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ﴾ من أموالهم ﴿وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ﴾ نزلت فى أبى الدحداح الأنصارى، وذلك أن النبى ﷺ أمر الناس بالصدقة ورغبهم فى ثوابها، فقال أبو الدحداح الأنصارى: يا رسول الله، فإنى قد جعلت حديقتى صدقة لله ولرسوله، ثم جاء إلى الحديقة، وأم الدحداح فى الحديقة، فقال: يا أم الدحداح، إنى قد جعلت حديقتى صدقة لله ولرسوله، فخذى بيد صبيتاه فأخرجيهم من الحائط، فلما أصابهم حر الشمس بكوا، فقالت أمهم: لا تبكوا فإن أباكم قد باع حائطه من ربه، فقال رسول الله ﷺ: «كم من نخلة مذلا عذوقها قد رأيتها لأبى الدحداح فى الجنة»، فنزلت فيه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ يعنى محتسبًا طيبة بها نفسه ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ [آية: ١٨] يعنى جزاء حسنًا فى الجنة.

فقال الفقراء: ليس لنا أموال نجاهد بها، أو نتصدق بها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعنى صدقوا ﴿بِٱللَّهِ﴾ بتوحيد الله تعالى ﴿وَرُسُلِهِۦٓ﴾ كلهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾ بالله وبالرسل ولم يشكوا فيهم ساعة، ثم استأنف، فقال: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ يعنى من استشهد منهم ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ يعنى جزاؤهم وفضلهم ﴿وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يعنى بالقرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [آية: ١٩] يعنى ما عظم من النار.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ زهدهم فى الدنيا لكى لا يرغبوا فيها، فقال: ﴿لَعِبٞ وَلَهۡوٞ

﴿وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ والمنازل والمراكب فمثلها ومثل من يؤثرها على الآخرة ﴿كَمَثَلِ غَيۡثٍ﴾ يعنى المطر ينبت منه المراعى ﴿أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا﴾ فبينما هو أخضر إذ تراه مصفرًا ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾ هالكًا لا ينبت فيه، فكذلك من يؤثر الدنيا على الآخرة، ثم يكون له: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾.

ثم قال: ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ﴾ للمؤمنين ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آية: ٢٠] الفانى.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾

قوله: ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ بالأعمال الصالحة وهى الصلوات الخمس ﴿إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ لذنوبكم ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ يعنى السماوات السبع والأرضين السبع لو ألصقت السماوات السبع بعضها إلى بعض، ثم ألصقت السماوات بالأرضين لكانت الجنان فى عرضها جميعًا، و لم يذكر طولها ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾ يعنى صدقوا بتوحيد الله عز وجل ﴿وَرُسُلِهِۦۚ﴾ محمد ﷺ أنه نبى يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ من عباده فيخصهم بذلك ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [آية: ٢١].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من قحط المطر، وقلة النبات، ونقص الثمار، ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ يقول: ما أصاب هذه النفس من البلاء وإقامة الحدود عليها ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ مكتوب يعنى اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ يعنى من قبل أن يخلق هذه النفس ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الذى أصابها فى كتاب يعنى اللوح المحفوظ أن ذلك ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [آية: ٢٢] يقول: هين على الله تعالى.

وبإسناده مقاتل، قال: حدثنى عطاء بن أبى رباح، عن ابن عباس، قال: خلق الله تعال اللوح المحفوظ مسيرة خمس مائة عام فى خمس مائة عام، وهو من درة بيضاء صفحتاه من ياقوت أحمر كلامه نور، وكتابه النور والقلم من نور طوله خمس مائة عام.

﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾

قولـه: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الخير والغنيمة ﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ من الخير فتختالوا وتفخروا، فذلك قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [آية: ٢٣] يعنى متكبر عن عبادة الله عز وجل فخور فى نعم الله تعالى لا يشكر.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾

ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ يعنى رؤوس اليهود يبخلون بخلوا بأمر محمد ﷺ وكتموه ليصيبوا الفضل من اليهود من سفلتهم ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ يقول: ويأمرون الناس بالكتمان والناس فى هذه الآية اليهود أمروهم بكتمان أمر محمد ﷺ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يعنى ومن أعرض عن النبى ﷺ فبخل ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [آية: ٢٤] غنى عما عندكم حميد عند خلقه.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعنى بالآيات ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ يعنى العدل ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ﴾ يعنى لكى يقوم الناس ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ يعنى بالعدل ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقول: من أمرى كان الحديد فيه بأس شديد للحرب ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فى معايشهم ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ يعنى ولكى يرى الله ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ على عدوه ﴿وَ﴾ ينصر ﴿وَرُسُلَهُۥ﴾ يعنى النبى ﷺ وحده فيعينه على أمره حتى يظهر ولم يره ﴿بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ فى أمره ﴿عَزِيزٌ﴾ [آية: ٢٥] فى ملكه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ﴾ فهم خمسة وعشرون نبيًا ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ يعنى الكتب الأربعة منهم إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وأيوب، وهو من ولد العيص، والأسباط وهم اثنا عشر منهم روبيل، وشمعون، ولاوى، ويهوذا، ونفتولن، وزبولن، وحاد، ودان، وأشر، واستاخر، ويوسف، وبينامين، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ومحمد ﷺ، التوراة، والإنجيل،

والزبور، والفرقان، فهذه الكتب ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٢٦] يعنى عاصين.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا﴾ يعنى اتبعنا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ من بعدهم يعنى من بعد نوح وإبراهيم وذريتهما ﴿بِرُسُلِنَا﴾ فى الأمم ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ يقول: واتبعنا بعيسى ابن مريم ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ يعنى وأعطيناه ﴿ٱلْإِنجِيلَ﴾ فى بطن أمه ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ يعنى اتبعوا عيسى ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ يعنى المودة، كقوله: ﴿**رحماء بينهم**﴾ [الفتح: ٢٩]، يقول: متوادين بعضهم لبعض جعل الله ذلك فى قلوب المؤمنين بعضهم لبعض.

ثم استأنف الكلام، فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ وذلك أنه لما كثر المشركون وهزموا المؤمنين وأذلوهم بعد عيسى ابن مريم، واعتزلوا واتخذوا الصوامع فطال عليهم ذلك، فرجع بعضهم عن دين عيسى، عليه السلام، وابتدعوا النصرانية، فقال الله عز وجل: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ تبتلوا فيها للعبادة فى التقديم ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ ولم نأمرهم بها ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ يقول: لم يرعوا ما أمروا به يقول: فما أطاعونى فيها، ولا أحسنوا حين تهودوا وتنصروا، وأقام أناس منهم على دين عيسى، عليه السلام، حتى أدركوا محمدًا ﷺ فآمنوا به وهم أربعون رجلاً اثنان وثلاثون رجلاً من أرض الحبشة، وثمانية من أرض الشام، فهم الذين كنى الله عنهم، فقال: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يقول: أعطينا الذين آمنوا ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْۖ﴾ يعنى صدقوا يعنى جزاءهم وهو الجنة.

قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٢٧] يعنى الذين تهودوا، وتنصروا فجعل الله تعالى لمن آمن بمحمد ﷺ من أهل الإنجيل أجرهم مرتين بإيمانهم بالكتاب الأول، وكتاب محمد ﷺ، فافتخروا على أصحاب النبى ﷺ بذلك، فقالوا: نحن أفضل منكم فى الأجر

لنا أجران بإيماننا بالكتاب الأول، والكتاب الآخر الذى جاء به محمد ﷺ فشق على المسلمين، فقالوا: ما بالنا قد هاجرنا مع النبى ﷺ وآمنا به قبلكم، وغزونا معه، وأنتم لم تغزو، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ يعنى وحدوا الله ﴿وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ يقول: صدقوا بمحمد ﷺ أنه نبى رسول ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ يعنى أجرين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يعنى تمرون به على الصراط إلى الجنة نورًا تهتدون به ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوب المؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٢٨] بهم.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ يعنى لكيلا يعلم ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعنى مؤمنى أهل الإنجيل هؤلاء الأربعون رجلاً ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ وهو الإسلام إلا برحمته ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ الإسلام ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٢٩] فأشرك المؤمنين فى الكفلين مع أهل الإنجيل.

قوله: ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٨] يقول: ما أمرناهم بها، كقوله: ﴿**ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم**﴾ [المائدة: ٢١] يعنى التى أمركم الله تعالى.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن المسيب، عن أبى روق فى قوله: ﴿**فما رعوها حق رعايتها**﴾ يقول: ما وحدونى فيها.

* * *

سورة المجادلة

مدنية، عددها اثنتان وعشرون آية كوفى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾

قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ يعنى تكلمك ﴿فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ﴾ يعنى وتضرع ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ يعنى خولة، امرأة أوس بن الصامت، والنبى ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ تحاوركما ﴿بَصِيرٌ﴾ [آية: ١] وذلك أن خولة بنت ثعلبة بن مالك بن أحرم الأنصارى، من بنى عمرو بن عوف بن الخزرج، كانت حسنة الجسم، فرآها زوجها ساجدة فى صلاتها، فلما انصرفت أرادها زوجها فأبت عليه، فغضب، فقال: أنت علىّ كظهر أمى، واسمه أوس بن الصامت، أخو عبادة بن الصامت بن قيس بن أحرم الأنصارى، فأتت خولة النبى ﷺ، فقالت: إن زوجى، يا رسول الله، تزوجنى وأنا شابة، ذات مال، وأهل، حتى إذا أكل مالى، وأفنى شبابى، وكبرت سنى، ووهى عظمى، جعلنى عليه كظهر أمه، ثم ندم، فهل من شىء يجمعنى وإياه، فسكت النبى ﷺ عنها، وكان الظهار، والإيلاء، وعدد النجوم من طلاق الجاهلية، فوّقت الله تعالى فى الإيلاء أربعة أشهر، وجعل فى الظهار الكفارة، ووقت من عدد النجوم ثلاث تطليقات.

﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾

فأنزل الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ يعنى الظهار والمنكر من القول الذى لا يعرف ﴿وَزُورًا﴾ يعنى كذبا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ يحبن لم يعاقبه ﴿غَفُورٌ﴾ [آية: ٢] له لتحريمه الحلال.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ

ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ يعنى يعودون للجماع الذى حرموه على أنفسهم ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ يعنى الجماع ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ فوعظهم الله فى ذلك ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفارة ﴿خَبِيرٌ﴾ [آية: ٣] به.

قال أبو محمد: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى يقول: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ يعنى لنقض ما عقدوا من الحلف ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ التحرير ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ يعنى الجماع ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ الصيام ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ لكل مسكين نصف صاع حنطة ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعنى هذا الذى ذكر من الكفارة ﴿لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ يقول: لكى تصدقوا بالله ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ إن الله قريب إذا دعوتموه فى أمر الظهار، وتصدقوا محمدًا ﷺ، فيما قال لكم من الكفارة حين جعل لكم مخرجًا، ﴿لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، يعنى تصدقوا بالله ورسوله ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ يعنى سنة الله وأمره فى كفارة الظهار، فلما نزلت هذه الآية دعا النبى ﷺ زوجها، فقال: «ما حملك على ما قلت»؟ قال: الشيطان، فهل لى من رجعة تجمعنى وإياها؟ قال النبى ﷺ: «نعم، هل عندك تحرير رقبة»؟ قال: لا، إلا أن تحيط بمالى كله، قال: «فتستطيع صومًا، فتصوم شهرين متتابعين»؟ قال: يا رسول الله، إنى إذا لم آكل فى اليوم مرتين، أو ثلاث مرات اشتد علىّ وكل بصرى، وكان ضرير البصر، قال: «فهل عندك إطعام ستين مسكينًا»؟ قال: لا، إلا بصلة منك وعون، فأعانه النبى ﷺ، بخمسة عشر صاعًا، وجاء هو بمثل ذلك فتلك ثلاثون صاعًا من تمر لكل مسكين نصف صاع، ذلكم يعنى أمر الكفارة توعظون به، فوعظهم الله تعالى فى أمر الكفارة والله بما تعملون خبير، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾، يعنى سنة الله ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ ﴾

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ﴾ يعنى يعادون الله ﴿وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ﴾ يعنى أخزوا كما أخزى ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الخالية ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يعنى القرآن

فيه البيان أمره ونهيه ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آية: ٥] نزلت فى اليهود والمنافقين ﴿مُّهِينٌ﴾ يعنى الهوان.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾

قوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ الأولين والآخرين نزلت فى المنافقين فى أمر المناجاة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ﴾ يقول: حفظ الله أعمالهم الخبيثة، ونسوا هم أعمالهم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالهم ﴿شَهِيدٌ﴾ [آية: ٦] يعنى شاهده.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ يقول: أحاط علمه بذلك كله ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ يعنى نفر ثلاثة ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعنى علمه معهم إذا تناجوا ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ يعنى علمه معهم ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ يعنى ولا أقل من ثلاث نفر وهما اثنان ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ من خمسة نفر ﴿إِلَّا هُوَ﴾ يعنى إلا وعلمه ﴿مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ﴾ من الأرض ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ يعنى بما يتناجون فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٧].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ يعنى اليهود كان بينهم وبين محمد ﷺ موادعة، فإذا رأوا رجلاً من المسلمين وحده يتناجون بينهم، فيظن المسلم أنهم يتناجون بقتله، أو بما يكره، فيترك الطريق من المخافة، فبلغ ذلك النبى ﷺ، فنهاهم عن النجوى، فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى، فقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا﴾ للذى ﴿نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ﴾ يعنى بالمعصية ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ يعنى الظلم ﴿وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ يعنى حين نهاهم النبى ﷺ عن النجوى فعصوه.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ﴾ يعنى كعب بن الأشرف، وحيى بن أخطب، وكعب بن أسيد، وأبو ياسر، وغيرهم ﴿حَيَّوۡكَ لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ يعنى اليهود، قالوا: انطلقوا بنا إلى محمد، فنشتمه علانية كما نشتمه فى السر، فقالوا: السام، يعنون بالسام السآمة والفترة، ويقولون: تسأمون يعنى تتركون دينكم، فقالت عائشة، رضى الله عنها: عليكم السام، والذام، والفان، يا إخوان القردة والخنازير، فكره النبى ﷺ قول عائشة، وقال النبى ﷺ: «مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق، فإنه ما وضع فى شىء إلا زانه، ولا نزع من شىء إلا شانه»، فقال جبريل، عليه السلام: إنه لا يسلمون عليك ولكنهم يشتمونك، فلما خرجت اليهود من عند النبى ﷺ، قال بعضهم لبعض: إن كان محمد لا يعلم ما نقول له، فالله يعلمه، ولو كان نبيًا لأعلمه الله ما نقول، فذلك قوله: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ لنبيه وأصحابه يقول الله ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ شدة عذابها ﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آية: ٨] يعنى بئس المرجع إلى النار.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَـٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَـٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَـٰجَيۡتُمۡ﴾ يعنى الذين أقروا باللسان، وهم المنافقون منهم عبد الله بن أبى، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح، وغيرهم، كان نجواهم أنهم كانوا يخبرون عن سرايا النبى ﷺ ما يشق على من أقام من المؤمنين، وبلغنا أن ذلك كان فى سرية جعفر بن أبى طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، قتلوا يوم مؤتة، ولعل حميم أحدهم فى السرية، فإذا رأوه تناجوا بينهم فيظن المسلم أن حميمه قد قتل فيحزن، لذلك، فنهاهم النبى ﷺ عن النجوى ﴿فَلَا تَتَنَـٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ يعنى المعصية والظلم ﴿وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ لأن النبى ﷺ كان نهاهم عن ذلك، ثم قال ﴿وَتَنَـٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ يعنى الطاعة، وترك المعصية، ثم خوفهم فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [آية: ٩] بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَـٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٠﴾

ثم قال: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ يعنى نجوى المنافقين ﴿مِنَ﴾ تزيين ﴿ٱلشَّيۡطَـٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ يعنى إلا أن يأذن الله فى ضره ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ١٠] يعنى بالله فليثق المصدقون.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ ﴾ وذلك أن النبى ﷺ جلس فى صفة ضيقة، ومعه أصحابه فجاء نفر من أهل بدر، منهم: ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى، فسلموا على النبى ﷺ، فرد عليهم، ثم سلموا على القوم، فردوا عليهم، وجعلوا ينتظرون ليوسع لهم فلم يفعلوا، فشق قيامهم على النبى ﷺ وكان يكرم أهل بدر وذلك يوم الجمعة، فقال رسول الله ﷺ قم يا فلان، وقم يا فلان، لمن لم يكن من أهل بدر، جدد القيام من أهل بدر، فعرف النبى ﷺ الكراهية فى وجه من أقيم منهم، فقال رسول الله ﷺ: رحم الله رجلا تفسح الأخيه، فجعلوا يقومون لهم بعد ذلك، فقال المنافقون للمسلمين: أتزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس، فوالله ما عدل على هؤلاء، إن قومًا سبقوا فأخذوا مجلسهم وأحبوا قربه فأقامهم، وأجلس من أبطأ عن الخير، فوالله إن أمر صاحبكم كله فيه اختلاف، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ ﴾ يعنى أوسعوا فى المجالس ﴿ فَٱفۡسَحُواْ ﴾ يقول أوسعوا ﴿ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ ﴾ يقول: وإذا قال لكم نبيكم: ارتفعوا عن المجلس فارتفعوا فإن الله يأجركم إذا أطعتم النبى ﷺ، ثم قال: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ ﴾ يعنى أهل بدر ﴿ وَ ﴾ يرفع الله ﴿ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾ منكم فيها تقديم يعنى بالقرآن ﴿ دَرَجَٰتٖۚ ﴾ يعنى الفضائل إلى الجنة على من سواهم ممن لا يقرأ القرآن من المهاجرين والتابعين ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ [آية: ١١] فى أمر المجلس وغيره.

حدثنا عبد الله، حدثنى أبى، حدثنا الهذيل، قال مقاتل بن سليمان: إذا انتهى المؤمنون إلى باب الجنة، يقال للمؤمن الذى ليس بعالم: أدخل الجنة بعملك الصالح، ويقال للعالم قم على باب الجنة، فاشفع للناس.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ يعنى الصدقة ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من إمساكه ﴿وَأَطۡهَرُۚ﴾ لذنوبكم؛ نزلت فى الأغنياء ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ الصدقة على الفقراء ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٢] لمن لا يجد الصدقة، وذلك أن الأغنياء كانوا يكثرون مناجأة النبى ﷺ ويغلبون الفقراء على مجالس النبى ﷺ، وكان النبى ﷺ يكره طول مجالستهم وكثرة نجواهم، فلما أمرهم بالصدقة عند المناجاة انتهو عند ذلك، وقدرت الفقراء على كلام النبى ﷺ ومجالسته و لم يقدم أحد من أهل الميسرة بصدقة غير على بن أبى طالب، رضى الله عنه، قدم دينارا، وكلم النبى ﷺ عشر كلمات فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى أنزل الله تعالى: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ يقول أشق عليكم ﴿أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾ يعنى أهل الميسرة ولو فعلتم لكان خيرا لكم ﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ يقول وتجاوز الله عنكم ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لمواقيتها ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لحينها ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ فنسخت الزكاة الصدقة التى كانت عند المناجاة ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٣].

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾

قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ يقول ألم تنظر يا محمد إلى الذين ناصحوا اليهود بولايتهم فهو عبد الله بن نتيل المنافق، يقول الله تعالى: ﴿مَّا هُم﴾ يعنى المنافقين عند الله ﴿مِّنكُمۡ﴾ يا معشر المسلمين ﴿وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ يعنى من اليهود فى الدين والولاية فقال النبى ﷺ لعبد الله بن نتيل: «إنك تواد اليهود» فحلف عبد الله بالله إنه لم يفعل وأنه ناصح، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ١٤] أنهم كذبة ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ فى الآخرة ﴿عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ﴾ يعنى بئس ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٥] ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ يعنى حلفهم ﴿جُنَّةٗ﴾ من القتل ﴿فَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى دين الله الإسلام ﴿فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [آية: ١٦] فقال رجل من المنافقين: إن محمد يزعم أنا لا ننصر يوم القيامة، لقد شقينا إذًا، إنا لأذل من البعوض، والله لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا إن كانت قيامة، فأما اليوم فلا نبهذلها، وكلن نبذلها يؤمئذ لكى ننصر، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ

﴿أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ يوم القيامة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ١٧] يعنى مقيمين فى النار لا يموتون.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يعنى المنافقين ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ وذلك أنهم كانوا إذ قالوا شيئًا أو عملوا شيئًا وأرادوه، سألهم المؤمنون عن ذلك، فيقولون: والله لقد أردنا الخير فيصدقهم المؤمنون بذلك، فإذا كان يوم القيامة سئلوا عن اعمالهم الخبيثة فاستعانوا بالكذب كعادتهم فى الدنيا فذلك قوله يحلفون لله فى الآخرة كما يحلفون لكم فى الدنيا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ من الدين فلن يغنى عنهم ذلك من الله شيئًا ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ١٨] فى قولهم ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يقول غلب عليهم الشيطان ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ﴾ يعنى شيعة ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ﴾ يعنى شيعة ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ١٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ﴾ يعنى يعادون الله ﴿وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [٢٠] يعنى فى الهالكين ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ يعنى قضى الله ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ يعنى النبى ﷺ، وذلك أن المؤمنين قالوا للنبى ﷺ: لئن فتح الله علينا مكة، وخيبر وما حولها فنحن نرجو أن يظهرنا الله ما عاش النبى ﷺ على أهل الشام وفارس والروم. فقال عبد الله بن ابى المسلمين: أتظنون بالله أن أهل الروم وفارس كبعض أهل هذه القوى التى غلبتموهم عليها، كلا والله لهم أكثر جمعا، وعددا، فأنزل الله تعالى فى قول عبد الله بن أبى: ﴿**ولله جنود السموات والأرض**﴾ [الفتح: ٤] وأنزل: «كتب الله كتابًا وأمضاه» «لأغلبن أنا ورسلى» يعنى النبى ﷺ وحده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [آية: ٢١] يقول أقوى، وأعز من اهل الشام والروم وفارس.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ

ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (٢٢) ﴾

وقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ يعنى يصدقون بالله أنه واحد لا شريك له، ويصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال ﴿يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يعنى يناصحون من عادى الله ورسوله، نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة العلمى حين كتب إلى أهل مكة، ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين لم يفعلوا ذلك ﴿كَتَبَ﴾ يقول جعل ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ يعنى التصديق نظيرها فى آل عمران: ﴿**فاكتبنا مع الشاهدين**﴾ [الآية ٥٣] يعنى فاجعلنا مع الشاهدين، وقال أيضًا فى الأعراف: ﴿**فسأكتبها للذين يتقون**﴾ [الآية: ١٥٦] يعنى فسأجعلها ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ يقول قولهم برحمة من الله عجلت لهم فى الدنيا ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ﴾ فى الآخرة ﴿جَنَّٰتٖ﴾ يعنى بساتين ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ مطردة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ يعنى مقيمن فى الجنة لا يموتون ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ بأعمالهم الحسنة ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ يعنى عن الله بالثواب والفوز ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين ذكر ﴿حِزۡبُ ٱللَّهِۚ﴾ يعنى شيعة الله ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ﴾ يعنى الا أن شيعة الله ﴿**هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آية: ٢٢] يعنى الفائزين.

* * *

سورة الحشر

مدنية عددها أربع وعشرون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول ذكر الله ما فى السموات من الملائكة، وما فى الأرض من الخلق ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ١] فى أمره ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعنى يهود بنى النضير ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بعد قتال أحد أخرجهم ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ يعنى القتال والحشر الثانى للقيامة، وهو الجلاء من المدينة إلى الشام وأذرعات ﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ يقول للمؤمنين ما حسبتم ﴿أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟﴾ يعنى وحسبوا ﴿أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ يعنى من قبل قتل كعب بن الأشرف، ثم قال: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ بقتل كعب بن الأشرف أرعبهم الله بقتله لأنه كان رأسهم وسيدهم قتله محمد بن مسلمة الأنصارى، وكان أخاه من الرضاعة وغيره، وكان محمد ليلة قتل كعب بن الأشرف أخو محمد بن سلمة، وأبو ليل، وعتبة كلهم من الأنصار.

قوله: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك أن المنافقين دسوا وكتبوا إلى اليهود ألا يخرجوا من الحصن، وأن يدبروا على الأزقة وحصونها، فإن قاتلتم محمدًا فنحن معكم لا نخذلكم ولننصرنكم، ولئن أخرجتم لنخرجن معكم، فلما سار النبى ﷺ إليهم وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف، قالوا: يا محمد، واعية على أثر واعية، وباكية على أثر باكية، ونائحة أعلى نائحة، قال: نعم، قالوا: فذرنا نبكى شجونا، ثم نأتمر لأمرك، فقال النبى ﷺ: أخرجوا من المدينة، قالوا: الموت أقرب إلينا من ذلك، فنادوا الحرب،

واقتتلوا وكان المؤمنون إذا ظهروا على درب من دروبهم تأخروا إلى الذى يليه فتقبوه من دبره، ثم حصنوها ويخرب المسلمون ما ظهروا عليه من نقض بيوتهم، فيبتون دوربا، على أفواه الأزقة، فذلك قوله: يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آية: ٢] يعنى المؤمنين أهل البصيرة فى أمر الله، وأمر النضير.

﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

ثم قال: ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ﴾ يعنى قضى الله، نظيرها فى المجادلة قوله: ﴿**كتب الله لأغلبن**﴾ [الآية: ٢١] يعنى قضى الله ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ من المدينة ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل بأيديكم ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ [آية: ٣] ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى نزل بهم من الجلاء ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعنى عادوا الله ورسوله ﴿وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ﴾ ورسوله يعنى ومن يعادى الله ورسوله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آية: ٤] إذا عاقب، نظيرها فى هود: ﴿**لا يجرمنكم شقاقى**﴾ [الآية: ٨٩] يعنى عداوتى ﴿**وليخزى الفاسقين**﴾ [الحشر: ٥] يعنى وليهن اليهود، وذلك أن النبى ﷺ أمر بقطع ضرب من النخيل من أجود التمر يقال له اللين شديد الصفرة ترى النواة من اللحى من أجود التمر بغيب فيه الضرس، والنخلة أحب إلى أحدهم من وضيف، فجزع أعداء الله لما رأوا ذلك الضرب من النخيل يقطع، فقالوا: يا محمد، أوجدت فيما أنزل الله عليك الفساد فى الأرض أو الإصلاح فى الأرض، فأكثروا القول ووجد المسلمون ذمامة من قطعهم النخيل خشية أن يكون فسادًا.

فأنزل الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ وكانو قطعوا أربع نخلات كرام عن أمر النبى ﷺ غير العجوة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا﴾ هو كله ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يعنى بأمر الله ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [آية: ٥] لكى يخزى الفاسقين وهم اليهود بقطع النخل، فكان قطع النخل ذلا لهم وهوانا.

قال أبو محمد: قال الفراء: كل شيء من النخيل سوى العجوة فهو اللين.

قال أبو محمد: قال الفراء: حدثنى حسان، عن الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن

عباس، قال: أمر النبى ﷺ بقطع النخل كله إلا العجوة ذلك اليوم فكل شىء سوى العجوة فهو اللين.

وقال أبو محمد: وقال أبو عبيدة: اللين ألوان النخل سوى العجوة والبرنى، واحدتها لينة.

فلما يأس اليهود أعداء الله من عون المنافقين رعبوا رعبًا شديدًا بعد قتال إحد وعشرين ليلة، فسألوا الصلح فصالحهم النبى ﷺ على أن يؤمنهم على دمائهم وذرايهم وعلى أن لكل ثلاثة منهم بعيرًا يجعلون عليه ما شاءوا من عيال أو متاع وتعيد أموالهم فيئا للمسلمين، فساروا قبل الشام إلى أذرعات وأريحا، وكان ما تركوا من الأموال فيئا للمسلمين، فسأل الناس النبى ﷺ الخمس كما خمس يوم بدر، ووقع فى أنفسهم حين لم يخمسا.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾

فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ يعنى أموال بنى النضير ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ يعنى على الفىء ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يعنى الإبل يقول لم تركبوا فرسًا، ولا بعيرًا، ولكن مشيتم مشيا حتى فتحتموها، غير أن النبى ﷺ ركب حمارًا له، فذلك قوله: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ يعنى النبى ﷺ، يعنيهم ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من النصر وفتحها ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٦].

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾

قوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ يعنى قريظة والنضير، وخيبر، وفدك، وقريتى عرينة ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يعنى قرابة النبى ﷺ ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ﴾ يعنى يكون المال دولة ﴿بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ يعنى لئلا يغلب الأغنياء الفقراء على الفىء، فيقسمونه بينهم، فأعطى النبى ﷺ الفىء للمهاجرين، ولم يعط الأنصار غير رجلين، منهم سهل بن حنيف، وسماك بن خرشة، أعطاهما النبى ﷺ أرضًا من أرض النضير، وإنما سموا المهاجرين لأنهم هجروا المشركين وفارقوهم، قوله:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ يقول: ما أعطاكم الرسول محمد ﷺ من الفيء ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يخوفهم الله من المعاصى. ثم خوفهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية: ٧] إذا عاقب أهل المعاصى.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾

ثم ذكر الفئ فقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ أخرجهم كفار مكة ﴿يَبْتَغُونَ﴾ يعنى يطلبون ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعنى رزقًا من الله فى الجنة ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ يعنى رضى ربهم ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ محمدًا ﷺ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [آية: ٨] فى إيمانهم وليسوا بكاذبين فى إيمانهم كالمنافقين، ثم ذكر الأنصار فأثنى عليهم حين طابت أنفسهم عن الفيء، إذ جعل المهاجرين دونهم.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾

فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ يعنى أوطنوا دار المدينة من قبل هجرة المؤمنين، إليهم بسنين.

ثم قال: ﴿وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل هجرة المهاجرين، ثم قال: للأنصار: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ﴾ يعنى قلوبهم ﴿حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ يعنى مما أعطى إخوانهم المهاجرين من الفيء ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يقول: لا تضيق ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يعنى الفاقة فآثروا المهاجرين بالفيء على أنفسهم، ثم قال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ يعنى ومن يقيه الله حرص نفسه، سعنى الأنصار حين طابت أنفسهم عن الفيء لإخوانهم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٩] فقد ذهب صنفان المهاجرون والأنصار بقى صنف واحد، وهم التابعون الذين دخلوا فى الإسلام إلى يوم القيامة.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يعنى من بعد المهاجرين والأنصار، فدخلوا فى الإسلام إلى يوم القيامة، وهم التابعون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الماضين من المهاجرين، والأنصار فهذا استغفار، ثم قال التابعون: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [آية: ١٠].

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾

وأنزل فى دس المنافقين إلى اليهود أنا معكم فى النصر والخروج، فقال: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ نزلت فى عبد الله بن نتيل، وعبد الله بن أبى رافع بن يزيد، كلهم من الأنصار ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ من اليهود منهم حيى بن أخطب، وجدى، وأبو ياسر، ومالك بن الضيف، وأهل قريظة ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ لئن أخرجتكم محمد من المدينة كما أخرج أهل النضير ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا﴾ يقول: لا نطيع فى خذلانكم أحدًا ﴿أَبَدًا﴾ يعنى بأحد النبى ﷺ وحده ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ يعنى لنقاتلن معكم.

فكذبهم الله تعالى، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا﴾ كم أخرج أهل النضير من المدينة ﴿لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا﴾ يعنى لئن قاتلهم المسلمون ﴿لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ يعنى لا يعانوهم يقول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ يعنى ولئن عاونوهم ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [آية: ١٢] فغرهم المنافقون، فلزموا الحصن، حتى قتلوا وأسروا، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم، فقتل منهم أربع مائة وخمسين رجلاً، وسبى سبع مائة وخمسين رجلاً، فذلك قوله فى الأحزاب: ﴿**فريقًا يقتلون**﴾ يعنى المقاتلة الأربع مائة وخمسين ﴿**وتأسرون فريقًا**﴾ [الأحزاب: ٢٦]، يعنى السبع مائة.

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

ثم قال: ﴿لَأَنتُمْ﴾ معشر المسلمين ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ يعنى قلوب المنافقين ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [آية: ١٣] فيعتبرون ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿تَحْسَبُهُمْ﴾ يا محمد ﴿جَمِيعًا﴾ المنافقين واليهود ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ يعنى متفرقة مختلفة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١٤] عن الله فيوحدونه ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعنى من قبل أهل بدر، كان قبل ذلك بسنتين، فذلك قوله: ﴿قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ يعنى جزاء ذنبهم، ذاقوا القتل ببدر ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ١٥].

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

ثم ضرب مثلاً حين غروا اليهود فتبرؤا منهم عند الشدة وأسلموهم، فقال: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ وذلك أنه كان راهبًا فى بنى إسرائيل اسمه برصيصا، وكان فى صومعته أربعين عامًا، يعبد الله، ولا يكلم أحدًا، ولا يشرف على أحد، وكان لا يكل من ذكر الله عز وجل، وكان الشيطان لا يقدر عليه مع ذكره الله تعالى.

فقال الشيطان لإبليس: قد غلبنى برصيصا، ولست أقدر عليه، فقال إبليس: اذهب، فانصب له ما نصبت لأبيه من قبل، وكانت جارية ثلاثة من بنى إسرائيل عظيمة الشرف جميلة من أهل بيت صدق، ولها إخوة فجاء الشيطان إليها، فدخل فى جوفها فخنقها حتى ازبدت، فالتمس إخواتها لها الأطباء، وضربوا لها ظهرًا وبطنًا ويمينًا وشمالاً، فأتاهم الشيطان فى منامهم، فقال: عليكم ببرصيصا الراهب، فليدع لها، فإنه مستجاب الدعاء، فلما أصبحوا، قال بعضهم لبعض: انطلقوا بأختنا إلى برصيصا الراهب، فليدع لها، فإنا نرجوا البركة فى دعائه، فانطلقوا بها إليه، فقالوا: يا برصيصا أشرف علينا، وكلمنا فإنا بنو فلان، وإنما جئنا لباب حسنة، وأجر، فأشرف فكلمهم وكلموه، فلما رد عليها وجد الشيطان خللا فدخل فى جوفه، ووسوس إليه، فقال: يا برصيصا هذا باب حسنة وأجر، تدعو الله لها فيشفيها، فأمرهم أن يدخلوها الحربة وينطلقوا هم، فأدخلوها الحربة ومضوا، وكان برصيصا لا يتهم فى بنى إسرائيل، فقال له الشيطان: يا برصيصا انزل فضع يدك على بطنها، وناصيتها، وادع لها، فما زال به حتى أنزله من صومعته، فلما نزل خرج منه، فدخل فى جوف الجارية فاضطربت، وانكشفت، فلما رأى ذلك، ولم يكن له عهد بالنساء وقه بها.

قال الشيطان: يا برصيصا يا أعبد بنى إسرائيل ما صنعت؟ الزنا بعد العبادة يا برصيصا؟ إن هذه تخبر أخواتها بما أتيت لها فتفتضح فى بنى إسرائيل فاعمد إليها، فاقتلها وادفنها فى التراب، ثم اصعد إلى صومعتك، وتب إلى الله، وتعبد فإذا جاء أخوتها، فسألوا عنها، فأخبرهم أنك دعوت لها، وأن الجنى طار عنها، وأنهم طاروا بها، فمن هذا الذى يتهمك فى بنى إسرائيل، فقتلها ودفنها فى الحربة، فلما جاء إخواتها، قالوا: أين أختنا؟ فقال: أختكم طارت بها الجن، فرجعوا وهم لا يتهمونه، فأتاهم الشيطان فى المنام، فقال: إن برصيصا قد فضح أختكم، فلما أصبحوا جعل كل واحد منهم يكلم صاحبه بما رأى، فتكلم بما رأى.

فقال الآخر: لقد رأيت مثل ما رأيت، فقال الثالث: مثل ذلك، فلم يرفعوا بذلك رأسا حتى رأوا ثلاث ليال، فانطلقوا إلى برصيصا؛ فقالوا: أين أختنا؟ فقال: لا أدرى طارت بها الجن، فدخلوا الخربة، فإذا هم بالتراب ناتئ فى الخربة فضربوه بأرجلهم فإذا هم بأختهم فأتوه، فقالوا: يا عدو الله، قتلت أختنا، فانطلقوا إلى ذلك فأخبروه، فبعث إليه فاستنزله من صومعته، ونحتوا له خشبه، فأوثقوه عليها فأتاه الشيطان، فقال: أتعرفنى يا برصيصا، قال: ى، قال: أنا الذى أنزلتك هذه المنزلة، فإن فعلت ما آمرك به استنقذتك مما أنت فيه، وأطلعتك إلى صومعتك؟ قال: وبماذا؟ قال: أتمثل لك فى صورتى، فتسجد لى سجدة واحدة وأنجيك مما هنا؟ قال: نعم، فتمثل له الشيطان فى صورته فسجد له وكفر بالله فانطلق الشيطان، وتركه، وقتل برصيصا، فذلك قوله: كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٦] ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ يعنى الشطان والإنسان ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ﴾ الشسطان والراهب ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٧] يقول: هكذا ثواب المنافقين واليهود والنار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾

ثم حذر المنمنين ولاية اليهود، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ﴾ يعنى ولتعلم نفس ﴿مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ يعنى ما عملت لغد، يعنى ليوم القيامة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ يحذرهم ولاية اليهود ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٨] من الخير والشر، ومن معاونة اليهود، ثم وعظ المؤمنين ألا يتركوا أمره، ولا يكونوا بمنزلة أهل الكتال.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾

فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يعنى تركوا أمر الله ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ أن يقدموا لها خيرا ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [آية: ١٩] يعنى العاصين.

﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

ثم ذكر مستقر الفريقين، فقال: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ﴾ يوم القيامة فى الثواب والمنزلة ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [آية: ٢٠] يعنى هم الناجون من النار، وأصحاب النار هم فى النار خالدون فيها أبدا.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

ثم وعظهم، فقال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ الذى فيه أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وحرامه وحلاله ﴿عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ وحملته إياه ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ﴾ يا محمد ﴿خَـٰشِعًا﴾ يعنى خاضعا ﴿مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ فكيف لا يرق هذا الإنسان ولا يخشى الله فأمر الله الناس الذين هم أضعف من الجبل الأصم الذى عروقه فى الأرض السالعة ورأسه فى السماء أن يأخذوا القرآن بالخشية والشدة، والتخشع، فضرب الله لذلك مثلا، فقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ﴾ يعنى لكى ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢١] فى أمثال الله فيعتبروا فى الربوبية.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾

فوحد الرب نفسه، فقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ يعنى غيب ما كان وما يكون ﴿وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ﴾ يعنى شهادته بالحق فى كل شىء ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٢٢] اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر، فلما ذكر ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾، قال مشركون العرب: ما نعرف الرحمن الرحيم إنما اسمه الله.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾

فأراد الله تعالى أن يخبرهم أن له أسماء كثيرة، فقال: ﴿**هو الذى لا إله إلا هو عالم**

الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم﴾ اسم الرب، تعالى، هو الله وتفسير الله: اسم الربوبية القاهر لخلقه وسائر أسمائه على فعاله ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فوحد نفسه، فقال لنفسه: ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ يعنى يملك كل شىء دونه ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ يعنى الطاهر ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ يسلم عباده من ظلمه ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ يؤمن أولياءه من عذابه ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ يعنى الشهيد على عباده بأعمالهم من خير أو شر، كقوله: ﴿**ومهيمنا عليه**﴾ [المائدة: ٤٨] كقوله: ﴿**شاهدا عليكم**﴾ [المزمل: ١٥] على عباده بأعملهم من خير أو شر المصدق بكتابه الذى أنزله على محمد ﷺ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ يعنى المنيع بقدرته فى ملكه ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ يعنى القاهر على ما أراد بخلقه ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ يعنى المتعظم على كل شىء ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ نزه الرب نفسه عن قولهم البهتان ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٢٣] معه فنزه الرب نفسه أن يكون له شريك، فقال: «سبحان الله عما يشركون» معه غيره أن يكون له شريك.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

ثم قال عن نفسه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾ يعنى خالق كل شىء خلق النطفة والمضغة، ثم قال: ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ الأنفس حين يراها بعد مضغة إنسانا فجعل له العينين، والأذنين، واليدين، والرجلين، ثم قال: ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ فى الأرحام، كيف يشاء ذكر وأنثى، أبيض وأسود، سوى وغير سوى، ثم قال: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يعنى الرحمن الرحيم العزيز الجبار المتكبر، ونحوها من الأسماء يعنى هذه الأسماء التى ذكرها فى هذه السورة، ثم قال: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعنى يذكره ويوحده ما فى السموات والأرض وما فيها من الخلق وغيره ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٢٤] فى أمره.

قوله: ﴿**الرحمن الرحيم**﴾ الرحيم أرق من الرحمن يعنى المترحم يعنى المتعطف بالرحمة على خلقه.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، وحدثنا الهذيل عن سعيد بن بشير، عن قتادة، عن ابن سيرين، عن النبى ﷺ، وبإسناده عن مقاتل، عن قتادة، عن ابن سيرين، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ، قال: «إن لله تسعة وتسعين اسما فى القرآن فمن أحصاها دخل الجنة».

حدثنا عبد اله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن المسيب، قال سبحان الله: انصاف لله من السوء.

وقال على بن أبى طالب، رضى الله عنه: سبحان الله كلمة رضيها الله لنفسه.

وقال الهذيل: قال مقاتل: سبحان الله فى القرآن تنزيه نزه نفسه، من السوء إلا أول بنى إسرائيل ﴿**سبحان الذى أسرى بعبده**﴾ [الإسراء: ١] يقول عجب و ﴿**سبحان الذى خلق الأزواج**﴾ [يس: ٣٦] يعنى عجب الذى خلق الأزواج، وقوله: ﴿**سبحان الله حين تمسون**﴾ يقول صلوا لله.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن هشيم، عن داود بن أبى هند، عن مطرف بن الشخير، قال: إن الله تعالى لم يكلنا فى القرآن على القدر.

* * *

سُورَةُ المُمْتَحَنَة

سورة الامتحان مدنية عددها ثلاث عشرة آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ وذلك أن النبى ﷺ أمر الناس بالجهاد وعسكر، وكعب حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة، إن محمدًا قد عسكر، وما أراه ألا يريدكم فخذوا حذركم وأرسل بالكتاب مع سارة مولاة أبى عمرو بن صيفى بن هاشم وكانت قد جاءت من مكة إلى المدينة فأعطاها حاطب بن أبى بلتعة عشرة دنانير على أن تبلغ كتابه أهل مكة وجاء جبريل، فأخبر النبى ﷺ بأمر الكتاب، وأمر حاطب فبعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب، عليه السلام، والزبير بن العوام، وقال لهما: إن أعطتكما الكتاب غفوا خليا سبيلها، وإن أبت فاضربا عنقها، فسارا حتى أدركا بالجحفة وسألاها عن الكتاب فخلقت، مامعها كاب، وقالت: لأنا إلى خيركم أفقر منى إلى غير ذلك، فاتبحثاها، فلم يجدا معها شيئًا، فقا الزبير لعلى بن أبى طالب، رضى الله عنهما أرجع بنا، فإنا لا ترى معها شيئًا.

فقال على: والله لأضربن عنقها، والله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، فقال الزبير: ثدقت اضرب عنقها، فسل على سيفه، فلما عرفت الجد منهما أخذت عليهما المواثيق، لئن أعطيتكما الكتاب لا تقتلانى، ولا تسبيانى، ولا تردانى إلى محمد ﷺ، ولتخليان سبيلى فأعطياها المواثيق، فاستخرجت الصحيفة من ذؤايتها ودفعتها فخليا سبيلها وأقبلا بالصحيفة فوضعاها فى يدى رسول الله فقرأها، فأرسل إلى حاطب بن أبى بلتعة، فقال له: أتعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم، قال: فما حملك على أن تنذر بنا عدونا؟.

قال حاطب: اعف عنى عفا الله عنك، فوالذى أنزل عليك الكتاب ما كفرت منذ أسلمت ولا كذبتك منذ صدقتك، ولا أبغضتك منذ أحببتك، ولا واليتهم منذ هاديتهم، وقد علمت أن كتابى لا ينفعهم ولا يضرك فاعذرنى، جعلنى الله فداك فإنه ليس من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع ماله وعشيرته غيرى وكنت حليفا ولست من أنفس القوم، وكان حلفائى قد هاجروا كلهم، وكنت كثير المال والضيعة بمكة فخفت المشركين على مالى فكتبت إليهم لأتوسل بها وأتخذها عندهم مودة لأدفع عن مالى، وقد علمت أن الله منزل بهم خزيه ونقمته وليس كتابى يغنى عنهم شيئًا، فعرف رسول الله ﷺ أنه قد ثدق فيما قال، فأنزل الله تعالى عظة للمؤمنين أن يعودوا لمثل صنيع حاطب بن أبى بلتعة، فقال تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء**﴾.

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ يعنى الصحيفة ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعنى القرآن ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ من مكة ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ قد أخرجوا من دياركم يعنى من مكة ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟﴾ يعنى بأن آمنتم ﴿بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ فلا تلقوا إليهم بالمودة ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ يعنى بالصحيفة فيها النصيحة ﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ﴾ يعنى بما أسررتم فى أنفسكم من المودة والولاية ﴿وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ هم من الولاية ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ يعنى ومن يسر بالمودة إلى الكفار ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [آية: ١] يقول فقد أخطأ قصد طريق الهدى، وفى حاطب نزلت هذه الآية: ﴿**لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله**﴾ [المجادلة: ٢٢] إلى آخر الآية.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى قال: حدثنا الهذيل عن المسيب، عن الكلبى، عن أبى صالح، عن ابن عباس، قال: أقبلت سارة مولاة أبى عمرو بن صيفى بن هاشم بن عبد مناف من مكة إلى المدينة المنورة، ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة فلما رآها رسول الله ﷺ، قال: مالك، يا سارة؟ أمسلمة جئت؟ قالت: لا، قال: أفمهاجرة جئت؟ قالت: لا، قال: فما حاجتك؟ قالت: كنتم الأصل والموالا والعشيرة وقد ذهب موالى، وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتكسونى وتنفقوا على وتحملونى، فقال النبى ﷺ: «فأين أنت من شباب أهل مكة»، وكانت امرأة مغنية ناتحة، فقالت: يا محمد، ما كلب أحد منهم شيئًا منذ كانتوقعة بدر، قال فحث عليها رسول الله ﷺ بنى عبد المطلب وبنى هاشم فكسوها وأعطوها نفقة وحملوها، فلما أرادت الخروج إلى مكة أتاها

حاطب بن أبى بلتعة من أهل اليمن حليف للزبير بن العوام فجعل لها جعلا على أن تبلغ كتابه إلى آخر الحديث.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾

ثم أخبر المؤمنين بعداوة كفار مكة إياهم، فقال: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً﴾ يقول إن يظهروا عليكم وأنتم على دينكم الإسلام مفارقين لهم ﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ يعنى الشتم ﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [آية: ٢] إن ظهروا عليكم يعنى إن ترجعوا إلى دينهم فإن فعلتم ذلك ﴿لَن تَنفَعَكُمْ﴾ يعنى لا تغنى عنكم ﴿أَرْحَامُكُمْ﴾ يعنى أقرباءكم ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ بالعدل ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية: ٣] به.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾

قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين ﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ يقول تبرأنا منكم ﴿وَبَدَا﴾ يعنى وظهر ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ يعنى تصدقوا بالله وحده ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ يقول الله تبرءوا من كفار قومكم فقد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم ومن معه من المؤمنين فى البراءة من قومهم وليس لكم أسوة حسنة فى الاستغفار للمشركين، يقول إبراهيم: لأستغفرن لك، وإنما كانت موعده وعدها أبو إبراهيم إياه أنه يؤمن فلما تبين له عند موته أنه عبد الله تبرأ منه حين مات على الشرك، وحجب عنه الاستغفار.

ثم قال إبراهيم: ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٤].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾

﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تقتر علينا بالرزق، تبسط لهم فى الرزق، فنحتاج إليهم فيكون ذلك فتنة لنا ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آية: ٥] وفى قراءة ابن مسعود: «إنك أنت الغفور الرحيم» نظيرها فى آخر المائدة [الآية: ١١٨].

﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦﴾

وقوله: ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ﴾ يعنى فى إبراهيم والذين معه ﴿أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ فى الاقتداء بهم ﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ﴾ يقول لمن كلن يخشى الله، ويخشى البعث الذى فيه جزاء الأعمال ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ يقول ومن يعرض عن الحق ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن عباده ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ [آية: ٦] فى سلطانه عنه خلقه.

﴿۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧﴾

قوله: ﴿۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم﴾ من كفار مكة ﴿مَّوَدَّةٗۚ﴾ وذلك أن الله تعالى حين أخبر المؤمنين بعداوة كفار مكة والبراءة منهم، وذكر لهم فعل إبراهيم والذين معه فى البراءة من قومهم، فلما أخبر ذلك عادوا أقرباءهم وأرحامهم لهم العداوة، وعلم الله شدة وجد المؤمنين فى ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ﴾ فلم أسلم أهل مكة خالطهم المسلمون وناكحوهم، وتزوج النبى ﷺ أم حبيبة بنت أبى سفيان فهذه المودة التى ذكر الله تعالى، بقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ﴾ على المودة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لذنوب كفار مكة لمن تاب منهم وأسلم ﴿رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٧] بهم بعد الإسلام، ثم رخص فى صلة الذين لم يناصبوا الحرب للمسلمين، ولم يظاهروا عليهم المشركين.

﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾

فذلك قوله: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ﴾ صلة ﴿ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم﴾ من مكة ﴿مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ﴾ يقول: أن تصلوهم ﴿وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ بالعدل يعنى توفوا

إليهم بعهدهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [آية: ٨] الذين يعدلون بين الناس، نزلت فى خزاعة منهم هلال بن عويمر، وبنى خزيمة وبنى مدلج منهم مسراقة بن مالك، وعبد يزيد بن عبد مناة، والحارث بن عبد مناة.

ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ﴾ صلة ﴿ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ يعنى كفار مكة أخرجوا النبى ﷺ وأصحابه من مكة كرهية الإسلام ﴿وَظَٰهَرُوا۟﴾ يقول: وعاونوا المشركين ﴿عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بأن توالوهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ﴾ منكم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٩] ثم نسخت براءة هاتين الأيتين: ﴿**اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾ [التوبة: ٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ وذلك أن النبى ﷺ صالح أهل مكة يوم الحديبية، وكتب بينه وبينهم كتابًا فكان فى الكتاب أن من لحق أهل مكة من المسلمين، فهم لهم، ومن لحق منهم بالنبى ﷺ رده عليهم، وجاءت امرأة إلى النبى ﷺ اسمها سبيعة بنت الحارث الأسلمية، فى الموادعة، وكانت تحت صيفى بن الراهب من كفار مكة فجاء زوجها يطلبها، فقال النبى ﷺ: «ردها علينا فإن بيننا وبينك شرطًا»، فقال النبى ﷺ: «إنما كان الشرط فى الرجال، ولم يكن فى النساء».

فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ يعنى سبيعة فامتحنها النبى ﷺ فقال: بالله، ما أخرجك من قومك حدثًا، ولا كراهية لزوجك، ولا بغضا له، ولا خرجت إلا حرصًا على الإسلام ورغبة فيه، ولا تريدين غير ذلك؟ فهذه المحنة يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ من قبل المحنة يعنى سبيعة ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾ يعنى فلا تردهن ﴿إِلَى﴾ أزواجهن ﴿ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ يقول لا تحل مؤمنة لكافر، ولا كافر لمؤمنة، قال: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ يقول أعطوا أزواجهم الكفار ما أنفقوا عليهن من المهر يعنى يرد المهر يتزوجها من المسلمين فإن لم يتزوجها أحد من المسلمين فليس لزوجها الكافر شيئًا ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يعنى

ولا حرج عليكم ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ يقول: إذا أعطيتموهن ﴿أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ يعنى بعقد الكوافر يقول: لا تعتد بامرأتك الكافرة، فإنها ليست لك بامرأة يقول: هذا الذى يتزوج هذه المهاجرة، وذلك أن المرأة الكافرة تكون فى موضع من قومها، ولها أهل كثير فيمسكها إرادة أن يتعزز بأهلها وقومها من الناس، فتزوجها عمر بن الخطاب.

ويقال: تزوجها أبو السنابل بن بعكك بن السباق بن عبد الدار بن قصى، وفيه نزلت هذه الآية وفى أصحابه، وكانت امرأة عمر بن الخطاب، رضى الله عنها، بمكة واسمها قريبة بنت أبى أمية، وهشام بن العاص بن وائل، وامرأته هند بنت أبى جهل، وعياض بن شداد الفهرى وامرأته أم الحكم بنت أبى سفيان، وشماس بن عثمان المخزومى، وامرأته يربوع بنت عاتكة، وعمرو بن عبد عمرو، وهو ذو اليدين، وامرأته هند بنت عبد العزى، فتزوج امرأة عمر بن الخطاب أبو سفيان بن حرب، فقال الله تعالى فى المخاطبة: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ إلى آخر الآية، هذا محكم لم ينسخ، ونسخت براءة النفقة.

﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ يقول: إن ذهبت امرأة أحدكم إلى الكفار، فاسألوا الذى يتزوجها أن يرد مهرها على زوجها المسلم والنفقة، ثم قال: ﴿وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ﴾ من المهر يقول: إن جاءت امرأة من أهل مكة مهاجرة إليهم فليرد الذى يتزوجها مهرها على زوجها الأول، فإن تزوجت إحدى المرأتين اللتان جاءتا مسلمة ولحقت بكم، ولم تتزوج الأخرى، فليرد الذى تزوجها مهرها على زوجها، وليس لزوج المرأة الأخرى مهر، حتى تتزوج امرأته، فإن لم يعط كفار مكة المهر طائعين، فإذا ظهرتم عليهم، فخذوا منهم المهر، وإن كرهوا، كان هذا لأهل مكة خاصة موادعة، فذلك قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ يعنى بين المسلمين والكافرين فى أمر النفقة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ١٠] فى أمره حين حكم النفقة.

ثم نسخ هذا كله آية السيف فى براءة، غير هذين الحرفين ﴿**لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن**﴾ [التوبة: ٥].

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

ثم قال: فى النفقة: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ وهى أم الحكم بنت أبى

سفيان تركت زوجها عياض بن غنم بن شداد القرشى، ثم الفهرى من بنى عامر بن لؤى، ثم أتت الطائف، فتزوجت رجلاً من ثقيف.

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ يعنى أحد أزواجكم ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾ يعنى إن لحقت امرأة مؤمنة إلى الكفار، يعنى كفار الحرب الذين ليس بينكم وبينهم عهد وزوجها مسلم ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ يقول: فإن غنمتم، وأعقبكم الله مالاً ﴿فَآتُوا﴾ وأعطوا ﴿الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ يعنى المهر ما أصبتم من الغنيمة قبل أن تخمس الخمس، ثم يرفع الخمس، ثم تقسم الغنيمة بعد الخمس بين المسلمين، ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولا تعصوه فيما أمركم به ﴿الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١١] يعن بالله مصدقين، وكل هؤلاء الآيات نسختها فى براءة آية السيف [الآية: ٥].

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢)﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ وذلك يوم فتح مكة، لما فرغ النبى ﷺ من بيعة الرجال، وهو جالس على الصفا، وعمر بن الخطاب، رضى الله عنه، أسفل منه، فقال النبى ﷺ: «أبايعكن على ألا تشركن بالله شيئًا»، وكانت هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان منتقبه مع النساء، فرفعت رأسها، فقالت: والله، إنك لتأخذ علينا أمرًا ما رأيتك أخذته على الرجال، فقد أعطيناكه، فقال النبى ﷺ: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾، فقالت: والله إنى لأصيب من مال أبى سفيان هنات، فما أدرى أتحلهن لى أم لا؟ فقال أبو سفيان: نعم، ما أصبت من شىء فيما مضى وفيما غير فهو لك حلال، فقال النبى ﷺ: «وإنك لهند بنت عتبة»، فقالت: نعم، فاعف عما سلف عفا الله عنك، ثم قال: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ قالت: وهل تزنى الحرة؟ ثم قال: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ فقالت: ربيناهم صغارًا وقتلتموهم كبارًا، فأنتم وهم أعلم، فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى، ويقال: إن النبى ﷺ ضحك من قولها.

ثم قال: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ والبهتان أن تقذف المرأة ولدًا من غير زوجها على زوجها، فتقول لزوجها هو منك وليس منه، قالت: والله إن البهتان لقبيح، ولبعض التجاوز أمثل، وما تأمر إلا بالرشد ومكارم الأخلاقن ثم قال:

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ يعنى فى طاعة الله تعالى فيما نهى عنه النبى ﷺ عن النوح وشد شعر وتمزيق الثياب، أو تخلو غريب فى حضر، ولا تسافر فوق ثلاثة أيام إلا مع ذى محرم ونحو ذلك، قالت هند: ما جلسنا فى مجلسنا هذا، وفى أنفسنا أن نعصيك فى شىء فأقر النسوة بما أخذ عليهن النبى ﷺ، فذلك قوله: ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما كان فى الشرك ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٢] فيما بقى.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعنى اليهود نزلت فى عبد الله بن أبى، ومالك بن دخشم كانت اليهود زينوا لهم ترك الإسلام، فكان أناس من فقراء المسلمين يخبرون اليهود عن أخبار المسلمين ليتواصلوا بذلك فيصيبون من ثمارهم وطعامهم، فنهى الله عز وجل عن ذلك.

ثم قال: ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يعنى اليهود ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [آية: ١٣] وذلك أن الكافر إذا دخل قبره أتاه ملك شديد الانتهار، فأجلسه، ثم يسأله: من ربك؟ وما دينك؟ ومن رسولك؟ فيقول: لا أدرى، فيقول الملك: أبعدك الله، انظر يا عدو الله إلى منزلك من النار، فينظر إليها، ويدعو بالويل، ويقول له الملك: هذا لك، يا عدو الله، فلو كنت آمنت بربك لدخلت الجنة، ثم فينظر إليها، فيقول: لمن هذا؟ فيقول له الملك: هذا لمن آمن بالله، فيكون حسرة عليه، وينقطع رجاءه منها ويعلم عند ذلك أنه لا حظ له فيها، وييأس من خير الجنة، فذلك قوله لكفار أهل الدنيا الأحياء منهم ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ﴾ نعيم ﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ كما أيس هذا الكفار من أصحاب القبور عاينوا منازلهم فى النار فى الآخرة.

* * *

سُورَةُ الصَّفِّ

مكية، عددها أربع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤)﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ يعنى ذكر الله ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الملائكة ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من شيء من الخلق غير كفار الجن والإنس ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ [آية: ١] فى أمره ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٢]، ثم قال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ يعنى عظم بغضًا ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٣] يعظهم بذلك، وذلك أن المؤمنين قالوا: لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾ يعنى فى طاعته ﴿صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [آية: ٤] يعنى ملتصق بعضه فى بعض فى الصف، فأخبرهم الله بأحب الأعمال إليه بعد الإيمان فكرهوا القتال، فوعظهم الله وأدبهم، فقال: ﴿**لم تقولون ما لا تفعلون**﴾ نزلت هذه الآية فى الأنصار فى الأوس والخزرج منهم عبد الله بن رواحة وغيره.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥)﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ وهم مؤمنون، وهم الأسباط اثنا عشر سبطًا ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ قالوا: إنه آدر نظيرها فى الأحزاب قوله: ﴿**لا تكونوا كالذين آذوا موسى**﴾ [الأحزاب: ٦٩]، ثم رجع إلى مخاطبة موسى، فقال: ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا﴾ يقول: ما لوا عن الحق وعدلوا عنه ﴿أَزَاغَ اللَّهُ﴾ يعنى

أمال الله ﴿قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي﴾ إلى دينه من الضلالة ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [آية: ٥] يعنى العاصين.

﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾﴾

﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ﴾ يعنى الذى قبلى ﴿مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ بالسريانية فارقليطا ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ عيسى ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ يعنى بالعجائب التى كان يصنعها ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ٦] الذى يصنع عيسى سحر مبين.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ يقول: فلا أحد أظلم منه يعنى اليهود ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ حين زعموا أنه ساحر ﴿وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ﴾ يعنى اليهود ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي﴾ من الضلالة إلى دينه ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٧] يعنى فى علمه، قوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ يعنى دين الله ﴿بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ يعنى بألسنتهم، وهم اليهود والنصارى، حين كتموا أمر محمد ﷺ ودينه فى التوراة والإنجيل ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ يعنى مظهر دينه ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٨] يعنى اليهود والنصارى.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾﴾

ثم قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمدًا ﷺ ﴿بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ يعنى الإسلام، يعنى دين محمد ﷺ ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ يعنى الأديان كلها، ففعل الله تعالى ذلك، وأظهر دين محمد ﷺ على أهل كل دين، حين قتلهم فأدوا إليه الجزية مثل قوله: ﴿**فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين**﴾ [الصف: ١٤]. ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [آية: ٩] من العرب يعنى كفار قريش، لما نزلت هذه الآية: ﴿**إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص**﴾ [الصف: ٣]، قال بعضهم: يا رسول الله، فما لنا من الأجر إذا جاهدنا فى سبيل الله، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [آية: ١٠] يعنى وجيع، فقال المسلمون: والله،

لو علمنا ما هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأولاد والأهلين. فبين الله لهم ما هذه التجارة؟ يعنى التوحيد.

﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

قال: فأنزل الله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ يعنى تصدقون بتوحيد الله ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ أنه نبى ورسول ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى فى طاعة الله ﴿بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ﴾ يعنى الإيمان والجهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من غيره ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١١] فإذا فعلتم ذلك ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ يعنى حسنة فى منازل الجنة ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ وجنة عدن قصبة الجنان، وهى أشرف الجنان ﴿ذَٰلِكَ﴾ الثواب هو ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ولكم سوى الجنة أيضًا عدة الدنيا ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ على عدوكم إذا جاهدتم ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ يعنى ونصر عاجل فى الدنيا ﴿وَبَشِّرِ﴾ بالنصر يا محمد ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٣] فى الدنيا، وبالجنة فى الآخرة، فحمد القوم ربهم حين بشرهم النبى ﷺ بهذا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ يعنى صيروا أنصارًا لله، يقول: من قاتل فى سبيل الله، يريد بقتاله أن تعلو كلمة الله، وهى لا إله إلا الله، وأن يعبد الله لا يشرك به شيئًا، فقد نصر الله تعالى، يقول: انصروا محمدًا ﷺ كما نصر الحواريون عيسى ابن مريم، عليه السلام، وكانوا أقل منكم، وذلك أن عيسى، عليه السلام، مر بهم وهم ببيت المقدس، وهم يقصرون الثياب، والحواريون بالنبطية مبيضو الثياب، فدعاهم إلى الله، فأجابوه، فذلك قوله: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يقول: مع الله، يقول: من يمنعنى من الله ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ وهم الذين أجابوا عيسى، عليه السلام.

﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسى، عليه السلام، ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ ثم انقطع

الكلام ﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يقول: قوينا الذين آمنوا بمحمد ﷺ ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [آية: ١٤] بمحمد ﷺ على أهل الأديان.

قوله: ﴿**فلما جاءهم**﴾ عيسى ﴿**بالبينات**﴾ [الصف: ٦] يعنى ما كان يخلق من الطين، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويحيى الموتى، قالت اليهود: هذا الذى يصنع عيسى سحر مبين، يعنى بيِّن.

* * *

سُورَةُ الجُمُعَةِ

مدنية، عددها إحدى عشرة آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾

قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ يعنى يذكر الله ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من شىء غير كفار الجن والإنس، ثم نعت الرب نفسه، فقال: ﴿ٱلْمَلِكِ﴾ الذى يملك كل شىء ﴿ٱلْقُدُّوسِ﴾ الطاهر ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ [آية: ١] فى أمره ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾ يعنى العرب الذين لا يقرءون الكتاب ولا يكتبون بأيديهم ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ فهو النبى ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ يعنى يقرأ عليهم ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى آيات القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يعنى ويصلحهم فيوحدونه ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعنى ولكى يعلمهم ما يتلو من القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ وموعظ القرآن الحلال والحرام ﴿وَإِن﴾ يعنى وقد ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أن يبعث محمدًا ﷺ ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٢] يعنى بين وهو الشرك ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ الباقين من هذه الأمة ممن بقى منهم ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ يعنى بأوائلهم من أصحاب النبى ﷺ ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٣] فى أمره.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ يعنى الإسلام ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ يقول: فضل الله الإسلام يعطيه من يشاء ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ﴾ الإسلام ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٤] يعنى الفوز بالنجاة والإسلام.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ يعنى اليهود تحملوا العمل بما فى التوراة فقرءوها ﴿ثُمَّ

﴿لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ يقول: لم يعلموا بما فيها ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ يقول: كمثل الحمار يحمل كتابًا لا يدرى ما فيه، كذلك اليهود حين لم يعملوا بما فى التوراة، فضرب الله تعالى لهم مثلاً، فقال: ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ يعنى القرآن ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي﴾ إلى دينه من الضلالة ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آية: ٥] فى علمه.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ وذلك أن النبى ﷺ كتب إلى يهود المدينة يدعوهم إلى الإسلام، فكتب يهود المدينة إلى يهود خيبر أن محمدًا يزعم أنه نبى، وأنه يدعونا وإياكم إلى دينه، فإن كنتم تريدون متابعته فاكتبوا إلينا ببيان ذلك، وإلا فأنتم ونحن على أمر واحد لا نؤمن بمحمد، ولا نتبعه، فغضبت يهود خيبر، فكتبوا إلى يهود المدينة كتابًا قبيحًا، وكتبوا أن إبراهيم كان صديقًا نبيًا، وكان من بعد إبراهيم إسحاق صديقًا نبيًا، وكان من بعد إسحاق يعقوب صديقًا نبيًا، وولد يعقوب اثنا عشر، فولد لكل رجل منهم أمة من الناس، ثم كان من بعدهم موسى، ومن بعد موسى عزيز، فكان موسى يقرأ التوراة من الألواح.

وكان عزيز يقرؤها ظاهرًا، ولولا أنه كان ولدًا لله ونبيه وصفيه لم يعطه ذلك، فنحن وأنتم سبطه، وسبط من اتخذه الله خليلاً، ومن سبط من كلمه الله تكليمًا، فنحن أحق بالنبوة والرسالة من محمد ﷺ، ومتى كان الأنبياء من جزائر العرب؟ ما سمعنا بنبى قط كان من العرب إلا هذا الرجل الذى تزعمون، على أنا نجد ذكره فى التوراة فإن تبعتموه صغركم ووضعكمن فنحن أبناء الله وأحباؤه.

فقال الله تعالى للنبى ﷺ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ لليهود ﴿إِن زَعَمْتُمْ﴾ يعنى إذ زعمتم ﴿أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ فى الآخرة ﴿مِن دُونِ النَّاسِ﴾ وأحباؤه ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آية: ٦] بأنكم أولياؤه وأحباؤه، وأن الله ليس بمعذبكم، ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من ذنوبهم وتكذيبهم بالله ورسوله ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [آية: ٧] يعنى اليهود.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ يعنى تكرهونه ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ لا محالة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ فى الآخرة ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ يعنى عالم كل غيب وشاهد كل نجوى ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ يقول: إذا نودى إلى الصلاة والمن هاهنا صلة ﴿مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ يعنى إذا جلس الإمام على المنبر ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ يقول: فامضوا إلى الصلاة المكتوبة ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ﴾ يعنى الصلاة ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البيع والشراء ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٩].

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ من يوم الجمعة ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فهذه رخصة بعد النبى وأحل لهم ابتغاء الرزق بعد الصلاة، فمن شاء خرج إلى تجارة، ومن شاء لم يفعل، فذلك قوله: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يعنى الرزق ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ باللسان ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يعنى لكى ﴿تُفْلِحُونَ﴾ [آية: ١٠].

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾ وذلك أن العير كانت إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق، فخرج الناس من المسجد غير اثنى عشر رجلاً وامرأة، فقال النبى ﷺ: «انظروا كم فى المسجد»؟ فقالوا: اثنا عشر رجلاً وامرأة، ثم جاءت غير أخرى، فخرجوا غير اثنى عشر رجلاً وامرأة، ثم أن دحيه بن خليفة الكلبى من بنى عامر بن عوف أقبل بتجارة من الشام قبل أن يسلم، وكان يحمل معه أنواع التجارة، وكان يتلقاه أهل المدينة بالطبل والتصفيق، ووافق قدومه يوم الجمعة، والنبى ﷺ قائم على المنبر يخطب، فخرج إليه الناس، فقال النبى ﷺ: «انظروا كم بقى فى المسجد»، فقالوا: اثنا عشر رجلاً وامرأة، فقال النبى ﷺ: «لولا هؤلاء لقد سوِّمت لهم الحجارة».

فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ على المنبر ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ﴾ يعنى من الطبل والتصفيق ﴿وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ التى جاء بها

دحية ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [آية: ١١] من غيره.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا هشيم، قال: كان فى الاثنى عشر أبو بكر وعمر، رضى الله عنهما.

* * *

سورة المنافقون

مدنية عددها إحدى عشرة آية كوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣)﴾

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ﴾ يعنى نحلف ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعنى يقسم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [آية: ١] فى حلفهم ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ يعنى حلفهم الذى حلفوا أنك لرسول الله ﴿جُنَّةً﴾ من القتل ﴿فَصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعنى دين الإسلام ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا﴾ يعنى بئس ما ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢] يعنى النفاق ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ يعنى أقروا ﴿ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [آية: ٣].

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)﴾

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعنى عبد الله بن أبى، وكان رجلاً جسيمًا صبيحًا ذاق اللسان، فإذا قال، سمع النبى ﷺ لقوله: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ فيها تقديم يقول: كأن أجسامهم خشب بعضها على بعض قيامًا، لا نسمع، ولا نعقل، لأنها خشب ليست فيها أرواح، فكذلك المنافقون لا يسمعون الإيمان ولا يعقلون، ليس فى أجوافهم إيمان فشب أجسامهم بالخشب ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ أنها ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يقول: إذا نادى مناد فى العسكر أو أفلتت دابة، أو أنشدت ضالة يعنى طلبت، ظنوا أنما يرادون بذلك مما فى قلوبهم من الرعب.

ثم قال: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ يعنى لعنهم الله ﴿أَنَّى﴾ يعنى من أين ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ [آية: ٤] يعنى يكذبون.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعنى عبد الله بن أبى ﴿تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ يعنى عبد الله بن أبى ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ يعنى عطفوا رءوسهم رغبة عن الاستغفار ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ عن الاستغفار ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [آية: ٥] يعنى عطف رأسه معرضًا، فقال عبد الله بن أبى للذى دعاه إلى استغفار النبى ﷺ ما قلت؟ كأنه لم يسمع حين دعاه إلى الاستغفار، يقول الله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ من الضلالة إلى دينه ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [آية: ٦] يعنى العاصين، يعنى عبد الله بن أبى.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾

ثم قال: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ يعنى عبد الله بن أبى ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ وذلك أن النبى ﷺ لما رجع غانمًا من غزاة بنى لحيان، وهم حى من هذيل، هاجت ريح شديدة ليلاً، وضلت ناقة رسول الله ﷺ، فلما أصبحوا، قالوا للنبى ﷺ: ما هذه الريح؟ قال: «موت رجل من رءوس المنافقين توفى بالمدينة»، قالوا: من هو؟ قال: «رفاعة بن التابوه»، فقال رجال منافق: كيف يزعم محمد أنه يعلم الغيب، ولا يعلم مكان ناقته أفلا يخبره الذى يأتيه بالغيب بمكان ناقته؟ فقال له رجل: اسكت، فوالله لو أن محمدًا يعلم بهذا الزعم لأنزل عليه فينا، ثم قام المنافق، فأتى النبى ﷺ فوجده يحدث أصحابه أن رجلاً من المنافقين شمت بى، بأن ضالت ناقتى، قال: كيف يزعم محمد أنه يعلم الغيب، أفلا يخبره الذى يأتيه بالغيب بمكان ناقته؟ «لعمرى، لقد كذب، ما أزعم أنى أعلم الغيب، ولا أعلمه، ولكن الله تعالى أخبرنى بقوله، وبمكان ناقتى، وهى فى الشعب، وقد تعلق زمامها بشجرة».

فخرجوا من عنده يسعون قبل الشعب، فإذا هى كما قال النبى ﷺ، فجاءوا بها، والمنافق ينظر، فصدق مكانه، ثم رجع إلى أصحابه، فقال: أذكركم الله، هل قام أحد منكم من مجلسه؟ أو ذكر حديثى هذا إلى أحد؟ قالوا: لا، قال: أشهد أن محمدًا رسول

الله، والله لكأنى لم أسلم إلا يومى هذا، قالوا: وما ذاك؟ قال: وجدت النبى ﷺ يحدث الناس بحديثى الذى كرت لكم، وأنا أشهد أن الله أطلعه، وأنه لصادق، فسار حتى دنا من المدينة فتحاور رجلان أحدهم عامرى، والآخر جهنى، فأعان عبد الله بن أُبى المنافق الجهنى، وأعان جعال بن عبد الله بن سعيد العامرى، وكان جعال فقيرًا، فقال عبد الله لجعال: وإنك لهناك، فقال: وما يمنعنى أن أفعل ذلك فاشتد لسان جعال على عبد الله، فقال عبد الله: مثلى ومثلك كما قال الأول ممن كلبك يأكلك، والذى يحلف به عبد الله لأذرنك، ولهمك غير هذا.

قال جعال: ليس بيدك، وإنما الرزق بيد الله تعالى، فرجع عبد الله غضبان؟ فقال لأصحابه: والله، ولو كنتم تمنعون جعالاً، وأصحاب جعال الطعام الذى من أجله ركبوا رقابكم لأوشكوا أن يذروا محمدًا ﷺ ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم، لا تنفقوا عليهم ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ يعنى حتى يتفرقوا من حول محمد ﷺ، ثم قال: لو أن جعالاً أتى محمدًا ﷺ فأخبره لصدقه، وزعم أنى ظالم، ولعمرى، إنى ظالم إذ جئنا بمحمد من مكة، وقد طرده قومه فواسيناه بأنفسنا، وجعلناه على رقابنا، أما والله، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ولنجعلن علينا رجلاً منا، يعنى نفسه، يعنى بالأعز نفسه وأصحابه، ويعنى بالأذل النبى ﷺ وأصحابه، فقال زيد بن أرقم الأنصارى، وهو غلام شاب: أنت والله الذليل القصير المبغض فى قومك، ومحمد ﷺ فى عز من الرحمن، ومودة من المسلمين، والله لا أحبك بعد هذا الكلام أبدًا.

فقال عبد الله: إنما كنت ألعب معك، فقام زيد فأخبر النبى ﷺ فشق عليه قول عبد الله بن أُبى، وفشا فى الناس أن النبى ﷺ غضب على عبد الله لخبر زيد، فأرسل النبى ﷺ إلى عبد الله، فأتاه ومعه رجال من الأنصار يرفدونه ويكذبون عنه، فقال له النبى ﷺ: «أنت صاحب هذا الكلام الذى بلغنى عنك»، قال عبد الله: والذى أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئًا من ذلك قط، وإن زيدًا لكاذب وما عملت عملاً قط أرجى فى نفسى أن يدخلنى الله به الجنة من غزاتى هذه معك، وصدقه الأنصار، وقالوا: يا رسول الله، شيخنا وسيدنا لا يصدق عليه قول غلام من غلمان الأنصار مشى بكذب ونميمة فعذره النبى ﷺ، وفشت الملامة لزيد فى الأنصار، وقالوا: كذب زيد، وكذبه النبى ﷺ، وكان زيد يساير النبى ﷺ فى المسير قبل ذلك، فاستحى بعد ذلك أن يدنو من النبى ﷺ فأنزل الله تعالى تصديق زيد، وتكذيب عبد الله، فقال: ﴿هُمُ﴾ يعنى عبد الله

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعنى مفاتيح الرزق والمطر والنبات ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [آية: ٧] الخير.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

ثم قال: يعنى عبد الله ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ يعنى الأمنع منها الأذل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فهؤلاء أعز من المنافقين ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٨] ذلك، فانطلق النبى ﷺ يسير ويتخلل على ناقته حتى أدرك زيدًا فأخذ بأذنه ففركها حتى أحمر وجهه، فقال لزيد: أبشر فإن الله تعال قد عذرك، ووقى سمعك، وصدقك، وقرأ عليه الآيتين، وعلى الناس فعرفوا صدق زيد، وكذب عبد الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعنى أقروا يعنى المنافقين ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ يعنى الصلاة المكتوبة ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ يعنى ترك الصلاة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ من الأموال ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ يعنى المنافق، فيسأل الرجعة عند الموت إلى الدنيا، ليزكى ماله، ويعمل فيها بأمر الله عز وجل، فذلك قوله: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ﴾ يعنى هلا ﴿أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ لأن الخروج من الدنيا إلى قريب ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ يعنى فأزكى مالى ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [١٠] يعنى المؤمنين، مثل قوله: ﴿**ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين**﴾ [التوبة: ٧٥]، يعنى المؤمنين ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١١] من الخير والشر، يعنى المنافقين.

* * *

سورة التغابن

مدنية، وفيها مكى، عددها ثمانى عشرة آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ يعنى يذكر الله ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من شىء من الخلق غير كفار الجن والإنس ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ لا يملك أحد غيره ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ فى سلطانه عند خلقه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أراده ﴿قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ من آدم وحواء وكان بدء خلقهما من تراب ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ يعنى مصدق بتوحيد الله تعالى.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ يقول: لم يخلقهما باطلاً خلقهما لأمر هو كائن ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾ يعنى خلقكم فى الأرحام ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ ولم يخلقكم على صورة الدواب، والطير، فأحسن صوركم يعنى فأحسن خلقكم ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٣] فى الآخرة ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ فى قلوبكم من أعمالكم ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ منها بألسنتكم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٤] يعنى القلوب من الخير والشر.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿نَبَؤُا۟﴾ يعنى حديث ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أهل مكة حديث الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم رسلهم ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ يقول:

ذاقوا العذاب جواء ثواب أعمالهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ﴾ يعني ذلك بأن العذاب الذي نزل بهم في الدنيا ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعني البيان ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ﴾ عن الإيمان ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ عن عبادتهم ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن عباده خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ [آية: ٦] في سلطانه عند خلقه.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨﴾

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾ بعد الموت فأكذبهم الله تعالى، فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ الدنيا ﴿وَذَٰلِكَ﴾ يعني البعث والحساب ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ فَـَٔامِنُواْ﴾ يعني صدقوا ﴿بِٱللَّهِ﴾ أنه واحد لا شريك له ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿وَٱلنُّورِ﴾ يعني القرآن ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا﴾ على محمد ﷺ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من خير أو شر ﴿خَبِيرٌ﴾ [آية: ٨].

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٠﴾

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ يعني جمع أهل السماوات وجمع أهل الأرض ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ يعني أهل الهدى تغبن أهل الضلالة، فلا غبن أعظم منه فريق في الجنة، وفريق في السعير، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ أنه واحد لا شريك له ﴿وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ لا يموتون و ﴿ذَٰلِكَ﴾ الثواب الذي ذكر الله تعالى هو ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ٩].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يعني القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ١٠].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١١﴾

﴿مَآ أَصَابَ﴾ ابن آدم ﴿مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ يعني

ومن يصدق بالله فى المصيبة، ويعلم أن المصيبة من الله ويسلم لأمر الله يهده الله تعالى للاسترجاع، فذلك قوله: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ للاسترجاع، يقول: ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ [البقرة: ١٥٦]، وفى سورة البقرة يقول: ﴿**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**﴾ [البقرة: ١٥٧] للاسترجاع ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من هذا ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ١١].

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ يعنى أعرضتم عن طاعتهما ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾ محمد ﷺ ﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ١٢] ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٣] يقول: به فليثق الواثقون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ نزلت فى الأشجع ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ يعنى إذا أمروكم بالإثم، وذلك أن الرجل كان إذا أراد الهجرة، قال له أهله وولده: ننشدك الله أن تذهب وتدع أهلك وولدك ومالك، نضيع بعدك، ونصير عيالاً بالمدينة، لا معاش لنا فيثبطونه، فمنهم من يقيم، ومنهم من يهاجر، ولا يطيع أهله، فيقول: تثبطونا عن الهجرة، لئن جمعنا الله وإياكم لنعاقبنكم، ولا نصلكم، ولا تصيبون منا خيرًا.

يقول الله: ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ أن تطيعوهم فى ترك الهجرة، ثم أمرهم بالعفو والصفح والتجاوز، فقال: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟﴾ عنهم يعنى وإن تتركوهم، وتعرضوا، وتتجاوزا عنهم ﴿وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟﴾ خير لكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب المؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٤] بخلقه، ثم وعظهم.

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾

فقال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ يعنى بلاء وشغل عن الآخرة ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ﴾ يعنى جزاء ﴿عَظِيمٞ﴾ [آية: ١٥] يعنى الجنة ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فى أمره ونهيه ﴿مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ يعنى ما أطعتم ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ له مواعظه ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ أمره ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ من أموالكم فى حق الله ﴿خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ﴾.

ثم رغبهم فى النفقة، فقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آية: ١٦] أى يعطى حق الله من ماله.

﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾ [١٧].

ثم قال: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ﴾ يعنى التطوع ﴿قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ يعنى طيبة بها أنفسكم تحتسبها ﴿يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ﴾ يعنى القرض ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ بالصدقة ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ لصدقاتكم حين يضاعفها لكم ﴿حَلِيمٌ﴾ [آية: ١٧] عن عقوبة ذنوبكم حين غفرها لكم، وعن من يمن بصدقته، و لم يحتسبها.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾

﴿ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ يعنى عالم كل غيب، يعنى غيب ما فى قلبه من المن، وقلة الخشية، وشاهد كل نجوى ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ يعنى المنيع فى ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آية: ١٨] فى أمره.

* * *

سُورَةُ الطَّلَاقِ

مدنية، عددها اثنتا عشر آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ نزلت فى عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعتبة بن عمرو المازنى، وطفيل بن الحارث، وعمرو بن سعيد بن العاص ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ يعنى طاهرًا من غير جماع ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ فلا تعصوه فيما أمركم به ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ من قبل أنفسهن ما دمن فى العدة وعليهن الرجعة ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ يعنى العصيان البين وهو النشوز ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يعنى سنة الله وأمره أن تطلق المرأة للعدة طاهرة من غير حيض ولا جماع ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ يعنى سنة الله وأمره فيطلق لغير العدة ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [آية: ١] يعنى بعد التطليقة والتطليقتين أمرًا يعنى الرجعة ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ يعنى به انقضاء العدة قبل أن تغتسل ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ إذا راجعتموهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ يعنى طاعة الله ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يعنى طاعة الله فى غير إضرار فهذا هو الإحسان ﴿وَأَشْهِدُوا﴾ على الطلاق والمراجعة ﴿ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ ثم قال للشهود ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ على وجهها ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الذى ذكر الله تعالى من الطلاق والمراجعة ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يعنى يصدق بالله أنه واحد لا شريك له، وبالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، فليفعل ما أمره الله.

ثم قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [آية: ٢] نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، جاء إلى النبي ﷺن فشكا إليه الحاجة والفاقة، فأمره النبي ﷺ بالصبر، وكان ابن له أسير، في أيدي مشركي العرب فهرب منهم فأصاب منهم إبلاً ومتاعًا، ثم إنه رجع إلى أبيه، فانطلق أبوه إلى النبي ﷺ، فأخبره بالخبر، وسأله: أيحل له أن يأكل من الذي أتاه ابنه؟ فقال له النبي ﷺ: «نعم»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فيصبر ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من الشدة ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ يعني من حيث لا يأمل، ولا يرجو فرزقه الله تعالى من حيث لا يأمل ولا يرجو.

ثم قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في الرزق فيثق به ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ فيما نزل به من الشدة والبلاء ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من الشدة والرخاء ﴿قَدْرًا﴾ [آية: ٣] يعني متى يكون هذا الغني فقيرًا؟ ومتى يكون هذا الفقير غنيًا؟ فقدر الله ذلك كله، لا يقدم ولا يؤخر. فقال رجل للنبي ﷺ حين نزلت: ﴿**والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فما عدة المرأة التي لا تحيض؟ وقال خلاد الأنصاري: ماعدة من لم تحض من صغر؟ وماعدة الحبلى؟

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾

فأنزل الله عز وجل في اللاتي قعدن عن المحيض: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ يعني القواعد من النساء اللاتي قعدن عن المحيض ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ يعني شككتم، فلم يدر كم عدتها ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ إذا طلقن، ثم قال: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ فكذلك أيضًا يعني عدة الجواري اللاتي لم يبلغن الحيض، وقد نكحن، ثم طلقن، فعدتهن ثلاثة أشهر.

ثم قال: ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ يعني الحبلى فعدتهن ﴿أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ يقول فإن كانت هذه المطلقة حبلى فأجلها إلى أن تضع حملها، ثم رجع إلى الطلاق، فقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أمر الطلاق ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [آية: ٤] يقول: ومن يتق الله فيطلق كما أمره الله تعالى، ويطيع الله في النفقة، والمسكن، ييسر الله أمره، ويوفقه للعمل الصالح.

﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من الطلاق والنفقة والمسكن، ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فى أمره ما ذكر ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ يعنى يغفر له ذنوبه ﴿وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [آية: ٥] يعنى الجزاء، يعنى يضاعفه له.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ يعنى المطلقة الواحدة والثنتين ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ يعنى من سعتكم فى النفقة، والمسكن، ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ﴾ يعنى المطلقة وهى حبلى ﴿فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم إذا وضعن حملهن ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ يعنى فأعطوهن أجورهن ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم﴾ يعنى الرجل والمرأة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ يقول: حتى تنفقوا من النفقة على امر بمعروف ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ يعنى الرجل والمرأة وإذا أراد الرجل أقل مما طلبت المرأة من النفقة فلم يتفقوا على أمر ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ﴾ يعنى للرجل امرأة ﴿أُخْرَىٰ﴾ [آية: ٦] يقول: ليلتمس غيرها من المراضع.

ثم قال: ﴿لِيُنفِقْ﴾ فى المراضع ﴿ذُو سَعَةٍ﴾ فى المال ﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾ الذى أوسع الله له على قدره ﴿وَمَن قُدِرَ﴾ يعنى فتر ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ مثل قوله: ﴿**إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه**﴾ [الأنبياء: ٨٧] يعنى نضيق عليه فى بطن الحوت، ﴿فَلْيُنفِقْ﴾ فى المراضع قدر فقره ﴿مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ يعنى مما أعطاه الله من الرزق على قدر طاقته، فذلك قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ﴾ فى النفقة ﴿نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ يعنى إلا ما أعطاها من الرزق ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [آية: ٧] يعنى من بعد الفقر سعة فى الرزق.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾

﴿وَكَأَيِّن﴾ يعنى وكم ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ يعنى فيما خلا ﴿عَتَتْ﴾ يقول: خالفت ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَ﴾ خالفت ﴿وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ يعنى فحاسبها الله بعملها فى الدنيا فجزاها العذاب ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [آية: ٨] يعنى فظيعًا، فذلك قوله: ﴿فَذَاقَتْ﴾ العذاب فى الدنيا ﴿وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ يعنى جزاء ذنبها ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [آية: ٩] يقول: كان عاقبهم الخسران فى الدنيا وفى الآخرة حين كذبوا فأخبر الله، عنهم بما أعد لهم فى الدنيا وما أعد لهم فى الآخرة.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا (١١)﴾

فقال: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ فى الآخرة ﴿عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يحذرهم ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يعنى من كان له لب أو عقل فليعتبر فيما يسمع مسع الوعيد فينتفع بمواعظ الله تعالى، يخوف كفار مكة، لئلا يكذبوا محمدًا ﷺ فينزل بهم ما نزل بالأمم الخالية حين كذبوا رسلهم بالعذاب فى الدنيا والآخرة.

ثم قال للذين آمنوا: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ثم نعتهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [آية: ١٠] يعنى قرنا ﴿رَّسُولًا﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى يقرأ عليكم آيات القرآن ﴿مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فى عمله ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ يعنى من الشرك إلى الإيمان ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ يعنى يصدق بالله أنه واحد لا شريك له ﴿وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ فى إيمانه ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ يعنى البساتين ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يقول: تجرى من تحت البساتين الأنهار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ يعنى مقيمين فيها ﴿أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [آية: ١١] يعنى به الجنة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا (١٢)﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَ﴾ خلق ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يعنى الوحى من السماء العليا إلى الأرض السفلى ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [آية: ١٢].

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: سمعت أبا يوسف، و لم أسمع مقاتلا يحدث عن حبيب بن حسان، عن أبى الضحى، فى قوله: ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ قال: آدم كآدم، ونوح كنوح، ونبى ونبى ومثل نبى، وبه الهذيل، عن وكيع، عن الأعمش، عن إبرهيم بن مهاجر، عن مجاهد، عن ابن عباس، فى قوله: ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ ، قال: لو حدثتكم تفسيرها لكفرتم وكفركم بها تكذيبكم، قال الهذيل: و لم اسمع مقاتلا.

* * *

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

مدنية عددها اثنتا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ يعنى مارية القبطية وهى أم إبراهيم بن محمد ﷺ، وذلك أن حفصة بنت عمر بن الخطاب زارت أباها، وكانت يومها عنده فلما رجعت أبصرت النبى ﷺ مع مارية القبطية فى بيتها، فلم تدخل حتى خرجت مارية، فقالت للنبى ﷺ: إنى قد رأيت من كان معك فى البيت يومى وعلى فراشى، فلما رأى النبى ﷺ فى وجه حفصة الغيرة والكآبة، قال لها: «يا حفصة، اكتمى على، ولا تخبرى عائشة ولك على ألا أقربها أبدًا».

وبإسناده، قال مقاتل: قال النبى ﷺ لحفصة: «اكتمى على حتى أبشرك أنه يلى الأمر من بعدى أبو بكر، وبعد أبو بكر أبوك» فأمرها النبى ﷺ ألا تخبر أحدًا فعمدت حفصة، فأخبرت عائشة وكانتا متصافيتين، فغضبت عائشة فلم تزل بالنبى ﷺ حتى حلف ألا يقرب مارية القبطية، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ يعنى حفصة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آية: ١] لهذه اليمين التى حلفت عليها.

﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢﴾

﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ يعنى قد بين الله لكم نظيرها فى سورة النور ﴿تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾ مثلها فى المائدة: ﴿**إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم**﴾ [الآية: ٨٩] فأعتق النبى ﷺ رقبة فى تحريم مارية ﴿وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بخلقه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آية: ٢] فى أمره حكم الكفارة.

﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ

وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ يعنى حفصة ﴿حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ﴾ حفصة ﴿بِهِۦ﴾ عائشة يقول: أخبرت به عائشة يعنى الحديث الذى أسر إليها النبى ﷺ من أمر مارية ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يعنى أظهر الله النبى ﷺ على قول حفصة لعائشة فدعاها النبى ﷺ فأخبرها ببعض ما قالت لعائشة، و لم يخبرها بعملها أجمع، فذلك قوله: ﴿عَرَّفَ﴾ النبى ﷺ ﴿بَعْضَهُۥ﴾ بعض الحديث ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ﴾ الحديث أن أبا بكر وعمر يملكان بعده ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا﴾ النبى ﷺ ﴿بِهِۦ﴾ بما أفشت عليه ﴿قَالَتْ﴾ حفصة للنبى ﷺ ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ﴾ الحديث ﴿قَالَ﴾ النبى ﷺ ﴿نَبَّأَنِيَ﴾ يعنى أخبرنى ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالسر ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [آية: ٣] به.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعنى حفصة وعائشة ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ يعنى مالت قلوبكما ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ يعنى تعاونتما على معصية النبى ﷺ وأذاه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ يعنى وليه ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ ﷺ ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [آية: ٤] للنبى ﷺ يعنى أعوانا للنبى ﷺ عليكما إن تظاهرتما عليه فلما نزلت هذه الآية هم النبى ﷺ بطلاق حفصة حين أبدأت عليه. قال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه: لو علم الله فى آل عمر خيرًا ما طلقت حفصة، فنزل جبريل على النبى، صلى الله عليهما، فقال لا تطلقها: فإنها صوامة قوامة وهى من نسائك فى الجنة، فأمسكها النبى ﷺ بعد ذلك.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ﴾

ثم قال: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ﴾ يعنى رب محمد ﷺ ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ النبى ﷺ فطلقها النبى ﷺ واحدة وراجعها ﴿أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾، ثم نعتهن، فقال: ﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾ يعنى مخلصات ﴿مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ يعنى مصدقات بتوحيد الله تعالى ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ يعنى مطيعات ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ من الذنوب ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ يعنى موحدات ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾ يعنى صائمات ﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾ يعنى أيمات لا أزواج لهن ﴿وَأَبْكَارًا﴾ [آية: ٥] عذارى لم يمسسن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ

غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالأدب الصالح النار فى الاخرة ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى أهلها ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ تتعلق فى عنق الكافر مثل جبل الكبريت تشتعل عليه النار بحرها على وجهه ﴿عَلَيْهَا﴾ يعنى على النار ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ يعنى خزنتها التسعة عشر ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ يعنى أقوياء وذلك أن ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة وقوة أحدهم أن يضرب بالمقمعة فيدفع بتلك الضربة سبعين ألفا عظم كل إنسان مسيرة أيام فيهوى فى قعر جهنم أربعين سنة، فيقع أحدهم لا حيا ولا ميتا. ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [آية: ٦] يعنى خزنة جهنم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعنى كفار مكة ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ يعنى القيامة ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ﴾ فى الآخرة ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٧] فى الدنيا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ يعنى صادقًا فى توبته، ولا يحدث نفسه أن يعود إلى بالذنب الذى تاب منه أبدًا ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ إن تبتم والعمى من الله واجب ﴿أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ يعنى يغفر لكم ذنوبكم ﴿وَيُدْخِلَكُمْ﴾ فى الآخرة ﴿جَنَّٰتٍ﴾ يعنى البساتين ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ من تحت البساتين ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ يعنى لا يعذب الله النبى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ كما يخزى الظلمة ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ولهم على الصراط دليل إلى الجنة، ثم قال: ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ يقول: وبتصديقهم بالتوحيد فى الدنيا أعطوا الفوز فى الآخرة إلى الجنة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ فهولاء أصحاب الأعراف الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم فصارت سواء ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الفوز والمغفرة ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ بالقول ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ يعنى فى الشدة بالقول عليهم ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آية: ٩].

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعنى امرأة الكافر التى يتزوجها المسلم وهى ﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ فى الدين يقول: كانتا مخالفتين لدينهما ﴿فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ﴾ يعنى نوح ولوط، عليهما السلام، من كفرهما ﴿شَيۡـٔٗا﴾ يعنى أمرأتيهما ﴿وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [آية: ١٠] حين عصيا يخوف عائشة وحفصة بتظاهرهما على النبى ﷺ فكذلك عائشة وحفصة إن عصيا ربهما لم يغن محمد ﷺ عنهما من الله شيئًا.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾

ثم قال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعنى المرأة المسلمة التى يتزوجها الكافر، فإن كفر زوجها لم يضرها مع إسلامها شيئًا يقول لعائشة وحفصة: لا تكونا بمنزلة امرأة لوط فى المعصية، وكونا بمنزلة ﴿ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ ومريم فى الطاعة ﴿إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ الشرك ﴿وَنَجِّنِي مِنَ﴾ أهل مصر ﴿ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١١] يعنى المشركين فنظرت إلى منازلها فى الجنة قبل موتها.

﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾

﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ عن الفواحش وإنما ذكرت بأنها أحصنت فرجها لأنها قذفت بالزنا ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ وهى مريم بنت عمران بن ماثان بن عازور بن صاروى بن الردى بن آسال بن عازور بن النعمان بن أيبون بن روبائيل بن سليتا بن أوباخش وهو ابن لو بانية بن بوشنا بن أيمن بن سلتا بن حزقيل بن يونس ين متى بن إيحان بن بانومر بن عوريا بن معققا بن أمصيا بن نواسر بن حزالى بن

يهورم بن يوسقط بن أسا بن راخيم بن سليمان بن داود بن أتسى بن عويد بن عمى ناذب بن رام بن حضرون بن قارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم السلام، روحنا يعنى جبريل، وذلك أن جبريل ﷺ مد مدرعتها بأصبعيه، ثم نفخ فى جيبها ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ يعنى بعيسى أنه نبى الله ﴿وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ﴾ يعنى الإنجيل وكانت مريم ﴿مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [آية: ١٢] يعنى من المطيعين لربها، قالت عائشة، رضى الله عنها، كيف لم يسمهما الله تعالى؟ قال النبى ﷺ: لبغضهما يعنى امرأة نوح وامرأة لوط، قالت عائشة: فما اسمهما؟ فأتاه جبريل ﷺ فقال: أخبر عائشة، رضى الله عنها، أن اسم امرأة نوح والغة، واسم امرأة لوط والهة.

* * *

سُورَةُ المُلْكِ

مكية عددها ثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾

قوله: ﴿تَبَٰرَكَ﴾ يعنى افتعل البركة ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أراده ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ١] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ فيميت الأحياء ويحيى الموتى من نطفة، ثم علقة، ثم ينفخ فيه الروح، فيصير حيا، قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ يعنى ليختبركم بها ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

حدثنا عبد الله بن ثابت، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: أخبرنى مقاتل بن سليمان، عن الضحاك بن مزاحم، عن عبد الله بن عباس، قال: أيكم أتم للفريضة ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى ملكه، فى نقمته لمن عصاه، ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ [آية: ٢] للذنوب المؤمنين.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾

ثم أخبر عن خلقه ليعرف بتوحيد فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ فى يومين ﴿طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض بين كل سماءين مسيرة خمسمائة سنة وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، قوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ يقول ما ترى ابن آدم فى خلق السموات من عيب ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ يعنى أعد البصر ثانية إلى السموات ﴿هَلْ تَرَىٰ﴾ ابن آدم فى السموات ﴿مِن فُطُورٍ﴾ [٣] يعنى من فروج ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ يقول: أعد البصر الثانية ﴿يَنقَلِبْ﴾ يعنى يرجع ﴿إِلَيْكَ﴾ ابن آدم ﴿ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ يعنى إذا اشتد البصر يقع فيه الماء، خاسئا: يعنى صاغرًا ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [آية: ٤] يعنى كالا منقطعا لا يرى فيها عيبا ولا فطورا.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

قوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ لأنها أدنى السموات وأقربها من الأرض من غيرها ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ وحفظا يعنى الكواكب ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ يعنى الكواكب ﴿رُجُومًا﴾ يعنى رميا ﴿لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ يعنى إذا ارتقوا إلى السماء ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ يعنى للشياطين ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [آية: ٥] يعنى الوقود.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ واعتدنا للذين كفروا بتوحيد الله، هم فى الآخرة ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٦] حيث يصيروان إليها، قوله: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾ يعنى فى جهنم اختطفتهم الخزنة بالكلاليب ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾ يعنى مثل نهيق الحمار ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ [آية: ٧] يعنى تغلى ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ تفرق جهنم عليهم ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ على الكفار تأخذهم.

ثم قال: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ يعنى زمرة اختطفتهم الخزنة بالكلاليب، يعنى مشركى العرب واليهود والنصارى والمجوس، وغيرهم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ خزان جهنم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [آية: ٨] يعنى رسول وهو محمد ﷺ ﴿قَالُوا۟﴾ للخزنة: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ بالنذير يعنى النبى ﷺ ﴿وَقُلْنَا﴾ للنبى ﷺ: ﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ يعنى ما أرسل الله من أحد يعنى من نبى، وقالوا للرسول، محمد ﷺ، ما بعث الله من رسوله ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ يعنى إلا فى شقاق ﴿كَبِيرٍ﴾ [آية: ٩].

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ المواعظ ﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [آية: ١٠] يقول الله تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ يعنى بتكذيبهم الرسل ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [١١] يعنى الوقود.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ

ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾

ثم أخبر الله تعالى عن المؤمنين، وما أعد لهم في الآخرة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ ولم يروه، فآمنوا ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ للذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [آية: ١٢] يعني جزاء كبيرًا في الجنة ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ﴾ في النبي ﷺ في القلوب ﴿أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾ يعني أو تكلموا به علانية، يعني به كفار مكة ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ١٣] يعني بما في القلوب.

ثم قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ يقول: أنا خلقت السر في القلوب، ألا أكون عالمًا بما أخلق من السر في القلوب ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [آية: ١٤] يعني لطف علمه بما في القلوب، خبير بما فيها من السر والوسوسة.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ يقول: أثبتها بالجبال لئلا تزول بأهلها ﴿فَٱمْشُواْ﴾ يعني فمروا ﴿فِى مَنَاكِبِهَا﴾ يعني في نواحيها وجوانبها آمنين كيف شئتم ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ الحلال ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [آية: ١٥] يقول: إلى الله تبعثون من قبوركم أحياء بعد الموت.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾

ثم خوف كفار مكة، فقال: ﴿ءَأَمِنتُم﴾ عقوبة ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني الرب تبارك وتعالى، نفسه لأنه في السماء العليا ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [آية: ١٦] يعني فإذا هي تدوربكم إلى الأرض السفلى، مثل قوله: ﴿**يوم تمور السماء مورا**﴾ [الطور: ٩].

ثم قال: ﴿أَمْ أَمِنتُم﴾ عقوبة ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني الرب عز وجل ﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ يعني الحجارة من السماء كما فعل بمن كان قبلكم من كفار العرب الخالية قوم لوط وغيره ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ يا أهل مكة عند نزول العذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [آية: ١٧] يقول: كيف عذابي.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعنى قبل كفار مكة من الأمم الخالية رسلهم فعذبناهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [آية: ١٨] يعنى تغييرى وإنكارى ألم يجدوا العذاب حقًا، يخوف كفار مكة، ثم وعظهم ليعتبروا فى صنع الله فيوحدونه، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ يعنى الأجنحة ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ الأجنحة حين يردن أن يعن ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عند القبض والبسط ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ﴾ من خلقه ﴿بَصِيرٌ﴾ [آية: ١٩].

ثم خوفهم، فقال: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ﴾ يعنى حزب ﴿لَّكُمْ﴾ يا أهل مكة، يعنى فهابوه ﴿يَنصُرُكُم﴾ يقول: يمنعكم ﴿مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ إذا نزل بكم العذاب ﴿إِنِ﴾ يعنى ما ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [آية: ٢٠] يقول: فى باطل، الذى ليس بشىء، ثم قال يخوفهم ليعتبروا: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾ من المطر من الآلهة غيرى ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ عنكم فهاتوا المطر يقول الله تعالى: أنا الرزاق، قال: ﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ﴾ يعنى تمادوا فى الكفر ﴿وَنُفُورٍ﴾ [آية: ٢١] يعنى تباعد من الإيمان قوله: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ يعنى الكافر يمشى ضالاً فى الكفر أعمى القلب، يعنى أبا جهل بن هشام، ﴿أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ يعنى النبى ﷺ مؤمنًا مهتديًا، نقى القلب ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٢٢] يعنى طريق الإسلام.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ يعنى خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ يعنى القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٢٣] يعنى بالقليل، أنهم قوم لا يعلقون، فيشكروا رب هذه النعم البينة فى حسن خلقهم، فيوحدنه ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى خلقكم فى الأرض ﴿وَإِلَيْهِ﴾ يعنى إلى الله ﴿تُحْشَرُونَ﴾ [آية: ٢٤] فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يقول: متى هذا الذى توعدنا به، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٢٥] بأن العذاب نازل بنا فى الدنيا، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ يعنى علم نزول العذاب بكم ببدر ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ وليس بيدى ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب ﴿مُّبِينٌ﴾ [آية: ٢٦]. قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ يعنى النار والعذاب فى الآخرة قريبًا ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعنى سىء لذلك وجوهم ﴿وَقِيلَ﴾ لهم، يعنى قالت لهم الخزنة: ﴿هَٰذَا﴾ العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [آية: ٢٧]، يعنى تمترون فى الدنيا.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قُلْ﴾ لكفار مكة يا محمد: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ﴾ يقول: إن عذبنى الله ﴿وَمَن مَّعِىَ﴾ من المؤمنين ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يعذبنا، وأنعم علينا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يقول: فمن يؤمنكم أنتم ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٢٨] يعنى وجيع ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الذى يفعل ذلك ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ يقول: صدقنا بتوحيده إن شاء أهلكنا أو عذبنا ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ يعنى بالله وثقنا حين قالوا للنبى ﷺ: ﴿**إن أنتم إلا فى ضلال مبين**﴾، فرد النبى ﷺ: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند نزول العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٢٩] يعنى باطل ليس بشىء أنحن أم أنتم، نظيرها فى طه [الآية: ١٣٥].

ثم قال لأهل مكة: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ يعنى ماء زمزم وغيره ﴿غَوْرًا﴾ يعنى غار فى الأرض، فذهب فلم تقدروا عليه ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ [آية: ٣٠] يعنى ظاهرًا تناله الدلاء.

* * *

سُورَةُ القَلَمِ

سورة ن، مكية عددها اثنتان وخمسون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾

قوله: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ﴾ يعنى بنون الحوت وهو بحر تحت الأرض السفلى والقلم قلم من نور يكتب به كما بين السماء والأرض كتب به اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [آية: ١] يقول: وما تكتب الملائكة من أعمال بنى آدم، وذلك حين قال كفار مكة، أبو جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وغيرهم: إن محمدًا مجنون، فأقسم الله تعال بالحوت والقلم وما يسطرون الملائكة من أعمال بنى آدم.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾

فقال: ﴿مَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ يعنى برحمة ربك ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ [آية: ٢] ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [آية: ٣] يقول: غير منقوص لا يمن به عليك ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ٤] يعنى دين الإسلام ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [آية: ٦] يعنى ستري يا محمد ويرى أهل مكة إذا نزل بهم العذاب ببدر بأيكم المفتون يعنى المجنون فهذا وعيد، العذاب ببدر، القتل وضرب الملائكة الوجوه والأدبار.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾

ثم قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الهدى ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [آية: ٧] من غيره قوله ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٨] حين دعى إلى دين آبائه وملتهم، نظيرها فى سورة الفرقان [الآية: ٥٢]، نزلت هذه الآية فى بنى المغيرة بن عبد الله بن

عمرو بن مخزوم، منهم الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، وعبد الله بن أبى أمية، وعبد الله بن مخزوم، وعثمان، ونوفل ابنى عبد الله بن المغيرة، والعاص، وقيس، وعبد شمس، وبنى الوليد سبعة: الوليد، وخالد، وعمارة، وهشام، والعاص، وقيس، وعبد شمس، بنو الوليد بن المغيرة، ﴿وَدُّوا﴾ حين دعى إلى دين آبائه ﴿لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [آية: ٩] يقول: ودوا لو تكفر يا محمد، فيكفرون فلا يؤمنون ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [آية: ١٠] يعنى الوليد بن المغيرة المخزومى، يقول: كان تاجرًا ضعيف القلب، وذلك أنه كان عرض على النبى ﷺ المال على أن يرجع عن دينه، وذلك قوله تعالى: ﴿**ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا**﴾ [الإنسان: ٢٤]، يعنى الوليد وعتبة ﴿هَمَّازٍ﴾ يعنى معتاب ﴿مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [آية: ١١] كان يمشى بالنميمة ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ يعنى الإسلام منع ابن أخيه وأهله الإسلام ﴿مُعْتَدٍ﴾ يعنى فى الغشم والظلم ﴿أَثِيمٍ﴾ [آية: ١٢] يعنى أثيم بربه لغشمه وظلمه. نظيرها فى ﴿**ويل للمطففين**﴾ [المطففين: ١].

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ يقول: مع ذلك النعت ﴿زَنِيمٍ﴾ [آية: ١٣] يعنى بالعتل رحيب الجوف موثق الحلق، أكول شروب غشوم ظلوم، ومعنى ﴿زَنِيمٍ﴾ أنه كان فى أصل أذنه مثل زنمة الشاة مثل الزنمة التى تكون معلقة فى لحى الشاة زيادة فى خلقه ﴿أَن كَانَ﴾ يعنى إذا كان ﴿ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [آية: ١٤] ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ يعنى الوليد ﴿آيَاتُنَا﴾ يعنى القرآن ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٥] يقول: أحاديث الأولين وكذبهم وهو حديث رستم واسفندباز يقول الله عز وجل: ﴿سَنَسِمُهُ﴾ بالسواد ﴿عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [آية: ١٦] يعنى على الأنف، وهو الوليد، وذلك أنه يسود وجهه وتزوق عيناه ويصير منكوس الوجه مغلولاً فى الحديد قبل دخول النار.

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾

ثم رجع فى التقديم، فقال: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ يقول: إنا ابتليناهم يعنى أهل مكة بالجوع ﴿كَمَا بَلَوْنَآ﴾ يقول: كما ابتلينا ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ بالجوع حين هلكت جنتهم، كان فيها نخل وزرع وأعناب، ورثوها عن آبائهم، واسم الجنة الصريم، وهذا مثل ضربه الله تعالى لأهل مكة ليعتبروا عن دينهم، وكانت جنتهم دون صنعاء اليمن بفرسخين، وكانوا مسلمين، وهذا بعد عيسى ابن مريم، عليه السلام، وكان آباؤهم صالحين، يجعلون للمساكين من الثمار والزرع والنخل ما أخطأ الرجل، فلم يره حين يصرمه، وما أخطأ المنجل، وما ذرته الريح، وما بقى فى الأرض من الطعام حين يرفع، وكان هذا شيئًا كثيرًا، فقال القوم: كثرت العيال، وهذا طعام كثير، أغدوا سراجنتكم فاصرموها، ولا تؤذنوا المساكين، كان آباؤهم يخبرون المساكين فيجتمعون عند صرام جنتهم، وعند الحصاد.

﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [آية: ١٧] ليصرمنها إذا أصبحوا ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ [آية: ١٨] فيقولون: إن شاء الله، فسمع الله تعالى قولهم فبعث نارًا من السماء فى الليل على جنتهم فأحرقتها حتى صارت سوداء، فذلك قوله: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ يعنى على الجنة ﴿طَآئِفٌ﴾ يعنى عذاب ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ يا محمد ليلاً ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [آية: ١٩] ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [آية: ٢٠] أصبحت يعنى الجنة سوداء مثل الليل ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ﴾ [آية: ٢١] يقول: لما أصبحوا قال بعضهم لبعض: ﴿أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ [آية: ٢٢] الجنة، يقول: الحرث والثمار والزرع، ولا يعلمون أنها احترقت ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ [آية: ٢٣] ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ [آية: ٢٥] على حدة فى أنفسهم قادرين على جنتهم ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ ليس فيها شىء ظنوا أنهم أخطأوا الطريق ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ [آية: ٢٦] عنها. ثم أنهم عرفوا الأعلام فعلموا أنهم عقوبة. فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ﴾ يعنى ولكن نحن ﴿مَحْرُومُونَ﴾ [آية: ٢٧] يقول: حرمنا خير هذه الجنة.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ يعنى أعدلهم قولاً، نظيرها فى سورة البقرة: ﴿**أمة وسطاً**﴾ يعنى عدلاً ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [آية: ٢٨] فتقولون: إن شاء الله تعالى ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ

إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ [آية: ٣٠] يقول: يلوم بعضهم بعضًا فى متع حقوق المساكين ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ [آية: ٣١] يقول: لقد طغينا فى نعمة الله تعالى، قالوا: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾ يعنى خيرًا من جنتنا التى هلكت ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [آية: ٣٢] فى الدعاء إليه يقول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ هلاك جنتهم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ يعنى أعظم مما أصابهم إن لم يتوبوا فى الدنيا ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٣].

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾

ولما أنزل الله تعالى، هذه الآية ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [آية: ٣٤] قال كفار مكة للمسلمين: إنا نعطى فى الآخرة من الخير أفضل مما تعطون يقول الله عز جل: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فى الآخرة ﴿كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ٣٥] فى الخير يقول عز وجل: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [آية: ٣٦] يعنى تقضون إن هذا الحكم لجور أن تعطوا من الخير فى الآخرة ما يعطى للمسلمين ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ يعنى يا أهل مكة ﴿كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [آية: ٣٧] يعنى تقرأون.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ﴾ أن تعطوا هذا الذى قلتم بأن لكم فى الآخرة: ﴿لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ [آية: ٣٨] قل لهم: يا محمد، ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا﴾ يعنى ألكم عهود علينا ﴿بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يقول: حلفنا لكم على يمين فهى لكم علينا بالغة لا تنقطع إلى يوم القيامة ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [آية: ٣٩] يعنى ما تقضون لأنفسكم فى الآخرة من الخير ﴿سَلْهُمْ﴾ يا محمد، ﴿أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ [آية: ٤٠] يقول: أيهم بذلك كفيل بأن لهم فى الآخرة ما للمسلمين من الخير ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ يقول: ألهم ﴿شُرَكَآءُ﴾ يعنى شهداء من غيرهم بالذى يقولون: ﴿فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ يعنى بشدائهم فيشهدوا لهم بالذى يقولون ﴿إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٤١] بأن لهم فى الآخرة ما للمسلمين من الخير.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ

ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يعنى قوله: ﴿**وأشرقت الأرض بنور ربها**﴾ يعنى عن شدة الآخرة ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [آية: ٤٢] وذلك أنه تجمد أصلاب الكفار فتكون كالصياصى عظمًا واحدًا مثل صياصى البقر لأنهم لم يسجدوا فى الدنيا ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ عند معاينة النار ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يعنى تغشاهم مذلة ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ يعنى يؤمرون بالصلاة الخمس ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [آية: ٤٣] يقول: كانوا معافون فى الدنيا فتصير أصلابهم مثل سفافيد الحديد.

قال مقاتل: قال ابن مسعود فى قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يعنى فيضئ نور ساقه الأرض، فذلك قوله: ﴿**وأشرقت الأرض بنور ربها**﴾ يعنى نور ساقه اليمين هذا قول عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه.

قال مقاتل: وقال ابن عباس، رضى الله عنه، فى قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يعنى عند شدة الآخرة، كقوله: قامت الحرب على ساق، قال: يكشف عن غطاء الآخرة وأهوالها.

﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾

قوله: ﴿فَذَرْنِى﴾ هذا تهديد ﴿وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يقول: خل بينى وبين من يكذب بهذا القرآن، فأنا أنفرد بهلاكهم ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤٤] سنأخذهم بالعذاب من حيث يجهلون ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾ يقول: لا أعجل عليهم بالعذاب ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [آية: ٤٥] يقول: إم أخذى بالعذاب شديد نزلت هذه الآية فى المستهزئين من قريش قتلهم الله تعالى فى ليلة واحدة.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

قوله: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ يعنى خراجًا على الإيمان ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [آية: ٤٦] يقول: أثقلهم الغرم فلا يستطيعون الإكثار من اجل الغرم ﴿أَمْ عِندَهُمُ﴾ يقول:

أعندهم علم ﴿ٱلْغَيْبُ﴾ بأن الله لا يبعثهم وأن الذى يقول محمد غير كائن، أم عندهم بذلك كتاب ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [آية: ٤٧] ما شاءوا، ثم قال النبى ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على الأذى ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يعنى لقضاء ربك الذى هو آت عليك ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ يعنى يونس بن متى من أهل نينوى، عليه السلام، يقول لا تضجر كما ضجر يونس فإنه لم يصبر، يقول: لا تعجل كما عجل يونس، ولا تغاضب كما غاضب يونس بن متى فتعاقب كما عوقب يونس ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ ربه فى بطن الحوت وكان نداؤه فى سورة الأنبياء: ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين**﴾ [الآية: ٨٧].

ثم قال: ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [آية: ٤٨] يعنى مكروب فى بطن الحوت يعنى السمكة ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [آية: ٤٩] ولكن تداركه نعمة يعنى رحمة من ربه فنبذناه بالعراء وهو سقيم والعسراء البراز يعنى لألقى بالبراز وهو مذموم.

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٥٠ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ٥٠] ﴿وَإِن يَكَادُ﴾ يقول: قد كاد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعنى المستهزئين من قريش ﴿لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ يعنى يبعدونك ﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ يقول: حين سمعوا القرآن كراهية له ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ﴾ إن محمد ﴿لَمَجْنُونٌ﴾ [آية: ٥١] ﴿وَمَا هُوَ﴾ يعنى أن هو ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٥٢] يعنى ما القرآن إلا تذكرة للعالمين.

* * *

سُورَةُ الحَاقَّةِ

مكية عددها اثنتان وخمسون آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [آية: ٢] ثم بين ما الحاقة يعنى الساعة التى فيها حقائق الأعمال، يقول يحق للمؤمنين عملهم، ويحق للكافرين عملهم، ثم قال النبى ﷺ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [آية: ٣] تعظيمًا لها لشدتها، ثم قال: هى القارعة، والساعة التى ﴿كَذَّبَتۡ﴾ بها ﴿ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ﴾ [آية: ٤] نظيرها فى سورة القارعة، وإنما سميت القارعة لأن الله عز وجل يقرع أعداءه بالعذاب.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ۝٨ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ۝١٢﴾

ثم أخبر الله تعالى عن عاد وثمود، فقال: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [آية: ٥] يقول: عذبوا بطغيانهم، والطغيان حملهم على تكذيب صالح النبى ﷺ ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ﴾ يعنى عذبوا ﴿بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ﴾ يعنى باردة ﴿عَاتِيَةٖ﴾ [آية: ٦] شديدة عتت على خزانها بغير رأفة ولا رحمة ﴿سَخَّرَهَا﴾ يعنى سلطها ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ الرب تبارك وتعالى ﴿سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا﴾ فهى كاملة دائمة لا تفتر عنهم فيهن، يعذبهم بالريح كل يوم حتى أفنت أرواحهم يوم الثامن ﴿فَتَرَى﴾ يا محمد ﴿ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا﴾ يعنى فى ذلك الأيام ﴿صَرۡعَىٰ﴾ يعنى موتى، يعنى أمواتًا، وكان طول كل رجل منهم اثنى عشر ذراعًا.

ثم شبههم بالنخل، فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ فذكر النخل لطولهم ﴿خَاوِيَةٍ﴾ [آية: ٧] يعنى أصول نخل بالية التى ليست لها رءوس، وبقيت أصلوها وذهبت أعناقها ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [آية: ٨] يقول: لم تبق منهم أحدًا ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ يعنى ومن معه ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ يعنى والمكذبات ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ [آية: ٩] يعنى قريات لوط الأربعة، واسمها سدوم وعامورا وصابورا ودامورا، ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ يعنى لوطًا ﴿فَأَخَذَهُمْ﴾ الله ﴿أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [آية: ١٠] يعنى شديدة ربت عليهم فى الشدة أشد من معاصيهم التى عملوها ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ وارتفع فوق كل شيء أربعين ذراعًا ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [آية: ١١]، يعنى السفينة يقول: حملنا الآباء وأنتم فى أصلابهم فى السفينة ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ﴾ يعنى لكى نجعلها لكم، يعنى فى هلاك قوم نوح لكم يا معشر الأبناء ﴿تَذْكِرَةً﴾ يعنى عظة وتذكرة، يعنى وعبرة لكم ولمن بعدكم من الناس ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [آية: ١٢] يعنى حافظة لما سمعت فانتفعت بما سمعت من الموعظة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [آية: ١٣] لا تثنى يعنى نفخة الآخرة. ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ يقول: حمل ما على الأرض من ماء، أو شجر أو شيء ﴿وَ﴾ حملت ﴿وَٱلْجِبَالُ﴾ من أماكنها فضربت على الأرض ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [آية: ١٤] يعنى فكسرتا كسرة واحدة، فاستوت بما عليها مثل الأديم الممدود ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [آية: ١٥] وقعت الصيحة الآخرة، يعنى النفخة الآخرة ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [آية: ١٦]، ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ يقول: انفجرت السماء لنزول الرب تبارك وتعالى وما فيها من الملائكة ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ يعنى نواحيها وأطرافها وهى السماء الدنيا ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ على رؤسهم ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [آية: ١٧] أجزاء من الكروبين لا يعلم كثرتهم أحد إلا الله عز وجل ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ على الله فيحاسبكم بأعمالكم ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [آية: ١٨] يقول: لا يخفى الصالح منكم، ولا الطالح إذا عرضتم.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ يقول: يعطيه ملكه الذى كان يكتب عمله فى صحيفة بيضاء منشورة، نزلت هذه الآية فى أبى سلمة بن عبد الأسود المخزومى، وكان اسم أم أبى سلمة برة بنت عبد المطلب ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ﴾ يعنى هاكم ﴿ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [آية: ١٩].

﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [آية: ٢٠] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [آية: ٢١] يقول: فى عيش يرضاه فى الجنة فهو ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [آية: ٢٢] يعنى رفيعة فى الغرف ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [آية: ٢٣] يعنى ثمرتها قريبة بعضها من بعض يأخذ منها إن شاء جالسًا، وإن شاء متكئًا ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ بما عملتم ﴿فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [آية: ٢٤] فى الدنيا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ يقول: يعطيه ملكه الذى كان يكتب عمله فى الدنيا نزلت هذه الآية فى الأسود بن عبد الأسود المخزومى قتله حمزة بن عبد المطلب على الحوض ببدر ﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي﴾ فيتمنى فى الآخرة ﴿لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [آية: ٢٥] ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [آية: ٢٦] ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [آية: ٢٧] فيتمنى الموت ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾ [آية: ٢٨] من النار ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [آية: ٢٩] يقول: ضلت عنى يومئذ حجتى شهدت عليه الجوارح بالشرك، يقول الله لخزنة جهنم ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [آية: ٣٠] يعنى غلوا يديه إلى عنقه ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [آية: ٣١] يعنى الباب السادس من جهنم فصلوه ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ بالذراع الأول ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ [آية: ٣٢] فأدخلوه فيه. قال: قال النبى ﷺ: «كل ذراع منها بذراع الرجل الطويل من الخلق الأول، ولو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص فكيف بابن آدم وهى عليك وحدك». ا.هـ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ يعنى لا يصدق بالله ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٣٣] بأنه واحد لا شريك له ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ نفسه ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [آية: ٣٤] يقول: كان لا

يطعم المسكين فى الدنيا، وفى قوله، فى قولة ابن مسعود ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ﴾ فى الآخرة ﴿هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ [آية: ٣٥] يعنى قريب يشفع له ﴿وَلَا﴾ وليس له ﴿طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [آية: ٣٦] يعنى الذى يسيل من القيح والدم من أهل النار، يعنى فليس له شراب إلا من حميم من عين من أصل الجحيم ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [آية: ٣٧] يعنى المجرمين.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢)﴾

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٣٨] من الخلق ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٣٩] من الخلق، وذلك أن الوليد بن المغيرة، قال: إن محمدًا ساحر، فقال أبو جهل بن هشام: بل هو مجنون، فقال عقبة بن أبى معيط: بل هو شاعر، وقال النضر: كاهن، وقال أبى: كذب، فبرأه الله من قولهم فأقسم الله تعالى بالخلق ﴿إِنَّهُۥ﴾ إن هذا القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [آية: ٤٠] على الله يعنى جبريل، عليه السلام، عن قول الله تعالى ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ لقول: عتبة، وقول أبى جهل ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٤١] يعنى قليلا ما تصدقون بالقرآن، يعنى بالقليل أنهم لا يؤمنون.

ثم قال: ﴿وَلَا﴾ هو يعنى القرآن ﴿بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٤٢] فتعتبرون.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ (٥٢)﴾

فأكذبهم الله فقال: بل القرآن ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٤٣] ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ محمد شيئًا منه ﴿بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ [آية: ٤٤] يعنى من تلقاء نفسه ما لم نقل ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [آية: ٤٥] يقول: لانتقمنا منه بالحق كقوله: ﴿**تأتوننا عن اليمين**﴾ [الصافات: ٢٨] يعنى من قبل الحق بأنكم على الحق ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [آية: ٤٦] يعنى عرق يكون فى القلب وهو نياط القلب، وإذا انقطع مات صاحبه ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [آية: ٤٧] ليس أحد منكم يحجز الرب عز وجل عن ذلك ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن هذا القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٤٨] ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ﴾ يا اهل مكة ﴿أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٤٩] ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٥٠] يوم القيامة ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن

هذا القرآن ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [آية: ٥١] أنه من الله تعالى ﴿فَسَبِّحْ﴾ يا محمد، يعنى التوحيد ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [آية: ٥٢] يقول: اذكر اسم ربك، يعنى التوحيد، ثم قال: ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ يعنى الرب العظيم فلا أكبر منه.

* * *

سُورَةُ المَعَارِج

مكية عددها أربع وأربعون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ (١) لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ (٢) مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ (٣) تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ (٤) فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا (٦) وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا (٧)﴾

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [آية: ١] نزلت فى النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة القرشى من بنى عبد الدار بن قصى، وذلك أنه قالك اللهم إن مان ما يقول محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فقتل يوم بدر، فقال الله عز وجل: هذا العذاب الذى سأل النضر بن الحارث فى الدنيا هو ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ فى الآخرة ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾ [آية: ٢] ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يقول: لا يدفع عنهم أحد حين يقع بهم العذاب.

ثم عظم الرب تبارك وتعالى نفسه فقال: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ [آية: ٣] يعنى ذا الدرجات يعنى السموات والعرش فوقهم والله تعالى على العرش، كقوله: ﴿**ومعارج عليها يظهرون**﴾ [الزخرف: ٣٤] ﴿تَعۡرُجُ﴾ يعنى تصعد ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ من سماء إلى سماء العرش ﴿وَٱلرُّوحُ﴾ يعنى جبريل، عليه السلام، ﴿إِلَيۡهِ﴾ فى الدنيا برزق السموات السبع، ثم أخبر الله عز وجل عن ذلك العذاب متى يقع بها فقال: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [آية: ٤] فيها تقديم، وطول ذلك اليوم كأدنى صلاتهم، يقول: لوولى حساب الخلائق وعرضهم غيرى لم يفرغ منه إلا فى مقدرار خمسين ألف سنة فإذا أخذ الله تعالى فى عرضهم يفرغ الله منه على مقدار نصف يوم من أيام الدنيا فلا ينتصف النهار حتى يستقر أهل الجنة فى الجنة، وأهل النار فى النار، وهذه الآية نزلت فيهم: ﴿**أصحاب الجنة يؤمئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا**﴾ [الفرقان: ٢٤]، يقول: ليس مقبلهم كمقبل أهل النار ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمد ﴿صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ [آية: ٥] يعزى نبيه

ﷺ صبرًا لا جزع فيه تكذبهم إياك بأن العذاب غير كائن.

ثم قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ يعنى كفار مكة ﴿بَعِيدًا﴾ [آية: ٦] يعنى العذاب أنه غير كائن ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [آية: ٧] أنه كائن.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾﴾

ثم أخبر متى يقع بهم العذاب؟ فقال: يقع بهم العذاب ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [آية: ٨] من الخوف، يعنى أسود غليظًا كدردى الزيت بعد الشدة والقوة ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [آية: ٩] فشبهها فى اللين والوهن بالصوف المنفوش بعد القوة وذلك أوهن ما يكون من الصوف ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [آية: ١٠] يعنى قريب قريبًا، يقول: لا يسأل الرجل قرابته، ولا يكلمه من شدة الأهوال ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يقول: يعرفونهم ولا يكلمونهم، وذلك قوله: فهم لا يتساءلون ﴿**خاشعة أبصارهم**﴾ [القلم: ٤٣] خافضة أبصارهم ذليلة عند معاينة النار ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾ يعنى الكافر ﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿بِبَنِيهِ﴾ [آية: ١١] ﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾ يعنى امرأته ﴿وَأَخِيهِ﴾ [آية: ١٢] ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ [آية: ١٣] يعنى رهطه وفخذه الأدنى الذى يساوى إليهم ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من شىء ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [آية: ١٤] يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ لا ينجيه ذلك لو افتدى بهذا كله، ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّهَا لَظَى﴾ [آية: ١٥] يعنى بلظى استطالتها وقدرتها عليهم يعنى النار ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ [آية: ١٦] يقول: تنزع النار الهامة، والأطراف فلا تبقى ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ﴾ يعنى تدعو النار يوم القيامة، تقول: إلى أهلى فهذا دعاؤها لمن أدبر عن الإيمان ﴿وَتَوَلَّى﴾ [آية: ١٧] يقول وأعرض عنه إلى الكفرن قوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [آية: ١٨] يعنى فأكثر من المال وأمسك فلم يؤد حق الله فيه.

﴿۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ

هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [آية: ١٩] يعنى ضجرًا فهو أمية بن خلف الجمحى، ثم نعته فقال: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ يقول: إذا أصابه ﴿جَزُوعًا﴾ [آية: ٢٠] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾ يعنى المال ﴿مَنُوعًا﴾ [آية: ٢١] فمنع وبخل بحق الله تعالى، ثم استأنف فقال: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [آية: ٢٢] فليسوا كذلك، ثم نعتهم الله تعالى فقال ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ يعنى الصلوات الخمس ﴿دَائِمُونَ﴾ [آية: ٢٣] بالليل والنهار لا يدعونها ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [آية: ٢٤] يعنى مفروض ﴿لِّلسَّائِلِ﴾ يعنى المسكين ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ [آية: ٢٥] يعنى الفقير الذى لا سهم له فى الخمس ولا الفئ ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [آية: ٢٦] يعنى به الحساب يأنه كائن ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [آية: ٢٧] يعنى وجلين أن يصيبهم ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [آية: ٢٨] يقول: لا يأمنون للعذاب من الشفقة والخوف ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [آية: ٢٩] عن الفواحش، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يعنى به الولائد ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [آية: ٣٠] يعنى لا يلامون على الحلال ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ بعد أزواجه وولائده مالا يحل له وهو الزنا ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [آية: ٣١] يعنى المعتدين فى دينهم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [آية: ٣٢] يعنى يؤدون الأمانة ويوفون بالعهد، ثم قال: ﴿رَاعُونَ﴾ ويتعاهدونه كما يرعى الراعى الشفيق غنمه عن مواقع الهلكه ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [آية: ٣٣] يعنى يقومون بها بالحق لا يمنعونها ولا يكتمونها إذا دعوا إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ الخمس ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [آية: ٣٤] عليها فى مواقيتها ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين هذه أعمالهم ﴿فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [آية: ٣٥] يعنى يكرمون فيها.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ يعنى مقبلين، نزلت هذه الآية فى المستهزئين من قريش، والمطعمين فى غزوة بدر مقبلين، ينظرون عن يمين النبى ﷺ [آية: ٣٦] ﴿عَنِ

﴿ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [آية: ٣٧] يعنى حلقًا حلقًا جلوسًا لا يدنون من النبى ﷺ فينتفعون بمجلسه.

ثم قال: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ يعنى قريشًا ﴿أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ [آية: ٣٨] كل واحد منهم يقول: إن لى فى الجنة حقًا، يقول: ذلك استهزاء، يقول: أعطى منها ما يعطى المؤمنون، يقول الله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ لا يدخلها، ثم استأنف فقال: لما كذبوا بالغيب ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٩] خلقوا من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم قال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ يقول أقسم ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ وهو مائة وثمانون مشرقًا، ومائة وثمانون مغربًا فيها، فأقسم الله تعالى بالمشارق والمغارب، فقال: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [آية: ٤٠] ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ يعنى على أن نأتى بخلق أمثل منهم، وأطوع لله منهم، وأرضى منهم، ثم قال ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [آية: ٤١] يعنى وما نحن بمعجزين إن أرد ذلك.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَذَرْهُمْ﴾ خل عنهم يا محمد ﴿يَخُوضُوا۟﴾ فى الباطل ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ يعنى ويلهوا فى دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ﴾ فى الآخرة ﴿ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [آية: ٤٢] العذاب، ثم أخبر عن ذلك اليوم الذى يعذب فيه كفار مكة فقال تبارك اسمه: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ يعنى القبور ﴿سِرَاعًا﴾ إلى الصوت ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [آية: ٤٣] يقول كأنهم إلى علم يسعون إليه قد نصب لهم ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ يعنى خافضة أبصارهم ذليلة عند معاينة النار ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يعنى تغشاهم مذلة، يقول: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من أمر القيامة ﴿ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [آية: ٤٤] فيه فى الدنيا العذاب، وذلك أن الله أوعدهم فى الدنيا على ألسنة الرسل أن العذاب كائن لما كذب كفار مكة النبى ﷺ، فقال الله عز وجل: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ يعنى قريشًا يعنى فخل عنهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون العذاب فيه.

* * *

سُورَةُ نُوحٍ

مكية عددها ثمان وعشرون آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤)﴾

قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ ونوح بالسريانية الساكن الذى سكنت إليه الأرض، وهو نوح بن لمك ﷺ ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ العذاب ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ١] يعنى وجيعًا فى الدنيا وهو الغرق فـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ من العذاب ﴿مُّبِينٌ﴾ [آية: ٢] يعنى بين ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يقول: أن وحدوا الله ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ أن تشركوا به شيئًا ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ٣] فما آمركم به من النصيحة بأنه ليس له شريك، فإذا فعلتم ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ والمن هاهنا صلة، يقول: يغفر لكم ذنوبكم ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعنى إلى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم بالسنين ولا بغيره ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ فى العذاب فى الدنيا وهو الغرق ﴿إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤] ولكنكم لا تعلمون.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [آية: ٥] ليسمعوا دعائى ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا

﴿فِرَارًا﴾ [آية: ٦] يعنى تباعدًا من الإيمـان ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى الإيمـان، يعنـى إلى الاستغفار ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ لئـلا يسـمعوا دعـائى ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ وأقاموا على الكذب ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ يعنى وتكبروا عن الإيمان ﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ [آية: ٧] يعنى وتكبرًا ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ [آية: ٨] يعنى مجاهرة وعلانيـة ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ يعنى صحت إليهم علانية ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ﴾ فى بيوتهم ﴿إِسْرَارًا﴾ [آية: ٩].

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ مـن الشـرك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [آيـة: ١٠] للذنـوب ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [آية: ١١] يعنـى المطر عليكـم يجئ بـه متتابعًـا ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ وذلك أن قوم نوح كذبوا نوحًا زمانـا طويـلا، ثـم حبس الله عليهـم المطر وعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت جناتهم ومواشيهم، فصاحوا إلى نـوح فقـال لهم: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ للذنوب، كان ولم يـزل غفـارًا للذنوب ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم﴾ يعنى المطر يجـئ بـه ﴿مِّدْرَارًا﴾ يعنـى متتابعًـا ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ يعنى البساتين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [آية: ١٢] فدعاهم نوح إلى توحيد الله تعالى، قال: إنكم إذا وحدتم تصيبون الدنيا والآخرة جميعًا، ثـم قـال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [آية: ١٣] يقول: ما لكم لا تخشـون لله عظمـة، وقـال مـا لكـم لا تخافون يعنى تفرقون لله عظمة فى التوحيد، فتوحيدونه فإنه لم توحدوه لم تعظموه.

ثم قال: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [آية: ١٤] يعنى من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم لحما، ثم عظمًا، وهى الأطوار.

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

ثم وعظهم ليعتبروا فى صنعه، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [آيـة: ١٥] بعضها فـوق بعض مـا بـين كـل سماءين مسيرة خمسـمائة عـام، وعظمـها مسيرة خمسمائة عام ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ يعنى معهن نورًا يعنى خلق الشمس والقمـر مع خلق السموات والأرض فجعلهن نورًا لأهل الأرض فجعل القمـر نـوره بـالليل ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [آية: ١٦] مضيئة بالنـهار لأهـل الأرض فينتشـرون فيـه ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [آية: ١٧] أول خلقكـم مـن تـراب الأرض، نباتـا يعنـى خلقـًا ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ﴾

﴿فِيهَا﴾ إذا متم ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ منها عند النفخة الآخرة ﴿إِخْرَاجًا﴾ [آية: ١٨] أحياء وإليه ترجعون ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [آية: ١٩] مسيرة خمسمائة سنة من تحت الكعبة ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [آية: ٢٠] يعنى طرقًا فجاجًا بي الجبال والرمال.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ [آية: ٢١] يقول: إن قوى وفقراءهم اتبعوا كبراءهم وأشرافهم لكثرة أموالهم وأولادهم فسلم يزدهم كثرة المال والولد إلا خسارة ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ مكر الكبراء والقادة ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [آية: ٢٢] يقول قالوا قولا عظيمًا ﴿وَقَالُوا۟﴾ وقولهم العظيم أنهم قالوا للضعفاء: ﴿لَا تَذَرُنَّ﴾ عبادة ﴿ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا﴾ تذرن عبادة ﴿يَغُوثَ وَ﴾ لاتذرن عبادة ﴿وَيَعُوقَ وَ﴾ لا تذرن عبادة ﴿وَنَسْرًا﴾ [آية: ٢٣] فهذه أسماء الآلهة ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ من الناس ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [آية: ٢٤] يعنى إلا خسارًا ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ يعنى فبخطيئاتهم وكفرهم أغرقوا فى الماء ﴿فَأُدْخِلُوا۟﴾ فى الآخرة ﴿نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [آية: ٢٥] يعنى فلم يجدوا لهم مانعًا يمنعهم من الغرق ودخول النار فى الآخرة.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [آية: ٢٦] يعنى أحدًا، وذلك أن الله تبارك وتعالى ﴿**وأوحى إلى نوح**﴾ ﷺ ﴿**أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن**﴾ [هود: ٣٦] وذلك أن الله تعالى كان أخرج كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم، فلما أخبر بذلك دعا عليهم، قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ﴾ على الحال التى أخبرت عنهم، أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن ﴿يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [آية: ٢٧] وكان الرجل منهم ينطلق بولده إلى نوح،

عليه السلام، فيقول لولده: احذر هذا فإنه كذاب وإن والدى قد حذرنيه فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير على وصية أبيه، فذلك قوله: ﴿يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ فعم الدعاء بعد دعائه على الكفار، فقال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ وكان مسلمين وكان اسم أبيه لمك بن متوشلخ، واسم أمه هيجل بنت لا موش بن متشلوخ ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [آية: ٢٨] يعنى العذاب مثل قوله: ﴿وكلا تبرنا تتبيرًا﴾ [الفرقان: ٣٩] يعنى دمرنا تدميرًا فأغرقهم الله تعالى وحمل معه فى السفينة ثمانين نفسًا أربعين رجلا وأربعين امرأة، وفيهم ثلاثة أولاد لنوح منهم سام، وحام، ويافث، فولد سام العرب، وأهل السود، وأهل فارس،وأهل الأهواز، وأهل الحيرة، وأهل الموصل، وأهل العال، وولد حام السودان كلها، والقبط، والأندلس، وبربر، والسند، والهند وولد يافث الترك، والروم، ويأجوج، ومأجوج، والصين وأهل خراسان إلى حلوان.

وأما أسماء الآلهة فأما ود: فلكب بدومة الجندل، وأما سواع: فلهذيل بساحل البحر، وأما يغوث: فلبنى غطيف وهم حى من مراد، وأما يعوق: فلهمذان، وأما نسر: فلحمير لذى كلاع من حمير، فكانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح حتى عبدتها العرب بعد ذلك، وأما اللات: فلثقيف، وأما العزى: فلسليم وغطفان وغشم ونصر بن معوبة وسعد بن بكر، وأما مناة: فكانت لقديد منزل بين مكة والمدينة، وأما يساف ونائلة وهبل: فلأهل مكة، فكان يساف حيال الحجر الأسود، ونائلة حيال الركن اليمانى، وهبل فى جوف الكعبة وكان طوله ثمانية عشر ذراعًا.

* * *

سُورَةُ الجِنّ

مكية عددها ثمان وعشرون آية كوفى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١﴾

﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ وذلك أن السماء لم تكن تحرس فى الفترة ما بين عيسى إلى محمد ﷺ فلما بعث الله عز وجل محمدًا ﷺ حرست السماء، ورميت الشياطين بالشهب، فقال: إبليس لقد حدث فى الأرض حدثًا فاجتمعت الشياطين، فقال لهم إبليس: ائتونى بما حدث فى الأرض من خبر، قالوا: نبى بعث فى أرض تهامة.

وكان فى أول ما بعث تسعة نفر جاءوا من اليمن، ركب من الجت، ثم من أهل نصيبين من أشراف الجن وساداتهم إلى أرض تهامة فساروا حتى بلغوا بطن نخلة ليلا فوجدوا النبى ﷺ قائمًا يصلى مع نفر من أصحابه وهو يقرأ القرآن فى صلاة الفجر ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ فذلك قول الجن يعنى أولئك التسعة النفر يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ يعنى عزيزًا لا يوجد مثله [آية: ١].

﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ٧﴾

﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ يقول: يدعو إلى الهدى ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ﴾ يعنى بالقرآن أنه من الله تعالى ﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِـ﴾ عبادة ﴿بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ [آية: ٢] من خلقه ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ ارتفع ذكره وعظمته ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ﴾ يعنى امرأة ﴿وَلَا وَلَدٗا﴾ [آية: ٣] ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ يعنى جاهلنا يعنى كفارهم ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا﴾ [آية: ٤] يعنى جورا بأن مع اله شريكًا، كقوله عز وجل فى ص: ﴿**ولا تشطط واهدنا**﴾ [الآية: ٢٢] يقول: لا تجر فى الحكم ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ يعنى حسبنا ﴿أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ [آية: ٥] بأن معه شريكًا ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ من دون الله عز وجل، فأول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن من بنى حنيفة، قم فشا ذلك فى سائر العرب،

وذلك أن الرجل كان يسافر فى الجاهلية فإذا أدركه المساء فى الأرض القفر قال: أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه فيبيت آمنا فى جوارهم حتى يصبح، يقول: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [آية: ٦] يقول: إن افنس زادت الجن رهقًا يعنى غيا لتعوذهم بهم، فزادوا الجن فخرًا فى قومهم ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يعنى حسب كفار الإنس الذين تعوذوا برجال من الجن فى الجاهلية كما حسبتم يا معشر كفار الجن ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ [آية: ٧] يعنى رسولا بعد عيسى بن مريم.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾

وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ من الملائكة ﴿وَشُهُبًا﴾ [آية: ٨] من الكواكب فهى تجرح وتخبل ولا تقتل ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ يعنى من السماء قبل أن يبعث محمد ﷺ وتحرس السماء ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ﴾ إلى السماء إذ بعث محمد ﷺ ﴿يَجِدْ لَهُ شِهَابًا﴾ يعنى رسيا من الكواكب و ﴿رَّصَدًا﴾ [آية: ٩] من الملائكة، وقالت الجن مؤمنوهم ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ بإرسال محمد ﷺ فيكذبونه فيهلكم ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [آية: ١٠] يقول: أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يعنى دون المسلمين كافرين، فلذلك قوله: ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ [آية: ١١] يقول: أهل ملل شتى، مؤمنين وكافرين ويهود ونصارى ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ يقول: علمنا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ يعنى أن لن نسبق الله فى الأرض فنفوته ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُ﴾ يعنى ولن نسبقه ﴿هَرَبًا﴾ [آية: ١٢] فنفوته.

ثم قال: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾ يعنى القرآن ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ يقول: صدقنا به أنه من الله تعالى ﴿فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ﴾ فمن يصدق بتوحيد الله عز وجل ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ فى الآخرة ﴿بَخْسًا﴾ يقول: لن ينقص من حسناته شيئًا، ثم قال: ﴿وَلَا﴾ يخاف ﴿رَهَقًا﴾ [آية: ١٣] يقول: لا يخاف أن يظلم حسناته كلها حتى يجازى بعمله السىء كله، مثل

قوله تعالى: ﴿فلا يخاف ظلماً﴾ [طه: ١١٢] أن ينقص من حسناته كلها، ولا هضما أن يظلم من حسناته ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ يعنى المخلصين، هذا قول التسعة ﴿وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ يعنى العادلين بالله وهم المردة ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ يقول: فمن أخلص لله عز وجل من كفار الجن ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ [آية: ١٤] يعنى أخلصوا بالرشد.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ يعنى العادلين بالله ﴿فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [آية: ١٥] يعنى وقودًا فهذا كله قول مؤمنى الجن التسعة، ثم رجع فى التقديم إلى كفار مكة فقال: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ يعنى طريقة الهدى ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [آية: ١٦] يعنى كثيرًا من السماء، وهو المطر، بعد ما كان رفع عنهم المطر سبع سنين، فيكثر خيرهم ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ يقول لكى نبتليهم فيه بالخطب، والخير، كقوله فى سورة الأعراف: ﴿**ولو أن أهل القرى آمنو**﴾ يقول: صدقوا ﴿**واتقوا لفتحنا عليهم بركات السماء**﴾ [الآية: ٩٦] يعنى المطر والأرض، يعنى به النبات.

ثم قال: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ القرآن ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [آية: ١٧] يعنى شدة العذاب الذى لا راحة له فيه ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ﴾ يعنى الكنائس والبيع والمساجد لله ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [آية: ١٨] وذلك أن اليهود والنصارى يشركون فى صلاتهم فى البيع والكنائس، فأمر الله المؤمنين أن يوحدوه.

ثم رجع إلى مؤمنى الجن التسعة فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعنى يعبده فى بطن نخلة بين مكة والطائف، ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [آية: ١٩] يقول: كادوا أن يرتكبوه حرصًا على حفظ ما سمعوا من القرآن، تعجبًا، وهم الجن التسعة، ثم انقطع الكلام، قال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى﴾ وذلك أن كفار قريش قالوا للنبى ﷺ بمكة: إنك جئت بأمر عظيم لم نسمع مثله قط، وقد عاديت الناس كلهم، فأرجع عن هذا الأمر فنحن نجيرك، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [آية: ٢٠] معه ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [آية: ٢١] يقول: لا أقدر على أن أدفع عنكم ضرًا ولا أسوق إليكم رشدًا، والله يملك ذلك كله ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ يعنى يمنعنى من الله ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾

[آية: ٢٢] يعنى ملجًا ولا حرزًا، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ فذلك الذى يجيرنى من عذابه، التبليغ لاستعجالهم بالعذاب، فقال النبى ﷺ: «إنى لا أملك لكم ضرًا ولا رشدا» ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فى التوحيد فلا يؤمن ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [آية: ٢٣] يدخله نارًا خالدًا فيها، يعنى معمروا فيها لا يموتون، ثم انقطع الكلام، فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ من عذاب الآخرة، وما يوعدون من العذاب فى الدنيا يعنى القتل يبدو ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ يعنى كفار مكة عند نزول العذاب ببدر، نظيرها فى سورة مريم: ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا﴾ كفار مكة أو المؤمنون ﴿وَ﴾ من ﴿وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ [آية: ٢٤] يعنى جندًا أيقرب الله العذاب أم يؤخره، لما سمعوا الذكر يعنى قول النبى ﷺ فى العذاب يوم بدر، قام النصر بن الحارث وغيره فقالوا: يا محمد، متى هذا الذى تعدنا؟ تكذيبا به واستهزًا، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ فى سورة الأنبياء، وفى هذه سورة ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ﴾ يعنى ما أدرى ﴿أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب فى الدنيا يعنى القتل ببدر ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ [آية: ٢٥] يعنى أجلا بعيدًا، يقول: ما أدرى أيقرب الله العذاب أو يؤخره، يعنى بالأمد الأجل، القتل ببدر ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ يعنى غيب نزول العذاب ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [آية: ٢٦] من الناس، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ يعنى رسل ربى فإنه يظهرهم على العذاب متى يكون، ومع جبريل ﷺ أعوانا من الملائكة يحفظون الأنبياء حتى يفرغ جبريل من الوحى، قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ﴾ يعنى يجعل ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [آية: ٢٧] قال: كان إذا بعث الله عز وجل نبيا أتاه إبليس على صورة جبريل وبعث الله تعالى من بين يدى النبى ﷺ ومن خلفه رصدًا من الملائكة فا يسمع الشيطان حتى يفرغ جبريل، عليه السلام، من الوحى إلى ﷺ فإذا جاء إبليس أخبرته به الملائكة وقالوا: هذا إبليس، وإذا أتاه جبريل ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ الرسول ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ يقول ليعلم محمد ﷺ أن الأنبياء قبله قد حفظت،وبلغت قومهم الرسالة، كما حفظ محمد ﷺ وبلغ الرسالة، ثم قال: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ يعنى بما عندهم ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [آية: ٢٨] يعنى نزول العذاب بهم والله أعلم.

* * *

سُورَةُ المُزَّمِّل
مكية عددها عشرون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١ ﴾

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ [آية: ١] يعنى الذى ضم عليه ثيابه، يعنى النبى ﷺ، وذلك أن النبى ﷺ خرج من البيت وقد لبس ثيابه، فناداه جبريل، عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾، الذى قد تزمل بالثياب، وقد ضمها عليه ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [آية: ٢] ﴿ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾ [آية: ٣] يقول: انقص إلى ثلث الليل ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴾ يعنى على النصف إلى الثلثين، فخيره هذه الساعات، وكان هذا بمكة قبل صلوات الخمس، ثم قال: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [آية: ٤] يقول: ترسل به ترسلاً على هينتك رويدًا يعنى عز وجل بينه تبينًا ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [آية: ٥] يعنى القرآن شديدًا، لما فى القرآن من الأمر والنهى والحدود والفرائض ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ ﴾ يعنى الليل كله والقراءة فيه ﴿ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ يعنى مواطأة بعضًا لبعض ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [آية: ٦] بالليل وأثبت، لأنه فارغ القلب بالليل، وهو أفرغ منه بالنهار.

﴿ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ [آية: ٧] يعنى فراغًا طويلاً لنومك ولحاجتك، وكانوا لا يصلون إلا بالليل، حتى أنه كان الرجل يعلق نفسه بالليل، فشق القيام عليه بالليل ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ يعنى بالتوحيد والإخلاص ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ [آية: ٨] يعنى وأخلص إليه إخلاصًا فى الدعاء والعبادة، ثم عظم الرب نفسه، فقال: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ ﴾ يعنى حيث تطلع الشمس ﴿ وَ ﴾ رب ﴿ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ حيث تغرب الشمس، قال ابن

عباس: تطلع الشمس عند مدينة يقال لها: جابلقا لها ألف باب على كل باب منها ألف حارس، وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه، فقال: ﴿**تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترًا**﴾ [الكهف: ٩٠]، وتغرب عند مدينة يقال لها: جابرسا لها ألف ألف باب على كل باب ألف حارس، فيتصايحون فرقًا منها، فلولا صياحهم لسمعتم وجبتها إذا هى سقطت.

ثم عظم الرب نفسه، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [آية: ٩] هو رب المشرق المغرب، يعنى يوم يستوى فيه الليل والنهار، فذلك اليوم اثنتا عشرة ساعة، وتلك الليلة اثنتا عشرة ساعة، فمشرق ذلك اليوم فى برج الميزان ومغربه لا إله إلا هو، فوحد الرب نفسه ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ يقول: اتخذ الرب وليًا ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبهم إياه بالعذاب ومن الأذى ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [آية: ١٠] يعنى اعتزلهم اعتزالاً جميلاً حسنًا، نسختها آية السيف فى براءة ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ يقول: خل بينى وبين بنى المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، فإن لى فيهم نقمة ببدر ﴿أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾ فى الغنى والخير ﴿وَمَهِّلْهُمْ﴾ هذا وعيد ﴿قَلِيلًا﴾ [آية: ١١] حتى أهلكهم ببدر.

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

ثم قال: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [آية: ١٢] فالأنكال عقوبة من ألوان العذاب، ثك ذكر العقوبة، فقال: وجحيمًا، يعنى ما عظم من النار ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ يعنى بالغصة الزقوم ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ١٣] يعنى وجيمًا موجعًا ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ﴾ يعنى تحرك الأرض ﴿وَٱلْجِبَالُ﴾ من الخوف ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ يعنى وصارت الجبال بعد القوة والشدة ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [آية: ١٤] والمهيل الرمل الذى إذا حرك تبع بضعه بعضًا ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولًا﴾ يعنى النبى ﷺ لأنه ولد فيهم فاودروه ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ أنه بلغكم الرسالة، وقد استخفوا به، وازدروه لأنه ولد فيها ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [آية: ١٥] يعنى موسى، عليه السلام، أى أنه كان ولد فيها فازدروه.

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [آية: ١٦] يعنى شديدًا، وهو الغرق يخوف كفار مكة بالعذاب، أن لا يكذبوا محمدًا ﷺ فينزل بهم العذاب كما نزل بفرعون وقومه حين كذبوا موسى، عليه السلام، نظيرها فى الدخان [الآية: ٧، ٢٤]. ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ يعنى وكيف لا يتقون عذاب يوم يجعل فيه الولدان شيبًا، ويسكر الكبير من غير شراب، ويشيب الصغير من غير كبر من أهوال يوم القيامة ﴿إِن كَفَرْتُمْ﴾ فى الدنيا ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [آية: ١٧] وذلك يوم يقول الله لآدم: قم، فابعث بعث النار، من كل ألف تسع مائة، وتسع وتسعين، وواحد إلى الجنة فيساقون إلى النار سود الوجوه زرق العيون مقرنين فى الحديد، فعند ذلك يسكر الكبير من الخوف، ويشيب الصغير من الفزع، وتضع الحوامل ما فى بطونها من الفزع تمامًا وغير تمام.

ثم قال عز وجل: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ السقف به يعنى الرحمن لنزول الرحمن تبارك وتعالى ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [آية: ١٨] أن وعده مفعولاً فى البعث، يقول: إنه كائن لابد ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ يعنى آيات القرآن تذكرة يعنى تفكرة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [آية: ١٩] يعنى بالطاعة.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ إلى الصلاة ﴿أَدْنَىٰ﴾ يعنى أقل ﴿مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ﴾ وذلك أن النبى ﷺ والمؤمنين كانوا يقومون فى أول الإسلام من الليل نصفه وثلثه، وهذا من قبل أن تفرض الصلوات الخمس، فقاموا سنة فشق ذلك عليهم، فنزلت الرخصة بعد ذلك عند السنة، فذلك قوله: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ من المؤمنين يقومون نصفه وثلثه، ويقومون وينامون ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ يعنى قيام ثلثى الليل الأول، ولا نصف الليل، ولا ثلث الليل، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ يعنى فتجاوز عنكم فى التخفيف بعد قوله: ﴿**قم الليل إلا قليلاً**﴾ ﴿**وطائفة من الذين معك**﴾ ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ عليكم فى الصلاة ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ فلا يطيقون قيام الله ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تجارًا ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾

يعنى يطلبون من فضل الله الرزق ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ولا يطيقون قيام الليـل، فهذه رخصة من الله عز وجل لهم بعد التشديد.

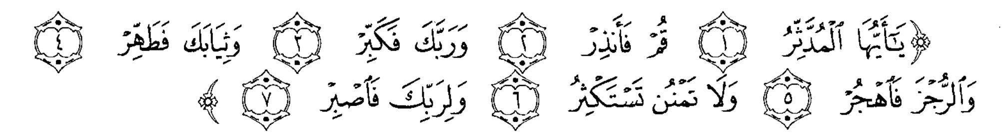
ثم قال: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ﴾ عليكم ﴿مِنْهُ﴾ يعنى من القـرآن فلـم يوقـت شـيئًا، فـى صلواتكم الخمس منه ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعنى وأتموا الصلوات الخمس، وأعطـوا الزكـاة المفروضة من أموالكم، فنسخ قيام الليل على المؤمنين، وثبت قيام الليـل علـى النبـى ﷺ، وكان بين أول هذه السورة وآخرها سنة حتى فرضت الصلوات الخمس، والزكاة، فـهما واجبتان، فذلك قوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يقول: وأعطوا الزكاة مـن أموالكـم ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يعنى التطوع ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعنى بالحسن طيبة بها نفسه يحتسبها تطوعًا بعـد الفريضـة ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ يعنـى مـن صدقـة فريضـة كـانت أو تطوعـًا، يقول: ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ ثوابـًا عنـد الله فـى التقديـم، هـو خـيرًا، ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ يقول: أفضل مما أعطيتم من أموالكم وأعظم أجرًا يعنى وأكـثر خـيرًا، وأفضـل خـيرًا فـى الآخـرة ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ مـن الذنـوب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لكـم عنـد الاسـتغفار إذا استغفرتموه ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٢٠] حين رخص لكم بالتوبة.

* * *

سورة المدثر

مكية، عددها ست وخمسون آية كوفى

بسم الله الرحمن الرحيم



﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [آية: ١] يعنى النبى ﷺ، وذلك أن كفار مكة آذوه، فانطلق إلى جبل حراء ليتوارى عنهم، فبينما هو يمشى، إذ سمع مناديًا يقول: يا محمد، فنظر يمينًا وشمالاً وإلى السماء، فلم ير شيئًا، فمضى على وجهه، فنودى الثانية: يا محمد، فنظر يمينًا وشمالاً، ومن خلفه، فلم ير شيئًا إلا السماء، ففزع، وقال: لعل هذا شيطان يدعونى، فمضى على وجهه، فنودى فى قفاه: يا محمد، يا محمد، فنظر خلفه، وعن يمينه، ثم نظر إلى السماء، فرأى مثل السرير بين السماء والأرض، وعليه دربوكة قد غلطت الأفق، وعليه جبريل، عليه السلام، مثل النور المتوقد يتلألأ حتى كاد أن يغشى البصر، ففزع فزعًا شديدًا، ثم وقع مغشيًا عليه ولبث ساعة.

ثم أفاق يمشى ربه رعدة شديدة، ورجلاه تصطلكان راجعًا حتى دخل على خديجة، فدعا بماء فصبه عليه، فقال: دقرونى، فدثروه بقطيفة حتى استدفأ، فلما أفاق، قال: لقد أشفقت على نفسى، قالت له خديجة: أبشر فوالله لا يسوؤك الله أبدًا لأنك تصدق الحديث، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الخير.

فأتاه جبريل، عليه السلام، وهو متقنع بالقطيفة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ بقطيفة، المتقنع فيها ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [آية: ٢] كفار مكة العذاب أن لم يوحدوا الله تعالى ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [آية: ٣] يعنى فعظم، ولا تعظمن كفار مكة فى نفسك، فقام من مضجعه ذلك، فقال: الله أكبر كبيرًا، فكبرت خديجة، وخرجت وعلمت أنه قد أوحى إليه ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [آية: ٤] يقول: طهر بالتوبة من المعاصى، وكانت العرب تقول للرجل: إذا أذنب أنه دنس الثياب، وإذا توفى، قالوا: إنه لطاهر الثياب ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [آية: ٥]

يعنى الأوثان، يساف ونائلة وهما صنمان عند البيت يمسح وجوههما من مر بهما من كفار مكة، فأمر الله تبارك وتعالى النبى ﷺ أن يجتنبهما، يعنى بالرجز أوثان لا تتحرك بمنزلة الإبل، يعنى داء يأخذها ذلك الداء، فلا تتحرك من وجع الرجز فشبه الآلهة بها.

ثم قال: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [آية: ٦] يقول: ولا تعط عطية لتعطى أكثر من عطيتك ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [آية: ٧] يعزى نبيه ﷺ ليصبر على الأذى والتكذيب من كفار مكة.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [آية: ٨] يعنى نفخ فى الصور، والناقور القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل، وهو الصور ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [آية: ٩] يعنى مشقته وشدته، ثم أخبر على من عسره، فقال: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [آية: ١٠] غير هين، ويهون ذلك على المؤمن كأدنى صلاته ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [آية: ١١] يعنى الوليد بن المغيرة المخزومى، كان يسمى الوحيد فى قومه، وذلك أن الله عز وجل أنزل على النبى ﷺ ﴿**حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير**﴾ [غافر: ١- ٣].

فلما نزلت هذه الآية قام النبى ﷺ فى المسجد الحرام فقرأها والوليد ابن المغيرة قريبًا منه يستمع إلى قراءته، فلما فطن ﷺ أن الوليد بن المغيرة يستمع إلى قراءته أعاد النبى ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿**حم تنزيل الكتاب من الله العزيز**﴾ فى ملكه ﴿**العليم**﴾ بخلقه ﴿**غافر الذنب**﴾ لمن تاب من الشرك، ﴿**وقابل التوب**﴾ لمن تاب من الشرك، ﴿**شديد العقاب**﴾ لمن لم يتب من الشرك ﴿**ذى الطول**﴾ يعنى ذى الغنى عمن لم يوحد، ثم وحد الرب نفسه حين لم يوحده كفار مكة، فقال: ﴿**لا إله إلا هو إليه المصير**﴾ يعنى مصير الخلائق فى الآخرة إليه، فلما سمعها الوليد انطلق حتى أتى مجلس بنى مخزوم، فقال: والله، لقد سمعت من محمد كلامًا آنفًا ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وأن أسفله لمعرق، وأن أعلاه لموفق، وأن له لحلاوة، وأن عليه لطلاوة، وأنه ليعلو وما يعلى.

ثم انصرف إلى منزله، فقالت قريش: لقد سبأ الوليد، والله لئن صبأ لتصبون قريش كلها، وكان يقال للوليد: ريحانة قريش، فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه، فانطلق أبو جهل حتى دخل على الوليد، فقعد إليه كشبه الحزين، فقال له الوليد: ما لى أراك يا ابن أخى حزينًا؟ فقال أبو جهل: ما يمنعنى أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة ليعينوك على كبرك، ويزعمون أنك إنما زينت قول محمد لتصيب من فضل طعامه، فغضب الوليد عند ذلك، وقال: أو ليس قد علمت قريش أنى من أكثرهم مالاً وولدًا، وهل يشبع محمد وأصحابه من الطعام، فيكون لهم فضل؟ فقال أبو جهل: فإنهم يزعمون أنك إنما زينت قول محمد من أجل ذلك.

فقام الوليد فانطلق مع أبى جهل، حتى أتى مجلس قومه بنى مخزوم، فقال: تزعمون أن محمدًا كاهن، فهل سمعتموه يخبر بما يكون فى غد؟ قالوا: اللهم لا، قال: ويزعمون أن محمدًا شاعر، فهل رأيتموه ينطق فيكم بشعر قط؟ قالوا: اللهم لا، قال: وتزعمون أن محمدً كذاب، فهل رأيتموه يكذب فيكم قط؟ قالوا: اللهم لا، وكان يسمى محمد ﷺ قبل النبوة الأمين، فبرأه من هذه المغالة كلها.

فقالت قريش: وما هو أبا المغيرة؟ فتفكر فى نفسه ما يقول عن محمد ﷺ، ثم نظر فيما يقول عنه، ثم عبس وجهه، ويسر يعنى وكلح، فذلك قوله عز وجل: ﴿**أنه فكر وقدر**﴾، وما يقول لمحمد، فقدر له السحر، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**فقتل**﴾ يعنى لعن ﴿**كيف قدر**﴾ لمحمد ﷺ السحر، ثم نظر، ثم عبس، يقول: كلح وبسر، يعنى وتغير لونه يعنى أعرض عن الإيمان ﴿**واستكبر عنه فقال**﴾ الوليد لقومه: ﴿**إن هذا**﴾ الذى يقول محمد ﴿**إلا سحر يؤثر**﴾ فقال له قومه وما السحر يا أبا المغيرة؟ وفرحوا، فقال: شىء يكون ببابل إذا تعلمه الإنسان يفرق بين الاثنين ومحمد يأثره، ولما يحذفه بعد وأيم الله، لقد أصاب فيه حاجته أما رأيتموه فرق بين فلان وبين أهله، وبين فلان وبين أبيه، وبين فلان وبين أخيه، وبين فلان وبين مولاه، فهذا الذى يقول محمد سحر يؤثر عن مسليمة بن حبيب الحنفى الكذاب يقول: يرويه عنه، فذلك قوله: ﴿**إن هذا إلا سحر يؤثر**﴾ يقول: إن هذا الذى يقول محمد إلا قول بشر.

قال الوليد بن المغيرة: عن يسار أبى فكيهة هو الذى يأتيه به من مسليمة الكذاب، فجعل الله له سقر، وهو الباب الخامس من جهنم، فلما قال ذلك الوليد شقى ذلك على النبى ﷺ ما لم يشق عليه، فيما قذف بغيره من الكذب، فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ

يعزيه ليصبر على تكذيبهم، فقال: يا محمد ﴿**كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون**﴾ [الذاريات: ٥٢]، وأنزل فى الوليد بن المغيرة: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ يقول: خل بينى يا محمد وبين من خلقت وحيدًا، يقول: حين لم يكن له مال ولا بنون، يعنى خل بينى وبينه، فأنا أتفرد بهلاكه، وأما الوليد، يعنى خلقته ليس له شىء، يقول عز وجل فأعطيته المال والولد.

فذلك قوله: ﴿وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا﴾ [آية: ١٢] يعنى بالمال بستانه الذى له بالطائف، والممدود الذى لا ينقطع خيره شتاء ولا صيفًا، كقوله: ﴿**وظل ممدو**﴾ يعنى لا ينقطع ﴿وَبَنِينَ شُهُودٗا﴾ [آية: ١٣] يعنى حضورًا لا يغيبون أبدًا عنه فى تجارة ولا غيرها لكثرة أموالهم بمكة، وكلهم رجال منهم الوليد بن الوليد، وخالد بن الوليد، وهو سيف الله أسلم بعد ذلك، وعمارة بن الوليد، وهشام بن الوليد، والعاص بن الوليد، وقيس بن الوليد، وعبد شمس بن الوليد.

ثم قال: ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾ [آية: ١٤] يقول: بسطت له فى المال والولد والخير بسطًا ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾ [آية: ١٥] لا أزيده بل أقطع ذلك عنه وأهلكه، ثم منعه الله المال، فلم يعطه شيئًا حتى افتقر وسأل الناس، فأهلكه الله تعالى، ومات فقيرًا فى المستهزئين، ثم نعت عمله الخبيث، فقال: ﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾ [آية: ١٦] يعنى كان عن آيات القرآن معرضًا مجانبًا له لا يؤمن بالقرآن.

ثم أخبر الله تعالى ما يصنع به فى الآخرة، فقال: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [آية: ١٧] يعنى سأكلفه أن يصعد على صخرة من النار ملساء فى الباب الخامس، واسم ذلك الباب سقر، فى تلك الصخرة كوى تخرج منها ريح، وهى ريح حارة، وهى تناثر لحمه يقول الله جل وعز: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ يقول: سأغشى وجهه تلك الصخرة، وهى جبل من نار طوله مسيرة سبعين سنة، ويصعد به فيها على وجهه، فإذا بلغ الكافر أعلاها انحط إلى أسفلها، ثم يكلف أيضًا صعودها، ويخرج إليه من كوى تلك الصخرة ريح باردة من فوقها ومن تحتها تقطع تلك الريح لحمه، وجلدة وجهه، فكلما أصعد أصابته تلك الريح وإذا انحط، حتى ينتثر اللحم من العظم، ثم يشرب من عية آنية، التى قد انتهى حرها، فهذا دأبه أبدًا.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ

﴿ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ٢٤ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ٢٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ٣٠ ﴾

ثم قال، يعنى الوليد بن المغيرة: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ فى أمر محمد ﷺ فزعم أنه ساحر، وقال مثل ما قال فى التقديم ﴿وَقَدَّرَ﴾ [آية: ١٨] فى قوله: إن محمدًا يفرق بين الاثنين ﴿فَقُتِلَ﴾ يقول: فلعن ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [آية: ١٩] السحر ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [آية: ٢٠] يعنى ثم لعن كيف قدر ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ [آية: ٢١] فيما يقول لمحمد ﷺ من السحر ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ وجهه يعنى كلح كقوله: ﴿**عبس وتولى**﴾ [عبس: ١]، يعنى كلح وجوه ابن أم مكتوم ﴿وَبَسَرَ﴾ [آية: ٢٢] يعنى وتغير لون وجهه ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ٢٤ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [آية: ٢٦] يعنى الباب الخامس من جهنم.

ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ [آية: ٢٧] ثم أخبر الله عنها تعظيمًا لها، لشدتها ليعذبه بها، فقال: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [آية: ٢٨] يعنى لا تبقى النار إذا رأتهم حتى تأكلهم ولا تذرهم إذا حلفوا لها حتى تواقعهم ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [آية: ٢٩] محرقة للخلق ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [آية: ٣٠] يقول: فى النار من الملائكة تسعة عشر خزنتها، يعنى مالكًا، ومن ومعه ثمانية عشر ملكًا، أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصى، يعنى مثل قرون البقر وأشعارهم تمس أقدامهم، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبى أحدهم مسيرة سبعين سنة يسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر، قد نزعت منهم الرأفة والرحمة غضابًا يدفع أحدهم سبعين ألفا، فليقيهم حيث أراد من جهنم، فيهوى أحدهم فى جهنم مسيرة أربعين سنة، لا تضرهم النار لأن نورهم أشد من حر النار، ولولا ذلك لم يطيقوا دخول النار طرفة عين، فلما قال الله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾، قال أبو جهل بن هشام: يا معشر قريش، ما لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر، ويزعم أنهم خزنة جهنم يخوفكم بتسعة عشر، وأنتم ألدهم أيعجز كل مائة منكم أن تبطش بواحد منهم، فيخرجوا منها.

وقال أبو الأشدين، اسمه أسيد بن كلدة بن خلف الجمحى: أنا أكفيكم سبعة عشر، أحمل منهم عشرة على ظهرى، وسبعة على صدرى، واكفونى منهم اثنين، وكان شديدًا، فسمى أبا الأشدين لشدته بذلك سمى، وكنيته أبو الأعور.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ يعنى خزن النار ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ يعنى قلتهم ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حين، قال أبو الأشدين، وأبو جهل ما قالا، فأنزل الله تعالى فى قول أبى جهل: ما لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر، ﴿**وما يعلم جنود ربك إلا هو**﴾ يقول: ما يعلم كثرتهم أحد إلا الله.

وأنزل الله فى قول أبى الأشدين: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر: ﴿**عليها ملائكة غلاظ شداد**﴾ [التحريم: ٦] ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ يعنى خزان النار ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ يعنى قلتهم ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾. يعنى أبا جهل، وأبا الأشدين، والمستهزئين من قريش، ﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ لكى يستيقين ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يقول: ليعلم مؤمنو أهل التوراة أن الذى قال محمد ﷺ حق، لأن عدة خزان جهنم فى التوارة تسعة عشر.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ يعنى تصديقًا ولا يشكوا فى محمد ﷺ بما جاء به ﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ يقول: ولكى لا يرتاب يعنى لكى لا يشك يقول: لئلا يشك ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعنى أهل التوراة ﴿وَ﴾ لا يشك ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أن خزنة جهنم تسعة عشر ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعنى الشك، وهم اليهود من أهل المدينة ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ من أهل مكة، يعنى مشركى العرب ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ يعنى ذكره عدة خزنة جهنم، يستقلونهم.

يقول الله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ﴾ بهذا المثل ﴿مَن يَشَآءُ﴾ عن دينه ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ إلى دينه وأنزل فى قول أبى جهل، وأبى الأشدين ما لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ من الكثرة حين استقلوهم، فقال أبو جهل لقريش: أيعجز ... مثل ما قال فى التقديم، وقالوا ما قالوا.

ثم رجع إلى سقر، فقال: ﴿وَمَا هِىَ﴾ يعنى سقر ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [آية: ٣١] يعنى سقر تذكر وتفكر للعالم.

﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾

ثم أقسم الرب من أجل سقر، فقال: ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ [آية: ٣٣] يعنى إذا ذهبت ظلمته ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴾ [آية: ٣٤] يعنى ضوءه عن ظلمة الليل ﴿ إِنَّهَا ﴾ إن سقر ﴿ لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴾ [آية: ٣٥] من أبواب جهنم السبعة: جهنم، ولظى، والحطمة، والسعير، وسقر، والجحيم، والهاوية ﴿ نَذِيرًا ﴾ يعنى تذكرة ﴿ لِّلْبَشَرِ ﴾ [آية: ٣٦] يعنى للعالمين ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ ﴾ فى الخير ﴿ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ [آية: ٣٧] منه إلى المعصية هذا تهديد، كقوله: ﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾ [الكهف: ٢٩]، وكقوله: ﴿ **اعملوا ما شئتم** ﴾ [فصلت: ٤٠].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [آية: ٣٨] يقول: كل كافر مرتهن بذنوبه فى النار، ثم استثنى، فقال: ﴿ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴾ [آية: ٣٩] الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم ولا يرتهنون بذنوبهم فى النار، ثم هم: ﴿ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [آية: ٤١] فلما أخرج الله أهل التوحيد من النار، قال المؤمنون لمن بقى فى النار: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴾ [آية: ٤٢] يعنى ما جعلكم فى سقر، يعنى ما حبسكم فى النار.

فأجابهم أهل النار عن أنفسهم: ﴿ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ [آية: ٤٣] فى الدنيا لله ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾ [آية: ٤٤] فى الدنيا ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴾ [آية: ٤٥] فى الدنيا فى الباطل والتكذيب كما يخوض كفار مكة ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [آية: ٤٦] يعنى يوم الحساب أنه غير كائن ﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ [آية: ٤٧] يعنى الموت.

يقول الله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [آية: ٤٨] يعنى لا ينالهم يومئذ شفاعة

الملائكة والنبيين، ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [آية: ٤٩] عن التذكرة يعنى عن القرآن معرضين، نزلت هذه الآية فى كفار قريش حين أعرضوا، ولم يؤمنوا بالحمر الوحشية المذعورة.

فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [آية: ٥٠] بتركهم القرآن إذا سمعوا منه مثل الحمر ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [آية: ٥١] يعنى الرماة وقالوا الأسد ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ﴾ يقول: يعطى ﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [آية: ٥٢] فيها كتاب من الله تعالى، وذلك أن كفار مكة قالوا للنبى ﷺ، كان الرجل من بنى إسرائيل ذنبه وكفارة ذنبه يصبح مكتوبًا عند رأسه، فهلا ترينا مثل هؤلاء الآيات إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال جبريل: إن شئت فعلنا بهم كفعلنا ببنى إسرائيل، وأخذناهم بما أخذنا به بنى إسرائيل، فكره النبى ﷺ، وقالوا: ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله بأن آلهتنا باطل، وأن الإله الذى فى السماء حق، وأنك رسول، وأن الذى جئت به حق، وتجئ معك بملائكة يشهدون بذلك كقوله ابن أبى أمية فى سورة بنى إسرائيل يقول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا﴾ لا يؤمنون بالصحف التى أرادوها.

ثم استأنف، فقال: ﴿بَل﴾ لكن ﴿لَّا يَخَافُونَ﴾ عذاب ﴿الْآخِرَةَ﴾ [آية: ٥٣] ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ [آية: ٥٤] يعنى القرآن ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [آية: ٥٥] يعنى فهمه، يعنى القرآن، ثم قال: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ يعنى وما يشهدون ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [آية: ٥٦] يعنى الرب تبارك وتعالى نفسه، يقول: هو أهل أن يتقى ولا يعصى، وهو أهل المغفرة لمن يتوب عن المعاصى.

* * *

سُورَةُ القِيَامَةِ

مكية، عددها أربعون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾﴾

ما أقسم الله بالكافرين فى القرآن فى غير هذه السورة قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آية: ١] نظيرها ﴿**واليوم الموعود**﴾ [البروج: ٢]، قال: وكان أهل الجاهلية، إذا أراد الرجل أن يقسم قال: لا أقسم ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [آية: ٢] يقول: أقسم بالنفس الكافرة التى تلوم نفسها فى الآخرة، فتقول: ﴿**يالتينى قدمت لحياتى**﴾ [الفجر: ٢٤] ﴿**يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله**﴾ [الزمر: ٥٦]، يعنى فى أمر الله فى الدنيا.

﴿أَيَحْسَبُ﴾ هذا ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعنى عدى بن ربيعة بن أبى سلمة ختن الأخنس بن شريق، وكان حليفًا لبنى زهرة، فكفر بالبعث، وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، حدثنى عن يوم القيامة متى يكون؟ وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبى ﷺ بذلك. فقال: لو عاينت ذلك اليوم سأؤمن بك، ثم قال: يا محمد، أو يجمع الله العظام يوم القيامة؟ قال: «نعم»، فاستهزأ منه، فأنزل الله جل وعز ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [آية: ٣] يقول: أن لن نبعثه من بعد الموت، فأقسم الله تعال أن يبعثه كما كان.

ثم قال: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ يعنى كنا قادرين ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [آية: ٤] يعنى أصابعه، يعنى على أن نلحق الأصابع بالراحة ونسويه حتى نجعله مثل خف البعير، فلا ينتفع بها كما لا ينتفع البعير بها ما كان حيًا، نزلت هذه الآية فى عدى بن ربيعة والأخنس بن شريق، ثم قال: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعنى عدى بن ربيعة ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [آية: ٥] يعنى

تقديم المعصية وتأخير التوبة يومًا بيوم يقول: سأتوب، حتى يموت على شر عمله، وقد أهلك أمامه ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آية: ٦] يعنى يسأل عدى متى يوم القيامة؟ تكذيبًا بها، فأخبر الله تعالى عن ذلك اليوم، فقال: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ [آية: ٧] يقول: إذا شخص البصر، فلا يطوف مما يرى من العجائب التى يراها مما كان يكفر بها فى الدنيا أنه غير كائن مثلها فى سورة ﴿**ق والقرآن المجيد**﴾ [ق: ١].

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ [آية: ٨] فذهب ضوءه ﴿وَجُمِعَ﴾ بين ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [آية: ٩] كالبقرتين المقرونتين يوم القيامة قيامًا بين يدى الخلائق، ثم ذكر فقال: ﴿يَقُولُ﴾ هذا ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المكذب بيوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ [آية: ١٠] يعنى أين المهرب حتى أحرز نفسى يقول الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [آية: ١١] يعنى لا جبل يحرزك، ويسمى حمير الجبل وزر، ثم استأنف ، فقال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [آية: ١٢] يعنى المنتهى يومئذ إلى الله عز وجل لا تجد عنه مرحلا ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ﴾ لآخرته، ثم قال: ﴿وَ﴾ ما ﴿وَأَخَّرَ﴾ [آية: ١٣] من خير أو شر بعد موته فى دنياه، فاستن بها قوم بعده.

يقول الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [آية: ١٤] وذلك حين كتمت الألسن فى سورة الأنعام وختم الله عليها فى سورة ﴿**يس والقرآن الحكيم**﴾، فقال ﴿**اليوم نختم على أفواههم**﴾ [يس: ٦٥]، فنطقت الجوارح على الألسن بالشرك فى هذه السورة، فلا شاهد أفضل من نفسك، فذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ يعنى جسده وجوارحه شاهدة عليه بعمله، فذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿**كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**﴾ يعنى شاهدًا، ثم قال: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [آية: ١٥] ولو أدلى بحجته لم تنفعه، وكان جسده عليه شاهدًا ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ فى قلبك يا محمد ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [آية: ١٧] حتى نقريكه حتى تعلمه وتحفظه فى قلبك ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ يقول: فإذا تلوناه عليك يقول: إذا تلا عليك

جبريل ﷺ ﴿فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾ [آية: ١٨] يقول: فاتبع ما فيه، وذلك أن جبريل كان يأتى النبى ﷺ بالوحى، فإذا قرأه عليه تلاه النبى ﷺ قبل أن يفرغ جبريل من الوحى مخافة أن لا يحفظه، فقال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل ﷺ ﴿لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ﴾ فى قلبك ﴿وَقُرۡءَانَهُۥ﴾ عليك، يعنى نقريكه حتى تحفظه.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾ [آية: ١٩] يعنى أن نبين لك حلاله وحرامه، كما قال الله تعالى: ﴿**قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى**﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥] يقول الله تعالى فى هذه السورة ﴿كَلَّا بَلۡ﴾ لا تزكون، ولا تصلون، و ﴿تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ [آية: ٢٠] يعنى كفار مكة، تحبون الدنيا ﴿وَتَذَرُونَ﴾ عمل ﴿ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [آية: ٢١] يقول: تختارون الحياة الدنيا على الآخرة، فلا تطلبونها، نظيرها فى ﴿**هل أتى على الإنسان**﴾ ﴿**تحبون العاجلة وتذرون الآخرة**﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١].

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾

ثم قال: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ [آية: ٢٢] يعنى الحين والبياض، ويعلوه النور ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [آية: ٢٣] يعنى ينظرون إلى الله تعالى معاينة، ثم قال جل وعز: ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ﴾ [آية: ٢٤] يعنى متغيرة اللون ﴿تَظُنُّ﴾ يقول: تعلم ﴿أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ﴾ [آية: ٢٥] يقول: يفعل بها شر ﴿كَلَّآ﴾ لا يؤمن بما ذكر فى أمر القيامة.

ثم قال: ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الأنفس ﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [آية: ٢٦] يعنى الحلقوم ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ﴾ [آية: ٢٨] يعنى وعلم أنه قد يفارق الدنيا ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [آية: ٢٩] يعنى التف أمر الدنيا بالآخرة، فصار واحدًا كلاهما، ثم قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾ [آية: ٣٠] يعنى النهاية إلى الله فى الآخرة ليس عنها مرحل، ثم قال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [آية: ٣١] يقول: فلا صدق أبو جهل بالقرآن ولا صلى لله تعالى ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [آية: ٣٢] يقول: ولكن كذب بالقرآن وتولى عن الإيمان يقول: أعرض عن الإيمان ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ [آية: ٣٣] يقول: يتبختر، وكذلك بنو المغيرة بن عبد

الله بن عمر المخزومى إذا مشى أحدهم يختال فى المشى.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ [آية: ٣٥] يعنى وعيدًا على أثر وعيد، وذلك أن أبا جهل تهدد النبى ﷺ بالقتل، وأن النبى ﷺ أخذ تلابيب أبى جهل بالبطحاء، فدفع فى صدره، فقال: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ يعنى أبا جهل حين تهدد النبى ﷺ بالقتل، فقال أبو جهل: إليك عنى، فإنك لا تسطتيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيئًا، لقد علمت قريش أنى أعز أهل البطحاء وأكرمها، فبأى ذلك تخوفنى يا ابن أبى كبشة، ثم انسل ذاهبًا إلى منزله، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾ فى التقديم.

ثم قال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [آية: ٣٦] يعنى مهملاً لا يحاسب بعمله، يعنى أبا جهل إلى آخر السورة، ثم قال: ﴿أَلَمْ يَكُ﴾ هذا الإنسان ﴿نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [آية: ٣٧] ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ بعد النطفة ﴿عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [آية: ٣٨] الله خلقه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [آية: ٣٩] ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ يعنى أما ذلك ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ الذى بدأ خلق هذا الإنسان ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [آية: ٤٠] يعنى بقادر على البعث بعد الموت.

* * *

سُورَةُ الإِنسَانِ

مكية، عددها إحدى وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾

قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ يعنى قد أتـى علـى الإنسـان ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [آية: ١] يعنى به آدم لا يذكر، وذلك أن الله حلق السماوات وأهلها، والأرض وما فيها من الجن قبل أن يخلق آدم، عليه السلام، بواحد وعشرين ألف سنة، وهى ثلاثـة أسباع، فكـانوا لا يعرفـون آدم، ولا يذكرونـه، وكـان سكان الأرض مـن الجـن زمانًـا ودهرًا، ثم إنهم عصوا الله تعالى وضر بعضهم بعضًا، فأرسل الله عليهم قبيلة من الملائكة، يقال لهم: الجـن وإبليـس فيـهم، وكـان اسـم إبليـس الحـارث، أرسـلهم الله علـى الجـن، فطردوهم حتى أخرجوهـم مـن الأرض إلى الظلمـة خلـف الحجـاب، وهـو جبـل تغيـب الشمس خلفه، وفى أصله، وفيما بين ذلك الجبل وبين جبل قاف مسيرة سنة كلها ظلمـة ومائ قائم، ثم إن إبليس وجنده طهروا الأرض وعبدوه زمانًا، فما أراد الله تعالى أن يخلق آدم، صلى الله عليه، أوحى إليـهم أنـى جـاعل فـى الأرض خليفـة يعبدوننـى، ويطـهرون الأرض، فردوا إلى الله قوله، وإبليس منهم: فقالوا: ربنا أتجعل فيها من يفسد فيـها، يعنى من يعصى فيها، ويسفك الدماء، كفعل الجـن، لا أنـهم علمـوا الغيـب، ولكـن قـالوا مـا عرفوا عن الجن الذين عصوا ربهم، وقالوا: نحن نسبح بحمدك ونقدس لك، يعنى ونطـهر لك الأرض، فأوحى الله إليهم أنى أعلم ما لا تعملون، ثم إن الله تبارك وتعـالى، قـال: يـا جبريل ائتنى بطينن فهبط جبريل، عليه السلام، إلى الأرض فأخذ ترابًـا مـن تحـت الكعبـة وهو أديم الأرض وصب عليه الماء، فتركه زمانًا، حتى أنتن الطين فصار فوقها طين حـر، وأسفلها حمأة.

حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل بن سليمان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ، قال: «ما كان من الحر منها فهم أصحاب اليمين، وما كان من الحمأة فهم من أصحاب الشمال»، وذلك أن امرأ القيس بن عابس الكتمى، ومالك بن الضيف اليهودى اختصما بين يدى رسول الله ﷺ فى أمر آدم، عليه السلام، وخلقه، فقال مالك بن الضيف: إنما نجد فى التوارة أن الله خلق آدم حين خلق السماوات والأرض، فأنزل الله عز وجل يكذب مالك بن الضيف اليهودى:

فقال: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ يعنى واحدًا وعشرين ألف سنة، وهى ثلاثة أسباع، بعد خلق السموات والأرض ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ يذكر، ثم خلق ذريته، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ يعنى ماء مختلطًا، وهو ماء الرجل، وماء المرأة، فإذا اختلطا، فذلك المشج، فماء الرجل غليظ أبيض، فمنه العصب، والعظم، والقوة، ونطفة المرأة صفراء رقيقة، فمنها اللحم، والدم، والشعر، والظفر، فيختلطان فذلك الأمشاج، فيها تقديم، يقول: جعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه.

ثم قال: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾ بعد النطفة ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [آية: ٢] لنبتليه، أى جعلناه نطفة، علقة، مضغة، ثم صار إنسانًا بعد ماء ودم ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ من بعد ما كان نطفة ميتة، ثم قال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ يعنى سبيل الضلالة والهدى ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ أن يكون ﴿شَاكِرًا﴾ يعنى موحدًا فى حسن خلقه لله تعالى ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [آية: ٣] فلا يوحده، وأيضًا إما شاكرًا لله فى حسن خلقه وإما كفورًا، يجعل هذه النعم لغير الله، ثم ذكر مستقر من أحسن من خلقه، ثم كفر به وعبد غيره.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾

فقال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ فى الآخرة يعنى يسرنا للكافرين يعنى لمن كفر بنعم الله تعالى ﴿سَلَاسِلَا﴾ يعنى سلسلة طولها سبعون ذراعًا بذراع الرجل الطويل من الخلق الأول.

حدثنى أبى، رحمه الله، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل بن سليمان، عن الضحاك بن مزاحم الخراسانى، عن على بن أبى طالب، عليه السلام، أن رسول الله ﷺ، قال: «لو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص، فكيف يا ابن آدم، وهى عليك وحدك».

ثم قال: ﴿وَأَغْلَالًا﴾ فأما السلاسل ففى أعناقهم، وأما الأغلال ففى أيديهم، ثم قال: ﴿وَسَعِيرًا﴾ [آية: ٤] يعنى وقودًا لا يطفأ، ثم ذكر ما أعد للشاكرين من نعمة، فقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ يعنى الشاكرين المطيعين لله تعالى، يعنى أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وسلمان الفارسى، وأبا ذر الغفارى، وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأبا عبيدة بن الجراح، وأبا الدرداء، وابن عباس ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ يعنى الخمر، وأيضًا إن الأبرار، يعنى على بن أبى طالب وأصحابه الأبرار الشاكرين لله تعالى يشربون من كأس، سعنى من خمر ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [آية: ٥].

ثم ذكر الكافور، فقال: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾ يعنى الخمر ﴿عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [آية: ٦] يعنى أولياء الله يمزجون ذلك الخمر، ثم جاء بذلك الماء، فهو على برد الكافور، وطعم الزنجبيل، وريح المسك لا بمسك أهل الدنيا، ولا زنجبيلهم، ولا كافورهم، ولكن الله تعالى وصف ما عنده بما عندهم لتهتدى إليه القلوب، ثم ذكر محاسنهم، فقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ يعنى من نذر لله نذرًا، فقضى الله حاجته فيوفى لله بما قد نذره، قال: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾ يعنى يوم القيامة ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [آية: ٧] يعنى كان شرًا فاشيًا فى أهل السماوات والأرض، فانشقت السماء، وتناثرت الكواكب، وفزعت الملائكة، وكورت الشمس، والقمر، فذهب ضوءهما وبدلت الأرض ونسفت الجبال، وغارت المياه، وتكسر كل شىء على الأرض من جبل، أو بناء، أو شجر، ففشى شر يوم القيامة فيها.

وأما قوله: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أى على حبهم الطعام ﴿مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [آية: ٨] نزلت فى أبى الدحداح الأنصارى، ويقال: فى على بن أبى طالب، رضى الله عنه، وذلك أنه صام يومًا، فلما أراد أن يفطر دعا سائل، فقال: عشونى بما عندكم، فإنى لم أطعم اليوم شيئًا، قال أبو الدحداح، أو على: قومى فاثردى رغيفًا وصبى عليه مرقة، وأطعميه، ففعلت ذلك فما لبثوا أن جاءت جارية يتيمة، فقالت: أطعمونى، فإنى ضعيفة لم أطعم اليوم شيئًا، قال: يا أم الدحداح قومى فاثردى رغيفًا وأطعمها، فإن هذه والله أحق من ذلك المسكين، فبينما هم كذلك إذ جاء على الباب سائل أسير ينادى: عشوا الغريب فى بلادكم، فإنى أسير فى أيديكم وقد أجهدنى الجوع، فبالذى أعزكم وأذلنى لما أطعمتمونى، فقال أبو الدحداح: يا أم الدحداح، قومى ويحك فاثردى رغيفًا وأطعمى الغريب الأسير، فإن هذا أحق من أولئك فأطعموا ثلاث أرغفة، وبقى لهم رغيف واحد، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم يمدحهم بما فعلوا، فقال: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ يعنى باليتيم من لا أب له ولا أم، ﴿وَأَسِيرًا﴾ من أسارى المشركين ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾ يعنى لمرضات الله تعالى ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ [آية: ٩] يعنى أن تثنوا به علينا ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا﴾ يعنى يوم الشدة.

قال الفراء، وأبو عبيدة: هو المنتهى فى الشدة ﴿قَمۡطَرِيرٗا﴾ [آية: ١٠] يعنى إذا عرق الجبين فسال العرق بين عينيه من شدة الهول، فذلك قوله: ﴿قَمۡطَرِيرٗا﴾ فشكر الله أمرهم، فقال: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ﴾ يعنى يوم القيامة شر جهنم ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾ [آية: ١١] نضرة فى الوجوه وسرورًا فى القلوب، وذلك أن المسلم إذا خرج من قبره يوم القيامة نظر أمامه، فإذا هو بإنسان وجهه مثل الشمس يضحك طيب النفس، وعليه ثياب بيض، وعلى رأس تاج، فينظر إليه حتى يدنو منه، فيقول: سلام عليك، يا ولى الله، فيقول: وعليك السلام من أنت يا عبد الله أنت ملك من الملائكة؟ فيقول: لا، والله، فيقول: أنت نبى من الأنبياء؟ فيقول: لا والله، فيقول: أنت من المقربين؟ فيقول: لا والله، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح أبشرك بالجنة، والنجاة من النار، فيقول له: يا عبد الله، الله أبعلم تبشرنى؟ فيقول: نعم، فيقول: ما تريد منى؟ فيقول له: اركبنى، فيقول: يا سبحان الله، ما ينبغى لمثلك أن يركب عليه، فيقول: بلى فإنى طال ما ركبتك فى دار الدنيا، فإنى أسألك بوجه الله، إلا ما ركبتنى، فيقول: لا تخف أنا دليلك إلى الجنة فيعم ذلك الفرح فى وجهه حتى يتلألأ، ويرى النور والسرور فى قلبه، فذلك قلبه:

ولقاهم نضرة وسرورًا، وأما الكافر، فإنه إذا خرج من قبره نظر أمامه، فإذا هو برجل قبيح، الوجه أزرق العينين أسود الوجه اشد سوادًا من القبر فى ليلة مظلمة، وثيابه سود يجر أنيابه فى الأرض تدهده دهدهة الرعد، ريحه أنتن من الجيفة، فيقول: من أنت يا عدو الله؟ ويريد أن يعرض بوجهه عنه، فيقول: يا عدو الله إلى إلى، وأنا لك اليوم، فيقول: ويحك أشيطان أنت؟ فيقول: لا والله، ولكنى عملك، فيقول: ويحك، ما تريد منى؟ فيقول: أريد أن أركبك، فيقول: أنشدك الله، مهلاً فإنك تفضحنى على رءوس الخلائق، فيقول: والله ما منك بد فطال ما ركبتنى فأنا اليوم أركبك، قال فتركبه، فذلك قوله: ﴿**وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون**﴾ [الأنعام: ٣١].

ثم ذكر أولياءه، فقال: ﴿وَجَزَىٰهُم﴾ بعد البشارة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ على البلاء ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [آية: ١٢]، فأما الجنة فيتنعمون فيها، وأما الحرير فليبسونه ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ يعنى على السرر عليها الحجال ﴿لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسًا﴾ لا يصيبهم حر الشمس ﴿وَلَا زَمۡهَرِيرًا﴾ [آية: ١٣] يعنى ولا يصيبهم برد الزمهرير لأنه ليس فيها شتاء ولا صيف، فأما قوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا﴾ يعنى ظلال الشجر، وذلك أن أهل الجنة يأكلون من الفواكه إن شاءوا نيامًا، وإن شاءوا قعودًا، وإن شاءوا قيامًا، إذا أرادوا دنت منهم حتى يأخذوا منها، ثم تقوم قيامًا، فذلك قوله: ﴿وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلًا﴾ [آية: ١٤] يعنى أغصانها تذليلاً.

قوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكۡوَابٍ﴾ فهى الأكواز مدورة الرءوس التى ليس لها عرى، قال: ﴿كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠﴾ [آية: ١٥] ولكنها من فضة، وذلك أن قوارير الدنيا من ترابها وقوارير الجنة من فضة، فذلك قوله: ﴿كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠﴾ ثم قطعها، ثم استأنف فقال: ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرًا﴾ [آية: ١٦] يعنى فدرت الأكواب على الإناء وقدر الإناء على كف الخادم ورى القوم، فذلك قوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرًا﴾. قال: ﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسًا﴾ يعنى خمرًا، وكل شراب فى الإناء ليس بخمر، وليس هو بكأس، فقال: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [آية: ١٧] يعنى كأنما قد مزج فيه الزنجبيل، قوله: ﴿عَيۡنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلًا﴾ [آية: ١٨] تسيل عليهم من جنة عدن، فتمر على كل جنة، ثم ترجع لهم الجنة كلها.

وأما قوله: ﴿۞وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ فأما الولدان فهم الغلمان الذين لا يشيبون أبدًا مخلدون، يعنى لا يحتلمون، ولا يشيبون أبدًا هم على تلك الحال لا يختلفون ولا يكبرون، قال: ﴿إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا﴾ [آية: ١٩] فى الحسن والبياض، يعنى فى

الكثرة، مثل اللؤلؤ المنثور الذى لا يتناهى عدده، قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ﴾ يعنى هنالك فى الجنة رأيت ﴿نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [آية: ٢٠] وذلك أن الرجل من أهل الجنة له قصر، فى ذلك القصر سبعون قصرًا، فى كل قصر سبعون بيتًا، كل بيت من لؤلؤة مجوفة طولها فى السماء فرسخ، وعرضها فرسخ، عليها أربعة ألف مصراع من ذهب، فى ذلك البيت سرير منسوج بقضبان الدر والياقوت، عن يمين السرير، وعن يساره أربعون ألف كرسى من ذهب قوائمها ياقوت أحمر، على ذلك السرير سبعون فراشًا، كل فراش على لون، وهو جالس فوقها، وهو متكئ على يساره عليه سبعون حلة من ديباج، الذى يلى جسده حريرة بيضاء، وعلى جبهته إكليل مكلل بالزبرجد، والياقوت، وألوان الجواهر كل جوهرة على لون.

وعلى رأسه تاج من ذهب فيه سبعون ذؤابة، فى كل ذؤابة درة، تساوى مال المشرق والمغرب، وفى يديه ثلاث أسورة، سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، وفى أصابع يديه ورجليه خواتيم من ذهب وفضة فيه ألوان الفصوص، وبين يديه عشرة آلاف غلا لا يكبرون ولا يشيبون أبدًا، ويوضع بين يديه مائدة من ياقوتة حمراء، طولها ميل فى ميل، ويوضع على المائدة سبعون ألف إناء من ذهب وفضة فى كل إناء سبعون لونًا من الطعام، يأخذ اللقمة بيديه، فما يخطر على باله حتى تتحول اللقمة عن حالها التى يشتهيها، وبين يديه غلمان بأيديهم أكواب من ذهب، وإناء من فضة معهم الخمر والماء، فيأكل على قدر أربعين رجلاً من الألوان كلها، كلما شبع من لون من الطعام سقوه شربة مما يشتهى من الأشربة فيتجشى.

فيفتح الله تعالى عليه ألف باب من الشهوة من الشراب، فيدخل عليه الطير من الأبواب، كأمثال النجائب فيقومون بين يديه صفًا، فينعت كل نفسه بصوت مطرب لذيذ ألذ من كل غناء فى الدنيا، يقول: يا ولى الله، كلنى إنى كنت أرعى فى روضة كذا وكذا، من رياض الجنة، فيحلون عليه أصواتها، فيرفع بصره فينظر إليهم، فينظر إلى أزهاها صوتًا، وأجودها نعتًا، فيشتهيها، فيعلم الله ما وراء شهوته فى قلبه من حبه، فيجئ الطير فيقع على المائدة بعضه قديد، وبعضه شواء، أشد بياضًا من الثلج، وأحلى من العسل، فيأكل حتى إذا شبع منها، واكتفى طارت طيرًا كما كانت، فتخرج من الباب الذى كانت دخلت منه.

فهو على الأرائك وزوجته مستقبلة، يبصر وجهه فى وجهها من الصفاء والبياض،

كلما أراد أن يجامعها ينظر إليها، فيستحى أن يدعوها، فتعلم ما يريد منها زوجها، فتدنو إليه، فتقول: بأبى وأمى، ارفع رأسك فانظر إلى فإنك اليوم لى، وأنا لك فيجامعها على قوة مائة رجل من الآولين، وعلى شهوة أربعين رجلاً كلما أتاها وجدها عذراء، لا يغفل عنها مقدار أربعين يومًا، فإذا فرغ وجد ريح المسك منها، فيزداد حبًا لها، فيها أربعة آلاف وثمان مائة زوجة مثلها لك زوجة سبعون خادمًا وجارية.

حدثنا عبد الله بن ثابت، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن الضحاك بن مزاحم، عن على بن أبى طالب، عليه السلام، قال: لو أن جارية أو خادمًا خرجت إلى الدنيا لا قتتل عليها أهل الأرض كلهم، حتى يتفانوا.

ولو أن الحور العين أرخت ذؤابتها فى الأرض لأطفأت الشمس من نورها، قيل: يا رسول الله، وكم بين الخادم والمخدوم؟ قال: والذى نفسى بيده، إن بين الخادم والمخدوم كالكوكب المضئ إلى جنب القمر فى النصف، قال: فبينما هو جالس على سريره إذ يبعث الله عز وجل إليه مالكًا معه سبعون حلة كل حلة على لون واحد، ومعه التسليم، والرضا، فيجئ الملك حتى يقوم على بابه، فيقول لحاجبه: ائذن لى على ولى الله، فإنى رسول رب العالمين إليه، فيقول الحاجب: والله، ما أملك منه المناجاة، ولكن سأذكرك إلى من يلينى من الحجبة، فلا يزالون يذكرون بعضهم إلى بعض حتى يأتيه الخبر بعد سبعين بابًا، يقول: يا ولى الله، إن رسول رب العزة على الباب، فيأذن له بالدخول عليه، فيقول: السلام عليك، يا ولى الله، إن الله يقرئك السلام، وهو عنك راض، فلولا أن الله تعالى لم يقض عليه الموت لمات من الفرح، فذلك قوله: ﴿**وإذا رأيت ثم رأيت**﴾ يا محمد، ثم يعنى هناك رأيت نعيمًا، يعنى بالنعيم الذى هو فيه وملكًا كبيرًا حين لا يدخل عليه رسول رب العزة إلا بإذن.

ثم قال: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ يعنى الديباج، وإنما قال: عاليهم لأن الذى يلى جسده حريرة بيضاء، قال: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وقال فى آية أخرى يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا، فهى ثلاث أسورة، قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [آية: ٢١] وذلك أن على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان، فإذا جاز الرجل الصراط إلى العين، يدخل فى عين منها فيغتسل فيها، فيخرج وريحه أطيب من المسك طوله سبعون ذراعًا فى السماء على طول آدم، عليه السلام، وميلاد عيسى ابن مريم، أبناء ثلاث وثلاثين سنة، فأهل الجنة كلهم رجالهم ونساؤهم على قدر واحد يكبر الصغير

حتى يكون ابن ثلاث وثلاثين سنة، وينحط الشيخ عن حاله إلى ثلاث وثلاثين سنة، كلهم رجالهم ونساؤهم على قدر واحد فى حسن يوسف بن يعقوب، عليهما السلام، ويشرب من العين الأخرى فينقى ما فى صدره من غل، أو هم، أو حد، أو حزن، فيطهر الله قلبه بذلك الماء، فيخرج وقلبه على قلب أيوب، عليه السلام، ولسان محمد ﷺ عربى، ثم ينطلقون حتى يأتوا الباب، فتقول لهم الخزنة: طبتم، يقولون: نعم، فتقول: ادخلوها خالدين يبشرونهم بالخلود قبل الدخول، بأنهم لا يخرجون منها أبدًا، فأول ما يدخل من باب الجنة، ومعه الملكان اللذان كانا معه فى دار الدنيا الكرام الكاتبين، فإذا هو بملك معه بختية من ياقوتة حمراء زمامها ياقوتة خضراء، فإذا كانت البختية من ياقوتة خضراء كان زمامها من ياقوتة حمراء، عليها راحلة مقدمها ومؤخرها در وياقوت، صفحتها الذهب والفضة، ومعه سبعون حلة فيلبسه ويضع على رأسه التاج، ومعه عشرة آلاف غلام كاللؤلؤ المكنون، فيقول: يا ولى الله، اركب فإن هذا لك، ولك مثلها فيركبها، ولها جناحان، خطوة منها منتهى البصر فيسير على بختيته وبين يديه عشرة آلاف غلام، ومعه الملكان اللذان كانا معه فى دار الدنيا حتى يأتى إلى قصوره فينزلها، ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذى قضيت لكم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ لأعمالكم ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم﴾ يعنى عملكم ﴿مَّشْكُورًا﴾ [آية: ٢٢] يعنى شكر الله أعمالهم فأثابهم بها الجنة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يعنى حتى يحكم الله بينك وبين أهل مكة، ولا تشتم إذا شتمت، ولا تغتظ إذا ضربت ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [آية: ٢٤] وهو الوليد بن المغيرة بن هشام المخزومى، قال: أو كفورًا، أو هاهنا صلة، والكفور: هو عتبة بن ربيعة، وذلك أنهم خلوا به فى دار الندوة، وفيهم عمرو بن عمير بن مسعود الثقفى، فقالوا: يا محمد، أخبرنا لم تركت دين آبائك وأجدادك؟ فقال الوليد بن المغيرة: إن طلبت ما لا أعطيتك نصف مالى على أن تدع مقالتك هذه، وقال

أبو البخترى بن هشام: واللات والعزى إن ارتد عن دينه لأزوجنه ابنتى، فإنها أحسن النساء، وأجملهن جمالاً، وأفصحهن قولاً، وأبلغهن علمًا، وقد علمت العزى بذلك، فسكت النبى ﷺ عن ذلك فلم يجبهم شيئًا، فقال ابن مسعود الثقفى: ما لك لا تجيبنا إن كنت تخاف عذاب ربك وذمه أجرتك فضحك النبى ﷺ عند ذلك، وقبض ثوبه وقام عنهم، وقال: أقوال وأضعف أعمال، فأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ فيها تقديم، وتأخير ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ يعنى الوليد بن المغيرة، وابا البخترى بن هشام.

وقال فى قول عمرو بن عمير بن مسعود الثقفى: ﴿**قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا**﴾ [الجن: ٢٢]، يعنى لا يؤمننى من عذابه أحد، ولن أجد من دونه مهربًا، ﴿**إلا بلاغا من الله ورسالا له**﴾ [الجن: ٢٣].

وأما قوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [آية: ٢٥] يعنى إذا صليت صلاة الغداة وهو بكرة، فكبر واشهد أن لا إله إلا هو، وأصيلا إذا أمسيت وصليت صلاة المغرب، فكبره واشهد أن لا إله إلا هو، فهو براءة من الشرك، فذلك قوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ بشهادة أن لا إله إلا هو، قال: كان رسول الله ﷺ يصلى الغداة، ثم يكبر ثلاثا، وإذا صلى المغرب كبر ثلاثا ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ يعنى صلاة العشاء والآخرة يقول: صل له قبل أن تنام ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [آية: ٢٦] يعنى وصل له بالليل، وكان قيام الليل فريضة على النبى ﷺ، فتهجد به نافلة لك.

ثم رجع إلى قوله عز وجل الأول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، فقال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الذين يأمرونك بالكفر ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يعنى الدنيا، لا يهمهم شىء إلا أمر الدنيا الذهب والفضة والبناء والثياب والدواب ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ يعنى أمامهم وكل شىء فى القرآن وراءهم، يعنى أمامهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [آية: ٢٧] لأنها تثقل على الكافرين إذا حشروا وإذا وقفوا وإذا حاسبوهم، وإذا جازوا الصراط فهى مقدار ثلاث مائة سنة وأربعين سنة، فأما المؤمن، فإنه ييسر الله خروجه من قبره، وإذا حشره، وإذا حاسبه، وإذا جاز الصراط، فذلك قوله: ﴿**يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير**﴾ [المدثر: ٩، ١٠].

وأما قوله: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ﴾ فى بطون أمهاتهم وهم نطفة ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ حين

صاروا شبانًا يعنى أسرة الشباب، وما خلق الله شيئًا أحسن من الشباب، منور الوجه أسود الشعر واللحية قوى البدن، وقال: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ ذلك السواد والنور بالبياض والضعف ﴿تَبْدِيلًا﴾ [آية: ٢٨] من السواد حتى لا يبقى شىء منه إلا البياض، فعلم الله عز وجل، فقال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ إن هذا السواد والحسن والقبح ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ يعنى عبرة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [آية: ٢٩] يعنى فمن شاء اتخذ فى هذه التذكرة فيعتبر، فيشكر الله ويوحده، ويتخذ طريقًا إلى الجنة، ثم رد المشيئة إليه، فقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ أنتم أن تتخذوا إلى ربكم سبيلا ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فهو عليكم عمل الجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ يعنى بأهل الجنة ﴿حَكِيمًا﴾ [آية: ٣٠] إذ حكم على أهل الشقاء النار.

ثم ذكر العلم والقضاء بأنه إليه، فقال: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ يعنى فى جنته ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعنى المشركين ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ٣١] يعنى وجيعًا.

* * *

سُورَةُ المُرسَلات

مكية، عددها خمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾﴾

قوله: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [آية: ١] يقول الملائكة وأرسلوا المعروف، ثم قال: ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ [آية: ٢] وهى الرياح، وأما قوله: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ [آية: ٣] وهى أعمال بنى آدم تنشر يوم القيامة، أما قوله: ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ [آية: ٤] فهو القرآن فرق بين الحق والباطل، وأما قوله: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ [آية: ٥] فهو جبريل ﷺ وحده يلقى الذكر على ألسنة الأنبياء والرسل، وهو التاليات ذكرًا، قوله: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [آية: ٦] يقول: عذرًا من الله، ونذرًا إلى خلقه قال: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ من امر الساعة ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ [آية: ٧] يعنى لكائن، ثم ما يكون فى ذلك اليوم أنه لكائن، ﴿**وإن الدين لواقع**﴾ [الصافات: ٣] يقول: وأن الحساب لكائن.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾﴾

قوله: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [آية: ٨] بعد الضوء والبياض إلى السواد، وأما قوله: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ [آية: ٩] يقول: انفرجت عن نزول من فيها من الملائكة،ورب العزة لحساب الخلائق ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [آية: ١٠] يقول: من أصلها حتى استوت بالأرض، كما كانت أول مرة، وأما قوله: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [آية: ١١] يقول: جمعت، ثم رجع إلى الساعة فى التقديم، فقال: ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ [آية: ١٢] يقول: لأى يوم أجلها يعنى الساعة يوم القيامة، وجمع الملائكة.

قال تعالى: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ [آية: ١٣] يعنى يوم القضاء ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾

[آية: ١٤] ما هو؟ تعظيمًا لشدتها فكذبوا بذلك اليوم، يقول الله تعالى فأوعدهم: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ١٥] بالبعث، فقال: يا محمد ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٦] الذين كذبوا بيوم القيامة أهلكتهم بالصيحة والخسف والمسخ والفرق والعدو ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ [آية: ١٧] بالأولين بالهلاك يعني العذاب يعني كفار مكة لما كذبوا بمحمد ﷺ ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ١٨] يقول: هكذا نفعل بالمجرمين يعني الكفار الظلمة، يخوف كفار مكة لئلا يكذبوا بمحمد ﷺ أى فاحذروا، أيا أهل مكة، أن نفعل بكم كما فعلنا بالقرون الأولى، ثم قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ١٩] بالبعث، ثم بين لهم بدء خلق أنفسهم لئلا يكذبوا بالبعث، وليعتبروا فقال: يا معشر المكذبين ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [آية: ٢٠] يقول: ماء ضعيف وهو النطفة ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [آية: ٢١] يعنى الماء يمكن فى الرحم ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [آية: ٢٢] يعنى تسعة أشهر ﴿فَقَدَرْنَا﴾ الصبى فى رحم أمه تسعة أشهر، ودون ذلك أو فوق ذلك فقال الله عز وجل: ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [آية: ٢٣].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

ثم قال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٢٤] قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [آية: ٢٥]

﴿أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا﴾ [آية: ٢٦] يقول: أليس قد جعل لكم الأرض كفاتا لكم، تدفنون فيها، أمواتكم وتبثون عليها أحياءكم، وتسكنون عليها فقد كفت الموتى والأحياء، فقال: ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ﴾ وهى جبال راسخة فى الأرض وأتادا، ثم قال: ﴿وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا﴾ [آية: ٢٧] يقول: ماء حلوا ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٢٨] بالبعث وقد علموا أن الله تعالى قد خلق هذه الأشياء كلها، قوله: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ٢٩] فى الدنيا أنه غير كائن وهى النار وذلك أنه إذا انطلق أهل النار وهى تهمهم، زفرت جهنم زفرة واحدة فيخرج عنق فيحيط بأهلها، ثم تزفر زفرة أخرى فيخرج عتق لها من نار وتحيط بهم، ثم تزفر الثالثة فيخرج عنق فيحيط بالآخرين فتصير حولهم سرادق من نار فيخرج دخان من جهنم فيقوم فوقهم، فيظن أهلها أنه ظل وأنه سينفعهم من هذه النار، فينطلقون كلهم بأجمعهم فيستظلون تحتها، فيجدونها أشد حرًا من السرادق، فذلك قوله: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ وهو شعب بجهنم، أنهم كذبوا الرسل فى الدنيا بأن العذاب فى الآخرة ليس كائن، فتقول لهم الملائكة الخزان ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ [آية: ٣٠] لأنها تنقطع ثلاث قطع.

قوله: ﴿لَّا ظَلِيلٖ﴾ يقول: لا بارد ﴿وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [آية: ٣١] يقول: من ذلك السرادق الذى قد أحاط حولهم، ثم ذكر الظل فقال: ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ﴾ [آية: ٣٢] وهو أصول الشجر يكون فى البرية، فإذا جاء الشتاء قطعت أغصانها فتبقى أصولها، فيحرقها البرد فتسود فتراها فى البرية كأمثال الجمال إذا أنيخب فى البرية، فذلك قوله: ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ﴾ ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ﴾ [آية: ٣٣] يقول: كأنها جمال سوداء غذا رأيتها من مكان بعيد ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٣٤] بالبعث، ثم ذكر الويل متى يكون؟ فقال: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ [آية: ٣٥] ﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ﴾ فى الكلام ﴿فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ [آية: ٣٦] فقال أن تعتذروا ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٣٧] بالبعث، ثم قال إن: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ﴾ وهو يوم القيامة وهو يوم الدين ﴿جَمَعۡنَٰكُمۡ﴾ يا معشر أهل مكة، وسائر الناس ممن بعدكم ﴿وَٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٣٨] الذين كذبوا بالبعث من قبلكم من الأمم الخالية ﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ﴾ [آية: ٣٩] يقول: إن كان لكم مكرنا مكروا ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٤٠] بالبعث.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ يعنى به الموحدين ﴿فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ﴾ [آية: ٤١] يعنى فى جنات، يقول: فى البساتين ونعيم فهو اللباس الذى يلبسون من سندس واستبرق والحرير

والنساء ﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [آية: ٤٢] ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٤٣] من الحسنات فى دار الدنيا، ثم يا محمد ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٤٤] يقول: هكذا تجزى المحسنين من أمتك بأعمالهم فى الجنة، ثم قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٤٥] بالبعث ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ [آية: ٤٦] فيحل بكم ما أحل بالذين من قبلكم من العذاب ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٤٧] قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [آية: ٤٨] يعنى الصلوات الخمس، قالوا: لانصلى إلا أن يكون بين أيدينا أوثانا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٤٩] بالبعث ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٥٠] يعنى بالقرآن.

* * *

سُورَةُ النَّبَأ

مكية عددها أربعون آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)﴾

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [آية: ١] ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [آية: ٢] استفهما للنبى ﷺ عن أى شىء يتساءلون نزلت فى أبى لبابة وأصحابه، وذلك أن كفار مكة كانوا يجتمعون عند رسول الله ﷺ ويسمعون حديثه إذا حدثهم خالفوا قوله، واستهزءوا منه وسخروا، فأنزل الله تعالى: ﴿**أن إذا سمعتم**﴾ يا محمد ﴿**آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره**﴾ [النساء: ١٤٠].

فكان رسول الله ﷺ يحدث المؤمنين فإذا رأى رجلا من المشركين كف عن الحديث حتى يذهب، ثم أقبلوا بجماعتهم فقالوا: يا محمد، أبخلت بما كنت تحدثنا؟ لو أنك حدثتنا عن القرون الأولى فإن حديثك عجب، قال: لا، والله لا أحدثكم بعد يومى هذا وربى قد نهانى عنه فأنزل الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ يعنى القرآن كقوله: ﴿**قل هو نبأ عظيم**﴾ [ص: ٦٧] لأنه كلام الله تعالى، قال ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ٣] يقول: لم يسألون عن القرآن وهم يخالفونه، ولا يؤمنون به؟ فصدق بعضهم به، وكفر بعضهم به، فاختلفوا فيه، ثم خوفهم الوعيد، فقال: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤] إذا قتلوا ببدر وتوفتهم الملائكة ظالمى أنفسهم، يضربون وجوههم وأدبارهم، ثم قال: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٥] وعيد على أثر وعيد نزلت فى حيين من أحياء العرب

يعنى عبد مناف بن قصى، وبنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، نظيرها فى ﴿ألهاكم التكاثر﴾ [التكاثر: ١] ثم ذكر صنعه ليعتبروا إذا بعثوا يوم القيامة وقد كذبوا بالقيامة والبعث فعظم الرب نفسه تبارك وتعالى فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ [آية: ٦] يعنى فراشًا وأيضًا بساطًا مسيرة خمسمائة عام ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [آية: ٧] على الأرض لئلا تزول بأهلها فاستقرت وخلق الجبال بعد خلق الأرض.

ثم قال: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [آية: ٨] يعنى أصنافًا ذكورًا وإناثًا، سودًا وبيضًا وحمرًا وأدمًا، ولغات شتى، فذلك قوله: ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ فهذا كله عظمته، ثك ذكر نعمته فقال: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [آية: ٩] يقول: إذا دخل الليل أدر ككم النوم فتستريحون، ولولا النوم ما استرحتم أبدًا من الحرص وطلب المعيشة، فذلك قوله: ﴿سُبَاتًا﴾ لأنه يسبت والنائم مسبوت كأنه ميت لا يعقل ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [آية: ١٠] يعنى سكنا، كقوله: ﴿هن لباس لكم﴾ [البقرة: ١٨٧] يعنى سكنا لكم فألبسكم ظلمته على خير وشر كثير، ثم قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [آية: ١١] لكى تنتشروا لمعيشتكم فهذان نعمتان من نعم الله عليكم، ثم ذكر ملكه وجبروته وارتفاعه فقال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [آية: ١٢] يعنى بالسبع السموات وغلظ كل سماء مسيرة عام، وبين كل سماءين مثل ذلك نظير فى المؤمنين: ﴿خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ [الآية: ١٧] فذلك قوله: ﴿شِدَادًا﴾ قال: وهى فوقكم يا بنى آدم فاحذروا، لا تخر عليكم إن عصيتم.

ثم قال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [آية: ١٣] يعنى الشمس وحرها مضيئا، يقول: جعل فيها نورًا وحرًا، ثم ذكر نعمه فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [آية: ١٤] يعنى مطرًا كثيرًا منصبا يتبع بعضه بعضا، وذلك أن الله عز وجل يرسل الياح فتأخذ الماء من سماء الدنيا من بحر الأرزاق، ولا تقوم الساعة ما دام به قطرة ماء، فذلك قوله: ﴿وفى السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات: ٢٢] قال تجئ الريح فتثير سحابا فتلحقه، ثم تمطر وتخرج الريح والمطر جميعًا من خلل السحاب، قال: ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ﴾ يعنى بالمطر ﴿حَبًّا﴾ يعنى بالحبوب كل شىء يزرع ويحصد من البر والشعير والسمسم ونحوها من الحبوب، قال: ﴿وَنَبَاتًا﴾ [آية: ١٥] يعنى كل شىء ينبت فى الجهال واصحارى من الشجر والكلا فذلك النبات، وهى تنبت عامًا بعام من قبل نفسها ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ [آية: ١٦] يعنى وبساتين ملتفة بعضها إلى بعض من كثرة الشجر.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ

ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴿٢٥﴾ جَزَآءٗ وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾

فقال: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾ يعنى يوم القضاء هو يوم القيامة بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَٰتٗا﴾ [آية: ١٧] يعنى كان ميقات الكافر، وذلك أنهم كانوا يقولون: ﴿**متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾ [يس: ٤٨] فأنزل الله عز وجل يخبرهم بأن ميقات ذلك اليوم كائن يوم الفصل يا معشر الكفار، فتجازون ما وعدكم على ألسنة الرسل، ثم أخبرهم أيضًا فقال: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ وذلك أن إسرافيل، عليه السلام، ينفخ فيها فيقول: أيتها العظام البالية، وأيتها العروق المتقطعة، وأيتها اللحوم المتمزقة، وأيتها الأشعار الساقطة، اجتمعن لننفخ فيكم أرواحكم، واجازكم بأعمالكم ويديم الملك الصوت، فتجتمع الأرواح كلها فى القرن، والقرن طوله طول السموات والأرض، فتخرج أرواحهم مثل النحل سود وبيض شقى وسعيد، أرواح المؤمنين، بيض كأمثال النحل من السماء إلى واد بدمشق يقال له: الجابية، وتخرج أروح الكفار من الأرض السفلى سود إلى ود بحضرموت يقال له: برهوت، وكل روح أعرف بجسد صاحبه من أحدكم إلى منزله ﴿فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾ [آية: ١٨] ثم ينزل إسرافيل من فوق السماء السابعة، فيجلس على صخرة بيت المقدس،فيأخذ أرواح الكفار والمؤمنين ويجعلهم فى القرن، ودائرة القرن مسيرة خمسمائة عام، ثم تنفخ فى القرن فتطير الأرواح حتى تطبق ما بين السماء والأرض، فتذهب كل روح فتقع فى جسد صاحبها، فيخرج الناس من قبورهم فوجا، فذلك قوله: ﴿فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾ يعنى زمرًا زمرًا، وفرقًا فرقًا، وأممًا أممًا، ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يعنى وفرجت السماء، يعنى وفتقت السماء فتقطعت ﴿فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ [آية: ١٩] يعنى خللا خللا فشبها الله بالغيم إذا انكشفت بعد المطر، ثم تهيج به الريح الشمال الباردة فينقطع فيصير كالأبواب ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ﴾ يعنى ونقلعت الجبال من أماكنها، فطارت بين السماء والأرض من خشية الله، فضرب الله لها مثلا، فقال: ﴿فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾ [آية: ٢٠] يعنى مثل السراب يكون بالقاع يحسبه الظمآن ماء، فإذا أتاه لم يجده شيئًا، فذلك قوله: ﴿**تحسبها جامدة**﴾ [النمل: ٨٨] يعنى من بعيد يحسبها جبلا قائمًا، فإذا انتهى

إليه ومسه لم يجده شيئًا، فتصير الجبال أول مرة كالمهل، ثم تصير الثانية كالعهن المنفوش، ثم تذهب فتصير لا شيء فتراها تحسبها جبالا، فإذا مسستها لم تجدها شيئًا، فذلك قوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ يعنى انقطعت الجبال من خشية الله عز وجل يوم القيامة فكانت سرابًا فما حالك يا بن آدم.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [آية: ٢١] ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ يعنى الكافرين ﴿مَـَٔابًا﴾ [آية: ٢٢] يعنى المشركين مرجعًا إليها نزلت فى الوليد بن المغيرة ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ﴾ ثم ذكركم يلبثون فى النار فلم يوقت لهم فقال: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ﴾ يعنى فى جهنم ﴿أَحْقَابًا﴾ [آية: ٢٣] يعنى فى جهنم أحقابا وهى سبعة عشر حقبًا، يعنى الأزمنة والأحقاب لا يدرى عدها، ولا يعلم منتهاه إلا الله عز وجل، الحقب الواحد ثمانون سنة، السنة فيها ثلاثمائة وستون يومًا، كل يوم فيها مقدار ألف سنة، وكان هذا بمكة، وأنزل الله عز وجل ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ فى تلك الأحقاب ﴿بَرْدًا﴾ يعنى برد الكافور ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ [آية: ٢٤] يعنى الخمر كفعل أهل الجنة، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [آية: ٢٥] ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ يعنى حارًا، وأيضًا لا يذقون فى جهنم بردًا ولا شرابًا، يعنى لا يذقون فيها روحا طيبًا، ولا شرابًا باردًا ينفعهم من هذه النار.

قال أبو محمد: قال أبو العباس أحمد بن يحيى ويقال البرد: اليوم، ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ يعنى بالحميم المذاب الذى قد انتهى حره، ﴿وَغَسَّاقًا﴾ الذى قد انتهى برده، وهو الزمهرير الذى انتهى برده ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ [آية: ٢٦] كما أنه ليس فى الأعمال أخبث من الشرك بالله عز وجل وكذلم ليس من العذاب شيء أخبث من النار فوافقت النار الشرك، ثم قال ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [آية: ٢٧] يعنى أنهم كانوا لا يخافون من العذاب أن يحاسبوا بأعمالهم الخبيثة إذا عملوها، قال: ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعنى القرآن ﴿كِذَّابًا﴾ [آية: ٢٨] يعنى تكذيبًا بما فيه من الأمر والنهى، ثم رجع إلى أعمالهم الخبيثة فقال: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ﴾ من الأعمال ﴿كِتَٰبًا﴾ [آية: ٢٩] يعنى ثبتناه مكتوبًا عندنا فى كتاب حفيظ يعنى اللوح المحفوظ ﴿كِتَٰبًا﴾ يعنى ما عملوا من السيئات أثبتناه فى اللوح المحفوظ مثلها، فى يس: ﴿**وكل شيء أحصيناه فى إمام مبين**﴾ [الآية: ١٢] ثم رجع إلى أهل النار الذين قال فيهم: ﴿**لابثين فيها أحقاب**﴾ [النبأ: ٢٣] فذكر أن الخزنة تقول لهم: ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [آية: ٣٠].

قال مقاتل، عن أبى الزبير، عن جابر، عن النبى ﷺ: إنه قال: الزيادة خمسة أنهار من

تحت العرش على رؤس أهل النار ثلاثة أنها على مقدر الليل،ونهران على مقدار النهار، كقوله فى النحل: ﴿**زدناهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون**﴾ [الآية: ٨٨].

قال: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ بعد هذه السنين، فأما الزيادة فالأنهار، أما الآن الذى ذكره الله عز وجل فى الرحمن فليس له منتهى.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾

ثم ذكر المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [آية: ٣١] يعنى النجاة من ذلك العذاب الذى سماه للطاغين قال: ﴿حَدَآئِقَ﴾ يعنى البساتين قد حدقت حواليها الحيطان ﴿وَأَعْنَٰبًا﴾ [آية: ٣٢] يعنى الفواكه ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ يعنى النساء الكاعبة يعنى عذارى يسكن فى الجنة للرجال وقسموا لهن ﴿أَتْرَابًا﴾ [آية: ٣٣] يعنى مستويات على ميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثيت سنة، وذلك أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة قام ملك على قصر من ياقوت شرفه كاللؤلؤ المكنون فينادى بصوت رفيع يسمع أهل الجنة أولهم وآخرهم وأسفلهم وأعلاهم، فيقول أين الذين كانوا نزهوا أسماعهم عن قينات الدنيا ومعازفها، قال ويأمر الله عز وجل جوارى فيرفعن أصواتهن جميعًا.

ثم قال: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [آية: ٣٤] يعنى وشرابا كثيرًا ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ إذا شربوا ﴿لَغْوًا﴾ يعنى حلف الباطل ﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾ [آية: ٣٥] يقول: ولا يكذبون على شرابهم كما يكذب أهل الدنيا إذا شربوا، ثم جمع أهل النار، وأهل الجنة، فقال: ﴿جَزَآءً﴾ يعنى ثوابا ﴿مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [آية: ٣٦] يعنى يحاسب المسيئين فيجازهم بالنار، ويحاسب المؤمنين فيجازيهم بالجنة، فأعطى هؤلاء وهؤلاء جزاءهم و لم يظلم هؤلاء المعذبين شيئًا، فذلك قوله: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ نظيرها فى الشعراء: ﴿**إن حسابهم إلا على ربى**﴾ [الآية: ١١٣] يقول: إن جزاؤهم إلا على ربى، ثم عظم الرب تعالى نفسه ودل على صنعه فقال: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يعنى الشمس، والقمر، والنجوم، والسحاب،

والرياح، قال: هـو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِۖ﴾ الرحيم، وهـم ﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا﴾ [آيـة: ٣٧] يعنـى المناجاة، إذا استوى للحساب ثم أخبرهم متى يكون ذلك؟ فقال: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ وهو املك الذى قال الله عز وجل عنه: ﴿**يسـألونك عـن الـروح**﴾ [الإسراء: ٨٥] وجهـه وجه آدم، عليه السلام، ونصفه من نار، ونصفه من ثلج، فيسبح بحمد ربـه ويقـول: رب كما ألفت بين هذه النار وهذا الثلج، تذيب هذه النار هذا الثلـج، ولا يطفـئ هـذا الثلج هذه النار، فكذلك ألف بين عبادك المؤمنين فاختصه الله تعالى من بين الخلق من عظمـه، فقال: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾ ثم انقطـع الكـلام، فقـال: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ مـن الخوف أربعين عامًا، ﴿إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ بالكلام ﴿وَقَالَ صَوَابٗا﴾ [آية: ٣٨] يعنـى شهادة ألا إله إلا الله، فذلك الصواب ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ لأن العـرب قـالوا: إن القيامـة بـاطل، فذلـك قولـه: ﴿ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [آيـة: ٣٩] يعنـى منزلة يعنى الأعمال الصالحة، ثم خوفهم أيضًـا العـذاب فـى الدنيـا فقـال: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا﴾ يعنى فى الدنيا القتل ببدر، وهلاك الأمم الخالية،وإنما قال قريبًا لأنها أقرب من الآخرة، ثم رجع إلى القول الأول حين قـال: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ﴾ فقـال: ﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾ يعنـى الإنسـان الخـاطئ يـرى عملـه أسـود مثـل الجبـل ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [آيـة: ٤٠] وذلـك أن الله عـز وجـل يجمــع الوحــوش والسباع يوم القيامة فيقتص لبعضهم من بعض حقوقهم، حتى ليأخذ للجماعة من القرناء بحقها، ثم يقول لهم: كونوا ترابًا فيتمنى الكافر لو كان خنزيرًا فى الدنيـا ثـم صـار ترابًـا كما كانت الوحوش والسباع ثم صارت ترابًا.

* * *

سورة النازعات

مكية، عددها ست وأربعون آية كوفى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝٥﴾

قوله: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ [آية: ١] فهو ملك الموت وحده، ينزع روح الكافر حتى إذا بلغ ترقوته غرقه فى حلقه، فيعذبه فى حياته قبل أن يميته، ثم ينشطها من حلقه كما ينشط السفود الكثير الشمث من الصوف فينشط روح الكافر من قدمه إلى حلقه مثل الصوف، فذلك قوله: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [آية: ٢] فهو ملك الموت فيخرج نفسه من حلقه ومعها العروق كالغريق من الماء وأما قوله: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ [آية: ٣] وهو ملك الموت وحده، وهى روح المؤمن ولكن قال فى التقديم: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ ثم ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ تقبض روح المؤمن كالسابح فى الماء لا يهوله الماء يقول: تستبق الملائكة أرواحهم فى حريرة بيضاء من حرير الجنة، يسبقون بها ملائكة الرحمة، ووجوههم مثل الشمس عليهم تاج من نور ضاحكين مستبشرين طيبين، فذلك قوله: ﴿**تتوفاهم الملائكة طيبين**﴾ [النحل: ٣٢]، قال: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ يقول: تسبح الملائكة فى السموات لا تحجب روحه فى السماء حتى يبلغ به الملك عند سدرة المنتهى عندها مأوى أرواح المؤمنين فأما الكافر فإنه أول ما ينزل الملك الروح من جسده، فتستبق ملائكة الغضب وجوههم مثل الجمر، وأعينهم مثل البرق غضاب، حرهم أشد من حر النار فتوضع روحه على جمر مثل الكبريت، فيضعون روحه عليه، وتقلب روحه عليه، مثل السمك، على الطابق، ولا تفتح أبواب السماء فيهبط به الملك حتى يضعه فى سجين وهى الأرض السفلى تحت خد إبليس.

هذا معنى ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ [آية: ٤] أما قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [آية: ٥] فهم الملائكة منهم الخزان الذين يكونون مع الرياح، ومع المطر، ومع الكواكب، و ع

الشمس، والقمر، ومع الإنس والجن، فكذلك هم، ويقال: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، عليهم السلام، الذين يدبرون أمر الله تعالى، فى عباده وبلاده، وبأمره.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ (١٠) أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً (١١) قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ (١٤)﴾

وأما قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ [آية: ٦] وهى النفخة الأولى وإنما سميت الراجفة لأنها تميت الخلق كلهم، كقوله: ﴿**فأخذتهم الرجفة**﴾ [الأعراف: ٧٨] يعنى الموت، من فوق سبع سموات من عند العرش فيموت الخلق كلهم.

﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [آية: ٧] وهى النفخة الثانية أردفت النفخة الأولى بينهما أربعون سنة، أسمعت الخلائق وهى عند صخرة بيت المقدس، وذلك أنه ينزل إسرافيل وترتفع أرواح الكفار من تحت الأرض السفلى إلى واد يقال له: برهوت، وهو بحضر موت، وهو كأشر وادٍ فى الأرض، وتنزل أرواح المؤمنين من فوق سبع سموات إلى واد يقال له: الجابية، وهو بالشام، وهو خير واد فى الأرض فيأخذ هؤلاء وهؤلاء جميعها إسرافيل فيجعلهم فى القرن وهو الصور فينفخ فيه، فيقول أيتها العظام البالية، وأيتها العروق المنقطعة، وأيتها اللحوم المتمزقة، اخرجوا من قبوركم لتجازوا بأعمالكم، ثم قال: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [آية: ٨] يعنى خائفة ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ [آية: ٩] يعنى ذليلة مما رأت عند معاينة النار، فخضعت كقوله: ﴿**خاشعين من الذل**﴾ مما ترى من العجائب ومما ترى من أمر الآخرة.

ثم أخبر الله عز وجل عن كفار مكة فقال: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ [آية: ١٠] تعجبًا منها، فيما تقديم، يقولون إنا لراجعون على أقدامنا إلى الحياة بعد الموت، هذا قول كفار مكة، ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً﴾ [آية: ١١] يعنى بالية، أى: أنا لا نبعث خلقًا كما كنا ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [آية: ١٢] قالوا إن بعثنا بعد الموت إنا إذا لخاسرون يعنى هالكون، ثم قال الله تبارك وتعالى لمحمد ﷺ: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [آية: ١٣] يقول: فإنما هى صيحة واحدة من غسرافيل، عليه السلام، فيسمعونها وهم فى بطن الأرض أمواتًا ولايثنيها ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [آية: ١٤] يعنى الأرض الجديدة

التى تبسط على هذه الأرض فيسلها الله عز وجل من تحتها كما يسل الثوب الخلق البالى، فذلك قوله: ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ يقول بالأرض الأخرى واسمها الساهرة.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾

قوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ [آية: ١٥] قبل هذا ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ يقول: بالوادى المطهر اسمه ﴿طُوًى﴾ [آية: ١٦] لأن الله عز وجل طوى عليه القدس، وكان نداؤه إياه أنه قال: يا موسى، فناداه من الشجرة، وهى الشمران، فقال: يا موسى، إنى أنا ربك، يا موسى، ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [آية: ١٧] يقول: إنه قد بلغ من طغيانه أنه عبد، وفى قراءة ابن مسعود «طغى» لأنه لم يعبد صنما قط ولكنه دعا الناس إلى عبادته، فذلك قوله: ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [آية: ١٨] يقول: هل لك أن تصلح ما قد أفسدت، يقول: وأدعوك لتوحيد الله ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى عظمته ﴿فَتَخْشَىٰ﴾ [آية: ١٩] يخبر الله عز وجل محمدًا ﷺ بخبره، قال له فرعون: ما هى؟ قال: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ [آية: ٢٠] وهى اليد والعصا أخرج يده بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر، فكانت اليد أعظم وأعجب من العصا من غير سوء يعنى من غير برص، قال: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ [آية: ٢١] وزعن أنه ليس من الله عز وجل ﴿وَعَصَىٰ﴾ فقال: إنه سحر، ﴿وَعَصَىٰ﴾ أيضًا يعنى استعصى عن الإيمان، قال: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿يَسْعَىٰ﴾ [آية: ٢٢] يعنى فى جمع السحر فهو قوله: ﴿**فجمع كيده**﴾ [طه: ٦] ثم أتى بهم ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [آية: ٢٣] يقول حشر القبط ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [آية: ٢٤] وذلك أن موسى ﷺ قال لفرعون: لك ملكك فلا يزول، وذلك شبابك فلا تهرم، وذلك الجنة إذا مت، على أن يقول ربى الله وأنا عبده، فقال فرعون: إنك لعاجز بيننا يكون الرجل ربا يعبد حتى يكون له رب، فقال، فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ يقول: ليس لى رب فوق، فذلك الأعلى ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ بعقوبة قوله: ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ [آية: ٢٥] وكان بينهما أربعين سنة، الأولى قوله: ﴿**ما علمت لكم من إله غيرى**﴾ [القصص: ٣٨] والآخرة قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ يقول: إن فى هلاك

فرعون وقومه ﴿لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾ [آية: ٢٦] يعنى لمن يذكر الله تعالى، يقول: لمن يخشى عقوبة الله تعالى، مثل ما فعل آل فرعون فلا يشرك، يخوف كفار مكة لئلا يكذبوا محمدًا ﷺ فيجازيهم مثل ما حل بقوم فرعون من العذاب.

﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٣﴾

ثم قال: يا معشر العرب ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾ [آية: ٢٧] يقول: أنتم أشد قوة من السماء لأنه قال: ﴿**إذا السماء انفطرت**﴾ [الأنفطار: ١] و ﴿**إذا السماء انشق**﴾ [الانشقاق: ١] يقول: فما حالكم أنتم، يا بنى آدم، وأنتم أضعف من السماء؟ ثم قال: ﴿بَنَىٰهَا﴾ ﴿رَفَعَ سَمۡكَهَا﴾ يعنى طولها مسيرة خمسمائة عام ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ [آية: ٢٨] ليس فيها خلل، قوله: ﴿وَأَغۡطَشَ﴾ يقول وأظلم ﴿لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ [آية: ٢٩] يعنى وأبرز، يقول: وأخرج شمسها، وإنما صارت مؤنثة لأن ظلمة الليل فى السموات وظلمة الليل من السماء تجئ، قال: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [آية: ٣٠] يقول: بعد بناء السماء، بسطها من تحت الكعبة مسيرة خمسمائة عام، ثم قال: ﴿أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا﴾ [آية: ٣١] يقول: بحورها ونباتها لأن النبات والماء يكونان من الأرض ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا﴾ [آية: ٣٢] يقول: أوتدها فى الأرض لئلا نزول، فاستقرت بأهلها، ثم رجع إلى مرعاها، فقال فيها: ﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾ [آية: ٣٣] يقول: معيشة لكم ولمواشيكم.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ۝٣٤ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝٣٦ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٤١﴾

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ [آية: ٣٤] يعنى العظمى، وهى النفخة الآخرة من بيت المقدس، فذلك الطامة الكبرى، وهى يوم القيامة.

قال الهذيل: أغطش ليلها وأخرج ضحاها إنما صارت مؤنثة لأن ظلمة الليل والشمس فى السماء مؤنثة، قال: وقال شاهر همذان يوم اليرموك:

أقدم أبادهم على الأساوره ولاتغرنك أكف بادره
وإنما قصرك ترب الساهره ثم ترد بعدها فى الحافره
من بعد ما كنت عظامًا ناخره

قال: وفى قوله: ﴿والسلام علىَّ يوم ولدت﴾ يعنى فى الخلق الأول من غير أب، ﴿ويوم أموت﴾ من ضغطة القبر، ﴿ويوم أبعث حيا﴾ [مريم: ٣٣] بالحجة على من قال أنى رب.

ثم نعت الطامة فقال: ﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ [آية: ٣٥] يعنى يتذكر ما عمل فى الدنيا من الشر، يجزى به فى ذلك اليوم ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [آية: ٣٦] لأن الخلق يؤمئذ يبصرونها فمن كان منها أعمى فى الدنيا؟ فهو يؤمئذ يبصر، قال: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ [آية: ٣٧] ﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [آية: ٣٨] نزلت هذه الآية فى النضر بن الحارض بن علقمة بن كلدة، وفى حبيب بن عبد ياليل، وأمية بن خلف الجمحى، عتبة، وعتيبة ابنى أبى لهب، فهؤلاء كفار ومنهم مصعب، وأبو الدوم ابنا عمير، وذلك أنهم وجدوا جزورًا فى البرية ضلت من الأعراب فنحروها وجعلوا يقتسمونها بينهم فأصاب مصعب، وأبو الدوم سهمين، ثم إن مصعب ذكر مقامه بين يدى رب العالمين، فخاف أن يحاسبه الله تعالى يوم القيامة، فقال: إن سهمى وسهم أخى هو لكم، فقال له عند ذلك أمية بن خلف: وليم؟ قال: إنى أخاف أن يحاسبنى الله به، فقال له أمية بن خلف: هاته وأنا أحمل عنك هذا الوزر عند إلهتك فى الآخرة وفشت تلك المقالة فى قريش فى أمر مصعب فأنزل الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ الثابت على الشرك، وآثر الحياة الدنيا على الآخرة، ولم يخف الله ولا حسابه فأكل الحرام ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [آية: ٣٩] ثم ذكر مصعب، قتل يوم أحد، وأبا الدوم ابنى عمير بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى، فقال: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ يقول: مقام ذلك اليوم بين يدى ربه ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ [آية: ٤٠] يقول: قدر على معصيته فانتهى عنها مخافة حساب ذلك اليوم ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [آية: ٤١] نظيرها فى النجم.

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾

فخرج رسول الله ﷺ عند ذلك فقرأها عليهم، فقالوا: متى هذا اليوم يا محمد؟ فأنزل

الله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يعنى كفار مكة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [آية: ٤٢] فأجاب الله عز وجل النبى ﷺ فى النمل فقال: ﴿**قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله**﴾ [الآية: ٦٥] يقول: يسالونك عن القيامة متى قيامها، فقال: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ [آية: ٤٣] أى من أين تعلم ذلك ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ [آية: ٤٤] يقول: منتهى علم ذلك إلى الله عز وجل، نظيرها فى الأعراف، ثم قال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [آية: ٤٥] يقول: إنما أنت رسول تنذر بالساعة من يخشى ذلك اليوم، ثم نعت ذلك اليوم فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ الساعة يظنون أنهم ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ فى الدنيا ونعيمها ﴿إِلَّا عَشِيَّةً﴾ وهى ما بين صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس ﴿أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [آية: ٤٦] يقول: أو ما بين طلوع الشمس إلى أن ترتفع الشمس على قدر عشية الدنيا أو ضحا الدنيا.

* * *

سُورَةُ عَبَسَ

مكية عددها اثنتان وأربعون آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾﴾

قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [آية: ١] يقول: عبس بوجهه وأعرض إلى غيره نزلت فى عبد الله بن أبى مسرح الأعمر، وأمه أم مكتوم، اسمه عمرو بن قيس بن زائدة بن رواحة بن الأصم بن حجر بن عبد ود بن بغيض بن عامر بن لؤى بن غالب.

وأما أم مكتوم: اسمها عاتكة بنت عامر بن عتكة بن عامر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى، وذلك أنه ذات يوم كان جالسًا فى المسجد الحرام وحده ليس معه ثان وكان رجلا مكفوف البصر، إذ نزل ملكان من السماء ليصليا فى المسجد الحرام، فقالا: من هذا الأعمى الذى لا يبصر فى ادنيا ولا فى الآخرة؟ قال أحدهما: ولكن أعجب من أبى طالب يدعو الناس إلى الإسلام! وهو لا يبصرهما، ويسمع ذلك، فقام عبد الله حتى أتى رسول الله ﷺ وإذا معه أمية بن خلف، والعباس بن عبد المطلب وهما قيام بين يديه يعرض عليهما الإسلام، فقال عبد الله: يامحمد، قد جئتك تائبًا فهل لى من توبة؟ فأعرض النبى ﷺ وجهه عنه، وأقبل بوجهه إلى العباس وأمية بن خلف، فكرر عبد الله كلامه فأعرض النبى ﷺ بوجهه وكلح فاستحيى عبد الله وظن أنه ليس له توبة فرجع إلى منزله، فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ يعنى كلح النبى ﷺ وتولى ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [آية: ٢] ثم قال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يا محمد ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [آية: ٣] يقول: لعله أن يؤمن فيصلى فيتذكر فى القرآن بما قد أفسد ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ فى القرآن ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ [آية: ٤] يعنى المواعظة، يقول: أن تعرض عليه الإسلام فيؤمن فتنفعه تلك الكرى ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ [آية: ٥] عن الله فى نفسه يعنى أمية بن خلف ﴿فَأَنتَ لَهُۥ

تَصَدَّىٰ ﴾ [آية: ٦] يعنى تدعو وتقبل بوجهك ﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [آية: ٧] يقول: وما عليك ألا يؤمن ولا يصلح ما قد أفسد، هؤلاء النفر.

﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ﴾ [آية: ٨] فى الحر ﴿وَهُوَ يَخۡشَىٰ﴾ [آية: ٩] الله يعنى بن أن كتوم ﴿فَأَنتَ عَنۡهُ﴾ يا محمد ﴿تَلَهَّىٰ﴾ [آية: ١٠] يعنى تعرض بوجهك عنه، ثم وعظ الله عز وجل النبى ﷺ أن لا يقبل على من استغنى عنه فقال: لا تقبل عليهولا تعرض عن من جاءك يسعى، ولا تقبل على من استغنى وتعرض عن من يخشى ربه، فلما نزلت هذه الآية فى ابن مكتوم، أكرمه النبى ﷺ واستخلفه بعد ذلك على المدينة مرتين فى غزواته، ثم انقطع الكلام، ثم استأنف فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾ [آية: ١١] يعنى آيات القرآن ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [آية: ١٢] يعنى الرب تعالى نفسه، يقول: من شاء الله تعالى فهمه يعنى القرآن، يقول من شاء ذكر، أن يفرض الأمر إلى عباده.

ثم قال: إن هذا القرآن ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ﴾ [آية: ١٣] يعنى فى كتب مكرمة ﴿مَّرۡفُوعَةٖ﴾ يعنى به اللوح المحفوظ، مرفوعة فوق السماء الرابعة، نظيرها فى الواقعة عند الله ﴿مُّطَهَّرَةِۭ﴾ [آية: ١٤] من الشرك والكفر ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ﴾ [آية: ١٥] يعنى تلك الصحف بأيدى كتبة كرام مسلمين، ثم اثنى على الملائكة الكتبة، فقال: ﴿كِرَامِۭ﴾ يعنى مسلمين، وهم الملائكة ﴿بَرَرَةٖ﴾ [آية: ١٦] يعنى مطعين لله تعالى أنقياء أبرار من الذنوب، وكان ينزل إليهم من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا فى ليلة القدر، إلى الكتبة من الملائكة، ثم ينزل به جبريل إلى النبى ﷺ، ثم انقطع الكلام، فذلك قوله: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ يعنى لعن الإنسان ﴿مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ [آية: ١٧] يقول: الذى أكفره، نزلت هذه الآية فى عتيبة بنأبى لهب بن عبد المطلب، وذلك أنه كان غضب على أبيه فأتى محمدًا ﷺ فآمن به، فلما رضى أبوه عنه وصالحه وجهزه وسرحه إلى الشام بالتجارات فقال: بلغوا محمدًا عن غتبة أنه قد كفر بالنجم، فلما سمع ذلك النبى ﷺ، قال: اللهم سلط عليه كلبك يأكله فنزل ليلا فى بعض الطريق فجاء الأسد فأكله، ثم قال وهو يعلم: ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ

خَلَقَهُۥ﴾ [آية: ١٨] فأعلمه كيف خلقه ليعتبر فى خلقه فقال: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [آية: ١٩] فى بطن أمه من نطفة، ثم من علقه، ثم من مضغة، ثم عظمًا، ثم روحًا، فقدر هذا الخلق فى بطن أمه ثم أخرج من بطن أمه ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ [آية: ٢٠] يعنى هون طريقه فى الخروج من بطن أمه يقول يسره للخروج أفلا يعتبر فيوحد الله فى حسن خلقه فيشكر الله فى نعمه ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ﴾ عند أجله ﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [آية: ٢١].

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [آية: ٢٢] فى الآخرة يعنى إذا شاء بعثه من بعد موته ﴿كَلَّا﴾ لا يؤمن الإنسان بالنشور، ثم استأنف فقال: ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [آية: ٢٣] يعنى ما عهد الله إليه أمر الميثاق الأول، يعنى التوحيد، يعنى بهآدم، عليه السلام، ثم استأنف ذكر ما خلق عليه، فذكر رزقه ليعتبر.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾

فقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعنى عتبة بن أبى لهب ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [آية: ٢٤] يعنى رزقه ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ [آية: ٢٥] على الأرض يعنى المطر ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ [آية: ٢٦] يعنى عن النبت والشجر ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ [آية: ٢٧] يعنى الحبوب كلها ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ [آية: ٢٨] يعنى به الرطاب ﴿وَزَيْتُونًا﴾ يعنى الرطبة التى يعصر منها الزيت ﴿وَنَخْلًا﴾ [آية: ٢٩] ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ [آية: ٣٠] يعنى الشجر الملتف الشجرة التى يدخل بعضها فى جوف بعض ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [آية: ٣١] يعنى المرعى ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ﴾ يقول: فى هذا كله متاعًا لكم ﴿وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [آية: ٣٢] ففى هذا معتبر، وقال النبى ﷺ: «خلقتم من سبع، ورزقتم من سبع، وخرجتم على سبع».

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ [آية: ٣٣] يعنى الصيحة صاخت أسماع الخلق بالصيحة من الصائح يسمعها الخلق، ثم عظم الرب عز وجل، ذلك فقال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾

[آية: ٣٤] يعنى لا يلتفت إليه ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾ [آية: ٣٥].

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ يعنى وامرأته ﴿وَبَنِيهِ﴾ [آية: ٣٦] ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [آية: ٣٧] يعنى إذا وكل بكل إنسان ما يشغله، عن هؤلاء الأقرباء ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ [آية: ٣٨] يعنى فرحة بهجة، ثم نعتها فقال: ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [آية: ٣٩] لما أعطيت منالخير واكرامة،قال: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [آية: ٤٠] يعنى السواد كقوله: ﴿سنسمه﴾ بالسواد ﴿على الخرطوم﴾ [القلم: ١٦] ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [آية: ٤١] يعنى يغشاها الكسوف وهى الظلمة، ثم أخبر الله عز وجل عنهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين كتب الله هذا لهم الشر فى الآخرة ﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ﴾ يعنى الجحدة والظلمة وهم ﴿ٱلْفَجَرَةُ﴾ [آية: ٤٢] يعنى الكذبة.

قال النبى ﷺ: «نزل القرآن فى ليلة القدر جميعًا كله من اللوح المحفوظ إلى السفرة من الملائكة فى السماء الدنيا، ثم أخبر به جبريل ﷺ فى عشرين شهرًا، ثم أخبر به جبريل النبى ﷺ فى عشرين سنة».

* * *

سُورَةُ التَّكوِير

مكية عددها تسع وعشرون آية كوفى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ﴿١٣﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [آية: ١] فذهب ضوؤها ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ [آية: ٢] يعنى اكدارت الكواكب وتناثرت ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ﴾ [آية: ٣] من أماكنها واستوت بالأرض كما كانت أول مرة ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾ [آية: ٤] يعنى وإذا النوق الحوامل أهملت، يعنى الناقة الحاملة نسيها أربابها، وذلك أنه ليس شيء أحب إلى الأعراب من الناقة الحاملة، يقول: أهملها أربابها للأمر الذى عاينوه ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾ [آية: ٥] يعنى جمعت ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾ [آية: ٦] يعنى فجرت بعضها فى جوف بعض العذب والمالح، ملئت فى البحر المسجور، يعنى الممتلئ، فصارت البحور كلها بحرًا واحدًا مثل طشت فيه ماء.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [آية: ٧] أزوجت أنفس المؤمنين مع الحور العين، وأزوجت أنفس الكافرين مع الشياطين، يعنى ابن آدم وشيطانه مقرونًا فى السلسلة الواحدة زوجان، نظيرها فى سورة الصافات، قوله عز وجل: ﴿**احشروا الذين ظلموا وأزواجهم**﴾ [الصافات: ٢٢]، يعنى قرناءهم ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ﴾ [آية: ٨] يعنى دفن البنات، وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا ولدت له الابنة دفنها فى التراب، وهى حية، فذلك قوله: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾ [آية: ٩] سأل قاتلها بأى ذنب قتلها، وهى حية لم تذنب قط ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ [آية: ١٠] وذلك أن المرء إذا مات طويت صحيفته، فإذا كان يوم القيامة نشرت للجن والإنس فيطعون كتبهم،

فتعطيهم الحفظة منشورًا بأيمانهم وشمائلهم ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ [آية: ١١] عن من فيها لنزول الرب تبارك وتعالى والملائكة، ثم طويت.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾ [آية: ١٢] يعنى أوقدت لأعدائه ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ﴾ [آية: ١٣] يعنى قربت لأوليائه ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ [آية: ١٤] يعنى علمت ما عملت فاستيقنت من خير، أو شر تجزى به كل هذا يوم القيامة.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

ثم أقسم الرب تعالى، فقال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ يعنى أقسم ﴿بِٱلۡخُنَّسِ﴾ [آية: ١٥] وهى خمس من الكواكب، بهرام، والزهرة، وزحل، والبرجهس، يعنى المشترى، وعطارد، والخنس التى خنست بالنهار فلا ترى، وظهرت بالليل فترى، قال: ﴿ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ [آية: ١٦] لأنهن يجرين فى السماء الكنس، يعنى تتوارى كما تتوارى الظباء فى كناسهن ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ [آية: ١٧] يعنى إذا أظلم ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [آية: ١٨] يعنى إذا أضاء لونه فأقسم الله تعالى بهؤلاء الآيات أن هذا القرآن ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [آية: ١٩] على الله، يعنى جبريل، عليه السلام، هو علم محمدًا ﷺ ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ يعنى ذا لطش، وذلك أن النبى ﷺ حين بعث، قال إبليس: من لهذا النبى الذى خرج من أرض تهامة؟ فقال شيطان، واسمه الأبيض، هو صاحب الأنبياء: أنا له، فأتى النبى ﷺ، فوجده فى بيت الصفا، فلما انصرف قام الأبيض فى صورة جبريل ﷺ ليوحى إليه، فنزل جبريل، عليه السلام، فقام وبينه وبين النبى ﷺ فدفعه جبريل ﷺ بيده دفعة هينة فوقع من مكة بأقصى الهند من فرقه. ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ [آية: ٢٠] جبريل، عليه السلام، يقول: وهو وجيه عند الله عز وجل.

ثم قال: ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ﴾ يعنى هنالك فى السماوات، كقوله: ﴿**وأزلفنا**﴾ يعنى قربنا ﴿**ثم**﴾ يعنى هنالك، وكقوله: ﴿**وإذا رأيت ثم**﴾ [الإنسان: ٢٠] يعنى هنالك، وذلك أن النبى ﷺ ليلة عرج به إلى السماوات رأى إبراهيم ﷺ وموسى، عليها السلام،

فصافحوه وأداره جبريل على الملائكة فى السماوات فاستبشروا به، وصافحوه، ورأى مالكًا خازن النار، فلم يكلمه و لم يسلم عليه، فقال النبى ﷺ لجبريل، عليه السلام: «من هذا»؟ قال: هذا مالك خازن جهنم لم يتكلم قط، وهؤلاء النفر معه، فخزنة جهنم نزعت منهم الرأفة والرحمة، وألقى عليهم العبوس، والغضب على أهل جهنم، أما إنهم لو كلموا أحدًا منذ خلقوا لكلموك لكرامتك على الله عز وجل، فقال النبى ﷺ: «قل له، فليكشف عن باب منها»، فكشف عن مثل منخر الثور منها، فتخلخلت فجاءت بأمر عظيم، حسبت أنها الساعة حتى أهيل منها النبى ﷺ، فقال لجبريل: «مره فليردها»، فأمره جبريل، صلى الله عليه، فأطاعه مالك، عليه السلام، فردها، فذلك قوله: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [آية: ٢١] يسمى أمينًا لما استودعه عز وجل من أمره فى خلقه.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [آية: ٢٢] يعنى النبى ﷺ، وذلك أن كفار مكة قالوا: إن محمدًا مجنون، وإنما تقوله من تلقاء نفسه، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [آية: ٢٣] يعنى من قبل المطلع، وذلك أن النبى ﷺ رأى جبريل، عليه السلام، فى صورته من قبل المشرق بجبال مكة، قد ملأ الأفق وجلاه فى الأرض، ورأسه فى السماء، وجناح له من قبل المشرج، وجناح له من قبل المغرب، فى صورة البشر، فقال: أنا جبريل، وجعل يمسح عن وجهه، ويقول: أنا أخوك أنا جبريل، حتى أفاق، فقال المؤمنون: ما رأيناك منذ بعثت أحسن منك اليوم، فقال النبى ﷺ: «أتانى جبريل، عليه السلام، فى صورته، فعلقنى هذا من حسنه».

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [آية: ٢٤] بظنين، يعنى وما محمد ﷺ على القرآن بمتهم، ومن قرأ بضنين يعنى ببخيل، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [آية: ٢٥] يعنى ملعون، وذلك أن كفار مكة، قالوا: إنما يجئ به الرى، وهو الشيطان، واسمه الرى فيلقيه على لسان محمد ﷺ فيها تقديم، يقول لكفار مكة: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [آية: ٢٦] يعنى أين تعجلون عن كتابى وأمرى لقولهم إن محمدًا مجنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٢٧] يعنى ما فى القرآن إلا تذكرة وتفكر للعالمين ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [آية: ٢٨] على الحق، ثم رد المشيئة إلى نفسه، فقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الاستقامة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٢٩].

قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أظلم عن كل دابة، الخنافس، والحيات، والعقارب، والسباع، والوحوش.

* * *

سُورَةُ الانفِطَار

مكية، عددها تسع عشرة آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥)﴾

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [آية: ١] يعنى انشقت، يعنى انفرجت من الخوف لنزول الرب عز وجل والملائكة، ثم طويت ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [آية: ٢] يعنى تساقطت ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ﴾ يعنى العذب والمالح ﴿فُجِّرَتْ﴾ [آية: ٣] بعضها فى جوف بعض، فصارت البحار بحرًا واحدًا فامتلأت ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [آية: ٤] يعنى بحثت عن من فيها من الموتى ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ من خير ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ [آية: ٥] من سيئة.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (١٩)﴾

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [آية: ٦] نزلت فى أبى الأشدين، اسمه أسيد بن كلدة، وكان أعور شديد البطش، فقال: لئن أخذت بحلقة من باب الجنة ليدخلنها بشر كثير، ثم قتل يوم فتح مكة، يعنى غره الشيطان. ثم قال: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [آية: ٧] يعنى فقومك ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [آية: ٨] يعنى لو شاء ركبك فى غير صورة الإنسان.

﴿كَلَّا﴾ لا يؤمن هذا الإنسان بمن خلقه وصوره، ثم قال: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ [آية: ٩] يعنى الحساب ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [آية: ١٠] من الملائكة يحفظون

أعمالكم ثم نعتهم، فقال: ﴿كِرَامًا﴾ يعنى مسلمين ﴿كَٰتِبِينَ﴾ [آية: ١١] يكتبون أعمال بنى آدم بالسريانية، فبأى لسان تكلم ابن آدم؟ فإنه إنما يكتبونه بالسريانية والحساب بالسريانية، وإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية على لسان محمد ﷺ ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [آية: ١٢] من الخير والشر فيكتبون ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ يعنى المطيعين لله فى الدنيا ﴿لَفِى نَعِيمٍ﴾ [آية: ١٣] يعنى نعيم الآخرة.

﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾ يعنى الظلمة فى الدنيا ﴿لَفِى جَحِيمٍ﴾ [آية: ١٤] يعنى النار يعنى ما عظم منه ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يصلون الجحيم ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ١٥] يعنى يوم الحساب يوم يدان بين العباد بأعمالهم ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ [آية: ١٦] يعنى الفجار محضرون الجحيم لا يغيبون عنها.

ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ١٧] تعظيمًا له، كرره، فقال: ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ١٨] يعنى يوم الحساب، ثم أخبر بنبيه ﷺ عن يوم الدنيا، فقال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ﴾ يعنى لا تقدر ﴿نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ يعنى من المنفعة، ثم قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [آية: ١٩] يعنى يوم الدين كله لله وحده، يعنى لا يملك يومئذ أحد غيره، وحده.

* * *

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

مدنية، عددها ست وثلاثون آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥)﴾

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [آية: ١] الويل واد فى جهنم بعده مسيرة سبعين سنة، فيه تسعون ألف شعب، فى كل شعب سبعون ألف شق، فى كل شق سبعون ألف مغار، فى كل مغار سبعون ألف قصر، فى كل قصر سبعون ألف تابوت من حديد، وفى التابوت سبعون ألف شجرة، فى كل شجرة سبعون ألف غصن من نار، فى كل غصن سبعون ألف ثمرة، فى كل ثمرة دودة طولها سبعون ذراعًا، تحت كل شجرة سبعون ألف ثعبان، وسبعون ألف عقرب، فأما الثعابين فطولهن مسيرة شهر فى الغلظ مثل الجبال، وأنيابها مثل النخل، وعقاربها مثل البغال الدهم لها ثلاث مائة وستون فقار، فى كل فقار قلة سم، وذلك أن رسول الله ﷺ حين خرج إلى المدينة، وكان بسوق الجاهلية لهم كيلين وميزانين معلومة لا يعاب عليهم فيها، فكان الرجل إذا اشترى اشترى بالكيل الزائد، وإذا باعه باعه بالناقص، وكانوا يربحون بين الكيلين، وبين الميزانين، فلما قدم النبى ﷺ المدينة قال لهم: «ويل لكم مما تصنعون»، فأنزل الله تعالى التصديق على لسانه، فقال: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ .

ثم ذكر مساوئهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [آية: ٣] يعنى ينقصون، ثم خوفهم، فقال: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الذين يفعلون هذا ﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ٥].

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦) كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ (٧) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ

﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ٦] فهو مقدار ثلاث مائة عام إذا أخرجوا من قبورهم، فهم يجولون بعضهم إلى بعض قيامًا ينظرون، ثم خوفهم أيضًا، فقال: ﴿كَلَّا﴾ وهى وعيد مثل ما يقول الإنسان: والله، يحلف بربه والله تعال لا يقول: والله، ولكنه يقول: كلا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [آية: ٧] يعنى أعمال المشركين مكتوبة مختومة بالشر، موضوعة تحت الأرض السفلى، تحت خد إبليس، لأنه أطاعه، وعصى ربه، فذلك قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ [آية: ٨] تعظيمًا لها.

قال: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [آية: ٩] ووعدهم أيضًا، فقال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ١٠] بالبعث ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [آية: ١١] يعنى بيوم الحساب الذى فيه جزاء الأعمال، فقال: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ﴾ بالحساب ﴿إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [آية: ١٢] يقول: معتد بربه حيث شك فى نعمته، وتعبد غيره، فهو المعتد، أثيم قلبه ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ يعنى القرآن ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٣] يعنى به كتاب الأولين، مثل كتاب رستم، وأسفندباز، نزلت هذه الآية فى النضر بن الحارث بن علقمة، قدم الحيرة، فكتب حديث رستم وأسفندباز، فلما قدم، قال: ما يحدثكم محمد؟ قالوا: حدثنا عن القرون الأولى، قال: وأنا أحدثكم بمثل ما يحدثكم به محمد أيضًا، فأنزل الله عز وجل، وفيه: ﴿**ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوًا**﴾ [لقمان: ٦]، فذلك قوله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

ثم وعدهم، فقال: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [آية: ١٤] يقول: طبعنا على قلوبهم، فهم لا يبصرون إلى مساوئهم، فيقلعون عنها، ثم أوعدهم، فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [آية: ١٥] لأن أهل الجنة يرونه عيانًا لا يحجبهم عنه، ويكلمهم، وأما الكافر، فإنه يقام خلف الحجاب فلا يكلمهم الله تعالى ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم حتى يأمر بهم إلى النار ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ﴾ يعنى إذا حجبوا عن ربهم ﴿لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم ﴿هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ١٧] وذلك أن أهل النار يقول لهم مالك خازن النار هذه: ﴿**النار التى كنتم بها تكذبون**﴾ [سبأ: ٤٢]، ﴿**أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجون ما كنتم تعملون**﴾ [الطور: ١٥، ١٦]، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

ثم أوعدهم، فقال: ﴿كَلَّآ﴾ ثم انقطع الكلام، ثم رجع إلى قوله في: ويل للمطفين، فقال: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [آية: ١٨] لفي ساق العرش، يعني أعمال المؤمنين وحسناتهم ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [آية: ١٩] تعظيمًا لها، فقال: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [آية: ٢٠] يعني كتاب من كتب الخير مختوم ختم بالرحمة مكتوب عند الله عز وجل ﴿يَشْهَدُهُ﴾ يشهد ذلك ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [آية: ٢١] وهم الملائكة من كل سماء سبعة أملاك من مقربي أهل كل سماء يشيعون ذلك العمل الذي يرضاه الله حتى ثبوته عند الله جل وعز، ثم يرجع كل ملك إلى مكانه.

ثم ذكر الأبرار، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [آية: ٢٢] يعني نعيم الجنة، ثم بين ذلك النعيم، فقال: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [آية: ٢٣] إلى ذلك النعيم وهي السرر والحجال، فإذا كان سريرًا، ولم يكن عليه حجلة فهو السرير حينئذ، وإذا كانت الحجلة، ولم يكن فيها سرير فهي الحجلة، فإذا اجتمع السرير والحجلة، فهي الأرائك يعني هؤلاء جلوس ينظرون إلى ذلك النعيم.

يقول: ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [آية: ٢٤] لأنه يعلق في وجهه النور من الفرح والنعيم، فلا يخفى عليك إذا نظرت إليهم فرحون، ثم قال: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ [آية: ٢٥] وهو الخمر الأبيض إذا انتهى طيبه ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ إذا شرب وفرغ ونزع الإناء من فيه وجد طعم المسك ﴿وَفِى ذَٰلِكَ﴾ يعني فليتنازع المتنازعون، وفيه فليرغب الراغبون.

ثم قال: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [آية: ٢٦] يعني فليتنازع المتنازعون، وفيه فليرغب

الراغبون، ثم قال: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنًا﴾ من جنة عدن، فتنصب عليهم أنصبابًا، فذلك قوله: ﴿يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [آية: ٢٨] يقول: يشربون به الخمر من ذلك الماء، وهم أهل جنة عدن، وهى أربعة جنان، وهى قصبة الجنة، ماء تسنيم يخرج من جنة عدن، والكوثر، والسلسبيل، ثم انقطع الكلام، قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ [آية: ٢٩] نزلت هذه الآية فى على بن ابى طالب وأصحابه، وذلك أنهم كانوا يمرون كل يوم على المنافقين واليهود وهم ذاهبون إلى رسول الله ﷺ، فإذا رأوهم سخروا منهم وتغامزوا فى أمرهم، وضحكوا منهم، وإذا رجعوا إلى أصحابهم، ضحكوا منهم، وذلك أن عبد الله بن نتيل لقى بدعة بن الأقرع، فقال: أشعرت أنا رأينا اليوم الأصلع فضحكنا من؟ قال: كيف؟ قال: لأنه يمشى بين أيديهم، وهم خلفه لا يجاوزنه، كأنه هو الذى يدلهم على الطريق، فسمع بذلك أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، فشق عليه وعلى أصحابه فتركوا ذلط الطريق وأخذوا طريقًا آخر، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾. ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ [آية: ٣١] يعنى عبد الله بن نتيل، يعنى إذا راجعوا إلى قومهم رجعوا معجبين بما هم عليه من الضلالة بما فعلوا بعلى وأصحابه، رحمهم الله، ﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ﴾ [آية: ٣٣].

ثم أخبر بجزائهم على الله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ والأرائك السرير فى الحجلة، يقول: جلوس فى الحجلة يضحكون من أعدائهم، وذلك أن لكل رجل من أهل الجنة ثلمة، ينظرون إلى أعداء الله كيف يعذبون؟ فإذا نظروا إلى أهل النار وما يلقون هم من رحمة الله عز وجل، وعرفوا أن الله قد أكرمهم، فهم ضاحكون من أهل النار، ويكلمونهم حتى يطبق على أهل النار أبوابها فى عمد من حديد من نار كأمثال الجبال، فإذا أطبقت عليهم انسدت تلك الكوى، فيمحو الله أسماءهم ويخرجهم من قلوب المؤمنين، فذل قوله: ﴿يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [آية: ٣٦] يعنى ينظرون من الكوى، فإذا رأوهم، قالوا: والله قد ثوب الكفار ما كانوا يفعلون.

* * *

سُورَةُ الانْشِقَاقِ

مكية، عددها خمس وعشرون آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ ﴾

قوله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [آية: ١] يقول: انشقت لنزول رب العزة والملائكة، فإنها تنشق حتى يرى طرفاها، ثم يرى خلقًا باليًا، وذلك أن أخوين من بنى أمية، أحدهما اسمه عبد الله بن عبد الأسد، والآخر اسمه الأسود بن عبد الأسد، أحدهما يؤمن بالله واسمه عبد الله، وأما الآخر فاسمه الأسود، وهو الكافر، فقال لأخيه عبد الله: آمنت بمحمد؟ قال: نعم، قال: ويحك إن محمدًا يزعم إذا متنا ومنا ترابًا، فإنا لمبعوثون فى الآخرة، ويزعم أن الدنيا تنقطع، فأخبرنى ما حال الأرض يومئذ.

فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [آية: ٢] يقول: انشقت وسمعت لربها وأطاعت، وكان يحق لها ذلك ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [آية: ٣] مثل الأديم المدود ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الحيوان ﴿وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [آية: ٥] يقول: سمعت لربها وأطاعت، وكان يحق لها ذلك.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾

ثم قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعنى بالإنسان الأسود بن عبد الأسد ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ إنك ساع إلى ربك سعيًا ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ [آية: ٦] بعملك، ثم قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [آية: ٧] وهو عبد الله بن عبد الأسد، ويكنى أبا سلمة ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [آية: ٨] يقول: باليسير، بأن الله لا يغير حسناته ولا يفضحه.

وذلك أن الله عز وجل إذا جمع الخلائق يوم القيامة، فإنهم يومج بعضهم فى بعض، مقدار ثلاث مائة سنة، حتى إذا استوى الرب جل وعز على كرسيه ليحاسب خلقه، فإذا جاء الرب تبارك وتعالى والملائكة صفًا صفًا، فينظرون إلى الجنة، وإلى النار، ويجاء بالنار، من مسيرة خمس مائة عام، عليها تسعون ألف زمام، فى كل زمام سبعون ألف ملك، متعلق يحبسونها عن الخلائق، طول عنق أحدهم مسيرة سنة، وغلظها مسيرة سنة، ما بين منكبى أحدهم مسيرة خمسين سنة، وجوههم مثل الجمر، وأعينهم مثل البرق، إذا تكلم أحدهم، تناثرت من فيه النار، بيد كل واحد منهم مرزبة، عليها ثلاث مائة وستون رأسًا، كأمثال الجبال، هى أخف بيده من الريشة، فيجئون بها فيسوقونها، حتى تقام عن يسار العرش.

ويجاء بالجنة يزفونها كما تزف العروس إلى زوجها، حتى تقام عن يمين العرش، فإذا ما عاين الخلائق النار، وما أعد الله لأهلها، ونظروا إلى ربهم وسكتوا، فانقطعت عند ذلك أصواتهم، فلا يتكلم أحد منهم من فرق الله وعظمته، ولما يرون من العجائب من الملائكة، ومن حملة العرش، ومن أهل السماوات، ومن جهنم، ومن خزنتها، فانقطعت أصواتهم عند ذلك.

وترتعد مفاصلهم، فإذا علم الله ما اصاب أولياءه من الخوف، وبلغت القلوب الحناجر، فيقوم مناد عن يمين العرش، فينادى: ﴿**يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون**﴾ [الزخرف: ٦٨]، فيرفع عند ذلك الإنس والجن كلهم رءوسهم والمؤمنون والكفار، لأنهم عباده كلهم، ثم ينادى فى الثانية: ﴿**الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين**﴾ [الزخرف: ٦٩]، فيرفع المؤمنون رءوسهم، وينكس أهل الأديان كلهم رءوسهم، والناس سكوت مقدار أربعين عامًا، فذلك قوله: ﴿**هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون**﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

وقوله: ﴿**لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا**﴾ [النبأ: ٣٨]، وقال: لا إله إلا الله، فذلك الصواب، وقوله: ﴿**وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا**﴾ [طه: ١٠٨]، فلا يجبهم الله، ولا يكلمهم، ولا يتكلمون هم مقدار أربعين سنة، يقول بعد ذلك لملك من الملائكة، وهو جبريل، عليه السلام: ناد الرسل وابدأ بالأمى، قال: فيقوم الملك، فينادى عند ذلك أين النبى الأمى؟ فتقول الأنبياء عند ذلك: كلنا نبيون وأميون فبين بين، فيقول النبى العرب الأمى الحرمى، فيقوم عند ذلك رسول

الله ﷺ فيرفع صوته بالدعاء، فيقول: كم من ذنب قد عملتموه ونسيتموه، وقد أحصاه الله، رب لا تفضح أمتى، قال: فلا يزال يدنو من الله تعالى، حتى يقوم بين يديه، أقرب خلقه إليه، فيحمد الله ويثنى عليه، ويذكر من الثناء على الله تعالى والحمد، حتى تعجب الملائكة منه والخلائق.

فيقول الله عز وجل: قد رضيت عنك يا محمد، اذهب فناد أمتك، فينادى، وأول ما يدعو يدعو من أمته عبد الله بن عبد الأسد(١) أبا سلمة، فلا يزال يدنو فيقربه الله عز وجل منه فيحاسبه حسابًا يسيرًا، واليسير الذى لا يأخذه بالذنب الذى عمله، ولا يغضب الله عز وجل عليه، فيجعل سيئاته داخل صحيفته وحسناته ظاهر صحيفته، فيوضع على رأسه التاج من ذهب عليه تسعون ألف ذؤابة، كل ذؤابة درة تساوى مال المشرق والمغرب ويلبس سبعين حلة من الاستبرق والسندس، فالذى يلى جسده حريرة بيضاء.

فذلك قوله: ﴿**ولباسهم فيها حرير**﴾ [الحج: ٢٣]، ويسور بثلاث أسورة، سوار من فضة، وسوار من ذهب، وسوار من لؤلؤ، ويوضع إكليل مكلل بالدر والياقوت، وقد تلألأ فى وجهه، من نور ذلك، فيرجع إلى إخوانه من المؤمنين، فينظرون إليه وهو جاء من عند الله، فتقول الملائكة والناس والجن: والله لقد أكرم الله هذا، لقد أعطى الله لهذا، فينظرون إلى كتابه فإذا سيئاته باطن صحيفته، وإذا حسناته ظاهر كتابه، فتقول عند ذلك الملائكة ما كان أذنب هذا الآدمى ذنبًا قط، والله، لقد اتقى هذا العبد، فحق أن يكرم مثل هذا العبد، وهم لا يشعرون أن سيئاته باطن كتابه، وذلك لمن أراد الله تعالى أن يكرمه ولا يفضحه، قال: فيأتى إخوانه من المسلمين، فلا يعرفونه، فيقول: أتعرفونى؟ فيقولون كلهم: لا، والله، فيقول: إنما برحت الساعة، وقد نسيتونى، فيقول: أنا ابو سلمة، أبشروا بمثله يا معشر الإخوان، لقد حاسبنى ربى حسابًا يسيرًا، وأكرمنى، فذلك قوله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ .

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ يقول: إلى قومه ﴿مَسْرُورًا﴾ [آية: ٩] فيعطى كتابه بيمينه: ﴿**فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه إنى ظننت أنى ملاق حسابيه**﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠] إلى

---

(١) فى الأصل بن عبد الأسود، وقد أورد فى أول السورة، عبد الله بن عبد الأسد، أخو الأسود بن عبد الأسد.

آخر القصة، ثم ينادى مناد بالأسود بن عبد الأسد، أخى عبد الله المؤمن فيريد الشقى أن يدنو، فينتهرونه، ويشق صدره حتى يخرج قلبه من وراء ظهره من بين كتفيه، ويعطى كتابه، ويجعل كل حسنة عملها فى دهره فى باطن صحيفته، لأنه لم يؤمن بالإيمان، وتجعل سيئاته ظاهر صحيفته، ويحجب عن الله عز وجل فلا يراه، ولكن ينادى مناد من عند العرش يذكره مساوئه.

فكلما ذكر مساوئه، قال: أنا أعرف هذا، لعنه الله، فتجئ اللعنة من عند الله عز وجل، حتى تقع عليه، فيلطخ باللعنة، فيصير جسده مسيرة شهر فى طول مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن، ورأسه مثل الأقرع، وهو جبل عظيم بالشام وأنيابه مثل أحد، وحدقتاه مثل جبل حراء، الذى بمكة، ومنخره مثل الووقين وهما جبلان، وشعره فى الكثرة مثل الأجمة، وفى الطول مثل القصب، وفى الغلظ مثل الرماح، ويوضع على رأسه تاج من نار، ويلبس جبة من نحاس ذائب، ويقلد حجرًا من كبريت، مثل الجبل تشتعل فيه النار، وتغل يداه إلى عنقه، ويسود وجهه، وهو أشد سوادًا من القبر، فى ليلة مظلمة، وتزق عيناه، فيرجع إلى إخوانه، فأول ما يرونه يفزع منه الخلائق حتى يمسكوا على آنافهم من شدة نتنه، فيقولون: لقد أهان الله هذا العبد، لقد أخزى الله هذا العبد، فينظرون إلى كتابه، فإذا سيئاته ظاهرة، وليس له من الحسنات شىء، يقولون: أما كان لهذا العبد فى الله عز وجل حاجة، ولا خافه يومًا قط، ولا ساعة، فحق لهذا العبد، إذ أخزاه الله وعذبه، فتلعنه الملائكة أجمعون، فإذا رجع إلى الموقف لم يعرفه أصحابه، فيقول: أما تعرفونى؟ قالوا: لا والله، فيقول: أنا الأسود بن عبد الأسد، فينادى بأعلى صوته، فيقول: ﴿**يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليه**﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٨].

يقول: يا ليت كان الموت أن أموت فاستريح من هذا البلاء هلك عن حجتى اليوم، ثم يقول: الويل، فيبشر أخوه المؤمنين، ويبشر هذا الكفار، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [آية: ١٢] يقول: يدعو بالويل، ويدخل النار، يقول: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [آية: ١٣] يقول فى قومه كريمًا، قال فيذله الله عز وجل يوم القيامة، قال: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [آية: ١٤] يقول: أن لن يبعث الله تعالى ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ﴾ يقول الذى خلقه ﴿بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [آية: ١٥] إنه شهيد لعلمه.

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾ ﴾

ثم أقسم الرب عز وجل، فقال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [آية: ١٦] فأما الشفق فهو الضوء الذى يكون بعد غروب الشمس إلى أن تغيب، قال: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [آية: ١٧] يقول: ما ساق من الظلمة ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ [آية: ١٨] فى ليلة ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة، فهن البيض، فهو يستوى فى الشهر ثلاث ليال يشتد ضوءه، ويجتمع من ثلاث عشرة، فأقسم الله عز وجل بالشفق، والليل وما وسق، والقمر إذا اتسق ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ هذا العبد ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ [آية: ١٩] يقول: حالاً بعد حال يقول: خلقًا من نطفة، ثم صارت النطفة علقة، ثم صارت العلقة مضغة، ثم صارت إنسانًا ميتًا فى بطن أمه، حتى نفخ فيه الروح، ثم صار إنسانًا حيًا، ثم أخرجه الله تعالى فى بطن أمه، حتى نفخ فيه الروح، ثم صار إنسانًا حيًا، ثم أخرجه الله تعالى من بطن أمه، فكان طفلاً، ثم يبلغ أشده، ثم شاخ وكبر، ثم مات ولبث فى قبره، حتى صار ترابًا، ثم أنشأه الله عز وجل بعد ذلك يوم القيامة.

قال: ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٢٠] بالبعث وقد كانوا من قبل هذا الذى وصفته ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩﴾ [آية: ٢١] وذلك أن رسول الله ﷺ قرأ ذات يوم ﴿**واسجد واقترب**﴾ [العلق: ٣٥]، فسجد وسجد المؤمنون معه، وكانت قريش يصفقون فوق رءوسهم، ويصفرون وكان الذى يصفر قريب القرابة من رسول الله ﷺ، فذلك قوله: ﴿**وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية**﴾ [الأنفال: ٣٥]، فلما سجد رسول الله ﷺ لم يسجدوا وسخروا منه، وكان إذا قرأ آذوه بالصفير والتصفيق، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يقول: لكن الذين كفروا ﴿يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ [آية: ٢٣] يقول: بما يجمعون عليه من الإثم والفسوق ﴿فَبَشِّرۡهُم﴾ يا محمد ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٢٤] يقول: عذاب وجيع لأهل مكة كلهم، ثم استثنى لعلم قد سبق، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ [آية: ٢٥].

* * *

سُورَةُ البُرُوج

مكية، عددها اثنتان وعشرون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ (١) وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ (٤) ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ (٨) ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٩)﴾

قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [آية: ١] يقول: والسماء ذات النجوم، نظيرها فى تبارك: ﴿**الذى جعل فى السماء بروجًا**﴾، يقول: جعل فى السماء نجومًا، ﴿**وجعل فيها سراجًا**﴾، وهى الشمس ﴿**قمرًا منيرًا**﴾ [الفرقان: ٦١]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ [آية: ٢] يقول: هو يوم القيامة الذى وعد الله عز وجل أولياءه الجنة، ووأعداءه النار، فذلك قوله: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [آية: ٣] يقول: يوم النحر، والفطر، ويوم الجمعة، فهذا قسم إن ﴿**بطش ربك لشديد**﴾ [البروج: ١٢]، قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [آية: ٤] وذلك أن يوسف بن ذى نواس من أهل نجران كان حفر خدا، وأوقد فيه النار، فمن تكلم منهم بالتوحيد أحرقه بالنار، وذلك أنه كان قد آمن من قومه ثمانون رجلاً، وتسع نسوة، فأمرهم أن يرتدوا عن الإسلام، فأبوا فأخبرهم أنه سيعذبهم بالنار فرضوا لأمر الله عز وجل، فأحرقهم كلهم، فلم يزل يلقى واحدًا بعد واحد فى النار حتى مرت امرأة ومعها صبى لها صغير يرضع فلما نظرت المرأة إلى ولدها أشفقت عليه، فرجعت فعرضوا عليها أن تكفر فأبت فضربوها حتى رجعت فلم تزل ترجع مرة، وتشفق مرة، حتى تكلم الصبى فقال لها: يا أماه إن بين يديك نارًا لا تطفأ أبدًا، فلما سمعت قول الطفل أحضرت حتى ألقت نفسها فى النار، فجعل الله عز وجل أرواحهم فى الجنة، وأوحى الله تبارك وتعالى إلى نبيه محمد ﷺ قتل أصحاب الأخدود يوسف بن ذى نواس وأصحابه.

ثم ذكر مساوئهم، فقال: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ [آية: ٦] يعنى أصحابه قعود على شفة الخد ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [آية: ٧] قال: كانوا يعرفون أن يوسف بن ذى نواس ليس يعذب إلا بالإيمان، ثم قال: يتعجب من سوء صنعيهم، فقال: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ يقول: وأى ريبة رأوا منهم؟ ما عذبهم ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ فى نقمته ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ [آية: ٨] ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من السر والعلانية ﴿شَهِيدٌ﴾ [آية: ٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ نظيرها فى سورة ﴿والذاريات ذروا﴾ [الذاريات: ١]، يقول: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ [الذاريات: ١٣]، يعنى يحرقون.

ثم قال: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ من ذلك ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آية: ١٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١﴾

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وشهدوا أن لا إله إلا الله، فهو الصالحات، نظيرها حين قال الله عز وجل: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠]، فهو الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، يقول: يصعد ذلك إليه كله بشهادة أن لا إله إلا الله، ولولا هذا ما ارتفع لابن آدم عمل أبدًا، ثم قال: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يقول: البساتين تجرى من من تحتها الأنهار، وهى العيون خالدين فيها ما دامت الجنة، فهم دائمون أبدًا.

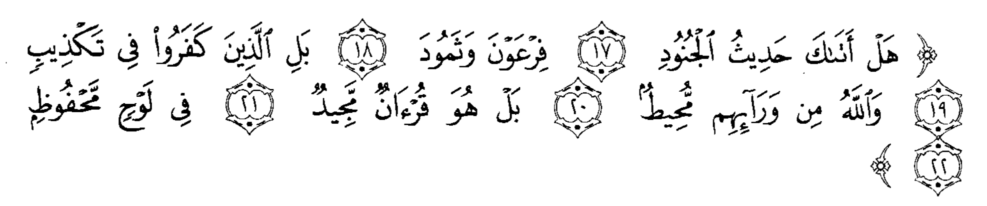
ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [آية: ١١] يقول: هذا النجاء الكبير، يقول: من زحزح عن النار، وأدخل الجنة فقد نجا نجاء عظيمًا.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾

ثم رجع إلى قسمه الذى كان أقسم فى أول السورة، فقال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [آية: ١٢] يقول: إن عذاب ربك لشديد يقول: إذا غضب بطش، وإذا بطش أهلك، ثم

عظم الرب عز وجل نفسه، فقال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [آية: ١٣] يقول: بدأ خلق النفس من نطفة ميتة ويحيه، ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ للذنوب الكبائر لمن تاب منها ﴿ٱلۡوَدُودُ﴾ [آية: ١٤] يقول: الشكور للعمل الصالح القليل إذا رضوه، يقول: اشكر العمل اليسير حتى أضاعفه للواحد عشرة فصاعدًا، ثم عظم الرب تبارك وتعالى، نفسه فقال: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ فإنه ما خلق الله عز وجل خلقًا أعظم من العرش لأن السموات والأرض قد غابتا تحت العرش كالحلقة فى الأرض الفلاة.

ثم قال: ﴿ٱلۡمَجِيدُ﴾ [آية: ١٥] الجواد الكريم ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [آية: ١٦] يقول: ليس يريد شيئًا إلا فعله، يقول: إن العبد يفرق من سيده أن يفعل ما يشاء، والسيد يفرق من أميره الذى هو عليه، والأمير يفرق من الملك، والملك يفرق من الله عز وجل، والله عز وجل لا يفرق من أحد أن يفعل، فذلك قوله تعالى: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ .


﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢ ﴾

﴿هَلۡ﴾ يعنى قد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ﴾ [آية: ١٧] فى القرآن ﴿فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾ [آية: ١٨] قد عرفت ما فعل الله عز وجل بقوم فرعون، حيث ساروا فى طلب، عليه السلام، وبنى إسرائيل، وكانوا ألف ألف وخمس مائة ألف، فساقهم الله تعال بآجالهم إلى البحر، فغرقهم الله أجمعين فمن الذى جاء يخاصمنى فيهم، قال: ﴿وَثَمُودَ﴾ وهم قوم صالح حيث عقروا الناقة وكذبوا صالحًا ثم تمتعوا فى دارهم ثلاثة أيام، فجاءهم العذاب يوم السبت غدوة حين نهضت الشمس ﴿**فدمدم عليهم ربهم بذنبهم**﴾ وجبريل، عليه السلام، الذى كان دمدم، لأنه صرخ صرخة فوقع بيوتهم عليهم فسواها، يقول: فسوى البيوت على قبورهم، لأنهم لما استيقنوا بالهلكة عمدوا فحفروا قبورًا فى منازلهم، وتحنطوا بالمر والصبر، قال: فسواها يقول: استوت على قبورهم، قال: فهل جاء أحد يخاصمنى فيهم، فذلك قوله: ﴿**ولا يخاف عقباها**﴾ [الشمس: ١٥]، قال: فاحذروا يا أهل مكة، فأنا المجيد الحق الذى ليس فوقى أحد.

ثم استأنف، فقال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٍ﴾ [آية: ١٩] يقول: لكن يا محمد الذين كفروا لا يؤمنون، فلما قال رسول الله ﷺ ذلك، وقرأ عليهم سأله رجل من جلسائه عن

علم الله عز وجل فى عباده شىء بدًا له من بعدما خلقهم، أو كان قبل أن يخلقوا؟ فـأنزل الله عز وجل، ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [آيـة: ٢٠] ﴿بَلْ هُوَ﴾ يعنـى لكـن هـو ﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [آية: ٢١] يقول: هو قرآن مجيد، يقول: هو كتاب مجيد ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [آية: ٢٢] قبل أن يخلقوا، وأن الله عز وجل قد فرغ من علم عباده، وعلم ما يعملون قبل أن يخلقهم، و لم يجبرهم على المعصية.

* * *

سُورَةُ الطَّارِقِ

مكية، عددها سبع عشرة آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)﴾

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ﴾ يا محمد ﴿مَا الطَّارِقُ﴾ [آية: ٢] فسرها له؟ فقال: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [آية: ٣] يعنى المضئ إن ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [آية: ٤] وذلك أن الله عز وجل خلق النجوم ثلاثة نجوم يهتدى بها، ونجوم رجوم للشياطين، ونجوم مصابيح الأرض، فأقسم الله عز وجل بها، فقال: إن كل نفس ما من نفس لما عليها حافظ من الملائكة يكتبون حسناته وسيئاته، قال: فإن لا يصدق هذا الإنسان بالبعث ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [آية: ٥] قال: ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [آية: ٦] ثم فسر الماء الدافق، فقال: خلق من ماء الرجل، والمرأة والتصق بعضه على بعض فخلق منه ﴿يَخْرُجُ﴾ ذلك الماء ﴿مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [آية: ٧] يقول: من بين صلب الرجل وترائب المرأة، والترائب موضع القلادة، فأما ماء الرجل، فإنه أبيض غليظ منه العصب والعظم، وأما ماء المرأة، فإنه أصفر رقيق منه اللحم والدم والشعر ﴿إِنَّهُ﴾ الرب تبارك وتعالى الذى خلقه من ماء دافق.

﴿عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [آية: ٨] قادر على أن يبعثه يوم القيامة ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [آية: ٩] يوم تختبر السرائر كل سريرة من الذنوب عملها ابن آدم، ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ﴾ يمتنع من الله بقوته ﴿وَلَا﴾ له ﴿نَاصِرٍ﴾ [آية: ١٠] ينصره من الله تعالى، ثم أقسم الله تعالى،

فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ [آية: ١١] ذات المطر ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ [آية: ١٢] بالنبات ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٌ فَصۡلٌ﴾ [آية: ١٣] يقول: إن الذى وصفته فى هذه السورة لقول فصل، يقول هو قول الحق.

ثم قال: ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ [آية: ١٤] يقول: وما هو باللعب، ثم انقطع الكلام، وأما قوله: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾ [آية: ١٧] فإنهم لما رأوا النبى ﷺ قد أظهر الإيمان، وآمن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فلما آمن عمر، قال بعضهم لبعض: ما ترى أمر محمد إلا يزداد يومًا بيوم، ونحن فى نقصان لاشك، لأنه والله يفوق جمعنا وجماعتنا، ويكثر ونقل، ولا شك إلا أنه سيغلبنا، فيخرجنا من أرضنا، ولكن قوموا بنا حتى نستشير فى أمرهن فدخلوا دار الندوة منهم عتبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة، وأبو البحترى بن هشام، وعمرو بن عمير بن مسعود الثقفى، فلما دخلوا دخل معهم إبليس فى صورة رجل شيخ، فنظروا إليه، فقالوا: يا شيخ من أدخلك علينا؟ ومن أنت؟ قد علمت أنا قد دخلنا هاهنا فى أمرٍ ما نريد أن يعلم به أحد، قال إبليس: إنى والله، لست من أرض تهامة، وإنى رجل من الأزد، ويقال: من نجد، قدمت اليمن وأنا أريد العراق، فى طلب حاجة، ولكنى رأيتكم حسنة وجوهكم، طيبة رائحتكم، فأحببت أن أستريح وأسمع من أحاديثكم، فقال بعضهم لبعض: لا بأس علينا منه، وإنه والله ليس من أرض تهامة، قالوا: يا شيخ أغلق الباب وأجلس.

فقال أبو جهل بن هشام: ما تقولون فى هذا الرجل الذى قد خالف ديننا وسب آلهتنا، ويدعو إلى غير ديننا وليس يزداد أمره إلا كثرة، ونحن فى قلة وينبغى لنا أن نحتال؟ ثم قال: يا عمر بن عمير ما تقول فيه؟ قال عمرو: رأيى فيه أن نردفه على بعير وناقة، فنخرجه من الحرم، فيكون شره على غيرنا.

قال إبليس: عند ذلك بئس الرأى رأيت يا شيخ، تعمد إلى رجل قد ارتكب منكم ما قد ارتكب، وهو أمر عظيم، فنظر دونه فلا شك أنه يذهب فيجمع جموعًا، فيخرجكم من أرضكم.

قالوا: ما تقول يا أبا البحترى؟ قال: أما والله، إن رأيى فيه ثابت، قالوا: ما هو؟ قال: ندخله فى بيت فنسد بابه عليه، ونترك له ثلمة قدر ما يتناول منه طعامه وشرابه ونتربص به إلى أن يموت.

قا إبليس عند ذلك: بئس والله، الرأى رأيت يا شيخ تعمدون إلى رجل هو عدو لكم فتربونه، فلا شك أن يغضب له قومه فيقاتلونكم حتى يخرجوه من أيديكم فما لكم وللشر؟ قالوا: صدق والله فما تقول: يا أبا جهل؟ قال: تعمدون إلى كل بطن من قريش فنختار منهم رجالاً فنمكنها من السيوف ويمشون كلهم بجماعتهم فيضربونه، حتى يقتلوه فلا يستطيع بنو هاشم أن تعادى قريشًا كلهم، وتؤدون ديته.

قال إبليس: صدق والله، الشاب فخرجوا على ذلك القول راضين بقتله، وسمع عمه أبو طالب، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، فلم يخبر محمدًا لعله أن يجزع من القتل، فيهرب، فيكون مسبة عليهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿**أم أبرموا أمرًا فإنا مبرمون**﴾ [الزخرف: ٧٩]، يقول: أم أجمعوا أمرًا على قتل محمد ﷺ، فإنا مجمعون أمرًا على قتلهم ببدر، وقال: ﴿**أم يريدون كيدًا فالذين كفروا هم المكيدون**﴾ [الطور: ٤٢]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾.

قال: فسمع أبو طالب ما سمع، قال: يا ابن أخى ما هذه الهينمة؟ قال: أما تعلم يا عم ما أرادت قريش؟ قال: سمعت ما سمعته يا ابن أخى، قال: نعم، قال: ومن أخبرك بذلك؟ قال: ربى، قال: أما والله، يا ابن أخى إن ربط بك لحفيظ فامض لما أمرت يا ابن أخى، فليس عليك غضاضة.

* * *

سُورَةُ الأَعْلَى

سورة الأعلى مكية، عددها تسع عشرة آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ [آية: ١] يقول سبحانه: نزاه اسم ربك الأعلى، يقول: نزهه من الشرك بشهادة أن لا إله إلا الله، فذلك قوله: ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ قال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ الإنسان فى بطن أمه من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، قال: ﴿فَسَوَّىٰ﴾ [آية: ٢] يقول: فسوى خلقه ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [آية: ٣] يقول: الذى قدر الولد فى بطن أمه تسعة أشهر، فلما بلغ الوقت هداه للخروج من بطن أمه، وأيضًا قوله: ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ يعنى قدر الذكر والأنثى فعلمه، كيف يأتيها؟ وكيف تأتيه؟.

وأما قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ [آية: ٤] ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [آية: ٥] بصنعه يقول: الذى أخرج الحشيش والكلأ فى الشتاء، فتراه رطبًا فيجعله بعد الرطوبة، والخضرة إلى اليبوسة، قوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ القرآن يا محمد نجمعه فى قلبك ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [آية: ٦] فلا تنساه أبدًا، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ يعنى إلا ما شاء الله فينسخها، ويأت بخير منها، ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [آية: ٧] يعلم الجهر من القول والفعل، وما يخفى منهما.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [آية: ٨] يقول: ونبدلك مكان آية بأيسر منها، ثم قال:

﴿فَذَكِّرْ﴾ يا محمد يقول: اذكر بشهادة أن لا إله إلا الله ﴿إِن﴾ يعنى قد ﴿نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [آية: ٩] شهادة أن لا إله إلا الله، الذين من قبلك، قال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ [آية: ١٠] يقول: سيوحد الله من يخشاه، يقول: من يخشاه غفر له، ولم يؤاخذه ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾ [آية: ١١] يقول: ويتهاون بها، يعنى بالتوحيد الأشقى ﴿ٱلَّذِى﴾ قد سبق علم الله فيه بالشقاء الذى ﴿يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [آية: ١٢] وهى نار جهنم، قال: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [آية: ١٣] يقول: لا يموت فى النار فيستريح، ولا يحيا حياة طيبة، ولكنه فى بلاء ما دام فى النار يأتيه الموت من كل مكان، وما هو بميت ويحترق كل يوم سبع مرات، ثم يعاد إلى العذاب ليس له طعام إلا من لحمه، فذلك قوله: ولا طعام إلا من غسلين، يأكل النار وتأكله وهو فى النار، لباسه النار، وعلى رأسه نار، وفى عنقه نار، وفى كل مفصل منه سبعة ألوان من ألوان العذاب، لا يرحم أبدًا، ولا يشبع أبدًا، ولا يموت أبدًا، ولا يعيش معيشة طيبة أبدًا، الله عليه غضبان، والملائكة غضاب، وجهنم غضبانة.

قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [آية: ١٥] يقول: قد أفلح من أدى الزكاة، وشهد أن لا إله إلا الله، وصلى الصلوات الخمس، قوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [آية: ١٦] يقول: بل تختارون الحياة الدنيا ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [آية: ١٨] يقول: الكتب الأولى ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ كيف إبراهيم ﴿وَ﴾ كتب ﴿وَمُوسَىٰ﴾ [آية: ١٩] وهى التوراة، فأما صحف إبراهيم فقد رفعت.

* * *

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

مكية، عددها ست وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [آية: ١] يعنى قد أتاك حديث أهل النار من قوله: ﴿**تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون**﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، وكل شيء في القرآن ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾، يقول: قد أتاك، ثم أخبر عن حالهم، فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ [آية: ٢] يعنى ذليلة ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [آية: ٣] يعنى عاملة فى النار، النار تأكله، ويأكل من النار، يعنى ناصبة للعذاب صاغرة ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [آية: ٥] يعنى من عين قد انتهى حرها، وذلك أن جهنم تسعر عليهم منذ يوم خلقت إلى يوم يدخلونها، وهى عين تخرج من أصل جبل طولها مسيرة سبعين عامًا، ماؤها أسود كدردى الزيت، كدر غليظ كثير الدعاميص، تسقيه الملائكة بإناء من حديد من نار فيشربه، فإذا قرب الإناء من فيه أحرق شدقيه، وتناثرت أنيابه وأضراسه، فإذا بلغ صدره نضج قلبه، فإذا بلغ بطنه غلى كما يغلى الحميم من شدة الحر، حتى يذوب كما يذوب الرصاص إذا أصابه النار، فيدعو الشقى بالويل، فذلك قوله: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾.

ثم أخبر عن طعام الشقى، فقال: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [آية: ٦] وهى شجرة تكون بمكة كثيرة الشوك لا تقربها دابة فى الأرض من شوكها، ولا يستطيع أحد أن يمسها من كثرة شوكها، وتسميها قريش، وهى رطبة فى الربيع الشبرق، وتصيب الإبل من ورقها فى الربيع ما دامت رطبة، فإذا يبست لم تقربها الإبل، وما من دابة فى الأرض من الهوام والسباع، وما يؤذى بنى آدم إلا مثلها فى النار سلطها الله عز وجل على أهلها، لكنها من نار، وما خلق الله شيئًا فى النار إلا من النار، ثم قال: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ [آية: ٧] فإنهم لا يطعمون من أجل الجوع، وإنما من أجل العذاب.

ثم ذكر أولياءه من أهل طاعته، فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [آية: ٨] يعنى فرحة شبه الله عز وجل وجوههم بوجوه قوم فرحين، إذا أصابوا الشراب طابت أنفسهم، فاجتمع الدم فى وجوههم، فاجتمع فرح القلوب وفرح الشراب، فهو ضاحك الوجه مبتسم طيب النفس، ثم قال: ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [آية: ٩] يعنى قد رضى الله عمله، فأثابه الله عز وجل ذلك بعمله.

قال: ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [آية: ١٠] وإنما سمها عالية لأن جهنم أسفل منها، وهى دركات، والجنة درجات، ثم قال: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [آية: ١١] يقول: لا يسمع بعضهم من بعض غيبة، ولا كذب، ولا شتم، قوله: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [آية: ١٢] يعنى فى الجنة لأنها فيها تجرى الأنهار ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [آية: ١٣] منسوجة بقضبان الدر والذهب عليها سبعون فراشًا، كل فراش قدر غرفة من غرف الدنيا، فذلك قوله: ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [آية: ١٤] يعنى مصفوفة وهى أكواب من فضة، وهى من الصفاء مثل القوارير مدورة الرءوس ليس لها عرى ولا خراطيم، ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [آية: ١٥] يعنى الوسائد الكبار العظام مصفوفة على الطنافس، وهى بلغة قريش خاصة، ثم قال: ﴿وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [آية: ١٦] يعنى طنافس مبسوطة بعضها على بعض، يذكرهم الله عز وجل صنعه ليعتبر عباده فيحرصوا عليها، ويرغبوا فيها، ويحذروا النار، فإن عقوبته على قدر سلطانه وكرامته قدر سلطانه.

ثم ذكر عجائبه، فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ لأن العرب لم يكونوا رأوا الفيل، وإنما ذكر لهم ما أبصروا، ولو أنه قال: أفلا ينظرون إلى الفيلة ﴿كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [آية:

١٧] لم يتعجبوا لها لأنهم لم يروها ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ﴾ [آية: ١٨] من فوقهم خمس مائة عام ﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ﴾ [آية: ١٩] على الأرض أوتادًا لئلا تزول بأهلها، ثم قال: ﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [آية: ٢٠] يعنى كيف بسطت من تحت الكعبة مسيرة خمس مائة عام.

ثم قال: ﴿فَذَكِّرۡ﴾ أهل مكة يا محمد ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾ [آية: ٢١] كالذين من قبلك ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [آية: ٢٢] يقول: لست عليهم بملك، ثم نسختها آية السيف فى براءة، ثم قال: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ﴾ يعنى أعرض ﴿وَكَفَرَ﴾ [آية: ٢٣] بالإيمان ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ﴾ فى الآخرة ﴿ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ﴾ [آية: ٢٤] وإنما سماه الله الأكبر لأن الله كان أوعدهم القتل والجوع فى الدنيا، فقال: الأكبر، لأنه أكبر من الجوع والقتل، وهو عذاب جهنم، ثم قال: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ﴾ [آية: ٢٥] يعنى مصيرهم ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾ [آية: ٢٦] يعنى جزاءهم على الله هين.

* * *

سُورَةُ الفَجْرِ

مكية، عددها ثلاثون آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)﴾

﴿وَالْفَجْرِ﴾ [آية: ١] يعنى غداة جمع يوم النحر ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [آية: ٢] فهى عشر ليال قبل الأضحى، وأما سماها الله، عز وجل، ليال عشر لأنها تسعة أيام وعشر ليال ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [آية: ٣] وأما الشفع فهو آدم وحواء، عليهما السلام، وأما الوتر فهو الله عز وجل ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [آية: ٤] يعنى إذا أقبل، وهى ليلة الأضحى، فأقسم الله بيوم النحر، والعشر، وبآدم وحواء، وأقسم بنفسه، فلما فرغ منها، قال: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [آية: ٥] يعنى إن فى ذلك القسم كفاية لذى اللب، يعنى ذا العقل، فيعرف عظم هذا القسم، فأقسم الله ﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾ [الفجر: ١٤].

وأما قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [آية: ٦] يعنى بقوم هود، وإنما سماهم قوم هود، لأن أباهم كان اسمه ابن سمل بن لمك بن سام بن نوح، مثل ما تقول العرب ربيعة ومضر وخزاعة وسليم، وكذلك عاد وثمود، ثم ذكر قبيلة من قوم عاد، فقال: ﴿إِرَمَ﴾ وهى قبيلة من قبائلهم اسمها إرم، ثم قال: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [آية: ٧] يعنى ذات الأساطين، وهى أساطين الرهبانيين التى تكون فى الفيافى والرمال، فشبه الله عز وجل طولهم إذ كانوا قيامًا فى البرية بأنه مثل العماد، وكان طول أحدهم ثمانية عشر ذراعًا، ويقال: اثنى عشر ذراعًا فى السماء مثل أعظم أسطوانة تكون، قال: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [آية: ٨] يقول: ما خلق الله عز وجل مثل قوم عاد فى الآدميين، ولا مثل إرم فى قوم عاد.

ثم ذكر ثمود، فقال: ﴿وَثَمُودَ﴾ وهو أبوهم، وبذلك سماهم، وهم قوم صالح، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [آية: ٩] يقول: الذين نقبوا الصخر بالوادى، وذلك أنهم كانوا يعمدون إلى أعظم جبل فيثقبونه، فيجعلونه بيتًا، ويجعلون بابه منها، وغلقه منها، فذلك قوله: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتًا فارهين﴾ [الشعراء: ١٤٩]، ثم ذكر فرعون واسمه مصعب بن جبر، ويقال: الوليد بن مصعب، فقال: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ [آية: ١٠] وذلك أنه أوثق الماشطة على أربع قوائم مستلقية، ثم سرح عليها الحيات والعقارب، فلم يزلن يلسعنها ويلدغنها، ويدخلون من قبلها ويخرجون من فيها حتى ذابت كما يذوب الرصاص، لأنه تكلمت بالتوحيد، وذلك أنها كانت تمشط هيجل بنت فرعون، فوقع المشط من يدها، فقالت: باسم الله وخيبة لمن كفر بالله، فقالك ابنة فرعون: وأى إله هذا الذى تذكرين؟ قالت: إله موسى، فذهبت فأخبرت أباها، فكان من أمرها ما كان، فذلك قوله: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ يقول: إنه أوثق امرأة على أربع قوائم من أجل أنها عرفتنى.

ثم جمع عادًا وثمود وفرعون، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [آية: ١١] يعنى الذين عملوا فيها بالمعاصى ﴿فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ [آية: ١٢] يقول: فأكثروا فيها المعاصى، فلما كثرت معصيتهم ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [آية: ١٣] يعنى نقمته وكانت نقمته عذابًا، ثم رجع إلى قسمه الأول، فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [آية: ١٤] يعنى بالصراط، وذلك أن جهنم عليها سبع قناطر، كل قنطرة مسيرة سبعين عامًا، على كل قنطرة ملائكة قيام، وجوههم مثل الجمر، وأعينهم مثل البرق، بأيديهم المحاسر والمحاجن، والكلاليب يسألون فى أول قنطرة عن الإيمان، وفى الثانية يسألون عن الصلوات الخمس، وفى الثالثة يسألون عن الزكاة، وفى الرابعة يسألون عن صوم رمضان، وفى الخامسة يسألون عن حج البيت، وفى السادسة يسألون عن العمرة، وفى السابعة يسألون عن مظالم الناس، فذلك قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾.

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ

ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

وأما قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ [آية: ١٥] نزلت الآية فى أمية بن خلف الجمحى، وعبد الله بن نفيل، أتاه يأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، ويذكره ذلك، فقال له أمية بن خلف: ويحك أليس الله يقول: ﴿**ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم**﴾ [محمد: ١١]، قال عبد الله بن نفيل: نعم، قال: فما له أغنانى وأفقرك؟ قال: كذلك أراد الله، قال أمية: بل أغنانى الله لكرامتى عليه، وأفقرك لهوانك عليه، قال عبد الله بن خطل عند ذلك: لخليق أن يكون الله فعل ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ [آية: ١٦] قال: يقول: كلا ما أغنيت هذا الغنى لكرامته، ولا أفقرت هذا الفقير لهوانه على، ولكن كذلك أردت أن أحسن إلى هذا الغنى فى الدنيا، وأهون على هذا الفقير حسابه يوم القيامة، ثم قال فى سورة أخرى: ﴿**فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا**﴾ [الشرح: ٥، ٦] يقول: ليس من شدة إلا بعدها رخاء، ولا رخاء إلا بعده شدة.

ثم انقطع الكلام، ثم ذكر أمية بن خلف الجمحى، وذكر مساوئه، فقال: ﴿كَلَّاۖ﴾ ما الأمر كما قال أمية بن خلف ﴿بَل﴾ يعنى لكن ﴿لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾ [آية: ١٧] ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [آية: ١٨] لأنهم لا يرجون بها الآخرة ﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾ [آية: ١٩] يعنى تأكلون الميراث أكلا شديدًا ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾ [آية: ٢٠] ويجمعون المال جمعًا كثيرًا، وهى بلغة مالك بن كنانة، ثم قال: ﴿كَلَّآ﴾ ما يؤمنون بالآخرة وهو وعيد، وأما قوله: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾ [آية: ٢١] يعنى إذا تركت فاستوت الجبال مع الأرض الممدودة.

ثم قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [آية: ٢٢] وذلك أنه تنشق السماوات والأرض، فتنزل ملائكة كل سماء، وتقوم ملائكة كل سماء على حدة، فيجيء الله، تبارك وتعالى، كما قال: ﴿**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك**﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وكما قال: ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام والملائكة**﴾ [البقرة: ٢١٠] قيامًا صفوفًا، قال: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ يجاء بها من مسيرة خمس

مائة عام عليها سبعون ألف زمام على كل زمام سبعون ألف ملك، متعلقون بها يحبسونها عن الخلائق، وجوههم مثل الجمر، وأعينهم مثل البرق، فإذا تكلم أحدهم تناثرت من فيه النار من فيه بيد كل ملك منهم مرزبة، عليها ألفًا وسبعون رأسًا كأمثال الجبال، وهى أخف فى يده من الريش، ولها سبعة رءوس كرءوس الأفاعى، وأعينهم زرق، تنظر إلى الخلائق من شدة الغضب، تريد أن تنفلت على الخلائق من غضب الله عز وجل، ويجاء بها حتى تقام على ساق.

ثم قال: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ يعنى أمية بن خلف الجمحى إذا عاين الغار والملائكة، ثم قال: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ [آية: ٢٣] يعنى ومن أين له التذكرة فى الآخرة؟ وقد كفر بها فى الدنيا، ثم قال يخبر عن حالهم، وما يقولون فى الآخرة إذا عاينوا النار، فقال: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [آية: ٢٤] فى الدنيا لآخرتى يقول الله تعالى ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ﴾ أى لا يعذب كعذاب الله ﴿أَحَدٞ﴾ [آية: ٢٥] يعنى ليس أعظم من الله تعالى سلطانه على قدر عظيمته، وعذابه مثل سلطانه، ثم قال: ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ﴾ [آية: ٢٦] يعنى ولا يوثق كوثاق الله عز وجل.

قوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ [آية: ٢٧] يعنى المطمئنة بالإيمان ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ﴾ لعملك ﴿مَّرۡضِيَّةٗ﴾ [آية: ٢٨] بما أعطاك الله عز وجل من الخير والجزاء ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾ [آية: ٢٩] يعنى فى رحمتى ﴿وَٱدۡخُلِي﴾ من رحمتى فى ﴿جَنَّتِي﴾ [آية: ٣٠] نظيرها فى طس النمل، قول سليمان بن داود، عليهما السلام: ﴿**وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين**﴾ [النمل: ١٩] نزلت هذه الآية فى حبيب بن عدى الذى صلبه أهل مكة، وجعلوا وجهه نحو المدينة، فقال: اللهم إن كان لى عندك خير، فحول وجهى نحو قبلتها، فحول الله عز وجل وجهه نحو هذه القبلة من غير أن يحوله أحد، فلم يستطيع أن يحوله عنها أحد.

حدثنا عبد الله بن ثابت، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: حدثنا مقاتل بن سليمان، عن عطاء بن أبى رباح، عن عبد الله بن عباس، عن النبى ﷺ، قال: خلق الله السماء الدنيا من ماء حرج مكفوف، والثانية من حديد، والثالثة من فضة، والرابعة من شبه، والخامسة من ذهب، والسادسة من ياقوتة حمراء، والسابعة من نور عليها ملائكة من نور قيام صفًا صفًا، فذلك قوله: ﴿**والصافات صفا**﴾ [الصافات: ١]، فهم أهل السماء السابعة.

* * *

سورة البلد

مكية، عددها عشرون آية كوفى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [آية: ١] يعنى مكة ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [آية: ٢] يعنى لم أحلها لأحد من قبلك ولا من بعدك، وإنما أحللتها لك ساعة من النهار، وذلك أن الله عز وجل لم يفتح مكة على أحد غيره، ولم يحل بها القتل لأحد، غير ما قتل النبى ﷺ مقيس بن ضبابة الكنانى وغيره، حين فتح مكة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [آية: ٣] يعنى آدم وذريته عليه السلام إلى أن تقوم الساعة، فأقسم الله عز وجل بمكة، وبآدم وذريته ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [آية: ٤] منتصبًا قائمًا، وذلك أن الله تبارك وتعالى خلق كل شىء على أربع قوائم غير ابن آدم يمشى على رجلين، نزلت هذه الآية فى الحارث بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف القرشى، وذلك أنه أصاب ذنبًا، وهو بالمدينة، فأتى رسول الله ﷺ فقال: ما كفارته؟ فقال رسول الله ﷺ: «اذهب فاعتق رقبة، أو أطعم ستين مسكينًا»، قال: ليس غير هذا؟ قال رسول الله ﷺ: «هو الذى أخبرتك»، فرجع من عند رسول الله ﷺ، وهو مهموم مغموم حتى أتى أصحابه، فقال: والله، ما أعلم إلا أنى لئن دخلت فى دين محمد إن مالى لفى نقصان من الكفارات والنفقة فى سبيل الله، ما يظن محمد إلا أنا وجدنا هذا المال فى الطريق لقد أنفقت مالاً

لبدًا، يعنى مالاً كثيرًا، فأنزل الله عز وجل ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [آية: ٥] يعنى بالأحد الله عز وجل، يعنى نفسه، أيحسب هذا الإنسان أن لن يقدر الله عز وجل على أن يذهب بماله، وإن أحرزه ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ [آية: ٦] ثم قال الله تعالى وهو بعده الخير: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [آية: ٧] أو يحسب هذا الإنسان أن الله تعالى ليس يرى ما ينفق وليس يحصيه؟ وهو يخلقه عليه، ثم ذكر النعم، فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [آية: ١٠] يقول: بينّا له سبيل الخير والشر، ثم حرضه على الكفارة، فقال: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ [آية: ١١] وهو مثل ضربه الله عز وجل له يقول: إن الذنوب بين يديك مثل الجبل، فإذا أعتقت رقبة اقتحم ذلك الذنوب حتى تذوب وتذهب، كمثل رجل بين يديه عقبة فيقتحم فيستوى بين يديه، وكذلك من أصاب ذنبًا واستغفر ربه، وكفره بصدقة تتقحم ذنوبه حتى تحطمها تحطيمًا مثل الجبل إذا خر، فيستوى مع الأرض، فذلك قوله: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾.

قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ [آية: ١٢] تعظيمًا لها، قال: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ [آية: ١٤] يعنى مجاعة ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [آية: ١٥] يعنى ذا قرابة ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [آية: ١٦] يعنى فقيرًا قد التصق ظهره بالتراب من العرى، وشدة الحاجة، فيستحى أن يخرج، فيسأل الناس، وذلك كله لقول رسول الله ﷺ أعتق رقبة، أو أطعم ستين مسكينًا، يقول الله عز وجل أعجز أن يفعل من هذين الأمرين واحدًا، وكان يظن أن الله تعالى لم يكن يراه إذا أنفق فيخلف عليه تلك النفقة، فذلك قوله: ﴿**أيحسب أن لم يره أحد**﴾ [البلد: ٧]، يعنى الله عز وجل.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله تعالى وملائكته، وكتبه ورسله وجنته وناره ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ يعنى على فرائض الله تعالى ما افترض عليهم فى القرآن، فإنهم إن لم يؤمنوا بالله، ولم يعملوا الصالحات، ولم يصبروا على الفرائض، لم أقبل منهم كفاراتهم وصدقاتهم، ثم ذكر الرحم، فقال: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [آية: ١٧] يعنى بالمرحمة، يعنى بالرحم، فلا يقطعونها، ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ يعنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالصبر، وتواصوا بالمرحمة هم ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [آية: ١٨] الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم يوم القيامة، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعنى بالقرآن ﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [آية: ١٩] يعنى الذين يعطون كتبهم بشمائلهم والمشأمة بلغة بنى غطيف حى من مراد،

وكل ذلك يخوف الحارث بن عمرو بن نوفل بن عبـد منـاف ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ [آيـة: ٢٠] يعنى مطبقة وهى جهنم.

* * *

سُورَةُ الشَّمْسِ

مكية، عددها خمس عشرة آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [آية: ١] يعنى وحرها ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [آية: ٢] يعنى إذا تبعها يسير من خلفها، وله حفيف فى السماء ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ [آية: ٣] يعنى جلاها الرب تبارك وتعالى من ظلمة الليل ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ [آية: ٤] يعنى تغشى ظلمته ضوء النهار ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [آية: ٥] يعنى وبالذى بناها، ثم قال: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [٦] يعنى أقسم بالأرض، وبالذى بسطها، يعنى الرب تعالى نفسه، ثم قال: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [آية: ٧] يعنى آدم، وما سواها، يعنى وبالذى خلقها، يعنى نفسه فسوى اليدين والرجلين والعينين والأذنين ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ [آية: ٨] يعنى وعلمها الضلالة والهدى.

ثم عظم الرب نفسه، فقال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [آية: ٩] يعنى قد أسعدها الله يعنى أصلحها الله تعالى، فإنه من أصلحه الله، فقد أفلح ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [آية: ١٠] يعنى وقد هلك من أشقاه الله عز وجل، ثم ذكر ثمود، فقال: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾ [آية: ١١] يعنى الطغيان والشقاء حملها على التكذيب، لأنه طغى عليهم الشقاء مرتين، مرة بما كذبوا الله عز وجل، وعموا عن الإيمان به، والأخرى عقروا الناقة، فذلك قوله: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾ [آية: ١٢]، وأما قوله:

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [آية: ١٣] يعنى بالرسول صالح ﷺ، وهو بين لهم أمر الناقة وشربها، وما يفعل الله عز وجل بهم إن كذبوا وعقروا الناقة، فذلك قوله: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بما جاء به ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ يعنى قتلوا الناقة فحل بهم العذاب، قال: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾.

ثم قال: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ يقول: إنما كان بذنبهم، بذلك أنهم لما عقروا الناقة اتبعد الفصيل حتى صعد على جبل فصاح ثلاث مرات: يا صالح، قتلت أمى وفزع أهل المدينة كلهم إلى صالح، فقالوا: ما جئتنا؟ قال: حيلتكم أن تأخذوا الفصيل، فعسى الله أن يكف عنكم العذاب فى شأن الفصيل، فلما صعدوا الجبل ليأخذوه فر من بين أيديهم وتوارى فلم ير، وغاب، قالوا: يا صالح، ما يفعل الله بنا؟ قال: كم من صيحة صاح الفصيل؟ قالوا: ثلاث مرات، قال: تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك الوعد الذى صاح الفصيل غير مكذوب، يقول: إنه لا يكذب فيه، قالوا: وما علامة ذلك يا صالح؟ قال: غنكم تصفر وجوهكم يوم الثانى، وتسود وجوهكم يوم الثالث، ثال: ثم يأتيكم العذاب يوم الرابع، فلما أن كان اليوم الأول اصفرت وجوه القوم، فلم يصدقوا، وقالوا: إنما هذه الصفرة من الخوف والفرق، فلما كان اليوم الثانى احمرت وجوههم واستيقنوا بالعذاب، ثم إنهم عمدوا فحفروا لأنفسهم قبورًا وتحنطوا بالمر والصبر وتكفتوا بالأنطاع، فلما أن كان اليوم الثالث اسودت وجوههم حتى لم يعرف بعضهم بعضًا من شدة السواد، والتغير، فلما أن كان اليوم الرابع أصبحوا فدخلوا حفرهم، فلما اشرقت الشمس، وارتفع النهار لم يأتهم العذاب، فظنوا أن الله يرحمهم، وخرجوا من قبورهم، ودعوا بعضهم بعضًا، إذ نزل جبريل، عليه السلام، فسد ضوء الشمس حتى دخلوا فى قبورهم، فصاح بهم جبريل، عليه السلام، فلما عاينوا جبريل، عليه السلام، ونظروا إلى ضوء الشمس شدوا حتى دخلوا فى قبورهم، فناموا فصاح بهم جبريل صيحة أن قوموا عليكم لعنة الله، فسالت أرواحهم من أجسادهم، زلزلت بيوتهم حتى وقعت على قبورهم إلى يوم القيامة، فأصبحوا كأن لم يكن بمدينتهم شىء، فذلك قوله: ﴿**كأن لم يغنوا فيها**﴾ [هود: ٦٨] وذلك قوله: ﴿ ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [آية: ١٤] يعنى فسوى بيوتهم على قبورهم، قوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [**١٥**].

قال فى التقديم: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾، ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ عاقر الناقة من الله عز وجل، وإنما كان أصحاب الشراب تسعة نفر منهم قدار بن قديرة، وهو عاقر الناقة

وسالف، وجدع، وقيل، وجزيل، وهذيل، وجمال بن مالك، وحبابة بن أذاذ، وجميل بن جواد.

فذلك قوله تعالى: ﴿**وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون**﴾ [النمل: ٤٨]، قال أبو صالح: بعض هؤلاء المسمين يوافق تسمية عاقرى الناقة فى سورة النمل، وهذا قول، وأولئك قول قوم آخرين والله أعلم.

* * *

سُورَةُ اللَّيْلِ

مكية، عددها إحدى وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى (١٥) ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى (١٧) ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ (١٩) إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)﴾

قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [آية: ١] ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [آية: ٢] أقسم الله عز وجل بالليل إذا غشى ظلمته ضوء النهار، والنهار إذا تجلى عن ظلمة الليل، فقال: ﴿**إن سعيكم**﴾ إن أعمالكم ﴿**لشتى**﴾ [الليل: ٤] يا أهل مكة.

قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [آية: ٣] يعنى آدم وحواء وما هاهنا صلة، فأقسم الله عز وجل بنفسه، وبهؤلاء الآيات، فقال: والذى خلق الذكر والأنثى، نظيرها فى ﴿**الشمس وضحاها**﴾ [الشمس: ١].

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [آية: ٤] يا أهل مكة، يقول: أعمالكم مختلفة فى الخير والشر، ثم قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ المال فى حق الله عز وجل ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ [آية: ٥] ونزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق، رحمة الله عليه، وذلك أنه مر على أبى سفيان، وهو صخر بن حرب، وإذا هو يعذب بلالاً على إسلامه، وقد وضع حجرًا على صدره، فهو يعذبه عذابًا شديدًان فقال له أبو بكر الصديق، رحمة الله عليه: أتعذب عبدًا على معرفة ربه؟ قال أبو سفيان: أما والله، إنه لم يفسد هذا العبد الأسود غيركم، أنت وصاحبك، يعنى رسول الله ﷺ، قال له أبو بكر، رضى الله عنه: هل لك أن أشتريه منك؟ قال: نعم.

قال أبو بكر: والله ما أجد لهذا العبد ثمنًا، قال له صخر بن حرب: والله إن جبلاً من شعر أحب إلىّ منه، فقال له الصديق أبو بكر: والله إنه خير من ملء الأرض ذهبًا، قال له أبو سفيان: اشتره منى، قال له أبو بكر: قد اشتريت هذا العبد الذى على دينى بعبد مثله على دينك، فرضى أبو سفيان، فاشترى أبو بكر بلالاً، رضى الله عنه، فأعتقه.

قال أبو سفيان لأبى بكر، رضى الله عنه: أفسدت مالك ومال أبى قحافة، قال: أرجو بذلك المغفرة من ربى، قال: متى هذا؟ قال أبو بكر، رضى الله عنه: يوم تدخل سقر تعذب، قال: أليس تعدنى هذا بعد الموت؟ قال: نعم، قال: فضحك الكافر واستلقى، وقال: يا عتيق أتعدنى البعث بعد الموتى؟ وتأمرنى أن أرفض مالى إلى ذلك اليوم؟ لقد خسرت واللات والعزى إن مالك قد ضاع، وإنك لا تصيب مثله أبدًا، قال له أبو بكر، رضى الله عنه: والله، لأذكرنك هذا اليوم يا أبا سفيان، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [آية: ٦] يقول بعدة الله عز وجل أن يخلفه فى الآخرة خيرًا، إذا أعطى فى حق الله عز وجل.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [آية: ٧] يعنى نيسره للعودة إلى أن يعطى فسنيسره للخير ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ [آية: ٨] عن الله تعالى فى نفسه ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [آية: ٩] يعنى بعدة الله بأن يخلفه خيرًا منه ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [آية: ١٠] يقول: نعسر عليه أن يعطى خيرًا ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ الذى بخل به فى الدنيا ﴿إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ [آية: ١١] يعنى إذا مات، وتردى فى النار، يعنى أبا سفيان، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [آية: ١٢] يعنى بيان الهدى ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ [آية: ١٣] يعنى الدنيا والآخرة ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [آية: ١٤] يعنى تتوقد وتشتعل ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾ يعنى النار ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [آية: ١٥] يعنى هؤلاء النفر من أهل مكة.

﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [آية: ١٦] الذين كذبوا بالقرآن وتولى يعنى وأعرض عن الإيمان ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ يعنى النار، يقول: يجنب الله النار ﴿الْأَتْقَى﴾ [آية: ١٧] يعنى ابا بكر الصديق ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ [آية: ١٨] يعنى يتصلح ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ [آية: ١٩] وأيضًا، وذلك أن أبا بكر، رضى الله عنه، وأرضاه مر على بلال المؤذن، وسيدة أمية بن خلف الجمحى يعذبه على الإسلام، ويقول: لا أدعك حتى تترك دين محمد، فيقول بلال: أحد أحد.

فقال أبو بكر، رحمة الله عليه: أتعذب عبد الله على الإيمان بالله عز وجل؟ فقال سيده أمية: أما إنه لم يفسده عليّ إلا أنت وصاحبك، يعنى النبى ﷺ، فاشتره منى، قال: نعم، قال سيده أمية: بماذا؟ قال أبو بكر: بعبد مثله على دينك، فرضى، فعمد أبو بكر، رضى الله عنه، إلى عبد فاشتراه، وقيض أبو بكر بلالاً، رحمة الله عليه، وأعتقه، فقال أمية لأبى بكر، رضى الله عنه: لو أبيت إلا أن تشتريه بأوقية من ذهب لأعطيتكها، قال أبو بكر، رضى الله عنه: وأنت لو أبيت إلا أربعين أوقية من ذهب لأعطيتكها.

فكره أبو قحافة عتقه، فقال لأبى بكر: أما عملت أن مولى القوم من أنفسهم، فإذا أعتقت فاعتق من له منظر وقوة، وكان بلال أسود الوجه، فأنزل الله عز وجل فى أبى بكر، رضى الله عنه: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ يقول: يجزيه بذلك، ولكن إنما يعطى ماله ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [آية: ٢٠] الرفيع فوق خلقه ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [آية: ٢١] هذا العبد يعنى أبا بكر، رضى الله عنه، وأن أبا بكر، رضى الله عنه، اشترى تسعة نفر يعذبون على الإسلام، منهم بلال المؤذن، وعامر بن فهيرة، وأخته، وزنيرة، وابنتها، وحارثة بن عمر، وأم كياس، والنهدية وابنتها، كانت لامرأة من بنى عبد الدار تضربها على الإسلام، فأعتقهم أبو بكر الصديق، عليه السلام.

* * *

سُورَةُ الضُّحَىٰ

مكية، عددها إحدى عشرة آية كوفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

قوله: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ [آية: ١] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [آية: ٢] أقسم الله عز وجل، فقال: والضحى يعنى حر الشمس وهى أول ساعة من النهار حين تطلع الشمس، وبالليل إذا سجى، يعنى إذا غطى بهيمه ضوء النهار، فأقسم الله عز وجل ببدو الليل والنهار، فقال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ [آية: ٣] يعنى وما مقتك، وذلك أن جبريل، عليه السلام، لم ينزل على محمد ﷺ أربعين يومًا، ويقال: ثلاثة أيام، فقال: مشركوا العرب من أهل مكة: لو كان من الله لتتابع عليه الوحى، كما كان يفعل بمن كان قبله من الأنبياء، فقد ودعه الله وتركه صاحبه، فما يأتيه، فقال المسلمون: يا رسول الله، فما نزل عليك الوحى؟ قال: كيف ينزل على الوحى، وأنتم لا تنقُّون براجمكم، ولا تقلمون أظفاركم، قال: أقسم الله بهما، يعنى بالليل والنهار، فقال: ما ودعك ربك، يا محمد، وما قلى، يقول: وما مقتك، لقولهم قد ودعه ربه وقلاه، فلما نزل جبريل، عليه السلام، قال له النبى ﷺ: «يا جبريل، ما جئت حتى اشتقت إليك»، فقال جبريل، عليه السلام: أنا كنت إليك اشد شوقًا لكرامتك على الله عز وجل، ولكنى عبد مأمور، ﴿**وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا**﴾ من الدنيا ﴿**وما خلفنا**﴾ من الآخرة، ﴿**وما بين ذلك**﴾، يعنى بين الدنيا والآخرة بين النختين، وهى أربعون سنة.

ثم قال: ﴿**وما كان ربك نسيًا**﴾ [مريم: ٦٤]، يقول: لم ينسك ربك يا محمد، ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ يعنى الجنة ﴿خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [آية: ٤] يعنى من الدنيا، يعنى أنه قد

دنت القيامة والآخرة خير لك من الدنيا ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ فى الآخرة، وهو الخير ﴿ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [آية: ٥] يعنى حتى ترضى، ثم ترضى، ثم ترضى بما يعطيك، ثم أخبره الله عز وجل عن حاله التى كان عليها، وذكره النعم، فقال له جبريل عليه السلام: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [آية: ٦] يقول: فضمك إلى عنك أبى طالب، فكفاك المؤنة، فقال النبى ﷺ: «منّ علىّ ربى وهو أهل المن»، فقال جبريل، عليه السلام: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ عن الدلالة ﴿ فَهَدَىٰ﴾ [آية: ٧] فهداك لدينه، فقال النبى ﷺ: «منّ علىّ ربى وهو أهل المن»، فقال جبريل، عليه السلام: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ يعنى فقيرًا ﴿ فَأَغْنَىٰ﴾ [آية: ٨] فقال النبى ﷺ: «منّ علىّ ربى، وهو أهل المن».

ثم وصاه الله عز وجل، فقال: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [آية: ٩] يقول: لا تنهره، ولا تعبس فى وجهه، فقد كنت يتيمًا ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾ يعنى الفقير المسكين ﴿ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [آية: ١٠] لا تنهره إذا سألك فقد كنت فقيرًا ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [آية: ١١] يعنى اشكر الله على ما ذكر فى هذه السورة، وما صنع الله عز وجل بك من الخير، إذ قال: ألم تكن كذا، ففعلت بك كذا، أنزلت هاتين السورتين جميعًا بمكة: والضحى، والليل، وألم نشرح لك صدرك، فجعل النبى ﷺ يحدث بهما سرًا إلى من يطمئن إليه، ثم أتاه جبريل، عليه السلام، بأعلى مكة فدفع الأرض بيديه فانفرت عين ماء، فتوضأ جبريل، عليه السلام، ليرى النبى ﷺ وضوء الصلاة، ثم توضأ النبى ﷺ فصلى به جبريل، عليه السلام، فلما انصرف أخبر خديجة، ثم صلت مع النبى ﷺ.

* * *

سُورَةُ الشَّرْحِ

سورة ألم نشرح، عددها ثمانى آيات كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (٨)﴾

قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [آية: ١] يقول: ألم نوسع لك صدرك بعد ما كان ضيقًا لا يلج فيه الإيمان حتى هداه الله عز وجل، وذلك قوله: ﴿**ووجدك ضالا فهدى**﴾ [الضحى: ٧]، وقوله: ﴿**ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان**﴾ [الشورى: ٥٢]، وذلك أن أربع مائة رجل من أصحاب النبى ﷺ من أصحاب الصفة، كانوا قومًا مسلمين، فإذا تصدقوا عليهم شيئًا أكلوه وتصدقوا ببعضه على المساكين، وكانوا يأوون فى مسجد رسول الله ﷺ، ولم يكن لهم بالمدينة قبيلة، ولا عشيرة، ثم إنهم خرجوا محتسبين يجاهدون المشركين، وهم بنو سليم كان بينهم وبين المسلمين حرب فخرجوا يجاهدونهم، فقتل منهم سبعون رجلاً، فشق ذلك على النبى ﷺ، وعلى المسلمين، ثم إن رسول الله ﷺ كان يدعو عليهم فى دبر كل صلاة الغداة يقنت فيها، ويدعو عليهم أن يهلكهم الله.

فقال الله تعالى: ﴿**ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون**﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ثم عظم الرب تعالى نفسه، فقال: ﴿**ولله ما فى السماوات وما فى الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم**﴾ [آل عمران: ١٢٩] فى تأخير العذاب عنهم، لعلم قد سبق فيهم أن يسلموا، وأنزل الله عز وجل ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ يعنى ألم يوسع لك صدرك، يعنى بالإيمان يقول: بالتوحيد حتى تقولها، قول: لا إله إلا الله.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [آية: ٢] يقول: وحططنا عنك ذنبك، ﴿الَّذِي أَنقَضَ

﴿ظَهۡرَكَ﴾ [آية: ٣] يقول للنبى ﷺ: كان أثقل ظهرك فوضعناه عنك، لقوله: ﴿**إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيمًا**﴾ [الفتح: ١، ٢] يا محمد ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [آية: ٤] فى الناس علمًا، كلما ذكر الله تعالى ذكر معه رسول الله ﷺ حتى فى خطبة النساء ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ [آية: ٥] ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ [آية: ٦] يقول: إن مع الشدة الرخاء.

فقال النبى ﷺ عند ذلك: «لن يغلب، إن شاء الله، عسر واحد يسرين أبدًا»، ثم قال: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ﴾ يا محمد من الصلاة المكتوبة بعد التشهد والقراءة والركوع والسجود، وأنت جالس قبل أن تسلم ﴿فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ بالدعاء ﴿فَٱرۡغَب﴾ [آية: ٨] إليه فى المسألة، فنهاه عن القنوت فى صلاة الغداة.

حدثنا عبد الله بن ثابت، حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: حدثنا مقاتل، عن عطاء بن أبى رباح، عن عبد الله بن عباس، قال: فارقنى خليلى على أربع خصال، كان يؤذن مرتين، ويقيم مرتين، ويسلم مرتين، حتى يستبين بياض خده الأيمن والأيسر، وكان لا يقنت فى صلاة الغداة، وكان يسفر جدًا ﷺ.

* * *

سُورَةُ التِّينِ

مكية وعددها ثمان آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

قوله: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [آية: ١] أقسم الله عز وجل بالتين الذى يؤكل، والزيتون الذى يخرج منه الزيت ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [آية: ٢] يعنى الجبل الحسن وهو بالنبطية، وهو الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى، عليه السلام، يوم أخذ التوراة، وكل جبل لا يحمل الثمر لا يقال له سيناء، ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [آية: ٣] يعنى مكة يأمن فيه كل خائف، وكل أحد فى الجاهلية والإسلام، ولا تقام فيه الحدود فأقسم الله عز وجل بهؤلاء الآيات الأربع.

فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [آية: ٤] يعنى يمشى على رجلين وغيره يمشى على أربع، وأحسن التقويم الشباب، وحسن الصورة، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ﴾ بعد الشباب والصورة الحسنة ﴿أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [آية: ٥] يعنى من الصورة لأنه يسقط حاجباه، ويذهب شبابه، وعقله، وقوته، وصوته، وصورته، فلا يكون شيئًا أقبح منه، وما خلق الله شيئًا أحسن من الشباب، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [آية: ٦] يعنى غير منقوص، لا يمن به عليهم، يقول: ليس الأجر فى الهرم إلا للمؤمنين، وذلك أن المؤمن إذا كبر ومرض كتب له حسناته فى كبره، وما كان يعمل فى شبابه وصحته لا ينقص، ولا يمن له عليه، وأما الكافر، فإنه إذا شاخ وكبر ختم له بالشرك، ووجبت له النار فيموت والله تبارك وتعالى عليه غضبان، والملائكة والسماوات والأرض.

قوله: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ [آية: ٧] يقول: ما يكذبك، أيها الإنسان، يعنى عدى بن ربيعة بالدين، يعنى بالبعث بعد الصورة الحسنة والشباب، وبعد الهرم، وفيه نزلت هذه الآية، يقول: يكذبك بالقيامة، فيقول الله: الذى فعل ذلك به قادر على أن يبعثه فيحاسبه، ثم قال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [آية: ٨] على أن يحكم بينك وبين أهل مكة، قال رسول الله ﷺ: «بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين، يا أحكم الحاكمين»، يعنى يا أفصل الفاصلين، يقول: يفصل بينك يا محمد وبين أهل التكذيب، وكل شىء فى القرآن أليس الله يقول: أنا الله.

حدثنا عبد الله، حدثنى أبى، حدثنا الهذيل، حدثنا مقاتل، عن أبى عبيدة، عن أنس بن مالك، قال: من شاب رأسه فى الإسلام، ولحيته كانت له بكل شعرة حسنة، وصارت كل شعرة فيه نورًا يوم القيامة.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن خالد الزيات، عن من حدثه، عن أنس بن مالك، عن النبى ﷺ، قال: «المولود حتى يبلغ الحنث، ما عمل من حسنة كتبت لوالديه، وما عمل من سيئة لم تكتب عليه، ولا على والديه، فإذا بلغ الحنث، وجرى عليه القلم أمر الملكان اللذان معه أن يتحفظا وأن يسددا، فإذا بلغ أربعين سنة فى الإسلام أمنه الله عز وجل من البلايا الثلاث من الجنون والجذام والبرص، فإذا بلغ الخمسين خفف عنه حسابه، فإذا بلغ الستين رزقه الله عز وجل الإنابة إليه، فإذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين كتب له حسناته، وتجاوز عن سيئاته، فإذا بلغ التسعين غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، وشفع فى أهل بيته، وسمى عبد الله أسير الله فى أرضه، فإذا بلغ أرذل العمر ﴿**لكيلا يعلم من بعد علم شيئًا**﴾ [الحج: ٥] كتب له مثل ما كان يعمل فى صحته من الخير، وإن عمل سيئة لم تكتب عليه».

* * *

سورة العلق

مكية، عددها تسع عشرة آية كوفى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِى يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ﴿١٦﴾ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب۩ ﴿١٩﴾﴾

قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ يعنى بالواحد ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [آية: ١] يعنى الإنسان، وكان أول شىء نزل من القرآن خمس آيات من أول هذه السورة ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ [آية: ٢] وهى النطفة التى تكون عشرين ليلة، ثم تصير ماء ودمًا، فذلك العلق، قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [آية: ٣] ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ [آية: ٤] وذلك أن رسول الله ﷺ دخل المسجد الحرام، فإذا أبو جهل يقلد إلهه الذى يعبده طوقًا من ذهب، وقد طيبه بالمسك، وهو يقول: يا هبل لكل شىء سكن، ولك خير جزاء، أما وعزتك لأسرنك القابل، وذلك أنه كان ولد له فى تلك السنة ألف من الإبل، وجاءه عير من الشام فربح عشرة آلاف مثقال من الذهب، فجعل ذلك الشكر لهبل، وهو صنم كان فى جوف الكعبة طوله ثمانية عشر ذراعًا.

فقال رسول الله ﷺ: «ويحك، أعطاك إلهك وشكرت غيره، أما والله لله فيك نقمة، فانظر متى تكون؟ ويحك، يا عم، أدعوك إلى الله وحده، فإنه ربك ورب آبائك الأولين، وهو خلقك ورزقك، فإن اتبعتنى أصبت الدنيا والآخرة»، قال له: واللات والعزى ورب هذه البنية لئن لم تنته عن مقالتك هذه، فإن وجدتك هاهنا، وأنت تعبد غير آلهتنا

لأسفعنك على ناصيتك يقول: لأخرجنك على وجهك، أليس هؤلاء بناته، قال: وأنى يكون له ولد؟.

فأنزل الله عز وجل: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [آية: ٥] والنبى ﷺ يومئذ بالأراك ضحى، ثم بين، فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ يعنى من دم حتى تحولت النطفة دمًا، اقرأ يا محمد، ثم استأنف، فقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ﴾ الكتابة ﴿بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ من القرآن ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

ثم قال: ﴿كَلَّآ﴾ لا يعلم إن عملته، ثم استأنف، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [آية: ٦] فى نعم الله عز وجل، يعنى أبا جهل بن هشام، وكان إذا أصاب مالاً أشر يعنى بطرفى ثيابه، وفى مراكبه، وفى طعامه وشرابه، فذلك طغيانه، إذا رأى نفسه استغنى، وكان موسرًا طغى، فخوفه الله الرجعة إليه، فقال: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [آية: ٨] خوفه فى القيامة فى التقديم بعد أن قال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾، ثم هدده فيما بعد بقوله: ﴿**لئن لم ينته لنسفعن بالناصية**﴾ [العلق: ١٥]، ثم ذكر الناصية، فقال: ﴿**ناصية كاذبة خاطئة**﴾ [العلق: ١٦].

ثم قال: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [آية: ١٠] وذلك أن النبى ﷺ فرضت عليه الصلاة بمكة، فقال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا يصلى لأضربن عنقه، فقال الله، عز وجل: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ يعنى النبى ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ﴾، يعنى محمدًا ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [آية: ١١] ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ [آية: ١٢] يعنى بالإخلاص ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ أبو جهل بالقرآن ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [آية: ١٣]، يعنى وأعرض ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾ أبو جهل ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [آية: ١٤] النبى ﷺ وحده، ويرى جمع أبى جهل.

ثم قال: ﴿كَلَّا﴾ لا يعلم أن الله عز وجل يرى ذلك كله، ثم خوفه، فقال: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ يعنى أبا جهل عن محمد، بالتكذيب والتولى ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [آية: ١٥] يقول: لنأخذن بالناصية أخذًا شديدًا، ثم أخبر عنه أنه فاجر، فقال: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [آية: ١٦] يقول: إنما يجره الملك على وجهه فى النار من خطيئته، ثم قال: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [آية: ١٧] يعنى بنى مخزوم، يعنى ناصره ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [آية: ١٨] فهم أشد غضبًا عليه من بنى مخزوم على محمد ﷺ، لأنه قال لرسول الله ﷺ: لئن لم تنته ورأيتك هاهنا لأجرنك على وجهك.

فأراد بذلك أن يذل رسول الله ﷺ، فأنزل فيه يذله، فقال: لئن لم ينته عنك، وعن مقالته الشرك ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾، قال رسول الله ﷺ: «رأيت أبا جهل فى طمطام من نار يجر على وجهه فى نار جهنم على جبال من جمر فيطرح فى أوديتها، فيقول: بأبى محمد وأمى لقد كان ناصحًا لى، وأراد بى خيرًا، ولكنى كنت مسيئًا إلى نفسى، وأردت به شرًا، رب ردنى إلى قومى، فأؤمن به، وآمر بنى مخزوم أن يؤمنوا به.

قال: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [آية: ١٩] لأنهم كانوا يبدؤون بالسجود، ثم بعد السجود بالركوع، ثم بعد الركوع بالقيام، فكانوا يقومون، ويطلبون المسألة من آلهتهم فأمر الله تعالى أن يسجدوا ويقتربوا، فكان رسول الله ﷺ يسجد، ثم يركع، ثم يقوم، فيدعو الله تعالى ويحمد فخالف الله تعالى على المشركين بعد ذلك، فأمر النبى ﷺ أن يبدأ بالقيام، ثم بالركوع، ثم السجود.

قال: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يعنى ناصره ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ يعنى خزنة جهنم أرجلهم فى الأرضين السفلى ورءوسهم فى السماء ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ يقول للنبى ﷺ: لا تطع أبا جهل فى أن تترك الصلاة، ﴿وَاسْجُدْ﴾ يقول: وصل لله عز وجل ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ إليه باطاعة، فلما سمع أبو جهل ذكر الزبانية، قال: قد جاء وعد الله وانصرف عن النبى ﷺ، وقد كان هم به، فلما رجع قالوا له: يا أبا الحكم خفته؟ قال: لا، ولكنى خفت الزبانية.

* * *

سُورَةُ الْقَدْرِ

مدنية، عددها خمس آيات كوفي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾

قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعنى القرآن أنزله الله عز وجل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، إلى السفرة، وهم الكتبة من الملائكة، وكان ينزل تلك الليلة من الوحى على قدر ما ينزل به جبريل، عليه السلام، على النبى ﷺ فى السنة كلها إلى مثلها من قابل حتى نزل القرآن كله ﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [آية: ١] من شهر رمضان من السماء، ثم قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ [آية: ٢] تعظيمًا لها، ثم أخبر عنها، فقال: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [آية: ٣] يقول: العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر فيما سواها ليس فيها ليلة القدر ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ فى تلك الليلة عند غروب الشمس ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ يعنى بأمر ربهم ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [آية: ٤] ينزلون فيها بالرحمة، وبكل أمر قدره الله وقضاه فى تلك السنة، ينزلون فيها ما يكون فى تلك السنة إلى مثلها من قابل، ثم أخبر عن تلك الليلة، فقال: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ هى سلام وبركة وخير ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [آية: ٥].

حدثنا عبد الله بن ثابت، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: أخبرنى مقاتل بن حيان، عن الضحاك بن مزاحم، عن أنس بن مالك، عن مقاتل بن سليمان، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: الروح على صورة إنسان عظيم الخلقة، وهو الذى قال الله عز وجل: ﴿**ويسألونك عن الروح**﴾ [الإسراء: ٨٥]، وهو الملك، وهو يقوم مع الملائكة صفًا.

* * *

سُورَةُ البَيِّنَةِ

سورة لم يكن مدنية، عددها ثمانى آيات كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يعنى مشركى العرب ﴿مُنفَكِّينَ﴾ يعنى منتهين عن الكفر والشرك، وذلك أن أهل الكتاب قالوا: متى يبعث الذى نجده فى كتابنا، وقالت العرب: ﴿**لوأن عندنا ذكرًا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين**﴾ [الصافات: ١٦٨، ١٦٩]، فنزلت: ﴿**لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب**﴾ يعنى اليهود والنصارى والمشركين، يعنى مشركى العرب ﴿مُنفَكِّينَ﴾ يعنى منتهين عن الكفر والشرك ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [آية: ١] محمد ﷺ فبين لهم ضلالتهم وشركهم.

ثم أخبر الله عز وجل، عن النبى ﷺ، فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [آية: ٢] يعنى يقرأ صحفًا مطهرة، يعنى كتابًا لأنها جماعة فيها خصال كثيرة، من كل نحو، مطهرة من الكفر والشرك يقول: يقرأ كتابًا ليس فيه كفر ولا شرك، وكل شىء فيه كتاب فإنه يسمى صحفًا.

ثم قال: ﴿فِيهَا﴾ يعنى فى صحف محمد ﷺ ﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [آية: ٣] يعنى كتابًا مستقيمًا على الحق ليس فيه عوج، ولا اختلاف، وإنما سميت كتب لأن فيها أمورًا شتى

كثيرة مما ذكر الله عز وجل فى القرآن، ثم قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعنى اليهود والنصارى فى أمر محمد ﷺ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [آية: ٤] يعنى البيان يقول الله تعالى: لم يزل الذين كفروا مجتمعين على تصديق محمد ﷺ، حتى بعث لأنه نعته معهم فى كتبهم، فلما بعثه الله عز وجل من غير ولد إسحاق اختلفوا فيه، فآمن بعضهم: عبد الله بن سلام وأصحابه من أهل التوراة، ومن أهل الإنجيل أربعون رجلاً منهم بحيرى، وكذب به سائر أهل الكتاب.

يقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ يقول: ما أمرهم محمد ﷺ ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يعنى به التوحيد ﴿حُنَفَآءَ﴾ يعنى مسلمين غير مشركين ﴿وَ﴾ أمرهم أن ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الخمس المكتوبة ﴿وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [آية: ٥] يعنى الملة المستقيمة، ثم ذكر الله عز وجل المشركين يوم القيامة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ يقول: يقيمون فيها لا يموتون.

ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [آية: ٦] يعنى شر الخليقة من أهل الأرض، ثم ذكر مستقر من صدق النبى ﷺ، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [آية: ٧] يعنى خير الخليقة من أهل الأرض ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ يعنى ثوابهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فى الآخرة ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ لا يموتون ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بالطاعة ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ بالثواب ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [آية: ٨] فى الدنيا، وكل شيء خلق من التراب، فإنه يسمى البرية.

* * *

سورة الزلزلة

مكية، عددها ثمانى آيات كوفى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾

قوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [آية: ١] يقول: تزلزلت يوم القيامة من شدة صوت إسرافيل، عليه السلام، يعنى تحركت، فتفطرت حتى تكسر كل شىء عليها بزلزالها من شدة الزلزلة، ولا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبل، أو بناء، أو شجر، فيدخل فيها كل شىء خرج منها، وزلزلت الدنيا، فلا تلبث حتى تسكن ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [آية: ٢] يقول: تحركت فاضطربت، وأخرجت ما فى جوفها من الناس، والدواب، والجن، وما عليها من الشياطين، فصارت خالية ليس فيها شىء، وتبسط الأرض جديدة بيضاء، كأنها الفضة، أو كانها خامة، ولها شعاع كشعاع الشمس، لم يعمل عليها ذنب، و لم يهرق فيها الدماء، وذلك أنه إذا جاءت النفخة الأولى، يموت الخلق كلهم، ثم النفخة الثانية.

فأما الأولى فينادى من تحت العرش من فوق السماء السابعة، وأما الأخرى فمن بيت المقدس، يقعد إسرافيل على صخرة بيت المقدس، فيقول: أيتها العظام البالية، والعروق المتقطعة، واللحوم المتمزقة اخرجوا إلى فصل الفضاء، لتجازوا بأعمالكم، قال: فيخرجون من قبورهم إلى الأرض الجديدة، وتسمى الساهرة، فذلك قوله تعالى: ﴿**فإذا هم بالساهرة**﴾، وأيضًا ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أخرجت ما فيها من الموتى والأموال.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ [آية: ٣] قال الكافر جزعًا ما لها تنطق بما عمل عليها ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [آية: ٤] يقول: تخبر الأرض بما عُمل عليها من خير أو شر، تقول الأرض وحد الله على ظهرى، وصلى على، وصام، وحج، واعتمر، وجاهد،

وأطاع ربه، فيفرح المؤمن بذلك وتقول للكافر: أشرك على ظهرى، وزنى، وسرق، وشرب الخمر، وفعل، وفعل، فتوبخه فى وجهه، وتشهد عليه أيضًا الجوارح، والحفظة من الملائكة، مع علم الله عز وجل فيه، وذلك الخزى العظيم، فلما سمع الإنسان المكذب عمله، قال جزعًا: ﴿مَا لَهَا﴾ يعنى للأرض تحدث بما عمل عليها، فذلك قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾ فى التقديم، يقول له: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ يقول: تشهد على أهلها بما عملوا عليها من خير أو شر، فلما سمع الكافر يومئذ، قال: ما لها تنطق؟ قال الملك الذى كان موكلاً به فى الدنيا يكتب حسناته وسيئاته، قال: هذا الكلام الذى تسمع إنما شهدت على أهلها.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [آية: ٥] ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾ يعنى الكافر، يقول: يوحى الله إليها بأن تحدث أخبارها، وأيضًا أن ربك أوحى لها بالكلام، فذلك قوله: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ يعنى يرجع الناس من بعد العرض والحساب إلى منازلهم من الجنة والنار متفرقين، كقوله: ﴿**يومئذ يصدعون**﴾ [الروم: ٤٣]، يعنى يتفرقون فريق فى الجنة، وفريق فى السعير.

وذكر فينا تقدم ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾، ثم ذكر هنا أن الناس أخرجوا ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [٦] الخير والشر، يعنى لكى يعاينوا أعمالهم، وأيضًا ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾، يقول: انتصف الناس فريقين والأشتات الذين لا يلتقون أبدًا، قال: ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾، ثم قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [آية: ٧] يقول: من يعمل فى الدنيا مثقال ذرة، يعنى وزن نملة أصغر النمل الأحمر التى لا تكاد نراها من صغرها، خيرًا فى التقديم يره يومئذ يوم القيامة فى كتابه أيضًا ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [آية: ٨] فى صحيفته، وذلك أن العرب كانوا لا يتصدقون بالشىء القليل، وكانوا لا يرون بالذنب الصغير بأسًا، فزهدهم الله عز وجل فى الذنب الحقير، ورغبهم فى الصدقة القليلة، فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ فى كتابه والذرة أصغر النمل وهى النملة الصغيرة، وأيضًا فمن يعمل فى الدنيا مثقال ذرة قدر نملة شرًا يره يوم القيامة فى كتابه، نزلت فى رجلين بالمدينة، كان أحدهما إذا أتاه السائل يستقل أن يعطيه الكسرة أو التمرة، ويقول: ما هذا بشىء إنما نؤجر على ما نعطى ونحن نحبه.

وقد قال الله عز وجل: ﴿**ويطعمون الطعام على حبه**﴾ [الإنسان: ٨]، فيقول: ليس

هذا مما يحب، فيستقل ذلك، ويرى أنه لا يؤجر عليه، فيرد المسكين صفرًا، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير الكذبة، والنظرة، والغيبة، وأشباه ذلك، ويقول: ليس على من فعل هذا شيء إنما وعد الله النار أهل الكبائر، فأنزل الله عز وجل يرغبهم فى القليل من الخير أن يعطزه لله، فإنه يوشك أن يكثر ويحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر، فالذنب الصغير فى عين صاحبه يوم القيامة أعظم من الجبال الرواسى، ولجميع محاسنه التى عملها فى دار الدنيا أصغر فى عينه من حسنة واحدة.

حدثنا عبد الله بن ثابت، قال: حدثنا أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن أبى روق، فى قوله: ﴿**وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلاً**﴾ [الأنعام: ١١٥]، قال: لمن جاء بشرائع الإسلام، فله الجنة وعدلاً على أهل التكذيب فلهم النار.

أسماء من دفن بالبصرة من أصحاب رسول الله ﷺ ورحمة الله عليهم، عمران بن حصين، وطلحة، والزبير، وزيد بن صوحان، وأنس بن مالك.

أسماء من حفظ القرآن من أصحاب رسول الله ﷺ أبو الدرداء، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

قال مقاتل، رحمه الله: شعيب بن نويب بن مدين بن إبراهيم.

أيوب بن تارح بن عيصو.

داود بن أشى بن عويذ بن قارص بن يهوذا بن يعقوب.

إسحاق بن إبراهيم.

هود وهو عابر.

صالح بن أرفخشد بن سام بن نوح.

إبراهيم اسمه إبرخيم، وفى الإنجيل أبو الأمم.

لوط بن حران بن آزر، وهو ابن أخى إبراهيم، وسميت حران به.

سارة أخت لوط بنت حران، أخى إبراهيم، وهى امرأته.

قال مقاتل: الحسن عشرة أجزاء خمسة لحواء، وثلاثة لسارة، وواحد ليوسف، وواحد لسائر الناس.

حدثنا عبد الله بن ثابت، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: حدثنى المسيب بن شريك، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قالت الملائكة: نحن المقربون منا حملة العرش، ومنا الحفظة الكرام الكاتبون.

جعلت الدنيا لبنى آدم يأكلون، ويشربون، ويفرحون، فاجعل لنا الجنة، فأوحى الله إليهم لا أجعل صالح ذرية من خلقته بيدى، كمن قلت له كن فكان، قال المسيب: ذلك فى كتاب الله عز وجل ﴿**أولئك هم خير البرية**﴾ [البينة: ٧]، يعنى الخليقة.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، قال: قال الهذيل: حدثنى الحذاء عن شيبان، عن بشر بن سعاف، عن عبد الله بن سلام، قال: إن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أكرم عليه من آدم، عليه السلام، قال: فقلت: ولا من جبريل، وميكائيل، عليهما السلام، فقال: نعم، إنما هم قوم محمولون على شىء كالشمس والقمر، وحديث آخر أن المسجود له أكرم على الله عز وجل من الساجد.

* * *

سُورَةُ العَادِيَاتِ

مكية، عددها إحدى عشرة آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١)﴾

قوله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [آية: ١] ذلك أن النبى ﷺ بعث سرية إلى حنين من كنانة، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصارى أحد النقباء، فغابت فلم يأت النبى ﷺ خبرها، فأخبره الله عز وجل عنها، فقال: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ يعنى الخيل، وقيل: إن رسول الله ﷺ بعث سرية إلى أرض تهامة، وأبطأ عليه الخبر، فجعلت اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلاً من الأنصار أو من المهاجرين تناجوا بأمره، فكان الرجل يظن أنه قد مات، أو قتل أخوه، أو أبوه، أو عمه، وكان يجد من ذلك أمرًا عظيمًا، فجاءه جبريل، عليه السلام، يوم الجمعة عند وقت الضحى، فقال: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ يقول: غدت الخيل إلى الغزو حتى أضبحت فعلت أنفاسها بأفواهها، فكان لها ضباح كضباح الثعلب.

ثم قال: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ [آية: ٢] يقدحن بحوافرهن فى الحجارة نارًا كنار أبى حباحب، وكان شيخًا من مصر فى الجاهلية له نويرة تقدح مرة وتخمد مرة لكيلا يمر به ضيف فشبه الله عز وجل ضوء وقع حوافرهن فى أرض حصباء بنويرة أبى حباحب، وأيضًا ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ قال: كانت تصيب حوافرهن الحجارة فتقدح منهن النار، ثم قال: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ [آية: ٣] وذلك أن الخيل صبحت العدو بغارة يقول: غارت عليهم صبحًا ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ [آية: ٤] يقول: فأثرن بجريهن يعنى بحوافرهن نقعًا فى التراب.

حدثنا عبد الله بن ثابت، قال الفراء: النقع الغبار ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [آية: ٥] يعنى

بعدوهن، يقول: حين تعدو الخيل جمع القوم يعنى العدو، فأقسم الله عز وجل، بالعاديات ضبحًا، وحدها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [آية: ٦] وأيضًا ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ يقول: فوسطن بذلك الغبار جمعًا، يقول: حمل المسلمون عليهم، فهزمهم، فضرب بعضهم بعضًا، حتى ارتفع الوهج الذى كان ارتفع من حوافر الخيل إلى السماء، فهزم الله المشركين وقتلهم، فأخبره الله عز وجل بعلامات الخيل، والغبار، وكيف فعل بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل، ومتى كان هذا»؟ قال: اليوم، فخرج رسول الله ﷺ فأخبر المسلمين بذلك، وقرأ عليهم كتاب الله عز وجل، ففرحوا واستبشروا، وأخزى الله عز وجل اليهود والمنافقين ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ يعنى لكفور، نزلت فى قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشى، وهو الرجل الذى أكل وحده، وأشبع بطنه وأجاع عبده، ومتع رفده، ولم يعط قومه شيئًا، يسمى بلسان بنى مالك بن كنانة الكنود.

ثم قال: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [آية: ٧] يقول: إن الله عز وجل على كفر قرط لشهيد، ثم أخبر عنه، فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [آية: ٨] يعنى المال، ثم خوفه، فقال: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ يعنى فهلا يعلم ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ يعنى بعث ﴿مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [آية: ٩] من الموتى ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ١٠] من الخير والشر، يعنى تميز ما فى القلب ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿لَّخَبِيرٌ﴾ [آية: ١١] بالصالح منهم والطالح.

* * *

سُورَةُ القَارِعَةِ

مكية، عددها إحدى عشرة آية كوفى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾

قوله: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ [آية: ١] ثم بين لهم ﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ [آية: ٢] فقال: يقرع الله عز وجل أعداءه، ثم قال للنبى ﷺ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ [آية: ٣] تعظيمًا لها لشدتها، وكل شىء فى القرآن وما أدراك، فقد أخبر به النبى ﷺ، وكل شىء فى القرآن وما يدريك فمما لم يخبر به، وفى الأحزاب: ﴿**وما يدريك لعل الساعة تكون قريبًا**﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال فى هذه السورة: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ ثم أخبر عنها، فقال: ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ﴾ [آية: ٤] يقول: إذا خرجوا من قبورهم تجول بعضهم فى بعض، فشبههم بالفراش المبثوث، وشبههم فى الكثرة بالجراد المنتشر، فقال: ﴿**كأنهم جراد منتشر**﴾ [القمر: ٧]، ثم قال: ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ [آية: ٥] يقول: تكون الجبال يومئذ بعد القوة والشدة كالصوف المندوف عرقها فى الأرض السفلى، ورأسها فى السماء، يقول: هو جبل فإذا مسسته فهو لا شىء من شدة الهول: فما حالك يومئذ يا ابن آدم، قال: كالصوف المنفوش فى الوهن، أوهن ما يكون الصوف إذا نقش ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [آية: ٦] يقول: من رجحت موازينه بحسناته.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾ [آية: ٧] ولا يثقل الميزان إلا قول: لا إله إلا الله بقلوب

المخلصين فى الأعمال، وهم الموحدون، يعنى فى عيش فى الجنة برضاه ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ [آية: ٨] بسيئاته وهو الشرك لأنه لا يرى شيئًا مما كسب إلا صار كالرماد، فاشتدت به الريح فى يوم شديد الريح، وكما أنه ليس فى الأرض شىء أخبث من الشرك، فهكذا ليس شىء أخف من الشرك فى الميزان، ولا إله إلا الله ثقيلة، وصاحبها ثقيل كريم رزين عند الله عز وجل، فيأتى صاحب التوحيد بأعماله الصالحة فيثقل ميزانه، ويأتى صاحب الشرك بأعماله الطالحة فلا تكون له حسنة توزن معه، فهو خفيف ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ وهى الجنة، يعنى براضيه أنه لا يسخط بعد دخولها أبدًا، ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ وهو الشرك.

﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ [آية: ٩] يقول: لا تحمله الأرض، ولا تظله السماء، ولا شىء إلا النار، فذلك قوله: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ يعنى أصله هاوية، كقوله: ﴿ **أم القرى** ﴾ [الأنعام: ٩٢]، يعنى أصل القرى يعنى مكة.

ثم قال: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [آية: ١١] يقول: نار حامية تحمى ستة أبواب من جهنم، ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ يقول: خفت موازينه بسيئاته وحق لميزان لا يقع فيه الحق أن يخف لأن الحق ثقيل مرئ، والباطل خفيف وبئ ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴾ تعظيمًا لشدتها، ثم أخبر عنها، فقال: هى: ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ يقول: انتهى حرها.

* * *

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

مكية، عددها ثمان آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [آية: ١] يعنى شغلكم التكاثر، وذلك أن حيين من قريش من بنى عبد مناف بن قصى، وبنى سهم بن عمرو بن مرة بن كعب، كان بينهم لحاء فافتخروا، فتعادى السادة والأشراف، فقال: بنو عبد مناف: نحن أكثر سيدًا، وأعز عزيزًل، وأعظم شرفًا، وأمنع جانبًا، وأكثر عددًا، فقال بنو سهم لبنى عبد مناف: مثل ذلك فكاثرهم بنو عبد مناف بالأحياء، ثم قالوا: تعالوا نعد أمواتنا، حتى أتوا المقابر يعدونهم، فقالوا: هذا قبر فلان، وهذا قبر فلان، فعد هؤلاء وهؤلاء موتاهم، فكاثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات، لأنهم كانوا أكثر عددًا فى الجاهلية من بنى عبد مناف، فأنزل الله فى الحيين ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ يقول: شغلكم التكاثر عن ذكر الآخرة، فلم تزالوا كذلك ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [آية: ٢] كلكم يقول: إلى أن أتيتم المقابر.

ثم أوعدهم الله عز وجل، فقال: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣] هذا وعيد ما نحن فاعلون بذلك إذا نزل بكم الموت، ثم قال: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤] وهو وعيد: إذا دخلتم قبوركم، ثم قال: ﴿كَلَّا﴾ لا يؤمنون بالوعيد، ثم استأنف، فقال: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [آية: ٥] لا شك فيه ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ [آية: ٦] لعلمتم أنكم سترون الجحيم فى الآخرة ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [آية: ٧] لا شك فيه، يقول: لترون الجحيم فى الآخرة معاينة، والجحيم ما عظم من النار، يقينها رؤية العين، سنعذبهم مرتين، مرة عند الموت، ومرة عند القبر، ثم يردون إلى عذاب عظيم.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ فى الآخرة ﴿يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [آية: ٨] يعنى كفار مكة كانوا

فى الدنيا فى الخير والنعمة، فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه، وأيضًا، فذلك قوله: ﴿**أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمعتم بها**﴾ [الأحقاف: ٢٠]، وقال: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾، وذلك أن الله عز وجل إذا جمع الكفار فى النار صرخوا: يا مالك، أضجت لحومنا، وأحرقت جلودنا، وجاعت وأعطشت أفواهنا، وأهلكت أبداننا، فهل إلى خروج يوم واحد من سبيل من النار، فيرد عليهم مالك يقول: لا، قالوا: ساعة من النهار، قال: لا، قالوا: فردنا إلى الدنيا، فنعمل غير الذى كنا نعمل، قال: فينادى مالك، خازن النار، بصوت غليظ جهير، قال: فإذا نادى حسرت النار من فوقه، وسكن أهلها، فيقول: أبشروا فيرجون أن تكون عافية قد أتتهم، ثم يناديهم: يا أهل النار، فيقولون: لبيك، فيقول: يا أهل البلاء، فيقولون: لبيك، فيقول: ﴿**أذهبتم فى طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون**﴾ [الأحقاف: ٢٠]، يا أهل الفرش والوسائد والنعمة فى دار الدنيا، كيف تجدون مس سقر؟ قالوا: يأتينا العذاب من كل مكان، فهل إلى أن نموت ونستريح، قال: فيقول: وعزة ربى لا أزيدكم إلا عذابًا، قال: فذلك قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾، يعنى الشكر للنعيم الذى أعطاه الله عز وجل، فلم يهتد ولم يشكر، يعنى الكافر.

* * *

سُورَةُ العَصْرِ

مكية، عددها ثلاث آيات كوفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾

﴿وَالْعَصْرِ﴾ [١] قسم، أقسم الله عز وجل بعصر النهار، وهو آخر ساعة من النهار، وأيضًا العصر سميت العصر حين تصوبت الشمس للغروب، وهو عصر النهار، فأقسم الله عز وجل بصلاة العصر.

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [آية: ٢] نزلت في أبي لهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب، يعني أنه لفي ضلال أبدًا، حتى يدخل النار، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فليسوا في خسران، ثم نعتهم، فقال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ يعني بتوحيد الله عز وجل ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [آية: ٣] يعني على أمر الله عز وجل، فمن فعل هذين كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فليسوا من الخسران في شيء، ولكنهم في الجنان مخلدون.

* * *

سورة الهمزة

مكية، عددها تسع آيات كوفى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ يعنى الطعان المغتاب الذى إذا غاب عنه الرجل اغتابه من خلفه ﴿لُّمَزَةٍ﴾ [آية: ١] يعنى الطاغى إذا رآه طغى عليه فى وجهه، نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى، ثم نعته، فقال: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ [آية: ٢] يقول: الذى استعد مالاً ليشترى به الخدم والحيوان، يقول: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ [آية: ٣] من الموت، فلا يموت حتى يفنى ماله، يقول الله عز وجل ﴿كَلَّا﴾ لا يخلده ماله وولده، ثم استأنف، فقال: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ [آية: ٤] يقول: ليتركن فى الحطمة ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ [آية: ٥] تعظيمًا لشدتها، تحطم العظام، وتأكل اللحم حتى تهجم على القلب.

ثم أخبر عنها، فقال: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [آية: ٦] على أهلها لا تخمد، ثم نعتها، فقال: ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [آية: ٧] يقول: تأكل اللحم والجلود حتى يخلص حرها إلى القلوب، ثم تكسى لحمًا جديدًا، ثم تقبل عليه وتأكله حتى يصير إلى منزلته الأولى ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [آية: ٨] يعنى مطبقة ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [آية: ٩] يقول: طبقت الأبواب ثم شدت بأوتاد من حديد من نار، حتى يرجع عليهم غمها وحرها، فلا يفتح عليهم باب، ولا يدخل عليهم روح، ولا يخرج منها غم آخر الأبد.

وأيضًا ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، فأما الهمزة فالذى ينم الكلام إلى الناس وهو النمام، وأما اللمزة، فهو الذى يلقب الرجل بما يكره، وهو الوليد بن المغيرة، كان رجلاً نمامًا،

وكان يلقب الناس من التجبر والعظمة، وان يستهزئ بالناس، وذلك أنه أنزل على رسول الله ﷺ ﴿**ذرنى ومن خلقت وحيدًا وجعلت له مالاً ممدودًا**﴾ [المدثر: ١١، ١٢]، وكان له حديقتان، حديقة بمكة، وحديقة بالطائف، وكان لا ينقطع خيره شتاء ولا صيفًا، فذلك قوله: ﴿**مالاً ممدودًا وبنين شهودا**﴾ [المدثر: ١٢، ١٣]، يعنى أرباب البيوت، وكان له سبعة بنين، قال: ﴿**ومهدت له تمهيدًا**﴾ [المدثر: ١٤]، يقول: بسطت له فى المال كل البسط، ﴿**ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدًا**﴾ [المدثر: ١٥، ١٦]، قال: والله، قسمت مالى يمينًا وشمالاً على قريش ما دمت حيًا ما فنى، فكيف تعدنى الفقر؟ قال: أما والله، إن الذى أعطاك، قادر على أن يأخذه منك، فوقع فى قلبه من ذلك شىء، ثم عمد إلى ماله فعده، ما كان ذهب أو فضة، أو أرض، أو حديقة، أو رقيق، فعده وأحصاه.

فقال: يا محمد تعدنى الفقر والله لو كان هذا خبزًا ما فنى، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا﴾ لا يخلده، ثم استأنف، فقال: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ تعظيمًا لها، فقال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ وذلك أن الشقى إذا دخل النار طاف به الملك فى أبوابها فى ألوان العذاب وفتح له باب الحطمة، وهى باب من أبواب جهنم، وهى نار تأكل النار من شدة حرها، وما خمدت من يوم خلقها الله عز وجل إلى يوم يدخلها، فإذا فتح ذلك الباب وقعت النار عليه فأحرقته، فتحرق الجلد واللحم والعصب والعظم ولا تحرق القلب ولا العين، وهو ما يعقل به ويبصر، فذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ ثم تلا: ويأتيه الموت من كل مكان، وما هو بميت، يقول: ليس فى جسده موضع شعرة إلا والموت يأتيه من ذلك المكان، ثم قال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ وذلك أنه إذا خرج الموحدون من الباب الأعلى، وهى جهنم، قال أهل تلك السبعة الأبواب، وهى أسفل درك من النار، لأهل الباب السادس: ﴿**ما سلككم فى سقر**﴾ يقول: ما أدخلكم فى سقر، ﴿**قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين**﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٤] إلى آخر الآيات، ثم يقولون: تعالوا حتى نجزع، فيجزعون حقبا من الدهر فلا ينفعهم شيئًا، ثم يقولون: تعالوا حتى نصرخ فيصرخون حقبا من الدهر، فلا يغنى عنهم شيئًا، فيقولون: تعالوا: حتى نصبر، فلعل الله عز وجل إذا صبرنا وسكتنا أن يرحمنا، فيصبرون حقبًا من الدهر، فلا يغنى عنهم شيئًا،

فيقولون: ﴿**سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص**﴾ [إبراهيم: ٢١]، ثم ينادون: ﴿**أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون**﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، فينادى رب العزة من فوق العرش: ﴿**اخسئوا فيها ولا تكلمون**﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فتصم آذانهم ويختم على قلوبهم، وتغلق عليهو أبوابها، فيطبق كل واحد على صاحبه، بمسامير من حديد من نار كأمثال الجبال، فلا يلج فيها روح، ولا يخرج منها حر النار، ويأكلون من النار، ولا يسمع فيها إلا الزفير والشهيق، نسأل الله المعافاة منها بفضله وجوده، ورحمته.

* * *

سُورَةُ الفِيلِ

مكية، عددها خمس آيات كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم يا محمد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [آية: ١] يعنى أبرهة بن الأشرم اليمانى وأصحابه، وذلك أنه كان بعث أبا يكسوم بن أبرهة اليمانى الحبشى، وهو ابنه، فى جيش كثيف إلى مكة، ومعهم الفيل ليخرب البيت الحرام، ويجعل الفيل مكان البيت بمكة، ليعظم ويعبد كتعظيم الكعبة، وأمره أن يقتل من حال بينه وبين ذلك، فسار أبو يكسوم بمن معه حتى نزل بالمعمس، وهو واد دون الحرم بشىء يسير، فلما أرادوا أن يسوقوا الفيل إلى مكة لم يدخل الفيل الحرم، وبرك، فأمر أبو يكسوم أن يسقوه الخمر، فسقوه الخمر ويردونه فى سياقه، فلما أرادوا أن يسوقوه برك الثانية، ولم يقم، وكلما خلوا سبيله ولى راجعًا إلى الوجه الذى جاء منه يهرول، ففزعوا من ذلك وانصرفوا عامهم ذلك، فلما أن كان بعده بسنة أو بسنتين خرج قوم من قريش فى تجارة إلى أرض النجاشى، حتى دنوا من ساحل البحر فى سند حقف من أحقافها ببيعة النصارى، وتسميها قريش الهيكل، ويسميها النجاشى وأهله أرضة ما سر حسان، فنزل القوم فى سندها، فجمعوا حطبًا، وقدوا نارًا، وشووا لحمًا.

فلما أرادوا أن يرتحلوا تركوا النار، كما هى فى يوم عاصف، فعجبت الريح واضطرم الهيكل نارًا، فانطلق الصريخ إلى النجاشى، وجاءه الخبر فأسف عند ذلك غضبًا للبيعة، وسمعت بذلك ملوك العرب الذين هم بحضرته، فأتوا النجاشى منهم حجر بن شرحبيل، وأبو يكسوم الكنديان، وأبرهة بن الصباح الكندى، فقالوا: أيها الملك، لا تكاد ولا تغلب، نحن مؤازرون لك على كعبة قريش التى بمكة، فإنها فخرهم ومعتزهم على من

بحضرتهم من العرب، فننسف بناءها، ونبيح دماءها، وننتهب أموالها، وتمنح حفائرها من شئت من سوامك، ونحن لك على ذلك مؤازرون، فاعزم إذا شئت أو أحببت أيها الملك، فأرسل الملك الأسود بن مقصود، فأمر عند ذلك بجنوده من مزارعى الأرض، فأخرج كتائبه جماهير معهم الفيل، واسمه محمود، فسار بهم وبمن معه من ملوك العرب تلقاء مكة فى حجائل تضيق عليهم الطرق، فلما ساروا مروا بخيل لعبد المطلب، جد النبى ﷺ، مسومة وإبل، فاستاقها.

فركب الراعى فرسًا له أعوجيًا كان يعده لعبد المطلب، فأمعن فى السير حتى دخل مكة، فصعد إلى الصفا فرقى عليه، ثم نادى بصوت رفيع: يا صباحاه، يا صباحاه، أتتكم السودان معها فيلها، يريدون أن يهدموا كعبتكم، ويدعوا عزكم، ويبيحوا دماءكم، وينتهبوا أموالكم، ويستأصلوا بيضتكم، فالنجاء النجاء، ثم قصد إلى عبد المطلب، فأخبره الأمر كله، فركب عبد المطلب فرسه، ثم أمعن جادًا فى السير حتى هجم على عسكر القوم، فاستفتح له أبرهة بن الصباح، وحجر بن شراحيل، وكانا خلين، فقالا: لعبد المطلب ارجع إلى قومك، فأخبرهم وأنذرهم أن هذا قد جاءكم حميًا آتيًا، فقال عبد المطلب: واللات والعزى، لا أرجع حتى أرجع معى بخيلى، ولقاحى، فلما عرفا أنه غير راجع ونازع عن قوله قصدا به إلى النجاشى، فقالا: كهيئة المستهزئين يستهزئان به: أيها الملك، اودد عليه أبله وخياله، فإنما هو وقومه لك بالغداة، فأمر بردها.

فقال عبد المطلب للنجاشى: هل لك إلى أن أعطيك أهلى ومالى، وأهل قومى، وأموالهم، ولقاحهم على أن تنصرف عن كعبة الله؟ قال: لا، فسار عبد المطلب بإبله وخيله، حتى أحرزها، ونزل النجاشى ذا المجاز، موضع سوق الجاهلية، ومعه من العدد والعدة كثير، واندعرت قريش وأعروا مكة، فلحقوا بجبل حراء وثبير، وما بينها من الجبال، وقال عبد المطلب لقريش: واللات، والعزى لا ابرح البيت حتى يقضى الله قضاءه، فقد نبأنى أجدادى أن للكعبة ربا يمنعها، ولن تغلب النصرانية، وهذه الجنود جنود الله، وبمكة يومئذ أبو مسعود الثقفى جد المختار، وكان مكفوف البصر، يقيظ بالطائف، ويشتو بمكة، وكان رجلاً نبيلاً تستقسم الأمور برأيه، وهو أول فاتق، وأول راتق، وكان خلا لعبد المطلب، فقال له عبد المطلب: يا أبا مسعود، ماذا عندك هذا يوم لا يتغنى عن رأيك، قال له أبو مسعود: اصعد بنا الجبل حتى نتمكن فيه، فصعدا الجبل فتمكنا فيه، فقال أبو مسعود لعبد المطلب: اعمد إلى ما ترى من إبلك، فاجعلها حرمًا

لله، وقلدها نعالاً، ثم أرسلها فى حرم الله، فلعل بعض هؤلاء السودان أن يعقروها، فيغضب رب هذا البيت، فيأخذهم عند غضبه، ففعل ذلك عبد المطلب، فعمد القوم إلى تلك الإبل، فحملوا عليها وعقروا بعضها، فقال عبد المطلب عند ذلك، وهو يبكى:

يا رب إن العبد يمنع رحـ ـله فأمنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحا لهم عدوًا محالك
فإن كنت تاركهم وكعـ ـبتنا فأمر ما بدالك
فلم أسمع بأرجس من رجال أرادوا العز فانتهكوا حرامك

ثم دعا عليهم فقال: اللهم أخز الأسود بن مقصود، الآخذ الهجمة بعد التقليد، قلبها إلى طماطم سود، بين ثبير فالبيد والمروتين والمشاعر السود، ويهدم البيت الحرم المصمود، قد أجمعوا ألا يكون لك عمود، اخفرهم ربى فأنت محمود.

فقال أبو مسعود: إن لهذا البيت ربًا يمنعه منعة ونحن له فلا ندرى ما منعه، فقد نزل تبع ملك اليمن بصحن هذا البيت، وأراد هدمه، فمنعه الله عن ذلك، وابتلاه وأظلم عليهم ثلاثة أيام، فلما رأى ذلك تبع كساه الثياب البيض من الشطرين وعظمه، ونحر له جزرًا، ثم قال أبو مسعود لعبد المطلب: انظر نحو البحر ما ترى؟ فقال: أرى طيرًا بيضًا قد انساب مع شاطئ البحر، فقال: ارمقها ببصرك أين قرارها؟ قال: أراها قد أزرت على رءوسنا، فقال: هل تعرفها؟ قال: لا والله ما أعرفها، ما هى بنجدية، ولا تهامية، ولا غربية، ولا شرقية، ولا يمانية، ولا شامية، وإنها تطير بأرضنا غير مؤنسة.

قال: ما قدرها؟ قال: أشباه اليعاسيب فى مناقيرها الحصى كأنها حصى الخذف قد أقبلت، وهى طير أبابيل يتبع بعضها بعضًا، أمام كل رفقة منها طائر يقودها أحمر المنقار، أسود الرأس، طويل العنق، حتى إذا جازت بعسكر القوم ركدن فوق رءوسهم، فلما توافتها الرعال كلها هالت الطير ما فى مناقيرها من الحجارة على من تحتها، يقال: إنه كان مكتوبًا على كل حجر اسم صاحبه، ثم إنها عادت راجعة من حيث جاءت، فقال أبو مسعود: لأمر ما هو كائن، فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل إلى الأرض فمشيا ربوة أو ربوتين، فلم يؤنسا أحدًا، ثم دنوا فمشيا ربوة، أو ربوتين أيضًا، فلم يسمعا همسًا، فقالا: عند ذلك بات القوم سامدين فأصبحوا نيامًا لا يسمع لهم ركزًا، وكانا قبل ذلك يسمعان صياحهم، وجلبة فى أسواقهم، فلما دنيا من عسكرهم، فإذا هم خامدون، يقع الحجر فى بيضة الرجل فيخرقها، حتى يقع فى دماغه، ويخرق الفيل والدابة، حتى يغيب

فى الأرض من شدة وقعه، فعمد عبد المطلب، فأخذ فأسًا من فئوشهم فحفر حتى عمق فى الأرض وملأه من الذهب الأحمر والجوهر الجيد، وحفر أيضًا لصاحبه فملأه من الذهب والجوهم.

ثم قال لأبى مسعود: هات خاتمك، واختر أيهما شئت، خذ إن شئت حفرتى، وإن شئت حفرتك، وإن شئت فهما لك، فقال أبو مسعود: اختر لى، فقال عبد المطلب: إنى لم أجعل أجود المتاع فى حفرتى وهى لك، وجلس كل واحد منهما على حفرة صاحبه، ونادى عبد المطلب فى الناس، فتراجعوا فأصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به ذرعًا، وساد عبد المطلب بذلك قريشًا، وأعطوه المقادة، فلم يزل عبد المطلب وأبو مسعود وأهلوهما فى غنى من ذلك المال، ودفع الله عز وجل عن كعبته وقبلته وسلط عليهم جنودًا لا قبل لهم بها، وكان لهم بالمرصاد والأخذة الرابية، وأنزل فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، يعنى يخبر نبيه ﷺ ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ يعنى الأسود بن مقصود، ومن معه من الجيش وملوك العرب.

ثم أخبرهم عنهم، فقال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [آية: ٢] الذى أرادوا من خراب الكعبة واستباحة أهلها، ﴿فِى تَضْلِيلٍ﴾ يعنى خسار ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [آية: ٣] يعنى متتابعة كلها تترى بعضها على إثر بعض ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [آية: ٤] يعنى بحجارة خلطها الطين ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [آية: ٥] فشبههم بورق الزرع المأكول يعنى البالى، وكان أصحاب الفيل قبل مولد النبى ﷺ بأربعين سنة، وهلكوا عند أدنى الحرم، ولم يدخلوه قط.

قال عكرمة بن خالد:

حبست رب الجيش والأفيال ... وقد رعوا بمكة الأجبال
قد خشينا منهم القتال ... كل كريم ما جد بطال
يمشى يجر المجد والأذيال ... ولا يبالى حيلة المختال
تركتهم ربى بشر حال ... وقد لقوا أمرًا له فعال

وقال صفوان بن أمية المخزومى:

يا واهب الحى الحلال الأحمس ... وما لهم من طارق ومنفس
أنت العزيز ربنا لا تدنس ... أنت حبست الفيل بالمعمس

حبست فإنه هكروس

وقال ابن أبى الصلت:

إن آيـــات ربنـــا بينـــات لا يمـــارى بـــهن إلا الكفـــور
حـــابس الفيـــل بـــالمعمس حتـــى ظـــل يحبـــو كأنـــه معقـــور
وأســـقى حلقـــه الحـــراب كمـــا قطـــر مـــن ضحـــر كبكـــب محـــدور
حولـــه مـــن ملـــوك كنـــدة فتيـــا ن ملاويـــث فـــى الهيـــاج صقـــور
حـــالفوه ثـــم انذعـــروا عنـــه عظمـــه خلـــف ســـاقه مكســـور
كل دين يـوم القيامـة عنـد اللــ ــه إلا ديـن الحنيفـة بـور

* * *

سورة قريش

مكية، عددها أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ (١) إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ (٣) ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ (٤)﴾

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [آية: ١] وذلك أن قريشًا كانوا تجارًا يختلفون إلى الأرض، ثم سميت قريش، وكانوا يمتارون فى الشتاء من الأردن، وفلسطين، لأن ساحل البحر أدفا، فإذا كان الصيف تركوا طريق الشتاء والبحر من أجل الحر، وأخذوا إلى اليمن للميرة، فشق عليهم الاختلاف لهم ولا تجارة قد قطعناها عنهم، فذلك: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ [آية: ٢] فقذف الله عز وجل فى قلوب الحبشة أن يحملوا الطعام فى السفن إلى مكة للبيع، فحملوا إليهم فجعل أهل مكة يخرجون إليهم بالإبل والحمير، فيشترون الطعام على مسيرة يومين من مكة، وتتابع ذلك عليهم سنين، فكفاهم الله مؤنة الشتاء والصيف.

ثم قال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ [آية: ٣] لأن رب هذا البيت كفاهم مؤنة الخوف والجوع، فليألفوا العبادة له، كما ألفوا الحبشة، ولم يكونوا يرجونهم، ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ حين قذف فى قلوب الحبشة أن يحملوا إليهم الطعام فى السفن ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [آية: ٤] يعنى القتل والسبى، وذلك أن العرب فى الجاهلية كان يقتل بعضهم بعضًا، ويغير بعضهم على بعض، فكان الله عز وجل يدفع عن أهل الحرم، ولا يسلط عليهم عدوًا، فذلك قوله: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾.

وأيضًا ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ يقول: لا ميرة لقريش، ولا اختلاف، وذلك أن قريشًا كانت لا تأتيهم التجار، ولا يهتدون إليهم، فكانت قريش تمتار لأهلها الطعام من الشام فى الشتاء، ومن اليمن فى الصيف، وذلك أنهم كانوا فى الشتاء ينطلقون إلى الشام يمتاروا الطعام لأهلهم، فإذا جاء الصيف انطلقوا إلى اليمن، فكانت لهم رحلتان فى الشتاء

والصيف، فرحمهم الله عز وجل فقذف فى قلوب الحبش أن يحملوا إليهم الطعام فى السفن، فكانوا يخرجون على مسيرة ليلة إلى جدة، فيشترون الطعام وكفاهم الله مؤنة الشتاء والصيف.

فأنزل الله عز وجل يذكرهم النعم، فقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ والإيلاف من المؤنة والاختلاف، ثم قال: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ يقول: أخلصوا العبادة له ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ﴾ حين قذف فى قلوب الحبشة أن يحملوا إليهم الطعام فى السفن، ثم قال: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ يعنى القتل والسبى، لأن العرب كانت يقتل بعضهم بعضًا، ويسبى بعضهم بعضًا، وهم آمنون فى الحرم.

* * *

سورة الماعون

مكية، عددها سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ [آية: ١] يعنى بالحساب، نزلت فى العاص بن وائل السهمى، وهبيرة بن أبى وهب المخزومى، زوج أم هانى بنت عبد المطلب عمة النبى ﷺ، ثم أخبر عن المكذب بالدين، فقال: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [آية: ٢] يعنى يدفعه عن حقه، فلا يعطيه، نظيرها: ﴿**يوم يدعون إلى نار جهنم**﴾ [الطور: ١٣]، ثم قال: ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ نفسه ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [آية: ٣] يقول: لا يطعم المسكين ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [آية: ٤] يعنى المنافقين فى هذه الآية.

ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [آية: ٥] يعنى لاهون عنها، حتى يذهب وقتها، وإن كانوا فى خلال ذلك يصلونها ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ [آية: ٦] الناس فى الصلاة، يقول: إذا أبصرهم الناس صلوا، يراءون الناس بذلك، ولا يريدون الله عز وجل بها ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [آية: ٧] يعنى الزكاة المفروضة والماعون بلغى قريش الماء.

قال أبو صالح، وذكر عن يحيى بن أبى كثير، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الماعون، الإبرة، والماء، والنار، وما يكون فى البيت من نحو هذا، فيمنع.

* * *

سُورَةُ الكَوْثَرِ

مكية، عددها ثلاث آيات كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [آية: ١] لأنه أكثر أنهار الجنة خيرًا، وذلك النهر عجاج يطرد مثل السهم طينه المسك الآذفر، ورضراضه الياقوت، والزبرجد، واللؤلؤ، أشد بياضًا من الثلج وألين من الزبد، وأحلى من العسل، حافتاه قباب الدر المجوف، كل قبة طولها فرسخ فى فرسخ، وعرضها فرسخ فى فرسخ، عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب، فى كل قبة زوجة من الحور العين، لها سبعون خادمًا، فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل، ما هذه الخيام»؟ قال جبريل، عليه السلام: هذه مساكن أزواجك فى الجنة، يتفجر من الكوثر أربعة أنهار لأهل الجنان التى ذكر الله عز وجل فى سورة محمد ﷺ: الماء، والخمر، واللبن، والعسل.

ثم قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ يعنى الصلوات الخمس ﴿وَٱنْحَرْ﴾ [آية: ٢] البدن يوم النحر، فإن المشركين لا يصلون ولا يذبحون لله عز وجل ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [آية: ٣] وذلك أن النبى ﷺ دخل المسجد الحرام من باب بنى سهم بن عمرو بن هصيص، وأناس من قريش جلوس فى المسجد، فمضى النبى ﷺ ولم يجلس حتى خرج من باب الصفا، فنظروا إلى النبى ﷺ حين خرج ولم يروه حين دخل، ولم يعرفوه، فتلقاه العاص بن وائل السهمى بن هشام بن سعد بن سهم على باب الصفا، وهو يدخل، وكان النبى ﷺ قد توفى ابنه عبد الله، وكان الرجل إذا مات ولم يكن له من بعده ابن يرثه، سمى الأبتر، فلما انتهى العاص إلى المقام، قالوا: من الذى تلقاك؟ قال: الأبتر.

فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ يعنى أن مبغضك هو الأبتر، يعنى العاص بن وائل السهمى، هو الذى أبتر من الخير، وأنت يا محمد ستذكر معى إذا ذكرت فرفع الله عز وجل له ذكره فى الناس عامة، فيذكر النبى ﷺ فى كل عيد للمسلمين فى صلواتهم، وفى الآذان، والإقامة، وفى كل موطن حتى خطبة النساء، وخطبة الكلام، وفى الحاجات.

* * *

سُورَةُ الكَافِرُونَ

مكية، عددها ست آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ (١) لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ (٢) وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ (٣) وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ (٤) وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ (٥) لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [آية: ١] نزلت فى المستهزئين من قريش، وذلك أن النبى ﷺ قرأ بمكة ﴿**والنجم إذا هوى**﴾ [النجم: ١]، فلما قرأ: ﴿**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى**﴾ [النجم: ١٩، ٢٠]، ألقى الشيطان على لسانه، فى وسنه، فقال: تلك الغرانيق العلا، عندها الشافعة ترتجى، فقال أبو جهل بن هشام، وشيبة وعتبة ابنا ربيعة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، والمستهزءون من قريش عشيا فى دبر الكعبة لا تفارقنا يا محمد إلا على أحد الأمرين تدخل معك فى بعض دينك ونعبد إلهك، وتدخل معنا فى بعض ديننا وتعبد آلهتنا، أو تتبرأ من آلهتنا ونتبرأ من إلهك، فأنزل الله عز وجل، فيهم تلك الساعة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ إلى آخر السورة، فأتاهم النبى ﷺ بعد، فقال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، قالوا: ما لك يا محمد؟ قال: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [آية: ٢] يقول: لا أعبد آلهتكم التى تعبدون اليوم ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ﴾ إلهى الذى أعبده اليوم ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ [آية: ٣].

ثم قال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ [آية: ٤] فيما بعد اليوم ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ [آية: ٥] فيما بعد اليوم ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ﴾ الذى أنتم عليه ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ [آية: ٦] الذى أنا عليه، ثم انصرف عنهم، فقال بعضهم: تبرأ ها منكم فشتموه وآذوه، ثم نسختها آية السيف فى براءة: ﴿**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾ [التوبة: ٥].

* * *

سُورَةُ النَّصْرِ

مدنية، عددها ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [آية: ١] نزلت هذه السورة بعد فتح مكة والطائف ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ يعنى أهل اليمن ﴿أَفْوَاجًا﴾ [آية: ٢] من كل وجه زمرًا، القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم، ليس بواحد ولا اثنين ولا ثلاثة، فقد حضر أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يقول: فأكثر ذكر ربك ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ من الذنوب.

﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [آية: ٣] للمستغفرين كانت هذه السورة آية موت النبى ﷺ فقرأها على أبى بكر وعمر ففرحا، وسمعها عبد الله بن عباس فبكى، فقال له النبى ﷺ: «صدقت»، فعاش النبى ﷺ بعدها ثمانين يومًا، ومسح رسول الله ﷺ بيده على رأس ابن عباس، وقال: «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل».

* * *

سُورَةُ المَسَدِ

سورة تبت مكية، عددها خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾

قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، وهو عم النبى ﷺ، وإنما سمى أبو لهب لأن وجنتيه كانتا حمراوين، كأنما يلتهب منهما النار، وذلك أنه لما نزلت ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ [الشعراء: ٢١٤]، يعنى بنى هاشم، وبنى المطلب، وهما ابنا عبد مناف بن قصى، قال النبى ﷺ: «يا على، قد أمرت أن أنذر عشيرتى الأقربين، فاصنع لى طعامًا، حتى أدعوهم عليه وأنذرهم»، فاشترى على، رحمة الله عليه، رجل شاة فطبخها وجاء بعس من لبن، فدعا النبى ﷺ بنى هاشم، وبنى المطلب إلى طعامه، وهم أربعون رجلاً غير رجل، على رجل شاة، وعس من لبن، فأكلوا حتى شبعوا، وشربوا حتى رووا.

فقال أبو لهب: لهذا ما سحركم به، الرجال العشرة منا يأكلون الجذعة، ويشربون العس، وإن محمدًا قد أشبعكم أربعين رجلاً من رجل شاة، ورواكم من عس من لبن، فلما سمع ذلك منه رسول الله ﷺ شق عليه، ولم ينذرهم تلك الليلة، وأمر النبى عليًا أن يتخذ لهم ليلة أخرى مثل ذلك، ففعل فأكلوا حتى شبعوا، وشربوا حتى رووا، فقال النبى ﷺ: «يا بنى هاشم، ويا بنى المطلب، أنا لكم النذير من الله، وأنا لكم البشير من الله إنى قد جئتكم بما لم يجئ به أحد من العرب، جئتكم فى الدنيا بالشرف، فأسلموا تسلموا، وأطيعونى تهتدوا»، فقال أبو لهب: تبا لك، يا محمد، سائر اليوم لهذا دعوتنا؟ فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [آية: ١] يعنى وخسر أبو لهب.

ثم استأنف، فقال: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾ فى الآخرة ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ [آية: ٢]

يعنى أولاده عتبة وعتيبة ومعتب لأن ولده من كسبه ﴿سَيَصۡلَىٰ﴾ يعنى سيغشى أبو لهب ﴿نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ [آية: ٣] ليس لها دخان ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ وهى أم جميل بنت حرب، وهى أخت أبى سفيان بن حرب ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [آية: ٤] يعنى كل شوك يعقر كانت تلقيه على طريق النبى ﷺ ليعقره.

ثم أخبره بما يصنع بها فى الآخرة، فقال: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ فى عنقها يوم القيامة ﴿حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ [آية: ٥] يعنى سلسلة من حديد، فلما نزلت هذه الآية فى أبى لهب قيل لها: إن محمدًا قد هجا زوجك، وهجاك، وهجا ولدك، فغضبت وقامت فأمرت وليدتها أن تحمل ما يكون فى بطن الشاة من الفرث والدم والقذر، فانطلقت لتستدل على النبى ﷺ لتلقى ذلك عليه فتصغره، وتذله به، لما بلغها عنه، فأخبرت أنه فى بيت عند الصفا، فلما انتهت إلى الباب سمع أبو بكر، رحمة الله عليه، كلامها، وكان النبى ﷺ داخل البيت، فقال أبو بكر، رحمة الله عليه: يا رسول الله، إن أم جميل قد جاءت، وما أظنها جاءت بخير، فقال النبى ﷺ: «اللهم خذ ببصرها»، أو كما قال.

ثم قال لأبى بكر، رحمة الله عليه: «دعها تدخل، فإنها لن ترانى»، فجلس النبى ﷺ وأبو بكر، رحمة الله عليه، جميعًا، فدخلت أم جميل البيت، فرأت أبا بكر، رحمة الله عليه، ولم تر النبى ﷺ، وكانا جميعًا فى مكان واحد، فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ فقال: وما أردت منه يا أم جميل؟ قالت: إنه بلغنى أنه هجانى، وهجا زوجى، وهجا أولادى، وإنى جئت بهذا الفرث لألقيه على وجهه، ورأسه أذله بذلك، فقال لها: والله، ما هجاك، ولا هجا زوجك، ولا هجا ولدك.

قالت: أحق ما تقول يا أبا بكر، قال: نعم، فقالت: أما إنك لصادق، وأنت الصديق، وما أرى الناس إلا وقد كذبوا عليه، فانصرفت إلى منزلها، ثم إنه بدا لعتبة بن أبى لهب أن يخرج إلى الشام فى تجارة، وتبعه ناس من قريش حتى بلغوا الصفاح، فلما هموا أن يرجعوا عنه إلى مكة، قال لهم عتبة: إذا رجعتم إلى مكة، فأخبروا محمدًا بأنى كفرت بـ﴿**النجم إذا هوى**﴾ [النجم: ١]، وكانت أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ، فلما بلغ النبى ﷺ ذلك، قال: «اللهم سلط عليه كلبك يأكله»، فألقى الله عز وجل فى قلب عتبة الرعب لدعوة النبى ﷺ، وكان إذا سار ليلاً ما يكاد ينزل بليل.

فهجر بالليل، فسار يومه وليلته، وهم أن لا ينزل حتى يصبح، فلما كان قبيل الصبح،

قال له أصحابه: هلكت الركاب، فما زالوا به حتى نزل، وعرس وإبله، وهو مذعور، فأناخ الإبل حوله مثل السرادق، وجعل الجواليق دون الإبل مثل السرادق، ثم أنام الرجال حوله دون الجواليق، فجاء الأسد، ومعه ملك يقوده، فألقى الله عز وجل على الإبل السكينة، فسكنت.

فجعل الأسد يتخلل الإبل، فدخل على عتبة وهو فى وسطهم فأكله مكانه، وبقى عظامه وهم لا يشعرون، فأنزل الله عز وجل فى قوله حين قال لهم: قولوا لمحمد: إنى كفرت بالنجم إذا هوى، يعنى القرآن إذ نزل، أنزل فيه: ﴿**قتل الإنسان**﴾ يعنى لعن الإنسان ﴿**ما أكفره**﴾ [عبس: ١٧] يعنى عتبة يقول: أى شىء أكفره بالقرآن، إلى آخر الآيات.

حدثنا عبد الله بن ثابت، قال: حدثنا أبى، قال: حدثنا أبو صالح، قال: كانت قريش وأم جميل تقول: مذممًا عصينًا، وأمره أبينا.

فقال رسول الله ﷺ: «ومن لطف الله أن قريشًا تذم مذممًا، وأنا محمد» ﷺ.

* * *

سُورَةُ الإخْلاص

مكية، عددها أربع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [آية: ١] ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [آية: ٢] تعنى أحد لا شريك له، وذلك أن عامر بن الطفيل بن صعصعة العامرى، دخل على رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أما والله لئن دخلت فى دينك ليدخلن من خلفى، ولئن امتنعت ليمتنعن من خلفى، قال رسول الله ﷺ: «فما تريد»؟ قال: أتبعك على أن تجعل لى الوبر ولك المدر، قال له رسول الله ﷺ: «لا شرط فى الإسلام»، قال: فاجعل لى الخلافة بعدك، قال رسول الله ﷺ: «لا نبى بعدى»، قال: فأريد أن تفضلنى على أصحابك، قال رسول الله ﷺ: «لا، ولكنك أخوهم، إن أحسنت إسلامك»، فقال: فتجعلنى أخا بلال، وخباب بن الأرت، وسلمان الفارسى، وجعال، قال: «نعم»، فغضب، وقال: أما والله لأثيرن عليك ألف أشقر عليها ألف أمرد، فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك تخوفنى»؟ قال له جبريل، عليه السلام، عن ربه: لأثيرن على كل واحد منهم ألفًا من الملائكة، طول عنق أحدهم مسيرة سنة، وغلظها مسيرة سنة، وكان يكفيهم واحد، ولكن الله عز وجل أراد أن يعلمه كثرة جنوده، فخرج من عند رسول الله ﷺ وهو متعجب مما سمع منه، فلقيه الأربد بن قيس السهمى، فقال له: ما شأنك؟ وكان خليله فقص عليه قصته، وقال: إنى دخلت على ابن أبى كبشة آنفًا، فسألته الوبر، وله المدر فأبى، ثم سألته من بعده فأبى، ثم سألته أن يفضلنى على أصحابه، فأبى، وقال: أنت أخوهم إن أحسنت إسلامك، فقال له: أفلا قتلته؟ قال: لم أطق ذلك، قال: فارجع بنا إليه، فإن شئت حدثته حتى أضرب عنقه، فانطلقا على وجوههما، حتى دخلا على رسول الله ﷺ فقعد عامر عن يمينه والأربد عن يساره، وكان رسول الله ﷺ علم ما يريدان، قال: وجاء ملك من الملائكة فعصر بطن الأربد بن قيس، وأقبل عامر على رسول الله ﷺ وقد وضع يده على

فمه، وهو يقول: يا محمد لقد خوفتنى بأمر عظيم، وبأقوام كثيرة فمن هؤلاء؟ قال: «جنودى وهم أكثر مما ذكرت لك»، قال: فأخبرنى ما اسم ربك؟ وما هو؟ ومن خليله؟ وما حيلته؟ وكم هو؟ وأبو من هو؟ ومن أى حى هو؟ ومن أخوه؟.

وكانت العرب يتخذون الأخلاء فى الجاهلية، فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ لقوله ما اسمه؟ وكم هو؟ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ لقوله ما طعامه؟ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ الذى لا يأكل ولا يشرب ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ يقول: ولم يتخذ ولدًا ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [آية: ٣] يقول: ليس له ولد يكتنى به، لقوله: وابن من هو؟ ثم قال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [آية: ٤] لقوله: من خليله؟ ويقول: ليس له نظير، ولا شبيه، فمن أين يتخذ الخليل، فأشار بيده وبعينه إلى الأربد بن قيس، وهو فى جهد قد عصر الملك بطنه حتى أراد أن يخرج خلاه من فيه، وقد أهمته نفسه، فقال الأربد: قم بنا، فقاما، فقال له عامر: ويحك ما شأنك؟ قال: وجدت عصرًا شديدًا فى بطنى، ووجعًا، فما استطعت أن أرفع يدى.

قال: فأما الأربد بن قيس، فخرج يومئذ من المدينة، وكان يومًا متغيمًا، فأدركته صاعقة فى الطريق فقتلته، وأما عامر بن الطفيل، فوجاه جبريل، عليه السلام، فى عنقه، فخرج فى عنقه دبيله، ويقال: طاعون فمرض بالمدينة، فلم يأوه أحد إلا امرأة مجذوبًا من بنى سلول، فقال جزعًا من الموت: غدة كغدة البعير، ومت فى بيت سلولية، أبرز إلى يا موت، فأنا قاتلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿**وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال**﴾ [الرعد: ١٣].

وأيضًا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وذلك أن مشركى مكة، قالوا لرسول الله ﷺ: أنعت لنا ربك وصفه لنا، وقال عامر بن الطفيل العامرى: أخبرنا عن ربك أمن ذهب هو، أو من فضة، أو من حديد، أو من صفر؟ وقالت اليهود: عزيزًا ابن الله، وقد أنزل الله عز وجل نعته فى التوراة، فأخبرنا عنه يا محمد، فأنزل الله عز وجل فى قولهم: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ لا شريك له ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ يعنى الذى لا جوف له، كجوف المخلوقين، ويقال: الصمد السيد الذى تصمد إليه الخلائق بحوائجهم وبالإقرار والخضوع، ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيورث، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ فيشارك، وذلك أن مشركى العرب، قالوا: الملائكة بنات الرحمن، وقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، فأكذبهم الله عز وجل، فبرأ نفسه من قولهم، فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ يعنى

لم يكن له ولد ﴿وَلَمۡ يُولَدۡ﴾ كما ولد عيسى وعزيز ومريم، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ يقول: لم يكن له عدل، ولا مثل من الآلهة تبارك وتعالى علوًا كبيرًا.

* * *

سورة الفلق

مكية، عددها خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [آية: ١] وذلك أن لبيد بن عاصم بن مالك، ويقال: ابن أعصم اليهودى، سحر النبى ﷺ فى إحدى عشرة عقدة فى وتر، فجعله فى بئر لها سبع موانى فى جف طلعة كان النبى ﷺ يستند إليها فدب فيه السحر، واشتد عليه ثلاث ليال، حتى مرض مرضًا شديدًا، وجزعت النساء، فنزلت المعوذات، فبينما رسول الله ﷺ نائم إذ رأى كأن ملكين قد أتياه، فقعد أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما شكواه؟ قال: أصابه طب، يقول: سحر، قال: فمن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودى، قال: فى أى شيء؟ قال: تنزف البئر، ثم يخرج قشر الطلعة فيحرقه، ثم يحل العقد، كل عقدة بآية من المعوذتين، فذلك شفاؤه، فلما استيقظ النبى ﷺ وجه على بن أبى طالب، عليه السلام، إلى البئر، فاستخرج السحر وجاء به فأحرق ذلك القشر، ويقال: إن جبريل أخبر النبى ﷺ بمكان السحر، وقال جبريل للنبى ﷺ: حل عقدة، واقرأ آية، ففعل النبى ﷺ ذلك، فجعل يذهب عنه ما كان يجد حتى برأ وانتشر للنساء.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ يعنى برب الخلق ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [آية: ٢] من الجن والإنس ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ يعنى ظلمة الليل ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [آية: ٣] يعنى إذا دخلت ظلمة الليل فى ضوء النهار، إذا غابت الشمس فاختلط الظلام، ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [آية: ٤] يعنى السحر وآلاته، يعنى الرقية التى هى لله معصية، يعنى به ما

تنفثن من الرقى فى العقدة، والآخذة، يعنى به السحر فهن الساحرات المهيجات الأخاذات ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [آية: ٥] يعنى اليهود حين حسدوا النبى ﷺ، قال: فقال له جبريل، عليه السلام: ألاَ أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟ قال: يا جبريل، ما هو؟ قال: المعوذتان، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ ، و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ وقال النبى ﷺ: «قيل لى، فقلت لكم، فقولوا كما أقول»، قال: وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما فى المكتوبة.

* * *

سُورَةُ النَّاسِ

مكية، عددها ست آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [آية: ١] أمر الله عز وجل النبى ﷺ أن يتعوذ برب الناس هو ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [آية: ٢] بملكهم فى برهم وبحرهم، وفاجرهم، وصالحهم، وطالحهم، وهو ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [آية: ٣] كلهم ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [آية: ٤] وهو الشيطان فى صورة خنزير معلق بالقلب فى جسد ابن آدم، وهو يجرى مجرى الدم، سلطه الله على ذلك من الإنسان، فذلك قوله: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ [آية: ٥] فإذا انتهى ابن آدم وسوس فى قلبه حتى يتبلع قلبه، والخناس الذى إذا ذكر الله ابن آدم خنس عن قلبه، فذهب عنه، ويخرج عن جسده، ثم أمره الله أن يتعوذ ﴿مِنَ﴾ شر ﴿ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [آية: ٦] يعنى الجن والإنس.

* * *

تم بحمد الله

فهرس المحتويات